هل المرأة مصدر الوحي ؟

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

أما الوحى الذى يراد به انتقال الفكرة بلفظها أو بمعناها من نفس الموحى الى نفس الموحى اليه ، فلا محل للبحث فيه هنا ، لانه مقصور على الانبياء وأشباه الانبياء الذين يبلغون الناس رسالات من السماء

فلم يبق إذن إلا الوحى الذى يراد به استجاشة الخاطر وايقاظ الضمير واثارة البواعث الى التعبير . والمرأة ولا شك مصدر كبير من مصادر هذا الوحى فى الشعر والفن والتعبير عامة ، ومصدر كبير من مصادره في غير ذلك من مطالب الحياة واعمالها المختلفة

فالغزل على الاقل باب من أبواب الشعر التى توحيها المرأة وتنشىء موضوعاتها ودواعيها . وليس من الضرورى أن يكون وحي المرأة غزلا أو قصة غرامية . فان الشاعر الذى يسعده الحب ويذكى قلبه ويطلق ضميره قد يعبر عن العاطفة باقوال كثيرة غير القصائد الغزلية الغرامية ، وقد يكون من هذه التعبيرات ماهو تصوير العالم وافتنان فى وصفه وتمثيله وتفاؤل بحاضره ومستقبله يتناول فلسفة الحياة وعناصر الايمان واصول الاخلاق

وقد قلت ان المرأة مصدر وحى كبير من مصادر الوحي الفنى ولم أقل انها هى مصدره دون غيرها ، إذ المرأة لا تكون مصدراً لذلك الوحي إلا لانها تستجيش الخاطر وتوقظ الضمير وتثير في القريحة بواعث التعبير . فكل ما نحا نحوها فى هذه الخصلة فهو مصدر من مصادر الوحى التى تملى المعاني والصيغ على ضمائر الشعراء ورجال الفنون ، فالروضة المشرقة والبحر الزاخر والسماء الرفيعة والمناظر المثيرة والشواغل النفسية على اختلافها مصادر وحي لاشك فيها ولاشك في فضلها على ذوى المواهب والملكات . ولا يتم لذى الملكة والفن وصف العبقرية ما لم يكن قادراً على الشعور بتلك الروائع والمحاسن وقادراً على تلقي الوحي والالهام من جانبها . وانما تمتاز المرأة هنا بعموم أثرها في النفوس لان الاحساس بالمرأة فطرة شائعة فى الخلق ووظيفة كامنة فى بنية التركيب ، وقد تسرى علاقاته وتتعدد صوره حتى تمتزج بضروب الاحساس التي لاتشبهه ولا تمت اليه في الظاهر ، ولكنها قريبة منه عند النظر الى حقائق الاسباب

ولست أعنى بهذا القول مايعنيه «فرويد» وأصحابه الذين يبسطون عالم « الغريزة الجنسية »

على كل شيء ولا يرون للانسان رغبة أو خالجة من شعور الا ردوها الى تلك الغريزة ، كلا ! لست أعني هذا ، فانني أعتقد أن الغريزة الجنسية نفسها تابعة لنزعة أخرى في الطبيعة وهي طلب التمام والدوام ، وان هذه النزعة هي التي أوجدت الغريزة الجنسية ونوعتها وتدرجت بها في طبقات الاحياء من الخلية الى الانسان . فليست هي أصلا ترد اليه جميع الفروع ولكنها فرع نابت من بعض الاصول . وللانسان معنى غير كونه رجلا وامرأة هو معنى الانسانية الذى يجمع الجنسين فى كثير من الصفات والمعالم ، ومعنى آخر هو معنى الحياة الذى يطوى فيه الانسانية والحيوانية والرجولة والانوثة ، ولا ينحصر في لون من هذه الالوان

فاذا قال « فرويد » وأصحابه ان كل خاطرة للرجل فانما هى خاطرة جنسية أو خاطرة يستطاع تأويلها بالمعانى الجنسية ، فالذي أوثره من الرأي ان الاحساس بالمرأة شائع في الفطرة الانسانية ، ولكنه أشبه شيء باحساس الشارب بحلاوة السكر المذاب في الشراب فانه يحس الحلاوة في كل قطرة من قطرات ذلك الشراب ، ولكن لايكون معنى ذلك ان الشراب ليس فيه إلا سكر أو أن السكر هو العنصر الغالب عليه . إذ هناك الماء وهناك نكهة أخرى من عناصر قد تمتزج بالسكر والماء

والرأيان — بعد — يلتقيان فى ملتقى غير بعيد . وهو أن الاحساس بالمرأة يتلون احياناً بالوان شتى لا مشابهة بينها فى الظاهر وبين الغريزة الجنسية . فاذا أحب الشاعر فهو خليق أن يبدع المعانى فى معارض لاينتهي بها الخيال الى نهاية

ولعلنا نصحح العبارة إذا قلنا إن الحب هو مصدر الوحي وليست المرأة ، لان المرأة ان لم تبعث الحب لم توح شيئاً الى أحد ، وقد تشل القريحة وتعطل الوحي وتفسد الملكة حين يتحول حبها يأساً أو متعة حيوانية أو لواعج عمياء ، وفي الدنيا ملايين من العجائز لا يوحين إلى الرجال الغرباء إلا معاني العبرة والرثاء كما يوحيها منظر الطلل الداثر أو منظر الحيوان المصاب ، لانهن فقدن الجمال والحب وان لم يفقدن اسم المرأة وعنوان الانوثة

ولا بد أن نشير هنا الى الفارق العظيم بين الملكات الصغيرة المحدودة والملكات الكبيرة الشاملة . فمن السهل علينا أن نرى كيف يخلق الحب شاعراً مثل المجنون أو عمر بن أبى ربيعة أو بترارك أو بيرنز ، لان امثال هذه الملكات الصغار اللطاف قد تحيا بعاطفة وتموت بعاطفة . ولكننا لانستطيع أن نتخيل أن شكسبير وهومر ودستيفسكي وابن الرومي والمتنبي والمعري ومن في هذه الطبقة أو هذه الطبقات يبدعون كل ما ابدعوه بفضل الحب أو يموتون.

موتة واحدة من صدمة فى الحب . بل الواقع الذى توافقت عليه التواريخ ان نصيب المرأة فى حياة هؤلاء لم يكن جائرا على نصيب البواعث الاخرى، وكثيرا ما كان اشتغالهم بالحياة ومشاهد الكون وآيات الطبيعة مستقلا عن المرأة وبواعثها كافة ، لانهم كالدوحة الباسقة التى تعيش في الصيف والشتاء والصحو والغيم والسكون والاعصار ، وليسوا كالزهرة الوديعة التي تبسم للحب او تموت

ولا بد أيضا من اشارة الى الحدود التى يقف عندها وحي المرأة ولا يخرج عنها إلا فيما ندر : فهي توحي وحيها من ناحية التعاطف ، وقلما توحيه من ناحية التفاهم ، وهي لا تبعث المعاني فى قريحة الشاعر لانها تفهمها وتفهمه ، ولكنها تبعث المعاني في قريحته لانها تحبه وترأمه وتتصل بحياته ، ومعظم الحبيبات اللواتي انتظمت فيهن قصائد الشعراء كن غريبات عن المثل العليا التي خلقها أولئك الشعراء ، فان الرجل هو الذي يصعد بحبيبته الى السماء حين يحب . وهو الذى يصفها بأوصاف الملائكة والكواكب حين يراها أهلا لحبه . أما المرأة فهي تستمع الى هذا الاطناب فترضاه لانه دليل الحب لا لانها تصعد الى تلك الآفاق . وليس لمثلها الأعلى أجنحة وسماوات وانما هو عندها ذو قدمين وارض وطيدة . وهي اذا جاشت عواطفها قنعت برجل كملت له مزايا الرجولة المشهودة في اعتقادها ، ولم يطمح بها الخيال الى مافوق ذلك

فالمرأة تطلب من الحب عصمة محدودة ، والرجل يطلب من الحب أملا غير محدود . وحب المرأة ذو جدران وأسوار وحب الرجل يبدأ من وراء الجدران والاسوار . ولهذا يتعاطفان ولا يتفاهمان ، وينموان كلاهما فى طريقه ولا يتغيران . وكأنما حب المرأة لقريحة الشاعر غذاء ينميه ويقويه ، ولكن الفضل له هو في خلق الدم — واعنى به المعانى — من ذلك الغذاء

عباس محمود العقاد

في استنهاض الهمم

يا أمةً نثرتْ منظومها الغيرُ ... حتّامَ صبرٌ ونَار الشر تستعرُ

ماذا تقولون في ضَيمٍ يُراد بكمْ ... حتى كأنكُم الأوتادُ والحجرُ

باحثة البادية

قصة شهر نوفمبر

الحب في المدرسة بين تلميذتين

بقلم الآنسة "مي"

أعلنتها الراهبة المفتشة بوجوب النهوض في هذا المساء، ولو ساعة واحدة، لمذاكرة دروس الموسيقى التي ستستأنفها في الغد بعد الانقطاع عنها أسبوعاً كاملاً بسبب المرض. وعيّنت لها هذه الغرفة رقم ٤ لبعدها عن البهو الكبير حيث تجتمع الآن زميلاتها تلميذات المدرسة الداخلية (بانسيونير) قبل العشاء للمذاكرة وكتابة الفروض وإعداد التمرينات المطلوبة للغد، مشتغلات في صمت عميق على نور المصابيح تحت رقابة الراهبات. وغرفة الموسيقى رقم ٤ جدّ بعيدة لا تبلغهن منها أصداء العزيف فتشتت أفكارهن وتقلق راحتهن

وما كان أحرى «شجية» بالبقاء مضطجعة في سريرها! إنها منهوكة القوى، لا شيء يغريها، ولا الشوق يهزها إلى هذا البيانو الذي تحبه برنينه السريع الاهتياج والطرب وبذيله الطويل المرجع أصداء الأنغام في اقتضاب أو عبل — وفق رغبتها حين تعزف

جلست إليه في الظلام دون أن تلمس مفتاح الكهرباء. وأخذت تعالج في تراخ السلالم الموسيقية سلماً بعد سلم صعوداً ونزولاً من أدنى البيانو إلى أقصاه، متبعة كلّ سلم بدفعات الايقاع الخاصة بقراره. بيد أنها أمسكت بعد حين، لعجزها عن مقاومة الكلال وخلق النشاط في الاتزان الموسيقيّ. وأسندت رأسها إلى خشب البيانو مغمضة عينيها ودموعها تسيل على خديها، شاعرة بأنها وحيدة كئيبة مريضة تودّ أن تنام، تنام لا يزعجها شيء أو أحد. إلا القطة الجميلة التي اعتادت مداعبتها في البيت، لو كانت هنا! وهل تصحب القططة البنات لتتعلم مثلهن في المدارس؟

أحست بخطى تقترب فسارعت إلى العزف بغير انتظام، متوقعة سماع صوت إحدى الراهبات. غير أن ذراعين احتضنتاها ويدين حاولتا إرجاع رأسها إلى الوراء ليستقر وجهها تحت الوجه المنحني عليه. ومضت الاصابع تلمس دموعها في الظلام. فصاحت تبغي التفلّت:

— أتركيني! أتركيني!

— ما بك ، يا صغيرتي ؟

هذا صوت إلفيرا ، « أمها » . لأن الراهبات يُقمن لكل صغيرة دون الثانية عشرة « أمًّا » من الفتيات اللائي جاوزن الخمس بعد العشر ، تعنى بشؤون الصغيرة و بهندامها و بدروسها وتكون مسؤولة إلى حدٍّ ما عن سلوكها ونجاحها ـ لتألف الفتيات نوع التبعة التي ستُلقى عليهن يوماً في الحياة . فتقبل بعض « الكبيرات » تلك التبعة باهتمام وابتهاج ، وتحتملها الاخريات على مضض ـ وفقاً لاستعدادهن الفطرى . أما الفيرا المتقدة العاطفة ، الموفورة الحنان ، فهي في أعوامها السبعة عشر « تحتاج » إلى أن يكون لها من تحبه وتعنى به وإلا كانت شقية . إنها من تلك الأمزجة التي خلقت للحب فبرعت في تحويل كل شيء إلى حب . وقد تعشقت « ابنتها » شجية وشق عليها أن تكلم الصغيرة أحداً ، أو تنشد لحناً ، أو تستحسن ثوباً ، أو تتفرغ للعب ، أو تنتبه انتباهاً خاصاً لحديث أو درس . كانت إلفيرا تغار وتعلن غيرتها وتبكي وتعاتب ، دون أن تنقطع من ناحيتها دلائل الرعاية والمحبة ووسائل الاستعطاف والإستغراء . ففي قاعة الطعام تجد شجية درجها مملوءاً بالفاكهة والحلوى . وفي قاعة الدرس تجد بدرجها تمثالاً أو منديلاً أو صورة جديدة . واذا فتحت كتبها فبين الصفحات أشعار نسختها إلفيرا على وريقات صغيرة ، أو مقاطع من أغانٍ وجدانية . وعلى وسادتها في كل مساء زهرة أو نبات عطري وتحت الوسادة كلمة « حب » أو « قبلة » مخطوطة على الورق. فتقابل الصغيرة كل ذلك بالاعراض والنفور الصريح . وهاهى الآن لاتستطيع أن تبقى وحدها لحظة ! فما الذي جاء بإلفيرا في حين عليها أن تكون كسائر التلميذات في بهو المذاكرة ؟

— الليلة دوري ، يا صغيرتي ، للاشراف على ترتيب ردهات النوم . وسمعت البيانو من هذه الناحية فعرفتُ نوع توقيعك . أيزعجك قدومي لتنفري مني ؟

— اتركيني ! اتركيني ! •

— عدلي جلوسك وكوني لطيفةً غير نفور ! أوَ تأبين أن أضمك إليَّ وألمس دموعك فى الظلام ؟ علامَ تبكين ؟

استسلمت الصغيرة للصدر الحنون بعد مقاومة شكلية فقط ، تاركة دموعها تنهمر على هواها

— شكراً لاستسلامك هذا ، يا صغيرتي ! دقيقة كهذه تعوضنى عن جفاء اسابيع . انك تدفعيننى عنك دائماً . ولكن اذا ابتسمتِ مرةً حسبتُ الابتسامة نعمة لا استحقها . واذا لاطفتني يوماً وابديت سروراً كان في ذلك الكفاية لاسعادى اياماً . علامَ تجافيننى يا شجية ؟

أتعلمين انك منذ ابتداء الدراسة فى اول اكتوبر، ونحن الآن في آخر نوفمبر، لم تكتبي لى مرة واحدة انك تحبينني، كما أفعل أنالك عشرات المرات كل يوم ؟ . لولا نظراتك الحلوة لاعتقدت أنك تبغضينني . ولكنك تحبينني وتكتمين، أليس كذلك ؟ . قولى هذه الكلمة الآن ونحن في الظلام فلا أحسبها عليك ! . . .

فاض النور فجأةً في الغرفة . فبدت الراهبة المفتشة تحدج الفتاتين بنظرها النافذ الصلب، وقد ابتعدت كلٌّ منهما عن الاخرى بدافعٍ غريزىّ . و بعد سكوت رهيب قالت المفتشة :

— أعلى هذه الصورة تقوم كلٌّ منكما بالمفروض عليها ؟ تعلمان أن الاختلاء بين تلميذتين محرّم، وأنتما تختليان هنا متعانقتين في الظلام ؟ (ملتفتة إلى إلڤيرا) أهكذا أنتِ الكبيرة تؤدين لابنتك المثل الطيب في الطاعة واتباع النظام ؟ غداً أُحدّث الأم الرئيسة فى الأمر لتفصل بينك و بين الصغيرة، فلا تكونين « أمّها » بعد اليوم . اذهبى لإتمام عملك !

ثم تحوّلت الراهبة إلى الصغيرة تتفحّص هندامها :

— ما هذا التأنق، يا ابنتى، وأنت فى الدير لا يفرض عليك إلاَّ الترتيب والنظافة ؟ إذا كان هذا مبلغ تأنقكِ وأنتِ بعد في سن العاشرة، فماذا تكون حالك إذ تخرجين فتاةً إلى حياة العالم ؟ ما هذا الشعر المهدل على وجهك والشريط الأزرق المعقود على عقرب الشعر فوق العين ؟ غداً تضعين شعرك فى الشبكة السوداء، لا تنفلت منها الخصيلات والعقارب المألوفة . وترتدين المئزر الأسود الكبير ذا الأكمام كسائر زميلاتك . وتستأنفين جميع دروسك بانتظام . كل ما أسمح بهِ أن تبقى ساعةً أخرى في السرير صباحاً بعد نهوض الاخريات، على أن تكوني بقاعة الطعام في منتصف الساعة الثامنة تتناولين معهن طعام الافطار . احظر عليك مخاطبة إلڤيرا أو الرّد عليها إذا خاطبتك، ريثما تبتّ الأم الرئيسة في شأنكما بعد أن أُخبرها غداً أن إلڤيرا كانت تقبلك هنا في الظلام

— إلڤيرا لم تقبلنى هنا، يا أُختاه

— تكذبين !

الطفلة التي كانت منذ حين تبكي من جراء الضعف والكآبة والحنان، شعرت الساعة بوطأة الظلم فرفعت رأسها وقد لمعت عيناها إذ هى تنظر الى الراهبة وتقول بلهجةٍ غير متردّدة:

— لا أكذب، يا أُختاه ! إلڤيرا لم تقبِّلنى هنا !

— اخفضي نظرك ! رأيتكما بعيني !

غضت طرفها لأنها تعودت الطاعة ، بيد أن لهجتها لم تتغير في قولها : « هي تعطف علي لأني وحيدة مريضة ، وقد ضمتني بين ذراعيها تؤاسيني لأني كنت أبكي . ولكنها لم تقبلني »

— اسكتي ! وقحة ! اذهبي فى الحال إلى سريرك حيث سأرسل اليك طعام العشاء . ثم اركعي على ركبتيك وصلّي واستغفري الله قبل النوم !

تحركت صادعة بالأمر ، ثم وقفت تقول ونظرها إلى الأرض :

— شكراً ، يا أختاه . ولكن أرجو ألا ترسلي لي طعاماً

* * *

لمستْ تخريم جلبابها العاجي الأنيق لمسةَ المداعبةِ والتحبب عند ما تمددت فى سريرها الأبيض الصغير بين الستائر البيضاء المسدولة وقد أحكمت إقفالها عقدة كبيرة من الحرير الأزرق . غير أنها لم تنم ، لأن تلك الحركة النفسية لمقاومة الظلم حفزت فيها شيئاً قوياً . ولم يطل أن امتلأت القاعة بالفتيات . وعند ما عمدن إلى أسرتهن أرسل صوت الراهبة المراقبة ، في هدوء خافت ، تلك التحية التي يرقدن كل مساء على وقعها و يستيقظن عند سماعها كل صباح : « فليحيا يسوع ! » . فرددن في مثل ذلك الصوت : « إلى الأبد في قلبي ! »

بدلاً من مشاركتهن في الرد سألت شجية نفسها : أو يرضى يسوع الحلو الوديع أن « يحيا إلى الأبد » في قلب الاخت المفتشة ؟

أطفئت الأنوار وساد السكون فتأثرت شجية بذلك الجو واستغرقت في نوم طويل عميق . . . استيقظت منه مجفلة لشعورها بذراعين تضمانها و بشيء كالماء يسيل على خدها !

— أأيقظتك ، يا صغيرتي الحلوة ؟ جئت أودعكِ لأنهم سيأخذونك مني غداً ، ويجعلون لغيري الحق في تسريح شعركِ و تفقد أثوابكِ ، ورقابة يقظتك ونومك ، والعناية بك كل يوم وكل ساعة وانا بعيدة أرى بعيني ، وقلبي يتمزق ، ولا حيلة لي . وربما أحببت تلك الأخرى اكثر مني . أو تحبينني أنا ؟ ألا تقولين الآن مرة واحدة أنك تحبينني ؟

لم تجب الصغيرة . بل استوت في سريرها ورفعت ذراعيها تطوق عنق إلفيرا المنحنية من بين الستائر ، وأخذت تمرغ رأسها على نحرها وكتفيها و يديها

— سيأخذونك مني ، يا صغيرتي المحبوبة ، فكيف أحتمل ؟ ألا تقبلينني الآن من تلقاء نفسك ؟ أم تدعينني أقبلك قبلة الوداع فلا تنفرين ككل مرة ؟ أتريدين أن أقبلك ؟

— لا ، لا تقبليني ! غداً عند ما تسألني الأم الرئيسة أريد أن أعيد ما قلته الليلة للمفتشة انك لم تقبليني ، فأكون صادقة غير كاذبة !

وضعت إلفيرا رأس « ابنتها » على الوسادة بهدوء وقالت حزينة :

— واهاً ، يا صغيرتي ! إنك لا تحبينني . وهذا أقسى عليّ من كل شيء !

في الغد شاع الخبر بين التلميذات أن إلفيرا استدعيت إلى البيت في الصباح على عجل بسبب مرض والدها . وفي نهاية الاسبوع نادت مديرة الدروس شجية لتسلمها خطاباً مفتوحاً أذنت لها بالرد عليه تكتبه وتقدمه مفتوحاً للمديرة فترسله - كما هي العادة في كل خطاب تتلقاه التلميذات أو يرسلنه . وكان الخطاب بالفرنسية لغة المدرسة ولغة التخاطب فيها . وهذه فحواه :

« عزيزتي الصغيرة شجية

« أسفت لأني لم أشاهدك قبل مغادرتي المدرسة لأبادر إلى سرير أبي المريض . إنه الآن أحسن حالاً . غير أني لن أتركه قبل أيام ليس لي أن أراك خلالها . أرجو أن تكوني قد تعافيت تماماً . صلي لأجلي ولأجل مريضي العزيز . وابعثي لي من أخبارك ولا تنسيني ، فأنا أذكرك دائماً « صديقتك الكبيرة - إلفيرا »

كتبت شجية الرد المناسب وسلمته للمديرة . وكتبت سراً خطاباً آخر هذا مضمونه :

« محبوبتي ، يا إلفيرا ! كيف ذهبت وتركت ابنتك وحدها ؟ سأموت حزناً . لذلك أقول لك الحقيقة . أحبك أكثر من حبك لي . ولكني أغار من ابن عمك طالب الطب الذي يزورك كل أسبوع ونحن مجتمعات معاً في ردهة الاستقبال مع أهلنا وأقاربنا . عند ما رأيته معك يوم افتتاح المدرسة ورأيتك تقبلينه ويقبلك للوداع التوى قلبي وصرت أظهر لك النفور وعدم الاكتراث . أغار وأشعر بأني أموت كلما فكرت في أنك تحبينه !

« أيمكن أن تحبي أحداً غيري ؟ كلما كتبت لي الأشعار والأغاني مزقتها لأني أتصور أنه هو يكتبها اليك . وعند ما تخاطبينني بألفاظك الحلوة التي لا أطيق العيش بدونها ، أتخيل أنه يخاطبك بمثلها فتتعلمينها منه . وأتفلت منك لأني أتصور انك تريننى لأنه غائب ، ولو كان حاضراً لنسيتني من أجله . ومنذ أن قالت التلميذات إنه خطيبك عرفت فيه الشيطان ... أيمكن هذا ؟ كيف تكونين مخطوبة لهذا « المسيو » وأنا موجودة ؟ لا أطيق هذه الفكرة ، وأبغضه ، وأريد أن أمزق نفسي لأموت . فقبل ذلك أسألك : أتحبينني أكثر من أي أحد في الدنيا وتحبينني أنا وحدي ؟ أم هو الذي تحبينه كذلك ؟

« أقبلك بقلبي وروحي وأبكي ، ويدك ليست معي لتمسح دموعي وصدرك ليس عندي أسند إليه رأسي . أنا وهذا «المسيو» معاً في قلبك شيء مستحيل . فافكري جيداً و باخلاص واختاري واحداً منا : فإما أنا وإما هو . و بعد ذلك اخبريني !

« صغيرتك التي ستموت ـ شجية »

التلميذات في حوش المدرسة يتحدثن ويمرحن قبل اجتماع المساء في بهو المذاكرة . أما شجية فقد انسحبت إلى أطراف الحوش متوارية تحت الأروقة البعيدة . أسنانها تصطك خوفاً وركبتاها تكادان لا تحملانها كلما لمحت شبحاً أو سمعت وقع أقدام حواليها . ماذا يحدث لو رأتها الراهبات خارجةً إلى الشارع وحدها في الظلام ؟ لكن ماذا يهم ؟ وليس لديها طابع بريد ، وماذا يهم هذا أيضاً ؟ المهم أن يصل الخطاب إلى إلقيرا لتختار حالاً : فاما ابنتها شجية واما خطيبها طالب الطب !

مرت أمام الغرفة الصغيرة حيث تجلس الراهبتان الموكلتان بحراسة الباب . شكراً يا إلهي !، الراهبة الشابة التي لا تفوتها حركة ، غائبة ! لعلها في الكنيسة تصلي ؟ ليتها تصلي طول حياتها للاستغفار عن ذنوبها ! أما الراهبة العجوز فتحب شجية كثيراً . وها هي ذي تجلس ، وسبحتها بيدها لتزعم أنها تصلي ، ولكنها نائمة ! يا نوم الهناء ! فهبطت الدرجات الواسعة العشر الموصلة الى الباب الحديدي الكبير ، وجازت عتبته ، ومضت تجري في الشارع نحو عشرة أمتار حتى بلغت صندوق البريد المعلق على سور الدير . وهناك وقفت يائسة تكاد تجهش بالبكاء . هي ترتفع على أطراف قدميها وتمد بذراعها إلى فوق جهد المستطاع ، دون التوصل إلى المكان المطلوب لالقاء الخطاب . ماذا تصنع ؟ وماذا لو أقفل الراهبات الباب فبقيت هي في الشارع ؟ لمحت رجلاً مقبلاً فهرعت اليه قائلة بلهفة :

— أرجو منك ، يا سيدي ، أن تضع هذا الخطاب في هذا الصندوق !

— بكل سرور ! بونسوار ، مدموازيل شجية !

ويلاه ! هذا طالب الطب بعينه ! هذا شيطان الشياطين !

***

أصبح الطالب في أعوام قلائل طبيباً كبيراً ورجلاً ذا مكانة في قومه . وزفت اليه إلقيرا ذات الحسن البارع جسداً وروحاً . فكان مولودها الأول طفلة أسمتها « شجية »

« مي »

ابنتي — بقلم الدكتور احمد ماهر
زوجتي — بقلم الدكتور طه حسين
أمي — بقلم الأستاذ ابرهيم المازني

ابنتى

بقلم الدكتور احمد ماهر

أصارحك القول بأنى لو لم أخبر ابنتى بما طلبت منى الكتابة فيه ، ولو لم تستحثنى هى على تحقيق وعدى فى مقابل أن تكتب لى وحدى عن « أبى » لاعتذرت عن اجابة طلبك ، لانك أردت منى أن أتحدث الى قرائك عن أمر يقتضى تحليل عواطفى ، وعرض نفسيتى ، وشرح عوامل خفية قد كان لها أثر عميق فى حياتى . وذلك لانك تريد منى أن أكتب عن عاطفة عميقة فى النفس ، بل هى أعمق الغرائز الانسانية فيها . ومن لم يكن والداً هيهات أن يدرك احساس الابوة ، فان هذه العاطفة التى اشعر بها فى اعماق صدرى هى شىء احسه ، ولكن يصعب على أن اصفه . وانى لاعتقد استحالة وصول أى شخص مهما حاول الاستعانة ببلاغة اللغة الى التعبير عن غريزة متأصلة كهذه ممتزجة بدمه وحياته

أحب ابنتى ، هذا هو كل ما استطيع أن اقوله وأردده . وقد زاد فى مبلغ هذا الحب — وهو وحده شديد بالغ القوة — أنها قد حرمت من والدتها وهى فى المهد فهى يتيمة من هذا العهد وانا لها من صغرها الام والاب

وهى تجد عندى هذه العاطفة المزدوجة معا فى حب عام وحنان كلى ، وفى حب خاص من كلتا ناحيتيه . فاذا ما أرادت شيئاً مما تقتنى الفتيات أو مما يطلبن من الزينات ، التمست رأيى فيما تقتنيه واستشارتنى فيما تشتريه ، كما أنه اذا ما خطرت لها فكرة أو صعب عليها الاهتداء الى مسألة ذهنية من المسائل طلبت مساعدتى وسألتنى فكرى

وقد تأثرت بي من ناحية شعورها الاجتماعي كما وجدت في هذا أكبر فخري وأعظم سروري. فهي تعتقد مثلا كما اعتقد تماما أن المثل الأعلى للسيدة الفاضلة هو شخصية حضرة السيدة الجليلة صاحبة العصمة أم المصريين ، اذ ترى في شخصيتها الرفيعة مثال الوفاء للوطن ، والوفاء للشريك ، والوفاء للمصريين جميعاً اتخذتهم بنين

وليس عجيباً ذلك منها ، فقد نشأت هذه الصغيرة على احداث الثورة ، والفت كبار الحوادث ودرجت في محيط وطني . وأذكر في أيام حبسي الاحتياطي بسبب قضية الاغتيالات المعروفة — وكانت يومئذ صبية لم تتجاوز العقد الاول — أن جلس أحد اقاربها يتحدث اليها عن أبيها فاراد في قسوة شديدة أن يختبر مبلغ صبرها وقوة تحملها .فقال لها : « أرأيت كيف صنعوا ببابا ؟ وكيف انهم اعتقلوه وسجنوه ؟ » فلمعت عيناها ولكن لم يتحير الدمع فيهما ، وأجابت : « وماله يعني ؟ انا اعرف انه محبوس لانه يحب مصر ، وانا فرحة لذلك مطمئنة »

وعلى هذا كان لحبي اياها ناحية جديدة ، فانا احبها كأب وأحبها نيابة عن الام ، وأحبها وطنياً يفخر بالوطنيين والوطنيات

ولو أردت أن أتحدث لك عن تواضعها وقناعتها لطال المقال الى مالا يحتمله المقام . ولذلك اترك هذا جانباً للاشارة الى انها عما قليل مفارقتي الى حياة الاسرة ومعيشة الزوج . ومهما أحاول تسكين ثائرة انانيتي ... انانية الاب الذي يشعر بان ابنته قطعة من لحمه وبضعة من روحه ودمه ، فلا أجد ماينسيني تصورهذا الفراق . غير انى اسلمها الى ذمة من أعتقد أنه سيجعلها تستمر على الشعور بذلك الشيء الروحي النادر في الحياة . وهو السعادة والهناء ؟

زوجتي

بقلم الاستاذ الدكتور طه حسين

عنوان غريب كما ترى ! وغريب في مصر التي تعودت أن تكون محافظة مهما أسرف ابناؤها في التجديد . وغريب من كاتب مثلي يراه الناس من غلاة المجددين ،ولكنه على ذلك من اشد الناس ايثاراً للاعتدال وحرصاً على الاحتشام فيما يفعل وفيما يقول

عنوان غريب في حقيقة الامر . ولكنك مع ذلك تقرؤه وتقرؤه في مجلة الهلال لا في المصور ولا في غيره من صحف الهلال التي تتبسط وتوسع على نفسها بعض الشيء ، فتمزح وتتندر وتقصد الى الفكاهة في شيء من الخفة والظرف — في مجلة الهلال نفسها هذه التي تعرف بالوقار ولا تقصد فيما تنشر من الفصول الا الى الجد القاسي من العلم والادب والفلسفة والفن

عنوان غريب ولكنك تقرؤه فى مجلة الهلال . فلا تسلنى أنا عن هذه الغرابة . ولا تسلنى أنا عن اختيار هذا الموضوع ولا عن الكتابة فيه ، وانما سل الهلال . فهى التى اختارته لى واختارتني له وأ كرهته على أن يصدر عنى . وا كرهتنى على أن اكتبه ، لا لشىء الا لانها تسرف فى الدل والتيه . حتى تبلغ التجنى أحياناً على أصدقائها فتكلفهم ما تريد هى لا ما يريدون هم . وتلح عليهم فيما تكلفهم من الامر . واذا هم مضطرون الى أن يسمعوا لها ويذعنوا لامرها ويكتبوا فيما تقترح عليهم من الموضوعات . فلنسمع ولنطع ولنذعن للامر ولنحتمل من تيه الهلال ودلها وتجنيها ما لم تتعود ان تحتمل من أحد كائناً من كان

ولكن هل تستطيع الهلال أن تبين لى عن مصدر ما بينها وبينى من الحرب التى تثار اول كل عام ؟. فهى لا تريد ان تستقبل عامها الجديد منذ حين الا اذا أغريت بى وتحدتنى واقترحت على من الموضوعات أبعدها عن هواى وأنآها عن رضاى . وأشدها غرابة موقع فى نفسى . وأ كثرها لفتا للناس الى والى ما يمكن ان اقول . ألا تظن الهلال ان هذه الدعابة اذا طالت وتكررت فقد تستحيل الى جد وقد تغرينى بالمخالفة والعصيان ، ام هى تحسب أن حبها قاتلى وانها مهما تأمر القلب يفعل !

هذا نذير الى الهلال . سأستجيب لها هذه المرة كما استجبت لها فى العام الماضى . ولكننا ان نعش الى العام المقبل فسترى الهلال كيف يكون العصيان وكيف يكون الخلاف !

وماذا تريد الهلال ان أقول عن زوجى ؟ وهل قدرت أن هذا باب من القول ان فتح فقد يكون من العسير اغلاقه ؟ وأن هذا موضوع لا يصلح لان يكتب فيه فصل من الفصول القصار . التى تريدها الهلال فى افتتاح العام . وانما هو خليق أن يوضع فيه كتاب ضخم منوع الفصول ، مختلف الابواب متباين الأنحاء . فيه ما يصور حياة القلب ، وفيه ما يصور نشاط العقل ، وفيه ما يصور رضى الضمير ، وفيه ما يصور ابتسام الامل بعد ظلمة اليأس . وفيه ما يصور الابتهاج بعد الابتئاس ، وفيه ما يصور استقرار المسافر فى واحة خضراء نضرة كثيرة الشجر والزهر والنبات والماء بعد ان مضى أعواما وأعواما فى صحراء مجدبة محرقة مهلكة ليس فيها راحة ولا أمل فى الراحة ، وليس فيها امن ولا طمع فى الامن ، وليس فيها هدوء ولا سبيل الى الهدوء ! . نعم وفيه ما يصور الحياة كما هى تختلف عليها الخطوب ، وتحدق بها الاخطار ، وتثور فيها العواصف . وتبث أمامها العقبات وتنشأ لها المشكلات . ولكن صاحبها مع ذلك يستقبلها مطمئن القلب راضى النفس مستريح الضمير مشرق الوجه مبسوط الاسارير لانه يسمع من حين الى حين صوتاً حلواً عذبا يملؤه الحب والرحمة ويفيض منه الحنان والاخلاص . ويثير فى نفسه الصبر والتثبيت ويملؤه نشاطاً وثقة وقدرة على الاحتمال

فى كل هذا وفى أشياء كثيرة جداً غير هذا أستطيع أن أ كتب ان أردت أن أتحدث صادقا عن

زوجى ، فهل عرفت الهلال أن كتابتى فى كل مايوحيه الى هذا العنوان قد تكلفها من الشطط مالا تطيق ، وقد تضطرها الى اعلان العجز والافلاس أو الى أن تغضب كتابها جميعا وقراءها جميعاً فتقف على وعلى هذا الموضوع الذى اقترحته ـ فى خفة تكاد تشبه الطيش ـ اعدادها اشهراً متصلة أو عاما كاملا ؟! لم تقدر الهلال شيئاً من هذا ولم تفكر فى شىء من هذا وانما اختارت لى هذا الموضوع ، واختارتنى له وأرسلت الى بذلك الكتاب الموجز الذى ينفذ الى امرها فى غير تحفظ ولا احتياط ؟ فلترفق بالهلال أكثر مما ترفق الهلال بنفسها ولنأخذ أنفسنا بما لا نحب ان نأخذ به أنفسنا فى هذا الموضوع خاصة من الايجاز . فما أثقل الايجاز وما أبغضه الى النفس ، حين يفرض على الكاتب فرضاً ويفرض عليه فى أحب الموضوعات اليه ، وآثرها عنده وأكرمها على نفسه : انى لأرى ذلك المساء الذى التقينا فيه أول مرة كما لو كان مساء اليوم الذى املى فيه هذا الفصل

كان ذلك فى اليوم الثانى عشر من شهر مايو سنة ١٩١٥ فى مدينة مونبلييه فى وقت يقع بين الساعة السادسة والساعة السابعة ، ويقع كذلك بين عاصفتين عنيفتين من هذه العواصف التى تثور فى بعض المدن الفرنسية حين يتقدم الربيع وتبدو طلائع الصيف ، فتجمع فى السماء سحباً ثقالا كثافاً ثم تبعث فى الجو ماشاء الله من برق خاطف ورعد قاصف ثم تفتح افواه القرب فتصب الماء على الارض صباً . ثم تصفو السماء وينجلى الجو وتستقر الاشياء ، ويتحدث الناس عن شدة العاصفة وغزارة المطر ، ويستعدون لعاصفة أخرى شديدة ومطر آخر غزير

فى هذا الوقت وبين هاتين العاصفتين طرق باب غرفتى وكنت انتظر أن يطرق وكنت أخشى أن تحول العاصفة بينى وبين ما كنت انتظر . ثم فتح الباب ودخلت منه فتاة تصحبها امها فسلمت فى استحياء وسلمت فى استحياء وأخذنا فيما كنا قد التقينا له من حديث

ولم يكن حديثنا طويلا ولا متبسطا ولا منوعاً ولا طلقاً ، وانما كان مقيداً أشد التقييد . كنت أول أجنبى تراه هذه الفتاة وكانت أول فتاة تزورنى فلم يكن سبيل الى أن يسهل بيننا الحديث ، فضلا عن أن يختلف ويتنوع ، ولكنه على كل حال كان حديثاً له ما بعده ، ملأ قلبى غبطة وبهجة وحبوراً وأملا نظمنا به مواعيد نلتقى فيها اذا كان المساء من كل يوم . فنقرأ ماشاء الله أن نقرأ من أدب وفلسفة وتاريخ . وانى لأكذب القارىء ان زعمت له انى نمت فى تلك الليلة نوما هادئاً مريحاً وانى لأصدق القارىء ان انبأته بأنى قد اتخذت هذا اليوم عيداً أحييه فى كل عام مهما تكن الظروف ومهما تكن الخطوب . واتصل لقاؤنا شهرين كاملين فى المساء من كل يوم نقرأ الادب الفرنسى فى القرن السابع عشر ، ونتحدث احيانا . ولست أدرى أى الامرين كان أحب الى وأحسن موقعا فى نفسى : القراءة أم الحديث . ولم ينقض هذان الشهران حتى كان بين هذه الفتاة وبينى ود عقلى خالص قوامه حب هذا الادب الذى كنا نقرؤه والذى كانت تفسره لى وتدلنى على مواضع الحسن فيه

ثم مضى بها الصيف الى حيث يصطاف الفرنسيون من أعالى الجبال وسواحل البحر ، وبقيت أنا فى هذه المدينة أقرأ الادب الفرنسى مع غير هذه الفتاة ، ولكن لم أكن اسمع صوت قارئتى، وانما كنت اسمع صوت صديقتى . وكانت الكتب بيننا متصلة فكثيراً ما كنت استبقى بعض مايعرض لى من المشكلات فيما اقرأ لاسألها عنه ، وما كنت أجد الرضى الا فيما كانت تجيبنى به

ثم يريد الله أن اعود الى مصر يائساً بائساً ، وان تذهب هى الى باريس ولكن الكتب تتصل بيننا على ذلك ويظهر أثرما كنت أجد من الحزن واليأس فيما كنت اكتب من الفصول أثناء تلك الاشهر الثلاثة التى قضيتها فى القاهرة غريبا بأصح معانى الكلمة وأدقها بين أهلى وأصدقائى من المصريين

ثم تتاح لى العودة الى فرنسا فاذا أنا أعدل عن مونبلييه الى باريس لان السوربون فى باريس ولان سوزان فى باريس أيضا . والله وحده يعلم مقدار ما ملأ قلبى من الغبطة والرضى حين بلغت مدينة نابولى فوجدت منها كتابين قرأهما على صاحبى الدكتور احمد ضيف مرة ومرة ومرة ، حتى اذا سئم القراءة وكره ان تنفق فيها هذه الساعات التى قدر لنا انفاقها فى نابولى رد الى كتابى وأكرهنى على الخروج

ثم أبلغ باريس والقى صديقتى . وشهد الله ما افترقنا بعد هذا اللقاء الا كارهين . كنا نلتقى إذا أصبحنا ونلتقى اذا أمسينا ونقضى معا شطراً من الليل فى صحبة أمها واختها لانى اخترت المقام فى اسرتها ولم يكن يفرق بيننا الا الدروس التى كنا نختلف اليها وما اكثر ما كنا نلتقى بين درسين فى هذين العامين من سنة ١٩١٦ الى أواخر سنة ١٩١٧ . كانت صديقتى استاذاً لى ، عليها تعلمت الفرنسية وفقهت ما أستطيع أن أفقهه من أدبها . وعليها تعلمت اللاتينية واستطعت ان اجوز فيها امتحان الليسانس . ومعها درست اليونانية واستطعنا ان نقرأ معاً بعض آثار افلاطون . على انى قضيت من عام ١٩١٦ اشهراً ليس بينى وبين صديقتى الا مايكون بين المعلم والمتعلم وبين الصديق والصديق ثم لم يلبث الحب ان اتخذ سبيله الى نفسى . وما اظن انك تطمع منى فى ان أصور لك ما كان يثير هذا الحب فى قلبى من عاطفة وما كان يذود عنى من نوم وما كان ينغص على من راحة وما كان يضيع على من درس . لقد كنت اسمع صوتها وهى تقرأ لى أو تتحدث الى فاشغل بهذا الصوت عما كان يحمل الى من الالفاظ وعما كانت تدل عليه هذه الالفاظ من معان ، ولو أن سائلا سألنى فى وقت من هذه الاوقات عما سمعت أو عما وعيت لما استطعت أن أجيب إلا بأنى سمعت أجمل الموسيقى وأعذبها . ولو أن سائلا سألنى عما وعيته من هذه الموسيقى الجميلة العذبة لما استطعت أن أجيب إلا بأنى أحب مصدرها . ولكن أحداً لم يكن يسألنى فلم أكن فى حاجة الى أن أجيب ، انما كنت اسأل نفسى وأجيب نفسى وأغتبط بما كنت أجد من ألم وأبتهج بما كنت أجد من سعادة ولا أحفل

بما كنت أضيع من وقت ودرس . ثم يأبى هذا الحب إلا أن يمان نفسه ولكنه لايلقى صدى إلا أن يكون هذا الصدى رفقاً وعطفا واشفاقا ، والحب لايسأم ولا يمل ، ولا يعرف الفتور ، ولا يخاف الاخفاق ، ولكنه يلح حتى يظفر أو يفنى صاحبه ، وقد ألح حبي وأسرف فى الالحاح ، واضطرت صديقتى الى أن نفترق ، فتركتنى فى باريس ، ومضت هى الى الجنوب مع الصيف

فيالها أسابيع تلك التى قضيتها فى باريس لم أعرف فيها راحة ولا نعمة ولا أمنا ولا هدوءاً . والكتب مع ذلك متصلة بيننا . ثم ينتهى الى كتاب منها تدعونى فيه الى أن الحق بها حيث تقيم إنه الرضى اذن وإنه الفوز وإنه فصل من فصول الحياة يختم وفصل آخر يبتدأ . أحبب الى بهذه القرية الريفية من قرى الجنوب فى سفح البرانس . هنالك أعلنت خطبتنا فى مساء يوم من الايام ، فلما أصبحنا بدأنا ندرس معا مقدمة ابن خلدون ونستعد معا لتهيئة الرسالة التى سأتقدم بها لامتحان الدكتوراه

وقضينا عاماً كاملا خطيبين صديقين ندرس الادب والفلسفة والتاريخ واللاتينية ، ولا نستطيع ان نفكر فى الزواج . فلم يكن بد من إذن الجامعة ولم يكن سبيل الى طلب هذا الاذن حتى يثبت للجامعة أنى لا انفق أيامى فى فرنسا عابثا ولا لاعبا . والله يشهد ما عبثت وما لعبت ، والذين عرفونى فى فرنسا من المصريين يشهدون ما عبثت ولا لعبت . والله يشهد ماعرفت فى حياتى كلها وقتاً ملأه الجد الذى لاجد بعده والطهر الذى لاطهر بعده والنقاء الذى لا نقاء بعده كهذين العامين اللذين قضيتهما فى باريس أثناء العمل وفى الجنوب أثناء الصيف

وأى جد يشبه هذا الجد الذى يحمل الخطيبين على أن يجتمعا اذا أصبحا ليقرآ فلسفة اجوست كونت أو ينغمسا فى تاريخ اليونان والرومان أو يغرقا فى آثار تاسيت وتليف وهرودوت ؟ ومع ذلك فعلى هذا النحو قضيت مع صديقتى عامين ، ولقد كنا نخرج للنزهة فى بعض ضواحى باريس ، ولقد كنا نمعن فى المشى فى بعض الغابات حتى اذا خلا لنا المكان وتخيرنا مجلسا جميلا حلواً يصفو فيه الحديث بين المحبين جلسنا فتحدثنا فى بعض آمالنا ثم فتحنا كتابا من هذه الكتب التى هى أبعد الاشياء عن الحب وجوه فانغمسنا فيه سعيدين . وفى سنة ١٩١٧ استطعنا أن نظفر بالليسانس ، واستطعت أن استأذن الجامعة فى الزواج واستطاعت الجامعة أن تأذن لي ، فقد كنت أول عضو من أعضاء بعثتها ظفر باجازة الليسانس فى الآداب . وفى اليوم التاسع من اغسطس سنة ١٩١٧ حين أوشك النهار أن ينتصف اتم الله نعمته على وجعل لى من سوزان كما قلت فى تصدير بعض كتبي : « نورا بعد ظلمة ، وانسا بعد وحشة ، ونعمة بعد بؤس »

أمى

بقلم الاستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

لا اعرف الامهات كيف يكن ، ولكنى أعرف أمى كيف كانت . وأجمل التعريف بها واوجز الوصف فاقول : انها كانت « رجلا » . وأحسب أن النساء لا يرضين ثناء كهذا يسلبهن انوثتهن وإن سرهن ما فيه من معنى الاكبار ، ولكن أمى لم يكن لها بال تجعله إلى شىء من هذا ، فقد اضطرت أن تمحق أنوثتها فى سن يبدأ فيها النساء — أو معظمهن — يعرفن معنى الأنوثة الكاملة ، فقد مات أبى وهى فى الثلاثين من عمرها ، وأذاقها فى حياته ما سود الدنيا فى عينيها وأنساها أنها امرأة كالنساء . وكان أبى — رحمه الله — مزواجا ، وكان حبه للتركيات وافتتانه بهن عجيبين ، ومن فرط حبه لهن كرهتهن أنا ، وكان يذهب كل بضعة أعوام الى الاستانة فيبقى فيها ماشاء الله أن يبقى . ثم يعود بزوجة من هناك ، يعايشها سنوات ثم يملها ويشتهى غيرها ، فيسرحها باحسان ويردها ويجىء بغيرها ، وهكذا إلى قبيل موته بشهور . وكانت أمى تأخذ بمخنقه وتدعوه إلى الطلاق وتغلظ له فى القول اغلاظاً عظيما وهو مطرق كالذى به حياء ، وكان كما حدثتنى لا يزيد على الابتسام ، فاذا انطلق لسانه فبالقول اللين والكلام الطيب ، فقد كان حليما طويل البال ، وتركنا أبى ذوى مال فأكله أخى الاكبر — أعنى أنه أنفقه باليمين وبالشمال حتى أتى عليه ، فلولا لطف الله لتسولنا ، أو على الأقل لما أمكن أن نتعلم ، ولكان المازنى الآن — على الأرجح — نجاراً غير حاذق ، أو شيئاً من هذا القبيل ، ولكن أمى كانت حازمة مدبرة ، فوسعها بالقليل الذى أسعفها به حسن الحظ أن تربينا وتقينا المعاطب وتحتفظ بكرامة البيت

ولست أذم أبى أو أنتقصه ، وما يسعنى أن أفعل ذلك وقد كانت أمى تثنى عليه ، ولا تنى تذكره بالخير ، ولم تنقطع قط عن زيارة قبره فى اثنتين وثلاثين سنة عاشتها بعده ، وكنت ربما مازحتها فاقول لها : « وماذا كان يعجبك فى هذا الرجل ؟ »

فتبتسم وتزجرنى بلطف ، ثقة منها بانى أهزل ولا أتكلم جاداً ، فأتعمد الانتقال عليها وأقول :

« صحيح والله ! — ماذا كان يعجبك فيه ؟ »

فتقطب وتقول : « عيب ياولد ! » وتنظر إلى سبحتها بين أصابعها

فاقول : « ولكنه كان مزواجا »

فتقول : « يابنى هذا قضاء الله وقدره ، وما كنت أكره له هذا إلا خوفاً عليه »

فاقول معابثا : « أو غيرة منهن ؟ »

فتقول : « ياقليل الحياء — اذهب عنى — اذهب »

فابقى ولا أذهب ، وأقول : « لقد رأيت آخر زوجاته تلك ، وأشهد أنها كانت جميلة وأنه كان معذوراً »

فيضيق صدرها بى وتقول : « ألا تنوى أن تستحى ؟ . »

فأسألها : « من أى شىء ؟ »

فتقول : « انه أبوك . . »

فاقول لأهيجها : « سامحنا يا ستى . . »

فتصيح بى : « سامحت ! يا قليل الحياء . ؟ »

وتتناول الحذاء لتضربنى به ولكنى أ كون قد ذهبت أعدو ، فتقذفنى به وتعلن إلي انها لا تريد أن ترى وجهى بعد اليوم

ولكنى لا ألبث أن استرضيها واستغفرها وأقبل يديها ورأسها . فما كنت أطيق أن أدعها عاتبة أو ساخطة أو متألمة ، ولو وسعنى أن اجعل حياتها نعيما خالداً وسروراً دائماً وجذلا لا تنضب ينابيعه ولا تجف موارده لما قصرت ولا كنت صانعاً إلا بعض ما يجب لها ، فتعفو عنى وتدعو لى وتدنينى منها وتمسح لى رأسى كأنى ما زلت طفلا

ولما نجحت فى امتحان الشهادة الابتدائية جاء أخى وابن عمتى مهنئين ، وأشارا عليها بان تكتفى من تعليمى بهذا القدر ، لما كنا فيه من العسر ، فأبت ، فألحا فانكرت ذلك منهما وزجرتهما عن اللجاجة فيه ، فلم يهزما . وانذرها أخى — وكان غير شقيق — انه قابض يده عن كل معونة . وكانت معونته منقطعة لاخير فيها ولا اعتماد عليها لضآلتها وقلة الانتظام فيها ، فلم تعبأ بذلك وأصرت على المضى فى تعليمى إلى نهايته المقدورة . وكنت حاضراً هذه الجلسة واذكر أن ابن عمتى — وكان حاد الطبع — سألها بحدة : « ومن أين تجيئين بالمال الكافى لتعليمه ؟ » ، فقالت : « معى الله » قال : « فان الله لا يمطرنا ذهباً » . قالت : « لو احتجت أن أخدم فى سبيله لما أحجمت . فلا تخافا أن أسألكما شيئاً . وما فعلت ذلك من قبل حتى أفعله من بعد . وانكما لتتطفلان الآن بالنصح فيما لا يعنيكما »

قال ابن عمتى وهو ينهض ويشد اخى : « وبالحضور ؟ »

قالت : « نعم وبالحضور ! فاذهبا ولا تعودا »

ولكنهما عادا لان أخى كان أخى من لحمى ودمى ، وكان يجل أمي وكانت هي تحنو عليه وكان ابن عمتى حاد الطبع ، ولكنه سريع الفىء الى الرضى والاعتذار . وكانت أمى — على صغر سنها — زعيمة الاسرة . وكان أهلى جميعاً يلجأون اليها يطلبون رأيها فيما يعرض لهم ، وفصلها فيما يقع بينهم من المشاكل

وقد كان موت أبى ، وأنا فى الثانية عشرة من عمرى ، وكنت — وما زلت مع الاسف — ا كبر ابنيها ، فصارت تعاملنى على أنى رب الاسرة وسيد البيت وتعودنى احترام النفس والتزام ما يقتضيه مقامى

فى البيت وتستوجبه زعامتى للاسرة ، وتنبهنى الى « مسئوليتى » والى التبعات التى يحملها « رجل » مثلى.وكانت حاذقة كيسة فى سلوكها فلا نهر ولا زجر ، ولا أوامر ثقيلة ولا نواهي بغيضة ، ولا شطط أو اسراف ، ولا تقصير أو تفريط ، ولا اشمار بأن لحريتى حدوداً ضيقة غير معقولة أو محتملة وان كانت الرقابة على هذا دقيقة وافية ، أذكر وانا فى المدرسة الثانوية انى عوقبت مرة بالحضور الى المدرسة فى منتصف الساعة السابعة صباحاً (السادسة والنصف) وكان هذا عقاباً جائزاً فى ذلك الوقت وكان البيت فى حى السيدة زينب والمدرسة فى شبرا ، وبينهما « أبعد مما بين بصرى والحرم » فاخبرتها وخرجت من البيت قبيل الفجر وأنا أخشى ان أكون قد تأخرت ، فقلقت وذهبت بها الظنون كل مذهب ، ولكنها لم تقل شيئاً . فلما كان الضحى ركبت الى المدرسة وسألت البواب فاخبرها أن تلميذاً جاء فى الفجر وأيقظه ليدخل فرده فظل يتمشى حتى طلع النهار ، فعادت مطمئنة ولم تخبرنى بما فعلت إلا بعد عدة أعوام لمناسبة عرضت

وكنت وأنا صغير أدخن ، خفية ، وكانت على غير علم منى تراقبنى . فاذا نمت تأخذ مايكون معى من السجاير ، فاذا أقبل الصباح لم أجد شيئاً وظللنا على هذا المنوال أياماً — أشترى السجاير كما ساعفتنى الموارد — وهي محدودة جداً — وهي تسرقها بالليل ولو اخفيتها فى بئر ، ثم خفت ان تسألنى فلا استطيع ان اكذب ، وخجلت ان اعترف بهذه الحماقة الصبيانية وحالت رقة الحال دون الاحتمال ، فاقلعت . . . حتى كبرت

ومن حنانها العجيب أنها كانت اذا مرضت ووصف لى الطبيب دواء لا تدعنى أجرع منه إلا بعد ان تجرع هي منه . وكثيراً ما كنت أقول لها : « يا أمى كفى عن هذا ! » فتقول : « يابنى انه قلب الام » فأقول : « ولكنه عمل لانفع منه » فتقول : « نعم ، ولكن ليطمئن قلبى »

ولما أتممت التعليم الثانوى ، حرت الى أية مدرسة عالية أذهب . فسألتنى أيها أوثر ، فقلت : الطب ، قالت : « فاذهب الى مدرسته وقدم اوراقك » . ففعلت . ولكن ناظرها المستر كيتنج رمى بأوراقى الى الشارع لانى يوم الكشف الطبي دخلت قاعة التشريح فرأيت جثة منتفخة تفوح منها رائحة نتن خبيث ، فدار رأسى واغمى على ، وكان الناظر مقبلا فرآنى فقال هذا لا يصلح . فاطردوه

وعدت اليها فاخبرتها الخبر . فلم تجزع كجزعى وهونت على الامر وقالت : « لم يبق الا « الحقوق » فاذهب بأوراقك اليها » ففعلت وضمنت القبول ولكن الوزارة زادت « المصروفات المدرسية » من خمسة عشر جنيهاً الى ثلاثين . فاسترجعت أوراقى فما كان لى قبل بهذه الثلاثين كل عام . وشاء الله ان تفتح مدرسة المعلمين العليا فدخلتها

واستقلت من وزارة المعارف بعد أن اشتغلت بالتدريس فيها خمسة اعوام . وكانت الحرب الكبرى قد استعرت . فجئتها يوماً بقراطيس فيها مرتبى نقوداً فضية فالقيتها فى حجرها وقلت : « هذا آخر ما اقبض من مال الحكومة »

قالت : « يعنى . . . ؟ » قلت : « أنى استقلت » قالت : « على بركة الله »

ولكنى ارقت ليلتى . فقد كانت الدنيا قائمة قاعدة . والاحوال مضطربة . وكانت الحكومة قد اعلنت « الموراتوريام » — اى « تأجيل الدفع الجبرى » فجاءت تسألنى عن سر هـذا الارق فافضيت اليها بما يساورنى من المخاوف وندمى على الاستقالة وجزعى من هذا الغمار الجديد الذى اقدمت على خوضه فقالت :

« لا عليك . لقد تعلمت كل ما يمكن ان تتعلمه هنا . فما خير ذلك اذا عجزت عن الانتفاع به فى الحياة ؟ ولماذا لا تستطيع ان تعمل الا فى الحكومة ؟ او ليس فى الدنيا غيرها ؟ »

قلت : « ولكن من يدرى الى أى حد تضيق الدنيا بى ؟ »

قالت : « لاتقدر البلاء قبل نزوله . قم فنم وتوكل على الله . لقد كنت أنا مستعدة أن اعمل بيدى فى سبيل تربيتك ، فكن أنت مستعداً أن تعمل حتى بيديك اذا احتاج الامر ، وثق انك لن تخيب ، فانى داعية لك راضية عنك »

فوالله لقد صرت بعدها انسانا ثانياً

وكانت عليها رحمة الله ، تتوخى أن تعفينى من المنغصات وتجنب أن تحملنى الهموم ، فتستقل بها دونى وتتحرى مايدخل على نفسى السرور ويشيع فيها الغبطة والرضى ، ويفيض على البيت الايناس والبهجة ، وكانت ذا كرتها قوية ، بل لست أعرف لقوتها مثيلا ، فكانت اذا جلسنا للسمر تتدفق باحاديث الايام السوالف وكأنها تحياها من جديد فلا يغيب عنها حرف ولا يفوتها لون ، وكانت لقوة ذا كرتها سجلا عاما للاهل والصواحب ، فمن نسى شيئا فما عليه إلا أن يلجأ اليها ، وكانت صديقاتها يستودعنها حسابهن ، وكثيراً ما كان يحدث أن تجىء الواحدة منهن اليها فتقول لها إن فلانة « الدلالة » تزعم أن على لها مبلغ كذا ، فما هى الحقيقة ؟ ؟ فتخبرها الحقيقة ، فتقوم عنها ويكون هذا هو القول الفصل الذى لا خلاف بعده

وكانت قوية الشكيمة فلا رأى إلا رأيها فى البيت بل فى الاسرة كلها ، وان كانت صغرى اخواتها . وكثيراً ماكانت نفسى تحدثنى أن أنازعها السيادة ، ولكنى كنت لا أكاد أهم بذلك حتى أرتد ، وكان يكفى أن ترمى الى نظرة وتقول : « استحى ياولد » فيتحلل العزم وأهوى على راحتها باللثمات

وكانت تكتفى بالنظرة اذا أمكن ان تستغنى عن الكلمة ، فكنا نتفاهم بالعيون والذين حولنا غافلون لا يفطنون الى شىء ، فمن ذلك انها لما حضرتها الوفاة قالت اعطنى ثلاثين قرشا ، ولم تكن بها حاجة الى ذلك ، وكنت قد أعددت عدتى لذلك اليوم ، فادركت انها تريد أن تطمئن على أن معى مايكفى لنفقات المأتم ، وكانت « جريدة السياسة » معطلة والازمة مستحكمة ، فأخرجت لها مامعى وقلت لها خذى ماتشائين ، فاخذت جنيها دسته تحت الوسادة ، فظل حيث وضعته حتى ماتت

وكانت قد أصيبت فجأة — وفي منتصف الليل — بذبحة. وكانت من شدة التمزيق الذي تحسه في صدرها تخبط بيديها في الهواء كالذي ألقي به في الماء وهو لا يعرف السباحة. وظلت تقاوم الداء تسعة أيام بقوة ارادة الحياة. ولم أر منها مايدل على التضعضع والانهزام إلا قبيل الوفاة بدقائق. وكنت أناولها الدواء، فاشاحت بوجهها عنه. فالححت فقالت: « ارضاء لك فقط » وشربته، ثم نامت فاختلجت شفتاها فوضعت يدي على فمها فلم اشعر بنفس، فجسست النبض فاذا هو قد انقطع، وكان أخي وغيره يحيطون بنا فخفت الضجة المعتادة والفوضى التي تعقبها، فتكلفت الابتسام وقلبي ينفطر وقلت اخرجوا فانها نائمة فلا تزعجوها. واستبقيت سيدة من قريباتي لي ثقة بعقلها واطلعتها على الحقيقة فهمت بصرخة فكتمتها بيدي قبل ان يعلو بها الصوت، وانذرتها ان الحقها بامي اذا صاحت أو ولولت قبل ان يتم المألوف من تجهيز الموتى. فأقبلت على الثياب تخرجها من خزانتها وتركتها لتلبسها اياها. فلما فرغت نقرت على الباب فدخلت وودعت أمي وقلت الآن اذيعي الخبر

وقد ظل اخي زمنا لايغفر لي اني خدعته وكذبت عليه

تلك هي امي او تلك هي بعض خطوط الصورة. واني جليد في العادة، ولكن موتها هدني، فقد كانت لي أماً وأباً، وأختاً وصديقا، ولو أن ابي كان حياً لكان الارجح ألا اطيق معايشته، لا لنقمة مني عليه، بل لاني لا احتمل ان يكون لي سيد غيري، واحسب ذلك لان امي ربتني على الاستقلال، وعلمتني ان اكون حراً. ولكني كنت اخضع لها واذعن لارادتها ولا انبو في يديها، ولا ابغي سوى رضاها. وكان يسرني أن تثور بي وتلعنني ثم تعفو عني وتدعو لي. وقد كنت اعيش لها كما عاشت لي ولاخي. فالآن لا ادري لمن اعيش بعدها؟ نعم لي ابناء وزوجة، ولكننا جميعاً كنا في حياتها ابناءها، وكان شعورنا أنا سواء في بنوتنا لها ولم نكن زوجين واولاداً بل اخوة وهي أمنا كلنا. فلما خلا مكانها احسسنا كأن هذا العقد قد انتثرت حباته، فنحن لهذا حائرون ينقص عواطفنا التوجيه والتسديد

أراك بلمتي يا شيب عظني فقد حان الرحيل غداً لعلي!
فأول ما ترى جدث مهول تهيل ثراه كف أخ وخل
وقد رجعوا كأن لم يعرفوني وهم نسبي وأبنائي وأهلي
وتشتغل البنون بقسم مال أنا من حشده في عظم شغل!

عائشة التيمورية

المرأة والوطن

بقلم الدكتور عبد الرحمن شهبندر

هجرت والدتي بيتنا عقب وفاة والدي من نحو خمس وأربعين سنة لأنها أبت أن تقيم في بيت غادره الى الابد شريكها فيه. فحملتنا صغاراً الى بيت آخر في حي غير حينا. ولكن لا تزال البركة التي كنا نلعب حولها في فناء الدار وأشجار الليمون التي كنا نتسلقها والدرابزين التي كنا نزحف عليها - لا يزال ذلك كله قائماً في موضعه. فما ذهبت إلى تلك الدار في زيارة من بعد هذا الهجر الطويل فوقعت عيني على تلك الآثار الا هزتني عاصفة من شعور عميق يمتلك قلبي وجوارحي وهاجتني ذكريات الصغر الفتانة والحنين الى رفقائه الذين كنت العب واياهم حول البركة وعلى الاشجار وفوق الدرابزين. وأهم من ذلك كله تذكرت السفرة التي كنت آكل عليها والركبة التي كنت أتكيء عليها ومن حولي والدي وأخواتي وأنا بين مستيقظ ونائم أسمع الاحاديث فأعي بعضها ويفوتني بعضها الآخر اما لصغر سني أو لتغلب النعاس على جفني

تكاد تكون هذه المناظر المنطبعة في نفسي الآن وأنا على بعد مئات الاميال من المهد الذي دبيت فيه أحلام المؤمن الصميم بالجنة التي وعدها. فما ذكرتها الا تجددت في نفسي هزة الشوق اليها. ولا أشك مطلقا في انها من اكبر العوامل التي زرعت في نفسي حب بلادي لان البيت هو الوطن الاول الذي يحوم حوله القلب كما يحوم الطائر حول العش الذي انفقس فيه. وقد أجاد علماء الاجتماع كل الاجادة في تحريض الناس على ان يكون للفرد الواحد منهم بيت ملك يأوى اليه حتى اذا تزوج فاستولد الاولاد نشأوا في مقر ثابت وعلى اخلاق متينة لا تتغير بتغير الامكنة، وتقوت فيهم روابط الالفة الموضعية التي هي أم الالفة القومية الشاملة

ولا يختلف حالي في هذا الهيام عن حال أبسط الاقوام. فالبدوي في جزيرة العرب يذكر مربط حصانه ومركز قناته ونقرة ناره كما أذكر تلك الآثار في دار آبائي وأجدادي أو كما يذكر أمثالها أحفاد السلطان عبد الحميد في قصري يلدز وضولمه باغجه

كبر أيها القاريء البيت الذي ولدت فيه واتصلت باطرافه. فبدلا من ان تجعل ابعاده عشرات الاذرع اجعلها مئات الفراسخ. وبدلا من ان تقتصر فيه على البركة والدرابزين وأشجار الليمون اجمع فيه البحيرات والانهار وينابيعها ومصباتها والجبال والوهاد والوديان ومناظرها والمزارع والحدائق والبساتين وأشجارها. وبدلا من والدين وبضعة أطفال من أبناء الجيران ممن ألفوك وألفتهم اجمع خلقاً كبيراً من اخوان وأبناء عشيرة فهموك وفهمتهم وعرفوك وعرفتهم وأنصتوا اليك في قلوبهم كما أنصت اليهم وربطتكم جميعاً رابطة التجانس والتآلف والمصلحة

المشتركة التى لا انفصام لها - اجمع ذلك كله فهنالك البيت الاكبر والسلف الصالح والآباء العظام والاخوان الاعزاء - هنالك الوطن المفدى الذى يذوب الشرق فى حبه ويتحمل رجاله أنواع الأذى لاعلاء كلمته ورفعة شأنه

هذا التعلق بالوطن هو سر النهضة التركية والفاشستية والنازية . وقد زعم الشيوعيون ان زمان الوطنية انقضى وانها أصبحت كالشعور الدينى الضيق من مخلفات القرون البائدة . ولكن مصطفى كمال وموسولينى وهتلر أفهموهم بصورة لا تقبل الجدل انها هى الباعث الاكبر على الحياة العامة فى زمان التفتت والانحلال . بل ان محاولة فرنسا ان تقيم حولها سوراً كثيفاً من الحديد والنار وتلقى شبكة من نفوذها على اوربا . وسعى انكلترة لتجديد شباب أسطولها وملء السماء بأسراب طائراتها . وبذل امريكا القناطير المقنطرة على بناء المدرعات والطرادات - دع عنك هذا التسابق التجارى فى حلبة السرقة من مقدار الذهب فى الجنيه والدولار - ان ذلك كله مظهر من مظاهر الوطنية التى تغلى مراجلها فى الصدور

وبدهى ان الفضل الاكبر فى خلق فكرة الوطن هو للذى حول هذا البشر من مخلوق يهيم فى البرارى والقفار ولا يستقر على قرار الى انسان ثابت مكين تربطه بالبقعة التى ولد فيها ونشأ وترعرع روابط الذكريات المقدسة ومصاحبات الحوادث الباعثة على أدق المشاعر وأروع الانفعالات . فمن هو السابق يا ترى الى تثبيت البشر على هذا النمط فى الامكنة وربطه بالبقاع حتى تجلت فيه ميزاته الانسانية : المرأة أم الرجل ؟

كان جد البشر الأول يجوب البقاع للبحث عن طعامه فى فاكهة يقتطفها أو جذر يقتلعه أو دوبية يقتلها فيلتقى بالمرأة عرضاً فتحمل منه ولكنه كان لايشعر بأقل تبعة نحوها فاذا ما ولدت الأولاد احتضنتهم وحدها واضطلعت بشؤونهم فنشأوا من غير أن يعرفوا لهم ابا ، وماذا يهمهم ان يعرفوه وهو غير مسؤول عنهم ولا عما يقتاتون شأن بعض الآباء المجرمين فى العصر الحاضر ؟ بل ان وظيفته الحيوية فى ايجاد النسل كانت مجهولة حتى عند والدتهم غالباً . ومع هذا المقام الثانوى الضئيل الذى شغله الرجل فى تلك الايام السحيقة فان الاولاد لم يجهلوا مبادىء الحياة الاجتماعية لانهم تعلموا فى حجر والدتهم بسبب الحنو النسوى الخاص المطبوع فى فؤادها العطف والخضوع والاشتراك والبذل والايثار وكبح جماح النفس وغير ذلك من الصفات الاجتماعية الجوهرية فكان حنو الوالدة المطبع الاول الذى طبعهم ولين عريكتهم

ولكن للمرأة ميزات أخرى غير الحنو - لها السحر الذى وقع الرجل فى شباكه بعد حين اذ وجد لذة عجيبة فى البقاء معها يتردد الى « الوكر » الذى تقيم فيه فيشاطرها اعالة المولود الجديد الذى تلده من بعد هذه الصحبة الطارئة . كما تفعل السباع فى يومنا هذا أو كما يفعل (المنكوبيون) من سكان جزائر (اندامن) فى المحيط الهندى ، فان الرجل هناك يعلق بالمرأة فيقترن بها لكن

مدة اقامته معها لاتتجاوز زمن فطام الطفل ومن ثم يتركها وشأنها ليقترن بغيرها

ثم لما رأى الرجل الفائدة من استخدام المرأة وأولادها فى تدبير شؤونه ومقاومة الطبيعة ومصارعة الاعداء أخذ يكثر من النساء ويحتفظ بهن وبذراريهن وهو يهيمن عليهم جميعاً ويقودهم فى البقاع كما يقود الذكر الكبير من قردة البغام عصبة (الشمبانزى) فى الغابات. فلم تدخر المرأة وسعاً فى مثل هذه العترة الأولية التى تعيش فيها ان تقوى مركزها باولادها وان تستعين بهم على النساء الاخرى فى العترة وان كان واجب الجميع الأول الخضوع الاعلى لشيخهم الزعيم وقائدهم الاكبر. فتعلم الاولاد فى هذه الحياة المشتركة التصحب لوالدتهم كما تعلموا التصحب لعترتهم. وربما كان مثلهم الاعلى يومئذ مثل الوطنية الاوربية فى تعاملها مع الشرق « انا وأخى على ابن عمى وانا وابن عمى على الغريب »

وللمرأة سلطان لاينازع فى جميع انواع الزواج المعروفة من الزواج الضمدى ـ وهو الذى يكون فيه للمرأة الواحدة ازواج متعددون تقبض بيدها الناعمة على ناصيتهم الخشنة ـ الى الزواج الموحد على الطريقة الاجتماعية الحديثة. وقد اخطأ كل الخطأ من زعم ان المرأة فى الزواج الضرى، وهو الذى يجمع فيه الرجل فى آن واحد غير واحدة من الزوجات ـ لا يكون لها تأثير نافذ، بل ان افدح بلايا تعدد الزوجات ان يستعمل النساء ذكاءهن الخارق وسحرهن الفتاك بل مكرهن الذى لايجارى فى دس الدسائس وحياكة الاحابيل فبدلا من ان يعملن للبناء يجهدن عقولهن للتهديم .

فللمرأة والحالة هذه سلطان يكاد يكون قاهراً فى تكييف الاسرة وطبعها بالطابع الذى يروقها ويتفق مع غرائزها. لاجرم انها هى التى تؤسس الوطن بايديها ـ لأن التى تعلم الطفل تعظيم الحجر الذى نشأ فيه وتبجيل البيت الذى اتكأ على جدرانه هى التى تعلمه تقديس الوطن الذى نما تحت سمائه وارتوى من مائه وانتعش من هوائه

ويزداد نفوذ المرأة ويقوى سلطانها بازدياد المدنية حتى صار هذا السلطان المقياس الضابط لتقدم الحضارة . وقد عملت الزوجة والخليلة فى قصور القياصرة والامبراطرة فى القرون الحاضرة من الاعمال مايفوق عمل الحرة والامة فى قصور الملوك والخلفاء فى القرون الوسطى . وقد يرجع اعلان الحرب وعقد اواصر السلم لغايات فى نفس المرأة لاتزال فى طى الكتمان

فالمرأة أماً او حظية أوخليلة او زوجة هى مثل المرأة شريكة أو معلمة أو منافسة فى الصناعة والسياسة والتجارة والاقتصاد بيدها مفتاح القصر الذى يجتمع فيه البشر وبحسب مناهجها الغريزية نظمت حدائق الوطنية ولم يكن نابوليون مبالغاً لما قال : « ان التى تهز أرجوحة الطفل بيمينها تهز العالم بشمالها »

عبد الرحمن شهبندر

فيّ الدستور العثمانى

النساء يحملن رسائل الفدائيين

نشيد للاستاذ خليل مطران

صدر الدستور العثماني في ٢٣ يوليه سنة ١٩٠٨ بعد جهاد عظيم كان للنساء فيه نصيب كبير . وقد حياه وقتئذ شاعر الاقطار العربية الاستاذ خليل مطران بهذا النشيد البليغ الذي يحملك في موجة من النشوة والحماسة لانه نشيد الحرية ونشيد انتصار العاملين والعاملات لها ، ونشيد الدستور الذي تحالفوا على انقاذه وضحوا في سبيله أعظم التضحية

تحية الحرية وابطالها والشورى ورجالها

حييت خير تحيه يا أخت شمس البريه حييت ياحـريه
الشمس للاشباح وأنت للارواح كالشمس ياحريه
أنت النعيم وأحلى أنت الحياة وأغلى للخلق يا حـريه
شارفتنا فانتعشنا وفي ظلالك عشنا بالعدل ياحريه
كوني لنا عهد سعد وعصر فخر ومجد يدوم يا حـريه

دعاة الانقلاب يمشون بعضهم الى بعض فى الخفاء

من المخبون سعيا دجى كأشباح رؤيا ضئيلة غيبيه
هل فى ضمير الظلام لهم خبيء مرام يبغونه فى العشيه
من كل مخبٍ ومدرج وكل مسرى ومدلج سرى الظنون الخفيه
اذ غض جفن فروق وعد سير الطريق خطيـة بخطيه
نامت فروق ولكن كما تنام المدائن والناس فيها شقيه
نامت وفيها يواقظ مسامع وملاحظ الى القلوب النجيه
مبثوثة فى حواشى ذاك السواد الغاشى كالرقط فى ثوب حيه
تحاذر الطير منها والوحش تبعد عنها فى عصمة البريه

إلا دهاة قروما   تمضى ثقالا همو ما   سريعة أو بطيه

من كل راكب ليل   كمى حرب وخيل   أو حرة حوريه

النساء التركيات يحملن رسائل الفدائيين

حسناء ذات ابتسام   هناك ستر الظلام   لحاظها دريه

تسير سير الملائك   على فخاخ المهالك   بخطرة ملكيه

تضم فى الصدر سرا   يصبح الملك جرا   ان تبد منه شظيه

تمضى رسولا أمينا   تؤتى البلاغ المبينا   رضية مرضيه

لاغرو فيما أبادت   من حكم فرد وشادت   من دولة شوريه

بلفظة دونتها   أو لحظة ضمنتها   اشارة معنويه

أكان داعى المهالك   قبل انقلاب الممالك   سوى تناج بقيه

ياسرها كنت آيه   قد انزلتها العنايه   فى صفحة جوهرية

رونه عنها شفاه   أجرى عليها الاله   عذوبة كوثريه

يا غادة الترك حمدا   أنت المثال المفدى   للحسن والاريحيه

ابطلت رمى النساء   بالغدر والافشاء   وكنت تلك الوفيه

الاحرار اللاجئون الى الغرب

من الجياع الظماء   ألقتهم الدأماء   فى كل أرض قصيه

أشتات جاه ومجد   ضموا لاشرف مجد   قامت به عصبيه

يذللون الصعابا   ولا ينون طلابا   للغاية المنويه

عرفت منهم اديبا   قضى الشباب غريبا   بين القرى العربيه

حيال سعد بنيها   يشقى الفتى الحر فيها   بالتبعة الشرقيه

تزجى اليه ، فيأبى ،   اسمى المناصب ، حبا   للخدمة القوميه

أولئك النافعونا   وهم هم الدافعونا   عنا أمورا فريه

لقد شقوا فى المسير   لكن لقوا فى المصير   مشوبة أبديه

نوابغ الجيش وتحالفهم لانقاذ الدستور

من الكماة السكون تبدو عليهم غضون لشــاغل فى الطويه

قواد جيش الهلال وقاهرو الابطالا فى كل حرب عتيه

أبوا على الاجنبينا ذاك التحكم فينا ولم تغلنا المنيه

ولم يروا من صلاح لنا سوى اصلاح شؤوننا الأهليــه

فأقسـموا عازمينا أن يدهشوا العالمينا بآية وطنيــه

فازوا بما قد أرادوا لم تزحف الأجناد ولم تحث مطيــه

ياباعثى الدستور من جوف أعمى القبور عن رد تلك الخبيه

كنتم لنا جل فخر وظلتم خير ذخر فينا وخير بقيه

حتى أتيتم بأرقى بما مضى وبأبقى لنا وللذريه

فتحتم للاخاء بغير سفك دماء بلادنا المحميه

فليحى جيش النظام جيش الفتوح العظام جيش النهى والحميه

أهدى الحياة الينا فأى حق علينا شكراً لتلك الهديه

ولنذكر الشهداء ممن سقوا أبرياء فيها كؤوس المنيه

يا صفوة الأحرار وخالدى الآثار فى كل نفس زكيه

ناموا وطابت قرارا أرسامكم فى الصحارى أعلامها مطويه

* * *

عبد الحميد اصبتا بما اليه أجبتا بنيك من أمنيه

لاضير فيه عليكا والخير منها اليكا يعود قبل الرعيه

ما شارك الملك أمه فى الحكم الا أتمه بحكمة ورويه

شاور فذلك فرض ما فى المشورة غض من قدر نفس أبيه

أما قتلت الليالى خبراً بحال فحال فى الكرة الدوليه

أتعب بنيك جهادا بما يعز البلادا واغنم حياة هنيه

بعد قاسم أمين

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

لما دعا المغفور له قاسم أمين فى مستهل القرن العشرين ، إلى « تحرير المرأة » من رق الجهل ومن رق الحجاب ، لقيت دعوته أول أمرها معارضة أشد المعارضة من نواح مختلفة . عارضها القصر وصاحبه ، وعارضها رجال الدين ، وعارضها ساسة الوقت ، وعارضها الكتاب ، وعارضها مجموع الشعب معارضة عنيفة غاية العنف . وصمد قاسم لهذه المعارضة ونشر بعد عام منها كتابه الثاني « المرأة الجديدة » فلم تخفف قوة حجته من شدة خصومه وإن بدأ اقدامه يكسب له أنصاراً . مع ذلك لم تثمر دعوة اجتماعية فى مصر ما آتت دعوة قاسم من ثمرات إيجابية . وبحسبك أن تذكر أن مصر لم يكن بها يوم رفع قاسم صوته بدعوته غير مدرسة واحدة مصرية للبنات بالعاصمة ، وهذه اليوم عشرات مدارس البنات بل مئاتها قائمة في أنحاء مصر كلها ، وأن تذكر أن وجه المرأة كان يومئذ عورة تستره عن الرجال ، وعن أقرب الأقربين منهم ما لم يكن محرماً ، وها نحن نرى المرأة تشارك الرجل اليوم في مختلف ميادين الحياة سافرة غير مقنعة ، ونرى السيدات قائمات بألوان من الإصلاح الاجتماعي ، قائمات إلى جانب ذلك بكثير من أعمال البر والإحسان ، ذاهبات بعضهن يدعون الدعوة الى المساواة العامة بين الرجل والمرأة في الحقوق السياسية دعوة يشاركهن الكثير من الرجال فيها . بحسبك أن تذكر هذا وأن تذكر الى جانبه كيف فرض الدستور المصرى التعليم الالزامي على البنين والبنات وكيف أفسحت الجامعة معاهدها للمتعلمات بعد أن كان قد صدر قرار في سنة ١٩٢٢ بتحريم الدخول في امتحان شهادة الدراسة الثانوية على البنات ، لترى ما لقيت دعوة قاسم من إقبال سريع عليها ، وما صادفها من نجاح سريع لم يصادف غيرها من الدعوات الاجتماعية فى مصر بل في الشرق كله

وقد كان هذا طبيعياً . فليس يسيغ عقل تلك القيود القديمة التي فرضها الماضى على المرأة بحرمانها من حق المعرفة ومن حق حرية الحركة فى الحياة . والقيود تبقى ما أمسكتها العادات والأوهام . فاذا تسلطت عليها قوة الرأى ومنطقه تحطمت . لكن قيود المرأة تحطمت باسرع مما كان يتصور صاحب الدعوة نفسه . ذلك بأن حاجات الحياة المادية عاونت على هذا التحطيم ،

فقد أخذ الشبان يفكرون بعد دعوة قاسم في هذه الشريكة لحياتهم الغارقة في بحار جهالتها وعبوديتها ، وينكرون منها أن تكون بهذا القدر من الجهل . ورأى الآباء الصيحة تعلو بهذا ورأوا الشبان يقرأون في الصحف ويسمعون من فوق المنابر دعوة قاسم فأخذوا يفكرون . إن هؤلاء الآباء ينكرون تلك الدعوة ويرونها بدعة وإثماً . ولكن مستقبل بناتهم سيعرض للأذى إذا لم يتعلمن . إذ ذاك ذكروا حكمة علي بن أبي طالب : « لا تقسروا أولادكم على أخلاقكم فقد خلقوا لزمان غير زمانكم » . وإذ ذاك بدأوا يبعثون بهاتيك البنات للمدارس وازداد عدد المدارس شيئاً فشيئاً بازدياد إقبال آباء البنات على التعليم . وبذلك خف صوت معارضة قاسم وسارت دعوته سيرها السريع وبدأ التفكير العام يتأثر بهذه الحالة الجديدة . ثم كانت الحرب وما أثرت في التقدير الخلقي والمعنوى للناس في أنحاء العالم المختلفة . فحطم ذلك من قيود الحجاب ما كان باقياً . واندفعت الفتاة فى سبيل الحرية ، وخيل اليها أنها ظفرت بها كاملة بمجهودها فالتفتت الى ناحية الرجل مزدرية تعلن إليه هذا الفوز على قديم ظلمه ، وتعلن اليه حرصها على أن تأخذ بحقها من اضطهاده اياها في الماضى ، ولا تبالى بأن تباريه في ذلك بألد الخصام ناسية أن الفضل فى حريتها لرجل هو قاسم ، ولرجال نصروا من بعده دعوته . وازدادت اندفاعاً فارادت ان تثبت كذب قول الشاعر :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

ومن يدرى ؟ لعلها تظفر في الحرب القادمة من القتل والقتال بالنصيب الأوفى !

كانت حاجات الحياة المادية إذن هى التى أسرعت بدعوة قاسم إلى الانتشار والنجاح . وكان الانقلاب الذى أحدثت الحرب هو الذى دفع بالمرأة لتطلب من صور الحرية كل ما يرسمه خيالها المتوهج الوثاب ، ولتنال من هذه الحرية حظاً عظيماً . على ان خيالها لم يبدع لها من صور الحرية إلا ماعرفت منها في اوربا . فالازياء الغربية ، والعادات الغربية ، والحياة المنزلية الغربية ، والوان اللهو الغربية ، من رقص وما شابهه ـ كل ذلك كان ما صورته المرأة المصرية لنفسها في سبيل حريتها . لم يجل بخاطرها أن تبدع جديداً او تفكر على نسق غير النسق الغربي . ولها من العذر عن ذلك أن الرجال انفسهم فى مصر وفي الشرق لايبدعون جديداً ويعملون لينقلوا صورة الحياة الغربية الى مصر والشرق كما هى . ولما كان النقل غير ميسور في شأن حضارة من الحضارات لأن لكل حضارة أصولا بعيدة الغور في التاريخ الفكرى والاقتصادى لأية أمة من الأمم ، فقد اقتصر النقل عند الأمور الظاهرة ولم يتخطه الى ماوراءها .

ذلك هو الشأن بالنسبة للرجل ، وهو الشأن بنوع أخص بالنسبة للمرأة المصرية والمرأة الشرقية. وقد يظل الحال كذلك زمناً غير قليل

والحق أن الفترة التى انقضت بين دعوة قاسم وهذه النهضة التي قامت بها المرأة اقصر من ان تجعل للمرأة الشرقية شخصية قائمة بذاتها معتمدة على ثقافة أصيلة فى نفسها . وما ثلث قرن من الزمان ينتقل فيه نصف الانسانية الشرقية من رق الجهل ورق الحجاب الى نور العلم وضياء الحرية . وينتقل ليجد الرجال يستعيرون ثقافتهم وطرق معيشتهم من الغرب مع محاولة جعله شرقياً إن أمكن . ان طبائع الأشياء لتقتضى أجيالا متعاقبة ليصبح مثل هذا الانتقال الذى نتحدث عنه أصيلاً قائماً بنفس الجنس آخذاً منه مأخذ الايمان حتى ليدافع عنه اذا أرادَ أحد الاعتداء عليه او الانتقاص منه . وذلك لا يكون والأمر ما يزال مجرد تقليد ومحاكاة . وهذا هو الحادث بالفعل فى مصر وفى الشرق . فالمرأة تندفع في سبيل النهوض والتقدم وتبالغ فيهما ما وجدت السبيل أمامها ممهداً والظروف مؤاتية . فاذا قامت عقبة في سبيلها كانت ادنى الى الخوف والتراجع منها الى الاقدام والثورة . يقوم وزير للمعارف نصير للمرأة فيفتح أمامها الأبواب ويمنحها التسهيلات ويدع لها من الحرية ما يعتقد فيه خير المجتمع ، فتعتقد أنها انتصرت بعملها ومجهودها وأنها غالبت الرجال وغلبتهم وأحرزت عليهم فوزاً محققاً . ثم يقوم وزير آخر للمعارف محب للمرأة غير حريص على حريتها لحبه إياها فيوصد دونها الأبواب ويقيم في سبيلها العقبات فاذا هى تتراجع ولا تقدم ، وتخاف ولا تثور . ولها في الحالين عذرها . فهى مؤمنة خطأ بأن الرجل ظالمها وخصمها ، فهى لذلك تعتبر كل خطوة تخطوها كسباً تناله على حساب الرجل ومظلمة من مظالمه تتخلص منها. وهذا في تقديرها انتصار لها وفوز عليه . والواقع أن هذا التقدير من جانبها غير صحيح البتة . فهى ان كانت قد نهضت فالفضل في نهضتها يرجع الى ايمان طائفة من الرجال بأن حريتها خير للانسانية وأعود عليها بالسعادة ، وان كانت قد نالت حظاً من الحرية فالفضل فيه راجع الى مثل هذا الايمان من جانب طائفة من الرجال . وهي اذا كانت اليوم تأخذ من العمل العام بنصيب ، تشارك الرجال في المناصب وتقوم من أعمال البر بما لم تكن تقوم به من قبل ، فذلك راجع الى اقتناع الرجال بما فى هذا التضامن والاخاء وفي هذه المساواة من خير للمجموع . وسيبقى الامر كذلك الى أن تصبح المرأة المصرية والمرأة الشرقية ، قوة بذاتها يحسب الرجل حسابها ويخشى عاقبة ثورتها وغضبها . وليس فى القول بأن هذا الوقت لم يئن بعد شيء من الغلو أو المبالغة

متى يحين ذلك الوقت ؟ ومتى تتحقق الغاية التي قصد اليها قاسم من دعوته ؟ تحدث إلى صديق شاب كثير الأسفار يتردد الى اوربا ويغشى الجماعة الاوربية ، فسألني عن السبب الذى من أجله تبدو الاوربية المتعلمة التى نالت من الثقافة أعظم حظ ، بسيطة في حديثها رفيقة في اتصالها بالحياة غير مبالغة في تقدير انوثتها ولا في تقدير علمها وفضلها ، بينا تنقص الشرقية المتعلمة هذه البساطة والاناقة وهذه السلاسة التى تبعث في الجمعية حياة وروحاً لا سبيل لمثلهما بغيرها . ولم أحتج الى كبير عناء فى الاعتذار عن المرأة الشرقية المتعلمة . فهى محدثة التعلم مزهوة لذلك به زهو محدث الثروة بثروته . وهى في هذا الزهو لا تختلف كثيراً عن الرجال . فهم كذلك محدثون في ثقافتهم مزهوون لذلك بها . وآية ذلك أنك ترى الرجل أو المرأة لا يتحدث احدهما إلا عن نفسه وعن عمله إن لم ينل من غيره . والسيدات في ذلك أبرع من الرجال . وقل أن تجد الجمعية المصرية التي تسمو فوق ذلك من الرجال والنساء . قل ان تجد الجمعية المصرية التي تتناول حديث الحياة وما فيها من علم وأدب وفن وذوق في المطعم والملبس وجمال في الجو أو فى غير الجو ورياضة ذهنية أو بدنية . يوم توجد هذه الجمعية تضم الرجال والنساء . ويوم تكون المرأة مصدر الوحى وسر الحيا ة لهذه الجمعية تكون الغاية التي قصد اليها قاسم من دعوته قد تحققت

وأرجو ألا يكون بيننا وبين هذا اليوم زمن بعيد . فهذا اليوم هو الذى تتهذب فيه العاطفة ويتهذب فيه الشعور وتصبح فيه المرأة حقاً ملاك المودة والرحمة في الجمعية الانسانية ، وتكون فيه ملهمة الرجل خير آثار الفن والأدب . ولئن رجوت أن لا يكون هذا اليوم بعيداً فذلك لأن النهضة النسوية كنهضة الثقافة العامة فى مصر والشرق ما تزال في جزر ومد ليس من اليسير قياسهما . وليس من اليسير تقدير المستقبل فى أمرهما . على ان المجهود الضخم الذى يبذل في سبيل الوصول الى ذلك اليوم وتطور الحياة الانسانية السريع في الشرق يدعو الى كثير من الرجاء في مستقبل غير بعيد . مستقبل تثمر فيه دعوة قاسم خير ثمراتها وتكون المرأة الشرقية فيه روح الجمعية الشرقية ومصدر الوحى اليها والهامها

محمد حسين هيكل

الفروق العقلية والخلقية
بين الرجل والمرأة

بقلم الاستاذ احمد أمين

لعل الطبيعة شاءت ألا تجعل من الرجل انسانا كاملا ، ولا من المرأة انسانا كاملا ، بل جعلت منهما معاً انسانا كاملا

نقصت فى الرجل ما أكملته فى المرأة ، ونقصت فى المرأة ما أكملته فى الرجل ، وقوت فى الرجل ما اضعفته فى المرأة ، وقوت فى المرأة ما أضعفته فى الرجل

فحيثما وجدت نقصا فى المرأة فاطلب كماله فى الرجل ، وحيثما وجدت نقصاً فى الرجل فاطلب كماله فى المرأة

فالمرأة والرجل كالزر وغطائه ، او كلفقى الثوب تزيد فى احدهما ما تنقصه فى الآخر . وتنحرف فى احدهما انحرافا يهيء مكانا للآخر ، او ككل شيء فيه عاشق ومعشوق يعد كل منهما اعداداً يجعله صالحا للآخر ، او كطاقة الزهرة لا تجمل الا حيث تتعدد الالوان وتتناسق ، أو كفرقة الموسيقى يكمل الطبل ما نقصه المزمار ، ويكمل المزمار ما نقصه الطبل ، ولا تجمل الموسيقى الا بهما معاً

هذا القول ينطبق على الرجل والمرأة فى جسمهما وعقلهما وخلقهما . وخير لنا الآن ان نعنى باستجلاء بعض هذه المظاهر من الناحيتين الاخيرتين

فاذا رأيت فى الرجل حباً فى التعميم ، رأيت فى المرأة حباً فى التخصيص . هى تحب فى العلم المثال الجزئى وهو يحب دائما القاعدة الكلية . هى اذا تكلمت عن المنزل تكلمت عن منزلها وقارنته بمنازل صديقاتها . وأما هو فسرعان مايطفر إلى ذكر قاعدة عامة . وهى اذا تكلمت فى الحب تكلمت فى حبها أو حب مثيلاتها . وهو اذا تكلم فى ذلك انتقل سريعاً الى وضع قوانين للحب . نظرتها - على العموم - نظرة حزينة نفاذة . ونظرته - على العموم - نظرة شاملة وقد لا تكون دقيقة . واذا تكلم هو عن الجمال كفكرة مجردة ، تكلمت هى عن فلانة الجميلة او فلان الجميل . واذا قال هو ما أحسن السماء قالت هى ما اجمل القمر

ومن أجل هذا كانت المرأة فى العمليات خيراً من الرجل ، وكان الرجل فى النظريات خيراً من المرأة

فلست ترى فلاسفة من النساء فى الطبقة الاولى . لان الفلسفة أساسها التعميم وهى لا تحسنه

وأساسها النظريات وهي لا تجيدها . وأهم ابوابها ما وراء المادة والنظر الجزئي يتطلب المادة . قد تجد طالبات فلسفة ، وقد تجد حائزات لشهادات فلسفية ولكن قل ان تجد فيلسوفة خالقة لنظريات فلسفية ، فذلك ليس من طبعها عادة

هي تحسن تدبير المال اكثر مما يحسن الرجل ، وذلك إذا استثنينا المرأة المصرية وحبها للفخفخة والظهور واتلافها للمال في الزينة والملبس . فلو اعطى مال للمتعلمات وأعطى نظيره للمتعلمين لكان الاغلب الارجح ان تحسن استعماله اكثر من الرجل ، ولا تنفقه في مشروعات خيالية كما يفعل الرجل ، ولا تقامر به لان المقامرة نوع من المشروعات الخيالية ، ولا تفنيه افناء سريعاً املا بما يأتي به المستقبل كما يفعل الرجل لأنه اكثر نظريات واوسع خيالا ، وهي احسن تقديراً للواقع واقرب آمالا

والامر في الخيال كالامر في النظريات فالنظريات تحتاج إلى فرض يخلقه الخيال ، ولذلك كان الرجل اوسع خيالا وأبعد مرمى واكثر تحليقا في السماء . ومصداق ذلك نظرة الى الشعراء ، والشعر ميدان الخيال ، وقريب الصلة بالفلسفة . والمرأة لا تحسن الشعر كما لا تحسن الفلسفة ، فان فتشت في الأدب العربي فقل ان تجد امرأة كالخنساء . ومع هذا فما الخنساء وما شعرها ؟ ان هي الا ندابة مؤدبة ، لم تحسن القول الا في رثاء اخويها . واكثر ما روى عن النساء في الشعر انما هو من قبيل الرثاء وشعر الرثاء قريب الخيال ، وهو ليس إلا بكاء على فقد جزئي محسوس صيغ في قالب شعري محدود . فاما ما عدا هذا الضرب من الادب فلم تنل منه حظا كما نال الرجل . وهذا في الادب الغربي كما هو في الأدب العربي ، وجدت فيه شاعرات ولكنهن قليلات ولسن مع ذلك من ارقى صنف

وليس هذا مما يمس مكانة المرأة في شيء . فكلا النغمتين من الميل الى الواقع ، والخيال لابد منه في هذا العالم فان سبق الرجل بنظرياته وخياله فهو فيحاجة الى امرأة تذكره بالواقع . وتحد من امعانه في الوهم واسرافه في الخيال . فهو يبني وهي تحافظ على ما بني وهو سفينة وهي صابورتها وهو من الاحرار وهي من المحافظين وهو من الخيالة وهي من الرجالة . وهو يطير وهي تسوق المدافع الثقال . وكل لابد منه في جيش الحرب وكل لابد منه في جيش العالم . هو يتقدم الجيش فيصاب في الصف وهي تعنى به ممرضة في المستشفى . هو يتقدم في الحياة ويخاطر ويجمع المال وهي تدبر وجوه انفاقه . فهو له السلطان الاكبر خارج البيت لان ذلك مجال المخاطرة والنظريات والخيال ، وهي لها السلطان الاكبر في البيت لانه مجال التجربة العملية والنظريات الجزئية والخيال المحدود

هن محافظات غالبا . وهم أحرار غالباً . فالثورات الاجتماعية والدينية والسياسية من الرجال أولا - لا من النساء - حتى طلب تحرير المرأة كان من قاسم أمين - أولا - قبل أن يكون من السيدة

هدى شعراوى ولعل ذلك فى غير مصر كما هو فى مصر . الانبياء رجال لأن النبوة دعوة . والعالم مدين فى المحافظة على الدين للنساء أكثر مما هو مدين للرجال لأن المحافظة من طبعهن . والالحاد فى الرجال أكثر منه فى النساء لأن الالحاد ثورة والثورات السياسية وليدة الرجال لأنها وليدة الخيال ، وهن يكرهن الثورة ويكرهن الخيال - قد تحسن المرأة الثورة على الازياء فكل يوم نمط فى الأزياء جديد : شعر طويل بعد شعر قصير ، وثوب طويل بعد ثوب قصير ، وقبعات أشكال والوان ، وملابس وأوضاع انماط وأنماط ، ولكن تسمية هذه ثورة من قبيل قولهم سهام العين وفتك اللحظ وقتل الحب ونار الجوى وحرقة الفراق

ولكن ما يزال الأمر مشكلا . فما بال المرأة وقد حافظت على التقاليد فى السياسة والدين والاجتماع وكرهت الثورة عليها تراها وهى فى الازياء وما اليها أسرع الناس تغييراً وأحبهم تجديدا وأكرههم للمحافظة ؟ لعل الأمر أنها لم تخرج عن المحافظة قط ولكنها كانت بين محافظتين : محافظة على أسر الرجل ومحافظة على أنماط الازياء فقارنت بين المحافظتين واختارت أهون الضررين

لعل سعة خيال الرجل وضيق خيال المرأة ، وجريه وراء النظريات وميلها إلى تحديد الحياة بالواقع هو الذى جعلها تسيطر على حياة الحب . فبيدها المفاتيح لا بيده . هو يسبح وراء خياله فان كان شاعراً ملأ الدنيا غزلا وتفنن فى ضروب القول وأبدع . فأحيانا يرتفع الى السماء فيتغزل الغزل الروحى ويخلق ممن يحب صورة ملك كريم ، وأحيانا يهبط الى الارض فيدق فى وصف ملامحها ونظراتها وقوامها وكل شىء فيها ويخترع فى ذلك التشبيهات الرائعة والتعبيرات الخلابة . وان كان مصوراً تفنن فى صورة من يحب وخلع عليها من تخيلاته وتصوراته ما يجعلها فوق مخلوقات هذا العالم . وان كان موسيقياً ألهمه الحب فاخرج قطعاً فنية بديعة أحيانا تبعث على اليأس وتستنزف الدمع وأحياناً تستخرج البشر والسرور وتثير الامل . أما هى فأملك لنفسها غالبا وخير منه فى تقدير الواقع والاعتراف بالحقائق - ولعلنا اذا أحصينا المنتحرين لفشل الحب وجدنا أكثرهم رجالا - ولعل أكثر من اندفع فى سبيل الخيال من النساء كان باغراء الرجل وبفضل ما أمضى من سحر القول واتقان الغزل والبلاغ فى الفن . فهو ان طار فى الخيال فطبيع وهى ان جرت وراءه فتطبع . ولعل هذا كان من الاسباب التى جعلت الناس رجالا ونساء يحملون المرأة من التبعة فى الحب وتوابعه أكثر مما يحملون الرجل

قد تبدو المرأة أحد عاطفة من الرجل فهى سريعة الرضى سريعة الغضب ، سريعة الحب ، سريعة الكره . ترضيها الكلمة وتغضبها الاشارة ، قريبة الدمعة ، قريبة الابتسامة ، ترق فتذوب حنانا وتقسو فما تأخذها رأفة ، تحب فتصفى الود وتعادى فويلاه من عداوتها

ولكن حتى فى عواطفها وعواطفه هى عملية وهو نظرى . ترحم فتتحول رحمتها وحنانها الى تمريض للجرحى واعداد ملابس للمساكين . وتحب فترسم خطط الزواج وتبغض فتطلب الفراق ،

وتسر فكل شيء يدل على سرورها هي ضاحكة وهي مغنية وهي مرحة . وتحزن فكل شيء يدل على بكائها . فهي عابسة وهي مكتئبة وهي توقع نغمات محزنة . ثم هي تحب مشاركة الناس لها في سرورها وحزنها أكثر مما يحب الرجل . فليس للرجال مناحة كالتي للنساء . ولا حفلات و يزيط ، كل من فيها كالتي للنساء . أما هو فيغضب على النظام فيثور وهي لاتعرف الثورة ، ثم يحب وكثيراً مايخلو ذهنه من زواج ويكره فلا يطلب فراقاً . ويسر ويكتم سروره ويحزن ويكتم حزنه ويقترن حبه وكرهه وسروره وحزنه بمشروعات خيالية لاتجيدها المرأة !

هذه ناحية واحدة من نواحي الرجل والمرأة وما أكثر نواحيهما

ولكن انصافاً للحق يجب أن نذكر أن المرأة في عصور التاريخ لم تتح لها كل الفرص التي اتيحت للرجل . فلا منحت من الحرية ما منح . ولا مهدت لها وسائل التعلم كما مهدت له . ولا تحملت من المسئوليات ما تحمل . ولم تبدأ تتمتع بحريتها وتتاح لها سبل التعلم إلا من عهد قريب . على حين أن الرجل ظل قرونا طويلة حراً طليقاً يتعلم ما يشاء ويزاول الأعمال ويتحمل تبعاتها

فهل اذا ظلت المرأة في سيرها تتعلم وتكافح في الحياة وتطالب بما نقص من حقوقها تبقى هذه الفروق العقلية والخلقية كما أبناها قبل ؟ أو تضمحل الفروق تبعاً لسير المرأة في سبيل المساواة ؟. وبعبارة أخرى - هل هذه الخصائص العقلية التي شرحناها في كل من الرجل والمرأة هي خصائص طبيعية كالخصائص الجسمية أو هي فروق كانت نتيجة ما مر على الرجل والمرأة من اطوار اجتماعية ؟

ذلك ما سيكشف عنه الزمن

احمد امين

- المرأة تعيش في حاضرها ولحاضرها . والرجل يعيش في حاضره لمستقبله
(الفيلسوف هيكل)
- الطبيعة سلحت المرأة بالمكر والخداع لانها حرمتها النبوغ والعبقرية (شوبنهور)
- المرأة تتغير كثيراً . فمجنون من يسلم نفسه لها (فرنسوا الاول)
- لا يمكن المرأة ان تحصل على المجد الا اذا ودعت السعادة ، ولبست عليها الحداد
(مدام دي ستال)
- ان نساء اليوم لا يغفرن لنا ذنوبنا ، كما انهن لا يغفرن لنا ذنوبهن !
(الفريد كابوس)
- في استطاعة المرأة ان تطمس معالم العبقرية عند زوجها أو ان تساعده على اظهارها
(لامرتين)

المرأة تبني - المرأة تهدم

رأيان متعارضان

هل المرأة تبني المجتمع والحضارة ، او هي تهدمهما وتعمل لفنائهما ؟ . سؤال تختلف فيه الآراء باختلاف وجهة النظر ، واختلاف الامثلة التي تقدمها المرأة في الحياة الاجتماعية والحضارة الحالية . وقد أخذناهذا السؤال موضوعالرأ يين متعارضين : احدهما للاستاذ مصطفى عبد الرازق وقد أجاب عن « المرأة تبني » . وثانيهما للاستاذ محمد فريد وجدى عن « المرأة تهدم » . وفيما يلى هذان الرأيان

المرأة تبني

بقلم الشيخ مصطفى عبد الرازق

خلق الناس في هذه الارض ليستعمروها ، وقد يسرهم الله لما خلقهم له ، وأودع فيهم كل ما ينبغي لذلك من الاستعدادات والقوى . فهم باصل فطرتهم وبمعنى وجودهم بناة معمرون لا فرق في ذلك بين النساء والرجال

والحضارات التي قامت في العالم منذ وجد العالم قسمة بين الرجال والنساء لكل فريق منهما جانب في الحياة يتولى عمارته وينهض ببنائه

وتحديد عمل المرأة في الحياة وعمل الرجل ليس كله فى أصل الخلقة . من اجل ذلك اختلف الامر في الجماعات الانسانية اختلافاً كبيراً

ففى بعض الجماعات الساذجة يلزم الرجل المنزل يقوم بشأنه وتسعى المرأة في كسب العيش والتماس الرزق والدفاع عن الحوزة

وفي جماعات إنسانية اقل بداوة تقصر المرأة في الخيام . وينهض الرجل باعباء المعيشة والمزاحمة في معترك الحياة . اما المدنية الحديثة فتحاول ان ترد اعمال الحياة فى الدار و في غير الدار شركة بين الرجال والنساء

فى كل هذه الادوار كانت المرأة بانية معمرة فى الناحية التى يكلها النظام الاجتماعي الى عنايتها . ولم تكن أقل من شريكها الرجل كفاية ولا عزماً

على ان للمرأة خواص تجعل اثرها فى تشييد صرح الحياة وتزيينه اقوى من اثر الرجل

المرأة بحكم وظيفتها الطبيعية فى تكوين الجنين هي التى تبرز للحياة الانسان الحي كائناً تمده من كيانها . فالمرأة هي المبدأ الظاهر المباشر للحياة الانسانية . وقد يكون هذا المعنى هو الذى ذهب ببعض الاجيال الى عبادة النساء

وطبيعي ان يفيض قلب المرأة بالحب والحنان لهذا العالم الانسانى الذى تكاد تشعر بفطرتها انه ثمرة من ثمراتها وان حياته مستمدة من حياتها

فالمرأة هي المنبع الفياض بما فى الحياة الانسانية من حب هو اساس النظام والعدل والرحمة والسعادة

على ان فى فطرة المرأة نوعا من السحر والخلابة والجمال هو الذى يسمو بخيال اهل الفن الى ما يبدعونه فى آثارهم الفنية ويلهم الشعراء روائع الشعر ، ويذكي في قلوب المستعدين نار العشق العظيم . واذا كان جمال الحياة فناً وشعراً وحباً فان المرأة هي التي تبني كل ما في الحياة من معاني الجمال

المرأة تهدم

بقلم الاستاذ محمد فريد وجدى

كبير علينا أن نجعل عنوان مقال لنا المرأة تهدم ، وقد خلقت لتبنى ، وأوتيت جميع الأدوات الصالحة للبناء ، وحليت بكل القوى التى تمكنها من الابداع فيه . فهي تبني النوع البشرى بامداده بالآحاد ، وتبنى المجتمعات بإيتائها بالخلايا القوية سداً لما يدثر منها بفعل الحياة . وقد ناطت بها المعارف الحديثة تبعة جديدة هى التربية ، إذ ثبت علمياً أن الطفل يتلق أصول الاخلاق من يوم ميلاده ، ولا يزال يتطور في مدى هذا التلق حتى يصير قادراً على القيام بنفسه

مهمة خطيرة كل الخطورة ، وسامية كل السمو ، والمضطلع بها جدير بأوفر قسط من الكرامة ، فيه ينحصر الرجاء في تحقيق أكبر الانقلابات الأدبية ، وأعظم الانتقالات

الاجتماعية ، إذا كان يعرف كيف يؤدي حق الاعباء الملقاة على عاتقه ، وكيف يسلك فيها ليصل الى هذه النتائج الضخمة ، التي تنتظرها الانسانية منه

فاذا افترضت أن مجتمعاً رشيداً ربى جميع البنات فيه على أن يكن أمهات قادرات على التربية ، وعالمات بأصولها ، و بأسرار إشرابها نفوس الأطفال من يوم ميلادهم الى أن يشبوا ويترعرعوا ، وأجمع الآباء على إعانة الامهات على هذه التربية العلمية بسيرتهم الطيبة ،وسلوكهم الحسن ، ومعاونتهم الصالحة ، متيقنين أن من يحيط بهم من الاطفال يلتقطون كل ما يرونه منهم ويقلدونهم فيه ، و إذا افترضت أيضاً أن جميع الآحاد يدركون قيمة هذا الأمر و يعملون على تذليل العقبات التي تقوم أمامه ، وتعبيد الطرق التي يوصل اليه ، لو افترضت هذا كله نشأت في الامة أجيال متعاقبة ترفع مستوى الانسانية الى أعلى ما يتخيله لها الغيورون على سمعة هذا النوع الكريم

هذا هو المثل الطبيعي الأعلى لنوع أراد الله أن يبلغ أبعد شأو من حياة فاضلة تتراءى له ولم يصل اليها بعد ، وقد فرضه عليه منذ أودع فيه هذه الغرائز العلوية التي يفرق بها بين الحق والباطل ، والصالح والفاسد ، ويميز بها بين الجمال والقبح ، والحيوانية والانسانية

سيقول المتشائمون : هذا مثل أعلى لا تنازع في صحته ، ولكن أين الناس منه ، وأعلام كعباً في العلم وأبعدهم مدى في المدنية قد جعلوه خلف ظهورهم ، واتبعوا ما تمليه عليهم الشهوات ومقتضى البهيمية الباحتة ؟

لا يضير بحثنا هذا القول ما داموا يعترفون بأن ما قدمناه هو المثل الطبيعي الأعلى ، أما ما عدا ذلك مما قالوه فليس لديهم من دليل بان الانسان لن يبرح موقفه منه ، فيبقى أبد الابيد عبد شهواته ، وأسير ملذاته ، وصريع طاماته ، ولا على أن الحياة تستمر على ما هي عليه مرتعاً للميول الحيوانية ، والنزعات الشهوانية . فان ناموس الرقي دائب على نقل الانسانية من حال الى حال ، وتيار التطورات الادبية لا يفتأ يهيء النفوس لقبول انقلابات جديدة ، فان لم تك الاجيال الحاضرة تصلح لتحقيق المثل الطبيعي الاعلى ، قذف بها قيم الوجود فى أمم قد خلت من قبل ، وأحل محلها أجيالا تقوم بحق الامانة الانسانية

نظرة عجلى الى الوراء

عاشت المرأة أجيالا طوالا لا يقيم لها الرجل وزناً ، ولا يعترف لها بحق ، ولا يضعها في

مستوى أرفع من مستوى ما يملكه من عروض وعتاد . فكان اذا لاح له أن يؤويها اليه اختطفها ، وان أراد أن يبعدها عنه طردها . فلما توالت عليه الاديان السماوية لطفت من وحشيته ، وجاءه العلم فكسر من شرته ، فاعترف للمرأة بحقوق عليه ، ولكن كحقوق العبد حيال سيده والقاصر على قيمه . فلبثت المرأة على هذه الحال أجيالا أخرى ، حتى جاءت المدنية بفنونها وصنائعها ، وبما جلبته على الانسان من خيراتها وبركاتها . نخرج من دور الحرب لاجل العيش الى دور التنعم بالرغد والتبسط في اللهو . وهذا يقتضي التوفر على جمع أسبابه من جميع المتع الجسدية . فكان للمرأة أكبر حظ من جميع ميوله الجديدة . ففرط في حقوقه المغتصبة في ملكيتها . وأفرط في بذل مظاهر الزلف اليها . وتمادى في ذلك حتى رفعها عليه درجة . فصارت اذا أقبلت قبل يدها وانحنى اجلالا لها ، واذا جلست اختصها بصدر المكان وانفق في تملقها غاية الامكان

فكان إثر ذلك شعور من المرأة بجهة الضعف في الرجال وجهة القوة في نفسها . فأخذت تفتن في أساليب التأثير فيهم بالتبرج والخروج على التقاليد التي تواضع الناس عليها من القدم . فكانت كلما خطت خطوة في هذا السبيل ازداد الرجال خضوعاً واستخذاء لها . وسرى هذا التطرف من نساء الصالونات والمسارح الى نساء الاسر والبيوتات . فلم يقو أحد على صد هذا التيار . فما كان الرجال ليستطيعوا أن يقسموا النساء الى شطرين : شطر لحياة الهزل واللعب ، وشطر لحياة الجد والزوجية . فعمت الجنس كله هذه النزعة الاباحية . وقبلها الرجال صاغرين لان سلطان الاهواء لم يدع لهم قدرة على الحزم . وكظة الترف لم تبق فيهم بقية من الشمم

فكانت النتيجة من كل ذلك ان هذا التسامح الذي كان يقصد به التبسط في اللهو ، انقلب الى استسلام لسلطان الشهوة واستخذاء لكل ما يجدع من أنف النخوة . وذلك الخروج الذي كانت تعتبره المرأة المتبرجة منحة ، استحال الى حق ليس لأحد على الحد منه قدرة . وكلما أمعنت المرأة في خطتها تطرفاً ازداد الرجال في استسلامهم لها تسكعاً . حتى تطوعت للاشادة بهذه الحال طوائف من الرجال تحفى في تأييده وتبالغ في تمجيده وتعتبره عنصراً من عناصر الحياة المدنية . وكتاباتهم هذه تنتشر بين الشابات والشبان فتزيدهم مضياً فيما هم فيه من النزعات الشهوانية

جرأت هذه الكتابات افراداً من الرجال والنساء في بعض البلاد على العيش في حالة عري مطلق . وهل في هذا من عجب بعد ان تدرجت المرأة في التبرج حتى لم يبق كاسياً من

جثمانها إلا النواحي التي سترتها الطبيعة في الحيوان الاعجم ، ووجدت على ذلك ممجدين ومعجبين لا يحصى لهم عدد ! فلا غرو أن تدفعها طبيعة التطرف إلى أقصى حد منه وهو العري المطلق ، وربما تأدت من ذلك الى ما يخجل الكاتب من ذكره !

هل رأيت في كل ما شاهدته من صور النساء صورة موقرة كتب تحتها : هذه صورة السيدة فلانة التي اشتهرت بادارة بيتها وتنظيم شؤونه ، أو هذه صورة فلانة التي ربت خمسة أو ستة من الاولاد على أحكم أصول التربية ؟

اللهم لا ، ولا يحب أكثر القارئين أن تشتغل الصحف بهذه الصور لانها بعيدة عن منطقة شهواتهم

فكان هذا التنويه الطنان بالمتهتكات ، والاغفال المطلق للفاضلات ، من أقوى عوامل إفساد البيوتات وأشد دواعي الخروج على الآداب

المرأة تهدم بناء الاجتماع

بعد أن نالت المرأة سلطاناً لا حد له على عقول الرجال وهم في نشوة الشهوات ، وتحت تأثير الأهواء ، لم تستخدم هذا السلطان في البناء والتشييد ، ولكنها صرفته في الهدم والتبديد ، ونحن في هذا الموقف لا نحب أن نكون ظالمين ، فلا بد لنا أن نقول إنها دفعت على هذا الهدم باغراء الرجال ، فانها لولا تذرعها بهذه الوسيلة لما نالت ما نالته من هذا السلطان الوهمي . فلو كانت أبت مشايعة الرجال فيما يريدون من خروجها عن حدها الذي رسمته الطبيعة لها ، لأجبروها على ذلك اجباراً ! وما مبلغ ما أوتيته المرأة من الحزم حتى تستطيع أن تتغلب على صنوف المغريات التي بثها في طريقها الرجال لتقع في حبائلهم ؟

فالمرأة أول ما توجهت نحو بلوغ هذه الحرية المطلقة ، أعملت معاول الهدم في عرشها الطبيعي وهو مكانها من الاسرة ، فحطمته بيديها متوهمة بانه السجن الذي أضاع وجودها وكسف مواهبها . ثم انقلبت مطالبة بما أوهمها المدلسون عليها بأنه من حقوقها . فهتفت تحت تأثير تسويلاتهم مطالبة بحقها في العمل الخارجي كالرجال ، وحقها في تولي الوظائف العامة ، وحقها في الانتخاب لتكون عضواً في المجالس النيابية . وحقها في الاشتغال بالسياسة الخ الخ . وما درت ان هذه الحقوق كلها لا تغني عنها شيئاً ، ولا تصل بها الى ما ترمي اليه من السلطان الادبي . فان هذه الحقوق معترف بها لأضيع الرجال وجوداً في المجتمعات . فلم تجدهم نفعاً فوق ما هم أهل

له من الخطط الاجتماعية . فما ظنك بكائن لم يخلق ولم يمنح مواهبه الخاصة إلا لعمل خاص لا يقوم به غيره ؟ فأين تذهب المرأة بيديها الناعمتين وسط التنانير في المعامل ، والانقاض الحجرية في المناجم ؟ وماذا تعمل باحساسها الشديد فى مضطرب المهام الاجتماعية ، و بعواطفها الرقيقة فى معترك الاحزاب ومزدحم الحركات الانقلابية ؟

هب انها كانت لذلك كله اهلا بما تنتحله من صنوف الرجولة . فمن لهذا العرش الشاغر في الدار الذى يجعلها تتحكم في نفوس الآحاد والامم . وتنال به ارفع مجد قدر للبشر ؟

ومن يملأ هذا الفراغ الموحش في البيت ؟ . ولا بد من ملئه لان ذلك اقوى مقومات الاجتماع والاساس الذي تقوم عليه بنية الامم ؟ ومن لهذه النفوس الناشئة من البنين ، وهي لو اهملت لشبت جوائح على ذواتها واقوامها ؟

كل هذا غير جدير بالاهتمام في نظرها ونظر الذين يتملقون لها . وانما المهم عندهم ان يتقرر حبرا على ورق انها مستقلة عن الرجل . وانها تصلح لجميع اعمال الرجولة حتى الجندية . وانها اهل لان تنتخب وتنتخب . وانها جديرة بأن تشتغل بالسياسة وتتولى خططها السامية ؟

نعم نريد هي ذلك حبراً على ورق . ونحن مضطرون ان نستخدم هذه العبارة لانها لا تستطيع ان تستقل عن الرجل . وليست الاعمال بموصدة امامها . فان في كل بلد مئات الالوف من النساء يشتغلن لكسب قوتهن ، وقد أتيح لهن أن ينتخبن و ينتخبن للمجالس النيابية ، فهل استوعبت هذه المجالس منهن أكثر من عشر نسوة ، وكم عدد من احترفن المحاماة والهندسة والعلم ، فاين يعيش مئات الملايين منهن ؟ ألسن في أسر الرجال كما كن قبل ألوف من الاعوام ؟

واليوم وقد أخذت الازمة الاقتصادية باكظام الامم ، شعر الاجتماعيون بان العامل الأكبر فيها هو هجر النساء لبيوتهن ، ومزاحمتهن الرجال فى الاعمال ، فأخذت الامم وفى مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية والمانيا وايطاليا في تدارك هذه الحالة برد النساء عن الاعمال الخارجية ، وقصرهن على أن يكن زوجات صالحات فحسب

اليك مثالا مما تفعله الامم العالية الكعب فى المدنية اليوم : جاء فى المقطم بتاريخ ١٩ مارس سنة ١٩٣٣ فى باب التلغرافات الخاصة :

« خطب الدكتور غيبلز وزير الدعوة في المانيا ظهر اليوم عند افتتاح أول معرض لحرف النساء فى المانيا فقال : ان عمل المرأة الطبيعى أن تكون أمًّا وزوجة ، وان الحكومة الوطنية

تنوى ادخال اصلاح اجتماعي واسع النطاق لمنع تفكك الاسرة وانحلالها ، و بالتالى نقص المواليد وقلة السكان ، تمهيداً لتجديد الامة »

وقد ألم الاستاذ الكبير « اجوست كومت » مؤسس الفلسفة الوضعية وعلم الاجتماع بمسألة المرأة في كتابه النظام السياسي على مقتضى الفلسفة الوضعية ، فقال :

« نحن بدل أن نكلف أنفسنا مناقشة تلك المستحيلات الخيالية المؤخرة للرقى (يعنى استقلال المرأة) يجب علينا أن نتحقق ، لنقدر قدر النظام الحقيقى ، بأنه لو نال النساء يوما من الايام هذه المساواة المادية ، التي يطلبها لهن الذين يزعمون الدفاع عنهن بغير اذنهن ، فانهن في تلك الحالة سيكن خاضعات في أكثر الصنائع لمزاحمة يومية قوية ، بحيث لا يمكنهن القيام بها وفي الوقت نفسه تتكدر المنابع الاصلية للمحبة المتبادلة بين الجنسين »

وكتب العلامة الكبير « جول سيمون » في المجلد الثامن عشر من مجلة المجلات الفرنسية بعد وقوع ما انبأ عنه « اجوست كومت » فقال :

« النساء قد صرن الآن نساجات وطباعات الخ الخ . وقد استخدمت منهن الحكومة فى معاملها ، وبهذا اكتسبن دريهمات معدودة ، ولكنهن في مقابل ذلك قد قوضن دعائم أسرهن تقويضا »

ثم قال : « وهنالك نساء أرقى من هؤلاء يشتغلن بمسك الدفاتر وفي محال التجارة ، ويستخدمن في الحكومة الخ الخ . ولكن هذه الوظائف قد بترتهن من اسرهن بتراً »

وعضده العلامة الانجليزى « ساموئيل سمايلس » في كتابه الاخلاق فقال عن شغل المرأة خارج منزلها ان : « نتيجته كانت هادمة لبناء الحياة المنزلية لانه هاجم هيكل المنزل وقوض أركان الاسرة ومزق الروابط الاجتماعية . فانه بسلبه للزوجة من زوجها وللأولاد من آبائهم صار بنوع خاص لانتيجة له إلا تشغيل اخلاق المرأة ، لان وظيفة المرأة الحقيقية هى القيام بالواجبات المنزلية مثل ترتيب مسكنها وتربية أولادها ، والاقتصاد في وسائل معيشتها ، مع القيام بالاحتياجات البيتية ، ولكن المعامل تسلخها من كل هذه الواجبات ، بحيث أصبحت المنازل غير منازل ، واضحى الاولاد يشبون على عدم التربية ، ويلقون في زوايا الاهمال ، وضعفت المحبة الزوجية ، وخرجت المرأة من كونها الزوجة الظريفة ، والقرينة المحبة لزوجها ، وصارت زميلته في العمل والمشاق ، وباتت معرضة للتأثيرات التى تمحو غالبا التواضع الفكرى والخلقي الذى عليه مدار حفظ الفضيلة » انتهى

ان هدم المرأة لعرشها باغراء الرجل ، معاصاة للمثل الطبيعي الاعلى ، ساعد على نشوء سبع علل اجتماعية لا يدرى إلا الله وجوه النجاة منها :

(أولها) هدم التوازن الاقتصادى ، والانتهاء الى أزمة شديدة الخطر تدفع الجياع لقبول المذاهب المتطرفة

(ثانيها) هدم الحياة البيتية وافساد العلاقات الزوجية

(ثالثها) انتشار العزوبة بسبب فساد تلك العلاقات الزوجية

(رابعها) ذيوع آفة البغاء بين الجنسين ، وتطرف النساء في التهتك والتبرج

(خامسها) اهمال تربية الابناء

(سادسها) وقوع الجنس النسوى فى الفاقة ، فأصبح آحاده لا يجدن العمل الخارجي ، ولا يملكن العودة الى النظام البيتي الطبيعى

(سابعها) اغراق النساء فى عرض انفسهن الى حد افساد الاخلاق ، واشاعة الفحشاء

هذه سبع ثلمات في بناء المجتمعات المتمدنة ، لا يعقل أن تنجو منها إلا باحداث انقلابات خطيرة في آماد طويلة . ولا يدري إلا الله هل تقوى بنيتها على تحمل صدمات تلك الانقلابات

هل قدر لهذه المدنية ان تتلاشى ؟

لم لا ، وكل شيء فيها ينذر بهذه النتيجة المؤلمة ؟ أهى أعز على الله من المدنيات التى سبقتها ، ولم يك فيها كل ما في هذه من العلل المردية ؟ « ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز » . ولكن الامر الذى تجب ملاحظته أن تلاشى أعظم المدنيات السابقة كان بسبب تطرف المرأة في الترف والاباحة

نعم ان تطرفها ما كان ليحدث لولا ضعف نفوس الرجال ، و باغراء منهم ، ولكن المؤرخ لا مناص له من أن ينسب الأمر للعامل المباشر له ، بصرف النظر عن الايدي الخفية التى تدفعه اليه . أجمع مثال نقدمه للقراء المدنية الرومانية التى ورثت جميع مدنيات العالم التي تقدمتها ، وأصبحت مطلقة السلطان فى الارض . فقد وصلت هذه المدنية الى أوجها الاعلى ونساؤها محجبات ، وأعراضهن مصونة . فلما آنس أهلها أنهم تفردوا بالسيادة على الارض ، مالت نفوسهم الى الترف . فأخرجوا النساء من خدورهن ، معاصين في ذلك نصائح حكمائهم ، فوقعوا فى الاباحة ، فآثروا الشهوات والملاذ على كل شيء فضاعت منهم الفضائل التي أنالتهم

المكانة التى حصلوها فاخذوا يتدهورون حتى لم يبق فيهم جلد على تحمل اعباء الحياة . فودعوها مكرهين . وقد افرد العلماء لبيان سقوطهم المؤلفات

قال العلامة « لوبز برول » في المجلد الحادى عشر من مجلة المجلات الفرنسية تحت عنوان « الفساد السياسى »: « إن فساد الاسس السياسية وجد في كل زمان ، ومن الغريب المدهش ان مظاهره في الزمن السابق مشابهة تماماً لمظاهره في الزمن الحاضر . بمعنى ان المرأة كانت العامل الاقوى في هدم الاخلاق الفاضلة » . وقال في موطن آخر من ذلك البحث :

« لقد كان الرجال السياسيون في آخر عهد الجمهورية الرومانية يعيشون بصحبة النسوة ذوات الطباع الخفيفة ، اللاتي كان عددهن بالغا حد الكثرة . فصارت الحال اليوم (تأمل) كما كان في ذلك العهد . فترى النساء اندفعن فى تيار الافراط البالغ حد الجنون وراء البذخ والملذات » . وقالت دائرة معارف لاروس فى مثل هذا الموطن من كلة « امرأة »

« لم يسد هذا الحب الجنوني للترف النسوي إلا في عهد الامبراطورية الرومانيسة . اما فى الايام الاولى للجمهورية (أى في أيام عظمة الرومانيين) . فقد كانت المرأة ملازمة بيتها تغزل فيه الصوف . ولكن البذخ تسرب الى روما يسيراً يسيرا حتى قام (كاتون) ينذر قومه بالخطر المحقق الذى سيلتهم كل شيء . وبعد ذلك بقليل لم يقف البذخ والترف عند حد »

ثم قالت تلك الدائرة : « وفي هيآتنا الاجتماعية الحاضرة التي فيها النساء يتمتعن بحرية متطرفة (تأمل) فانا نرى دناءة ذوقهن ، وميلهن الشديد للاشتغال بجمالهن وبكل ما يزيد حسنهن ورواءهن ، كل ذلك اكثر خطرا وهولا مما كانت عليه الحالة في روما »

هذه الاقوال ظهر صدقها ظهور الشمس . فأين تذهب تلك الآراء الخيالية التي يدلى بها رجال ينتحلون لانفسهم مهمة الدفاع عن النساء ، وهم فى الواقع لا يريدون من ذلك إلا ما اراده من سبقوهم في اوربا فأوقعوا اوطانهم في مآزق لا يدرى غير الله كيف يخلصون منها

فاذا اردنا بأمتنا خيراً فلنجعل المثل الأعلى الطبيعي للمرأة نصب أعيننا . ولنرتب أعمالنا على موجبه ، لا على موجب خيالات لا ترتكز على علم ولا هدى

ولا ننسى ان نقول هنا : لا يدورن بخلد أحد أننا بكتاباتنا على هذا النحو نعتبر اعداء للمرأة . ولكننا فى الواقع اصدق انصارها واخلص اعوانها . لاننا نريد اعادة عرشها اليها . خلافا للذين تدفعهم الدوافع لان يظهروا بمظهر الانصار . وهم فى الحقيقة يعملون عمل الاعداء الالداء لها بابعادها عن مثلها الطبيعي الاعلى

هل الحب غريزة جنسية ؟

بحث بسيكولوجي

بقلم الدكتور محمد زكي شافعي

عاطفة الحب ـ الغريزة الجنسية والحب ـ مغامرات الحب والغرائز الاخرى ـ حدة الحب ـ توجيه الحب الى وجهات نافعة ـ

البسيكولوجيا اصطلاح يوناني معناه دراسة العقل . ويرجع تاريخ هذه الدراسة لزمن ارسطاليس على الأقل . غير ان هناك فرقاً كبيراً بين دراسة العقل القديمة والدراسة الحديثة لأن الدراسة الاخيرة يستعان عليها الآن باجراء التجارب العدة واستقراء الاحصاءات الكثيرة . بينما الدراسة القديمة لم يكن علماؤها إلا فلاسفة ليس لديهم غير وسيلة واحدة للبحث وهي : التأمل

وعلم العقل أو النفس لا يرتكز الآن على البحوث الفلسفية المحضة ، بل أصبح المشتغل به لا بد له من تطبيق علوم الحياة والطبيعة على العمليات النفسية للوصول الى نتائج صحيحة

ولذلك صار علم النفس علماً منتجاً يستخدم في خير الانسان وخير المجتمع الذي أصبح ينظر له كمجموعة من العقول أكثر من انه مجموعة من الاجسام

فالآن تبحث عقول العمال والصناع والتلاميذ وتحلل نفسياتهم ويقاس ذكاؤهم ليمكن توجيههم وجهة صالحة لأنفسهم ولبلادهم . وهذا يقتضي فحص حواسهم ومداركهم وشعورهم وعوائدهم وكل قواهم العقلية بعواطفهم ونزعاتهم وسجاياهم ، بل مظاهر افرازاتهم الداخلية التي لها أكبر الاثر في طباعهم وأمزجتهم . ومن ضمن العواطف الهامة التي يمكن بدراستها ان يتقى تقويض ركن كبير من اركان السعادة عاطفة الحب

مغامرة الحب بين فتى وفتاة قد تشيد بناء أسرة ، أي وحدة اجتماعية ، ومجموع هذه الوحدات يؤلف المجتمع . وفعلا تألف المجتمع منذ القدم على هذا الاساس . وبتأليفه احتيج لاقامة نظام وسن قوانين لحماية المجتمع . فمن هذا نرى ان الحب كان وسيكون أساس كل شيء في الحياة

عاطفة الحب

العاطفة نوع من الشعور يصطحب فعل دافع فكري غريزي . وهناك انواع عدة من العواطف . تختلف كماً (أي حدة) واستدامة وحالا (أي من حيث الالم واللذة) غير ان الحب

ليس عاطفة واحدة بسيطة بل هو ميل شخصي يشعر منه بعدة عواطف نحو شخص واحد

والعواطف بصفة عامة وظائف بيولوجية (حيوية) يستشعر بها الجسم عندما يكون فى حالة مضطربة أو غير عادية . ولذلك يشاهد معها بعض الحركات العضلية كانقباض عضلات الوجه فى حالة الكدر أو ازدياد ضربات القلب أو التأوه أو التنهد ، كما يشاهد مظاهر تنبىء بتزايد نشاط بعض الغدد الصماء وغير الصماء ، كارتفاع ضغط الدم أو زيادة افراز العرق أو التبول الخ . ولا يشذ الحب عن ذلك بل إن المظاهر البيولوجية فيه أظهر ولا سيما ان الدافع الغريزى اليه دافع قوى جداً وهو الغريزة الجنسية ، وان كانت توجد دوافع اخرى قد ينشأ عنها الحب . وللغريزة الجنسية اهمية عظمى حتى ان فرويد وتلاميذه ينسبون اليها معظم اعمال الانسان

تأمل مايحدثه لقاء المحبين من السرور والانشراح وما يصحبه من انتظام عمل أجهزة الجسم المتنوعة . وفكر فى اضطراب القلب وسرعة دقه عند قرب حلول ميعاد لقاء يكون فيه أحد المحبين غاضباً . وقد يعقب ذلك اضطراب فى الفكر وأرق وضعف أو فقد لشهوة الا كل ثم ضعف عام وهزال . ولكن ليس من شك ان الدافع المهم لذلك جنسى

الغريزة الجنسية والحب

الغريزة سجية توجه الانسان الى الالتفات الى شيء ما من نوع ما وأن يستشعر بتنبه عاطفى وبدافع الى عمل ما يظهر بشكل خاص من السلوك تجاه هذا الشيء

والغرائز تعين سلوك الانسان لانها هى دعامته وكثير من الغرائز الانسانية تماثل غرائز الحيوان كالغريزة الجنسية التى هى عبارة عن سجية خلقية توجه الانسان للالتفات لشخص آخر وتدفعه للسلوك نحوه سلوكا خاصاً وتحفز عواطفه خصوصاً عاطفة الجاذبية التى يعقبها التعلق بالشخص فالاعجاب به . وهذا يتحول الى العاطفة الفياضة القوية : عاطفة الحب

فمن هذا نرى ان الغريزة الجنسية نبهت اولا عاطفة الجاذبية وذلك بدفع المحب نحو حبيبه ثم تدرجت الى إعجاب اى استحسان واهتمام ثم انتقلت بالمحبين الى التعلق بعضهما فنراهما دائماً مترافقين متلازمين .وأخيراً تحولت الى الهدف الذى تريد الغريزة الجنسية أن تدفع الانسان اليه وهو الحب

مغامرات الحب والغرائز الأخرى

لايعزى الحب الى الغريزة الجنسية فحسب بل لغرائز اخرى أثر كبير فيه . فغريزة القنص التى تظهر جلية فى الحيوان هى نفسها التى تدفع الفتى الى ملاحقة الفتاة فى الطرق او الشواطىء أو المتنزهات والتى تدفع الفتاة الى التبختر والتلفت عندما ترى فتى رشيقاً تريد ان تلهب فؤاده بنيران حبها لأن غايتها هى الاماكن المذكورة ولا يوجد فيها صيد سواها

وتلعب غريزتا المرافقة والتزاوج ادواراً هامة فى الحب فى الانسان وفى المحافظة أو البقاء على النوع فى غيره . فذكر الطير يستفز الغريزة الجنسية فى الانثى بصوته او بريشه أو بحركاته . فالبلبل لايغرد إلا لجذب انثاه والديك لاينفض ريشه وينفشه إلا ليعجب به دجاجه والحمام لايتبختر وينفخ صدره وينشر ذيله من وقت لآخر إلا ليخضع الانثى ايضاً

وكذلك الحصان لا يميل بعنقه ولا يحرك ذيله ويقفز امام انثاه إلا ليغريها . والغريزتان الدافعتان لذلك فى الحيوان هما غريزتا المرافقة والتزاوج علاوة على الغريزة الجنسية

وفى عالم الانسان يقوم الشاب والشابة بحركات وافعال مغرية كهذه. فكم من مرة شاهدنا فتى يأتى بحركات ليلفت نظر من اوقعته فى هواها ، فتارة يفتل شاربه ان كان له شارب واخرى يرفع صوته كما قد يستعرض امامها نشاطه وفتوته . وهل ننسى مايأتيه الشبان فى البحر على شاطىء الاسكندرية من ضروب الالعاب فى الماء لفتاً لنظر فتياتهم . وقد يدفع ذلك الذكور الى الاتيان بجلائل الاعمال ارضاء لمحبوباتهم والفتاة ايضاً اذا تيمت بفتى فانها تبدع فى وسائل الفتنة ، فمن تأنق فى الملبس والتعطر الى تفنن فى المشية والتحرك وتزيين للوجه . والادهى من ذلك توجيه النظرات القاتلة والسهام المردية فى هواها ، وان كان فى كثير من الاحيان يكون البادىء هو الرجل ، غير ان سهامه لاتجد قبولا دائماً فى كل حالة . لأنه لكى يتبادل اثنان الحب يجب ان يكون احدهما وهو با مفتاح فؤاد الآخر ليفتح به باب الهوى ، ولا يفتح هذا الباب إلا مفتاح خاص لأنه ليس كل اثنين مستعدين للمرافقة او التزاوج . وغالباً تكون نتيجة المرافقة أو التوادّ الاتحاد الجنسى ، وتنتهى فى الطير والحيوان بالاخصاب

ويقول فرويد ان غريزتى المرافقة والتزاوج تظهران منذ الطفولة الأولى بينما آخرون يقولون ان بروزهما للعيان فيما بين السنة الثامنة والتاسعة . وتكونان أوضح فى الذكور عنها فى النساء . وعلى كل حال ليس من شك فى أنهما تظهران بدوافعهما بجلاء فى سن الادراك

وقد يتولد الحب على اساس غرائز غير السابقة كالغريزة الواقية او الراعية اوغريزة الامومة أو البنوة . فالفتى قد ينظر الى فتاة ضعيفة نظرة اشفاق ورحمة فتدفعه غريزته الواقية الى وقايتها وحمايتها فيضعها تحت كنفه . كما قد تصادف الفتاة شابا مسكينا فريداً فى الحياة فتتخذه رفيقاً تسهر على وقايته من تقلبات الزمن او ترعاه بغريزة الامومة وقد تكون سبباً فى رفعة شأنه . والتاريخ مملوء بشواهد عدة على ذلك . وان امثال هؤلاء تكون مناجاتهم لبعضهم وقبلاتهم وعناقهم لا تعزى الى الوله او الغرام . غير ان هذا لا يمنع من التحول مع مضى الزمن الى حب جنسى

حدة الحب

ان الحب كما أسلفنا أكثر من عاطفة ، والغرائز التى تدفع اليه كثيرة وان كان أهمها الغريزة

الجنسية التى تختلف حدتها فى الجنسين وتختلف بحسب الأمزجة والطباع ، مع العلم بأن كل خلية فى جسم الانسان لها بعض الأثر فى تكوين طبعه . وعلاقة افرازات الغدد الصماء بالطباع معروف . فافراز الغدة الدرقية ينشط المجموع العصبي ، فاذا زاد هذا الافراز زادت حدة الطبع ، كما أنه إذا قل نقصت حدته . بل قد يتبلد الطبع وقد يؤدى الى البلاهة بينا الغدة النخامية تنظم نشاط الجسم والغدة الجنسية تسيطر على النشاط الجنسى وكل مظاهر الرجولة والأنوثة . وانتظام قيامها بوظيفتها بسبب اعتدال أمزجة الجسم وطباعه

فمن هذا ندرك أن الحب يتحكم فى حدته عوامل عدة . ولذلك تختلف باختلاف الناس . ويمكن معرفة المحب بمظهره فى حضور فاتنته وبملاحظات أخرى ، وكذلك قياس حدته

توجيه الحب الى وجهات نافعة

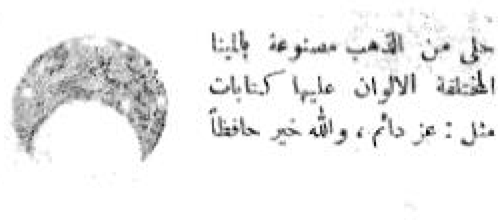
اننا اذا تتبعنا الحب فى العصور المختلفة نرى أنه كان فى بادىء الأمر حيوانياً صرفاً . ولذا لا غرابة فى اننا نرى بقايا ذلك فى بعض الناس الذين لا يرون فى الحب الا قضاء الشهوة وقد تدفعهم غريزتهم الجنسية الى اقتراف الجرائم فى سبيل ذلك . ثم ارتقى الحب بتقدم المدنية وانتقالنا من الاباحية المطلقة الى الزواج . وسيأتى الوقت الذى فيه يسمو الحب الى أن يكون أداة نافعة لرفع المستوى الفردى ومستوى الجماعة بتحويل هذا النوع من النشاط الى نشاط أرقى كالافتتان بفن من الفنون الجميلة كالرسم أو الموسيقى أو الشعر أو التدين . ومثله يكون مثل قوة الكهرباء التى قد تستعمل للدمار والهلاك كما تستعمل لما فيه نفع الانسان كالاضاءة والعلاج

وأنا متفائل بمستقبل الحرية التى أعطيت للفتاة فى التنقل وفى التعلم وفى الاستقلال الفكرى وفى ترك مستقبلهافى يدها ، لان هذا سيدعو الى التسامى الخلقى بين الجنسين وعلاقاتهما ببعضهما . وسوف لاتجد فى الفتى الا زميلا ورفيقا . وسيوجهان نشاطهما الجنسى الى رياضة نافعة او عمل مفيد لهما . فما لا ينكر ان المدنية تناولت الغرائز بالتهذيب واحدة واحدة وتسامت بها الى حد قريب من الكمال . فغريزة الاستيلاء على ما فى يد الغير مثلا كانت تستدعى فى العصور السابقة السلب والنهب والخطف والقتل ، ولكن بتقدم الصناعات وتوافر الاعمال تحولت تحولا نافعاً حيث الآن يعترف الانسان بملكية الغير ويحترمها . ولا شك انه سيأتى الوقت الذى ستهذب فيه المدنية الغريزة الجنسية فتتبوأ المكان الارفع ويصبح الحب المثل الأعلى للعواطف والميول

الدكتور محمد زكى شافعي

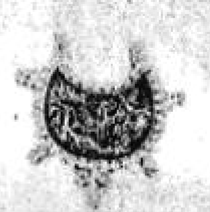
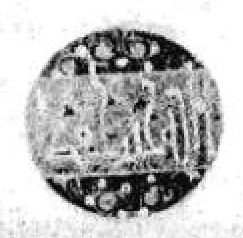
---

* المرأة لم تخلق للعمل ، ويجب ان تقضى واجبها فى الحياة فى تحمل آلام الولادة وتربية الاطفال
(شوبنهور)

حلى من الذهب مصنوعة بالمينا المختلفة الالوان عليها كتابات مثل : عز دائم ، والله خير حافظاً

أثر المرأة فى الفن الاسلامي

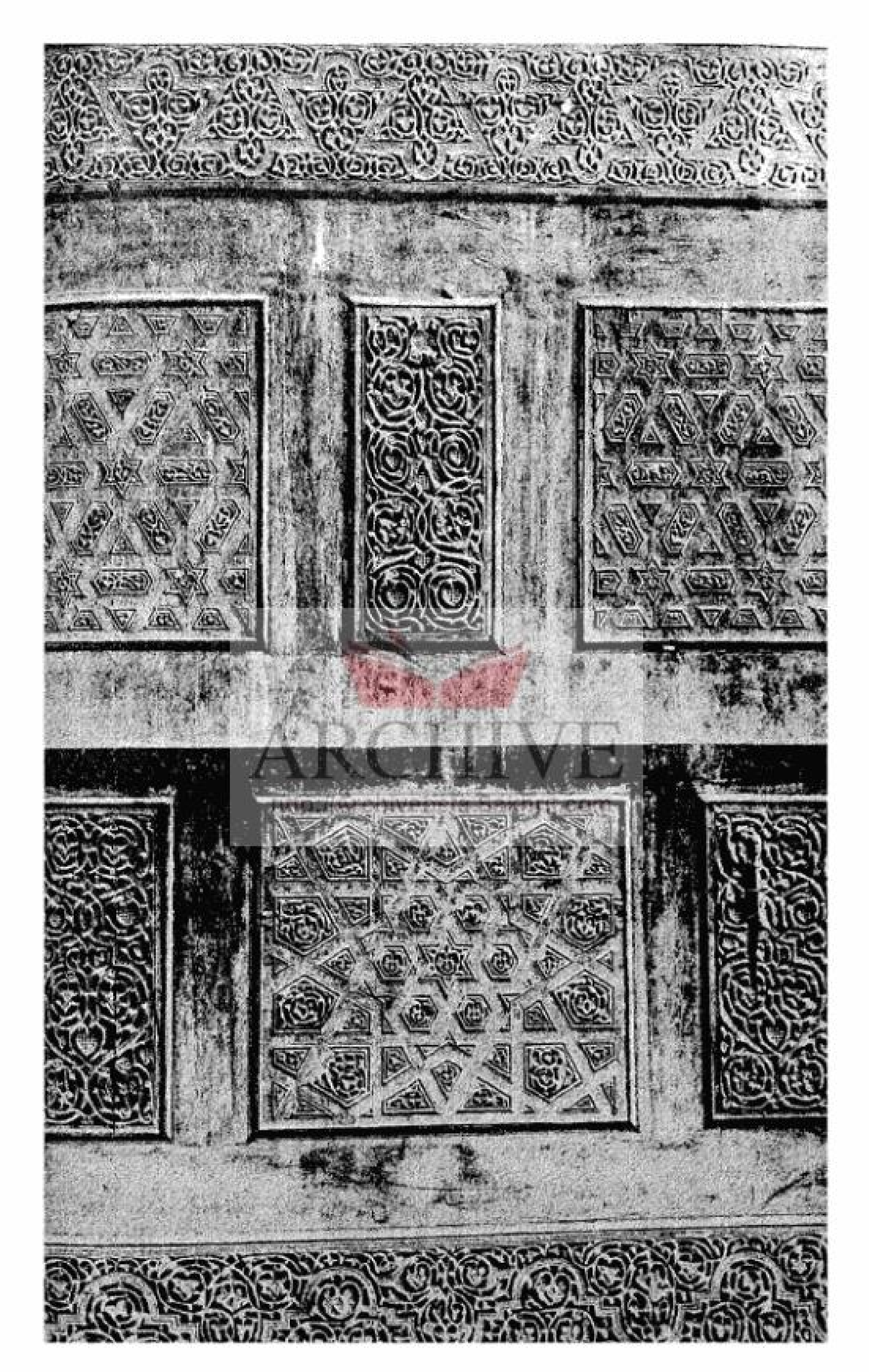
بقلم الاستاذ حسن محمد الهوارى
الامين المساعد بدار الآثار العربية

لم تكن المرأة المسلمة اقل اثراً في الحضارة من اختها غير المسلمة. بل ان من النساء المسلمات من حكمن دولا اسلامية فترات طويلة من الزمان . وقد عرف التاريخ ثلاثاً منهن عشن في عصر واحد ، هن : شجرة الدر في مصر، وآبش في بلاد فارس، ورضية سلطانة في الهند . وقد حكمن دولهن بحزم وعزم وقدن الجيوش بدهاء وحزم واو ان حكمهن كان على مضض وخلافا للتقاليد

ولست بحاجة إلى تعداد الاديبات من المسلمات ومن عرفن بالشجاعة وحث الرجال على الحرب ومؤازرة المجاهدين في القتال وزج الفلتات في ساحات الوغى والتفاخر بقدم ان اصابهم مكروه ، فقد ذكرهن الكثيرون من الكتاب. ولكني اريد هنا ان اتصيد على قدر الامكان من الآثار الباقية ومما ورد فى كتب التاريخ مايثبت ان المراة المسلمة كان لها اثر في رواج الفنون والصناعات الاسلامية

ففى زمن الامويين كثر البناء والتشييد وبنى الوليد في بادية الشام « قصير عمرة » ليمضي فيه ايام الراحة وساعات اللهو بين الصيد والقنص وحظاياه وجواريه ، وزين جدرانه بصور شملت مناظر الصيد ونساء عاريات يتأهبن للاستحمام. فكان لحب الوليد لحظاياه اثر في انتعاش الفنون خصوصاً التصوير

وعمرت السيدة زبيدة مجرى المياه التى تروي مكة المشرفة ، وما زالت حتى اليوم تعرف بعين زبيدة ، وهو عمل من أجل الاعمال الصناعية الدقيقة انفقت عليه الاموال الطائلة حتى شقت للماء سبيلا بين صخور الجبال ورمال الوديان . وما من حاج يقصد الاراضي المقدسة إلا ويأخذه العجب لهذا العمل المجيد الذي كان الفضل في انجازه لسيدة يفخر المسلمون بها مدى الدهر



وفي مصر على عهد الدولة الطولونية أمر خمارويه بن أحمد بن طولون الفنانين ان يزينوا له جدران قصره بصور حظاياه فأبدع الفنانون في النقش والرسم وصوروا الحظايا بقدر الحجم الطبيعي مرة وصف مرة وموهوا الصور بالذهب وحلوها بالجواهر والاحجار الكريمة

وجهز خمارويه ابنته « قطر الندى » للخليفة العباسي وحمل معها من التحف والطرف الشيء الكثير ، وأمر بأن يبنى لها قصور على طول الطريق من مصر الى بغداد لتستريح فيها أثناء رحلتها إلى زوجها . ويقول المؤرخون ان هذه القصور كانت تصلح للحل لا للترحال وان كان فى ذلك مبالغة ، فقد كان لحظايا خمارويه ولابنته قطر الندى أثر في انتعاش الفنون والصناعات بين تصوير وصناعة منسوجات ورياش فاخرة من آنية الفضة والذهب والبلور والخزف ، وتشييد قصور يؤيدها القليل من المنسوجات الطولونية التى عثر عليها حديثاً والخزف المموه بالذهب الذي وجدنا منه قطعاً كثيرة بين أطلال الفسطاط ، وكذلك البلور الصخرى الذى يعد أنفس من الجواهر الكريمة

وتغريد زوجة المعز أول الخلفاء الفاطميين في مصر كان لها أثر عظيم في انتعاش الفنون . فقد بنت لنفسها منظرة (فيلا) على بركة الحبش (في الجهة القبلية من مصر القديمة فى شمال المعادي الآن) كانت غرة في جبين الدهر ، وما تزال مضرباً للامثال عند ما يريد الباحثون في التصوير الاسلامي بيان ما كان عليه هـذا الفن في عهد الدولة الفاطمية من حسن واتقان ، فيقولون ان التصوير فى عهد الدولة الفاطمية بلغ درجة فائقة من البراعة ، والدليل على ذلك ان تغريد زوجة المعز عند ما أرادت تزيين قصرها الذى على بركة الحبش احضرت مهرة الفنانين من الفرس والمصريين ، وقد تبارى اثنان منهم في فنهم في حضرة أحد الوزراء الفاطميين فقال ابن عزيز العراق : « أنا أصور صورة اذا رآها الناظر ظن أنها خارجة من الحائط » فقال القصير المصري : « لكن أنا أصورها فاذا رآها الناظر ظن أنها داخلة في الحائط » فقالوا : « هذا أعجب » ثم أمرا أن يصنعا ما وعدا به فصورا صورتى راقصتين في صورة حنيتين مدهونتين متقابلتين ، هذه ترى كأنها داخلة في الحائط ، وتلك ترى كأنها خارجة من الحائط . فخلعت عليهما الخلع ووهبا الكثير من الذهب

أليس ذلك برهانا على ان المرأة المسلمة كان لها أثر عظيم في انتعاش الفنون وترقي الصناعات ؟

ويقولون أيضا إن ست الملك أخت الحاكم بامر الله تركت بعد وفاتها آلاف الاطباق من الذهب والفضة وآلاف القطع من الملابس الحريرية منها ما هو مخيش بالذهب ، ومنها ما هو مطرز بالحرير المختلف الالوان. وعندى ان رواج صناعة المنسوجات فى عهد الدولة الفاطمية يعزى الى بذخ السيدات في ذلك العهد وحبهن للزينة والتبرج ، وان قطع المنسوجات الفاطمية الجميلة بالوانها الرقيقة في نسيجها المزركشة بالحرير والذهب الموجودة فى دار الآثار العربية تجعلنا نتخيل سيدات البلاط الفاطمي وقد رفلن في حللهن فى لفائف رقيقة تشف عما تحتها كأنهن الاقمار والنجوم وراء السحاب الرقيق ومن السيدات الورعات التقيات من كان لهن أثر

الى اليمين :
قطعة من الزخارف المنقوشة
على ظهر محراب السيدة رقية



ظهر مرآة من الشبهان من عهد الدولة الفاطمية منقوش عليها صورة حيوانين خرافيين جسم كل منهما على شكل أسد بوجه انسان وجناحي طائر تحيط به كتابة كوفية نصها: « العز والبقاء والدولة والبهاء والرفعة والسناء والغبطة والعلاء والملك والهناء والفخر ذو الآلاء لصاحبه أبداً »

في تعمير المساجد وانشاء الربط والتكايا للصوفيات من النساء دون الرجال . وقد رأيت في جامع « انا اعطيناك الكوثر » بمكة لوحا من الحجر البركاني عليه وقفية باسم السيدة الكريمة رزين أم ولد الامام المستظهر بالله الخليفة العباسي ببعض المضارب ، على النساء الصوفيات بمكة

وان أنفس تحفة اسلامية مصنوعة من الخشب هي محراب امرت بصنعه السيدة « علم » زوجة الامام الآمر باحكام الله الفاطمي لضريح السيدة رقية رضي الله عنها . وقد أبدع الفنان في صنع هذا المحراب لانه مصنوع لضريح سيدة والآمرة بصنعه سيدة وقد حلاه بالنقش من جميع جهاته

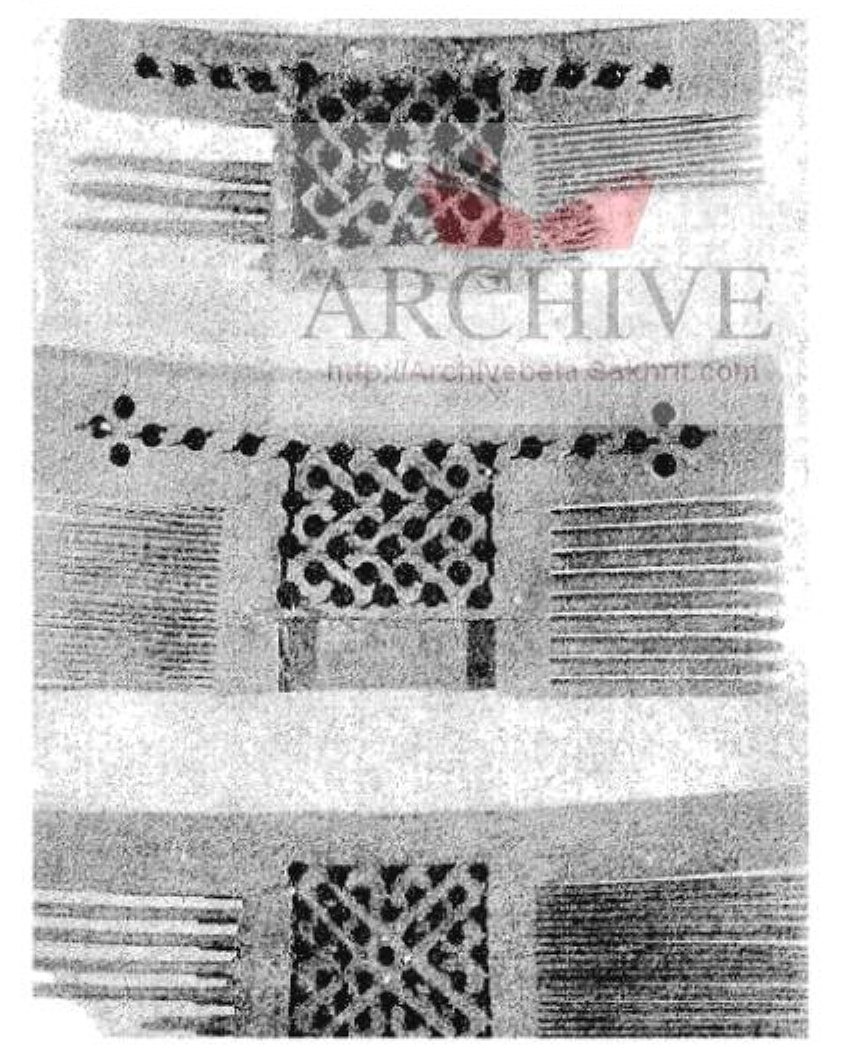
وللمماليك في مصر كان لهم القصور الشاهقة الفسيحة الارجاء لتكفي الحاشية والجواري والحرم والحظايا . وكان المعروف في الدول المحاربة لمصر أن اكبر غنيمة يغنمها الجندي المقاتل اذا استطاع أن يقتل جنديا مصريا هي الاستيلاء على ملبوسه وسلاحه وفرسه وسرجه ، وكلها كانت مزينة بالذهب مصنوعة من الحرير . فاذا كان لباس الرجل اكبر غنيمة فكيف كان لباس السيدة وحليها وجواهرها

ويحكى أن القاضي علاء الدين بن عرب محتسب القاهرة تزوج بامرأة من بنات التجار تعرف ببنت العنام . فلما قارب البناء بها حضر اليه ذات يوم وكيلها فأبلغه انها بعثت اليه بمائة الف

درهم فضة خالصة ليصلح بها ماعساه اختل من الدكة (١) الفضة فاجابه الى ما سأل وأمره باحضار الفضة ، فاستدعى الخدم من الباب فدخلوا بالفضة فى الحال . وفي الوقت امر المحتسب بصناع الفضة وطلائها فاحضروا وشرعوا في اصلاح ما ارسلته ست العمائم من آنية الفضة واعادة طلائها بالذهب . وحمل في القاهرة جهاز بعض بنات السلطان حسن بن محمد بن قلاوون عندما زفت الى بعض الامراء في دولة الملك الاشرف شعبان ، فكان شيئاً عظيما من جملته دكة من بلور تشتمل على عجائب منها زير من بلور قد نقش بظاهره صور ناتئة على شبه الوحوش والطيور. وهذا الزير يسع قربة ماء

كل ذلك يؤيد ما للسيدة المسلمة من اثر في انتعاش الفن ورواج المصنوعات

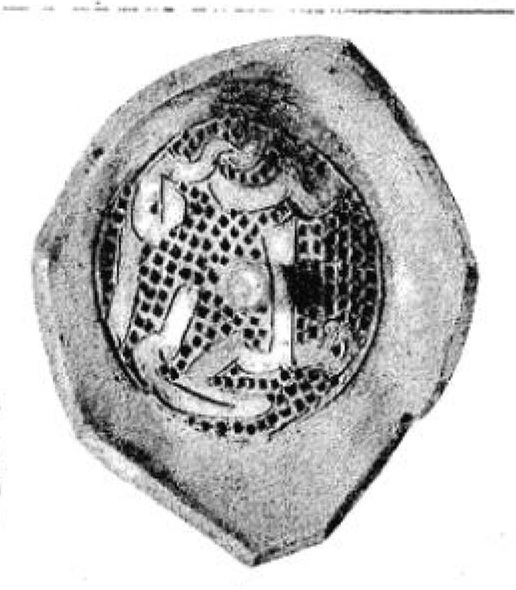
وقد كشف البحث الاخير عن كثير من التحف التى كانت تستعملها السيدات فى زينتهن



اجزاء من امشاط من الخشب محلاة بالتخريم من مجموعة حضرة صاحب العزة كامل بك غالب عضو لجنة حفظ الآثار العربية

(١) الدكة هي شيء يشبه السرير يعمل من خشب مطعم بالعاج والابنوس او من خشب مدهون. وفوق الدكة دست طاسات من نحاس اصفر مكفت بالفضة. وعدة الدست سبع قطع بعضها اصغر من بعض تبلغ كبراها مايسع الاردب من القمح . ولا بد ان يكون في جهاز العروس دكة من نحاس مكفت





شباك قلة من الفخار محلى بالتخريم وقد كتب بين الخروم : « برسم مليحة » اسم التي صنع الشباك من اجلها (من مجموعة حضرة صاحب العزة كامل بك غالب عضو لجنة حفظ الآثار العربية)

او التي كانت تصنع خصيصا للسيدات منها حلى من الذهب المصنوع بالمينا بها كتابات كوفية متقنة مثل : « فالله خير حافظا » او بها صور غزلان وطيور دقيقة ومرايا من النحاس زينت ظهورها بالنقش البديع ومكاحل مطعمة بالسن والابنوس وامشاط من الخشب والعاج كتب عليها حكم وامثال نحو : « حاملي يخجل الشمس والقمر » و « تأمل عاشقي فعلى الرأس امره » و « انا مشط عملت للتسريح ، لم اسرح الا لكل مليح » (١) ومنها ما رسم عليه شارات ورنوك فيها ما حلي بالرسم البارز أو الثقوب الدقيقة وقباقيب مطعمة بالصدف والعاج . ومن الأشياء الظريفة شباك قلة من الفخار محلى بالثقوب البديعة وقد كتب فيه بين الثقوب : « برسم مليحة » وأرى أن هذا الشباك صنع خصيصاً لفتاة اسمها مليحة ذهبت إلى الصانع وطلبت منه أن يصنع لها قلة فسألها عن اسمها فنقشه لها بين الثقوب . وقد كسرت القلة من زمن بعيد وبقى هذا الشباك الظريف فى مجموعة حضرة صاحب العزة كامل بك غالب عضو لجنة حفظ الآثار العربية

وأما ممارسة المرأة المسلمة للفنون بنفسها فهو أمر ما يزال رهن البحث ، ويجب تركه الآن إلى أن تظهر لنا الأيام من الطرف المخبوءة ماهو ممهور بأسماء سيدات . ولدى دليل واحد بسيط وهو وسط صحن من الخزف عثر عليه في أطلال الفسطاط يرجع عهده إلى عصر المماليك وهو مزين من الداخل برسوم هندسية بديعة وعليه من الخارج امضاء غير متقن يقرأ « عمل خديجة » فان صح هذا كان من بين صناع الخزف في عصر المماليك نساء يعرفن النقش والرسم . ومع كل فأرى ترك هذا الموضوع حتى ينضج بحثه وفحصه

حسن محمد الهوارى

(١) هذه العبارات مكتوبة على قطع من امشاط من مجموعة حضرة صاحب العزة كامل بك غالب

جريتا جاربو

المرأة الحديثة في السينما

لكي نتحدث عن المرأة الحديثة في السينما يجب أن نعود إلى خمس سنوات خلت ، حينما ظهرت السينما الناطقة ، وأغار المخرجون على المسارح ومعاهد التمثيل فسلبوها أنبغ ممثلاتها وطالباتها . واختفى في ذلك الحين معظم كواكب الافلام الصامتة ممن لم تكن لهم دراية بفن التمثيل المسرحي ولم ينالوا قسطا كبيراً من الثقافة . ذلك لان السينما الناطقة لم تكن لتعتمد في اظهار المواقف التمثيلية على التعبير بالنظرات وتغيير ملامح الوجه ، واعتدال القوام وروعة الجمال ، كما كان الحال في عهد الفلم الصامت . وانما أصبح للثقافة والخبرة الفنية في ذلك الشأن الاكبر

وتنقسم الممثلات اللواتي يظهرن الآن على الستار الفضي إلى قسمين : قسم نال ثقافة عالية والتحق بالسينما دون أية خبرة فنية سابقة ، وقسم له ماض مجيد في عالم المسرح ثم استهوته السينما فنزل في مضمارها ، وأضاف الى مجده المسرحي السابق مجداً جديداً

خذ مثلا الكواكب : « اليسا لاندي » و « بيتي دافيز » و « ايفلين فينابل » و « فاى راى » و « ماى ويست » فكلهن قد أتممن دراستهن الجامعية قبل أن يشتغلن بالتمثيل المسرحي والسينمائي . وتعد « اليسا لاندى » من الامريكيات القليلات اللواتي يجدن قرض الشعر وتأليف القصص بالانجليزية . وقد لاقت مؤلفاتها رواجاً كبيراً في انجلترا وأمريكا . وكذلك تعد « ماى ويست » قصصية ماهرة . وقد انتهت أخيراً من وضع « قصتين كبيرتين » تنوي اخراجهما في موسم الشتاء المقبل

أما « نورما شيرر »

نورما شيرر

مارلين ديتريش



ايفلين فينابل

و « جريتا جاربو » و « مارلين ديتريش » و « جوان كروفورد » وغيرهن من ممثلات العهدين الصامت والناطق ، فانهن ذوات خبرة مسرحية قديمة استطعن بوساطتها ان يحافظن على شهرتهن حينما حلت السينما الناطقة محل الصامتة . ولا يستطيع أحد ان ينكر عليهن ما نلنه من ثقافة كبيرة الى جانب خبرتهن الواسعة

ولقد كانت مهمة الممثلة السينمائية في عهد الفلم الصامت مقصورة على إظهار معالم جمالها وتغيير ملامح وجهها والتعبير بعينيها عن الحزن والفرح . ولم يكن دور البطلة ليخرج في الغالب عن انها تحب بطل الرواية الذى ينافسه في حبها منافس قوى فيخطفها . ويفعل البطل المستحيل في سبيل استرجاعها ! . .

أما الآن فقد لعبت المرأة الحديثة دورا خطيرا في السينما . واضطلعت بتمثيل الادوار الكبيرة التي تحتاج إلى خبرة فنية ومران طويل

وقل أن تجد بين ممثلات السينما الحديثات من لا تجيد فني الغناء والرقص الى جانب اجادتها فن التمثيل



وقد عنيت المرأة الحديثة في السينما بابراز شتى محاسن الجمال فيها والمحافظة عليها بالطرق الرياضية البحتة ، بعكس زميلتها في عهد الفلم الصامت فانها كانت ترهق نفسها بالصوم والاجهاد وتناول العقاقير لكي تصل إلى ما تبتغيه من نحافة

ويعتبر الكثيرون ممثلات السينما الحاليات أمثلة دولية لجمال المرأة ، وتنقل عنهن النساء والفتيات في مختلف أنحاء العالم أزياء الجمال

اليسا لاندى



مای وست

وقد كان يكفي المخرج فيما مضى أن يعثر على الفتاة الجميلة فيرفعها إلى درجة النجوم بالدعاية الواسعة ولو كانت جاهلة بشئون المسرح والسينما ، ولكن الحال الآن تغيرت بتغير أذواق الجماهير وأصبحت للممثلة الحديثة تملي ارادتها على المخرجين وأصحاب الشركات . وها هي ذى الممثلة القديرة فاى راى عند ما ضاقت ذرعاً بروايات الفزع والارهاب هددت بالسفر الى انجلترا اذا لم يبحثوا لها عن روايات أخرى ، ولم يسع الشركة الا أن تنزل على رغبتها

وتعتبر الحكومات ممثلات بلادها سفراء غير رسميين في البلاد الأجنبية التي يعملن فيها ، ولذلك يتدخل بعضها في اختيار الممثلات اللواتي ترغب شركات هوليوود وغيرها في التعاقد معهن ، كما أنها تضمهن تحت حمايتها ، وترعاهن وتعدهن بمختلف أنواع المساعدة

ولعل أظهر أثر للمرأة الحديثة في السينما هو تلك الحركة القائمة الآن في جميع « ستوديات » هوليوود ، والتي ترمي الى تطهير الأفلام من المشاهد الساقطة ، فان الفضل في هذه الحركة انما يرجع الى المرأة الحديثة ، اذ تألفت في الولايات المتحدة جمعية نسوية اطلقت على نفسها اسم جمعية « محاربة الافلام الساقطة » وقد بلغ عدد الاعضاء في هذه الجمعية وفروعها اكثر من مليونى سيدة ومن بينهن بعض شهيرات الممثلات والمؤلفات مثل « جانيت جانيور » و « جان موير » و « مارى برين »

ولم يقتصر عمل المرأة الحديثة في السينما على التمثيل في الافلام وتأليف الجمعيات لمحاربة الساقط منها بل هناك كثيرات يضطلعن بأعمال على جانب كبير من الاهمية في صناعة السينما ، نذكر منها كتابة السناريو (اى تحويل الرواية العادية الى رواية سينمائية) وصناعة الملابس ومساعدة المخرجين والمديرين الفنيين بالاشراف على اعداد المناظر وتجهيزها ، ونقد الافلام قبل عرضها على الجمهور

وإذا بحثنا عن السر فى شهرة بعض نوابغ الممثلين السينمائيين فانا نجده يرجع الى المرأة التي أخذت بأيديهم في سبيل النجاح وساعدتهم على ارتقاء سلم المجد . ويقول في ذلك بول موني بطل روايتى « أنا هارب من السجن » و « ذو الوجه المجروح » : « اني لأفخر دائماً بتصريحي فى كل حين بأن الفضل في نجاحي كممثل سينمائي يرجع إلى زوجتي العزيزة « بيلا » فان ارشاداتها وانتقاداتها افادتنى فائدة عظيمة في عملى ، وما كان لى أن أحرز ذلك المجد الذي أحرزته في فلم « انا هارب من السجن » لو لم أعمل بنصائح زوجتى وارشاداتها » . وكذلك ينسب كلارك جابل وايدي روبنسون وغيرهما نجاحهم في السينما الى زوجاتهم

وقل أن تجد فى هوليوود الآن ممثلة لا تجيد ثلاث لغات أو اربعاً . . . ذلك لأن الافلام الناطقة ارغمتهن على تعلم اكبر عدد ممكن من اللغات الحية ، حتى يستطعن التكلم بلغة الفلم ، وحتى لاتضطر الشركة الى الاستعانة بشبيهاتهن لتمثيل أدوارهن في الطبعات الاخرى للافلام

محيي الدين فرحات

الجمال ثروة المرأة

وفى سبيله تحتمل كل عذاب

لا تزال المرأة هي المرأة تعشق التجمل والتجميل ، وتعتبر الجمال ثروتها ، واعظم نعمة تعتز بها في حياتها . فاذا شعرت يوما بنقص في هذه النعمة سعت جاهدة في تلافي هذا النقص ، واصلاح كل مابها من عيوب . ومع ان الطبيعة زودت كثيرات من النساء بنعمة الجمال ، إلا انهن على الرغم من ذلك يحاولن ان يضاعفنه بما يستخدمنه من وسائل التجميل الصناعية . وانت ترى نساء على حظ من الجمال الا انهن لا يقنعن بما اتيح لهن من هذا الحظ ، بل يزدنه ويضاعفنه بالتجمل ويحتملن في هذا السبيل كل مشقة ، وكل ما تفرضه الوسائل التى اخترعت حديثاً لهذه الغاية من صبر وجلد على قطع بعض اجزاء الوجه واجراء عمليات جراحية فيه . ومع ذلك تقبل المرأة الحديثة على هذه الوسائل ، وتتقبل آلامها بثغر باسم ونفس مطمئنة وغبطة عظيمة ، على نحو ما تراه في الصورة المنشورة مع هذا الكلام



أحد الجراحين الاخصائيين فى فن التجميل يقوم باجراء عملية اخفاء التجاعيد في سيدة . والصورة التي الى اليسار تمثلها بعد الانتهاء من هذه العملية

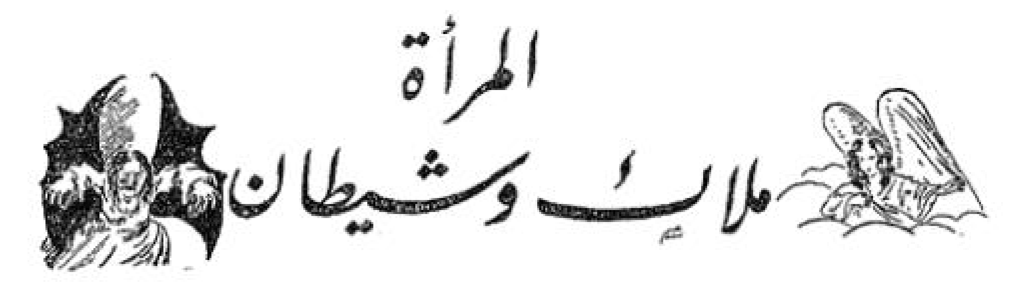


ممثلة السينما الجميلة جين
هارلو في صالون التجميل
حيث تقوم احدى العاملات
بكي شعرها وترجيله على
احدث طراز

آلة غريبة لتجفيف الشعر وتجعيده ، وقد ابتسمت الحسناء التي تجرى لها هذه العملية كأنها تستعذب الألم في سبيل أن تبدو جميلة فاتنة



حسناء أمريكية تحتمل بصبر ألم القلم الكهربائي أثناء ترفيع حاجبيها



بقلم الاستاذ فكرى أباظة

خبث

خبث « رئيس تحرير » هذه المجلة الوقورة إذ اختار لى هذا الموضوع ، وفرض على هـذا العنوان . . . هى دسيسة أرجح أنها متعمدة للوقيعة بينى وبين الجنس الناعم . ومن يجرؤ فى العصر الحاضر أن يناوىء الجنس الناعم ؟ !

أنا بين نارين : اما أن أتملق الجنس اللطيف فأخون أمانة الكاتب الصادق واما أن أقرر الحقيقة فأفقد عطف الجنس اللطيف . وأمانة الكتابة عندى عزيزة ، وعطف الجنس اللطيف عندى عزيز . . . لنقل كلمة « الحق » والامر يومئذ لله . . .

أنا حائر

الواقع أنى حيران فالى وقت كتابة هذه السطور لم يكتشف مخلوق من بداية الخليقة الى اليوم « غريزة المرأة » ! . . . هم يحـاولون اليوم اكتشاف المريخ ـ واكتشاف أدواء الامراض المستعصية واكتشاف « اكسير الحياة » واكتشاف صنع الذهب بواسطة الكيمياء ، وقد ينجحون ، ولكن لا أظنهم ينجحون يوماً ما فى كشف « غريزة المرأة » ! ! !

لكل انسان منا تجارب . ولكل خبير منا آراء . ولكن من المستحيل أن تستخلص من مختلف التجارب والآراء قاعدة بالنسبة للمرأة . فهى أقوى من كل قاعدة وأمنع من أن تنال ! . . .

« المرأة شيطان وملاك » ! نعم ! وهى ليست بشيطان فقط بل هى مصيبة بل هى جن احمر ! . . ثم هى فى الوقت نفسه ملاك كريم وخلق عظيم ونعيم مقيم !

المرأة شخصية مزدوجة بحكم الخلقة والطبيعة . لا بحكم الاكتساب ولا بحكم الطوارىء ولا بحكم التجارب . فهى الجنة صباحاً والجحيم مساء . وهى البرد والسلام عصراً . وهى النار والسعير لـيـلا . وهى الخادعة الفاتنة والمخدوعة المفتونة . وهى الخيرة المحسنة والشريرة الظالمة ، وهى الضاحكة الباسمة والباكية القاتمة . وهى الوفية المخلصة وهى الخائنة الغادرة ـ كل هـذا قد يجتمع فى مكان واحد وزمان واحد وجو واحد . فان جهدت فى كشف السر فشلت ! !

تحديد

كل كلام ليس على اطلاقه ففى كل قطر من أقطار العالم أمثلة ناصعة البياض بارزة البراءة نموذجية الطوية ملائكية النية . . .

انما يجب أن نحدد الموقف فنقول : إن الغالب ان المرأة خلقت وهي تحتوى الاستعدادين . وتملك الهبتين : هبة الشر ان كانت هبة ، وهبة الخير وهي حقاً هبة ! . . .

خلقت المرأة مسلحة مستعدة لتلبية النداء فى الميدان عندأول نفير وعند أول انذار . والمحيطون بها هم المسئولون فى نظرى عن تحريضها ، سواء أكانوا أزواجا أم عشاقا أم مفسدين لوجه ابليس اللعين ! . . .

الزوج

أحمل الزوج - فى الشرق - مسئولية كبيرة فى صعود الزوجة الى جو الملائكة أو فى هبوطها الى مزرعة الشياطين . المفروض أن الزوج الشرقى يجتذب زوجته الفتاة العـذراء من خدرها الى كنف حمايته ورقابته . والمفروض أن مسئولية الأب أو ولى الامر ترتفع إذ تحل محلها مسئولية الزوج . والزوج فى شهر العسل أو فيما يليه يجب أن يفهم تمام الفهم ويعلم تمام العلم ، أنه اذ يؤسس بيت الزوجية يؤسس معه قواعد الزوجية و « دستور » الزوجية ونظم الزوجية ، وانه إن لم يعن بهذا كل العناية فى البداية ، صعب عليه الأمر فى النهاية ! . . .

فهو إن ضعف أمامها فى الشهور الاولى من الزواج اكتسحت ارادتها ارادته ، وقويت عزيمتها على عزيمته ، وركبته ولن تقبل النزول ! . . .

وهو إن أرخى لها الحبل على الغارب فى « المصروفات » والنفقات مجاملة وملاطفة فى بداية الامر اعتادت وادمنت كاعتياد المدمنين وإدمانهم فعز الشفاء من الداء ! . . .

وهو ان أطلق لها حرية الغدو والرواح والزيارة والسهر وحب الظهور فى البداية اندفعت واعتبرت محاولة ارجاعها الى الحظيرة المعتادة المعقولة اعتداء . فبدأ الخصام - وانتهى عهد السلام ! . . .

وفى تجارب الحياة الكثيرة كم من فتاة غادرت منزل الاب بلهاء ساذجة سذاجة الاطفال فانقلبت فى منزل الزوجية حية رقطاء - وماكرة ذات دهاء - وشيطانا ذا بلاء وارزاء . . .

وكم فتاة خرجت من بيت الأب طائشة نزقة مفلوتة الزمام وتطورت فى منزل الزوجية فاستعادت غريزة الخفر والحياء وروح الاخلاص والوفاء وشيمة النبلاء الابرياء . . .

الزوج هو الذى يجرم اذا أراد لزوجته ان تجرم - وهو الذى « يحتشم » اذا أراد لزوجته الاحتشام . . .

وكم أفسدت روح « الموديرنزم » أزواجا فافسدوا معهم زوجات . اذ كانوا لهن أساتذة الاختلاط والرقص واللعب والشرب والسهر وعائلة الاختلاط والرقص واللعب والسهر والشرب عائلة مقدسة تقديساً شيطانياً يؤدى حتما الى تدمير الاسرة الصغيرة والى التردى فى الهاوية . ولا علاج ولا انقاذ ! ...

الاب

ومسئولية الاب من جنس مسئولية الزوج بل ربما كانت مسئوليته أقوى وأقسى وأبقى أثراً من غيرها من المسئوليات . الأب يجب أن نعده فى عرفنا هو « مؤسس » الاخلاق النسوية ومهذب الغريزة النسائية ، وهو الذى يرعى فتاته من المهد الى عهد الطفولة الى عهد الفتوة الى عهد الادراك الى عهد النضج . واشراف الأب على بيته وعلى سكانه وعلى رعاياه انتابه هـذه الايام ضعف وخور ونوع من الاستسلام ترجع أسبابه الى أننا نجتاز فى هذا الاوان فترة « التقليد » الممسوخ المتفرنج الممقوت . والامة المقلدة كما قالوا وكرروا القول تندفع وتتجاوز الحدود . فنحن الآن فى أدق مرحلة من مراحل التطور الاجتماعى ، اذ الحرب ناشبة اليوم بين التقاليد وبين التقليد ! ولا بد من ضحايا مادمنا قد اخترنا هذا الانتقال . . .

والموقف الدقيق يستلزم حكمة وبعد نظر وحراسة . ولكنى ألمح ، وكلى حسرة ، أن الثورة الاجتماعية تطاق قنابلها ومدافعها ورصاصها ورشاشها وتصرع أشلاءها وضحاياها فى الميدان فى غفلة من القواد الحكماء والضباط الاذكياء . فهى ثورة اجتماعية قاعدتها « الفوضى » وفتيلها الانحلال ...

وفى وسط هذه النار المندلعة أفلت الزمام من يد الآباء وأولياء الامور فبرزت غريزة « الشيطنة » فى المرأة واختفت غريزة « الملائكة » وساءت الحال

الطوارىء المفسدة

والطوارىء المفسدة التى تطرأ على حياة المرأة كثيرة متعددة النعوت والصلات . فقد تكون الأم أسوأ قدوة فلا تعف عن أن ترتكب جرائمها أمام بناتها فى سن الالتقاط والتلقين . فيأخذن عنها أحط الدروس ، وأحقر الاساليب ، وأقبح الوسائل وهى لا ترحم ! . . .

والجيران من الطوارىء المفسدة . فقد يؤدى الاتصال والاحتكاك والامتزاج الى نقل « العدوى » فتقلد المرأة المرأة وتستدرج المرأة المرأة وتعلم المرأة المرأة وتقود ، مع الاسف ، المرأة المرأة الى عرش « ابليس » لا إلى عروش الملائكة الابرار ! . . .

والشبان والرجال طوارىء من طوارىء الافساد على المرأة . المرأة قلب ضعيف واحساس ضعيف وعقل ضعيف ، من ناحية الاغراء والاجتذاب . قد تكون المرأة قوية من نواحى أخرى ،

ولكنها من هذه الناحية ضعيفة كل الضعف ، واهنة كل الوهن ، قابلة للاستسلام كل الاستسلام ...
كلمة « اعجاب » واحدة تلقى فى اذن المرأة ثم تتكرر تحدث أثرها . استغلال واحد « لغرور » المرأة ينتج نتيجته على كل حال . استثارة واحد « لذكريات » المرأة ينبه فيها حواس الخيال . اختلاط واحد بالمرأة فيه شيء من الكياسة الخبيثة واللباقة المغرية يمس غريزة الشر ويبعثها من قبرها على مر الليالى وكر الايام ...
فما بالك اذا استعانت هذه العناصر بوجه جميل أو مظهر نبيل أو كلام معسول أوظرف مقبول ؟!

طارىء آخر ...

يخيل الى – فيما عدا ذلك – أن المرأة تخبىء استعداداً أقوى من هذه الاستعدادات جميعاً عند ما يطرأ عليها طارىء حب الثأر وشهوة الانتقام . المرأة النبيلة المغرقة فى الاستقامة المندفعة فى احترام نفسها وذويها حين تثور لا تبقي ولا تذر : حين تكتشف أن « زوجها » قد غوى وهوى وانحرف ولمس كبرياءها بحب آخر ، فالويل كل الويل لها وللزوج ولذويها جميعاً . تنتابها حينئذ اعراض من اعراض الجنون المدمر المخرب المهدم . فتضل ولكن لا لمجرد الضلال وانما للثأر ! ... وتجاهد فى التدحرج والسقوط لا لمجرد التدحرج والسقوط وانما للانتقام ! !
ومن أغرب ما تبينته فى هذا الصدد من جمبة تجاربى فى هذه الحياة أن نوعاً غريباً من النساء ينتقم ويثأر وتأبى كرامته ، امعاناً فى الكبرياء وإيغالا فى الاعتداد بالنفس ، أن يعلن عن مظاهر ثأره وانتقامه . وهذا شذوذ عن قواعد الانتقام وخروج عن أصول الثأر ! .. هى تفعل ولا تعنى بالاعلان ، وتغيظ و « تكايد » ولا رغبة لها الا أن ترضى نفسها وكبرياءها والسلام ! !
ومن أغرب غرائب هذا النوع من مخلوقات الله أنه فى دائرة الخير أو الشر لا يتقيد بسن ولا بظروف . فقد تكون المرأة « ملاكا » فى سن الصبى والطيش والكفاءات الاغرائية والاجتذابية ، ثم تنقلب « شيطانا » فى سن اليأس وسن الوداع ! ...
ومع ذلك فلا تزال المرأة « سراً » ولا يزال أعلم العلماء بها أجهل الجهلاء ! ...
وانما سردت مشاهد وأوردت ملاحظات . ولولا وقار هذه المجلة وتقاليدها الرزين لأيدت كلامى بالوقائع وسندت نتائجى بالمقدمات ودعمتها بالمستندات . وقد افعل ذلك ولكن فى غير هذا المجال ! ...

فكري اباظه
المحامي

---

* الليل مملكة الجرذان والبوم والنساء

(مثل هندي)

أثر المرأة في تكوين الرجل

بقلم الاستاذ محمد مظهر سعيد

الكون عجيب. واعجب مافيه الحياة ومظاهرها وأسرارها. ألست تراها بسيطة فى مظهرها ملموسة محسوسة فى جوهرها. فاذا اجلت فيها نظرك وتأملتها الفيتها مركبة معقدة. يغيب كنهها عن ادراكك، ويعجز عن فهم دقائقها عقلك. ولعل أكثرها بساطة أكثرها تعقيداً وأقربها اليك أبعدها عنك. فما بالك بالمرأة لغز الحياة وسر البقاء. عاشرت الرجل منذ وجد. وستظل معه إلى ان ينقرض. ولكنه عرف كل ما فى الوجود ماعداها. وتحكم فى كل شيء سواها. وأحسن تقدير كل شيء الا قدرها بالنسبة اليه. ودرس أثر كل شيء فى حياته الا أثرها فيه

ولعلك لو سألت الناس جميعهم، على اختلاف اعمالهم وأعمارهم وتباين مشاربهم ومشاعرهم وتنوع ثقافاتهم وتعليمهم - ولا ابالى الى أى جنس ينتمون وفى أى عصر يعيشون - عن أثر المرأة فى تكوينهم، فلن تجد منهم جوابا يروى غلتك، ولا رداً يشفى علتك. وليهولنك ما ترى فى آرائهم من تضارب وتباين، وما تبصر من صور تجمع بين النقيضين وتخلط بين الضدين

المرأة في الحب

فهى للعاشق المتيم المتمتع بهواها، والشاب الموله الموفق لرضاها، قمره الذى ينير له دياجير الحياة، ونجمه الهادى للطريق السوى المستقيم، ومثله الاعلى الذى يدفعه للوصول إلى الكمال، والقوة التى تأخذ بيده نحو المجد. وهى للصب المنكوب بصدها وجفاها، والمتيم المحروم من عطفها ورضاها، النار التى تكوى فؤاده وتفتت كبده والقسوة التى لاترحم والجبروت الذى لايبقى، والخاطر الذى يسلبه العقل والرشاد والطيف الذى يحرمه لذيذ الرقاد

في الزواج

وهى للزوج الراضى بحياته القانع بحاله القرير العين بزوجه وأولاده، صديقة العمر وشريكة الحياة والمستشار الناصح الأمين وكاتم السر الذى لايفشى ولايخون وربة البيت التى تتعب فى سبيل راحته وتضيق على نفسها من أجل متعته، والزوج المخلصة التى لا ترهقه بطلب ولا تشغله بسبب، تصون عرضه، وتخفر ذمته وتفرط فى كل شيء إلا الشرف، والأم التى ترفى اولادها على خير ما يرضاه وتنشر فى بيتها جوا من الصفاء يسوده الحب والاطمئنان

ولكنها للزوج المتبرم بحياته المنغص فى عيشه، البطن الذى لا يمتلىء مهما جلب له من قوت، والجسم الذى لاينكسى مهما اشترى له من كساء، والعين التى لا ترى شيئاً غير عيوبه، والبوق

الذي يذيع اخبار الناس ، واليد التي لاتدخر قرشا ، والرقيب على كل حركاته ، والمتصرف في ماله والمستبد به وبعياله

هذا حكم الناس على المرأة افراداً وجماعات . ولو عرجت على الأدب والفنون والعلوم لما وجدتها أحسن حالا ولا أعدل حكما

في الادب

وهي في الأدب ليلى التي شغلت قيساً عن كل مافي العالم . وعبلة التي نفخت في عنترة روح الشجاعة والاقدام ، وغيرها في شخصها . والخيال الرائع والملاحة الفتانة والأمل المنشود في معناها . ومن غير المرأة خلع عليها الشعراء كل مافي الطبيعة من حسن وجمال ؟ ألا ترى «النرجس في عينيها والورد في خدها والعناب في أناملها والبرد في اسنانها واللؤلؤ في دموعها ؟ أليست رقة النسيم من لطفها وجمال البدر من حسنها وصفاء الماء من نفسها وحلاوة الأمل من طبعها ؟ ومن غيرها يوقظ في «رامي» عواطفه وخياله ويبعث فيه ميت آماله والهوى الذي لم يكن يخطر بباله ؟ ومن غيرها يجعل الشاعر يرضى من نعمى الحياة وطيبها بشقاوته في الحب واسترساله فيه ؟ »

في الفن

وهي في الفن منبع الوحي والالهام ومصدر التفنن والابتكار . يصورها الفنان بأصباغ روحه الذائبة وينحتها المثال بعضلات قلبه ويلبسها ثوب خياله الرائع ويعكس على مرآتها صور آماله الحلوة . فتصبح آية الجمال التي تتعطش لها نفسه في صورة الجوكوندا والملاحة التي تشبع مزاجه وتغذي ذوقه في تمثال فينيس . ونغمات الحب التي تهمس في اذنه فتصل الى اعماق قلبه في لانوسكا وتاييس . هذا اذا كانت مجرد فكرة تنبت في رأسه وخيالا يسرح في عقله . ولكنها اليد التي تعبث بأصباغه والمعول الذي يهدم تماثيله والصوت الناشز الذي يفسد عليه موسيقاه . والفوضى التي لايرى في جوانبها شيئاً من الأنسجام . ان كانت له زوجاً ولأولاده أما

في التاريخ

وتراها في التاريخ تتربع في دست الحكم وتغير مجراه وتسجل اعمالها في سفر الخلود ثم تهبط الى الدرك الأسفل فتبيع بلادها وتذل امتها من أجل شهواتها ومتعتها . فهي كاترين العظيمة التي قبضت بيديها الصغيرتين على أرض روسيا فخلقت منها امبراطورية متحدة أضاعها قيصر يستبد بالناس وهو ضعيف . واليزابث انجلترا الداهية التي وطدت أكبر عرش عرفه التاريخ . وجان دارك التي حملت سيفها وهي فتاة ولم تضعه حتى جلت الأعداء عن البلاد . فما عرف الناس لها فضلا ولا شكروا لها فعلا . وهي الخنساء التي دان لها الشعراء في عكاظ . وعائشة الحيراء التي أخذ

الناس عنها نصف دينهم . والزباء التى دفعت الرومان عن بلادها على كثرة عددهم وقوة عددهم . ولكنها كذلك القيصرة الضعيفة التى دانت لراسبوتين فعجلت بالخراب . وكرستينا التى أجلت جيوشها الظافرة عن أوربا تحت ستار الدعوة للسلام لترضى عشاقها السفراء . ولوكريشيا بورجيا التى كانت تخفى الخنجر فى صدرها لتدفنه فى صدر عشاقها . وأم هملت التى قتلت زوجها لتتزوج أخاه . وزوج ما كبث تحرضه على الفتك بمليكه

فى القرن العشرين

ثم انظر اليها فى القرن العشرين وقد حطمت الاغلال التى وضعها الرجل فى عنقها آلاف السنين . وزاحمته بالمناكب ووقفت معه على قدم المساواة . وتتبع أثرها فيما يحدث كل يوم من تطورات . ألست تراها عنصراً قوياً تغامر بنفسها فى تيار السياسة وتدير دفة الانتخابات . وتجلس على منصة القضاء وتحاضر من كرسى الجامعة وتخطب من مقاعد البرلمان . وتربى النشء فى المدارس وتنقل الجرحى فى ميادين القتال وتخترق السحاب على متن الريح . وتوجد النشاط المدخر فى النصف العاطل من الانسانية . وترفع مستوى جنسها وتزيد من قدره بين الرجال . ولكنها كذلك بعدت عن طبيعتها فلا هى انثى بقيت ولا رجلا استحالت . وهجرت بيتها الى عملها أو لهوها . وتركت أولادها فى رعاية خدمها . وصارت لا تعنى بما عليها من واجبات لزوجها وأهلها . وهاجمت المصنع والمتجر والمعمل تعرض جهودها بالأجر القليل من غير ضرورة . وتنافس الرجل فى رزقه وقوت عياله . وماذا يكون المآل لو استمرت المرأة على هذه الحال . وانقلبت منافسا خطيراً للرجل وقد كانت له فيما مضى أحسن رفيق وأكبر معين ؟!

طبيعة المرأة

ثم ابحث فى طبيعتها ونشأتها وتطوراتها وتكوينها . وحلل نفسيتها وادرس عقليتها . ألا ترى علوم الانسان والحياة والتشريح ووظائف الاعضاء والنفس والاجتماع . كلها تعطيك لها صورة مزدوجة تجمع بين الضعف والقوة . فهى أصغر بدناً وأدق عظاماً وأصغر مخاً وأقل عقلا ممن يساويها من الرجال . سطحية التفكير لاقبل لها على التعمق فيه . سريعة الحكم قبل استيفاء عناصر البحث . تسود مشاعرها على حكمها وتطغى عواطفها على منطقها . واكثر تهيباً من المخاطر واقداماً على الصعاب . ولكنها مع ذلك أدق احساساً وأرق مشاعر . واكثر احتمالا للشدائد . سريعة التنفيذ ولو للرأى الفطير . حتى لتفوت الفرصة على الرجل بترويه . سريعة التقليد لما يضر وما يفيد . ولولا شدة اندفاعها لقعد بالناس الجمود . ولولا سرعة تقلبها لقضى على الناس الملل

المرأة في الشرائع

ومالنا وللناس وفنونهم وآدابهم وعلومهم وأحوالهم . وهذه الديانات والشرائع تصورها بصورتين وتصدر فيها حكمين . فهي في الاولى لباس الرجل وهو لباسها خلقت من ضلعه فكانت قطعة منه . عليه ماعليها وله مالها . يسكن اليها ويطلب الجنة تحت اقدامها. وهي في الثانية ناقصة العقل والدين . لا تخرج عن وصاية الرجل ولا تفلح بغير رعايته . هو عليها قوام وهي له مطيعة . بل هي حواء أم البشر . سبب البلوى والشقاء . بخطيئتها قضى على بنيه بالشقاء في الأرض

تنوع الشخصيات

ولكنا مع هذا نستطيع أن نؤلف من هذه العناصر المتنافرة صورة منسجمة ونستخلص من الآراء المتضاربة قاعدة واحدة عامة . ونجد في علم النفس مايضيء الموقف وينير الطريق

فالمرأة والرجل على اختلاف تكوينهما في الطبع والعقل والمزاج والشخصية ، وتباين الظروف التي تجمعهما من أبوة وأمومة وحب وصداقة وزواج واختلاط ، هما - ككل المؤثرات التي تجمعها في نظام الوجود ظروف واحدة - كائنان يؤثر كل منهما في الآخر ويتأثر به . والأمر لا يعدو مجرد التفاعل بين شخصين . وعلى قدر ما يكون بينهما من فارق في القوة والنزعة والاتجاه وتنافر في الطبع أو تقارب وانسجام ، يكون الأثر الذي نريد أن نقدره

المرأة الضعيفة

فان كانت المرأة أضعف شخصية من الرجل اندمجت فيه واعتمدت عليه . فصار هو السيد الآمر الناهي ، وهي الجارية المطيعة . يحجزها في عقر داره ويحيطها بسياج من تقاليده ، فتعيش رهن اشارته وطوع بنانه ، تنطق بوحيه وتعمل بارشاده ، وينتهي بها الأمر الى أن تصبح قعيدة لا رأى ترى ولا نصيحة تسدى . ليس لها في حياتها تصرف ولا لها على شئونها سلطان . كالآلة يسيرها كيف يشاء حتى في أكلها ولباسها تأكل مايناسبه وتلبس ما يوافقه أو يوافق عليه. ثم هي تدين له بالفضل اذا أحسن المثوى وتكتم الهم في النفس وتصبر على البلوى صبر المستسلم القانع اذا أساء واستبد . فأى أثر يكون لمخلوقة مسلوبة الارادة مكسورة الجناح ضعيفة الحيلة في اصلاح حال الرجل اذا اعوج ، ورده الى صوابه اذا أخطأ ، واقالته من عثرته اذا زل ؟ وأى خير يرجى منها لبنيها وبلادها ؟ أليست علة الشرق وسبب انحطاطه ، هي هذه المرأة . بل هي الدمية التي يلعب بها الرجل كما يشاء . يقصيها في وقت جده ويتسلى بها في لهوه . حتى صار الشرقي يسير متثاقلا يحمل نصفه العاطل على كتفه . فلا أرضاً يقطع ولا ظهراً يبقى

المرأة القوية

وان كانت شخصيتها أقوى من شخصية الرجل انعكست الآية . فصار الرأى رأيها والفعل فعلها . تدبر بيتها كما تشاء وتربى أولادها كما تهوى . عليه أن يكد ويسعى ويعود لها بما يكسبه من مال . وعليها أن تدبر الشؤون فتدخر ما تدخر أو تنفق ما تنفق من غير رقيب . وتراه فى عمله الشخصية المجهولة والهمة القاعدة والرضى بالضيم . وفى بيته مراقب الاطفال ومنفذ الأوامر وجاسوس الخدم ، له أن يوافق وليس له أن يعترض . أما البدع والتقاليد والشبكة فى الخطبة والعوالم فى الدخلة والزار عند المرض والبيض فى شم النسيم والكحل فى العيد ، فهى كلها امور مرعية وعادات مقدسة . فان لم يعجبه الحال فلينزو فى أحد الاركان وليقترض عند الضرورة . وقد تنكر الواقع ونستدل بالازواج الذين صلحت حالهم واستقرت امورهم بعد زواجهم بالمرأة القوية التى قبضت عليهم بيد من حديد . وقد تراهم جد قانعين وبحياتهم السلبية راضين ، فاذا بك تصدمك الثورة التى تحدث بعد أن يفيض القدر بما فيه ، والرجل الذى يضيق ذرعاً فيهجر البيت ومن يأويه ، والابن الذى ربته أمه ففسد وعق والديه ، والعلاقة الزوجية الفاترة

المرأة المساوية للرجل

اما اذا تعادلت الشخصيتان وتراجحت الكفتان ، انتظم الحال وساد السلام واستطاعت المرأة أن تأخذ بيد الرجل فى رفق وهوادة . تلطف من حدته فى غير تعنيف . وترسم له الطريق من غير املاء . تأخذ مما عنده فتشكر وتعرف الجميل ، وتعطيه مما عندها فلا تمتن ، تستشيره فى أمرها ويسترشد بها فى اموره ، فيعرف كيف تدير البيت ، وتعرف هى كيف حاله فى العمل . فهما يدان متصافحتان وقلبان متحدان لا تستبد إحداهما بالاخرى ولا تحاول أن تخضعها لارادتها . بينهما شعرة معاوية اذا أرختها المرأة شدها الرجل فاذا شدتها أرخاها . فكأنه يتأثر باثرين ويعمل بقوتين ويفكر بعقلين ، لاشىء يكبته فى نفسه ولا سر يخفيه . فاذا اندمجت الشخصيتان كانت منهما شخصية جديدة قوية ، تحتفظ بلونيها ، وتستبقى عنصريها ، فلا تتلاشى الثانية فى الاولى ولا تطغى الاولى على الثانية . وهنا منتهى السعادة للعائلة والرقى للجماعة . جعل الله منا لزوجاتنا أصلح الازواج ولهن فينا أحسن الاثر

محمد مظهر سعيد

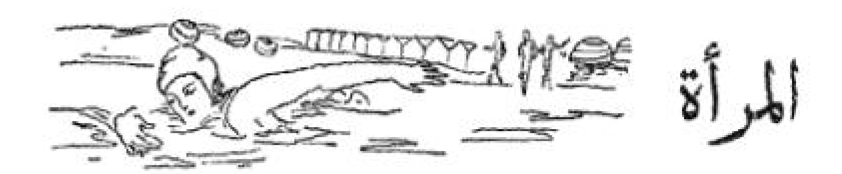
أستاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية أصول الدين

---

* لا أعتقد انه فى الامكان اقامة مساواة تامة بين الرجل والمرأة ، والا فانه يجب علينا أن نقوض المجتمع من أركانه

(الرئيس ماساريك)

المرأة



في الشطوط وأحواض السباحة

بقلم الامير مصطفى الشهابي

حامات البحر واحدة سواء في شطوط مصر أم في شطوط الشام . وقد وصف العلامة الامير مصطفى الشهابي في هـذا المقال ما يشاهده المرء فيها ، وبين ان العري واختلاط الجنسين ظاهرة اجتماعية خطرة وان الاضرار الخلقية والاجتماعية في هذه الظاهرة تفوق الفوائد الرياضية . وصاغ هذا المقال في قصة ـ أبطالها ثلاثة أصدقاء ـ على لسان امرىء القيس وعمر ابن أبي ربيعة والمعري تحاشيا من ذكر الاحياء اصحاب هذه القصة

رحم الله امرأ القيس الملك الضليل ، فما وقع نظري على غدير في نهر أو حمام في شط بحر أو حوض لعوم في فندق كبير إلا تذكرت البيت الآتي في معلقته المشهورة وهو :

ألا رب يوم صالح لك منهما ولا سيما يوم بدارة جلجل[1]

فدارة جلجل هذه غدير يقولون إن امرأ القيس أخفى شخصه بقربه ، وهو عليم بانه سيمر بعض النساء به وفيهن ابنة عم له يهواها ، وأنه لا بد لهن أن يتبردن فيه ، فكان الامر كما قدره . فلما نزعن ثيابهن ودخلن الغدير جاء امرؤ القيس فأخذ ثيابهن وقال : لا تأخذ امرأة منكن ثيابها حتى تخرج كما هي . فناشدنه الله وطلبن اليه ان يقلع عن رأيه فأبى حتى طال يومهن فجعلن يخرجن واحدة واحدة . . .

قلت رحم الله امرأ القيس فانه لو عاش في أيامنا هذه لوجد بدلا من دارة جلجل دارات لا عداد لها ، ولألفى أن قصته معهن أهون من ان تذكر في قصيدة فريدة تعلق بأستار الكعبة . وهو لو رأى نسوة مستنقعات في الماء لما احتاج فى اخراجهن منه الى كبير عناء . وهن لو رأينه برنو اليهن لما قعدن في الماء الى حلوقهن ، بل ربما خرجن فالتففن عليه في دائرة يجعلنه محورها ، ورحن يرقصن ويدرن حوله ويغنين و يصفقن ساخرات من استحيائه هازئات

---

(١) ورد الشطر الاول من هذا البيت على وجه آخر . وهو شيء معروف

بمغازلته . وربما جررنه أو دفعنه الى الغدير فغمسنه فى الماء وتغامسن فيه إيهاماً له بأن كلا منهن تريد اغراق رفيقتها . وأنى لهن ذلك وجميعهن عوامات سباحات لهن بالعوم حذق ومهارة حتى كأنهن منحدرات من صلب نبتون إله البحر العظيم ؟ !

وقد يجول في خلد الملك الضليل أن يتحدث الى احداهن ، فيشير اليها فتفتل وجهها عن صواحبها وتقبل اليه فتذكره فتلتها ببيت بشار في ارجوزته الدالية المعلومة :

صدّت بخد وجلَتْ عن خدِ ثم انثنتْ كالنفَس المرتدِّ

لكنه لا يكاد يفتح فاه ويبعث اليها مع الهواء ببعض الفاظ عربية صريحة حتى يرى النسوة يتضاحكن من فصاحته ويتهامسن بانه « متفلسف » جديد ، ثم يجبنه معاً بخليط هجين من العامية والفرنجية ، فيبهت صاحبنا ويفرك عينيه ويحدق اليهن ليعلم هل هن عربيات خوالص أم قينات رواقص ممن كن في الايام السالفة صهب الشعور زرق العيون ضوارب بالمزهر يجوز لهن أن يلحن فى رأى القائل فى كلامهن : « وخير الكلام ما كان لحنا » . . .

ويلتفت امرؤ القيس يتلمس مكانه من هذه البيئة العجيبة فتقع عينه على أصناف من الناس من ذكور واناث قد تفرقوا على الشط اشتاتاً ولهم سحنات تحتاج في تصنيفها الى احد علماء الانسان ، وفي حديثهم رطانة تضطرك الى ترجمان . وكلهم عراة إلا في الاقل من اوساطهم . ويخص شاعرنا الكبير النساء بنظراته ظاناً ان عينه ستقع منهن على اجمل من نسوة دارة جلجل . فاذا به يرى تعاجيب من تراكيب الأجسام الانسانية . فهذه سمينة ضخمة ربلاء لها ردف رجراج ، وبطن متهدل مندلق ، وعنق كعنق الثور ، وساق لا فرق بين علوها وسفلها . وهي اذا وقعت عليك غيبتك في رمل الشط لا محالة . . وثانية على العكس من الاولى نحيلة هزيلة كالفتيلة او كخيط القنب اوكرجل الجراد . برزت كرفيقتها عريانة (حاشا وسطها وثدييها) لتريك محاسن العظام الناتئة ، ولتثبت لك ان قفص الصدر لا يحتاج الى عضل يكسوه أو لحم يعلوه . . . وثالثة اوفت على السبعين فتجعد خدها وابيض شعرها وانبهر جسمها ، تمشي على الرمل مشياً وئيداً وتبتل بالماء قليلا ثم تندثر على عجل خشية البرد وكأنها بذلك سترفع عن عاتقها وطأة السبعين الثقيلة

ويحول شاعرنا العربي نظره الى الرجال المستحمين فاذا لمعظمهم اجسام ساء تركيبها وقبح تقطيعها . ولو عقل أصحابها لستروها عن الناس بلحف منضدة ، لان ناظرها يود بقطع العنق لو جماوه فى حرز من رؤية هذه القدود البشعة . وبينا هو يتبرم من موقفه هذا يحين منه

التفاتة فيرى عمر بن أبي ربيعة المخزومي يختال مترنحاً فيناديه : ويحك يا ابا الخطاب ، لقد عهدتك زير الجميلات وتبع الفاتنات من النساء فأين أنت منهن ، وماذا أتى بك الى شطوط البحر وأحواض السباحة ، في زمن اختلط به الحابل بالنابل ، وتعرى به اقبح الناس منظراً حتى ود المرء ألا يستحم إلا في داره أو أن يعود الى غدير دارة جلجل ؟! فيضحك الشاعر الغزل من بلادة الملك الضليل ويخاله مازحاً ثم يستيقن انه جاد في كلامه . فيأخذ عندئذ بيده ويطوفه على فواتن الغادات المستلقيات تحت الدوحات [1] الملونة وهن يعبثن بالرمال و يتنادرن ويتمازحن ثم يقفزن الى الماء فيتناثر حبابه ويعج بهن عجيجاً ، وتستقبلهن الامواج برفق ، وتصفق لهن ، وتحتك ببشرتهن الناعمة فتزيدهن اقداماً على العوم فيندفعن مذرعات باليدين ضاربات بالرجلين ملتويات تلوي الاسماك في مسابحها

ويجلس الصديقان تحت احدى الدوحات وينادي عمر : « يا غلام هات التي هي يوم الحشر أوزار » فيشربان ويسكران وهما يستعرضان الجميلات ويفاضلان بينهن في جميع نواحي اجسامهن الفتانة ، حتى اذا اقبل الليل ولعبت برءوسهما الخمر غادرا الشط وهما يتقارضان الشعر في محاسن العرى ، وقد نسي الاول ابنة عمه عنيزة ونسي الثاني هنداً وأسماء وزينب وسائر من أفنى عمره في التشبيب بهن . ولا يبتعدان عن الشط قليلا حتى يفاجئهما شيخ المعرة وهو يتلمس طريقه ، فيدنوا منه فيعرفهما من صوتهما ، ويدرك على الفور أنهما ثملان قد برحت بهما خمرة الشط وفتنتهما محاسن المستحمات في البحر . فما ابتدراه بالسلام حتى صرخ فيهما قائلا: « لعنكما الله من كافرين فاجرين . لست والله أدري أيكما أفسق من صاحبه . فقد ألهاكما الشط والعرى والتهتك والخمر عن الاسرة وواجباتها ، والبيت وصفاته ، وحديث المرأة العذب وصلاحها وتأدبها وحيائها وخفرها . ثم أسمعكما بعد هذا تتحدثان في النوادى العامة عن السعادة الزوجية وعن الاخلاق الفاضلة وعن القواعد الاجتماعية وعن الواجبات الوطنية . أعلى مثل اللواتي سلبن منكما العقل والدين يقوم بناء الاسرة الكريمة ؟ أم الى أمثالهن من الطائشات يعهد الناس بتربية الاطفال الذين سيكونون يوماً رجال المستقبل ؟ نقلد الغرب ونسبقه في السفيل المضر من عاداته ونعجز عن مجاراته في أدنى الامور التي ساد بها العالم طراً . وهلا كان لنا بدلا من النساء السابحات على مقربة من الشط سفائن يمخرن عباب البحر مخرا ؟ وأي حياة لشعب تخنث شبابه وتهتكت شاباته وانغمس الجميع في لذائذ الجسم وشهواته ؟ ولو اقتصر الامر على الشباب

(١) الدوحة : المظلة العظيمة . ومن المعلوم انها تطلق ايضا على الشجرة العظيمة

لالتمسنا له من طيشه شيئاً من الاعذار الواهية . فكيف وقد سرى الداء الى أمثالكما من الكهول الذين ينبغى لهم أن يجدوا فى عظائم الشؤون وأن يردعوا الناس عن أدواء الغرب الفتاكة مما لا تحتمله أجسام الشعوب الضعيفة ؟ ! »

وما سكت أبو العلاء إلا بعد أن انسل الشاعران وتركاه يتكلم وحده . وقد تأثر أحدهما بعظته فذكر أيامه الماضية وعمره المضاع فعول على التوبة وأخذ يردد بيتي أُحَيْحَة بن الجلاح وهما:

لتبكني قينة ومزهرها ولتبكني قهوة وشاربها
ولتبكني عصبة اذا اجتمعت لم يعلم الناس ما عواقبها

أما الثاني فانه لم ير في بقية العمر مجالا للتوبة فراح يبتسم ويقول : « إذا بلغ المرء الاربعين ولم يتب مسح الشيطان على وجهه وقال : بأبي وجه من لا يفلح ابدا » . . .

دمشق مصطفى الشهابي

أغلى من الحلى

كانت كورنيليا من نساء روما الشهيرات بوطنيتهن الصحيحة . وقد ولدت اثنى عشر ابناً وبنتاً ولكنهم ماتوا ماعدا اثنين منهم ، هما تيبيروس وكايوس المعروفان باسم « جراك » وقتل الاثنان في الحروب والثورات ، وهما يدافعان عن الشعب الذى كان يحبهما الى حد العبادة

وحدث مرة أن زارت كورنيليا سيدة رومانية غنية وجعلت تباهي امامها بحليها وجواهرها ثم طلبت اليها أن تريها أحسن ماعندها من هذا القبيل

فنادت كورنيليا ولديها وقالت للزائرة :

— هذان أغلى ماعندى من حلى وجواهر !

المرأة والفنان[1]

بقلم الدكتور بشر فارس

عنصران يتجاذبان ويتدافعان فى آن . يصيب كلاهما عند الآخر أجل صفاته خطراً فيميل اليه ميل الذين تسايرت أهواؤهم ، ثم يصيب عنده مايمس كيانه بأذى فينبو عنه نبوة الذين تعارضت أغراضهم

تعرف المرأة فى الفنان لطف احساسها وفيض خيالها ، ويعرفهما الفنان فى المرأة . ومتى خبر كل منهما الرجال عدل عنهم الى صاحبه

ان المرأة ما تنفك تصيح فى وجوه الرجال : ان جبلتنا — معشر النساء — أعلى من جبلتكم ثم إن فى ثنايا أنفسنا ما لا يدور فى اذهانكم ولا يسبق الى أوهامكم . واذا اتفقنا لمحة اختلفنا ساعات . والله انا نتخيل السعادة إذ لانظفر بها على أيديكم . وأما احساسنا فانكم تعبثون به وتعدونه ضعفا ولو علمتم انه نور الحياة ! . ثم ان الفنان مايبرح يقول فى نفسه : ان هؤلاء الرجال لمن طينة مرذولة . انما همهم جمع المال وطلب المعالى وقضاء أوطار ساقطة . فأين هم منى ، وكيف لى أن أخالطهم ، وانى لهم أن يعرفونى المعرفة كلها ؟ وهاهم أولاء يلهون بى ويرمونني بالجنون أو الحمق ، ولو علموا انى الرجل الذى يستخف بهم ويفضلهم !

هكذا ينحرف الفنان والمرأة جميعا عن الرجال ، غيرة على احساسهما وابقاء على خيالهما ، ثم ينصرف كلاهما الى الآخر من طريق هذا الخيال وذلك الاحساس ، مطمئنا الى أنه وجد من يقدره حق قدره ويستطيع أن يسبر دخيلة نفسه فيتحد به . وشأنهما فى ذلك شأن الجداول التى تنساب فى الصعيد ، هيهات أن تستقر فى سهل حتى ينجاب بعضها الى بعض

إلا أن هنالك ماينفر المرأة من الفنان ، والفنان من المرأة . وقصة ذلك أن كلا منهما يؤثر نفسه على جميع الخلق : أما المرأة فمثلها كمثل الطفل ، إذ تعد نفسها قبلة الحيـاة ، فان دار العالم فهى مركزه ، وان صعد فهى سلمه ، وان وقف فهى محركه ، وان تاه فهى نجمه . ثم انهـا من نطفة مصفاة طاهرة . ثم انها المسئولة عن تهذيب الرجال باخراجهم من جانب المادة الى جانب الروح ، ثم انها سر الكون وجوهره من حيث انها مبعث الحب ومسعره ، فان عقدت آمال الانسانية على أحد فانما عليها تعقد !

كل هذه النظرات النسوية (وغيرها كثير) تدفع المرأة الى الاعتزاز بنفسها ، فترعاها رعاية

---

(١) استعملت لفظة « الفنان » لدورانها على اقلامنا لهذا العهد ، والعرب تقول « المفن »

الزاوع لحقله وتسهر عليها سهر النهم على جوفه . بل انها ترغب الى الناس أن يعنوا بها . فان لابست رجلا طالبته سراً أو علانية بتعهدها ، ولربما حملته على أن يقف حياته عليها ، بيد أن إثرة المرأة هيهات أن ترتوى ، فهي كالمحيط الذى تصب فيه الانهار والتلاع ولا يشرق بها

أما الفنان الحق فاثرته من لون آخر . إذ لا شبه بينها وبين اثرة المرأة المختالة التى تضرب من حولها هالة من نور قدسى ، ولا بين اثرة الفاسق الفتاك الذى يقصر همه على شهواته ونزواته ، ولا بين اثرة الشيخ الهرم الذى يتشبث بأرداف الحياة

ان الفنان يحيا فى سبيل شىء واحد : فنه . وأكبر دليل على هذا أن الرجل صاحب تأمل وتخيل. وانما الـكسل نتيجة تلك الحياة . إلا اننا نرى الفنان يدأب ويجد . والذى يحضه على أن يغلب طبيعته صوت يوسوس فى صدره : أن اعلم انك صاحب رسالة

والفنان يجرى كل شىء الى الفن ، كالنار تصير كل ما تحرقه رماداً . فان مزح الفنان أو حزن ، وإن أحب أو أبغض ، وان رأى أو سمع . فانما يبتغى من وراء محساته ومدركاته مدداً لفنه . وأقبح من ذلك أن الفنان « يستغل » المرأة إذ يجعلها المعراج الذى به ينتهى الى قمة فنه

وهيهات أن تخفى إثرة الفنان على المرأة . فاذا بها تنصرف عنه سليقة ، تعصبا لاثرتها واستمساكا بنفسيتها . ثم هيهات أن تغيب اثرة المرأة عن الفنان ، فاذا به ينثنى عنها بصيرة ، خشية على فنه

على انك رأيت ان المرأة تنجذب الى الفنان كما ينجذب النبات الى النور ، وان الفنان لا سبيل له عن المرأة كما أن الحياة لا سبيل لها عن الماء . وشأن هذين العنصرين فى تجاذبهما وتدافعهما فى آن كشأن العامل ورب العمل : بكليهما حاجة الى الآخر على نفور منه

ولعل أحداً من الناس يقول : ان المرأة التى عنيتها بل وصفتها صنف من صنوف النساء . وأى شىء يضطر الفنان الى أن يلقى بنفسه بين مخالبها . فاعلم أن هنالك امرأة لا تعرف إلا الايثار ، وخير أنموذج لتلك المرأة ، المرأة الشرقية ، ويحك ألا ترى كيف تبذل نفسها فى سبيل رجلها بل سيدها وصاحب أمرها ؟

مهلا أيها المعترض ! ان المرأة التى تدلنى عليها لا تملك للفنان نفعا . ان انقياد المرأة واستكانتها لا يجلبان للرجل إلا الراحة ، والفنان عدو الراحة لان فى انبساط نفسه سأمه وفى اضطرابها هزته . ثم إنه لا حاجة بالفنان الى عكاز يثبت قدمه . بل به حاجة الى مصباح ينير طريقه الوعر . وانما العكاز لمن يسير الهوينى والمصباح لمن يثب ويسعى . هذا أعد للنفس التواقة ، وذلك للنفس القاعدة

بالله ما نصيب الفنان من امرأة لا تنظر الا من طرفه ولا تسمع الا من أذنه ، حتى إنها لتميل ميله وتفنى حياتها فى حياته ؟ هل يشعر الفنان — اذن — أن فى جنبه أحداً وان حواليه روحا وأن بين يديه زنداً يستخرج منه النار ؟

أن الفن يتطلب العاطفة المتقدة لا العاطفة الخامدة ، السيل العنيف لا النهر الساجى

ان المرأة التى تصلح للفنان امرأة تعرف ـ بادىء بدء ـ ما الفن وتقدر قدره. ثم تعرف اى رجل يطلب الفن ويقوى على ممارسته . ثم هي التى لا تقيم للمال وزنا ، فلا تسأل الرجل أن يضرب من أفق الى أفق ابتغاء الاثراء . ثم هى التى تتطلع الى ما وراء عيشة اللهو أو عيشة الدار ، لان الفنان يعبر اللهو عبوراً ويكره الحياة المطمئنة حياة الاسرة . ثم هى التى تحتفظ بنفسيتها لتهبها للفنان فى سبيل فنه . ثم هى التى تنشر فى الفنان نشاطها كالحطب يرفع النار من حين الى حين

أين أين هذه المرأة ؟ لعلها فى طيات عالم الخيال ! . . انها بين أيدينا . انها تلك المرأة التى تميل إلى الفنان وتنبو عنه فى آن ، انها تلك التى تؤثر نفسها على جميع الخلق

وبيان ذلك ان المرأة التى تقدر نفسها فوق قدرها فتجعلها قبلة الحياة ومركز العالم هي التى تستطيع أن تجل الفنان وتسعى فى سبيل الفن ، لانها تفطن إلى جلال المعنويات . ولولا أنها تفطن اليه ما أكبرت نفسها وما التمست لها العزة والرفعة مستندة فى ذلك إلى أنها مبعث الروحانيات فى العالم ومدارها . ولكنك رأيت هذه المرأة تنقلب عن الفنان حرصاً على نفسيتها وغيرة على إثرتها . فهذى المشكلة تعود فى شكل آخر ! إلا أنها مشكلة لا تعصى على الحل . ذلك أن المرأة الذهابة بنفسها المستمسكة بنفسيتها ، المتعصبة لاثرتها إنما تكون كذلك عن غرور

فلعمرك ان صفيت حب امرأة لرجل من الرجال سقط بين يديك حبها لنفسها . والسبب فى ذلك ان المرأة انما تحب فى الرجل تملقه لها أو عنايته بها أو تودده اليها . فبارقة قلبها لمن يحلف ليموتن من أجلها ، وسرعة استسلامها لمن يخر عند قدميها ، وميل أذنها الى من يصفها الوصف الجميل . ان المرأة تحس ـ فى هذه الاحوال ـ أنها صاحبة سلطان عظيم على ضعفها المعهود ، فيطمئن غرورها . وأما الفنان الحق الذى يحط المرأة دون فنه ، فمن أى باب يرضى غرورها ؟

الا أن هذا الغرور وان كان مصدر إثرة المرأة لحقيق بأن يكون مبعث ايثارها . كالداء الذى يصرع نفسه من طريق المصل . والطريق هنا أن يصرف الغرور من جانب الى جانب . حقا ان المرأة متى لابست الفنان اتفق لها أن ترضى غرورها الى ما لا غاية وراءه . والسبيل الى هذا أن ترجع المرأة نبوغ الفنان وفلاحه الى غايتها ومعاونتها له وسهرها على عمله وهدم اثرتها من أجله

إن غرور المرأة ناهض على عزتها بنفسها وفخرها بها وغيرتها عليها . وأى شىء يهيىء لها كل هذا كثل علمها بأنها مصدر وحى ومنبت حزم ومرجع تفوق ؟ أليس مثلها ـ اذن ـ كمثل العلم الذى يطير قلب الجندى ويشد من عزيمته ليصير به الى النصر ؟ بشر فارس

تَتَنَقَّلُونَ لمُنْتَدَى مِنْ قَهْوَةٍ ونساؤكُمْ في الف بِابٍ مُغْلَقٍ

باحثة البادية

هو الحب

قال لنا: كونا، فكنا

بقلم الاستاذ ميخائيل نعيمه

أوغست رودين – جبار من جبابرة الفن وكاهن من كهنة الجمال المعدودين. كان جبران(١) قد رأى الكثير من آثاره الفنية في باريس. وكان كلما وقف أمام تمثاله لفكتور هيغو أو «المفكر» أو «القبلة» تسحره المقدرة التي جعلت من البرونز البارد والحجر القاسي عضلات تتفجر بقوة الحياة وتشع بالعواطف الشعرية وتتأجج بالافكار الثائرة. اما امام صورته الكبيرة «بوابة الجحيم» فقد وقف غير مرة يدرس دقائق معانيها وتفاصيل ألوانها وتركيبها، بادئاً برسم دانتي في أعلاها ومنحدراً الى الوجوه والاجسام الكثيرة التي تمثل سكان الجحيم وما يعانونه من أنواع الآلام والاوجاع الابدية

اتفق مرة لجبران أن زار رودين في محترفه مع نفر من أساتذة البوزار وتلاميذها، فقضوا بزيارته نحو ساعة خالها جبران دقيقة، لانه أخذ بهيبة الرجل وعظمته وبساطته واستقلاله وبما رآه حواليه من رسوم ملونة، وسوداء وبيضاء، وتماثيل من جفصين وحجر وخشب بين كبيرة وصغيرة، ومنها شكل يد بشرية مضخمة قد انفرجت أصابعها الممدودة بعضها عن بعض وانحنت نحو راحة الكف بدرجات مختلفة، فبانت وكأن في كل عقدة من عقدها قدرة الارض والسماء، وكأن في تقاطيعها من الحس ادقه، ومن الذوق أصدقه وأرقه، حتى لا يصعب على من يتأمل كل معانيها أن يتخيلها تنبض على الطين فتجبل منه بشراً ومردة وكل أشكال الحياة المنظورة. وقد عرف جبران أن رودين صنع تلك اليد واسماها «يد الله» فقال في نفسه: «أهو الله خالق الانسان أم الانسان الله؟ ليس من خالق إلا الخيال. وأظهر مجالي الخيال الفن. – الفن. الفن! هو الحياة والحياة هو. وكل شيء يهون في سبيله. لا مجد إلا منه، ولا جمال إلا فيه. هـذه هي العظمة، أن تكون كرودين ممجداً مكرماً حيثما كان للفن أثر – من بطرسبرج الى سدنى، أوستراليا، ومن طوكيو إلى نيويورك،

(١) هذا الفصل من كتاب للاستاذ ميخائيل نعيمه باسم «جبران خليل جبران – حياته. موته. أدبه. فنه» وسيصدر قريباً

وأن يذكر اسمك باجلال كما ذكر الفن ، وأن يأتيك الناس من المشارق والمغارب ليتبركوا ببعض مابارکتك به الحياة من المواهب »

طرح التلاميذ على رودين أسئلة كثيرة لهاعلاقة بالفن ، كان يجيب على كل منها ببساطة ووضوح مضمناً بعض أجوبته خلاصة فلسفته فى الحياة والفن . وكان بين الآونة والاخرى يتوفق إلى كلمة أو عبارة أو تشبيه تمر بأذهان سامعيه مرور شهاب فى الظلمة . وجره سؤال من الأسئلة التى طرحت عليه إلى التحدث عن وليم بلايك الفنان والشاعر الانكليزى الغريب (١٧٥٧ — ١٨٢٧) فاخبر سامعيه شيئاً عن حياة الرجل وكيف تعانقت فى روحه إلهة التصوير مع إلهة الشعر . فكان شاعراً ممتازاً فى فنه وفناناً ممتازاً فى شعره . وكيف أنه كان يرى مالايراه الناس ويشعر بمالا يشعر به الناس إذكان يرى رؤى ويسكن بخياله عوالم غير عالمنا الارضى . فيترجم رؤاه ومشاهد عوالمه المحجوبة عن أعين الناس ، تارة برسوم تفتن الناظر بسحر ما فيها من أسرار واتساق ودقة ، وطوراً باناشيد شعرية ونثرية كان يقرأها الناس ولا يفهمون منها شيئاً فيقولون إن فى عقل صاحبها مساً . والحقيقة هى أن بلايك لم يكن مجنوناً ، بل عاقلا بين مجانين . ومصيبته لم تكن إلا فى أنه حاول أن يجعل أوضاع اللغة الصلبة مرنة مثل الفن . وأن يؤدى بالكلام المقيد بالمنطق رسوماً وعوامل نفسية تتعدى المنطق . فكان كما تقدم فى السن وكلما تكاثرت وتنوعت رؤاه ونبوآته ، ازداد فنه جمالا ووضوحا ولغته تعقداً وغموضاً . ففى الرسوم التى وضعها لسفر أيوب ابداع من الطراز الاول . أما فى مؤلفاته الاخيرة فتشويش لغوى لا يلام قارئها إذا دعا كاتبها مجنونا

انصرف جبران من عند رودين وقد نسى رودين وامتلأ دماغه وخياله وكل وجدانه بشخص واحد : وليم بلايك . وذهب تواً الى بائع كتب أميركى كان قد اهتدى اليه من قبل . وا كثر ما يبيعه كتب قديمة مستعملة . وهناك حظى بنسخة من تأليف عن وليم بلايك وفيه تفاصيل حياته ونماذج مختلفة من شعره ونثره وفنه . فابتاعها فى الحال وما صدق ان وصل الى حديقة اللوكسنبرج حتى جلس على مقعد وأخذ يلتهم الكتاب الذى بيده التهام جائع لرغيف من الخبز

قضى جبران نحو ساعتين ناسياً كل مافى الكون إلا نفسه ووليم بلايك ، وهاتفاً فى أعماق قلبه : « سبحان ربى الذى قادنى اليوم الى رودين ليقودنى رودين الى بلايك . حقاً ان الامور مرهونة بأوقاتها ، فلا يحدث شىء إلا عند ما تقضى الحاجة بحدوثه . كنت أظننى غريبا فى الارض . واليوم جاءنى بلايك ليؤنس غربتى . كنت أظننى تائها . وها بلايك يسير أمامى . ترى ما هى القرابة التى تجمعنا ؟ ألعل روحه عادت الى الارض وارتدت جسدى ثوبا ؟ ما كان أجمل حياته واهنأها ! هو لم يعرف من النساء غير زوجته . وكم كان سعيداً برفقتها — تفهمه ويفهمها . وأنا . . . آه لو كان لى مثل زوجته . غير زوجته . وما بالى أتأوه وعندى مارى ؟ بلى . مارى . مارى . سأتخذها زوجة لى

وان تكن أسن منى بعشر سنين ، وان لم يكن بيننا تجاذب جسدى كالذى بينى وبين ميشلين . فيكفى أن يكون بيننا تجاذب روحى . وسأحيا معها حياة زوجية بحتة . وسأكون سعيداً عندما يقول الناس فى ما قالوه فى بلايك : « هو مجنون » . الجنون فى الفن ابداع . وفى الشعر حكمة . والجنون بالله أقصى درجات العبادة »

بدأ الليل يحتل باريس وبدأت باريس ترشقه بنبالها الكهربائية عندما عاد جبران الى غرفته وتحت ابطه ــ وفى رأسه وقلبه ــ وليم بلايك ، وفى يده كيس من الورق تعانق فيه رغيف من الخبز مع أوقية من نقانق الخنزير . وعند مادخل غرفته وجد على الطاولة رسالة مختومة ، تفحص الخط على غلافها فلم يعرفه . ففضها واذا بها عربية من فتاة لبنانية ماسبق له قط ان سمع حتى باسمها . وهي تتقدم اليه برسالتها لتبين له بعبارتها البسيطة كبير اعجابها به وعظيم امتنانها له ولتشكر له باسمها وباسم الفتاة الشرقية اجمالا جهوده فى سبيل المرأة . فقد قرأت « مرتا البانية » و « السيدة وردة » وقرأت كل ما توصلت اليه من كتاباته فغدت تتشوق الى لمس اليد التى خطتها والى التعرف « بالروح السماوية » التى املتها . وها هى الآن فى باريس . فهل يثقل على صاحب « الارواح المتمردة » و « عرائس المروج » ان يخصص لها ولو بضع دقائق من وقته السمين لزيارته ؟

وضع جبران الرسالة من يده وهو يشعر ان غبطة ناعمة تمشت فى دمه من سطورها البسيطة وأن العظمة التى ينشدها قد بدت طلائعها . ثم أخذ يسأل نفسه : « ترى من هذه الفتاة ؟ أحب قديم يخاطبنى بلهجة جديدة ؟ أخيط من خيوط حياتى يلتقطه الآن مكوك القدر من جديد ليتابع النسيج الذى أدعوه « أنا » ؟ أجميلة هى ؟ أغنية ؟ هاقد بدأت أكون مثالا يستنير به الناس من بعيد . فعلى ان أجعل نوره صافياً . على أن أكون كما يتمثلنى الناس نقيا طاهراً شفافا شغوفا محبا للاصلاح صبوراً على الالم مترفعا عن الدنايا . نجنى يارب من نفسى . اغسلنى يا رب من اقذارى . اصهرنى يارب فى مصهر حقك »

وكلمعة الحباحب فى الليل مرت فى ذاكرته كلمات أمه : « وقانا الله ساعة التجربة » وبينا هو فى ذلك اذ سمع طرقة على الباب . واذا به الحاجب أتى ليخبره بان سيدة جاءت تسأل عنه بعد الظهر وإذ لم تجده قالت إنها تعود فى المساء ولم تعطه اسمها . وبعد ان انصرف الحاجب ندم جبران لانه لم يساله أن يصف له الزائرة المجهولة . وقال لعلها الفتاة التى كتبت الرسالة . ثم أخذ كتاب بلايك والكيس وجاء بزجاجة من النبيذ الابيض وجلس الى الطاولة يمضغ بلايك بعينيه وروحه . بينا أسنانه تمضغ الخبز ونقانق الخنزير . وزجاجة النبيذ تساعدها فى ذلك . فكان فى قلبه عرس وفى معدته وليمة

ما كاد جبران ياتى على آخر لقمة من عشائه حتى طرق الباب ثانية فهب اليه وفتحه وجد

مكانه مشدوها وكأن رجليه قد سمرتا بالارض . وبعد فترة من السكون والدهشة صاح بأعلى صوته : « ميشلين ! » وجذب السيدة الواقفة بالباب الى صدره ، وضمها اليـه ، وغيب وجهه فى ثنايا ثوبها فوق نهديها . فطوقت عنقه بذراعيها ، والقت رأسها على كتفه ، وبقيا كذلك دقائق وهو لا يسمع إلا دقات قلبها ، وتمتمة شفتيها : « خليل . خليل ! » وهى لا تشعر إلا بمرور أنفاسه السريعة الملتهبة ، ولا تسمع إلا اسمها محمولا بخفة على لهيب تلك الانفاس : « ميشلين . ميشلين ! »

ــ لقد أمرتنى فاطعت ــ ناديتنى من وراء المحيط فلبيت . فأنت ، كما ترى ، لا تزال صاحب سلطان على يا خليل

ــ هو الحب يا ميشلين ، هو الحب يأمر فنطيع وينهى فنذعن . هو السلطان ونحن الرعية . من يعص الحب يعص الله . إذ لا اله إلاه . دعينى الآن ادفىء روحى بشعاع عينيك الجميلتين ، وارشف الحق من شفتيك القرمزيتين ، والمس الحياة فى يديك الناعمتين . دعينى أسمع قلبى نابضاً فى قلبك ، وارى أنفاسى راقصة مع أنفاسك . لقد كنت كلما مرت السعادة ببابى قلت : هـذا خيالها . وكلما سمعت وقع قدميها فى بيتى قلت : هـذه جارية من جواريها . أما اليوم فأسمعها ترفرف وتزقزق فى قلبى . اليوم قد هبطت على مع أشعة الشمس ودخلت غرفتى مع النسيم . اليوم قد حملتنى فى موكب من نور . اليوم أحلف يمينا صادقة أننى أسعد الناس . ميشلين . ميشلين ! أفى حلم نحن أم فى يقظة ؟ اليوم اهتديت الى أخت لروحى ستكون أختا لروحك أيضا . روح غريبة عجيبة . روح متفردة بين الارواح . روح شاعر وفنان أنكليزى مات منذ تسعين سنة واسمه وليم بلايك . سأقرأ لك حياته يا ميشلين ، وما أجملها من حياة ! وستبصرين فى الحال أن الحياة انتدبتك لتكونى لخليل رفيقة ومعينة مثلما كانت كاترين لبلايك . وسأريك بعض رسومه واقرأ لك شيئا من شعره . وستحبينه مثلما أحببته . ميشلين . ميشلين ! ما أكرم الله ! ما أجمل الحياة ! هذا يوم كامل . هذا من أيام القدر . وما أجملك يا ميشلين ! هاتى خبرينى عن كل شىء . متى تركت بوسطن ، ومتى وصلت باريس . وكيف عزمت على المجىء دون أن تعلمينى يا شريرة ؟ سنجعل هذه الغرفة الصغيرة بيتنا . وهى ، على ضيقها ، ستكون رحبة . فحيثما كان الحب كانت المسكونة بيتا له . أين أمتعتك ؟

ــ فى النزل

ــ وأى نزل ؟ لنذهب فى الحال ونأت بها إلى هنا

ــ لا ضرورة إلى ذلك الآن يا خليل

ــ وماذا تعنين ؟ اتكونين فى باريس ويكون لك بيت غير هذا البيت ؟

ــ ليكن قلبك بيتاً لقلبى ، ولا يهمنى حينئذ أين أنام ، وماذا آكل واشرب

ــ حيثما يكون قلبى هناك يكون قلبك أيضاً . ومثلما آكل وأشرب تأكلين وتشربين . الفراش

الذي أفترشه تفترشين . وباللحاف الذى التحف تلتحفين

ــ آ ، خليل ، خليل ! أنا قانعة بأن أ كون الحصير تحت رجليك ، والغبار على حذاءيك . دعنى أخدمك فاغسل ثيابك ، واكنس غرفتك ، وأعد قهوتك ، واطبخ لك غذاءك وعشاءك . ولكن . . . لا تسلنى ان أكون . . . أن اكون ــ حظيتك

ــ هذا تجديف يامشلين ــ تجديف على الحب والحياة . ما جمعه الله حذار من أن يفرقه انسان. والله هو الحب . هو الحب يربط ويحل . هو الحب شد روحينا وجسدينا منذ الازل برباط واحد . هو الحب قال لنا كونا فكنا . حيثما جمع الحب قلبين لن تفرقهما كل قوى الانس والجن . وقلبان لم يربطهما الحب لن تربطهما تعاويذ الف كاهن والف قسيس وتمتمة الف قاض . حظية ــ حظية ! رب حظية مخلصة كانت اشرف فى عين الحياة من الف زوجة قدست رباطها شرائع الارض وقررته شرائع السماء . الحب لا يعرف الا نفسه ،و لا يدين بدين غير دين نفسه ، ولا يتقيد بشرع غير شرع نفسه . وشرع الحب هو الحرية . كل مافى الارض يحيا بناموس طبيعته ومن طبيعة ناموسه يستمد مجد الحرية وافراحها . اما البشر فحرومون هذه النعمة،لانهم وضعوا لارواحهم الالهية شريعة عالمية محدودة ،وسنوا لاجسادهم ونفوسهم قانوناً واحداً قاسيا ، وأقاموا لميولهم وعواطفهم سجنا ضيقا مخيفا ، وحفروا لقلوبهم وعقولهم قبراً عميقا مظلما . فاذا ماقام واحد من بينهم وانفرد عن جامعتهم وشرائعهم قالوا : هـذا متمرد شرير خليق بالنفى ، وساقط دنس يستحق الموت . وأنا متمرد يامشلين ، وسأبقى متمرداً كل حياتى . وكيف لا أتمرد على الناس وقد انزلوا الكاهن منزلة الله ؟ أم كيف أخضع لشرائعهم الفاسدة وقد أخضعوا ناموس الحب والحياة لناموس البطن واللذة واللياقة ؟ أنا شاعر وفنان يا ميشلين . والشعر والفن مالم يسرحا فى فضاء فسيح طليق ماتا بداء السل . ومن ثم ــ وانت تعلمين ذلك يامشلين ــ فانا أدرس هنا على نفقة البعض من اقربائى واصحابى فلو رضيت أن أتقيد بشرائع الناس وأن اتخذك زوجة برضى السلطة الدينية والمدنية ــ كأن رضى الله لايكفى ــ لما تمكنت من ذلك . اذ لو درى اقربائى واصحابى بالامر لقطعوا عنى معونتهم

ــ بل قل : لو درت هى بالامر

ــ ميشلين ، ياشريرة . لا تقاطعينى

ــ ولو درى ــ لنقل اقرباؤك واصحابك ــ بانك تسا كن امرأة ليست زوجتك . افما كانوا يقطعون عنك معونتهم ؟

ــ لا . لا . يستحيل أن يدروا . فهم فى بلاد ونحن فى بلاد

ــ والحياة التى تؤمن أنت بها ياخليل ، وتقول ان لها عينا تبصر كل شيء ، واذناً تعى كل شيء ــ اهى كذلك فى بلاد ونحن فى بلاد ؟ ويسوعك الذى قال : « ليس خفى الا يظهر » ــ اهو كذلك

فى بلاد ونحن فى بلاد ؟ ورفيق روحك الجديد ـ وليم بلايك ـ الذى كان شاعراً وفنانا وكان ، مع ذلك ، زوجا صالحا وأمينا ـ هو فى بلاد ونحن فى بلاد ؟ بل قل أنت فى بلاد ياخليل وميشلين فى بلاد . انت خلقت للشعر والفن وأنت تعتقد الشعر والفن من الدماء . وأنا ـ كما قلت لى مرة ـ من التراب وللتراب . وقد كنت أظن فى بساطة قلبى أن التراب الذى ينبت القمح المغذى والزنبقة الطاهرة والوردة الجميلة يصلح كذلك تربة للشعر والفن . فما كان اجهلنى ! ما كان اغبانى ! ما كان أشد عماى !

ووثبت ميشلين إلى الباب شاهقة بدموعها وانحدرت عن الدرج بسرعة لم تر معها الدرجات ولا عرفت أين كانت تقع قدمها ولا إلى أين كانت تقودها . أما جبران فظل فى مكانه ، وقد امتقع لونه وجحظت عيناه ، وهرب قلبه من صدره ، واختلطت عليه مشاعره وأفكاره . ثم أحس برجفة فى أعصابه وبضعف فى رجليه وبسيل من الدموع يحاصر مقلتيه . فارتمى على فراشه وأخذ وسادته بين ذراعيه وضمها إلى صدره وراح يرويها بدموعه . وصوت فى داخله يقول : «هى النهاية . هى النهاية . لقد نحرت حبك على مذبح شهوتك ياجبران . أنت مصاب بداء الكلام ياجبران . ولأنك تخجل من كل مافيك من ضعف بشرى تعكف عليه فتستره بحلة من الكلام الجميل والالوان البهجة . والكلام الجميل لا يرفع الشناعة إلى مستوى الجمال . والالوان البهجة لا تصبغ الضعف قوة . وقولك ان الحب هو الله لا يجعل الشهوة الجسدية الها ولا اللذة الحيوانية ناموس الحياة» فيجيبه صوت آخر : « سترجع . سترجع . لقد فعلت مثل هذا قبل اليوم ورجعت . سترجع »

لكن ميشلين لم ترجع

ميخائيل نعيمه

ابتسامة . . .

تَسحرُ الناظرين منها ابتسامه كفَمِ الزهرِ ناضِياً اكمامه

صاغها الله من طهارة نفسٍ وعفافٍ وفتنةٍ وكرامه

طاهر الطناحي

الجواري في القصور الملكية
فى الشرق والغرب

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

حديث الجوارى فى القصور الملكية حديث فياض شائق ، والجوارى هن الرقيق من النساء . ولم يبق للرق اليوم أثر فى العالم المتمدن . ولكنه لبث طوال العصور الوسطى عنصراً هاماً من عناصر المجتمع . ويرجع الرق الى أقدم العصور حيث كان المجتمع ينقسم الى أحرار وأرقاء ، وكانت الحرب أهم وأخصب مصادره . فكان استرقاق الاسرى من العدو أهم مظاهر الظفر . ولم يعرف الاسلام غير نوع واحد من الرق هو الاسر فى الحرب . وليس هنا مقام التحدث عن أحكام الرق فى الشرق أو الغرب ، ولكنا نقول فقط ان أحكام الاسلام كانت أخف وطأة وأكثر انسانية من غيرها ، وان حال الرقيق فى المجتمعات الاسلامية كانت أفضل منها فى الغرب ، ولا سيما قبل ان تسود فيه النصرانية وتعاون بنفوذها على تحسين حال الرقيق

وقد ذاع الرقيق فى المجتمع الاسلامى منذ عصر الفتح الاول . وكان أسرى الفتوح ذكوراً واناثاً من أهم عناصر الغنيمة . ومنذ القرن الاول للهجرة كان العرب قد افتتحوا فارس ثم الشام ومصر وشمالى أفريقية وأسبانيا وغيرها من أقطار الدولة الرومانية ، وغمر المجتمع الاسلامى بالسبايا ، وغصت قصور الخلفاء والكبراء بالجوارى والفتية الحسان من أبناء البلاد المفتوحة ، ومنهم احيانا ابناء الملوك والامراء . ومنذ أواخر الدولة الاموية نرى الجوارى يتبوأن فى قصور الخلفاء مكانة هامة ، ويتركن أثراً ظاهراً فى الحياة الاجتماعية داخل البلاط وخارجه . ولما كانت أحكام الاسلام تجيز معاشرة الجوارى (او السرارى) الى جانب الزوجة او الزوجات الشرعيات دون قيد ولا شرط ، فقد كان الجوارى دائما عنصرا هاما فى حريم الخلفاء والامراء والكبراء . وكان الخليفة الى جانب زوجه الشرعية يحتفظ دائما فى قصره بعدد كبير من الجوارى الحسان اللائى يخترن من بين السبايا أو يشترين بالمال . ويقمن فى أجنحة خاصة بهن ، وتجرى عليهن النفقة الواسعة ، ويعشن فى بذخ وترف . وقد تستأثر احداهن احيانا بعطف الخليفة وحبه ، فتغدو حظيته المختارة ، ويفضلها على سائر ازواجه وجواريه . وأحياناً يرزق الخليفة من حظيته ولداً او اكثر فتغدو « ام ولد »

ونجد منذ الدولة الاموية ، وهى اشد الدول الاسلامية عروبة واحتفاظا بنقاء النسل، بعض الخلفاء ينحدرون من نسل الجوارى مثل يزيد بن الوليد بن عبد الملك . فقد كانت امه جارية فارسية من السبايا ، وقيل انها ابنة يزدجرد ملك الفرس . ونجد فى الدولة العباسية ثبتاً حافلا

من خلفاء عظام ولدوا من الجوارى . وأولهم المنصور ثانى خلفاء بنى العباس . فقد كانت امه جارية تدعى سلامة . وكان للخليفة المهدى عدة جوار شهيرات ، مثل رحيم التى رزق منها العباسة ، والخيزران ام ولديه موسى الهادى وهرون الرشيد اعظم خلفاء الدولة العباسية . وكانت ام المأمون جارية تدعى مراجل . وكان المعتصم بالله . والواثق . والمستعين . والراضى . والمستكفى . وغيرهم من خلفاء بنى العباس جيعاً من ابناء الجوارى . ونجد بين خلفاء الاندلس عدة من نسل الجوارى مثل عبد الرحمن الناصر اعظم خلفاء الاندلس ، فقد كانت امه جارية اسبانية نصرانية تدعى ماريا . وكذلك هشام المؤيد بالله فقد كانت امه صبح الشهيرة (اورور) وهى جارية نصرانية بشكنسية (نافارية) لبثت زهاء عشرين عاما تسيطر بنفوذها على حكومة قرطبة . وكانت اعتماد جارية المعتمد بن عباد وام اولاده المعروفة بالرميكية من اشهر نساء الاندلس واسطعهن خلالا . وفى مصر الاسلامية وصلت احدى الجوارى الى تبوؤ الملك . تلك هى شجرة الدر الشهيرة ، وهى الملكة الوحيدة التى تولت الملك بمفردها فى تاريخ الاسلام كله

ونستطيع مما تقدم ان نقدر مدى ما انتهى اليه مركز الجوارى فى قصور الخلفاء والسلاطين من الاهمية والنفوذ . ولم يكن ذلك النفوذ سياسياً فقط بل كان اجتماعيا ايضا . وكان يتعدى القصر الى المجتمع الخارجى . فقد كان اولئك الجوارى يحشدن من مختلف الامم ولا سيما الامم النصرانية المجاورة ، مثل الدولة البزنطية وأرمينية وبلاد البلقان وروسيا (او بلاد الصقالبة) وثغور الادرياتيك وجزائر البحر الأبيض واسبانيا ثم الامم الفرنجية القاصية . ويؤتى بهن أيضاً من الهند وتركستان والحبشة . وكان للجوارى من الاجناس الممتازة التى كانت تتمتع يومئذ بحضارة رفيعة كالروميات والايطاليات والهنديات ، أثر عظيم فى بعض نواحى الحياة الاجتماعية الأسلامية . فقد كان منهن دائما أعظم الموسيقيات والمغنيات والراقصات اللائى كن يملأن قصور الأمراء والكبراء برفيع فنونهن وينقلن الى نساء الحرم كثيرا من خلال مجتمعهن وفنونه وأذواقه وأزيائه ، ويؤثرن بذلك فى تطور الجمال والخلال والفنون . هذا الى ما كان لهن من أثر عظيم فى سلالة المجتمع الاسلامى الرفيع « الارستقراطية » . فقد كان كثير من الامراء والكبراء كما رأيت من أبناء الجوارى الحسان ، بنات الشمال ذوات الشقرة الباهرة والعيون الزرقاء

وتملأ أخبار الجوارى النابهات فراغاً كبيراً فى الادب العربى . وتستطيع أن تقرأ فى العقد الفريد والاغانى وغيرهما من كتب الأدب فصولا وشذوراً فياضة عن الجوارى اللائى نبغن فى الشعر والموسيقى والغناء . وفى كثير من قصص « الف ليلة وليلة » العربية او التى تحدثك عن دمشق وبغداد وعصر الخلفاء ، كثير مما يلقى الضياء على مبلغ ما انتهى اليه الجوارى من رياسة فى الفنون الجميلة ، ومن تأثير فى ذلك الجانب من الحياة الاجتماعية الاسلامية . ويورد ابن بطوطة فى رحلته نبذا شائقة عن جوارى القصور ولا سيما قصور الهند . ويقص علينا كيف أنه رأى فى

بلاط دهلى مئات الجوارى من بنات أمراء الهند غير المسلمين يرقصن ويغنين بين يدى السلطان أيام الاحتفالات الكبرى ، ثم يهبهن السلطان بعد ذلك لأقاربه وأصدقائه

هذا وقد كان للجوارى اثر عظيم فى سياسة القصور الاسلامية . ونستطيع أن نتصور ما كان يترتب على نفوذ جارية هى أم خليفة أو قرينة خليفة - وقد كن كثيرات كما قدمنا - من الأثر فى تدبير الشؤون العامة . نعم إن هذا النفوذ قلما ينتهى الى حد التأثير فى المبادىء الجوهرية لسياسة الخلافة . ولكنا نستطيع أن نلاحظ أنه كان يشمل كثيراً من التفاصيل الهامة. ويؤثر فى أحيان كثيرة فى سير السلام أو الحرب. وثمة ناحية أخرى كان للجوارى فيها أثر قوى. ذلك هو ميدان التجسس . ففى أحيان كثيرة كان يعهد الى بعض الجوارى البارعات فى الحسن أن يقمن بأعمال التجسس فى القصور الملكية . وكانت قصور بغداد والقاهرة وقسطنطينية كثيراً ما تلجأ الى هذه الوسيلة للوقوف على ما تريد معرفته من أنباء القصور الخصيمة ومشاريعها

وقد ذاعت تجارة الرقيق فى العصور الوسطى ذيوعاً عظيماً . وكانت ثغور البحر الابيض المتوسط وجزائره أعظم مراكز لهذه التجارة . وكان الرقيق من اسرى الحرب أو الغزوات الناهبة يحمل آلافاً مؤلفة الى ثغور مصر والشام فيحمله التجار الى اقاصى الامم الاسلامية فى افريقا وآسيا . وكان اقطاب هذه التجارة الممقوتة يبذلون عناية خاصة لتعليم الجوارى الحسان وتثقيفهن فى مختلف الفنون ، واعدادهن للخدمة الرفيعة فى قصور الأمراء والكبراء . وفى معظم الاحيان يؤتى بالفتيات الحسان صغيرات من مختلف الامم الفرنجية ويلقن مبادىء الاسلام والعربية ، ويتبغن أحياناً فى الأدب والشعر ، ويحملن الى عواصم المشرق حيث يبعن بأثمان فادحة . وترى فى أخبار النابهات من الجوارى والقيان أن منهن من بلغ ثمنها الالوف وان الخلفاء والأمراء كانوا يبذلون الأموال الطائلة فى اقتناء الجوارى البارعات فى الحسن وفى الخلال

هذه لمحة من أخبار الجوارى وأحوالهن فى قصور المشرق . أما فى الغرب فلم يبلغ شأن الرقيق هذا المدى من الأهمية والانتشار ، ولم تبلغ الجوارى مثل هذه المكانة فى القصور . ذلك أن الرق لم يزدهر فى العصر القديم فى الغرب ، إلا عند اليونان والرومان ، ثم الامم البربرية التى اقتسمت تراث رومة واقتبست نظمها وشرائعها كالوندال والقوط والفرنج . وفى عصر الامبراطورية الرومانية كانت قصور القياصرة والكبراء تغص بالرقيق من الجنسين . وكان الجوارى الحسان يقمن فى القصر بنفس الدور المريب . فمنهن الحظايا والراقصات والمغنيات ، بيد أنهن لم يبلغن من الوجهة الاجتماعية فى القصور الرومانية أو الفرنجية مابلغنه فى قصور المشرق ، بل كن يعتبرن دائماً جنساً منحطاً مريباً ، ويعاملن فى الغالب باحتقار وخشونة . وقلما يعتبرن موضع الثقة ، أو يسمح لهن بمزاولة النفوذ . ومنذ القرن التاسع ، أيام الفرنج ، غدا الرق من الانظمة المكروهة وخفت وطأته نوعاً . وبقى ذائعاً بين القبائل الجرمانية التى ما زالت تسودها

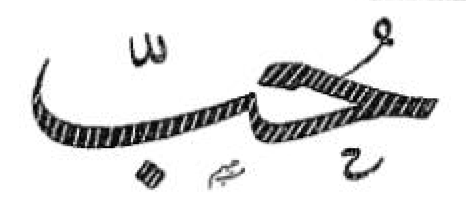
الوثنية والبداوة . فلما انتشرت النصرانية بين الامم الجرمانية على يد الفرنج خفت وطأة الرق وحسنت أحوال الرقيق . وتطور الرق بعد ذلك الى نظام للخدمة المنزلية والزراعية . وفى الدولة البيزنطية لم يكن الرق نظاماً مشروعاً من الوجهة الدينية . ولكنه كان موجوداً من الوجهة الفعلية بصور مخففة . وكان الجالس على عرش قسطنطينية كثيراً ما يهدى الى الخليفة أو السلطان عدداً من الجوارى الحسان حين تصفو العلائق بينهما . ويرد الخليفة أو السلطان الهدية بمثلها . وكان الشأن كذلك فى الدول الايطالية ، لا يعترف بالرق فيها كنظام مشروع ، وان كان البنادقة والجنويون لبثوا مدى عصور من أنشط تجار الرقيق ووسطائه

ويلاحظ أن النصرانية لم تجز تعدد الزوجات ولا التسرى ، ومن ثم كان اقتناء الجوارى لغير أغراض الخدمة المنزلية أمراً محرماً من الوجهة الدينية . ولهذا لانجد ما نقوله عن مركز الجوارى فى قصور الغرب سوى ما تقدم من الاشارات الموجزة

ولا نكاد نسمع منذ القرن الحادى عشر بتجارة الرقيق فى الغرب . ولكنها استمرت بعد ذلك فى الشرق قروناً أخرى وازدهرت ايام الحروب الصليبية على يد البنادقة والجنويين . وكان معظم الجوارى الحسان يؤتى بهن فى تلك العصور من بلاد الصقالبة (السلافيين) والمجر ومن بعض القبائل التركية البدوية فى القوقاز وتركستان ، ثم يحملن تباعا الى ثغور الشام ومصر والمغرب . وفى القرنين السابع عشر والثامن عشر نشطت تجارة الرقيق مرة أخرى من جراء الحملات البحرية الناهبة التى كان ينظمها خوارج البحر المغاربة على جزائر البحر الأبيض وثغور النصرانية . واستمر الرق نظاماً مشروعاً فى أمم المشرق حتى أوائل القرن التاسع عشر . فلما اضمحلت الأمم الاسلامية وأخذت أوربا تغزوها بنفوذها ، اجتمعت الدول الاوربية على مقاومة الرق والغائه . وبدأت انكلترا بذلك فالغى الرق بقانون برلمانى فى سنة ١٨٢٤ واعتبر جريمة يعاقب عليها بالموت . وحذت باقى الدول الأوربية حذو انكلترا واصدرت قوانين مماثلة . وانتهت الدولة العلية بالموافقة على هذه الخطوة ، وألغى الرق رسمياً فى أراضيها . ولكنه استمر بعد ذلك مدى حين حتى أواخر القرن الماضى. وكان الجوارى السلافيات والتركيات يمثلن الى هذا العهد فى حريم الامراء الشرقيين . ويقص علينا الاستاذ أحمد شفيق باشا فى مذكراته (ص٩٠) أن المغفور له الخديو اسماعيل ترك فى قصوره حين تخليه عن العرش عدداً كبيراً من الجوارى الشركسيات ، وان ولاة الأمر لبثوا مدى حين يعملون للتخلص من هؤلاء الجوارى بتزويجهن بموظفى القصر والمتصلين به وترتيب النفقات لهن . ولا يزال يعيش بيننا كثيرون من أبناء هؤلاء الجوارى . وناهيك بما كان فى قصور السلاطين العثمانيين من اسراب الجوارى الحسان من الشركسيات والارمنيات والتركمانيات وغيرهن الى أواخر القرن الماضى

محمد عبد الله عنان

فلسفة الازياء في حرفين :



بقلم الاستاذ نقولا الحداد

البحث فى فلسفة الازياء يستلزم البحث فى فلسفة اللبس الذى تتقلب عليه الأزياء فصلا بعد فصل . ومن نظرة عميقة بعض العمق فى اشكال الملابس عموماً نفهم ان اللبس أوسع معنى مما يفهم منه الجمهور . الجمهور يفهم أن الملابس لستر الجسم حشمة واتقاء للبرد والحر . والحقيقة انه يشتمل على شيئين مختلفين معنى وشكلا وغاية : أولا الكساء الذى يحجب معظم أعضاء البدن . ثانياً ملحقاته غير الضرورية التى يراد بها الزينة « والتكسيم » الذى يظهر به جمال الاعضاء

واذا تعمقنا قليلا فيما يراد باللبس يتراءى لنا ان الملابس ترمى إلى ثلاثة أغراض : أولا الدفء . ثانياً الحشمة . ثالثاً الزينة . فلننظر هل نشأ اللبس حقيقة لهذه الاغراض ؟ أو هل هي اقتضته ؟

هل كان البرد السبب الاول للاكتساء ؟

كان الانسان الاول عارياً . ولا يزال الناس المتأخرون الذين ما فتئوا يعيشون على الفطرة عراة . لذلك يلوح للمفكر انهم لم يحتاجوا الى الرداء لان طقس اقليمهم حار . ولكن فريقاً منهم فى بلاد باردة وهم عراة ، لا يزالون عراة لانهم تعودوا احتمال الطقس البارد فما شعروا بحاجة إلى كساء يقيهم البرد . فهؤلاء جعلت البيئة الباردة جلودهم صفيقة تمنع تسرب الحرارة من جهاز دورتهم الدموية بحيث لا تهبط عن الدرجة الطبيعية

ومن الأدلة على أن الانسان يحتمل البرد الى حد حتى فى المناطق المعتدلة والقريبة من المنطقة الباردة ، ان فئة من أهل الغرب فى هذا العصر ذهبوا الى أن الحياة القريبة الى الفطرة أفضل صحياً واجتماعياً . فاكتفوا بلباس أبيض لا لباس آخر تحته ولا فوقه ، وتعودوه حتى فى فصل الشتاء . وزعموا أن الاعتياد عليه يمنح الجسم مناعة ضد البرد وضد النزلات الصدرية وغيرها من الامراض

ومعلوم ان الانسان الاول نشأ فى المناطق الحارة الاستوائية . ثم قضى عامل الزحام على قبائله أن تهاجر رويداً الى الاقاليم المعتدلة ثم الى الاقاليم الباردة . فاضطرت فى البلاد الشديدة البرد أن تدثر بالجلود والفراء اتقاء للبرد لانها غير مكسوة البشرة بالشعر والصوف كسائر الحيوانات

فيستفاد مما تقدم أن اللباس لم ينشأ من حاجة الانسان اليه لاتقاء البرد الا فى الاقاليم الشديدة

البرودة ؛ والقاطنون فى المناطق الحارة يقاسون عناء من الا كتساء ويتمنون لو يعفون منه . وماصار الناس المتمدنون يتألمون من البرد الا لانهم تعودوا الكساء فصار ضربة لازب لهم بحكم العادة

هل الحشمة كانت سبباً لنشوء الكساء ؟

اذ لم يكن الدفء السبب الحقيقى لنشوء الكساء ، فهل كانت الحشمة سبب نشوئه ؟ وما هى الحشمة ؟ وما الغرض منها ؟

لاح فى بال كاتب سفر التكوين انه لما صار آدم (الانسان الاول) يعرف الخير والشر شعر بوجوب الحشمة فخاط مئزراً من ورق التين وستر به عورته . فبحسب رواية التوراة هذه نعلم ان الاقدمين كانوا يعنون بالحشمة ستر العورة . ولكن لماذا هذه الحشمة ! أو ماهو منشؤها ونحن نعلم أن الانسان نشأ عارياً ؟ سنرى

ليست الحشمة غريزة فى الانسان وانما هى مزية دخيلة على طبائعه ، بل هى تقليد من جملة التقاليد التى يتوارثها . ولذلك هى تختلف باختلاف القبائل والامم والشعوب وباختلاف الامكنة والازمنة — كانت المرأة الشرقية حتى فى عصرنا الحالى تخجل اذ ينكشف النقاب عن وجهها وتحسب ظهور وجهها للعيان معرة . ولكنها لاتخجل إذا رؤيت قدماها حتى أسفل ساقيها ، فى حين أن المرأة الصينية لا تحجب وجهها وانما تستر قدميها الصغيرتين تصغيراً مصطنعاً لان كشفهما حتى ذكرهما بالحديث يعد تهتكاً معيباً

وفى سومطرا طائفة تدعى « السلب » تعيب على المرأة ظهور ثنية الركبة . وفى وسط آسيا قبائل تعيب ظهور أطراف الانامل . وفى سومطرا يعد ظهور سرة البطن عيبا قبيحاً جداً . وفى تاهيتى وطونجا لا بأس من خلع اللباس والتعرى على شرط أن يكون البدن مزيناً بالوشم ! . وعند قبائل الكريب فى أفريقا لاحرج فى أن تخرج المرأة من كوخها من غير مئزرها الذى هو كساؤها الوحيد . وانما عار عليها أن تخرج غير مطلية البدن بالطلاء المزخرف . وفى ألاسكا عار عظيم على المرأة أن تخرج من كوخها ولاسطام (سدادة) بين شفتيها

وفى اليابان يستحم الرجال مع النساء فى البحر عراة ولا حرج . وفى بعض بلاد الغرب لا يستحسن استحمام الجنسين حتى ولو كانا فى لباس البحر . ولكن لايستهجن قط أن تظهر الراقصة فى المسرح عارية أو شبه عارية ماعدا محشمها . وأغرب من هذا أن بعض العادات محظورة فى حين ومباحة فى حين آخر كالديكولته (عرى الذراعين والصدر)

كشف عورة الزوجة السودانية فى أعالى السودان عيب . واما كشف عورة الفتاة فلا . ظهور صدر المرأة المتمدنة حتى الديكولته ليس عيباً ولكن ظهور صدر الرجل عيب . لبس المرأة البنطلون

مستقبح جداً ، وهو زى الرجل المتمدن . الراقصة لا تستحى ان تظهر على المسرح نصف عارية ولكنها تخجل أن تسير فى الشوارع كما تظهر على المسرح

إذن الحشمة ليست غريزة فى الانسان بل هى تقليد اجتماعى لا تحـديد له ، يختلف باختلاف الزمان والمكان . وإذا كانت هكذا فلا يمكن أن يكون الغرض منها ردع النعرة الجنسية واخماد الحب ، وان أريد بها هذا وحيثما أريد كانت النتيجة العكس لان ستر أى عضو فى الجسم يثير الشوق إلى رؤيته . لاتثورشهوة الزنوج العراة برؤية بعضهم عورات بعض أكثرمما تثور شهوة المدنى فى الرقص المزدوج . واذن مانسميه حشمة لم يكن سبباً لنشوء اللبس البتة . بل بالعكس الحشمة نشأت من اللبس بعد نشوئه وتطوره . لانه بعد ان الف الانسان الكساء الذى يغطى القسم الاكبر من أعضاء الجسم صار كشف أى عضو منها يعد عيباً لان كشفه صار يثير الشهوة . ولماذا تكون الحشمة بتغطية أهم عضو فى الانسان من الوجهة البيولوجية ؟ — أقول اهم عضو لانه هو العضو الذى وظيفته حفظ النوع ، فالفرد يموت بعد أجل محدود ، ولكن السلالة تبقى الى ما شاء الله بفضل هذا العضو الذى تؤول أعمال أعضاء الجسم جميعا حتى الدماغ لخدمته

قد يلوح لنا أن ظهور العورة للرائين يحرض فيهم الشهوة الجنسية ، وأن الغاية من سترها تحاشى ايقاظ هذه النعرة . فهل هذا الظن صائب كبد الحقيقة ؟

ندرس هذه المسألة فى القبائل الهمجية أيضا التى لا تزال على الفطرة فنرى أن ظهور العورة لا يثير الشهوة أكثر مما تتطلبه الطبيعة . فى حين أن الامم المتمدنة المستورة العورة تكون النعرة فيها ثائرة ضعفى نورتها عند الهمج . فالهمجى والهمجية يريان عورتيهما من غير اكتراث . ولا تتيقظ النعرة فيهما الا متى استفزتها الطبيعة نفسها . وغلمة المتمدنين أشد من غلمة الهمج

الحقيقة فى معنى الحشمة هى الحذر من مخالفة التقليد المالوف الشائع . والحياء والخجل لم يسببا التقليد بل هو سببهما . ولذلك ستر العورة لايخمد النعرة، بل سنرى فيما يلى من البحث أنه يحرضها

والقبائل الزنجية فى أعالى السودان ومجاهل افريقا تترك عورة الفتاة مكشوفة الى أن تتزوج فتستر عورتها ، لاحشمة ولا ردعا للنعرة بل بقصد البلاغ العام انها أصبحت مختصة بشخص معين فلا مطمع فيها لآخرين. فسترها من قبيل الاثرة أى استئثار الرجل بالمرأة

هل الزينة سبب نشوء الكساء

اذاً لم يبق الا الزينة سبباً لنشوء الكساء . فلنر هل كانت السبب حقيقة ؟ ولماذا ؟ وما الغرض منها ؟

نعود إلى تحرى المسألة من أول أدوارها عند الهمج . فنرى ان الهمجى يغطى رأسه باكليل من الريش ، لكى يظهر انه كان صياداً ماهرا ولكنه يترك عورته مكشوفة . واذا غطاها فبمئزر محبوك

بالصدف أو اعقاب عظمية كأنه يلفت النظر إلى ما دونها . ولما اتصل بالمدنية وصار يقايض تتاجه بالخرز صار يصنع منطقة أو قلادة من الخرز . وأما المرأة فكانت تحلى نفسها بطلاء مزخرف بالدلفان الملون ولكنها لا تغطي عورتها . فيعاب خروجها من الكوخ بلا طلاء ولكن لا يعاب خروجها عارية . ثم قام الوشم مقام الطلاء وتفننوا به أى تفنن ، رجالا ونساء ، ثم ترقت الزينة وترقى التحلى عندهم فصاروا يتزينون بالاقراط والشنوف والاخزمة والخلاخل والدمالج .وقلما اهتموا بستر أعضائهم

فالتحلى والتزين كانا تمهيداً للكساء بغية الزينة لا للستر . فما ائتزرت المرأة إلا للزينة . وما تدثر الرجل بجلد نمر أو فهد الا للزينة دلالة على بطولته وبراعته فى صيد الضوارى . وهمج افريقا واستراليا وجنوبى أميركا الذين لا يزالون يعيشون على الفطرة ، وقد بقوا أثراً من آثار بدء المدنية ، ما فتىء معظمهم عراة أو مكسوين بعض الكساء ، ولكنهم يتفننون بالزينة والتحلى على نحو ماتقدم . ونرى ذكورهم أكثر تأنقاً بالزينة من نسائهم وفى بعض الاحوال تنحصر الزينة فيهم . لذلك لا تجد بينهم عوانس لان زينة الذكور محرضة للحب فى الاناث . ولا وجود للعزوبة الا فى الذكور لان تعدد الزوجات يترك فريقاً من الذكور بلا زوجات . فيستنتج من هذا أنه يقصد بالتحلى الاغراء وتحريض الحب . ويؤيد هذا الاستنتاج أن تغطية العورة عند القبائل العارية اكثر تحريضاً من كشفها

وكثير من أزياء الكساء الانيقة « وتكسيمها » عند القبائل المتأخرة كما عند المتمدنين يحرض الشهوة ، فى حين أن القصد الظاهر منها الستر حشمة . والكساء فى كل مكان وزمان مصنوع أنيقاً « مكسما » بحيث يوجه الانظار الى العضو المستور بغير قصد الحشمة من ستره . واذا نظرنا الى المسألة من وجهة الانتخاب الجنسى Sexual selection كما شرحه داروين رأينا انه فى بعض أدوار التطور الاجتماعى اكتشف الجنس البشرى حقيقة كانت خافية ،وهي ان تغطية العضو الفارق بين الجنسين أكثر تحريضاً من عريه . لذلك نجد الدعارة عند القوم العراة أقل منها عند المكسوين والمبالغين بالكساء

ليس فى هذا المقام متسع لشرح التطورات التى تعاقبت على اللبس منذ نشوء مئزر آدم الى الدثار الجلدى للهمجى حتى إناقة الكساء اليوم . فنتخطى كل هذه التطورات إلى البحث فى الغرض الرئيسى من التأنق فى الازياء والتفنن بها فى جميع العصور حتى عصرنا الحالى

ما الغاية من الزينة ؟

فهمنا مما تقدم أن الكساء لم يكن فى عصر من العصور حتى اليوم للتدفئة ولا للحشمة البتة . وانما كان ولايزال للزينة . ولما تعوده الانسان صار لازماً للتدفئة حتى اذا خلعه برد. فالاستدفاء به كان نتيجة لا سبباً له . وكذلك صار يدعى أنه للحشمة . فهى كانت نتيجة منه لا سببا له أيضا . فما الغاية من الزينة ؟

بكلمة اجمالية نقول كيفما التفت إلى أجزاء اللبس تجد فيها محرضا للحب الذى هو روح النعرة

الجنسية . وفن الازياء تطور وترقى على حساب هذا المحرض كما سيتضح هذا فيما يلى :

إذا تعادل الجنسان الذكور والاناث بالقوة فى عالم الحيوان على الاطلاق قلت الحاجة الى الزينة للتحريض . ولكن إذا تفاوتا بالقوة بحيث تبهظ مسئولية العناية بالنسل عاتق أضعفهما ضعف الحب عند الجانب المبهوظ بحضانة الصغار تحاشياً لتلك المسئولية . لذلك يتوسل الجانب الآخر القوى بالزينة اغراء لذلك وتحريضاً للنعرة فيه ، كالطيور المزركشة الريش فان زركشته مقصورة على الذكور (الديوك) دون الاناث لان الاناث مكلفة بحضانة الفراخ الصغار الى أن تدرك سن البلوغ . فكأنّ الطبيعة تنذرها بوقر هذه المهمة فتمتنع عن قبول الذكر إلى أن يثير حبها جمال ريشه . فالطاووس يغازل الطاووسة بنشر ريش ذيله البديع . وكذلك يفعل غيره من الطيور الجميلة الريش . وبعضها يغازل بالزقزقة والتغريد

كذلك فى أدوار الانسان الهمجية كانت الزينة مقصورة على الرجل لذلك الغرض بعينه . ولاتزال نماذج هذا التقليد موجودة عند القبائل الهمجية ، ذلك لان الرجل قلمايشارك المرأة بحضانة الاطفال وتغذيتهم والعناية بهم . فكان معظم عبء التربية واقعاً على كاهل المرأة . ولذلك كانت تتمنع تخفيفاً لهذا العبء فيضطر الرجل لاغرائها بما تيسر له من الزينة . حتى فى المدنيات الماضية التى كان فيها الرجل يستعبد المرأة ، كان الرجل يستخدم الزينة والمفاكهة التى هى ضرب من الفن الجميل لكى يثير فى المرأة الحب فتبادله إياه . لانه كان يشعر أن الاستعباد يكاد يقتل حبها ويقوم مكانه كرهها وهو لا يهنأ فى هذه الحال

فى العصر الاخيرة حتى عصرنا الحالى تخلصت المرأة من عبودية الرجل وأصبح الحب شرعياً وغير شرعى غالى الثمن جداً للرجل ، فصار الرجل يتمنع متهيباً عبء ثمرة الحب . لذلك اضطرت المرأة الى التفنن بالزينة لاغرائه وتحريض الحب فيه . وأصبح الرجل طالباً منتقياً والمرأة مطلوبة منتقاة . ولهذا اضطرت الى تحريض الحب فيه بتزينها بجميع أصناف الزينة حتى الزينة العقلية والاخلاقية . وقلما يضطر الرجل إلى الزينة الجسدية لاغراء المرأة . فاللبس نشأ لغرض الزينة تحريضاً للحب . والازياء تتقلب على وجوه الفن الجميل الذى هو روح الزينة . فالازياء اذن منشؤها الحب الجنسى

فنون الازياء الجميلة

وإذا أنعمت النظر فى فنون الازياء تجد أن المقصود منها ليس الاستدفاء ولا اتقاء حرارة الشمس اللاذعة ولا الحشمة أى ستر الاعضاء حياء ، بل بالعكس يراد بها توجيه النظر الى ما يستحب من الاعضاء بغية تحريض الحب . لذلك تعددت الازياء والقصد واحد . فلو كان الغرض من الازياء اتقاء البرد والحر لما كانت المرأة تعرى ذراعيها وأحيانا تعرى معظم صدرها وتقصر ثوبها عن ذراعيها حتى فى أيام البرد القارس ، ولا كانت تلقى فروها على إحدى كتفيها دون الاخرى أو على كتفيها دون

ذراعيها العاريتين . فما الفرو المتدفئة بل للفت النظر . ولو كان الغرض من أزياء الملابس الحشمة لعد الرجل أكثر حشمة من المرأة لانه لايكشف ذراعيه ولا صدره ولا ساقيه . وتغطية قسم من العضو دون قسم آخر منه كالصدر مثلا يكون أكثر تحريضا للحب مما لو كان الصدركله مكشوفا لان النفس تواقة الى الخفى . ولذلك يكون نصف الحجاب أكثر تحريضا من السفور التام ، حتى النقاب الكامل فوق البدن المكتسى بالزى الحديث أكثر تحريضا من السفور المطلق

يعتبر فن الازياء من الفنون الجميلة لان الغرض منه التجميل . فهما تنوعت الازياء وتبدلت اشكالها يوماً بعد يوم أوفصلا بعد فصل فانما هي ضروب من الجمال . فما هو الجمال ؟ هل للجمال قاعدة أو أنموذج مطلق يقاس به الشيء الجميل أو يقارن به ، فما طابقه عد جميلا وما خالفه عد قبيحاً ؟

يتعذر الاتفاق على أنموذج كهذا لأنناترى الجمال الجسمانى يختلف باختلاف الامم ، فقد يكون الجميل عند أمة قبيحاً عند أخرى . ولكن اذا غربلنا جميع صنوف الجمال وأساليب التجميل عند معظم الامم وجدناها كلها مستعارة مما قررته الطبيعة جمالا عاماً . فالتجميل المضاف الى الجمال الطبيعى انما هو مبالغة فى هذا الجمال الطبيعى ، كالتجميل بطلاء الوجه بياضا وحمرة للوجنتين والشفتين ، وسواداً للمقلتين والحاجبين . ناهيك ببياض العنق والصدر والساعدين وكل مايظهر من البشرة وحمرة الاظافر وسواد الشعر أو اصفراره الذهبى — كل هذا مبالغة فيما رسمته الطبيعة من ملامح المرأة

الامر كذلك فى أزياء الملابس ، فانها مهما تنوعت يراد بها ظهور شكل الاعضاء تحت ستارها لفتاً للنظر كبروز النهدين والردفين ودقة الخصر وارتفاع القامة على حذاء عالى العقب ، الى غير ذلك مما لامحل لتفصيله . وهل فى تنوع الازياء على هذا النحو من غرض غير تحريض « الحب » ؟

وأخيراً لما بذل فن الازياء كل ماعنده من جهد لتحريض الحب رمى سلاحه وكاد يتنازل عن هذه المهمة للتعرى الجزئى أو الكلى ، لان التعرى فى عز صولة الازياء صار أقوى تحريضا

فترى أنه لما تناهت أزياء الملابس فى ستر اعضاء الجسم صارت أكثر مخالفة للحشمة من العرى ، صارت اغراقاً فى تحريض الحب . . . وزبدة الكلام أن الكساء اذا لم يقتضه الطقس فالغاية منه أن يكون كل من الرجل والمرأة جذاباً للآخر

هذه فلسفة الازياء التى تتضمن فلسفة التجميل وفلسفة الجمال والحب اللذين انصرف كل جهد الجنس البشرى فى هذا العصر وفى معظم عصور المدنية لاجلها . فتناول جمال الازياء ليس فى اناقة الملابس فقط ، بل جمالها فى اناقة الاثاث والرياش والمساكن وفى جميع مظاهر الابهة والبذخ ، والمحرك الاول هو الحب ، هو النعرة الجنسية . ومن رام الاطلاع على المزيد من هذا البحث فليطالع كتاب « الحب والزواج فلسفة وسنة » تأليف كاتب هذا المقال

ففلسفة الازياء تنحصر بين حرفين : حب

نقولا الحداد

المــرأة فى الأزهــر

سيدة تتقدم الى الشهادة العالمية

بقلم الاستاذ الشيخ محمود ابو العيون

لم تحرم المرأة فى الاسلام من التحلى بحلية العلوم والمعارف والآداب . وما بلغ الرجل منزلة فى ذلك الا نالته وضربت فيه مثلا يحتذى . كانت المرأة فى صدر الاسلام تحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسأله عن الشيء كما يسأل الرجل فيجيبها . وكانت تروى الحديث وتصدر الفتوى فى مسائل الفقه كما يروى الرجل ويفتى . واشتهر فى ذلك العهد كثير من النساء ، كعائشة ام المؤمنين فى الفقه والرواية ، وفاطمة وسودة وأم سلمة وغيرهن فى الحديث . وما زال الامر كذلك من فجر الاسلام الى اليوم تختلف النساء الى العلماء فيأخذن عنهم . ويختلف العلماء ورجال الادب الى قصور الخلفاء وبيوت الامراء وذوى الجاه فيعلمون الاميرات والجوارى والقيان ما هو سائغ فى العصر من فنون العلم والادب وقرض الشعر

وفى العهد الحاضر اكتظت المدارس والكليات برائدات العلم يستمنحه متعطشات . ويتخرجن فى تلك المعاهد متضلعات من كل فنون الحياة . وظهرت المؤلفات الحديثة . وامتلأت الصحف والمجلات والموسوعات بآثارهن الرائعة فى مصر وشقيقاتها من الاقطار العربية وغيرها

ذلك ما حدثنا به التاريخ فى عهده الغابر ، وما شاهدناه فى عصرنا الحاضر . ولم يحدثنا التاريخ عن نساء اختلفن إلى الازهر نفسه وتلقين العلم فى حلقاته

والذى شاهدناه بانفسنا وسمعناه من شيوخنا أن كثيراً من النساء كن يتحلقن حول بعض الوعاظ فى المساجد الاخرى لسماع الوعظ ، وفى رمضان على الاخص ، وكن يسألن الشيوخ عن مسائل النساء فى الفقه . وكن يشهدن الصلوات متحجبات حجاباً كثيفاً فلا يطمع فيهن العابث ومريض القلب

وعرفنا ان نساء كن يتلقين العلم فى الجامع الازهر الى عهد غير بعيد . وكان من شيوخهن الاساتذة : الشيخ القويسنى والشيخ السقا والشيخ على الصعيدى العدوى والشيخ الخضرى وغيرهم من العلماء المشهورين . والظاهر أن النساء فى ذلك العهد كانت رغباتهن فى العلم محدودة فلم يطلبن الشهرة ولا الشهادات التى يسعى فى نوالها زملاؤهن الرجال . ولهذا لم يتركن أثراً . ولم نسمع عنهن شيئاً سوى أحاديث تروى فى المجالس . وقد يكون من حسن المناسبات ان نذكر عن السيدة عائشة

التيمورية الشاعرة المعروفة أنها كانت تتلقى العربية والآداب على فضيلة الاستاذ الشيخ حسن الطويل رحمه الله ، وعن بعض النساء اللاتى حضرن العلوم اللغوية والشرعية فى الازهر كالسيدة فاطمة الازهرية والسيدة ستيته الطبلاوية وقد درست عليهما جانباً من النحو والعروض

وسمعنا كذلك أن نساء كن يتلقين العلم فى الجامع الاحمدى بمدينة طنطا . واشتهرت من بينهن الشيخة فاطمة العوضية . كانت تدرس على الشيخ الحفناوى . وكانت الدراسة فى ذلك العهد ، والى عهد قريب ، على الطريقة التحاورية البحتة . قال صاحبي : فكانت الشيخة فاطمة العوضية أجودنا منطقاً وفهماً ، وأكثرنا نقاشاً وحواراً ، وأصبرنا على صعوبة الدرس ، ومشقة التحصيل . وأرادت الشيخة فاطمة العوضية أن تنال الشهادة العالمية من الجامع الازهر . وكانت لجنة الامتحان تطوف على المعاهد الملحقة بالازهر لامتحان طلبة الشهادة فيها . فسافرت اللجنة من علماء الازهر الى معهد طنطا سنة ١٩١١ لامتحان طلبته . وثمة تقدمت الشيخة فاطمة العوضية للامتحان وكان موضوع درسها فى علم الاصول « لا تكليف الا بفعل » من كتاب « جمع الجوامع » وهو باب عويص ثقيل ، وفيه اشكالات وتعاقيد . وقليل من الطلبة النابهين من يحذقه أو يجوزه بسلام

وما إن أخذت الشيخة فاطمة العوضية مقعدها من اللجنة حتى أمطرها أعضاؤها وابلا من الاسئلة المعقدة فى الباب المعين لها ، وناهيك بامتحان الازهر فى القديم . فقد كان مرهقاً حقاً . وكان السبيل فى نجاح الطالب أن يكون ملماً بما كتب فى الحواشى والتقارير . وأن يكون قادراً على الجمع بين الآراء والخلافات وتصحيح المسائل المختلف فيها بلباقة وحصافة . وان يؤيد المذاهب المختارة بالأدلة والبراهين الواردة عن العلماء المعروفين . والعبرة فى ذلك كله بعمق الفهم والقدرة على الترجيح لا بكثرة الحفظ ونقل الاقوال والمسائل . وشرط آخر لا بد منه مع ما ذكرنا ، وهو أن يكون للاعضاء الغالبة فى اللجنة اتجاه نحو انجاح الطالب وفوزه . لاستقامته وشهرته وحسن سمعته مثلا . فكان طالب الامتحان يلاقى من ذلك عنتا وجهداً ، وكان كثيراً ما يصيبه الاعياء والاغماء فيبوء بالحرمان

جعلت الشيخة فاطمة العوضية تجيب عن أسئلة اللجنة . واللجنة تهاجمها بمعضلات المسائل

ولقد سألها فضيلة الاستاذ الشيخ دسوقى العربى — أطال الله فى عمره — مغالطاً : وهل الاسم والحرف يكلف بهما كالفعل ؟ ، فاجابت : « ده بشأه وده بشأه » (١) اى (دا شيء ودا شيء) أى أن الفعل هنا هو فعل المكلف المخاطب بالاحكام وهو غير الفعل قسيم الاسم والحرف ، فاعجب أعضاء اللجنة لهذا الجواب الظريف . نقول:

ومع أن الاعضاء لم يكن من اتجاههم تخريج « امرأة » تحمل شهادة العالمية ، فهى أيضا قد

---

(١) بشأه أصلها بشقا — كلمة تركية معناها « نوع » وقد عدت الآن من اللغة العامية

أصابها الخور والضعف ، ولم تستطع اكمال الامتحان ، فلم تنل من ذلك مغنما ، فكان لرسوبها أسف عميق فى نفسها قضى عليها بعد قليل من الزمان

ولم يدر إلا الله ماذا كان يكون لها من الحظ لو أنه قدر لها النجاح فى الامتحان ، وأصبحت «عالمة» بين علماء الازهر والمعاهد . أكانت تذر قرنها وتطالب بحقوق النساء فى الازهر ؟ أكانت تطالب بانشاء فرق لهن خاصة بهن ؟ أكانت تطالب بحقوقهن فى القضاء الشرعى ، والتدريس والامامة ؟ . ولكن اذا كان القدر المتيح لم يهيء لها الظفر بالفوز لتتمكن مما عسى أن تطالب به المرأة المتعلمة من حقوق المرأة فى باحات الاجتماع ودور العلم وهامات المناصب العلمية الدينية ، فهى لم تعدم نصيرا من بعد ، ذلك أن صديقنا المغفور له الاستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش كان من نصراء المرأة فى الازهر ، وكان ينادى فى خطبه وفى محادثاته بوجوب انشاء فرق فى المعاهد الدينية لتعليم المرأة الدين والعربية ووسائلهما ، ولقد كان رحمه الله متحمسا لذلك الرأى ، وكان حين يتحدث فى ذلك يكون عميق الاحساس ، قوى الايمان بتحقيق هذه الرغبة ، وسمعته يخطب فى ذلك على مسرح متروبول بالقاهرة وهو شديد التأثر ، ولقد قلت له مرة : «ألا تكفى المدارس فى تعليم الفتيات ما يكمل دينهن ، ويثقف خلقهن ، ويهذب عقلهن ؟» فقال : «ان هذه المدارس مدنية لا تعلم الدين بل تفسده ولا تفيد تربية بل تعدمها . أما الازهر فهو خير كفيل بتخريج نساء يعرفن الدين والتربية والخلق» ، قلت : «أليس اقرب من ذلك أن تهذب برامج تعليم الدين والاخلاق فى مدارس الحكومة وتنظم طرق الدراسة فيها لتكون محققة للغرض الذى تنشده ثم وانت رجل كبير من رجالات التعليم فى وزارة المعارف قد يكون لك نفوذ يمكنك من تلك المحاولة الطيبة» ، قال : «ان يد التخريب والفناء تلعب فى الوزارة من وراء ستار . فالمحاولة فى سبيل الاصلاح الدينى عبث وضلال . أما الازهر فقد يكون بعيداً عن تلك الايدى اللاعبة» ! ! !

هذا كان رأى المرحوم الاستاذ عبد العزيز جاويش . ولقد كان شديد الحرص عليه ، قوى العقيدة بلزومه فى الازهر ، عظيم الامل بتحقيقه ، لان الظروف التى كانت محيطة به فى ذلك العهد كانت مواتية وكادت تمهد له منصباً رفيعا فى المعاهد الدينية ، ولقد كان يعمل له دأبا ، ولكن الله عجل به ، ولم يبلغ مأمله من ذلك الحلم اللذيذ !

وقد يكون لرأى الاستاذ الفقيد قيمة قيمة لو تقدم جيلا أو أكثر من جيل وقت أن كان طلب العلم لوجه الله ولاسعاد المجتمع ، ووقت ان كانت الحياة هينة ، قليلة التكاليف ، لم تغمرها المدنية ، والمشكلات العصرية ، فقليل من التعاليم الدينية تتلقاها المرأة فى حلقات الازهر ، أوفى المساجد الاخرى كانت تكفى لصيانتها وتهذيبها ، وتربية بنيها ، والقيام بواجب بعلها ، أما الآن والحياة البيتية التى هى أساس التعليم للمرأة تقوم على نظريات تتصل بالدين والاخلاق والتربية وعلم النفس والاقتصاد

والاجتماع فان المرأة الحاضرة لاينفعها أزهرنا ومعاهدنا الدينية بشيء ، وان قيام صف ومائة صف من النساء بجانب صفوف الناشئين فى المعاهد مقضى عليها بالفشل ، ولو بعث الله اليها خيرة العلماء قادة ومعلمين

ان الازهر فى حاضره لايستطيع أن يؤدى هذه الرسالة الى المرأة الحديثة . وليست وزارة المعارف بمستطيعة تأديتها أيضا . المرأة الحديثة فى حاجة ملحة الى تأسيس معاهد خاصة بها للتربية والثقافة لتخريج فتيات صالحات للاضطلاع باعباء الامومة الصالحة والزوجية والمنزل . وهذه المواد الثلاث هى سلاح المرأة فى حياتها الجديدة وبدونها لا تتم حياتها ولا يستقيم شأنها ولا تصلح لشىء فى الوجود . ولقد كان لنا مع وزير المعارف هذا العام حديث فى ذلك الشأن نشر بالاهرام

أرجح كثيرا ان الازهر الحاضر لو توجهت عناية أولى الامر فيه الى وضع سياسة تعليمية له دائمة ، تتفق وروح الدين والعصر ، لا استطاع بعد ثلث قرن — لا أقل — أن يعيد للدين بهجته ، وللاسلام جدته . ولأدى الرسالة للعنصرين كاملة على وجهها الصحيح

محمود ابو العيون



أغنية الحب

بقلم الشاعر الكبير المرحوم محمد عبد المطلب

أترى جد الهوى أم لعبا — وجرى الشوط جوادى أم كبا
أنا فيها صادق الحب فما — بال وعدى فى المنى قد كذبا
ما تمنيت ضلالا وصلها — لا ولا أخطأت فيها المذهبا
أنا فى الغيب هواها والمنى — وهى لى فى الغيب كانت أربا
وعذابى فى رضاها لذة — رب صب للعذاب استعذبا
لم أحل عنها ولو حالت بها — نوب الايام تجرى دأبا
وهى عنى منذ كانت لم تحل — لا ولا مدت لغيرى سببا
حسبوا بعدى عنها سلوة — كذب الجاهل فيما حسبا
يا حياتى ان أيام النوى — جددت فيك التصابى والصبا
فسلى طيفك عنى زارنى — وظلام الليل يجرى اشيبا

النساء اللاتي حكمن في التاريخ

بقلم الاستاذ حبيب جاماتي

إن أول امرأة حكمت فى التاريخ - أو بالحرى قبل التاريخ - هى بلا شك أمنا حواء . فقد جعلها الله ملكة على العالم قبل أن يكون العالم آهلا بالسكان . وكان عليها أن توجد الرعية وتحكم وتسود . ولكنها أساءت التصرف منذ اليوم الأول . وارتكبت ذلك الذى ما زلنا الى الآن ندفع ثمنه غالياً . فسقطت عن عرشها ، وسقط معها أبونا آدم ، وسقطنا نحن مع الاثنين !

ولكن لندع ملكة الجنة فالنا وللمرأة الأولى ، وماتقوله عنها الكتب المنزلة والاساطير المتناقلة المتوارثة . ولنتحدث عن النساء الحاكمات(١) اللاتى دونت أسماؤهن فى سجل التاريخ منذ أن أنشئت الممالك الى الآن

حتشبسوت

انا نجد مفخرة النساء الأولى من هذا القبيل فى تاريخ مصر . ففى القرن السادس عشر قبل الميلاد ، عندما كانت نساء العالم غارقات فى بحار الجهل وظلمات الهمجية ، جلست على عرش مصر امرأة ، كان التاج على رأسها أخف وطأة منه على رءوس الرجال ، وكان الصولجان فى يدها اكثر طوعاً لها منه لأيدى الملوك . فقد حكمت الملكة « حتشبسوت » نحو خمسة عشر سنة مستقلة بالسلطة تمام الاستقلال ، وهى ابنة تحتمس الأول من أخته . وأخت تحتمس الثانى لأبيه . وقد تزوجته فلم ترزق منه أولاداً ذكوراً . وبعد وفاته ابعدت ابنه من احدى حظاياه - تحتمس الثالث - عن عرش مصر ، وحكمت وحدها فكان عهدها عهد مجد وفتح ورخاء . ويكفى حتشبسوت فخراً أنها أرسلت سفنها لارتياد السواحل الافريقيـــة الشرقية ، وسيرت جيوشها لافتتاح الأقطار المجاورة ، وشيدت « الدير البحرى » ، ونقلت الى الاقصر إحدى المسلتين الكبيرتين ، ولكن حتشبسوت اضطرت فيما بعد للتنازل عن العرش لابن أخيها تحتمس الثالث ، رغبة منها فى حقن الدماء ، وخوفاً من وقوع حرب أهلية فى البلاد بين أنصارها وأنصار خصمها

سميراميس

وأقدم ملكة ذكرها التاريخ بعد حتشبسوت المصرية ، هى ملكة بابل « سميراميس » التى

---

(١) يضع الاستاذ حبيب جاماتى كتابا عن « النساء اللاتي حكمن في التاريخ » ودونت أسماؤهن في صفحة الخلود . وهو في هذا المقال يعرض نظرة عامة عنهن

امتد ملكها الى مصر وخضعت لها بلاد الفراعنة مدة من الزمن . ولكن الخرافة تمتزج هنا بالتاريخ فتشوه الحقائق وتجعل التثبت منها شاقاً ان لم نقل مستحيلا . ولكن الامر الذى أجمع المؤرخون على اقراره هو أن سميراميس هذه قتلت زوجها للاستئثار بعرشه ، وأنها شيدت فى بابل الحدائق المعلقة ، احدى عجائب الدنيا السبع . وجيوش بابل اجتاحت فى عهدها الاقطار والامصار ، فدانت لها الشعوب من تخوم الهند وأطراف ايران الى ضفاف النيل والصحراء العربية . وتأبى أساطير الاقدمين الا أن تؤكد لنا أن سميراميس لم تمت ، بل استحالت الى يمامة بيضاء ، صعدت الى مقر الآلهة فى موكب من الطيور المغردة !

الزباء

وهنا ، لنقف لحظة خاشعين أمام الشجاعة المتجسمة فى شخص زينب التدمرية التى نعرفها باسم الزباء ! فلو ولى رجل كائناً من كان الملك محلها ، وقامت روما العظيمة فى وجهه تنازعه ذلك الملك وتسير عليه جحافلها لاخضاعه ، لما استطاع أن يبذل نزراً مما بذلته الزباء فى الدفاع عن ملكها ، وأن يبدى جزءاً من مجهود الجبابرة الذى أبدته تلك المرأة الابية فى دفع الخطر عنها . فهى سيدة النساء الفارسات المقاتلات على الاطلاق ، وربة السيف والترس والرمح . والمثل الأعلى للنضال فى سبيل الوطن والعشيرة والشرف . وقد جعلت من عاصمتها تدمر عاصمة الشرق قاطبة . وقاتلت الامبراطور اورليانوس قتال اللبؤة المستميتة . ولكنها غلبت على أمرها فى النهاية فوقعت فى الاسر وأرسلت الى روما

وهنا تختلف الرواية فى كيفية موتها . فمن قائل إنها أضربت عن الطعام فكانت أول من ابتدع هذا النوع من الانتحار ، وماتت قبل ان تصل الى روما . ومن قائل إن الامبراطور ساقها ذليلة مكبلة بالحديد فى موكبه عند ماعاد الى عاصمة امبراطوريته فائزاً منصورا ، ثم قتلها . ومن قائل أيضاً إنه أكرمها وأهداها قصراً لائقا بها فعاشت فيه معززة الى أن قضت نحبها فى هدوء واطمئنان . وكان ذلك فى القرن الثالث قبل الميلاد

كليوبطره

وبعد ان وقفنا خاشعين أمام شجاعة الزباء ، لنقف أيضاً خاشعين ـ او على الاقل مفكرين ـ أمام الجمال الرائع . والحسن الساحر : أمام كليوبطره التى دوخ جمالها وحسنها القواد وأرباب السلطان ، فكان وبالا عليهم وعليها وعلى مصر التى جلست على عرشها

وقد ناضلت كليوبطره فى بادىء الامر للاستقلال بالعرش دون أخيها . فشأنها من هـــذا القبيل شأن حتشبسوت التى انتزعت الملك من ابن اخيها ، وشأن سميراميس التى انتزعته من زوجها ، وشأن الزباء التى انتزعته من زوجها أيضاً . وقصة كليوبطره معروفة مشهورة . فلا اجدنى

فى حاجة الى سردها هنا من جديد . ولكن الشيء الذى قد يجهله كثيرون ، هو أن كليوبطره لم تكن عشيقة انطونيوس وحده ، بل احبت غيره من قبله . وعشاقها الذين ثبتت علاقتها بهم هم : أخوها بطليموس ، والقنصل كنيوس ، والقائد بومبيوس . ويوليوس قيصر . والملك هيرودوس وماركوس أنطونيوس ، وهو الاخير الذى مات بسببها وماتت بسببه كما هو معلوم مشهور

* * *

وجميع الملكات اللاتى ذكرناهن ، بسطن سلطانهن على مصر من قريب او من بعيد :

لحتشبسوت كانت ملكة مصر

وسميراميس ضمت مصر الى ممتلكاتها

والزباء أيضاً

وكليوبطره كانت ملكة مصر

شجرة الدر

وتاريخ مصر من هذه الناحية اغنى التواريخ بالنساء الحاكمات الشهيرات . وكانت آخر ملكة جلست على عرش مصر واستقلت به وقبضت على زمام الامور بيد من حديد . شجرة الدر ، جارية الملك الصالح نجم الدين أيوب ثم زوجته ، وقاهرة الافرنج فى معركة المنصورة ، وآسرة الملك لويس التاسع ملك فرنسا

كانت شجرة الدر اذن جارية . وشاء حظها أن تصبح أماً لولد كان الملك الصالح نجم الدين يتوق اليه . فتزوجها بعد أن أصبحت أماً لولده . وعندما مات الملك أخفت شجرة الدر خبر موته عن الرعية كيلا يدب اليأس الى نفوس الجنود وهم فى حرب مع الغزاة الاجانب . فجعلت تصدر الاوامر باسم الملك والملك جثة هامدة . ثم بعد أن هدأت الحالة ، أذاعت خبر الوفاة ونادت بالامير طوران شاه ملكا على مصر وسورية . ولكن طوران شاه لم يحسن سياسته معها ، فانقسمت البلاد الى حزبين ، وانضم مماليك نجم الدين الى شجرة الدر بقيادة عز الدين ايبك التركمانى ، فهاجموا طوران شاه وقتلوه شر قتلة ونادوا بشجرة الدر ملكة على المسلمين . ولكن ثورة السوريين والعراقيين اضطرتها الى التنازل عن العرش لعز الدين ايبك . ثم غدرت به وقتله ، فقام ابنه يطلب له الثأر وانتهى الامر بقتل شجرة الدر فى قلعة القاهرة

ملكات اوربا

واذا ألقينا نظرة على تاريخ الدول الاوربية فاننا نجد للمرأة اثراً عظيماً فى تكوينها ورقيها وتطورها . كما اننا نجد نساء كثيرات حكمن مستقلات فى رأيهن عن الرجال ، وبلغن شهرة يحسدهن عليها اعظم الملوك شأناً

فارى ستوارت ملكة اسكوتلانده أوشكت فى القرن السادس عشر للميلاد أن تغير سير التاريخ ووجه الخريطة الاوربية بزواجها من ولى عهد فرنسا . ولكن ملكة انجلترا اليصابات قامت فى وجهها ووقعت بين جيوش المملكتين معارك كثيرة وانتهى ذلك النضال بمقتل مارى ستوارت بصورة بشعة بقيت لطخة عار فى تاريخ المملكة الانجليزية

وحكمت انجلترا ملكات كثيرات أشهرهن اليصابات الكبيرة واختها لأبيها مارى تودور . وأخيراً الملكة فكتوريا أم ادوارد السابع وجدة الملك جورج الخامس .وعهد الملكة فكتوريا الانجليزية مرتبط بتاريخ مصر ارتباطاً وثيقاً ، إذ ان حوادث الاسكندرية التى ادت الى تدخل الانجليز واحتلال مصر فى سنة ١٨٨٢ ، وقعت فى عهد هذه الملكة

وفى روسيا حكمت نساء اشهرهن اليصابات بتروفنا التى جلست على العرش من سنة ١٧٤١ الى سنة ١٧٦٢ . والامبراطورة كاترين الثانية ، الملقبة « بسميراميس الشمال » ، والتى جلست على العرش من سنة ١٧٦٣ الى سنة ١٧٩٦

والسويد من ممالك اوربا التى حكمتها النساء ، والملكة كريستين ابنة الملك جوستاف ادولف تركت فى تاريخ بلادها اثراً عظيماً واسماً يذكر بالخير والثناء . ولكنها تنازلت عن العرش فى سنة ١٦٥٤ لانها كانت - كما يقول فولتير - تؤثر معاشرة العلماء والادباء على حكم شعب لا يعرف غير لغة السلاح ولا يميل الا الى الحروب

وفى العصر الحاضر ، اشتهرت ملكتان فى اوربا ، بعد الملكة فكتوريا الانجليزية . وهما ايما وويلهلمينا ملكتا هولانده . ولا تزال الملكة ويلهلمينا الى الآن جالسة على عرش هذه المملكة وسوف ترثها فى الملك ابنتها فيكون عرش هولاندا قد آل الى ثلاث نساء متعاقبات

وفى التاريخ اسماء ملكات غير اللاتى ذكرناهن . ولكننا اكتفينا باشهر الملكات اللاتى كان عهدهن عهد رخاء أو مجد او اضطراب . ومما ذكرناه يتضح أن بعض الممالك فى الشرق والغرب قد بلغت فى عهد النساء اللاتى حكمنها مبلغاً من العظمة لم تبلغه فى عهد ابعد ملوكها شهرة واوفرهم حنكة وأشدهم غيرة على مصالح الشعب الذى حكموه

حبيب جاماتي

نادي الازواج

أسس راعى كنيسة اوكلاهوما نادياً سماه « نادى الازواج » ، والراغب فى الاشتراك فى هذا النادى يطلب منه ان يوقع على التعهد الآتى :

« أتعهد أمام الله والناس بأن اقبل زوجتى كل يوم . واقول لها انى احبها . وان اهنئها ولو مرة واحدة فى اليوم على الطعام الذى تقدمه لى . واتعهد خصوصاً بان اقوم نحوها كل يوم بعمل يرضيها ولا تكون تنتظر صدوره منى »

الحب
أقوى عوامل الطبيعة

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقي

يزعم « لارشفوكولد » أن الحب حكمه حكم الاشباح يتحدث عنها الناس اجمعون ولم يرها أحد وهذا الذي ينكر ناقد الأخلاق الفرنسي وجوده ، هو هو منذ القدم الشغل الشاغل للشعراء ، والموضوع الخالد للقصص ، وتخرج للناس عنه في العصور الحديثة مئات الالوف من الروايات في اطراد وانتظام ، كثمار الفصول يتوقعها الجناة عاما بعد عام . وما كانت عبقرية الفنانين لتظل أبد الدهر وفي سائر العالمين معنية بالحب موكلة بوصفه ، وتظل البشرية صاغية لهذا الوصف واعية ، لو لم يكن الحب في طبيعة الانسان . . ثم إن أمثلة الحب العليا في روميو وفرتر وقيس بني عامر غير منصورة على عالم القصص والخيال . بل يعرف عالم الواقع منهم في كل حول عشرات العشرات ، يشب في الواحد منهم الميل الحاد ، ويزكو هذا الميل في كنف ظروف مؤاتية ويستفحل ، حتى يغلب بسطوته على سائر العواطف ، وينحي جميع الاعتبارات ، ويقوة ودؤوب يفوقان حد التصديق يتخطى عراقيل وعقبات ، فهو المستبدل المستميت يغامر بحياته لارضاء رغبته ، بل تهون عليه الحياة اذا لم يكن الى مشتهاه سبيل . وهؤلاء يلاقون الردى مجهولين . مؤرخ لحتفهم غير مسجل الوفيات ، ولا تاريخ لهم غير نبأ عابر بين شتى الحوادث والأخبار في الصحف السائرة . واضعاف هؤلاء أوردهم هيامهم البيمارستان . وأما ما دون ذلك من درجات الحب وعوارض لمه فانه كل يوم تحت انظارنا ، بل طالما نحن شباب فانه أكثر الايام أيضا في حنايا ضلوعنا وحبات قلوبنا

فالحب في مختلف مراتبه وألوانه وشكوله يلعب دوراً هاماً لا في المسرحيات والروايات وحدها بل في عالم الحقيقة . وليس في الحياة ركن لايتطرق اليه ، ولا حرم يتحرج دونه . فتراه يدخل الخلل على أعظم المهام ويعطل أخطر المساعي ويخبل أرجح العقول ، ويقحم عبثه في مفاوضات السياسة ومباحث العلماء الاعلام ، وتمتد أصبعه فتدس رسائله الحلوة العاطرة وخصل شعره الحريرية في قماطر الوزراء وبين مخطوطات الفلاسفة . كما أنه في كل يوم هو الدافع الى اسوأ الخطوب وأشدها

---

* اعتمدنا الاعتماد كله في هذه الكلمة على الفيلسوف شوبنهور

تعقداً ، القاصم لأوثق العرى وأعز العلائق ، المضحى طوراً بالحياة أو الصحة ، وتارة بالثروة أو المقام والشرف ، جاعلا من ذى المروءة رجلا ساقط المروءة ، ومن حمى الانف مستضاما مهانا ، ومن الوفى خوانا ، فكأنما هو شيطان سوء يسعى لقلب كل شىء وتخليط كل شىء واتلاف كل شىء . حتى لنهم أن نصيح : علام كل هذه الضجة وفيم هذى الجهود والمواجد ، وهذا التلهف والشقاء ؟ ! ان الامر فى قصاراه لايعدو أن فلانا يطلب وصال فلانة . فما لهذا الامر السفساف يلعب دوراً شديد الخطر ويوقع كل حين حياة الناس المستتبة فى الاضطراب والهرج ؟

كلا . ليس الامر بالسفساف عند من ينعم النظر . بل هو على النقيض ، له الشأن الجلل الذى يتكافأ وما فى طلب العاشقين من جد وهيمان . فالغاية الاخيرة من كل فعلة غرامية هى للحياة الانسانية غاية الغايات . وكيف لايكون ذلك كذلك ، ومداره تكوين الاجيال القادمة وحفظ النوع ؟

فنحن من الحب بصدد عاطفة لا كالعواطف ، لها شأن دونه كل شأن فى الحياة ، حتى إنه ليتعذر خلق الاهتمام فى قصة من القصص لايدخل عنصر الحب فى تدبير عقدتها

وهنا يشتبه القارىء فى أننا نتكلم عن الحب ونعنى الغريزة الجنسية . ونحن عند سوء ظنه الى حد كبير . فليس الحب والغريزة الجنسية شيئين منفصلين . وأنما الحب عند الحى المدرك هو غريزة الجنس تتعين نحو شخص بعينه . فهو نقلة للغريزة من العموم الى الخصوص . ولكن الامر يختلط فى هذه النقلة على الحس فيغيب عن إدراك المحب حافزه الذاتى فى الحب ويلبس له لبوس الاعجاب الموضوعى بالمحبوب . والطبيعة فى حاجة الى هذا التحايل علينا لبلوغ اغراضها . وانه مامن اعجاب بالمحبوب مهما بدا من نزاهته وسموه يقنع بتبادل العاطفة على البعد بل يطمع فى الامتلاك ، فى المتعة الحسية والوصال الجسدى . وما كان قط فى استيقان المرء بأنه محبوب شفاعة عن حرمانه ممن يحب . وكم من أمثال هذا المحروم ضاقوا بالحياة وأحرقوا بالرصاص أدمغتهم . فى حين أن معاشر من المستهامين بمن لايبادلونهم الود يقنعون بالامتلاك والوصال الجسدى ، كما هو الحاصل فى احوال هتك العرض اغتصابا ، والاستمتاع المأجور ، وما لايعد من صفقات الزواج الا كراهى . وليس من شىء أجد من شهوة الحس ، حتى انه فى لحظة غلبتها يبطل الغزل الجميل وأفانين الدلال والاخذ والرد وسطعة التهلل الحلو ، ولا غرو فهى ما يسمونه الغريزة الحيوانية . والحيوان لا يعرف الضحك

فالامتلاك هو الهم الا كبر للمحب . وفى سبيله كل هاتيك المناورات والمداورات والجهود والتباريح التى لا آخر لها حتى تتم للطبيعة غايتها وهى ايجاد مخلوق جديد . وما نوازى العشق وفورات أشواقه الجارفة إلا الجيل المستقبل يضطرب فى اصلاب الجيل الحى وأرحامه ويجاهد بحافز من ارادة الحياة مندفعاً نحو الوجود . بل ليصح القول أنه حالما يشتبك لحظان تعمرهما كهرباء الرغبة فقد انقدحت باشتباكهما شرارة حياة جديدة وتولدت جرثومة لمولود جديد اذا أسعف الحال

وتحققت الرغبة . وأنى للعاشقين فى حنينهما الى الاقتران التام والاندماج فى واحد أن يجدا لهما الدوام والاستمرار معاً إلا فى وليدهما الذى تجتمع فيه صفاتهما الوراثية ممتزجة مصهورة . فالمولود منذ يتولد الحب حاضر فكرة ، وكما أن الافكار تعمل جهد الطاقة لتخرج الى عالم المحسوسات فكذلك الفكرة التى تمثل هذا المزاج من شخصية انسانية جديدة تعمد الى الظهور ذاتاً محسوسة

فمن أجل أبناء المستقبل يرتمى الرجل والمرأة أحدهما فى أحضان الآخر بحافز نافذ الامر من غريزة الحب . والحب ضروب والوان لاتحصى . أدناها الصبوة المبتذلة بين الذكر والانثى من غير تمييز ، ويترقى الحب ويقوى كلما توجه لواحد بعينه وانحصر فيه وانقطع له ، أو بعبارة أخرى — اذا كان المحبوب دون غيره أقمن بموافقة أمانى المحب ومجاوبة دواعيه . وذلك أن الطبيعة لايكفيها مجرد الانسال بل تعنى بماهية النوع ، ومعولها فى هذا على اختيار المتحابين من الجنسين

فترى الحب من أولى بوادره منجذباً إلى الصحة والقوة والجمال ، أو قل إلى الشباب فهو مجلى هذه المزايا جميعاً . وقد يخلو الشباب من جمال الميسم فلا يخلو مع ذلك من فتنة جاذبة ، فى حين أن الجمال من غير الشباب لا يجذب . وأحب ما تكون المرأة للرجل وهي فى ميعة الصبا بين الثامنة عشرة والثامنة والعشرين ، وأحب ما يكون الرجل للمرأة وهو فى عنفوان الصبا بين الثلاثين والخامسة والثلاثين . وواضح أن الحكمة المكنونة التى تسوسنا وتوجهنا لذلك هي صلاح هذه السن وتلك للانسال . ويلاحظ فى تقدير الحب للصحة أنه قد يتسامح فى بعض الامراض بالغة ما بلغت حدتها إلا المزمن المتأصل من الادواء الدوية مما يخشى انتقاله الى الطفل . كذلك فى تقدير الجمال قد يتغاضى الحب عن الهنات والعيوب إلا ما يتصل بهيكل العظام. فليس يتأسى بجمال الوجه عن عوج القامة ، بل أحب اليه وجه دميم على قوام معتدل ، ولعله لا يستكره الظلع الطارىء بمقدار ما يستكرهه فطرة فى التركيب ، وهما سيان فى حكم الظاهر لولاأن الغريزةأخوف ما تخافه من الاخير سوء التوريث. ثم هذا الاهتمام بلطافة الاقدام واستقامة السيقان فانما مرجعه تميز الانسان باستواء المشية على سائر الحيوان . وأخيراً اذا استحب الرجل فى المرأة امتلاء الجسم فذلك لانه كفيل بموفور الغذاء للجنين . وفى افتتانه بالثدى الناهدة منفعة للرضيع . واذا المحب اجتوى الشحيات اللحيات فالواقع أن حالهن هذه علامة على ضمور الرحم ودليل على العقم . وأما المرأة فتؤثر فى الرجل قبل حسن الطلعة مزايا بنية الرجال من وثاقة التركيب وصلابة العضل وعرض المنكبين وضيق القطن وطرور الشارب واللحية لانها خصائص للجنس لا يسعها هي تعويضها فى الذكور من نسلها

ثم هنالك الصفات النفسية . فالطفل يأخذ من الاب خلقه ومن الام فطنتها . ومن ثمة كانت المرأة يستهويها من الرجل قبل كل شيء الارادة الصلبة والعزم المصمم والشجاعة ، بخلاف صفاته الفكرية ، فليس لها على المرأة فعل مباشر . ولا بأس عندها ببلادة الذهن بل أن قوة الذهن العليا

وبخاصة العبقرية نفسها بما تنطوى عليه من شذوذ لا تقع من نفسها موقع القبول . وكثيراً ما نرى الرجل القدم الفج يحل لدى المرأة محل الحاضر البديهة المهذب الحواشى . والحال على عكس ذلك عند الرجل ، فالحكم فى حب الطبيعي للمرأة لا شأن له بخلقها ، وانما هى مزاياها الذهنية ذات التأثير عليه وان كان يرجحها فى حسه الجمال الجسدى . ولعرفان الامهات بهذه المؤثرات الذهنية يحرصن على تعليم بناتهن الفنون الجميلة واللغات لتتوافر لهن اسباب استهوائهن لازواج المستقبل ، حتى ليقال على سبيل الفكاهة انهن فى هذا يعالجن الذهن بالوسائل الاصطناعية كما يعمدن أحياناً تعظيم العجيزة والصدر بالمطاطات والحشو . ولا مراء فى أن هنالك علائق لا تجرى على هذه السنة ، فقد تحمد المرأة الذكية المتعلمة ذكاء الرجل ولوذعيته وقد يتأثر الرجل المتبصر العاقل من خطيئته بحسن خلالها ويقدرها قدرها ، ولكن هذا لا يدخل فى موضوع بحثنا لان الخيار هنا للعقل لا للحب

ولا بد لنا إلى جانب هذه الاعتبارات العامة من الاشارة إلى الاعتبارات الخاصة . فمن المشاهد أن كل امرىء يهوى ماليس فيه ، والغرض من هذا اصلاح النوع بتقويم مثاله وتصحيحه كلما حاد واشتط . وهذا الاختيار الفردى المبنى على الاعتبارات الخاصة هو الاوجب حكما والانفذ أمراً . فليس الجمال المنسوق المستوى حد التمام هو المضرم العشق على الدوام . وانما عاطفة العشق تستدعيها حال لا يمكن بيانها الا باستعارة مستعارة من الكيمياء . إذ مدعاتها أن يتعادل الشخصان كالحامض والقلوى ليتكون منهما ملح متعادل . فالكيان الحى ذو الجنس كيان ناقص يختلف نقصه باختلاف الافراد . وكل فرد من الجنسين يجد تكملة الطبيعة فى فرد بعينه من الجنس الآخر يتمثل فيه بوجه من الوجوه مايعين على سد النقص وملافاة العيوب وانتاج مثال للانسانية أقرب الى الكمال فى المولود الجديد . وثابت عند علماء الخلقة أن صفة الجنس عند الرجل والمرأة على درجات جد متفاوتة ، فينبغى اذن ليتعادل اثنان أن يكون مقدار الذكورة عند هذا الرجل مقابلا لمقدار الأنوثة عند هذه المرأة حتى يتكافآ . وليس بدعا أن ينشد أفحل الرجال رجولة أكثر النساء أنوثة والعكس بالعكس . كذلك يؤثر القصار طوال القامة ، ولا ينكر ذوو الانف الافطس من لهم أنف أقنى ولو كان كمنقار الببغاء ، وهلم جرا . وكذلك الحال فى الطباع ، فيرتاح المرء لمن يغايره فى طبعه . وكيف يكون دوام الوفاق بين طبعين محتدم ومحتدم ؟ وكيف لاتكون مملولة صحبة جبلتين رزان ورزان ؟ . وليس المعنى اننا نعشق النقائص التى نحن منها براء بل الاصح أنها تبدو هينة فى نظرنا الى جانب هناتنا التى يجسمها لنا فرط الرغبة فى التنزه عنها ، وأدخل من هذا وذاك فى المعنى اننا نصبو عند غيرنا الى ماليس فينا من المزايا ونشتاقه ايما اشتياق . والمرء فى هذا كله يأتمر — دون أن يدرى — بأمر عال هو أمر النوع كله

ومن الشواهد الممتعة هذا الاهتمام الخفى تلحظه حين يلتقى فتى وفتاة للمرة الاولى . فاذا هما يترامقان بنظرة نافذة ويتقصيان فى تفحص الملامح والقسمات وتقاطيع الجسم . وهذا التقصى

والاستقراء بمثابة التأمل والتدبر من جانب روح النوع لمصلحة الوليد المنظور من هذين وما عسى أن تكون مقوماته . وهذا التأمل حكمه بات مبرم فى تقدير الميول والاشواق بين الطرفين. ولقد يسفر هذا التأمل عن تكشف خلة غير ملحوظة بعد ان تهيأت النفس للاقبال وبدرت منهـا بوادر الحب فاذا بها تعزف وبقر اعتلاجها . وتلك الخلة قد تكون غير ذات شأن عند الفرد الا أنها للنوع غير ملائمة فانتفصم اذن بين الطرفين العلائق ولتكسر القلوب ولتهدر المصالح الشخصية المشتركة . فان مصالح النوع هى المقدمة وشأنها الاول ، ومصلحة الفرد الى جانبها شيء غير مذكور . وهل الافراد الى النوع الاظلال رهن الفناء بالقياس الى عنصر البقاء، وهل مصالحهم الى مصلحته الا المحـدود بالقياس الى غير المحدود . كذلك تقوم روح النوع كالرب الجبار تضحى بالافراد لخدمة غايتهـا كلما اقتضى الحال ، من غير رحمة ولا رثاء ، وتسوقهم غير حافلة بما يصيبهم للمشاركة فى المعمعان ، وتطارد عصاتهم وتلاحقهم من كل المهارب والمظان ولو اعتصموا فى خلوات الصوامع

ولقد رأينا فيما تقدم ان العشق يزداد بقدر انحصاره فى شخص دون غيره . وقلنا ان سر ذلك مرجعه الى ان هذين العاشقين بطبيعة تكوينهما متكاملان ، فهما زعيمان بتحسين مثال النوع ورده الى حال النقاء والسلامة . والعشق هنا رسالة فى سبيل النوع فله عند الناس منزلته المحترمة الرفيعة . وأما الغريزة الجنسية البحتة فساقطة الاعتبار مبتذلة لانها غير متجهة الى شخص بذاته بل الى الجميع من غير تمييز ، ولامطلب لها غير حفظ النوع من ناحية العدد وحده دون اهتمام بالصفة . والعشق المقصور على شخص بذاته يكون من الشدة وفرط الهيام بحيث لا تبقى بدونه لطيبات الحيـاة وللحياة نفسها قيمة . وانه ليخيل للرجل والمرأة وقتئذ ان هم كل منهما فى الآخر . والهم الحقيقى من ورائهما فى الغيب اى خارج نطاق الموجودات بالفعل . وهو الوليد المستقبل لا ينجبه بذاته غيرهما ، ولولاه لماكان ثمة محل لان يتعلق هذا الرجل بهذه المرأة وليس عندها له ا كثر مما عند غيرها

وانك لترى أن فقد الحبيبة من غلبة مزاحم أو معاجلة منية فيه للمحب ألم ليس فوقه ألم . لان الفجيعة لاتمس المحب باعتباره فرداً فحسب ، بل تصيبه فى جوهره الخالد أى فى حياة النوع الذى هو موكل بتحقيق ارادته الخاصة على وجه بعينه . ولطالما كان اخفاق الجمع بين فتى وفتاة بعينهما مزهداً لهما فى الحياة ، إذ تبدو عاطلة من كل فتنة وبهجة تافهة غثة حتى ليتغلب التبرم بها على رهبة الموت . وقد ينتحر هذا أو ذاك ، أو ينتحران معاً ويقتضبان ايامهما اختياراً . واذا ظن أحدهما بالآخر ذنب الاخفاق فقد يقتله شر قتلة كانه من أهل عداوته . ولا عداوة هنا غير الحب

فهذه الاشواق والتباريح التى لا يحدها الوصف من أجل امتلاك امرأة بعينها لا يمكن أن يكون منشؤها مجرد لبانة يقضيها فرد زائل . وأنما هى تلهف روح النوع إذ يرى هنا فرصة وحيدة لا تتكرر لانجاب مثال بعينه . وما بالك بلهفة النوع تزحم صدر الانسان فى حيزه الضيق فأى عجب

اذا ضاق بها صدره حتى ليكاد يتفطر ، وأعياه التعبير عما يخالجه من لاعج عذاب مقيم أو هاجس نعيم لانهائي ؟ اللهم هذا سر ما نلقاه فى الطبقة العالية من أشعار العشق من صادق الأريحية وسبحات الروح القدسية ، والكنايات الكونية والاشارات الصوفية المحلقة فوق كل ما هو أرضى . وعلى غير هذا الوجه لا سبيل الى فهمها وتفسير كنهها

ثم هذا الحب بين رجل وامرأة من أول نظرة قبل أن يتعارفا ، ماذا يمكن أن يكون ملهمه وصاحب وحيه ان لم تك هي روح النوع ؟ وليس يقع هذا فى النادر بل هو الغالب الاعم . واشهر الامثلة عليه غرام الصبي دانتي بالصبية بياتريس والرجل بترارك بالمرأة لورا ، واستئثار هذا الحب على ما فيه من حرمان بمجامع قلب الشاعرين مدى حياتهما . فلقد عاش كل منهما عمره ومات ، وهذا لا يعرف الحب إلا أنه بياتريس ، وذاك لايعرف الحب إلا أنه لورا . وهذه الحقيقة جلاها شكسبير فى قوله القاطع : « لم يحب قط من لم يحب لأول نظرة »

وأما وللحب هذا الشأن فلم يبق موضع للدهشة فى أن ترى البطل من ذوى البأس والجلد يخجل من التفوه بشكاة إلا شكاة الحب فانه يفرج عنها وينفثها ، انها زفرة النوع لا زفرته . وحتى الشرف فى علياته لا يصمد فى وجه الحب ، فكم من قائد نزل عن فتوحه ومجده فى سبيل من أحبها ، وطرح الف اكليل من أكاليل الغار ليلثم خصلة من شعرها . وكم من امرأة وفية ما كانت تسلم فى نفسها لو كان النذير الحمام ، ولكنها سلمت نزولا على حكم الغرام . وكذلك سائر الاعتبارات من جاه وأسرة ومال وراحة بال كلها مغلوبة له مضحاة على مذبحه

ونحن فى الروايات نخص بالعطف كل الفين عاشقين ونتتبع ما يجرى عليهما من الغير والصروف بقلوب واجفة ونتمنى لهما الغلبة على العوائق من نواميس المجتمع وتقاليد البيئة وارادة الآباء وحق الزوج . وذاك فى حقيقة الأمر لانهما فى نضالهما الغرامى انما يذودان عن مصلحة النوع . وموضوع معظم الروايات فى كنهه ان هو الاظهور روح النوع على مسرح العمل . وهذا الروح فى الروايات الهزلية يجعل ما عداه من حقوق الافراد ومصالحهم هزأة وأضحوكة . وهو فى الروايات الجدية يعرض انتصار العاشقين كأنه حكم العدالة الاخير ، فيه رد الامور الى نصابها واقرارها بعد طول لأى فى مستقرها ، والا فيعرض مصرعهم فى سبيل نصرة غاية النوع كأروع مصرع لشهداء الواجب

ونحن فى حماستنا للعاشقين على يقين مثلهما جازم بسعادتهما الزوجية المنتظرة ، تلك السعادة التى يتمثلانها شاملة شاسعة بغير آخر ويرفعان اليها الطرف يستمدان منها القوة المجددة على الجهاد حتى يكتب لهما النصر . ولكن هنا وهناك قد تحقق النصر للحب ، فهل تحققت السعادة للمحبين ؟ ان حباً كهذا مطلوباً لذاته غير منظور فيه الى الملابسات المحيطة لا يلبث أن يتعارض مع المقتضيات الاجتماعية والظروف المعاشية التى لم يحسب لها حساب ، ويصطدم الحب بحقيقة الموقف فيفتح عينه

فاذا صرح بنائه للمستقبل ومشاريعه عرضة للتداعى وتقوض الاركان . وما لنا نقف عند المؤثرات الخارجية ، وهذا الحب قد يتعارض وشيمة الفرد الشخصية . فترى فى بعض الحالات أحد العاشقين فيما عدا العلاقة الجنسية يكره صاحبه ويحتقره بل يمجه . ولكنها ارادة النوع لها من السلطان على الفرد مايجعل العاشق يطوى النفس على مكروهها . وكائن ترى من عاقل نابه من الرجال متصل بسعلاة من النسوان سليطة اللسان . وفى مثل هذا يقول القائل : « ليكن الاثم فى قلبك ، فانى ما سألتك ولا ذاك يعنينى . وانما أعرف انى احبك ، كنت أياً شئت أن تكونى »

فالفرد من ارادة النوع فى مثل اعصار لا يملك فيه أمر نفسه . وروح النوع هذه لا تهادن الأرواح الواقية للافراد ، بل هى معها فى نزاع دائم تدير رحاه وتداول علينا فيه أنواع القهر والوان الخديعة حتى يظفر النوع بغايته وان شقى بها الافراد . ولماذا لا ينهض كل بنصيبه من الشقاء وفى ذمة كل جيل للذى قبله دين يجب الوفاء به للذى بعده . والضمين على بقاء الحياة أن يكون الحى قائما فى النوع أكثر منه فى الفرد

ونذكر هنا كلمة شامفور الغاضبة الساخطة : « لا هم للطبيعة الا بقاء النوع . وحسبها لاستبقائه أن تسخر نزوات حمقنا وتستفيد من خفة أحلامنا . فانا اذا ثملت وأقبلت على خادمة من قيان الحان أو بنت من بنات الهوى فان غرض الطبيعة يكون قد تم مثل تمامه بوصال غانية من غوانى البيوتات بعد مراودة سنوات . ولو عقلت لانقذنى عقلى من القينة ومن بنت الهوى ومن الغانية أيضاً . والا لوكان المشير العقل فأيما رجل كان يحب أن يكون أباً فيجر على نفسه كل هذه الهموم طوال المستقبل ، وأية امرأة من أجل صرعة دقائق معدودات تكلف نفسها وعكة سنة كاملة . فالطبيعة اذ تخدعنا عن عقلنا انما تمكن بذاك من سلطانها »

وبعد فهذى حقيقة الحب . وهب أنها الحقيقة المطلقة وقد عرفناها . فهل ترانا أفدنا من معرفتها عدم الانخداع به والوقوع فى حبائله وأوهاقه ؟ هل اذا طالعتنا بعد اليوم طلعة للجمال رائعة متلألئة بالنعيم رقراقة ، ذكرنا انه السراب الخادع يغرينا فاذا بنا نشيح عنه بالوجوه مستضحكين ؟ هيهات ، هيهات . فالحب سواء اكان سراباً بقيعة أو ماء ، فانه المؤنس على وعوثة السير فى هذه الصحراء . وسواء أكان باطلا أو حقا فانه وطبيعة الحياة سواء بسواء ، ولا معدى لنا من ان نحب ونحن بحكم الحياة أحياء

عبد الرحمن صدقى

ه المرأة جديرة بان تصنع الشر أو تلحق باحد أذى لا لشىء الا لكى تقص ذلك على صديقاتها فى المجتمعات (الفريد كابوس)

نساء الشرق العربي

بين النهضة والخمول

المرأة فى مصر – فى السودان – فى سورية – فى العراق – فى شبه جزيرة العرب – فى بلاد المغرب – فى سواحل افريقيا

حينما نطلق اسم النهضة على الحركة الجديدة التى بدت فى الاقطار العربية ، فانما نعنى بها هذه الظاهرة العامة التى تبدو فى الشرق العربى من الرغبة فى التقدم والعمل له . وإن كانت هذه الرغبة وهذا العمل يقويان أو يضعفان حسب تباين الامم العربية فى درجة رقيها وأخذها باسباب الحضارة الحديثة

فليست الامم العربية تعيش عيشة متحدة من كل الوجوه ، ولا هى تخضع لمؤثرات واحدة ولا تتصل بالحضارة الغربية بصلة واحدة . بل هى متباينة فى كثير من ذلك تبعاً للظروف والعوامل المحيطة بها . فبينا نرى بعضها قد أخذ بحظ وافر من الرقى اذا بالبعض الآخر قد حرم هذا الحظ أو قلت صلته بالحضارة الاوربية ، فقلت ممارسته لعاداتها واقتباسه من تقاليدها التى تتعارض فى كثير من الاحيان مع تقاليده القديمة

المرأة في مصر

فمصر وسورية والعراق والحجاز وغيرها من الاقطار العربية فيها نهضات نسائية ، ولكننا لانستطيع ان نزعم ان هذه النهضات متحدة متشابهة من كل الوجوه ، حتى ولا فى قطرين متجاورين. ومما لاشك فيه ان مصر أخذت بحظ غير قليل من الرقى وظهر فيها عدد من المصلحين نادوا منذ القرن التاسع عشر بتحرير المرأة وتربيتها تربية اجتماعية راقية ، وانشئت فى ذلك المؤلفات ونشرت المقالات ، فضلا عن اتصال مصر باوربا اتصالا وثيقاً أوقد نار هذه الحركة ،فكان طبيعياً أن تكون المرأة المصرية أول نساء الاقطار العربية تقدماً وأخذاً بأسباب الرقى

وقد كان المصريون قبل مائة عام يحجمون احجاماً غريباً عن تعليم بناتهم ، وهم يعتقدون ان تعليم البنت مفسدة لأخلاقها ، وسبيل الى شقاء المجتمع . وكأنهم كانوا ينظرون الى قول ابى العلاء :

علموهن الغزل والنسج والرد ن (١) وخلوا كتابة وقراءه
فصلاة الفتاة بالحمد والاخـ لاص تجزى عن يونس وبراءه
تهتك الستر بالجلوس امام الستـ ـر إن غنت القيان وراءه

فلم يستطع محمد على باشا الكبير فى ذلك الوقت إلا ان ينشىء مدرسة واحدة للقابلات يتعلم فيها بنات الشعب شؤون الولادة ، وكان يغريهن للاقبال على هذه المدرسة بالمكافآت الشهرية ، ويمنح المتخرجات فيها مرتبات والقاباً عسكرية . ومع كل هذا الاغراء والتشجيع لم يقبل الاهالى عليها ، فاغلقت هذه المدرسة ابوابها

حتى اذا كان عهد الخديو اسماعيل دعا المرحوم رفاعة بك رافع الطهطاوى الى تربية المرأة تربية تتمشى مع العصر الحديث ، ونادى بوجوب تعليمها من اعمال الرجال وصناعاتهم مايؤهلها له استعدادها العقلى والبدنى . فكان رفاعة بك من هذه الوجهة اول من دعا فى مصر فى العصر الأخير الى مساواة المرأة بالرجل فى الاعمال بل اول من دعا فى هذه البلاد الى اختلاط البنات والبنين فى التعليم قبل المرحوم قاسم بك امين بنحو ثلاثين عاماً . وقد الف كتاباً فى ذلك باسم « المرشد الامين للبنات والبنين » ، جاء فيه :

« ينبغى صرف الهمة فى تعليم البنات والصبيان معاً ، لحسن معاشرة الازواج ، فتتعلم البنات القراءة والكتابة والحساب ونحو ذلك ، فان هذا مما يزيدهن ادباً ويجعلهن بالمعارف أهلا ، ويصلحن لمشاركة الرجال فى الكلام والرأى . وتتمكن المرأة عند اقتضاء الحال من أن تتعاطى من الاشغال والاعمال مايتعاطاه الرجال على قدر قوتها وطاقتها . فكل ما تطيقه النساء من العمل يباشرنه بانفسهن »

وقد كانت لهذه الآراء قيمتها عند العقلاء . وكان الخديو اسماعيل متأثراً بالنهضة الاوربية ، راغباً فى ان يتقدم بمصر تقدماً عظيماً لتساوى البلاد الأوربية فى تقدمها ورقيها ، وخصوصاً ما يختص بتربية المرأة التى هى فى الواقع أساس رقى الامة أو انحطاطها . غير أن التقاليد القديمة كانت عقبة فى سبيل تلك الطفرة التى كان يريدها اسماعيل ، ولذلك اضطر الى التدرج وأوعز الى احدى عقيلاته ان تنشىء مدرسة للبنات تنسبها لنفسها . وهى مدرسة البنات بالسيوفية بالقاهرة . وهى تعتبر أول مدرسة للبنات انشئت بمصر فى العهد الحديث

وهنا بدأت اذهان بعض الاهالى تتفتح الى وجوب تعليم البنات . فاقبل عدد لابأس به على تشجيع هذه الفكرة . وما انقضى القرن التاسع عشر حتى بدأت فكرة السفور تظهر لأول مرة . وكانت أول سيدة مصرية سفرت فى المجتمعات واشتركت مع الرجال فى حضورها هى

(١) الردن تنضيد الاشياء

سمو الأميرة نازلى هانم . وقد كان قصرها منتدى العلماء والأدباء . نذكر منهم : الشيخ محمد عبده ، وسعد زغلول ، وقاسم امين ، وابراهيم اللقانى ، ومحمد المويلحى . وكانت هذه الاميرة اول من شجع قاسم امين على الجهر بحرية المرأة ومساواتها بالرجال فى المجتمع . فعارضه انصار القديم معارضة شديدة ، وانبرى هو يدافع عن آرائه ولم يأبه بما لقيه فى هذا السبيل من عنت واعنات موقناً بصلاح دعوته وفائدتها لمصر ومستقبلها

وقد اثبتت الايام صحة مادعا اليه قاسم امين . وأقبل الناس يخلعون قيود الماضى ويحررون المرأة من سجنها ويرسلون بناتهم الى معاهد التعليم . وأنشئت الصحف والجمعيات النسائية التى نذكر منها جمعية « المرأة الجديدة » برياسة حرم شريف باشا ، وجمعية « الاتحاد النسائى المصرى » الذى ترأسه السيدة هدى هانم شعراوى ، وهو فرع من الاتحاد النسائى الدولى . هذا الى مشاغل البنات التى انشأتها بعض الجمعيات لتعليم الفتاة التطريز وصنع الملابس والسجاد وما اليها

ولما رأت الحكومة هذه النهضة المباركة ، أفسحت المجال أمام الفتيات فى التعليم العالى ، وأرسلت منهن بعثات الى جامعات اوربا ، وسمحت بدخول بعضهن الى كليات الجامعة المصرية فتخرجت منهن طائفة من الحاصلات على الشهادات العليا فى الفلسفة والطب والكيمياء من جامعات انجلترا والمانيا ، وفى الادب والحقوق من الجامعة المصرية . ثم رأت الفتاة المصرية أن تغزو ميدان الطيران ، فسرعان ماظهرت الآنسة لطفية النادى فبهرت الاجانب قبل المصريين بحذقها وبراعتها

ولابد أن نذكر هنا نهضة جديدة ظهرت فى مصر منذ سنة ١٩٣٠ فى معاهد التعليم ، وهى نهضة المرشدات التى تقودها المربية الفاضلة الآنسة منيرة صبرى . وهذه النهضة ترمى الى تهيئة الفتاة للحياة العملية الصحيحة ، فتصبح نافعة لقومها وذويها ونفسها . ورائدها فى ذلك كله اداء الواجب لله وللملك والوطن ، ومساعدة الناس فى جميع الظروف ، والتحلى بالصفات النبيلة . وقد اقبل على الاشتراك فى هذه النهضة آلاف من تلميذات القطر . وفى اعتقادنا انهذه النهضة التى أخذت بها قبلنا انجلترا وفرنسا والمانيا وغيرها من الامم الحية هى أحسن طريق عملى للتطور الجديد الذى يبنى عليه مستقبل المرأة المصرية

المرأة فى السودان

أما المرأة السودانية فهى مازالت على حالتها الأولى ، لم تأخذ حظها من الرقى والتعليم . وما زال الاهالى يعتقدون ان تعليم بناتهم وسيلة الى الفساد . وقد كتب السير جون مافى حاكم السودان السابق فى بعض تقاريره عن احوال السودان فصلا عن المرأة ، جاء فيه : أن أهم العراقيل التى تعترض التقدم الصحى فى هذه البلاد ، ما عليه المرأة السودانية من الجهل والتأخر . غير أن

هناك بوارق امل تدفع الى التفاؤل بنهوض المرأة ويقظتها فى المستقبل القريب . وقد اقتنع اخيراً بعض رؤساء قبيلة البيجا بفكرة تعليم النساء لسببين : اولهما انها أصل كثير من المنازعات ، وثانيهما أن الرجل الغائب عن أهله لا يستطيع أن يبلغ اسراره لزوجته إلا اذا كانت متعلمة القراءة والكتابة

المرأة السورية والفلسطينية

أما المرأة فى سورية ، أو فى سورية وفلسطين - كما يقولون - فتكاد تشبه اختها المصرية فى كثير من وجوه الثقافة الوطنية ، وان كانت المصرية أكثر سبقاً منها فى ميدان التقدم . وكما ضحت ابنة وادى النيل وجاهدت فى سبيل بلادها أيام الثورة ، فان المرأة السورية كانت مثلا من هذه الامثلة العليا فى التضحية والشجاعة والاقدام

وهى تتلقى تربيتها الأولى فى المنزل . ولديها فى مجال التعليم فرص سانحة لمشاركة الرجال - سواء بسواء فى المدارس الابتدائية والثانوية - حتى اذا حصلت على البكالوريا كان لها أن تدخل الجامعة وتتلقى التعليم مع الرجال جنباً إلى جنب . ومن الفتيات اللاتى تخرجن من الجامعة : الآنسة اديبة فارس ، والآنسة سميحة مفتاح . وهما من المتخرجات فى كلية الآداب . وفى سورية آنسة محامية وعدد غير قليل من الطبيبات والمعلمات

وكما اشتركت المرأة السورية فى الادب والطب والمحاماة والتعليم كذلك اشتركت فى الصحافة وأخذت منها بحظ . ومن الصحفيات فى تلك البلاد آنستان احداهما من أسرة العظم ، وثانيتهما من اسرة الطرزى . وهما أسرتان من أكبر الأسر السورية

أما السفور بين مسلمات سورية ، فما زال سائراً بالتدريج ، ونستطيع ان نقول إن هناك نصف سفور . ولم يسفر من المسلمات فى هذه البلاد سفوراً تاماً غير اسرة الطرزى التى تشبه نساؤها بالأوربيات فى أجمل عاداتهن

والنهضة النسائية فى سورية تبدو صورة مصغرة من النهضة النسائية فى مصر . ولكن لو اتيح لها التشجيع الكافى لأثمرت وتقدمت بخطوات واسعة . ومع ذلك فهناك روح قوية تبعث على الامل فى تقدمها . وقد أخذ المتعلمات منهن فى السنوات الأخيرة يعقدن المؤتمرات النسائية ويسافرن لعقدها فى بعض البلاد الشرقية المجاورة . وأشهر زعيمة للنهضة النسائية فى سورية هى السيدة نور حماده . أما اللاتى يرجع لهن الفضل فى ايقاد نار الحماسة اثناء الثورة الوطنية فهن السيدة نازلك العابد ، والسيدة ساره العظم ، وسيدة ثالثة نمسك عن ذكر اسمها

ولابد لنا هنا من ذكر كلمة عن المرأة الدرزية ، فهى وان كانت على الفطرة إلا انها من أحسن النساء بطولة وبسالة وجرأة . وهى تربى طفلها على هذه الصفات وتغرس فيه بذورها منذ

الطفولة الأولى ، فتراها تغنى له اذا بكى فى المهد بقولها :

يا شبل وا كتب لاسماعيل المعسكر خش المزرعه
يارب تكبر مهرتى تكبر وانا خيالها
نحن جمالك ياجبل نحن لها نحن لها

وتراها تبث فيه روح الاقدام اذا شب فتلقى على سمعه قول الراجز :

نحن بنو الموت اذا الموت نزل لا عار فى الموت اذا حم الاجل
فالموت عندنا لذيذ كالعسل

فينمو الطفل على هذه الصفات قوى البأس شديد المراس ، يستخف بالاهوال والمخاطر ، ولا يبالى بالموت

المرأة في العراق

وقد انتقلت المرأة العراقية الى طور جديد منذ تبوأ العرش المرحوم الملك فيصل . فقد عنى رحمه الله بتعليم الفتاة العراقية وتربيتها تربية حديثة . وقد كان عدد المدارس قبل أن يتولى عرش العراق لايزيد عن ثلاث ، بها نحو مائتى تلميذة ، فاهتم بالاكثار منها حتى أصبح هناك أكثر من اربعين مدرسة بها نحو خمسة آلاف وخمسمائة تلميذة

ولم تهمل الحكومة العراقية أمر بعثات البنات ، فارسلت عدداً منهن لدراسة الفنون المختلفة فى الخارج . وأقبل الاهالى على تعليم بناتهم . وشجعتهم الحكومة على ذلك بقبول الكثيرات مجانا . وهناك الى جانب دار المعلمين دار للمعلمات بها نحو خمسمائة تلميذة

ولكن مسألة السفور ما زالت تصادف معارضة شديدة بين المسلمين . ولا يكاد يوجد من المسلمات السافرات فى العراق غير عشر نساء تقريباً

والمرأة العراقية فى الطبقة الراقية تشبه المصرية فى هذه الطبقة . اما فى الطبقات الاخرى فتنقص فيها العراقية عن اختها المصرية . وليس فى العراق جمعيات نسائية غير واحدة تدعى « جمعية نادى السيدات » ، وهى تتألف من عدد قليل من سيدات الاسر الراقية . ورئيستها عقيلة نورى باشا السعيد

اما الصحافة فلم تزل العراقية بعيدة عنها . بل هى تخشى النقد إذا ظهر اسمها او صورتها فى جريدة سيارة . ولذلك فان المتعلمات لا يجرؤن فى كثير من الاحيان على نشر مقالة من المقالات الا باسم مستعار

المرأة في شبه جزيرة العرب

ونعنى الحجاز ونجداً وتهامة والبحرين واليمن . والمرأة فى هذه البلاد تكاد تكون أمية .

غير انه ظهرت بوادر نهضة فى بلاد الحجاز بتشجيع جلالة الملك ابن سعود الاهالى على تعليم بناتهم ، وأنشأت الحكومة السعودية بعض مدارس على منهج يوافق حالتهن . وتتلقى البنت الدين وبعض المعلومات الاولية حتى اذا بلغت سن التاسعة حجبت فى المنزل . وليس فى الحجاز وما جاوره من تهامة ونجد والبحرين واليمن نهضة نسائية حقيقية على نحو ما هو موجود بمصر وسوريا والعراق . وقد الفت النساء فى هذه البلاد المنزل على نحو ما كانت عليه جداتهن . والف الاهالى هذه الحياة لبعدهم عن الحضارة الاوربية . ومن الاشياء التى تلفت النظر فى هذه البلاد ان كثيراً من نسائها يحفظن القرآن الكريم . وقد اكتسبن منه عادات فاضلة وآداباً عالية . وتخلقن بأخلاقه الكريمة

المرأة في بلاد المغرب

والمرأة فى طرابلس وتونس والجزائر ومراكش أحسن حالا من المرأة العربية فى شبه الجزيرة لقربها من الحضارة الاوربية واتصالها بالمدنية الغربية التى تجاور بلادها . ولكن البدويات من نساء هذه البلاد على الفطرة . أما المتحضرات فقد أخذن بقسط من التعليم . ولكن تعليمهن - وا أسفاه - يرمى إلى نسيان الماضى واغفال كل ما يتعلق بالقومية العربية . فهن فى حال لا يحسدن عليها . ولم نسمع إلى الآن عن جمعيات نسائية أنشئت فى هذه البلاد . ولا بزعيمات ينادين بالمطالبة بحقوق المرأة . غير اننا نسمع بين حين وآخر بامثلة من الفتيات الناهضات اللاتى يتشبهن بالاوربيات فى حياتهن الجديدة . ومن هؤلاء السيدة عائشة الجزائرية التى طافت اوربا على حصان

في سواحل افريقا وجاوه وما جاورها

والنساء فى تلك البلاد يكدن يكن في درجة واحدة فى الاخذ بأسباب التقدم والنهوض . فما زلن فى الطور الاول - طور التقليد واليقظة البطيئة . غير أن التيار الاوربى الحديث الذي يجرف الشرق الآن أخذ يؤثر فى هذه البلاد تأثيراً ظاهراً . وقد بدأت مدارس البنات تظهر بالتدريج وأخذت سلطنة زنجبار تخلع عنها رداءها القديم وأخذ الاهالى يقبلون على هذه المدارس التى أنشئت اخيرا تحت اشراف سيدة انجليزية لتعليم الفتيات التمريض والتدبير المنزلى . وكانت البلاد قبل ذلك خالية حتى من هذا التعليم الضرورى

أما الحجاب فما زالت المرأة فى غير الطبقة الفقيرة من أهالى البلاد محتفظة به احتفاظا ورثته عن امهاتها فى الازمنة الغابرة

طاهر الطناحي

المرأة التركية

في أدوار نهضتها الحديثة

قطعت المرأة التركية الحديثة شوطاً بعيداً فى المدنية والرقى ، ونالت مكانة سامية فى المجتمع التركى وأصبح يحق لها أن تفخر بأنها فى مقدمة نساء الشرق عامة . فقد نالت ما نالته عن جدارة واستحقاق

وليست الحركة النسائية التركية بنت يومها فما من حركة إلا ولها جذور فى الماضى وتلاد تعتمد عليه كأساس للنمو المطرد ، ولما كان تقدم المرأة التركية سلسلة مشتبكة الحلقات ، فقد عمدنا الى تقسيم موضوعنا إلى أربع مراحل : المرحلة الاولى من عصر عبد الحميد الى اعلان الدستور ، والثانية من عصر حكومة الاتحاد والترقى الى نهاية الحرب العظمى ، والثالثة من حرب الاستقلال الى اعلان الجمهورية ، والرابعة والاخيرة من عهد الجمهورية التركية منذ اعلانها الى اليوم

من عصر السلطان عبد الحميد الى اعلان الدستور

كانت المرأة التركية فى عصر عبد الحميد صورة لما كانت عليه أيام سلاطين آل عثمان عامة . ولم يكن هناك اختلاف إلا فى الثقافة . فقد انتشرت القراءة والكتابة بين الطبقات الغنية وفى قصور السلطان ، وكانت الاميرة التركية أو زوجة الباشا تجيد القراءة والكتابة ، وتتفاهم بأكثر من لغة أجنبية ، وتقرأ المصنفات الغربية وتتبع تطور العلوم والآداب . وأكثر من ذلك ان المرأة التركية الغنية أنجبت شاعرات لهن دواوين مطبوعة وبحوث قيمة وآراء فى السياسة والاجتماع . ونخص بالذكر منهن الشاعرة فتنت هانم والشاعرة نيكار هانم

يتضح لنا من ذلك ان المرأة الغنية فى هذا العصر كانت مغلولة بأغلال التقاليد فى كل شيء إلا فى الثقافة ، فكانت لا تخرج من منزلها الا نادراً واذا خرجت خرجت ممعنة فى الحجاب . على أنها كانت تغذى عقلها وتنمى ثقافتها بالاطلاع على الآثار الادبية والعلمية . وقد حاولت المرأة الغنية أن تقطع فى الثقافة شوطاً أبعد مما وصلت اليه فهمت بالسفر الى أوربا . ولكن السلطان عبد الحميد لم يسمح بذلك ، وبذا بقيت المرأة فى تركيا ، ولم تشذ عن تلك القاعدة الا أميرة واحدة هي الاميرة أمينه هانم حليم حرم الجنرال محمد شريف باشا سفير تركيا فى استوكهلم ، فقد صممت هذه الاميرة على اللحاق بزوجها فى الخارج ، واستطاعت أن تسافر خلسة بأن تظاهرت بالسفر الى مصر ، ومن هناك ذهبت الى استوكهلم . ولما بلغ السلطان سفرها سأل احد اقربائها : « الى أين تذهب هذه الاميرة ؟ » فأجاب القريب : « الى زوجها » فقال السلطان : « حسناً فعلت ! »

هذا عن الطبقة الغنية أما نساء الطبقة الوسطى فلم تكن لهن هذه الثقافة الواسعة، وان كن أشف حجاباً وأخف أغلالا من نساء القصور. فاذا ما وصلنا الى طبقات الشعب رأينا الفلاحة الجاهلة التى لا تقرأ ولا تكتب ولكن تهيمن على الاسرة بما عرف عن المرأة التركية من اليقظة والصرامة (١)

من عصر حكومة الاتحاد والترقى الى نهاية الحرب العظمى

بدأت هذه المرحلة باعلان الحرية والدستور. ولكن من الخطأ أن نقول ان المرأة التركية نالت حريتها بمجرد اعلان الدستور، فانها ظلت على حالتها السابقة حتى أعلنت الحرب العظمى ودخلتها تركيا لتخرج منها ضعيفة محطمة القوى ناضبة الموارد. ولم يكن بقاء المرأة التركية على حالها الا حفاظاً على ما عهدته فى القرون الماضية. ولم يكن هناك ما يحملها على الطفرة إذ أن عصر حكومة الاتحاد والترقى لم يكن طفرة كما يظن بعض المؤرخين، فقد كان تحولا من استبداد مرهق الى سلطنة تقيدها ارادة الشعب. أما فيما عدا ذلك فلم يحدث تغيير فى السياسة والاجتماع

فلما أعلنت الحرب العظمى ودخلتها تركيا تبدلت الحال وانتقلت المرأة من الخمول المحض الى النشاط الذى لا حد له. وكان النشاط فى الطبقات المتوسطة والفقيرة أظهر منه فى الطبقة الغنية. وذلك لان الحرب حملت زهرة الشباب التركى الى ميادين القتال ولم يبق فى البلاد الا الكهول والاطفال والنساء. وكان بقاء المرأة فى حدود الاسرة الضيقة مستحيلا. فقد دعاها داعى الوطن الى العمل فرضت الجنود وخدمت فى المستشفيات وحملت السلاح الى المقاتلين وشغلت كثيراً من الوظائف وساقت الترام والسيارات وكنست الشوارع وقامت بكل ما كان يقوم به الرجل من الاعمال. ولم يكن هذا التطور طبيعياً بل فرضته المحنة القاسية التى ألمت بالبلاد. ولحسن الحظ لم يتبع هذا التطور ما يتبع الطفرة من الفوضى والاضطراب، فقد كانت البلاد تئن من فرط التضحية والآلام، ولم يكن هناك من يجرأ على ايقاف المرأة عند حدها، وليت شعرى كيف يوقفونها وهى تؤدى ما فرضه الواجب نحو الوطن؟

عبرت المرأة التركية الحرب العظمى بنقابها وتقاليدها، وازدادت الطبقة الغنية علماً وثقافة، كما ازدادت الطبقات المتوسطة والفقيرة خبرة وتجربة واعتداداً بالنفس، وكانت هذه المرحلة أساساً متينا لما جاء من التطور بعد ذلك فى عهد الجمهورية

من حرب الاستقلال الى اعلان الجمهورية

أثبتت المرأة التركية فى هذه المرحلة جدارتها وقوة إرادتها وأحقيتها فى نيل حقوقها كاملة.

---

(١) لما كان الشعب التركي من نسل الشعوب التركية في أواسط آسيا، فقد ورث عن تلك الشعوب تقدير المرأة واحترامها وتركها حرة في كل ما يتعلق بالاسرة

ونحن لا نحجم عن القول بان ما قامت به من أعمال البطولة فى حرب الاستقلال لا نكاد نجد له شبيهاً فى التاريخ ، فقد أراد الحلفاء تقسيم تركيا والقضاء على استقلالها ومكانتها السياسية والحربية ، فمهدوا لذلك بالاحتلال اليونانى الذى أحرقت فيه القرى وانتهكت الأعراض وأبيح الحرم التركى للعدو الظافر ، وهكذا رأت المرأة التركية خدرها المصون وقد لوثته البهيمية الجامحة ، فرفعت لواء الثورة كأروع ما حدث فى التاريخ ، وأضافت إلى مواساة الجرحى وتضميد جراحهم الاشتراك مع الجنود فى القتال وطرد العدو . ومن ثم رأينا نساء ضابطات وصلت احداهن إلى رتبة اليوز باشية (وهي اليوز باشى أمينة هانم) ، ورأينا منهن رئيسة احدى العصابات التى بدأت بها الثورة الكمالية. كما حدثنا رءوف بك أحد أعلام حرب الاستقلال فى زيارته مصر فى العام الماضى عن هجوم النساء فى « آلا شهر » على الارمن بالزجاجات الفارغة وقتلهن مائتى ارمنى . . هذا إلى انهن حملن الارزاق والذخائر إلى ميادين القتال ، مما دعا الغازى إلى الاعتراف بهذا الجميل فى خطبه الكثيرة التى بدأ بها عهد الجمهورية . وقصارى القول ان المرأة التركية خرجت من حرب الاستقلال ظافرة بعد أن ساهمت مع الرجل فى انقاذ البلاد ، ودخلت عهد الجمهورية وقد حملت إكليل الغارفوق جبينها

من الجمهورية إلى اليوم

فى هذا العهد جنت المرأة التركية ثمار ماغرسته ، ونالت ما كانت تنشده من الحقوق ، وفتحت أمامها المدارس والجامعات والوظائف الحكومية والأعمال الحرة ، فانطلقت تدرس العلوم والطب والمحاماة والهندسة والتعليم والفنون والآداب ، ثم ولجت باب الحياة العملية بثبات عجيب واعتداد بالنفس ، ولبست برد المحاماة ، وجلست على كرسى القضاء ، وانتخبت عمدة للقرى والمراكز ، وتعاطت الطب والهندسة والتعليم ، وساهمت فى حلبة الآداب والفنون ، ولم يبق إلا أن تنتخب نائبة فى المجلس الوطنى الكبير

وقد حاولت الجمعيات النسائية المختلفة أن تحمل رئيس الجمهورية على منح المرأة حق النيابة . فاعترض الغازى على هذا المنح بقوله : « لابد أن تدخل المرأة الجيش قبل أن تنال حق النيابة » . ولا شك انه أراد أن يقول إن على المرأة أن تؤدى مايؤديه الرجل من الواجبات قبل أن تنال حقوقا كحقوقه . ولما كانت المرأة التركية لا تدخل المجلس الوطنى الكبير فقد استحال عليها أن تنال كرسى الوزارة . ولكن التطور الاجتماعى المطرد فى تركيا يحمل على الظن بانها ستجلس على هذا الكرسى فى المستقبل القريب بعد أن عولت على دخول الجيش

ومما يحملنا على التفاؤل بنجاح الحركة النسائية فى تركيا واطراد تقدمها انها اعتمدت فى تطورها على حق شرعى وعلى تشجيع من الحكومة ومن رئيس الجمهورية . فأما الحق الشرعى فقد كفله القانون السويسرى الذى استعارته الجمهورية التركية ، وبذا قضى على تعدد الزوجات وعلى

خضوع المرأة للرجل خضوعا مطلقا . وأما التشجيع فقد بدأ فى حرب الاستقلال ، فلما ختمت هذه الحرب وقام مصطفى كمال لقلب النظام الاجتماعى فى تركيا عزم هذا المصلح الكبير على خلق المرأة التركية خلقاً جديداً ، وأراد أن تهزم المرأة ظلمات الجهل وألا تكون دون الرجل فى الحقوق والواجبات (١) . وقد عزم على قيادة الحركة النسائية بنفسه ، فبدأ بتغيير تقاليد الزواج بان أجلس لطيفة هانم بجواره أمام شهود الزواج ، ثم اصطحبها معه الى الحفلات الرسمية والى الملاهي والمطاعم والمقاهى ، وترك لها حرية العمل فبعث فى المرأة التركية روحاً جديداً

وفى سبتمبر عام ١٩٢٥ دعا الغازى جمعا من الرجال والنساء الى حفلة رقص عامة ، وكانت هذه أول مرة رقصت فيها المرأة التركية فى مجتمع عام . وكان الغازى يرمى بهذه الطفرة الى غرض بعيد ، فقد افتتح حياته الاصلاحية بمفاجأة متطرفة لتدرك المرأة أن ليس ثمة مايحول دون تقدمها ، على أن هذه الطفرة تبعها الاعتدال شأن كل محرم لذيذ يباح فتقل الرغبة فيه

نخرج من هذا البحث الطويل بأربع حقائق لابد منها لفهم الحركة النسائية التركية ، وأولى هذه الحقائق : ان المرأة التركية فيها عناصر القوة والاعتداد بالنفس لما ورثته عن شعوب آسيا من الجد والصرامة ، وثانيتها انها نالت مانالته بعد جهاد طويل أثبتت فيه جدارتها وارغمت الرجل على الاعتراف لها بحقوقها المنشودة ، وثالثتها انها طفرت طفرة خطيرة تبعها استقرار شامل ، ورابعتها انها مازالت تسعى لاستكمال عناصر حياتها فى حدود الحقوق والواجبات نحو الوطن والاسرة . وان حركة نسائية تبنى على مثل هذا الأساس لخليقة بالاجلال والاعجاب !

محمد محمد توفيق

قبلة

كان الان شارتيه شاعراً فرنسياً رقيقاً . وقد عاش فى عهد الملكين شارل السادس وشارل السابع وشغل منصب سكرتير فى القصر الملكي

وحدث مرة أن مرت زوجة ولى العهد (لويس الحادى عشر فيما بعد) مع فريق من الوصيفات فى احدى قاعات القصر فوقع نظرها على شارتيه وكان نائما على مقعد . فاقتربت منه وقبلته فى فمه !

وكان شارتيه دميم الوجه جداً . فبهتت الوصيفات ونظرن الى الاميرة بدهشة . فقالت الاميرة وهى تبتسم :

— لم أقبل فمه ، بل قبلت مخرج الدرر التى ينثرها علينا كل يوم فى شعره !

---

(١) Paul Gentizon : Moustapha Kamal ou l'Orient en Marche, Paris 1929.

المرأة ظالمة ومظلومة

بقلم الاستاذ سليم عبد الاحد

كانت الحرب العظمى الماضية ختام مرحلة من مراحل النظام الاجتماعي وبداية مرحلة جديدة من مراحل ذلك النظام باعتبار علاقة المرأة بالعمران . فقد أخذت المرأة منذ ذلك اليوم تتبوأ مكانة جديدة فى العالم وتظهر أمام الرجل فى ثوب جديد أكسبها مزايا وأفقدها أخرى . ومنذ ذلك الحين قويت شوكة المطالبين والمطالبات بتحقيق فكرة المساواة بين الرجل والمرأة ، لان الحرب أثبتت ما تستطيع ان تفعله المرأة ، وعينت النصيب الذى يجب أن تقوم به من شؤون الحياة على الوجه الافضل . وفات أولئك المطالبين والمطالبات ان ما ينادون به من وجوب اقامة المساواة بين شطرى النوع الانسانى ليس فى مصلحة المرأة ولا فى مصلحة العمران . فقد خلق الله هذين الشطرين وفرض لكل منهما عملا ليس من المصلحة ان يجاوزه إلى غيره ، وذلك بمقتضى الناموس الاقتصادى المعروف بناموس توزيع العمل والذى يقضى بتحديد واجبات كل طائفة من طوائف البشر حتى لا تتعداها إلى غيرها

ولسنا ندرى متى بدىء بتسمية المرأة بالجنس الضعيف ولا السبب الحقيقى الذى وصفت من أجله هذا الوصف ولا أول من وصفها به ، وهو وصف لا ينطبق على الحقيقة . فما كانت المرأة قط ضعيفة ولا قصرت عن القيام بشيء إلا عن ممارسة حقوقها . وفى الواقع ان المرأة تعرف فى بعض البلدان بالجنس القوى لانها تقوم بأهم شؤون الحياة ، ولا تترك من تلك الشؤون للرجل إلا نزراً يسيراً . والتاريخ اصدق شاهد على ان المرأة كثيراً ما حكمت وسادت واستبدت ، وقلما كان حكمها فى مصلحة الاجتماع ، ذلك لانها كانت فى جميع تلك الحالات على عكس الوضع الذى قضت به الطبيعة . فكانت هى الجنس القوى والرجل هو الجنس الضعيف . وكانت هى الشطر الاردأ والرجل هو الشطر الافضل . وليت شعرى كيف تكون المرأة شطر الرجل الافضل إذا جاوزت حدودها وطالبت باكثر مما فرضته لها الطبيعة وحاولت الاستئثار بكل شيء ؟ والحقيقة ان كلا من هذين الشطرين متمم للآخر لا تستقيم له حال بنفسه . إذ لا يستطيع ان يستغنى عن شريكه ولا فى وسعه انجاز المهمة التى عينتها له الطبيعة من دونه

ولطالما أخطأ الذين بحثوا فى حالة المرأة بالنظر إلى موقفها من الرجل وضلوا سبيل صواب . فذهب بعضهم إلى وجوب المساواة بين الجنسين ، وذهب آخرون إلى وجوب

تسويد احدهما على الآخر . وذهب فريق ثالث إلى وجوب الاحتفاظ بالسيادة للرجل فى كل شأن من شؤون الحياة

وليس فيما ذهب اليه هؤلاء القوم ما يتفق ومقتضيات الحكمة . فهنالك اشياء يجب ان تكون المرأة فيها مساوية للرجل . وهنالك اشياء يجب ان يكون الرجل فيها اقوى من المرأة . وهنالك أشياء يجب ان تكون الكلمة العليا فيها للمرأة . ففى ميادين العلم والتربية وحقوق الزوجية ومقتضيات المعيشة بوجه عام يجب ان تكون المرأة معادلة للرجل . وفى السلطة على افراد الاسرة ومراقبة الاولاد والدفاع عن حقوق اهل البيت يجب ان تكون سلطة الرجل فوق سلطة المرأة . وفى ترقية مستوى الاولاد الادبى وتربيتهم المنزلية وفى إدارة شؤون المنزل بوجه عام يجب ان تكون سلطة المرأة فوق سلطة الرجل

على ان هذا التوازن بين سلطتى الرجل والمرأة مع رجحان احداهما على الاخرى فى حالات معينة لا وجود له فى بعض البلدان ولا هو معترف به . وفى الواقع ان نصيب المرأة من السلطة فى اكثر أنحاء العالم هو دون نصيب الرجل . ووهم الذين يزعمون ان المرأة فى الغرب سيدة الرجل وفى الشرق عبده . فليست المرأة ذات سلطان مطلق هناك ولا هنا . ولا هى أمة فى الشرق ولا فى الغرب . وانما قد يرعى الغربى حرمتها اكثر مما يفعل الشرقى . وقد يستبد الشرقى بها أكثر مما يفعل الغربى . على ان الحرب العظمى الماضية وضعت حداً لجميع ذلك . وفقدت المرأة كثيراً مما كانت تتمتع به من السلطان فى الغرب . فبعد ان كان الشبان يتفانون فى اكتساب رضاها ويتسابقون لاظهار الولاء لها ، ولمراعاة مقام الانوثة فى شخصها ، وبعد ان كان الشاب يعطيها مكانه فى كل مجتمع ويفسح لها فى كل مجال ، أصبح يطوى كشحه عنها ولا يأبه لوجودها . بل لقد يحقد عليها لانه يرى فيها نداً خطراً ينافسه ويسابقه إلى أبواب العمل ويوصد فى وجهه أبواب الارتزاق ويحل مكانه فى جميع الاعمال . والمسيطرون على تلك الاعمال يفضلون المرأة على الرجل لاسباب كثيرة لا يتسع هذا المجال لبسطها . فأجرتها أيسر ومطامعها أقل . فضلا عن كونها أشد دأباً فى العمل واكثر نشاطا واخلاصا وأحرص على تأدية الواجب وأبعد عن المشاغبات والمشاكسات وعن الميل إلى تعطيل الاعمال

ولقد احتملت المرأة ـ قبل الحرب وبعدها ـ من لوم الرجل وتعنيفه ما يضيق به صدر الحليم وتنفر منه نفس الكريم ، وكان الرجل منذ الحقب الخالية يعتبرها مصدر كل شر وعلة كل شقاء . وقد تواطأت عليها خرافات الشعوب البائدة وأقاصيص الامم منذ فجر التاريخ . فعزت اليها السقوط فى الشر وانها جرت الرجل وراءها ليتمرغ مثلها فى حمأة الهوة التى انحدرت اليها . أولم تسمع لصوت الحية فى الفردوس وتقطف الثمرة المحرمة وبعد ان ذاقتها أعطت منها الرجل وأغرته باكلها ؟ أولم يحرم البشر بسببها الفردوس ويخضعوا لسلطان الشيطان الرجيم ؟ أولم

تحارب وتجالد وتغالب وتسفك الدماء وتهلك النفوس ؟ ألم تكن سبب حرب طروادة ومذبحة سان برثلماوس ومجازر الثورة الفرنسية ؟ ألم تهلك كليوباطره الالوف فى سبيل المحافظة على عرشها والدفاع عنه ؟ ألم تقتل اليصابات عدوتها مارى ستيوارت وتنتقم مارى تيودور من أعدائها حتى استحقت لقب السفاحة الكبيرة ؟ ألم تتسبب ما تا هارى الجاسوسة الحسناء فى اهلاك الالوف من الجنود وفى اجراء دمائهم أنهارا

ولكن لنقف قليلا . إذا كانت المرأة قد أفقدت الرجل الفردوس فهى التى أعادته اليه . واذا كانت هيلانة ملكة اليونان قد تسببت فى اهراق دماء الالوف فقد ضمدت راهبات الصليب الاحمر جروح الملايين . واذا كانت مارى انطوانيت قد استفزت غضب الشعب الفرنسى حتى هب للنفخ فى بوق الثورة ولحمل السيف واهراق الدماء فقد عملت مدام كورى على تضميد تلك الجروح ومداواتها . أجل لقد عوقبت المرأة عن كل ما اقترفته مع ان الرجل اقترف اكثر منها فلم يعاقب . إذلك كانت المرأة ـ ذلك المخلوق الضعيف ـ فاتكة جبارة . وكانت المرأة ـ ذلك المخلوق القوى ـ مفتوكا بها مظلومة . بل كانت مفتوكا بها اكثر منها فاتكة . وها هى الآن تسير حاملة صليبها تكفر عن مساوئها . وها هو الرجل ما يزال مطلق السراح لا يسال عما يفعل ولا يحاسب عما يرتكب

فلماذا اذن يقولون فتش عن المرأة ؟ ولماذا نفتش عنها ولا نفتش عن الرجل ؟ لنفتش قليلا عن الرجل أيضاً فليس هو بريئاً من كل تهمة وليست هى مجرمة فى كل شىء . وجدير بمن يفتشون عن المرأة فى مواطن الشر والفساد والرذيلة والاجرام أن يولوا وجوههم شطر الميادين الاخرى ـ شطر أندية البر وملاجىء الرحمة ومعاهد الصلاح . شطر دور العلم والفضيلة والتقوى ـ ليروا هذا المخلوق الضعيف يقوم بجهود الجبابرة . وليبصروا كيف يكون الفاتك مفتوكا به . وكيف يكون المتهم بريئاً . وكيف يقوم نظام الاجتماع على هذا المخلوق الضعيف ، على هذا الجندى المجهول الذى يستصغر الاجتماع شأنه ويعزو اليه كل شقاء وبلاء

لقد تواطأت جميع قوى الطبيعة على ازدراء المرأة والحط من شأنها وغمط حقوقها . والمرأة تقف لتناضل عن تلك الحقوق كما تدافع اللبوة عن أشبالها . وفى خلال هذا النضال تسفك دماء وتزهق أرواح . والمرأة وحدها هى التى تلام

فيالها من فاتكة مفتوك بها . ويالها من ظالمة مظلومة . تضافرت عليها جميع القوى . فزعم الرجل انها خلقت ليسودها ويستعبدها . وهى انما خلقت لتكون معيناً له متمماً لوجوده . فهى لم تخلق من عظم من رجله لئلا يدوسها . ولا من عظم من رأسه لئلا تسوده . وانما خلقت من ضلع من صدره لتكون رفيقة له فى حياته ، قريبة اليه من قلبه ، مؤنسة له فى وحشته ، معادلة له فى حقوقه وواجباته

سليم عبد الاحد

مدن الفن في بلاد الأندلس

بقلم المرحوم احمد زكي باشا

قبل ان ينتقل المرحوم احمد زكي باشا الى الدار الآخرة قام فيما قام به من الجهود التاريخية بتأليف كتاب ضخم في تاريخ اسبانيا والعصر العربي فيها . وقد نقحه رحمه الله وهذبه ، وعزم على طبعه ، غير ان المنية عاجلته ، فلم يصدر هذا الكتاب النفيس . وقد اطلعنا عليه فرأينا بين اجزائه جزءاً خاصا بالمدن الاندلسية الشهيرة ببدائع الفن العربي ، وهي : قرطبة . وغرناطة . واشبيلية . فعنينا بان ننشر هذا الجزء على التوالي في اعداد الهلال احياء لذكرى هذا المؤرخ الجليل الذي طالما أفاد الشرق العربي ببحوثه التاريخية القيمة ، ولكي نتيح الفرصة لقرائنا حتى يطلعوا على جانب من هذا الاثر الثمين ولا سيما ما يتعلق بالفن العربي في تلك البلاد

مقدمة

ترجع الآثار المعمارية فى مدن « الاندلس » الى ثلاثة مراجع أو « عصور » فى تاريخ الفن : العصر « الرومانى » ، والعصر « العربى » ، والعصر « المسيحى » .

أما العصر الاوسط وهو « العربى » فأهمها جميعاً بدون جدال . لانك لا تجد فى آثار الفن الرومانى التى اكتشفت داخل مدينتى « إشبيلية » و « قرطبة » وفى ضواحيهما ما يستحق الاعجاب . كذلك لا تجد ما يستوقف نظرك سوى لحظة فى الاعمال الفنية التى ملأ بها المسيحيون أرض « الاندلس » بعد أن أخلاها المغاربة ، ما عدا ما تشاهده فى كاتدرائيتى « إشبيلية » و « غرناطة » مما تحسبه من أجمل المبانى المسيحية التى شيدت على الطراز « القوطى » ومزجت بشىء من طراز عهد « النهضة » .

أما الفن العربى فعلى الارض الاندلسية أينع ازدهاره البديع ، فلم يظهر قط فى أى مكان آخر لا فى أفريقيا ولا فى آسيا بمثل ما ظهر فيه من الروعة والجمال والطابع الخاص به فى المدن « الاندلسية » التى آلينا على أنفسنا نشر بدائع أوصافها . لكن (والحق أولى بأن يقال) لم يبق شىء كثير من ذاك الجمال القديم ، فان أغلبية القصور والمساجد التى تذكرنا أوصافها التى

جاءت على أقلام مؤرخي العرب، بتلك البلاد الساحرة أو المسحورة الموصوفة بكتاب « الف ليلة وليلة » قد قاربت أن تزول. ولو لم يكن قد بقى من آثار ذاك الماضى الفخيم تلك البقية الضئيلة شاهدة على الحقيقة، لكنا نحاول أن نعتبر فى عداد الاحاديث الخرافية تلك الاوصاف التى اتحف العالم بها كتاب العرب عن مدن الاندلس

إن المدن الثلاث التى خصصنا بحوثنا بها تحتوى أشهر آثار فنون البناء والزخرفة التى تميزت بها المدنية العربية : « فمسجد قرطبة » و « حمراء غرناطة » و « القصر » و « منزل بيلاطس » فى اشبيلية تكفى لان تحى رفات جمال « الاندلس المغربية » بكل روعته التى تعجز الاقلام عن وصفها . إذ أنها تسحر الانظار وتخلب الالباب . فان هذه المبانى - وهى بحالة تكاد تقارب الخراب - تجل عن أن يضاهيها أى شيء من مبانى عهدها فى أى مكان . أليس فى ذلك دليل كاف على سمو درجة الثقافة التى وصل اليها العرب فى وقت ما ؟ . وهو الوقت الذى كانت فيه أوربا بأسرها غارقة فى الهمجية ما عدا « القسطنطينية » التى كان لم يزل يبعث فيها حرارة الحياة بعض الاشعة المنعشة التى أرسلتها شمس المدنية اليونانية قبل أن تميل الى الزوال

وما فى غير « اسبانيا » يمكننا أن نتعرف ذاك العصر الراق . لان المبانى الاسلامية فى شمالى « افريقيا » وغربى « آسيا » اما أنها تدل كما فى « اورشليم » و « القسطنطينية » والقاهرة على طراز من الفن مختلف أو أنها كما فى « مراكش » و « تونس » و « الجزائر » تقصر عن أن تقارن بمثيلاتها الاندلسية، لامن حيث الفخامة ولا من حيث الجمال . أما العهدان « الرومانى » و « المسيحى » اللذان جاءا بعد العهد العربى فى الاندلس، فيمكن درسهما درساً أدق وأوفى فى مكان آخر غير هذه البلاد . وبالواقع قد تم البحث والتنقيب فيهما لدرجة وافية فعرفا معرفة تامة الى حد لم يبق فى استيضاح مكنوناتهما زيادة لمستزيد . لذلك فكرنا فى أنه من المناسب أن نخصص بحثنا فى الفن العربى سواء فيما يتعلق بالمبانى التى أنشئت فى عهد سيطرة المغاربة أم بتلك التى ظل عليها تأثير طابع الثقافة العربية حتى بعد غروب شمس الاسلام عن بلاد الاندلس

إذ من الخطأ الفاحش والكثير الوقوع أن يعتقد المرء بان مع الاسلام انقرض الفن العربى من « اسبانيا » ، فان أكثر المبانى التى شيدت فى الاندلس بعد زوال الاسلام منها مشبع بتأثير الروح العربية والذوق العربى . وقد ظل هذا التأثير محسوساً شديداً على مر الاحقاب، حتى إن المسيحيين لم ينقطعوا قط عن استعمال الخط العربى فى أنواع زخرفتهم . وترى شاهداً على ذلك فى الجزء الذى بناه النصارى وألحقوه بقصر « اشبيلية » وفى « بيت بيلاطس » بتلك المدينة وفى جملة مبان أخرى

بل نزيد دليلا أعظم مما تقدم . وهو أن الطراز « العربى » باتحاده تارة مع الطراز « القوطى »

وتارة مع طراز « عهد النهضة » قد أنتج أشكالا جديدة لطيفة وذات غرابة جذابة تراها فى المبانى المعروفة فى طراز الـ Mudéjares

وترى حتى فى أيامنا هذه أن التأثير العربى قد قاوم الزمان ولم يزل محسوساً فى بلاد اسبانيا ، فان المنزل الاندلسى الحديث يذكرنا بالمنزل العربى القديم اكثر كثيرا مما يذكرنا أى بيت فى باريس او برلين بمنازل الفرنسيين أو الالمان فى القرن التاسع . ويمكننا أن نجد ايضاً على الاخلاق وعلى العادات وعلى الشعر حتى على ملابس الاندلسيين الحاليين طابع سلفهم المسلمين ، ولا نرى فى ذلك الا أمراً طبيعياً ، إذ ان هؤلاء النصارى الذين يطلقون على بلادهم اليوم لقب « ارض مريم » المكلية القداسة ، ويتعبدون للعذراء القديسة تلك العبادة التى صاروا بها مضرباً للامثال . . . هم هم (ولو انكروا) السلالة الصافية لاولئك المسلمين

***

لما حدثت تلك الاضطهادات الفظيعة على المسلمين كانت « اشبيلية » و « قرطبة » منذ اجيال تحت سلطة المسيحيين . وكثيرون من المسلمين كانوا فى غضون هذه السنين الطوال قد انكروا دينهم وتقبلوا المعمودية . والاقلية الضئيلة التى ظلت على عهد الوفاء لتراث الآباء كانت تركت أرض المسيحيين والتجأت واستقرت فى « غرناطة » آخر حصن للاسلام فى الاندلس . ولكن لما سقطت « غرناطة » نفسها بين ايدى الملوك الكاثوليك وتجدد عهد الاضطراب بعد ذلك بعشر سنوات وافضت سنة ١٦٠٩ الى استئصال الاسلام من جذوره ، فان اكثرية المسلمين جحدوا دينهم وتنصروا . والقليل منهم عادوا الى افريقيا مجتازين نفس الطريق التى اجتازها آباؤهم قدماً فاتحين ، ولكن بما أنه كان (ولم يزل للآن) معتبراً عند الاسبان من العار ان ينتمى احدهم الى نسب اسلامى فانك تراهم كانوا (ولم يزالوا للآن) يفتخرون بان اصلهم مسيحيون قدماء ، ولا يقبل واحد منهم ان يعترف بانه من اصل عربى مع ان ملامحهم تنم على ذلك بل تدل عليه دلالة واضحة

***

أما نحن وان كنا قد خصصنا للفن العربى القسم الاكبر والأهم من بحوثنا ، فاننا مع ذلك تناولنا بضرورة الحال سريعاً النظر فى أهم الآثار الرومانية والمسيحية التى كان لا بد لنا من المرور حتما بها بحيث لم نهمل ذكر شىء يستحق الذكر

وأخيراً وضعنا فصلا قصيراً مثلنا به للقارىء العزيز شيئاً من المناظر القومية التى تشرح صدور رجال الفن وتبدو لأعين السائحين والزائرين لحواضر الأندلس بجمال خلاب لا يضاهيه شىء فى العالم

فالرقص الأندلسى الرشيق ، ومشاهد مصارعة الثيران والمظاهرات القومية فى احتفالات

الطقوس الدينية . . . نعم إنها ليست من شئون « الفن المعمارى » ولكنها تنم لنا عن « الفن » . وما فى هذا الفن من الحقيقة والحياة والكمال والشكل واللون ـ كل ذلك يجعلنا لا نخشى من أن نهيء لها مكاناً فى كتابنا هذا عن « مدن الفن الأندلسية »

فالقارىء يجد هذا فى الفصل الأخير فى الجزء الخاص بمدينة « اشبيلية » لأننا فى هذا الجزء الأول حصرنا بقدر الامكان بحثنا فى وصف مبانى « قرطبة » و « غرناطة »

قرطبة

« قرطبة » : مقر الخلفاء . تلك العاصمة القديمة التى طبقت شهرتها الآفاق بالجمال والفخامة . قرطبة : المدينة التى سطعت شمس مدنيتها وثروتها مدى اجيال عدة على كل مدن الغرب . ولم يضاهها فى الشرق مدينة .. هى الآن مدينة حقيرة من مدن الأرياف مهملة غارقة فى لجة الخمول . ولولا بعض السياح الذين يزورونها و يفتحون عيون أهلها ويساعدون ببعض المال الذى ينفقونه فى نزلها وعلى أدلائها وتراجمتها (ومتسوليها) لبقى الخمسون ألفاً وهم سكانها لا يعرفون شيئاً عن مجدها الغابر العظيم

منذ الف عام مضت كانت شهرة « قرطبة » يرن صداها فى سائر البلدان . وقد سمع صوت صارخ من « المانيا » وصل الينا آتياً من أحد الادبرة البعيدة المنعزلة فى « جاندرشهايم » وهو ينادى بتمجيد بدائع المدينة الاندلسية العظيمة ، ذاك هو صوت « روزيتا » التى تلقب قرطبة « بزينة الدنيا » و « المدينة الفتاة المتناهية بالرقة واللطف . الفخور بعظمتها . الشهيرة ببدائع جمال الملذات التى هى مقرها . المتلألئة إعجاباً بما تضمه من سائر الكنوز » (١)

***

ان الخلفاء « عبد الرحمن » و « هشام » و « الحكم » بذلوا فى تشجيع الفنون والعلوم محبة وغيرة ورعاية لا يماثلها شىء من ذلك فى تاريخ العالم . حتى إن آل « مديشيس » أنفسهم لا يستطيعون التباهى بأنهم فى « فلورنسا » أمكنهم أن يجمعوا فى وقت قصير كهذا من الآثار الفنية والكتب والمخطوطات ، أو أن يشيدوا مثل هذه المبانى الفخيمة أو أن يجعلوا من عاصمتهم مركزاً للثقافة وموطناً للشعراء والفلاسفة

فان أمراء الاسلام أنفسهم كانوا بوقت واحد شعراء وعلماء . وليس من العالم الاسلامى وحده بل من بلاد النصرانية كلها كانت ترد وفود الاساتذة والطلبـــة تتدفق الى ورود هذا المنهل العذب العظيم تستقى أسمى المعارف البشرية

(١) روزيتا راهبة كانت معاصرة لسلسلة للملوك الذين تناوبوا باسم اوتون عاشت مابين سنة ٩٣٠ وسنة ١٠٠٠ ومن ضمن كتاباتها روايات تمثيلية منها رواية « آلام بيلاجيوس » الذي اشتهد في قرطبة . ومن هذا الكتاب نقلنا عبارتنا المتقدمة

فى ذاك العهد كانت «قرطبة» أشهر حواضر الغرب بأسره بجمالها وبعدد سكانها . لم تكن فقط مدينة العلوم والفنون ، بل مدينة التجارة والصناعات إذ بفضل هؤلاء السلاطين الحكماء وتنشيطهم لمرافق هذه المدينة واتخاذها دائماً تحت أكناف رعايتهم أزهرت حدائق ملكهم وتسربت كنوز الشعوب الاخرى إلى خزائنهم ، وكانت لديهم وسائل لادراك مناهم ونيل رغائبهم وارضاء أشواقهم إلى تخليد اسمهم فى تشييد المبانى

وفى عهد هذه الخلافة الفخيمة ـ خلافة «بنى أمية» ـ كانت «قرطبة» بحسب ما ذكره مؤرخو ذاك العصر الزاهر أعظم مدائن «أوربا الغربية» وأكثرها أهلا . ويؤكد «المقرى» أن قرطبة فى أعظم مجدها كانت تحتوى مائة وثلاثين الف منزل ما عدا منازل كبار الموظفين ، وثلاثة آلاف مسجد ، وخمسين مستشفى وثمانمائة مدرسة عمومية وتسعمائة حمام وستمائة خان (لوكاندة)

وقد قدر البعض عدد الكتب الموجودة فى المكتبة الملكية بأربعمائة الف مجلد ، والبعض بستمائة الف . وكان المجلد الواحد فى ذاك الوقت يوازى ثروة . أضف إلى ذلك سبعين مكتبة خاصة فى مدن الخلافة الاخرى . . .

ومهما يكن من المبالغة فى هذه الارقام فان «قرطبة» تبقى من القرن التاسع الى القرن الثانى عشر فى أوربا (إن لم يكن ذلك فى العالم كله) مهبطاً لوحى القرائح ومعيناً للثقافة

***

ولما استولى «القديس فردينان» على أرض الخلافة سنة ١٢٣٥ زال مجد العرب وكانت قرطبة قبل ذلك قد نهبها البربر وأتلفوا فيها خزانة الكتب السمينة التى أنشأها فيها «الحكم» .

وبعد دخول الديانة المسيحية فى «قرطبة» ثم فى «اشبيلية» التى استولى عليها «فردينان» بعد ذلك بثلاث عشرة سنة روعى المسلمون على نوع ما . واذا اعتبرنا بما كان عليه القوم فى ذاك العصر من التعصب ونظرنا الى ما جرى فى «غرناطة» من فظائع الاعمال المخجلة التى ارتكبها المسيحيون ، يمكننا القول فيما يختص «بقرطبة» أنها عوملت بتسامح الى حد محدود . ولكن لو وضعنا فى كفتى ميزان من جهة تسامح هؤلاء الفاتحين المنتقمين ومن جهة ثانية الرعاية التى كان يتمتع بها المسيحيون أيام سيطرة العرب المسلمين نجد أن الميزان يميل كثيراً من ناحية هؤلاء

ونرى حقا أنه فى عهد الخلفاء كانت حرية الضمير والمعتقد مضمونة على الدوام للنصارى ، كانت لهم كنائس كثيرة يمارسون فيها طقوس دينهم وأنواع عباداتهم بدون معارضة ، وكان اليهود أيضاً يتمتعون بنفس الحرية . ولما فتح المسلمون البلاد تركوا للمسيحيين حق تملك هياكلهم بكل طمأنينة . والكاتدرائية المسيحية التى ترى اليوم مكانها «مسجد» قرطبة العظيم اشتريت من المسيحيين بمبلغ باهظ وهو مائة الف ريال (توازى قيمتها عشرة ملايين فرنك من نقود

هذه الايام) . ولكن منذ دانت البلاد للمسيحيين تغير وجه الحال تماماً . فقد أخذ عدد كبير من المساجد وحول كنائس مسيحية . وكذلك عدد كبير من هياكل اليهود . وفرض على المسلمين واليهود أن يضعوا فوق ملابسهم علامة ظاهرة . وكل ذكر بالغ من المسلمين فرض عليه الاشتغال مسخراً يومين من كل سنة لاجل ترميم « المسجد الاكبر » إذ كانوا يحولونه وقتئذ الى كنيسة كاتدرائية . ولهذا السبب ينسب وجود الطراز العربى الصميم فى الكنائس التى بنيت على آثار المسجد فى المائة سنة الاولى من عهد رجوع السيطرة المسيحية على « قرطبة »

ويدافع « باردى مدرازو » أحد أساطين الفن فى اسبانيا فيما كتبه عن « قرطبة » عن تهمة الظلم المنسوبة للمذهب الكاثوليكى فيما يتعلق بسوء معاملة المغاربة المسلمين . ويشدو بذكر لطف الفاتحين النصارى ، ويقابله بالرداءة التى هى من خصائص المسلمين واليهود ، ويسرد أحاديث اختطاف أولاد وحكايات قتل يصعب على الانسان أن يتخذها أحاديث جدية

مع ذلك نحن غير بعيدين عن أن نكون من رأى « مدرازو » فيما يختص بقوله : « إن النصارى قد خدموا الفن خدمة جليلة بوضع يدهم على « مسجد قرطبة » . نعم إن « مدرازو » يتطرف ويدافع بنفس البراهين المتقدمة عن المبانى الجديدة التى أضافها المسيحيون على المسجد من داخله . لذلك نحن لا نوافقه فى هذه النقطة لانه بقدر اعتقادنا أن المسجد كان يزول من الوجود أو على الاقل يشوه كثيراً لو ان الكنيسة لم تستول عليه وتضعه تحت حمايتها الاسمية ، بقدر ذلك نرى عدم فائدة ما شيده النصارى فى داخله من المبانى

وأقوى دليل على صحة تأكيدنا هذا هو أن المسجد ظل مستعملا مدة ثلاثة قرون كاملة بصفة كاتدرائية (أى بيعة جامعة) قبل أن يشوهوا داخله ببناياتهم . وقد استغنى الاكليروس فى خلال هذه الثلثمائة عام عن بناء « خورس » فكان يمكنه أن يظل مستغنياً عنه فيما بعد ويبقى المسجد كما كان

وعلى كل حال من الواجب علينا أن نعترف بجميل هؤلاء القوم « الاكليروس » الذين حفظوا لنا فى حالة « مقبولة » مسجد قرطبة الذى هو أجمل وأعجب وأعظم آية من آيات الهندسة الدينية العربية

والذى يعرف مدن « آسيا » و « أفريقيا » الموجودة للآن بأيدى المسلمين يعرف مقدار إهمال هذه الشعوب فى المحافظة على آثار مبانيها القديمة . ففى وسط « القاهرة » - وهى الآن مركز دائرة العالم العربى - ترى الهياكل القديمة تسترعى الانظار بجمالها وتستدعى الاحترام والاعجاب بفخامتها ، ودقة الفن فيها تتداعى للسقوط ولا احد يلتفت اليها ، اللهم إلا نفراً من السياح الاجانب يظهرون اهتمامهم فقط بابداء أسفهم على تلك الحالة . وهذا مسجد عمرو بالفسطاط ومسجد ابن طولون بالقاهرة - وكلاهما معاصر تقريباً لمسجد قرطبة - قد لعبت بهما أيدى الدمار أكثر من هذا

ولذلك يرجح بأن بناية « بنى أمية » البديعة كانت تكون الآن أطلالا دارسة لو أن المسيحيين لم يستولوا على « قرطبة » . وهذا لايمنع من أن نبدى أسفنا مما أحدثه المسيحيون من المبانى التى شوهت جمال داخل العمارة

***

تقع محطة السكة الحديدية فى « قرطبة » (كما فى كل مكان بأسبانيا) خارج المدينة . فيخرج منها المسافر ويسير فى طريق تظللها أشجار جميلة بينها عدد كبـــير من النخيل الذى يدهش له السياح القادمون من الشمال ويرتاح له نظرهم ، وترى المدينة لم تزل للآن محاطة بأسوارها القديمة فى معظم دائرتها . وبعض هذه الأسوار من بناء الرومان . لكننا لا نستطيع أن ننسب اليهم بكل تأكيد سوى الأساس فقط ، أما الباقى (ماعدا بعض ترميمات عملت فيما بعد) فهو من صنع المغاربة

ولم تزل بعض أبراج وبعض أبواب محفوظة بحالة حســـنة ، وعلى الاخص أبواب (Almovovares) و (Sel osario) فان منظرهما جميل للغاية يلذ للسائح أن ينعم به إذا لم يخفه ويلقى الروعة فى قلبه « برج المدينة »

ويرى السائح الباحث هناك مواد غريبة كان المغاربة يستعملونها فى بناء عماراتهم ، ولم يزل للآن يستعملها البناءون فى كل البلاد العربية والاسبانية وفى فلسطين والقطر المصرى وفنزويلا وكاليفورنيا . وهى مادة اسمها (Tapia) وهى مزيج من الصلصال (الفخار) والكلس (الجير) تضاهى فى متانتها « الاسمنت » ، وترى الجدران المبنية بهذه المادة مقطعة على مسافات متقاربة بخطوط أفقية وتعرف أصلها القديم عندما تلاحظ البنائين الاندلسيين وهم فى العمل فى أيامنا هذه

تعجن هذه المادة وتوضع وهى طرية فى صناديق صغيرة من الخشب (قوالب) وتبقى فيها الى أن تجف فتصبح صلبة ، حينئذ تفرغ من القوالب وتوضع هذه على الجزء من الحائط الذى قد تم جفافه وتملأ من جديد . وهكذا يرتفع البناء من قالب الى قالب ، وبين القطع المنفصلة عن بعضها تصنع التحامات بارزة ظاهرة وهى مميزة بطريقة البناء بمادة الـ (Tapia) . وكانوا يضعون فى هذه المادة وهى طرية قطعاً من الحجارة صغيرة وكبيرة لتزيدها صلابة وقوة

***

إن أكثر السياح يكتفون فى « قرطبة » بزيارة « المسجد » . ونحن نجاريهم فى ذلك بالرغم من أننا نعلم بوجود أشياء كثيرة تستوقف النظر والاعجاب من حيث « الفن » ، فى الاسوار والشوارع بل فى سكان المدينة أنفسهم . . . فلنذهب إذن قبل كل شىء لزيارة هذه البناية العظيمة المطبوعة بطابع عرب اسبانيا مكتفين فقط بذكر ملاحظات عامة على ما نلمحه أثناء مرورنا

***

ليس من السهل أن يصل الانسان الى « المسجد » واذا كان ليس لدى السائح متسع من الوقت ، فالاجدر به أن يسلم نفسه قبل أن يخرج من المحطة الى أحد هؤلاء الادلاء (التراجمة) العديدين والثقلاء

ففي أثناء وجودنا الأخيرة بقرطبة ، حيث أمضينا أسبوعاً كاملا كنا نزور المسجد كل يوم لم تتمكن من معرفة الطريق الذى نرجع منه الى نزلنا إلا بعد مضى جملة ايام مع اننا قبل سنتين كنا اقمنا أيضاً فى نفس النزل واتبعنا نفس الخطة فى زياراتنا للمسجد على الأقل ست مرات

***

لا يوجد فى العالم كله شوارع اضيق من شوارع « قرطبة » ولا اكثر تعريجاً منها وهى لاتفرق عن شوارع « تطوان » و « تلمسان » إلا بكونها مرصوفة بالبلاط . فمن يريد ان يعرف مدينة مغربية بدون ان يكلف نفسه لأى سبب الذهاب الى بلاد المغرب ، فما عليه إلا ان يرى « قرطبة » . فان القرابة بينها وبين المدائن المغربية واضحة على الأقل فيما يختص بالشوارع

ولا يحسب رصفها بالبلاط ميزة ونعمة إلا القادمون اليها من المغرب لان بلاطها مربعات من الحجارة ذات زوايا حادة ليس من شأنها إراحة « نعال » وارجل ابناء هذا العصر . ويثبت مؤرخو العرب بتفاخر ان هذه المدينة كانت اولى المدائن الأوربية التى رصفت ارض شوارعها بالبلاط ، لكن هذا خطأ تاريخى ، لأنه معلوم ان الرومان كانوا يرصفون بالبلاط ليس فقط شوارعهم بل طرقاتهم العمومية . فضلا عن ذلك يجب ان نعترف بأن هذا البلاط الذى كان منذ الف ومائة سنة موضوعا لاعجاب الناس من الزائرين هو بذاته الآن موضوع لتألمهم . . إنما لكيلا نسيء إلى « القرطبيين » نقر لهم بأن شوارع مدينتهم مع كونها ضيقة ومتعرجة « كتطوان » ليس لها ما لشوارع هذه المدينة من القذارة . فانك لاتجد فيها (إلا نادراً) كلاباً او قططاً ميتة . والعادة المتبعة فى البلاد الجنوبية من إزالة الضرورة فى الشارع العمومى غيرموجودة فى «قرطبة» ، ولا ترى آثارها إلا نادرا على بعض الجدران او فى الازقة الواقعة فى الاحياء الفقيرة . وبما انه لا يوجد فى هذه الازقة والحارات مكان متسع لعمل ارصفة فيجب ان نكون مسرورين من حالة هذه النظافة النسبية

تتلوى هذه الشوارع الضيقة والازقة حول جدران بيضاء تسد منافذ النظر من كل جهة حتى انه يستحيل على الانسان ان يعرف اتجاهه بمراقبته برجاً او مئذنة

وكثير من هذه المنازل الاندلسية مبنى من عهد المغاربة ويحتوى آثاراً قيمة من الهندسة والزخارف العربية . لكن الذى بنى منها بعد خروج المغاربة بقى اميناً على شرائع الهندسة المغربية ، لذلك لايفترق فى شيء عن المنازل الحديثة فى بلاد المغرب

***

وفى طريقنا الى « المسجد » تسنح لنا فرص عدة لان نرى هنا وهناك مصادفة ما بداخل المنازل ، بل كنا احياناً نتعمد الدخول إلى أحدها لكى نشاهد نظامه

إن العادات « القشتالية » التى دخلت إلى « قرطبة » مع الفاتحين المسيحيين قد غيرت تماماً المنظر الخارجي للجدران المحيطة بالمنازل ،فهى لم تعد محكمة الاقفال كما كانت فى عهد العرب . ففى المدن المراكشية ترى ان الجدار المحيط بالمنزل او جدار المنزل نفسه ليس له من ناحية الشارع سوى فتحة واحدة وهى فتحة الباب ، ويندر ان ترى فتحات اخرى صغيرة ضيقة غيرها . اما الغرف فتستمد الهواء والنور من حوش المنزل (اى الدار)

كانت البيوت الاندلسية كذلك قديماً كما ترى فى « قصر الحمراء » . لكن بعد ذاك العهد جاءت من قشتالة عادة فتح النوافذ من جهة الشارع وتزيينها بانشاء شرفات (بلكونات) امامها محاطة باطارات (ترابزين) من الحديد المشغول بصناعة دقيقة من الزخارف الفنية

ولكن الاندلسيين المتشبعين بعادات المسلمين فى المحافظة على ستر حياتهم العائلية الداخلية وعلى الاخص فيما يختص منها بالنساء لم يقتبسوا الاصلاح الجديد الذى طرأ على فن البناء بين ظهرانيهم إلا بكل بطء وبالرغم من إرادتهم ، حتى انك ترى الآن ان الوجهة المهمة لاعظم واجل المنازل ليس لها من الخارج سوى منظر بارد تأباه النفس لو قابلناها بمثلها من المنازل فى كل اوربا

اما الجدران فهى مطلية بالابيض والنوافذ مشبكة بالحديد المشغول . وفى الدور الاعلى ترى شرفات رشيقة يطل منها من وقت لآخر وجه حسنا يستتر وراء بعض آنية الزهور

ذاك ما يستقبلك فى كل منازل « قرطبة » وهو المألوف ايضاً فى سائر المدن الغربية باسبانيا ، ولا يمكنك ان تحكم على حالة صاحب البيت من مجرد نظرك الى بيته من الخارج كما يمكن ذلك فى بلاد اخرى ، فالاندلسى كالعربى لا يظهر غناه وثروته ونعيمه إلا داخل منزله

دعنا إذن ندخل إلى هذا المنزل . . . إن « البوابة » الخارجية تكون عادة عالية جداً وفى غاية الاتساع فهى مفتوحة طول النهار . يستقبلك حين تجتاز عتبتها مدخل بشكل رواق مستطيل مفصول عن الدار باطار من حديد . اما الدار فهى بوجه الاجمال وسط كل بناية مغربية ولكنها بنوع خاص وسط المنزل الاسبانى العربى . فكل عمارة عربية من المسجد الى قصر الملك وكل ما بناه المغاربة وبنته ذريتهم كله مدموغ بهذا الطابع الخاص وهو الدار

***

وكان تعرفنا لاول مرة بهذا الطراز الخاص من البناء وهو النوع الاولى للهندسة العربية فى بلاد المغرب ـ كان ذلك أثناء سياحتنا من « طنجة » الى «تطوان» إذ اضطررنا للمبيت فى خان يسمونه « الفندق » (ومنه أخذت لفظة « Fonda » الاسبانية) ومعناها « نزل أو لوكاندة »

بنى هذا الفندق منذ عشرين سنة فى نفس المكان الذى كان من عادة المسافرين أن ينزلوا فيه للمبيت أثناء اجتيازهم المسافة بين هاتين المدينتين . ففى ذاك العهد كان قد حصل تعد على قافلة . فلكى يمنع تكرار هذه الحادثة أمر السلطان باجبار سكان المنطقة المجاورة على بناء هذا « الفندق »

فهو مربع مؤلف من أربعة جدران كل واحد منها ارتفاعه سبعة أمتار أو ثمانية ، مفتوحة فى أحدها بوابة عالية متسعة . ويحيط بهذه الجدران من الداخل أروقة مسقوفة ترتكز سقوفها من جهة واحدة على الجدار ومن الجهة الاخرى على أعمدة من الخشب . وفى ركنين من أركان الدار بنيت بواسطة حواجز رقيقة غرف للحارس وللممتازين من المسافرين أو للمتعودين النزول كثيراً فى هذا المكان ، لكن أكثر المسافرين يستغنون عادة عن هذه الغرف ويبيتون بجانب رحالهم وسط فسحة الدار . ولكيلا ينقص شيء بنوا فوق إحدى الزوايا برجاً مربعاً يعلو عن الاسوار ومن فوقه يشدو المؤذن بتسبيح الله

ففى هذه البناية البسيطة والاولية ترى الانموذج الكامل الذى فيه أهم مميزات الهندسة المغربية والهندسة الرومانية والمسيحية . وسترى فيما يلى ـ خصوصاً لما نشرح ما رأيناه فى زيارتنا لمسجد « قرطبة » ـ أن رسم عمارة هذا المسجد ليس إلا توسيعاً وتكبيراً لرسم هذا الفندق الذى وصفناه

ولنعد الآن الى وصف المنزل الاندلسى :

وفى وسط « الدار » بمنزل الثرى الاندلسى تسمع خرير الماء وهو خارج من نافورة محاطة بالنخيل أو شجر البرتقال أو غيرهما من نباتات البلاد الجنوبية . والاروقة المفتوحة على الجوانب الاربعة تستند هنا على جذوع أشجار ضخمة أو على أعمدة رشيقة من الرخام المصقول تعلوها كرانيش مزخرفة بنقوش الفن الرومانى أو المغربى . ويفتح على الدار من كل ناحية نوافذ وأبواب

ويحتوى الدور الاول على قاعات الاستقبال والغرف الصيفية . ويقابل نهاية الرواق « الممشى » المؤدى الى البوابة الخارجية للدار سلالم متسعة مرصوفة بالآجر أو ببلاط الرخام تؤدى الى الدور الاعلى وهو المحتوى على الغرف الشتوية التى تفتح أبوابها على رواق مستدير يحيط بجو الدار ويقوم تماماً فوق الرواق الاسفل . فترى من هذا النظام أنه لا يوجد غرف كثيرة تطل على الشارع

أما السقف فموضوع من « القرميد » المتماوج ، وسطحه مائل كل الميل إلا فى جزء منه . وهذا الجزء مسطح تماماً ومرصوف بالآجر ومسقف بغطاء من البناء تحمله أعمدة أو ركائز لوقايته من المطر والشمس . ويحيط به جدار يعلو لمنتصف قامة الانسان . ويسمون هذا الجزء

الـ" mirador " أو « المرقب » وهو مرصد يرقب منه أصحاب المنزل السطوح المجاورة والقباب العالية ، وجيرانهم الذين هم أيضا فى مراصدهم ينعمون بالقيلولة أو يمضون أوقاتهم بعمل ما . ولاتمام وصف هذا المشهد نقول ان غرام الاندلسيين بالزهور والنبات الاخضر يجعل دور منازلهم ومراقبهم وشرفاتهم حدائق صغيرة خضراء على الدوام يانعة الازهار تلعب بها وتلاعبها أشعة شمس الجنوب فتجعل للمنزل الاندلسى رواء خاصاً وجمالا خلاباً

* * *

اقتربنا الآن من « المسجد » . . . فمن يعرف ذلك غير الذى اختبر الطريق ؟ عبثاً تفتش لكى تجد ما يرشدك اليه كما ترى فى كنائسنا الرومانية والقوطية أبراجاً تخترق السماء كالحراب . أو وجهات كبيرة بأبواب عالية . . . فالجدران الطويلة البيضاء التى تحيط بهذا المكان المقدس لا يزيد ارتفاعها عن جدران المنازل المجاورة . فهى لا تكاد تلفت النظر بالرغم من أنها متوجة بالمزاغل (نصفها عربية ونصفها مسيحية) ومن الممكن ان يتوارى وراءها لا مسجد قرطبة العظيم بل ثكنة عسكرية أو سجن أو أحد أديرة الرهبان

وبما ان « قرطبة » مبنية على « سفح الوادى الكبير » والجامع مبنى على منحنى بارز بالقرب من شاطىء النهر فان جدران أسواره الخارجية تختلف بطبيعة الحال فى علو مستواها من مكان لآخر . فبينا فى طرفها الاعلى (وهو اول ما يبدو للناظر من ناحية المحلة او المدينة) تعلو من ثمانية امتار الى عشرة ، تراها فى طرفها الاسفل قد بلغت العشرين متراً أو تزيد ، ويتكون منها مربع مستطيل طوله مائتا متر وعرضه مائة واربعة واربعون . كان مفتوحاً فيه بادىء الامر بوابات عدة لكن النصارى سدوا اكثرها بالبناء

لندخل الآن من الباب الأعلى الكائن تحت المئذنة فنجد انفسنا فى صحن الدار وهى المسماة « بدار البرتقال » ، لأنها مزروعة بهذا الشجر . وهى تشغل كل عرض المربع المستطيل ونحو الخمسين من طوله . والاشجار منظمة فيها صفوفاً متتابعة . وعند وصولنا فيما بعد الى القسم المسقوف من رواق المسجد الخارجى لا نتمالك من الدهشة حينما نرى أن الاعمدة التى يقوم عليها سقف هذا الرواق ليست سوى تتمة لصفوف هذه الاشجار

وهنا نفهم بكيفية اوضح ما صعب علينا فهمه فى اكثر مساجد القاهرة فيما يتعلق بالشكل الاصلى وبالتطور التدريجى الذى طرأ على هندسة الهياكل العربية ، فان فى بادىء الامر لم يكن الهيكل سوى دار واسعة محاطة باسوار كتلك التى وصفناها فى « الفندق » . وفى وسط هذه الدار العين التى تعطى مياه الوضوء والغسيل . وهى لم تزل للآن موجودة فى دار مسجد قرطبة ، يجتمع حولها النساء والبنات لاستقاء الماء فيجعلن حولها حركة دائمة من الحياة . وعلى الجدار المحيط بالجامع ، كانت تعلو المئذنة (فالبرج العربى القديم فى قرطبة وهو الذى بحسب ما ذكره مؤرخو

العرب كان يشبه « الجيرالدو » بمدينة « اشبيلية » اذ كان يعلوه مثلها تيجان عديدة ساطعة من القباب المعدنية - قد زال من الوجود وبنى مكانه فى سنة ١٥٨٢ قبة مكشوفة للكنيسة)

ولوقاية المؤمنين من حرارة الشمس ومن المطر بنوا على طول الجدار الخارجى صفوفاً من الاعمدة كانت تمتد نحو الوجهة الجنوبية أكثر من سواها لأن المؤمن يتوجه دائماً وهو يصلى نحو « الكعبة » وهى فى « مكة »

لذلك كى يهتدى المؤمن الى هذا الاتجاه كانوا يبنون فى كل مسجد ركنا للصلاة يسمونه « المحراب » (١) . ومن هنا يفهم جيداً لماذا يحتشد المسلمون فى صلواتهم على الجدار الواقع عليه المحراب ، والسبب الذى لأجله لا يكفى صف واحد من الاعمدة لحمل السقف الذى فوقه . فبينما كان لكل جهة من الجهات الثلاث الاخرى فى الرواق صف واحد من الاعمدة كان للجدار الذى من جهة المحراب صفوف عدة من الاعمدة بدون عدد محدد لها سابقاً

فمسجد « قرطبة » هو المثال الفخم وانموذج الجمال الرائع الذى يفوق غيره كثيراً من أمثلة المساجد الاسلامية القديمة العهد ، إذ أن له تسعة وعشرين صفاً من الاعمدة من الشمال إلى الجنوب أى فى رواق محرابه وتسعة عشر من الشرق إلى الغرب

وفى المسجد العربى بوجه الاجمال ليست الدار قطعة خارجية من المكان المقدس كما هو الحال فى الكاتدرائيات المسيحية القديمة ، بل هى جزء من المسجد لا يتجزأ ولا يمكن الاستغناء عنه ، بل انها أيضاً الجزء الاهم منه لأن الاروقة التى تحيط بها لم يكن لها فى بادىء الامر سوى غاية عملية ولم يكن حينئذ القسم المسقوف سوى تابع مباشرة للدار المكشوفة ، كما يمكنك أن ترى ذلك فى مساجد « القاهرة » الاثرية وعلى الأخص فى مسجد « الفسطاط » ومسجد « ابن طولون »

والجدار الذى يفصل الآن « دار البرتقال » عن الكاتدرائية قد بناه النصارى الذين تناسب طقوس دينهم الهياكل المكشوفة

وعند دخوله الى قلب المسجد نفسه أى الى الجزء المسقوف منه يشعر الانسان بنفس العاطفة التى تملكته أول وهلة فى الخارج حينما وقعت انظاره على تلك الجدران الكثيبة ، بل يعتريه شىء من الانقباض وخيبة الأمل . . . فاين تلك الاعمدة الرشيقة التى تعلو شموخاً كانها تريد ان تخرق السماء خرقاً ؟ . . أين تلك القناطر المعقودة الواسعة الارجاء القوية الدعائم التى تظهر عظمة وجلال الكنائس المسيحية ؟ . . . يخيل للرائى هنا بأن ثقل هذا السقف الواطى يكاد يهبط عليه فيسحقه سحقاً . وهذه الاعمدة المتشابكة كاشجار الغابات بشكل وحشى همجى خال من النظام تكاد تظلم الدنيا فى عينيه . . .

[يتبع — النقل محظور]

(١) كان عرب اسبانيا يبنون المحراب في الوجهة الجنوبية بحسب عادة اجدادهم السوريين الذين كانت لهم هذه الوجهة حقيقة في اتجاه الجنوب وهو « القبلة »

حقيقة الانسان

بقلم الامير مصطفى الشهابي

كنت منذ بضعة أيام ممتطياً صهوة جواد من العراب ، يسير بي الهوينا تحت مسوّق أدواح الغوطة الفيحاء ، في نفر من الصحاب كلهم من هواة الخيل وفرسان الليل ، وقد رقّ الهواء في أيام الخريف الذهبيات ، وسكنت الطبيعة ، وجعلت الشجر تنثر أوراقها وتتعرى لترقد في الشتاء . وكأن الخيل قد شاركت الطبيعة في مظاهرها ، فكانت تسبح بنا سبحاً وهي أسلس ما تكون قياداً ، إلا فرساً جموحاً هجيناً أبطره القعود وفرط العلف فكان ينزو بصاحبه ويقرمط ويعرّض (يمشي عرضاً) حتى إذا اقترب من فرسي شخر ونخر بصوت أجش ورفع احدى رجليه ولبط لبطة استقرت في داغصتي [1] . ولو لم يكن مجال اللبطة قصيراً لطحنتها طحناً . فترجلت أحجل وأعرج وانتفض من الالم كالمقرور أرعده البرد أو كالمحموم نفضته الحمى . وفي دقائق معدودات حملتني سيارة الى الدار . فجلست في حديقتها استريح على مقعد قبل بلوغ احدى الغرف ، فما راعني إلا زنبور يحوم في الهواء وكأنه عقد عليّ موعدا ، لانني ما كدت أجلس حتى انقضّ على سبابة يدي اليمنى فلسعها لسعة ورمتها ثلاثة أيام . . .

اضطجعت في الفراش أجيل الفكر في الانسان وحياته والكون وتعاجيبه . وقد أضحكني هذا الانسان المسكين الذي يعدونه على ضعفه أرفع المخلوقات منزلة وأتمها خلقاً وأكثرها ادراكاً . فأما من حيث خلقه فما من عضو فيه إلا وله في الحيوانات ما يرجحه . وهاك قده مثلا فهو صغير لا يذكر بجانب قدود الابل والحيتان والفيلة واضرابها ، وانظر الى جلده فهو رقيق ناعم قليل المقاومة لا يقاس بجلود بعض الحيوانات المتينة القاسية ، والى معدته فانها لا تهضم إلا بعض المآكل المطبوخة ، على حين أن معد بعض الحيوانات تكاد تهضم التراب والحجارة . وأين شعره من وبر الابل وصوف ضأن بني مرين وشعر السمور والفنك والمرعزّى من المعز . بل أين هو من برائل الديك وقنزعة الهدهد وذيل الطاووس

وحواسه الخمس كلها ضعيفة اذا قيست بأمثالها في الحيوانات . فزرقاء اليمامة مثلا ما كان لها عيون طيور الليل الحادة . وليس للانسان شم بعض السباع والحشرات ولا سمعها ولا

(١) الداغصة العظم المدور المتحرك على راس الركبة وهو بالفرنسية (Astragale) وبالعامية صابونة الركبة

ذوقها ولا لمسها . ويعتد هواة الرياضة بقوة أجسامهم . لـكنك اذا دعوتهم الى مبارزة الاسد أو الببر أو النمر أو الفيل أو الفهد نكصوا على أعقابهم . وهل تقاس قوة الرجل بقوة البغل أو الفرس أو الثور أو غيرها من الحيوانات الـكثيرة ؟ . ويقولون إن للرجل دربة وحنكة ويداً صناعاً ، فهل بامكانه أن يصنع لنا بيديه مجموعة من مسدسات الأضلاع المنتظمة كالنخاريب أي عيون الشهاد التي تصنعها النحل وهى حشرات حقيرة ؟ . ويزعمون أن به صفات حميدة ممتازة ، لكنني رأيت الجمل أسلس والنملة أجهد والديك أكرم[1] وجميعها أكثر منه تعاضداً وتآلفاً لأن الحيوانات التى تنتسب الى نوع واحد لا تتقاتل ولا تتفانى في الدقيق والجليل من الشئون

ولله هو (أو هي) إذ يزجج حاجبيه ويكحل عينيه ويحمر شفتيه ويبرق خديه ويعطر فوديه ويهز عطفيه . أتراه بذلك يكون أنضر من زهرة أقحوان ريانة ، وأزهى من غصنة آس فينانة ، وأبهى من جناح فراشة سكرانة ، وأعطر من نَوْرة زنبق عطشانة ؟

وانظر اليه وهو يسرع فى سيره أفتظنه أسبق من ريح هوجاء ونعامة مروعة ، وعقاب منقضة ، وسنونوة هاوية ؟ . وراقب الطيارات والمحركات والقطرات والمقذوفات التى يصنعها ، فأين سرعتها من سرعة النور وسرعة الـكهرباء وسرعة دوران (الـكهارب) فى جواهر الذرات ؟

وأغرب ما في الانسان كبرياؤه وصلفه وهو أعجز عن أن يردّ الذباب عن وجهه ، وأن يصد الحشرات عن زرعه ، وأن يمنع الجراثيم عن دخول جسمه ، فكيف لو أردته على مقاومة النواميس الطبيعية وحادثاتها ، ورغبت اليه أن يمنع شعاع الشمس عن الارض ، وأن يعيش بلا ماء ولا حرارة ، وأن يُميت الموت ويخلق الاشياء من العدم ويوقف الارض عن الدوران ؟

ويمتاز الانسان عن الحيوان بعقله وادراكه خاصة ، وهما لم يتقدما تقدماً يذكر منذ أيام أرسطو الى يوم الناس هذا . وإلا فما هو المبدأ وما هى النهاية ، ومن أين أتينا والى أين نذهب ؟ وما هي حركة الـكائنات وما الغـاية منها ؟ وما هو الوجود وما الحكمة فيه ؟ وهل للـكائنات رقي مستمر ؟ وهل الانسان مخير أو مسير بجبرية لا تتزحزح . وهل ... وهل . . . وهى أسئلة ما برحت تتوارد على خاطر المرء دون أن يحير لها جواباً . ولئن أدرك الانسان منها شيئاً فقد غابت عنه أشياء . وافظع ما يدركه وآلمه كونه عاجزاً عن فهم اسرار هذا الـكون العجيب . ولعل الحيوان أسعد منه بذلك حالا ، لان هذه الامور دقت عن متناول ادراكه

دمشق — مصطفى الشهابي

(١) كثير من الديكة لا ينقد الطعام الذي يلقى اليه ولا يأكل منه ما لم يصح فيجتمع الدجاج حوله للأكل

أيضاً أن هذه المستحدثات إنما هي ثمرة العلم الحديث ونتيجة من نتائجه ، فالعلم قدرة تمكننا من استخدام القوى الكامنة فى الطبيعة وتسخيرها لأغراضنا المختلفة

على أنه لابد من التمييز بين العلم وبين نتائج تطبيقه ، بين العالم الا كاديمى وبين المهندس أو المخترع . فالعالم أو الباحث الأ كاديمى إنما يطلب المعرفة لذاتها فهو يريد أن يستطلع حقيقة ماهو كائن ويقف على سر تركيبه . هذه الرغبة فى المعرفة غريزة من غرائز البشر ، وقديماً كانت شجرة المعرفة مغرية للانسان بحيث لا يقوى على مقاومة استهوائها لنفسه . أما المهندس أو المخترع فيستخدم العلم كوسيلة لتحقيق غرض يرمى اليه ويسعى وراءه . فمكسويل وهرتز ولودج إنما كانوا يطلبون تفهم حقيقة الاشعاع اللاسلكى ودراسة اسبابه وكيفية حدوثه وارتباطه بسائر الظواهر الكهربائية والضوئية والمغنطيسية التى تتصل به . أما ماركونى فكان يرمى الى استخدام هذا الاشعاع ـ بعد ان كشف عنه غيره ـ فى نقل رسالات البشر وأصواتهم . وكذلك فرداى ولنتز وأوهم وجول وأمبير إنما كانوا يدرسون خواص التيارات الكهربائية وأثرها الحرارى والمغنطيسى من الناحية الطبيعية والفلسفية . أما جراهام بيل وأديسون فكانا يستعينان بعلم هؤلاء وغيرهم على استحداث التليفون والانارة الكهربائية . أودت أن أميز بين العلم البحت والاختراع أو تطبيق العلم لأننا إزاء تحديد للمسئولية .فالعلم لا تمكن أن تقوم ضده جريمة التخريب أو التدمير، لأن ركن النية أو القصد الجنائى غير متوافر ، والعلم كما بينا بعيد عن كل ريبة فيما يختص بالغاية التى يرمى اليها . وأية غاية أشرف أو أنبل من الرغبة فى إحلال نور العرفان مكان ظلام الجهالة ؟

لعل بعض القراء يظن أننى إنما أحاول بشىء من المهارة أن أتخلص من موقف محرج بدلا من مواجهة الحقائق ومجابهة الموضوع . لعل هـذا البعض يظن أن التفرقة بين العلم البحت والعلم التطبيقى إن هى إلا تفرقة طفيفة وهى على أية حال تفرقة لا تهم الشخص المثقف العادى الذى ينظر الى طائفة العلماء والمخترعين ومن اليهم كأسرة واحدة بعضهم لبعض ظهير ، فكما أن المخترع يستخدم نتائج عمل المستكشف فى تنميق مخترعاته كذلك المستكشف يستخدم آلات المخترع وعدده فى زيادة الكشف والبحث العلمى ، فهم شركاء وأعوان ،مايصدق على الفرد منهم يصدق على الجماعة . الى هذا البعض من القراء أقول إننى أقبل هذا الموقف الذى يريدنى أن أقفه ، فالعلم سواء أكان بحتاً أم تطبيقياً هو العلم . وشجرة المعرفة بأصولها وفروعها وثمارها وحدة لا تتجزأ ، وهى اما شجرة طيبة تؤتى أكلها ويمتد فيؤها فتكون خليقة بأن تنمو وتترعرع أو هى شجرة خبيثة واذن يتعين أن تجتث من جذورها

فلنناقش الموضوع اذن على هذا الاساس . إلام ينتظر أن يؤدى بنا تقدم العلم والاختراع ؟ أظن ان من المعقول ان نسأل أولا إلام أدى بنا فعلا هذا التقدم .هل العالم اليوم اكثر عمارا

أم اكثر خراباً ودمارا مما كان عليه منذ مائتى سنة مثلا ؟ لا أظن هذا السؤال مما يختلف فيه اثنان، وما على المكابر الا ان يبتعد عن مرافق الحياة الحديثة ويكتفى بعيشة اهل القرون الوسطى فيضىء منزله بمصباح الزيت ويسافر على ظهور الخيل والبغال والحمير، ويمتنع عن قراءة الكتب المطبوعة والجرائد اليومية، ويرسل خطاباته إلى أصدقائه مع رسول يقطع الفيافى والقفار على متن دابة، ويكتفى بطرق العلاج التى كانت معروفة فى القرون الوسطى . فهذا كله ميسور لمن يريده ، ولكن لا اظننى مخطئاً إذا قلت انه لا يوجد واحد فى الالف ممن يتمتعون بتمام قواهم العقلية يريد حقيقة ان يعيش على ذلك النمط

من الجلى إذن ان تقدم العلم والاختراع قد أدى بنا فعلا إلى حالة من العمران تفضل فى نظرنا ما كانت عليه حالة العمران من قبل . . وكما ان الحكم على الرجل انما يكون باعماله، فان كان ماضيه مقترنا بخدمة المجتمع والاخلاص له جاز لنا ان ننتظر منه خدمة المجتمع والاخلاص له فى مستقبله كذلك ، يجوز لنا ان نحكم من ماضى العلم على مستقبله فننتظر منه الاستمرار فى توفير سبل الرفاهية للاسرة البشرية ومحاربة المرض والفقر والجهالة التى هى ألد أعداء البشر وأقوى اسباب آلامهم وبؤسهم

وهنا إخالنى اسمع همسا عن اهوال الحروب الحديثة ، عن الغازات الخانقة والطائرات المدمرة وما إلى ذلك من المخترعات التى يستخدمها الانسان فى محاربة اخيه الانسان. ولا شك فى انه من الممكن ان تنظر إلى هذه الناحية من نواحى تقدم العلم بعين التشاؤم . ولكن هذا التشاؤم إنما يكون معناه الحكم على الاسرة البشرية بالجنون الوراثى . فالاسرة البشرية يمكن تشبيهها بصبى قد بدأ يقوى ويشتد ساعده كما بدأت مداركه تتسع، فيزداد علما باسرار القوى الطبيعية التى تحيط به . فهو يستخدمها لاغراضه المختلفة . وهو ولا شك واجد يوما ما طريقة أو أكثر من طرق الانتحار . وأصدقاؤنا المتشائمون يريدوننا على ان نعتقد ان طلب الهلاك غريزة من غرائز هذا الصبى او نزعة فى تركيبه الجنونى ، فهو بمجرد ان يعثر على طريقة مثلى للانتحار سيبادر إلى استخدامها لانهاء حياته التعسة . وكل ما استطيع ان اقوله لهؤلاء إنه إذا كان الامر كما يزعمون فالاولى بهم ان ينتحروا من الآن اختصارا للوقت والمجهود . أما إذا تغلبت غريزة حب البقاء فيهم فكرهوا مشورتى فليسمحوا لى ان اعتقد ان هذه الغريزة ذاتها ـ وهى من أقوى الغرائز فى الجنس البشرى ـ إذا اضيف اليها التعقل والحصافة اللذان سينشآن حتما عن زيادة المعرفة البشرية ، فمن شأنها جميعا ان تخول لنا النظر إلى مصيرنا بعين المتفائل المطمئن

على مصطفى مشرفة

الراديو والتلفزة

خلاصة محاضرة للاستاذ محمود خليل راشد

القيت بقاعة يورت بالجامعة الامريكية بالقاهرة

الراديو والتلفزة وكل المخترعات التى تمت اليهما بصلة كالتلغراف والتلفون والسينما والفتوغرافيا ، تقوم على فكرة واحدة ، هى تحويل الطاقة . ففى الفتوغرافيا يعرض لوح حساس طلى بأحد املاح الفضة ، فترتسم فيه صورة ناتجة عن انحلال ملح الفضة فى الاجزاء التى وصل اليها الضوء ، إلى فضة دقيقة سوداء . ففى هذه الحالة تحولت الطاقة الضوئية إلى طاقة كيماوية

وفى التلفون يتحول الصوت إلى كهربائية تنتقل فى الاسلاك ، حتى تبلغ الجهاز المستقبل ، فيحولها إلى صوت ، يماثل الصوت الاصلى

ويتألف التليفون من ميكروفون ، وهذا الميكروفون شبيه بالميكروفون المستخدم فى الراديو ، وهو يتألف من قرصين من الكربون بينهما حبيبات كربونية أحدهما رقيق جداً ، ويتصل بكل قرص سلك ، والسلكان متصلان ببطارية ومستقبل تليفون ويسمى السماعة ، ومستقبل التليفون يتألف من ساق من الحديد المطاوع (الصفيح) وفى بعض الانواع يكون مغناطيسا . وهذه الساق ملفوف عليها سلك معزول (أى مغطى بالحرير) وأمامها قرص رقيق من الحديد المطاوع

ويؤلف الميكروفون والسماعة والبطارية والاسلاك التى تصلها ما يعرف بالدائرة الكهربائية . وفى هذه الدائرة يخرج التيار من القطب الموجب الى أحد القرصين ومنه إلى الحبيبات فالقرص الآخر فالسماعة فالقطب السالب للبطارية . ولما كانت الحبيبات مفككة فانها تقاوم التيار ، لما يتخللها من الهواء (والهواء البارد ردىء التوصيل للكهربائية) فاذا تكلم انسان أمام الميكروفون (ولا أقول المذياع لان المذياع شىء آخر) فان القرص الرقيق يهتز تبعاً لصوت المتكلم ، فاذا اقترب من القرص الثانى ضغط الحبيبات فصارت أجود توصيلا للتيار ، فيمر التيار الى السماعة . ومن الخواص المعروفة للحديد أنه اذا مر حوله تيار تحول فى الحال إلى مغناطيس . فاذا مر التيار فى السماعة حول ساقها مغناطيساً فجذبت إليها القرص . فاقتراب القرص الرقيق من القرص الآخر فى الميكروفون يؤدى الى اقتراب قرص الصفيح من الساق فى السماعة . وبالعكس اذا تباعد قرصا الميكروفون تفككت الحبيبات فزادت مقاومتها للتيار ، فيضعف التيار المار فى السماعة ، ويبتعد القرص عن الساق

ويتضح من هذا أن حركة قرص السماعة تناظر حركة قرص الميكروفون تماما ، فالكلام أمام الميكرفون يحدث اهتزاز قرصه ، وهذا الاهتزاز كما عرفنا يؤدى الى اهتزاز قرص السماعة .

وهذا يشبه ما يحدث فى الراديو تماما . بيد ان هناك فروقا بين التلفون والراديو أظهرها عدم وجود سلوك فى حالة الراديو تصل المكانين

وقد سمعت من الكثيرين ما تبين منه اعتقادهم أن الصوت فى الراديو ينتقل خلال الجو ، وطالما سمعت عبارات الدهشة من وصوله الى الاجهزة المستقبلة ، دون أن يشتته الهواء . والحقيقة أن الصوت لاينتقل فى الهواء وانما يتحول الى كهربائية تنتقل بالطريقة التى سنوضحها الى الجهاز المستقبل فيحولها إلى صوت . فالراديو يمكن تشبيهه بمكتب البريد . فانك اذا أردت أن تبعث مالا لصديق أودعته فى مكتب البريد ببلدتك ، وأخذت حوالة تبعث بها الى صديقك ، فيتسلم المال بمقتضاها

فهل المال الذى تسلمه صديقك هو نفس المال الذى أودعته مكتب البريد ؟ كلا ، فان المال الذى دفعته لم يسافر بذاته وانما حول الى ورقة لها خصائصه من حيث القيمة والفائدة ، ولك أن تسأل الآن : فى التلفون يمر التيار فى أسلاك بين المكانين ، فما الذى ينقل الكهربائية فى الراديو ؟ الجواب عن هذا السؤال سهل . الذى ينقل الكهربائية فى الراديو هو : الاثير

وقد فرض العلماء الاثير لتفسير كثير من الظواهر الطبيعية . فالاثير شىء يملأ كل فراغ ، ويتخلل كل الاجسام ، وله خواص عجيبة لامحل لذكرها الآن

واثبات أن الاثير يتخلل كل الاجسام بسيط ، فأشعة رنتجن تخترق الاجسام التى لا يخترقها الضوء ، وقد فرضوا أن أشعة رنتجن موجات فى الاثير ، وهذا يؤيد أن الاثير يتخلل هذه الاجسام

واليك برهاناً آخر : ضع قطعة من الزجاج فوق ورقة مكتوبة فتشاهد الكتابة جلية . ونحن لا نرى الورقة والكتابة إلا بواسطة سقوط الضوء عليها وانعكاسه الى أعيننا فكيف وصل الضوء اليها ، وكيف وصل منها الينا ؟ انتقل الضوء الى الورقة ومنها ، عن طريق الاثير ، ولما كانت الزجاجة تعترض سبيل الضوء ، فمن الجلى أن الاثير يتخلل مادة الزجاج ، والا لما تيسر للضوء اختراقها

فالكهربائية تنتقل فى الجو بوساطة الاثير . إذ تحدث فيه موجات ، وهذه الموجات تنتشر فى الفضاء ، فى كل مكان ، حتى اذا اعترضها الهوائى ، وهو السلك المرتفع المتصل بجهاز الراديو ، تحولت الى كهربائية وهذه الكهربائية تتحول فى الجهاز الى صوت

وتشبه الموجات الاثيرية من بعض الوجوه الموجات المائية ، فاننا اذا القينا فى الماء الساكن حجراً تولدت فيه موجات تنتشر فوق سطحه على هيئة دوائر مركزها موقع الحجر . وهذه الدوائر تأخذ فى الاتساع ، وتضعف شيئاً فشيئاً حتى تتلاشى . فاذا القينا الحجر عند ضفة جدول ساكن وكان عند الضفة الاخرى شخص يرقب قطعة من الخشب طافية على سطح الماء ، فانه يستطيع رؤية حركة قطعة الخشب ، وقد لا يتيسر له مشاهدة الحجر

فالحجر سبب الموجة المائية . أما الموجات الاثيرية فتنشأ عن عوامل مختلفة تتعلق بطبيعتها ، فالموجات الاثيرية الضوئية تنشأ عن جسم ذى درجة حرارة عالية جداً ، والموجات الاثيرية اللاسلكية

تنشأ عن كهربائية ذات ضغط عال . ومن الوسائل التي كانت متبعة في التلغراف اللاسلكي في أول عهده ملف رمكورف . وهو جهاز ذو شبه في تركيبه بالجرس الكهربائي ، والغرض منه تحويل التيار الكهربائي ذي الضغط المنخفض الذي لايزيد على ٢٠ أو ٥٠ فولت ، الى كهربائية ذات ضغط عال يربو على ٥٠٠٠٠ فولت ، فاذا أوصل الملف ببطارية مرت شرارة كهربائية بين كرتين فيه تسمى المسافة بينهما بثغرة الشرارة . فالمرسل في التلغراف اللاسلكي قديما كان ملف رمكورف ، احدى كرتيه متصلة بسلك مرتفع يسمى الهوائي أو سلك الهواء ، والثانية متصلة بالارض . وبهذه الطريقة تنبعث الكهربائية ذات الضغط العالي في الجو

وقد كان مستقبل التلغراف اللاسلكي جهازاً صغيراً اسمه « الملتصق » وهو أنبوبة زجاجية بها خليط من برادة الحديد والنيكل ، فيوصل طرفاه بسلك الهواء وبالارض . مع توصيله ببطارية وبمستقبل مورس ، وهو ساق من الحديد ملفوف عليها سلك معزول ، وتسمى مغناطيساً كهربائياً ، وأمامها قطعة من الحديد اسمها الخافقة . وتكون الخافقة بعيدة عن المغناطيس الكهربائي ، لان ساق الحديد لاتتحول مغناطيساً إلا اذا مر فيها تيار كهربائي ، والتيار لاسبيل له الى المرور بسبب مايتخلل البرادة في الملتصق من الهواء فاذا حدثت شرارة كهربائية على مقربة من المستقبل (وكلما كانت الشرارة قوية أمكن تكبير المسافة) أثرت في البرادة فتلاصقت . ويمكن القول بأنها حللت الهواء الى ما يعرف بالايونات فاصبح جيد التوصيل للكهربائية . والنتيجة على كل حال هي مرور تيار في الدائرة الكهربائية يؤدي الى مغطسة الساق ، فتجذب الخافقة ، محدثة صوتاً أو دقة

وفي نفس الوقت تهبط مطرقة صغيرة على الملتصق ، فتعد البرادة كما كانت ، تمهيداً لاستقبال اشارة أخرى . وقد حل الآن محل الملتصق في استقبال الموجات اللاسلكية أجهزة متنوعة ، منها الكاشف البلوري والصمام الحراري الايوني . أما الكاشف البلوري فهو حجر متعدد الانواع ، أكثره شيوعاً كبريتور الخارصين ، وهذا الحجر له خاصة إمرار التيار فيه ، في اتجاه واحد دائماً . فالموجات اللاسلكية تحدث في هوائي الجهاز المستقبل تيارات متغيرة الاتجاه ، فاذا مرت في سماعة الجهاز لم تؤثر فيها ، لانها سريعة ومتبادلة ، فيلبث قرص السماعة ساكناً ، فاذا وضع في طريق هذه الكهربائية بلورة ، مر فيها نصف التيار دون نصفه الآخر العكسي ، وبذا يهتز القرص محدثاً صوتا مسموعاً

وصوت الاجهزة البلورية ضعيف ، ولا يصلح معها إلا السماعة الفردية أي التي تستخدم للربط فوق الاذن ، ويسمع بوساطتها شخص واحد . أما البوق (وهو أجدر من الميكروفون بكلمة المذياع) فلا يصلح له عادة إلا الاجهزة ذات الصمام الحراري الايوني Thrmionic Valve ونظرية الصمام الحراري الايوني بسيطة ، وهو مؤسس على الخواص الآتية :

ا ــ اذا سخن سلك حتى يحمر فانه تنبعث منه شحنات كهربائية سالبة اسمها الالكترونات

ب ــ كل فضاء فيه الكترونات يكون موصلا للكهربائية

ج ـ الشحنتان الكهربائيتان اللتان من نوع واحد تتنافران والشحنتان المختلفتان تتجاذبان

وبمعرفة هذه الخواص يسهل فهم استخدام الصمام فى اللاسلكى فى التكبير Amplifying وتقويم التيار Rectifying والصمام يتألف من فتيل كفتيل المصباح الكهربائى وسلك حلزونى اسمه الشباك ولوحة ، فيوصل الشباك بسلك الهواء ، ويوصل الفتيل ببطارية قوتها ٤ فولت ، وتوصل اللوحة بالقطب الموجب لبطارية قوتها حوالى ٨٠ فولت ، والقطب السالب لها متصل بأحد سلكي السماعة . ويوصل السلك الآخر للسماعة بالفتيل فلنفرض أن الموجات اللاسلكية أثرت على هوائى الجهاز ، ففى هذه الحالة يتولد فى السلك تيار متبادل ، أى موجب لحظة وسالب أخرى . ففى اللحظة التى تصل فيها الى الشباك كهربائية سالبة تنطلق الالكترونات ، وهى شحنات سالبة كما قلنا ، من الفتيل لانه ساخن بتأثير البطارية ولكنها تجد الشباك فيه كهربائية سالبة ، فترتد الالكترونات الى الفتيل ، ولا يحدث غير هذا . أما فى لحظة وصول كهربائية موجبة إلى الشباك فانها تتجاذب مع الالكترنات فتستمر الالكترونات منطلقة من الفتيل نحو اللوحة . ويترتب على هذا أن المنطقة بين الفتيل واللوحة تكون موصلة للكهربائية فيمر تيار من البطارية الثانية فى دائرة السماعة

وصفوة القول أنه عند وصول شحنة موجبة الى الشباك يمر تيار فى السماعة ، وعند وصول شحنة سالبة الى الشباك لا يمر تيار فى السماعة . وبهذا يكون الصمام قد حول التيار المتبادل الى تيار وحيد الاتجاه ، فهو من هذه الوجهة مقوم للتيار Rectefier . ولما كانت الكهربائية الموجبة البسيطة فى الشباك تؤدى الى مرور تيار قوى من البطارية الثانية فى دائرة التلفون ، فالصمام فى هـذه الحالة يؤدى أيضا عمل المكبر Amplifier ، أو عمل المناول Relay

هذه هى خلاصة نظرية الراديو ، ومنها يتبين لنا ما يأتى : ١ ـ الجهاز المرسل يحول الصوت إلى كهربائية ٢ ـ هذه الكهربائية تحدث موجات فى الاثير ٣ ـ الموجات الأثيرية تولد تيارات كهربائية فى المستقبل ٤ ـ يحول المستقبل هذه التيارات الى صوت

التلفزة

ولننتقل الآن الى شرح اختراع آخر هو وليد الراديو ، وصنوه فى الغرابة ، وهو التلفزة ، أى الرؤية على بعد . وتجب التفرقة بين نقل الصور باللاسلكى والتلفزة ، فقد اختلط الامر على الكثيرين فى هذه النقطة ، ومما ساعد على انتشار الخطأ ما تنشره الصحف من وقت لآخر ، من صور كبار الرجال قائلة إنها نقلت بالتلفزة

فالتلفزة غير نقل الصور ، ونقل الصور باللاسلكى وبالتلغراف السلكى معروف من سنوات عدة . أما التلفزة فهى نقل صور المرئيات ذاتها بما فيها من حركة وتغيير . فالشخص يتكلم فى

مرسل التلفزة فنسمع صوته ونرى وجهه ، ونتبين ملامحه اثناء كلامه ولا يمكننا نشر صورة التلفزة إلا إذا صورناها بآلة التصوير المتادة . فالتلفزة تعطينا صوراً حية متحركة . وقد ذكرنا فى شرح الراديو أنه لنقل الصوت يحول اى كهربائية ثم تعاد الكهربائية صوتاً

ولما كنا نرى الأشياء بانعكاس الضوء الساقط عليها إلى أعيننا ، فان التلفزة مؤسسة على تحويل الضوء الى كهربائية ثم تحويل الكهربائية الى ضوء . وكل هذا ميسور فان هناك عنصراً اسمه سيلينيوم من خواصه أنه لا يوصل التيار الكهربائى فى الظلام فاذا سقط عليه الضوء صار جيد التوصيل للكهربائية بنسبة الضوء الساقط عليه

فلنفرض قطعة من السيلينيوم متصلة ببطارية وجرس فى حجرة مظلمة ، أو فى صندوق مغلق ، وبجوارها مصباح يمكن إشعاله وإطفاؤه بمفتاح . فاذا أشعلنا المصباح أثر الضوء فى السيلينيوم فاحاله جيد التوصيل للكهربائية ، فيمر التيار خلاله من البطارية الى الجرس فيدق

واذا أطفأنا المصباح عاد السيلينيوم ردىء التوصيل للكهربائية فانقطع التيار عن الجرس ، فيبطل دقه ، وهذا يوضح لنا إمكان تحويل الضوء الى كهربائية . وقد عملنا تصميما لمصباح كهربائى اتوماتيكى يشتعل من تلقاء ذاته عند حلول الظلام وينطفىء عند طلوع النهار .. والسيلينيوم فى الحقيقة لا يستخدم فى التلفزة لبطء تأثره ، والتيار يمر فيه بعد برهة من تأثير الضوء فيه . وقد استنبطت أجهزة أخرى أكثر حساً ، اسمها الخلايا الضوئية الكهربائية ، أو العيون الكهربائية

والعين الكهربائية هى زجاجة مفرغة من الهواء ، كزجاجة المصباح ، وعلى جدارها الداخل طبقة من مادة اسمها ايدريد البوتاسيوم ، تتركب من الايدروجين والبوتاسيوم ، وجميع سطح الزجاجة مغطى بمادة لا تنفذ الضوء ماعدا فتحة صغيرة ، وينفذ من الزجاجة سلكان أحدهما متصل بلفافة من السلك ، والآخر متصل بشبكة معدنية ، فاذا أوصلت العين الكهربائية بدائرة جرس مثلا ، فان الجرس لا يدق ، لعجز التيار عن المرور بين اللفافة والشبكة ، داخل الزجاجة ، لعدم وجود مادة موصلة بينهما ، أما اذا سقط شعاع ضوئى على الطبقة الحساسة ، فانه تنبعث من هذه الطبقة الكترونات ، ونتيجة هذا أن المنطقة بين اللفافة والشبكة تصبح موصلة للكهربائية فيمر التيار فى الجرس فيدق . واذا تغير مقدار الضوء الساقط ، نتج تيار تختلف شدته ، تبعاً لشدة الضوء ، فاذا استخدمنا بدل الجرس مصباحا حساسا ، فان التيار يضيئه ، وتختلف قوة اضاءته ، باختلاف التيار ، أى تبعاً للمصباح الأصلى

والمصباح المستخدم فى التلفزة والسينما الناطقة ، هو كرة زجاجية خالية من الهواء وبها غاز اسمه غاز النيون ، وهذا الغاز هو المستعمل فى أنابيب الاعلانات الكهربائية المضيئة . ومصباح النيون يتأثر بالتغير الذى يحدث فى التيار مهما كان ضئيلا بخلاف المصباح الكهربائى المعتاد

فأساس التلفزة تحول الضوء الى كهربائية بوساطة العين الكهربائية ، وتكبر هذه الكهربائية

وتبعث فى سلك الهواء فتحدث موجات أثيرية . وهذه الموجات إذا قابلت سلك الهواء فى الجهاز المستقبل ، تحولت الى كهربائية ، وهذه الكهربائية يحولها مصباح النيون الى ضوء

ولكن يجب أن نلاحظ أن وجه الانسان وسواه من الجسمات اذا سقط عليها الضوء لم ينعكس عنه بدرجة واحدة لانها غير مستوية . ونتيجة هذا انها تظهر بدرجات مختلفة من حيث الاضاءة ، وهذا الاختلاف تدريجي لا يمكن من نقل صورة الوجه مرة واحدة ، ولهذا يجزأ الوجه الى مناطق صغيرة بالطريقة الآتية : يقف الشخص المراد نقل صورته أمام قرص اسمه قرص التفرس أو الاكتشاف ، به ٣٠ ثقبا ويدور بسرعة ١٠٠٠ دورة فى الدقيقة اى يستغرق فى الدورة الواحدة الكاملة ١/١٢ فى الثانية ، ويوضع خلف القرص مصباح ذو ضوء ساطع . فاذا تصدى الثقب الاول امام المصباح نفذ منه ضوء المصباح فاضاء بقعة على وجه الرجل ، واذا ارتفع الثقب فانه مادام فى منطقة الضوء ينفذ منه الضوء ، فيضيء من وجه الرجل بقعة اخرى ، ولكنها أعلى من البقعة الاولى

وعلى هذا يضيء الثقب الاول أثناء تحركه الى الأعلى جزءاً من وجه الرجل من أسفل الى أعلى ، فاذا اختفى الثقب الأول عن منطقة الضوء ، دخل الثقب الثانى هذه المنطقة ، فاضاء من وجه الرجل جزءاً ، ولكن لما كان هذا الثقب أبعد عن مركز القرص من سابقه فان المنطقة التى يضيئها تكون على يسار المنطقة الاولى ، واذا أقبل الثقب الثالث أضاء شقة على يسار سابقتها ، وهلم جرا . وبذا يضاء وجه الرجل جزءاً جزءاً على التعاقب ، بدرجات متفاوتة . وتوضع على مقربة من الرجل ، عين كهربائية أو أكثر ، بحيث يسقط عليها الضوء المنعكس عن وجه الرجل ، وهذه العين متصلة بمكبر يكبر التيارات الكهربائية ، ويبعثها الى سلك الهواء فتحدث الموجات الاثيرية

وتصل الكهربائية الى الجهاز المستقبل وهي بالطبع مختلفة الشدة ، تبعاً لاختلاف بقع الوجه من حيث شدة الاستضاءة ، فتؤثر فى مصباح النيون ، ونتيجة هذا أن ضوء المصباح يتغير تبعاً لها ، فيوضع أمام المصباح قرص اكتشاف يدور بمحرك كهربائى موافق تماماً لقرص الجهاز المرسل ، وأمامه ستار صغير فينفذ الضوء من الثقوب ويضيء على الستار بقعا تناظر فى أوضاعها وشدة استضاءتها بقع وجه الرجل . وهذه البقع تضاء على التعاقب بسرعة كبيرة بحيث ترتسم لها على شبكية عين الناظر صورة واحدة لوجه الرجل غير مجزأة . ويمكن بيان هذا بأن ندير فى الهواء سيجارة مشتعلة فنبصر دائرة مضيئة ، والحقيقة أنه ليست هناك دائرة مضيئة وانما نقط مضيئة تعاقبت بسرعة بحيث كانت كل نقطة تؤثر فى شبكية العين قبل أن يزول تأثير النقطة السابقة ، وهذا مرجعه الى أن المرئيات يبقى تأثيرها فى العين مدة ١ على ١٦ من الثانية ، وهذه أيضا هي نظرية السينما ، ولابد من أن نذكر أن جهاز الراديو المعتاد يصلح لاستقبال صور التلفزة بان ينزع فيه البوق ، ويوصل بدله الجهاز المستقبل ، الذى يتألف من عجلة الاكتشاف ومصباح النيون الخ . ولم يتيسر للآن استقبال الكلام والصور معا بجهاز واحد ، بل يستخدم جهاز مستقل لكل منهما

النواهي الصحية

بقلم الدكتور محمد بك عبد الحميد
مدير مستشفى الملك بالقاهرة

فى قانون الصحة كما فى الاديان أوامر يجب ان نطيعها ولا نعصيها اذا ابتغينا الصحة ، ونواه يجب أن نجتنبها حذراً من عواقبها السيئة . من هذه النواهي ما يأتى :

١ ـ لا تأكل متى تجوع . واذا أكلت لا تشبع

ذلك لان مخالفتنا هذه القاعدة تحدث عسر الهضم بانواعه وقد تولد البدانة أو السمنة . ولقد اتضح من الاحصائيات أن المصابين بالبدانة ممن هم فوق الثلاثين من العمر لا يعيشون طويلا كانداده ممن لا يزيد وزنهم عن الحد الطبيعي أو لا يزيد قليلا بخلاف غيرهم من الذين هم دون الثلاثين من العمر، لان نسبة الوفيات فيهم أقل اذا زاد وزنهم عن المتوسط زيادة لا تتجاوز عشرة ارطال انكليزية . فهذه الزيادة محمودة من سن العشرين الى الثلاثين ، فاذا زادت السن عن الثلاثين فنقص وزن الجسم عن الحد الطبيعي أفضل لان الاحصائيات تدل على انهم أطول اعماراً ، ولذلك يحسن بالمصاب بالبدانة أن يقلل وزنه بالاكثار من الرياضة وتنظيم الغذاء وتقليل مقاديره من المواد الدهنية والنشوية والسكرية

٢ ـ لا تخالط المصابين بالامراض المعدية

أتى على الانسان حين من الدهر كان يزعم فيه الآباء أن من الصواب تعريض أولادهم للمصابين بالامراض المعدية كالحصبة وغيرها لكى يصابوا بها ، وعند ذلك يطمئن الآباء اذا شفيت الاولاد من هذه الامراض واكتسبوا المناعة التى تحصنهم منها ، وهو زعم فاسد . فن الخطأ تعريض الانسان للعرض اذا كان من الممكن اتقاء جميع الامراض الميكروبية أو المعدية كالحصبة والحمى القرمزية والدفتريا والحمى النكفية والطاعون والحمى التيفوسية وغيرها . وكذلك يمكن اتقاء كثير من الامراض الصدرية كالزكام والنزلات الحلقية الحنجرية والنزلات الشعبية وغيرها ، باجتناب المصابين بها وعدم التعرض للمفرزات التى تتطاير من أفواههم وأنوفهم بالكلام والعطس والسعال والتقبيل

ولذلك يكون من الصواب اجتناب زيارة المرضى المصابين بامراض معدية لان الانسان بذلك يتقى شر عدواهم . وخير من زيارتهم الاستفهام عن صحتهم بترك البطاقة لهم ، ولا بأس من تقليد الاجانب باهدائهم باقات من الزهور . ومن الخطأ أن يسوغ الانسان لنفسه زيارة المرضى

مقلداً الاطباء الذين يعودونهم والممرضات اللاتى يقمن عليهم فى أثناء تمريضهم فهؤلاء أدرى بطرق العدوى وطرق اتقائها ، وان انتقل اليهم المرض ففي سبيل خدمة الانسانية والقيام بالواجب

والمعتاد عزل المصابين بالامراض المعدية لهذا الغرض ومالم يحرص الناس على اجتناب زيارتهم فلا فائدة من العزل . وليس يكفى اجتناب المصابين بالامراض المعدية بل يجب كذلك اجتناب المشتبه فى اصابتهم بها الى أن يتحقق الانسان براءتهم منها . وقد تكون زيارة المشتبه فى أمرهم أشد خطراً لان العدوى تكون أكثر انتقالا فى دور الاشتباه فى بعض الامراض

وهناك أمران جديران بالنظر فى اتقاء هذه الامراض : هما الميكروبات المعينة التى تحدث الامراض، وقوة المقاومة التى يقاوم بها الشخص الامراض . فقد يتلوث الانسان بميكروبات السل بغير أن تبدو عليه علامات المرض واعراضه لقوة مقاومته . ولذلك يجب على الانسان لاتقاء هذه الامراض أن يجتنب ما استطاع التعرض لهذه الميكروبات وأن يعمل دائماً على تقوية جسمه لتقوية مقاومته لكى لايظهر عليه المرض اذا وصلت الى جسمه الميكروبات بطريق المصادفة ، بالرغم من عدم التعرض لها . وليس من الصعب تقوية الجسم لانها لاتستدعى أكثر من ان يعيش الانسان فى حدود الشروط الصحية . فاذا روعيت هذه الشروط لم يعد الجسم مرعى خصبا للميكروبات اذا حلت به

٣ ـ ابالك والسموم

والسموم أنواع كثيرة . منها مايؤخذ ارادة الانتحار وهذه لاشأن لنا بها ، فلا يأخذها انسان وله عقل . فقد ورد : « لاتتمنوا الموت » وكذلك ورد : « لا تدعوا بالموت ولا تتمنوه . فمن كان داعيا لابد فليقل : اللهم احينى ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى » . ولكنى أريد أن اتكلم عن سموم الطعام وهى على نوعين : نوع يحدث من استهداف الجسم لنوع من الطعام . فمن الناس من اذا تناول شيئاً من الجبن السويسرى أو الفرولة أو الجنبرى أو السمك ، اضطرب هضمه اضطراباً عظيما وتكرر له الاضطراب ماتكرر هذا الصنف فى طعامه . والوسيلة لاتقاء هذا الضرر هو الابتعاد عن تناول هذا الصنف

ونوع يحدث عن سموم تتولد فى الطعام نفسه ، وليس من السهل اتقاء هذا النوع ، وهو كثير الوقوع . فكم من مرة نطالع على صفحات الجرائد أن عدداً عظيما من الناس فى وليمة قد تناولوا من الطعام الذى يسمى « كسكسى » فاصيبوا بالسم . ومن ذلك ماسمعناه قريبا من وفاة عدد عظيم عقب أكله من لحم جمل

وكثيراً مايحدث هذا النوع من تناول الاطعمة المحفوظة فى علب بالرغم مما يبذل من العناية فى تجهيزها . وربما كان من الخير فحص العلبة قبل فتحها فاذا ظهر انتفاخ أو بروز فى غطائها أو قاعدتها كان من وجود غاز التعفن

وأحيانا يحدث السم عن تناول بعض الاطعمة مما يكون قد حفظ فى أوان نحاسية يعلوها الصدأ

ومن السموم الواجب اجتنابها المشروبات الروحية فقد اتضح أن المدمنين أقصر اعماراً من المتنعين ، بما يحدث عنها من ضعف الاجسام وضعف المقاومة للامراض وضعف القدرة على العمل . أضف الى ذلك مايحدث عقب تناولها مباشرة من الهذيان وخفة العقل . ولا فائدة منها مطلقاً إلا اذا وصفها طبيب لضرورة طبية لمدة قصيرة

ومن السموم القاتلة المخدرات التى انتشرت فى الايام الاخيرة انتشاراً هائلا كالمورفين والكوكايين والهروين والافيون والحشيش وغير ذلك مما يطول عده ، وكلها تفتك بالجسم والعقل وتذهب بالسعادة والثروة وتقضى على البيت والاسرة . فالعاقل من ابتعد عنها واتقى شرها

الدكتور محمد عبد الحميد

الشحرور

ايها الشحرور غردْ فالغنا سر الوجود
ليتنى مثلك حرٌ من شجون رقيود

* * *

ليتنى مثلك روح فى فضا الوادى أطير
اشرب النور مداماً فى كؤوس من أثير

* * *

ليتنى مثلك طهراً واقتناعاً ورضى
معرضاً عما سيأتى غافلاً عما مضى

* * *

ليتنى مثلك ظرفاً وجمالا وبهـــا
تبسط الريح جناحى كى يؤاتيه الندى

* * *

ليتنى مثلك فكر سابح فوق الهضاب
اسكب الانغام عفواً بين غاب وسحاب

* * *

ايها الشحرور غنّ واصرف الاشجان عنى
ان فى صوتك صوتاً نافخاً فى اذن اذنى

جبران خليل جبران

فلسفة الرسائل
ونفسية كاتبها

بقلم الاستاذ امير بقطر

فى طبيعة المرء نزعات نفسانية تدفعه إلى التعبير عما يصيبه من المؤثرات الخارجية بطرق شتى. فاذا ماقرأ خبراً أو مقالا أو كتاباً، وإذا ماشاهد واقعة حال أو حضر رواية أو سمع لحناً، أو كون فكرة عن زعيم أو كاتب أو روائى أو فنان أو ممثل، سرت فى جسمه «ابخرة» ساخنة لايقوى على حبسها، وغلت فى رأسه «اسرار» لا يطيق كتمانها وعمد الى ايجاد منفذ أو صمام أمن لهذه الأبخرة، ومخرج لتلك الأسرار

وقد يكون التعبير عن هذه المؤثرات عن طريق المحادثات الشفوية أو التأليف والنشر. ولكن معظمه يكون عن طريق مناجاة النفس. وقد يستغرب القارىء إذا قيل له إن جميع الناس فى أكثر الاحايين يحجمون عن مخاطبة الغير، كلاماً أو كتابة أو رسماً، لاسباب كثيرة، ولكنهم يخاطبون أنفسهم إما بصوت مسموع أو بمجرد تحريك الشفاه، أو كما يقول بعض علماء النفس يقتصرون على تحريك الاوتار الصوتية تحريكا لا يكادون يشعرون هم به، وبالاولى لا يشعر به الغير. وربما كان الفرق الوحيد بين المتمدين وغيره فى هذا الامر هو أن الاول قلما يخاطب نفسه على مسمع من الناس، فى حين أن الثانى لا يستهجن ذلك كثيراً

وقد لاحظت فى كثير من بلدان أوربا أن الكثيرين من طبقة العامة يخاطبون أنفسهم فى مكان أو طريق عام على مسمع من الغير فترة من الزمن. والناس لاهون عنهم كأنهم لايسمعون. ولست أريد أن أبتعد كثيراً بالقارىء. فحسبي أن أوجه اليه هذا السؤال: الا تخلو بنفسك أحياناً فتتحدث بصوت مسموع إعجاباً بصديق أو وصفاً لمشهد أو حادث، أو قدحاً وهجواً فى شخص أغاظك، اوسباً ولعناً فى مخلوق آثار سخطك، أو تغزلا فى جمال صادف هوى فى فؤادك؟ ألا تفعل ذلك كأنك توجه الكلام الى صديق يجالسك. ثم تعود الى صوابك فتنظر حولك خشية أن تكون مهاترتك قد اخترقت جدران الغرفة، ثم تؤنب نفسك صراحة أو ضمناً؟ قد تقول إن مخاطبة النفس بالكلام فعلا أو بالصمت وتحريك الاوتار الصوتية كما اسلفنا هو ما نسميه تفكيراً. وفى هذا القول شىء من الصواب لان التفكير إن هو إلا كلام صامت. غير أن التفكير بمعناه الحقيقى شىء قليل الوقوع عند الاكثرية الساحقة من الناس.

ولا يحدث إلا عند تحليل المؤثرات التى تقع تحت الحس تحليلا دقيقاً عميقاً . أما فيما عدا ذلك فانا لا نفكر ، ولكننا نخاطب أنفسنا وصفاً لهذه المؤثرات وتعليقاً عليها ، مدحاً واعجاباً أو قدحاً وسخطاً ، واضافة اليها ما يمليه علينا الخيال وأحلام النهار من الزخارف والملحقات

وهناك ضرب آخر من الطرق التى نسلكها تعبيراً عن المؤثرات ، وهو كتابة الرسائل الى مشاهير الرجال والنساء كالساسة والعلماء والادباء وغيرهم ممن لا تربطهم باصحاب الرسائل صلة نسب أو قرابة او معرفة سابقة أو صداقة . وهذا هو بيت القصيد من هذا المقال

* * *

وأكثر الناس عرضة لسيل الرسائل التى تتدفق عليهم كمياه الشلالات بغير انقطاع هم أصحاب الملايين ، فالنجوم الساطعات من الممثلات والممثلين ، فالزعماء السياسيون ، فالفائزات فى مسابقات الجمال . ويلى ذلك الرياضيون فنوابغ العلماء والكتاب والشعراء والخطباء . والرسائل التى ترد الى هؤلاء لاتقتصر على الاشياء التى لها صلة بسبب شهرتهم فقط ، بل تتناول جميع الموضوعات المادية والادبية والروحية ، ظناً من أصحاب هذه الرسائل أن مشاهير الرجال والنساء لهم فى كل ميدان جولة . فبرتراند رسل يحدثنا أن الرسائل التى تنهال عليه تطرق كل الموضوعات ، والاسئلة التى يريد أصحابها الاجابة عنها تشمل جميع الادواء البشرية والعلل السياسية والاجتماعية والخلقية

فمن الهند يطلب اليه ابداء رأيه فى طائفة خاصة من الصوفيين ، أو يدعى الى الانضواء تحت لوائهم . ومن اميركا يكتب له الشبان والاوانس متسائلين عن الحد الفاصل بين المغازلة البريئة وغير البريئة ، وعن التقبيل والمعاشرة الجنسية قبل الزواج . ومن بولندا يؤكد له أصحاب الرسائل أن القومية شريفة الغرض فى بلادهم وإن تكن غير مشروعة فى غيرها . وتصله رسائل من مهندسين يطلب فيها كاتبوها أن يشرح لهم نظرية آينشتين لانهم لا يفهمونها . وتسأله نساء متزوجات عن رأيه فى هجر ازواجهن . ويشكو له رجال جور نسائهم وبطشهن بهم . ويؤخذ رأيه فى تحديد النسل والاجهاض فى حالة المرأة - متزوجة كانت أو غير متزوجة - التى لا تستطيع أن تعول مولودها . وكتبت له أم شابة تطلب رأيه فى إرضاع الطفل بلبن الزجاجة بدلا من ارضاعه بثديها

ويصل جاك دمبسى الملاكم الذائع الصيت اسئلة عويصة فلسفية لا تساعده عضلاته المفتولة على حلها . ومنها : « هل تعتقد أن الحياة جديرة بالعيش ؟ »

وكانت جون كروفورد النجمة السينمائية المعروفة تفض غلاف رسالة تصلها يومياً من شاب لا تعرف عنه شيئاً سوى ان القرطاس الذى يتطوع به للتحرير اليها من نوع الورق الذى يلف به البدالون المأكولات التى يبيعونها . وبعد سنوات كشف سكرتيرها الخاص غامض هذه المسألة ووقف على سر كاتبها المتيم ، وهو ان المرسل كان يتناول قطعة من « السندويتش » طعاماً للغذاء يومياً ثم يجلس تواً الى مكتب فيبث على الورقة الملفوف بها الطعام لواعج غرامه ويزف الرسالة

الى معبودة الجماهير عامة ومعبودته هو على الأخص. والروائيون يصلهم عادة نوع خاص من الرسائل، ومن فتيات عاشقات فى الغالب، يسألن فيها إذا كان هناك حقاً نساء على قيد الحياة، وفى عالم الحقيقة، شبيهات ببطلة هذه الرواية أو تلك، أو إذا كان ثمة ضرب خاص من الجاذبية الجنسية التى ترمى بأعاظم الرجال على أقدام المرأة

ومما يدعو للاستغراب ان القبائل الافريقية لم تنج من عبادة ابطال الشهرة. فقد ورد مرة الى دوجلاس فيربانكس خطاب من احدى كريمات إحدى القبائل فى جنوبى افريقا، يظهر انها رأته على الستار الفضى فأعجبت به، تدعوه أن ينزل ضيفاً كريماً على اسرتها ويقضى ردحاً من الزمن فى جنوبى افريقا حيث يحلو صيد الاسود ويطيب لهما المقام

وتقول مجلة أمريكية شهرية إن بعض كبار الكتاب والممثلين تبلغ رسائلهم من هذا النوع الفين وخمسمائة رسالة فى الاسبوع الواحد. وبعض هؤلاء، خصوصاً السيدات، يتشاءمن إذا لم يجبن عن كل رسالة مهما كان كاتبها، ولو بكلمة واحدة، ويكتبن ألوف الرسائل، ويدفعن مبالغ طائلة ثمناً لطوابع البريد ومرتبات للاوانس اللاتى يستخدمنهن لتحرير هذه الخطابات على الآلة الكاتبة. وأمثال هؤلاء جون كروفورد، ونورما شيرر، وكلارك جوبل. وانى أجل قارىء الهلال من ان تستهويه هذه الاشارة فيكون أحد الذين يقلقون راحة أولئك المساكين، وأكون أنا سبباً غير مباشر لهذا الاقلاق

ومن عادة العظماء الاجابة عن الخطابات التى توجه اليهم، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا. ومن البواعث التى تدفعهم الى هذا العمل الشاق الذى يكلفهم كثيراً من الجهد والمال والوقت، مراعاة المبادىء العامة المعروفة، وواجبات الذوق والكياسة والمجاملة. غير ان هناك باعثاً آخر يفوق الاول أهمية ودقة ونفعاً ودلالة على تفهم الطبيعة الانسانية، وتعمقاً فى درسها، وبعد نظر، وهو أن هؤلاء العظماء والادباء والكتاب يؤمنون بسحر الرسالة، وأثرها الفعلى فى نفوس أصحابها، وما ينشأ من الاجابة عنها (ولو بعبارة موجزة) من شفاء تلك النفوس شفاء وقتياً على الاقل، وما ينجم عن اغفالها من سخط جيش من كاتبها على المرسل اليه. ومن بواعث الاسف اننا فى الاقطار العربية نجهل هذا المبدأ السيكولوجى، فنهمل الاجابة عن كثير من الرسائل، ونغفل أمرها، ويستوى فينا هذا الاهمال بين الزعماء والموسرين والموظفين وصغار الكتاب

ولو علمنا أن الاجابة عن الرسائل والعناية بها، كانت سبباً قوياً فى شهرة الكثيرين من الزعماء المبرزين وقادة الرأى العام، لما ألقينا رسائلنا فى سلال المهملات. قد لا يخطر ببال أحد منا أن من أسباب شهرة روزفلت زعيم أمريكا اليوم انه حينما رشح نفسه فى انتخابات سنة ١٩٢٠ وأصيب بالشلل الذى ما يزال ملازماً له، انهالت عليه الرسائل من العاطفين عليه. فاغتنم هو هذه الفرصة السانحة، واستعان بعدد وفير من الفتيات المهذبات اللاتى يحسن الاختزال

واستعمال الآلة الكاتبة . وكان يقضى معظم ساعات النهار . ويسهر الى الهزيع الاخير من الليل لانجاز الاجابات عن كل من هذه الخطابات بعناية فائقة ، بدلا من توجيه كلمة عامة الى ذويها جملة فى صحيفة سيارة . وبلغ من عنايته بهذه الرسائل ان أصحابها كانوا يفاخرون باجابات روزفلت عنها ، ويقرأونها فى المجامع العامة والدوائر الخاصة . وكان يخيل إلى سامعيها ان كاتبها (روزفلت) لم يصله فى حياته مثل هذه الرسالة . ولا يزال روزفلت حريصاً على هذا المبدأ إلى اليوم . فان عدد الخطابات التى تصله بمتوسط ٧٨٩٣ يومياً تنال نصيباً وافراً من عنايته . فيقرأ بعضها شخصياً ويوقع على بعضها بقلمه ، وينوب عنه آخرون فى البعض الآخر

وقرأت منذ عهد ليس ببعيد ان روائياً مشهوراً ـ ولعله اونيل ـ بعد ان فرغ من طبع روايته الاولى أخذ فى وضع روايته الثانية ، ولكنه قبل ان ينتهى من الفصل الاول تجمع لديه عشرة آلاف وخمسمائة رسالة من المعجبين بروايته الاولى ، فاوقف فورا روايته الثانية ريثما يفرغ من الاجابة عن عواطف هذه الانسانية المعجبة به . وأنشأ مكتباً واعلن عن موظفين وموظفات . وبذلك اكتسب هذا الجيش من القراء وأضعاف أضعافهم من الاصهار والاقارب

وهذه هى الصحف الكبرى الاجنبية شديدة الحرص على هذا المبدأ . فانها تجيب عن كل رسالة تبعث اليها للنشر ، وتعتذر عن نشرها بكلمة رقيقة ، محافظة على المجاملات المعروفة ، واكتساباً لعواطف الجمهور وتجنباً لسخط المتطوعين من الكتاب . وبهذه المناسبة أريد انأنقل للقراء صورة كتاب تبعث به عادة الصحف الصينية الى اصحاب الرسائل التى يعتذر عن نشرها . وقد احتفظت بقصاصة المجلة التى نقلت عنها هذه العبارة زمناً ليس بقصير . وهذه هى الصورة :

« نتشرف ان نقدم لكم عشرة آلاف شكر لما حوته رسالتكم من الدرر التى لا تقدر بثمن . ونصحب هذا الشكر بعشرين الف اعتذار لعدم تمكننا من نشرها . لاننا اذا أفسحنا فى صحيفتنا مجالا لرسالتكم الفريدة الممتازة ، فان أولى الحل والعقد ، يحتمون علينا ألا ننشر فى المستقبل ما يقل عن هذه التحفة النادرة بلاغة ونفاسة . وهذا ـ كما تعلم ـ حلم لا يستطاع تحقيقه ـ المحرر »

ويقول الكاتب تعليقاً على هذه الرسالة ان القليل من الناس يتقبل جواب الرفض بالارتياح متى كان الكاتب « دبلوماتيكيا » فى اجابته ، ساحراً فى عبارته ، كما أن الطبيب الماهر لا يكتفى بتجريع المريض الدواء العلقم ممزوجا بالعسل ، بل يقدمه له فى لطف ولباقة وكياسة تجعل العليل يشعر وهو يبتلعه أنه يؤدى خدمة للطبيب . ويستطيع القارىء ان يوازن بين هذا الجواب الصينى المبالغ فيه ، وبين الجواب البارد « الانجلو سكسونى »

ولا يخفى ان الملوك والسلاطين لا يفوتهم الاجابة عن معظم الرسائل ، ان لم نقل كلها . فقد قال لى مصرى منذ سنوات قليلة (وقد أحنت ظهره السنون) انه بعث بمؤلف سمين له

مكتوب باللغة الفرنسية ، الى ملك الانجليز فى ذلك الحين ، فرد اليه المؤلف ، مصحوباً بكتاب رقيق من سكرتير جلالته اعتذر فيه بكل لطف عن قبول الهدية السمينة ، لان التقاليد تحتم ألا يقبل الملك هدية ممن لم يسبق تقديمه لجلالته . وأذكر ان أحد عمال الكهرباء بمدينة بنى سويف كان يلذ له تهنئة الخديو الاسبق فى جميع الاعياد بغير استثناء . وكان الاول يباهى ببرقية الخديو التى كان الديوان العالى يبادر بارسالها اليه باسمه شكراً له

* * *

وكثيرا ما تكون الرسائل من هذا النوع سبباً فى التعارف بين كبير وصغير ، وعظيم وانسان عادى . وليسمح لى القارىء ان أضرب له مثالين من اختباراتى الشخصية : ويتعلق المثال الاول بسيدة نابغة كنت أعجب بها وهى طالبة تتلقى دروس الفلسفة على العالم الامريكى جون ديوى فى نيويورك منذ سنوات قلائل. وكان يدهشنى من أمرها انها كانت أصغر الطلبة سناً ، ولكنها كانت تحتل مكاناً فى الصفوف الامامية من المدرج وتقاطع دكتور ديوى فى خلال المحاضرة ، ويسألها فتجيب اجابات تنىء عن عمق البحث والوثوق بالنفس ، ومرت أعوام قليلة أتيح لى بعدها ان اعيش فى نيويورك مرة أخرى ، واذا بالفتاة الصغيرة سيدة مبجلة تحمل إجازة الدكتوراه فى علم النفس وترأس معملا لعلم النفس التجريبي للاطفال ، يولد فيه يوميا سبعة مواليد ، تتعهد هى ومساعدوها بتربيتهم ، ومشاهدة نموهم العقلى ، والموازنة بين أثر الوراثة والبيئة وغيرها من الموضوعات العلمية ، وتدوين نتائجها لينتفع بها قسم علم النفس فى جامعة كولومبيا . وذكرت الصحف الانجليزية أخيرا شيئا من تجاربها نقل منها المقطم الاغر قطعة شائقة عنها ، كما نشرنا مثلها فى شهر مايو الماضى

ودعتنى هذه السيدة النابغة لتناول الشاى فى منزلها عدة مرات بحضور دكتور ديوى وقصت على مرة تاريخ حياتها ، ومما يهم أمرنا منه أنها كانت تراسل الاستاذ الفيلسوف قبل أن تبلغ سن الحلم فى بدء عهدها بالدراسة الثانوية ، وكانت إحدى المعجبات بفلسفته العملية ، وكان هو يجيب عن رسائلها بكل عناية كأنها ند من أنداده . وظلت على هذا المنوال عشر سنوات وهى لم تره ، حتى التحقت يوماً بجامعة كولومبيا وجلست تستمع اليه ، وتمكنت بينهما أواصر صداقة كانت سبباً فى هذا المركز السامى التى تتبوؤه اليوم

والمثال الثانى خاص بأحد كبار المصريين ومن أنبغ شباننا العصريين ، وأقول شباننا لأنه مع سمو مركزه واضطلاعه بعبء عظيم من أعباء الدولة ، فانه لما يبلغ بعد سن الكهولة . ويرجع تاريخ الحديث عنه الى نحو ثمانى سنوات خلت . وكان صاحب الحديث موظفاً لا بالكبير ولا بالصغير ، وكان كاتب هذه السطور حديث العهد باميركا ، معجباً بعظمتها ، يدون ملحوظاته عنها فى بعض الصحف والمجلات من آونة إلى أخرى . وكان بين الرسائل التى ترد اليه فيغفل امرها ،

أو يجيب عنها اجابات مقتضبة غير شافية ، خطابات من هذا العظيم ، وقد يئس من اهمالى فكف عن الكتابة الى . ودارت الايام دورتها ، وتبوأ ذلك العظيم منصباً خطيراً وتحققت احلامه فرحل الى اميركا فى ظل الدولة . . . وكلما أذكر ذلك أسخر من نفسى وألوم الاستاذ الذى تلقيت عليه علم النفس لأنه لم ينبهنى الى فلسفة الرسائل ونفسية كاتبها ، وفوت على تعرفى بهذه الشخصية النادرة فى الشبيبة المصرية

* * *

ومن أكثر هذه الرسائل شيوعاً هى ما يطلب فيها أصحابها الاموال والهدايا من الامراء واصحاب الملايين . فروكفلر وكارنيجى وفورد يجيبون بالرفض يوميا عن مئات الالوف من الرسائل ، يخصصون لهم دواوين لاتقل اتساعا وعظمة عن دواوين الوزارات . ومع ان معظم هذه الخطابات تبدأ بكلمة « نأسف » ، فان روكفلر تبرع لاصحاب هذه الرسائل بمئات الملايين من الريالات ، وتبرع آل كارنيجى بما لا يقل عن ذلك مع عشرات الالوف من آلات الاورغن للكنائس . وفى خلال السنوات القليلة الاخيرة منحوا الجامعات والمعاهد والاندية معدل ثلاث مكتبات كل يوم . أما فورد فانه يجيب عن كل رسالة من هذا النوع بالرفض . ومع ذلك فان أحد موظفى مصلحة المساحة فى مصر ، بعد ان قرأ هذا الخبر فى إحدى مقالاتنا ، توجه الى مكتبه ، وحرر رسالة الى فورد طلب اليه فيها أن يمنحه سيارة

ومن الغريب أن بعض الاطفال لا يجبنون فى بعض الاحايين ، بل يجرءون على طلب الهدايا ممن لا يعرفون . واذكر أننى فى إحدى زياراتى لاحدى المدارس الحرة التى أنشاها ايستمان كودك صاحب الآلات الفوتوغرافية المعروفة ، فى مدينة روشستر ، كتبت عنوانى لطفلة فى الثامنة من عمرها بناء على طلبها ، وقد عجبت عندما حمل الى البريد من اميركا فى العام القائت خطابا لم يكتب على غلافه سوى اسمى (مجرداً عن الالقاب) وكلمة « القاهرة » ، ولما فضضته وجدت ان كاتبته طفلة (هى بعينها) ترجونى أن أبعث اليها بعروس ترتدى ثيابا مصرية . فاحلت الطلب الى احدى طالبات الجامعة فارسلت اليها عروسا أسدلت على وجهها نقابا شفافا ابيض ولفت جسمها البض الرشيق برداء غال اسود وعصبت رأسها بمنديل من لونه

وكنت مرة فى كندا على مقربة من مصنع شفرات جيليت ، فاشتريت من صيدلية هناك علبة منها ، ولكنها لم تكن وافية بالمرام . فحنقت جداً وكتبت لصاحب المصنع خطابا اظهرت له فيه دهشتى لما وجدته من العيب فى شفراته برغم اننى ابتعتها من بلادها ، فكتب الى المدير خطابا رقيقا معتذراً ناصحا الى ان اشتريها من مخازن معروفة . ودس بين اوراق الرسالة ثلاث شفرات اغنتنى عن شراء غيرها عاما كاملا وما أزال احتفظ بالخطاب الرقيق

* * *

وكثيراً ما تتخذ هذه الرسائل خطة مضادة للخطة السابق ذكرها . أى أن مرسليها يبعثون بالهدايا للعظماء تقديرا لهم واعجابا بهم أو تقربا منهم . ويذكر قراء الاخبار المحلية فى مصر ان حالا فى محطة مصر تطوع بارسال دواء لجلالة الملك من صنع يديه منذ بضعة أسابيع . فشكره أولو الامر على اخلاصه . وذكرت الصحف الاميركية يوما ان الرئيس روزفلت أصيب بزكام فلزم فراشه فى البيت الابيض . وفى صبيحة اليوم التالى حمل البريد على سيارة كبيرة طروداً من الاربطة والادوية للرئيس المريض . ونذكر بهذه المناسبة ان مربيا اجنبيا كبيراً فى مصر أصيب بداء أعيا اطباء برلين وفينا ولندرة ونيويورك ، وقد أذهلتنى يوما رسالة من أحد صغار الموظفين ألح على فيها أن أبلغها الى استاذه القديم . ومغزى هذه الرسالة أن يقرأ المريض تعويذة مخصوصة عدة مرات يوميا فيزول المرض . وذكر اسم واضعها وهو كفيف البصر من ازقة شارع كلوت بك . وانى أؤكد للقراء ان صاحب هذه الرسالة لم يكتبها الا بدافع الولاء لأستاذه

وكتب أحدهم مرة الى ممثل يقول له انه رآه على اللوحة الفضية فأعجب به ، ولكن يعيب عليه « حمالة الجوارب » التى لم تكن على ما يرام لان الجوارب كانت تنزل على حذائه بشكل لا يليق وارسل مع الخطاب حزمة صغيرة داخلها « حمالة » بديعة

وكان الرئيس ولسون موفقاً فى الهدايا التى كانت ترد اليه من جميع أنحاء المعمورة . ولما نقلها إلى منزله فى واشنطون كلفه النقل وحده الف ريال فكم بلغت يا ترى قيمتها المالية ؟

* * *

وكثيراً ما تكون هذه الرسائل ذات أثر فعال فى نفوس المرسل اليهم ، وإن كان أصحابها مجهولين ، أو أرسلت غفلا من الامضاء . مثال ذلك أن أحد مراكز الاذاعة فى نيويورك فى بدء عهدها بالراديو سنة ١٩٢٣ كان يصله يومياً الف خطاب فى المتوسط ، وكانت هذه الخطابات بمثابة التصفيق أو التصفير ــ الاستحسان أو الاستهجان ــ فى المرسح ، وكانت مقياساً لما يحب الجمهور ويكره ، وعلى أساس هذه الخطابات كانوا يعدلون فى برامج الاذاعة ويبدلون . ولا يبعد أن يبلغ مجموع الرسائل اليومية لمراكز الاذاعة بتلك المدينة عشرات الألوف

ويقول مخرجو الأشرطة السينمائية إن مثل هذه الرسائل هى التى تعين فن السينما على التطور . فالتقبيل مثلا لا يلبث طويلا على الستار الفضى لان الرسائل الكثيرة قضت على تلك العادة . وكذلك مناظر الموت المفجعة فانها بفضل هذه الرسائل لا تكاد تظهر حتى تختفى بسرعة البرق . وقد وصل مرة الى أحد مديرى الشركات السينمائية نحو خمسمائة خطاب فى اليوم طيلة الوقت الذى عرض فيه شريط خاص ، كانت تطول فيه مناظر التقبيل والموت ، فاضطر إلى إصلاحه برغم أن الجرائد لم تنتقده . ودفع أحد هؤلاء المخرجين مبلغــاً طائلا ثمناً لرواية معروفة من وضع كاتب شهير ، وبعد أن شرع فى تهيئتها للتصوير وردت عليه كتب من أندية نسوية ، ذكرت فيها

صاحباتها الاسباب التى تحملهن على نقد الرواية فأبطل إخراجها

وقيل إن شكسبير لم يعبأ بمثل هذه الرسائل لانه عند ما وضع رواية روميو وجوليت ، طبعها فصلا فصلا كعادته ، وقبل أن يصدر الفصل الاخير انهالت عليه الرسائل وطلب اليه كاتبوها أن يبقى على روميو وجوليت رفقاً بهما حتى يمتعا بدور الغرام الذى لعباه ، وأكثر من ذلك أنهم تجمهروا أمام المطبعة مكررين رجاءهم . ولكن خيب الروائى آمالهم

وأشد هذه الرسائل عنفاً ما كان متعلقاً بما يثير سخط الرأى العام . وأذكر من هذا القبيل حكاية طالب زنجى امريكى قبلته إحدى الجامعات فى أحد أقسامها الداخلية ، فعارض الطلبة البيض فى ذلك . غير أن الادارة لم تعر شكواهم آذاناً صاغية لان جامعات الولايات الشرقية لا تفرق بين الاجناس والالوان . وما كاد يكتب الخبر فى جريدة « التيمس » حتى حمل رجال البريد إلى الطالب الزنجى ثلاثة أكياس كبيرة من خطابات التهديد .وقد كنت على وشك السفر حينئذ فغادرت البناء (الذى كان يقطنه هذا الطالب) ورجال البوليس السرى يحرسونه مدججين بالسلاح ضد هجمات جماعة كركلوكس كلان التى يسمونها « K. K. K. »

* * *

وكثير من هذه الرسائل مدعاة للضحك . فقد حاول طالب أجنبي متوطن فى مصر أن يحمل جمعية الامم على ترحيله الى اميركا للاشتراك مع روزفلت فى حل الازمة فلم يفلح . وكان كل صلته بى أنه كان يطلعنى على الخطابات حتى أساعده فى وضع صورتها مع عدم معرفتى له . ولما سألته : لم لا تبعث بالحل إلى روزفلت رأساً أو عن طريق وزارة الخارجية المصرية ؟ أجاب : انه يخاف أن تفرج الازمة ولا ينسب الفضل اليه . ولا يزال هذا الطالب مصراً على رأيه

وقد نشرنا فى مجلتنا التربية الحديثة منذ عهد قريب أن أحد طلبة بيل (الجامعة) كتب إلى رئيس الجمهورية يستأذنه فى تسمية أحد نواقيس المدرسة على اسمه ، فقبل ذلك عن طيب خاطر فى رسالة أنيقة .غير أنه اتضح أخيراً أن الطالب كان هازلا . وكتبت سيدة عجوز إلى البيت الابيض خطاباً تقول فيه إنها مشتاقة أن تسند قدميها على مائدة البيت الابيض (تتناول الطعام) فكان لها ما شاءت . ومنذ عام تقريباً أكرم الممثل نافارو وفادة عجوز شمطاء لا يعرفها لانها ظلت تراسله اعجابا به ١٢ سنة متوالية

* * *

ويعزى سر هذه الرسائل فى كثير من الاحيان إلى وحدة كاتبيها وشعورهم بالوحشة والحاجة الى الاستئناس ، بعد أن يملوا مناجاة أنفسهم والتحدث الى ذواتهم . وقد يكون هذا السر نتيجة حادث شخصى أو كارثة لا يريدون أن يبوحوا بها لاصدقائهم ، أو هزة عاطفية عنيفة ، أو شعور وقتى لا سبيل الى كبته دون التحدث الى أنفسهم أو الكتابة الى الغير

امير بقطر

في الفردوس المفقود

زيارة لعجائب قصر الحمراء

خلت انى فى حلم عندما وجدت نفسى فى بلاد الاندلس أتهيأ لزيارة غرناطة وأقصد الدخول الى قاعات بنى الاحمر. ولقد تركت اشبيلية وحدائقها وما فيها من جمال ومتعة، وقصدت عاصمة بنى الاحمر وحصن العرب الاخير فى اسبانيا. وكان القطار يطوى المسافات ببطء تام ويقف بقرى صغيرة ويمر بنا أمام أطلال مدن غابرة كانت مشاهد للصراع الطويل بين العرب والاسبان. فكنا نمر بها ومرافقونا الاسبان يروون لنا بعض القصص والاساطير المتعلقة بها. فتارة يخبروننا عن حصن حوصر فيه العرب مدة ثم سلموه بعد أن دفنوا كنوزهم فى أرضه فاتى أحد المساكين بعد قرون وحفر فوجد الكنوز وأثرى بين عشية وضحاها، وطوراً يشيرون إلى «قمة العاشقين» التى رمى الحبان العربيان بنفسيهما من أعلاها عندما لحق بهما والد الفتاة أحد نبلاء مدينة «أرشيدونا» المجاورة. ثم مررنا بمدينة «لوخا» التى استولى عليها فردينان وايزابيل فى عام ١٤٨٨ بعد أن قتلا سيدها على عتر وأسرا فيها صهره أبا عبد الله آخر ملوك غرناطة. هنا لاحت لنا الجبال المحيطة بغرناطة وأهمها «السيرا نفادا»، وقممها المكللة بالثلوج، وأشرفنا على المروج الخضراء القريبة من المدينة. وأخيراً وصلنا مدينة «الطرف» والاسم عربى كما ترى، وفيها وقع أبوعبد الله المنكود الحظ معاهدة التسليم مع فردينان وايزابيل، كما أن كولمبوس وقع اتفاقه معهما بشأن رحلته إلى الغرب. ونسخة معاهدة أبي عبد الله محمد بن على بن نصر موجودة فى احدى غرف متحف التاريخ الحربى فى مدريد مع بعض أسلحته وثيابه

لم يبق بيننا وبين غرناطة بعد «الطرف» سوى بضع دقائق قضيناها وشوقنا شديد إلى مشاهدتها وأخيراً دخلنا غرناطة. واذا ذكرناها فلا بد أن نذكر قصر الحمراء. فالسائح لا يقصد غرناطة الا لزيارة الحمراء. وكم سمعت عن الحمراء وعن ساحة الاسود! وكم سمع كل انسان فيه ذرة من الشغف بالماضى عنهما، فقد خلد الكتاب أمثال «وشنطن إرفن» ذكرى هذا القصر حتى طبق صيته الخافقين. فصار كعبة للعالم أجمع يقصدونه كفنانين لجمال بنائه واتقان تقاسيمه والابداع فى زخرفته، أو كمؤرخين لعظمة ماضيه ودراسة مخبآته واسترجاع صور الماضى بزيارته

نعم دخلت غرناطة كحاج وأسرعت الى الحمراء برغم الظلام الحالك، فوجدت الابواب مفتوحة فصعدت مع رفيقى بين الاشجار المتعانقة على الجانبين ووصلنا إلى «ساحة الجب» التى منهـا يدخل

الزائر الى ساحات الحمراء الداخلية . هناك جلسنا نتأمل وأمامنا أبراج الحمراء العالية وتحتنا وادى نهر « الدارو » الذى يفصل تلة الحمراء عن تلة « البائسين » حيث يسكن بعض أهالى غرناطة . جلسنا نتأمل وعلى مقربة منا جماعات من السياح صامتين يتأملون تارة وطوراً يتكلمون بصوت منخفض جداً عرفت من كلامهم انهم فرنسيون وقد استولى عليهم سحر المكان فاصبحوا بلا حراك

يصعد الزائر إلى تلة الحمراء ويدخل أبوابها ولـكنه لايعلم مافيها من فن وزخرف الا عندما يصل إلى ساحاتها الداخلية فهو ان كان فى المدينة فى سفح التلة أو فى أعلى مكان فيها لا تقع عينه الا على الابراج المحيطة بالحمراء التى تهدم بعضها . ذلك لان الحمراء بنيت على طراز شرقى لا يرى زائرها الا حيطاناً وأسواراً خارجية ، ولـكنه اذا ما اجتاز الابواب الداخلية وجد نفسه فى ساحات تؤدى الواحدة الى الاخرى وحولها الغرف وفيها الابهة والسحر والجمال . وهكذا اجتزت مدخلين رئيسيين قبل أن تطأ قدماى أرض الحمراء الداخلية . وعلى المدخل الثانى نقشت يد ومفتاح أولها الناس تأويلات شتى . فمنهم من قال إن المفتاح يعنى الايمان وأصابع اليد الخمس تشير الى أركان الدين الخمسة فى الاسلام ويقول ، الاسبان انها اشارات سحرية وضعها بانى الحمراء وكان عالما بالسحر ، وان كنوز الحمراء المدفونة لا تبدو للعيان الا عندما تنزل اليد وتلمس المفتاح . عند ذلك تتهدم القصور وتظهر الكنوز التى دفنها العرب

وصلنا الى « ساحة الجب » حيث يتمتع الانسان بنظره الى بعض أسوار الحمراء والى مدينة غرناطة وحيث يباع الماء وأنواع الشراب للظمآ ن وتباع البطاطا المشوية ، والى يمين هذه الساحة قصر شارل الخامس وهو برغم حداثته وفخامة بنائه لا يسترعى اهتمام السائح ، ولا يمر زائر الا وينهال على الامبراطور الكبير بكلمات الاستخفاف ، ذلك لانه أراد بعد خروج العرب أن يبنى بناء يفوق أبنيتهم فهدم بعض غرف الحمراء وشاد قصره فجاء ثقيلا غليظاً لا يرى غلظته الا من رأى رقة أعمدة الحمراء وخفة بنائها وجمال زخرفتها

ثم دخلنا الساحات الداخلية والغرف المحيطة بها . وهنا لابد لنا أن نذكر ان محمد بن الاحمر مؤسس سلالة بنى الاحمر وسليل الاسرة النصرية المشهورة ، عاش فى أوائل القرن الثالث عشر ، الذى بدأ بناء الحمراء . وحكاية بناء قصر كهذا محاطة بالاساطير والقصص الخرافية ، ولكن المعروف أن امراء غرناطة كانوا قبلا يسكنون تلة « البائسين » التى تقابل الحمراء وما تزال اطلال القصر القديم وبقايا السور موجودة حتى اليوم . ولست أدرى كيف اطلق اسم البائسين على هذه التلة مع ان الذين سكنوها فى أيام العرب كانوا من أغنى عائلات غرناطة . وكان شعار بنى الاحمر عبارة نقشوها على جميع مبانيهم بالخط الكوفى والنسخى وزينوا بها الحمراء وحيطانها وأعمدتها وهى : « ولا غالب الا الله » . وقصة اتخاذ هذا الشعار هى أنه عند ما عاد الاحمر من أشبيلية بعد ان تغلب

على أميرها لاقاه أهل غرناطة وصاروا يهتفون له ويدعوه « الغالب » فاجابهم بهزة رأس تنم عن تواضع وتدين وقال : « ولا غالب إلا الله » فاتخذت سلالته هذه العبارة شعاراً لها . واليوم يحفر الصاغة وصانعو التحف المختلفة والاسلحة فى جميع بلاد الاسبان وخصوصاً فى طليطلة هذه العبارة على الاساور والخناجر وجميع الحلى وأدوات الزينة وغيرها

وأخيراً دخلت أماكن التحف الفنية فرأيت قاعة الشورى أولا ، ومنها مررت الى « ساحة الآس » وفيها البركة وفى آخرها قاعة السفراء حيث كان عرش ملوك غرناطة ، وبلغت غاية قصدى فى ساحة « الاسود » . ومع أنى لا أنكر مافى الآس من جمال وروعة فان ساحة الاسود والقاعات الثلاث حولها تجمع كل مافى الحمراء من جمال وكل مافى الفن العربى من زخرف ورونق وخفة وسحر حلال . ولكن ليت الاسود نحتت بأشكال أجمل من هذه أو بأشكال أقرب إلى الاسود منها الى الارانب ! . نعم ساحة الاسود أحسن بها من ساحة وأحسن بقاعة العدل فى صدرها وقاعة بنى سراج عن يمينها وقاعة الاختين عن يسارها ، فقد تجلى فيها الفن العربي الجميل فى أجمل مظاهره وأشكاله . ولقد رأيت السياح يمرون فى جميع المبانى الاخرى فيشاهدون ويسمعون كلام الدليل ثم يخرجون مسرعين ، ولكن ذلك لا يكفيهم فى ساحة الاسود ، فقد رأيت أرجلهم تسمر بالارض وأعينهم تنظر تارة الى المبانى وطوراً الى عالم الغيب . مررت مرات متعددة فى تلك الساحة وجلست فى مختلف زواياها كما يجلس الفنان فى متحف اللوفر أمام تمثال « فينوس دى ميلو »

ولكن اذا صمت الزائر فى ساحة الاسود وتأمل فهنالك أسباب للصمت والتأمل . فهو إما أن ينظر الى عجائب الصنع فيحار فى طرق البناء ، وإما أن يتأسف اذا كان عربياً لما أدت اليه حالة ملوك غرناطة من تفرق وتخاذل بعد القوة والاتحاد حتى طردهم الافرنج من جناتهم التى ابتنوها لانفسهم أملا بالتنعم بها قروناً طوالا ، واما أن يتذكر ما دار بين جنبات تلك الساحة وقاعاتها من مشاهد وما رأته من غرائب الحوادث . ولعله يفكر بقاعة الاختين وربتى الجمال اللتين أقامتا بها أو ربما يفكر بدخول فردينان وإزابيل قاعة العدل واقامتهما القداس فيها بعد انتصارهما ، وكولمبوس واقف فى احدى زوايا القاعة وهو على أهبة الرحيل الى اكتشاف عالم جديد . أو لعل ما يشغل بال الزائر ذكرى بنى سراج وزراء ملوك غرناطة وقصة اخراجهم واحداً واحداً من القاعة المسماة باسمهم وذبحهم فى ساحة الاسود قرب نوافير الماء . ألم ينقل الاسبان هذه الاسطورة ويتهموا أبا عبد الله آخر ملوك غرناطة بهذه المأساة لعلاقة سرية بين زعيم بنى سراج وبين زوجته . ألم يقولوا أيضاً ان أرواحهم تصرخ بالانتقام وتحرك السلاسل التى ربطوا بها فتسمع صوتاً خفياً فى بعض ليالى الصيف فى ساحة الاسود . قالوا هـذا كله ولكن التاريخ يشهد ببراءة أبى عبد الله ويظهر أن هذه الاساطير مأخوذة من بعض ما حدث فى أيام أبيه مولاى ابى الحسن فقد كان لهذا زوجتان

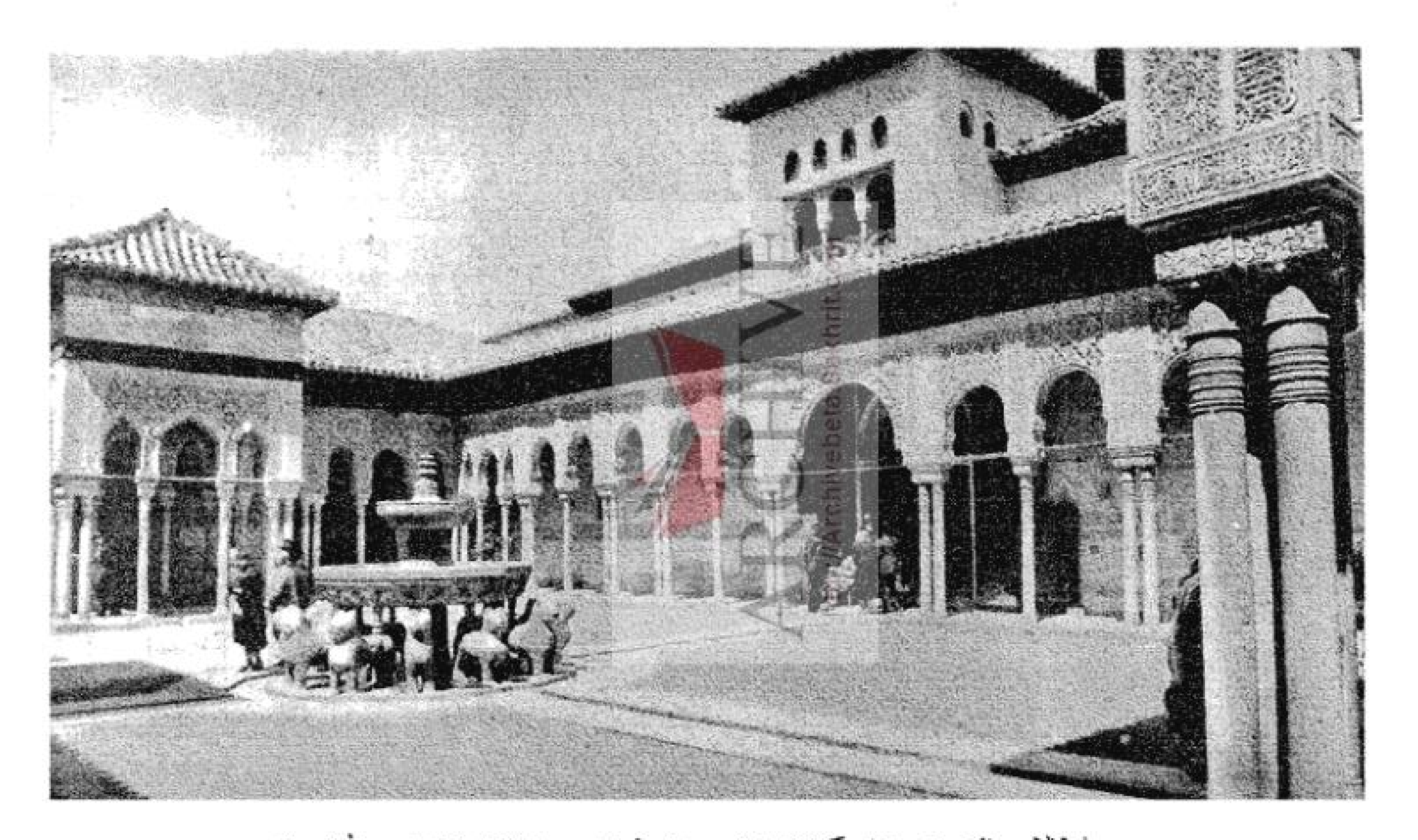


تلة الباشين التي يفصلها عن تلة الحمراء وادي نهر « الدارو Darro » وقد
أخذ هذا الرسم من غرفة هندام الملكة Tocador de la Reina

الاولى عربية اسمها عائشة الحرة وهي التي ولدت أبا عبد الله والثانية اسبانية كانت تعرف بثريا وكان لها ولدان . وقد حاولت هذه تنحية ابي عبد الله عن الملك واجلاس أحد ابنيها مكانه . وبما ان ابا الحسن كان يميل اليها وبما أن وزراء بني سراج كانوا يميلون الى عائشة لكونها عربية ويعضدون ابا عبد الله ، فقد حصل نزاع طويل بين ابي الحسن وابنه ولحق الاضطهاد بوزرائه بني سراج

لم ننته بعد من زيارة الحمراء بلوغنا ساحة الأسود فهنالك بضعة دهاليز تؤدي الى غرف في طرف القصر تشرف على تلة الباشين ، وهذه الغرف بقيت مغلقة مهملة لا يهتم بها أحد الى أن أتى الكاتب الاميركي الشهير وشنطن ارفن فاستأذن بالسكن في احداها وأقام نحو ثلاثة شهور من عام ١٨٢٩ ليدرس عن الحمراء وأخبار العرب في غرناطة ويستطلع ما في كتب التاريخ والاساطير من مخبآت حتى وضع أخيراً كتابه الشهير عن الحمراء وكتابه الآخر عن فتح غرناطة

والذي يقترب من الحمراء يشاهد قبل أن يدخل الى ساحاتها فندقاً فخماً سمي باسمه . ومؤلفات إرفن يجب أن يطلع عليها كل من أراد ان يحيط علماً بأساطير الحمراء وقصصها وأخبار ملوكها الطريفة . وهكذا مررنا بغرفة وشنطن ارفن الى غرفة معروفة بغرفة هندام الملكة Tocador de la Reina لانها كانت قد أعدت لسكن دوقة بارما وزوجة فيليب الخامس ملك اسبانيا عند ما زارت الحمراء مع زوجها

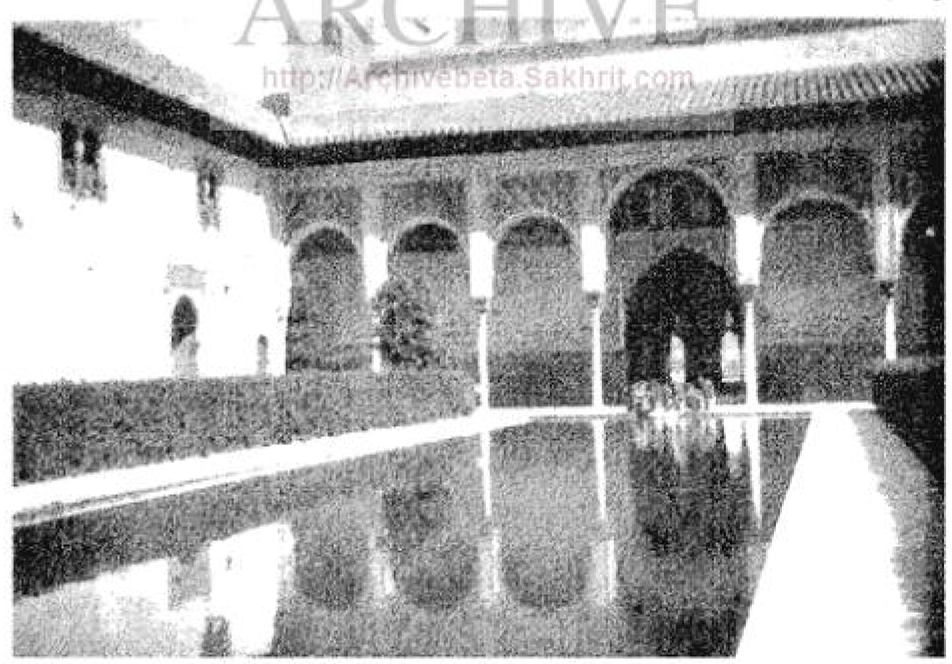


ساحة الاسود المشهورة . وتشاهد كتابة فوق العمودين الى اليمين : « عز لمولانا السلطان ابي عبد الله الغني بالله »

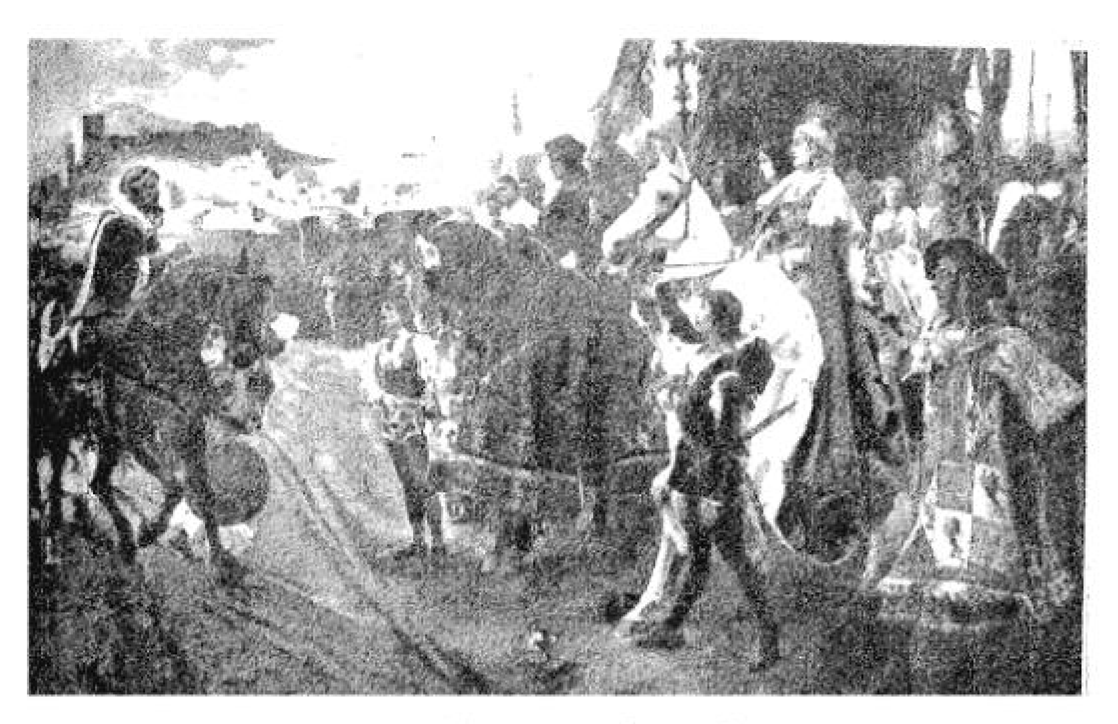
ومن الذكريات المؤلمة فى الحمراء باب مسدود كان أحد أبواب القصر فى أيام حكم العرب . ولكن أبا عبد الله طلب من ملكي الاسبان أن يسداه بعد خروجه منه فأجيب الى ذلك . وغادر أبو عبد الله الحمراء وراح يجتاز التلال ، وأخيراً قبل أن يغيب عنه منظر غرناطة وقف على تلة سماها الاسبان « تلة الدموع » والقى آخر نظرة على الحمراء وعلى مدينة غرناطة وتنهد ،وهذا مايسميه الاسبان « تنهد المغربي الاخير El Ultimo suspiro del moro » .

ولا تتم زيارة الحمراء قبل النزول الى حمامات القصر وهى كالحمامات المعروفة بالتركية فى الشرق، فيها غرف صغيرة تؤدى الواحدة الى الاخرى وفيها أجران ودواوين صغيرة للراحة ، وسقفها قبة تخترقها أشعة الشمس الضئيلة من خلال قطع البلور

تركنا جنة الحمراء وفى النفس لوعة وحسرة وقصدنا جنة أخرى هي « جنة العريف » وتعرف عند الافرنج « بالجنراليف Generalife » وقد كان يستعملها ملوك غرناطة كمسكن صيفي لجنائها الغناء وهوائها النقي . والمسافة قصيرة بين الجنتين . والاشجار تحيط بجانبي الطريق فتظلله وتجعل الجلوس على المقاعد الموضوعة على جانبيه مستحباً فى حر اوغسطس . وجنة العريف قصر صغير فيه بعض غرف تشبه غرف الحمراء بزينتها وطريقة بنائها . ولكن الزائر لا يجد فيها غنى فى الفن كما يجد فى الحمراء. وأنما يشاهد حدائق لايشاهدها هناك تجرى فيها جداول وعلى جنباتها نوافير ماء فتحدث



ساحة الآس وتسمى ايضاً « ساحة البركة » وفي صدرها قاعة السفراء حيث كان عرش ملوك غرناطة



رسم يمثل قدوم أبي عبد الله آخر ملوك غرناطة لمقابلة فرديناند وايزابيل واعطائهما مفاتيح الحمراء التي في يده . وهذا الرسم موجود في الكنيسة الملوكية في كتدرائية غرناطة . وهو منقول عن الرسم الأصلي الموجود في متحف مدريد

منظراً مدهشاً يستولى على النفوس . كما أن هنالك ساقية يعجب بها السياح بلا أستثناء . وقد سيقت مياهها الى قناتين متوازيتين من خشب على جانبي سلم يصعده الزائر فيرى على كل جانب شلالا صناعياً تنتهي مياهه الى بركة جميلة

تركنا جنة العريف وذهبنا لمشاهدة صخرة كبيرة يراها السائح عن بعد فاذا ما اقترب منها وجدها بهيئة كرسي وقد سماها الاسبان « كرسي المغربي » ويقال ان أبا عبد الله جلس عليها ذات يوم وقد ثار عليه أهل غرناطة فبكى حظه هناك وبللها بدموعه

وانك لتشاهد وانت في مدينة غرناطة صوراً من حياة الشرق في اهالي الاندلس . فهنا بائع البطيخ جالس في الظل وبجانبه بضاعته متراكمة على الارض ، وبالقرب منه بائع «الصبير» أو الصبارة يرفع بسكينه القشرة الشائكة ويقدم الثمرة للمشترى . واذا مررت صباحا وجدت بائعة « الزلابية » في الطريق تقلى ماعندها من عجينة كي تبيعها للذاهبين الى اعمالهم وأكلة « الزلابية Herango » شائعة عند الاسبان يأخذونها صباحاً مع الحليب والقهوة . واذا مررت ظهراً رأيت بائع الماء ينادى " Ey Agua " لان الحر شديد والماء يباع على قارعة الطريق . فاذا ماشربت وسألت عن الثمن قالوا لك « كما تريد » . أما في حفلات صراع الثيران فان سعر الماء محدود لكثرة الطلب وقلة البائعين . والماء يباع في الحدائق العمومية وفي محطات السكة الحديدية أيضا . واسبانيا ليست البلاد الوحيدة

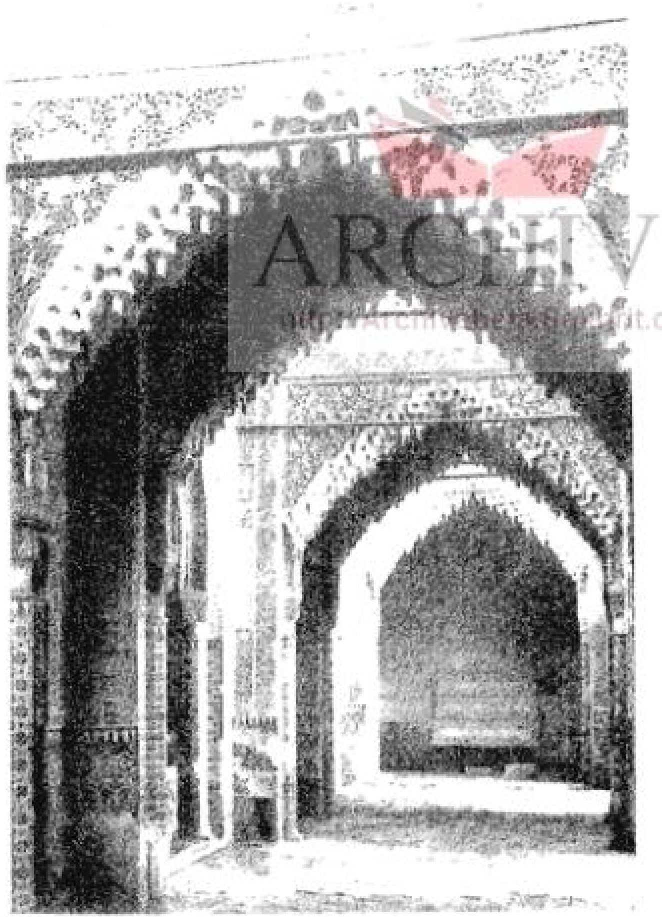
التي يندفع فيها الاولاد والسيدات نحو القطار لكي يبيعوا ما يحملونه من ماء بارد ، فقد لاحظنا في محطات النمسا هذه الظاهرة نفسها

واذا أردت السهر والتفرج على الحياة الليلية فعليك ألا تقصد ساحات المدينة ومقاهيها وملاهيها قبل الساعة الحادية عشرة . ذلك لان الاسباني يتأخر في جميع اعماله ساعتين أو ساعة ونصف ساعة عن سائر بلاد العالم ، فينهض من نومه في الساعة التاسعة ويتغدى في الساعة الثانية ويتعشى في الساعة التاسعة والنصف أو العاشرة . واذا مامررت في المدينةفي الساعة الثانية صباحاً رأيت الناس ما يزالون يتنزهون ويضحكون . وقد حدث في برشلونة اننا بقينا مرة الى الساعة الرابعة صباحاً ساهرين فوجدنا المقاهي ما تزال آهلة بالناس وكذلك الشوارع الكبرى

والفتيات في غرناطة يتنزهن وحدهن كما يفعلن في باقي مدن الاندلس . وهذا المنظر لانراه في باريس مثلا حيث لاتتنزه فتاتان إلا ومعهما شابان أو شاب على الاقل. والاندلسيات مع نعومتهن واناقتهن ورونقهن رصينات متحفظات ، ولا تخرج احداهن من بيتها في أغلب الاحيان إلا مع اهلها أوصويحباتها. ولكل قاعدة شواذ على كل حال

جورج مرعي حداد

ليسانسيه في الآداب



في اليسار : قاعة العدل وفيها اقام فرديناند وايزابيل القداس بعد دخولهما الحمراء ، وكان كولمبوس احد شاهدي تلك الحفلة.

لماذا بُني الهرم الأكبر

جهود الفراعنة في المحافظة على النيل

بقلم العلامة أمين سامي باشا

اتجهت جهود الفراعنة منذ بدء مدنيتهم الزاهرة الى المحافظة على النيل ، واستخدموا الوسائل المختلفة لهذه الغاية حتى استطاعوا أن يضربوا للامم الأخرى مثلاً حسناً بتلك الاعمال العظيمة التي قاموا بها ، وما نزال نشاهد آثارها حتى الآن

ولقد أولوا النيل عناية خاصة ، لأنه مصدر حياتهم، ومنبع أرزاقهم ، فاجتهدوا في المحافظة على مجراه ، ودفع الغوائل عنه . ومن أهم هذه الغوائل تلك الرمال التي تمتلىء بها الصحراء ، والتي أهلكت جيوش الفرس كما أهلكت جيش هكس باشا حينما ذهب الى السودان لنجدة غوردون ومقاومة المهدى ، فهبت عليهم ريح شديدة دفنتهم تحت الرمال ، في مكان لا يعلمه إلا الله ، ولم يعثر لهم على أثر . لذلك كان الفراعنة دائماً يعملون لدفع غوائل تلك الرمال عن مجرى النيل . وقد تعلموا طرق إزالتها من الحيوان ، وهو الاستاذ الاول للانسان فى كثير من الاعمال ، فمن النمل تعلم طرق الادخار ، ونظام الجيوش وترتيبها ، كما تعلم من الحيوان المعروف بالكستور صنع القناطر والجسور . وقد رأى المصريون القدماء هجرة « السمان » الى بلادهم وقت هبوب الرياح الشديدة من الشمال الغربي ، ووجدوها تنشر أحد جناحيها في سكون ، وتحرك الآخر كالمجداف ، وتقطع طائرة البحر الابيض المتوسط حتى تصل الى مصر منهوكة القوى تطلب الراحة في الأماكن العالية ، فكانوا يقيمون لها أغصاناً تكون تحتها كثبان من الرمال تقف عليها لتستريح . ومثل السمان في هذا الشأن اللقلق المسمى عند الغربيين « سيجونى » فان مصيفه في الجهات الشمالية الباردة من أوربا ، ومشتاه وطنه الاصلي في افريقية ، وهو يرى في جهة الاهرام وغيرها . فبمشاهدة تكوين تلك الكثبان تحت الاغصان نشأت عندهم فكرة البناء الهرمى . ولما كانوا يقاسون ألواناً من العذاب في تطهير مجرى النيل من هذه الرمال التي تأتي بها الرياح من الصحراء وتطمر مجراه الذي

كان بالقرب من مكان الهرم الاكبر ، فقد فكروا في أن يقيموا هدفاً عظيما يمنع الرمال من طمر مجرى النيل ، فبنوا الهرم الأكبر ذا السطوح المائلة التي اذا سقطت عليها الرمال كانت زاوية السقوط مساوية زاوية الانعكاس . وهذه المزية لا تتوافر في سطح أي جسم آخر . وقد عانوا في تشييده ما عانوا ، وأبدعوا في هندسته إبداعاً شهد ببراعتهم وأحكموا وضعه إحكاماً هندسياً وفلكياً دل على سعة باعهم ووفرة علمهم ، حتى انهم استطاعوا أن يحكموا الفتحة التي في منتصف أسفل الجهة البحرية على امتداد محور العالم ، وجعلوا الفتحة القبلية في أعلى السطح المقابل ، تدخل منه أشعة ضوء « الشعرى » على جثمان من سيدفن في هذا الهرم

ذلك هو أهم البواعث على بناء الهرم الاكبر وغيره من الاهرام ، وليس الباعث كما يقولون أنه أنشيء ليكون مدفناً . نعم قد دفن فيه منشئه ، ولكن هذا لا يحتم أنه بني لهذا الغرض ، فان كثيراً من المساجد في عصرنا وفي العصور الماضية دفن فيها منشئوها ، ومع ذلك ليس هناك من يقول إنها بنيت لتكون مدافن [1]

وبانشاء الهرم الاكبر استراح المصريون القدماء من العذاب الذى كانوا يعانونه كل عام في إزالة تلك الرمال التي كانت تعوق سير النيل . ومهد طريقه الى الوجه البحري وتولدت أراض زراعية فسيحة وسميت بهدية النيل . وعلى منوال هرم الجيزة بنيت اهرام أخرى من الحجر واللبن في الجهة الغربية دون الجهة الشرقية التي كلها أحجار وجبال

وقد عني الفراعنة بانشاء خزانات في مجرى النيل - وآثارها معروفة الآن باسم الشلالات - وصنعوا « سيالة » في كل خزان تفيض منها المياه إلى ما بعدها بقدر معلوم . ومما يلفت النظر أن في وادي حلفا بالقرب من قرية « سمنه » صخوراً وعرة المرتقى رأسية الوضع على حرف النيل بها كتابات بالهير وغليفية ، على ارتفاع سبعة أمتار من سطح المياه في أعلى أيام الفيضان الآن . وهي تدل على أن النيل بلغ في عصر الاسرتين الثانية عشرة والثالثة عشرة أقصى زياداته إذ وصل الى موضع الكتابة في هذه الصخور . وإذا صح ذلك فان النيل كان قبل اربعين قرناً مضت يبلغ عند الشلال الثاني اكثر مما يبلغه من الارتفاع في عصرنا الحالي بسبعة أمتار . ولاجل أن يتلافوا طغيان مياه النيل في الفيضانات العالية أعدوا مصرفاً تتوزع

(١) لما توفي ماريت بك اول ناظر لدار الآثار المصرية في عهد الخديو اسماعيل امر سموه بأن توضع جثته في تابوت في حوض من الرخام الفخم عند مدخل دار الآثار . ولما نقلت محتوياتها الى سراى الجيزة نقل معها . ولما نقلت الى محلها الحالي جعل هذا الحوض بالجهة الغربية من الباب . وهذا اعتراف بجميله ، لا لتكون دار الآثار مدفناً

منه مياه النيل الى جهة الواحات ليكسب تلك الاراضي خصبا و يفيدها بما يحمله اليها من عناصر الحياة الزراعية . وقد قال هيرودت : « انه لما حدثت الخلافات المذهبية بين كهنة مصر وكهنة الواحات . انتهت الطائفتان الى تحكيم الاله « آمون » فاجتمعوا تحت تمثاله المصنوع من حجر الجرانيت وكان هذا التمثال الحجري يستقبل الندى بالليل ، وعند حرارة الشمس في النهار يتبخر الندى بصوت ازيز يؤول بكلام حسب رغبة كهنة النيل فرأى كهنة الواحات أن اتفاقهم مع كهنة مصر يوجب ازدراء سكان اقليمهم لهم فاصروا على الخلاف . فاستعان الاولون بالحكام فى حبس مياه النيل عنهم فاغلقوا المصرف ، ولكن بدون احكام . فكانت المياه في أيام الفيضان تنفذ إلى اقليم الواحات في شكل نافورات وتروى أراضيها وتظهر في امتداد البحر الذي بلا ماء » . وقد بحث المرحوم محمود باشا الفلكى في هذا الموضوع بحثاً مستفيضاً . ودون فيه ما يؤيد رأى هيرودت وتوسع فيما يتعلق بمربوط من الحياة الزراعية والاقتصادية . فلو درس موضوع (البحر الذي بلا ماء) في ذلك الاقليم لجنت منه مصر فائدة عظيمة ، لأنه يساعد في تصريف مياه الفيضانات . ويكسب تلك الجهات النائية خصباً ورخاء

وقد كان الفراعنة يقيمون قراهم و بلادهم فى الجهات المرتفعة . وكان المصريون يسرون بالفيضانات العالية لأنها تكسب الارض خصباً يغنيها عن التسميد ولان بلادهم فى مأمن من الغرق ، ولكن كان يؤلمهم أن يتأخر هبوط النيل عن شهر بابه . وفي عهد ساكن الجنان محمد علي باشا شرع في عمل الرى الصيفي ، فأدى ذلك الى تمكن الناس من إزالة البلاد العالية . واستعملت الاتربة التى كانت تحت تلك المباني كسماد كفري وأزيل كثير من التلول لهذه الغاية . فصرنا لا نرى تل أتريب ولا تل بسطه وغيرهما من التلول القديمة

وقد توصل الغربيون الى أن مصر أم الحضارة ، وأنها المنبع الاول للعلوم والفنون . وبينا هم يحترمونها ويعجبون بآثارها ، نرى أهل الشرق كانوا فيما مضى يرون تلك المباني الاثرية تقوم على كنوز سحرية . وهذه الكتابات التى بها رموز سرية تعلم الناس طرق استخراج الذهب ، واكتشاف المحال المخبأ فيها . وقد شاركت أوربا الشرق زمناً فى هذا الاعتقاد

ولم يأل المصريون جهدا في المحافظة على النيل . حتى إنهم بنوا الاهرام لهذه الغاية على نحو ماقدمنا . واستطاعوا أن ينتفعوا بما يزيد من مياهه دون أن يذهب سدى في أيام الفيضانات . وقد حدثت عدة فيضانات عالية في سنين متعددة منذ عهد قدماء المصريين . ونحن نكتفى هنا بذكر هذه الفيضانات منذ أول التاريخ الهجرى الموافق سنة ٦٢٢ م حتى الآن :

نهاية الفيضان بين سنة ٦٢٢ م وسنة ١٩٣٤ م

التاريخ	قيراط	ذراع	الفيضان
في المدة من سنة ٦٢٢م الى سنة ٧٢١ م كان أعلى فيضان :	٢٣	١٩	وكان ذلك في سنة ٦٧١ م في خلافة معاوية بن أبي سفيان . وكان العامل على مصر مسلمة بن مخلد
في المدة من ٧٢٢ م الى سنة ٨٢١م كان أعلى فيضان :	١٣	١٨	وكان ذلك في السنوات ٧٤٠ و٧٤١ و ٧٤٢م في خلافة هشام بن عبدالملك . وكان العامل على مصر حنظلة بن صفوان للمرة الثانية في السنتين الاوليين ، وفي السنة الثانية جعفر بن الوليد للمرة الثانية
في المدة من سنة ٨٢٢ م الى سنة ٩٢١ م كان أعلى فيضان :	١	١٨	في سنة ٩١٢ و٩١٣ م في خلافة جعفر المقتدر . والحاكم على مصر تكين بن عبدالله
في المدة من سنة ٩٢٢ م الى سنة ١٠٢١ م كان أعلى فيضان :	٨	١٩	في سنة ١٠١٩ م في خلافة القادر بالله . والحاكم على مصر الحاكم بأمر الله
في المدة من سنة ١٠٢٢ م الى سنة ١١٢١ م كان أعلى فيضان :	١	١٩	في سنة ١١٠٦ م في خلافة المستظهر بالله . والحاكم على مصر منصور ابو علي الآمر بأحكام الله
في المدة من سنة ١١٢٢ م الى سنة ١٢٢١ م كان أعلى فيضان :	١٨	١٨	في سنة ١١٧٢ م في خلافة صلاح الدين الايوبي في دولة الاكراد
في المدة من سنة ١٢٢٢ م الى سنة ١٣٢١ م كان أعلى فيضان :	٢٣	١٨	في سنة ١٢٨٠ م في مدة الملك المنصور سيف الدين قلاوون
في المدة من سنة ١٣٢٢ م الى سنة ١٤٢١ كان أعلى فيضان :	٠٠	٢٤	في سنة ١٣٦٠ في مدة الملك الناصر أبو المحاسن حسن للمرة الثانية
في المدة من سنة ١٤٢٢ م الى سنة ١٥٢١ م كان أعلى فيضان :	٢١	٢٠	في سنة ١٤٤٠ م في مدة الملك الظاهر سيف الدين ابو سعيد جقمق . وكذلك في سنة ١٤٤٢ م في مدة هذا الملك . وكذلك

التاريخ	قيراط	ذراع	الفيضان
			في سنة ١٤٧٧ م فى مدة الملك الاشرف ابو النصر سيف الدين قايتباي المحمودي
في المدة من سنة ١٥٢٢ م الى سنة ١٦٢١ م كان أعلى فيضان :	٩	٢٤	في سنة ١٥٩٣ م في مدة سلطنة السلطان مراد خان الثالث وولاية احمد حافظ باشا
في المدة من سنة ١٦٢٢ م الى سنة ١٧٢١ م كان اعلى فيضان :	٠٠	٢٤	في سنة ١٦٢٢ و ١٦٢٤ م في مدة سلطنة السلطان مراد خان الرابع . الاولى فى ولاية الوزير مصطفى قره باشا ، والثانية فى ولاية الوزير مصطفى قره الحميدى باشا وكذلك في سنة ١٦٧٩ م فى مدة سلطنة السلطان مصطفى خان الثاني وولاية حسين البشناقي باشا
في المدة من سنة ١٧٢٢ م الى سنة ١٨٢٢ م كان اعلى فيضان :	١٢	٢٤	في سنة ١٧٢٨ م في مدة سلطنة السلطان محمود خان العثماني وولاية مصطفى باشا وكذلك في سنة ١٧٥٦ م في مدة سلطنة السلطان عثمان بن احمد وولاية على حكيم زاده باشا للمرة الثانية
فى المدة من سنة ١٨٢٢ م الى سنة ١٩٢١ م كان اعلى فيضان :	١٢	٢٦	في سنة ١٨٧٤ م في مدة سلطنة السلطان عبد الحميد الثاني وولاية ساكن الجنان اسماعيل باشا
في المدة من سنة ١٩٢٢ الى سنة ١٩٣٤ م كان اعلى فيضان :	٤	٢٤	في سنة ١٩٣٤ في عهد جلالة الملك فؤاد الاول

أمين سامي

من أغرب مآسي التاريخ

القناع الحديدي والقناع الذهبي

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

يحاول البحث الحديث أن يلقى الضياء على كثير من الاساطير والمعضلات التاريخية ، وقد ينتهى البحث بتحقيق اصولها أو اقرارها كما انتهت الينا ، ولكن على ضوء وثائق وأدلة مقنعة ، وقد ينتهى الى دحضها وهدمها وابداء رأى جديد بشأنها ، يؤيده التدليل والتحقيق أيضا . وهذه هى روح التاريخ العلمية ، تذهب الى استخراج الحقيقة واستنباطها من ظلمات الماضى وأساطيره بما يسيغه العقل والمنطق والبرهان . ومن هذه المعضلات التاريخية التى تشغل بامرها اليوم دوائر البحث الفرنسى قصة « ذى القناع الحديدى » الشهيرة التى ما زالت منذ قرنين تثير حماسة الباحثين ، وطلعة القراء ، والتى ظهر بشأنها حتى اليوم زهاء الف كتاب ورسالة . وكان فولتير أول من عالجها بصورة جدية فى كتابه « عصر لويس الرابع عشر » . وآخر من عالجها الكاتب الفرنسى بيير فرنادو فى كتاب ظهر منذ أشهر قلائل ، وفيه يذهب فى شأنها الى رأى جديد .

ويحسن قبل ان نأتى على مختلف الآراء والتحقيقات فى تلك المأساة الشهيرة أن نذكر خلاصتها ، وهى أنه فى أواخر القرن السابع عشر ، وفى عهد لويس الرابع عشر ملك فرنسا ، زج الى قلعة بنيرول سجين مجهول الاسم والشخصية ، قد غطى وجهه بقناع حديدى يفتح ويغلق من الاسفل أوقات الطعام فقط ، ولا يسمح للسجين أو الموكلين به برفعه مطلقا . وكان يلاحظه حاكم القلعة بنفسه ويعامله باحترام وتجلة ، ويشدد عليه الرقابة والحفظ . ثم نقل من هذا السجن الى قلعة سنت مرجريت ، ثم الى سجن الباستيل تلازمه نكيرته وقناعه دائما ، وهنالك توفى فى أواخر سنة ١٧٠٣ . ولم تعرف قط حقيقة شخصه أو اسمه أو الاسباب الخطيرة التى دعت الى اعتقاله على هذا النحو الغريب المؤسى

من هو هذا الأسير المنكود ؟ ولماذا اعتقل ؟ وفيم كل هذا الحرص لاخفاء شخصه ومحياه ؟ وأى أسرار خطيرة ارتبطت بشخصه واقتضت محوه من عالم الاحياء ؟ هذه هى الاسئلة التى مازالت منذ قرنين موضع البحث والتحقيق فى مأساة ذى القناع الحديدى . ومن الغريب انها لبثت بعد وقوعها زهاء نصف قرن فى طى الخفاء والكتمان لا يشار اليها إلا همساً فى بعض الدوائر والاوساط الرفيعة . وفى سنة ١٧٤٥ ظهر فى امستردام أول سفر يعرض لهذه المأساة ، ولكن فى قالب قصصى تغلب فيه

عاصر الجيال ، وفيه تشهير مثير بجنة النمسوية « آن دوتريش » ملكة فرنسا وزوج لويس الثالث عشر ، وان هذا الأسير الذى قضى عليه باخفاء شخصه ومحياه الى الابد انما هو ابن ملكى وثمرة غرام اثيم ترددت فى حمأته ملكة فرنسا . فكان لظهور هذا السفر وقع عميق فى المجتمع الفرنسى وأخذت قصة ذى القناع الحديدى تثير طلعة الباحثين ، ولم يمض قليل على ذلك حتى قال التاريخ كلمته الاولى على لسان فولتير فيلسوف العصر وكاتبه ، ففى كتاب « عصر لويس الرابع عشر » يعرض فولتير الى قصة ذى القناع الحديدى بوضوح ويقول لنا مايأتى :

« حدث بعد وفاة الكردينال مازاران (سنة ١٦٦١) ببضعة اشهر حادث ليس له مثيل ، وأغرب منه أن يغفل ذكره المؤرخون جميعا . ذلك أن سجينا مجهولا ، اطول قامة من المعتاد ، فتى ذا قد هو غاية فى الحسن والنبل ، حمل فى منتهى الخفاء الى قلعة جزيرة سنت مرجريت التى تقع فى البحر الابيض قرب شاطىء بروفانس . وكان السجين يلبس قناعا يفتح من عند الذقن بأزرار صلبية حتى يتمكن من تناول الطعام والقناع باق على وجهه . وقد لبث فى الجزيرة حتى سنة ١٦٩٠ ، وعندئذ جاء ضابط من الفرقة السرية يدعى سان مار كان حاكما لسجن بنيرول ثم عين يومئذ حاكما للباستيل ، فنقل السجين من الجزيرة الى الباستيل ، وهو مازال يحمل قناعه . وقد زاره المركيز دى لوفوا (كبير الوزراء) قبل نقله من الجزيرة ، ولبث واقفاً امامه حين مخاطبته يرمقه بمنتهى الاحترام . ولما نقل الى الباستيل عنى براحته أتم عناية ، ولم يرفض له طلب ما

« وكان شغوفا بالثياب الفاخرة عارفا بالعزف على المعزف ، وكانت تقدم اليه أفخر الالوان . وقلما يجلس الحاكم فى حضرته . وكان ثمة طبيب شيخ يتعهد ذلك الشخص الغريب أثناء اقامته فى الباستيل ، ويفحص جسمه ولسانه ولكنه لم ير محياه قط ، وكان رجلا بديع التكوين اسمر البشرة ساحر الصوت . وقد توفى ذلك الرجل المجهول فى سنة ١٧٠٣ ، ودفن ليلا فى كنيسة سنت بول . والذى يدهش حقا من أمره أنه وقت ارساله الى جزيرة سنت مرجريت لم تختف فى أوربا أية شخصية رفيعة . بيد أنه شخصية رفيعة بلا ريب ، لان الحاكم كان فى ايام سجنه الاولى يقدم اليه اطباق الطعام بنفسه ثم يتركه ويغلق الباب » (١)

هذا ما يقوله فولتير فى كتابه ، وملخص رأيه الذى يريد أن يذهب اليه هو أن ذلك السجين الذى عرف بذى القناع الحديدى انما هو شخصية ملكية ، وهو توأم أو أخ للملك فرنسا لويس الرابع عشر ، اذ أى شخصية يعرف محياها فى طول فرنسا وعرضها قدر شخصية الملك ، وأى وجه شبيه يمكن أن يحرص على اخفائه إلى ذلك الحد غير وجه ملكى هو صورة أخرى من وجه لويس الرابع عشر ذاته ؟ وقد لبثت أقوال فولتير هى كل ما يعرفه التاريخ عن ذى القناع الحديدى ، حتى أوائل القرن التاسع عشر حينما فحصت محفوظات الباستيل وبلدية باريس ، واستطاع البحث الحديث

(١) Siècle de Louis XIV Ch. 25

أن يظفر منها بحقائق تاريخية فى منتهى الاهمية . ولدينا عن ذى القناع الحديدى وثيقتان : احداها فى مكتبة الارسنال ، وهى قطعة من مذكرات « دى جونكا » ، حاكم الباستيل الذى أدخل السجين فى عهده ، وفيها عن ذى القناع ما يأتى : « فى يوم الخميس ١٨ سبتمبر (سنة ١٦٩٨) أتى السيد دى سان مار من جزيرة سنت مرجريت ليتسلم منصبه كمحافظ للباستيل وكان يصطحب فى عربته سجيناً كان معه قبلا فى بنيرول ، ولم يعرف اسمه قط ، وهويضع دائماً قناعاً على وجهه» ويشير دى جونكا أيضاً إلى وفاة هذا السجين فى مذكرة فى منتهى الاهمية هذا نصها : « حدث أن السجين المجهول الذى يستر وجهه دائماً بقناع أسود من القطيفة ، والذى أحضره سان مار من جزيرة سنت مرجريت ، شعر أمس بعد القداس بانحراف ، ثم توفى فجأة فى مساء يوم الاثنين ١٩ نوفمبر (سنة ١٧٠٣) دون أن يمرض . وقد باركه كبير القسس ، ولكنه لم يستطع أن يمكث معه قبل وفاته سوى بضع دقائق . ودفن ذلك السجين المجهول فى عصر يوم الثلاثاء ٢٠ نوفمبر فى مقبرة سان بول . وذكر فى شهادة الوفاة ان اسمه مجهول . وقد علمت فيما بعد أنه سمى فى شهادة الوفاة بمارشيل » . وأهم من هذه الوثيقة فى الكشف عن اسم السجين المجهول ، وثيقة أخرى وجدت فى مخطوطات بلدية باريس ، وهى تختص بوفاته وفيها : « فى ١٩ نوفمبر سنة ١٧٠٣ توفى « مارشيولى » فى الباستيل وعمره زهاء خمس وأربعين سنة ، ودفن فى يوم ٢٠ منه ، فى مقبرة سان بول »

وقد كان للعلامة المؤرخ فونك برنتانو عضو المجمع العلمى شأن كبير فى اكتشاف وثائق الباستيل ودراستها ، وقد انتهى فى دراسته لما تعلق منها بذى القناع الحديدى الى رأى ، ربما كان خير الآراء وأقومها فى القاء الضياء على شخصيته ، وفى رأيه أن ذلك السجين المجهول الذى قضى باخفاء شخصه ومحياه مدى أعوام طويلة ، انما هو وزير الدوق دى مانتوا وسكرتير كارل الرابع دى جونزاجا من قبل ، الكونت « ماتيولى » الذى وعد الفرنسيين بتسليم قلعة مانتوا حين مهاجمتها ، ثم أفضى بعد ذلك بهذا السر الى بعض القصور الاخرى ، فحقد عليه لويس الرابع عشر ، واستمع لنصح وزيره فى البندقية بأن يعمل على اعتقاله بكل الوسائل ، وفعلا دبر الفرنسيون كميناً للكونت ماتيولى ، واختطفوه ونقلوه الى الاراضى الفرنسية ، وزج الى قلعة بنيرول فى سنة ١٦٧٩ ، ثم الى قلعة سنت مرجريت سنة ١٦٩٤ ولما نقل حاكم سنت مرجريت محافظاً للباستيل نقل السجين معه لثقة أولى الامر به ، ويوجد شبه عظيم بين الاسمين اللذين وردا فى سجلات الوفاة وهما مارشيل ومارشيولى وبين اسم « ماتيولى » فاذا قدرنا ما قد يكون ثمة من فرق فى النطق أو تحريف فى كتابة الاسم الصحيح ، أدركنا دون صعوبة أن « مارشيولى » انما هو « ماتيولى » . أما وضع القناع الدائم على وجه السجين ، فيعلله فونك برنتانو برغبة لويس الرابع عشر فى اخفاء شخصه وعدم ذيوع اعتقاله نظراً لانه اعتقل بوسائل شائنة مخالفة لكل حق وعرف

بقى أن نأتى على رأى الكاتب الفرنسى بيير فرنادو ، الذى عرضه فى كتابه عن ذى القناع الحديدى ، وهو أحدث رأى فى الموضوع . وخلاصته أن ذلك السجين المجهول إنما هو سيد يدعى « دى لامورلهى » ، كان متزوجاً بابنة جودينيه طبيب لويس الثالث عشر الخاص . وقد قبض عليه وزج فى الباستيل بأمر لاربنى رئيس المحكمة الجنائية لانه وقف على سر دولة خطير لا يصح الوقوف عليه . أما هذا السر فالظاهر أن دى مورلهى كان يملك وثيقة عن الصفة التشريحية لجثة لويس الثالث عشر تلقاها من صهره جودينيه . ويعلم منها أن الملك المتوفى كان عقيما غير أهل للأبوة . ويؤيد فرنادو رأيه بحقيقة تاريخية هى أن زواج لويس الثالث عشر بحنة النمسوية لبث عقيما مدة طويلة ، ولم يولد لويس الرابع عشر الا بعد الزواج بنحو ثلاثة وعشرين عاماً . وقد انتهى المؤرخ القاص اسكندر ديما الكبير فى رسالته عن لويس الثالث عشر وريشيليو فى شأن ذى القناع الحديدى ، الى ما يقرب من ذلك الرأى . بيد أن هنالك ما يعترض به على رأى فرنادو ، وهو أن الذى قام بفحص لويس الثالث عشر فى ساعاته الاخيرة انما هو الطبيب بوفار لا الطبيب جودينيه ، وهو الذى وضع التقرير التشريحى عن جثته ، وهو اعتراض خطير بلا ريب

فهل حل لغز ذى القناع الحديدى ؟ إن هذه البحوث النقدية المؤيدة بالادلة والوثائق تلقى بلا ريب كبير ضوء عليه ، وتثبت بجلاء أن هذا السجين الشهير النكرة معا لا يخرج عن اثنين ، اما شخصية ملوكية أريد إقصاؤها عن البلاط والمجتمع بتلك الوسيلة المدهشة ، واما شخصية خصم أو خائن يخشى بأسه قضى عليها بنوع من الوأد المدنى . وفى رأينا أن الحل الذى ذهب اليه العلامة فونك برنتانو هو خير الحلول وأرجحها

* * *

وعلى ذكر هذه المأساة الشهيرة فى التاريخ الفرنسى ، نذكر أن التاريخ الاسلامى يقدم الينا مثلا فريداً لشخصية بارزة من ذوات القناع أيضا . غير أن هذه الشخصية لم تكن مجهولة ولم يختلف فى شأن صاحبها . وتلك هي شخصية ذى القناع الذهبى أو « المقنع » كما تسميه الرواية الاسلامية . وكان المقنع رجلا من أهل مرو ، شديد الذكاء والخبث مضطرم الاطماع ، فيلسوفا ملحداً يدعو إلى مذهب جديد . وقد ظهر فى خراسان سنة ١٥٩ هـ . (٧٧٦ م) فى خلافة المهدى ، وادعى الامامة ثم الالوهية وتبعه خلق كثير من المشركين والملاحدة وضعاف العقيدة . وكان يتسمى « بحكيم » ويضع على وجهه قناعا من الذهب ، لشناعة محياه على ما يظهر ، ولكى يحيط نفسه بنوع من الخفاء المؤثر . وكان يقول بالحلول والتناسخ ، ويزعم أن أبا مسلم الخراسانى أفضل من النبى (ص) ، ويسجد له أنصاره من أى النواحى . ولما قوى جمعه ، أغار على الاراضى الاسلامية فيما وراء النهر واستولى على عدة قلاع حصينة ، وهزم جند الخليفة أكثر من مرة ، وعاث أنصاره — ويسمون المبيضة — فى تلك الانحاء .

وفى سنة ١٦١ هـ (٧٧٩ م) أرسل المهدى لقتاله جيشا كبيراً ، فارتد الى قلاعه وتحصن بها ، ولما طال الحصار عليه واشتد به الضيق وأيقن بالاسر والهلاك ، جمع نساءه وخاصته وسقاهم سما فهلكوا جميعا ، ثم انتحر بالسم أيضا وأوصى أتباعه بان تحرق جثته حتى لا يمثل به . وقيل بل أضرم النار فى القلعة وجمع ما فيها ، وصاح باتباعه : من أراد أن يرتفع معى الى السماء فليلق بنفسه فى النار ، والقى بنفسه والقى نساؤه وأتباعه جميعا أنفسهم معه فى النار فهلكوا جميعا . ولما دخل جند المهدى القلعة الفوها قاعا صفصفا والفوا جميع مافيها حطاما . وأذاع بعض من بقى من أتباعه أنه ارتفع الى السماء فزاد ذلك فى فتنة أنصاره ، ولبثت هذه الثورة الملحدة تضطرم فيما وراء النهر مدى حين

ولقد كانت مأساة ذى القناع الحديدى مستقى لفيض من القصص الشائق الذى يمتزج بكثير من وقائع التاريخ الحق . ولكن مأساة ذى القناع الذهبى التى تشغل فى التاريخ الاسلامى ، برغم غرابتها ووضوحها ، حيزاً صغيراً ، لم تلق سبيلها الى ميدان القصص الخصب . فهل يتاح لنا يوما أن نقرأ بالعربية شيئاً من القصص الشائق عن تلك المأساة الفذة ، وعن غيرها من الوقائع والمآسى المدهشة التى يحفل بها تاريخ المشرق ؟

محمد عبد الله عنان
المحامى

في ذكرى الشباب

تمسى تذكرنا الشباب وعهده
حسناء مرهفة القوام فنذكر
هيفاء أسكرها الجمال وبعض ما
أوفى على قدر الكفاية يسكر
تثب القلوب الى الرءوس اذا بدت
وتطل من حدق العيون وتنظر
ويزيد فى فمها اللآلىء قيمة
حتى يسود كبيرهن الاصغر

اسماعيل صبرى

النسيان المفتعل
خطر على الحياة العقلية

بقلم الاستاذ محمد مظهر سعيد

تحدثت فى عدد سابق عن النسيان وذكرت الحالات التى تحتم فيها طبيعة الحياة العقلية على العقل ان ينسى فيها الامور العادية التافهة الخالية مما يجعلها بارزة فى الشعور ، والتجارب القديمة التى انقطعت الصلة بينها وبين أسباب الحياة الحاضرة . فيحذفها العقل بالتدريج من مخزنه كلما اتسعت تجاربه وضاق بما فيه ليخلى الطريق لغيرها من تجارب الوقت الحاضر أو الماضى القريب التى يدور عليها محور حياته . وعسى أن أكون أفلحت فى اقناع القارىء بأن هذا النوع هو عملية عقلية طبيعية ليست ذات خطر على الانسان ولا دليلا على ضعف الذاكرة أو نقص العقل كما يتوهم معظم الناس . ولكن هناك نوعاً آخر من النسيان المفتعل يلجأ اليه العقل كدواء مسكن او علاج مؤقت لما ألمت به مصيبة يخشى ان تنغص عليه سكونه وطمأنينته أو تصرفه عن أمور معاشه ومعاده اذا استمر يفكر فيها هى ، أو واجهته مشكلة حيوية خطيرة لا يجد لها حلا مناسباً يتمشى مع أساليب العيش وطرائق الحياة ، أو كان يرجو تحقيق آمال فتحطمت وانهارت تاركة وراءها ألم الخيبة ومرارة اليأس ، فيمسح عليها كلها يد النسيان ويكبتها فى قرارة النفس وينتزع صفحاتها من سجل حياته انتزاعا كأنها لم تكن . شأنه فى هذا شأن مدمن المخدرات يسكن بها آلامه ويدفن فيها آماله ومتاعبه الى حين ، فلا تلبث أن تفيق بعد نومها فى قوة الثائر وجموح المدمر وتهد منه الاعصاب وتنهك منه العقل والبدن وهو لا يدرى لها سبباً ولا يعرف لها علاجا . هذا النسيان المفتعل هو فى نظر جميع المحدثين من علماء النفس عملية شاذة لها خطرها على الحياة العقلية . ومن واجب كل انسان ان يدرسها فى نفسه ويراقبها فى تصرفاته ليخفف من آثارها ويلطف من حدتها ان لم يستطع لها علاجاً . ويجدر بنا قبل ان ندخل فى تفاصيلها ونستعرض صنوفها ونتدرج فى مراتبها ان نعرف شيئا عن أثر العقل الباطن فى حياة الانسان

العقل الباطن

للانسان عقلان : عقله الباطن الخفى الذى تتمثل فيه نزعاته الفطرية الاصلية الموروثة . واستعداداته الطبيعية الساذجة وميوله الغشوم وشهواته المتقدة ورغباته الجامحة . وسائر عناصر

شخصيته وطبيعة تكوينه التى تنحدر اليه من أمه الطبيعة وأسلافه الاقدمين . يرثها عنهم وتبقى كما ورثها قوية فعالة تتحكم فيه وتدفعه الى ركوب متن الشطط - وتظل معه الى ان يموت - حرة مستقلة غير خاضعة لقانون ولا عرف ولا نظام . لا يحدث التعليم والتلقين ولا النصح والارشاد فيها شيئا من التلطيف أو التهذيب . ثم لا تلبث ان تكتسب قوة على قوتها مما ينحدر الى قرارة نفس الانسان من ذكريات مؤلمة حدثت له فى حياته يحاول ان ينساها ، وتجارب مريرة تفسد نفسه على الدنيا ومن فيها . ورغبات مكبوتة لا يستطيع ان يبوح بها . وآمال يعلل بها نفسه فى خلوته . وأمان يهتف بها فى قرارته . ومشروعات يختزنها لمستقبل الايام . وغير هذا كثير مما لا يتفق وطبيعة الحياة الحاضرة والظروف القائمة . كلها تتجمع حتى تصبح بحراً خضما متلاطم الامواج قاعه مرصوف بالقنابل والمفرقعات كل منها تتحين الفرصة للانفجار والظهور مرة اخرى فى مجال الحياة

ثم عقله الظاهر المفكر والمدرك العاقل ، عقل الشعور واليقظة الذى يزن به أموره ويقدر ظروفه ويقيس نتائج تصرفاته وما يعتزم القيام به من عمل على ما صادفه من قبل من تجارب وما حدث له من أمور

وعقلان هذا حالها وهذه طبيعتهما يكون بينهما ما بين العدوين اللدودين والمتناظرين الحسودين من صراع وقتال يقع الانسان بينهما رهين القوى وأسير الغالب - يدفعه العقل الباطن الى تحقيق آماله ورغباته واتباع ميوله وشهواته من أى طريق ، فيقف الثانى فى طريقه رقيباً عتيداً وخصما عنيداً يحذره مغبة عمله وينذره بسوء فعله

الصراع العقلى

وأنت ترى لهذا الصراع أثراً فى كل أعمالنا وتفكيرنا وتصرفاتنا ، بل وفى كل مظهر من مظاهر حياتنا . من أمور يشتهيها الانسان ويحترق شوقا للوصول اليها . فيقف العرف والقانون فى طريقه اليها . فيصرف الطرف عنها وفى نفسه ألم وحسرة يساورانه كلما خلا بنفسه ونامت عنه أعين الرقباء إلا عين ضميره . أو يكتفى من اللذة وهو مرغم بابسط اشكالها ، كمن يشتهى امرأة صديقه أو جاره ولا يجد اليها سبيلا فيقنع بمتعة النظر بديلا عن لذة الجسد . أو كالفقير المعدم يقنع من طعام الغنى بما يشمه منه ، وصاحب الامانى يعلل بها نفسه فيقعد به جده العاثر وحظه التاعس عن تحقيقها فيحلم بها فى نومه ويهتف بها فى غفوته . ويجد فى حلاوة خياله وعذوبة حلمه ما ينسيه مرارة الحقيقة وجفوتها

ويختلف الصراع شدة وضعفاً بقدر ما بين العقلين من تفاوت وخلاف ، من النضال الدائم الذى يعانيه ويشعر به كل من خالف مظهره مخبره ، واتخذ من ثياب الطهر والدين والعلم ستاراً

يخفى تحته نفسه الخبيثة وشهواته الدنسة - الى الراحة والطمأنينة وهدوء النفس التى يشعر بها كل من تنزهت نفوسهم من الدنس وخلصت من الشر ووافق ظاهرهم باطنهم ، أصحاب النفوس الآمنة المطمئنة الراضية المرضية

وكذلك تختلف مظاهر هذا الصراع وتتفاوت آثاره وتتدرج من مجرد القلق النفسانى الذى يعترى الانسان من غير ما سبب ظاهر أو ظرف مباشر - الى الهنات الهينات من فلتات اللسان وزلات القلم والنسيان والاهمال وانصراف الذهن وسائر الظواهر التى تحدث للانسان فى كل لحظة من لحظات حياته ، ويفسرها الناس تفسيرا بريئاً ويحملونها على التعب وانصراف البال ولا يحسبون لها حساباً - الى المخاوف من الظلمة والمرتفعات والاماكن المقلقة والنار والماء والاسلحة ، والتشكك فى الاهل والاخوان، وسائر الاوهام الباطلة التى يخفيها الناس عن أهلهم وحتى عن أطبائهم تحقيراً لشأنها واستهتاراً بها . فلا تلبث ان تأكل نفوسهم أكلا كالنار تحت الرماد - إلى نوبات الغضب والانفعال الشديد التى يخرج منها المرء عن حد المعقول لأتفه سبب فتملك عليه كل مشاعره وتستنفد كل نشاطه وتتركه ضعيفاً منهوكا يعانى من أثر الزوبعة مايعانى- الى الاحوال التى تنقسم منها شخصيته فيصبح رجلا آخر ومخلوقاً جديداً تظهر له فى أوقات خاصة شخصية تغاير شخصيته العادية الطبيعية تمام المغايرة ، ثم لا تلبث ان تتلاشى حتى تعود من جديد ، فيكون ملاكا آناً وشيطاناً آنا آخر ، أو حملا وديعاً فى لحظة وذئباً فاتكاً فى لحظة أخرى ، وآخراً حالات الاضطرابات العصبية الحادة الشديدة المزمنة كالهستريا والنورستانيا التى ليست جنوناً ولكنها أشد فتكا بضحاياها من الجنون . وما أكثرهم خارج مستشفيات المجاذيب - ثم الجنون بعينه من مانيا وماناخوليا والعياذ بالله . وخلاصة القول أن جميع هذه الحالات النفسية الشاذة والاضطرابات العصبية والتصرفات الغريبة ترجع الى الصراع بين عقل الانسان الباطن وعقله الظاهر وعدم استطاعة الانسان التوفيق بين رغباته ونزعاته الشخصية وبين ظروف الحياة الحاضرة وقوانين المجتمع المرعية أو عدم الانسجام بين التجارب المؤلمة والظروف القاسية التى تمر عليه وبين الحياة العملية المستمرة التى يريد أن يحياها أو على الاقل يحتم عليه المجتمع أن يحياها ما دام قد قضى عليه ان يكون عضواً فى هذا المجتمع

النسيان

والنسيان واحد من هذه العمليات الشاذة ينطبق عليه ما ينطبق عليها . ولا يخرج فى جميع صوره واشكاله ومراتبه ودرجاته عن كونه وسيلة شاذة أو علاجاً مؤقتاً يلجأ اليه العقل فى كل مرة يريد فيها ان يرتاح من عناء تجربة قاسية حدثت له ، أو ظرف مؤلم مر عليه أو عمل ينوى فعله بحكم الظروف الاجتماعية والعقل الباطن يكرهه ولا يرتاح اليه

فالانسان ينسى دائما المواعيد التي يجب ان يسدد فيها ديونه والمبالغ المطلوبة منه كحساب الجزار والنور والعوائد، ولا يذكر أين وضع الأوراق التي تعلنه بدفعها، في حين انه يذكر دائما ما له من مبالغ وديون على الناس ويعرف مواعيدها بالضبط وحوالات البريد والشيكات التي تصله من الناس. وأظرف من هذا أنه قد يبحث عن دفتر شيكاته في مكتبه وفي كل مكان فلا يجده عند ما يطلب منه كتابة شيك لأداء دين أو دفع مبالغ. وسرعان ما يجده من غير أن يبحث عنه عندما يريد ان يصرف لنفسه مبلغاً من البنك. وهو في الواقع لا يتعمد التضليل ولا يدعي ضياع الاوراق وهو يعلم مكانها. ولكن عقله الباطن يخفيها عنه وينسيه موضعها كأنه يعز عليه أن يسدد ما عليه من ديون. ويفقد الهدايا التي أهداها له أقاربه وأصدقاؤه الى حين من غير أن يشعر عندما تتوتر العلاقة بينه وبينهم لسبب ما، فاذا زال السبب وجد الشيء المفقود أمامه لشدة دهشته فيلعن الشيطان والشيطان لا شأن له

وقد يصله خطاب بمسألة يطلب منه قضاؤها فينساه فاذا ذكره بعد حين وهم بالرد عليه لم يجده في موضعه وإذا وجده وكتب الرد عليه بالفعل نسي ان يرسله. وقد يضع عليه الطابع ويلقي به في جيب سترة أو درج مكتب ويبقى هناك الى ان يذكره مرة أخرى أو يذكر به بخطاب آخر. وقد ينتهي الأمر بان يسهو عن كتابة العنوان الصحيح فيصل الى غير صاحبه. وهذه كلها وسائل شيطانية يحاول بها العقل الباطن ان يعطل الرد ان كان الانسان في قرارة نفسه يكره صاحب الخطاب أو لا يرتاح للقيام بالعمل الذي كلف به

وقد يكون على موعد هام مع أحد الناس لقضاء مصلحة ضرورية. وعلى الرغم من أهمية هذا الموعد ينساه ولا يذكره الا بعد فواته أو يذهب اليه في غير اليوم أو غير المكان المعد للمقابلة ان كان يكره صاحب الموعد أو يخشى نتيجة المقابلة أو على الاقل لا يطمئن اليها. وكثيراً ما يركب الانسان تراما غير الترام الموصل للمكان وإن ركب فقد لا ينزل في المحطة بعينها. ولعل الكثير من الموظفين يفعلون هذا سهواً في أول الشهر خشية الحساب العسير والمطالب المرهقة من الزوجة والاولاد والدائنين. وغير هذا من أمثلة هذا النوع البسيط من النسيان سهو الانسان عن رد العواري والكتب المستعارة من المكتبات ونسيان أسماء الأصدقاء ونمر التليفونات والعناوين، وغيرها من الأمور التي نذكرها دائماً وتكون في أذهاننا في كل وقت الا الوقت الذي نريد أن نذكرها فيه. وهي في الواقع أمور قد تبدو لنا بسيطة عادية قليلة الخطر ولكن يترتب عليها أحياناً نتائج سيئة ـ وقد يلحقنا منها الضرر الكثير. وأقل ما فيها أنها مقياس صحيح لشعورنا الباطني وعلاقاتنا الخفية بالاشخاص الذين تربطنا بهم هذه الأمور

أما الحوادث المؤلمة التي تحدث للانسان وخصوصاً في أيام طفولته وفترة بلوغه وكذلك الأمور التي تشغل باله وتنغص عليه تفكيره أمداً طويلا فليس من مصلحة العقل أن يذكرها

ويتألم كلما ذكرها اذ ينقطع إلى التفكير فيها تاركا أموره الأخرى . فيلقى بها فى زوايا النسيان . ولكنها تبقى فى قرارة عقله كالقنبلة تحاول أن تبرز الى ميدان الشعور وتنفجر كلما سنحت لها الظروف ، وان لم تستطع أن تظهر بنفسها كما حدثت أول مرة فلا أقل من أن تحدث فى نفس الانسان اضطرابات عصبية تظهر آثارها فى الخوف من أمور لا يعرف الانسان لها سبباً مباشراً

وقد أثبت علم النفس الحديث أن جميع الاضطرابات العصبية الوظيفية التى تحدث للكبار البالغين يرجع سببها الى حوادث مؤلمة حدثت للانسان فى ماضى حياته وأثارت فيها انفعالا شديدا وقت حدوثها ، ثم لم يلبث الانسان أن نسيها وكأنها لم تحدث له ولم تكن حلقة فى سلسلة حياته ، واذا ذكر بها قد لا يذكرها فتصبح كالحلقة المفقودة ولكنها حلقة تؤدى الى الاضطراب العصبى فالجنون . حتى اذا ما انكشفت بالتحليل النفسانى وعادت الى مجال شعور المريض زال ما به من خوف واضطرابات وتم له الشفاء وكأن المرض لم يكن

وأفظع درجات النسيان وأشدها هولا وأكبرها خطراً على العقل والاعصاب أن ينسى الانسان دوراً كاملا من أدوار حياته أو ينسى اسمه وصناعته وشخصيته ويلبس شخصية أخرى تخالف الاولى تمام المخالفة كأن روحاً تقمصته ، وقد تموت الشخصية الاولى تماماً أو تعود بعد حين ، وقد يظل المريض المسكين مقسما بين الشخصيتين يلبس هذه تارة وتلك تارة أخرى لا يعرف له اسماً ولا أهلا كأنه لم يكن فى الوجود من قديم . وينحدر انحداراً سريعاً نحو المانيا والمانيخوليا وسائر انواع الجنون . وليس من شأنى أن أتحدث الآن عن معالجة هذه الانواع الخطيرة . ولعلى أوفق فى فرصة أخرى الى ذكر أمثلة حقيقية مما وقع تحت خبرتى وخبرة أساتذة هذا العلم فى أوربا لادلل على خطورة هذا النوع من النسيان .

وخير ما يفعله الناس ليأمنوا شر هذه البلوى أن يخالفوا المألوف فيذكروا دائماً موتاهم الاعزاء وأصدقاءهم الابعدين وحوادثهم المؤلمة وتجاربهم القاسية ، بحيث تصبح دائماً حياتهم سلسلة كاملة متماسكة الحلقات لا تسقط واحدة منها الى قرار العقل الباطن . وخير لهم أن يتحملوا مرارة ذكرى الماضى وتقريع الضمير من حلاوة النسيان المفتعل والدواء المسكن

وحبذا لو تعودنا تدوين يومياتنا بأمانة واخلاص نسجل فيها الحسن والقبيح فنقرأ فى طياتها دفائن الماضى ونرى فى مرآتها صور الحياة السابقة

محمد مظهر سعيد
أستاذ علم النفس بمعهد التربية
وكلية أصول الدين

في العامية بلاغة يجب ألا تهمل

بقلم الاستاذ أديب عباسي

الفصحى لغة الخاصة ومعيار ثقافتها والدليل على مكانها من الارتفاع والضعة ، وهي تشف عن حالها وتصور اخلاقها وتسجل الاحداث التي تنوشها وتلم بها . والعامية – كذلك – تعكس ، كالمرآة ، نفسيات العامة وتدون تجاربها وتجلو للرائي صحائف من دفين آلامها وخفي آمالها . ذلك ان اللغة كائن حي تنمو وتضمحل تبعاً لحال الذين يتكلمونها من السمو والدنو . لهذا كان لزاما على كل دارس لشؤون العامة متقص لاحوالهم الثقافية والاجتماعية أن يحيط – أول مايحيط – بوسائل التعبير والتخاطب عندهم : يحيط بألفاظهم المفردة وتعابيرهم الخاصة وأمثالهم السائرة وأساطيرهم المحكية . ونحن في هذه الكلمة نود أن نبحث ناحية من هذه النواحي عسانا ننبه الى أن في العامية من المجال لدراسة الدارسين ما يتسع لعمل العشرات منهم وانقطاعهم . وهذه الناحية التي نختارها الآن لهذا البحث من بين النواحي الاخرى هي « مفردات العامية » وما فيها من بلاغة في التعبير ودقة في الاداء ، عسانا بذلك ننبه الافكار الى أن في هذه العامية ثروة قمين بنا ألا ندعها تضيع

وقد تسأل : أفي العامية من الثروة والبلاغة ما يستحق من الباحثين التوافر عليها والانقطاع لاستفرادها ؟ والجواب ليس نفيا . ذلك أن في بعض مفردات العامية من الدقة في التعبير والاقتصاد في الاداء ما تكاد تخطئه في الفصحى . واني ذاكر فيما يلي على سبيل التمثيل لا التقصي ، طرفاً يسيراً من الالفاظ العامية في سورية ، وليحكم بعدها القارىء هل في العامية بلاغة تستحق الدرس أو هي ثوب حائل مزقه الاهمال فعاد لا يصلح إلا للنبذ والاقصاء . تقول العامة :

لَوَّعَ فلان فلاناً : أي عذبه بالاماني الخادعة والامل الكاذب ، والتلويح له من بعيد بما يشتهي ويحب دون أن ينوله شيئاً . وليس في الفصحى – فيما نظن – لفظ مفرد يؤدي المعنى وظل المعنى الذي يؤديه اللفظ العامي . ويقابل هذه اللفظة في اللغة الانكليزية فعل : « Tantalise » وهو مشتق أصلا من اسم أحد الآلهة الصغار في الاساطير اليونانية . وقد كان إلها خبيثاً ديدنه الايماء من بعيد والتلويح للناس بما يشتهون ، ثم اذا دنوا يبغون نيل ماتصباهم من متعة وازدهف نفوسهم من أمل صد ونأى . ويظل هذا شأنه معهم وصنيعه بهم حتى يضويهم الهم والحرمان ويقتلهم الشوق . وهكذا ترى كيف يلخص اللفظ العامي (لوع) تلخيصاً موفقاً هذه المعاني ، بل هذه المأساة القصيرة ، واللفظ

بعد ليس من الدخيل أو المرتجل كالكثير من الفاظ العامة ، بل هو متمكن من الفصحى ، انما هو هناك يستعمل لمجرد عمل الحب وما يصنعه فى المحبين من اضواء وما يخلفه لهم من لوعة . ومن هنا كان للعامية فضل الانفراد بالمعنى الآخر الأعم وهو من المعانى النفسية العميقة التى تلخص مشاعر معقدة وحركات مركبة . وهذا النوع من الالفاظ ليس مقصوراً على العامية ، بل يكثر فى الفصحى كثرة تجعلها فى طليعة اللغات ايجازاً وبلاغة

مَانَ الرجل على صديقه : اخضعه لرأيه فى عمل من الاعمال لصالح شخص ثالث . وهذا الخضوع قد يكون بفضل الاكراه الادبى والمحاباة ، وقد يكون عن رضى واقتناع . وقريب منها فى الفصحى شور به : أى اخجله . إلا انها لا تقوم مقامها تماما لان هذه تدل على الخجل دون لزوم العزم على الطاعة ، فى حين أن تلك تدل فى العامية على المعنيين معاً

شَنَّ الظبى : انتصب متحفزاً ونظر فى ذعر واستغراب . تقول : شن الغزال اذ رأى الصيادين وشن الجواد إذ رأى الخيل فى الطراد

نَدَخَ الرجل : أى افتخر فى أمور ليست له . وندخ له وعد وعوداً يعلم أنه لا يستطيع وفاءها

ذَرْنَبَ المذنب : أحس بذنبه فذل وخنس . ولعل اللفظ من مزيدات العامة على كلمة «ذنب» وتستعمل أيضا فى العامية لمجرد الاستخذاء والخضوع . ويقوم مقامها هنا كثير من افعال اللغة الفصيحة كذل واستخذى

بَشِعَ الغلام : تأبى الطعام ، لا قناعة فيه ، ولكن لانه لم يصب منه القدر الذى يريد وفى الشكل الذى يريد . ولعله معدول مجازاً عن الفصحى ليدل على بشاعة من كان هذا حاله من الناس . وفى الفصحى كلمة « حرد » وهى تدل على مجرد الغضب . ولكنها فى العامية تستعمل لمثل المعنى الذى تستعمل له كلمة بشع . إلا انها لا تقتصر على تأبى الطعام فقط ، بل تستعمل للتأبى مع الغضب عن كل شىء ترغب النفس فيه ولم تصب منه ماتريد

صَرْصَعَ الرجل الصغير : أى أدخل الرعب عليه وعاجله معاجلة أذهلته عن نفسه ودنت به من مظاهر الجنون

هَازَ الفتى اخاه : بمعنى أومأ اليه بيده إيماءة كأنه يهم أن يضربه

جَنْعَ المثرى : تزيد من مظاهر الرفاء والترف والرفعة . والكلمة من الفصيح بمعنى نسف التراب برجله وهو ماش . وكأنى بالعامة درست نفسية هذه الطائفة من الناس ولاحظت كيف يروح واحدهم ينسف التراب ويركل الارض برجله اعتزازاً وخيلاء وإيماء الى الناس بأن حالهم منه

مثل حال هذا التراب الذى ينكث والثرى الذى يطأ ، فوصفوه بأدق ما يعمل - أى نكث التراب ونسفه بالقدم . وقد يحسب القارىء أننا نحمل اللفظ أكثر مما يستطيع . قد يكون هذا صحيحاً ولكننى أرغب الى القارىء أن يدرس مظاهر هذه الطائفة من الناس - كيف يسيرون فى الارض مرحاً ، وكيف يطأون الثرى ينسفونه من تيه . أن للعامة إلهامات صادقة فى التعبير والاشتقاق وجرأة شديدة على الوضع بالتقريب . وذلك أنهم إذا أرادوا التعبير عن معنى من المعانى لا يصبرون حتى يرجعوا الى المعاجم وأمهات اللغة يستشيرونها ويحتكمون اليها ، بل يتناولون أقرب الالفاظ دلالة على المعنى الذى يجول فى خواطرهم . والفصحى ذاتها ليست أقل جرأة من العامية فى هذا الشأن ، لاسيما فى أدوارها الاولى من النشوء . خذ كلمة « بحث » مثلا ، وهى من الالفاظ المعنوية ، فتجد لها فى المعاجم معنى نكث التراب . أو خذ كلمة « نبى » فتجد لها فى اللغات السامية معنى ما أغربه من معنى !! ولكن جمهور الناس الذين يأخذون الأمور بظواهرها لم يجدوا غضاضة فى استعمال كلمة مأخوذة من مادة « نبع » السامية - وهى فى الاصل خروج الزبد من الاشداق عند التهيج - للدلالة على معنى النبوة الشريف ، ومثل ذلك كلمة « مجنون » وعلاقتها بالجن (الاغلاق) ولفظة «قار» وعلاقتها بالقمر ، وهكذا مما يدل على أن الفصحى فى بدء تكوينها ليست أقل جرأة من العامية

تَبَغْدَدَ القوم : أسرفوا فى المأكل والمشرب والملبس وكل معنى آخر من معانى الترف والرفاه . وهى لا شك مما ساقت اليه المحاكاة والمشابهة بين ظواهر الترف المختلفة ومظاهر النعمة والبذخ التى كانت تكسو بغداد إبان مجدها حلة من السحر ، فاشتق العامة من بغداد معنى العيش الخافض

عَشَمَ عليه : كانت له عليه دالة الصداقة فلم يرفض له طلباً . والفرق بينها وبين «مان» السابقة هو أن تلك تدل على طلب الخير يراد لشخص ثالث ، وهذه تدل على طلب الخير للنفس فحسب

ونكتفى بهذا القدر من الأمثلة نوردها لندل على أن فى العامية ، برغم عيوبها العدة ، بلاغة يجب ألا تهمل ودقة ينبغى ألا تضيع . ونحن لا ندعو الى اصطناع مثل هذه الالفاظ والانتفاع بها الا اذا خلت الفصحى من أنداد لها تقوم مقامها وتؤدى أداءها دون أن يكون فى ذلك اقحام أو نقص . ويتم ذلك على أقوم سبيل بأن يقوم نفر من الادباء واللغويين فى كل قطر من أقطار العالم العربى ويتقصوا هذه الالفاظ ويبعثوا بها مشروحة حسب الدلالة المحلية لها الى المجمع العلمى بمصر فيقوم المجمع بإزالة الجزء الذى يجدون فى الفصحى ما يسد مسده ، وتنحية الجزء الآخر الذى لا تدعو الحاجة اليه لاقتصار المعنى المستعمل له على قطر من الاقطار دون غيره ، فلا يشرح إلا فكرة محلية. وبعدها تطبع هذه المفردات مشروحة شرحاً وافياً وتوزع على العلماء والادباء والمعاهد العلمية فى جميع أقطار العالم العربى ، فلا يجيء الوقت الذى يؤلف فيـه القاموس الاكمل حتى يكون النقد والتمحيص وعمل النشوء وتنازع البقاء قد فعلت فعلها فى هذه الالفاظ فنحت منها تنحية نهائية مالا

يستحق البقاء، وأبقت منها الصالح. وعندها لا تكون ثم غضاضة على الفصحى - فيما نرى - اذا وجد بين فصيح اللفظ ومعنعن الكلم لفظ أو لفظان من هذه الالفاظ فى الصحيفة الواحدة من قاموسنا الاكمل العتيد، وهو اقتراح نقترحه ونرى ان فى تنفيذه زيادة فى ثروة اللغة وقطعاً لالسنة لا تفتأ تزين للناس قتل الاوزة ليحصلوا على البيضة الذهبية، وحجتها فى ذلك ان فى العامية سحراً وبلاغة ومرونة يجب ألا تهمل وانه - لذلك - يجب أن يصطنع الناس العامية ويهجروا الفصحى!!

وقد يسأل سائل: كيف انفردت العامية - ان صح انها انفردت - بهذه الالفاظ البليغة دون الفصحى، وماذا كان سبيلها الى الوجود والبقاء؟ وجوابنا هوأن العامية لا تتورع عن نقل الفصيح نقلا مجازيا - ولو بعيداً - لما يتردد فى النفوس من معان ومشاعر ليس فى الفصيح ما يصفها أو يحددها. والعامة لا تصر على وجود الرابطة القوية بين اللفظ الأصلى وبين مانقل له مجازاً من معنى جديد. وذلك ان عمل النقد بين العامة مفقود فى هذه الناحية وفرصة البقاء لهذه الالفاظ لاييسرها الا تنازع البقاء. ثم ان هناك ما يشبه الاجماع بين الباحثين فى مفردات اللغة العامية على أن شطراً كبيراً من الفاظ الفصحى لم يدون لما وضعت المعاجم لتعذر الاستقصاء التام فى ذلك الحين على الجامعين. فظلت هذه الالفاظ شاردة بعيدة عن القواميس وكتب اللغة، الى أن بدت للاجيال الاخيرة عامية ركيكة وما هى بعامية ولا ركيكة. ودليلهم فى ذلك ان كثيراً من هذه الالفاظ العامية يرجع الى أصول فصيحة فى اللغات السامية كالسريانية والعبرية والآرامية. هذا ولا شك بان شطراً كبيراً من هذه الالفاظ دخل العامية بالترجمة والتعريب والنحت من اللغات الاخرى التى احتك العرب باهلها فى مختلف أدوارهم التاريخية. ولا بأس بأن نشير فى ختام هذا البحث الى طريقة خاصة من الاشتقاق يسير عليها العامة غالبا فى الدلالة على التكثير وموالاة العمل ومواترة الحركة: وهى أن يعمدوا الى الفعل الثلاثى الفصيح ويزيدوا عليه حرفا فينتهى الفعل الجديد، على الاستعمال الدائم، الى مايريدون من معنى جديد. والافعال التى اشتقوها على هذا النحو كثيرة الى حد كبير. فهم يقولون، مثلا: خربش (من خرش أو خدش) وصرصع (من صرع) وكربس (من كرب - قيد) وكردس (من ركس - قلب أوله على آخره) وخنشر (من كشر) وحرقص (من حرق) وبردخ (من برد) للدلالة على كثرة الخدش والصرع والكرب أو التقييد والركس أو التنكيس، وللدلالة على التكشير الكثير وكثرة الايلام والحرق المعنوى وكثرة البرد. كذلك نحب أن نشير الى وزنين ساميين استعارتهما العامية وأخذت تصوغ على وزنهما من أفعال عربية فصيحة افعالا جديدة. وهذان الوزنان هما وزنا شفعل وإنفعل. ومن ذلك فى العامية شلهب (بمعنى: لهب) وشربك (بمعنى: ربك) وشرشح (بمعنى: شرح - أى شق). وفى الفصحى على هذا الوزن فعل شعوذ. ولعله من عوذ. أما وزن إنفعل الذى يستعمل فى العامية المصرية لمطاوعة فعل - كانفعل - فمنه قولهم: اتكسر. انفهم، اتكشف. وهكذا

اديب عباسى

استعباد الانسان

في الأنظمة اليونانية والرومانية

ليس بين نظم الاجتماع ما تعافه النفس كنظام الاسترقاق. فهو مظهر من مظاهر ميل الانسان إلى الاثرة والاستبداد وحب النفس. واذا استثنينا بعض ما نشأ عنه من خير غير مقصود جاز لنا أن نقول إن الرق قد كان نقمة من النقم التي مني بها الاجتماع. ليس في العصور الحديثة فقط، بل في العصور السالفة أيضاً يوم كان يخيل للمرء أن الرق من مستلزمات نظام العمران، ويوم كانت الحياة رخيصة والملوك والحكام والموالي ينظرون الى العبد كما ينظرون الى الحيوان الاعجم وينكرون عليه كل حق في الحياة

كان الانسان في فجر التاريخ يعيش بالصيد والقنص. وكان من مقتضيات هذه العيشة أنه إذا وقع عدوه أسيراً بيده قتله ولم يستعبده لما يقتضي استعباده من انفاق ومراقبة. وبمرور الزمن صار يقتل الاسير ويستبقي أسرته وعياله ليقوموا بخدمته في البيت والغيط. وكان ذلك على أجلاه في الطور الزراعي، أي في العصر الذي كانت الزراعة فيه مورد رزق الانسان الوحيد. وفي أواخر هذا الطور صار الرجل يقتل أسيره ويتخذ زوجته حظية له، واذا كان لها أولاد جعلهم يخدمونه في الحقل ويقومون بشؤون زراعته

ولما كثرت الحروب بين البشر وكثرت الأسرى ظهر الرق بثوب جديد. فصار الأسرى ونسلهم عبيداً لآسريهم. وصار كل جندي يعتبر الأسير الذي يوقعه سوء حظه بيده عبداً له يتبعه كظله ويقوم بخدمته ولا يحق له أن يهجره. واذا حدثته نفسه بالفرار من خدمته جاز له قتله

ويقول بعض علماء الاجتماع إن الرق كان في العصور الاولى من مستلزمات العمران وإنه أسدى الى الحضارة معروفاً كبيراً من غير أن يتنبه البشر الى ذلك. وتفصيل ذلك أن الانسان في أوائل أطوار نشوئه كان يعيش بالصيد والقنص والغزو وشن الغارات. وكان نظام معيشته يحول دون اهتمامه بشؤون الزراعة وبغيرها من أمور الحياة، ولولا وجود عبيد يقومون بتلك الشؤون لفسد نظام الاجتماع يومئذ ولانتشرت الفوضى في العالم

الرق في اليونان

لعل اليونان أول من نظم الرق وأحاطه بقيود معينة. وفي أشعار هوميروس اشارات متعددة الى ذلك. فهو أول من ذكر أن أسرى الحرب في ذلك العصر كانوا يستعبدون أو يباعون، وأن الغزاة كثيرا ما كانوا يهاجمون قرية فيأسرون النساء ويقتلون الرجال. ومما ذكره

هوميروس أيضاً أن القرصان كانوا يجوبون البحار فيأسرون السفن ويبيعون ركابها ونوتيتها عبيدا فى الاقطار النائية . وكثيرا ما كان الاشراف والأغنياء يؤسرون فى المراكب على هذا الوجه ويباعون عبيدا . ولهذا كان اليونان فى ذلك العصر يميلون الى استعمال الرفق بالعبيد الذين يباعون فى الأسواق العامة لاحتمال أن يكون بينهم من هو شريف الاصل . وفى الواقع أن نظام الرق كما يؤخذ من أشعار هوميروس لم يكن موسوماً بالعار والزراية كما أصبح موسوماً فيما بعد ، فقد كان كل نبيل معرضاً لأن يخطفه القرصـــان فى البحر أو قطاع الطرق فى البر ويبيعوه فى أسواق الرق البعيدة

واذا رجعنا الى أقدم العصور اليونانية وجدنا للرق عدة موارد كان يؤخذ منها العبيد ويباعون فى الأسواق ، وأهمها ما يأتى :

(١) الولادة ـ أى أن بعض الناس كانوا يولدون عبيدا لان آباءهم وأمهاتهم كانوا عبيدا، إلا أن هذا المصدر كان شحيحاً لان اليونان لم يكونوا يميلون الى السماح للعبيد بأن يتزوجوا ويتناسلوا لان تربية أولادهم كانت تتطلب نفقات طائلة لا طاقة لهم بها ولذلك كانوا يفضلون شراء العبيد على تربيتهم

(٢) السوق العامة التى كان الآباء الاحرار يبيعون فيها أولادهم ليخلصوا من نفقات تربيتهم . وقد كان فى بلاد اليونان اسواق عامة للمتاجرة بالاطفال إلا فى مقاطعات طيبة وآتيكا . ويؤخذ من روايات بلوطوس وتيرانس أن الاطفال الذين كانوا يباعون فى تلك الاسواق كانوا يعانون أشد صنوف القسوة

(٣) الدين ـ كان القانون اليونانى يبيح للدائن أن يأخذ مدينه عبدا ويستبقيه عنده الى حين إيفاء الدين

(٤) أسرى الحرب ـ كان اليونان فى أول الامر يقتلون الاسرى ، ولكنهم بمرور الزمن صاروا يستبقونهم ويتاجرون بهم

(٥) الخطف و « القرصنة » ـ كان هذان الموردان من أخصب موارد النخاسة فى تلك العصور . وفى الواقع أن القرصان كانوا مصدر خطر عظيم فى البحار وعلى السواحل حتى لقد كان كل رجل فى ذلك العصر ـ نبيلا كان أو حقيرا ـ عرضة للخطف

وكانت أم أسواق النخاسة قائمة يومئذ على سواحل سوريا وفى بنطس وليديا وغلاطية وتراقية ومصر وبلاد الحبشة وايطاليا . وكانت الشعوب الآسيوية أشد الشعوب إقبالا على تلك التجارة ، والعبيد الآسيون أكثر من غيرهم فى الاسواق ، إلا أن الشارين كانوا اكثر اقبالا على العبيد اليونان يفضلونهم على غيرهم ويدفعون فيهم أثمانا باهظة . ولم يكن هؤلاء العبيد يباعون إلا فى أسواق خاصة فى أثينا وقبرص وساموس وأفسس وخيوس . وكانت الحكومة اليونانية

تتقاضى ضريبة معينة عن بيع العبيد ولم يكن هؤلاء ذكورا فقط بل إناثاً أيضاً . وكان القوم يستخدمون الاماء للرقص والغناء والموسيقى وكان الامراء والولاة الشرقيون يفضلون النساء اليونانيات على غيرهن ويدفعون الاثمان الباهظة بسبب جمالهن

استخدام العبيد وحالتهم

قلنا ان اليونانيات كن رائجات عند الامراء والولاة الشرقيين وان الكثيرات منهن كن يستخدمن للرقص والغناء والعزف على الآلات الموسيقية . أما العبيد فكانوا يكلفون القيام باعمال مختلفة ولا سيما شؤون الحقل والبيت . ولا يخفى أن أغنياء اليونان كانوا حتى القرن السادس قبل الميلاد يعيشون فى مزارعهم فى الريف . فلما وقعت الحروب الفارسية وحروب البلبونيز اضطروا الى هجر مزارعهم والاقامة بالمدن . فلم يكن لهم بد من استخدام العبيد للاهتمام بمزارعهم ولرعاية مواشيهم

على ان الاعمال التى كان يعهد فيها الى العبيد كانت كثيرة متنوعة . فلم تكن مقصورة على المهن الوضيعة فقط بل كانت تشمل كل عمل يخطر بالبال سواء كان من شؤون الزراعة أو التجارة أو المعاملات المالية البحتة . وكان بعض العبيد يكلفون حراسة الهياكل وبعض الجميلات من الاماء يوضعن فى الهياكل للقيام بالشعائر الدينية كما تفعل راهبات الكنائس فى المسيحية .

ولا بد من القول هنا أن العبيد فى بلاد اليونان ، وان لم يكونوا يغتبطون بمعيشتهم ، لم يكونوا فى حالة تدعو الى الشفقة . فقد ذكر دمستنس خطيب اليونان الشهير ان القبائل المتوحشة (البربر) التى كان أكثر العبيد منها كانت تغبط الذين يؤخذون عبيداً من رجالها . وذكر بلوطس أن العبيد فى بلاد اليونان كانوا يتمتعون بمزايا لم يكن اخوانهم يتمتعون بها فى بلاد الرومان . فقد كان العبد ينقد أجراً معيناً ويؤذن له فى ادخار ذلك الاجر . ومع ان القانون اليونانى لم يكن يسمح له بالزواج صراحة الا أن العرف كان يبيح له ذلك . وكان يؤذن للعبيد بزيارة الهياكل وباقامة بعض الشعائر الدينية وبتقديم الذبائح أيضاً . وكان لهم أعياد مخصوصة . وإذا مات عبد جاز دفنه فى ضريح الاسرة . والمعروف أن بعض العبيد كانوا على أحسن ما يكون من المودة مع مواليهم ومع افراد الاسرة التى يخدمونها . على أن السيد كان له سلطان واسع على عبده . فكان له أن يطرده ويسجنه ، ولكن لم يكن له الحق فى قتله ولا كان القانون يرخص له فى إيذائه أو القسوة عليه بلا مسوغ . وفى الواقع ان قوانين اليونان احاطت الرق بقيود كثيرة . حتى لقد كان يؤذن للعبد فى اقامة الدعوى على من يسيء اليه ولو كان المعتدى عليه مولاه أو أى رجل آخر حر . وإذا قتل رجل عبداً أقيمت على القاتل الدعوى العمومية . وإذا ضرب سيد عبده ضرباً أفضى إلى موته حكم على الضارب بالسجن أو النفى . وإذا قتل عبد

سيده لم يجز لأهل القتيل أن يثأروا لأنفسهم بأنفسهم بل يجب عليهم رفع الامر إلى القضاء. وإذا أساء السيد معاملة عبده جاز لهذا أن يطلب من سيده أن يبيعه فى السوق العامة ليخلص منه

على أن القانون كان يحظر اجتماع عدد كبير من العبيد فى مدينة واحدة اذا كانوا من جنس واحد يتكلمون لغة واحدة. وكان يجيز وضع القيود فى ارجلهم منعاً لهم من الفرار أو احداث ثورة. وكان بين المدن المختلفة معاهدات لتسليم العبيد الآبقين

وكان يجوز للعبد أن يشترى حريته بالاتفاق مع سيده، وكان الاعتاق يتم بالاعلان فى المسارح والمحاكم والساحات العامة وبتسجيل اسم العبد المعتق فى السجل العام. وفى عصور اليونان الاخيرة كان العبد يستطيع شراء حريته باعطاء مقدار من المال لبعض المعابد. وإذا أدى أحد العبيد خدمة جليلة للوطن فى الحرب أو فى السلم جاز اعتاقه ومنحه الحقوق الوطنية

الرق عند الرومان

كان الرق عند الرومان شبيها من بعض الوجوه بالرق عند اليونان. وكان معظم العبيد يؤخذون من أسرى الحرب. يدلك على ذلك ما ذكره بعض المؤرخين من ان اميليوس باولوس القائد الرومانى انتصر فى ابيروس عدة انتصارات وبلغ عدد الاسرى الذين وقعوا بيده مائة الف وخمسين الفاً بيعوا كلهم عبيداً. وبلغ عدد الاسرى فى معارك اكوا وسكستيا وفيرسيلا مائة الف وخمسين الفا بيعوا ايضاً عبيداً. وباع يوليوس قيصر ثلاثة وستين الف عبد فى يوم واحد من الاسرى الذين وقعوا بيده فى معارك غاليا

وراجت النخاسة فى بلاد الرومان رواجا لا مثيل له، فسن لها الحكام قوانين دقيقة وقيدوه بقيود كثيرة. وكان القرصان الرومان يجوبون البحار ويأسرون كل من يدفعه سوء بخته إلى أيديهم ويبيعونه فى اسواق النخاسة. وكان العبيد يباعون فى اسواق ديلوس وروما ومعظمهم من سكان افريقيا واسبانيا وغاليا وسوريا وسواحل اليونان

وكان القانون الرومانى يجعل الذين يرتكبون بعض الجرائم عبيداً. وكان يحق للدائن اتخاذ مدينه عبداً أو بيعه عبداً لغيره. وفى أوائل عهد الجمهورية كان يحق لكل رومانى أن يبيع أولاده عبيداً. ولكن هذا الحق اهمل بمرور الزمن. وفى القرن الرابع قبل الميلاد كان القانون الرومانى يحظر وضع القيد فى رجل المدين الذى يباع عبداً. وكان العبيد يكلفون القيام بمهام كثيرة كما كانت الحال فى بلاد اليونان. ومن جملة الاعمال التى كانوا يقومون بها خدمة المحاكم والمعابد والسجون والعمل فى السفن الحربية وتمهيد الطرق العامة وتعبيدها وتنظيف المجارى وحراسة القناطر والترع المائية. وكان الارقاء فى الاسر الرومانية يقومون بجميع الشؤون المنزلية من طبخ وغسل وتنظيف وحراسة وخدمة الضيوف. وكانت الاماء الجميلات يقمن بخدمة مواليهن على وجوه أخرى فيطربنهم بالرقص والغناء والعزف على آلات الطرب، كما كانت

اضرابهن يفعلن فى بلاد اليونان . ولهذا السبب كان أشراف الرومان يتسابقون إلى شراء الاماء الممتازات بذكائهن وبجمال وجوههن . أما السيدات الرومانيات فكن يقتنين العبيد الممتازين بقوة ابدانهم وبذكائهم ليكونوا حراساً لهن فى روحاتهن وغدواتهن . ومن هؤلاء العبيد من كان يقوم بمهمة الطبيب والوكيل والمعلم والقارىء وما الى ذلك . وكان أكثر الممثلين واللعابة (١) وأصحاب الملاهى والملاعب والمصارعين من العبيد . أما مصارعو الاسود والحيوانات الضارية فكانوا يؤخذون عادة من العبيد المشهورين بقواهم الجسمانية وبشجاعتهم ولا سيا من اسرى غاليا وتراقية

وكان لاشراف الرومان اتباع من العبيد للقيام بالمباريات المختلفة . وكان لبعضهم جيش كبير من العبيد قد يزيد على بضع مئات . ذكر بلينوس المؤرخ ان كاسيليوس أحد الاغنياء فى عصر الامبراطور اغسطوس قيصر كان له ٤١١٦ . ويقول « جبون » صاحب كتاب « نهوض الامبراطورية الرومانية وسقوطها » إن عدد العبيد فى الامبراطورية فى عهد الامبراطور كلوديوس لم يكن يقل عن عدد الشعب الرومانى الحر . الا ان « بلاير » يعتقد ان عدد العبيد فى اواخر عهد الامبراطورية كان ثلاثة اضعاف عدد الاحرار ، وانهم بلغوا فى عهد الامبراطور كلوديوس نحو واحد وعشرين مليوناً . فتأمل

وكان القانون الرومانى يخول السيد سلطاناً مطلقاً على عبده ويبيح له حتى قتله . وكان العبد وكل ماملكت يداه ملكاً لسيده . وانما كان يؤذن له بأن يدخر ما يعطاه من منح وهبات من وقت الى وقت . وعليه لم يكن يجوز اتهام العبد بسرقة مال سيده لأن مثل هذه السرقة لم تكن فى الواقع الا بمنزلة نقل شى من مكان الى مكان . ولم يكن القانون الرومانى يجيز زواج العبد والامة بل كان يعتبر زواجهما مساكنة أو تسرياً ولسيدهما حق فسخه وانهائه

ومع ان العبيد الرومان كانوا مقيدين بقيود وقوانين شديدة فقد كانت كثرتهم مصدر خطر كبير على الامبراطورية . يدلك على ذلك ان ملوك الرومان ، ولا سيا نيرون ، سنوا قوانين فى منتهى الشدة تجيز قتل العبد لأتفه الاسباب . وفى الواقع أن العبيد فى الامبراطورية الرومانية قاموا بعدة ثورات أسفرت عن النتيجة الوحيدة التى كان يمكن أن تسفر عنها وهى سحق الثائرين واهلاكهم بلا رحمة ولا شفقة

ولما جاءت المسيحية طرأ على نظام الرق تغيرات كثيرة أقرب الى المقتضيات الانسانية . فسنت عدة قوانين للرفق بهم ولرفع الحيف عنهم . فحظر بيع الاطفال أو اعطاؤهم للدائن وفاء

---

(١) اللعابة هم الممثلون . وفي كتب اللغة هم طائفة تتخذ المجون والهزل والرقص حرفة لها . وفي الشرح الحديدي (٢ : ١١٧) قال عكرمة : « ختن ابن عباس بنيه فارسلنى فدعوت اللعابين فلعبوا فاعطاهم اربعة دراهم »

للدين. وسن ديوقليطانوس قانوناً يقضي بالموت على كل من يخطف ولداً أو رجلا ليبيعه عبداً. ومع ان أسواق النخاسة ظلت رائجة إلا انها احيطت بقيود وقوانين مختلفة لتخفيف مساوىء الاسترقاق . وابيحت للعبيد بعض وجوه الحرية المدنية ولا سيما مايتعلق منها بالاحوال الشخصية ، فصار يجوز للعبد ان يتزوج كما يشاء وان يورث اولاده ماله . وصارت المحاكم تنظر في كل دعوى رفعها اليها العبيد ولو كانت مقامة على افراد من أشراف الرومان . وليس معنى ذلك أن العبيد أصبحوا كمواليهم في كل شيء فقد كانوا لايزالون مقيدين بعدة قيود ثقيلة. ولكن حالتهم أصبحت في اوائل عهد المسيحية أكثر انطباقا على مقتضيات الانسانية منها في اية مدة أخرى مضت يدلك على ذلك انه في عهد مرقس أوريليوس كان يجوز للعبد أن يقيم الدعوى على مولاه وهو آمن أن العدل سيجري مجراه

ولما جاء الاسلام قضى برفع الحيف عن العبيد ومعاملتهم بمقتضى مبادىء الرحمة والانسانية. وقد أمر القرآن الكريم بحسن معاملة العبد وباعتاقه كلما سنحت الفرصة

وقد جعل الاسلام للرق سبباً واحداً فقط هو الاسر في الحرب . ولما كان الرقيق من الاموال فكان يجوز امتلاكه بالشراء والهبة والوصية. ومن النصوص القرآنية الواردة في سبب الرق قوله تعالى في سورة الانفال : « ما كان لنبي ان يكون له أسرى حتى يثخن في الارض » . وعلى كل فقد كان الاسلام يحض على اعتاق العبد حتى انه كان يعتبر اعتاقه من أفضل ضروب القربات ، ففي سورة البلد : « ألم نجعل له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة ؟ فك رقبة أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة » . والاحاديث النبوية الشريفة مستفيضة بالحض على اعتاق الرقيق وحسن معاملته . ففي الحديث الشريف : « أيما رجل أعتق امرأ مسلما استنقذ الله تعالى بكل عضو منه عضواً من النار » . وفي حديث آخر : « لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي ولا يقل المملوك ربي وربتي . ليقل المالك فتاي وفتاتي وليقل المملوك سيدي وسيدتي . فانكم المملوكون والرب هو الله عز وجل » . وفي حديث آخر : « اذا ضرب أحدكم خادمه فذكر الله تعالى فارفعوا أيديكم عنه » . وفي الواقع ان العبد الذي يولد في بيت الرجل المسلم يعتبر ولداً شرعياً لسيده ولا تجوز الاساءة اليه بوجه من الوجوه . واعتاقه من أحسن القربات . ولما كان اكثر العبيد يتمتعون في بيوت مواليهم بعيشة هنيئة فانهم يفضلون البقاء حيث نشأوا. بل ان بعضهم يعتبرون اعتاقهم بمنزلة نكبة أو قصاص . ومن فضل الاسلام على الرق ان السيد مضطر الى العناية بعبيده في أثناء مرضهم والى الاهتمام بمعيشة أولادهم . ومع ان الاسلام لايشجع على الرق إلا ان بعض الشعوب الاسلامية لا ترى وجوب القضاء عليه بل تفضل تقييده بقيود تجعله ينطبق على مبادىء العدل والانسانية

الاضراب في التاريخ

أسبابه ومسوغاته

الاضراب فى اللغة هو اهمال الشيء أو الاعراض عنه . وفى اصطلاح علماء الاقتصاد هو الامتناع عن العمل بسبب خلاف طارىء بين العامل وصاحب العمل . وقد كان الاضراب فى أول الامر وسيلة غير ناجعة لفض ما يطرأ من الخلاف لان العمال لم يكونوا قد نظموا شؤونهم بعد ولان القانون لم يكن يعطف على الاعتراف بحقوقهم وبنقاباتهم التى يعهدون اليها الآن فى رعاية تلك الحقوق والسهر عليها

ولا حاجة بنا الى القول إن الاضراب لم يكن معروفا عند الاقدمين لان العامل ما كان يجرؤ على الخروج على أوامر سيده أو شق عصا الطاعة عليه . فضلا عن أنه اذا استثنينا المزارع التى كان العبيد يعملون فيها وهم راسفون بالاغلال فى أكثر الاوقات لم تكن العين تقع على جمهور كبير من العمال فى مكان واحد ، لأن الذين كانت بيدهم مقاليد الامور ما كانوا يسمحون بتجمعهم فى منطقة واحدة خيفة ثورتهم واستفحال شرهم . وإذا تذكرنا أن طائفة كبيرة من الاعمال التى قام بها الاقدمون كانت تتم بفضل السخرة أدركنا أن حالة العمال فى جميع الازمنة الماضية كانت تدعو الى الرأفة والشفقة

وفى الواقع أن هذه الحالة ظلت كذلك حتى أواخر القرن التاسع عشر مع وضوح التحذير الذى كان علماء الاقتصاد وزعماء الاصلاح يوجهونه الى الحكومات والى أرباب الاعمال ودعوتهم الى اصلاح حالة العمال وسن القوانين لرفع الحيف عنهم . وكانت مطامع الطامعين تقف دائماً فى وجوه دعاة الاصلاح . ولو لم تتغلب تلك المطامع زمناً طويلا لنجا العالم من كثير من الويلات التى عاناها بسبب شقاء العمال

ويؤخذ مما كتبه دعاة الاصلاح فى أواسط القرن التاسع عشر أن الشقاء الذى كان العمال يعانونه لم يكن محصوراً فى مكان واحد أو فى منطقة واحدة بل كان عاماً يصعب وصفه وصفاً ينطبق على حقيقته . فقد كان العمال يقيمون ببيوت حقيرة هى أقرب الى زرائب البهائم منها الى أماكن لسكن الناس . وكانت تلك الزرائب محرومة من جميع الوسائل الصحية ، إذ كان جانب كبير منها أقباء وسراديب مظلمة تحت الارض لا يصل اليها نور الشمس ولا يدخلها الهواء النقى . وكانت ساعات العمل طويلة مضنية لا تقل عن اثنتى عشرة ساعة من كل أربع وعشرين ساعة وقد تبلغ فى بعض الاحيان خمس عشرة أو أكثر . وإذا تذكرنا أن الكثيرين من العمال كانوا أولاداً علمنا ما كان لطول

ساعات العمل من التأثير السيء فى أبدانهم وفى صحتهم بوجه الاجمال . وفى الواقع أن الكثيرين منهم كانوا يموتون من شدة التعب . أضف الى ذلك أنهم لم يكونوا يرتاحون من العمل أويؤذن لهم فى الانقطاع عنه ولا يمنحون عطلة (اجازة) الا بسبب المرض ، وفى هذه الحالة لم يكونوا يمنحون أجرة عن أيام العطلة . ولذلك كان الكثيرون منهم يفضلون مواصلة العمل وهم يعانون المرض خيفة أن يهلك أولادهم جوعاً

وغنىعن البيان أن أجور القوم كانت ضئيلة لا تستحق الذكر ومع ذلك كان أولئك البائسون قانعين بها بحكم الضرورة . ولذلك كان الاب يدفع أولاده الذكور والاناث الى العمل للحصول على بلغة العيش . فاذا مرض أحدهم ظل الآخرون يعملون ليكسبوا رزق الاسرة . أما مكافأة العامل بعد تركه العمل فشيء لم يكن معروفا فى ذلك الزمن ولا كان العمال يحلمون به

ولما انقضى القرن التاسع عشر أخذ زعماء الاجتماع ورجال الاصلاح ينظرون الى مشكلة العمال نظرة جديدة وكان العمال قد شرعوا فى تنظيم صفوفهم واستعدوا للمناضلة عن حقوقهم وأخذ الكثيرون منهم يبثون الدعوة الى التعاون وخطرت ببالهم فكرة انشاء « النقابات » للهيمنة على شؤونهم والسهر على مصالحهم . ولا حاجة الى القول ان أصحاب الاموال والمعامل تنبهوا للخطر الذى كان يتهددهم فشرعوا يحاربون فكرة اتحاد العمال وانشاء النقابات خوفا من أن تستفحل تلك النهضة وتنتهى الى الفتنة . الا أن مقاومتهم لم تجد نفعاً لان تيار الرأى العام كان قوياً جداً لا يستطيعون صده

وما كادت النقابات تظهر للوجود حتى حمى وطيس النضال بين العمال وأصحاب الاعمال . واذ ذاك شاعت عادة الاضراب ووقعت حوادث اضراب كثيرة نظمتها النقابات . ولا يخفى أن كل عامل ينضم الى النقابة يدفع لها جعلا معيناً من أجرته لكى تستطيع الاشراف على مصالحه وتنفق عليه وعلى أسرته عند ماينقطع عن العمل بسبب المرض أو الاضراب . وقد تمكنت النقابات المختلفة من الاتفاق مع أرباب الاعمال وأصحاب المعامل على ما فيه ضمان لمستقبل العمال وراحتهم . وأهم وجوه ذلك الاتفاق خاص بما يأتى :

١ – أجور العمال
٢ – ساعات العمل
٣ – تأمين حياة العمال
٤ – أجورهم فى أحوال المرض
٥ – مكافآتهم ومعاشهم
٦ – عطلتهم (اجازاتهم)
٧ – مساكنهم ومعيشتهم فى حالة الصحة والمرض
٨ – التحكيم بينهم وبين أصحاب الاعمال عند ظهور خلاف

ومما يجدر بالذكر أن القانون العام فى معظم حكومات العالم ان لم نقل فى كلها كان حتى عهد

قريب خالياً من كل اشارة الى مسائل الاضراب . وهذا دليل على أن الاضراب حديث العهد . إلا أن آراء المشترعين اتجهت بعد الحرب العظمى الماضية الى معالجة هذه المسألة وفى مقدمة الوسائل التى يشير بها اليوم زعماء الاقتصاد السياسى لتلافى الاضراب وضع عقود صريحة لتحديد علاقات العمال بارباب الاعمال وانشاء محاكم تحكيم والترخيص فى نشر الاحكام العرفية فى بعض الاحوال وبخاصة فى الاحوال التى يكون فيها الاضراب خطراً على الوطن

ولكى يكون الاضراب صحيحاً بالمعنى الاقتصادى يجب أن يكون عاماً غير مقتصر على فريق صغير من العمال أو على ربعهم أو نصفهم . ويجب أن يكون اختيارياً لا اكراه فيه لان اكراه فريق من العمال ومنعهم من العمل لايعد اضرابا بالمعنى الاقتصادى

ثم ان اضراب العمال كثيراً ما يقابله أرباب الاعمال باغلاق معاملهم وطرد من يرون لزوم طرده من خدمتهم . وهذا يجعل الاضراب نضالا حقيقيا بين العمال وأرباب الاعمال . ولما كان المال عصب المضربين فان نتيجة ذلك النضال تتوقف على مافى صندوق نقابة العمال من المال ، وعلى غنى صاحب العمل . على أن الحوادث التى من هذا القبيل نادرة فى التاريخ . ولعل أهم ماوقع منها بعد الحرب العظمى الماضية اضراب المهندسين فى انجلترا سنة ١٩٢٢ واضراب عمال السفن هنالك سنة ١٩٢٤ . أما حوادث الاضراب الاعتيادية فكثيرة الوقوع قبل الحرب العظمى وبعدها . ومن اشهرها الاضراب العام الذى وقع فى انجلترا سنة ١٨٩٣ وبلغ عدد المضربين فيه ٦٣٤ الف عامل واضراب سنة ١٩١٠ وبلغ عدد المضربين فيه ٥١٤ الفاً ، والاضراب الذى وقع فى السنة التى بعدها وقد شمل ٩٥٢ الف عامل . واضراب سنة ١٩١٢ وقد بلغ عدد المضربين يومئذ مليونا و ٤٦٢ الفا واضراب سنة ١٩١٣ وقد بلغ عدد المضربين فيه ٦٦٤ الفا

أما حوادث الاضراب بعد الحرب العظمى الماضية فاليك أهم ماوقع منها فى انجلترا :

السنة	مجموع عدد المضربين	السنة	مجموع عدد المضربين
١٩١٨	١ ١١٦٠٠٠	١٩٢٠	١ ٩٣٢ ٠٠٠
١٩١٩	٢ ٥٩١٠٠٠	١٩٢٦	٢ ٧٣٤ ٠٠٠

ومما يجدر بالذكر أنه كلما كثر عدد المضربين قلت مدة الاضراب لان الاموال التى فى صناديق النقابات تنفد بسرعة . ويؤخذ من بعض الاحصاءات التى لدى مكتب العمل الدولى بجنيف أن نحو ٤٦ فى المائة من حوادث الاضراب التى وقعت بعد الحرب العظمى الماضية لم تطل أكثر من اسبوعين ، ونحو ١٤ فى المائة طالت نحو ستة أسابيع . وما بقى من تلك الحوادث كانت مدته تختلف من اسبوع الى خمسة أسابيع

بسطنا فيما تقدم أسباب الاضراب العامة . ويدلنا الاختبار على أن الجانب الاكبر من حوادث الاضراب ينشأ عادة عن الاسباب الآتى بيانها :

١ ــ الاجور
٢ ــ ساعات العمل وأيام العطلة والراحة
٣ ــ ضمان مستقبل العامل
٤ ــ معاش العامل أو مكافأته

واذا تذكرنا عواقب الاضراب الخطيرة وما قد ينجم عنها من الاضرار لكلا فريقى العمال وارباب الاعمال لم يبق موضع للدهشة مما يبذله زعماء كل من الفريقين لتسوية النزاع . والاختبار يثبت لنا أن معظم حوادث النزاع تنتهى بصلح هو فى الغالب فى مصلحة أرباب الاعمال دون مصلحة العمال. وهذا مظهر من مظاهر المبدأ القائل بان الحق للقوة . وهو سبب فشل الكثير من حوادث الاضراب . وفى الواقع أن الاضراب قلما يسفر عن نصر حاسم لفئة العمال . وكل ما يمكن أن يقال إنه قد يسفر عن نصر جزئى لهم أو عن تحسين طفيف فى حالتهم . وفى الاحصاءات أن واحدا وعشرين فى المائة فقط من حوادث الاضراب التى وقعت فى بلدان الدول الممثلة فى عصبة الامم بعد الحرب العظمى كانت نصراً حاسما للعمال . وما بقى منها كان نصراً حاسما لارباب الأعمال أو تصالحا فى مصلحتهم

قلنا فى صدر هذه المقالة ان الاضراب لم يكن معروفاً عند الاقدمين لان العامل ما كان يجرؤ على الخروج على أوامر سيده أو شق عصا الطاعة عليه . وفى الواقع أن حوادث الاضراب بمعناها الصحيح لم تعرف فى أوربا وأميركا إلا فى أواخر القرن الثامن عشر . ويقول بعض المؤرخين ان الاضراب بمعناه الحقيقى عرف أولا فى الولايات المتحدة وكان ذلك فى سنة ١٧٨٦ اذ اضرب عمال احدى المطابع بمدينة فيلادلفيا طالبين أن تكون اجرة العامل ستة ريالات فى الاسبوع على الاقل . نعم وقعت حوادث اضراب قبل ذلك العام ولكنها لم تكن اضراباً بالمعنى الصحيح . وباتساع نطاق الاعمال اتسعت نهضة العمال فكان نصيب الولايات المتحدة من حوادث الاضراب أكبر من نصيب غيرها ، فقد كان متوسط عدد ساعات العمل هنالك عشراً والاجور مخفضة جداً . وقد بلغ عدد حوادث الاضراب فى أمريكا من سنة ١٨٣٣ الى سنة ١٨٣٧ مائة وثلاثة وسبعين اضراباً . وحدثت هدنة طويلة بعد ذلك بين العمال وأرباب الاعمال فلم يقع سوى حوادث قلية . ولكن هذه الحوادث تجددت بشدة بعد الحرب الاهلية . وبلغت منتهى شدتها بعد الحرب العظمى الماضية . ولعل أعظم اضراب وقع فى التاريخ هو اضراب سنة ١٩١٩ فى الولايات المتحدة فقد بلغ عدد المضربين يومئذ أربعة ملايين عامل ومائة وستين الفا . وما يصدق على انجلترا وأميركا من أسباب حوادث الاضراب ونتائجها يصدق على جميع بلدان العالم . ولكن هذه الحوادث تكثر أو تقل بنسبة اتساع نطاق الاعمال فى البلاد . ويؤخذ من التقارير التى لدى مكتب العمل الدولى بجنيف ان حوادث الاضراب على أقلها فى بلاد السكندناف وعلى أكثرها فى شمالى أوربا وغربيها ووسطها

ومما يلاحظ ان حوادث الاضراب تقل أو تزول بتاتا فى ابان الحروب لان الحرب توجه أفكار الشعب عادة الى التعاون على احراز النصر ، فضلا عن أن القوانين العسكرية تأخذ المضربين فى ابان الحرب بمنتهى الشدة وكثيراً ما تجندهم وتبعث بهم الى ميادين القتال لتحول دون اضرابهم

الموسيقى في مصر الحديثة

حديث للدكتور محمود الحفني

أذيع في محطة راديو الحكومة الالمانية

في صيف هذا العام سافر الدكتور محمود الحفني مفتش الموسيقي بوزارة المعارف الى المانيا في مهمة رسمية تتعلق بالموسيقى . وزار في رحلته الغرفة الموسيقية الالمانية ، فطلبت منه محطة راديو الحكومة الالمانية ببرلين ان تذيع حديثاً له مع الرحالة البحاثة هانز هكمان عن الموسيقى في مصر الحديثة. وحددت لاذاعته أوائل اغسطس، ولكن حدث ان توفي رئيس الجمهورية الالمانية في ذلك الوقت ثم اعقبته الانتخابات فتأجل برنامج الاذاعة . ولما كان الدكتور الحفني لا يستطيع البقاء طويلا في المانيا ، فقد سجلت المحطة هذا الحديث على اسطوانات في ٨ أغسطس. ثم أذاعته بواسطة هذه الاسطوانات في ٦ نوفبر الماضي . وهذه ترجمة الحديث من الالمانية

هكمان - إنى لمغتبط عظيم الاغتباط ان أقدمك يا حضرة الدكتور محمود الحفنى أمام الميكروفون الى حضرات مستمعينا من الشعب الالمانى . وانه لما يزيد فى سرورى انى مدين لك ولوطنك بالشيء الكثير . إننا يوم افترقنا فى القاهرة من عهد ليس بالبعيد ، لم يجل بخاطر أحد منا اننا سنتلاقى معاً أمام ميكروفون الاذاعة الالمانية . . ان الهيئات والاوساط الموسيقية فى المانيا تعلم جيداً غرض رحلتك العلمية وزيارتك للغرفة الموسيقية الحكومية . فهل لك ان تتكرم فتحدث من لم يعلم ذلك من حضرات المستمعين عن الغرض من زيارتك المانيا ؟

الحفنى - إننا فى مصر نعمل جهد استطاعتنا فى متابعة الحركة الفكرية والثقافية فى أوربا لنعرف أحدث أساليبها . ولما كنت قد درست فى المانيا وتغيبت عنها بضعة أعوام فقد رغبت فى ألا أقطع صلتى العلمية بها . على انى عازم كذلك على زيارة بعض ممالك أخرى أثناء رحلتى هذه . وقد وقفت فى مدة وجودى الآن فى المانيا على النظام الجديد للحياة الموسيقية فيها والانظمة الحديثة للغرفة الموسيقية الحكومية ، وتتبعت ذلك كله بشغف كبير

هكمان - لقد حدثتنا فى الغرفة الموسيقية الحكومية أثناء زيارتك الاخيرة لها ان مهمتك تعنى فى الاهم مسائل التعليم الموسيقى ، فهل لك ان تحدثنا عن المنزلة التى تشغلها الموسيقى فى مدارسكم المصرية ؟

الحفنى - ان مصر الحديثة لتعرف تماماً أهمية الموسيقى فى المدرسة . واننا جادون منذ بضع

سنين فى ادخال الموسيقى كمادة الزامية فى المدارس . وذلك بطريق تعميمها تدريجاً فى السنوات الدراسية عاماً بعد عام . ولقد أصبحت الموسيقى اليوم درساً الزامياً فى جميع فصول مدارس البنات الابتدائية ، وكذلك جميع فصول رياض الاطفال التى تعتبر فى مصر كمدارس تحضيرية للمدارس الابتدائية تتفاوت اعمار أطفالها بين الخامسة والثامنة

هكمانه - وهل تتبع جميع مدارسكم طريقة واحدة فى التدريس ؟ وهل هناك نظام موضوع أو خطة معينة يتبعها المعلمون ؟

الحفنى - نعم ان لكل نوع من أنواع المدارس المختلفة برنامجاً خاصاً . والمعلمون والمعلمات - ولو انهم يتمتعون وفق تعاليم التربية الحديثة بحريتهم فى طريقة التدريس - ملزمون جميعاً باتباع برنامج معين موضوع للدراسة . ولقد وجدنا فى تدريس الموسيقى ان أحسن طريقة تناسب أطفالنا الصغار هى طريقة « القرار دو » . ولكننا نقصر استعمال هذه الطريقة على رياض الاطفال . أما بعد انتقال الاطفال الى المدارس الابتدائية حين يكونون فى الثامنة من أعمارهم فيلقنون دروس القواعد الموسيقية الاولية الخاصة بكتابة الموسيقى ومعرفة المفاتيح وتمييز علامات الايقاع والتحويل . وبالجملة يتعلمون التدوين الموسيقى بالطريقة المعتادة الشائعة فى أوربا

هكمانه - إذا كانت الاطفال تتلقى موسيقاهم بالطريقة الاوربية كما تقول ، اذن فتربيتهم الموسيقية أوربية بحتة ومعرفتهم للموسيقى العربية ضعيفة ؟

الحفنى - كلا . فان أطفالنا يلقنون الموسيقى العربية منذ أول عام يلتحقون فيه برياض الاطفال . وهم يلقنون ذلك فى شكل أغان والعاب موسيقية تحمل فى تركيب ألحانها ارباع الاصوات . وعند ما يكبرون قليلا وينتقلون الى المدارس الابتدائية يبدأون فى دراسة قواعد الموسيقى العربية ، والفوارق الجوهرية بين هذه الموسيقى والموسيقى الغربية

هكمانه - وفى أى سنة دراسية ينص برنامج قواعد الموسيقى على تدريس أرباع النغمات التى تعتبر طابع الموسيقى العربية ؟

الحفنى - هذا يحدث فى برنامج السنة الثانية الابتدائية وهى السنة التى نبدأ فيها بتدريس قواعد الموسيقى العربية خاصة . فيتلقى الاطفال فى هذه السنة مقام الراست . . .

هكمانه - أرجو ان تسمح لى ان أقاطعك قليلا ، فان الكثيرين من سامعينا قد لا يعلمون ما هو المقام : إن الموسيقى الشرقية تطلق كلمة المقام على كل مجموعة خاصة من النغمات مرتبة ترتيباً سلمياً . ويمكن ان نترجم ذلك فى لغتنا بالسلم الموسيقى تقريباً .. فأنتم تبدأون درس القواعد العربية بمقام الراست ؟

المفتى ـ نعم، وذلك لان مقام الراست يعتبر أساس سائر المقامات الاخرى، ولانه يشتمل كذلك على أرباع النغمات . ولما كانت الموسيقى العربية تحتوى عدداً كبيراً جداً من المقامات وكان الدرس الموسيقى فى المدرسة اجبارياً على جميع التلاميذ يشترك فيه ذوو الاستعداد الموسيقى وضعيفو الاستعداد، فقد اخترنا من بين تلك المقامات أهمها لتقريب الفهم وتبسيط الدرس . وهكذا ترى ان أطفالنا لا يعانون مشقة دراسة تلك المادة انما يتلقونها فى بساطة الالعاب . وأما سائر المقامات الاخرى التى لا تدخل فى نطاق برنامج المدرسة فقد احتفظنا بها للتلاميذ الذين يرغبون التخصص فى الموسيقى والانقطاع لدراستها فيما بعد فى المعهد الموسيقى

هكمانه ـ وهل يتلقى التلاميذ فى المدرسة دروس العزف بالآلات ؟

المفتى ـ دروس العزف من اختصاص المنزل وليس من اختصاص المدرسة . لذلك ليس للعزف فى مدارسنا المنزلة التى للاناشيد والدروس الموسيقية الاخرى . على اننا بالرغم من ذلك نعمل فى المدرسة لتشجيع دروس العزف ونجعل فرق المدارس أول من يتصدر الحفلات المدرسية . وكل مدرسة ملزمة باعداد فرقة خاصة لها من بين تلاميذها او تلميذاتها . وقد كانت الفرق الموسيقية التى تألفت من أطفال المدارس وتلميذاتها فى العرض الموسيقى العام فى نهاية هذا العام الدراسى موضع الاعجاب التام . وقد اشترك أكثر من ستمائة طفل وطفلة فى الغناء معاً والعزف بالكسيلوفون والعود وآلات أخرى متعددة . وقاموا أثناء ذلك بتمثيل مناظر خاصة تمثل الحياة المصرية فى صورها التاريخية المختلفة القديم منها والحديث

هكمانه ـ هل تسمح أن تحدثنا عن معاهد الموسيقى عندكم ؟ وهل هى خاضعة لأشراف الحكومة أو هى معاهد خصوصية بحتة ؟

المفتى ـ إن معهدنا الملكى للموسيقى العربية مشمول برعاية حضرة صاحب الجلالة الملك وخاضع لأشراف وزارة المعارف العمومية فنياً ومالياً . هذا المعهد له إدارة خاصة به تتألف من شخصيات مصرية بارزة وله كذلك مكتبة خاصة ومتحف للآلات الموسيقية و « صالة » شرقية تزدان بأجمل النقوش تتوافر فيها أحدث الشروط الفنية . والمهمة الأولى لهذا المعهد هى تخريج موسيقيين يعرفون دقائق الموسيقى العربية ليقوموا بتغذية موسيقانا القومية ويدفعون عنها تيار الموسيقى الغربية وغزو الاسكتشات الأوربية . ومتخرجو هذا المعهد فريقان : فريق يزاول مهنة التعليم ، والآخر يحترف الموسيقى كفن . وقد تيسر لنا أن ندبر لجميع متخرجى هذا المعهد فى عامه الماضى على أثر انتهائهم مباشرة من دراستهم وظائف فى مدارس الوزارة . وأساتذة هذا المعهد يختارون من الطبقة الممتازة للموسيقيين فى مصر

هكمايه - وهكذا تكون مصر جنة الموسيقيين الشرقيين . وأى المواد تدرس فى معهدكم هذا؟

الحفنى - يدرس فى معهدنا من العلوم النظرية أصول التاليف والتاريخ الموسيقى وعلم الآلات والتربية وغير ذلك من العلوم النظرية . أما العلوم العملية فأولها تعليم الغناء والعزف بالآلات . والأفضلية لدينا طبعاً للآلات الوترية . وذلك لأنها خير ما يؤدى أرباع النغمات والآلات الاساسية فيها هى العود . وكذلك يدرس القانون والسنتور وأسرة الكمنجة بأنواعها والرباب . وكذلك تدرس آلات النفخ ، وعلى الأخص الآلة التى توارثناها منذ القدم وهى « الناى » . ويتعلم التلاميذ فوق هذا أيضاً أنواع الايقاع والضرب بآلات النقر المتنوعة

هكمايه - إنه ليتضح لنا من ذلك أن مصر مع احتفاظها بالطابع الاصلى للموسيقى العربية قد انتفعت انتفاعاً كبيراً بأحدث طرق التربية ، وعرفت كيف تعمل مزاجاً واحداً من شيئين مختلفين وغير مؤتلفين فى العادة ، وهما الموسيقى القومية القديمة والموسيقى الحديثة . ولكن هل صادف إدخال هذه المبادىء الحديثة اعتراضات شديدة من الطبقات الرجعية فى الشعب ؟

الحفنى - كلا . لانه يجب ألا ننسى أننا وإن كنا نأخذ باسباب التقدم فى العلوم الموسيقية فاننا ما زلنا عن قصد متمسكين بالقديم فيما يختص بالفن . وإننا لنرغب فى إحياء عهد العباسيين وعصر الاندلس ، وان كنا نستخدم فى هذا السبيل أحدث الوسائل التى نستطيع أن نصل بها الى غرضنا ، فلا بد أن يجرى هذا دون مساس بطابع هذه التركة القديمة . ولاجل أن نسلك فى ذلك طريقاً آمناً عقدت مصر مؤتمراً دولياً للموسيقى العربية دعت اليه علماء هذه الموسيقى من جميع العالم لبحث المسائل الجوهرية الخاصة بالموسيقى العربية

هكمايه - إننا نعرف هذا المؤتمر وقد كان له صدى كبير فى الاوساط الموسيقية ، فهل تتكرم بان تحدث حضرات مستمعينا بعض الشىء عنه ؟

الحفنى - إنه منذ اضمحلال دولة الاندلس والموسيقى العربية فى تدهور عام فى جميع الممالك الاسلامية . ونظراً لان مصر الحديثة تعلم ما للموسيقى من الاهمية فى حياة الشعب وثقافته العامة فانها تجد منذ زمن بعيد فى استعادة مجدها الموسيقى . وقد وجدنا محمد على باشا جد والد حضرة صاحب الجلالة الملك الحالى يؤسس خمس مدارس حكومية لتعليم الموسيقى . وكما أنكم تعلمون أن اسماعيل باشا والد جلالة الملك قد شمل برعايته الموسيقار العالمى « فردى » وكان تأليف « عائدة » بناء على أمره العالى ، كذلك كان حامياً للفن القومى مشجعاً له فقد قرب اليه موسيقارنا المعروف « عبده الحامولى » الذى تلقبه مصر باستاذ المدرسة الحديثة للموسيقى العربية . واستحضر اسماعيل باشا الى مصر الموسيقيين من استنبول ليمد الموسيقى المصرية بدم جديد غير أجنبى عنها

جميع هذه المحاولات الموفقة لاسترداد مجد الموسيقى العربية قد بلغت ذروتها فى عهد حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول الذى تشمل رعايته العالية جميع مرافق الحياة المصرية . وقد عنى جلالته بكل أنواع الثقافة وفى مقدمتها الموسيقى وبكل ما من شانه إحياء المجد القديم فى كل ناحية من النواحى . وجلالته صاحب فكرة عقد مؤتمر الموسيقى العربية الذى تحدثت عنه الآن

هكمانه ـ لقد حدثتنا عن عزمك على زيارة استنبول وآسيا الصغرى قبل عودتك الى وطنك الجميل ، فهل لى أن أسأل عن الدافع لهذه الزيارة ؟

الحفنى ـ كما أننا نجاهد فى الحصول من أوربا على أحدث الاساليب فيما يتعلق بالتربية والطرق الفنية والعلوم الموسيقية عامة ، كذلك نسعى من جهة أخرى لان نجمع من الشرق كل ما لا يزال متوافراً لديه مما يكون ذا قيمة لموسيقانا

وقد سبق أن حدثتك عن رحلتى منذ بضع سنين الى ممالك شمالى أفريقية لنفس هذا الغرض . وإنى أرغب فى متابعة زياراتى للممالك الاسلامية الاخرى لأنقب فيها عن المخطوطات الموسيقية وأبحث عن كل ما له قيمة موسيقية

وانا لنفعل كل ذلك كى تصبح مصر كما كانت فى الماضى مركزاً للشرق وقبلة جميع ممالكه فى سائر الثقافات لا سيما الموسيقى العربية

• قال لويس الرابع عشر وهو على فراش الموت :

« اريد أن يستفيد ملوك فرنسا من الاخطاء التى ارتكبتها فى حياتى وهى كثيرة ! »

• ومن المعروف عن الامبراطور شارل الخامس المشهور بشارلكان ، ملك اسبانيا وامبراطور المانيا ، انه كره الملك فى آخر ايامه واعتكف فى أحد الاديرة ، وقال مرة للرهبان الذين كانوا يقومون بخدمته :

« لو علم الناس قبل السعى الى المجد ، متاعب هذا المجد ، لتجنبوه كما يتجنبون الأوبئة ! »

وقال لذويه فى احد مجالسه الخاصة :

« تطلبون منى ان اكتب لكم وصاياى ، ولكنها ليست كثيرة ولا تستحق الكتابة : الشجاعة والصدق . هذا كل ما اوصيكم به ! »

الوفاء*

أغنية روائية للشاعر الالماني فريدريخ فون شلر

احتفلت الأمة الالمانية فى اليوم العاشر من نوفبر الماضى بمرور مائة وخمس وسبعين سنة على ميلاد شاعرها العبقرى فريدرخ فون شلر، وهو مع جوته يعدان فى طليعة الشعراء والادباء الألمان، فقد اغنيا لغتهما باشعارهما وقصائدهما وكتبهما الكثيرة القيمة . وهاك ترجمة أغنية روائية (Ballade) من آثار شلر الخالدة بناها على اسطورة يظن البعض ان مصدرها يونانى، ويرجح بعض النقاد الالمان أن المؤلف استقاها من مصدر عربى ولكنه حورها وعين مكان حدوثها جزيرة صقلية وبطلها ديونيسوس الطاغية الذى ظلم شعبه وارتكب اموراً شائنة

وخلاصة المصدر العربى ان المنذر بن ماء السماء جد النعمان بن المنذر كان ينادمه ذات ليلة خالد بن المضلل، وعمر بن مسعود الاسديان، فشرب حتى غاب عن صوابه، فراجعه نديماه فى بعض الحديث، فغضب، وأمر بقتلهما، فلما أصبح وصحا سأل عنهما فاخبر بما حدث فندم وأمر ببناء قبرين لهما، وجعل لنفسه فى كل سنة يومين : يوم بؤس، ويوم نعيم، فمن دخل عليه فى يوم بؤسه أمر به فيقتل ويغرى بدمه القبران . ولذلك اشتهرا بالغريين، ومن دخل عليه فى يوم نعيمه منحه مائة من الابل

واتفق انه خرج يوماً للصيد، فضل الطريق، وانتابه الجوع، فلجأ الى بيت اعرابى من طىء يدعى « حنظلة بن عفراء »، فاكرم مثواه وهداه الطريق، فاخبره المنذر انه ملك الحيرة وطلب منه ان يسأله ما يريد . فشكر له حنظلة، ووعده انه سيلجأ اليه إذا وقع فى ضيق . وحدث ان انتابت حنظلة صروف الزمان، فرحل الى المنذر، فصادف دخوله عليه يوم بؤسه . فأسف المنذر ووجد أن لا مفر من قتله . فقال حنظلة : « أتيتك زائراً ولأهلى مائراً فلا تكن ميرتهم قتلى »! فقال المنذر : « لابد من ذلك . وسلنى حاجتك اقضها لك »، فقال حنظلة تؤجلنى سنة ارجع فيها الى اهلى، وأحكم أمرهم ثم ارجع اليك فى حكمك، قال : « ومن يتكفل بك حتى تعود ؟ »، فنظر فى جلسائه فعرف فيهم شريك بن عمرو . فكفله شريك فلما انتهت السنة وجاء اليوم الموعود وهم الملك بقتل الكفيل إذا بحنظلة يأتى متكفناً متحنطاً ، فلما رآه المنذر عجب من وفائه فاطلقه وأبطل تلك العادة

---

* فى الاصل الكفالة « Buergschaft. »

تلك خلاصة القصة العربية التى يعتقد النقاد الالمان انها مصدر هذه الأغنية القصصية التى الفها شلر. أما الاغنية فنحن نترجمها نثراً بما يلى :

° ° °

انسل مورس إلى ديونيس الطاغية، وخنجره طى ثيابه ، فقبض عليه الحراس وقيدوه بالاغلال - سأله الطاغية غاضباً :

ـ ماذا كنت تريد بالخنجر ؟

ـ كنت أريد ان انقذ المدينة من الطاغية !

ـ ستندم على جريمتك امام المشنقة !

ـ إنى أرحب بالموت ، ولا أطلب العفو ، ولكن هل لك ان تمد فى أجلى ثلاثة ايام حتى أحتفل بزواج شقيقتى ؟

ـ ومن يكفلك حتى تعود ؟

ـ صديقى . . .

ابتسم الملك ابتسامة السخرية ثم قال :

ـ وهبتك ثلاثة أيام . ولكن اذا انقضت الايام ولم تعد إلى فانى قاتل الكفيل لا محالة

وقصد تو اً صديقاً له وتوسل اليه أن يكفله حتى يعود ، فعانقه الصديق ولم يلبث ان سلم نفسه للطاغية . واما مورس فسار الى أهله واحتفل بزواج اخته وعاد مسرعاً وقلبه يخفق خوفاً من أن يتأخر وصوله عن الوقت المعين . وانه فى عودته وإذا بالجو يتلبد بالغيوم والامطار تنسكب كأفواه القرب والسيول الجارفة تنحدر من الجبال فتطغى الجداول والانهار . وعندما يصل الى النهر ويدرك الجسر ، يندك الأخير دكا لشدة الامواج والعواصف

فاخذ الجزع منه كل مأخذ وجعل يسير على ضفة النهر على غير هدى يجيل طرفه هنا وهناك ويرسل صوته عالياً طالباً الاغاثة فلا يعثر على قارب واحد من قوارب صيادى السمك ليجتاز به النهر

ثم يصلى رافعا يديه الى زفس الاله متضرعا ان تهدأ العواصف والسيول حتى يذهب لاغاثة الصديق ، ولكنها لاتهدأ والنهر يفيض وتتلاطم أمواجه ، وتتلو الساعة الساعة ، فيستولى الذعر عليه ثم يقذف بنفسه فى اليم ويكافح الامواج بذراعيه القويتين حتى يدرك الشاطىء الآخر سالما فيجد فى المسير . وبينما هو فى طريقه وإذا بعصبة لصوص تنسل من الغاب الكثيف فتعترض طريقه وتريد قتله ويهوى أحدهم عليه بهراوة فيخطئه

ويصرخ بهم : « ماتريدون ايها الأوغاد ؟ لست أملك إلا حياتى ويجب على أن اقدمها للملك ! » ثم يختطف الهراوة فيصرع بها ثلاثة منهم ويلوذ الباقون بالفرار

وترسل الشمس أشعتها وقد ضعفت قواه ونال منه الاعياء والعطش فيسقط على ركبتيه ويبتهل الى الهه : « يا من نجيتني من اللصوص الاشرار وأخرجتني سالماً برغم السيل الجارف الى ارض الميعاد لا تسمح بهلاكي عطشاً ، وقتل الصديق الذي كفلني »

وانه لكذلك واذا به يسمع بالقرب منه خرير جدول ماؤه صاف كاللجين ، قد انفجر من صخرة صماء . فيزحف اليه زحفا فيشرب وينتعش وتخامره بهجة وارتياح وتعود اليه قواه ويسير في غاب بين الاشجار التي تتخللها أشعة الشمس فترسم على الارض ظلال الاغصان المتحركة ، ثم يصادف رجلين سائرين في الطريق يتحادثان فيسمعهما يقولان : « الآن يعلق... على المشنقة ! » فيجزع ويهلع فؤاده ثم يرى عن بعد وقد دخل في المساء ، اعلى اسوار مدينة سيرا كوس (صقلية) ويقابله اتفاقاً فيلوستراتس ، الامين لبيت الملك ، فيعرفه ويسدي اليه النصح وهو في غاية الدهشة من قدومه ! ويقول له :

« عد من حيث جئت ! ـ لن تنقذ الصديق بعد ان فات الأوان . ان صديقك يعلق الآن في المشنقة ! ـ وقد كان ينتظر قدومك من ساعة الى أخرى ويتوق الى لقائك ! ان هزؤ الطاغية وسخريته لم يستطيعا ان ينزعا ايمانه الوطيد بالأمانة والوفاء »

فيجيبه : « هب ان الوقت قد فات وتعذر على انقاذ الصديق . ولكني سأذهب ليقتلني الطاغية كما قتل صديقي حتى لا اكون حجة له في المجاهرة بأن الصديق خان صديقه ! ليقتلنا كلينا وليعلم ان المحبة والامانة موجودتان »

وتكاد الشمس تغيب فيدرك باب المدينة ويرى المشنقة منصوبة والجمهور محتشداً حولها ويشاهد صديقه الامين يقاد الى المشنقة ، فيهجم مورس هجوما عنيفا مخترقا الجمهور الصامت وهو يصرخ : « أيها الجلاد مهلا ، اياي فاشنق ، ها قد حضر من كفله هذا الكريم »

فيدهش الحاضرون ، ويتعانق الصديقان وتفيض عيونهما بالعبرات ، ويسرع احد اعوان الملك ليخبره بالحادث الغريب ، فيتأثر الملك ويأمر بمثول الصديقين أمامه

وينظر اليهما الملك بدهشة ، ثم يهتف بهما : « لقد ألمتما قلبي بوفائكما واخلاصكما وارجو ان اكون لكما الثالث في عهد الصداقة والامانة والمحبة »

بيت لحم (القدس) ابراهيم ميخائيل عطاء

سيدة تنقذ آلافاً من المنتحرين

[خلاصة مقالة عن مجلة آسيا .
بقلم السيدة اليزابيث أندرس]

السيدة « نوبو جو » سيدة يابانية معروفة فى جميع انحاء اليابان لقيامها بعمل مبرور لايخطر ببال أحد . فقد وقفت حياتها على مكافحة عادة « الهارا كيرى » أى الانتحار على الطريقة اليابانية،وهى أن يعمد المنتحر الى بقر بطنه بسكين كبير . ولا يخفى أن الخلق الياباني يمازجه شى من اليأس من الحياة . وقد أودى هذا الخلق بحياة الالوف من الشبان والشابات من جميع الطبقات ممن يندفعون الى الانتحار بطريقة « هارا كيرى » أو بالقائهم بأنفسهم فى فوهات البراكين . أو بابتلاعهم السموم المختلفة أو بوثبهم من فوق جبل عال أو بالقائهم بأنفسهم أمام القطرات أو بما الى ذلك من طرق الانتحار . وكثيراً مايعتبر اليابانى الانتحار فرضاً مقدساً وواجبا يستدعيه الشرف . وهنالك أسباب عدة تحتمه عليه

فهنالك الدواعى الغرامية — وما أكثر انتحار المحبين — وخسارة المال ، والافلاس ، والاعتقاد الشائع بين الشعب بأن الانتحار شرف ودليل على الشجاعة والاقدام وأنه يغسل كل عار . وفى الواقع أن اليابانى ينظر الى الانتحار بعين الافتخار

وفى السنة الماضية كانت الصحف اليابانية تكثر من الكلام على حوادث الانتحار وقد ذكرت عدة وقائع معينة . فن عشاق ألقوا بأنفسهم فى فوهة بركان ميهارا ، الى طلبة انتحروا بوسائل مختلفة لاسباب تافهة ، الى أشخاص آخرين دفعهم اليأس الى وضع حد لانفاسهم . وبلغ من كثرة تلك الحوادث أن الجماهير كانت تقصد كل يوم الى « بركان ميهارا » لرؤية المقبلين على الانتحار ولسان حال كل منهم يسأل : من التالى ؟ ولا يكاد السؤال يجول بخاطرهم حتى يثب الى فوهة البركان شخص واحد أو شخصان عاشقان احدهما ممسك بيد الآخر . وما هى إلا هنيهة حتى تصهر الحمم جثث أولئك الضحايا ويجىء دور غيرهم،والمشاهدون عند سفح البركان يصيحون : « من التالى ؟ » . ويلى ذلك سكوت رهيب ثم يبرز تاعس آخر وقد خلع قبعته ورداءه والناس ينظرون اليه كأن على رءوسهم الطير ... وهنيهة أخرى ! ... واذا ذلك التاعس يقذف بنفسه فى فوهة البركان فتلتهمه الحمم

وقد انتشرت عدوى الانتحار فى اليابان ، وليس فى العالم كله بلاد أكثر ملاءمة منها لانتشار هذه العدوى . وفى الواقع أن الذى يتأمل فى حوادث الانتحار بين اليابانيين يستدل منها على أن الحياة لاقيمة لها فى نظر القوم . فاليابانى ينتحر لأتفه الأسباب ، ويعتقد أن الانتحار لايغسل

العار فقط ، بل يشرف الانسان أيضا وهو لايسلم بذلك المبدأ القائل : « كلب حى خير من أسد ميت »

ومن امثلة نفسية الذين يقدمون على الانتحار لأتفه الاسباب أن خادمة كانت تشتغل عند أسرة يابانية بمدينة يوكوهاما كسرت عدة صحون ، فوبختها سيدتها على ذلك وتهددتها ان هى كسرت صحناً آخر أن تغرمها ثمنه . فثقلت وطأة التوبيخ على الخادمة فذهبت الى ادارة البريد وأخذت ما كان لها من نقود فى « صندوق التوفير » — ولم يكن يزيد على ما يعادل جنيهين فقط — وكتبت الى سيدتها خطابا قالت لها فيه انها تترك لها كل ما تملكه لدفع ثمن الصحون التى كسرتها ثم لبست أحسن « كيمونو » عندها وذهبت بكل هدوء والقت بنفسها فى البحر كأن الحياة لا قيمة لها

وقد هالت حوادث الانتحار السيدة « نوبوجو » التى اشرنا اليها فى صدر هذه المقالة . فعزمت أن تقوم بعمل لمنع تلك العادة . ولما كانت مدينة « سوما » من أهم مناطق الانتحار فى اليابان فقد اتخذتها السيدة المذكورة مركزاً عاما لاعمالها.وقد اشتهرت مدينة « سوما » بجمال مناظرها الطبيعية . وكان الكثيرون من الشبان والشابات المبتلين بالغرام يقصدون الى ضواحى تلك المدينة لينتحروا بالقاء أنفسهم أمام القطارات الحديدية . وبفضل مساعى السيدة « نوبوجو » وضعت الحكومة حراساً على الخطوط الحديدية لمنع المقدمين على الانتحار . وقد أسفرت هذه الطريقة عن انقاذ حياة الكثيرين والكثيرات . ومع ذلك بلغ عدد المنتحرين هنالك فى السنة الماضية ١٧٩ منتحراً ومنتحرة

ومن الوسائل التى لجأت اليها السيدة « نوبوجو » انها وضعت فى « مناطق الانتحار » بطاقات كبيرة مكتوبا عليها : « ايها المقدم على الانتحار ! اذهب أولا وقابل السيدة نوبوجو . . . وبعد ذلك فعل ماتشاء » وقدنفعت هذه الطريقة كثيراً جداً ، فان الكثيرين والكثيرات يذهبون اليها فتردعهم عن الانتحار ببلاغتها وقوة حجتها . وفى الواقع أنها تستعمل وسائل الاقناع المختلفة تبعاً لحالة كل واحد منهم وبمقتضى نفسيته والاسباب الدافعة له الى الانتحار . وبفضل مساعيها قد أنشىء اليوم فى أهم « مناطق الانتحار » فى اليابان ملاجىء لايواء البائسات والبائسين ممن تنقذهم من الانتحار ولايجاد العمل اللائق بهم . وكثيرون منهم يعيشون اليوم سعداء هانئين . ويقدر عدد الذين انقذتهم السيدة « نوبوجو » فى الستة الاعوام الماضية بنحو عشرة آلاف رجل وامرأة

ولا تقتصر مساعى السيدة « نوبوجو » على انقاذ الشبان والشابات من الانتحار فقط ، بل هى تبذل اليوم جهوداً لتحسين حال المرأة اليابانية ورفع مستواها وتسعى لايجاد الاعمال الملائمة لكل من يقصدها ممن يثبت لها أنه فى حاجة الى مساعدتها . وقد اشتهر اسمها بين اليابانيين ، والشعب اليابانى كله يحبها ويحترمها . ومن دواعى الارتياح أن جهودها قد أسفرت ولا تزال تسفر عن نجاح كبير

الانفعالات تعطل الهضم

[خلاصة مقالة عن مجلة ريدرز
دبجيست . بقلم جان بوجير]

يقول الاطباء ان نحو تسعين فى المائة من أمراض المعدة ليست ناتجة عن المعدة نفسها ولا عن الطعام الذى يتناوله الانسان . بل عن بعض الحالات التى يكون عليها الانسان فى ساعة تناوله الطعام والتى تسبب ارتباكا للمعدة

ومما لاريب فيه أن المعدة فى حالتها الصحية تستطيع هضم جميع الاطعمة الاعتيادية سواء قدم اليها كل طعام بمفرده أم قدمت اليها مجموعة من الاطعمة . ولكن اذا فكرنا فى أثناء عملية الهضم نفسها تفكيراً طويلا أفضى ذلك التفكير إلى ارتباك المعدة بسبب مجموعة الاعصاب التى تربط الدماغ (وهو آلة التفكير) بالجهاز الهضمى

وغنى عن البيان ان الحالات النفسية والانفعالات الشديدة تعطل سيل اللعاب فى الفم وتمنعه . وعندما يستولى الذعر على الانسان يشعر « بنشف الفم » . وبالعكس عندما يشم رائحة طعام شهى أو عندما يسمع حديثاً عن ذلك الطعام فان لعابه يسيل . وما يحدث للفم فى مثل هذه الحالات يحدث أيضاً للمعدة فان الحالات النفسية المبهجة تنشطها وتزيد فى قدرتها على الهضم ، والحالات النفسية المزعجة ، كالخوف والقلق والحزن والتعب ، تفعل عكس ذلك تماماً . وعليه فسهولة الهضم لاتتوقف على نوع الطعام فقط بل على الحالة النفسية التى يكون عليها المرء ، وعلى البيئة التى تكتنف المعدة

وتأثير الانفعالات فى عضلات الجهاز الهضمى واضح جداً فالخوف والحزن والغضب وأمثال هذه من الانفعالات تجعل عضلات ذلك الجهاز تتقلص تقلصاً عظيما — ولا سيما عضلات الامعاء . وهذا التقلص يسبب ارتباكا فى عملية الهضم وبطأ فى تفريغ المعدة . وكثيراً ما يسبب الخوف والارق والتعب والتهيج امساكا شديداً . « والثقل » الذى يشعر به الانسان فى معدته بعد تناول الطعام يدل فى أغلب الحالات على بطء تفريغ المعدة . وهذا البطء ينشأ فى أحوال كثيرة عن الاسراع فى الاكل

وقد قام الدكتور كانون — من أساتذة جامعة هارفرد بامبركا — بعدة تجارب لاثبات تأثير الانفعالات فى جهاز الهضم وفى وظيفته . ومن تلك التجارب انه أطعم مرة قطة ووضعها تحت جهاز أشعة اكس ليراقب سير « عملية الهضم » . وفى أثناء ذلك جاء بكلب شرس ووقفه أمام القطة ملقياً الذعر فى نفسها ، ولا حاجة إلى القول أن الذعر أثر فى الحال فى « عملية الهضم » وعطلهـا . وظل هذا التعطيل اربع ساعات متوالية

وما وقع لهذه القطة يقع لكل حيوان آخر وللانسان أيضاً . ومن الامور المعروفة انك اذا

ركضت على أثر تناولك طعاما دسما أو قمت بأى عمل رياضي أو أسرعت لتلحق بالقطار أو بغيره فانك تعطل « عملية الهضم »

وهنالك طريقة أخرى يفضى بها نشاط الدماغ الى اضطراب الجهاز الهضمى ووقوفه عن انجاز وظيفته وهى الوهم . والوهم سم قاتل يؤثر فى صحة الانسان وينغص عيشه . وله فى المعدة وفى وظيفتها تأثير لا يستطاع انكاره . فاذا توهم الانسان مثلا أن معدته ضعيفة أو ان بعض المواد الغذائية تفعل فيه فعل السم نشأ عن توهمه هذا ارتباك عظيم وتعطيل لوظيفة الهضم . وقد يبلغ هذا الارتباك حداً بعيداً بحيث يصبح كل ما يأكله المرء مؤذياً له . وإذ ذاك ينظر الى كل طعام نظرة ريبة وخوف . وكل هذا الاضطراب ناشىء عن تأثير الانفعالات النفسانية . وكثيراً ما يستشير المصابون بمثل ذلك الاضطراب أطباء اخصائيين ومنهم من يتعاطون الادوية المختلفة وقد يعرضون أنفسهم « للعمليات » الجراحية . ولكن الشفاء بعيد عن أمثال هؤلاء لان مرضهم نفسانى . والمرض النفسانى لاتزيله العقاقير الطبية ولا سكين الجراحى وانما تزيله معالجة أسباب ذلك المرض

أما ارتياب الانسان من بعض الاطعمة وخوفه منها فناشئان فى الغالب عن أن تلك الاطعمة ظلت غير مهضومة فى وقت من الاوقات لسبب من الاسباب التى تقدم شرحها . فرسخ فى عقل آكلها أن هضمها غير مستطاع أبداً . ولو عقل لعلم أن عسر الهضم نشأ عن النهم أو عن حالة من حالات الانفعال النفسانى الذى قد يكون عليه الانسان فى بعض الاحيان . وغنى عن البيان أن أثر ذلك الانفعال يظل طويلا وذكراه تبقى فى الذهن بحيث كلما وقع النظر على ذلك الطعام أحدث خوفاً أو نفوراً أو كرها . وهذا الشعور يكفى لاحداث سوء الهضم من غير أن يشعر الانسان بذلك

ومما يوضح لك تأثير الوهم فى « عملية الهضم » أن الكثيرين من الناس يعتقدون أنهم لا يستطيعون أن يأكلوا كيت من الاطعمة وأنهم اذا أكلوها أصيبوا بعسر الهضم لامحالة . واعتقادهم هذا وهم لا ريب فيه بدليل أنه اذا قدمت اليهم تلك الاطعمة من غير أن يعلموا أكلوها وهضموها بكل سهولة . من ذلك أن رجلا كان يعتقد اعتقاداً راسخاً أنه لا يستطيع أن يهضم البيض . وفى الواقع أنه كان كلما أكله أصيب بعسر الهضم أو تقيأه . الا أن الطبيب الذى كان يعالجه أعطاه بيضا ممزوجا بطعام آخر من غير أن يدرى فأكله الرجل وهضمه

إن ملايين من الناس يستولى عليهم الوهم بشأن ما يأكلونه ويشربونه . وهذا الوهم يجعلهم يجتنبون الطعام اثر الطعام الى أن تصبح المواد الغذائية التى يتناولونها محدودة تعد على رءوس الاصابع . واذ ذاك يصابون بسوء التغذية . وكثيراً ما تقودهم هذه الحالة الى النورستانيا . نعم ان بعض الاطعمة أسهل هضما وبعضها أكثر غذاء من غيرها الا أن الخطر الاعظم لا يتأتى من الاطعمة فى حد ذاتها بل من خلطها ومزجها معا ، ومن تناولها فى حالات تجعلها عبئا ثقيلا على المعدة . وبخاصة لان بعضها قد يحتوى على مواد قد خلت من الكمية اللازمة من الفيتامين

أهو نقص فى القوانين ؟

[خلاصة مقالة عن مجلة ليبرتي . بقلم
لنكن الكاتب الاجتماعى الاميركى]

يشكو الكثيرون من تفاقم الاجرام ومن ازدياد عدد المجرمين فى العالم ، ويعزون ذلك إلى نقص فى القوانين الجنائية بوجه الاجمال . وفى الواقع أن النقص ليس فى القوانين نفسها بل فى طرق تطبيقها وتنفيذها . ولو أن السلطتين القضائية والتنفيذية تعاونتا على تنفيذها بدقة ما استفحل الاجرام ووصل إلى حاله الحاضرة

لقد اعتاد الناس الاكثار من الانتقاد والقاء التهم جزافا بغير حق . وكثيراً ما يلومون رجال الشرطة ويتهمونهم بالتقصير وبالعجز عن القبض على المجرمين . والحقيقة أن رجال الشرطة يقومون بما يجب عليهم وكثيراً ما يخاطرون بارواحهم بالبحث عن المجرمين والقبض عليهم ، ولكن لسبب من الاسباب يطلق سراح المتهمين ليعيثوا فى الارض فساداً

يؤخذ من الاحصاءات الرسمية لسنة ١٩٣٢ انه وقعت فى أميركا نحو احد عشر الف جناية قتل وقبض البوليس على تسعة آلاف من مرتكبى تلك الجنايات . ومع ثبوت التهمة على معظمهم ان لم نقل على كلهم لم تحكم المحاكم بالموت الا على مائة وثلاثين منهما منهم فقط . وحكمت على نحو خمس الباقى بالسجن مدداً مختلفة وأطلق سراح الباقين

ويؤخذ من احصاء آخر أن مجموع عدد المسجونين فى الولايات المتحدة لا يقل عن ١٢٥ الفاً وان نحو نصف هذا العدد أو أكثر منه بقليل يخرج من السجن كل عام ليحل محله عدد مماثل له ، وأن نحو الفين يهربون من سجنهم ونحو أربعين الفا يطلق سراحهم بناء على وعدهم بعدم العودة الى الاجرام ! . .

ان هذه الفوضى ترجع إلى سببين مهمين أولهما فوضى « الاجراءات » القانونية ، وثانيهما مايبذله بعض المحامين من الجهود غير القويمة لاطلاق سراح المتهم ، غير مراعين هل هو مجرم أم غير مجرم ؟

ان قوانين جميع الامم المتمدنة كفيلة بكبح جماح المجرم بشرط تطبيقها تطبيقاً دقيقا . فلو كانت تطبق فى الولايات المتحدة مثلا ما كان عدد الذين تحكم عليهم المحاكم هنالك بالموت مائة وثلاثين فقط بل لأربى على الالوف . أما انجلترا فان محاكمها مشهورة بشدتها فى تطبيق الاحكام وبكونها لا تتهاون فى معاملة المجرم

أوليس مما يدعو الى الاسف أن يكون أسلوب « تحقيق الجنايات » واثبات التهمة أقرب الى السخرية منه الى الجد ، اذ تقوم أمام « المحقق » عقبات كثيرة هي فى الحقيقة باب فرج للمتهم ؟ فى

أميركا مثلا يستغرق تحقيق الجناية الاعتيادية سنة أو أكثر . وتستغرق المحاكمة سنتين أو ثلاث سنوات أو أكثر بسبب تكرار التاجيل. وغنى عن البيان أن المحاكمات التى تستغرق مثل هذا الوقت الطويل تسفر عن نتائج سيئة . فقبل أن تبدأ المحاكمة يكون نصف الشهود قد سافروا أو ماتوا أو تواروا عن الانظار لسبب من الاسباب . وقبل أن يصدر الحكم على المتهم يكون النصف الباقى من الشهود قد ملوا كثرة الترداد الى المحاكم للافضاء بشهاداتهم أو نسوا الوقائع الدقيقة بحيث تفقد شهاداتهم جزءاً كبيراً من قيمتها . ومثل هذا التطويل ليس من شأنه زجر المجرمين أو ارهابهم

واللوم فى ذلك كله واقع على العرف الذى يجرى بموجبه التحقيق والدفاع . ومما يدعو الى الاسف أن بعض المحامين يستندون الى هـذا العرف فيؤجلون المحاكمات رغبة فى تحقيق أمنية موكليهم سواء أكانت تلك الامنية تتفق والعدل أو لاتتفق . وأكثرهم يبنون دفاعهم على نظرية خيالية وهى أن المجرم يستحق العطف والشفقة لا القسوة ، وأن الاجرام مرض كسائر الامراض تجب معالجته بالحكمة لا بالانتقام . وانها لسخرية مابعدها سخرية ان نرأف بالقاتل ونشفق عليه ونحاول اصلاحه وليس فى العالم من يريده أو يريد الاتصال به حتى على فرض أنه تاب من جريمته

والغريب أن بعض الخياليين ينددون بعقوبة الموت ويطلبون الغاءها بحجة أنها قسوة لامسوغ لها وانها لاتحول دون الاجرام ! على أن العقل لايقبل هذا المنطق ولا يصدق أن عقوبة الموت ليست رادعاً كافياً . وفى الواقع أن هذه العقوبة لم تعط المهلة الكافية لاثبات صلاحها أو عدم صلاحها لردع الجناة وتقليل الاجرام . فالحكم بعقوبة الموت على مائة وثلاثين مجرماً فقط من أحد عشر الف مجرم ممن ارتكبوا جناية القتل فى الولايات المتحدة فى سنة ١٩٣٢ لايعتبر تجربة كافية لعقوبة الموت واختباراً وافياً لتأثيرها . واذا كانت الجرائم تزداد مع وجود هذه العقوبة فليس الذنب عليها بل على الذين لايطبقونها فى جميع الحالات التى تستلزمها . ولو أن المحاكم قضت بالموت على الفين أو ثلاثة آلاف من ذلك الجيش الجرار من المجرمين لكانت الحالة أدعى الى الارتياح ولتخلص العالم من الفين أو ثلاثة آلاف من المجرمين

ان انجلترا عانت فى أواخر القرن السابع عشر من شرور المجرمين مالم يعانه غيرها . فقد كانت لندن بؤرة للاجرام وفيها شوارع وأحياء لايجرؤ المرء على المرور بها . ولما استفحل الشر وكثر عدد المجرمين والسفاحين قام الانجليز قومة واحدة وارغموا حكومتهم على تقرير عقوبة الموت فصار كل من يرتكب جريمة القتل يلقى عليه القبض ويحاكم ويسلم الى السياف ، فلم يختم القرن الثامن عشر حتى كان الاجرام قد استؤصل من جذوره واستراح الانجليز من المجرمين

فلو أن جميع البلاد المتمدنة تشددت فى مطاردة الاجرام وفى معاقبة المجرمين فليس من المنطق فى شيء أن يقال إن عقوبة الموت لاتفى بما يطلب من استئصال الاجرام

أى البلاد تصلح للديكتاتورية

[خلاصة مقالة عن مجلة ميروار
دعوند . بقلم اميل لدفيج]

ان الشعب الاميركى لا يستطيع أن يتصور قيام ديكتاتور فى بلاده لانه يدرك قيمة الحرية الشخصية حق الادراك . وكاتب هذه السطور يعرف جميع النكات التى يرددها الناس عن تمثال الحرية المقام عند مدخل ميناء نيويورك . وفى الواقع أنه ما من شعب فى العالم – اذا استثنيا الانجليز والسويسريين – يدرك كالاميركيين معنى الحرية الحقيقية . فشعارهم أبداً قول جيته شاعر الالمان الاكبر : «يجب على المرء أن يحب كلمة الحرية ويعشقها ولو كانت مرادفة لكلمة الغلط»

والحرية موجودة فى خلق كل أميركى مهما كان وضيعاً . فمدير الشركة والفندق وخادم القهوة والشحاذ وغير هؤلاء – كل منهم يرفع رأسه شامخا بانفه . وكثيراً مايمر مدير الشركة السينمانوغرافية بموظفيه ، فلا يخطر ببال أحدهم أن يقف أمامموقفة احترام أو أن يوسع له الطريق . واذا استدعى ذلك المدير أحد موظفيه لم يهرع هذا الى مقابلته وقبعته بيده يخاطبه كما يفعل غيره بذلة وخضوع

ان كل فرد فى الولايات المتحدة – مهما كانت منزلته الاجتماعية – يعتبر نفسه فى مستوى رئيس الولايات المتحدة نفسه ، له ماهذا من الحقوق وعليه ما عليه من الواجبات . وما من رجل يعاملك أو من بائع يبيعك شيئاً الا وينتظر منك أن تحترمه وتعتبره كفوأً لك ، إذ من المحتمل أن يبلغ منزلتك فى أى يوم من الايام . حتى أن بائع الصحف فى الطريق لا يندفع نحوك ليبيعك صحيفة بل ينتظر منك أن تتقدم اليه لتشترى منه ماتريده وتنقده ثمنه من دون أن يضطر إلى مجاملتك

أما فى اوربا فالناس طبقات بينها حرب دائمة . وقد بلغ من شدة هذه الحرب أن الطبقات المتباينة منفصلة بعضها عن البعض ولا رابطة بينها الا رابطة العمل كالرابطة الموجودة بين السيد وعبده . ومظاهر ذلك الانفصال كثيرة تبدو فى كل عمل وحركة بل فى كل خطوة يخطوها الانسان . وهذا الانفصال قد جعل كل طبقة من الشعب غريبة عن غيرها ، وهو بلا شك سبب الفتن والثورات والاضطرابات التى نشاهدها هناك . وفى الواقع أن صاحب العمل أو مدير أية شركة فى أوربا لا يخطر بباله أن يذهب مع أحد مستخدميه إلى المطعم ليتغدى معه أو أن يدعوه إلى النزهة أو احدى دور اللهو . أما فى أميركا فقد يذهب الرجل باوتوموبيله الى السينما فتى وصل دعا – أوتوموبيله لدخول السينما معه

فشعب هذه صفاته وأخلاقه وهذا استعداده لا يمكن أن يذعن لمن يستبد به أو يحاول التسلط عليه . بل هو لا يطيع أى انسان طاعة عمياء . ولا يخفى انه فى كل نظام ديكتاتورى يشعر كل فرد

(٨)

بان فوقه وتحته طبقات متباينة من الناس . وهذا التباين هو سبب الالقاب والرتب « والأوسمة » وما الى ذلك من مميزات نظام الدرجات (الهيرارشى) . وسر نجاح الديكتاتورية يقوم على استطاعة الديكتاتور أن يوطد أركان هذه « الهيرارشى » . أما أميركا فابعد بلاد العالم عن هذا النظام ، ولذلك يتعذر قيام الديكتاتورية فيها

وهنالك سبب آخر يجعل قيام الديكتاتورية فى تلك البلاد متعذراً غير ملائم لخلق الشعب الاميركى . وهذا السبب هو ميل الشعب الطبيعى إلى المرح والسرور بأبسط مظاهرها . وهذا الميل يجعل الاميركيين أبعد الناس عن مظاهر العظمة والابهة والمجاملات الزائفة . فالأفراد فى أميركا يعامل بعضهم بعضاً كأنهم على مستوى واحد . ولا يخطر ببال أحدهم أن يجامل غيره مجاملة كاذبة أو أن يظهر له الاحترام الممزوج بالرياء . أو أن يخضع له خضوعاً أعمى ممزوجاً بالمذلة والهوان . فكيف يمكن والحالة هذه أن تكون الولايات المتحدة تربة خصبة لنمو بزور الديكتاتورية ؟ ان الشعوب التى لم تعرف الحرية الحقيقية ولم تذق طعمها — كالروس والالمان — هي وحدها التى تسمح بالديكتاتورية وتساعد نظامها على الازدهار والانتشار

أما ايطاليا فان الديكتاتورية فيها قد جرت على أساليب أخرى . فان حب العظمة والميل الى الاشياء الفخمة قد قويا فى الشعب الايطالى الى حد أنهما قد تغلبا تغلباً مؤقتاً على الحرية الشخصية . وفى الواقع أن هذا الشعب شديد المحافظة على آداب الحب والزواج يرعى تقاليدها أدق رعاية ، سواء كان فى معيشته الاعتيادية أو فى آدابه . فهو لهذا السبب أقل ميلا الى الديكتاتورية من الشعب الالمانى وأكثر كرهاً لها . ولا شك أن الشعب الالمانى هو الشعب الوحيد الذى يطيع طاعة عمياء لا حيث تجب الطاعة بل حيث لا تجب أيضاً . وبعبارة أخرى إنه يخضع حباً للخضوع . ولما كان هذا الشعب مروضاً على الخضوع منذ ثلاثة قرون وكل فرد من أفراده قد أشبع حب النظام وهو يفضل هذا الحب على الحرية الشخصية فمن السهل أن نفهم لماذا يرحب بقيام ديكتاتور يحكمه بيد من حديد

أما فى فرنسا فان روح الشعب الفرنسى مشربة بحب الانتقاد وبالميل الى البحث عن عيوب الغير . وهذه الروح تحول دون ظهور الديكتاتورية هنالك . وكذلك انجلترا فان أخلاق شعبها وبيئتها لا تلائم ظهور الديكتاتورية فيها . وفى سويسرا علة أخرى تحول دون ذلك وهى طبيعة البلاد الجغرافية وهواء جبالها المنعش الذى لا يتفق وروح الخضوع للمستبد القاهر . أما الشعب الاميركى فقد قضى خمسة عشر عاماً يسخر من قانون منع المسكرات ولا يحترمه ولا يحترم واضعيه . فليس من المعقول أن يخضع لغير ذلك من القوانين الديكتاتورية او ان يسمح بقيام الديكتاتورية فى بلاده

اضف الى ماتقدم ان نفسية الشعب الاميركى تصور الديكتاتورية بصورة رجل عابس لايضحك ولا يبسم ولا يأذن لغيره فى الضحك او فى الابتسام . وهذه الصورة الخيالية هى فى ذاتها سبب وجيه تجعل قيام الديكتاتورية فى الولايات المتحدة امراً متعذراً

فن الأبهة الضائع

[خلاصة مقالة عن مجلة فانتى
فير . بقلم جفرسن تشاز]

كثيراً ما يخطر ببال القارىء هذا السؤال : « وأين أصحاب الملايين الذين كانت أسماؤهم بالأمس على كل شفة ولسان ، وأين الذين كانوا يسيرون بالدمقس والحرير ويلبسون الحلل الفاخرة وينفقون عن سعة ويبدون من ضروب التبذير ما لم يسمع بمثله الاولون ولا المتأخرون ؟ »

لقد انقضى اليوم ذلك العهد وانطوت صفحته . وضاع فن الاسراف والتبذير . فلا تجد اليوم رجلا ينفق ألوف الجنيهات على مأدبة واحدة ولا سيدة تلبس عقداً من اللؤلؤ ثمنه مائتا الف جنيه أو ثوباً ثمنه عشرون الف دولار ، كما كانت زوجات بعض أصحاب الملايين يفعلن فى أوائل هذا القرن

ويلوح للناظر أن الابهة والعظمة اللتين امتازت بهما معيشة أصحاب الملايين سابقاً قد انقضى عهدها . فلا يمكنك أن تميز أحد أولئك الاغنياء بهندامه أو بمظهره الخارجى . فصاحب الملايين يلبس اليوم ثياب الرجل العادى وبدلا من أن ينفق ثروته على ثيابه وثياب زوجه وحلاها يدخر تلك الثروة لليوم الاسود . وسبب ذلك واضح فان الانقلابات الخطيرة التى اجتاحت نظم الاجتماع حديثاً — كالانقلاب البلشفى فى روسيا مثلا — جعل أصحاب الملايين يقلقون على ثروتهم ويسعون لادخارها الى وقت الحاجة

وفى الواقع أن التاريخ أعدل شاهد على أنه مامن فئة من الناس أسرفت فى الانفاق والتبذير ولم تعاقب على طيشها . ومع ذلك فان العامة التى تكره الاغنياء عادة تسر بمظاهر العظمة والابهة اللتين تنكرهما على الافراد . والعاقل يعلم ان هذه المظاهر تكاد تكون لازمة لزوم الماء والهواء لانعاش الامة ونفخ روح الحياة والنشاط فيها . وبعبارة أخرى — أن العامة تعتقد أن تلك المظاهر لازمة للامة بأجمعها لا للافراد الذين تتألف منهم

واذا رجعنا الى عبر التاريخ رأينا أعظم خدمة أدتها روما لنظام الحكم الشعبى هى أنها كانت تقدم للشعب ، فضلا عن الطعام ، مناظر اللهو التى تأخذ أبهتها بمجامع القلوب . وقد كانت العظمة شعار جميع الحكومات القديمة بل الحديثة أيضا . وما اهرام الجيزة وكوليزيوم روما وقصر فرساى وقصر الشتاء ببكين والشانزليزيه بباريس وغير هذه سوى قليل من كثير من الشواهد على ما تعلقه الشعوب من الشأن على مظاهر الابهة والعظمة . ولا شك أن الميل الى تلك المظاهر طبيعى فى الانسان مهما أتى فى بعض الاحيان من الاعمال المنافية له فى الظاهر

وانظر الى بعض المظاهر التى تبدو لك كيفما أدرت طرفك . انظر الى البزة العسكرية والى ما هى

عليه من الابهة فى جيوش كثيرة . وانظر الى الشارات والطبول والصنوج والآلات الموسيقية العسكرية والى أعلام المدن والمسارح والملاهى والتماثيل والقصور المشيدة فيها . أليست جميعها رمزاً الى حب العظمة المتأصل فى نفس الانسان ؟

وانظر أيضاً الى مشاهد السينما التى تصنع فى هوليوود وغيرها . فتلك المشاهد لا تأخذ بمجامع القلوب الا اذا بدت فيها الابهة والعظمة بوضوح وجلاء . بل ان الكنائس نفسها تعجز عن اجتذاب الناس اذا لم تجمع بين مظاهر التقوى والعظمة الدنيوية

ان الشعوب تطلب الخبز وتصر على أن تضمن لها الحكومات أسباب المعيشة ، ولكنها تطلب مع الخبز شيئاً آخر لانها لا تحيا بالخبز وحده . انها تطلب تغذية النفس بمظاهر العظمة الخلابة . انها تطلب مظاهر المجد ثمناً لسكوتها وخضوعها . وهذا ميل طبيعى فى البشر لا سبيل الى مقاومته

حيرة الوالدين

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة سكربنر . بقلم هارولد مجير]

كاتب هذه السطور والد ستة أولاد تختلف أعمارهم من أحد عشر عاماً إلى تسعة عشر . وقد رباهم على حب الملاحظة والتدقيق وعدم تصديق أى شىء قبل أن يثبت بالحس والبرهان . ودربهم على عدم تصديق الخرافات والنظريات الشيقة التى لم يقم على صحتها أى دليل ، وعلى نبذ كل عقيدة دينية ورواية تاريخية ومذهب أدبى وخطة سياسية اذا لم يقبلها العقل ولم يؤيدها الاختبار

وقد نشأ هؤلاء الاولاد كما أرادهم والدهم . فليس ثمة رأى يعجزون عن بحثه وتمحيصه أو يسلمون بصحته قبل تحقيقه . ولا يخطر ببال أحدهم أن يقبل أى بيان قضية مسلماً بها اذا لم يتفق مع المنطق والاختبار

ويسأل والد هؤلاء الاولاد : هل إن تدريبه اياهم على هذا الاسلوب مما يبنى الخلق ويقويه أو مما يهدمه ؟ وهل هذا الاسلوب قيم حكيم أم هو خرق فى الرأى ؟

ان مشكلة هذا الوالد هى مشكلة جميع الوالدين . فالسواد الاعظم منهم حائرون فى هل يجب أن يسيروا باولادهم فى هذا الطريق أو أن يسيروا على عكس ذلك فيتركوا لاولادهم الحبل على الغارب لينكروا أو ليصدقوا ما يقال لهم ! وفى الواقع أن الآباء الذين قد ساروا على عكس هذه الخطة مهمومون هم أيضاً حائرون لايعلمون هل إن خطتهم هى المثلى أم انهم على خطأ فيما ينتهجون !

وقد نشرت احدى المجلات الكبرى مقالة لرجل له ولد فى الثانية عشرة من عمره جاء فيها قوله : « تمر الشهور ويتقدم ولدى فى السن وأنا أجد نفسى مضطراً الى الكذب فى مواقف كثيرة ..

ان الكثيرين من الكهول يكرهون جانباً كبيراً مما يعتقده الرأى العام ويمارسه .. ومن أول واجبات الوالدين ان يعنوا بتربية اولادهم التربية الحقة لينشأوا على التماس الحق اينما كان ،

ويقول كاتب هذه السطور ان جميع اولاده من ذكور واناث قد نشأوا على معرفة كل مايجدر بهم معرفته مما يتعلق بالطبيعة البشرية بحيث لا يستتر عنهم شيء ، وبذلك يكون استعدادهم تاماً لخوض معارك الحياة ولكى يكونوا على بصيرة فى علاقتهم بالآخرين وصلاتهم بهم . وهم يعتقدون انه ما من احد يضحى بحياته من دون أن تكون له غاية ولا يرتكب جريمة من دون ان يجد فى ارتكابها لذة . فلكل سعي غاية ، ولكل عمل غرض

وقد نشأوا على معرفة أن ما ينفع الجنس البشرى عامة ينفعهم هم ايضا وان التهذيب الحقيقى هو تهذيب النفس ، وعلى الانسان ان يلتمس هذا التهذيب اينما كان وان يسعى وراءه ولو فى آخر انحاء العالم

وقد علمهم والدهم ايضا انه ما من معرفة قد احرزها غيرهم او معلومات قد وصل اليها الآخرون الا ولهم حق المطالبة بنصيب منها • وليس لاحد — كائنا من كان — ان يحرمهم ذلك النصيب . وليس صحيحا ان وقوفهم على تلك المعلومات وعدم وقوفهم عليها سواء ، باعتبار تهذيبهم واعدادهم لمعترك الحياة

وعلمهم ايضا ان كل عمل قد اتاه الانسان لخيره ولرفاهته قد كان نتيجة بحث وتفكير مستندين الى الوقائع ، الا ما اتفق للانسان من ذلك الخير ومن تلك الرفاهة عفواً

وعلمهم ان معظم الاغلاط التى يرتكبها الناس هى نتيجة الانتقال من التخصيص الى التعميم من دون دعم ذلك التعميم بدليل كاف . او هى نتيجة قبول مقدمات ونتائج غير مؤيدة ببرهان

وعلمهم انه يجب ان ينظروا الى جميع الاعتقادات القومية بعين الشك ويفحصوها فحصا مدققا اذ كثيراً ما تكون تلك الاعتقادات خطأً

وعلمهم ان عواطفهم ومشاعرهم واحساساتهم وآمالهم ومخاوفهم وطرق تفكيرهم هى اكبر العقبات فى سبيل تفكيرهم تفكيراً منزها عن الهوى وفى سبيل كل عمل يشف عن رجاحة العقل والاتزان

وعلمهم أن فى وسعهم أن يراقبوا سير حياتهم وأن يسددوا خطوات أنفسهم على وجه أ اذا روضوا أنفسهم على التفكير بجلاء وببعد عن الهوى مع مراعاة عواطف الغير والحذر من شعورهم

وعلمهم أفانين السياسة وأساليبها المختلفة ، وواجب اللطف والمحاسنة والمجاملة والعطف على الغير وإظهار التساهل والتسامح

وعلمهم ألا يقبلوا حتى أقوال والدهم كأنها قضية مسلم بها أو حقيقة راهنة

وغنى عن البيان أن الوالد لم يبث هذه الافكار والآراء فى أولاده ارتجالا أو دفعة واحدة بل فعل ذلك بالتدريج . فأرضعهم نظرياته مع الحليب وكان يغرسها فى نفوسهم مراعياً الاحوال ومنتهزاً كل فرصة ملائمة . وقد استمر على هذه الخطة وما يزال سائراً عليها حتى الآن

ترى هل تضمن لهم هذه الخطة السعادة وهل تساعدهم على النجاح فى الحياة ؟

ان القرائن المتجمعة لدى ذلك الوالد تدل على أن النجاح قد كان حليف خطته حتى الآن . وأولاده مشهورون بين أقرانهم بالذكاء والنباهة وبعد النظر . أما نجاحهم النهائى فى الحياة فيتوقف بالاكثر على تعريفنا معنى النجاح . فاذا فسرناه باحراز الجاه والمال فقد لا تصدق كلمة النجاح عليهم . لان خطتهم تصرف أنظارهم عن طلب المادة إلى طلب الحقائق التى هى أساس الحياة

ويقول والد هؤلاء الاحداث إنه يشعر بأن أولاده سيكونون أحسن حظاً فى الحياة ممن لا ينهجون نهجهم — ليس فى الشؤون التجارية الاقتصادية فقط بل العقلية والدينية والاجتماعية والسياسية أيضاً

ورب معترض يقول : « ان أولادنا يجب أن يجاروا تيار العالم . فليتشربوا الافكار والعقائد والنظريات من دون أن نوقظ فيهم الشك ومن دون أن نثير فيهم روح الارتياب فى كل ما يقوله العالم أو يعتقده »

ولكن ما المراد بكلمة « العالم » ؟ إن جميعنا محاطون بأصدقاء وخلان جاهلين مرائين . ولكل منا « عالم » خاص يعيش فى وسطه وهو مؤلف من الاصدقاء الذين قد أخلص لهم الود وانقطع عن الغير لمعاشرتهم . وفى وسع جميع الذين لا تكرههم الاعتبارات الاقتصادية على الاقامة بالارياف أن يوسعوا « عالمهم » ويكثروا من أصدقائهم . ولكن مهما اتسع هذا العالم فانه ضيق محدود وهو تحت تأثير التقاليد والعقائد الشائعة التى يمتزج فيها الحقيقى والخرافى . ومن الصعب على المرء إذا لم يكن مروضاً الترويض الكافى أن يميز بين الغث والسمين وان يفرق بين مايقبله المنطق وما لايقبله . ولا شك أن الانسان يستطيع أن يجد له أضراباً فى الحياة يوافقونه على آرائه وأفكاره ، ويجارونه فى تصديق ما يثبت بالحس والبرهان فقط ، وفى تكذيب ما لم يقم عليه الدليل

إن الوالد الذى يطلق الحرية لولده ليعتقد ما يشاء وليصدق مالا يخرج عن حيز النظريات والآراء ، يحرم ولده استعمال ملكة النقد والتمحيص وبخاصة ملكة تمحيص شؤون الحياة الجوهرية ، ويدفع به الى العالم غير معد ولا مسلح ومن غير أن تقوى فيه ملكة الحكم فى الامور . ولا يسع العاقل الا أن يخضع لسلطان العقل ، فالعقل أجدر بأن يخضع له من كل عادة وتقليد ونظرية . وهو وحده المؤدى الى حياة أكمل وأسعد وأضمن للنجاح

الدم والوراثة

[خلاصة مقالة عن مجلة سايتنفيك أميركان.
بقلم لورنس سنايدر بجامعة اوهايو]

من الحوادث الكثيرة الوقوع فى مستشفيات الولادة بأوربا وأميركا أن يختلط الاطفال الذين يولدون هنالك، إذ تخطىء الممرضة فتعطى امرأة طفل امرأة أخرى وتعطى هذه طفل تلك. ومع حرص تلك المستشفيات على اعطاء كل أم طفلها فانه يكاد يكون من المتعذر اجتناب الخطأ الذى من هذا القبيل

على أن تقدم العلم قد جعل مهمة التمييز اليوم بين الاطفال أسهل. ذلك أن العلماء قد أثبتوا أن الدم البشرى أنواع عدة يسهل تمييز بعضها عن بعض بواسطة المكرسكوب وباختبارات كيمياوية ليس هذا مجال الافاضة فيها. وانما نقول إن الدكتور كارل لندشتينر من كبار علماء النمسا أثبت فى سنة ١٩٠٠ أنه اذا مزجنا كريات الدم الحمراء المأخوذة من جسم رجل معين بمصل دم رجل آخر فان كريات الدم الحمراء تتكتل أحياناً. وهذا التكتل ناشئ عن وجود مادة فى الكريات يؤثر فيها المصل. وقد ثبت للدكتور لندشتينر منذ ذلك العهد أن المادة المذكورة نوعان وان تأثيرهما متماثل. وقد يكون فى الكريات الحمراء نوع واحد منهما وقد يوجد النوعان معاً أو قد لا يوجدان أبداً. فمن كان فى كرياته الحمراء المادة الاولى — وتوسم بالحرف «ا» — قيل إنه من الفئة «ا». ومن كان فى كرياته الحمراء المادة الثانية — وتوسم بالحرف «ب» — قيل إنه من الفئة «ب». ومن لم يوجد فى كرياته الالف ولا الباء قيل إنه من فئة الصفر. ومن كان فى كرياته كلتا المادتين قيل إنه من فئة «ا — ب»

وقد ظهرت فائدة هذا التقسيم فى «عمليات» نقل الدم. فصار العلماء قبل أن ينقلوا الدم من جسم الى جسم يفحصون دم الجسمين ليتأكدوا أنه واحد أو من فئة واحدة. فاذا لم يكن كذلك عدلوا عن نقل الدم

وتوسع الاطباء فى هذه التجارب فاتضح لهم أن المواد «ا» و «ب» و «ا — ب» تتبع نواميس معينة للوراثة. فالمادة «ا» مثلا لا تظهر فى دم الولد إلا اذا كانت موجودة فى دم والديه أو فى دم واحد منهما على الاقل. وهكذا قل فى المادة «ب». وههنا البرهان القاطع على صحة النسل. فاننا اذا فحصنا دم الطفل ووجدنا فيه المادة «ب» مثلا لم يبق عندنا شك فى أن هذه المادة موجودة فى دم والديه أو فى دم أحدهما على الاقل. فان لم تكن موجودة كان عدم وجودها برهاناً قاطعا على أن

الطفل ليس ولدهما . ولكنا لايمكننا من الجهة الاخرى أن نؤكد أن وجود تلك المادة فى دم الوالدين أو فى دم أحدهما برهان قاطع على البنوة

ومما يجدر بالذكر ما وقع حديثاً فى أحد المستشفيات الاميركية . ذلك أن امرأتين اميركيتين ذهبتا الى ذلك المستشفى لتلدا . فوضعت كل منهما طفلا وقضت مدة نفاسها فى المستشفى . وبعد بضعة أيام أخذت كل منهما طفلها وذهبت به الى منزلها . واتفق أن احداهما كانت قد وضعت على ظهر طفلها علامة ، فلما أرادت غسله لم تجد تلك العلامة فخامرتها الريبة وعلمت أن السيدة الاخرى قد أخذت طفلها خطأ

وانتهى الامر الى القضاء فلم يكن بد من فحص الدم بالطريقة العلمية ، فاخذت نماذج من دم الطفلين والوالدين والوالدتين . وفحصت فحصاً علمياً فثبت أن والدى أحد الطفلين كانا من « فئة الصفر » أى انه لم يكن للمادة « ا » ولا للمادة « ب » أثر فى دم أحدهما . الا أن الطفل الذى ادعياه كان من الفئة « ا » فلم يبق شك فى أنه ليس طفلهما . وعند فحص دم الوالدين الآخرين اتضح أن دم الاب من « فئة الصفر » ودم الام من فئة « ا ــ ب » ودم الطفل الذى أعطى لهما من « فئة الصفر » وبعد البحث الدقيق اتضح أن الوالدين اللذين تتوافر فى أحدهما أو كليهما المادة « ا ــ ب » لا يمكن أن يكون دم ولدهما من « فئة الصفر » وبناء عليه حكمت المحكمة برد كل طفل الى والديه الحقيقيين

على أن فحص الدم لايمكن اعتباره قاطعاً فى الحالات التى يكون فيها دم الاولاد ودم والديهم من فئة واحدة . فاذا كان دم كل من الاب والام من « فئة ب » مثلا فوجود طفل ذى دم من « فئة ب » لا يعتبر برهانا قاطعاً على أن هذا الطفل من هذين الوالدين . وبعبارة أخرى أن البرهان قد يكون قاطعا فى الحالات السلبية لا فى الحالات الايجابية ، اذ يمكننا أن نجزم أن الطفل الفلانى ليس من الوالدين الفلانيين ، ولكننا لا نستطيع أن نجزم انه ابنهما . ولهذا يصح القول بان فحص الدم يحل نحو ثلث المشاكل التى من هذا القبيل . والمحاكم فى أوربا وأميركا تستعين بهذا الفحص فى حالات كثيرة لها علاقة بشؤون الوراثة



تقدم العلم والعالم

فيتامين صناعي

تمكن العلماء من صنع الفيتامين « ج » بطريقة كيمياوية وقد اطلقوا عليه اسم « حامض الاسكوربيك » ، وظهر من تجارب علمية كثيرة أن له تأثيراً مدهشاً فى التغلب على بعض الامراض كالبيوريا الذى يصيب اللثة ، وبعض انواع النزيف ، وأمراض أخرى نادرة . ويعتقد جمهور الاطباء أن هذا الفيتامين الصناعى سيحدث انقلاباً عظيماً فى علم الطب وفى أساليب المعالجة ، إذ قد ثبت انه ما من خلية من الخلايا الحية فى الكائنات العليا تخلو من حامض الاسكوربيك

مكافحة السرطان

يقول بعض العلماء إن فى بعض أعضاء الجسم مادة تسمى الانزيمات وهذه المادة تتغير تغيراً مستمراً فى أثناء تطور الاورام السرطانية . وهنالك دلائل تدل على أن الانزيمات قد تحول دون نمو تلك الاورام فى المستقبل إذا تمكن العلم من استنباط وسيلة لتنشيطها وتقويتها . ولعل فى ذلك حلا لمشكلة السرطان

وقد القى الدكتور مكدونالد من كبار الاطباء الاميركين خطبة فى الجمعية الكيمياوية الاميركية شرح بها عمل الانزيمات ووظيفتها فى مقاومة نمو الاورام السرطانية

عنصر ثقيل الوزن

لايخفى أن عنصر الاورانيوم هو اثقل العناصر المعروفة ويعرف عند علماء الكيمياء بالعنصر الثانى والتسعين . وأخف منه قليلا عنصر البروتا كتينيوم ، ويعرف بالعنصر الحادى والتسعين . وثقل الجوهر الفرد منه يعادل ٢٣١ ضعف ثقل جوهر الايدروجين . وقد حسب العلماء المدة التى يستغرقها فناؤه بالاشعاع (وهو مايعرف عند علماء الكيمياء بالنشاط الراديومى) فوجدوا انه يفقد نصفه فى اثنين وثلاثين الف سنة ، حالة ان عنصر الراديوم يفقد نصفه بالاشعاع فى مدة الف سنة وستمائة سنة

فائدة استئصال اللوزتين

يظهر من المباحث الطبية الاخيرة ان استئصال اللوزتين من الاطفال يفيدهم إذ يحميهم من أمراض الاذن والعنق ومن تضخم الغدد ولكنه لايحميهم من الزكام أو الامراض الصدرية ، كما أن كبر حجم اللوزتين ليس دليلا على وجوب استئصالها

أعلى حرارة صناعية

ان أعلى درجة حرارة تمكن الانسان من احداثها بالوسائل الصناعية هى الدرجة ٣٨١٠ فوق الصفر المطلق . وهذه الدرجة لاتعادلها أو تزيد عليها إلا حرارة الشمس وغيرها من النجوم البعيدة وحرارة باطن الارض . وقد تمكن العلماء من توليد هذه الحرارة بواسطة « قوس الكربون » الذى يعرفه جميع المشتغلين بعلم الطبيعة

الباخرة كوين ماري

فى شهر سبتمبر الماضى انزل الانجليز إلى البحر الباخرة كوين مارى التى هى أكبر بواخر العالم فى الوقت الحاضر إذ يبلغ طولها ١٠١٨ قدماً وعرضها ١١٥ قدماً، أى انها أطول وأعرض من اية باخرة معروفة حتى الآن. وتبلغ حمولتها ثلاثة وسبعين الف طن. وينتظر أن تبلغ سرعتها ٣٥ عقدة (العقدة ١٨٥٢ متراً)

واليك مقاييس البواخر الخمس الكبرى التى تلى هذه الباخرة فى كبرها وسرعتها

(١) الباخرة ماجستيك. انجليزية. حمولتها ٥٦٦٢١ طناً ـ طولها ٩١٥ قدماً وخمس بوصات ـ عرضها مائة قدم وبوصة واحدة ـ عمقها ٥٨ قدماً وبوصتان

(٢) الباخرة برنجاريا ـ انجليزية ـ حمولتها ٥٢٢٢٦ طناً ـ طولها ٨٨٣ قدماً وست بوصات عرضها ٩٨ قدماً وثلاث بوصات ـ عمقها ٥٧ قدماً وبوصة واحدة

(٣) الباخرة بريمن ـ المانية ـ حمولتها ٥١٦٥٦ طناً ـ طولها ٨٩٨ قدماً وسبع بوصات ـ عرضها ١٠١ قدم وتسع بوصات ـ عمقها ٤٨ قدماً وبوصتان

(٤) الباخرة ريكس ـ ايطالية ـ حمولتها ٥١٠٦٢ طناً ـ طولها ٨٧٩ قدماً وتسع بوصات ـ عرضها ٩٧ قدماً ـ عمقها ٣٠ قدماً وسبع بوصات

(٥) الباخرة لفياتان ـ اميركية ـ حمولتها ٤٩٩٤٣ طناً ـ طولها ٩٠٧ اقدام وست بوصات ـ عرضها مائة قدم وثلاث بوصات ـ عمقها ٥٨ قدماً وبوصتان

اللحم واللكنة

قام فريق من أطباء جامعة جون هوبكنس بأميركا بمباحث واسعة النطاق لدرس سبب اللكنة أى العى أو ثقل اللسان، فاتضح لهم أن قلة التغذية باللحم هى من أكبر أسباب هذه العادة. ولهذا أصدر الاطباء المذكورون منشوراً نصحوا به للامهات اللواتى لهن أولاد مصابون باللكنة أن يكثرن من تغذية أولادهم باللحم قبل بلوغهم الخامسة أو السادسة من العمر. وهــــذا خطأ على ما يقول الاطباء المذكورون، إذ ليس ثمة سبب يمنع اعطاء اللحم للطفل منذ السنة الثانية من عمره على الاقل مرتين فى اليوم. والاختبار يدل على أن أحسن الاولاد صحة هم الذين يغتذون باللحم

على ان العلاقة بين اللحم واللكنة انما هى باعتبار الاطفال فقط لا باعتبار البالغين فى السن فان المصابين باللكنة منهم لا يمكن شفاؤهم منها بالاكثار من اللحم

اقدم سفينة حربية

هى سفينة أميركية تدعى «ولفرين» بنيت للولايات المتحدة منذ تسعين سنــــة أى عام ١٨٤٤ وهى الآن «محالة على المعاش» فى أحد الموانىء الأميركية، وقـــد أكل عليها الدهر وشرب. الا ان عددها وآلاتها ما تزال سليمة. وقد بنيت هذه السفينة فى أحد الاحواض الأميركية ويبلغ طولها ١٦٨ قدماً. ومتوسط عرضها ٢٧ قدماً ومحمولها ٦٨٠ طناً. وكانت مسلحة بستة مدافع زنة قنبلتها ستة أرطال وبمدفعين زنة قنبلتهما رطلان وبمدفع هاون صغير

عنصر التيتانيوم

هو أحد عناصر المادة الاثنين والتسعين . ومع أنه موجود فى الطبيعة بكثرة فقلما سمع به غير المشتغلين بعلم الكيمياء . وفى الواقع ان هنالك ثمانية عناصر فقط من الاثنين والتسعين عنصراً اكثر انتشاراً فى العالم من عنصر التيتانيوم . ومع ذلك فان علماء الكيمياء يصفونه بالعنصر النادر إذ يصعب عزله عن المواد الاخرى التى يوجد متحداً بها ، فهو يوجد عادة متحداً بالحديد . وعلماء الكيمياء يكادون يعجزون عن عزله عنه . ولذلك خطر ببال بعضهم ان يستعملوه لحاماً . وهو بهذا الاعتبار يفنى أو « يأكل » الاوكسجين والنتروجين معاً

منذ أربعين ألف سنة

لم يجمع العلماء حتى الآن على تحديد الزمن الذى ظهر فيه الانسان على وجه الارض ، والآراء فى ذلك متناقضة متضاربة . وكل يوم يكتشف العلماء أدلة جديدة على أن الانسان أقدم عهداً بالارض مما كان يظن قبلا

وقد عثر الباحثون فى جاوى أخيراً على آثار شعب كان عائشاً هنالك منذ اربعين الف سنة على أقل تقدير ، وترك آلات وأدوات حجرية وعظمية تشبه شبهاً تاماً الآلات التى تركها انسان نياندرتال الذى ظهر فى أوربا . وكذلك وجد العلماء هنالك عظام حيوانات منقرضة مطمورة فى نفس الطبقة المطمورة فيها تلك الآلات . وبين تلك الحيوانات بقايا نوع من الفيل ومن فرس البحر وغيرهما من الحيوانات التى لا وجود لها فى جاوى اليوم

حجم المجرة

تدل المباحث الاخيرة التى قام بها علماء الهيئة على أن حجم المجرة أو طريق التبان هو نصف ما كان العلماء يظنونه حتى الآن . فقد قام فريق منهم بفحص ٧٣٣ نجما (شمساً) من نجوم المجرة فوجدوا أن حرارتها شديدة جداً بحيث أن نورها يبدو أزرق . واستعملوا فى فحصها ما يعرف عند علماء الفلك بالعين الكهربائية ، وهذه العين تقيس القوة التى تصل من النجوم الى الارض ولو كانت جزءاً واحداً من الف مليون مليون جزء من الامبير . وبهذه الآلة نفسها استطاع أولئك العلماء أن يثبتوا وجود مادة لطيفة فى الفراغ الذى يتخلل تلك النجوم ويحجب جزءاً من نورها . ولهذا كان العلماء حتى الآن يزعمون أن تلك النجوم بعيدة بعضها عن البعض أكثر مما هى فى الحقيقة وان حجم المجرة هو أكبر بكثير مما أثبته البحث

وقد أثبت أولئك العلماء أيضاً أن حرارة تلك النجوم تختلف من عشرين الف درجة إلى ثلاثين ألفاً بمقياس سنتجراد . أى أنها أشد من حرارة الشمس كثيراً جداً

السكر من الخشب

لا يخفى ان علماء الكيمياء قد توصلوا إلى طريقة يستخرجون بها السكر من الخشب . وفى أخبار الصحف الاخيرة ان الحكومة الالمانية قد أخذت تشجع هذه الصناعة كثيرا جدا . وقد خصصت مبالغ كبيرة من المال لمساعدة المشتغلين بهذه الصناعة ، حتى إذا امكن استخراج السكر من الخشب على نطاق واسع استغنت المانيا عن استيراد السكر من الخارج

عقار جديد لمنع السمن

فى الجزء الصادر فى ٢٩ سبتمبر الماضى من مجلة «رسالة الاخبار العلمية» الاميركية ان الاطباء قد وجدوا عقاراً جديداً لازالة سمن الجسم ولا نحاله. واسم هـــذا العقار دنيتروفنول (Dinitrophenol) وهو سام لا يؤخذ الا بارشاد الطبيب. أما مفعوله فأكيد. وتقول المجلة العلمية التى نقلنا عنها هذا الخبر إن الاطباء قاموا بتجربته منذ سنة ١٩٣١ واستعملوه فى بريطانيا العظمى وكندا وفرنسا واسوج وايطاليا وأوستراليا. ومع أن نحو مائة الف شخص ممن كانوا يشكون السمن المفرط جربوا هذا الدواء فى الولايات المتحدة فقط فانه لم يمت منهم الا ثلاثة وكانت وفاتهم ناشئة عن جهل كيفية استعمال الدواء لا عن الدواء نفسه

التوائم

تدل الاحصاءات على انه يولد فى الولايات المتحدة توأمان فى كل ٨٧ حادثة ولادة. وهى نسبة عالية لا تفوقها إلا نسبة التوائم فى بلاد الدنمرك فهى توءمان لكل ٦٣ حادثة ولادة

من فوائد السمسم

فى قاموس الفيروزابادى ان «السمسم حب لزج مفسد للمعدة والفم ويصلحه العسل واذا انهضم سمن، وغسل الشعر بماء طبيخ ورقه يطيله ويصلحه. وقد يسقى المفلوج من نصف درهم الى درهم فيبرأ». وفى احـــدى المجلات العلمية الاميركية ان حب السمسم غنى جدا بمادة الكلسيوم اللازمة لبناء العظام والاسنان

تلد في السابعة من عمرها

المعروف عن بنات الهند أنهن يتزوجن وهن صغار وقد يضعن وهن فى الثانية عشرة. وقد قرأنا الآن فى احدى المجلات العلمية أن بنتاً هندية من أهالى مدينة دلهى فى السابعة من عمرها وضعت طفلا تام النمو فى مستشفى فكتوريا زنانا بمدينة دلهى

وقد كانت تعتقد أنها مصابة بأورام فى بطنها. فلما فحصها الاطباء وجدوها حاملا وعلى وشك الوضع واضطروا الى توليدها بعملية جراحية فوضعت طفلا تام النمو بلغت زنته أحد عشر رطلا. وقد فحص الاطباء الأم فحصا مدققاً فثبت لهم أنها فى السابعة من عمرها. وعليه فهى أصغر أم فى العالم ووزنها لا يزيد على ثمانية وأربعين رطلا ومعظم أسنانها من «اسنان اللبن». والمعروف أن البنات فى الاقاليم الحارة ينضجن باكراً جداً. وقد عرف الاطباء فى الهند فتيات وضعن فى العاشرة من عمرهن ولكنهم لم يعرفوا قبل الآن فتاة تلد وهى فى السابعة من عمرها

مخاطر الطيران

أصبحت مخاطر الطيران قليلة جدا لا يكاد يؤبه لها. ففى احصاء لاحدى «الخطوط» الجوية الأميركية انه فى الستة الاشهر الأولى من السنة الحاضرة بلغ عدد الفواجع بسبب الطيران فاجعة واحدة لكل ٧٩٦٩٥٠ ميلا. وهى نسبة دونها نسبة فواجع البواخر والقطارات الحديدية مما يدل على ان الطيران يكاد اليوم يكون مأمون العواقب

العناصر في البحار

ان عناصر المادة المعروفة ثمان وتسعون عنصرا . وفى بعض الانباء العلمية ان عالما ايطاليا اكتشف فى الصيف الماضى عنصرا جديدا سماه العنصر الثالث والتسعين . وقد اتضح الآن أن مياه البحار تحتوى على اثنين وثلاثين عنصرا من العناصر المذكورة وما بقى منها موجود فى البر وفى الجو وفى الكائنات العلوية

للخطأ ايضاً قيمته

الخطأ مكروه وممقوت إلا في طوابع البريد ، فان للخطأ غير المتعمد فيها قيمة لا يعرفها إلا الذين يزاولون مهمـــة جمع الطوابع . ومن الاوهام الشائعة بين الناس ان عمر الطابع أو تقادم عهده هو وحده سر غلائه . وفى الواقع أن هنالك طوابع بريدية ذات قيمة لا تقدر بسبب غلطة فنيـــة . مثال ذلك ما وقع فى الولايات المتحدة منذ عهد غير بعيد فان طابعاً مخصوصاً بالبريد الجوى عليـــه صورة طيارة طبع خطأ فظهرت عليه صورة الطيارة مقلوبة. وما كاد تجار الطوابع يتنبهون الى هذا الخطأ حتى هرعوا لشراء تلك الطوابع بأغلى الاثمان لأن مصلحة البريد الجوى أبطلتها فى الحال

ووقع مثل ذلك لطابع آخر من طوابع البريد الأميركية فانه طبع خطأ بالحبر الاحمر مع ان الحبر الاحمر خاص بطابع ذى قيمة أقل . فقد تهافت هواة الطوابع على شرائه وبيعت بعض تلك الطوابع بأثمان باهظة ما كانت تخطر ببال أحد

فترى ان الخطأ فى طوابع البريد يزيد فى قيمة تلك الطوابع إذ يجعلها تحفة نادرة

القطب الجنوبي

الاعتقاد الشائع بين النـاس هو ان جو القطب الجنوبى بارد جـدا لا يصلح للمعيشة . ولـكن الارصاد الجوية الاخيرة تناقض هذا الاعتقاد وتدل على ان الجو فى البلاد المعروفة « بفكتوريا الجنوبية » حار جدا فى فصل الصيف

نقود يونانية قديمة

كان بعض علماء الآثار يقومون بالتنقيب فى مدينة أثينا فى المكان الذى كان قديماً سوق أثينا فعثروا على ٣١٦٠٠ قطعة نقود يونانية قديمة كانت سكة جائزة فى بلاد اليونان على مدى العصور من القرن السادس قبل الميلاد حتى الازمنة الحديثة

السهام السامة

المشهور عن بعض قبائل الهنود الأميركية انهم يصنعون سهاماً او نبالا مسمومة لمحاربة أعدائهم . والسم الذى يلوثونها به مزيج من سم العناكب والعقارب والحيـات وأم أربع وأربعين . ولا يمكن أن ينجو المصاب بنبلة من تلك النبال من الموت لان سمها زعاف شديد التأثير

لمطاردة المجرمين

قررت بعض الولايات المتحدة الأميركية أن تجهز رجال شرطتها المختصين بمطـــاردة المجرمين بآلة راديو منصوبة على الموتوسيكل أو الاتومبيل . وبهذه الواسطة يستطيع رجال الشرطة ان يخاطبوا إدارات الشحنة المختلفة وأن يتصلوا بمراكز البوليس المتفرقة فى جميع أنحاء الولايات المتحدة

بعد الغاء قانون التحريم في أميركا

يؤخذ من الاحصاءات الكثيرة التى لدى شركات التأمين الاميركية أن نسبة الوفيات بسبب المشروبا الروحية قد نقصت قليلا بين السكان البيض ولكنها زادت قليلا بين الزنوج. ويقول الاخصائيون بشركة متروبوليتان للتأمين انه وان تكن نسبة الوفيات المسببة عن المشروبات الروحية قليلة إلا أنها محسوس بها فقد هبطت من ٢٢ فى كل مائة الف فى سنة ١٩٣٢ إلى ٢ فى كل مائة الف فى هذا العام بين الاهالى البيض. ولكنها زادت فى المدة عينها من ٢٠٤ الى ٤٠٩ بين الاهالى السود والحمر (أى الزنوج والهنود)

انتشار السرطان

المعروف ان السرطان هو من الامراض التى تصيب البالغين فى السن فقط. إلا ان مجلة الاخبار العلمية الاميركية تقول فى الجزء الصادر منها فى ١٣ اكتوبر الماضى ان الاحصاءات الموثوق بها تدل على انتشار السرطان كثيرا بين الاولاد والاحداث

فوائد

ه تبلغ كمية الراديوم الصالح للاستعمال فى جميع مستشفيات العالم أقل من رطلين

ه أكبر بطيخة فى العالم هى بطيخة من نتاج كاليفورنيا بالولايات المتحدة وقد بلغ وزنها ١٧٥ رطلا

ه يؤخذ من المباحث والتجارب التى قام بها أحد العلماء الامريكيين أن الصواعق قلما تترك بعدها أثراً يدل عليها

ه يبلغ عدد الفراعنة الذين حكموا مصر فى الازمنة الغابرة ثلثمائة وخمسين فرعوناً. والمعروف أنه مر على مصر أوقات كان يحكم فيها البلاد فرعونان

ه بلغ من اهتمام الامريكيين والاوربيين بشؤون العميان وسعيهم لتوفير أسباب السرور لهم أن برامج الاذاعات تطبع فى جهات كثيرة بالاحرف البارزة ليتمكن العميان من تتبعها

ه فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر لم يكن يؤذن لاكثر من خمسة عشر شخصاً فى زيارة المتحف البريطانى. ولم يكن يؤذن لاحد أن يمكث داخل المتحف اكثر من ساعتين فقط

ه يقال ان مخترع الاطار المصنوع من الكاوتشوك هو رجل ارلندى كان يريد أن يتنزه ولده كل يوم على عجلة « بسكليت » فاخترع الاطار المذكور لكى يمنع ارتجاج العجلة

ه كان الاطباء فى القرن الثامن عشر يعتبرون السرطان مرضاً معدياً. ولذلك كان المصابون بهذا الداء يهملون ويتركون ليموتوا من دون أن يتعرض أحد لمساعدتهم

ه فى أوائل الصيف الماضى توصل الدكتور أنريكو فرمى الى اكتشاف عنصر جديد سماه العنصر الثالث والتسعين، وذلك باطلاق تيار شديد من النوترونات (أى الذرات غير الكهربائية) على عنصر الاورانيوم الثقيل. على أن بعض العلماء يرتابون اليوم فى كون المادة المذكورة عنصراً جديداً. ويعتقد الدكتور فرمى أن هنالك عناصر اخرى سيكتشفها العلم

ه السيار بلوطو هو آخر السيارات التى اكتشفها العلماء. ويرجع الفضل فى اكتشافه الى مرصد لويل. ويظهر أن هذا السيار يشبه القمر من بعض الوجوه ويشبه ايضا القمر تريتون « قمر السيار نبتون » فى حجمه ووجوه وقوة اشعاعه وكثافة مادته

كتب جديدة

البطل الفاتح ابراهيم باشا

بقلم المرحوم الأستاذ داود بركات

طبع بالمطبعة الرحمانية بالقاهرة . صفحاته ٢٥٥

قبل أن يتوفى المغفور له الاستاذ داود بركات بنحو عامين كتب فى جريدة الاهرام سلسلة مقالات تاريخية قيمة بمناسبة مرور مائة سنة على الفتوحات الحربية التى قام بها ابراهيم باشا فى سورية والأناضول . وكان لهذه المقالات أثر ظاهر فى استعادة ذكرى هذه الفتوحات ، وما كان لمصر فى ذلك الوقت من مجد حربى . وقد اهتمت الحكومة المصرية بهذه الذكرى فاحتفلت بها احتفالا رسمياً حضره صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول حفيد هذا البطل العظيم . ثم رأى الاستاذ داود بركات أن يجمع هذه المقالات فى كتاب خاص ولكن المنية عاجلته . فقام شقيقه الاستاذ بركات بركات باصدار هذا الكتاب على النحو الذى وضعه فيه مؤلفه ، فكان من الآثار القيمة التى وضعت تسجيلا لهذه الذكرى المجيدة . وقد احتوى هذا الكتاب ستة عشر فصلا تبتدىء بتمهيد عن بطولة ابراهيم منذ الصبى ، ثم يليه فصول الكتاب عن الجيش والاسطول والمواقع التى حدثت بين الجيش المصرى والجيش التركى ، والانتصارات التى حازها ابراهيم ، وموقف الدول من هذه الحرب . أما الفصل السادس عشر فهو يحتوى وثائق سياسية هامة وتعليقات مفيدة . والكتاب مطبوع طبعاً جيداً

الادب العربي في آثار أعلامه

الجزء الاول

جمعه الاساتذة : واصف البارودى ، فؤاد افرام البستانى ، خليل تقى الدين

طبع بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت . صفحاته ٢٢٤

هو كتاب طريف جمعته هذه اللجنة المعينة من مديرية المعارف العامة والفنون الجميلة بلبنان . ويحتوى نصوصاً ادبية منتخبة لطلبة البكالوريا اللبنانية . والغرض من وضعه كما قال جامعوه : « اخراج كتاب يستطيع طالب الادب أن يتعرف فيه الى أدباء العربية من قدماء ومحدثين من خلال ما أخرجته قرائحهم ، ويدرسهم فى آثارهم لا فيما قاله عنهم النقاد والرواة والمؤلفون » . وهى فكرة حسنة يستفيد منها الناشئون خصوصاً وقد عنيت اللجنة بتمحيص هذه المنتخبات وحذف ما كان منها مدخولا أو مشكوكا فيه ، وتقسيم كل أثر حسب أغراضه وشرحه شرحاً يساعد الناشىء ويوفر له كثيراً من الوقت . وقد حوى هذا الجزء مختارات لبعض شعراء الجاهلية كامرىء القيس وطرفة بن العبد ، وزهير بن ابى سلمى ، وعنترة بن شداد ، والنابغة الذبيانى ، ومختارات أخرى لبعض أعيان صدر الاسلام كالاخطل والفرزدق وجرير ، وعمر بن أبى ربيعة ، والحجاج بن يوسف وعبد الحميد الكاتب . وقد ضبطت بالشكل ووضع لكل أديب موجز من تاريخ حياته الادبية

تاريخ الصحافة العربية

الجزء الرابع

بقلم الفيكونت فيليب دى طرازى

طبع بالمطبعة الاميركية بيروت . صفحاته ٥٤٥

يقوم العالم المفضال الفيكونت دى طرازى بتأليف تاريخ واف للصحافة العربية . وقد أصدر فى ذلك ثلاثة أجزاء ضخمة قوبلت بالاعجاب وثناء رجال الصحافة وغيرهم من المهتمين بالادب والتاريخ . وكانت هذه الاجزاء من خير المصادر التاريخية للصحافة العربية منذ نشأت حتى الآن

وهذا الجزء الذى بين أيدينا هو الجزء الرابع من هذا المؤلف السمين ، وهو فهرس جامع لاسماء الصحف العربية واسماء أصحابها ومنشئيها فى كل قطر من الاقطار التى ظهرت بها حتى سنة ١٩٢٩ . ولا شك ان هذا الفهرس يفيد كل باحث فى تاريخ صاحبة الجلالة ، وهو من جهة أخرى عمل دقيق صرف فيه المؤلف مجهوداً كبيراً ، وقد اضطره الى حمل أعباء جسيمة فى سبيل تأليفه وأنشأ فى منزله معرضاً للصحافة يبلغ عدد ما حواه من الصحف حين الفراغ من هذا الجزء ثلاثة آلاف ومائتين وخمسين ونيفاً من الجرائد والمجلات

نبات سورية وفلسطين وسيناء

Flora of Syria, Palestine, and Sinai

الجزء الثانى

تأليف الدكتور جورج بوست

طبع بالمطبعة الاميركية بيروت . صفحاته ٩٢٨

لا نظن أحداً ممن يزاولون مهنة الطب أو ممن درسوا علم النبات فى الشرق لم يسمع باسم المرحوم الدكتور جورج بوست الذى كان أستاذاً لعلم الجراحة فى جامعة بيروت الأميركية ومن كبار العلماء الأثبات فى علم النبات . ولا سيما نبات الشرق الادنى . وقد وضع كتاباً ضخماً بالانجليزية فى نباتات سورية وفلسطين وسيناء هو مرجع يعول عليه جميع علماء النبات ، لانه لم يترك نباتاً معروفاً فى الاقطار المذكورة الا وصفه وصفاً علمياً دقيقاً مبيناً مميزاته ومرتبته وفصيلته

فهذا الكتاب مرجع لا يستغنى عنه طالب وهو اكبر معجم لنباتات الشرق الأدنى . والنسخة التى بيدنا حديثة الطبع منقحة ومضاف اليها كثير من الشروح والتفاسير العلمية التى وقف عليها الأستاذ جون دنزمور من أفاضل رجال المستعمرة الأميركية بالقدس . والكتاب مبوب تبويباً علمياً وموضح بالتصاوير الكثيرة . وهو يبدأ بعائلة الشيكوريا المعروفة بالفصيلة المركبة . وقد وصفها المؤلف وصفاً علمياً دقيقاً وانتقل منها إلى غيرها مما يتفرع منها من المراتب . وانتقل من ذلك إلى الكلام على الفصائل والمراتب الأخرى

بدر التمام

فى شرح ديوان أبى تمام

الجزء الاول

للدكتور ملحم ابراهيم الاسود

طبع بمطابع قوزما ببيروت . صفحاته ٤٧٢

هو شرح جديد لديوان أبى تمام على طريقة حديثة يسهل على القارىء تناولها دون سأم أو ملل ، كما يصادفه فى بعض شروح دواوين الشعر القديم . وقد اعتمد الدكتور ملحم فى شرح هذا الديوان على خير ما قاله بعض الشراح

كأبي العلاء المعرى فى « ذكرى حبيب » والصولى والتبريزى والخارزنجى والمرزوقى والآمدى وغيرهم من كبار الادباء والنقاد ، وانتقى من بين تفاسيرهم وآرائهم أحسنها ، وأضاف الى ذلك ما رآه فى شرح قصائد ابى تمام ، على النحو الذى يلذ للاديب وعشاق الشعر العربى الاطلاع عليه . ولعلنا لا نكون مخطئين اذا قلنا إن كل ما يتعلق بأبى تمام - خصوصاً ديوانه - جدير بالاطلاع والدرس ، فقد كان الى نبوغه فى الشعر عالماً فاضلا ، فجاء شعره خصباً مشبعاً

اصل الخلفاء الفاطميين

Polemics on the Origin of the Fatimi Caliphs.

تأليف برنس مامور

عدد صفحاته ٢٣٠ من القطع الاعتيادى

طبعته شركة لوزاك بلندن

يحتوى هذا المؤلف الذى وضع بالانجليزية على بحث نفيس فى أصل الخلفاء الفاطميين . ولا يخفى ان المؤرخين قد اختلفوا فى أصل هؤلاء الخلفاء . فذهب بعضهم إلى انهم من سلالة النبى محمد (ص) وزعم غيرهم انهم غير ذلك . ولعل القارىء يعلم أن المقريزى فى مقدمة الذين بحثوا فى أصل هؤلاء الخلفاء وقد بسط فى كلامه على عبيد الله جميع الأدلة التى استند اليها المؤرخون . فذكر الآراء المتناقضة وأبدى رأيه فيها . ومع ان مؤلفه فى هـــذا الموضوع نفيس جـــداً إلا أنه مقصور على المخطوطات التى عثر عليها فى ذلك الزمن فى مصر فقط . ولم تكن وسائل الاتصال بالعالم الاسلامى يومئذ على شىء من السهولة . ولذلك لم يطلع على مؤلفات الفرس فى هذا الصدد . وقد نسج على منوال ابن خلدون الذى سبقه إلى البحث فى أصل الخلافة الفاطمية

ولا يخفى أن البارون سلفستر دى ساسى فى مقدمة العلماء المستشرقين الذين بحثوا فى هذا الموضوع . وجاء بعده العلامة المستشرق اتيان كاتريمير فأعاد ترجمة كتاب المقريزى ليقابله بمؤلفات غيره من المؤرخين ، ووضع فى ذلك كتابا نفيسا عنوانه « مذكرات تاريخية عن الخلفاء الفاطميين » أنكر فيها ماذهب اليه المقريزى . إلا أن مؤلفه جاء ناقصا لأنه لم يتسن له مقابلة ما كتبه المقريزى بما كتبه غيره من المؤلفين

وجاء بعده المستشرق بلوشيه فألف كتابا انتقد به جانبا من آراء الكتاب مستنداً فى بحثه إلى مؤلفات المؤرخين الفرس ومتفقا مع المقريزى فى أمور كثيرة

فالمؤلف الذى نحن بصدده يستند إلى مباحث واسعة النطاق قد تشعبت الآراء المبسوطة فيها تشعبا يتيه فى بيدائه الباحث . وهذا ما حمل المؤلف على جمع هذه الآراء وتبويبها وانتقادها انتقاداً تاريخيا عليا

المبادىء التى يقوم عليها الاستقلال

Criteria of Capacity for Independence

تاليف ولتر هولمز رتشر

طبعته مطبعة ملجأ الايتام بالقدس . صفحاته ١٥٢

هو بحث مسهب لأحد أساتذة الجامعة الاميركية ببيروت يشتمل على درس الاحوال والشروط التى يجب أن تتوافر فى بلاد للحصول على الاستقلال . وقد بحث المؤلف فى أحوال العراق والفيلبين والهند ونظر فى درجة هذه البلاد من الرقى

بين الهلال وقرائه

[تراكمت الاسئلة على قلم تحرير الهلال فضاق النطاق عن الرد على جميعها في هذا الجزء . وسنرد عليها بحسب تاريخ ورودها مرجئين الباقي الى الاجزاء الآتية من الهلال]

الفينيقيون والبرازيل

(سان باولو — البرازيل) سعد سالم بشاره

هل استوطن الفينيقيون البرازيل قبل اكتشاف كولمبوس لاميركا ؟ فقد عثر بعضهم من مدة على حجر نقشت عليه هذه الجملة باللغة الفينيقية في عاصمة البرازيل وهي Thyro Phenicia Gadezir Primo Genito de Jathbaal ?

(الهلال) المعروف أن الفينيقيين جابوا البحار واجتازوا أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق الحالي) وساروا غرباً . وآراء المؤرخين متضاربة في النقطة التي وصلوا اليها في أسفارهم. وليس ثمة أي دليل على أنهم وصلوا الى العالم الجديد . ومع ذلك فليس ثمة ما يثبت عدم وصولهم الى هناك . أما الكتابة الفينيقية التي أوردتم ترجمتها فنشك في صحتها كل الشك ولا يمكننا أن نبدي فيها رأياً قاطعاً ما دمنا لم نرها

قارة الاتلنتيد

(سان باولو — البرازيل) ومنه

هل كان للبرازيل علاقة بقارة الاتلنتيد التي يقال ان المحيط ابتلعها في الحقب الخالية فقد عثر علماء الآثار من عهد قريب على حجارة أعمدة في بعض انحاء البرازيل زعموا أن آثارها ترجع الى عهد القارة المذكورة ؟

(الهلال) ما تزال قصة الاتلنتيد من الروايات التي لم تثبت ثبوتاً قاطعاً . والعلماء غير متفقين على موقع الاتلنتيد . فنهم من يقول انها كانت في البحر الابيض المتوسط شمال الجزائر . ومنهم من يزعم أنها كانت في المحيط الاتلانتيكي غرب سواحل اسبانيا . ومنهم من يزعم خلاف ذلك . وعليه فمن العبث أن نبحث في هل كان للبرازيل اية علاقة بقارة الاتلنتيد قبل أن يثبت البحث العلمي أن هذه القارة وجدت حقيقة !

مرض السكر

(القاهرة — مصر) جرجس باسيلي

ماذا يستطيع المصاب بمرض الديابيطس (البول السكري) ان يأكل ؟

(الهلال) المصاب بمرض السكر يجب أن ينقطع من المواد السكرية والنشوية ، الا اذا كان يستعمل الحقن بالانسولين بانتظام فانه يستطيع في هذه الحالة أن يأكل كل ما يستطيع الرجل الصحيح أن يأكله بشرط الاعتدال وعدم الافراط في النهم

حقوق النساء في المانيا

(القاهرة — مصر) ومنه

لاحظت أن النساء كن يعطين اصواتهن كالرجال في أثناء الاستفتاء الالماني الاخير . فهل لنساء المانيا حق الانتخاب ؟

(الهلال) نعم

طوابع البريد

(سنكاف — الجمهورية الفضية) اسكندر مفرج

قرأت في احدى جرائد هذه البلاد أن أول من استعمل طوابع البريد رجل انجليزي يسمى رولندهل في سنة ١٨٤٠ . وقرأت في جريدة أخرى ان أول من صنع تلك الطوابع رجل يسمى جلاراكيس

كان حاكماً على جزيرة باروس سنة ١٨٣١ أو ١٨٣٢، فما هي الحقيقة ؟

(الهلال) أول من فكر في استعمال علامات تشبه طوابع البريد حاكم سردينيا سنة ١٨١٨ . وفي سنة ١٨٢٣ اقترح رجل من أهالي اسوج يدعى تريشبرج على حكومته ان تستعمل غلافات مختومة لنقل الرسائل البريدية . وفي سنة ١٨٣٠ اقترح بعض الانجليز على حكومتهم استعمال تلك الغلافات . وفي سنة ١٨٤٠ أنشأ رولند هل الذي اشترتم اليه أول طابع البريد . أما جلارا كبس الذي ذكرتموه فلم نسمع به ولا نعلم عنه شيئاً

مشكلة زواج

(لوس ميلوس - تناريف) هاني ناجي

رأيت في احدى المجلات الاسبانية صورة شقيقتين ملتصقتين ظهراهما فأصبحتا كأنهما جسد واحد تتحركان معاً وتجلسان معاً وتنامان معاً ، وقد اتفق لاحداهما أخيراً أنها أحبت شاباً واتفقت معه على الزواج ولكن لم يؤذن لها بالزواج بحجة أن القانون لا يجيز اجتماع الثلاثة معاً ، غير أنهما مازالا يسعيان لعقد زواجهما . وقد أرسلنا لكم المجلة التي نشرت صورة هاتين الشقيقتين وحكاية زواجهما . فما رأيكم وهل يجوز منعهما من الزواج ؟

(الهلال) هذه القصة تكاد تكون أقرب الى الخيال منها الى الحقيقة . وقد قرأنا غير مرة عن أمثال هاتين الشقيقتين من خوارق الطبيعة ورأينا مرة في احد مسارح باريس شقيقتين ملتحمتين من ظهرهما معاً . والذي نكاد نؤكده أنهما من الشذوذ بحيث لا تشعران أي ميل الى الزواج . فاذا طلبت كلتاهما أو احداهما الزواج فبقصد احداث ضجة حول حادث كهذا لا لسبب آخر . واذا فرضنا أن شعورهما أو شعور احداهما بالميل الى الزواج طبيعي فيجب أن لا تحرما الزواج وان كان العرف والقانون لا يسمحان بذلك فلكل قانون شواذ

الكلام في اثناء النوم

(سان باولو - البرازيل) جوزي بونيفاتشيو

بعض الناس يتكلمون في أثناء نومهم . فهل هذا مرض وما هو علاجه ؟

(الهلال) لكم أن تسموا الكلام في أثناء النوم مرضاً اذا شئتم فان كل حالة غير طبيعية من حالات الانسان مرض . على ان هذه الحالة ليست مرضاً بالمعنى المعروف وانما هي عادة . وقد تنشأ في بعض الاحيان عن التخمة والافراط في الاكل وعدم الهضم . وفي هذه الحالة ليس لها علاج سوى الاعتدال في الاكل والانقطاع عن المنبهات والمشروبات الروحية وتنظيم ساعات العمل والراحة

الميل والكيلو متر

(القاهرة - مصر) احد المشتركين

ما نسبة الميل الى الكيلو متر ؟

(الهلال) الكيلو متر هو خمسة اثمان الميل أي ان كل خمسة أميال تعادل ثمانية كيلو مترات

عصير الليمون البلدي

(حلوان الحمامات - مصر) مستفهم

أكون شاكراً لو ذكرتم كيفية صنع عصير الليمون البلدي وحفظه بلا تلف ؟

(الهلال) خير الطرق لذلك أبسطها وهي ان تعصروا الليمون وتضعوا العصير في زجاجات صغيرة وتضعوا فوق العصير بضع نقط من زيت الزيتون وتختموا الزجاجة لحين الاستعمال . والحكمة في وضع العصير في زجاجات صغيرة هي ان لا يطول عهد استعمال محتوياتها لئلا يفسد طعمها لكثرة تعرضها للهواء .

وهنالك طريقة أخرى وهي ان يغلى العصير ولكن هذه الطريقة تذهب بالفيتامين الذي يوجد في العصير

القبعة والطربوش

(سان باولو ـ البرازيل) جاد الحداد

لماذا يخلع الغربيون قبعاتهم عند دخولهم بيتاً أو مكاناً عاماً ، حالة ان لابسي الطرابيش يستبقون طرابيشهم على رؤوسهم ؟

(الهلال) هو حكم العادة لا غير ومن الصعب تتبع منشأ هذه العادة فيما يتعلق بكل من القبعة والطربوش ، فالاقوال في ذلك متناقضة متضاربة . وقد كان خلع النعلين عند الاقدمين علامة على الاحترام كخلع القبعة عن الرأس عند الغربيين الآن ، وما ذلك الا خضوع لسلطان العادة

الراديو المصرى

(دربان ناتال ـ جنوب افريقا) يوسف بولا نعوم

ما طول موجات الراديو المصرى الرسمي ومتى تبدأ الاذاعة في مصر ؟

(الهلال) في كل من القاهرة والاسكندرية محطتان ـ قديمة وجديدة ـ فطول أمواج محطتي القاهرة هو ٤٨٣٫٩ و ٢٢٤٫٦ متراً بالتتابع وطول أمواج محطتى الاسكندرية ٢٦٧٫٤ و ٢٠٩٫٩ من الامتار بالتتابع . وتبدأ الاذاعة في الساعة العاشرة صباحاً بحساب وقت مصر . ويمكنكم الاطلاع على مواعيد الاذاعة وعلى برامجها من الصحف اليومية المصرية اذا كانت تصل اليكم

(وجاءنا مثل هذا السؤال من جاد افندي الحداد بسان باولو بالبرازيل)

حالة العالم العامة

(كركوك ـ العراق) ليون لورنس عيسايي

نرى في هذا العصر تمرداً ظاهراً على الاخلاق الفاضلة يذكرنا بقول الامام علي (رض) : يأتي على الناس زمان لا يقرب فيه الا الماحل (الماكر) ولا يظرف فيه الا الفاجر ولا يضعف فيه الا المنصف . فعند ذلك يكون سلطان النساء ، ومشاورة الاماء ، وامارة الصبيان . فهل المراد بهذا الكلام جيلنا الحالي ؟ وكيف العمل لارجاع العالم الى الفضيلة ؟

(الهلال) لاشك ان الوصف ينطبق على جيلنا هذا الا انه ينطبق ايضاً على أجيال أخرى مضت ، وسواء كانت الاشارة موجهة الى جيلنا بالذات أو الى جيل آخر فان كل جيل ينطبق عليه الوصف المذكور لا يصلح للبقاء

اما ارجاع العالم الى الفضائل فلا يمكن الا بالتربية وبالعمل على نشر الفضائل بين الناس . ونخشى الا يكون ذلك من الامور السهلة في هذا العصر الذي قد تغلبت فيه المادة على كل اعتبار آخر في الحياة

نظارة للعميان

(مارانهو ـ البرازيل) عزيز مخول حلو

نشرتم في الجزء العاشر من المجلد الماضي من الهلال صورة نظارة للعميان اخترعها الدكتور وليم تنبلوم . وقد اطلع عليها صديق لنا له ولد كفيف البصر وهو يرغب في الحصول على هذه النظارة . فهل لكم ان تفيدونا عن عنوان المخترع ؟

(الهلال) اذا خاطبتم الشركة المبين عنوانها فيما يلي ففي امكانها ان تفيدكم عن نظارة (Dr. william Teinbloom) والعنوان هو :
Keystone View Company - New - york
أو هذا العنوان :

Keystone View Company
Zimmerstrass 29, Berlin

اختراع الطيارات

(كوروبا ـ البرازيل) نقولا جبران

من هو مخترع الطيارات وما جنسيته وفي أي وقت اخترعها ؟

(الهلال) جاء في دائرة معارف لاروس الفرنسية اننا اذا صرفنا النظر عن الاقاصيص والاقوال الخرافية رأينا ان أول انسان حاول

الطيران في الهواء هو رجل فرنسي من أهالي مدينة بيرون يدعى دانتي وذلك في القرن الخامس عشر . وفي القرن السادس عشر اخترع اوليفر من أهالي مالسبري بانجلترا طيارة . وتوالت الطيارات بعد ذلك وأشهرها طيارة بسنييه سنة ١٦٧٩ وطيارة ديجين سنة ١٨١٢ وطيارة ليتور سنة ١٨٥١ وطيارة جراف في الحرب السبعينية وطيارة لنتال الالماني سنة ١٨٩٣ وطيارة سنتوس ديمون سنة ١٨٩٦ وطيارات الاخوين رايط وبليريو وفارمان في العقد الاول من القرن الحاضر

الحضارة الاميركية

(كوروبا — البرازيل) ومنه

نعلم من كتب التاريخ ان خريستوف كولومبوس هو الذي اكتشف القارة الاميركية منذ نحو أربعة قرون ونصف قرن . ولكن اكتشف في احدى مدن هذه البلاد منذ عهد قريب آثار حضارة ترجع الى ازمنة بعيدة . فما رأيكم في ذلك ؟

(الهلال) لم يقل أحد بان اميركا لما اكتشفها كولومبوس كانت في أول عهدها بالحضارة ، بل المعروف أن شعوب المايا والانكا اللذين عاشوا في المكسيك والبلدان المجاورة لها من جهة الجنوب كانت لهم حضارة راقية جداً لا تزال آثارها باقية حتى الآن . . وعليه فقولكم انه قد اكتشفت في بعض أنحاء العالم الجديد آثار حضارة ترجع الى ازمنة بعيدة ليس فيه ما يناقض التاريخ أو الاعتقاد العام

تقسيم الوقت

(المنصورة — مصر) أحد القراء

كيف كان الناس يعرفون الوقت قبل اختراع الساعات ؟

(الهلال) كانوا يعرفونه في النهار بواسطة المزولة الشمسية التي تلقي على الارض ظلا ينتقل بانتقال الشمس . أما في الليل فكانوا يعرفونه بواسطة حركات النجوم . وكلتا الطريقتين غير عملية

الغدة الصنوبرية

(بيروت — لبنان) أحد المشتركين

ماهي الغدة الصنوبرية وهل صحيح أنها أثر عين ثالثة للانسان ؟

(الهلال) الغدة الصنوبرية ما تزال سراً مستغلقاً على العلماء . والرأى الراجح هو أنها أثر عين ثالثة في الدماغ . وسبب هذا الزعم أن تركيبها والاعصاب التي تتألف منها شبيهة تمام الشبه بتركيب العين واعصابها وهي تقابل عيناً كانت في رأس بعض الزحافات المنقرضة

شبكة العين

(بيروت — لبنان) ومنه

أي جزء من العين هو العضو المبصر منها ؟

(الهلال) الجزء المعروف بشبكة العين وهو غشاء من أعصاب متشابكة شديدة الاحساس . أما بقية العين فتشبه الخلية الفوتوغرافية وفي مقدمتها البؤبؤ الذى هو العدسة . وصور المرئيات تنطبع على الشبكة والشبكة تنقل تلك الصور الى الدماغ

الجنس القوى

(الاسكندرية — مصر) قارئة

أصحيح أن الرجل أقوى بنية من المرأة وكيف تعللون ذلك ؟

(الهلال) الرجل الاعتيادى أقوى من المرأة الاعتيادية لان عضلاته اكبر وأضخم من عضلاتها وتحتوى على ألياف اكثر من اليافها . وهذا الفرق في العضلات وفي الالياف يعلل الفرق في الحجم بين جسمي الرجل والمرأة

هذه هي القاعدة العامة ولكن هنالك شواذ كثيرة فقد تجد رجالا ضعاف الاجسام والبنية ونساء قويات الاجسام

العبقرية

للعلامة الاستاذ محمد فريد وجدي

«... العبقرية قد تظهر في عهد الطفولة وقد تتأخر . اما في ظهورها متأخرة فلا عجب ، فان الادمان على البحث وسعة الاطلاع على ثمرات العقول ، واجادة الروية في المسائل كلها اسباب طبيعية للنبوغ . ولكن العجب في ظهورها مبكرة في اسنان لا يكون الانسان قد تأهل فيها لاي امر يحتاج الى تفكير جدي وعمل عقلي ومثابرة وتدبير وتخايل..»

قالوا لا يجوز أن يكتب عن العبقرية إلا عبقرى ، وهو تقييد مبالغ فيه فلا نأبه له. ونقول: العبقرية موهبة غير مكتسبة تظهر مخايلها منذ الطفولة الأولى ، فلا تزال أصولها توجه عقلية الطفل العبقرى ونفسيته الى ناحية السمو حتى يكبر فيصبح واحداً من الافذاذ من غير تكلف

وقد لا تشاهد في طفولة العبقري مخيلة نجابة ، فيقطع أدوار حياته الأولى وسطاً بل أقل من الوسط ، فلا يلبث بعد اكمال السن ، وتمام النضج ، أن تظهر فيه سمات العبقرية ويبرز فيها على المطبوعين عليها . وقد شوهد أن العبقرية المبكرة قد لا تتابع سيرها فتقف ويصبح صاحبها رجلاً عادياً

العبقرية تظهر في كل مجال من المجالات العلمية والعملية ، فهناك عباقرة من ضروب شتى ، فتجدهم في الفلسفة العالية كما تجدهم فى الصناعة اليدوية . وإذا كان الأمر هكذا فلا بد من أن تكون العبقرية آتية من صفات معينة توجد بذاتها في كل الأحوال وتؤدى إلى النبوغ البعيد المدى . وقد تلمس علماء النفس هذه الصفات المعينة فوجدوا أنها : عقل عال تخدمه إرادة قوية ، وتصور قوي ينبهه إحساس حاد

وقد جعل العلامة « ليلو » بين العبقرية والجنون قرابة ، وأيده الاستاذ الكبير لومبروزو مؤسس علم أسباب الجرائم . وليس مرادهما بالجنون الجنون المطبق ولكن الخروج عن المألوف في بعض الامور . وقد اعتذر أحد المؤلفين للعباقرة فقال : ان هذا الانحراف العقلى أمر لا

مناص منه ما دامت العبقرية حالة غير عادية فهى أشبه بتضخم عقلى ، والتضخم كالضمور من شأنهما الاخلال بالتوازن على كل حال

ولكن شوهد أن لهذه القاعدة استثناءات ، فقد شوهد عباقرة كبار لم يشاهد فيهم أقل اختلال للتوازن العقلى ، وأحسن مثال يقدم في إثباته هو الفيلسوف الالمانى الأشهر «جوت». والذى شوهد أن اختلال التوازن في العبقريين يحدث لمصلحة العقل نفسه

العبقرية أخص صفاتها الابتكار والابتداع ، فالعبقري مجدد بطبعه لا يقف من هذه الخصلة عند حد . فهو يدرك الامور على أكمل وجه ، فيجيء التصور فيفتح أمامه وجوه السير بها على أفضل مما هى عليه ، حتى تخيل بعضهم أن العبقرية في سمو التصور وحده

هل توجد التربية الحكيمة العبقرية ؟

لم يشاهد ذلك ولكن شوهد أن تربية سيئة تستطيع أن تئدها وليدة، أو تحولها الى الشر فتصير مفسدة غريبة

هل العبقرية تأتي من طريق الوراثة ؟

لقد دلت الحوادث على خلاف ذلك فان أكثر العباقرة المقدمين خرجوا من بيئات جاهلة . فباكون ، وبركلي ، وأجوست كونت ، وكوبرنيك ، وكلود برنار ، وديكارت ، وجالفاني ، وكنت ، وكبلر ، ومالبرنش ، وسبينوزا وغيرهم من كبار أذكياء الارض وأعلام العلم والحكمة فيها ، نبتوا كلهم في منابت قاحلة

وقد شوهد عكس هذا أيضاً ، شوهد أن عباقرة مبرزين أتوا بذرية دون المتوسط عقلا، فبريكليس كان له ولدان أبلهان ، واريستيب كان ولده كلينياس أحمق والى الجنون أقرب ، وكان أولاد سقراط إمام الفلاسفة وتيموستوكل غير جديرين بهم ، وكان لشيشرون ولد غبي ، وللفيلسوف الملوك مارك اوريل ابن سيء الخلق قليل العقل ، وقل مثل ذلك عن أولاد هنرى الرابع ولويز الرابع عشر وكرومويل وبطرس الاكبر وجوت ونابليون

قلنا إن العبقرية قد تظهر في عهد الطفولة وقد تتأخر ، أما في ظهورها متأخرة فلا عجب ، فان الادمان على البحث وسعة الاطلاع على ثمرات العقول ، واجادة الروية في المسائل كلها أسباب طبيعية للنبوغ . ولكن العجب فى ظهورها مبكرة في أسنان لا يكون الانسان قد تأهل فيها لأى أمر يحتاج الى تفكير جدى ، وعمل عقلى ، ومثابرة وتدبير وتحايل

فالموسيقي موزار الف وهو في الرابعة من عمره قطعة موسيقية مركبة من أربعة ألحان مختلفة . ولما بلغ الحادية عشرة وضع أوبريين صغيرتين

وقد عرض في المعرض البسيكولوجي في باريس سنة (١٩٠٠) الغلام بيبيتو أريولا وسنه ثلاث سنين ونصف سنة ، وكان يرتجل ألحاناً و يوقعها على البيانو . وقد ذكر عنه العلامة الفيزيولوجي شارل ريشيه أنه ضرب أمام ملك وملكة أسبانيا ستة أدوار على البيانو من تأليفه . وقد تولى بعض الموسيقيين وضع نوتات لهذه الادوار لانه كان لا يعرف ما هى النوتة ، ولا ما هى الحروف الهجائية . وكان هذا الغلام مبدعاً في توقيعه الى حد أنه لو كان مكانه أحد الموسيقيين المحترفين لعد عمله نبوغاً

والغلام « فيربروس » وسنه أربع سنين ونصف سنة كان يرأس أوركسترتياترو الفولى برجير بباريز وعدد آحاده ثمانون شخصاً من مهرة الموسيقيين ، فيدير هـذا الطفل حركاتهم بطمأنينة وألمعيّة تدهش الناظرين

وميشيل أنج المصور الكبير لم يكد يبلغ الثامنة من عمره حتى أتم تلقي الصناعة كلها عن والده وبرع فيها ، فلم يسع والده إلا أن أرسله ليعمل قائلاً إنه لم يبق لديه شيء إلا لقنه إياه فأتقنه الطفل وحذقه

وهنرى دوهنكن تعلم ثلاث لغات وهو لم يجاوز سنتين

ورامبرانت بلغ درجة أكبر الأساتذة فى التصوير وهو طفل لم يصل بعد الى السن التى يدخل فيها الى المدرسة ليتعلم القراءة والكتابة

وجوس دو برنسويك الفلكي كان يحل مسائل حسابية وسنه ثلاث سنين أى وهو لا يحسن التفكير

واريكسون كان نابغـة في علم الميكانيكا منذ طفولته الى حد أن عين مفتشاً للقناة البحرية السويدية وسنه لا تتجاوز اثنتى عشرة سنة ، وكان تحت إمرته ستمائة عامل يوزع عليهم الاعمال المختلفة ويديرهم أحسن إدارة

ووليم سيديس من الولايات المتحدة بامريكا كان وهو ابن سنتين قد تعلم القراءة والكتابة ، ولما بلغ السنة الرابعة من حياته كان يحذق اربع لغات ، وما وصل السنة الحادية والعشرين من عمره حتى كان يدهش علماء جامعة هاروارد بمحاضراته فيها في الرياضيات العالية

والعلامة يونغ الذى وضع نظرية تموجات الضوء كان يحذق القراءة والكتابة ولم تعد سنه

السنتين ، ولما بلغ الثامنة من حياته كان يعرف ست لغات

والعلامة وليم هاملتون أتقن العبرية وسنه ثلاث سنين ، وما بلغ السابعة حتى كان لديه من المعلومات ما فاق بها اكثر طلاب درجة الاجر بجاسيون وهى فوق درجة الاستاذية

وهنرى هينيك تعلم الكلام ولما تمض عليه بضعة أسابيع بعد ميلاده . ولما بلغت سنه سنتين أتقن القراءة والكتابة فى أيام قليلة . ولما بلغ منتصف السنة الثالثة من حياته كابد امتحاناً فى الجغرافيا والتاريخ الحديث ، وكان لا يزال يغتذى بلبن مرضعه . فلما فطم أخذ جسمه يضمر ويضعف حتى إنه مات في سنته الخامسة

من المحال تعليل أمثال هذه المشاهدات في الحد الذى بلغت اليه الفيزيولوجيا ، ولا أظن إمكان تعليلها بهذا العلم فى المستقبل

فى اوربا الآن رأى علمي مقتضاه ان الذين يموتون ولم يبلغوا درجة روحانية تؤهلهم للعيش في العالم الروحانى يقذف بهم الى الارض عدداً كبيراً من الدفعات حتى يحصلوا الدرجة المرجوة . فأصحاب هذا الرأى يعتمدون على هذه المشاهدات ليستدلوا منها على صحة نظريتهم فيقولون إن أرواح هؤلاء الاغيلمة كانت عائشة على الارض ، ولما عادت ثانية تسربت الى مخاخهم المعارف التى حصلتها نفوسهم في حياتهم الماضية على الارض لاسباب مجهولة

وهذا الرأى مناقض للاديان السماوية ، فنمسك عنه منتظرين أن يفتح الله على الناس معارف جديدة فى مجال آخر من مجالات البحث يمكن ان يحل بها هذا الاشكال العلمى

محمد فريد وجدى

لا يؤلم

حكم الامبراطور الرومانى كلوديوس على خصمه « بيتوس » بالاعدام . فوقف بيتوس يندب حظه ويبكى أمام الموت ويتحسر على الحياة . فراع زوجته «آريه» أن ترى زوجها جبانا الى هذا الحد ، فتناولت خنجراً ، واغمدته فى صدرها ثم انتزعته وهو يقطر دما . وقدمته لزوجها قائلة :

— بيتوس ! انه لا يؤلم !

فتناول بيتوس الخنجر من يدها وطعن نفسه فسقط ميتا على جثة زوجته الشجاعة !

بين الأدب والقانون

للأستاذ الدكتور طه حسين

ولعل الخير فى أن تقول بين الأدب والفقه . فلفظ الفقه احرى ان يدل على هذا المعنى الذى قصد اليه صديقى هيكل فى مقاله الذى نشرته الهلال له فى الشهر الماضى ، والذى أقصد اليه أنا فى هذا المقال من لفظ القانون . فنحن فيما يظهر انما نريد أن نشير إلى الصلة بين الأدب وبين هذه الطائفة من العلوم والفنون التى تتصل بالحقوق . وقد اتفق المسلمون منذ عهد بعيد على تسمية هذا النحو من العلم فقها . ومن المحقق أن باب المجاز مفتوح لم يغلق بعد ، ونرجو ألا يمتحن الله الكتاب بمن يغلقه عليهم كما امتحن الفقهاء عندنا بمن أغلق عليهم باب الاجتهاد . وما دام باب المجاز مفتوحاً فممكن بل محقق أن يقصد بلفظ القانون إلى علوم القانون فى غير مشقة ولا جهد ولا حرج . فاما العلاقة بين القانون وعلومه وهى التى لا بد منها ليصح المجاز فتستطيع ان تلتمسها فى المجمع اللغوى أو عند أصدقائنا الأزهريين

> للصديقين الكبيرين طه حسين وهيكل ، مناقشات أدبية ، وخلافات فنية بين حين وآخر ، مهما أوقدت نار الخصومة البريئة بينهما ، فهى برد وسلام على الأدب ، ومتعة وفائدة للقراء . ولذلك يسرنا أن تستأنف الخصومة بينهما على هذا النحو الذى تعودناه منهما غير مرة ، ففى الحق أن فى خصومتهما خيراً كثيراً لنا ، وربحاً عظيماً للأدب

مهما يكن من شىء فقد عرض صديقنا هيكل فى هلال الشهر الماضى للصلة بين الأدب والفقه أو بين الأدب والقانون كما يقولون . وأراد أن يثبت أن هذه الصلة واقعة لا شك فيها وانها معقولة مشروعة إن صح هذا التعبير . فاما انها واقعة فالناس جميعاً يعلمون أن كثيراً من رجال الفقه والعلماء بالحقوق أدباء بارعون يتصرفون فى فنون الأدب والوان الكلام تصرف من يملك اعنة الأدب ملكا خالصا لاشك فيه . وأما انها معقولة مشروعة فالناس جميعاً يعلمون أيضاً ان الفقه والأدب يحتاجان الى الوان من الدراسة متشابهة ويفرضان على صاحبهما ضروبا من العلم متقاربة ، كما أن أثرهما أو نتيجتهما توشك أن تكون واحدة فى حياة الفقيه والاديب . كلاهما محتاج ليكون فقيها أو اديباً إلى أن يدرس نفوس الافراد والجماعات ويتعرف خصائصهم وما يعرض لهم فى حياتهم الداخلية والخارجية من الاحداث والخطوب ، وهو محتاج إلى هذا لأنه مضطر بحكم صناعته سواء أ كانت ادبا أم فقها الى أن يتحدث الى الناس فيما يكتب وما يقول ، وإلى ان يتحدث عن الناس فيما يكتب وما يقول أيضاً . فلا بد له اذن من أن يفهم الناس ليتحدث

عنهم ولا بد له من أن يفهمه الناس إذا تحدث اليهم ، وهو من هاتين الجهتين محتاج الى العلم بشؤون الناس والتأثير فى نفوسهم إذا تحدث اليهم فى فصاحة وبلاغة وحسن اداء.

واظننى قد صورت فكرة صديقى هيكل تصويراً صحيحاً لم أعدها ولم اقصر فى تبيين ما أراد اليه منها ، وأنا اشارك هيكلا فى الرأى ، فالصلة بين الادب والقانون واقعة وهى معقولة أيضاً ، ولعلها اثبت وأظهر من أن تحتاج الى أن يكتب فيها فصل كالذى كتبه الصديق فضلا عن أن يكتب فصل آخر كهذا الذى أكتبه الآن . ولكن من الذى زعم اننا لا نكتب إلا لنثبت ما يحتاج الى الاثبات أو لنوضح ما يحتاج الى التوضيح ؟ أليس الحق اننا نكتب فى كثير من الاحيان لنكتب أو ليقرأ الناس او لتنشر الصحف والمجلات ؟ سواء أكان ما نكتبه فى حاجة إلى أن يكتب أم لم يكن ، انما هى حاجة تدفعنا إلى الكتابة أو تدفع القراء الى القراءة أو تدفع الصحف والمجلات الى النشر ، فاذا الجو مملوء بما شاء الله من المقالات والفصول

وأنا اعوذ بالله ان أقول ان الفصل الذى كتبه صديقى هيكل قد كتب دون ان تكون هناك حاجة إلى كتابته . فهيكل لا يكتب إلا ما فيه النفع والغناء ، وأنا انما أريد ان اقول ان الحاجة إلى الكتابة نفسها خليقة ان تحدد وتبين . فهناك حاجة إلى الكتابة تأتى من ان موضوعا من الموضوعات مشكوك فيه فلا بد من ان يثبت ، أو غامض فلا بد من ان ينجلى ، أو مجهول فلابد من ان يعرف ، أو ضعيف فلابد من ان يقوى ، أو قوى فلابد من ان يضعف . وهناك حاجة إلى الكتابة تأتى من ان قوماً لا بد من ان يكتبوا وقوما آخرين لا بد من ان ينشروا وكثرة من الناس لابد من ان تقرأ . ويخطىء أشنع الخطأ من يظن ان مثل هذه الكتابة فضول لا خير فيه ، فمثل هذه الكتابة ليس فضولا ولكنه ترف والترف الادبى هو خير ما فى الادب من متاع . ومن المحقق اننا لو أعرضنا عن الترف العقلى والشعورى واخذنا أنفسنا بما لا بد منه للحياة اليومية لرجعنا بالانسانية الى عصور الظلمة المظلمة والجمود القبيح

واذا لقى بعض الناس بعضاً فى غير عمل وجلس بعضهم إلى بعض وأخذوا فيما يأخذون فيه من حديث فما نفع هذا الحديث الا ان فيه تسلية وتلهية وتغذية للعقل وانفاقا للوقت وتخفيفاً من أثقال العيش وتكاليف الحياة . فاقترح - ومن ذا الذى يستطيع ان يمنعك من الاقتراح - ان يصدر قانون يفرض على الناس ألا يكتبوا الا حين تدعو المنفعة المحققة إلى الكتابة ، وأن لا يقولوا إلا حين تدعو الحاجة الملحة إلى القول ، وأن لا يتحدثوا إلا حين تدعو الضرورة الماسة إلى الحديث ، وانفذ هذا القانون ان وجدت إلى تنفيذه سبيلا ، وثق بعد ذلك بأنك ستهدم الحضارة هدماً وتقوض الثقافة تقويضاً

على ان هذا الفصل الذى كتبه صديقى هيكل موجز إلى أضيق حدود الايجاز فليس يكفى ان يعرف الناس ان بين القانون والادب صلة معقولة مشروعة ، وان كثيراً من رجال القانون

ادباء بارعون . وانما يحسن ان يعرف الناس شيئا عن طبيعة هذه الصلة كيف نشأت وكيف أحدثت آثارها المختلفة ، وأى الامرين كان أبلغ فى صاحبه أثراً وأكثر له غناء ونفعاً : الأدب ام الفقه ؟ هذا النحو من البحث خليق ان يعنى به الكتاب لأنه خليق ان يعلم كثيراً من قرائنا ما لا يعلمون وأن يثير فى نفوس كثير من المفكرين والباحثين خواطر خصبة لها من القيمة والخطر حظ عظيم . وقد يكون مما ينفع الناس ان يعلموا مثلا أن الفقه قد أنشأ فناً من الأدب ما كان لينشأ من دون الفقه ، وهو فن المحاماة ، فليست المحاماة فقهاً وانما هى أدب يستعان عليه بالفقه ، وقد يقول أصحاب القانون إن المحاماة فقه يستعان عليه بالأدب ، وهم أحرار يستطيعون ان يقولوا ما يشاءون ، ولكن الشيء الذى لا شك فيه ان المحاماة خطابة وكتابة واقناع للقضاة وتأثير فى نفوس القارئين والسامعين ، وهذا كله أدب من غير شك . والمحامى البارع لا تأتيه براعته من اتقانه لعلوم الفقه بقدر ما تأتيه من قدرته على اقناع القضاة وقهر الخصوم . فبراعته تأتيه من الأدب اكثر مما تأتيه من القانون . وللقانون رجاله الذين يظفرون بالتفوق الفقهى الخالص الذى لا يحتاج الى أدب ولا الى استعانة بالادب ، وهم هؤلاء الفقهاء الذين ينفقون حياتهم وجهودهم فى درس النصوص الفقهية وتفهمها واستخراج ما فيها وما ليس فيها من المعانى وتحميلها ما تطيق وما لا تطيق من الاغراض . هؤلاء الفقهاء البارعون موجودون فى كل بيئة متحضرة حقا وهم أساس من أسس الحياة فى البيئات التى يوجدون فيها

هؤلاء الفقهاء يأتيهم نبوغهم وتفوقهم من الفقه وحده لا من الأدب ولا مما يشبه الادب . وليس ضرورياً أن يكون الفقيه الذى يفتى فى المشكلات الرسمية وغير الرسمية اديباً بارعاً فى الشعر والنثر قادراً على الخطابة والكتابة والتحرير . وانما يكفى أن يكون محسناً لاداء ما يريد اداءه فى لغة فقهية واضحة ، إذا فهمها الفقهاء واشباه الفقهاء فلا على أصحابها اذا لم تفهمها انت ولا افهمها انا من الذين لا علم لهم بالفقه ولا مشاركة لهم فيه . الفقه إذن انشأ فناً من الأدب هو المحاماة . ومن يدرى ؟ لعلى مخطىء فى هذا التقدير ولعلى ارضى المحامين فاغضب الأدباء . ايهما انشأ صاحبه : اهو الفقه قد انشأ المحاماة أم هي المحاماة قد انشأت فقه المحاماة ؟ ذلك أن المحاماة كما قلنا أدب من غير شك ولكنها أدب متصل بالفقه ، فايهما انشأ صاحبه ؟ أما انا فلا أريد أن اقضى فى هذا السؤال وانما أحب أن يقضى فيه هيكل بعد أن يرجع إلى اصول المحاماة وإلى تاريخها وبعد أن يتبين أن السفسطائيين هم الذين انشأوها انشاء لأول عهد بالوجود فى القرن الخامس قبل الميلاد . والذى يعلمه الناس أن السفسطائيين أصحاب أدب وفلسفة وان الأدب قد غلب عليهم فافسد فلسفتهم افساداً . فاذا كان السفسطائيون هم الذين انشأوا المحاماة فلا نقول انهم أنشأوا فقه المحاماة انشاء ، ولكنا نستطيع أن نقول فى غير شك انهم فتحوا للادب باباً جديداً من أبواب النشاط وهو الفقه

وما يتصل بالحقوق . كان الأدب قبل السفسطائيين شعراً ونثراً وخطابة سياسية ، فاصبح بوجود السفسطائيين فقهاً ومرافعة أيضاً

ولعل صديقنا هيكلا يلاحظ أن كبار المحامين فى العصور القديمة انما يعرفون بالأدب أكثر مما يعرفون بالمحاماة ، ولعلهم يعرفون بالسياسة أكثر مما يعرفون بالمحاماة أيضا ، وهم إذا عرفوا بالمحاماة فانما يعرفون بها على انها مظهر من مظاهر حياتهم الادبية العليا ، فديموستين ومناظروه من الأثينيين أصحاب ادب وبيان وكذلك سيسيرون ومناظروه من خطباء الرومان

مهما يكن الأمر فقد نشأت المحاماة على انها نشاط أدبى ثم لم يقف أمرها عندما بلغت من نجاح امام المحاكم الشعبية اليونانية والرومانية ، ولكنها دعت إلى فنون من الأدب جديدة ما كانت لتظهر لولم توجد المحاماة . ويكفى ان تقرأ الكتب التى وضعها القدماء وارسطاليس خاصة فى الخطابة لتعرف أن أثر المحاماة فى انشاء علم البيان وتنظيم قواعد النقد وأصوله أظهر من ان يخفى وأوضح من ان يحتاج الى بيان

فالمحاماة إذن قد ساهمت فى إنشاء هذه الفنون الأدبية الرفيعة التى تتصل بالنقد وتميز جيد الكلام من رديئه . وحسبك بهذه صلة بين الادب والفقه وبين الادباء والفقهاء . على ان لهيكل فكرة أحسبه لم يوفق فيها إلى الصواب كله ، وهى هذه التى ختم بها فصله حين أراد ان يخصص الأدب ويفرق بينه وبين الكتابة ، وهو قد اتخذنى لهذا مثلا فجعل بعض كتبى ادبا وأنكر أن يكون بعضها الآخر من الأدب ، فالايام وعلى هامش السيرة أدب عنده ، وما كتبته فى النقد والتاريخ الأدبى ليس ادباً . واؤكد للصديق انى لا ألم بهذا الموضوع حرصاً على أن يكون ما كتبته كله أو بعضه أدباً ، فهذا أيسر مايعنينى وآخر ما أفكر فيه . وانما ألم بهذا الموضوع تصحيحاً لرأى الصديق فى هذه الكتب والفصول التى تكتب فى النقد والتاريخ الادبى ، فهى أدب من غير شك . ولو أن هيكلا آثر الاناة ولم يتعجل لاشفق كل الاشفاق من هذا الحكم . فما رأيه فيما كتبه سانت بف وفيما كتبه جول لوميتر وفيما كتبه أناتول فرانس وفيما كتبه افذاذ الكتاب من النقد : أأدب هو أم ماذا ؟ أليس الصديق برتاع إذا ذكر أنه يريد أن ينفى بهذا الحكم خير ما اخرج الادب الحديث ؟ وحسبك ان ينفى حديث الاثنين . واين يكون الأدب إذا لم يكن فى حديث الاثنين ؟

واذن فلنوسع الادب على الفقهاء ولنقل ان الفقيه اديب حين يخاصم فيحسن الخصومة وحين يكتب فيحسن الكتابة وحين يبين فيحسن البيان ، وان لم يضع قصة ولم يكن شاعراً ولا صاحب ترسل . . واذن فعدد الادباء من رجال القانون اكثر مما يظن الصديق

طه حسين

الفنّ والفنّان

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

« . . . من الآثار الفنية ما هو فن بحت . ومنها ما هو علم بحت ، ومنها ما يتردد بين العلم والفن . . ذاتية رجل الفن في استلهام سنن الكون وظواهر الحياة في صورها وتطورها . هي اذن قوام سمو الفن الى غاية ما يوهب رجل الفن من قدرة على السمو . . »

يختلف حديث الناس عن الفن اليوم عن حديث أسلافهم عنه . فمنذ زمن غير بعيد كان الناس يتحدثون عن الفنون الجميلة على أنها النقش والتصوير والموسيقى . ولم يكن يدور بخاطر أحد أن الأدب أو التمثيل المسرحي أو الأمور السياسية والاقتصادية يمكن أن تدخل تحت عنوان الفن . أما اليوم فقد اختلف نظر الناس وأصبح الحديث عن الفن مقابلا للحديث عن العلم . فالفن ما ليس علماً ، والعلم إنما يقصد الى تعرف سنن الكون من طريق الملاحظة والمقارنة والتبويب لاستنباط تلك السنن . فكل أثر ليست هذه غايته يستظل بعلَم الفن ويعتبر فناً . وأصحاب هذه الآثار التي لا تقصد أولا وبالذات إلى معرفة أسرار الكون وحقائقه ، كبراها وصغراها ، هم رجال الفن وأربابه

وهذه في رأيي تفرقة يخالطها شيء من الابهام من ناحية ، ولا ينطبق عليها معنى التعريف الجامع المانع من الجهة الأخرى . ويجب لبيان ذلك أن نذكر أن من الآثار ماهو فني بحت ، ومنها ما هو علمي بحت ، ومنها ما يتردد بين العلم والفن وما يخلط العلم بالفن . فمن الآثار الفنيّة البحتة هذه التي تواضع الناس منذ القدم على أنها الفنون الجميلة . فالنقش والتصوير والموسيقى آثارها جميعاً فنية بحتة إلا إذا قصد منها إلى غاية علمية كتصوير جسم الانسان تصويراً تشريحياً لفائدة العلم الطبي ، أو كنقش تمثال لمثل هذا الغرض ـ قد يكون في التصوير والنقش لهذه الغاية العلمية حظ عظيم من الفن ، أى من مقدرة المصور والمثال الذاتية . لكن الأثر يظل مع ذلك أدنى إلى الأثر العلمي منه إلى الفن . ذلك بأنه إنما يقصد منه إلى

تصوير حالة ثابتة لا حركة فيها ولا يراد بها تسجيل مظهر من مظاهر الكون الدائبة على التغير والتحول ، الدائمة الانهيار والتجدد . فأما آثار الفنون التى تعتبر فنية بحتة ، فأما آثار النقش والتصوير والموسيقى التى تواضع الناس على تسميتها منذ القدم فنوناً جميلة ، فيجب أن تتحقق فيها ظاهرتان : ذاتية رب الفن ، وتسجيلها حالات قد تتكرر ، بل هى حتماً لها على الزمن أشباه ونظائر ، ولكنها حالات تتغير وتتجدد . وبحكم هاتين الظاهرتين تختلف الآثار الفنية للمظهر الواحد وتتفاوت حسب ذوق رب الفن الذاتى ، وحسب البيئة التى صدر الأثر الفني عنها ، سواء بيئة الزمان أو بيئة المكان . فمنظر الطبيعة الريفية يوحى إلى الموسيقى النابغة العظيم بتهوفن سمفونيته عن الريف، ويوحى الى شوبان سوناته (الشاعر والفلاح) . منظر الطبيعة متحول متجدد في مظاهره ، وإن كان ثابتاً في كنهه وجوهره . والأثر الذى تتركه ظواهر تحوله وتجدده فى نفس رجل الفن هو الذى يوحى بالأثر الفنى . وذاتية رب الفن في تأثره بهذه الظواهر هي التي تخلع على الاثر الفنى مبلغ ما يرقى اليه من سمو وإبداع ، ليبلغ الذروة أحياناً ، وليكون جميلا أحياناً أخرى ثم تبقى بينه وبين الذروة مراحل

مظاهر الكون الدائمة الانهيار والاستحالة هى إذن مصدر الوحي بالفن ، بينما سنن الكون الثابتة هى مطمح العلم ومدى غايته . وبمقدار ما يتأثر رجل الفن بمظاهر الكون هذه يكون سمو إلهامه . فهو بمقدار تأثره يردد أثر هذه المظاهر عنده في أنغام موسيقية شجية ، أو في صور كلها الحياة والوحي ، أو فى تماثيل تنطق بمعان قوية سامية أوحت بها الحياة إلى نفس رجل الفن . وكلما ازدادت قوة الاثر في نفس رجل الفن الموهوب استطاع هو أن يخلق جديداً في الحياة بما ينشىء من آثار الفن ، وأن ينفث فى الطبيعة الصامتة أو في الكون الدائم المور صوراً من الحياة تجلو هذه الطبيعة وهذا الكون لأعيننا ولمشاعرنا فى ألوان ما كنا لندركها لولا رجل الفن الموهوب وإدراكه إياها وتصويره مظاهرها على صورة هذا الادراك

على أن ألوان الفن لم تقف في عصر من العصور عند النقش والتصوير والموسيقى . بل لقد كان الشعر والتمثيل المسرحي معاصرين منذ القدم لهذه التي اعتاد أهل الاجيال الماضية أن يسموها الفنون الجميلة ، وكان الكثيرون يعتبرون الشعر والمسرحيات بعض الفن الجميل . ولم يبق اليوم من ينكر عليهما هذه الصفة . فهما يصوران مظاهر الحياة الدائمة الانهيار والاستحالة على نحو ما يحسها الشاعر والمؤلف المسرحى والممثل المسرحي . والفرق بين هذين الفنين والفنون الجميلة الأخرى أن الموسيقى تمثل حالات نفسية خاصة ، وأن التصوير والنقش

يمثلان مظاهر مادية للحيـاة ، بينما يصور الشعر التمثيل المسرحي مشاعرنا وتأثر تفكيرنا بإحساسنا وعواطفنا وما ينشأ عما تختلج به هذه العواطف والاحساس من أثر في حياتنا ولطالما امتزج الشعر بالفن المسرحي فكانت القطع المسرحية شعراً ، وكان الشعر القصصي أو الشعر الوجداني مصوراً في صورة مسرحية وان لم يقصد به إلى أن يمثل على المسرح . والاوديسي اليونانية القديمة الخالدة من هذا النوع الاخير . ومثلها الكوميديا الالهية لدانتي ، وإن اختلف غرض كل من الشاعر اليوناني والشاعر الروماني من شعره . ورسالة الغفران لأبي العلاء من هذا النوع ، وهي تتفق من حيث الغرض مع كوميـديا دانتي الالهيـة تمام الاتفاق وأشد وضوحاً في تمثيل هذا الاتصال بين الشعر والمسرحيات روايات شكسبير التمثيلية وبعض قطع ملتن التي لم يقصد بها الى المسرح ، وروايات راسين وكورني وموليير وفلتير ، وروايات جيتي ، وروايات شوقي التي نشرت ومثلت قبل موته . وهـذه والكثير من أمثالها إنما مصدر الوحي به مظاهر الكون الدائمة الانهيار والاستحالة ، كالنقش والتصوير والموسيقى سواء . وهي تعتمد في مكانتها الفنية على ذاتية رجل الفن في تأثره بمظاهر الطبيعة والكون

أحسب القارىء يريد أن يسبقني الى سؤال يحتم ما قدمنا وروده الى الذهن . فالقصة ، والأقصوصة ، والأدب بوجه عام – أين مكانه من الفن . وهنا موضع التفرقة التي أشرت اليها في صدر هذه الكلمة حين قلت إن من الآثار الذهنية الانسانيـة ما هو فن بحت ، ومنها ما هو علم بحت ، ومنها ما يتردد بين العلم والفن . وأنت تقرأ قصة بورجيه Le Disciple فتشعر أنك تقرأ فلسفة علمية أكثر مما تشعر بأنك تقرأ قطعـة من الأدب . وهي مع ذلك أدب في أقوى معاني هذا اللفظ . وأنت تقرأ « الجريمة والعقاب » لدستويفسكي فتراك مأخوذاً عن نفسك بروعة الأسلوب ، وأنت تعود إلى قراءتها فتجد الروعة في التحليل النفسى أكثر منها في الاسلوب وتحس بنظريات العلم الجنائي مطبقة فيها أدق تطبيق . أفيكون معنى هذا أن الأدب تطبيق النظريات العلمية وتصوير السنن الكونية في حكمها مظاهر الكون والحياة الدائمة التجدد والاستحالة ؟ ! لكنك لا تجد هـذا واضحاً في كثير من كتب الادب . بل تشعر في كتب الادب الانكليزى وفي الشعر الانكليزى أن الأغراض الانسانية السامية أكثر توجيهاً للكتاب والادباء . . وهم لذلك أكثر ميلا الى ناحية التاريخ منهم إلى ناحية التحليل النفسي ، وإن كان من بينهم من برع في هذا التحليل غاية البراعة . أفيصدق على الكتب الاولى قول القائل إن الادب إنما هو تطبيق قواعد العلم على مظاهر الحيـاة تطبيقاً يختلف دقة وقوة

حسب ذاتية الكاتب وسمو إلهامه ؟ وهل يصدق على الكتب الثانية ما يقال من أن الفن يجب أن تقصد الغاية منه الى الفن على نظرية فلوبير والاخوان مارجريت وجي دي موباسان ؟ أم إن لزاماً مزاوجة هذين المذهبين : الفن للفن والفن كتطبيق لقواعد العلم على واقع ما في الحياة ليكون الفن حياً وليتاح له ان يبقى وأن يخلد ؟ . الواقع أن الفن لا يستطيع - وإن حاول - أن يستمد حياته من خيال لا أصل له في معروف الحياة . وكوميديا دانتي الالهية ورسالة الغفران للمعرى ، يصفان الحياة الآخرة ، ولكنهما يصفانها من واقع هذه الحياة التي نحيا نحن . يتهكمان بجوانب منها ويعجبان بجوانب أخرى ، ويصوران التوبة والعقاب على نحو ما يدور بخاطر أهل هذه الحياة تصويره . وثورة الملائكة لأناتول فرانس وما فيها من وصف للحرب بين الشياطين والملائكة يستمد الكاتب العبقري الالهام فيها من تصور الانسانية لمصدر الحياة والخلق منذ الاديان الاولى ومنذ الازل . فاذا صدق إذن قولهم ان لا جديد تحت الشمس في شأن سنن الكون الثابتة فهو صادق كذلك في شأن الفن

والقصة والاقصوصة وسائر فنون الادب النثرى تكسب - لا ريبة - قوة اذا بنى الالهام فيها على قواعد العلم وسننه الثابتة . ولن يحول هذا دون تصوير الخيال ظواهر الكون الدائمة التجدد والاستحالة فيما يشاء رجل الفن من الصور

ذاتية رجل الفن في استلهامه سنن الكون وظواهر الحياة في صورها وتطورها ، هي إذاً قوام سمو الفن إلى غاية مايوهب رجل الفن من قدرة على السمو . وأحسب ما سبق من تصوير ذلك يدل على أن رجل الفن أحوج الناس الى غزارة المادة في العلم والى تمثل هذه المادة تمثلا يمكنه من أن يضفي على ظواهر الكون أبدع الصور وأكثرها سموا . ولعلى لا أجد مثلا أضرب به لذلك خيرا من أن هذا المثال المصرى القديم الذي نحت تماثيل رمسيس الملقاة على ثرى منف قد كان من دقة المعرفة بدقائق علم التشريح حتى ترى بادية فى الحجر أعصاب المعصم وأعصاب الساق وأعصاب الحركة في جميع المفاصل ، كما بلغ من دقة المعرفة بدقائق علم النفس و بتاريخ بلاده حتى ترى بادية في نظرة هذا التمثال وفي التاج على رأسه ما يجعلك تلمح في شخصه كل ما قصد رجل الفن اليه من المعاني . اذا كان العلم قد تقدم ، أو على الاقل قد تطور منذ تلك العصور الى حيث نعرف أنه قد بلغ ، فحاجة رجل الفن في عصرنا الى المعرفة الغزيرة أقوى وأشد . وهذه المعرفة هى وحدها التى تسمح لموهبة الفنان بأن تضفى على ظواهر الحياة الصورة الفنية الممتازة التي تنشىء على الحياة خلقاً جديدا

محمد حسين هيكل

غرائب المصانعين

للامير مصطفى الشهابي

لي صديق اسمه (ر . .) أخذ من العلم بحظ وافر ، وتمتع من الجاه بمنزلة عالية ، وتصرف في الحكومة بأعلى مراتب القضاء . وهو في أحكامه آية لا يضيع معه حق لضعيف ولا يسود باطل لقوي . لكنه على كل هذا غريب في مجالسه الخاصة . فهو ينزل في حديثه على رأي مخاطبه دائماً ، ويصانعه ويداريه ويتلطف معه . وربما تناقش اثنان في حضرته وتنازعا في رأي من الآراء فتراه نازلاً على رأي الاثنين معاً ، ينتحل لكليهما من الأعذار الصحيحة ويدلي بالحجج الدامغة والبراهين الساطعة على ما قد يكون فيها من تناقض يدعو الى الهزؤ والسخرية . واذا راجعته في ذلك أفهمك بأناة ورفق أن آراء الناس خضم لا ساحل له ، وأنه ما من رأي إلا وله محاسن ومقابح ، وأن التعصب للرأي أياً كان لا يخلو من الخطل ، وأن معاداة الناس في آرائهم حمق وبلاهة . وعبثاً تحاول أن تقنعه بأن آراء الناس تعد في الفلسفة من قوى هذا الكون ، وبأنه يحسب لها حساب كبير في حياة الانسان على هذه الكرة الارضية وبأن الرجل كل الرجل من له رأي يعمل به وعقيدة يدعو إليها . فصاحبنا بعيد عن كل هذا بعد الارض عن السماء ، ومخالف له مخالفة النار للماء . وهاكم مثالاً واحداً من أحاديثنا معه :

كنت في يوم من الأيام أسمر مع أحد الرفاق في الصيد والقنص ، وأنا من هواة الصيد بل من الغواة به ، ورفيقي من الآخذين بمذهب أبي العلاء . وما إن بدأنا نتحدث حتى دخل علينا صاحبنا المداري فابتدرته قائلاً : ما رأيك في الصيد ؟ وهو عليم برأيي فيه لكنه يجهل رأي رفيقي . فأجاب على الفور متحمساً : أي شيء ألذ من الخروج في طلب الثعالب والارانب والغزلان ، واستثارتها واخراجها من مكامنها ، ورؤية الكلب السلوقي يطاردها ، حتى اذا أدركها ظفر بها ونيّب [1] وضرب بها الأرض وعفر بها التراب تعفيراً ؟ بل أي شيء أبهى من باشق أو صقر مدرب يرى الطير فيثب نحوه ، ويعلو في الهواء ويرتفع فوقه ثم ينقض عليه ويخطفه خطف عزيز مقتدر ؟ وأي لذة تضاهي لذة الصياد ، يرى طيرا في شجرة ، فيقترب منه مطاطيء الرأس محني الظهر متداني الخطى خاتلاً يكاد نفسه يقف في صدره ، حتى اذا بلغ حد

---

(١) انشب فيها ظفره ونابه

الرمي يطلق عليه النار فيقع يتخبط بدمه فيدركه الصياد ويذبحه ثم يغيبه في المقنب (١) ويسير الى غيره دراكا وهو مزهو كأنه قائد يسير في حومة الوغى من ظفر الى ظفر ؟!

وأخذ رفيقي يتململ من مكانه وهم بالكلام فادرك صاحبنا أنه ممن حرموا على أنفسهم وعلى الناس صيد البر والبحر . فاذا به ينقلب فجأة ويتجه بحديثه الى الرفيق يقول : ومع كل ما ذكرت من محاسن التصيد ومباهجه . فانه رياضة لا تخلو من قسوة وهمجية في كثير من الاحيان ، كتصيد الغزلان بالسيارة في البادية بعد الالحاح عليها بالطرد حتى تنهك وتقع . وكاقتناص الحجال بينما تكون صغارها مشردة حولها لا تدري ماذا فعل الصيادون بامهاتها . وهيهات أن أنسى دُراجة حولها ثلاثة فراخ ، دنوت منها فما طارت خوفاً على فراخها . فأطلقت عليها النار فأخطأتها أيضاً . فوالله ماطارت في هذه المرة بل نظرت الى محدقة والهة . ثم رنت الى فراخها المروعات تدعوهن اليها . فاشفقت عندئذ عليها وعفوت عنها . على حين أنه يندر أن يكون في زمرة الصيادين شفيق أو رحيم

والتفت صاحبنا إلي فرآني قد تجهمت له فاستدرك قائلا : ولكن ما العمل اذا كانت الطبيعة قد جعلت كل حي من الاحياء طفيلياً ابن طفيلي ؟ فنحن لاغنى لنا عن الحيوانات ولحومها ، وهي ثروة عظيمة اذا تركناها ضاعت بلا جدوى . والحيوان ان لم نقتله نحن قتله غيرنا . ثم هولا ادراك له ، فسيان إذن أقتل اليوم أم فطس غدا . ومن الغباوة ألا تنتفع به على الوجه الأتم . أما الانسان فما برح يقتات بالصيد منذ خلق الى يوم الناس هذا . والصيد بعد محلل في كل الاديان المعروفة

وحانت منه التفاتة الى الرفيق فرآه مزوراً فاردف قائلا : غير أن الصيد يا صاح جنون تستعمله العقلاء . فنفقاته كبيرة واتعابه شاقة وأخطاره عظيمة . ولكم تعرض الصيادون لالتهاب القصبات ولذات الرئة في الشتاء ، ولضربة الشمس في الصيف . ولا يحصى عدد الذين قتلوا الناس أو قتلوا هم خطأ بنار بنادقهم . كل ذلك في طرائد لا تسمن ولا تغني من جوع . بل يمكن الاستغناء عنها بقليل من اللحم يشترى من دكان جزار من الجزارين . وفوق كل هذا لا بد من القول بان لفظة الجزار لفظة فظيعة . فهي تذكرنا بالمجازر البشرية فى الحروب الدينية والمذهبية وفى الحروب السياسية . والانسان وان كان مشتركا أى من آكلي لحم الحيوان ونباتات الارض معاً ، فبامكانه الاقتصار على النبات وحده ، لان فيه كل

(١) خريطة يحمل فيها الصياد صيده

العناصر الغذائية التي يحتاج اليها فى تغذيته وهي المواد الآزوتية والدهنية والنشائية والسكرية والمعدنية . وشتان ما بين ثقل اللحوم في المعدة وخفة الفواكه والخضروات فيها . وهل يقاس منظر اللحم وما فيه من عضل وعروق وشرايين وأوردة ودم ودهن وشحم وأشباه أخرى تشمئز منها النفوس ، بمنظر برتقالة زاهية وعنبة لامعة وأنبجة [1] عطرة وتفاحة نضرة وموزة صفراء ومشمشة ذهبية و . . . ؟

ولم أدعه يتم حديثه فصرخت في وجهه قائلا : ويحك أهي دروس في التغذية تلقيها على تلاميذ أم محاضرة فى نتن اللحوم وأشكال الفواكه وفوائد الفجل وروائح الكزبرة والثوم والبصل ؟ وأين انت مما سألناك الاجابة عنه وهو رأيك في الصيد والقنص ؟ هل تراه أمراً محموداً أم شيئاً مذموماً ؟ فاستقر على رأى واجب بلا أو نعم ؛ وخلاك ذم

وربما ظن القارىء ، وقد وصلت المهاترة الى هذا الحد ، أن صاحبنا العزيز لا بد له من الانحياز الى فريق دون فريق بعد أن مهدت له السبيل وعبدت الطريق . ولكن هيهات أن تظفر منه بطائل ولو لبثت تحاوره ساعات متماديات . فقد اجابني بأنه من الصيادين الذين قلما يخطئون فى رميهم فهو إذن من هواة هذه الرياضة اللذيذة . ثم التفت على الفور الى رفيقي قائلا : لكن لنا مندوحة عن هذا الضرب من الجنون برياضات شتى اكثر لذة وأقل ضرراً

هذا مثال واحد من غرائب المداراة والمصانعة . وفي كل يوم لنا مع صاحبنا أحاديث على هذا الطراز الفكه . وهو كما قلت عالم وغير محتاج الى أحد . ولهذا لا يمكن ان نظن به المداهنة والملق لغاية في النفس . فما قول القراء بهذا الخلق العجيب . وهل يحمدونه أم يذمونه ؟

مصطفى الشهابي

كلمات لسعد زغلول

- نحن لسنا محتاجين لكثير من العلم . ولكننا محتاجون لكثير من الاخلاق الفاضلة
- الذى يلزمنا ان نفاخر به هو اعمالنا ، لا الشهادات التى فى ايدينا
- الحياة أقل من أن يأسى عليها المرء
- لا اريد أن أكون موضع خوف بل موضع احترام

---

(١) الانبج شجر « المنجا » المعروف وثمره . ذكره ابن سيده في المخصص وابن البيطار في مفرداته . وواحدة الثمر انبجة وهي ايضاً أنبه وعنبه

مشكلات العصر الحاضر

الزواج

بقلم الاستاذ احمد امين

عرضنا فى مقالنا السابق الى مشكلة من أهم مشكلات العصر وهي المشكلة الاقتصادية. واليوم نعرض لمشكلة أخرى لا تقل عنها أهمية وهى «مشكلة الزواج»

عقدت المدنية الزواج كما عقدت كل مرافق الحياة. فالزواج عند الحيوانات سهل بسيط. لا تركيب ولا تعقيد. يؤدى كما يؤدى الاكل والشرب على الفطرة، فلا احتفالات ولا مظاهر ولا مهور ولا ما الى ذلك. وكان الانسان الاول على حال أقرب الى حال الحيوان، بساطة فى الزواج وبساطة فى الطلاق وبساطة فى علاقة الابناء بالآباء. ثم رأيناه كلما أمعن فى المدنية أمعن زواجه فى التعقد. وأوضح دليل على ذلك المقارنة بين زواج المدن وزواج الريف فى الامة الواحدة فى العصر الواحد. فالزواج فى الريف أقرب الى السذاجة والبساطة، على حين أن زواج المدن أشد تعقيداً وتركباً. ولنستعرض الآن فى إيجاز مظاهر هذه المشاكل التى خلقتها المدنية وأسبابها

فأول ذلك أن المدنية — عادة — تكثر الفروق بين الناس. فاذا استعرضت حال المتوحشين وجدت الفروق بينهم ضعيفة قليلة فى الرجال وفى النساء، فى الصحة والمرض، فى العلم والجهل، فى الفقر والغنى، فى القبح والجمال، فى نوع المعيشة ورقيها أو انحطاطها، فى الذوق وحكمه على الاشياء، فى الدين، فى اللغة، فى كل شئ — ثم جاءت المدنية فوسعت مسافة الخلف بين الناس وأصبح بعض الناس فى السماء وبعضهم فى الارض. وبعضهم فى الذروة وبعضهم فى الحضيض. لم تكن هناك فروق بين الناس إلا ما أوجبته الطبيعة. فلما جاءت المدنية جاءت بفروق صناعية فاقت — مراراً — الفروق الطبيعية — كانت عقلية الناس متقاربة فاصطنعت المدنية العلم، فخالف العلم بين الناس خلافاً لاحد له. وكان الناس متقاربين فى الغنى والفقر، فاصطنعت المدنية وسائل الثروة واستخدمت فى ذلك العلم فكثر المال وكثرت الثروة وكثرت الفروق بين الناس فى الغنى والفقر. فهذا فى تخمة من المال لا يجد له مصرفاً، وهذا فى مخمصة حتى لا يجد ما يسد رمقه، وهكذا الشأن فى كل ضروب الحياة

هذه الفروق التى خلقتها المدنية كانت سبباً كبيراً فى خلق مشكلة من مشكلات الزواج، لان المدنية خالفت بين الرجال كثيراً وبين النساء كثيراً. خالفت بين الرجال فى أذواقهم وحكمهم على الجمال والقبح والثروة والجاه، وخالفت بين النساء فجعلت بين جمالهن وقبحهن درجات عديدة،

فهذه صاغها النعيم بلباقة فأدقها وأجلها . وهذه صاغها البؤس فى غير لباقة فشوهها وعابها — وهذه لها من المال ومن وسائل المدنية ما يحليها ويجملها ، وهذه لها من الشقاء ما يذل نفسها ويخمد حياتها . هذا الجمال المكشوف المعروض وهذا الجمال البائس المستكن ، وهذه المظاهر الخلابة من غنى وجمال ، وهذه الطهارة الشقية المستترة ، وهؤلاء الرجال الطامحون الى الجمال والى الغنى . وهذا الذوق المتغير تغيراً دائماً فى تقدير الجمال والغنى والجاه وما اليها . وعلى الجملة هذه الاختلافات البعيدة فى الرجال وفى النساء فى مداركهم وذوقهم وطموحهم جعلت الزواج معقداً مرتبكا ، وأفقدته بساطته الاولى وسذاجته التى نشأ عليها . وجعلت الرجل يفكر طويلا وطويلا : هل يتزوج وكيف يتزوج وبمن يتزوج ؟ وجعلت المرأة تفكر طويلا وطويلا : هل تتزوج وكيف تتزوج وبمن تتزوج ؟ وهذه الاسئلة التى كانت تحل قديماً في جلسة أصبحت الآن تستغرق الاجابة عنها شطراً طويلا من العمر أو العمر كله من غير حل — حتى ولو تم الزواج فهذه الامانى لا تزال تعمل عملها فى شقاء الزوجية : ليته وقد تزوج بها تزوج بغيرها — وليتها وقد تزوجت به تزوجت بغيره — وليتها وهي فقيرة كانت غنية — وليته وهو ذكى كان أبله ! الى آخر ليته وليتها . وما أنتج هذه الامانى إلا كثرة الفروق والغلو فى الطموح

ومشكلة أخرى فى الزواج خلقتها المدنية الحاضرة أيضاً : تلك مشكلة مايستتبعه الزواج من أولاد ، فكلما عظمت المدنية تركبت تربية الاولاد وتعقدت . فبعد أن كان يولد الولد فيكون منذ درج عوناً لأبيه فى الزراعة والصناعة ونحوها ، أصبح عبء المدارس ثقيلا وأصبح إعداد الاولاد للحياة فى غاية العسر والمشقة ، وكلما رقى الآباء زاد شعورهم بهذه التبعات الملقاة على عاتقهم ، فلم يرضوا لاولادهم الا أن يربوا خير تربية ويعدوا خير اعداد . وفى ذلك ما ينوء بالاب المتوسط الحال فكيف الفقير ؟

هذا شعور الاب أو من سيصير أبا . أما شعور الام أو من ستصير أما فقد تعقد من ناحية أخرى ، وهي أن المدنية منحت المرأة كثيراً من حريتها وأوجدت منها المتعلمة المثقفة التى تحسن القراءة والكتابة وتتطلب الغذاء العقلى دائماً ، كما تتطلب مشاهدة مسارح السينما والتمثيل من حين الى حين . كل هذا جعل المرأة تفكر طويلا قبل الزواج فى الاولاد وأنهم سيحدون من حريتها وسيصرفونها عن متاعها العقلى والنفسى ، فهي تفضل أن تقرأ وتكتب وتشارك الرجل فى أعماله العقلية وتتحرر من قيود الاولاد ومتاعبهم . . فان اختلف نظر الرجل والمرأة إلى الاولاد — هذا يشعر بثقل التبعة وخاصة التبعة المالية ، وهذه تشعر بأن الاولاد غل فى عنقها وقيد لحريتها ، فقد اتفقا على التفكير فى الاولاد وكراهيتهم أو على الاقل كراهية الاكثار منهم . واتفقا على أن يضيفا هذه المصاعب إلى سجل المشاكل التى يفكرون فيها قبل الزواج

وما دمنا قد وصلنا الى حرية المرأة فيحسن ان نبين أنها كانت سبباً أيضاً فى خلق مشكلات أخرى فى الزواج فقد انهارت العقيدة القديمة وهي أن الرجل له الامر والنهى وعلى المرأة الطاعة ، وأن المرأة إذا تزوجت انحصر عملها فى بيتها وأصبح أهم عمل تقوم به الامومة ، وأخذت

تحل محل هـذه العقيدة عقيدة أخرى هي المساواة للرجل في كل شؤون الحياة ، ولكن هاتان العقيدتان لم تخلوا حتى الآن من الاصطدام ، فلا يزال في الرجال من يرى الرأى الاول ويتمسك به ، ويريد ان ينزل المرأة على حكمه ، ولا يزال فيهم من يجيبها في بعض مطالبها دون بعض . والامم المتمدنة يختلف بعضها عن بعض في ذلك اختلافا كبيراً . وهما في الشرق أشد اصطداماً لان المدنية الحديثة لم تتم غزوتها للشرق بعد ولم تستكمل الفتح . ففي الشرق رجال لا يزالون يؤملون أن يحكموا المرأة حكمهم في القرون الوسطى ،وفيه نساء يرين أن يعاملن الرجال معاملة القرن العشرين . ولقد ماكان من تصادم نشأ عنه أحياناً خراب الاسر ونشأ عنه أحياناً أخرى احجام شبان عن الزواج . وستكون الغلبة من غير شك لنظرية المرأة لانها تسير مع التيار الاوربي ، وما أقواه

على أن هذه النظرية الجديدة التي سادت أوربا وهي حرية المرأة ومساواتها بالرجل قد نشأ عنها مشكلة أخرى أعظم خطراً وأشد تعقداً ، وهي أن حرية المرأة جعلتها تعتد بشخصيتها وتقدر شخصها تقديراً كبيراً ، فرأت — فيما رأت — ان في ولادتها ، أو بعبارة أدق كثرة ولادتها ، اهداراً لشخصيتها ، فقللت النسل ، فرأت الامم مايجره ذلك عليها من خطر يهددها بالفناء . فهي بين امرأة لا بد أن تتحرر وتعتد بشخصيتها ، وفي هذا تقليل النسل ، وأمة لا بد أن يكثر تعدادها حتى تضمن بقاءها ، ولا يمكن أن يكون ذلك الا بالتدخل في حرية المرأة . ولا تزال هذه المشكلة تتطلب الحل . ومما يزيد الأمر صعوبة أن الطبقات التي يقل عددها هي الطبقة المثقفة الراقية في عقلها وفنها من رجال ونساء لان وقيهم جعلهم يشعرون بالمسئولية أكثر من غيرهم فيحتاطون للامر ويمنعون النسل أو يقللونه ، على حين أن الاكثار في النسل انما ينتج من الطبقة الفقيرة الجاهلة التي لاتشعر بأية مسئولية ، وفي ذلك خطر أي خطر . فخير الطبقات تقدم للمجتمع أقل من مثلها . وشر الطبقات تقدم للمجتمع أكثر منها .

ثم كان لهذه الحرية الاجتماعية التي تقدم الناس في فهمها أثر آخر في العلاقات الزوجية ، فقد اعتاد الناس قديماً أن يطالبوا المرأة بمطالب أكثر مما يطالبون الرجل . يطالبونها بالطاعة أكثر مما يطالبونه ، ويطالبونها بطهارة العلاقة الزوجية أكثر مما يطالبونه ، ويطالبونها أن تعد لحياة الاسرة حسب عيوب الرجل أكثر مما يطالبونه أن يعدلها حسب عيوب المرأة . فلما فشت تعاليم المساواة بين الرجل والمرأة تغير النظر في العلاقات الزوجية من أساسها ، فطولب بالطهارة كما طولبت ، ونظر الى اجرامها كما نظر الى اجرامه ، ولم تعترف بأنه قيم عليها بل هو شريك لها . وتبع ذلك انغماسها في كل مظاهر الحياة . فهي تحاضر وتسمع المحاضرات وتتعلم وتؤلف . وهي تصاحب وتصادق . وهي تحادث الرجال ويحادثونها ، وهي تطالب أن تنتخب وتنتخب وتعمل وتوظف . وعلى الجملة فما من حركة يتحركها الرجل إلا فعلت مثلها أو طالبت أن يكون لها الحق في مثلها . نتج عن ذلك كله مشكلات لاعداد لها . ففي الرجال من لم يتزحزح عن موقفه الاول كثيراً ، فاراد أن يحكم وأرادت أن تحكم فتخاصم

الها كان وفشل الزواج . ومن ذلك أن هذه الحركات صحبها ضعف الوازع الديني وصحبها الشك في قيمة المقياس الاخلاقي القديم الذي كان يقدر العفة أعظم تقدير ولا يعدل بها شيئاً في الحياة حتى الحياة نفسها . فتغير هذا النظر وتقدمت المدنية بمغرياتها العديدة المتنوعة الاشكال فوقع كثير من الرجال والنساء في أشراكها . وفهموا من الحرية انها مرادفة لاطلاق العنان فخلوا بين نفوسهم وما تريد ففسد كثير من زواج كان ، وأحجم كثير من الشباب عن زواج يكون

وشيء آخر خلقته المدنية وهو تأسيس الزواج على الحب ، والحب وحده ، من غير أن تشترك في ذلك اعتبارات عقلية . وهذا أساس غير صالح وحده . لان الزواج رباط وشعور بواجبات وتحمل لتبعات . وقل أن يبقى حب مع واجب ورباط وتبعات لانه انما ينمو ويزهر في جو مشبع بالحرية والخيال ويقتله الرباط المحكم

ليس يستحسن في شرع الهوى عاشق يحسن تأليف الحجج
بنى الحب على الجور فلو انصف المحبوب فيه لسمج

فان بقي حب بعد زواج فهو استعمال للفظ في مجازه ، وهو في الواقع نوع هادىء خاضع للتفكير والعقل أكثر مما هو خاضع للعاطفة والشعور . وأظن أن الحب في الحقيقة ليس هذا

هذا استعراض لقليل من مشكلات الزواج وما أكثرها ! ومن غريب الامر أن الناس لم يسيروا في الزواج سيراً منطقياً ، فقد غيروا كل مقدماته وبقيت نتائجه كما هي ، فقد بقي المهر من الرجل أو « الدوطا » من المرأة . وهما لا معنى لهما إن كان أساس الزواج الحب — وظل الطلاق مقيداً بقيود كثيرة في كثير من الامم ، وهي لا معنى لها مع ما منحته المرأة من الحرية الاجتماعية — الى كثير من أمثال ذلك مما يستطيع القارىء أن يتبينه اذا استعرض ما يجرى في الزواج

لقد فكر كثير من المصلحين في علاج هذه المشكلات وكان من أشهر ما اقترحوا من علاج « الطلاق » وتسهيله على الرجل والمرأة متى وجدت الدواعي ، ولكن الطلاق قد يكون علاجا ناجحا اذا لم تنتج الزوجية أولاداً . فاما ان استتبع أولاداً ففي الطلاق نظر مجرد الى الزوجية واهدار للاولاد ، نظر الى شخص الزوجية وتضييع لحق الاولاد وحق الامة فيهم ، نظر لمن أجرموا — على الاقل بعدم مراعاتهم لعلاقة الزوجية — واهمال للابرياء من الاولاد وأمتهم

هذه المشكلات التي خلقتها المدنية الحديثة في الزوجية لا يمكن أن تصلح الا من وجهين : إما الرجوع الى بساطة العيش الاولى والتجرد عن المدنية المعقدة بحسناتها وسيئاتها ، وكل الدلائل تدل على أن ذلك ليس في الامكان ، وإما تعديل المدنية وتعديل الزواج بما يتفق ومقدماته وتعديل نفوس الناس بما يتفق وبيئاتهم الجديدة — وما أسهل هذا القول اجمالا وأصعبه تفصيلا !

احمد امين

أشعار الترقيص عند العرب

بقلم الدكتور احمد بك عيسى

كان العرب يداعبون اطفالهم ويرقصونهم في ازمانهم كما نفعل نحن في زماننا. غير انهم كانوا يتنون لهم في مداعباتهم وترقيصهم بأشعار وأراجيز في الدعاء والمديح ، او الحماسة والشجاعة والاقدام وعلو الهمة وعزة النفس وما اليها . فيشب الطفل وقد غرست به هذه الصفات الحميدة . وقد جمع الدكتور احمد بك عيسى من ذلك طائفة مختارة ضمنها كتاباً عزم على طبعه . ونحن ننشر منها هذه الصفحات

ترقيص الأطفال بالغناء والكلام الموزون من طبائع الانسان أنى وجد ، حتى لتجدن مايشبهه فى الحيوان الأعجم إذ تراه يهارش ولده ويداعبه فى صوت لين كحنو الانسان على ولده . والترقيص للانسان من أقوم الوسائل لتربية الطفل وتنشئته وغرس جميل الخصال وحميد الفعال في ذهنه قبل أن يشتد ، حتى تتمكن من أخلاقه وتنقش في مخيلته نقش القلم في الحجر ، فيشب الطفل وقد انطبعت في جسده وامتزجت بلحمه ودمه ، فلا يمكن بعد ذلك محوها من ذهنه . وقد كان للعرب نصيب وافر من ذلك الكلام اشتهر عنهم وحل بينهم أعلى مكان من مجالسهم ومنتدياتهم ومنازلهم الخاصة . وكان من الخصال الحميدة التى يتوخونها لتربية الطفل وتهذيبه وغرس بذورها في عقله : الفخر والشجاعة والحماسة والكرم والمباهاة والاقدام واغاثة الملهوف وغير ذلك من الخصال الحسنة ، ثم توسعوا فى ذلك واتخذوا من ترقيص الطفل بالمقاطيع الشعرية بث أغراض أخرى تلوح لهم يقضون بها مآرب يستترونها به ، كالمدح واللوم والتقريع والتبكيت والعتاب والاعتذار والتعريض والذم الخ ، حتى لا تجابه أقوالهم منازعيهم رأساً فيستترون وراء هذا الكلام ويعتذرون به . ولهذه الاقوال من حسن الاداة وسبك الالفاظ و بلاغة التركيب وسمو الفكر ما جعل اللغويين يستشهدون بها على فصاحة الحروف ونقاوة اللغة . وقد كان لى من الحظ ان عثرت على الكثير من ذلك في أثناء مطالعاتي واهتممت بتقييده وشرحه وتفسير الفاظه وترجمة أصحابه والمغنيين فيه لعلو قدرهم في بيئاتهم ، حتى يكون قدوة لنا فى عصرنا ننشىء به أطفالنا ونجنى من ورائه خير ما يجنى كل من أحسن الغرس . وسأكتفى هنا بنقل بعض تلك القطع حتى يعلم من يقرؤها فعل مثل هذه الاقوال في خَلق الطفل وخُلقه

فى الدعاء

عن حليمة مرضعة النبي (ص) ورضى الله عنها أنها كانت بعد رجوعها بسيدنا محمد (ص) من مكة لا تدعه يذهب الى مكان بعيد عنها ، فغفلت عنه يوماً فى الظهيرة فخرجت تطلبه فوجدته مع أخته من الرضاعة وهي الشَّيماء وكانت تحضنه مع أمها ولذلك تدعى أم النبي أيضاً وكانت ترقصه بقولها :

هـذا أخٌ لى لم تلدْه أُمّي وليس من نسل أبي وعَمّي

فأَنْمِه اللهم فيما تُنْمِي

فقالت حليمة : فى هذا الحر ؟ فقالت اخته : يا أمَّه ، ما وجد أخي حرّاً ، رأيت غمامة تُظِل عليه . إذا وقف وقفت وإذا سار سارت حتى انتهى إلى هذا الموضع

تفسير الكلمات : فأنمه : النماء الزيادة نمى ينمى نَمْياً ونُمياً ونماء زاد وكثر وأنماه الله إنماء

حليمة : هى بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شِجنةَ بن جابر بن رِزام بن ناصرة ابن قُصَيَّة بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَة بن قيس عيلان بن مُضَر . واسم أبيه الذى أرضعه أى زوج مرضعته حليمة ، الحارث بن عبد العزى بن رفاعة ابن ميلان بن ناصرة بن قُصَيَّة بن نصر بن سعد بن بكر ، الى آخر النسب . واخوة النبى (ص) من الرضاعة هم : عبد الله بن الحارث وأُنيسة بنت الحارث وجذامة بنت الحارث وهى الشَّيْماء

فى المديح

قال ابوعلى القالى : حدثنا أبو بكر قال حدثني عمي عن أبيه عن هشام بن محمد قال حدثني رافع بن بكار ونوح بن دَرّاج قالا :

دخل النبي (ص) على عمة الزبير بن عبد المطلب وهو صبيّ فأقعده فى حجره وقال :

محمد بن عَبْدَم عِشْت بعيش أنْعَم ودُولة ومَغْنَم

في فرعِ عزٍ أسْنَم مكرَّم معظَّم عِشت سجيس الأزْلَمْ

التفسير : عَبدَم منحوتة من عبد المطلب مثل عبشم أى عبد شمس . أنْعم : من النعْمة وهي المسرة والفرح والترف . دولة : الدُّولة والدَّوْلة العُقْبةُ في المال والحرب سواء . مَغْنَم : الغُنم والغَنيمة الفَيء ، وهو كذلك ما أصيب من أموال الحرب . فَرْع عِز : فرع كل شيء

أعلاه . أسنم : سنام كل شيء أعلاه أي أعلى العز . سجيس الازلم : أي أبد الدهر

الزبير : هو الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي عم النبي (ص) وأمه فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي . واخوته لامه وأبيه : عبد الله بن عبد المطلب ابو النبي (ص) وأبو طالب وأم حكيم البيضاء وعاتكة وأميمة وأروى وبرة . واخوته لابيه : العباس وحمزة والحارث وحجل واسمه مصعب ولقبه الغيداق والمقوم وضرار وعبد العزى وهو ابو لهب وصفية . وكان الزبير بن عبد المطلب من فرسان العرب وشجعانهم وشعرائهم

ثم دخلت على الزبير ابنته أم الحكم فأخذ يرقصها وهو يقول :

يا حبذا أم الحكم كأنها ريم أجم
يا بعلها ماذا يشم ساهم فيها فسهم

التفسير : حبذا : حب بمنزلة نعم وذا اسم إشارة فاعل بمنزلة السيدة . الريم : الظبي الابيض الخالص البياض . أجم : الاجم هو الذي لاقرن له . يشم : شم اختبر كأن بعلها يشم ما عندها وتشم ما عنده ليعملا بمقتضى ذلك . ساهم القوم : قارعهم . فسهم : فقرعهم

ام الحكم : هي بنت الزبير بن عبد المطلب وأمها عاتكة بنت أبي وهب بن عمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم . تزوجها ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم فولدت محمداً (غير نبينا محمد عليه الصلاة والسلام) وعبد الله وعباساً والحارث وعبد شمس وعبد المطلب وأمية (رجلاً) وأروى الكبرى . وأطعم رسول الله أم الحكم في خيبر ثلاثين وسقا . وروت أم الحكم عن النبي وروي عنها

في الحماسة

قال الشيخ محمد بن مظفر الصقلي : بلغني أن عبد المطلب بن هاشم أتته امرأته نتيلة النمرية بابنه العباس بن عبد المطلب وهو رضيع فقالت له : يا أبا الحارث قل في هذا الغلام مقالة . فأخذه منها وجعل يرقصه ويقول :

ظني بعباس حبيبي إن كبر أن يمنع القوم إذا ضاع الدبر
وينزع السجل إذا اليوم اقمطر ويسبأ الزق السجيل المنفجر

ويفصلَ الخُطَّةَ في اليوم المبِرْ ويكشفُ الكربَ إذا ماالخطب هَرْ
أكملَ من عبد كُلال وحُجُرْ لو جُمعا لم يبلغا منه العشر

التفسير : كَبِرَ الرجل والدابة يكبَرُ كِبَرًا ومكبِرًا فهو كبير : طعن في السن . اذا ضاع الدبُر : الدبُر والدُبْرُ الظَهْر. وهذا كناية عن الهزيمة فان المنهزمين يولون الأدبار فهو يمنعهم وقت الهزيمة . «السَّجْل» الدلو الضخمة المملوءة ماء وجمعها سِجال وسجول والمساجلة مأخوذة من السَجل. وأصله أن المستقيين بسجلين من البئر يكون لكل واحد منهما سَجلٌ أي دلوٌ ملأى ماء. فيُخرج كل واحد منهما في سجله مثل ما يخرج الآخر . فأيهما نكل فقد غلِبَ . فهذه هي المساجلة . فضربته العرب مثلاً للمفاخرة ومنه قولهم : « الحرب سجال » . إقطرٌ يومنا اشتد . واقمطر الشيء تقبض . ويوم قمطرير ومقمطِرٌ وقماطر مقبض ما بين العينين لشدته . وفي التنزيل : « انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا » أي أنه يعبِّس الوجه فيجمع ما بين العينين . يَسبأ الزِقَ : سبأ الخمر يسبؤها سبأً وسباء اشتراها ليشربها والزق الذي تنقل فيه الخمر . السجيل : الضخم . المنفجر : من انفجر الماء والدم ونحوهما من السيَّال وتفجرَّ انبعث سائلاً . ويفصل : أي يقضي أو يقطع . الخطة: الحال والأمر. المبِر: الغالب يقال أبَرَّه يبرُّه اذا قهره بفعال أو غيره . وأبَرَّ فلان على أصحابه علاهم . الكرْب : الحزن والغم يأخذ بالنفس . الخَطب: الشأن أو الأمر صغر أو عظم . هرَّ : استعير من هرير الكلب . هرَّ الكلب يهِرُّ هريراً اذا نبح وكشر عن انيابه . والمعنى اذا اشتد الخطب . عبد كلال بن مثوِّب بن ذي حرث بن الحارث بن مالك بن غيدان الذي بعثه تبعّ على مقدمته الى اليمامة فقتل طسماً وجَديساً وحجر بن النعمان بن الحرث بن أبي شَمِر الغساني

نتيلة النمرية: هي ام العباس بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر وهو الضحْيان بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النَمِر بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعميّ بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان . ونتيلة هي اول عربية كست الكعبة الحرير . قالوا وسببه ان العباس ضاع وهو صغير فنذرت ان وجدته ان تكسوها فوجدته ففعلت

احمد عيسى

صقر قريش

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

«... يعبر القفر، ويركب البحر، حتى دخل بلداً أعجمياً، منفرداً بنفسه، فمصر الأمصار، وجند الأجناد، ودون الدواوين، وأقام ملكا عظيماً بعد انقطاعه، بحسن تدبيره، وشدة شكيمته» (ابو جعفر المنصور)

صقر قريش - هكذا سماه ابو جعفر المنصور، وهكذا وصفه. وهو عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام، سليل بنى أمية، بناة الامبراطورية الاسلامية الكبرى، وفرع تلك الدوحة العلياء التي حاول بنو العباس أن يجتثوها بعد تقويضها، من أصولها، وأن يزهقوا بالقتل والمطاردة كل فروعها. ولكن شاء القدر أن يفلت بعض نبتها من يد الجناة، وأن تزكو لتستعيد أصلها الراسخ فى أرض أخرى. وكان ممن نجا من نبتها فتى من ولد هشام بن عبد الملك، هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام، نجا من القتل بأعجوبة، وأفلت من يد الجناة في ظروف مؤثرة، وجاز مصر وقفار افريقية والمغرب الى الأندلس، فبث فيها دعوته ودعوة أسرته. واستطاع بعد حوادث وخطوب جمة أن ينتزع إمارة الأندلس من يد المتغلب عليها، وأن يقيم ملك بنى أمية في ذلك القطر النائي: بعض تراثهم الذاهب.

وليس من موضوعنا أن نستعرض حوادث تلك المأساة التى خاض غمارها عبد الرحمن بن معاوية ليقيم ملك أسرته، أن يطمح فتى شريد، يعمل القتل الذريع في أسرته وعصبته، وحيد ليس له أنصار ولا صحب، الى افتتاح قطر عظيم زاخر بالقادة والجند، وأن يخضع ذلك القطر في حروب لا يخمد أوارها، وسيول من الدماء لا تنقطع، وأن يقيم ملكاً على بركان مضطرم من الثورة والمؤامرة والجريمة - تلك هى قصة عبد الرحمن الاموى. وهى قصة عجيبة ليست من حوادث التاريخ العادية، ولا يقدم الينا التاريخ كثيراً من أمثالها. ولكن عبد الرحمن كان رجل الموقف. وكانت حوادث الجزيرة (اسبانيا) وظروفها وتمزق شملها، وتطلعها الى زعامة قوية توحد كلمتها وقواها، وتسير بها نحو السلام والأمن، تفسح مجال الطموح والعمل لذهن جرىء مغامر كذهن عبد الرحمن، لم يكن عليه أن يخاطر بأكثر من تلك الحياة التى كادت تزهق غير مرة، وكان يحملها في كفه أمام مطارديه خلال القفر الشاسع.

ولكن الغنم كان عظيماً : كان ملكاً بأسره وكان بعث أسرة هوت ومجد عريض دثر

كان سقوط الدولة الأموية بالمشرق مأساة من أروع مآسي التاريخ الاسلامي . وكان قيامها بالأندلس بعد ذلك حادثاً من أعظم حوادث التاريخ الاسلامي . وكانت تلك الشخصية التي قامت على كاهلها دعائم الدولة الجديدة من أعظم شخصيات الحرب والسياسة . كان عبد الرحمن الأموي يتمتع بعبقرية ممتازة وخلال نادرة . وكان قرين جده العظيم معاوية ابن أبي سفيان ، ينشىء مثله دولة ولكن في ظروف أسوأ من ظروفه ، ويهزم الخطوب والحوادث ، ويسحق خصومه في كل ميدان ، ويؤثر مثله السياسة العملية على كل اعتبار ، ويذهب تواً إلى الغاية بأي الوسائل . وكانت المحنة المروعة التي نزلت بأسرته ، والظروف العصيبة التي يجوزها ، والخصومات والاحقاد المستعرة التي تكتنفه ، تحمل خلاله القوية الى ذروة التطرف ، وتدفعه الى التذرع بأشد الوسائل . فتراه يقرن وافر العزم بفيض من الجرأة والمغامرة واحتقار الخطر ، ويقرن وافر الدهاء بنزوع الى الخيانة والغدر والفتك . ويقرن وافر الحزم والصراحة بنزوع الى القمع الذريع . ويذهب في الانتقام الى حدود مروعة من القسوة . ومع ذلك فقد كان عبد الرحمن وفياً يحفظ العهد والصنيعة لمن أخلص له ، وان لم يحجم لأقل ريب أو بادرة عن الفتك بأعز أصدقائه وأقرب الناس اليه . وتلك خلال واضحة بارزة في كثير من حوادث حياته ونضاله . فتراه في مواطن كثيرة يلجأ الى الغدر والاغتيال للتخلص من خصومه . ونراه في مواطن كثيرة يزهق دون تردد كل من وقع في يده من خصومه أو من ولدهم وصحبهم الابرياء . بل نراه يذهب في صرامته وقسوته الى البطش بكثير من أصدقائه الذين آزروه يوم مقدمه شريداً لا عصبة له [1] ثم هو لا يحجم أخيراً عن الفتك بذويه وخاصة أسرته حينما يأتمرون به ، فيقتل ابني أخيه وابن عمه [2]

والخلاصة أن عبد الرحمن كان يلجأ في تحقيق أغراضه الى أروع الاساليب والوسائل . وكان طاغية مسرفاً في البطش والسفك ، ميكيافيلياً بكل معاني الكلمة [3] . ولكن تلك الخلال المثيرة التي كان يحفزها ويذكيها الخطر الداهم ، كانت عنوان قوته ووسيلة ظفره . يقول دوزي : « لقد دفع عبد الرحمن ثمن ظفره غالياً ! ذلك الطاغية الغادر الصارم المنتقم

(١) كانت نكبة عبد الرحمن لمولاه وأولي أنصاره « بدر » من أظهر هذه الحوادث

(٢) أمر عبد الرحمن بقتل ابن أخيه عبد الله بن ابان بن هشام ، وابن أخيه المغيرة بن الوليد بن هشام ، وابن عمه عبد السلام بن يزيد بن هشام المعروف باليزيدي وذلك لاتهامهم بالتآمر ضده

(٣) نسبة الى مكيافيللى صاحب المذهب السياسي المشهور

الذي لا تأخذه رأفة ، ولم يبق ثمة زعيم عربي أو بربري يجرؤ على مواجهته صراحة ، ولكن الجميع كانوا يلعنونه خفية . ولم يك ثمة رجل خير يرغب في خدمته » ثم يقول : « كان هم عبد الرحمن الدائم أن يذل العرب والبربر الى الطاعة ، وأن يرغمهم على التعود على النظام والسلام . وقد لجأ فى تحقيق هذه الغاية الى جميع الوسائل التى لجأ اليها ملوك القرن الخامس عشر لسحق الاقطاع . بيد أنه كان مصيراً محزناً ذلك الذى دفع القدر اليه اسبانيا . وكانت مهمة محزنة تلك التى كان على خلفاء عبد الرحمن أن يضطلعوا بها . ذلك أن الطريق الذى رسمه لهم مؤسس الاسرة كان طريق الطغيان يؤيده السيف . ولكن من الحق ان نقول ان ملكا لا يستطيع ان يحكم العرب والبربر بغير هذه الوسيلة . واذا كان العنف والطغيان في ناحية ، ففى الناحية الاخرى يوجد الاضطراب والفوضى »(١)

على ان عبد الرحمن كان الى جانب هذه الصفات المثيرة يتمتع بكثير من الخلال الباهرة . وقد اجمل ابن حيان مؤرخ الاندلس خلاله فى تلك العبارات القوية . قال : « كان عبد الرحمن راجح الحلم . راسخ العلم . ثاقب الفهم . كثير الحزم . نافذ العزم . بريئاً من العجز . سريع النهضة في طلب الخارجين عليه . متصل الحركة . لا يخلد الى راحة . ولا يسكن الى دعة . ولا يكل الامور الى غيره . ثم لا ينفرد في ابرامها برأيه . شجاعاً مقداماً . بعيد الغور . شديد الحذر . قليل الطمأنينة . بليغاً . مفوهاً . شاعراً . محسناً . سمحا . سخيا . طلق اللسان »

وهذا التصوير الرائع الذى يقدمه الينا ابن حيان عن خلال تلك الشخصية الممتازة انما هو صورة بارزة من صور العظمة والبطولة ، توضحها في جملتها وفي تفاصيلها حياة عبد الرحمن في جميع ادوارها

ويشبهه ابن حيان ايضا بأبي جعفر المنصور في قوة الشكيمة ومضاء العزم ، وفى القسوة والصرامة والاجتراء على الكبائر

واذا كانت هذه الصفات والخلال القوية المثيرة معا لا تحمل على الحب ، فانها تحمل على الاعجاب بلا ريب . بل ان المتأمل ليشعر بعطف خاص نحو هذه الشخصية الفريدة . ويرجع ذلك بلا ريب الى تلك الحياة المؤثرة التى خاض عبد الرحمن غمارها ، وتلك المحن الاثيمة التى نزلت بأسرته ، وتلك الجهود الفادحة التي بذلها لاسترداد حقه وحق اسرته في الحياة والرياسة . وكانت هذه الحياة المؤثرة وما انتهت اليه من النتائج الباهرة تحمل ألد خصوم

(١) Hist des Musulmans d'Espagne Vol. IP. 245 — 248

عبدالرحمن على احترامه والاعجاب به . حتى لقد سماه ابو جعفر المنصور «صقر قريش» فى حديث طريف تنقله الرواية . وهو ان المنصور قال يوما لبعض اصحابه : « من صقر قريش من الملوك ؟ » قالوا : « امير المؤمنين الذي راض الملك . وسكن الزلازل . وحسم الادواء » قال : « ما صنعتم شيئا » قالوا : « فمعاوية » قال : « ولا هذا » قالوا : « فعبد الملك بن مروان » قال : « لا » قالوا : « فمن يا أمير المؤمنين ؟ » قال : « صقر قريش عبد الرحمن بن معاوية الذى تخلص بكيده من سنن الاسنة . وظباة السيوف . يعبر القفر ، ويركب البحر ، حتى دخل بلدا اعجميا ، منفردا بنفسه ، فمصر الامصار . وجند الاجناد . ودون الدواوين . واقام ملكا عظيما بعد انقطاعه ، بحسن تدبيره . وشدة شكيمته . ان معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان ، وذلل له صعبه . وعبد الملك ببيعة ابرم عقدها . وامير المؤمنين بطلب عزته ، واجتماع شيعته . وعبد الرحمن منفرد بنفسه . مؤيد برأيه . مستصحب لعزمه ، وطد الخلافة بالاندلس ، وافتتح الثغور . وقتل المارقين ، وازال الجبابرة الثائرين »[1]

هذا وأما عن شخصه فقد وصف عبد الرحمن بانه كان مديد القامة ، نحيف القوام ، أعور ، أخشم [2] ، له ضفيرتان ، أصهب [3] ، خفيف العارضين ، له خال في وجهه

* * *

وكان عبد الرحمن الأموى جواداً ، جم البساطة والتواضع ، يؤثر لبس البياض ويعتم به . يصلى بالناس أيام الجمع والأعياد . ويحضر الجنائز ويصلى عليها . ويعود المرضى . ويزور الناس ويخاطبهم . ولم ينحرف عن هذه الديموقراطية الا فى أواخر عهده حينما نصحه بعض خاصته بالترفع استبقاء لهيبة الملك والحذر من بوادر العامة وشر المتآمرين . وقد كان حتى في نقش خاتمه : « عبد الرحمن بقضاء الله راض » و « بالله يثق عبد الرحمن و به يعتصم » ما ينم عن ذلك التواضع الجم . لم يتخذ لقب المظفر أو الناصر أو المنصور وما اليها

بقى أن نتحدث عن ناحية أخرى من خلال عبد الرحمن البديعة ، هي الناحية الادبية . كان عبد الرحمن شاعراً جيد النظم . ناثرا فصيح البيان . قوى الترسل . عالماً بالشريعة . وكان يعتبر من أعظم بني مروان مكانة فى البلاغة والأدب . وقد انتهت الينا بعض رسائله وفيها تبدو قوة بيانه وفيض بلاغته [4]

(١) اخبار مجموعة ص ١١٨ و١١٦ والبيان المغرب ج ٢ ص ٦١ و ٦٢

(٢) هو الذي فقد حاسة الشم (٣) من الصهبة وهي احمرار الشعر (٤) راجع نفح الطيب ج ٢ ص ٦٨ - ٧٠ حيث يورد عدة من رسائل عبد الرحمن واقواله

وانتهى الينا من نظم عبد الرحمن ، ما يدل على قوة شاعريته ورقة خياله . فمن ذلك قوله حين بلغه أن بعض أصدقائه يمن عليه ، ويزعم أنه لولاه لما صار الملك اليه :

سعدي وحزمي والمهند والقنا ومقادر بلغت وحال حائل
إن الملوك مع الزمان كواكب نجم يطالعنا ونجم آفل
والحزم كل الحزم ألا يغفلوا أيروم تدبير البرية غافل ؟
ويقول قوم سعده لا عقله خير السعادة ما حماها العاقل

ومن قوله في الشوق الى ربوع الشام . وهو رقيق مؤثر :

أيها الراكب الميمم أرضي اقر من بعضي السلام لبعضي
إن جسمي كما علمت بأرض وفؤادي ومالكيه بأرض
قدر البين بيننا فافترقنا وطوى البين عن جفوني غمضي
قد قضى الله بالفراق علينا فعسى باجتماعنا سوف يقضي

ورأى بروض الرُّصافة نخلة منفردة فأثار منظرها في نفسه ذكرى وشجناً ، وأنشد :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى وطول التنائي عن بَنِيَّ وعن أهلي
نشأت بأرض أنت فيها غريبة فمثلك في الاقصاء والمنتأى مثلي
سقتك غوادي المزن من صوبها الذي يسح ويستمرى السماكين بالوبل [1]

محمد عبد الله عنان
المحامي

(١) يورد ابن الابار في هذا الوطن رواية يفهم منها ان هذه النخلة هي اول نخلة غرست بالاندلس ، ومنها توالد جميع النخل بالاندلس فيما بعد ، واذن فيكون عبد الرحمن الداخل هو اول من نقل غرس النخيل بالاندلس فيما نقل من غراس الشام الى الرصافة (الحلة السيراء ص ٣٢) ولكن يحق لنا ان نلاحظ ان العرب فتحوا الاندلس قبل ذلك بنحو ثمانين عاما ، ومن قبلها فتحوا افريقية . ومن المعقول ان يكون النخيل قد نقل اليها فيما نقلوا من غراس بلادهم . وقد نقلوه الى مصر منذ الفتح . واذا كان النخيل قد غرس بافريقية عقب افتتاحها ، افلا يكون من المرجح انه قد نقل منها الى الاندلس عقب افتتاحها ايضاً ، وقد كان اول ماعني به العرب في الاندلس تنظيم الزراعة وغرس الاشجار ؟

السمك

منافعه للاصحاء والمرضى

بقلم الدكتور محمد بك عبد الحميد

لولا أنى كنت أعيب على أكثر المعجمات العربية كالمصباح المنير ومختار الصحاح وغيرهما طريقتها فى شرح بعض الالفاظ اذ تكتفى بالتعبير عنها بكلمة « معروف أو معروفة » لا كتفيت اليوم بتقديم « السمك » – وهو الموضوع الذى أعالجه – لحضرات القراء بما جاء عنه فى مختار الصحاح وهو : « السمك معروف واحدته سمكة وجمع السمك سماك وسموك »

ولعل للقوم العذر كل العذر فى تفسير المعروف بمعروف . لان من زائد الكلام ان أذكر عن السمك مثلا أنه من الحيوانات المائية التى تعيش فى الماء ، وأنه أنواع كثيرة ، منه مايعيش فى البحار أو المياه المالحة ، ومنه ما يعيش فى الانهار أو فى المياه العذبة ، ومنه ما يكبر حتى تكون الواحدة منه كسفينة ، ومنه ما هو صغير حتى لايكاد يدركه البصر . ومن مميزات السمك القشور التى تغطى جلده كما أن الريش من مميزات الطيور والشعر من مميزات الحيوانات اللبونة . ولكل نوع اسم خاص يميزه من غيره . . . ومن الانواع المعروفة البياض ، وسمك موسى ، والقرموط ، والاروس ، والمرجان ، والبلطى ، والبسارية ، والسردين وغير ذلك مما هومشهور

هل السمك غذاء جيد ؟

ان السمك غذاء جيد رخيص إذا قورن ثمن لحمه بلحم الطيور والدواجن ولحم الضأن ، ولا سيما فى السواحل والبلاد القريبة من شواطئ البحار والانهار . ويزعم كثير من الناس ان لحم السمك لا يعادل من الناحية الغذائية سائر اللحوم . وأنه لا يكون غذاء للذين يقومون باشغال شاقة سواء أكانت بدنية أم عقلية ، وهو زعم فاسد لان السمك لحم طرى ينفع لبناء الانسجة وتوليد القوة نفع اللحوم الحمراء وقد يكون أفضل منها صحياً . ففيه من المواد النتروجينية مافى سائر اللحوم أضف الى ذلك أن لحمه طرى ولا سيما اذا كان السمك هزيلا غير سمين لا يحتوى على مواد دهنية كثيرة مما يجعله اسهل هضما من لحم الضأن والبقر . هذا الى أنه أقل خلاصات من اللحم ، وهى تلك المواد المنبهة التى تنبه الظواهر الحيوية فى الجسم والتى ان زادت كانت ضارة للصحة . ولهذه الاسباب يصلح السمك غذاء للناقهين والمرضى المصابين بضعف الهضم . وكذلك يصلح لمن كانت حياتهم جلوسية من العمال . فهو وقتئذ يمتاز عن اللحم الاحمر الذى من شأنه أن يولد التعفن المعوى

والامساك والامتصاص العفن من الامعاء . وكذلك يحسن بالمسرفين فى تناول اللحوم أن يستبدلوا بها السمك من وقت لآخر . على ان للسمك عيبين يسيرين ليسا فى سائر اللحوم . ذلك ان المواد النتروجينية التى فى السمك تحتوى من العناصر الجلاتينية أكثر مما تحتويه اللحوم . وهذا مما يجعل السمك أسرع تلفاً وأقرب فساداً من اللحوم . أما العيب الثانى فقلة مافى السمك من الخلاصات التى ذكرت مما يجعله تافه الطعم ويقتضى لنضجه وتجهيزه للمائدة عناية خاصة

لا تأكل السمك إلا طازجاً

علم مما تقدم أن السمك سريع العطب مالم يحفظ فى برادة . ولذلك كان من الضرورى الا يأكل الانسان منه إلا ما كان طازجاً غير مخزون . ومن السهل معرفة المخزون منه برائحته . ومن حسن الحظ ان معرفة البائت منه اسهل من معرفة البائت من سائر اللحوم

وهناك علامات أخرى يمكن ان يستعين بها الانسان على معرفة الطازج من البائت . فالسمكة الطازجة تكون أكثر صلابة من البائتة التى تكون رخوة ، ويكون ذيلها جامداً يستقيم الى موضعه اذا احنيته ، والعيون بارزة غير منخسفة ، والخياشيم لامعة ، والجلد مغطى جيداً بالقشور . فاذا لم تستكمل السمكة هذه الصفات فخير للمشترى ألا يبتاعها لما قد يحدث عن أكلها من الضرر

وزعم بعضهم أن السمك لا يحسن اكله عندما يضع بيضه لانه يكون فى هذا الوقت هزيلا

قيمته الغذائية

ويقسم الاطباء السمك قسمين من حيث قيمته الغذائية : فمنه ما تكون مواده الدهنية متوزعة فى لحمه . ومنه ما تكون هذه المواد مخزونة فى كبده . فالنوع الاول افيد تغذية من النوع الثانى لكنه أصعب هضما . ولذلك يفضل الاطباء النوع الاول للاصحاء والنوع الثانى للمرضى والناقهين

ومن منافع السمك الغذائية أنه يحتوى على مقادير لابأس بها من المواد الحيوية الضرورية للانسان التى يسميها الاطباء «فيتامين». والفيتامين أنواع مختلفة يميزونها بالحروف الهجائية (A-B-C-D)

ومن منافعه أيضا أن فيه أملاحاً معدنية كثيرة وهى أيضا ضرورية للجسم

ففى المواد الدهنية سواء أكانت فى عامة اللحم أم مخزونة فى الكبد نوعان من الفيتامين (A-D) . فالنوع A له شأن كبير فى أثناء نمو الجسم وفى أمر وقايته من الامراض الميكروبية . وأما النوع (D) فيفيد فى بناء العظام والأسنان . ونقصه هو السبب الجوهرى لمرض الكساحة فى الأطفال . ومن ذلك يتضح أن السمك غذاء نافع للاطفال والاولاد . وفى بطارخ السمك وهو عناصره التناسلية مقادير غزيرة من الفيتامين (A-B) وكذلك من المواد الفوصفاتية التى تنفع غذاء للجهاز العصبى

أما الاملاح المعدنية التى فى السمك فيستمدها من املاح البحار التى يعيش فيها . وأكثرها

فوصفاتية . ولكثرة هذه الاملاح فى السمك يسود الاعتقاد بان السمك غذاء جيد للمخ . وليس هناك غذاء خاص للمخ ، لكن سهولة هضم السمك تجعله غذاء صالحاً للمشتغلين اشغالا عقلية

ومن منافعه الغذائية أيضا ولا سيما الانواع البحرية منه وجود اليود فيه وهو ضرورى للجسم يساعد الغدة الدرقية على القيام بوظيفتها خير قيام . ونقص اليود من الجسم من أسباب مرض هذه الغدة المعروف عند الاطباء بالجواتر . وفيه يظهر ورم فى مقدم العنق يتحرك مع البلع . ويبدو صغيراً ثم يكبر مع الزمن . والمعتاد أن يزداد عمل هذه الغدة فى أثناء الحمل مما يستلزم أن تتناول الحامل فى طعامها مقداراً كبيراً من اليود . وربما كان فى تناولها السمك مرتين أو أكثر فى الاسبوع فى اثناء الحمل مايسد هذه الحاجة

زيت كبد الحوت

ويطول بى الكلام لو أردت أن أبين منافع زيت كبد الحوت الذى يستخرج من الحيتان . فهو نافع ، ولا سيما فى زمن الشتاء ، لكثير من الامراض المختلفة كالامراض الخنازيرية ، والسل ، والكساحة ، وامراض العظام والمفاصل ، والامراض الصدرية ، والسعال الديكي ، وضعف البنية ، وبعض الامراض الجلدية . ويرشدنا الله سبحانه وتعالى الى هذه المنافع كلها بقوله تعالى فى كتابه العزيز : « وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج . ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » وكذلك بقوله : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة »

منفعة السمك للمسلمين بصفة خاصة

ومن منافع السمك للمسلمين بصفة خاصة ان المسافرين منهم من الاقطار الاسلامية الى البلاد الافرنكية يستطيعون أن يأكلوا من لحم السمك ماشاءوا بدلا من سائر اللحوم اذا رأوا عليهم غضاضة فى تناولها لان الحيوانات لم تذبح بطريقة شرعية . اما السمك فقد جاء عنه الحديث : « هو الطهور ماؤه والحل ميتته » والضمير يعود الى البحر والمقصود بالميتة السمك

ويصح ان أذكر ان السمك كان يؤكل غذاء منذ بدء الخليقة . والدليل على ذلك قوله تعالى فى شأن موسى وفتاه : « واذ قال موسى لفتاه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين أو امضى حقبا . فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله فى البحر سربا . فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً . قال أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فانى نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن اذكره واتخذ سبيله فى البحر عجبا »

الدكتور محمد عبد الحميد

الشريد

بقلم الدكتور محمد عوض محمد

هي قصة « اوربي » قذفت به الاقدار بين الزنوج فعاش عيشتهم وتزوج منهم ، وهي تحليل نفسي ، وتصوير أدبي لحياة فقراء البيض في جنوبي أفريقيا ، ومقارنة لحياتين متناقضتين، نشأ هذا «الشريد» في أولاهما وتربى فيها ، ثم أراد أن يعيش في ثانيتهما كما يعيش بنو جنسه سادة بين الزنوج يسخرونهم لاغراضهم ويستغلونهم لشهواتهم، ولكن طالعه النحس أبى الا أن يحيا في هذه البلاد حياة العبيد

لمن العينان الزرقاوان ، كأنهما قطعتان من الفيروز ؟ قد أحاطت بهما أجفان امتلأت ذبولا فوق ذبول ، وغضوناً فوق غضون !

لمن هذا الشعر الأصفر ، كأنه أسلاك من النضار ؟ وما لعسجده البراق الملتهب ، قد خالطته الفضة الشاحبة الفاترة ؟

ليست هذه الدار بالتي ترتاح لمرآها تلك العيون، ولا بالتي يلمع فيها ذلك النضار ! ان هذه أرض سوداء يسكنها قوم سود ، فكيف ارتضاها الفيروز الازرق داراً ، والعسجد الثمين وطناً ؟ هذه أرض زنجية ، وقومها من الزنج !

هذه الأيدى ذات البشرة السوداء ، التى امتدت لتتناول طعامها الخشن من غير شوك ولا سكين ، هى أيد زنجية . وتلك الافواه الناتئة ، ذات الشفاه الغليظة ، هى شفاه زنجيـــة ، لأفواه زنجية ، وقد أخذت تلتهم ذلك الطعام الزنجي ، بشهوة زنجية وأصوات زنجية

وتلك الاسنان البيضاء الناصعة ، التى ليس للبيض مثلها ، تبدو من خلال الشـــفاه منضدة مرصوصة ، قاطعة ماضية . هى أسنان زنجية لا شك فيها

أجل ان كل شيء ههنا زنجى ، لا ريب فى ذلك ولا مراء ! . . .

زنجية هذه الجماعات المنتشرة حول أكواخها ، وزنجية هذه السهول التى قل نبتها وزرعها ، ولو كان فيها خير ما تركها البيض للسود

زنجية هذه الأدغال والأحراج ، يسكنها وحش زنجى ، وطير زنجى ، وأقوام من الزنج . .

زنجية هذه الجبال الجرداء التى تبدو فى الافق الشرق ، ومن فوقها تطل على القوم كل صباح شمس زنجية السحنة والملامح والتقاطيع !

كل شيء زنجى فى زنجى !

فلمن هاتان العينان كأنهمـا قطعتان من الفيروز ، ولمن ذلك الشعر الذهبى الملتهب ، تتخلله قطع من الفضة الفاترة الشاحبة ؟

أما الوجه الأبيض الناصع الباض فقد لوحته شمس أفريقية لا ترحم ، واكسبته سمرة كالحة غريبة نابية لا تزين المحيا ولا يروق العين منظرها

وأما الجبين والخدود فقد حفر فيهما الدهر سطوراً طويلة عميقة .. وقد أخذ الشعر ينبت ويطول على بشرة لم تألف أن ينبت عليها الشعر ويطول ...

فما لهذا الشمالى قد انحدر الى هذه البيئة الافريقية الجنوبية ؟ هل أراد أن يستبدل بالاهل أهلا وبالدار داراً ؟

إن الثياب التى تكسو الجسد الناحل الهزيل أوربية الشكل والطراز ، لكن كيف أضحت رثة بالية بهذا القدر ؟ هل أبلاها تقادم العهد أم تراكم الأقذار ، أم البعد عن الديار التى ألفتها والعناية التى عودتها ؟

وهذا الكوخ الصغير الذى لا يختلف فى شيء عن اكواخ (الزولو) ، بل هو دون الكثير من أكواخ الزنج جمالا ورواء وتنسيقاً ، وفى داخله هـذا الحصير الخشن والعشب اليابس والاوانى الزنجية البسيطة الشكل الملقاة فى زواياه !.. أبهذا يستعاض عن المنزل الأوربى الفخم وعن الاثاث والاوانى التى تعد كل قطعة منها تحفة فنية بديعة ؟

وهذه الزوجة السوداء التى جلست الى جانب الكوخ مطرقة كئيبة ، تلاطف طفلا خلاسياً حزيناً كئيباً . تلاعبه وما بها من لعب ، وتضاحكه وما بقلبها ذرة من الضحك ... هذه السوداء لم تخل من حسن زنجى جذاب لولا أن معالمه قد درست وآثاره قد عفت ...

أبهذه الزنجية يستعاض عن بنات الشمال اللواتى يبدون فى مثل اشراق البـدر ونضرة الزهر ؟

ما الذى هوى بهذا الشقى التعس الى هذا العيش الزنجى الدنىء ، ولقـد جاء أجداده هذه البلاد الافريقية الجنوبية غزاة فاتحين ونزلوها سادة كراماً واتخذوا من أهلها رقيقاً وعبيدا ؟

ما لمثل هذا العيش جشم أولئك القوم أنفسهم كل ذلك العنـاء . انهم نزلوا افريقا لكى يسكنوا القصور ويركبوا الأعناق ويمرحوا فى السعادة وينغمسوا فى النعيم ويشربوا كؤوس الترف مترعة سائغة . من أجل هذا هجروا الوطن ، ولهذا ركبوا ظهر الموج واقتحموا الشدائد وخاضوا غمار حروب سهلة هينة ، انتهت باذلال السود واستعبادهم ، وتسخيرهم لخدمة البيض ولاسعادهم . ومن أبى منهم حياة السخرة والرق أقصى اقصاء ، واضطر لان يعيش فى أرض قليلة الماء فقيرة الزرع ، مما عافته نفوس البيض ولم يرغبوا فيه

فلماذا غادر « ادمند » منازل السادة البيض ، على ما بها من ترف ونعيم ، وآثر عليها مواطن الزنج على ما بها من شدة وشقاء !

ليس من شك فى أن صاحبنا « ادمند » لم ينزل دار الشقاء راضياً مختاراً . انه كان عالما بما

فيها من خشونة لم يألفها، وبما في نزوطا من إذلال للنفس العزيزة وارغام للانف الكريم.
وقد نزلها كارها مكرهاً حين تقطعت به أسباب الرزق، وفقد المورد الذى كان يدر عليه الخير ويوفر عليه النعمة. فان هذه البلاد التى امتلأت ذهباً وماساً وجوهراً، قد كثر قاصدوها ونازلوها. وتألبت عليها جماهير الطامعين فى فضتها ونضارها، واشتد بينهم التناحر، وأخذ كل يحاول أن يستأثر بالخير وأن يصد عنه أخاه، على نحو ما الفه البيض فى أوطانهم ودبارهم. فجعلوا يتدافعون بالايدى والارجل وبالصدور والاكتاف، حتى انتهى فريق الى الفوز والنصر الباهر، وفريق ناله من الفوز نصيب يسير... وهنالك فريق دفعته الايدى وداسته الارجل، وألفى نفسه فجأة وقد تقدمه الناس جميعاً، وغادروه وليس له سوى الحرمان نصيب

وأصبح «ادمند» يوما فاذا الفقر يسعى اليه ولم يكن يعرف الفقر، ورأى الشقاء يتهدده وما لله خلق الشقاء. انما جعل الشقاء لأولئك الزنوج ذوى الأنفس الذليلة والبشرة السوداء، ذوى الأنف الافطس والشعر المفلفل، الذين كتب عليهم أن يشقوا ليسعد البيض وأن يعيشوا عيش الكفاف لكى يحيا البيض حياة النعيم والترف. ذلك أنهم من سلالة تعسة بائسة ومن جنس واضع ذليل. فكيف جاز للشقاء اليوم أن يحدق فى وجه رجل من البيض؟ كلا ان هذه سحابة صيف، وهذه الشدة لن تلبث حتى تنفرج، وهذه الصعاب لن تبرح حتى تهون. ولديه قليل من المال المدخر، فلينفق منه شهراً أو بعض شهر حتى تنفتح أمامه أبواب الرزق، ويبسم له الحظ مرة أخرى

ومن ذا يلوم «ادمند» على التعلل بالامل وعلى حسن ظنه بالايام؟ أليس من أمثال قومه السائرة قولهم: «لا يزال المرء عائشاً فى الامل حتى يموت فى اليأس؟». فلا جناح عليه إذا طار به طائر الرجاء محلقاً فى السماء والجسد ثاو على أديم الثرى

لكن ثغر الزمان أبى أن يبتسم لادمند، وظلت أبواب الرزق موصدة وطرقه منسدة، وأخذ المدخر من ماله يتناقص على مر الايام. فماذا عساه يفعل يوم يغدو وليس بيده شىء من المال؟ لا بد له أن يبادر فيحتال للامر قبل أن يداهمه الفقر المدقع. انه يستطيع من غير شك أن يستبقى هذا المال القليل زمناً طويلا، لو انه عاش عيشاً متواضعا، مجتزئا بالقليل عن الكثير وباليسير عن الجليل وبالتقشف عن الترف وبالخشن الجاف عن الناعم الطرى. وهذه الحال لن تدوم إلا ريثما تفتح أمامه أبواب العمل الذى يليق به. وهذه ـ لعمرك ـ ان بقيت موصدة زمنا فان هذا الزمن لن يطول، وان تمضى أشهر قلائل حتى تصالحه السعادة مرة أخرى

فلن يضيره اليوم أن يتخذ لنفسه مسكنا صغيراً وأن يعيش فيه عيش القناعة والرضى، بل لن يضيره اليوم أن يتخذ لنفسه كوخا كأكواخ الزنج وفراشا كفراشهم ويعيش فيه كما يعيشون أجل وليس فى هذا ذلة أو ضعة، فانه لن تكون له بهم صلة سوى صلة البيع والشراء.

وسيزدريهم وينبذهم كما كان من قبل يزدريهم وينبذهم . ولئن كان فى رؤيتهم كل ساعة غضاضة على نفسه ، فسيهون هذا عليه رؤيته للبيض كل يوم ، حين يقصدهم باحثا عن عمل ومرتزق . وفى هذا ما يذكره - إن كان فى حاجة الى مذكر - بأنه ما برح من البيض ومن جنس السادة الفاتحين

وضحك كثيراً - وكان بعد قادراً على الضحك - حين خطر له أنه سيغدو يوما فى حاجة الى ما يذكره بأنه من البيض ، ونظر بارتياح الى مرآة أمامه متأملا شعره العسجدى وعينيه الزرقاوين وبشرته الناصعة البياض . . . كلا ! ان عيشة الزنج وبيئة الزنج عاجزتان عن تغيير هذه الملامح وتبديل هذا اللون . ولن تجعلا منه زنجيا . . .

لقد كان « إدمند » يحسب أنه لايلبث أن يجاور الزنج حتى يهرعوا اليه رجالا ونساء ، وحتى يضايقوه بازدحامهم حول بابه وتهافتهم على خدمته وتنافسهم لاكتساب رضائه ، وكيف لا وقد تواضع فهجر منازل البيض وقصورهم ، ونزل مواطن الزنج وسكن اكواخهم . . . وانى لهم - وهم ذلك الجنس المزدرى - أن يظفروا برجل من البيض يعيش عيشهم ويقيم فى جوارهم ؟ فليس بعجيب أن تتدافع جموعهم نحو كوخه الصغير لتتفانى فى خدمته وطاعته . فكيف يتقى هـــذا الفضول الذى يضجره ويؤلمه وما به حاجة إلا لليسير من خدمتهم وإخلاصهم ؟

بهذا كان « ادمند » يحدث نفسه ، وكان يحسب ألف حساب لذلك اليوم العصيب ، يوم تزدحم وفود الزنج ببابه فيضيق بهم ذرعا ولا يعرف كيف يقصيهم عن خدمته ويذودهم عن داره

ولكن ياعجبا لهؤلاء القوم السود ! ها هو ذا قد جاورهم ونزل ديارهم وأخذ يعيش عيشهم ، فلم يقبل عليه أحد منهم ، وصدف عنه القوم جميعهم نساؤهم ورجالهم وصغارهم - وكأن ليس نزول أبيض بين الزنج بالحادث الخطير ، وكأن ليس فى أن يعيش رجل من البيض عيش الزنج ، قانعاً بكوخ زنجى وفراش زنجى وطعام زنجى ، وبالزنوج جيرانا وبوطنهم وطناً . . كأن ليس فى هذا كله مايبعث اهتمامهم ويثير دهشتهم

كلا ! إنهم رأوه من غير شك ، وراقبوه عن بعد ، وعلموا من خطبه كل مايهمهم علمه . ولقد رأوا أمثاله من قبل ممن نبذهم البيض وعجزوا أن يعيشوا عيش السادة ، فجاءوا ليعيشوا عيش العبيد . ما هؤلاء بالذين يحفل بهم (الزولو) ويظهرون لهم مودة أو يرعون لهم حرمة . ماهؤلاء بالسادة ولا أشباه السادة ، فيقصدهم الناس ويقبلوا عليهم مرحبين ومسلمين . وماهم زنوج مثلهم جاءوا ليعاشروهم معاشرة النظير للنظير والصديق للصديق ! انما ساقتهم الحاجة ودفعتهم المتربة ، فليس هؤلاء ممن يقام له وزن وليس لمثلهم إلا أن يهجروا والا أن يتركوا لأنفسهم

على أن « إدمند » وان أدهشه اعراض الزنج عنه ، لم ير فى هذا اول الأمر بأساً كبيراً . ألم يكن قصارى مناه ألا يضايقه السود بحفاوتهم وخدمتهم ؟ حقيقة إنه كان يود أن يكون هو البادىء

بالمجر ، وكان يتوهم أنه سيضطر لأن يأمرهم - فى غطرسة البيض وكبريائهم - أن يتركوه وشأنه وإلا يحرجوا صدره بفضولهم . وكانت مثل هذه الحال أجدر به من أن يتركه الزنج من تلقاء أنفسهم دون أن يعبأوا به أو يكترثوا له . كان فى هذا له بعض الألم ، غير أنه رغم هذا كان راضيا أول الأمر - بعزلته ووحدته مستريحا إلى حياته الجديدة التى لا تكاد تكلفه من النفقات إلا الشىء اليسير.

وجعل يختلف إلى المدينة كل يوم وفى صدره زهرة الأمل يانعة ناضرة ، ثم يعود آخر النهار وقد ذبلت أوراقها وذهبت بهجتها ، وتمضى الأسابيع والشهور وأبواب الرزق مابرحت مغلقة . وتأبى عليه كبرياؤه زمناً أن يمارس الدنىء من الأعمال ، ولكن مر الشهور أخذ يأكل ماله المدخر حتى اتى عليه ، ودفعه سائق الحاجة الملح الى قبول موارد للكسب الزهيد ما كان يظن أن يرد مثلها سوى الزنوج

ويعيش « إدمند » فى عزلته تلك ، يقضى النهار باحثاً عن مرتزق يسد منه الرمق ، ويقضى الليل فى كوخه الصغير ، ولكن الليل فى تلك الديار الزنجية ليس بما يرتاح اليه من يعيش فى عزلة وانفراد ، فهو ليل حالك مظلم ووحدته هائلة مرعبة ، وليس به مصابيح تنار ولا أناس يلهون ولا أصوات تأنس لها النفس . ولئن كان الزنج يأنسون بعضهم ببعض ويخفف من وحشتهم اجتماع بعضهم ببعض ، فانه لم يكن له من يأنس به ويذهب بوحشته ، والليل حالك الجلباب يبعث فى قلب المنفرد رهبة ورعباً . وهذه حال إن أطاقتها النفس أشهرا فانها لن تطيقها على طول المدى ، ولا بد له من أن يلتمس لها علاجاً

ترى هل يضيره أن يتخذ لنفسه زوجة من بنات الزنج تؤنسه ؟

وتثور فى صدر « إدمند » عاصفة عنيفة عنيفة حين يخطر له هذا الخاطر .. عاصفة قد امتزج فيها الغضب والاحتقار والكراهية والمقت ، ويوشك أن يضرب رأسه بالصخر جزاء له على أن فكر ذلك التفكير أو خطر له مثل ذلك الوهم . . لكن هذا الخاطر لا يتركه ، بل يلح عليه إلحاحاً ، ويملك عليه مذاهبه . وكلما اشتد فى ذوده عنه اشتد فى الالمام به ، حتى لم يعد قادراً على الخلاص منه

ولا يمضى زمن طويل حتى ينقلب ذلك الغضب الى حزن واكتئاب ، وذلك الاحتقار والمقت الى استكانة واستسلام . وتشرق الشمس ذات يوم فاذا هو قد اتخذ لنفسه زوجة من بنات الزنج لكى تؤنس وحشته وتخفف آلام وحدته . لم يقبل على زواجه هذا فى غبطة وسرور وانشراح صدر كما يفعل المعرسون فى العالم كله ، بل سار اليه فى كآبة وألم كأنما يساق اليه سوقا أو كأنما يتردى فى هوة لا يجد عنها مصرفا

* * *

وفى صدره بقية من الرحمة تمنعه من أن يشتد فى القسوة على زوجه وعلى الغلام الصغير الذى

لم تلبث أن ولدته له ، لكنه لم يجد فى قلبه ذلك العطف الذى يحسه الوالد نحو ولده . وكيف يستطيع أن يعطف على هذا الشىء الأسود الصغير الذى يحبو حول كوخه ؟ أهذا الذى سيخلد ذكره ؟ أو يكون له قرة عين ؟ وما هو إلا مذكر له بالهوة السحيقة التى هوى اليها والدرك الاسفل من الشقاء الذى انحدر اليه

فياعجبا ! كيف يستطيع أن يطيق هذه الحياة ويرتضى هذا العيش ؟ ولماذا لا يقضى على هذا كله بعد ان طحنه الكمد وأخنى عليه اليأس ؟ لماذا لا يقطع حبل هذه الحياة التى كلها ألم مبرح وعذاب مهلك ؟

مسكين إدمند ! لقد حطمت نفسه الأحداث ، وداست همته قدم الدهر حتى لم تعد فى قلبه ذرة من النخوة تساعده على قطع ذلك الحبل والقضاء على ذلك العيش . لقد سعى إلى النهر غير مرة وجلس على حافة الجسر مطرقا متردداً . . يفتش فى صدره عن بقية من الهمة لتحمله الى قرارة ذلك النهر فيستريح ويريح ، لكنه كان يعود فى كل مرة مطأطىء الرأس ذليل النفس قد لبس كآبة فوق كآبة وكمداً على كمده ، ثم لم يلبث أن أقلع حتى عن تلك المحاولات الطائشة وراض النفس على القناعة بالموت الآجل حين أعوزه الموت العاجل

ولم يزل فى كل يوم يغدو إلى المدينة ليعمل فيها عملا تافهاً يتقاضى عنه أجراً تافهاً ثم يعود مع المساء الى كوخه الحقير وعذابه الأليم ، وقد نبذه البيض لأنه أصبح أدنى الى السود ، وازدراه السود لأنه شريد طريد ، ولم يبق ما يذكره بالماضى البعيد سوى تلك العيون الزرقاء كأنها قطع الفيروز ، والشعر الأصفر البراق كأنه أسلاك النضار

محمد عوض محمد

ما فوق الحياة

ياطالباً فوق الحياة مدى له	يعلو عليها ـ هل بلغت مداها ؟
مافى خيالك صورة تشتاقها	إلا وحولك لو نظرت تراها
ولو استويت على الخلود وجدتها	كفؤاً لعينك لا تروم سواها

عباس محمود العقاد

فلسفة الاسماء

للاستاذ امير بقطر

« ... واسماء القبط في مصر اذا تأملت فيها الفيتها مرآة تتجلى فيها جميع الامم التي غزتها . . واذا ما تأملت اسماء المسلمين في مصر فانها تنبئك في كثير من الاحوال باصل أصحابها .. وعقلية الناس حتى المتعلمين منهم فيما يختص بالاسماء تكاد تكون كعقلية الاطفال، فتراهم ينفرون من الاسماء غير المألوفة . وكثيراً ماتكون الاسماء شؤما على أصحابها . وللاسماء مواسم تكثر فيها . . ومن الغريب أن الناس في أوربا لا يأبون تسمية الكلاب أو الحيوانات الداجنة باسماء أعز أصدقائهم!.. »

فى الحركة الأخيرة التى قضى فيها مصطفى كال على نظام الاسماء تغييراً وتعديلا وزيادة ونقصاناً عز على الاهلين أن يجردوا من اسماء وألقاب لصقت بهم ، وشق عليهم أن ينزع منهم ما تدل عليه أشخاصهم وما ظل مرادفا لذواتهم طيلة السنوات التى عاشوها . ولم يدرك العامة مغزى تبديل الاسماء الحديثة باسماء تركية قديمة . وأنى لامرىء أن يستحي اسماً باليا ويميت اسما حيا ؟

إن الناس بطبيعتهم يعتزون بالاسماء التى اقترنت بهم فالفوها ، ويحافظون عليها محافظتهم على أناسى العيون ، فاذا ما حدث مايدعو الى تغيير الاسم بحكم قضائى — كما يدعو الحال فى بعض الأحايين لسبب ما — طافت برءوسهم اسماء كثيرة ، قلما يجدون فى أحدها ما يروى الغليل ، ويمر بهم طويل الزمن قبل أن تسكن نفوسهم الى الاسماء التى يقع عليها فى نهاية الأمر اختيارهم

ومنشأ الاعتزاز بالاسماء غريزة الحيازة والاستيلاء على الأشياء وامتلاكها بغير شريك كالمال والحيوان والمتاع والبنين والزوجة . ومع أن الاسماء لاثمن لها وهي ملك مشاع بين الجميع فان الناس يحرصون عليها ويمانعون فى أمر تغييرها لما يجدون فيها من الايناس بعد أن الفوها والف الغير معرفتهم بها . ويمانع الكثير من الدول فى تغيير اسماء الأفراد بغير سبب جوهرى كما سيتضح من هذا المقال فى مكان آخر . ولا يزال أصل هذه الغريزة واضحاً بين القبائل والأمم التى تعيش على الفطرة . فان الجار احتراماً لجاره والصديق احتراماً لصديقه لايسمى مولوده الجديد باسم جاره أو صديقه أو ابن احدهما ابقاء لما بينهما من حق الجوار والصداقة . واذا مات أحد هؤلاء امتنع معارفه عن ذكر الاسماء المماثلة لاسم الميت خشية أن يكون فى ذكرها تجريح لاهل الميت . ولا تزال هذه العادة مشاهدة فى فلاحى مصر وقد يتخاصمون ويتقاتلون اذا لم يحرص على هذه العادات . ومن هذا يتبين أن ماذكره وليم شكسبير فى احدى رواياته من الاستفهام الانكارى فى قوله (١) : « وما أهمية الاسم ؟ » لايتفق مع الواقع

---

(١) "What's in a name?"

ومن أوجه الاسباب التى تدعو للحرص على الاسماء من العبث بها تغييراً وتحويراً مالها من الدلالة التاريخية العظيمة . فسكان ولايات اميركا المتحدة وكلهم من أصول أوربية مختلفة فى الغالب يستدل على أصولهم باسمائهم . فاونيل مثلا ارلندى . وفندربلت هولاندى . ومكماهون اسكتلندى . وبارى ايطالى . ودلمانزو اسبانى . وهرتمان المانى . ولافايت فرنسى . وحداد سورى

واسماء القبط فى مصر اذا ما تأملت فيها الفيتها مرآة تتجلى فيها جميع الامم التى غزتها ، والشعوب التى لابست أهلها ، والدول التى تغلبت عليها . ويندر أن تجد اسماً مصرياً بحتاً كرمسيس . غير أنك تجد آثار الاغريق والبطالسة مثل جورجى وانطون ، وآثار الرومان مثل بقطر (فكتور) واقلاديوس (كلوديوس) وآثار العرب مثل حليم وسعيد ، وآثار الترك مثل حشمت وبهجت ، وآثار الفرنسيس مثل لويز والبير ، وآثار الانجليز مثل وليم وارنست . هذا عدا الاسماء العبرية والارثوذوطية والمسيحية

واذا ما تأملت فى اسماء المسلمين فى مصر فانها تنبئك فى كثير من الاحوال بأصل أصحابها ، وان كان معظمها اسماء عربية لم يدخل فيها ما دخل اسماء القبط من بقايا الفاتحين ، سوى العرب . فهناك اسماء تدل على أن ذويها ينتمون الى انساب تمت الى جزيرة العرب أو فارس أو الاندلس أو سورية أو بلاد المغرب . وإذا تأملت فى أسماء أية أمة من أمم العالم اليوم وجدتها ذات مغزى تاريخى من الاهمية بمكان . وهى فى هذا الشأن واللغة سواء بسواء . فما الاسماء الاجنبية عند الانجليز الابقايا فتوحات النورمان وغزوات أبطال الشمال . وما الاسماء الاجنبية فى أواسط أوربا سوى بقايا البرابرة الجرمان والفرسان المغول . ومن هذا يتضح أن تغيير الاسماء أو تعديلها لايخلو من الخسارة التاريخية فيما يتعلق بنسبة مئوية قليلة من السكان على الاقل

* * *

وعقلية الناس ، حتى المتعلمين منهم ، فيما يختص بالاسماء تكاد تكون كعقلية الاطفال . فتراهم ينفرون من الاسماء غير المألوفة وغير المتداولة والتى لا تقبلها أسماعهم . فالفلاح الساذج ينظر بعين الريبة إلى من يكون اسمه أجنبياً عنه ، كما ينظر بعين العداء والريبة إلى من لا يتكلم بلسانه العربى . وبالعكس تجده يأنس فى الاجنبى شيئاً من القرابة أو الصداقة ، أو يزول عنه الشعور بالعداء إذا علم أن اسمه مألوف عنده أو يقرب من المألوف . وهذه السيكولوجيا التى تقترن بها الاسماء هى التى يعزى اليها تغيير أسماء المهاجرين حتى لا تسترعى الاسماع لغرابتها ، وتوجب الشكوك . أعرف طالباً رحل من مصر الى أميركا منذ عدة سنوات وكان اسمه « البكرى » فلما أراد أن يعيش هناك عدل اسمه قليلا فصار يدعى الآن بيكر Baker . وأعرف آخر اسمه « صبرى » كان يحتفظ باسمه وسط العشيرة المصرية من أقاربه واخوانه ومعارفه ، ولكنه كان يدعو نفسه سلبرى فى الاوساط الاوربية . ومع ان هذا الاسم غير معروف فان صاحبه أصبح ذا حظوة كبرى بين العشائر الاوربية لان الاسم الذى انتحله يقرب من الاسم Salisbury

وكثيراً ما تكون الاسماء شؤما على أصحابها ينفر منها الكثيرون لاسباب متعددة ، فيشمئز موظف من اسم لا يهضمه ذوقه بسبب كون ذلك الاسم اغريقيا أو رومانيا أو مصرياً قديماً محرفاً فيمزق طلب صاحبه . وقيل لى منذ سنوات قليلة ان طالباً اسمه الاول مسيحى بحت واسمه الثانى مسلم بحت ذهب إلى الجهة المختصة لاستلام شهادة دراسية فما كاد الكاتب يسمع اسمه حتى ظنه هازئاً وأخرجه من مكتبه . واشتكى اخيراً طالب بأنه اضطهد لان اسمه طه حسين

وكثير من الاسماء المصرية مشتق من أسماء الحيوانات وقلما يوجد حيوان غير ممثل فيها . أما فى سوريا فتشتق الاسماء بكثرة من الصناعات والمهن . ومما أذكره من الاولى القط والفأر والجمل والحصان والجحش والتمساح والديك والضبع والنمر . ومن الثانية حداد ونجار وخباز وجلاد وصباغ وخورى وعقاد ورباط . وهذا يكاد يكون معروفا فى جميع أنحاء العالم . وكثيراً ما تكون الاسماء مشتقة من المملكة أو المدينة أو القرية التى ينتمى اليها المسمى — كما قلنا — كالمصرى والشامى والعراقى والعجمى والهندى والبغدادى والحلبى والسيوطى والمطيعى والمنياوى . وقد يشتق من الالوان والصفات خصوصاً ما كان منها على أفعل التفضيل مما يشعر بحلية كالانور والالمع ، وهو قليل ، وما يشعر بعيب أو ضعة كالاعرج والاعور والالكن ، ومايشعر بلون كالابيض والاسمر والاحمر

وكثيراً ما تكون هذه الاسماء دليلا على مسمياتها . فهناك أسرة فى الصعيد تعرف بالاصفر يميل أفرادها الى الاصفرار . و هناك أسرة اخرى طيبة العرق معروفة بالاحمر وجميع أفرادها تقريباً حمر الشعور وهذا نادر فى القطر المصرى كما هو معلوم

ومن الغريب أن الناس فى أوربا لا يأبون تسمية الكلاب أو الحيوانات الداجنة باسماء أعز أصدقائهم أو أكابر الناس أو القديسين . وقد حدث مرات أن كتب هواة الكلاب إلى علية القوم يستأذنونهم فى تسمية كلابهم أو خيولهم على أسمائهم ، وبين هؤلاء روزفلت

وقد فطن لهذه السيكولوجيا سواقو الحمير الذين يعملون لخدمة السياح فى طريق الاهرام . فان السائح من عادته أن يسأل الحمار عن اسم حماره عند ركوبه . فاذا ألس من لهجته أنه اميركى قال له ان حماره يدعى جورج واشنطون أو ابراهيم لنكولن . واذا تبين له أنه انجليزى ذكر له انه أحد أعلام الانجليز . ويدرك السائح حينئذ ذكاء صاحب الحمار وما يرمى اليه من الدعابة ، ولا يتأففون مطلقا من اسناد أسمائهم أو أسماء أعلامهم إلى أى حيوان كان . وهذا يخالف عاداتنا كل المخالفة ، فانه قلما يوجد اسم عربى لكلب . وأنا لاأذكر شخصياً إلا اسم « عكام »

وكثيراً ما تكون الاسماء مضللة للجمهور ، ففى الوجه القبلى يعرف الاسم « باشا » فاذا ما أسند الى اسم صاحبه الاول ظن فى الوجه القبلى أنه يحمل اللقب المعروف . وقد حدث هذا لى شخصياً لسوء الحظ أو حسنه ، ولا يزال يظن بعضهم من خارج القطر المصرى من البلدان العربية انى أحمل لقب الامارة . وتعزيزاً لذلك أقول إن صديقنا الفاضل دكتور شهبندر كان أحدهم ، فقد كان يعتقد

إلى أن تعرف الى فى مصر ، أنى أمير مقاطعة مصرية اسمها « بقطر »

وقد يستحسن بعضهم أحياناً ترجمة أسمائهم لسبب من الاسباب ، فاذا كان أحدهم يسمى « اسكندر » ترجمه الى الكزاندر فى انجلترا أو أميركا والى الكسندر فى فرنسا . ومن أغرب ما أذكر من هذا القبيل أنه لما عقد مؤتمر التعليم الاولى فى القاهرة سنة ١٩٢٥ كان أحد الخطباء سيدة فرنسية معروفة اسمها مدام سان بوان (Saint Point) وقد أنابت عنها الأستاذ دكتور طه حسين ليلقى خطبتها باللغة العربية والحت أن تقدم الى المستمعين باسم مدام « النقطة المقدسة » وهو ترجمة اسمها ، فحاول رئيس المؤتمر وهو دكتور محمد عبد السلام الكردانى أن يثنيها عن عزمها فأبت ، ولم يكن بد من النزول على رغبتها فكان لها ما أرادت . وهناك أحدوثة يروونها عن اللورد كرومر ولا أظنها سوى نكتة ولو أنها محتملة الوقوع . وهى أن وطنيا غير معروف بعث ببطاقته للورد بغية مقابلته وكان الاسم المطبوع على البطاقة بالانجليزية هو : جون غلادستون ، فلما تبينه اللورد أو سكرتيره وجده « حنا قلادس » (وهذا الاخير صيغة أخرى لقلادس)

والطلبة يترجمون أحياناً أسماء معلميهم مزاحاً أو تفكهة . وأذكر أن معلما فى عهد التلمذة كان يدعى ووكر ولكنه كان معروفا عند تلامذة الفرقة باسم «مشاى» . ويحدث العكس أى ترجمة الاسم العربى الى لغة أجنبية لسبب من الاسباب . فبين أصدقائنا الاستاذ « حبيب » غير أن سيدة انجليزية فاضلة لا تتردد فى أن تدعوه أمام جميع ضيوفها Mr. Sweetheart . وفى صيف هذا العام كان أحد زملائنا فى السفر هولنديا وكان اسمه غير قابل للنطق مطلقاً فتطوع هو من تلقاء ذاته أن يترجمه ترجمة حرفية الى الانجليزية ، فعرف أثناء السفر باسم Black hat أى ذات القبعة السوداء . وكان لا يجد فيها غضاضة أبداً

ومما يعزز ما أسلفنا ذكره من أن الاسماء عزيزة على أصحابها لا يرغبون فى التفريط فيها لطبيعة انسانية متأصلة فى الناس ، ان بعضهم يؤاخذك إذا أخطأت فى أسمائهم نطقاً أو تهجئة ولا يكاد يغفر لك زلتك إذا ما تكرر هذا الخطأ . ولا يخفى على من يلم بالاسماء الافرنجية وتعقد كتابتها ولفظها أحياناً ما تستدعيه من العناء خصوصاً للاجنبى عنها

وقد تكون هذه الأسماء مدعاة للضحك فيختلط على قارئها الاسم الحقيقى ومرادفه . ويخطر ببالى الآن سيدتان شقيقتان فى نيويورك كانت إحداهما ماهرة فى العزف على البيانو والاخرى فى التوقيع على الكمان وكان اسمهما كواريل Quarrel ، وقد أخطأ أحدهم فى تقديمهما للجمهور مرة فى حفلة علمية راقية باسم « الشقيقتان فايت» (the Fight sisters) وهو مرادف اسمهما الحقيقى ، فغضبتا وأبتا الظهور على المسرح . ومن هذه المهازل نكتة معروفة فى البلاد التى يتكلم أهلها الانجليزية ، وهى أن أحدهم حيا المستر برون (Brown) بقوله : « عم صباحاً يا مستر بلاك » (Black) فانتهره هذا غاضباً ، فاستدرك صديقه الخطأ قائلا : « عفواً سيدى فانى مصاب

بالسمى اللونى » . وقد بلغ حمق الناس واهتمامهم بأسمائهم ان أحد كبار الخطباء فى أميركا إذا ما كتب اسمه فى الصحف وضع بجانبه بين قوسين كيفية نطقه لانه ينطق بغير ما يكتب

ومن المصاعب التى يلاقيها الناس تمييز المذكر من المؤنث فى الاسماء فى بعض الاحايين ، فقد يختلط هذا بذاك . فاسم لويز مثلا مذكر بحسب ما ألفناه فى مصر ، غير أنه مؤنث فى انجلترا وأمريكا . ومريم بكسر الميم وتسكين الراء وفتح الياء قد يكون اسم رجل أو اسم امرأة ولا فرق بينهما سوى التهجئة . واللغة العربية لا تخلو من الاسماء التى يختلط فيها جنس أصحابها . فهناك بنات مصريات باسم « كمال » و « احسان » وكل من هذين الاسمين قد يكون لصبى

ومن المضحك أن يقتبس أحد العوام اسما أوربياً لابنه ولجهله لا يفرق بين المذكر والمؤنث ، كاسم « بلا » فانه يستعمل فى الصعيد أحياناً اسما لمذكر (Bella) . غير ان هذا الجهل غير مقصور على العوام فى مصر ، فقد قال لى صديق فى نيويورك ان أحد معارفه هناك اختار لبنته اسما مصرياً ، اقتبسه من اسم سجائر يقال عنها انها مصرية هناك واسمها عبد الله . فقلت له ان هذا الاسم مصرى حقيقة ويصح اطلاقه على نوع من السجائر المصرية غير انه اسم مذكر . فلما عاد إلى والد الفتاة قص عليه ما ذكرته له ، فأبى الوالد التصديق ، ولا تزال ابنته تسمى الى اليوم « عبد الله »

وتكون الاسماء مدعاة للضحك إذا كانت أطول من المألوف أو أقصر ، أو كانت تشمل الفاظاً تعافها الآذان أو تمجها الاذواق أو يتعثر اللسان فى القائها . والاسماء الروسية مشهورة بطولها كما أن أسماء الزنوج معروفة بقصرها . والاسماء اليابانية والصينية تتميز عن غيرها باشتمالها على مقطعين أو ثلاثة مقاطع صغيرة منفصلة حادة النطق . وأذكر أن طالباً زنجياً من جمهورية ليبريا قدم نفسه لمجموعة من طلبة جامعة كلومبيا فى نيويورك باسم « سى » (si) فدهش الجميع لقصر الاسم . وجاء بعده طالب روسى فقدم نفسه باسم « ديمشكيفتش » وما كاد يأتى على نهاية اسمه حتى استغرق الطالب الافريقى فى الضحك . ولما استمر فى القهقهة تحولت الانظار اليه واشترك معه جميع الحاضرين فى ضحك اخجل الطالب الروسى . وقال الزنجى أخيراً ان اسم زميله ليس اسما وحسب بل قطار سكة حديدية بأسره

غير أن هناك أسماء تمجها الاذواق السليمة وتعافها النفس ، إما لانها يفهمها السامع مترجمة عن أصلها الاجنبى ، أو لانها كذلك فى الاصل . وهذه توقع المحتكين باصحابها فى ارتباك وحيرة ، فان مجرد ذكر أسمائهم لا يتفق وآداب المائدة أحيانا . وأفظع منها الاسماء المشتقة من الالفاظ القبيحة التى لا يجوز ذكرها بتاتاً ، أمام السيدات على الاخص . وهذه تكون عادة أجنبية لا تشعر بقبح فى لغتها الاصلية ، ولكنها فى بلد آخر قد يتصادف ان يكون لفظها من اقبح الالفاظ التى لا تقال الا همساً أو لا تقال أبداً . وما على صاحب الاسم فى مثل هذا الظرف الا ان يغير اسمه أو يعدل فيه أو يعود الى بلاده اذا تشبث بابقائه على حاله

وللاسماء مواسم تكثر فيها بوجه خاص . ففي أيام الحركة الوطنية في إبان عزها كثر «السعدون» وانتشر « الكمالون » حتى في أوربا في بدء الحركة الكمالية . وفي عهد اللورد كتشنر في مصر اقتبس بعض الفلاحين اسمه للذكور من اولادهم . ولست أبعد عن الصواب اذا قلت ان الكثيرات ممن يلدن إناثا في أوربا وغيرها اليوم يتخذن «مارينا» اسما مختاراً لبناتهن

☆☆☆

ورغم ما أشرنا اليه من الاعتزاز بالاسماء والمحافظة عليها من العبث بها فان هناك استثناءات وهناك اسماء يود ذووها لو نسجت عليها الايام خيوطاً من النسيان فلا ينفذ اليها شعاع من الذكرى . فمن الناس من يغير مجرى حياته اما بتغيير وطنه أو دينه أو طرق عيشه فيعمد الى تغيير اسمه آملا أن الاسم الجديد يخرجه من مسلاخ الحياة الاولى ويسكنه في إهاب من الثانية فيحيا حياة جديدة أو « يولد وِلادة ثانية » . وقد يميل الرأى العام الى حمل الرجل على تغيير اسمه لانه يدعى باسم عظيم وكان الاخلق به أن يكون ذلكم الرجل ولكنه لم يكنه . وهذا يؤدى بنا الى الاحكام التى تصدر بتغيير الاسماء بناء على طلب اصحابها

ونذكر على سبيل المثال بعض القضايا التى رفعها بعض المهاجرين فى اميركا تغييراً لاسمائهم . ومنها أن رجلا يدعى كلى طلب الى المحكمة تغيير اسمه لانه طالما اتخذه عارفوه وسيلة للسخرية به فرفض القاضى طلبه . وطلب آخر ــ وكان يدعى جولدستاين Goldstein ــ التغيير بدعوى أن الاسم غير موسيقى . وكان قاضى المحكمة لسوء حظه يدعى بهذا الاسم أيضا فرفض الحكم فى صالح المدعى وأبى التسليم بأن الاسم غير موسيقى . ووقع ليفى قضية من هذا النوع يحكم فى صالحه لان الاسم غير اميركى . وطلب آخر تغيير اسمه لان أحد المصورين الهزليين اتخذ مايتشابه مع اسمه عنواناً لصوره المضحكة . وغير شاب اسمه لان عمته من صاحبات الملايين وقاربت الوفاة ، فاراد أن يتخذ لقبها بدلا من لقب أسرته تزلفاً منه اليها حتى يستميلها الى توريثه أوالايصاء بمالها الوفير اليه بعد موتها . وقد رفض القاضى طلبه بحجة أن الاسباب التى بنى عليها طلب المدعى غير مشرفة ولا تقرها المبادىء السامية والمثل العليا . وهذه الاحكام غريبة جداً ــ أو بالاحرى التشريع ــ لان العقل لايكاد يدرك ماذا يضير القاضى أو الامة اذا ما رغب أحدهم فى تغير اسمه طالما أعلن ذلك رسمياً وطالما كان القانون لايحرم أن يغير الانسان وطنه وقوميته ودينه ومذهبه السياسى وزوجه ؟ واذا كان الانسان حراً فى تبنى من يشاء أفلا يكون المرء حراً فى اتخاذ أى اسم يشاء ؟

ومن أغرب ما قرأت فى القضايا التى من هذا النوع مايتعلق بعالم من العلماء الروحانيين spiritist أى المشتغلين بمخاطبة الارواح . فقد طلب هذا من احدى محاكم نيويورك أن تغير اسمه من بطلر الى رمسيس بحجة أنه يخاطب روح رمسيس الثانى ملك مصر . وقد طلب من هذه الروح أن تسمح له بهذه التسمية فاذنت له . ولا أذكر اذا كانت هيئة المحكمة قد انتقلت الى دار هذا الروحانى

تسماع روح رمسيس تخاطب صاحب الدعوى أم لا . وربما يستغرب القارئ اذا علم أن فى مدينة نيويورك تحكم القاضى بتغيير خمسمائة اسم كل عام لاسباب يعدها القانون وجيهة

وليست المحاكم هي السبيل الوحيد لتغيير الاسماء ، فان الكثيرين الذين لا تستلزم أعمالهم إعلان هذا التغيير رسمياً ، يعمدون إلى تخير الاسماء التى يريدون ويوعزون الى أصدقائهم بنسيان الاسم القديم . ومناداتهم بالاسم الجديد . ولن أنسى يوماً الارتباك الذى بدا على وجه صديق سورى متجنس بالجنسية الاميركية من واشنطون . فقد قدمنى لسيدة قال لى ان أسرتها وأسرته على ود متبادل . فما كاد ينطق اسمها الاول (وقبل ان يأتى على الاسم الثانى) حتى استوقفته غاضبة وقالت اسمى « ايفا » فظل مبهوتاً ينظر الى تارة واليها أخرى . وكأنه يقرأ هذا السؤال بين شفتى : اذا كنت لا تعرف اسمها فلم تورط نفسك هذه الورطة ؟ فاخرجت السيدة صديقى من هذا المأزق بقولها إنها غيرت اسمها من بضعة أسابيع لانها سئمت الاسم الاول — أو كما عبرت عنه بالانجليزية I've got sick of it ، فقلت فى نفسى إنه لا يبعد إذا سرت هذه الفكرة فان الاسماء تصبح كالازياء تتغير بتغير الفصول

ولا نريد أن نطيل المقال بالكلام عن الفتيات الطائشات اللاتى يتخذن لهن عدة أسماء اخفاء لعيشتهن الشاذة . كأن يكون للواحدة اسم زوجها اذا كان لها زوج ، واسم آخر لطبقة معلومة من اصدقائها ، واسم ثالث لطبقة اخرى منهم . ولكنى أود لو تابع غيرى هذا البحث وكتب شيئاً عن اصل اسماء الشوارع فى مدينة القاهرة وما يدعو منها للسخرية او الغرابة والاشارة على من بيدهم الامر بتغييرها . فانى اذكر أن وزارة المعارف عقدت امتحان البكالوريا مرة فى شارع اسمه الشيخ العبيط . فلما اخذت اسأل رجال البوليس أو المارة او موظفى الترام . كانوا يقابلون سؤالى بالضحك ويظنون انى امزح معهم . ولم استطع الاهتداء الى مركز خيمة الامتحان الا بالجهد . ومن الغريب انى كنت ماراً بهذا الشارع منذ بضعة ايام بالقرب من ميدان قصر الدوبارة فوجدت إحدى السفارات الكبرى قد انتقلت اليه وقرأت لمجرد التسلية على « يافطة » زرقاء معلقة على سور حديقة السفارة اسم الشارع ذى الذكرى القديمة وهو « شارع الشيخ العبيط »

امير بقطر



ارادة الحياة

لشاعر تونس المرحوم ابو القاسم الشابى

كان المرحوم ابو القاسم الشابي شاعر تونس قد أرسل الى الهلال هذه القصيدة قبل أن يضحي ظله ، ويذوي غصن هـذا الشباب الذي كان ينبيء بمستقبل مجيد في الشعر العربي . ولا شك ان القراء سيجدون فيها نوعا من التجديد الذي يصبو اليه صفوة المجددين

إذا الشعب يوماً أراد الحياة ... فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل ان ينجلى ... ولا بد للقيد أن ينكسر
ومن لم يعانقه شوق الحياة ... تبخر فى جوها ، واندثر
كذلك قالت لى الكائنات ... وحدثنى روحهـا المستتر

* * *

ودمدمة الريح بين الفجاج ... وفوق الجبال ، وتحت الشجر
إذا ما طمحت الى غاية ... لبست المنى ، وخلعت الحذر
ولم اتخوف وعور الشعاب ... ولاكبة اللهب المستعر
ومن لا يحب صعود الجبال ... يعش ابد الدهر بين الحفر
فعجت بقلبي دماء الشباب ... وضجت بصدرى رياح اخر
وأطرقت اصغى لعزف الرياح ... وقصف الرعود ووقع المطر

* * *

وقالت لى الارض ـ لما تساءلت : ... يا ام هل تكرهين البشر ؟ ـ :
ابارك فى الناس أهل الطموح ... ومن يستلذ ركوب الخطر
وألعن من لا يماشى الزمان ... ويقنع بالعيش عيش الحجر
هو الكون حى يحب الحياة ... ويحتقر الميت المندثر
فلا الافق يحضن ميت الطيور ... ولا النحل يلثم ميت الزهر

ولولا امومة قلبي الرءوم ... لما ضمت الميت تلك الحفر
فويل لمن لم تشقه الحياة ... من لعنة العـدم المنتصر

* * *

وفي ليلة من ليالي الخريف ... مثقلة بالأسى والضجر
سكرت بها من ضياء النجوم ... وغنيت للحزن حتى سكر
سألت الدجى : «هل تعيد الحياة ... لما اذبلته ربيع العمر ؟»
فلم يتكلم فؤاد الظلام ... ولم تترنم عذارى السحر
وقال لي الغاب في رقة ... محببة مثل خفق الوتر :
يجيء الشتاء شتاء الضباب ... شتاء الثلوج شتاء المطر
فينطفيء السحر سحر الغصون ... وسحر الثمار وسحر الزهر
وسحر السماء القوي البديع ... وسحر المروج الشهي العطر
وتهوي الغصون وأوراقها ... وأزهار عهـد جميل نضر
وتلهو بها الريح في كل واد ... ويدفنها السيل أنى عبر
ويفنى الجميع كحلم بديع ... تألق في مهجة واندثر
وتبقى البذور التي حملت ... ذخيرة عمر جميل غبر
وذكرى فصول ورؤيا غيوم ... وأشباح دنيا تلاشت زمر
معانقة وهي تحت الثلوج ، ... وتحت الضباب . وتحت المدر
لطيف الحياة الذي لا يمل ... وقلب الربيع الجميل العطر
وحالمة بأغاني الطيور ، ... وعطر الزهور وطعم الثمر

* * *

ويمشي الزمان فتنمو صروف ... وتذوي صروف وتحيا أخر
وتصبح احلامها يقظة ... موشحة برداء السحر
تسائل : اين ضباب الصباح ... وسحر المساء وضوء القمر ؟
واسراب ذاك الفراش الجميل ... ونحل يغني وغيم يمر ؟
ظمئت إلى النور فوق الغصون ... ظمئت إلى الظل تحت الشجر !

ظمئت إلى النبع بين المروج ... يغنى ويرقص فوق الزهر !
ظمئت إلى نغمات النسيم ... وعزف الرياح ولحن المطر !
ظمئت إلى الكون ! أين الوجود ... وأين ارى العالم المنتظر ؟
هو النور بين رحاب الفضاء ... وفى عالم اليقظات الكبر

* * *

وما هو إلا كخفق الجناح ... حتى نما شوقها وانتصر
فصدعت الأرض عن صدرها ... وأبصرت النور عذب الصور
وجاء الربيع بأنغامه ... واحلامه وصباه النضر
وقبلها قبلة فى الشفاه ... تعيد الشباب إذا ما غبر
وقال لها : « قد منحت الحياة ... وخلدت فى نسلك المدخر ،
ومن ناجت النور احلامه ... يباركه النور انى ظهر
إليك الفضاء ! إليك الضياء ! ... إليك الثرى الحالم المزدهر !
فميدى كما شئت فوق المروج ... بحلو الثمار وغصن الزهر
وناجى النسيم وناجى الغيوم ... وناجى النجوم ، وناجى القمر !
ولا تسأمى نغمات الحياة ... ولا فتنة العالم المعتبر

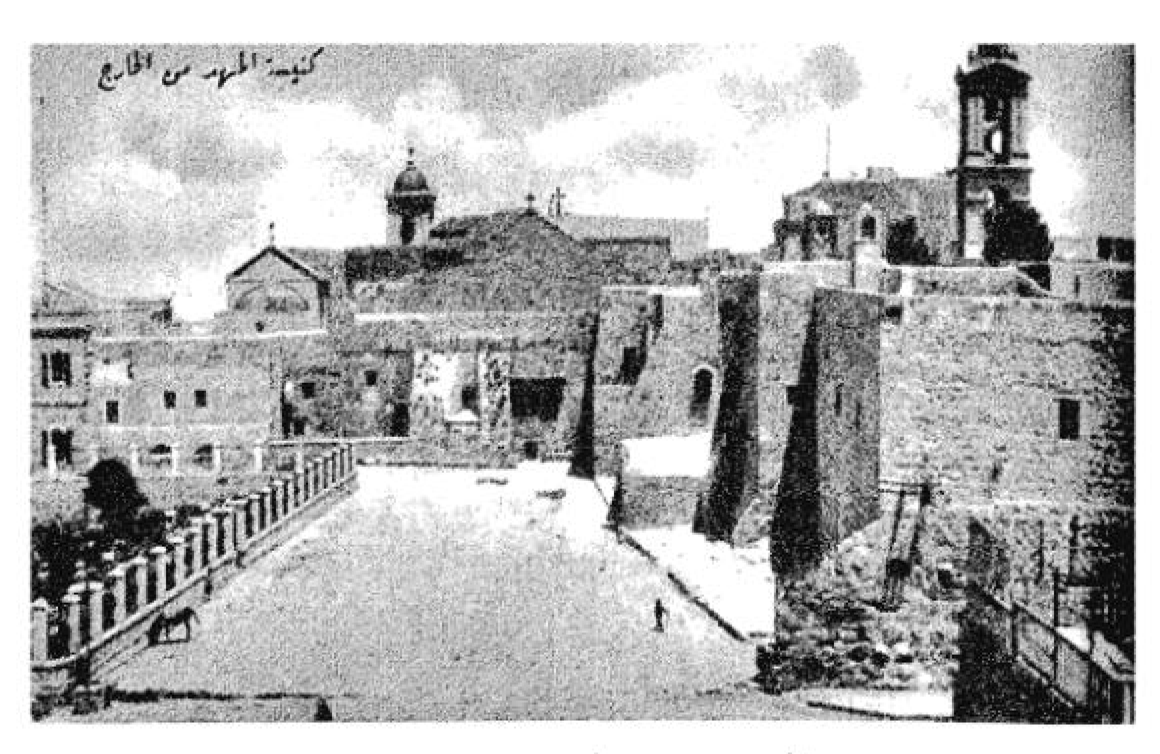
* * *

وشف الدجى عن جمال عميق ... قوى الغواية حلو الصور
ومد على الكون سحر غريب ... يصرفه ساحر مقتدر
وضاءت شموع نجوم السماء ... وضاع البخور بخور الزهر
ورفرف روح غريب الجمال ... باجنحة من ضياء القمر
ورن نشيد الحياة المقدس ... فى هيكل حالم قد سحر
وأعلن فى الكون : ان الطموح ... حبيب الحياة وروح الظفر

* * *

إذا طمحت للحياة النفوس ... فلا بد أن يستجيب القدر . . .

ابو القاسم الشابي



الفسيفساء
في كنيسة المهد

[بينما كان العمال يقومون بتعمير كنيسة المهد عثروا على فسيفساء جميلة ذات ألوان وزخارف نادرة . وفي هذا المقال معلومات طريفة عن هذه الكنيسة والفسيفساء التي اكتشفت بها أخيراً]

كنيسة المهد أقدم كنيسة مسيحية في العالم ، بنتها الملكة هيلانة والامبراطور قسطنطين ، بعد ان اعتنقا الديانة المسيحية ، وافتتحت في السنة ٣٣٠ ب . م . وقد اقاماها فوق المكان الذي ولد فيه السيد المسيح . وكان الامبراطور هدريان في أواسط القرن الثاني للميلاد بنى عليه هيكلا وثنياً لفينوس (الزهرة) نكاية بالمسيحيين المكروهين ، وكان خرباً فهدم ونقلت أنقاضه قبل الشروع في البناء .

وتمتاز هذه الكنيسة على كنيسة القيامة في القدس بأنها ماتزال باقية على هيئتها ووضعها الاصليين . ولم تنلها يد الدمار ولم يغير وضعها تغييراً تاماً كما حدث لكنيسة القيامة . وقد صنع أحد المهندسين مثالا فنياً مصغراً لهذه الكنيسة في السنة ١٨٨٠ بعد ان أجرى امتحانات دقيقة جداً في جدرانها والمادة المبنية منها في كل من اقسامها ، وأثبت اثباتاً لا يقبل الشك أنها بنيت في أوائل القرن الرابع للميلاد .

وتقوم الكنيسة بين ثلاثة اديرة : في الشرق دير الفرنسسكان المعروف بآل كازانوفا ، وفي الغرب دير الأرمن ، وفي الجنوب دير الروم الارثوذكس ، وفيه قبة عالية يتمتع الشاهد من اعلاها بأجمل المناظر الى مسافات بعيدة



وقد كانت امام الكنيسة قاعات واسعة يستريح فيها الزوار ومضيفة يبيتون فيها عند الضرورة . وقد تهدمت وزالت ثم اكتشفت بقايا اساسها قبل سنتين

وللكنيسة باب صغير يدخل منه الزائر ، وهو في وسط باب كبير ما تزال آثاره والزخارف الأصلية باقية في اعلاه . والى جانبيه بابان آخران سدا بالطين والحجر

ويشاهد الداخل حاجزاً خشبياً ضخماً يكاد يكون متحجراً لقدم عهده . وقد وضع هذا الحاجز حوالى السنة ١٢٥٠ ويرجح ان أحد ملوك الارمن واسمه هاريقوم الثانى أهداه للكنيسة وبه كتابة أرمنية وعربية ورسوم صلبان محفورة في الخشب حفراً متقناً . وتدل الكتابة عليه انه عمل في حكم السلطان المعظم توران شاه ابن السلطان صالح ملك مصر

وبعد ان يدخل الزائر من باب ضخم في هذا الحاجز يرى أمامه أربعة صفوف من الاعمدة يبلغ عددها ثمانية وأربعين عموداً رخامياً ضخماً أحمر اللون ، علو كل منها يزيد على سته أمتار وعلى رأس كل منها تاج قورنثي بديع الصنع ، ويرتفع البناء فوق الاعمدة في الوسط نحو عشرة أمتار . أما على الجانبين فلا يرتفع الا بضعة امتار

والكنيسة مبنية على هيئة صليب ويرى على الحيطان قطع من فسيفساء مذهبة يتخللها صور من حياة السيد المسيح وصور لبعض القديسين وهي بقايا قليلة من فسيفساء كانت تغطي جدران الكنيسة كلها ، وقد صنعت في أواسط القرن الحادى عشر للميلاد (قبل مجيء الصليبين الى الارض



قسم من الفسيفساء فى كنيسة المهد



منظر عام لبلدة بيت لحم

المقدسة بنحو نصف قرن) وقام بنفقتها مانويل كومينوس أحد أباطرة الروم في القسطنطينية

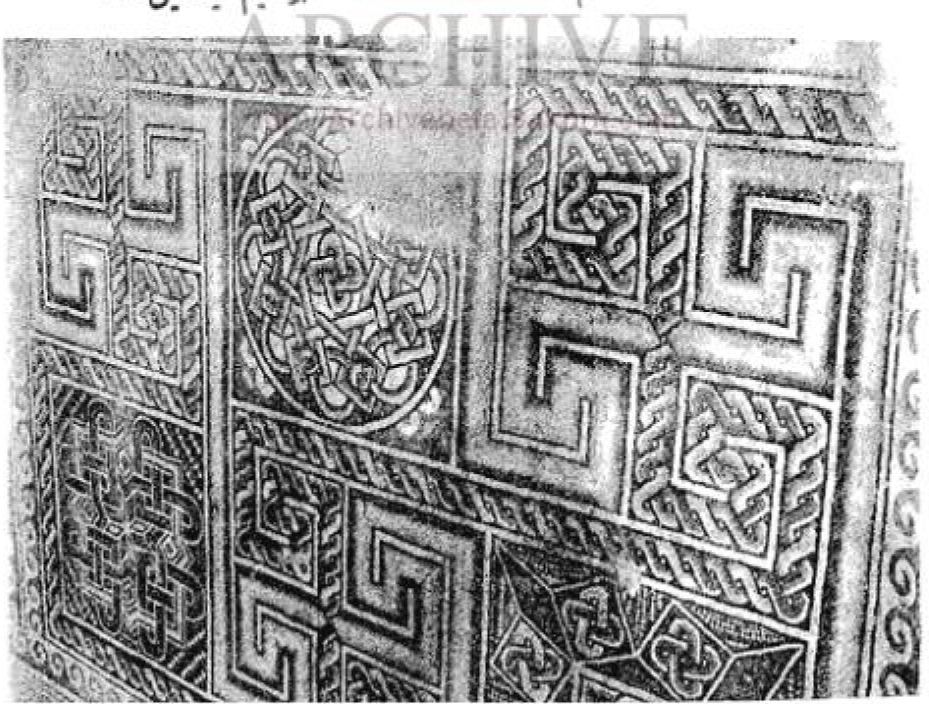
وفي مقدم الكنيسة ينزل الزائر إلى الخوة (مغارة) الميلاد على احد سلمين رخاميين أحدهما في الشرق والآخر في الغرب، على ان المدخل الاصلي على ما ظهر بعد الحفريات الحديثة في الكنيسة كان من جهة الشمال الغربي ، فيرى الداخل أمامه عند ابتداء سطح الفجوة آثار الباب الاصلي والدرجة الاولى التي كان ينزل عليها ، وهي ملساء ومجوية من كثرة الاستعمال . وهذه الفجوة التي على ما يرجح ولد فيها السيد المسيح ، ملك مشترك بين الطوائف المسيحية ، وبها كثير من القناديل الذهبية والفضية . ويرى بين البابين في الوسط كهف وضع في ارضه الرخامية نجم فضي كبير نقش فيه باللاتينيه ما ترجمته : « هنا ، من مريم العذراء ، ولد يسوع المسيح » وعلى بعد قليل منه كهف المذود مبني من رخام فاخر

ويتصل بهذا المكان عدة كهوف احدها كهف هيرونيموس (اوجيروم) فان القديس المسمى باسمه أقام فيه في زمن اضطهاد المسيحيين في القرن الثاني للميلاد اربعا وثلاثين سنة ترجم في اثنائها الكتاب المقدس الى اللاتينية الترجمة المعروفة بالـ « فولكاتا »

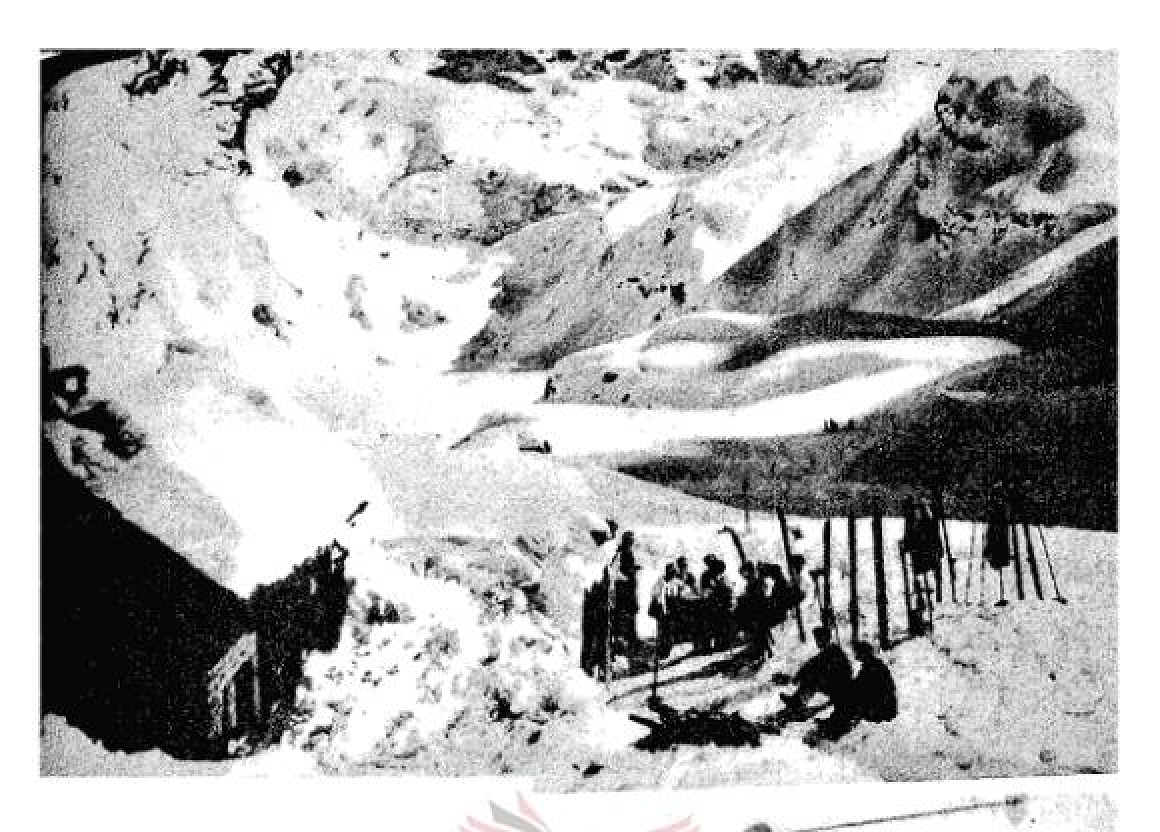
وقد صحت عزيمة حكومة فلسطين في الاشهر الاخيرة على ترميم كنيسة المهد وتصليحها ما امكن،لما ظهر في بنيانها من التصدع والخراب . وفيما كان العمال يحفرون حول الاعمدة عثروا اتفاقا على أثر فسيفساء ، فامر المهندس بتوسيع الحفر فكشف عن كل مابين صفي الاعمدة القائمة في الوسط،فضلا عن أماكن متفرقة في سائر أقسام الكنيسة،وأقيمت حواجز خشبية حول الاماكن المحفورة ، واستنتج ان أرض الكنيسة كانت كلها مفروشة بفسيفساء بديعة الاتقان يندر وجود مثلها في دقة الصنعة والتناسب والزخارف الجميلة ، وهذا النوع من الفسيفساء حجيرات طبيعية مختلفة ذات ألوان ثابتة زاهية

ومن هذه الفسيفساء قسم كبير مايزال في رونقه ورواثه ، وهو يدهش الناظرين بدقته وجماله البديع . ولم تصنع رسوم الفسيفساء على شكل واحد ووتيرة واحدة ، بل هناك اشكال هندسية مختلفة من مربعات ودوائر يكاد كل منها يحتوي على شكل يخالف الاشكال الهندسية الاخرى . وترى به صور طبيعية لفواكه وازهار وغيرها . ويحيط بالرسوم اطارات بديعة الصنع متداخل بعضها في بعض . وكأن الرسوم جميعها بالرغم من انها مكونة من حجيرات مختلفة الألوان ، عد منها للآن خمسة عشر لوناً من الوان الحجارة الطبيعية الثابتة . ويرى في الوسط زخارف في مربعات وبينها صلبان معكوفة هي أشبه شيء بشعار النازي الالماني اليوم ، مما يدل على أن هذه العلامة ليست مستحدثة بل قديمة العهد ، ويرى في مقدم الكنيسة زخرف فيه خمسة أحرف يونانية وهي : J. Ch. Th. Y. S. وهي مختصرة من الكلمات التي كان يستعملها المسيحيون في زمن الاضطهاد وهي : "Jesus Christos, Theou Yios, Soter" (يسوع المسيح ، ابن الله ، المخلص) . ويستدل بعضهم من شكل كتابة الاحرف ان الفسيفساء انشئت مع الكنيسة في وقت واحد او بعد اكمال بنائها بوقت قصير . على ان اكثر علماء الآثار الذين تمكنوا من مشاهدتها وفحصها يعتقدون استحالة ذلك لأسباب عدة لاحاجة الى بسطها الآن ، ويرجحون كل الترجيح انها انشئت في اواسط القرن السادس للميلاد في مدة حكم يوستنيانوس امبراطور الروم في القسطنطينية الذى كان مغرما بالفسيفساء وبناء الابنية الفاخرة .

بيت لحم ابراهيم ميخائيل عطا



قسم آخر من الفسيفساء في كنيسة المهد

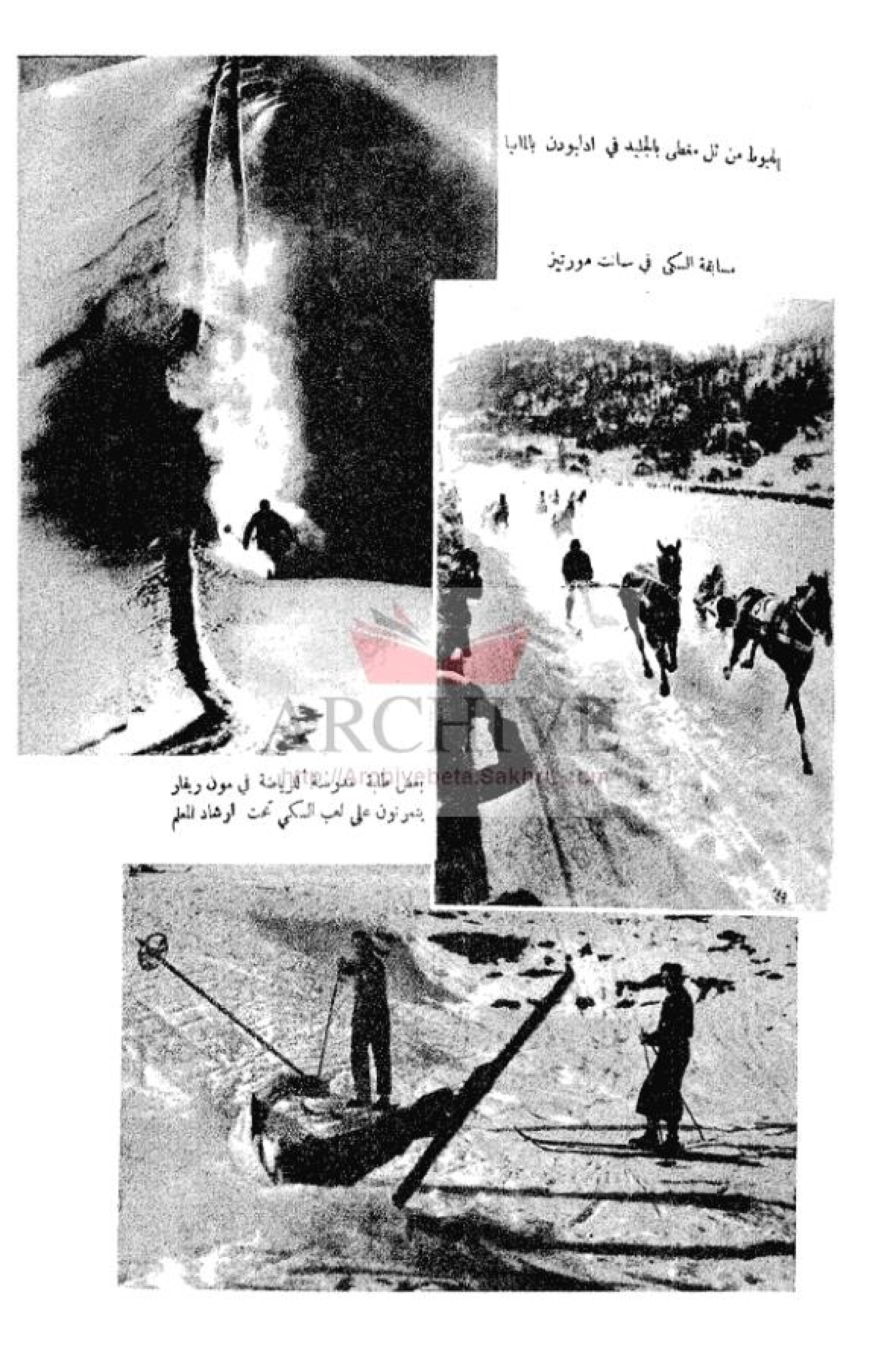


لاعبو السكي يسترخون في شعاع الشمس
أمام كوخ بجبال الالب في انجليج

مباهج الشتاء

المعروف عن الشتاء أنه الفصل الذي تنام فيه الطبيعة ويقبع الناس في بيوتهم فراراً من الزمهرير . ولكن الواقع ان للشتاء مباهج لاتقل عن مباهج الصيف والربيع ، وهي تبدو على الخصوص في البلدان الباردة حيث يسقط الجليد فيكسو الارض بساطا أبيض ناصع البياض ويتيح لمحبي الرياضة فرصة الانزلاق ومباشرة الالعاب الشتائية الاخرى

هانز شنيدر بطل السكي في المانيا يقفز قفزة هائلة في جبال الالب بافاريا



الهبوط من تل مغطى بالجليد في ادلبودن بالمانيا

مسابقة السكي في سانت موريتز

طلبة مدرسة الرياضة في مون ريفار يتمرنون على لعب السكي تحت ارشاد المعلم



منظر داخلي للمسجد
الاعظم بمدينة قرطبة

مدن الفن في بلاد الأندلس

(٢)

بقلم المرحوم احمد زكي باشا

نشرنا في عدد ديسمبر الماضي الفصل الاول من كتاب « مدن الفن في بلاد الاندلس » الذي قام بتأليفه المرحوم احمد زكي باشا . وقد اشتمل ذلك الفصل على المقدمة وعلى نظرة عامة في قرطبة والفن العربي فيها . ويتناول الفصل الذي ننشره في هذا العدد « مسجد قرطبة » وما فيه من آثار فنية جميلة

لكن مهلا ! . . فانه بعد لحظة هذا الانقباض الذى لابد من ان يرافقه الهدوء والتأمل ، يعود الزائر الى روعه فيستجلى رويداً رويداً محاسن آيات ذلك الجمال الفريد ويبتدىء بتقدير ما يبدو امامه من الروائع . فمن خصائص « مسجد قرطبة » انه لا يسمعك حديثه اللطيف ، ولا يؤثر فيك جماله الفتان الى درجة يملك عليك جميع مشاعرك ، ولا يخترق فؤادك بالعواطف الشعرية التى توحيها اليك عظمته ومجده ، إلا إذا امعنت النظر فيه وتكررت زيارتك له وطالت

حينئذ يتيه بصرك فى صفوف تلك الاعمدة التى لانهاية لها ، فترى المؤمنين وهم ساجدون للصلاة مؤتزرون بملابسهم الشرقية الفضفاضة قد عادوا وعادت معهم الحياة فى تلك الاروقة . وترى الجدران تتلون بأشكال زخرفها القديم . ومن السقف المزخرف بالنقوش الفنية البديعة تتدلى الوف المصابيح الفضية ويتدفق منها الشعاع على الفسيفساء اللامعة المرصعة للجدران ويتوهج على الاعمدة المذهبة فيخيل اليك انها تحترق

عندئذ يأخذ بمجامع لبك ذلك السحر العجيب الذى قرأت عنه فى حكايات العرب بكل ما يحيط به من آيات الكمال والجمال التى تسكر ، حتى انك ترى فى مخيلتك ان تلك الاجيال الغابرة المجيدة التى تبرز من جديد وتمر امام عينيك تملأ هذا الهيكل المقدس بتسبيح « الله »

واذا كان من العدل ان نشكر الاكليروس الكاثوليكى على حفظه لنا مسجد قرطبة ، فلنا مع ذلك حق العتب عليه وملامته . نعم انه كان يصعب عليه انه يمارس فى مكان لا يوافق شكل هندسته طقوس المذهب الكاثوليكى . فانه ما عدا الجهة المفتوحة على الدار والتى اضطروا الى اغلاقها التزموا أيضاً بأن يبنوا مدخلا آخر للكنيسة نفسها ومذبحاً وكنائس جانبية صغيرة

(كابيلات) فشوهوا الهيكل العربي باضافة هذه الاقسام البنائية فيه

فالأسر الثرية التي سمح لها بأنه تنشيء داخل الهيكل مقاصير صغيرة لتجعل منها كابيلات خاصة بها لم تراع في عملها ذوقاً خاصاً ، بل « بنت كل اسرة » كابيلتها حسب هواها ، فهدمت الزخارف والنقوش الأصلية التي لم يبق منها سوى نزر يسير لايامنا . ثم بعد ذلك لم ترقهم غرابة تشكيل الالوان العربية فغطوا الفسيفساء والتطعيم الملون بطبقة بيضاء لكي يربحوا مسافة كافية من الحائط لتعليق صورهم المقدسة ، وسدوا بالحجارة ابواباً كثيرة كانت تؤدى من كل جهة الى داخل المسجد ، واخفوا تحت قبة مطلية بالجير الابيض كل الرسوم والحفريات البديعة التي كانت تزين السقف الخشبي . ثم بنوا اخيراً في وسط الأروقة كنيسة واسعة أصبحت في ايامنا هذه البيت الحقيقي لله

مع كل ذلك يستطيع الزائر ان يتنزه ويتأمل بهدوء وسكون ولذة في تلك الاروقة التي تملأ باقي « المسجد »

أما هذه التشويهات التي احدثتها المباني المسيحية الدخيلة ، فترجع الى تواريخ مختلفة . فالجدار الذي يفصل الكنيسة عن الدار بنى حالا بعد اخلاء المغاربة وفي نفس الوقت سدوا الابواب بالحجارة وبدأوا في بناء « الكابيلات » . أما الكنيسة الداخلية التي في صحن المسجد فشرع في بنائها سنة ١٥٢١ وقبتها التي يؤسف لها جداً بنيت سنة ١٧١٣

ومن كل هذه الزيادات المسيحية ليس سوى الكنيسة ما يلفت النظر ، وسنعود اليها بايجاز فيما بعد لان الذي يشغلنا قبل كل شيء هنا هو الجزء العربي وحده

في مكان المسجد الحالي كان قائماً في زمن الرومان هيكل « لجانوس » ثم تحول هذا الهيكل الوثني إلى بيعة مسيحية . ثم جاء الخليفة « عبد الرحمن » واشترى من المسيحيين الكاتدرائية ودكها من اساسها وباشر سنة ٧٨٥ بناء المسجد ، واستعمل لذلك المواد القديمة . لذلك نرى ان أكثر الاعمدة الموجودة في هذا البناء من أصل روماني . وكثير منها وجد في اطلال « قرطبة » وضواحيها . وقد جلب كثير منها أيضاً من البلاد البعيدة خصوصاً من « نيم » و « ناربون » و « قرطاجنة » و« القسطنطينية » . ومن هذه المدينة الأخيرة أرسل الامبراطور لاون الرابع وهو المعروف « بالخزر » (الذي ملك من سنة ٧٧٥ إلى سنة ٧٨٠) مائة واربعة عشر عموداً هدية للخليفة

ونذكر بهذه المناسبة (من باب العلم بالشيء) أن الامبراطور « شارلمان » كان في ذلك الوقت يجلب الاعمدة من « ترافس » و « رافانا » و« روما » لأجل بناء قصره وكنيسته في مدينة أيكس . . .

أما قطع ونحت وجنس حجارة الاعمدة في « قرطبة » فيختلف بين أعمدة وأخرى . كذلك

هناك فروق ظاهرة بين أنواع التيجان التي تكلل هذه الاعمدة ، وقليل منها صنعه النحاتون العرب، وهي مرتكزة بدون نظام معلوم و بعضها موضوع على قواعد غير مطابقة له . ولكي يساووا بين ارتفاعاتها المختلفة لتصير كلها على مستوى واحد اضطروا أن يغرزوا بعض العمد في جوف الارض ويرفعوا أخرى فوق مصاطب مبنية ، ولذلك تجد اساس الاعمدة ليس فى مستوى واحد

ولايزيد علو التيجان عن أرض المسجد عن ثلاثة امتار . فلكي يرفعوا السقف إذن عن هذا العلو البسيط بنوا فوق الاعمدة ركائز مربعة ومرتفعة تقريباً بقدر ارتفاع الاعمدة نفسها ...

وتلتحم اجزاء هذه الاعمدة ببعضها بواسطة أطواق مزدوجة بهيئة مقوسة تشبه حدوة الفرس، فالقوس السفلى تلحم الاكليلن والعليا تجمع قمة الركيزة الواحدة مع قمة الأخرى المجاورة . فينتج من هذا النظام شكل بديع يدعو إلى التأمل فى تلك الغابة من النخيل الحجرى الذى لم تقو على ازالة جماله التشويهات التى جاء بها المسيحيون فى هذه العمارة . ولذلك يجب علينا تكريماً لذكرى المهندس البارع « هرنان رويز » ان نذكر بانه بذل كل مجهوده وهو يباشر الاعمال الدخيلة التى كلف بها لكي يحفظ بقدر الامكان تلك الروعة الاصلية لمسجد قرطبة إذ أنه كان ينظر اليها بعين الاعجاب والاحترام

فهذه الاعمدة وهذه الركائز وهذه الاقواس ، كانت فيما مضى تحمل سقفاً ملوناً بمختلف الالوان ومزخرفاً بالنقوش والحفريات . وهى بالحقيقة لم تزل تحمله لغاية الآن لأن الجسور التى تغطى السقف لم تزل موجودة ، انما قد توارت عن النظر وراء تلك القبة المسيحية (المأسوف لها) التى بنيت منذ مائتى عام . ولم يرفعوا سوى بعض العوارض الخشبية ، وتجدها للآن مطروحة فى إحدى زوايا المسجد مفصولة عن باقى العمارة بحاجز من الالواح فيمكن للسائح أن يتأمل ملياً جمال هذه القطع وبراعة زخرفتها وحسن تنسيق الوانها الباهرة ويعجب بصلابة هذا الخشب الذى قاوم الاحقاب ولم يزل سليما محتفظاً بنفس المكانة التى كانت له منذ الف عام

***

وقد اجتهد الملوك فى كل عصر بأن يزيدوا فى توسيع المسجد وتجميله . فان « هشام » بن عبد الرحمن أضاف اليه بعض الاعمدة وبنى المئذنة التى قامت مكانها قبة للكنيسة بنيت فى القرن السادس عشر . واقتدى « عبد الرحمن الثانى » باسلافه . ثم جاء بعده ولده « محمد » فبنى جداراً منقباً حول أقدس مكان فى المسجد وهو المقصورة (١) . ثم جاء « الحكم » فوسع العمارة وبنى محراباً جديداً ومقصورة جديدة . ثم استعمل « المنصور » حجارة وادوات الكنائس التى خربها فى شمالى اسبانيا لبناء تسع مقاصير جانبية أوسع من القديمة . فكمل بعمله مسجد قرطبة وظل

(١) « المقصورة » حاجز مثقوب يحتوي على « المحراب » و « المنبر » و « والدكة » وهي مختصة بالملك . وأول مقصورة بناها « عثمان » لكي يحتمي من القتلة سنة ٦٤٤ أو سنة ٦٤٥

على حاله إلى عهد الفتح المسيحي لا يهتم أحد فى زيادة شيء على زخارفه الداخلية . أما المسجد نفسه ففى معظم اتساعه (وهو مائة وأربعة وأربعون متراً) بعيد عن أن يضاهى كنيسة القديس بطرس بروما ، ولكنه يبدو للناظر انه أكبر مما هو حقيقة ، وذلك بسبب انه مبنى قطعاً صغيرة ولأن زخرفه ليست كثيرة . أما فى « مارى بطرس » فان ضخامة القطع التفصيلية تظهر البناية أصغر مما هى حقيقة

فمسجد قرطبة لم يعن فيه بالعلو والارتفاع كما فى الكنائس المسيحية بل ان كل المجهود الهندسى بذل فى توسيعه عرضاً . ويمكننا أن نقول : (ولو أن المهندسين الذين شادوها لم يفتكروا بذلك) ان طراز الكنائس القوطية طراز غابات السرو بارزة نحو السماء . وطراز مسجد قرطبة طراز غاب النخيل بجذوعه الرشيقة متوجة بقباب الأوراق . وقد يمكن أن التأثيرات المطبوعة فينا منذ الصغر لا تمكننا من تقدير جمال هذا المسجد حق قدره وهو جمال يختلف عن جمال كنائسنا . كما أنه يجوز للمسلم أيضاً أنه يشعر وهو على باب كنائسنا « القوطية » بما نشعر به نحن على عتبة مسجده من كوننا غرباء ، الواحد عند باب هيكل الآخر . فاننا شعرنا نحن بذلك فى بدء زيارتنا مع كوننا فى أجمل هيكل عربى على الاطلاق . وقد يجوز أن المسلم ، حتى لو فرضنا أنه من رجال الفن ، عندما تطأ قدماه لأول مرة أرض كنيسة يلزمه أن يتردد برهة من السكون ليترك البناء يؤثر عليه قبل أن يشعر بتلك القشعريرة اللذيذة التى تجرى فى بدنه

ذلك لأن الجمال البديع السرى الخفى لمسجد قرطبة لم يؤثر بنا نحن رجال الشمال إلا بعد زيارات عدة وطويلة . ومهما يكن فنحن مصرون على رأينا بأن مسجد قرطبة لا يمكن مقابلته بالهياكل اليونانية التى تمثل الاشكال والرموز البديعة فى أقصى حدود الجمال ، ولا بالكنائس المسيحية التى تبعث بدون انقطاع نحو طبقات الاثير الازرق مظاهر عظمتها وجلالها كنسخة من البلور الصافى مأخوذة عن كتاب الطبيعة

نحن لا نجد فى مسجد قرطبة أن الفن بلغ درجة الكمال . أى أننا لا نجد أنفسنا أمام عمل يدل على وحى إلهى هبط على رجل فرسم فى عقله ومخيلته صورة لبناية أنضجها ذاك العقل قبل أن كلف المعماريون وضع أحجارها . بل بالعكس نجد أن مسجد قرطبة ، الذى بنى تدريجياً كما ذكرنا ، ارتفع من أصل وضيع الى درجة سموه الحالى . فكما أن البستانيين زارعى الغابات يغرسون أشجارهم بالتوالى ويكبرون حديقتهم ، كذلك كان ملوك المسلمين يبنى كل واحد منهم صفاً من الأعمدة إلى جانب الصفوف التى بناها أسلافه قبلا . ولو كانوا فى هذه الأيام يبنون كما كان تصميم السلف ويزيدونه بقدر استطاعتهم من المقاصير الجديدة ، فان تناسق البناية وجمالها لا يتأثران من ذلك

وهذا ما يدل جلياً على الفرق الكائن بين الهندسة المسيحية واليونانية من جهة وبين الهندسة العربية من جهة أخرى . فأى هيكل إغريقى أو أى كنيسة مسيحية تم بناؤهما لايمكن أن يضاف اليهما شىء جديد أو يحذف منهما شىء بدون أن يتعرض ذاك الهيكل أو تلك الكنيسة للمسخ والتشويه . تلك منتوجات قرائح ذات طبيعة خاصة قائمة بنفسها وكاملة كما هى . أما فى مسجد قرطبة ، فيمكنك أن تزيد أو تنقص من المقاصير بقدر ما تريد بدون أن تزيد أو تنقص من مقدار تأثير المسجد عليك

***

أما الزخارف التى نراها فى المبانى العربية ببلاد الأندلس فاذا أمعنا النظر فيها بتدقيق فانها لاتترك فينا سوى تأثير بسيط . فان النظر الذى تبهره لأول وهلة هذه الزخارف متى هدأ وارتاح وزال منه الذهول الاول الذى اعتراه وأخذ فى التمحيص الفنى الدقيق ، يفضى الى زيادة الاعجاب بصبر الحفارين والنقاشين بقدر ما ينقص هـذا الاعجاب بحقيقة الفن نفسه . فاننا لا نرى فى تلك الصور ما يعبر عن أفكار عظيمة ناتجة عن قريحة وقادة غير عادية ، بل نرى فقط ميلا التدقيق فى زخرفة القطع الصغيرة . مما يدل على براعة فائقة فى « الهندسة » لا « فى الفن » ، ونجد عند درسنا أمثلة هذه الزخارف أن « الرجل » اشتغل أكثر من « الذوق » . فالخطوط تتصالب وتتشابك بدون انقطاع . تتقدم وتتأخر ، تتصل وتنفصل ، تقرب وتبعد ، فيتكون من اتجاهاتها هذه التى لا تحصى أشكال غريبة وصور مدهشة

فالعين يمكنها أن تتبع هذه الخطوط ساعات متوالية ، وفى كل لحظة منها ترى شكلا جديداً ، ولكن لما يتبع العقل النظر (وذاك بدون أن يدرى) يفيق المتأمل كأنه كان فى حلم ذهب به الى عالم غريب من الحكايات الخرافية التى تذكر بها تلك الرسوم التى لا تمل والتى لاتنتهى

عند ذلك يدرك المتأمل ما قصده فنانو العرب فى زخرفتهم هـذه والدرجة التى بلغوها فى سبيل هذه الغاية . قد أرادوا أن يحدثوا تأثيرا فى النفس كما يحدث لهيب النار المتغير تأثيره وهو يلمس جوانب الموقد ، أوكما يحدثه فى النفس خرير مياه الجداول أو أنغام الموسيقى الشجية . قد أرادوا أن يشغلوا عقولنا ورءوسنا ، بل أرادوا التأثير على حواس وعواطف قلوبنا . وقد نجحوا فى ذلك لأننا نحن قد اختبرنا بأنفسنا ما أحدثه شجى الهمس الموسيقى اللطيف الذى فى هذه الخطوط من ذهولنا أمام هذه المشاهد الرائعة والحقائق المنظورة

***

لم يبق إلا الشىء القليل من أبهة تلك الألوان الزاهيـة والتناسق المسكر لتلك الخطوط التى كانت للمسجد فى حالته الأولى . لكن من حسن الحظ أن الأجزاء التى كانت فيما مضى أكثر زخرفة من سواها ـ وهى « المقاصير » وأروقتها التى بناها « الحكم الثانى » فى منتصف القرن

العاشر - قد بقيت على حالتها إلى حد ما . فاذا أضفنا اليها أبواب ونوافذ الأسوار الخارجية التى سدت فيما مضى وطليت بالجير لكنها اليوم كشفت فى كثير من أجزائها ، فان ذلك يكفى ليعطينا فكرة نهائية مقررة عن مقياس الكفاءة عند الاندلسيين القدماء

***

قد اعتادوا أن يرجعوا الفن الاسبانى العربى الى ثلاثة عصور . مع انه لا يمكن أن نجعل فاصلا حقيقياً دقيقاً بينها . لأن أمثلة عصر منها تراها مجتمعة فى أمثلة العصرين الآخرين

فالعصر الأول يسمونه « العصر البيزنطى » ، وهو يمتد من القرن الثامن الى القرن الحادى عشر ، وأعظم مبانيه إن لم نقل واحدها « مسجد قرطبة »

والعصر الثانى « عصر الموحدين » أو « المغاربة » يتناول القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، وأهم مميزاته « جيرالدو » اشبيلية

والعصر الثالث عصر « غرناطة » فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وينحصر جماله فى « قصر الحمراء »

فالعصر الاول يمتاز بادخال الطراز البيزنطى فى الزخارف والنقوش . والثانى بفخامته . والثالث بزوال الخطوط والاشكال الهندسية تحت سيل الزخارف ، كما يلاحظ ذلك عند اضمحلال الطراز « القوطى » عند ظهور طراز « عهد النهضة »

فالتأثير البيزنطى الظاهر فى « مسجد قرطبة » ليس بالحقيقة قوياً بقدر ما يظن ، فان الرسم العام للجامع كما هو ظاهر من وصفنا له ليس له شىء من الطراز البيزنطى ، فان القوس الحادة وأيضا القوس المنحنية كحدوة الفرس ليستا قط من هذا الطراز وكذلك تيجان الاعمدة

أما الزخرفة فتذكرنا بكنيسة « سان فيتال » وبقية كنائس (Rauenne) . فالفسيفساء فيه تشبه تماماً التطعيم الخاص بهذه الكنائس . فقد جاء رجال هذه الصناعة من (Rauenne) ومن « القسطنطينية » أرسلهم الامبراطور « لاون » للخليفة « عبد الرحمن » ، وأحضروا معهم شرائط محضرة جاهزة من الفسيفساء ، وعلموا الصناع القرطبيين هذا الفن . وطراز هذه الزخرفة يظهر اشكال النباتات مأخوذة عن الطراز البيزنطى . وقد أضاف العرب الى هذا العنصر الاصلى العنصرين الآخرين وهما « الخط » والهندسة المتعددة الاضلاع

***

وأروقة (كابيلات) المقصورتين مواجهة بعضها لبعض . وأحدثها وأجملها هى الواقعة قرب « المحراب » على الجدار الجنوبى للمسجد . وأقدمها فى وسط الجامع بجانب المبانى المسيحية . فبعد أن استولى المسيحيون على المسجد خصصوا أقدم هذه الاروقة لاقامة « كابيلات » ، وجعلوا

المذبح الكبير فى الرواق الاوسط وهو المسمى الآن « الكابيلا فيلا فيسيوزا » . ومن ذاك العهد تنوعت المبانى المغربية . وقد هدمت الكابيلا الغربية تماماً ، وكان هناك في بادىء الامر ثلاث كابيلات لم يزل باقياً منها لليوم اثنتان ، واكبرها هى الوسطى « فيلا فيسيوزا » ، التى زخرفت فيما بعد بنقوش غريبة اختفى وراءها النقش العربى القديم البديع . وفى أواخر القرن التاسع عشر شرعوا فى إزالة هذه النقوش الدخيلة فانكشفت بقدر الامكان تلك النقوش القديمة وهى تتمة لنقوش مقاصير المحراب الواقعة تجاهها . وعند ذلك سدوا بالحجارة الباب الشمالى الكبير ذا القوس المسننة والنافذة المقطعة التى كانت تصل الكابيلا الوسطى بالجهة الشرقية التى كانت تلامسها . وهدموا تماماً الغرفة الغربية وأطلقوا على الجهة الشرقية اسم « كابيلا سيدتنا العذراء » ولم يزل هذا الاسم لها حتى اليوم

وتتألف هذه الكابيلا من دورين : الدور الاول ، وهو عبارة عن كهف وفوقه قاعة تعلو ارضها عن مستوى ارض الجامع متراً تقريباً . وهاتان الكنيستان « فيلا فيسيوزا » و « سيدتنا العذراء » تمتازان بأقواس عقودها المسننة وبزخارف « من الجبس » تغطى جوانب الكشكش الفضفاض الذى تتجدد أشكاله وخطوطه على الدوام فتعطى للمتأمل دهشة وسروراً مستمرين

ويغطى الجدران من الأرض حتى القبة ألواح صينية مطلية ولامعة كلمعان المعادن تبدو متجددة على الدوام اذ تظهر بأشكال هندسية تتولد منها فى كل لحظة . وسنرى كثيراً منها عند وصفنا « لقصر الحمراء » . وللآن لم يبت فى الحكم هل هذا النوع من الزخارف أصله من العرب أم لا . ومهما يكن فانه يبدو لنا منه دلائل كثيرة أنه من طراز « المجاورين » الذى يشبه من سائر الوجوه الطراز العربى الاصلى

***

أما الكابيلات الثلاث للمحراب الثانى وهى التى بناها « الحكم الثانى » فموجودة للآن (مع بعض مسخ طفيف دخل عليها) فى الحالة التى تركها عليها (كهنة) المسلمين القدماء . والمقدس الجديد الموجود تجاه القديم كان له أيضا ثلاث كابيلات ، فمجموعهما اذن يشغل ست مقاصير أمامية مستقيمة ومقصورتين وسطيين معارضتين من البناية كلها . وأعمدة هذه المقاصير لا تفترق بحجمها وشكلها عن الاعمدة الباقية التى تحمل سقوف المسجد إلا بأنه يعلوها عوضاً عن الركائز التى عملت لهذه لتزيدها ارتفاعاً ، اعمدة أخرى من شكلها ، ولكنها صغيرة ومتصلة ببعضها بواسطة أقواس معقودة بهيئة حدوة الفرس . وعلى تيجان الاعمدة السفلى الكبيرة ترتاح أقواس ذات خمس فجوات تصل قممها الى مستوى تيجان الاعمدة العليا الصغيرة ، ومن هناك تبتدىء أقواس اخرى مبططة مصنوعة من ثلاث قطع

أما الكايلا الوسطى فتشغل ثلاث مقاصير . والكايلات الجانبية تشغل مقصورتين . وفوق الاقواس التى تحملها الأعمدة العليا الصغيرة إفريز محفور عليه كتابة عربية . وكل البناية مغطاة بستار من الدنتلا المصنوعة من زخارف فخيمة فى قلب المرمر . وجمال المعبد من الخارج يزيده رونقاً أشكال الألوان الغريبة فى تلك الأقواس المعقودة المؤلفة من أجزاء تارة بيضء وتارة حمراء

أما الزينة الداخلية للمحراب المبنى على مستوى مربع فهى واحدة فى جميع أجزائه . ولكن هنا يزيد لمعان الجدران زخرفة سمينة فى القباب الثلاث التى وان تكن ذات عشرة أضلاع فى الكايلات الثلاث إلا أن لكل واحدة منها تركيباً خاصاً بها

ففى الكايلا الوسطى (وهى كبراها) ثمانية أعمدة مزدوجة تحمل ثمانى أقواس معقودة مبططة ، لا تتصل بالعمود بالضبط مباشرة بل تمر قافزة زاوية بمعنى أن كل قوس منها يقاطعها قوسان أخريان ويقسمانها الى ثلاثة أجزاء متساوية

أما الأجزاء السفلى فترتكز على تيجان أعمدتها الصغيرة . كل جزء على التاج المقابل له فيتكون من ذلك أقواس صغيرة حادة . بينما الأجزاء العليا تمثل شكلا محدودبا مجوفاً ذا عشرة أضلاع . وهكذا يكون كل عقـــد القبة مقسوماً الى أجزاء مختلفة أكبرها القسم الأوسط ذو الأضلاع العشرة

وبين كل عمودين مزدوجين نافذة صغيرة مفتوحة بشكل حدوة الفرس يسترها بدل الزجاج صفيحة من Albert رقيقة ومقسمة بحسب الاشكال الهندسية المختلفة ، ولا يخترقها من النور سوى ما يذكر بنور الشفق اللطيف

***

والنور فى جميع المبانى العربية يكاد يكون كله واحداً ، ماعدا مسجد « القاهرة » فان نوافذه مغطاة بالزجاج الملون وألوانه كثيرة العدد وبدون نظام

وعلى هذا النور الباهت الخفيف تأمل - والاعجاب آخذ منا كل مأخذ - تلك القبة المرصعة بالفسيفساء اللامعة ذات الألوان المتناهية فى اللطف وحسن الذوق

والمجموع كله فى منتهى الرشاقة والخفة والفخامة والاطلاق ، لدرجة أن الاعمدة الصغيرة والأقواس تبدو لك كأنها لا تحمل القبة حملا ، بل انها هى التى تعلق فيها تعليقاً وتتدلى منها . لأن فن الزخرفة عند العرب تسلط تسلطاً تاماً على المادة فتمكن من أن يخلق من الحجر والجبس والخشب « أنسجة » يطرزها أبدع تطريز ، وبراقع تشبه براقع الحرير ، وطنافس ملونة وستائر تبهر الأنظار

أما الكايلتان الجانبيتان فزخرفتان بنفس الطريقة ، ولكن الاشكال تختلف فيهما ، وهذه من مميزات الفن العربى ، أى التغيير المستمر فى أشكال الزخارف . فانك تكاد لا تجد من تيجان

الاعمدة اثنين متشابهين كل الشبه . وخطوط الصفائح المرمرية لا تتشابه نجومها ودوائرها إلا فى بعض أجزاء صغيرة . وبدون أن ترجع عائدة من اتجاهها الاصلى ، تراها قد اتخذت اشتباكات جديدة تنتهى برسوم واشكال أخرى رسمت بدون أن تنقطع هذه الخيوط التى لا نهاية لها

وقباب هذه الكابيلات الجانبية مبنية كقبة الكابيله الوسطى . لكن ترى هنا بدلا من العمود الواحد المزدوج عمودين مزدوجين تعتمد عليهما القوس المعقودة التى تتصل ببعضها ركائز القبة بحيث أن السقف ينقسم بهذه الواسطة الى قسمين فى وسطهما ترى شكلا ذا عشرة أضلاع ولا تجد هنا من الفخامة ما وجدته فى القبة الكبيرة

أما عبقرية المهندس فقد حسبت حساباً لكل الخطوط ، حتى ان أبصارنا من تلقاء نفسها تتجه الى « قدس الأقداس » الذى هو « المحراب » المخطط فى الجدار الجنوبى والذى لا يمكن أن يضاهى روعة جماله البديع جمال الرواق المؤدى اليه

وهذا الجدار الذى هو الوحيد فى الرواق (إذ أن الوجهات الثلاث الأخرى شغلت هنا بالاقواس المسننة) مغطى من الأعلى الى الاسفل بأثمن وأبهر أنواع الزخارف التى يمكن العقل أن يتصورها : من الفسيفساء التى تأخذ ألوانها الباهرة بالبصر ، الى المرمر الابيض المنقوش كدبيب النمال ، وترى قوساً عظيمة معقودة فى وسط هذه الوجهة تفتح على مذود « المحراب » وهو التجويف ذى التسعة الاضلاع التى تتألف زخرفتها من أشكال النبات المنقوشة على الطريقة « البيزنطية » مع بعض شبكات و « إغريقية » وصور هندسية وخطوط كوفية

وهذه الفسيفساء الخضراء اللامعة مرصعة على زجاج مذهب . والكتابة محفورة بأحرف من ذهب على صفحة حمراء أو زرقاء . والاعمدة المرمرية الصغيرة تحت القبة لها تيجان مذهبة . وجميع هذه البدائع التى يعجز القلم عن وصفها تراها اليوم تلمع وتسطع بمثل اللمعان الذى كان لها منذ الف عام بدون أن يضعف شيء من شعاعها الباهر . فاذا تصورنا فوق ذلك المصابيح الذهبية والفضية التى كانت تنير فى الزمن الغابر تلك الجدران والتى كانت أنوارها تنعكس على هذه الزخارف الساطعة فتتكسر الى الف نوع من الالوان ، نتصور حينئذ ذاك الكهف المسحور الذى كان مسكنا لاحد ملوك الجان كما نقرأ حكاياتهم فى « الف ليلة وليلة »

لندخل الآن « قدس الاقداس » الذى هو « كهف الصلاة » أى « المحراب » . وهو مسبع الاضلاع . قطره أربعة أمتار وارتفاعه ثمانية . فالقوس المعقودة التى تؤلف بابه من حيث دخلنا تشغل جانبا من تلك المقصورة المرصوفة ارضها بالمرمر والمبنية جدرانها لارتفاع نصف القامة منه أيضاً . ثم ترى بعد ذلك اطارات ضيقة مغطاة بالكتابة والنقوش تحمل على كل وجهة من وجهاتها السبع قوساً معقودة مسننة مؤلفة من ثلاث قطع محمولة على أعمدة صغيرة من المرمر ذات تيجان مذهبة

وبعد تابع عدد كبير من الشبكات والاطارات المزينة بالكتابات والنقوش الذهبية تقفل قمة العقد فى وسط القبة بشكل كتلة مجوفة ضخمة من المرمر الناصع البياض . وكانوا قديماً يضعون فى هذا المقدس « المنبر » الشهير وهو منبر « الحكم الثانى » الذى مافتىء مؤرخو العرب يطنبون فى جماله وهو الذى ذكر عنه « المقرى » أن ثمنه بلغ فى ذاك العهد سبعة وثلاثين ألفاً وسبعمائة وخمسة دنانير (مايوازى ستة ملايين ومائتين وخمسين الف فرنك من نقود هذه الايام)

وفيه أيضاً كانت نسخة « القرآن » المكتوبة بخط « عثمان » والملوثة بدمه والتى يذكر « الادريسى » عنها أنها كانت من الضخامة بحيث أنه كان يلزمها رجلان لكى يحملاها . وقد ذكر هذا الكاتب أيضاً : « أن منبر « الحكم » قد حفر فى خشب « الابنوس » و « السنط » و « الصندل » وأن ستة من أساطين الفن يعاونهم كل رجالهم وكل من كان يتلقى الفن عليهم اشتغلوا سبع سنوات كاملة حتى جاءوا بمعجزة الفن هذه »

ويظهر أنه كانت فى عهدهم أيضاً عادة التوقيع بأسمائهم على منتوجات قرائحهم وأعمال الصناعة الدقيقة التى تخرج من أيديهم ، لذلك ترى فى الرواق على جدار المحراب الكتابة الآتية : « صنع بدر بن الخيام »

كذلك فى الجناح الشرقى للمسجد وهو الجناح الذى أضيف فى عهد نائب الملك « المنصور » ترى على الاعمدة وشرائط الزخارف توقيع الاستاذ الفنى الذى تولى عملها

وفى هذا الجزء من المسجد تبتدىء الأقواس الحادة فى الظهور . ومع ذلك يظهر أن رجال الفن لم يستعملوا هذا النوع من الاشغال الهندسية إلا لأن « المقصورة » الأخيرة كانت ضيقة ولا يمكن أن ترفع فوقها الاقواس الضخمة التى بشكل حدوة الفرس وهى التى بقيت فى المسجد وسهم القوس لم يكن فى الامكان تصغيره بالنظر الى ارتفاع الاعمدة والسقف ، لذلك تحايل المهندسون وتخلصوا من هذا الاشكال بكسر القوس كسراً . ولكن هذا الشكل الجديد بلغ درجة الكمال فلا ترى فيه دلائل التردد والتذبذب

***

وترى فى الجهة الغربية « غرفة الصدقات » التى بناها « الحكم الثانى » وهى بالحقيقة أهل لأن تزار . جدرانها مغطاة بزخارف من الجبس تشبه صفائح الفضة الرقيقة . ولكن لسوء الحظ لم تحفظ هذه الجدران شكلها الاصلى ، فان هذه النقوش عملت على مايظهر كنقوش «فيلافيسيوزا» فى القرن الرابع عشر أى بعد استيلاء المسيحيين على قرطبة بمائة سنة . وهى مصنوعة على طراز « المجاورين » الذى لا يفترق مع ذلك عن الطراز العربى الأصلى إلا بصناعة بعض أشياء ثانوية كصناعة الأسلحة مثلا . ولكن مسجد قرطبة كغيره من جميع مساجد البلاد الاسلامية فى الوقت الحاضر لم يخصص لعبادة وتسبيح الله بمجرد الكلام فقط بل أيضاً بالاعمال الخيرية .

فالمسافرون المحتاجون (أبناء السبيل) كانوا يلقون العطف والاحسان فى غرفة الصدقات (التكية)

وعلى الجدران الغربية بنى « الحكم » أيضاً ملاجىء لايواء المساكين فى الليل مجاناً . ولم تكن هذه الملاجىء مخصصة للعمال وأبناء السبيل المحتاجين ، بل كانت لطلبة العلم أيضاً الذين كانوا يتوافدون الى « قرطبة » لأجل تلقى العلوم الشرعية والفلسفية . كذلك ترى فى القاهرة ، تكايا ، مثل هذه ملحقة « بالجامع الازهر » الذى هو الآن أشهر المدارس الجامعة وأكثرها طلبة فى العالم الاسلامى

وفى أثناء تسريح النظر فى الاروقة الفسيحة بمسجد قرطبة تقع العين فى كل لحظة على مناظر تفصيلية جديدة جميلة ومدهشة . فتارة على نافذة لطيفة وتارة على باب رشيق يبرز من أحد الجدران (حيث كانوا قد سدوه) فتستوقفك للتأمل النقوش الجميلة التى عليه ، وما أضافه المسيحيون أيضاً على الزخرفة العربية القديمة فيه مايلفت النظر كثيراً ويدعو الى الاعجاب كالذى تراه غالباً على كل الجدران من طراز « المجاورين » الانيق . ولكننا كما أسلفنا لا نشعر بحقيقة اللذة فيما نشاهده من الآيات إلا بعد أن تعود ونألف النظر اليها بتكرار الزيارات . فيكافىء تعبنا ما نلقاه كل مرة من أشياء جديدة ينشرح لها الصدر إذ ننتقل معها من دهشة الى دهشة حتى إن القلم ليعجز عن الاحاطة بوصف هذه البدائع

***

ومما تقدم من وصفنا لمسجد « قرطبة » يتضح مقدار الصعوبة التى عاناها رجال الدين المسيحى عند ما استقروا لممارسة عباداتهم فى هذا المكان . ومع ذلك فقد تمكنوا من جعله موافقاً لذلك مدة ثلاثة أجيال بدون أن يحدثوا فى العمارة أى تغيير ذى أهمية ما عدا حائط الدار والكابيلات الصغيرة التى أقاموها داخل المسجد على طول الجدران

وفى سنة ١٥٢١ بدأوا فى تشييد الكنيسة « القوطية » فى وسط المسجد وجعلوا جدرانها تعلو أكثر من ضعف علو سقوف البناء العربى

ولكى يمكنك أن ترى هذه الجدران جيداً يحسن بك أن تقف على الشاطىء المقابل لها من « الوادى الكبير » أو أن تصعد الى أعلى قبة الكنيسة

وقد اتخذ بعض السياح دأبهم القدح فى بناء الكنيسة المسيحية ، بل بعضهم يلقب هذا العمل بأنه « أفظع أعمال التوحش » مستعملين لذلك العبارة التى فاه بها « شارلكان » . . .

ولكن من العدل أن نقول ان المهندس « هرنان روبز » رسم خطة للاعمال المطلوبة منه جاعلا نصب عينيه مراعاة المسجد القديم بقدر الامكان . وقد نجح فى ذلك حتى إن « البناية القوطية » التى أنشأها ليست هى التى تستوقف النظر لاول وهلة ، بل يجب أن يدور حولها

السائح مرتين أو ثلاثاً قبل أن يلاحظ وجودها . وقد وضع لها « رويز » ركائز محل أعمدة المسجد بالضبط ، وقد استعمل هذه الاعمدة نفسها لكي يقيم عليها جدران الكاتدرائية ويزينها بها . وطريقته ببناء الاقواس المتلاصقة منظمة باحكام الى حد أنها لا تلاحظ من الداخل ، بل من الخارج فقط يعلم الزائر كيفية ارتكاز الجدران

فكان إذن عند هذا المهندس رغبة شديدة شخصية فى ألا يشوه جلال المسجد أو أن أعيان « قرطبة » الذين كانوا ينفرون من هذه البناية الجديدة اجبروه على ألا يمس الرسم العربى الاصلى . وبعد مناقشات كثيرة طويلة بين الاساقفة والاعيان ظل هؤلاء متمسكين بنفورهم من احداث عمارات جديدة فى مبانى المسجد ، الى أن قدم الاسقف « الونسو مونريك » تقريراً « لشارلكان » فمنحه هذا الملك تصريحاً لم يلبث أن ندم عليه فيما بعد وتأسف على تسرعه جد الاسف . لانه لما جاء الى « قرطبة » سنة ١٥٢٦ وزار المسجد فاه بهذه العبارة التى يرددها الآن كل زائر : « لو كنت أعلم لما كنت أعطيت تصريحى . انكم قد بنيتم هنا ما يمكنكم أن تبنوه فى كل مكان ولكنكم هدمتم ، ما هو مفرد فى العالم »

***

ترى فى الكاتدرائية اجمل ما فى الطراز « القوطى » من البهجة وحسن التركيب الدقيق وتنوع التعريق . لكن لمعان هذه العروق يأخذ ببصرك فلا تلاحظ إلا عند التدقيق انه ينقصها الضبط والاحكام ، فان مقاعد « الخورس » محفورة على نمط غريب يسمونه فى اسبانيا الطراز Churrigueresque نسبة الى « شوريجويرا » وهو المهندس الذى بناها فى النصف الاول من القرن الثامن عشر

وهناك فى الكاتدرائية أيضاً عمل آخر من أعمال النصارى من الطراز القوطى اللامع وهو « بيت الجسد » او « كهف القربان » من صنع « أنريك ارف » سنة ١٥١٧

[يتبع – النقل محظور]

فى الاندلس

اولئك امة ضربوا المعالى بمشرقها ومغربها قبابا
جرى كدراً لهم صفو الليالى وغاية كل صفو ان يشابا

احمد شوقى

لغز الجاذبية قد انحل والفضل للأثير

بقلم الاستاذ نقولا الحداد

لاحظ القدماء سقوط التفاحة كما لاحظه نيوتن، واعتبروا سقوط الاجسام من الاعالي الى الاسافل طبيعة فيها. ولكن الذي فطن له نيوتن ولم يفطن له سقراط وارسطو وافلاطون وكوبرنيكس وكبلر وغيرهم من الفلاسفة، هو أن سبب سقوط التفاحة هو نفس السبب في سير القمر حول الارض وسير الارض وسائر السيارات حول الشمس، بالرغم من أن بين الظاهرتين تبايناً في نظر الجمهور. فاستخرج نيوتن ناموس الجاذبية من معادلة كبلر المشهورة باسم القانون المصاقب The Harmonic Law . ولما امتحنه في دوران القمر حول الارض استخدم قانون الاجسام الساقطة على الارض. فاكتشاف الصلة بين الامرين يعد أعظم اكتشاف علمي رياضي ويخول نيوتن مكتشفه المنزلة الاولى في سلم العبقرية

نيوتن اكتشف ناموس الجاذبية وطبقه على جميع السيارات حتى على جميع الاجرام المتحركة . ولكنه لم يقل لنا ما هي الجاذبية أو ما هو سرها، أو بعبارة أصح: ما هو سبب دوران السيارات حول الشمس بسرعات متناسبة مع ابعادها عن الشمس؟

وما زال العلماء حتى اليوم حيارى في هـذا السر، حتى اذا كلوا عن فهمه قالوا لماذا نعد الجاذبية سراً؟ لماذا لا نعدها طبيعة في المادة؟ لماذا لا نقول إن المادة مخلوقة يجذب بعضها بعضاً؟ فلا سر هناك. وانما نحن اختلقنا لها سراً وقد جعلناه مجهولا أو مستحيل التفسير، في حين ان المسألة بسيطة لا تحتاج الى اعمال فكر. الجاذبية صفة من صفات المادة كما أن الالفة الكيمية صفة من صفات الذرات، والتبلور صفة من صفات الجزيئات Molicules ، والذوبان صفة أخرى وهلم جرا

ولكن لو كانت الجاذبية تجاذباً فقط بين جسمين لا كتفينا بتفسيرها كخاصة من خواص المادة، ولكنها ليست مجرد تجاذب فقط، بل هي مع ذلك دوران جسم حول مركز بسرعة مقيدة ببعد الجسم عن المركز. هذه أهم ظاهرة من ظواهر الجاذبية. وغرضنا من هذا المقال كشف هذا السر في صميمه

ضلعا الجاذبية

انا حللنا ظاهرة الجاذبية رأيناها تنحل الى ظاهرتين: الاولى التجاذب بين جسمين في خط

مستقيم الى أن يتصل احدهما بالآخر ، كتجاذب المغنطيس والحديد وكسقوط التفاحة من الشجرة الى الارض

الظاهرة الثانية دوران جرم صغير حول جرم كبير ، كدوران القمر حول الارض أو دوران الارض وسائر السيارات حول الشمس ، أو دوران جرمين غير متفاوتين بالحجم والكثافة المادية mass كثيراً حول مركز التجاذب بينهما ، كدوران فرعى النجم المزدوج Binary star المتباعدين حول نقطة التجاذب بينهما

فى الظاهرة الثانية يدور الجرم الدائر حول المركز بسرعة مناسبة لبعده عن المركز . وهذه النسبة بين السرعة والبعد خاضعة لناموس الجاذبية ، حتى اذا اختلت نسبة السرعة هذه سقط الجرم الى المركز إن كان ابطأ أو شرد عنه ان كان أسرع من القدر القانونى

فيظهر مما تقدم : أولا ، ان الجرم الدائر (كالقمر حول الأرض أو الارض حول الشمس) واقع تحت سلطة قوتين : القوة الواحدة تسوقه فى خط سيره المستقيم ، والقوة الاخرى تستميله نحو المركز فتجعل خط سيره منحنياً فى دائرة حول المركز . ولاننا نرى جميع الاجرام سيارات وغير سيارات تدورحول مراكز خاصة بكل منها، وما من جرم شارد عن مركز ولا جرم هابط الى مركز — نفهم من هذا أن القوتين المسيطرتين على الظاهرتين اللتين نحن بصددهما متكافئتان ، أو انهما متعاضدتان ، أو انهما صادرتان من مصدر واحد

ويظهر ثانياً أن الجاذبية تشتمل على حالتين من الحركة أو بالاحرى على قوتين متعامدتين تنتجان حركتين متعامدتين: حركة الجذب نحو المركز وحركة الشرود عنه ، والحاصل من تسلطهما على جرم واحد هو الدوران حول المركز — لا اقتراب ولا شرود . أى أن هذه الحالة تحول دون هبوطه كما أن تلك تحول دون شروده . فالجاذبية إذن ناموس مزدوج الفعل ينظم هاتين القوتين بان يجعلهما متعادلتين ، وهما :

١ — قوةالانجذاب نحو المركز Centripetal force

٢ — قوة الابتعاد عن المركز Centrifugal force

فلنبحث فى كل منهما بحثاً تعليلياً

قوة الانجذاب نحو المركز

نبتدىء من فرض أن التجاذب بين الذرات المادية خاصة من خواص المادة ، أو طبيعة من طبائعها . أى أن المادة كذلك خلقت : ذرات يجذب بعضها بعضاً ، او اذا شئت فقل إن من طبيعة الذرات أن تقترب كل واحدة الى أقرب ذرة اليها من غير دافع خارجى عنها يدفع كلا منهما الى الاخرى، إلا اذا طرأت عليهما قوة تفرق بينهما فتتباعدان مرغمتين ، كما لو مرت ذرة ثالثة فى نقطة أقرب الى

إحدى الاثنتين فتتجاذب هاتان دون تلك . وحاصل القول أن الذرة لاتستطيع العزلة أو الانفراد
وقد قلنا إن هذه هي طبيعة كل ذرة في الكون — ونقول ذرة لأنه اتضح ان جميع اشكال المادة على الارض وفي الاجرام السماوية مؤلفة من جزيئات فذرات فبروتونات فكهارب ففوتونات، أي انها على عظمها وتعدد جماعاتها مؤلفة من ذرات ذات شكل واحد لا تنوع بينها . فالتجاذب أو التقارب هو أولا بين هذه الذرات وبالتالي بين مجموعات الذرات (الاجرام) . فاذا تصورنا جميع الذرات التي تألفت منها الاجرام منفرطة العقود ومتفرقة في الفضاء المطلق ، فهل يكون غريباً عن تعقلنا او محيياً لذهننا ان يتقارب بعضها الى بعض ؟

قد نتساءل : لماذا تتقارب ؟

هب انها لم تتقارب بل بقيت مبعثرة . أفلا يخطر لنا ان نتساءل : لماذا هي مبعثرة هكذا ؟ ولماذا لايتقارب بعضها الى بعض ؟ فتقاربها ليس أدعى للاستغراب من تشتتها . ربما كان العقل يرتاح الى تقاربها أكثر منه الى بقائها مشتتة

ولنفرض ان تقارب الذرات بعضها الى بعض (كما هو الواقع) او ثباتها في امكنتها من غير تقارب سيان عند العقل المنطقي ، او ان لهذا التقارب سبباً نجهله ، او ان هناك قوة اجنبية عن المادة تحدثه (قوة الله) ،على ان هذا التقارب حادث فعلا ، ومادمنا لانكتشف له سبباً فلنعده خاصة من خواص المادة (الله خلقها بهذه الطبيعة) ولنسمه نزعة مادية . أي ان كل جسم مادي ، ذرة او مجموعة ذرات ، ميال او نزوع الى الاقتراب لأقرب جسم آخر اليه . فمن هذه النزعة نبتدىء في تفسير سر الجاذبية

بالبداهة نعلم أن كل ذرتين متعادلتين كتلة تتقاربان في المكان والزمان بالتساوي . أي أن كلا منهما تقترب الى الاخرى مسافة واحدة في مدة واحدة ، كقولك إن كلا منهما تدنو نحو الاخرى سنتيمتراً في ثانية واحدة . فاذا تفاوت الجسمان في عدد الذرات كان تقارب كل منهما يجري على هذه القاعدة البديهية ، أي ان اقتراب الجسم الواحد الى الآخر يكون بقدر ما في الآخر من الذرات بالنسبة الى ما في الاول منها

لنفرض ذرة واحدة تبعد ١١ سنتيمتراً عن مجموعة تحتوي على عشر ذرات ، فحينئذ تتصور الذرة المفردة ميالة للاقتراب الى كل ذرة من الذرات العشر ، كما أن كل ذرة من الذرات العشر ميالة للاقتراب اليها . فاذاً كلما اقتربت الذرات العشر سنتيمتراً واحداً كان على الذرة المفردة أن تقترب اليها في نفس الوقت عشر سنتيمترات لكي توفي كلا من العشر حقها من التقارب . على هذا النحو : مجموعة ذات ٥ ذرات تقابل مجموعة ذات ٣٠ ذرة وبينهما ١٤ سنتيمتراً تقترب تلك ٦ سنتيمترات كلما اقتربت هذه سنتيمتراً واحداً ، وفي آخر الثانية تلتقيان لان ٥ × ٦ × ٢ = ٣٠ × ١ × ٢
وهذا يطابق الضلع الاول من قانون الجاذبية الذي اكتشفه نيوتن ، وهو أن الجاذبية هي حاصل ضرب كتلة الجرم الواحد بكتلة الجرم الآخر (والمراد بالكتلة مجموعة عدد من الذرات)

ولكن الجاذبية ليست هذا الضلع وحده ، بل هي نسبة هذا الى ضلع آخر وهو مربع البعد بين الجرمين . هكذا مثلا :

الشمس × الارض = الضلع الاول
―――――――――――
مربع البعد بينهما = الضلع الثانى

والضلع الثانى أهم من الضلع الاول وفيه معظم السر

لو اقتصرت الجاذبية على الضلع الاول ، أى تقارب الذرات ومجموعات الذرات بعضها الى بعض لانطبقت جميع ذرات الكون وجميع اجرامه وسدمه بعضها على بعض بحيث لا يبقى أقل فراغ بينها ، وكان ضغطها بعضها لبعض بشدة لا يتصورها العقل . ولكن الضلع الثانى يتدارك هذه الكارثة الكونية ويجعل للكون أنظمته التى نعلمها

الضلع الاول يسمى القوة الجاذبة نحو المركز Centripetal Force وقد انتهينا منه . والضلع الثانى يسمى القوة الدافعة عن المركز Centrifugal Force وهو الذى نشرحه ونعلله فيما يلى

قوة الابتعاد عن المركز

قلنا آنفاً ان من خواص المادة تقارب الذرات أو بالاصطلاح العلمي تجاذبها ، وبالتالى تجاذب الذرات وتجاذب مجموعاتها أجراماً وسدماً الخ . وهنا نقول ان من خواصها أيضاً الدوران المحورى Rotation أى أن كل ذرة وكل جسم (مجموعة ذرات) مستقل فى حيزه يدور على نفسه — على محوره — هذه ظاهرة طبيعية عامة مشاهدة فى الكون — الشمس والارض والسيارات والاقمار كلها تدور على محاورها . كذلك سائر النجوم ومجموعات النجوم والمجرة والسدم تدور على محاورها ، حتى أدق أجزاء المادة : الفوتون والبروتون والكهرب والذرة المؤلفة منها تدور على محاورها ، فكأن المادة مخلوقة ولها هذه الخاصة — خاصة الدوران

ولكن هذا الدوران المحورى ليس النوع الوحيد . بل هناك دوران آخر هو الدوران المركزى Revolution أى الدوران حول مركز عن بعد ، كدوران الارض (وسائر السيارات) حول مركز النظام الشمسى (فى الشمس) فضلا عن دورانها على محورها . والدوران الاول هو سبب الدوران الثانى وهو أيضاً سبب القوة الدافعة عن المركز ضد القوة الجاذبة الى المركز

وهنا لا بد أن يسأل القارىء : كيف يكون ذلك ؟ وكيف يمكن أن يؤثر دوران جرم مركزى كالشمس فى جرم آخر كالارض ، على بعد سحيق بينهما ، بحيث يجعلها تدور حول الشمس بسرعة مقررة لا تتعداها ولا تقصر عنها لتتم الدورة فى سنة كاملة ؟ فما هى واسطة الاتصال التى تنتقل بها القوة من الجرم المركزى الدائر على نفسه الى الجرم البعيد عنه لتضطره أن يدور حوله ، فلا تتركه يهبط الى المركز ولا تدعه يشرد عنه ؟

هنا تبرى وظيفة الأثير الى الميدان لحل اللغز . وهنا تتضح علاقة الجاذبية بالأثير . وهنا يتضح الدور الذى يلعبه الأثير فى الضلع الثانى من الجاذبية . واليك البيان :

تصور الشمس ، مثلا ، وهى تدور على محورها مع ما فيها من نتوءات وفجوات ، وتصور ما فيها من ذرات وجزيئات تدور على نفسها وكهارب تدور حول بروتونات ، وكل ذرة تصدر سلسلة تشععات Radiations ـ تصور جميع هذه تصادم البحر الأثيرى مصادمات متساوقة متتابعة فى اتجاه واحد لان دورانانها متجهة اتجاها واحدا ـ تصور هذه المصادمات محدثة أمواجاً مسوقة فى اتجاه تلك الدورانات المحورية ، وهى تنتشر بشكل حلزونى . وكلما ابتعدت الموجة تعددت دوائر ذلك الشكل الحلزونى وضعفت قوته حسب قانون الانتشار ، ورقت الموجة أى قصر عرضها بين الارتفاع والهبوط ، ولكن الموجة لا تزال تسرع مبتعدة عن المركز بالسرعة التى صدرت بها لان السرعة تتوقف على دقة ذرات الوسط المتموج (الأثير) وكثافته . وهنا نظن القارىء يسأل : لماذا تنتشر التموجات بشكل حلزونى ؟

يمكنك أن ترى شبيها لهذه الحركة الحلزونية اذا ملأت نحو نصف طشت واسع ماء ووضعت فى متوسط المسافة بين مركزه ومحيطه فلينة . ثم ضع أصبعك فى المركز وحركه حركة رحوية حول المركز . واذا جعلت بدل اصبعك خشبة بعرض سنتيمترين أو ثلاثة وسمك سنتيمتر وطفقت تديرها بسرعة ترى الموج يتولد من هذه الحركة بالشكل الحلزونى ، ولا تلبث أن ترى الفلينة سائرة حول المركز باتجاه الدوران الذى أنت محدثه . اذا لم تر دوران الفلينة منتظما فلان الموجات ترتد من محيط الطشت مفسدة نظام الموجات الواردة من المركز والمصطدمة بها

تصور هذه الأمواج الحلزونية صادرة ليس من دوران الشمس على محورها فقط ، بل من بلايين الذرات التى تؤلف الشمس منها ، وهى تدور على نفسها بنفس اتجاه الدوران الشمسى. فهذه البلايين من الامواج المنتشرة بشكل حلزونى من المركز إلى اللانهاية هى ما يسمى الجو الجاذبى

والآن لكى تتفهم هذه الصورة جيداً انظر الى الرسم والشمس فى وسطه وهى تدور على محورها باتجاه السهم وتصور أن نتوءاتها الذرية التى لا تحصى تصدم الأثير صدمات عرضية أى معامدة لنصف القطر Radius فتحدث أمواجاً عرضية متتابعة لا يحصى عددها ، تنتشر حول الشمس انتشاراً حلزونياً . ولتسهيل التصور نقتصر على تتبع نتوء واحد فقط يحدث أمواجاً متتابعة كل هنية (وقد اقتصرنا فى الرسم على موجة واحدة فقط منتشرة) فنرى أن الموجة الواحدة التى يحدثها النتوء لا تتم دائرة حول الشمس بل تلتف التفافا حول الموجة التى تليها . فاذا تصورت أن نبرات الشمس فى دورانها المحورى تحدث بلايين الامواج فى البحر الأثيرى على هذا النحو ، أمكنك أن تتصورها ملتفة بعضها على بعض بالشكل الحلزونى وهى تصدم الأثير أمامها صدماً عرضياً معامداً لانصاف أقطار الدائرة باتجاه السهم

ثم تصور الارض على بعد من الشمس وهذه الأمواج تصدمها على نحو ما تصورناه آنفا . فلا بد أن تتصور أن الامواج تسوقها أمامها سوقا ، أو تتصور ان الارض ، وهى قاصدة أن تقترب الى الشمس ، لا تستطيع الاقتراب لان الامواج تمنعها فتضطر أن تتدحرج أو تتزحلق على متون هذه الامواج بخط منحن يتم فى دائرة . فكأن الارض تحت تأثير قوتين : قوة الانجذاب نحو مركز الشمس وقوة الامواج الصادمة لها بخط معامد لخط الانجذاب المذكور . ونتيجة القوتين المتعامدتى الاتجاه السير فى خط دائرى — حول الشمس — هو الفلك (المدار) الذى تدور فيه الأرض حول الشمس . ولولا هذه الامواج الحلزونية الاثيرية لسقطت الارض على الشمس

ولعلك تظن أنه ما دامت الامواج تسوق الارض أمامها وهى حلزونية فلا بد أن تسير الارض فى خط حلزونى أيضا فتبتعد عن الشمس مع ابتعاد الامواج الحلزونية الدافعة لها

نعم كان يجب ان تتباعد الارض عن الشمس بفعل هذه الامواج لولا أن هناك قوة التجاذب (أو التقارب) بين الجرمين التى شرحناها آنفاً . وهذه القوة تقاوم قوة الامواج العرضية وتوازنها

ولعلك تسأل إذا قذفنا حجراً أو قنبلة قذفا أفقيا . فلماذا لا يستمر دائراً حول الارض كما يدور القمر حولها . أو لماذا لا يسقط القمر الى الارض كما يسقط الحجر اليها ؟

أقول ان الجواب على هذا السؤال هو فى لباب ناموس الجاذبية لان هذا الناموس لا يقتصر على تجاذب الجرمين فقط ، بل يشتمل على ناموس سرعة الدوران — دوران الواحد حول الآخر . فالسرعة هى أهم ضلع فى الناموس لان مقدارها المناسب لبعد عن المركز هو الذى يقى الارض من الهبوط الى الشمس ، كما يعصمها عن الشرود عنها وهو الذى يقى القمر من الهبوط الى الارض او الشرود عنها

لو أمكننا أن نقذف قنبلة بسرعة ٤٫٠٩ ميل فى الثانية لجعلت تدور حول الارض كسيار أو قمر حولها . ولو أمكننا أن نقذفها بسرعة خمسة أو ستة أميال فى الثانية لشردت عن الارض وتاهت فى الفضاء . والسهم الذى زعموا أن الاستاذ جودارد الاميركى يبتغى قذفه الى القمر لا يمكن أن يبتعد عن الارض اذا لم ينقذف بسرعة تزيد على ٥ أميال فى الثانية . فأين القوة الارضية التى تستطيع احداث هذه السرعة ؟ كذلك القمر لو ابطأ معدل سرعته ولو بعض الميل فى الثانية لهبط الى الارض لا محالة ، ولو طرأت عليه قوة من عالم الغيب تزيد معدل سرعته لشرد فى الفضاء

بقى ان القارىء قد يستهجن أن ذلك الاثير الذى حسبنا لطفه جزءاً من ملايين جزء من لطف غاز الهواء ، تستطيع موجته ان تدفع أمامها الارض التى هى أكثف من الهواء عشرات المرات . ولكن اذا تصورت أنه ليس فى البحر الاثيرى قوة أخرى غير قوة أمواج الاثير تتسلط على الارض من أى ناحية البتة ، فهما كانت قوة هذه الموجة ضعيفة فى تصورنا فهى ذات قوة كافية لان تدفع جرم الارض معها

نقولا الحداد

السرير في الغرب والشرق

كيف نشأ وكيف تطور

لا مشاحة فى أن السرير مظهر من مظاهر الحضارة ودليل من أدلة رقى الاجتماع . فبعد ان كان الانسان فى فجر التاريخ يفترش الغبراء ويلتحف بالسماء صار يلتمس الرفاهة فى كل شىء ، فلا يلبس إلا الفاخر من الثياب ولا ينام الا على الوثير من الفرش . ولكنه قبل ان يبلغ هذا الطور من الرق افترش أوراق الشجر ثم جلود الحيوانات ثم الحجارة الملساء ثم الخشب ثم مواد أخرى معدنية وغيرها . وقد اشتهر عن البابليين والفرس والماديين انهم كانوا ينامون على أسرة من حجارة منحوتة ومن خشب ومعادن مختلفة . وكثيراً ما كانت تلك الاسرة مرصعة بالعاج واللؤلؤ والاصداف المختلفة

وإذا رجعت إلى تاريخ اليونان وجدت هياكل أسرتهم من الخشب وعليها سيور من جلد متقاطعة يوضع عليها الفراش . ولما كثر الترف عند القوم صاروا يصنعون أسرتهم من الخشب الغالى . وكان كبار الاغنياء منهم يصنعون أسرتهم من العاج ويكسونها بصدف السلحفاة ويجعلون قوائمها من الفضة . وفى بعض المتاحف الاوربية أسرة يونانية مصنوعة من البرونز . اما الوسائد واللحف والاغطية فكانت جميلة الصنع ومن النوع الغالى

واقتبس الرومان طراز أسرتهم عن اليونان إلا انهم جعلوها عالية فكان المرء يرقى سريره بواسطة مرقاة مخصوصة . وكانت اكثر الأسرة الرومانية كبيرة تسع شخصين او اكثر ولها سياج او حاجز (دربزين) . وكانت اللحف والأغطية عادة من النوع الفاخر ومنها القرمزى الموشى بالذهب . ولها سجف تتدلى حول السرير إلى الأرض . وبعض الأسرة الرومانية التى لا تزال محفوظة إلى الآن مصنوعة من البرونز ومرصعة بالفضة . وكان « لهليوجابالس » سرير مصنوع من الفضة الخالصة . ولا يزال فى بعض بيوت بومباى المتهدمة مواضع خاصة اشبه بمخابىء كانت توضع فيها الاسرة وتحجب عن انظار الزائر بسجف مدلاة . واشتهرت « اسرة الزواج » الرومانية بما كانت تشف عنه من البذخ والاسراف

واذا وصلنا إلى تاريخ العصور المتوسطة نجد ان الشعوب الجرمانية كانت أقل الشعوب الغربية اهتماماً بأسرتها . فكان اكثر الجرمان يفترشون القش اليابس واوراق الاشجار ويغطونها بالجلود وينامون عليها ، ثم تدرجوا فى حضارتهم فصاروا يفرشون الارض بالجلود ويضعون فوقها الوسائد المحشوة بالريش او الصوف او الوبر وينامون عليها ملتحفين بلحف

وبأغطية كبيرة من كتان . وفى القرن الثالث عشر اخذ القوم فى الترف فصاروا يصنعون الأسرة من الخشب المرصع بالمواد المختلفة وكانوا يستعملون تلك الاسرة للنوم ليلا وفى النهار يحولونها مساند ومتكآت يجلس عليها الزائرون . وبمرور الزمن صاروا يضعون على السرير كلة(١) معلقة فوقه من السقف او من وتد بارز من الحائط . وكان خشب بعض تلك الأسرة منقوشاً نقوشاً بارزة او محفورة وبعض السجف المدلاة عليها موشاة ومطرزة . وفى أوائل القرن الرابع عشر اخذوا يبطنون الأغطية واللحف بالفرو الثمين المطرز . وفى ذلك القرن ظهرت مظلة السرير المعروفة « بالبلدكان » وكانت هذه المظلة تعلق فى أول الامر من السقف وتغطى بالسجف لمنع تيار الهواء أثناء النوم . وفى القرن الخامس عشر أصبحت الأسرة كبيرة جداً يختلف طول بعضها من مترين إلى مترين ونصف متر وعرضها أقل من ذلك قليلا . أما الحشية (٢) فكان حشوها فى الغالب من القش أو الريش . ويظهر ان القوم لم يستعملوا الصوف ولا الوبر قط . وكان من عادة أغنيائهم فى ذلك العصر ان ينقلوا أسرتهم معهم أينما ساروا وحيثما ارتحلوا . وفى أوائل القرن الخامس عشر أخذ النبلاء والأغنياء يستقرون فى المدن ولا ينتقلون منها إلا نادراً ، ولذلك صاروا يصنعون لأنفسهم أسرة ضخمة لا يسهل نقلها من مكان إلى مكان

واشتهر ملوك الجرمان والفرنسيين بفخامة أسرتهم وكثرة عددها . قيل انه كان للملك لويس الرابع عشر اسرة لا تحصى ، ذكر أربعمائة وثلاثة عشر سريراً منها فى سجلات القصر . وكان بعض هذه الأسرة مرصعاً باللؤلؤ والحجارة الكريمة . وعليه نقوش من صنع « برو » (Proux) وكافييري (Caffiari) اللذين اشتهرا فى عصرهما بصنع الأسرة . وكانت قوائم جميع تلك الأسرة مطلية بالذهب وعليها الشارات الملكية المرصعة وحولها سجف موشاة بالذهب . وكان سرير لويس الرابع عشر فى قصر فرساى أفخم سرير من نوعه فى العالم فى ذلك العصر ، فكانت سجفه من القطيفة القرمزية الموشاة بالذهب وقد طرزت عليها بالذهب صورة تمثل ابراهيم الخليل يحاول ذبح ابنه اسحق ، وصورة اخرى مأخوذة من الخرافات اليونانية القديمة تمثل « انتصار الزهرة »

وبلغت الأسرة أوج مجدها فى القرن السابع عشر إذ ظهر الطراز المعروف « بالدوشيس » (à la duchesse) وله مظلة (بلدكان) وسجف من جهة الرأس . وفى اوائل القرن الثامن عشر شاع استعمال الوسائد واللحف المحشوة بالريش ، وشاعت معها طرز كثيرة من الاسرة فى معظم بلدان اوربا ولا سيما فرنسا حيث كثرت الطرز الآتية :

---

(١) الكلة في اللغة بكسر الكاف غشاء رقيق يخاط كالبيت يتوقى به من البعوض . ويعرف عند العامة بالناموسية (٢) الحشية هي ما يعرف عند العامة بالمرتبة

سرير المخدع ، سرير الدوقة أو الدوشيس ، سرير الملائكة ، السرير الانجليزى ، السرير ذو المظلة ، السرير ذو التاج ، السرير الامبراطورى ، السرير الكبير أو سرير العرض ، الخ . . الخ . .

فسرير المخدع كان يوضع فى مخدع فى إحدى غرف المنزل . والمخدع فى اللغة غرفة صغيرة داخل غرفة كبيرة . وسرير الدوقة أو الدوشيس وقد سبقت الاشارة اليه كان كثير الشيوع فى فرنسا . وسرير الملائكة كان مجرداً من الاعمدة ولكن له مظلة (بلدكان) فوقه تتدلى منها سجف مسحوبة الى الوراء . والسرير الانجليزى كان يتحول متكأً أو وساداً فى النهار . والسرير ذو المظلة أو البلدكان معروف . والسرير ذو التاج كان مزيناً بالشارة الملكية وهى التاج . والسرير الامبراطورى كان كبيراً جداً وعلى كل قائمة من قوائمه شعار الدولة من تاج وصولجان وغيرهما . وكان نابوليون بونابرت ينام فى فونتنبلو على سرير ذى مظلة (بلدكان) لا يزال محفوظاً حتى الآن . وكان لبعض ملوك فرنسا قديماً أسرة تعرف بأسرة العدل Lits de justice توضع فى دار الندوة (البرلمان) ويجلسون عليها عند اجتماع المجلس . فكان الامراء يقفون عن جانبى الملك ، وكبار رجال الدولة راكعون بجانبهم . ويقال إن الملك لويس الحادى عشر هو أول من ابتدع هذه العادة ، وقد ظلت كذلك الى آخر عهد الملكية فى فرنسا

ومما اشتهر عن ملوك فرنسا أيضاً فى ذلك العهد أن الملك كان يجلس على سرير خاص متنقل يسمى السرير الكبير أو سرير العرض لسماع بعض الشكاوى التى ترفع اليه وكان هذا السرير يصحب الملك فى جميع رحلاته وتنقلاته . وعليه كانت توضع جثته عند وفاته . وكان هذا السرير يحاط بسياج حديدى (درابزين) ليمنع الاتصال بينه وبين المحيطين به . وفى مذكرات أحد الكتاب الفرنسيين التى ترجع الى القرن الخامس عشر أن ذلك السياج الحديدى كان « لمنع الكلاب من الدنو الى السرير » . وفى التاريخ أن ملوك فرنسا كانوا يستقبلون المقربين اليهم فى غرفة نومهم . وكانت الملكة أيضاً تستقبل وصيفاتها والمقربات اليها وهى على سريرها المتنقل . وكان ذلك من أعظم علامات الشرف فضلا عن أنه كان يعفى الملكة من التزين والتبرج واستكمال مقتضيات بروتوكول المقابلات

وفى ذلك الزمن شاعت عادة استعمال الاسرة المتنقلة بين الاغنياء والخاصة فى فرنسا . فكان هؤلاء يقلدون ملوكهم فى حفلات الاستقبال التى يقيمونها ، وكانت تلك الاسرة تزين بالسجف المطرزة الغالية الثمن

وفى القرن الثامن عشر شاعت الاسرة الحديدية فى فرنسا وغيرها من بلاد اوربا . ولا حاجة بنا الى القول أن استعمالها كان فى أول الأمر مقصوراً على الاغنياء فقط ثم شاع بين الطبقات المتوسطة الحال أيضاً . وكان تجار تلك الاسرة يعلنون عنها أنها « خالية من الهوام والحشرات التى تكثر فى الأسرة الخشبية »

وكانت الاسرة فى انجلترا وغيرها من بلدان أوربا كثيرة الشبه بالاسرة الفرنسية ، الا أن بعضها كان يصنع من خشب السنديان المنقوش . وكان بعض الاغنياء يصنعون لانفسهم أسرة من خشب الماهوجنى الغالى . ولا يزال بعضها محفوظا فى المتاحف الى هذا اليوم . إلا أن اكثرها بسيط الصنع يشف عن بساطة الذوق الانجليزى بوجه الاجمال

السرير فى الشرق

هذا ما كان من تطور الاسرة فى بلاد الغرب . أما فى الشرق فقد كان الناس فى أول الأمر يفترشون الجلود كما تقدم ثم صاروا يضعون الوسادات الواحدة فوق الأخرى أو يكومون البسط بعضها فوق بعض وينامون عليها كما كان الفرس يفعلون . ولا يزال الكثيرون فى بلاد الشرق يفعلون ذلك الى هذا اليوم . وكان الصينيون منذ الفى سنة ينامون على أسرة لا تختلف عن أسرة المصريين القدماء . وعلى الآنية الفخارية التى ترجع الى عهد أسرة هان (سنة ٢٠٦ قبل الميلاد الى سنة ٢٥ بعد الميلاد) نقوش تمثل طائفة كبيرة من الاسرة الصينية التى كانت مستعملة فى ذلك الزمن . وقد عثر المنقبون على الآنية المذكورة فى قبور أسرة هان المشـــار اليها . وفى بعض متاحف أوربا نماذج من الاسرة الصينية القديمة وكلها من الخشب المنقوش . وفى أيام أسرة منج (سنة ١٣٩٨ الى ١٦٤٣ للميلاد) بدأ الصينيون باستعمال الكلة « الناموسية » وكانوا يصنعونها من غشاء رقيق جداً . وكانوا يجعلون لغرف النوم مخادع خاصة ينصبون فيها أسرتهم كما كان الفرنسيون يفعلون فى نحو ذلك الزمن عينه . وفى متحف التاريخ الطبيعى بمدينة شيكاجو نماذج من أسرة الصينيين فى ذلك العهد . ويؤخذ من بعض القرائن انها لم تكن وثيرة الفراش بل كان يصنع لها وسائد من الحجر أو الفخار الصينى أو الخشب على شكل يلائم وضع الرأس والعنق بوجه الاجمال

أما فى اليابان فلا يزال الكثيرون ينامون على الحصر ويسمونها « تاتامى » . ومن عاداتهم أنهم يضعون معهم فى أسرتهم تحت اللحف صناديق خشبية صغيرة داخلها مواقد يشتعل فيها فحم الحطب بقصد التدفئة . وفى استعمال هذه المواقد خطر كبير ، ويقال انها سبب انتشار الكثير من الامراض الجلدية فى اليابان . على أن استعمالها قد أخذ يقل كثيراً جدا

وفى الهند وسائر بلدان الشرق الاقصى كانت الاسرة فى الأزمنة الغابرة كثيرة الشبه بالاسرة عند الصينيين . الا أن أقيال الهند وأمراءها كانوا منذ عهد الاسكندر بل من قبل ذلك بكثير ينامون على أسرة فخمة بعضها مصنوع من الخشب الثمين المرصع بالعاج والبعض الآخر من العاج الخالص . ويقال ان بعض تلك الاسرة كان لا يقوم بثمن . وفى الواقع أن بعض أقيال الهند فى الوقت الحاضر ينامون على أسرة من الفضة الخالصة عليها وسائد وسجف ولحف يزيد ثمنها

على عشرات الالوف من الجنيهات. ولم يذكر التاريخ اسم ملك انفق على سريره ما ينفقه بعض أقيال الهند فى هذا العصر او فى العصور السالفة

***

وقد تطورت صناعة الاسرة فى القرن التاسع عشر وشاعت الاسرة الحديدية فى اكثر أنحاء العالم. ومع شيوع الاسرة المعدنية فى هذا العصر فان الاغنياء لا يزالون يفضلون الاسرة المصنوعة من الخشب. وهى تصنع من طرز ونماذج كثيرة. وكثيراً ما يستعمل الاغنياء فى بلاد الشرق أسرة كبيرة جداً يسع كل سرير منها عدة اشخاص. وبعد أن كان السرير يصنع قطعة واحدة صار يصنع اليوم من قطع وأجزاء كثيرة يسهل حملها ونقلها من مكان الى مكان. والاسرة النحاسية الجيلة شائعة اليوم فى أنحاء كثيرة من العالم. وهناك اسرة خاصة للبيوت وغيرها للملاجىء والمدارس وأخرى للمستشفيات. والاخيرة تصنع عادة من طراز خاص وعلى أسلوب يميزها عن الاسرة الاعتيادية. ويغلب فيها اللون الابيض الناصع المصقول إذ يسهل تنظيفه وجعله بمأمن من الميكروبات

علو الهمة وعظمة النفس

لا تتخذنَّكَ في العشيرة منزلاً
حتى تكونَ على العشيرةِ سيدًا

ألمجدُ صيدٌ . فالقَ صيدَكَ واثباً
لايلبثُ الضرغامُ أن يتصيدَا

إبعثْ بصوتكَ في الممالكِ عالياً
واقذفْ بذكركَ في الشعوبِ مرددَا

إن شئتَ صيرتَ الحياةَ مسبةً
وإذا أردتَ جعلتها لكَ سؤددَا

الناسُ : مخلوقٌ لأمرٍ رائعٍ
يرمي به الدنيا . ومخلوقٌ سدًى

احمد محرم

الحروب الصليبية

هل كانت دينية أو سياسية؟

فى سنة ١٠٩٥ للميلاد، دعا البابا «اوربانوس الثانى» اقطاب الدين المسيحى فى بلاد الغرب الى مؤتمر دينى عقد فى مدينة «كليرمون فيران» بفرنسا، وعرف فى التاريخ باسم «مجمع كليرمون»

ولبى دعوة البابا جميع رؤساء الدين فى اوربا، وتباحثوا فى شؤون مختلفة، ثم وقف فيهم «بير ليرميت» أو «بطرس الناسك» الفرنسى خطيباً، وراح يبسط حالة الاراضى المقدسة وخروجها من أيدى المسيحيين إلى أيدى المسلمين، ويستنهض هممهم فى دعوة العالم المسيحى الى إرسال حملة عسكرية تحت شارة الصليب لانقاذ قبر المسيح من مغتصبيه

ولم يكن بطرس الناسك «ناسكا» بالمعنى الذى نفهمه من هذه الكلمة، ولكنه لقب أطلق عليه فكان اسماً على غير مسمى، وكان الرجل خطيباً فذاً ومهيجاً ماهراً، فلقيت دعوته آذاناً صاغية من قوم كان الدين عندهم ركن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. فأصدر مجمع كليرمون فى تلك الجلسة التاريخية قراراً خطيراً كان له فيما بعد على مجرى التاريخ تأثير عظيم، واتفق رجال الدين قبل انصرافهم على اعلان «الحرب الصليبية الاولى» ودعوة الملوك والأمراء والزعماء فى العالم المسيحى الى الاشتراك فيها. وما مضت مدة وجيزة على صدور ذلك القرار حتى كانت جموع المتطوعين تتألب على الاماكن التى حشد فيها جيش «الصليبيين» الذى تدفق على الشرق، وقد تصاعد من صدور أولئك الأبطال هتاف واحد: «إن الله يريد هذا!..»

ودامت الحروب الصليبية خمسة قرون كاملة، فكان الصليبيون يفوزون حيناً ويفشلون أحياناً، ويخوضون غمار المعارك سنة ثم يعتصمون فى معاقلهم سنة أخرى. ودون التاريخ فى صفحاته أعظم حادث حربى عرف الى الآن

ومنذ ذلك الوقت الى يومنا هذا، يتحدث الناس عن الحروب الصليبية معتقدين أنها «دينية» فقط، وأن الذين أطلقوها من عقالها فى بلاد الغرب كانوا مدفوعين بعامل واحد هو عامل «الدين» دون سواه، وأن الذين دعوا الى تلك الحروب كانوا يرمون — هم والذين لبوا دعوتهم وامتشقوا الحسام — الى انقاذ قبر المسيح والارض المقدسة من أيدى المسلمين

ومنذ ذلك الوقت الى الآن لم يرتفع غير صوت واحد فى اوربا لدحض هذا الادعاء ومحو هذا الاعتقاد، ذلك الصوت هو صوت الفيلسوف الفرنسى «فولتير»

فقد أرسل الرجل صيحة داوية فى الوقت الذى كانت فيه صيحاته تهز أوربا هزاً عنيفاً، وأسمع القوم نغمة جديدة لم تطرق آذانهم من قبل، وهى أن الحروب الصليبية لم تكن « دينية » كما يعتقدون، بل « سياسية » من جميع الوجوه، وأنها كانت ترمى الى التوسع على حساب الغير والى النهب والسلب

أرسل فولتير صيحته تلك فقوبلت فى أوربا بالاعراض التام. واتهم الرجل بأنه يحاول تشويه تلك الصفحة المجيدة من التاريخ مدفوعاً الى ذلك بالحاده وكرهه لرجال الدين

ومرت الايام وقام مؤرخون آخرون بأبحاث دقيقة واسعة النطاق، أعادت الى الاذهان شيئاً فشيئاً تلك الصيحة التى أرسلها فولتير، وذلك الرأى الذى أبداه، وتلك النظرية التى جاهر بها، وارتفعت أصوات أخرى مؤيدة ماذهب اليه الشاعر الفيلسوف. واذا بنا الآن أمام طائفة من المؤلفات القيمة، التى نزع أصحابها من نفوسهم كل نعرة دينية، وراحوا يبحثون عن الحقائق المجردة من الاغراض وأحكام التقاليد وقيودها، فكانت النتيجة أن بدت لنا الحروب الصليبية من خلال تلك المباحث والمؤلفات، فى صور غير التى ألفناها، وظهرت لنا شيئاً فشيئاً صبغتها السياسية وأغراضها الاستعمارية

وبين يدى الآن، وأنا أكتب هذا، الجزء الاول من « تاريخ الحروب الصليبية » للمؤرخ الفرنسى « رنيه جروسيه » وهو ممن يذهبون هذا المذهب وينادون بهذا الرأى. وقد ظهر كتابه فى فرنسا منذ أسابيع فكان له فى عالم الأدب والعلم وقع عظيم

***

كان البابا فى القرن الحادى عشر للميلاد يتمتع بالسلطتين الروحية والزمنية أو المدنية، وكان فى آن واحد الرئيس الاعلى للدين المسيحى فى العالم وملكا على الدولة البابوية، له مصالحه وجيوشه وموظفوه وممتلكاته، بل كان البابا فى ذلك العهد أوسع الملوك سلطة وجاهاً، لأنه كان بواسطة مركزه الدينى يبسط نفوذه على الممالك الاخرى ويفرض إرادته على أرباب التيجان، فكانت مصالحه تقضى بأن تبقى الدول المسيحية قائمة، وأن تبقى ممتلكاتها سليمة، بل أن تتسع تلك الممتلكات وتمتد الى أبعد حد مستطاع

وكانت الدولة البيزنطية خاضعة لسلطة البابا الروحية، ومن ثم متأثرة برغباته السياسية. ورأى أوربانوس الثانى أن كيان تلك الامبراطورية الواسعة الارجاء مهدد، وأن العرب بدأوا يهاجمونها بعد أن هاجمها الفرس وغيرهم من الشعوب الشرقية، وهى شعوب غير مسيحية. فاذا تهدمت أركان تلك الامبراطورية فانما هى بعض أركان العالم المسيحى، أو بعبارة أخرى العالم البابوى - تتهدم وتنذر بالزوال. فأراد البابا اوربانوس أن يشد أزر بيزانطة وملوكها لتقوية دعائم الامبراطورية وتوسيع ممتلكاتها، ومن ثم توسيع ممتلكات البابا نفسه اذا ما تمكنت

الجيوش العاملة تحت شارة الصليب من تأسيس الممالك والامارات فى الشرق، اذ أن تلك الممالك والامارات سوف تكون خاضعة - روحيا على الاقل - لسلطة روما والجالس على عرشها

فكيف السبيل الى تنفيذ هذه الخطة وحمل الدول المسيحية الأخرى فى أوربا على ولوج حرب تحقق هذه الأمنية ؟

كان على البابا أوربانوس الثانى اذن أن يبسط الأمر للعالم المسيحى فى صورة يلبسها ثوب الدين، فى عصر كان فيه الدين كما قلنا أساساً لكل شىء وواسطة الى كل غرض

رسم البابا أوربانوس خطته بدهاء عظيم، ودعا رجال الدين الى ذلك المؤتمر الذى أطلق عليه اسم «مجمع كليرمون»، واتخذ «بيرليرميت» بوقاً لنشر دعوته تحت ستار الدين وضرورة انقاذ قبر المسيح من أيدى المسلمين الغاصبين

ونجحت الدعوة وقرر المؤتمر اعلان الحرب الصليبية، وانطلق بيرليرميت يبلغ ارادة البابا وقرار المؤتمر الى الامراء والأقيال فى طول البلاد وعرضها. بينما كان زملاؤه من رجال الدين الآخرين ينسجون على منواله كل منهم فى بلاده ومنطقة نفوذه

وكان ما كان من اطلاق الحرب من عقالها، ومشت جيوش الغرب الى الشرق، وبقيت الامبراطورية البيزنطية قائمة بضع مئات السنين بعد أن كانت مهددة بالانهيار من سنة الى أخرى

***

تمكنت جيوش الصليبيين من انتزاع سورية من العرب بعد معارك حامية. وكان الاتفاق بين الصليبيين وبيزنطة أن تعاد سورية الى الامبراطورية بعد انقاذها. ولكن قواد الافرنج عدلوا عن رأيهم عند ما حالفهم النصر. وقرروا البقاء فى أرض يعود الفضل فى فتحها الى سيوف رجالهم، فأنشأوا فى سورية تلك الامارات الصغيرة التى تحدث عنها التاريخ. وأهمها مملكة «أورشليم» التى جلس على عرشها «جود فروا دى بويون» الفرنسى أعظم قواد الصليبيين شأنا فى الحرب الاولى

وهنا تسوقنا الظروف الى المقارنة بين فتح سورية فى ذلك العهد، وفتح السودان فى أواخر القرن الماضى. فان الانجليز عند ما أقدموا على فتح السودان بواسطة الجيش المصرى وفريق من جنودهم، تعهدوا بان يعيدوا السودان إلى مصر، أو بعبارة أخرى الى الدولة العثمانية التى سارت حملتهم باسمها وتحت راية سلطانها. ولكن بعد ان تم لهم الفتح طمعوا بالغنيمة وحاولوا استبقاءها لانفسهم وظلوا عاملين فى هذا السبيل إلى ان تم لهم ما أرادوا

وهذا ما صنعه الصليبيون فى القرن الحادى عشر للميلاد، فقد طمعوا بالغنيمة واستبقوها لأنفسهم بدل ان يعيدوها إلى صاحب التاج فى بيزنطة. وما حدث للسلطان العثمانى الجالس على عرشه، على ضفاف البوسفور، فى القرن التاسع عشر، هو ما حدث من قبل فى القرن

الحادى عشر للامبراطور البيزنطى الجالس على عرشه على ضفاف البوسفور أيضاً !

واذا استعرضنا حوادث التاريخ منذ ذلك العهد البعيد الى الآن ، فاننا نخرج بهذه النتيجة ، وهى أن « المشكلة الشرقية » التى لا تزال تشغل العالم السياسى الى الآن قد بدأت فى ذلك العهد، أى منذ ان وطئت أقدام الصليبيين الارض المقدسة

ونجد من ناحية أخرى ان سلطة البابا الروحية والزمنية قد اتسعت كما أرادها البابا أوربانوس الثانى ، وذلك ببقاء الامبراطورية البيزنطية قائمة بضع مئات من السنين . وبانشاء دول وإمارات مسيحية صغيرة فى الارض المقدسة ، كانت خاضعة للبابا خضوعاً تاماً من الوجهة الروحية وخضوعاً محدوداً من الوجهة الزمنية

إن القواد الصليبيين لم يكتفوا بفتح الارض المقدسة وانقاذ قبر المسيح ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك وظلوا خمسمائة سنة يسعون إلى التوسع ومهاجمة الاقطار العربية لأغراض سياسية فى باطنها دينية فى ظاهرها

إن الدافع الدينى لا يمكن نكرانه طبعاً ، لأن السواد الاعظم من جنود الصليبيين كانوا يحملون السلاح ويضعون على صدورهم وظهورهم شارة الصليب ، مدفوعين إلى ذلك بعامل التقوى والتدين والرغبة فى الحج إلى بيت المقدس وانقاذ قبر المسيح ، ولكنهم كانوا يخدمون من حيث لا يدرون أغراضاً أبعد مدى وأعظم أهمية فى نظر قادتهم وأمرائهم وملوكهم ، من الاغراض النبيلة التى أشرنا اليها . فان كثيرين من أولئك القواد والامراء كانوا يقفون وهم فى منتصف الطريق ، فلا يصلون إلى بيت المقدس ، بل يكتفون بانشاء الامارات فى أنحاء سورية ويعتصمون فيها ، وينادون بانفسهم أسياداً عليها ، بل ان بعضهم قد ذهب إلى أبعد من ذلك ، فانتزع من البيزنطيين أنفسهم جزءاً من ممتلكاتهم واستأثر به لنفسه !

ان الامارات التى أنشأها الصليبيون فى القدس والكرك وطرابلس وبلاد النصيرية وغيرها كانت المستعمرات الاولى للدول الغربية فى الشرق ، بل انها كانت فاتحة التوسع وسياسة الاستعمار ، وهى السياسة التى لا تزال الدول سائرة عليها إلى الآن ، بعد ان مرت بأطوار عديدة ، أهمها وأبعدها أثراً طور الامتيازات الاجنبية التى منحها السلطان سليمان القانونى لملك فرنسا فرنسوا الاول

وأخيراً ، ان دعوة الناس الى الاشتراك فى الحروب الصليبية باسم الدين ، واثارة تلك النعرة فى نفوسهم ، لم تكن غير وسيلة لتنفيذ خطة سياسية ابعد مدى من « انقاذ قبر المسيح » . وقد رسم البابا اوربانوس الثانى تلك الخطة المحكمة ، ثم اعتنقها من بعده أرباب التيجان والعروش ، وظلوا سائرين فى تنفيذها على منوال ذلك البابا الداهية ، لانهم أدركوا مثله أن لاسبيل إلى دفع الشعوب إلى ميادين القتال إلا باثارة تلك النعرة فى النفوس

حبيب جاماتى

هو الشباب دائماً

النار والوقود ، والفكرة والالهام

ليس فى العالم اليوم أعلى من صيحة الشباب . بل ان العالم اليوم لا يشغل إلا بالشباب : تعليم الشباب ، تجنيد الشباب ، الحرص على حيوية الشباب ، حركات الشباب ، هى كل المعين الذى يستمد منه الكتاب موضوعاتهم وبحوثهم ، وهى مجال مترامى الآفاق ، لدراسات المؤرخين والنفسيين والاجتماعيين ورجال الاقتصاد

ويلذ للكتاب أن يطرفوا قراءهم بصور عجيبة من وثبة الشباب الحديثة ، لانها تبدو للقراء خارقة للعادة ، ومباينة للمألوف ، اذ تعود الناس . ان تكون مقاليد الامور فى أيد أرعشتها الشيخوخة ، اذا اردنا ان نعطى للمسألة صورة متشائمة سوداء — او فى ايدى رجال حنكتهم الظروف ، وعلمتهم الايام ، اذا اردنا ألا نغلو ونسرف

وكم من مرة سمعنا ان بالبو حاكم طرابلس الايطالى قد اطلق لحيتـه ليخفى صغر سنه وحداثة عهده بالاعمال ، وان فلانا من الوزراء ، او رؤساء الدول ، لم يتخط بعد الثلاثين من سنى عمره

ولكنا نخطىء اذ نحسب ان وثبة الشباب ، التى نراها اليوم ، وثبة فريدة لم يسجل التاريخ شبيهاً او نظيراً لها ، لان تاريخ الدنيا كله ، منذ عرف للدنيا تاريخ ، هو صنع الشباب . وليس يعرف الناس عملا قلب وجه البسيطة او ثنى عنان التاريخ ، إلا وكان الشباب صاحب فكرته او واضع خطته بل منفذه كله

ويسير على القارىء أن يتحقق هذا ، لو أنه جلس فى مقعده ، وتأمل فى تاريخ البشرية ، واستذكر اسماء ابطالها ، وبحث عن عمرهم واحداً بعد واحد ، ليكتب سجلا للقادة ، ويضع خطا بقلمه تحت اسماء كبارهم وليكتب سجلا آخر للانبياء ، وليحصى بقية المكتشفين والمخترعين وأصحاب المبادىء والعقائد ، وليخرج من هؤلاء جميعاً ، الذين بدأوا عملهم بعد أن انحدروا الى خريف الحياة ، وليبق الباقين الذين تفتحت أكمام شهرتهم فى ربيع اعمـارهم . فاذا وجد أن الذين نادوا بالمبادىء والذين قادوا الجيوش والذين فتحوا للناس أبواب التفكير والتصور والذين الهبوا الثورات وأضرموها كانوا جميعاً من الشباب الذين يجرى دمهم فى عروقهم حاراً والذين يضطرم خيالهم فى رؤوسهم مديداً ، استـطاع أن يعرف أن الدنيا التى نعيش فيها ليست إلا خلق الشباب وصنع يديه حقاً !

☆☆☆

ليس فى تاريخ قادة الجيوش اسماء ألمع ، ولا أكثر لألاء من الاسكندر المقدونى ورمسيس الثانى ، ونابليون بونابرت

واسكندر الاكبر لم يجتح بجيوشه فقط الولايات اليونانية المعادية لبلاده ، ولم ينطلق على رأس جنوده لتمزيق الفرس ، فاتحا فى طريقه الى الهند أفغانستان ، ومتوليا فى طريقه الى مصر على سوريا والعراق ، بل إنه الرجل الذى نقل الى الشرق ثقافة الاغريق والقائد الذى كان يحلم بدولة انسانية ، تمتزج فيها الصبغة الشرقية بالصبغة الاغريقية . وقد تم للاسكندر بعض هذا ، على الرغم من أنه ارتقى عرش أبيه فى العشرين ، وأنه فارق الدنيا فى الثانية والثلاثين

أما رمسيس الثانى الذى كان يجول بجيوشه فى سوريا والعراق ذهاباً وجيئة عشرات السنين ، فقد كان على رأس جيوشه المظفرة فى الثامنة عشرة من عمره . وليس نابليون مجهولا ، حتى يجوز لنا أن نذكر أنه عرف فى الثورة الفرنسية كضابط عظيم فى الخامسة والعشرين من عمره ، وأنه قاد جيوش الفرنسيين هازئا معهم بجبال الالب ليهزم النمسويين فى أكثر من موقعة خلدها التاريخ وهو فى التاسعة والعشرين ، وأنه حلم بامبراطورية له فى الشرق وهو فى الحادية والثلاثين

هؤلاء الذين هبوا بخريطة الدنيا ، وعبثوا بالحدود والفواصل ، كانوا جميعا شبانا ، لو أن الواحد منهم كان فى عهدنا الحاضر ، وأراد أن يسلك الطريق الرسمى ، لما زادت مرتبته عن ملازم ثان !

* * *

فاذا انتقلنا الى الجانب الروحى من الحياة الانسانية وجدنا عجباً

إن التاريخ يسجل أن أقدم ثورة دينية عرفها ، كانت ثورة اخناتون الملك المصرى القديم فمنذ أربعة آلاف سنة ، فطن هذا الملك الى وحدة « الخالق » فأثارتعدد الآلهة فى نفسه سخطا على الكهنة ، فترك لهم طيبة ، ولجأ الى مدينة جميلة بناها لنفسه على مقربة من تل العمارنة ، وحرر الفن والتفكير من القيود الحديدية المفروضة عليه وقتذاك ، فانتج الصناع المصريون فنا هو أبدع ما وصل اليه ابتكارهم وافتنانهم وخلقهم

كان هذا الملك هائماً فى ملكوت روحانياته ، شاعراً ينظم القصائد لمعبوده الذى رمز له بالشمس ، ويكتب الاناشيد التى يقول عنها أساتذة التاريخ إنها أشبه شىء بمزامير داود . هذا الملك الذى قال عن الله قبل أن تعرف الانسانية التوحيد بآلاف السنين : « انه واحد أحد » ، ارتقى عرشه فى التاسعة من عمره ، وألم بدينه الجديد فى الخامسة عشرة ، ووقف فى وجه الكهنة . وهزأ بهم ، وبمعتقداتهم قبل أن يقرب من الثامنة عشرة ! لكن لا يزال تاريخ مصر الروحى حافلا باسماء كثيرة ، لن أذكر لك منها الا اسما واحداً ، لطول القائمة ، ذلك هو اسم « يوسف »

فان « يوسف » الذى قال لصاحبيه فى السجن : « ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم

الله الواحد القهار ؟ ، والذى أدار مالية مصر ، فى سنى قحطها ورخائها ، لم يكن الا شاباً جميلا ، يفتن بحسنه النساء ، فيراودنه عن نفسه وينقمن عليه اذ يصد عنهن ، لأنه رأى « برهان الله » امامه !

ولو أنك سألت انسانا ، كم سنة قضى السيد المسيح عليه السلام فى هـذه الارض وبين الناس ؟ لوجدت فى أجوبتهم بعداً عن الحقيقة . لان الصورة التى تراها للمسيح صورة رجل التفت لحيته الخفيفة بعارضيه وأكسبته سمة الرجل الكبير الذى تخطى الاربعين . ولكن السيد المسيح لم يكن الا شابا فى فتوة الشباب ، فقد كان فى أول العقد الثالث من عمره

وكان بطرس الرسول الذى دعا الى المسيحية ونشرها فى روما ، راكبا حماره الهزيل ، مرتديا دثاره الخلق ، شابا لم يبلغ الثلاثين

☆ ☆ ☆

لم يبق الا صفحة الاسلام ، والناس انطبعت فى أذهانهم صور غريبة للرجال الذين ثبتوا أركان هذا الدين ، والذين ظاهروه وباعوا من أجله النفس والمال ليشتروا بها الجنة التى وعد الله بها عباده المتقين بقوله : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة »

يحسب الناس أن الذين وقفوا مع النبى (عليه صلوات الله) ، فى وجه العسف النازل به وبهم ، ولدوا رجالا ذوى لحى طويلة ، وانهم تخطوا سن الشباب ، أو قفزوا فوقه فلم يعرفهم الشباب . ذلك كله لان التاريخ الاسلامى تاريخ مهجور ، لا تطرق أرضه قدم ، ولا يبحث فى نواحيه باحث

لكن دور الشباب فى صدر الاسلام دور عظيم ، بل ان الاسلام لم تنم شجرته الا بدماء الشبان ولم تحم بيضته سوى صدورهم الفتية . ولقد كان رسول الله (ص) يقول يوم أن كان المسلمون مطاردين مراقبين : « اللهم اعز الاسلام باحب العمرين اليك » ولم يكن أحب العمرين هذا سوى عمر بن الخطاب ، وقد اعتنق عمر بن الخطاب الاسلام فعلا . ولكن لم كانت سن هذا الذى سيعز الاسلام ويؤيده ؟ لم يكن « عمر » سوى شاب صغير يقترب من السادسة والعشرين من عمره . ولقد اعتز الاسلام بهذا الشاب فعلا ، وأصبح وزيراً للرسول الذى حكم دينه الملايين . ولو انه عين اليوم فى هذه السن وزيراً فى دولة من الدول لاهتزت أسلاك البرق وكتبت المقالات وألفت الكتب !

ولقد دعا الرسول ذوى قرابته مرتين ليفهموا منه دعوته وليعرفوا الدين الجديد عساهم يؤيدونه ويؤمنون به ، فنال الرسول الاذى فى المرة الاولى ، وفى الثانية وقف فيهم يسأل : من منكم سيكون وزيرى وساعدى ؟ فلم يتقدم سوى صبى صغير هو على بن أبى طالب ، وكان فى العقد الأول من عمره ، فاحتضنه الرسول واعتز به . ولا أحسب أن التاريخ الحديث قد سجل فى صحائفه أن دولة قامت على مؤازرة الصبيان ومظاهرتهم

ولما فتح المسلمون مكة أراد النبى (ص) أن ينصب عليها حاكما ليعود الى المدينة مع الانصار . فلم

يقع اختياره الا على شاب ، أتعرف كم كانت سنه وماذا كان اسمه ؟ أما اسمه فعتاب ، وأما سنه فثماني عشرة سنة . ومكة هي مدينة العصبيات الحريصة على المقامات الدقيقة فيما يمس الكرامة

وقد أنفذ النبي قبيل وفاته إلى سوريا جيشا فوضع على رأسه أسامة بن زيد قائداً . وكان أسامة شابا صغير السن لم يزد عن الثانية والعشرين من سني حياته ، وقد أدركت الوفاة الرسول والجيش في ظاهر المدينة . فلما مرت محنة الوفاة واستقرت خواطر المسلمين قليلا أقبل أبو بكر على تنفيذ ما ارتآه الرسول من ارسال هذا الجيش وعلى رأسه هذا الشاب . فجاءه عمر بن الخطاب وطلب منه أن يكون على رأس الجيش رجل آخر أكبر سنا وأعلى مقاما ، فجذب أبو بكر عمر من لحيته وصاح في وجهه : ثكلتك أمك ، أأعزل رجلا نصبه رسول الله لا ضع في مكانه سواه ؟ وخرج الشاب على رأس الجيش ممتطيا صهوة جواده وسار أبو بكر – رضي الله عنه – الى جانبه على أقدامه ، وهو خليفة المسلمين ، وهيبته تعنو لها الوجوه ، وتسكت عمر الذي لم يسكته الا الحق

ولقد كان النبي (ص) يقول : « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » ولم يكن يقصد بالحميراء سوى زوجته وأحب نسائه إلى قلبه (السيدة عائشة) ولم تكن عائشة قد تجاوزت الثامنة عشرة من عمرها حين لحق رسول الله (ص) بالرفيق الاعلى

ويخيل الى الذين لاينعمون النظر ، أن أبا بكر كان هرما تقدم به العمر على الرغم من أن النبي (ص) كان يكبره بسنتين . والنبي كان في الاربعين حينما دعا الناس الى الايمان بالله الاحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد . فكان صاحبه وخليفته من بعده في الثامنة والثلاثين فقط

وبعد . . . ليس في قدرة الكاتب أن يجمع الشبان الذين هدوا الناس وعلموهم وغيروا أساليب معيشتهم وطرائق تفكيرهم . ولو أراد ان ينطلق في التعداد وضرب الامثلة لوجد أمامه مثل كولمبس مكتشف أمريكا الذي أضاف الى الدنيا قارة وهو في مطلع شبابه . وغاندي الذي وقف في وجه الامبراطورية البريطانية في جنوبي افريقا منذ ثلاث وأربعين سنة . وهو بعد في الثانية والعشرين من عمره . ومصطفى كامل الذي أيقظ الفكرة الوطنية في مصر وانفق من روحه ما أفنى حياته وهو في ريعان فتوته . في الثانية والثلاثين

هو الشباب دائما : النار والوقود . الفكرة والالهام . الخيال والاحلام . التشبث بالمثل العليا
هو الشباب دائماً : الاستهانة بالحياة ، والسخاء في البذل ، والهيام بالمصارعة والمجازفة

صاغ للناس تاريخهم ، ورفع لهم شأن حياتهم ، ومنح للوجود معناه ، وجعل العالم قصيدة مفهومة عذبة مستحبة . فان طغت على موسيقاه ألحان هرمة . هرمت الانسانية وشاخت . وان شدا كالبلبل في صباح جميل ، أنصتت آذان القدر ، وجعل الناس يطالعون صفحات لم يقرأوها من قبل

فتحي رضوان
المحامي

الشعار القومي

منذ عهد الفراعنة حتى الآن

الراية فى اللغة العلم وقيل العلامة المنصوبة للرؤية أى لكى يراها الناس كأن أصلها رأية بالهمز فقلبوا الهمزة ألفاً . قال الازهرى والعرب لا تهمزها وأصلها الهمز . وأنكر ابو عبيد والاصمعى الهمز

وليست الرايات حديثة العهد كما يزعم البعض بل كان استعمالها شائعاً عند جميع الامم الغابرة . وفى الواقع ان بين الآثار التى تركتها الامم المتمدنة الغابرة اشياء كانت تلك الأمم تستعملها بمنزلة أشعرة أو رايات قومية . ويؤخذ من النقوش والرموز المصرية القديمة انه كان لعدة فرق من جيوش الفراعنة أعلام ورايات خاصة أو أشعرة ترمز الى فكرة خاصة أو عقيدة قومية . وكان المراد من تلك الاشعرة أو الرايات استفزاز النخوة أو الوطنية أو الشعور الدينى أو ما الى ذلك . ولهذا ترى بين أشعرة القوم أشياء تمثل حيوانات مقدسة أو قوارب أو شارة من شارات الملك أو رمزاً من الرموز القومية الشائعة . وكان ذلك الشعار يرفع على طرف عصا عالية كما يرفع العلم الآن لكى يراه الجميع . وكان من اشهى أمانى كل جندى أن يؤذن له فى حمل ذلك الشعار وأن يكون فى طليعة اخوانه فما بعد ذلك الشرف شرف لمستزيد

وكذلك كانت الحال عند الفرس والاشوريين والبابليين والعبرانيين . وقد عثر المنقبون بين خرائب نينوى على شعارين كان الاشوريون يستعملونهما بمنزلة راية قومية . وأحدهذين الشعارين يمثل رجلا راكباً ثوراً يركض وبيد الراكب قوس ونشاب والشعار الآخر يمثل ثورين متجهين الى جهتين متعاكستين . ويظهر انه كان يراد بكلا الشعارين الرمز الى الحرب والسلم . وكان على مركبة داريوس الاول ملك الفرس شعار يرمز الى الحرب ، وقد استعمله غير واحد من ملوك الفرس الذين جاءوا بعده . وظل كل ملك من ملوك الفرس يضع شعاره على المركبة التى يخرج بها الى الحرب والقتال والى القنص والصيد ايضاً ، ولم يعثر علماء الآثار على أشعرة بحرية مصرية أو غيرها ولكنهم عثروا على قطع من المنسوجات المصرية قد طرزت عليها صور قلوع وربما كانت راية بحرية ولكن ليس ثمة ما يثبت ذلك

وفى نماذج الرايات المصرية والاشورية كانت العصا التى ترفع عليها الراية تزين بنقوش ورموز كثيرة . و يؤخذ من المؤلفات العبرية انه لما كان العبرانيون فى مصر لم يكن يؤذن لهم فى استعمال الشارات والاشعرة المصرية ، ولا كانت لهم شارة قومية ، ولكن لما خرجوا من مصر

اتخذوا لهم راية خاصة . ولما انقسموا اثنى عشر سبطاً صار لكل سبط شعار خاص

وكانت راية الفرس صورة نسر مرفوع على طرف رمح . وكان لهم شعاراً آخر يمثل الشمس مشرقة . ولا يخفى ان الشمس كانت احد آلهة القوم فى ذلك الزمن ، وكانوا يصنعون الراية من قطعة من النسيج يضعونها فوق حربة أوعصا طويلة ويعهدون بها الى أشجع الجنود . وفى التاريخ أن جندياً من أهالى كاريا بآسيا الصغرى قتل قورش ملك الفرس (اخا آرتزركيس) فكوفىء على شجاعته بأن أبيح له أن يحمل الراية ويسير فى طليعة الجيش . وكانت تلك الراية تمثل صورة ديك والديك شعار الكاريين بآسيا الصغرى . وكان هذا الشعار منقوشاً على خوذ جنودهم وقوادهم على نحو ما هو متبع عند هنود اميركا الشمالية إلى هذا اليوم

واذا نظرنا الى تاريخ اليونان نجد ان اليونانيين كانت لهم شارة خاصة منذ أقدم العصور وهى قطعة من درع كانوا يركبونها فى طرف حربة . وبمرور الزمن صار لكل مدينة من مدن اليونان شعار خاص كان يعتبر رمزاً مقدساً . فكان شعار أثينا مثلا غصن زيتون وبومة . وشعار مدينة كورنتوس سمكة ذات أجنحة ، وشعار طيبة صورة ابى الهول ، وشعار أهل مسينا الحرف (M) وهو الحرف الأول من اسمهم ، وشعار أهل لكيديمونيه الحرف (A) وهو أول حروف الهجاء . وكان لبعض مقاطعات اليونان شعار مشترك وهو ثوب أرجوانى اللون مرفوع على طرف حربة . إلا أن هذه الراية ما كانت تستعمل إلا فى ميدان القتال ولا ترفع إلا اذا أريد البدء بالهجوم . أما اهالى مقاطعة داشيا فكانت رايتهم صورة حية ملتوية ، وكانت لهم راية أخرى بمنزلة شعار قومى وهى صورة تنين هائل . والغريب أن التنين كان شعار عدة أمم قديمة كالصينيين والداشيين والبارثيين وغيرهم

والكلام على الاشعرة والرايات الرومانية يتطلب مجالا واسعاً . ولتلك الاشعرة والرايات صلة بتطور الاشعرة الدولية على مر العصور حتى أصبح لها نظام خاص . ويقول المؤرخ ميريك انه كان لكل قبيلة ولكل عصر راية خاصة وحامل راية خاص . ولذلك تنوعت الرايات وكثرت . وكان بعضها يمثل صور أشخاص خرافيين وردت أسماؤهم فى الاساطير الرومانية القديمة أو صور بعض آلهتهم كصورة « المريخ » إله الحرب أو « منرفا » إلهة الحكمة والفنون . وكانوا يتخذون أيضاً صور ملوكهم وكبار قوادهم أشعرة ويصنعون من صورهم رايات حربية . ولم يكتفوا بذلك بل اتخذوا لهم رايات من صور بعض الحيوانات وفى مقدمتها الذئب والدب والحصان وغير هذه . أما صورة النسر فلم تستعمل فى رايات الرومان إلا فى العصور المتأخرة . ويقول بلينوس المؤرخ الرومانى الشهير ان القنصل ماريوس هو الذى أمر فى عهد « قنصليته » الثانية باتخاذ النسر راية لفرق الجيش الرومانية ومنع استعمال غيرها . وكان للجيش قبل ذلك العهد أربع رايات أخرى يستعملها الجيش مع راية النسر . وهى راية الذئب وراية الحصان

وراية الدب وراية المينوتور (والمينوتور شخص خرافى له رأس ثور وجسم انسان) وكانت الفرق الرومانية تحمل جميع هـــذه الرايات معاً إلى ان جاء القنصل ماريوس المذكور فأمر بالاقتصار على راية النسر فقط . ومنذ ذلك الحين صارت كل فرقة من فرق الجيش الرومانى المشاة تستعمل راية عليها صورة نسرين . أما فرق الفرسان فكانت لهم راية خاصة هى قطعة مربعة من النسيج مشقوقة عدة شقوق تتموج فى الهواء وشبيهة بالرايات التى شاعت فى أوربا فى زمن الاقطاع يوم كان لكل مولى من الموالى الاقطاعيين راية تسمى «جونفانون» (Gonfanon) وترى صورة الراية المذكورة على قطع النقود الرومانية القديمـــة وعلى أعمدة تراجانوس وأنطونيوس وعلى قنطرة تيطس

فى العصور المتوسطة

واذا انتقلنا إلى العصور المتوسطة وجدنا ان الرايات كانت فى أوائل تلك العصور ذات صبغة دينية . وقد ذكر « بيد » الراهب المؤرخ الانجليزى الذى عاش من سنة ٦٧٥ إلى سنة ٧٣٥ ، أن راهباً انجليزياً يدعى أوغسطينوس قابل اتلبرت أحد ملوك أوربا الوثنيين فرآه محاطا بجيوش تحمل رايات عليها سمة الصليب مطرزة بالفضة . وكانت الراية الوطنية الانجليزية ولا تزال صليباً هو رمز إلى صليب مارى جرجس مما يدل على أن الرايات فى ذلك العهد كانت مصبوغة بالصبغة الدينية . وفى الواقع أن فى وسع المؤرخ أن يتبع الكثير من الرايات الحالية إلى أصل دينى . فشعار « اللهيب الذهبى » (oriflamme) الذى كان ملوك فرنسا فى العصور المتوسطة يستعملونه فى الحرب كان فى الاصل راية دينية . وراية « دانبروج » الدنمركية هى الراية التى اتخذها « ويلدمار » ملك الدنمرك فى احدى المعارك التى قاد فيها جنوده بنفسه فى سنة ١٢١٩ ، وكان قد صلى إلى الله قبل بدء المعركة لينيله النصر فخيل اليه انه يرى صليباً فى السماء . ولما انتصر أمر بان تكون راية « دانبروج » هى راية الدنمرك . ومعنى كلمة « دانبروج » القوة الالهية . وفى هذا دليل على صبغة تلك الراية الدينية

وكان لملوك فرنسا القدماء رايات أخرى عليها قبعة القديس مارتن الزرقاء . وكانت قبعة القديس المذكور الاصلية فى حراسة رهبان دير مارموتيه بفرنسا . وكان أمراء انجو يأخذونها معهم كلما خرجوا للحرب ويرفعونها راية فوق مضاربهم . وممن حمل هذه الراية كلوفيس الأول ملك فرنسا الذى حارب آلاريك ملك القوط فى سنة ٥٠٧ وانتصر عليه . واتفق ان رسوله دخل ذات يوم كنيسة سان مارتن بمدينة طورس بفرنسا فوجد فرقة المرتلين ترتل أحد المزامير وفيه وعد من الله بالنصر . فاستبشر الملك كلوفيس بذلك وانتصر على آلاريك واتخذ قبعة القديس مارتن راية . واستعمل الملك شارلمان أيضاً هذه الراية فى معركة ناربون ، ثم حلت

محلها «راية اللهيب الذهبي» التي سبقت الاشارة اليها والتي كانت في الاصل راية دير سانت دنيس. ومن المحتمل أن هذه الراية أصبحت راية فرنسا المقدسة بعد أن نقل ملوك فرنسا عاصمتهم إلى باريس حيث كان لسان دنيس مقام خاص، وقد علقت هذه الراية على ضريح القديس المذكور في دير سان دنيس. وفي سنة ١١٢٤ أخذ الملك لويس السادس هذه الراية وسار بها الى الحرب. ويقال انه أول ملك من ملوك فرنسا حمل الراية المذكورة إلى الحرب، وكان آخر ظهورها في معركة انجو سنة ١٤١٥. ويؤخذ من أقوال بعض مؤرخي ذلك العصر وكتابه أن هذه الراية (أي راية اللهيب الذهبي) كانت قرمزية اللون. إلا ان أحد كتاب ذلك العصر الانجليز يقول: «انها كانت مربعة حمراء اللون». وفي سجلات فلاندر انها كانت ثلاث شقق وفي طرفها (شرابة) من حرير أخضر

وكان لوليم الفاتح ملك انجلترا راية خاصة أرسلها اليه البابا على سبيل الهدية. وقد حارب ملوك انجلترا القدماء تحت رايات الملك ادورد الملقب بالمعرف. والملك ادموند الاول. ولاتزال الراية الانجليزية اليوم مؤلفة من ثلاثة صلبان هي صليب القديس جورج وصليب القديس اندرو (اندراوس) وصليب القديس باتريك. وهذه الصلبان الثلاثة تمثل انجلترا وسكوتلندا وارلندا. وفي سجف بايو المشهورة (The Bayeux Tapestry) التي تمثل الفتح النورماندي لانجلترا عدة تصاوير مطرزة تمثل الرايات المختلفة التي كان فرسان الملك وليم يحملونها على اطراف رماحهم. وهذه الرايات صغيرة الحجم مشرمة في الغالب الى ثلاث شقق وعليها صور صلبان وتروس وأسنة. وبينها أيضاً راية سكسونية مثلثة ومشرمة. وأخرى هي صورة عقاب يظن انه كان شعار ملوك السكندناف المعروفين بالفيكنج. وهنالك رايات أخرى لا يتسع المجال لوصفها

وفي معركة ستاندارد التي وقعت سنة ١١٣٨ كانت راية الانجليز صارية قد ركب في أعلاها حق صغير يمثل الحق الذى تحفظ فيه ابرة الملاح. وفي الواقع ان تلك الراية هي ثلاث رايات أو شقق خاصة بثلاثة قديسين هم القديس بطرس والقديس يوحنا والقديس ويلفريد. وكان الصليبيون في الحرب الصليبية الاولى يحملون راية مثلثة الشقق. وفي سنة ١٢٤٤ أمر الملك هنري الثالث بأن يتخذ التنين شعاراً للدولة ويطرز بالحرير الاحمر والذهب، على أن يكون لسان التنين متدلياً الى الخارج واللهيب ينبعث منه. أما عينا التنين فكانتا من الياقوت الازرق أو من حجارة كريمة أخرى.

أما شكل الراية فقد كان في اوائل عهد الفتوة (الفروسية أو الشيفالري) مربعاً في الغالب، ولكنه أصبح مستطيلا بمرور الزمن كما هو شكل الرايات غالباً في هذا العصر. وكان لكل فرقة من الجيوش في ذلك العصر راية هي شعار قائد الفرقة وسمة أسرته

رايات هذا العصر

وفى هذا العصر تختلف اكثر الرايات عما كانت عليه من قبل . أما الراية الانجليزية الحاضرة فعلاقتها وثيقة بالماضى ، شأن الانجليز فى كل شىء فانهم شديدو المحافظة على التقاليد . وهذه الراية تمثل شعار انجلترا وسكوتلندا وارلندا معاً . وكانت فى عهد ريتشارد الاول (ريكاردوس قلب الأسد) تشتمل على شعار انجلترا فقط . وقد ظلت كذلك الى عهد ادوارد الثالث الذى امر بان يضم اليها شعار فرنسا أيضا . على أن الراية تطورت اذ طرأت عليها تغييرات كثيرة فى عهد هنرى الخامس وجيمس الأول ووليم الثالث والملكة حنه وجورج الاول والملكة فكتوريا . ولم تتخذ الراية الانجليزية شكلها الحاضر الا فى عهد الملك ادوارد السابع . وقد كان قواد الاساطيل الانجليزية من عهد اسرة ستيوارت يؤذن لهم فى رفع الراية الملكية على أساطيلهم . ولم يبطل العمل بهذه العادة الا فى عهد « الكمنولث » . أما اليوم فان قائد الاسطول الاكبر له حق رفع الراية الملكية على بارجته

قلنا ان الراية الانجليزية تجمع ثلاثة صلبان هى شعار انجلترا وشعار سكوتلندا وشعار ارلندا . اما الانجليزى فهو صليب القديس جرجس حامى انجلترا . والسكوتلندى هو صليب القديس أندراوس حامى سكوتلندا . والارلندى هو صليب القديس باتريك حامى ارلندا . والانجليز يسمون هذه الراية Union Jack وهى أهم راياتهم الوطنية يرفعها مندوبو الامبراطورية فى جميع انحاء العالم وترفعها جميع البوارج الحربية والسفن التجارية والحصون العسكرية ودور الحكومة . وترفعها كذلك جميع المستعمرات مع تغيير طفيف يرمز الى تلك المستعمرات

أما الراية الامريكية فقد تطورت كغيرها من رايات الدول إلى ان وصلت إلى حالتها الحاضرة ، ففى أوائل عهد الاستعمار البريطانى كانت الراية البريطانية هى راية المستعمرات ، ولكن الاميركيين أخذوا بمرور الزمن يجنحون إلى شكل جديد . وكانت أول ولاية خرجت على الراية البريطانية ولاية « نيو انجلند » اى انجلترا الجديدة . ولم يكن خروجها هذا ناشئاً عن اعتبارات سياسية بل عن أسباب دينية . ذلك ان سكان نيو انجلند كانوا من « البوريتان » الخارجين على الشعائر الدينية الموضوعة ، فكانوا يرون فى استعمال صلبان مارى جرجس ومارى اندراوس ومارى باتريك (المؤلفة منها الراية الانجليزية) خروجاً على مبادىء الدين الاولية . ولذلك رفضوا استعمال الراية البريطانية . ولم تجىء سنة ١٧٠٠ حتى كانت أكثر الولايات قد اتخذت لجنودها البريين والبحريين شارات خاصة تميزهم غير الشارات الانجليزية . وفى اوائل عهد الثورة على انجلترا اتخذت كل ولاية راية خاصة . فكانت راية ولاية ماساتشوتس تمثل شجرة صنوبر ، وراية ولاية كارولينا الجنوبية تمثل افعى من ذوات الاجراس ، وولاية نيويورك

تمثل دب البحر ، وولاية « رود ايلند » تمثل صورة مرساة زرقاء اللون وقس على ذلك رايات سائر الولايات . وقد بقيت بضع من تلك الرايات الى مابعد حرب الاستقلال مع ان الاميركين اتخذوا بعد تلك الحرب راية هي راية النجوم المعروفة . وفى سنة ١٧٧٥ أنشئت لجنة للبحث فى مسألة الراية . فبعد بحث طويل قررت هذه اللجنة - وكانت تنوب عن ثلاث عشرة ولاية فقط - أن تستبقى الصلبان الثلاثة التى تتألف منها الراية الانجليزية على أن يضاف اليها ثلاثة عشر خطاً افقياً لتمثيل الولايات الثلاث عشرة التى كانت اللجنة تنوب عنها. ودعيت هذه الراية راية كمبردج أو الاتحاد الاكبر لأن واشنطون استعملها لأول مرة عندما تقلد قيادة الجيش فى كمبردج (باميركا) . وفى ٣ ديسمبر سنة ١٧٧٥ رفعت هذه الراية على البارجة « الفريد » الاميركية . ولما نودى بالاستقلال فى فيلادلفيا وأمضى سنة ١٧٧٦ قرر الاميركيون نبذ الراية المثلثة الصلبان (أى الراية الانجليزية) . وفى السنة التالية قرر مجلس الكونجريس أن تكون الراية الاميركية ثلاثة عشر خطاً افقياً يتناوب فيها اللون الاحمر والابيض ومعها ثلاثة عشر نجما . وقد رفعت هذه الراية أول مرة سنة ١٧٧٧ على البارجة الاميركية المسماة « رانجر » . وفى سنة ١٧٩٠ زيد عدد كل من النجوم والخطوط الى خمسة عشر لأن عدد الولايات التى دخلت ضمن الاستقلال زاد . واستمر ذلك العدد يزيد . وفى سنة ١٩١٢ انضمت آريزونا الى الاتحاد الاميركى فاصبح عدد الولايات ثمانياً وأربعين ، وأصبحت الراية الاميركية تحتوى على ثمانية وأربعين نجماً موضوعة فى ستة خطوط عريضة تمثل عدد الولايات الاصلية التى كان يتألف منها الاتحاد الاميركى

أما علم رئيس الولايات المتحدة الخاص فهو صورة نسر على صفحة زرقاء وعلى صدر النسر خطوط ونجوم تمثل الراية الوطنية

ولعله ليس بين رايات الدول راية طرأت عليها التطورات التى طرأت على الرايات الفرنسية. وفى الواقع أن الكلام عليها يستغرق عدة صفحات . وقد اتينا فيما تقدم على ذكر راية اللهيب الذهبي وراية قبعة القديس مارتن . ولما ولى هنرى الثالث (آخر ملوك اسرة دى فالوا) العرش نبذ تينك الرايتين واتخذ الراية المعروفة « بزهرة الزنبق » . وفى أيام الثورة الفرنسية حلت الراية المثلثة الالوان محل « زهرة الزنبق » ، ولا يعرف بالتمام سبب اختيار الالوان الثلاثة المشار اليها . ويزعم البعض ان الغرض منها كان الجمع بين اللون الاحمر الذى كان فى راية اللهيب الذهبي والازرق الذى كان فى راية قبعة القديس مارتن ، والابيض الذى كان شعار ملوك « بوربون» ، وأنكر غيرهم هذا التعليل . وعلى كل فان الراية المثلثة الالوان هى الآن راية فرنسا الوطنية

والمجال لايتسع للكلام على رايات جميع الدول فى الوقت الحاضر وتطورها الى ان وصلت الى ماهى عليه الآن . وانما نقول ان الراية قد كانت منذ أقدم الازمنة حتى الآن رمز العزة القومية وشارة مجد الوطن عند جميع الامم

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربيـة

الادب المكشوف

[خلاصـة مقالة عن مجلة
اسكواير . بقلم ادوين بامر]

كتب محرر احدى المجلات يقول إن رؤساء التحرير اليوم فى حيرة عظيمة بسبب شيوع الادب المكشوف ، لايعلمون الى أى حد يستطيعون التمادى فى استعمال الكلمات والتعابير التى كان الذوق والحياء ينبوان عنها حتى الآن . وفى الواقع أن المحرر الذى يتلقى المئات من القصص والمقالات يشعر وهو يقرأها بأنه متأخر عن جيله كثيراً وأن رأيه فى الادب والحياء قد أصبح عتيقاً بالياً . وفى الواقع أن ميل الكتاب فى هذا العصر متجه نحو ذلك النوع من الكتابة التى لم يكن أحد يجرؤ على ممارستها أو المجاهرة بها حتى الآن

ويصعب على الذين لايزاولون مهنة الكتابة أن يدركوا مدى الانقلاب الذى طرأ على فن الانشاء بهذا الاعتبار . وقد بعث أحد كبار الكتاب العصريين الى صديق له بكتاب قال له فيه : « ننا لانميل كثيراً الى تشجيع الكتاب الذين يخرجون على قواعد الادب ويستعملون الالفاظ والعبارات الدالة على كثير من التسامح، وليس ذلك فقط بل إن الامر كثيراً مايخرج من حيز الالفاظ والعبارات الى حيز الموضوعات . فان الكتاب والمؤلفين يخوضون اليوم موضوعات تقتضى استعمال مفردات ومركبات كان القراء يخجلون قديماً من مطالعتها أو من وقوع أبصارهم عليها »

أما أنصار الطراز الحديث فلا يعتقدون أن هنالك موضوعاً لا يجوز للكاتب أن يخوضه ، أو أسلوباً لايسوغ له استعماله . وليت شعرى : أية فكرة لايجرؤ المرء على نشرها والكتابة عنها — لا بصورة كتاب مستقل بذاته فقط ، بل فى المجلات التى تقع بايدى عشرات الالوف . وقد روى محرر احدى المجلات التى تعنى بنشر الروايات أن احدى الكاتبات زارته ذات يوم وعرضت عليه رواية لنشرها فى مجلته . فلما اطلع عليها أدهشه صراحتها واسلوبها الجرىء ، فلم يكن موقف من المواقف فيها إلا وهو مكتوب باسلوب لم يكن كاتب من الطراز المحافظ ليجرؤ على التفكير فيه أو التفوه به . وقد كتب ذلك المحرر يقول : « ما كان يخطر لى ببال أن كاتبة بلغت تلك المنزلة من حسن

البيان تجرؤ على البروز أمام الجمهور بمثل ذلك الاسلوب » . وقد سئلت عن ذلك فاجابت : « لقد طلبوا مني أن أكتبها بهذا الاسلوب لانه يلائم ذوق القراء ، وأنا اعتقد أن هذه الرواية سيروج رواجاً عظيما متى طبعت »

وقد أصبحت مسألة جواز الشيء وعدم جوازه مسألة ثانوية ترجع الى الذوق . ولكن الامر المدهش هو أن جمهور الكتاب في هذا العصر يرون من الحكمة أن يمزجوا اسلوبهم بشيء مما يدل على الاجتراء على الحياء . ومنهم من استنفد كل التراكيب والعبارات الخاصة بهذا الاسلوب ، فتراه دائما يبحث عن مشاهد جديدة فيها خروج على الادب . وما من كلمة — مهما تكن دلالتها وضيعة — إلا ويبيح زعيم الادب المكشوف لنفسه استعمالها

وقد وقع لكاتب هذه السطور أن جاءه ذات يوم رجل برواية وعرض عليه نشرها في المجلة التي كان يتولى انشاءها . فلما اطلع عليها المحرر لم يسعه إلا ترميج بعض عباراتها لخروجها عن المألوف ونبوتها على الادب . وبعد مدة أعاد المؤلف طبع روايته على حدة وأثبت فيها العبارات المرمجة (المشطوبة) وأعلنت بعض الصحف والمجلات الكبرى ظهورها وقرظتها تقريظاً بليغاً واقتبس بعضها بعض تلك العبارات المرمجة مع ما فيها من الخروج على الحياء فكانت هذه العبارات خير اعلان لتلك الرواية وأحسن باعث على رواجها

فالقرائن كلها تدل على تحول في ذوق كتاب هذا العصر وعلى ميلهم الى نوع جديد من الادب فيه جرأة عظيمة . وليس هذا بمستغرب بعد ذيوع مذهب العري في كثير من انحاء العالم . وفي الواقع انك تجد على صفحات الروايات وفي مضارب أتباع مذهب العري اشخاصاً لاحق لهم في استبقاف انظار الناس واستجلابها اليهم سوى تجردهم من كل شيء ! . . . ولا سيما الحياء !

وهذه طريقة رخيصة لاثارة الشهوات الغريزية في نفس الانسان . والذين جروا عليها لم يستنبطوها بل اقتبسوها عن غيرهم ممن تقدموهم في الحقب الغابرة . وأسهل على الانسان أن يقتبس ويكون جريئاً على الفضيلة والحياء من أن يكون مستنبطاً . ولكم يتفنن ناشرو الكتب في طرق الاعلان عن المؤلفات التي من هذا القبيل . واليك اعلاناً نشره بعضهم لترغيب القراء في كتاب من كتب الادب المكشوف : « ان بعض باعة الكتب يحجمون عن بيع هذا الكتاب ولا يجرءون على نصح الغير بقراءته . فلا تنسوا أن تسألوا عنه . وقد ظهر حديثاً وهو جديد في اسلوبه وجرأته وسيحدث تأثيراً عظيما وهزة في المجتمعات . فاطلبوه واقرأوه »

وفي الواقع أن مؤلف هذا الكتاب اراد نشره في أول الامر تباعاً في بعض المجلات . ولكن لم تجرؤ أية مجلة على نشره ، ذلك لان منشئ المجلات لا يعتقدون أن مبادىء الادب والحشمة والحياء تبيح لهم جعل مجلاتهم ميداناً يتبارى فيه أنصار مذهب العري في الكتابة وفي المعيشة الحقيقية

كيف نمنع الحرب ؟

[خلاصة مقالة عن النيويورك تيمس .
بقلم أندريه موروا الكاتب الفرنسي]

يجدر بالذين يهمهم منع الحروب أن يعرفوا خير الطرق لمكافحتها . ومما يدعو إلى الاسف أن ما يحتاج اليه العالم لتحقيق هذه الامنية ليس هو الرغبة الصادقة فى منعها بل الوسائل المؤدية الى ذلك . ولو أن كل انسان فى العالم ربى على كره الحرب لامتنعت الحرب ولبارت تجارة صناع الاسلحة والذخائر . وقد نشرت جريدة التيمس الانجليزية أخيراً مقالة لاحد الكتاب افترض فيها رجلا انشأ تجارة جديدة وهي بيع لحم الانسان المقدد فى علب . فقال إن تاجراً كهذا لا يرجو رواج تجارته مهما بالغ فى الاعلان عنها وفى ترغيب الناس فيها بمختلف الوسائل . ذلك لان الناس يكرهون مثل هذه السلعة كرها غريزياً . فاذا أمكننا أن نجعل الناس يكرهون الحرب كرهاً غريزياً منعنا الحرب منعاً باتاً

كان الناس يقولون قديماً ان الحرب هي مهنة الملوك والامراء وإن الشعوب لا تنشد الا السلام وإن حكامها هم الذين يسوقونها الى الحرب سوق الاغنام ويرغمونها على سفك الدماء . وهذه الفكرة خاطئة من أساسها ، فان الجمهوريات ليست أقل تشوقاً الى الحرب من البلاد التى يحكمها ملوك أو امراء ، بل بالعكس ترى البلاد التى يحكمها ملوك أقل رغبة فى الحرب من غيرها ، لان الملوك يحرصون على عروشهم وتيجانهم وأملاكهم الخاصة حرصاً عظيماً ، واليهم يرجع الفضل فى منع حروب كثيرة وفى تحقيق السلم . وكثيراً ما استخدموا نفوذهم لعقد الصلح بين الشعوب . أما الجمهوريات فقد تنتصر فى الحرب لان الشعب يؤيدها . ولكنها تتشدد فى عقد الصلح لانها مضطرة الى مراعاة أهواء الجماهير

والذين يزعمون أن فى الامكان منع الحروب بمعاقبة أصحاب الذخائر والاسلحة يخطئون بقدر خطأ الذين يزعمون أن فى الامكان منع الحروب بتعميم نظام الحكم الجمهورى فى العالم . فقد كانت معظم الحروب الحديثة وليدة الشهوات والنزوات القومية . وقد قال آلان الفيلسوف الفرنسى : « فى الامكان التوفيق بين المصالح ولكن النزوات القومية لا يمكن أن تتفق » ومعنى ذلك ان اخماد الحروب أنما يتم باخماد نزوات النفس فى داخلنا

منذ ثلاثين سنة كان الناس يعتقدون أن نزوات النفس وميولها الى الحرب قد أخذت تخمد بدليل تناقص عدد مصارعات الثيران وصيد الوحوش ومصارعات الآدميين وغير هذه من الامور التى هي من أعراض الحروب . وفى الواقع أن دول الحلفاء التى خاضت الحرب العظمى الماضية —

كفرنسا وانجلترا والولايات المتحدة — لم يكن لها فى سنة ١٩١٤ أية رغبة فى الحرب لان غرائزها الوحشية كانت تتراجع أمام سلطان العوامل الاجتماعية ، الا أن الحرب أيقظت تلك الغرائز وأضرمت نيران الاحقاد حتى صار الناس يسرون برؤية آلام غيرهم . ومع أن البشر كانوا قبل ذلك العهد يسخطون على من يعتدى على الأبرياء من الاطفال والنساء والشيوخ صار نوتية الغواصات يطلقون مقذوفاتهم الجهنمية على السفن الآمنة فى البحار ثم يقفون ضاحكين مقهقهين وهم يبصرون الاطفال والاولاد والنساء والأبرياء يكافحون الامواج ويغرقون

ولقد مر على الانسان عصر كان يعتبر فيه الحرب ضرباً من ضروب اللهو ومن مستلزمات المجد والعظمة . وسبب هذه الفكرة أن الانسان ميال بفطرته الى الاعجاب بالابطال العظماء. ولو كان فى امكاننا أن نقنع البشر بأن البطولة ليست فى سفك دماء الغير ، بل فى التضحية بالنفس وخدمة الغير لامكننا أن نبعد شبح الحرب

ومما يدعو الى الاسف أن الازمات المالية كثيراً ما تساعد فى إيقاظ الغرائز الوحشية وتحرض الناس على الحرب والانتقام . ولا ريب فى أن الذين يعيشون فى هناءة ورخاء ويتمتعون بأسباب المسرات « البريئة » ويمارسون الالعاب الرياضية المختلفة لا يمكن أن تخطر الحرب ببالهم . ولا هم يفكرون فيها إلا اذا ذهب رخاؤهم وزالت أسباب مسراتهم . ولا بد لنا من القول هنا إن دور السينما والحفلات الرياضية والاجتماعات الادبية وما اليها لها أثر كبير فى ابعاد شبح الحرب عن أذهان الجماهير

ولا ريب أن فى كل أمة أفراداً يميلون إلى المغامرات والمجازفات ولا تلذ لهم العيشة الهادئة . فامثال هؤلاء تسهل مراقبتهم وتقييدهم اذا كان عددهم قليلا . وقد عالج التاريخ مشكلتهم فى الازمنة المختلفة بما كانت الاحوال تقتضيه . ففى القرن الثالث عشر أرسلوا ليخوضوا غمرات الحروب الصليبية . وفى القرن السادس عشر نظموا فى سلك « فرسان مالطة » . وفى القرن التاسع عشر أرسلوا لاستكشاف مجاهل افريقا والغرب الاقصى . أما القرن العشرون فقد رأى أن يلهيهم بحضارة جديدة هي حضارة الطيران والراديو وغيرهما من الاختراعات

والخلاصة أن الحرب ليست وليدة مطامع الافراد فقط ، بل هى وليدة الغرائز الوحشية الكامنة فى الانسان والتى تهب من مكمنها كلما وقع حادث يزعج هدوء النظام الاجتماعى ويعرضه للاخطار . ولهذا يجدر بقادة الرأى العام أن يراقبوا ذلك النظام ويحرصوا عليه من كل خطر يتهدده . على أن هذا الاحتياط لايجدى نفعاً الا اذا عم جميع الشعوب . اذ من الخرق فى الرأى أن تحرص أمة من الامم على السلام حالة أن غيرها تستعد لمهاجمتها . وفى الواقع أن الجندى الذى يمتنع عن الحرب حالة أن غيره يستعد للحرب انما يشجع عدوه بسكوته واستكانته ويحرضه على مهاجمته . لذلك يجب أن يكون شعار كل أمة : « إننا لن نحارب فى سبيل غايات نفسانية ولكننا لن نحجم عن الدفاع عن أنفسنا » ومن حسن الحظ أن هذا هو شعار الاسطول الانجليزى والجيش الفرنسى فى زمن

السلم فهما بما هما عليه من قوة ومنعة خير ضمان للسلم . وما من أحد تحدثه نفسه فى مهاجمتهم . كما أن غرائز الشعبين الفرنسى والانجليزى هى فى مصلحة السلام ولا يخشى انطلاقها من عقالها لايقاد جذوة الحرب . واذا انضمت إيطاليا الى فرنسا وانجلترا كما هو المرجو فان شبح الحرب يبعد عن أوربا كثيراً جداً

فالعلاج الوحيد لداء الحرب هو تحسين النظام الاجتماعى وتوفير أسباب الرخاء والمسرات فيه . وحيثما تنتشر السعادة وتعم الهناءة لا يمكن أن تستفز غريزة الانسان الوحشية وميوله الحربية . ولا شك أن توفير أسباب الراحة والرخاء للجماهير . والاكثار من وسائل اللهو البرىء فى مقدمة العوامل المؤيدة لصرح السلام العام والقاضية على الروح الحربية الهدامة

النسيان بركة

[خلاصة فصل بقلم أودبل شيرد من كتاب بعنوان « مسرات النسيان »]

ان ناموس التعادل الطبيعى يبدو على أجلاه فى مسألتى التذكر والنسيان . فاذا كان الانسان لايتذكر أحيانا جميع ما وقع له من الحوادث السارة فانه ينسى كذلك كثيراً من الحوادث المحزنة . والذين نكبوا بذاكرة ضعيفة قد عوضهم الله بحوادث سارة تتجدد كل يوم بحيث اذا نسوا حادثة بدت لهم حوادث أخرى تزيد فى بهجة الحياة

ويجب ألا ننسى أن النسيان — كالتذكر — هو احدى وظائف الدماغ ، وأن المرء لايستطيع أن يتذكر شيئاً الا اذا نسى أشياء ، إذ لابد له من اخلاء دماغه من بعض المشاهد والذكريات لتحل محلها مشاهد وذكريات أخرى . وفى الواقع أن ذاكرة الانسان هي الآلة التى ينسى بها . وعلم البسيكولوجيا يؤكد لنا أننا نفكر بواسطة التذكر بقدر ما نفكر بواسطة النسيان . ولا يخفى أن عظماء الكتاب يتذكرون كثيراً وينسون كثيراً . وكبار الشعراء والموسيقيين يستمدون من منسياتهم بقدر ما يستمدون من الاشياء التى يتذكرونها

ويمكننا أن نشبه دماغ الانسان بشجرة عليها أوراق هى صور المشاهد والمحسوسات والذكريات ، فعند ما تتقادم تلك « الاوراق » تذبل وتسقط وتنسى قبل أن تحل محلها « أوراق » جديدة خضراء

وفى الانسان ميل غريزى الى تفضيل الذين ينسون الاشياء بسهولة . ذلك لانه أفضل للانسان أن ينسى الخير والشر معاً من أن يتذكر ذكريات تفسدها ذكريات السوء

ثم إن المتصف بطبيعة النسيان يدهش نفسه والآخرين معه . ويقول علماء النفس إن الحقائق التى فى ذهنه هى أقل من الحقائق التى يتذكرها الانسان المتصف بقوة الذاكرة ، ولكن عدم تزاحم

الافكار فى دماغه يتيح له أن يكون ملماً كل الالمام بتلك الافكار أو الحقائق، يعرف من أمرها ما لايعرفه الكثيرون . وانك لتدهش إذ تراه يعرض تلك الافكار الواحد بعد الآخر ويسهب فى الكلام عليها . وأمثال هذا الرجل لهم معين لا ينضب من الافكار . ولذلك يعتبرهم أصحابهم خير الناس حديثاً وأملحهم فكاهة وأخلصهم وداً . وقد لايضيرهم أن ينسوا أحياناً ولكن هذا النسيان اذا شمل الذكريات المؤلمة والمحزنة كان بركة . وليس ذلك فقط بل إن تكرار الذكريات ــ وان كانت طيبة ــ مما يؤدى الى الملل ، وقد قال بعضهم : « لو أن الذكريات ظلت خالدة فى ذهن الانسان لاصبحت السماء نفسها مملة مضجرة »

ان فى الحياة أموراً كثيرة يود الانسان لو ينساها ، بل هو لحسن الحظ ينساها من وقت الى آخر كالآلام والاحزان والاوجاع. وهنالك مساوىء يكرهها ولايستطيع اصلاحها، فتعزيته الوحيدة هى فى الفرار منها وفى نسيانها . وقد يحسب البعض هذا الفرار ضعفاً أو جبناً . ولكن قوة الرجل قد تبدو فى السكون والهدوء بقدر ماتبدو فى الحركة والنشاط . والذى ينزع عنه درعه وسلاحه من وقت الى آخر ليس أقل بسالة واقداماً ممن ينام بدروعه وأسلحته

إن فى النسيان لذة لاتقل عن لذة التذكر . وبينما كان كاتب هذه السطور يدون مايعن له من الافكار أطل من نافذته الى الخارج فتذكر أياماً قضاها فى مكان معين محاطاً بالحقول والجداول والمناظر البهيجة . وكانت الذكريات جلية بحيث تبدو كانها حقيقية لاخيالية . إلا أنه نسى بعض تفصيلات ذلك المشهد فكانت قوة الذاكرة وقوة النسيان تتزاحمان فى دماغه وتؤثران فيه معا وتعملان بكل وفاق ووئام

ومثل هذه الذكريات من خير الذكريات لأنها تحجب عن الذاكرة كل ماهو مؤلم وتكشف عما هو مفرح . وما أعظم اللذة التى يجدها الانسان فى الرجوع الى بعض الحوادث الماضية التى كانت مصدر شرف وفخر . إن مثل هذا الرجوع الى الماضى هو السعادة بعينها

وليفكر قليلا من يشكو ضعف الذاكرة وليفترض أنه كان قوى الذاكرة . مثل هذا الرجل تبدو له عند كل خطوة من خطواته مشاهد ووجوه ترجع به الى الماضى وتثير فى دماغه ذكريات لاشك انها ليست جميعها مفرحة سارة . فرجوع أمثال هذه الذكريات اليه ليس من الامور المستحبة لانه يعكر صفاء الذكريات العذبة . واذا تذكر حادثاً واحداً طيباً تذكر معه مئات من الحوادث المحزنة . ومما يدعو الى الاسف أن حوادث الحياة المحزنة أكثر من حوادثها المفرحة . فنسيان كلا النوعين من تلك الحوادث أعود بالربح على الانسان من تذكر كليهما مادام السيء منهما يزيد على الحسن . ولو كان الانسان قوى الذاكرة لوجد صعوبة عظيمة فى استدعاء ذكريات يكون المفرح منها أكثر من المحزن . فالنسيان إذن بركة للانسان بل هو الطبيب الاكبر والدواء الانجع لجروح القلوب . ولو أنصف الانسان لبنى للنسيان تمثالا لاينساه !

من هم الجديرون بالسجن ؟

[خلاصة مقالة عن مجلة هاربر.
بقلمي فيشمان ، وبرلمان]

يعجز الكثيرون من الناس عن التمييز بين الرذيلة والجريمة . وهذا العجز هو سبب زج الالوف من الناس فى السجن كل عام ، مع أنهم غير جديرين بذلك لان السجون لاتصلحهم ولا تردعهم ولا تحمى الاجتماع من أذاهم

خذ مدمنى المسكرات مثلا فان مئات الالوف منهم يزجون فى السجون كل عام ليقضوا فيها من خمسة أيام الى ستين يوماً . فهم يقضون هذه المدة على « حساب الامة » وعند انقضائها يخرجون من السجن ليعودوا الى ادمان المسكرات . وأغلب هؤلاء قذرون لايكترثون للسجن وليس لهم من قوة الارادة مايردعهم عن ادمان المسكرات . واذا استثنينا بعض الحوادث النادرة جاز لنا أن نقول إن منع السكير من ادمان المسكرات من الامور المتعذرة . ومع ذلك فان القضاة ورجال البوليس لاينفتأون يرسلون الى السجون — مثنى وثلاث ورباع — الوفاً من السكيرين وهم يعلمون تمام العلم أن كل واحد منهم سيعود الى ادمان المسكرات بعد خروجه من السجن

والغريب أن معظم هؤلاء لايؤذون أحداً ولا يسيئون إلا الى أنفسهم . وهم فى الحقيقة مرضى لامجرمون . فليس ثمة سبب يسوغ إرسالهم الى السجن . وكان الواجب على رجال الشرطة عند مايرون رجلا فى حالة السكر أن يرسلوه الى بيته أو الى المستشفى حيث يعتنى به ويطلق سراحه عند مايعود الى صحوه . فاذا عاد الى السكر كان ذلك من دواعي الاسف . ولكن عودته الى المسكرات هى نفس مايفعله عند خروجه من السجن أيضا . فأية فائدة يجنيها الاجتماع من زجه فى السجن والانفاق عليه ؟

ومثل ذلك المتشردون الذين لايؤذون أحداً ، ومع ذلك فان رجال الشرطة يقبضون عليهم ويرسلونهم الى السجن حيث يقضى كل واحد منهم بضعة أيام ثم يخرج ليعود الى تشرده . وما هى إلا بضعة أيام أخرى حتى يقبض البوليس عليه ويزجه فى السجن مرة ثانية . وهكذا يقضى العمر دواليك بين السجن والحرية . ولا شك أن التشرد مرض وليس السجن دواء له . ولكن اذا كان المتشرد من النوع الذى يخشى منه على الاجتماع فليرسل الى أى ملجأ أو « اصلاحية » لتقويم مابه من عوج . أما السجن فليس المكان الجدير به لان التشرد مشكلة اجتماعية لا اجرامية

وكذلك الدعارة فان معالجتها بالسجن خرق فى الرأى . وفى تقرير لمديرة سجن النساء بولاية

نيويورك : « أن معاقبة المومسات بالسجن لاتردعهن عن الدعارة ولا تغير وجهة نظرهن اليها . فهن يعتبرن السجن فترة استراحة يعدن بعدها الى مزاولة مهنتهن »

وفى الواقع أن المومس تنظر الى الدعارة كما ينظر الرجل الى مهنته الاعتيادية . واذا كان الغرض الذى ينطوى عليه السجن مكافحة الامراض التى تنشأ عن الدعارة فان السجن ليس علاجاً لتلك الامراض . وليس لرجال الشرطة الحق فى سجن المومس أكثر مما لهم الحق فى سجن أى رجل بحجة أنه مصاب بالمرض . أضف الى ذلك أن المرأة تسجن وشريكها فى «الجناية» يظل مطلق السراح ينشر جراثيم المرض بين الآخرين

وهنالك فريق آخر يزجون فى السجون بطلب الأب أو الأم أو الزوجة بحجة عدم تقديم وسائل المعيشة . وغريب من رجال القانون أن يحكموا بسجن أمثال هؤلاء . والسجن ليس المكان الذى يستطيع السجين أن يكتسب فيه رزقه أو رزق من يقوم بتقديم أود المعيشة له

وانظر الى جيش مدمنى المخدرات ، والسجون غاصة بهم فى كل مكان ولم يثبت الاختبار أن أى رجل من مدمنى المخدرات قد شفاه السجن ، بل المعروف الثابت أن المدمن للمخدرات الذى يسجن لايلبث أن يخرج من السجن حتى يعود الى عادته . وليس ذلك فقط بل إن الذين يذهبون الى السجن من تلقاء أنفسهم ليقضوا فيه مدة طلبا للشفاء من داء المخدرات لاتتحقق غاياتهم مهما طالت مدة سجنهم الاختيارى . وكل ما يرجونه بعد عودتهم الى الحرية هو الاقتصاد فى الكميات التى يتعاطونها من المخدرات على أن يظل تأثيرها فيهم كما كان . ومما يدعو الى الاسف انهم فى أثناء اقامتهم بالسجن قد يعودون رفقاءهم المسجونين ادمان المخدرات بما يحسنونه لهم من تأثيرها . فترى إذن أن السجن ليس الدواء الشافى من هذا المرض العضال

وهنالك أيضا جيش كبير من المسجونين قد زجوا فى السجون لاسباب تافهة ولمخالفات ما كان يجب أن تكون باعثاً على السجن . ترى هل بين العقلاء رجل واحد يعتقد اعتقاداً جدياً أن السجن هو الداء الشافى لاولئك الناس ؟ ان الحقيقة هى أن السجون التى تضم أمثالهم انما هى عالة ثقيلة تحمل الاجتماع مالا يطيق من النفقات من دون أن تنفعه . وجدير برجال الاشتراع أن يلتمسوا علاجاً آخر لأدواء الاجتماع التى أشرنا اليها . وفى وسع القضاة أن يستبدلوا السجن بفرض الغرامات على العازبين الذين لايعولون احداً . وبالحكم بالمبيت فى السجون ليلا فقط لكى يتسنى للمحكوم عليه أن يستمر فى عمله ويكسب رزقه . وباستعمال الحكمة حتى لا يزيد السجن الطين بلة .
وجدير برجال الشرطة والقضاة أن يحتفظوا بالسجون لمعاقبة المجرمين والسفاحين وخاطفى الناس واللصوص وقطاع الطرق وأمثال هؤلاء من المجرمين الذين يعتبر بقاؤهم مطلقى السراح خطراً على نظام الاجتماع

مطابخ الاقدمين

[خلاصة مقالة عن جريدة
الطان . بقلم اميل انريو]

كان آبيسيوس من أشره أغنياء الرومان وأكثرهم نهماً . وقد ذكر سنيكا مهذب نيرون أنه أنفق على أطعمة مآدبه المختلفة مائة مليون سيسترس (أو نحو خمسة وعشرين مليون فرنك بنقود هـذا الزمن) وكان عنده سجل خاص بوصفات الاطعمة يحتوى على عشرة أبواب مقسمة بحسب الحالات التى تدعو إلى اقامة الولائم المختلفة . وقد ترجم الاستاذ جيجان هذا السجل إلى اللغة الفرنسية . ولا يخفى أن كثيرين من الكتاب والمؤرخين — وفى مقدمتهم بلينوس وبترونيوس واثينيه — تركوا لنا طائفة من وصفات الاطعمة التى كانت شائعة فى عهد الرومان ، يؤخذ منها أن القوم امتازوا بالنهم والشره وأنهم كانوا يعيشون ليأكلوا ولا يأكلون ليعيشوا . والذى يطلع على بيان أطعمة القوم يشعر بكثير من الكره والاشمئزاز ، وبخاصة ما طالجوه منها بكثير من الخلط والمزج . ويزعم بعض علماء الفيسيولوجيا أن معدة الانسان قد ضعفت وانحطت بمرور الزمن فصارت تأنف من كثير من المأكولات وتشمئز من رؤية بعضها أو من شم رائحتها . وسوف يجيء يوم يشمئز فيه أحفادنا مما نأكله الآن

ومما يدل على ضعف معدتنا وانحطاطها أننا لانستسيغ حتى الاطعمة التى كانت تؤكل فى عهد لويس الرابع عشر . ودرجة كره الاطعمة تختلف باختلاف الشعوب . فبعض الاطعمة التى يأكلها الاميركيون لايسيغها معظم الفرنسيين ، والديدان التى يطبخها الصينيون والبيض النتن الذى يستطيبونه ، ودماء الحيتان التى يستلذها أهل لابونيا ولحوم الاسماك النيئة التى يأكلونها بشراهة — كل ذلك مما نكرهه ونشمئز منه

ولعل أشهر ما اشتهرت به مآكل الرومان كثرة الخلط والمزج . وهذا من أكبر أدلة النهم . كما أن من أدلة النهم أيضاً ضخامة بطونهم مما نراه ممثلا أبلغ تمثيل فى صور أباطرتهم . أما البساطة التى هى الصفة المميزة لاطعمتنا فقد كانوا يعتبرونها علامة على الفقر أو مظهراً من مظاهر النقص

كان الرومان يأكلون اللحوم على أنواعها مشوية ومقلوة — وذلك أبسط أنواع الاطعمة عندهم . وكانوا يفضلون عليها اللحم المطبوخ مع مختلف أنواع البقول واللحوم المفرومة المعالجة بالتوابل وأنواع الافاويه . وكانوا يأكلون الاسماك والطيور والحيوانات ذات الاصداف ويطبخون لحوم الطيور ممزوجة بالاسماك والبيض والالبان المختلفة وفى وصفات ابيسيوس طعام يصنع من أكباد السمك وأكباد الارانب ولحم الجدى معا ، وطعام آخر يطبخ فيه السمك المملوح (بعد ازالة شوكه) بدماغ

الخنزير وأكباد الطيور والبيض المسلوق، ويضاف إلى ذلك مزيج مصنوع من الجبن والعسل النحل وبعض الافاويه كالفلفل والمرزنجوش والكمون وغير ذلك من الافاويه

ولم يكن اللحم أهم أجزاء الطعام عند القوم بل الصالصة. وكان تحضير الصالصة يتطلب معرفة كبيرة بخواص الافاويه والتوابل ومختلف السوائل والروائح العطرية، وفي مقدمة تلك الافاويه المرزنجوش والكزبرة والزعفران والزنجبيل واليانسون والبهارات بجميع أنواعها. وقد ورد في سجل وصفات ابيسيوس اسماء أفاويه وتوابل لا نعلم ماهي واسماء معظم الاعشاب والنباتات والحبوب المعروفة اليوم. واشتهر الرومان بخلطهم ومزجهم المواد المتضادة. فكانوا يخلطون الخل بالعسل. وما يزال الايطاليون يفعلون ذلك الى هذا اليوم، ويطبخون الارنب «بصالصة» حلوة حامضة. وزبيب العنب «البناتي» بحب الصنوبر. وهذه «الوصفة» مأخوذة عن وصفات ابيسيوس، إلا أن ابيسيوس أضاف اليها البلح والفلفل والزيت والخل والنبيذ ومادة أخرى يسميها سيفليوم لا نعلم ما هي. وكانت عندهم «صالصة» مشهورة تسمى «جاروم» لم يكن بيت من بيوت القوم يستغنى عنها وهي عبارة عن ماء «المخلل» توضع فيه أمعاء السمك «والانشوجة» والسردين (مهشما ومملوحاً) يضاف الى ذلك كله الكزبرة والمرزنجوش والخل والنبيذ والزيت والماء، ويوضع على المائدة مهما تكن أنواع الاطعمة التي توضع عليها كما يفعل الانجليز «بالصالصة» الانجليزية

ومن مآكل الرومان أيضا لسان البيغاء وثعبان الماء المشبع بلحم جثث العبيد. على أن جانباً كبيراً من أطعمتهم هو كالاطعمة التي نأكلها اليوم. والزعم أننا نحن الذين استنبطناها خطأ. واذا رجعنا الى سجل وصفات ابيسيوس نجد ان طرق تحضير تلك الاطعمة هي هي لم تتغير عما كانت عليه منذ الفي سنة. فقد كانوا يأكلون يومئذ الدراج والطير المعروف بديك الغابة والكمأة والمحار وثعبان الماء والسمك المعروف بعفريت الماء. وكان الحساء المعروف عند الفرنسيين «بالبويابيس» معروفاً عندهم. وكذلك الفطير المعروف باسم «فون — أو فان» (vol-au-vent) وهو فطير يحشى بالسمك والفطر والافاويه «وكفتة» السمك. وسرطان الماء (ابو جلمبو) وأشياء أخرى كثيرة لايحصرها العد

أما مشروباتهم فكانت في منتهى الغرابة. منها شراب القراص وشراب يصنع من ديسم البحر، ومشروبات أخرى كثيرة تصنع من أنواع مختلفة من السمك ومن عصير لحم الطير المعروف بالفلمنج وعصير لحم الطاووس وعصير لحم البيغاء. وأغرب من ذلك كله عصير لحم الزغبة بعد تغذيتها مدة طويلة بالكستناء. والزغبة كما لا يخفى دويبة تشبه الفار أوهي صنف من ابن عرس (العرسة). ومن افخر أنواع خمورهم خمر كانوا يصنعونها من عصير الورد

هذه نماذج من المأكولات والمشروبات التي كان أغنياء الرومان يمتعون بها أنفسهم في ذلك العهد. وعلى كل فقد كانوا يأكلون ويشربون كثيراً مما نأكل ونشرب في هذا العهد. وذوق الانسان وإن تتطور بحكم العادة فانه لايبعد كثيراً عن ذوق الحيوان

أولادنا والصحف

[خلاصة مقالة عن مجلة « بارنتس
مجازين » . بقلم ولتر بتكين]

هل من الصواب أن يقرأ الاولاد الصحف ؟

الجواب عن ذلك : نعم إذا كان والدوهم ممن يطالعون الصحف

ولكن كم من الوالدين يعرفون كيف يجب أن يقرأوا الصحف ؟ لعلك لا تجد واحداً فى المائة منهم يحسن القراءة أو يعرف شروطها . لذلك يجدر بنا أن نعلم الآباء كيفية مطالعة الصحف قبل أن تأذن لاولادهم فى ذلك ، لان المشكلة هى مشكلة الوالدين قبل الاولاد

ان الاشخاص المتعلمين تعلما صحيحا ينفقون ما متوسطه خمس عشرة دقيقة كل يوم فى مطالعة الصحف . وهم يطالعونها مطالعة سطحية سريعة . والاشخاص المتعلمون تعلماً وسطا ينفقون فى سبيل تلك المطالعة نحو نصف ساعة فى اليوم ، ذلك لان قراءتهم ابطأ من قراءة الفريق الاول وقدرتهم على انتقاء الموضوعات والاخبار التى يجدر بهم مطالعتها أضعف . أما أصحاب التعليم السطحى والعقول الضعيفة فانهم ينفقون فى مطالعة الصحف وقتاً طويلا جداً ، وهم يتأثرون بما يقرأونه أكثر مما يتأثر غيرهم مع أن الموضوعات المهمة كثيراً ما تفوتهم

والوالد الحكيم الذى يريد أن يوجه خطوات ابنه فى ميدان قراءة الصحافة يجد نفسه أمام مشكلة مزدوجة . فلا هو يعرف شروط تلك القراءة ولا هو يعرف ما يتوافر فى ولده منها . ولا يخفى أن كبريات الصحف فى العالم تكتب بطريقة معينة تلخص بها الاخبار والانباء والمقالات . وهى تتفنن بكتابة العنوانات التى يفهم منها القارىء أشياء كثيرة . وفى المثل السائر : « الكتاب يقرأ من عنوانه » . فعلى القارىء أن يغربل الاخبار ويعلم ما يجدر به أن يقرأه وما يجدر به أن ينبذه قبل أن يتمكن من اعطاء النصح لاولاده وارشادهم الى خير الطرق

ويمكننا أن نضع المبادىء الاولية الآتية لمطالعة الصحف . وفى مقدمتها أنه لا يجوز فى أية حال من الاحوال منع الاولاد من قراءة الصحف لئلا يسيئوا بها الظن ويحسبوا أن فيها من الاخبار والمقالات ما يسىء الى الآداب ولا يجوز لهم أن يطالعوه . ومثل هذا الحظر ينشىء فى أذهانهم فكرة غير صحيحة وهذا الاعتبار وحده يكفى لجعل الوالدين يبيحون لاولادهم قراءة الصحف

وهنالك صحف هزلية بريئة يسر بمطالعتها الاولاد بين سن الخامسة والثانية عشرة . وليس فى مطالعتها ما يضر . فامثال هذه الصحف يجب أن يؤذن للاولاد فى مطالعتها إذ كثيراً ما تغرس فى نفوسهم حقائق كثيرة من دون أن يتنبهوا الى ذلك . فبعد زمن يلاحظ والدوهم أنهم قد نشأوا على

أفكار ومبادىء جميلة فى مجموعها . ولو أرغمهم والدوهم على مطالعة الصحف الهزلية لكره الاولاد ذلك

ولننظر الآن فى بعض الموضوعات التى تخوض فيها الصحف عادة . ترى ماذا نفعل بالمباحث الخاصة بشؤون الحب والاجرام والانتحار وما الى ذلك ؟ هل نمنع الاولاد من قراءتها ونحظر عليهم الخوض فيها ؟

لاشك أنه ليس من الممكن محو تلك المقالات والاخبار . ولكن الاولاد — كالبالغين — قلما يطالعون الا الاخبار التى تهمهم . والاختبار يدلنا على انهم لا يعنون كثيراً بقراءة أخبار الجرائم والفضائح والانتحار وما الى ذلك ، لانهم يفضلون عليها أخبار الملاهى والالعاب الرياضية والنبذ المفيدة على اختلاف أنواعها . واذا قرأوا أخبار بعض الجرائم فانهم يمرون بها وشيكا ولا يعنون بتفصيلاتها وجزئياتها ، ولذلك يجدر بالوالدين ألا ينهوهم عن مطالعتها أوعن مطالعة غيرها من الاخبار والتفصيلات ، اذلا شك أنهم فى اليوم الذى ينهونهم فيه عن مطالعتها انما يزيدون الطين بلة ويحرضونهم على مطالعتها خفية والتمعن فى تفصيلاتها

فالسكوت فى هذه الحالة أفضل . واذا سأل الولد والده شرح بعض تلك التفصيلات فخير له ألا يحجم عن الجواب لئلا يؤول ابنه ذلك الاحجام تأويلا فى غير محله . وما ضره لو شرح تلك التفصيلات وأظهر ما بها من مساوىء وما لا بد أن تحدثه من أثر سيء فى نفوس الجميع ؟

ولعل مشكلة مطالعة الاولاد للصحف تكون على أشدها عند ما يبلغ الولد سن الثانية عشرة . والوالد الحكيم هو من راقب ولده مكباً على صحيفة من الصحف ليرى ما الذى يطالعه فيها فيسهب فى شرح ما يفيده منها ويقتضب شرح مالا يفيده . واذا جرى على هذا الاسلوب بضع مرار أصبح ذلك عادة فى نفس الولد وأصبح هذا حكيما فيما يطالعه ومالا يطالعه من أخبار الصحف

خذ مشكلة الغلاء مثلا وما تقتضيه المعيشة اليوم من النفقات . وما من جريدة الا وتخوض فى هذا الموضوع . فالوالد الحكيم يشترك مع ابنه فى مطالعة أخبار هذا الغلاء لمعرفة أسبابه ومدى تأثيره وغير ذلك من وجوه التفصيل . وكذلك أخبار التجارة والعوامل التى تؤدى الى كسادها أو رواجها مما يؤدى البحث فيه الى زيادة معلومات الولد

وكذلك موضوع الطيران فانه من الموضوعات التى تهم الاولاد وتفيدهم ، والصحف خيرمدرب يبث فى نفوسهم الشجاعة والاقدام ويجعلهم يتحمسون عند قراءة أخبار الطيارين الابطال

وهنالك موضوعات أخرى كثيرة تلذ مطالعتها للاولاد ولا تقع تحت حصر . فمن الحكمة تشجيع الصغار على مطالعتها . وقد يكون من الحكمة تعويدهم جمع قصاصات الصحف وترتيبها وتبويبها والاحتفاظ بها للعودة اليها عند الحاجة ، وبخاصة القصاصات التى تحتوى على احصاءات مفيدة . والوالد العاقل يعلم ان امثال هذه القصاصات هى ذخائر علمية يجدر بكل والد أن يحرص عليها لانها مكملة لتعليمه وتهذيبه وفائدتها لا تقل عن فائدة الكتب المدرسية

بين الذهب والفضة

[خلاصة مقالة عن مجلة ميروار
ديمونه . بقلم البير ديبو]

جرى الناس منذ أقدم الازمنة على استعمال كلا النقود الفضية والذهبية فى معاملاتهم المالية والتجارية . وقد اختاروا هذين المعدنين بسبب ندرتهما . وقد تولت الحكومات تعيين قيمة كل قطعة من قطع النقد بمراعاة قيمة المعدن الموجود فى كل قطعة وأجرة سكها أو ضربها . ولما كانت ندرة كل معدن هى العامل الذى يحدد قيمة ذلك المعدن فقد جرى العرف على جعل قيمة الذهب خمسة عشر ضعف قيمة الفضة أو ما يقرب من ذلك

وقد تطور نظام النقد فى العالم منذ العصور الوسطى تطوراً تدريجيا وانتهى فى أوائل القرن التاسع عشر الى تثبيت قيمة كل من الذهب والفضة فى كل قطر من أقطار العالم . وكانت سلطة الحكومات دائماً غير محدودة فى تعيين قطع النقد وسكها وتحديد قيمة كل منها . ولما كان لكل من القطع الذهبية والفضية قيمة معترف بها فقد نشأ عن هذا النظام المعروف بالنقد المعدنى المزدوج (بيمتالسم) تمييزاً له عن نظام النقد المفرد (مونومتالسم)

وفى ابان الثورة الفرنسية قررت فرنسا الجرى على النظام المزدوج كما قرر ذلك معظم بلدان أوربا وأمريكا فى القرن التاسع عشر . وكان من مزاياه تثبيت قيمة الذهب وجعلها نحو خمسة عشر ضعفاً ونصف ضعف قيمة الفضة . وقد دامت هذه النسبة ثابتة حتى الثلث الاخير من القرن التاسع عشر

وفى الواقع أن نسبة قيمة الذهب الى قيمة الفضة لا تتغير إلا قليلا جداً بسبب بعض العوامل الخارجية « كالاصدار » والاستيراد وما الى ذلك

والنقود الفضية — منذ أقدم الازمنة حتى الآن — اكثر تداولا فى أيدى الجمهور لانها اكثر من النقود الذهبية . ومما يجدر بالذكر أن مجموع النقود الفضية والذهبية فى العالم بلغ فى منتصف القرن التاسع عشر خمسين مليار فرنك وكان نحو ثلثى هذا المبلغ فضة والثلث الباقى ذهباً . أما باعتبار الوزن فقد بلغ مجموع ثقل النقود الفضية فى العالم فى ذلك الوقت نحو مائةوخمسين كيلوجراماً من الفضة ونحو خمسة ملايين كيلو جرام فقط من الذهب

على أن هذه النسبة تغيرت بعد ذلك الزمن . فمنذ سنة ١٨٥٠ الى سنة ١٨٧٠ زاد المستخرج من الذهب فى مناجم اوستراليا وكاليفورنيا حتى بلغ ثلاثة عشر مليار فرنك فى خلال تلك المدة ، حالة أن المستخرج من الفضة فى تلك المدة لم يزد على خمسة مليارات

ومنذ سنة ١٨٧١ الى سنة ١٨٨٥ كادت قيمة المستخرج من كلا الذهب والفضة تكون واحدة ، إذ بلغت نحو ثمانية مليارات فرنك . إلا أن مناجم الترنسفال عادت بعد ذلك فزادت كمية الذهب فى العالم . وأدت هذه الزيادة الى خفض قيمة الذهب بالنسبة الى قيمة الفضة ، فجعلت الاولى عشرة أضعاف الثانية . وبعبارة أخرى أن قيمة الفضة ارتفعت ارتفاعاً جعل الناس فى أوربا وأمريكا يقبلون على طلب الفضة . وظل هذا المعدن النقد الوحيد الذى تجرى به المعاملة فى بلدان الشرق الادنى الى هذا اليوم

وعليه كانت الفضة قبيل ختام القرن الماضى أجدر بالتعامل من الذهب . إلا أن بريطانيا العظمى التى كانت قد جردت من الفضة فى القرن الثامن عشر بسبب حروب الثورة الفرنسية لم تكن من أنصار النقد المزدوج (بيمتالسم) . وفى سنة ١٧٩٦ وقفت ضرب النقود الفضية توطئة لتقرير نظام النقد المفرد (مونومتالسم) . وفى الواقع أنها قررت فى سنة ١٨١٦ السير على ذلك النظام واتخذت الذهب قاعدة لتعاملها ولنقدها . ولما كانت بريطانيا يومئذ أكبر دول العالم صناعياً وتجارياً ومالياً وبحرياً ، أصبحت لندن مركز العالم المالى . وكان من مصلحتها أن تسير فى تجارتها على مذهب « التبادل الحر » وقد حاولت كثيراً أن تحمل بقية الدول على السير عليه وعلى نبذ النظم الجمركية الاعتيادية

وتمكنت المصارف المالية الانجليزية من اقناع شعوب كثيرة بمزية نظام النقد المفرد (مونومتالسم) فاضطرت دول كثيرة الى نبذ النظام المزدوج اذ رأت أن من جملة مساوئه كثرة المستخرج من الفضة فى جميع أنحاء العالم بحيث لا يمكن اعتبار الفضة من المعادن النفيسة . أضف الى ذلك أن البلدان ذات نظام النقد المزدوج تصاب بأضرار مالية بليغة بسبب « تصدير » أحد المعدنين الى الخارج تصديراً ناشئاً عن غلاء ذلك المعدن فى الخارج غلاء وقتياً . وبعبارة أخرى أن البلدان التى تسير على نظام النقد المزدوج تشعر من وقت الى آخر بأن نسبة قيمة الذهب الى الفضة تتغير ، وهذا ما يعرف بتقلبات الاسعار ، على أن هذا التقلب قلما يزيد على ١ فى المائة

وقد اضطرت الدول التى تسير على نظام النقد المزدوج الى تحديد نسبة قيمة الذهب الى الفضة تحديداً ثابتاً تلافياً لتقلبات الاسعار

وجرت الولايات المتحدة على خطة بريطانيا العظمى إذ اختارت نظام النقد المفرد ، لا لاعتقادها أن هذا النظام أفضل من نظام النقد المزدوج ، بل لانها وجدت نفسها مجردة من المعدن الابيض (الفضة) . وفى أوائل القرن التاسع عشر حددت حكومتها نسبة قيمة الذهب الى قيمة الفضة فجعلتها ١٦ الى ١ . وجرت معظم بلدان أوربا أيضاً على نظام النقد البريطانى . وكانت ألمانيا وأسوج والدانمرك والنرويج وهولندا وروسيا والنمسا وهنغاريا فى مقدمة تلك البلدان . أما فرنسا وايطاليا وسويسرا والبلجيك فجرين على عكس ذلك النظام . ولكن جمهوريات أمريكا الجنوبية والمكسيك اتبعت النظام البريطانى

على أن تطور الحالة الاقتصادية فى العالم وانتشار الضائقة المالية فى جميع أنحاء الشرق والغرب وازدياد المستخرج من الفضة فى مناجم العالم — جميع هذه العوامل غيرت الافكار بشأن نظام النقد المزدوج . وصار الكثيرون من علماء الاقتصاد فى انجلترا يرون ضرورة الاعتماد على الذهب والفضة معاً ويطالبون بتحديد قيمة الفضة . وفى الصيف الماضى اتفقت الولايات المتحدة والمكسيك وكندا واوستراليا وجمهورية بيرو (وجميعها فى مقدمة البلدان التى تنتج الفضة فى العالم) على عدم بيع الفضة فى الاسواق العالمية مدة اربع سنوات ابتداء من ١ يناير سنة ١٩٣٤ ، وعلى سحب كميات من الفضة معادلة للكميات التى أبيح للهند أن تبيعها فى الخارج ، وهى خمسة وثلاثون مليون أونس (أوقية) فى العام . ووعدت كلتا الصين واسبانيا أيضاً بتحديد الكميات التى تصدرها الى الخارج فى أثناء المدة المذكورة . واتخذت الولايات المتحدة احتياطات مشددة لمراقبة الفضة فى بلادها . ومنذ سنة أصدر الرئيس روزفلت أمراً الى الخزانة العامة بشراء جميع الفضة التى تنتجها مناجم الولايات المتحدة ، على أن يسك نصف هذا المستخرج نقودا ويودع النصف الآخر فى خزانة الدولة ، وحدد سعر شراء الفضة واتخذ احتياطات أخرى كثيرة تدل على تحول الافكار فى أمريكا بشأن نظام النقد . ومن يدرى ؟ فقد يزداد انصار نظام النقد المزدوج نصيراً جديداً فيحدث ذلك انقلاباً خطيراً فى نظام النقد العالمى



أيها الموت أين شوكتك ؟

[خلاصة مقالة نشرتها
مجلة ريدرز ديجست]

ليس للموت على نفوس العظماء أى سلطان . فهو عندهم بمنزلة ضجعة ينتقل المرء فيها من عالم الهيولى الى العالم الروحانى

كان سقراط أعظم فلاسفة اليونان فى عصره قد أثار غضب أهل وطنه عليه فحكموا عليه بأن يتجرع كأس السم . وفى يوم تنفيذ الحكم جلس فى السجن بين أصدقائه وتلاميذه الذين جاءوا لزيارته آخر مرة . وكان بينهم زوجته تحمل طفلها وهى تبكى بكاء مراً ، فامرها سقراط بالانصراف ، ثم أخذ يخطب فى زائريه بهدوء ورباطة جأش لا مزيد عليهما

ثم دخل السجان حاملا كأس السم والعبرات تكاد تخنقه ، فتناول سقراط الكأس من يده وسأله ماذا يجب أن يصنع . فأجابه السجان بأنه يجب أن يشرب الكأس ثم يمشى فى غرفة السجن لكى يسرى السم فى جسمه كله الى أن يشعر بعجز قدميه عن الحركة . واذ ذاك يجلس متمدداً على الارض ليلفظ النفس الاخير . فاطاع سقراط الامر وشرب السم . ولما رآه أصدقاؤه وتلاميذه

يتجرع الكأس لم يستطيعوا ضبط دموعهم . ولكن سقراط ظل رابط الجأش وسألهم بصوت قد امتزج فيه الغضب بالتوبيخ : « ماهذه الدموع وهذا البكاء ؟ ان الانسان يجب أن يموت بهدوء وسلام فاملكوا جاشكم وتصبروا » . ثم أخذ يمشي في غرفة السجن ليسري السم في جسمه . وظل كذلك الى أن خانته ساقاه وعجز عن السير فاضطجع على الارض وقد يبس جسمه وبرد . وكان آخر ما تفوه به العبارة التالية مخاطبا بها صديقه كريتو : « انني مدين لاسكولوبيوس بديك يا كريتو . فهل تدفع عني هذا الدين ؟ » فاجابه كريتو : « سوف أدفعه . وهل لك طلب آخر ؟ » . ولكن كريتو لم يسمع جواباً عن هذا السؤال

وليست قصة سقراط أوفى بالدلالة على احتقار العظماء للموت من قصة السر والتر روليه ، وكان جيمس الاول قد حكم بقطع رأسه . ولم يبد انسان قط ما أبداه هذا الرجل من الشجاعة في ساعة الموت الرهيبة . فانه في اليوم المعين لقطع رأسه لبس أحسن ثيابه ، متأنقاً كعادته ، إلا أنه نسي تجعيد خصل شعره ، ولعل هذا هو السبب الذي جعله يغطي رأسه بقبعة . وبينما هو سائر الى المكان المعد لقطع رأسه وحوله جمهور من المشيعين حانت منه التفاتة فابصر رجلا أصلع ، فوقف السر روليه هنيهة وسأله : ماخرج به من منزله في مثل ذلك اليوم ؟ فقال الرجل : « لكي أراك وأصلي الى الله من أجلك » فشكره السر روليه وخلع عن رأسه القبعة وأعطاه إياها قائلا : « آسف أن ليس معي ما أقدمه لك غير هذا لأرد لك معروفك . خذها فستكون أشد حاجة اليها مني بعد قليل »

ولما وصل الموكب الى المكان المعين لقطع رأسه دعاه الشرطة ليتدفأ قليلا قبل الموت . ولكنه أبى لانه كان مصابا بالبرداء « الملاريا » وهو يخشى أن تنتابه منها نوبة شديدة . ولذلك يفضل أن يعجل السياف بمهمته قبل أن تبدأ تلك النوبة فيتوهم الناس أن القشعريرة التي ستصيبه هي رعدة الخوف . ثم التفت الى الجمهور الواقف فالقى فيه خطبة وجيزة أنكر بها تهمة الخيانة . وختم خطبته طالبا من الجميع أن يصلوا معه . ثم نزعت عنه ثيابه ماعدا قميصه وسراويله . وتقدم بخطوات ثابتة الى حيث كان السياف في انتظاره . وقال شاهد عيان انه وقف أمام السياف برباطة جأش وكأنه قد جاء مع ذلك الجمهور « ليتفرج » ، لا ليموت . ثم طلب أن يرى الفأس المعدة لقطع رأسه . فلمس حدها وقال للشرطي وهو يبتسم : « انه دواء حاد ولكن فيه شفاء من جميع الامراض ! »

ثم نشر السياف ثوبه على الارض ليركع عليه السر روليه وأخذ يعتذر اليه ، فربته السر روليه على كتفه مؤكداً له أنه قد غفر له . وسأله السياف على أي جهة يريد أن يضع عنقه . فاجابه السر روليه : « على جهة القلب ، أما الرأس فلا يهم الى أية جهة يكون » ولما أراد السياف أن يغطي رأسه وعينيه أبى السر روليه وقال له : « وهل تظن أنني أخشى ظل الفأس وأنا لا أخشى الفأس نفسها ؟ » وأردف ذلك بأن قال للسياف أن يضرب عنقه عند مايعطيه اشارة بيده ، إلا أن السياف خانته قواه عند ما أعطاه السر تلك الاشارة فقال له هذا ساخراً : « مم تخاف أيها الرجل ؟ اضرب ! اضرب ! »

تقدم العلم والعالم

تليفون المستقبل

منذ بضعة أسابيع جرى للسنيور مركونى حديث مع أحد الصحفيين الانجليز جاء فيه أن العالم سيفاجأ فى القريب العاجل ببضعة اختراعات مدهشة فى مقدمتها الفوتوفون أو التلفون المصور. وسيستطيع الانسان بواسطة هذا التليفون ان يخاطب صديقه عن بعد الوف من الاميال وان يراه فى آن واحد كأنه يخاطبه ويسمع صوته ويراه وجها لوجه. وقد قرأنا الآن فى احدى المجلات العلمية الاميركية خبراً فحواه ان هذا الاختراع يكاد اليوم يكون فى حيز الواقع ولن يمر وقت قصير حتى يصبح استعماله فى متناول كل إنسان

البخار المبرد

المعروف حتى الآن ان البخار يستعان به على تدفئة البيوت بواسطة انابيب خاصة شائعة فى بيوت كثيرة فى اوربا واميركا. ويظهر الآن ان المهندسين قد اهتدوا إلى طريقة يستخدمون بها انابيب البخار المذكورة للتبريد أو للتدفئة حسب الطلب، وذلك على أساس المبدأ الذى اكتشفه وليم كالن الانجليزى سنة ١٧٥٥ والذى يصنع بموجبه الثلج الصناعى بواسطة البخار

أكبر مرقب فلكي

أشرنا غير مرة على صفحات الهلال إلى مرقب (تلسكوب) مونت ويلسون الجديد بولاية كاليفورنيا وقلنا إن قطر عدسته يبلغ مائتى بوصة، وسيكون أكبر مرقب فلكى فى العالم. وقد انجز صب عدسة هذا المرقب فى شهر مارس الماضى ولكنها لم تبرد حتى الآن الى الدرجة التى يمكن معها صقل العدسة صقلا علمياً يجعلها صالحة للاستعمال

ويرجو علماء الفلك بعد اكمال هذا المرقب ان يتمكنوا بواسطته من رصد الف وخمسمائة مليون نجم جديد، أى بقدر سكان عدد الكرة الارضية. بل لقد يزيد عدد تلك النجوم على هذا القدر كثيراً جداً. وستصبح الاجرام الفلكية أقرب الى نظر الراصد مما هى الآن كثيراً جداً. يدلك على ذلك أن القمر سيصبح كأنه على بعد اربعة وعشرين ميلا فقط من الارض، ولو كان فيه بنايات عالية كناطحات السحاب الاميركية لامكن رؤيتها بوضوح وجلاء. أما السيار بلطو (أحدث السيارات التى اكتشفها العلماء) فان المسافة التى تفصله عن الكرة الارضية وهى ثلاثة آلاف وسبعمائة مليون ميل ستصبح ثلثمائة وسبعين الف ميل فقط، أى انها ستصبح جزءاً من عشرة آلاف جزء من الاصل. وهكذا قل فى سائر الاجرام الفلكية فانها ستصبح قريبة جداً من عين الراصد

لمكافحة النيران

تقول احدى المجلات العلمية الانجليزية ان رجال المطافىء فى لندن هم مجهزون اليوم بثياب مصنوعة من مادة الاسبستوس غير القابلة للاحتراق، وهم يلبسون ايضاً قفازات مصنوعة

من المادة المذكورة ويستعملون منها كمائم محكمة الصنع . وبهذه الطريقة يستطيعون ان يكافحوا ألسنة النيران المندلعة من دون أن يمسهم ضرر

مباراة صيد الذباب

الذباب من البلايا التى تشكو منها بلاد اليابان شكوى مرة . ومنذ مدة غير بعيدة اعلنت حكومة طوكيو انها تمنح جائزة مالية كبيرة لمن يصطاد أكبر عدد من الذباب . وقد فاز فى هذه المباراة رجل تقدم الى الحكومة ومعه ١٩٨ الف ذبابة فنال الجائزة الأولى . ونال الجائزة الثانية رجل اصطاد ١٩٠ الف ذبابة . وتقدمت احدى الدول الاجنبية وعرضت على اليابان ان تشترى منها خمسة ملايين ذبابة لتستعملها طعاماً لضرب من السمك الذهبى اللون ، ولكن حكومة اليابان كانت قد سبقت فأبادت الذباب

نسخة قديمة من التوراة

فى شهر مايو الماضى وصلت إلى الولايات المتحدة ثلاثون ورقة من نسخة خطية من كتاب العهد الجديد ترجع الى المائة الثالثة للميلاد وتحتوى على جزء من الرسائل التى كتبها القديس بولس . وقد ضاع الجزء الباقى من هذه الرسائل فى مصر على ماتقول « رسالة الاخبار العلمية » الاميركية . وقد اشترت جامعة مشيجان الجزء الذى وصل الى اميركا وشرعت تبذل المساعى اللازمة للحصول على الأجزاء الباقية

الانباء بالاحوال الجوية

ان المخترع الذى سيتوصل إلى استنباط وسيلة يمكن بواسطتها الانباء بالاحوال الجوية انباء دقيقاً سيصبح من أغنى أغنياء العالم . ذلك لأن استنباطاً كهذا سينقذ حياة الكثيرين من الناس وسيحفظ ملايين الجنيهات من الضياع كل عام

على ان العلم قد وفق الى وسائل يمكنه بواسطتها الانباء بالاحوال الجوية بشىء من التدقيق . وفى الولايات المتحدة وانجلترا وغيرهما مصالح حكومية خاصة بدرس الاحوال الجوية والانباء بها . وهذه المصالح تجمع البيانات والاحصاءات الدقيقة لتستعين بها على اتقان الانباء . وتقول مصلحة الارصاد الجوية الاميركية ان نحو ٨٥ فى المائة من ارصادها صحيحة . ولكن تقدم العلم وفن الاحصاء سيمكن العلماء من زيادة دقة الانباء الى أكثر من ٨٥ فى المائة ـ ليس فيما يتعلق بالاحوال الجوية العاجلة فقط بل الآجلة ايضاً . والعلماء يبحثون ليل نهار لحل هذه المشكلة حلا نهائياً ولاستنباط وسيلة يستطيعون بواسطتها الانباء بالاحوال الجوية البعيدة . وبهذه الواسطة يمكن ترقية فن الطيران ترقية عظيمة وانقاذ حياة الالوف من الطيارين

السينما فى المستقبل

ستمتاز السينما فى المستقبل بابراز الاشخاص والمشاهد مجسمة أى ذات طول وعرض وثخانة . وقد تمكن المخترعون من استنباط جهاز اذا اضيف إلى جهاز السينما الاعتيادى أمكن بواسطته رؤية الاشباح مجسمة تجسيما تاما على ستار السينما والمظنون أن هذا الاختراع سيعم قريباً جداً فيرى العالم معجزة جديدة من معجزات الفن فى القرن العشرين

عدد الاوتومبيلات فى أميركا

بلغ عدد الاوتومبيلات التى سجلت فى اميركا فى أول العام الحالى ٢٣٠٥٦٢٠٥٩ اوتوموبيلا بنقص قليل عن العدد المسجل فى السنة الماضية

شكولاته جديدة

لايخفى أن زيت السمك من انفع المواد للانسان ومن اغناها بالفيتامين، ولكن طعم هذا الزيت ورائحته الكريهة قد كانا عائقاً فى سبيل استعماله. وقد قرأنا الآن فى احدى المجلات العلمية الاميركية خبراً فحواه أن مصلحة مصايد الاسماك بكندا اعلنت أن المستر ونتورث من أهالى مدينة فيرهافن قد اكتشف طريقة يمكن بها صنع الشكولاته ممزوجة بزيت السمك من دون أن يكون لهذا الزيت أى طعم أو رائحة ومن دون أن يفقد أى شيء من خواصه بحيث يستطيع الطفل أن يأكل تلك الشكولاته بشهوة عظيمة وأن يتلذذ بها ولا يعلم مافيها وستستعمل هذه الشكولاته فى صنع المثلوجات (انواع الجيلاته) المختلفة

افيبان المخدر الجديد

الافيبان (Evipan) - ويسميه الاميركيون افيال - مادة بلورية بيضاء لاطعم لها تخدر الانسان بسرعة. وقد اكتشفها بعض العلماء الالمان فى اثناء بحثهم عن افضل مخدر لاستعماله فى الطب والجراحة. وطريقة استعماله هى أن يذاب قليل من مسحوقه فى ماء معقم بنسبة محدودة ويحقن به العرق فينام العليل فى الحال. وهذا المخدر لا يصحبه شيء من الاعراض المزعجة التى تصحب انواع المخدرات الاخرى من دوار وقيء وصداع. وتأثيره يدوم نحو عشرين دقيقة يمكن تكرار استعماله مرة اخرى إذا اريد أن يدوم التأثير أكثر من ذلك. ولا يفرز البدن هذا المخدر عن طريق الرئتين كما يفرز الايثير مثلا بل يفرزه بطريقة اخرى وبالاستعانة بالكبد ولذلك يصلح هذا المخدر فى العمليات الجراحية التى تكون فيها الرئتان ضعيفتين ولكنه لا يصلح للعمليات التى تكون الكبد أو المثانة فيها ضعيفة وهو يصلح ايضاً لعمليات الولادة

ارجاع قوة البصر

فى الانباء العلمية الاخيرة ان كاتبة انجليزية تدعى مس دافنى موير اصيبت بالعمى التام على أثر حادث وقع لها منذ بضع سنوات. ولبثت عمياء منذ ذلك الحين إلى أن قيض الله لها جراحاً انجليزياً ماهراً هو الدكتور تيودور توماس، فاجرى لها عملية جراحية بتطعيم كل عين من عينها، بقرنية، وهى أول عملية من نوعها فى العالم. وقد عرضت المس دافنى موير نفسها على مؤتمر كلية الجراحين الاميركيين ففحصوها ودهشوا من حالتها

القرود والتوائم

يقول الدكتور يركس من اساتذة جامعة بايل الاميركية إنه فحص قردة انثى من نوع الشمبانزى قد وضعت توءمين أحدهما ذكر والآخر انثى. وهما أول توءمين فى عالم القرود، وولادة هذين التوءمين حلقة أخرى من الحلقات التى تصل الانسان بالقرد

ما يهضم من الخبز

الشائع بين الجمهور أن الخبز المحمس (المقمر) أسهل هضماً من غير المحمس وان قشر الخبز اسهل هضماً من لبابه. على ان المباحث العلمية الدقيقة التى قام بها علماء جامعة كاليفورنيا الاميركية قد اثبتت فساد هذا الاعتقاد وبرهنت على أن لباب الخبز هو أحسن مايسهل هضمه منه وان القشر لايهضم والفيتامين الذى فيه قليل جداً والتحميس يذهب بقوته

عصير الشلجم

تدل المباحث العلمية التى قام بها جمهور من الاطباء الكنديين على أن عصير الشلجم (اللفت) غنى جداً بالفيتامين "c" أو الفيتامين الثالث بل هو أغنى بهذا الفيتامين من عصير البرتقال أو الطماطم. وقد اتضح الآن انه علاج ناجع لحمى الاسكربوط. ويمكن اعطاء هذا العصير للاولاد لتقوية اجسامهم واحداث المناعة فيهامن المرض المذكور. ويظهر من المباحث التى قامت بها الجمعية الاهلية لمحاربة داء السل في اميركا ان الفيتامين "c" هو من أفضل العقاقير التى تحدث فى الجسم مناعة ضد مرض السل. ولما كان عصير الشلجم غنياً بالفيتامين المذكور فهو ينفع فى احداث المناعة المذكورة فى الاولاد

لمكافحة التهاب البريتون

لا يخفى ان التهاب البريتون هو من اعظم الاخطار التى يخشاها الاطباء الجراحون عند القيام بعملية فتح البطن. وقد أنبأتنا المجلات العلمية الاخيرة أن الدكتور هربرت جونسن من اشهر الجراحين الاميركيين قد اكتشف طريقة للتغلب على التهاب البريتون وهى حقن العليل بسائل «الامنيون» البقرى المكثف. ولا يخفى أن الامنيون هو الغشاء الباطنى من الاغشية التى تحيط بالجنين. والسائل الامنيونى هو سائل آحى يحيط بالغشاء المذكور. فاذا أخذ هذا السائل من البقرة عندما تلد وعولج بطريقة معينة وحقن به العليل قبل اتمام العملية الجراحية بخمس ساعات أوست امكن احداث المناعة فى غشاء البريتون بحيث لا يصاب بأى عدوى أو التهاب. وقد استعمل الدكتور جونسن هذه الطريقة فى عمليات الولادة المعروفة بالعمليات القيصرية فاسفرت عن النجاح التام

ترياق جديد لسموم الافاعى

يؤخذ من بعض التجارب العلمية الحديثة أنه اذا اطلقت الاشعة التى وراء البنفسجية على سموم الافاعى المختلفة القتالة كسم الكوبرا وسم الحية ذات الرأس النحاسى وسم الحية ذات الاجراس وغيرها وغيرها، امكن ابطال تأثير ذلك السم ومنع أذاه. وقد قام بعض الاطباء الالمان بتجربة هذا «الترياق» فكانت النتيجة باعثة على الارتياح

مرضى الاطباء

فى أحد الاحصاءات الفرنسية ان من كل ١٧٣ طبيباً يموتون تجد علة موت مائة طبيب منهم ضعف القلب وعدم انتظام الدورة الدموية وهما اكثر الامراض الناشئة عن الهم واضطراب الاعصاب. وغريب ان تكون هاتان العلتان فى مقدمة العلل التى تفضى الى وفاة الاطباء

الذهب من البحر

منذ عشر سنين كان الذين يقولون ان فى الامكان استخراج الذهب والفضة وغيرهما من المعادن من مياه البحر على نطاق واسع يعرضون انفسهم لاستهزاء الناس بهم. أما اليوم فان جميع علماء الكيمياء متفقون على أنه لن ينتصف القرن الحاضر حتى يتمكن الانسان من استخراج الكثير من المعادن والعناصر القيمة من البحر كالذهب والفضة

والراديوم والحديد وهلم جرا . وقد كتب الاستاذ مدجلي نائب مدير شركة « ايثيل داو » الكيميائية الاميركية يقول : « لن ينقضي وقت طويل حتى يتقيأ البحر ما في جوفه من المعادن القيمة والكنوز التي لا تقدر بثمن . وليست طريقة استخراج الذهب من ماء البحر الآن مشكلة غامضة كما كانت في الماضي بل قد اصبحت حقيقة علمية سوف يجري عليها علماء الكيمياء في القريب العاجل »

مقاومة الانيميا

قلنا في أجزاء ماضية من الهلال إن مرض الانيميا الخبيثة أو فقر الدم يعالج اليوم بخلاصة الكبد . ومكتشف هذا العلاج ثلاثة اطباء اميركيين هم : الدكتور هيوبل من أطباء جامعة روتشستر . والدكتوران مينوت ومرفي من أساتذة جامعة هارفرد . وقد نال هؤلاء الثلاثة جائزة نوبل بسبب اكتشافهم هذا لانه يعتبر اعظم اكتشاف وفق اليه الطب في السنوات الاخيرة بعد اكتشاف الانسولين

وقد تطور هذا العلاج تطوراً سريعاً . فبعد أن كانت الانيميا الخبيثة تعالج باعطاء المريض كبد العجول أو البقر مطبوخة صارت تعطى بشكل خلاصة تباع في زجاجات مختومة . والآن صارت تعطى بشكل حقنة في العضلات مرة في الشهر ، وفي ذلك اقتصاد عظيم في النفقات التي يتحملها العليل

ميكروب الانفلونزا

تمكن ثلاثة من الاطباء الانجليز في السنة الماضية من عزل ميكروب الانفلونزا . وتقول مجلة «اللانست الطبية» في الجزء الصادر في ٢٠ اكتوبر الماضي ان هؤلاء الاطباء وهم الدكاترة اندروز وليدلو وويلسون سميث ، قد تمكنوا الآن من صنع مصل للشفاء من الانفلونزا مستعينين على صنعه بالخيل . وقد اختبر معهد روكفلر بولاية برنستون هذا المصل فثبتت له فائدته . والمظنون انه لن تمضي مدة طويلة حتى يعم استعمال هذا المصل

جسر هائل

يقوم المهندسون الاميركيون ببناء جسر هائل في كاليفورنيا سيكون من أعظم جسور العالم ، إذ سيبلغ مجموع نفقاته خمسة وثلاثين مليون دولار أي نحو سبعة ملايين جنيه . والعمال الذين يشتغلون ببناء هذا الجسر يلبسون خوذاً وكمامات كما يفعل الجنود في الحرب . فاما الخوذ فلاتقاء ما قد يقع على الرأس من حجارة في اثناء العمل . وأما الكمامات فلاتقاء غازات الرصاص اثناء العمل بين العوارض المعدنية

بولمان في الجو

ليست مركبات البولمان خاصة بالسكك الحديدية فقط ، بل هي توجد اليوم في كثير من الطيارات الفخمة المعدة لنقل الركاب في اوربا واميركا . وقد نشرت احدى الشركات الجوية الاميركية صور بعض طياراتها وما فيها من وسائل الراحة للركاب فاذا كل طيارة منها تحتوي على ست غرف للنوم تسمى غرف بولمان . وفي كل غرفة سريران يمكن تحويلهما في النهار الى مقاعد وثيرة . وهنالك كثير من وسائل التدفئة والتهوية والاغتسال وهلم جرا . ومتوسط سرعة هذه الطيارات مائة وستون ميلا أو نحو ٢٥٦ كيلو متراً في الساعة

كتب جديدة

البعثات العلمية

في عهد محمد على وعهدى عباس الاول وسعيد

لسمو الامير عمر طوسون

طبع بمطبعة صلاح الدين بالاسكندرية . صفحاته ٥٧٩

« . . . شكراً لك ياصديق مصر العامل بجد واخلاص لنفعها حتى كأنك نبراس رغباتى فى تمدين البلاد التى جعلنى الله على رأسها . إذ لم تنقطع عن اظهار ولائك بأدلة قاطعة . وهى تلك الجهود العظيمة التى تعانيها فى مراقبتك التلاميذ الذين أرسلتهم الى وطنك منذ سنين عدة . وقيامك حق القيام بتهذيبهم . ولقد عادل جدك تضحيتك . وانى وان لم أجد وسيلة الى الآن للتغلب على تمنعك الذى ليس له مصدر غير رقة طباعك ، أرجو رغبة فى إظهار ما يكنه فؤادى من قدر فضائلك العظيمة حق قدرها . ألا ترفض الهدية الصغيرة التى أقدمها لك ، ألا وهى علبة تبغ قد يكون لها قيمة فى نظرك عند ما تعلم أنى أنا الذى أهديتها اليك . وانى أؤكد لك أيها السيد أن هـــذه ليست مكافأة تليق بجهودك التى عادت على مصر بالفوائد الجليلة . بل هى تذكار صغير من أمير ساعدته على أن يسير بضع خطوات فى طريق تمدين الشعب الذى يحكمه . . . »

تلك بعض فقرات من خطاب أرسله محمد على باشا والى مصر فى ١٠ يناير سنة ١٨٣٥ م الى مسيو جومار رئيس البعثات المصرية التى أرسلها محمد على باشا الى أوربا . وهو يدل صراحة على أن الغرض الذى كان يرمى اليه هـذا الوالى العظيم لم يكن إلا تمدين الشعب المصرى ، واصلاحه وانشاء نهضة جديدة على مثال النهضة الأوربية المؤسسة على العلوم والفنون الحديثة ، ولم يكن غرضه خدمة الجيش الذى يعتمد عليه فى توطيد عرشه على نحو ما يذكره بعض المؤرخين حينما يعرضون لهذه البعثات التى أرسلها محمد على ، وينسبون كل غرض من تعليم أفرادها الى خدمة الجيش . ولا شك أن هذا الكتاب السمين (البعثات العلمية) الذى قام بتأليفه سمو الأمير عمر طوسون يجلو هذه الحقيقة التاريخية ، ويبين بايضاح وتفصيل الجهود التى بذلهـــا جده العظيم فى تأسيس النهضة العلمية والصناعية فى مصر بعد ما انحطت الصناعات والعلوم فيها بما اعتورها من الخطوب والأحداث . فأسس رحمه الله المدارس على الطريقة الحديثة . ثم رأى الحاجة داعية الى استخدام الاجانب فاستخدم فريقاً منهم . ولكن لما كان يرمى الى استقلال مصر العلمى ، وهو لا يقوم إلا بوجود أفراد من أبنائها ينهضون بهذا الاستقلال ويحملون علم النهضة ، فقد رأى أن يبعث البعوث الى البلاد الأوربية ، فبدأ حوالى سنة ١٣ بارسال بعثة الى ايطاليا لدرس فن الطبـــاعة والسفن الهندسية وغيرها . ثم تحول نظره الى فرنسا فأرسل اليها عدة بعوث ، كما أرسل غيرها الى النمسا وانجلترا ، فكان مجموع ما أرسله محمد على باشا سبع بعثات بلغ عدد أفرادها نحو

٣٩٩، ترجم سمو الأمير عمر طوسون فى كتابه لـ ٢٤٥ منهم . وقدر ما صرف على أفراد هذه البعثات بنحو ٨٧٩ جنيهاً ، واعتمد فى ذلك على أصدق المصادر ، وعلى أرجح ما يهدي اليه الاستنتاج العلمى . وقد وزع محمد على أفراد البعثات على دراسة فنون وعلوم مختلفة ، كالادارة الملكية ، والادارة الحربية ، والفنون العسكرية والسياسية ، والعلوم الميكانيكية والهندسة ، وصنع المعادن ، والعلوم الكيمياوية والطب ، والزراعة ، والتاريخ الطبيعى والمعادن والترجمة ، وفنون التجارة ، وصنع الصينى والفخار ، وبصم الشيت . والصياغة ، ونسج الاقمشة . والصباغة . والسراجة والنقش والدهان ، والأحذية ، والبنادق ، والطبنجات ، وانشاء السفن ، وصنع الساعات

ومن هذه البعثات السبع بعثة لتعلم علم الوكالة فى الدعاوى أى « المحاماة » . وقد أرسلت هذه البعثة الى فرنسا . وكانت تتألف من خمسة طلبة اختيروا من الازهر الشريف سنة ١٨٤٧ وقد نقل سمو الامير عمر ما جاء فى عدد الوقائع المصرية الصادر فى ذلك التاريخ عن هذه البعثة . وهو يدل على أن ارسالها كان تحقيقاً لرغبة ساكن الجنان محمد على باشا الكبير . غير أن سمو الامير لم يذكر لنا أسماء أعضاء هذه البعثة ولا ما آل اليه امرهم ، وهل نجحت فى مهمتها أو لا

وكل من يتصفح كتاب « البعثات العلمية » ويرى ما قام به محمد على باشا الكبير من إرسال هذه البعثات والعناية بها ، يعجب من همة هذا الوالى العظيم ورغبته فى تقدم مصر ورقيها من جميع النواحى العمرانية ، والحربية . وقد اسس فى باريس مدرسة خاصة بالبعثة الحربية سميت بالمدرسة المصرية الحربية جعلها تحت اشراف وزير الحربية الفرنسية . وقد أفاض المؤلف فى ذكر هذه المدرسة وبرنامجها ، وترجم لطلابها

أما البعثات التى ارسلت فى عهد عباس الاول فهى على ما حققه سمو الامير عمر طوسون ست بعثات تتألف أربع منها من ٢٩ عضواً

أما البعثتان الاخريان فاحداها أرسلت إلى فينا والأخرى الى برلين

وقد سكت كثير من المؤرخين عن حالة البعثات فى عهد سعيد باشا . وزعم بعضهم أن سعيدا لم يرسل بعوثاً . ومن هؤلاء السيد عبدالله نديم فى مجلة « الاستاذ » . ولكن مؤلف « البعثات العلمية » جلا الحقيقة التاريخية فى هذا الموضوع وأنصف جده سعيد باشا ، وساعدته المصادر الموثوق بها على اثبات أنه أرسل ثلاث بعثات علمية الى أوربا : اثنتين منها الى فرنسا ، والثالثة الى النمسا ، وكان عدد أعضائها ٤٨ عضواً ، ترجم لهم مؤلف الكتاب كما ترجم لغيرهم من أعضاء البعثات فى عهد محمد على وعهد عباس الاول تراجم تتراوح بين الايجاز والتطويل حسب المراجع التى اعتمد عليها . ونحن نأمل أن يوفى سمو الامير بما وعد به فى آخر هذا الكتاب النفيس من اصدار مؤلف آخر فى هذه البعثات لما بينها وبين تاريخ النهضة الحديثة من صلة وثيقة

شهيرات التونسيات

بقلم الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب

طبع بالمطبعة التونسية . صفحاته ١١٢

كل كتاب يتحدث عن تاريخ العرب ومجدهم وما أحدثوه من أثر حسن ، يجب أن نرحب به لأن فيه إحياء لذكرى عهود مجيدة يرتبط

بها التاريخ الحاضر للبلاد العربية أشد الارتباط . ولأن تيار الحضارة الحديثة يكاد يجتاح كل ما في الشرق من آثار الماضي وينسينا تاريخ أجدادنا ، وما حواه من أمثلة عليا في الشجاعة والاقدام واباء الضيم ، وتقديس الحرية والعدالة والنهوض بكل ما من شأنه أن يعلي شأن العرب ويجعلهم سادة الامم . وبهذه الأمثلة انتشرت الحضارة العربية ، وتغلغلت في المشرق والمغرب . وعاونت النساء في بناء هذه الحضارة ، وظهرت في كل قطر حلت به سيدات اشتهرن بالادب والفقه والشجاعة ، وحب الخير والاحسان . وقد اختص هذا الكتاب الذي نحن بصدده بالبحث عن النساء اللاتي اشتهرن في القطر التونسي منذ الفتح الاسلامي . وقسم بحثه الى ستة أدوار بدأها بالدور العربي وذكر لأول كل دور منها تاريخاً موجزاً ، ولخص حالة المرأة فيه تلخيصاً مفيداً ، وأتى بتاريخ من اشتهرن به من النساء العربيات والمستعربات والبربريات أيضاً كدهيا بنت ثابت الكاهنة ، وقد رأست قبائل البربر في المغرب الاوسط ، وحاربت حسان بن النعمان الغساني قائد عبد الملك بن مروان . ومما ذكره مؤلف الكتاب عن النساء التونسيات ويدل على كرامة النفس والشهامة : أن زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب ثار عليه زعيم من زعماء جيشه هو عامر بن نافع ، وأقسمت أخت عامر اذا انتصر أخوها على زيادة وانتزع منه الملك لتلزمن « جلاجل » ام زيادة الله بطبخ قدر من الفول لها . فبلغ زيادة هذا القسم ، فلما انتصر على عامر بن نافع أمر بعض خدمه بارسال قدر من الفول الى أخته وأسر الى الجارية التي أرسلها به ان تبلغها عن لسان أمه هذه الكلمات :

— إن مولاتي تقرئك السلام وتبعث اليك بهذه القدر لتكوني بارة في يمينك

فاجابت أخت عامر : « قولي لمولاتك إن لها الامر اليوم . فلتفعل ما تريد » .

ولم تكن « جلاجل » تعلم بذلك ، فلما بلغها دعت ابنها زيادة الله ، وقالت له : « لقد ساءني يا بني ما فعلته مع أخت عامر ، لأن اظهار العظمة عند المقدرة ليس من شيم الكرام . وكان عليك أن تغض الطرف ، وتفعل خلاف ما فعلت ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من كظم غيظا يقدر على انفاذه ملأه الله أمناً وايماناً الى يوم القيامة » .

ذلك مثل حسن يدل حقاً على شهامة هذه السيدة وكرم نفسها . وهناك أمثلة كثيرة من الفضيلة والاخلاق الكريمة التي عرفت في هؤلاء الشهيرات اللاتي تحدث عنهن المؤلف . وقد أتى بتاريخ جماعة من بعض الاديبات اللاتي نشأن في تونس أو نزلنها كالشريفة عائشة ، وهي شاعرة رقيقة ، ولها مداعبات شعرية فكهة منها أن رجلا من الاشراف خطبها وكان أصلع ، فلم تقبله زوجاً وقالت فيه :

عذيري من عاشق أصلع ... قبيح الاشارة والمنزع
يروم الزواج بما لو أتى ... يروم به الصفع لم يصفع
برأس حويج الى كية ... ووجه فقير الى برقع

وفي الكتاب حديث عن بعض النساء اللاتي لم يشتهرن إلا لأنهن من حفيدات الصحابة أو بنات الامراء والرؤساء . ومهما يكن فقد استطاع المؤلف أن يعطينا صورة حسنة عن المرأة التونسية في مختلف الادوار التي مرت بها

الثعابين

الدكتور حسين فرج زين الدين

طبع بمطبعة صادق بالمنيا . صفحاته ١٠٦

تبلغ أنواع الثعابين نحو ١٧٠٠ نوع موزعة فى انحاء العالم ولا سيما البلاد الشرقية كالهند ومصر . وقد جاء ذكر الثعابين المصرية فى القرآن الكريم . ومع ان فى مصر غير نوع واحد منها ، أوجز الكلام عنها المؤلفون ولم يخصها بالبحث غير الكاتب الانجليزى «اندرسن» ، فقد الف كتاباً خاصاً بالثعابين المصرية تناولها فيه من الناحية الوصفية . ولهذا قام الدكتور حسين فرج زين الدين الحائز على شهادة الدكتوراه فى التاريخ الطبيعى من جامعة فينا وعضو الجمعية الملكية لعلم الحيوان بلندن ، بتأليف هذا الكتاب عن الثعابين عامة والانواع المصرية منها خاصة ، فتوفر على البحث مدة طويلة فى حدائق الحيوانات ، وبين فى كتابه انواع الحيات واشكالها وعلاقتها بالانسان وما يتعلق بها من النواحى التشريحية والفسيولوجية والتوزيع الجغرافى ، وتكلم عن عضلاتها وحركاتها واسنانها وانسلاخها ودورتها الدموية وغذائها وطرق معيشتها وتناسلها وغددها السامة ، وبحث فى السم وأنواعه واعراض التسمم والمصل فى علاج الملدوغين ، وأثبت خطأ النظرية القائلة بوجود ثعابين غير سامة ، بل إنها كلها سامة وإنما تختلف درجة سموها باختلاف النوع والجنس والعمر والحجم والاسنان ، ووضح كل ما تحدث عنه من وصف وتشريح لاجسام الثعابين بالرسم والتصوير

وربما كان من المفيد ان ننقل هنا بعض ما جاء فى هذا الكتاب القيم عن علاج لدغ الثعابين . قال :

« ... أما العلاج الحديث ، فينبغى ان يسير وفق ما يأتى :

« ١ - أن يوقف انتشار السم فى الجسم بحصره فى منطقة الجرح . وذلك بربط الجزء الاعلى لمكان الاصابة ربطاً محكما

« ٢ - العمل لابعاد السم . وذلك بتشريح الجرح لتسيل منه اكبر كمية من الدم المسموم ، كما يجب ان يوضع على الجرح بعض من ماء الكلور أو محلول برمنجنات البوتاسيوم المركز

« ٣ - لابد من الالتجاء فوراً الى المصل الشافى فى حالة تسرب السم فى اجزاء الجسم

« ٤ - اعطاء المصاب مادة مدفئة كالشاى والكونياك

« ٥ - اراحة المصاب وتدفئته باغطية »

وقد ذكر المؤلف عدة حقائق فسيولوجية لهذا الحيوان كشف عنها بحثه الطويل . وكانت غامضة أو مجهولة ، ووفق بالغرض المقصود من وضع هذا الكتاب . واذا كانت لنا كلمة نقولها ، فانها هى كلمة الثناء على هذا المجهود الذى بذله المؤلف حتى جعله مشوقاً لكل قارىء ، مفيداً للباحث وغير الباحث من المتعلمين

علم قياس المثلثات

تأليف الاستاذ توفيق علوش

طبع بمطبعة السلامة بحمص . صفحاته ٢١٦

للعلوم الحسابية فوائد عملية غير هذه الفوائد التى يجنيها الذهن الانسانى من ممارستها الرياضية . ففى كثير منها عدة تطبيقات يستخدمها المتعلم فى حياته الاجتماعية . ولا شك أن علم حساب المثلثات من أهم العلوم الرياضية التى يحتاج اليها المهندس والفلكى والجغرافى . وما ظنك بعلم يستطيع به الانسان أن يقيس المســافات

الكبيرة دون أن يقطعها ، وأن يقيس ارتفاع الجبال دون أن يصعدها ، وأن يعرف المسافة بين الارض وبين أى جرم من الاجرام السماوية وهو لم يبرح مكانه ؟

وقد عنى الاستاذ توفيق علوش بتأليف هذا الكتاب لفوائده الجمة ، ولندرة التأليف فيه باللغة العربية . وقد قال : « لقد توخينا التسهيل فى كل ما كتبناه متبعين أحسن الاساليب المؤدية الى مايراد بوضوح ، وحرصنا على تبيان أبسط أجزاء العمليات وارجعنا الى الفقرات المتقدمة فى الاماكن التى أوجسنا فيها خشية من نسيان الدارس ـ فعلنا ذلك تسهيلا على المدرسين مهمتهم التعليمية ، ولكى تعين المطالعين اعانة تغنيهم عن ارشادات المعلم ان كان لهم المام ولو زهيد بالعمليات الحسابية أو الجبرية مع بعض التوجه نحو الرياضية . ثم إننا ذيلنا كل درس بعدد من التمارين التى تثبته فى الذهن وتزيده رسوخاً . وأشبعنا المسائل درسا وتمحيصاً ، وتوسعنا فيها توسعاً يرضى المتعطش ، واكثرنا من الاشكال والرسوم ونماذج الحلول . ولقد اجتهدنا فى وضع طرائق وتوضيحات سهلة التناول فيما ظهرت صعوبته توصلا الى غايتنا المنشودة وهى السعى جهد المستطاع فى تعميم ونشر العلم »

كتب أخرى

* « الغذاء والمطبخ » هو الجزء الثالث من كتاب الغذاء والمطبخ والمائدة . وبه تنتهى سلسلة الطبخ الحديث . وهى سلسلة تفيد ربة المنزل فى أهم ناحية من نواحى التدبير المنزلى . وقد تحدثت فى هذا الجزء مؤلفته المربية الفاضلة بسيمة زكى ابراهيم ، عن طريقة طعام الطفل ، وطريقة عمل المربيات والفواكه والاطعمة النباتية والاطعمة الصحية ، وأطعمة المرضى بالسكر . طبع بمطبعة وديع ابو فاضل بشارع ابراهيم باشا بالقاهرة . صفحاته ١٧٨

* « أدولف هتلر زعيم الاشتراكية » ، كتاب قيم يحتوى على خلاصة وافية لتاريخ ألمانيا الحديث وتاريخ زعيمها هتلر ، وما يقوم به من أعمال . وقد تناول بين ذلك حزب العمال الوطنى الاشتراكى والثورة الالمانية الوطنية ، والشيوعية فى المانيا . بقلم الاديب الفاضل احمد محمود الساداتى الموظف بدار الكتب . طبع بالمطبعة الرحمانية بالقاهرة . صفحاته ١٦٦

* « سر الحرف فى قراءة الكف » ، هو كتاب طريف فى علم قراءة الكف ، وهو علم يكشف عن كثير من الاخلاق والعادات التى تنطق بها خطوط كف الانسان وهيئتها وشكل أصابعها . وقد قام بتأليفه الاستاذ السيد محمد محمد الحريرى السكرتير بالنيابة العمومية سابقاً . طبع بمطبعة المعاهد بجوار قسم الجمالية بالقاهرة . صفحاته ١٠٠

* «أسرار المراهقة» كتاب صحى اجتماعى نفيس يبحث فى شؤون دور البلوغ فى الفتى . وقد وضعه مؤلفه الدكتور شخاشيرى فى شكل محاورات بين أب طبيب وابنه . طبع بالمطبعة العصرية بالقاهرة . صفحاته ١٤٧

* « تحت راية فيصل » رواية غرامية وطنية تاريخية لطيفة . تأليف الكاتبة الفاضلة منيرة طلعت . صفحاتها ٦٠ وتطلب من المؤلفة بشارع ممتاز نمرة ٥ بأول شارع محمد على بالقاهرة

بين الهلال وقرائه

عدد عظام الجسم

(القاهرة ـ مصر) يسرى الجيزاوي

كم عدد العظام التي يتألف منها جسم الانسان ؟

(الهلال) يتألف جسم الانسان من مائتي عظم وستة عظام ومن جملتها ثلاثة عظام في كل من الاذنين وعظم الصدر ، وهو في الحقيقة ثلاثة عظام

شعر الجسم

(القاهرة ـ مصر) ومنه

لماذا ينمو الشعر كثيفاً على الرأس ولا يوجد الا خفيفاً جداً على سائر أجزاء الجسم ؟

(الهلال) يقول علماء النشوء والارتقاء ان الانسان كان في أوائل أطوار نشوئه اشعر الجسم يكسوه الشعر من رأسه الى قدميه كالقرد . وقد جهزته الطبيعة بهذا الشعر ـ كما جهزت غيره من الحيوانات ـ لتقيه البرد . وبمرور الزمن اعتاد لبس الثياب للوقاية من البرد فلم تبق به حاجة الى الشعر . ففقده بالتدريج بسبب عدم الاستعمال كما فقد كثيراً من أعضاء جسمه بسبب عدم استعمالها . أما رأسه فلم يستعمل له غطاء للوقاية من البرد الا بعد اعتياده لبس الثياب بزمن طويل ولذلك سيستغرق زوال شعر رأسه زمناً أطول مما استغرقه زوال شعر جسمه

الخوف من الظلام

(طنطا ـ مصر) أحد المشتركين

لماذا يخشى الاولاد الصغار الظلام ؟

(الهلال) هذا الخوف وراثي في الانسان منذ كان يسكن الكهوف والمغارات . وكان يومئذ يخشى الخروج من الكهف أو المغارة في الليل لئلا يفاجئه وحش مفترس وهو لا يستطيع ان يبصره فيهرب منه . وقد ترك هذا الخوف أثراً في نفسه بقى ملازماً له حتى الآن. والارجح انه سيظل ملازماً له زمناً طويلا

وهنالك رأى آخر هو ان هذا الخوف غريزي في الانسان وهو رمز الى جهل الانسان لما وراء ظلمة الموت

أريج الازهار

(بيروت ـ لبنان) متري جبر

لماذا جعلت الطبيعة اريجاً ذكياً لبعض الازهار ورائحة كريهة لغيرها وتركت بعض الازهار الاخرى بلا رائحة بتاتاً ؟

(الهلال) ليس في العالم النباتي زهرة بلا رائحة . وانما قد تكون هذه الرائحة قوية أو ذكية في بعض الازهار وكريهة أو ضعيفة في البعض الآخر. وضعفها هذا هو السبب في توهمكم ان بعض الازهار لا رائحة لها . أما كون بعضها ذات أريج عطر فالحكمة فيه اجتذاب النحل وحمله على التنقل من زهرة الى زهرة فيتم بذلك تلقيحه ويحفظ نوعه . أما الحكمة في كون بعض الازهار ذات رائحة كريهة فلكون هذه الرائحة لازمة لابعاد الحشرات أو الهوام المؤذية لئلا ينقرض نوعه مع لزومه للانسان أو للحيوان

الرائحة

(بيروت ـ لبنان) ومنه

ما هي الرائحة وكيف تؤثر في الانسان ؟

(الهلال) في بعض الازهار أو النبات أو المواد الاخرى خلايا فيها مادة كيماوية طيارة . وهذه المادة الطيارة هي عبارة عن خلايا مكرسكوبية لا تمكن رؤيتها حتى بالمكرسكوب . وهي إذا وقعت على غشاء الانف أثرت فيه تأثيراً معيناً تنقله الاعصاب الى الدماغ . ولما كان تركيب الخلايا المذكورة يختلف باختلاف المواد التي تنبعث عنها فانها تحدث عند وقوعها على غشاء الانف تأثيرات مختلفة هي قوام الرائحة

حيوان بيوض

(ملبورن ـ اوستراليا) أحد المشتركين

يوجد في هذه البلاد حيوان بيوض يسمى « بلاتيبوس » . فهل يوجد في العالم حيوانات أخرى بيض (أى تبيض) غير الطيور ؟

(الهلال) الحيوان الذى تشيرون اليه هو الحيوان الوحيد الباقي من نوعه في العالم . ولهذا الحيوان منقارشبيه بمنقار البط . وقدكان في العالم في العصور الجيولوجية الماضية حيوانات كثيرة تبيض وقد انقرضت جميعها ولم يبق منها الا الحيوان البلاتيبوس المذكور

أول مستعمرة بريطانية

(ملبورن ـ اوستراليا) ومنه

ما هي أول مستعمرة امتلكتها بريطانيا العظمى ومتى امتلكتها ؟

(الهلال) الارجح ان أول مستعمرة امتلكتها بريطانيا العظمى هي جزائر برمودا الواقعة الى الشمال الشرقي من جزائر الانتيل في الاوقيانوس الاتلانتيكي وقد استولت عليها انجلترا في سنة ١٦٠٩

أشجار السكويا

(كاليفورنيا ـ الولايات المتحدة) جورجي نخله

في هذه البلاد أشجار عظيمة تسمى سكويا يزيد ارتفاع بعضها على مائتي قدم وخمسين قدماً ، ويقال ان بعضها يعمر الفي سنة . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) نعم هو صحيح . وقد اطلعنا أخيراً في احدى المجلات العلمية الاميركية على صورة شجرة من هذا النوع يقدر عمرها بنحو الفي سنة ، وقد أدركتها الشيخوخة فسقطت على الارض ، ويظهر انه كان في قاعدتها شبه مغارة كانت تستعمل اسطبلا للمركبات عندما كانت هذه المركبات الوسيلة الوحيدة للانتقال من بلد الى بلد

لغة الضاد

(ليما ـ سان باولو ـ البرازيل) ميخائيل مراد

لماذا تسمى اللغة العربية لغة الضاد ولا تنسب الى حرف آخر كالعين أو غيرها من الاحرف التي لا مقابل لها في اللغات الاخرى ؟

(الهلال) لجميع أحرف اللغة العربية ـ ماعدا الضاد ـ أحرف تقابلها في اللغات الاخرى . فالحاء والخاء والعين والغين لها ما يقابلها في اللغات السامية وغيرها ولا سيما الارامية (السريانية) وشقيقاتها . أما الضاد فيقال إنها للعرب خاصة وليس لها حرف يقابلها في سائر اللغات السامية . ولكن لها مايقابلها في لغات الاوربيين

سجل

(ليما ـ سان باولو ـ البرازيل) ومنه

هل كلمة سجل عربية أم دخيلة ؟

(الهلال) كلمة سجل مثبتة في جميع معجمات اللغة القديمة والحديثة. وليس في أحدها نص صريح على كونها معربة ولكن لا يبعد ان تكون كذلك

الوطواط والبصر

(بغداد ـ العراق) سليمان الحسيني

كيف يطير الوطواط في الليل ولا يصدم شيئاً في طريقه ؟

(الهلال) لا نعرف كيف يتسنى له ذلك تماما فطيران الوطاويط من المسائل التي لم يوفق العلم الى ادراكها حتى الآن . ومن المحتمل ان تكون للوطاويط حاسة غير الحواس الخمس التي للانسان تساعدها على الطيران ، ويظن فريق من العلماء ان آذانها دقيقة الاحساس جداً تسمع بها الاصداء المنعكسة من جدران الابنية أو الاشجار أو ما الى ذلك

هذا والوطواط هو آخر المخلوقات الطائرة التي ظهرت على سطح الكرة الارضية (اذا استثنينا الانسان) وقدكانت الهوام أول تلك المخلوقات ثم جاءت بعدها المخلوقات المعروفة علمياً باسم « بتيرو داكتيل » أو التنانين الطيارة . وكانت توجد بكثرة في جو الكرة الارضية وانقرضت منذ الملايين من السنين . وجاءت بعدها الطيور على اختلاف اشكالها ثم الوطاويط

النفتالين

(بغداد ـ العراق) ومنه

هل النفتالين يقتل العث ؟

(الهلال) النفتالين لا يقتل العث ولكن العث يكره رائحته ويهرب منه

الرجم المتساقطة

(بغداد ـ العراق) ومنه

قرأنا في بعض الصحف ان رجماً تساقطت في الأزمنة الغابرة في سيبريا وأميركا وفي أماكن أخرى وان هذه الرجم تتساقط على الكرة الارضية باستمرار . فاذا كان هذا صحيحاً أفليس في تساقطها خطر على الناس والبهائم ؟

(الهلال) ان ما يقع من تلك الرجم على سطح الكرة الارضية قليل جداً لا يؤبه له لان أكثر الرجم تتساقط في الفضاء وتحترق من شدة احتكاكها بالهواء وتتلاشى قبل ان تصل الى الارض . ثم ان ما يصل منها الى سطح الكرة الارضية يسقط على الارجح في البحار اذ لا يخفى ان ثلاثة أرباع سطح الكرة الارضية هي بحار والربع الباقي يابسة . ولا شك انه اذا سقط شيء من الرجم على الانسان أو الحيوان قتله في الحال مهما كانت تلك الرجم صغيرة

حرارة الجو

(بيروت ـ لبنان) ن . م

لماذا يكون الهواء بارداً على رءوس الجبال وفي الاماكن العالية أكثر منه في السهول والاماكن المنخفضة مع ان قنن الجبال والمرتفعات أقرب الى الشمس ؟

(الهلال) ان الهواء المحيط بالكرة الارضية « يقتنص » حرارة الاشعة « ويمتزج بها » ولا يدعها تفلت منه بسهولة . ولما كان هذا الهواء اكثف في الاماكن المنخفضة منه في الاماكن المرتفعة وهو لطيف جداً على قنن الجبال فان الحرارة التي « يقتنصها » من أشعة الشمس هنالك تكون قليلة جداً

أوفر العناصر في الارض

(بيروت ـ لبنان) ومنه

ما هو أوفر العناصر الموجودة في قشرة الارض وفي الجو المحيط بالكرة ؟

(الهلال) هو غاز الاوكسجين وهو وافر جداً في الصخور والمواد التي تتألف منها القشرة . والارجح ان نصف تلك الصخور والمواد هو من الاوكسجين

أما اذا نظرنا الى تركيب الكرة الارضية بوجه الاجمال من قشرتها الى نواتها فالارجح ان الحديد هو العنصر السائد فيها ولكن ليس لدينا وسيلة لاثبات ذلك علمياً

كهربائية الجسم

(بيروت ـ لبنان) ومنه

أصحيح ان جسم الانسان هو بطارية كهربائية يولد تياراً كهربائياً ؟

(الهلال) يقول العلماء ان عمل الاعصاب هو كهربائي وان جسم الانسان ينتج تياراً كهربائياً حقيقياً ، ولكن هذا التيار ضعيف جداً لا نشعر به ، وانما يمكن ضبطه وقياسه بآلات علمية دقيقة . والتيار الكهربائي الذي ينشأ في جسم الانسان يسمى الكهربائية الحيوانية ، وما يزال من الاسرار المستغلقة على العلماء . وهذا ما يحمل الكثيرين على القول ان الحياة هي الكهربائية لا بالمعنى المجازي بل بالمعنى الحرفي ، وان الموت هو انقطاع ذلك التيار ، على ان هنالك أموراً يصعب تعليلها بمقتضى هذه النظرية ولا يتسع لها هذا المجال

قشرة الرأس

(ادلب ـ حلب) حبيب مدني

ما هي أسباب ظهور القشرة في الرأس (الهبرية) وبماذا نعالجها ؟

(الهلال) كثيراً ما تظهر هذه القشرة على أثر طفح جلدي كالجدري أو على أثر بعض الحميات كالحمى القرمزية . وأحسن وسيلة للخلاص منها هي

غسل الرأس يومياً بصابون مطهر كصابون الفنيك أو غيره الى ان تزول القشرة تماما

امراض الاسنان

(ادلب — حلب) ومنه

يشكو هذا الجيل اجالا آلام الاسنان . اهل هنالك وسائل ناجعة لجعل الاسنان بمأمن من الامراض ؟

(الهلال) يظهر ان أمراض الاسنان من جملة الامور التي تصحب المدنية . ولا شك ان هذه الامراض كانت في عصور الانسان الاولى أبسط وأقل مما هي الآن ، وانما زادت وتعقدت بتطور الحضارة . وهنالك مايحمل على الاعتقاد ان في مقدمة أسباب أمراض الاسنان بوجه الاجمال نوع الغذاء الذي يتناوله الانسان . فبعض المواد الغذائية يكثر فيها الفيتامين الذي يبني عظام الاسنان ويقويها وبعضها يصعب هضمها ، وقد ثبت ان بين عملية الهضم وحالة المعدة من جهة وصحة الاسنان من جهة أخرى علاقة متينة . أضف الى ذلك ان نظافة الاسنان من أهم أسباب صحتها وقوتها ، وان ترك بقايا المواد الغذائية بينها مما يربي البكتيريا والجراثيم التي تفسد الاسنان بسببها . والارجح انه اذا عني الانسان بمعدته العناية اللازمة وحرص على نظافة أسنانه أمن الكثير من الامراض التي تنتابها . كما ان تنظيم الغذاء والاكتفاء بمواد غذائية معينة وعدم الجمع بين الحار والبارد وبين الحلو والمر وغير ذلك من المتناقضات مما يحفظ للاسنان صحتها

الامساك

(ادلب — حلب) ومنه

ما هي أسباب الامساك وهل في الامكان الخلاص منه من دون الاستعانة بالادوية والعقاقير ؟

(الهلال) قد يكون الامساك ناشئاً عن اسباب عرضية طارئة كتناول بعض المواد الغذائية القابضة أو عن نظام المعيشة . فالذين تقضي عليهم طبيعة أعمالهم بعدم الحركة مثلا يصابون غالباً بالامساك ، وكذلك الذين يعيشون عيشة غير منتظمة . والارجح ان نسبة المصابين بالامساك هي أكبر بين سكان الموانىء البحرية منها بين البعيدين عن سواحل البحار ، لان هواء البحر يساعد عادة على الامساك . أما معالجة هذا المرض فتختلف باختلاف أسبابه . فاذا كانت طارئة فالعقاقير العشبية الملينة تكفي لازالته . واذا كانت طبيعية وجب تغيير نظام المعيشة كله والاكثار من الحركة والرياضة ومن أكل البقول المطبوخة مع الابتعاد عن اللحوم بقدر الامكان . وعلى كل يجدر بالمصاب بالامساك المزمن ان يستشير الاطباء الاخصائيين

كرة القدم

(الاسكندرية — مصر) أحد القراء

من استنبط اللعبة المعروفة بكرة القدم أو الفوتبول ؟

(الهلال) لا يعرف أصل هذه اللعبة تماما . والارجح انها نشأت في أواخر العصور المتوسطة وكانت تختلف عن اللعبة الحالية من عدة وجوه . وفي كتاب لمؤلف انجليزي يدعى جوزيف سترات ويرجع الى سنة ١٨٠١ : « ان لعبة الفوتبول كانت شائعة منذ أزمنة بعيدة بين العامة وقد انحطت في الازمنة الاخيرة وأصبحت نادرة لا تمارس الا قليلا » . ويؤخذ من وصف المؤلف لهذه اللعبة انها كانت تجري بين فريقين من اللاعبين في ميدان يختلف طوله من ثمانين ياردا الى مائة يارد، وفي كل طرف من طرفيه « مأتى » (جول) يحاول كل من الفريقين ان يدفع الكرة اليه . ويكثر في هذه اللعبة الرفس والركل . . . الى آخر ما جاء في كتاب جوزيف سترات المذكور من وصف هذه اللعبة

ويؤخذ من أقوال المؤرخين ان لعبة كرة القدم لم تنتظم الا في منتصف القرن التاسع عشر اذ وضعت لها قيود وروابط دقيقة وأقيمت الفروق المميزة بين النوع المعروف « بالرجبي » والنوع المعروف « بالاسوشياشن » أو الاتحادي

ابن العم زكي باشا

خطبة الدكتور عبد الرحمن شهبندر

في ١٨ يناير الماضي اقيمت حفلة تأبين جامعة للمرحوم أحمد زكي باشا تحت رياسة وزير المعارف المصرية نجيب الهلالي بك . وقد أم هذه الحفلة جمهور كبير من العظماء والكبراء ورجال العلم والادب ، واشترك في تأبينه طائفة من العلماء والادباء في مصر والاقطار العربية . وقد القى الزعيم السوري الكبير عبدالرحمن شهبندر هذه الخطبة النفيسة التي خص بها الهلال . وقد حلل فيها الفكرة الاقليمية تحليلا دقيقاً

ما أتيت إلى هنا لأبكي العلم ، فالعلماء — وإن قلوا — هم في الآفاق منتشرون ، ولا لأندب التاريخ ، فالمؤرخون — وإن شق عملهم — هم في تتبعهم منهمكون ، ولا لأسكب ماء الشؤون على الأدب ، فالأدباء — وإن ندر المجيد منهم — هم في الخيال سابحون ، ولا لأتوجع على الكرم ، فبيوت الكرماء — وإن شط مزارها — هي مفتحة الأبواب ، ولكني أتيت لاستنزف الدم من جفني وأستنزل شآبيب الرحمة على القرابة الصميمة التي فجعت بها ، وأواصر النسب اللحح التي انصرمت عنها . إنني أتيت إلى هنا لأندب العروبة بموت شيخها ابن العم أحمد زكي باشا

من فقد والداً أو فقد أخاً أو فقد ابناً لا يتضعضع للعلم والأدب والكرم الذي توارى تحت التراب بموته بقدر ما يلتاع فؤاده للعاطفة الملتهبة التي خمدت والحب المتأجج الذي انطفأ والقلب المتسع الذي انهدم ، فهو يتيم أو موتور أو ثاكل يفكر في نهاره أين يقضيه ، وفي ليله أين يمضيه لا لأن بيوت المواساة والكرم قد أغلقت ، بل لأن البيت الذي ينشده هو البيت الذي يبكي لبكائه ويفرح لفرحه ويهتز للعاصفة التي تهدده في حوزته وبنائه

في مصر بيوت كثيرة أضخم من بيت الفقيد العزيز ، وأبوابها أكبر من بابه وفناؤها أوسع من فنائه وأثاثها ورياشها أنخر من أثاثه ورياشه ، ولكننا لا نعرف في مصر بيتاً يتسع للعروبة أكثر من بيته ولا تتفتح أبوابه للطارق كما تتفتح للطارق من أبناء العروبة

القصور الشاهقة التي لا يشع فيها نور الحياة وإن عظمت هي سجون مظلمة . والسجون المظلمة التي ينتشر فيها أرج الحب وإن ضاقت هي قصور شاهقة ، وإنني ما ذقت قط طعم

الحياة فى عمرى كما ذقته في السجن لأنى كنت أعيش على الامل ، ولا شعرت بالانس مثلما شعرت به في عزلة القلاع لانني كنت أتخيل مجلس الاصحاب ، ولا تمتعت باللقاء كما تمتعت به في المنفى لان أرواح الاحبة كانت مثل أمواج الكهرباء لا تحول دون وصولها إلى الجبال مهما شمخت ولا الوهاد مهما بعدت وأقفرت

ليت شعرى : ماذا على المرء أن يوضع فى السجن إذا كانت روحه تنتشر في الآفاق ؟ أو أن يحصر فى حجيرة ضيقة إذا كان قلبه ينبض بأمواج الحياة ؟ أو أن يلقى في الزندان إذا كانت عواطفه تهب مع أعاصير الانقلابات ؟ أليس الموت هو انقطاع الشعور كما هو انقطاع الحركة ؟ بل هل يكون ميتاً فى اللحد من ترك وراءه عاصفة من شعور وانفعال ؟

ليس من الضرورى في شرع القرابة الوطنية المقدسة أن يكون والد احمد زكي باشا والدنا أو عمنا أو خالنا بصلة الرحم ، لان هذه القرابة لا تحتاج إلى الاصلاب ولا الارحام ، فالتركية والشركسية والكرجية والتترية قد انصهرت في بوتقة الثقافة المصرية العربية حتى صارت منها في الصميم من غير أن تمت اليها بأصل فرعونى ، بل لو أن امرأتين حاملين الواحدة سورية عربية والاخرى ايطالية لاتينية ولدتا في يوم واحد فى مستشفى واحد مولودين ذكرين ، فاخطأت القابلة فوضعت في حجر الايطالية المولود السوري وفي حجر السورية المولود الايطالى ، فاللبن من ثدييهما يدر كالعادة ومتى كبر المولود السورى وترعرع يفخر بابويه الايطاليين وبايطاليا وبقيصر وبالفورم والكابيتول، كما يفخر المولود الايطالى بوالديه السوريين وبسورية وبالزباء وبتدمر وبهيكل الشمس

لكننى رأيت فى بعض بلدان العالم العربى أناساً قد أفرطوا فى اقليميتهم فلو استطاعوا لقطعوا كل صلة لهم بالقريب وبالجار ، وقد غالوا بخصائصهم المحلية فلو تمكنوا لانقطعوا في رأس « صنين » أو انزووا في جوف هرم من الاهرام باسم الوطنية الموضعية الصلبة التي لاتلين . لقد هاموا بحب الجماد أو الاعصر السحيقة البائدة وتناسوا العصر الحى الذى يعيشون فيه ، وفضلوا قمة مكسوة بالثلج أو صخرة منقوشة بالحروف الميتة ، على قلب ينبض بالافكار الحية ، إنهم يحاولون أن يمروا من سم الخياط ليعيشوا فى الوكر ، ولكن الراحل الذى اجتمعنا لاحياء ذكراه أبت نفسه الطامحة الوثابة إلا الولوج من الرتاج ليستقر في القصر - فهو كبير والوطن الذى ينشده كبير مثله - هذا الوطن هو بلاد العرب جميعاً

إنه لم يمت ميتة المبتور ، ولا انقطع ذكره بانقطاع الذرارى . ففي الشام لهولد وفي العراق

وفى الحجاز وفي اليمن . وتقام له المآتم فى مصر كما تقام له فى المغرب الاقصى ويجهش أصحابها بالبكاء لانه :

عمت مآثره فعم مصابه   في كل دارٍ رنة وزفير

المجتمع في أصح مظاهره هو رابطة معنوية واتصال فى الثقافة المشتركة تحدث فى نفس المثقفين بها فكرة معينة ورأياً خاصاً ، فيقال مذهب شرقي ومذهب غربي ، ثقافة جرمانية وثقافة لاتينية ، وغير ذلك من الالفاظ المنتشرة للدلالة على أن الجماعة الواحدة تحدها المعنويات في نطاق من التربية الخاصة كما يحدها السور أو النهر أو الجبل . ومن مصائب الثقافة العربية أن يكون لها من أبنائها في مختلف الاصقاع والبقاع نفر يدعو الى التشتت والتبلبل فى عصر امتاز على سائر العصور بالسعي الكلي للتعاون والتجمهر على أساس الثقافة الشاملة . فما بالنا وقد اجتمعت جهود التاريخ الجبارة وتعاونت عوامل التجانس القهارة لجعلنا وحدة حلقية كبيرة شاملة يفكر أحد منا في تقطيع الاوصال وبتر اواصر الالتحام وقطع علائق الارتباط ؟

رأت سورية في ثورتها الاخيرة المشرفة كل عطف من الاقطار الشقيقة العربية التى لم تطق أن تراها ترسف في العبودية ، ولكن على التحقيق كان احمد زكي باشا في مقدمة المبين من بعد تلك الصيحة العالية الغالية التى صاحها سعد زعيم مصر الخالد . فلو أن مصر في أظلم ساعاتها وأدق اوقاتها أعلنت النفير العام وصاحت : «حي على الجهاد» ما كان اهتمام شيخ العروبة بالتلبية يربي كثيراً على ما رأيناه من اهتمامه بالمجاهدين منا ، انه كان يرى العالم العربي وحدة ويرى الظلم وحدة تحيق بأصيب العربي في حريته وهى أعز تراثه وثب المرحوم وثبة الاسد للدفاع عنه بماله وقلمه وراحته وسائر ما يملك . وكانت رسائله الينا في ميادين الجهاد برداً وسلاماً تخفف عن أبنائنا لفحة نار الحرب وتزيدهم نشاطاً وإقداماً ، وكانت تبرق أسارير وجهه لكل انتصار يحرزه المجاهدون ، ويصغى بكل انتباه إلى التقارير المفصلة التى كنا نبعث بها ، ولا سيا البيانات الدالة على قلة خسائرنا وفداحتها فى أعدائنا . كان يفعل ذلك لا شماتة وحباً بسفك الدماء بل انتصارا لابناء العم وفرحاً باقتراب الساعة التى يحققون فيها أمنيتهم الغالية ، والرجل الشريف تظهر شيمته في تأييده الاحرار في كفاحهم لانقاذ أنفسهم كما تظهر في جهاده الذاتي لاجل حريته الشخصية. وكان مثله الأعلى في الحياة أنه إذا كتب علينا ألا نخوض المعركة على أرجلنا لتحرير أنفسنا فالشرف يقضى علينا ان نمد يد المساعدة للمجاهدين من اهلنا . وان من اراد ان يدفع الضيم عن نفسه فليدفعه عن ابناء عمه ايضا ، وان السلامة لن تكتب لامة يفر أبناؤها من تحمل

التبعة المشتركة بما يتوهمونه من نجاح موضعي يتمتعون به مؤقتاً . فكما تكون أمتكم تكونون أنتم وكما يحكم على مصيرها يحكم عليكم وعلى مصيركم .

سيداتي وسادتي :

إن حبنا للراحل الكريم ليس حبا قائما على الجمال، فيبلى . ولا على المصلحة ، فيقضي . ولا على الاصلاب والارحام ، فيفنى . وانما هو قائم على ارتباط الارواح بالارواح واتصال العقول بالعقول لبلوغ غاية سامية عامة فيها رفع اللعنة عن عشرات الملايين من البشر . وقد أتينا الى هنا لنبكي فيه كل انواع القرابة لنبكي فيه الخؤولة والعمومة ، كما نبكي الاخوة والابوة

لقد مات احمد زكي باشا وقد تموت معه الفلسفة التي قال بها والمنطق الذي عني به والصناعة الادبية التي مارسها ، ولكن حبه في قلوب العرب حي لن يموت . واسمحوا لي وانا واقف بجانب صورته أن اذكر عهده وأتخيل أيامه وابثه ما في اعماق قلبي من اللوعة . فأنا حزين وأريد حزينا ، وانا اخ واريد اخا ، وانا عاشق واريد عاشقا

انا ذو شعورين حيين متناقضين وذو عاطفتين ثائرتين متعاكستين لانني مع ابناء الوطن المخلصين الامناء محب وطني اذوب جوى كانني ابن عربي في تصوفه يوم قال :

ادين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وايماني

ومع اعداء الوطن المستعمرين الدخلاء مبغض كاره تتأجج في صدري النيران كانني زهير ابن ابي سلمى في معلقته يوم قال :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

---

* كان الملك فرنسوا الاول يوصي أخصاءه بأن يمتنعوا عن إفشاء أسرارهم للنساء . وقد كتب مرة شعراً فرنسياً معناه : « المرأة تتغير كثيراً فمجنون من يأمن جانبها »

وقال قيصر روسيا نيقولا الاول : « لا تفشوا أسراركم للنساء لانهن لا يعرفن للسر معنى ! »

صلة الأدب بالقانون

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

صح ماقلناه ان في الخصومة التي تقع بين الصديقين الكبيرين طه وهيكل ، خيراً كبيراً للقراء وربما عظيماً للادب العربي . فما كاد يقرأ الدكتور هيكل بك مقال الدكتور طه حسين الذي نشر في العدد الماضي نقداً لمقاله « صلة الادب بالقانون » حتى بعث الينا بهذا المقال ، يدفع فيه هجوم صديقه ، ويصمد لهذا الهجوم . . ولا ندري ماذا يكون الشأن بين هذين الصديقين . على اننا نعتقد أن قراء العربية الذين يستفيدون من حوارهما دائماً يودون أن تبقى الخصومة بينهما ، ولا يريدون لهما اتفاقاً في يوم من الايام

نشرت الهلال في عدد الشهر الماضي مقالاً لصديقي الدكتور طه حسين يناقش فيه مقالي الذي نشر بهلال ديسمبر عن صلة الادب بالقانون . وقد أشارت الهلال في كلمة قدمت بها مقال صديقي طه إلى ما يقع بيني وبينه من مناقشات ومحاورات بين حين وآخر . ويجمل بقراء الهلال ان يعلموا أن هذه المحاورات قديمة ترجع إلى عشرين سنة مضت ، وأن صديقي طه هو الحريص على إثارتها . فهو مهاجم أبداً ، وأنا مدافع أبداً . ولست أذكر لهذه القاعدة شذوذاً إلا حين يصدر طه كتاباً من كتبه القيمة فأتناوله بالبحث . ولعل نشأة طه هي التي تغريه بهذه المواقف . كان المرحوم محمد باشا صالح يحدث أنه كان طالباً بالازهر مع المغفور له سعد باشا زغلول . فكان سعد ينادي صاحبه يدعوه ليتجادلا ويترك له اختيار الجانب الذي يدافع عنه ليدافع سعد عن الجانب الآخر . وحدث يوماً أن كان الشيخ محمد صالح غير متهيء للجدل . فلما ناداه الشيخ سعد الله : هلم نتجادل ، قال الشيخ محمد : فليكن موضوعنا إذن « فائدة الجدل » ، واختار هو الدفاع عن أن للجدل فائدة . ودافع الشيخ سعدالله عن ان الجدل لافائدة منه ولا غناء فيه

ولما نشبت الحرب الكبرى في سنة ١٩١٤ عَطّلت أكثر الصحف المصرية نفسها . ولما كنا نكتب في « الجريدة » باشراف أستاذنا الكبير أحمد بك لطفي السيد فقد شق علينا تعطيلها ، فاشتركنا مع الاستاذ عبدالحميد حمدي في إصدار جريدة السفور وتحريرها . وجاء طه من أوربا في صيف سنة ١٩١٥ واشترك وإيانا فيها . وكنت يومئذ محامياً بالمنصورة أجيء إلى القاهرة آخر كل أسبوع فأساهم في تحرير السفور واصداره بمصر . وقرأت السفور يوماً فاذا

في صدره مقال عنوانه « الحرب والحضارة » لم أتردد فى أنه لصديقي طه وان كان موقعاً بامضاء « تاسيت » يدافع فيه عن الحرب ، و يقول إنها شيء عظيم لخير الانسانية . فلما جئت آخر الاسبوع والتقيت وطه سألني إن كنت قرأت مقاله . فابديت له إعجابي به ودهشتي للفكرة التي أملته في وقت تدوي فيه الميادين كلها بأهوال القتل والقتال والتخريب و إحراق المدن . فاجاب : أنا كتبته لترد علي حتى نتجادل . ورددت بدوري و تبادلنا الردود في مقالات انحاز لطه على أثرها فريق من أصدقائنا وانحاز لى فريق . ومع أن الخصومة الكتابية أوقدت نارها يومذاك بيننا فقد بقينا كما كنا ، وكما سنبقى دائماً ، أخلص الاصدقاء

وهذا الروح هو الذي أملى على صديقي طه مقاله في هلال الشهر الماضى يناقش فيه ما كتبت عن صلة الادب والقانون . ويكفى لأدلك على هذا أن أذكر لك أنه بدأ الجدل فى الفاظ العنوان فكان أول ما بدأ به مقاله : « ولعل الخير في أن نقول بين الأدب والفقه »، ثم استطرد يبرهن على أن كلمة الفقه أدق في التعبير عما قصدت اليه . وما أريد أن أدخل في هذا الجدل اللفظي معه ، أو أثير ما بين الفقه والقانون وفنونه المختلفة من تفاوت . فالمحاماة غير الفقه . والمحاماة أدنى فنون القانون إلى الأدب . لكنى لا استطيع أن أسكت عن السبب الذى دعا صديقي ليؤثر كلمة الفقه ودعاني لأوثر كلمة القانون . فالفقه كان بعض ما درس في الأزهر ، والقانون كان اكثر ما درست في كلية الحقوق . فلفظ الفقه محبب إلى سمعه أكثر من لفظ القانون ، والأمر عندى على النقيض . وكثيراً ما فسح كثرة توارد الكلمة على سمعنا من مدى ما تشتمل عليه فى تصورنا . فاذا تجوز صديقي في استعمال كلمة الفقه أو تجوزت أنا في استعمال كلمة القانون فليعذرنا القراء ولا يشتدوا فى لومنا

ويوافقنى طه على أن الصلة واقعة بين الأدب والقانون ، أو بين الادب والفقه ، أو بين رجال القانون والادب ، كما يحلو له . وهذه الصلة واقعة ومشروعة عنده للاسباب التى ذكرنا منذ شهرين في الهلال . وهو يرى أن هذه الصلة أثبت وأظهر من أن تحتاج الى كتابة فصل كالذى كتبت . ثم يذهب طه إلى بيان أن الكاتب كثيرا ما يكتب من غير أن تكون هناك حاجة الى الكتابة ، وأن الظن بأن مثل هذه الكتابة التى لا حاجة بالناس اليها إنما هي فضول ، هو ظن خاطىء أشنع الخطأ . وأن مثل هذه الكتابة ليس فضولا ولكنها ترف ، والترف الادبي هو خير ما في الادب من متاع . مع ذلك فالفصل الذى كتبت أنا من شهرين موجز الى أضيق حدود الايجاز . وانما يحسن أن يعرف الناس أى الامرين كان أبلغ فى صاحبه

أثرا وأكثر له غناء : الادب أم الفقه . وهو يجيب بأن الفقه أنشأ فن المحاماة وهي ليست فقهاً وانما هي أدب يستعان عليه بالفقه . فالمحامون متأثر فقههم بأدبهم أكثر من تأثر أدبهم بفقههم . أما الفقهاء النوابغ فيأتيهم نبوغهم من الفقه وحده . و يترك لى طه أن أجيب بعد أن ارجع الى تاريخ المحاماة عما اذا كان الفقه قد أنشأ المحاماة ، أم هي المحاماة قد أنشأت فقه المحاماة . لكنه مع ذلك يشير الى أن المحاماة نشأت عند اليونانيين في القرن الخامس قبل الميلاد ، وان كبار المحامين في العصور القديمة كانوا يعرفون بالادب اكثر مما يعرفون بالمحاماة ، وان المحاماة ظاهرة الأثر في انتشار علم البيان وتنظيم قواعد النقد واصوله منذ أرسطاطاليس ، وانها دعت الى فنون من الادب جديدة ما كانت لتظهر لو لم توجد المحاماة

لست اقف طويلا عند ما ذكر طه عن الترف الادبي وأنه خير ما في الادب من متاع فانا أشاركه في ذلك رأيه . ولست اقول إن هذا الرأى من البداهة بحيث لا يحتاج الى أن يكتب فيه الصديق ما كتب ، وان الترف أساس الفنون جميعاً ، فكلما ازداد هذا الترف ازدادت الفنون سموا . وانما أقول ما قال تولستوى لرجل جاءه يوماً فذكر له ان ما فى كتبه جميعاً واضح يعرفه الناس جميعاً لأنه من بسائط ما في الحياة من حقائق . فكان جواب الفيلسوف الرومى : إن الناس جميعاً يعرفون ضوء الشمس وأنه حقيقة واقعة ، لكن الاقلين منهم هم الذين يستطيعون مواجهة الشمس والتحديق بها . وكذلك الحقائق يحسها الناس ثم لا يستطيعون مواجهتها حتى يبينها لهم كاتب قدير على مواجهتها . وحبذا لوعقد لنا طه فصلا في الهلال عن « الترف الادبي » ليبين فيه ان خير الآثار الادبية لاكبر الكتاب والشعراء ، كما أن خير الآثار الفنية جميعاً ، انما نشأت عن رفاهة فى الترف النفسي والعقلي بلغت غاية حدود الرفاهة ، وان هذه الآثار هي مع ذلك قوام الوجود الانساني وما خلق الانسان على الحياة من مجد لا سبيل لغير الانسان الى خلقه

اما ما ذكر صديقى عن المحاماة وما انشأت من فنون في الادب فاتجاه بالموضوع الى غير ما قصدت مما يحاورنى فيه . صحيح أن المحاماة أدنى فنون القانون الى الأدب . لكنها مع ذلك ليست أدباً بطبعها . ومن كبار المحامين ونحوهم من ليسوا أدباء ومن لا يسيغون الادب بالمعنى الذى يفهمه الناس . وهى فن أنشأه القانون لاريب ، سواء كانت قد نشأت لاول عهدها فى القرن الخامس قبل الميلاد ، أو أنها نشأت قبل ذلك بألوف السنين عند قدماء المصريين أو عند غيرهم . وكما أن من كبار المحامين ونحوهم من ليسوا أدباء وانما تفوقهم فى

علوم القانون وفي دقة سرد الوقائع ، فان من القضاة ومن رجال النيابة أدباء بارعين يتصرفون في ألوان الكلام تصرف من يملك أعنة الادب . بل ان منهم لشعراء وقصصيين ومسرحيين اعترفت لهم أممهم بالتفوق والنبوغ . ذلك أنهم وهبوا هبة الأدب ودرسوا علوم القانون فصقلت نفوسهم وسمت بموهبتهم وجعلت منهم كتاباً وجعلت منهم أدباء بزوا في بعض الأحيان معاصريهم ، كما بز جيتي أدباء الألمان وكما انعقد لواء الشعر العربي لشوقي . وما أظن صديقي طه يخالفني في أن للمرحوم قاسم أمين في كتبه المختلفة صحفاً تسمو في الأدب الى غاية مراقي السمو ، وان كانت كتب قاسم ليست كتب أدب ، وان لم يكن قاسم أديباً ، بل كان كاتباً اجتماعياً

ولست أقصد الى انكار ما أنشأت المحاماة من طريق كبار المحامين الادباء من فنون في الأدب جديدة . فمرافعات هؤلاء المحامين في القضايا الكبرى كانت في كثير من الاحيان تصل الى أسمى مقام في البلاغة . لكن هذه البلاغة لم تأت المحامي من دراسته الفقه ، وانما هي موهبة هذا الرجل وجهها اشتغاله بالقانون في طريق المحاماة . وهذا ما يقرني طه عليه حين يقول ان المحاماة أدب يستعان عليه بالفقه . فما انشأت المحاماة من فنون جديدة في الأدب ليس اثراً من آثار الفقه في المحاماة ، ولكنه اثر أقل اتصالاً بالفقه منه بما يعرض له المحامي من وقائع ومن صور نفسية ومن بحوث علمية . بل انك لتجد المحامي القدير اقل بلاغة حين يعرض للشؤون الفقهية ، بينا يتدفق كلامه روعة ويأخذ بمجامع القلوب حين يعرض الوقائع وحين يحلل الدوافع التي دفعت اليها . وكذلك شأن رجل النيابة حين يترافع وشأن القاضي حين يكتب حكمه ، اذا كان رجل النيابة او كان القاضي ممن اوتوا موهبة الكتابة والكلام

ويخالفني صديقي اخيرا في التفريق بين الكتابة والادب ويحسب أني لم اوفق في هذا التفريق الى الصواب كله . وهو يجعل النقد الادبي وتاريخ الادب ادباً لا فناً آخر من فنون الكتابة . ويذكر لذلك أني اخطأت حين قلت أن كتابيه « على هامش السيرة » و «الايام» ادب ، واما سائر كتبه في النقد وفي التاريخ الادبي فليست ادباً وان كانت فناً آخر من فنون الكتابة . واود قبل ان اناقش الصديق رأيه أن اذكر ان كتابة التاريخ ، سواء أكان تاريخ الادب ام التاريخ السياسي ام تاريخ الحروب ام التاريخ المالي والاقتصادي لامة من الامم ، ليست دون الادب مكانة ومقاماً . والتاريخ ينبوع فياض من ينابيع الادب . لكن كتابة التاريخ لا تدخل في فنون الادب إلا اذا صورت ادباً كما فعل هو في كتاب « على

هامش السيرة » وكما فعل ولتر سكوت وغيره في انكلترا، واسكندر دوماس وغيره من ادباء فرنسا الكبراء . ولم تخل أمة من الامم من ادباء جعلوا تاريخ بلادهم مصدراً لادبهم . لكن كتابة التاريخ على النحو العلمي لاتعتبر فناً من فنون الادب وإن بلغت روعة الاسلوب وبلغ جمال التنسيق ما بلغا من السمو ، وإن كان هذا التاريخ موضوعاً لادب أمة ما. وأحسب صديقي يوافقني على أن ما كتبه أولار عن الثورة الفرنسية وما كتبه لامسون عن تاريخ الادب الفرنسى ، وما كتبه الكثيرون في تاريخ الادب في الامم المختلفة ، ليس فناً من فنون الادب وإن كان فناً من فنون الكتابة له قواعده وضوابطه التي لا تتفق في كثير من الاحيان مع قواعد الادب في مختلف فنونه

والنقد الادبي فى رأيي فن من فنون الكتابة وليس فناً من فنون الادب إلا ان يكون نقداً ذاتياً يعتمد صاحبه على هواه وخياله اكثر مما يعتمد على ما عرف لهذا النقد من قواعد. ولست أرتاع حين يذكر الصديق « حديث الاثنين » ونقد أناتول فرانس، ولست أرتاع حين أذكر ما كتبه تين ولمتر وغيرهما في النقد الادبي ، حين اعتبر النقد فناً من فنون الكتابة وليس فناً من فنون الادب . فأول شرط في الادب ان يصدر عن ذاتية الاديب . فأما الناقد فيتقيد بقواعد موضوعية تحد من حرية الاديب لو أن النقد كان أدباً

احسب صديقي بعد الذي قدمت يوافقني على هذه التفرقة ، وعلى أني لم اقصد بها الى الغض من قدر الكتابة والكتاب ممن يتناولون فنوناً غير الادب . وفنون الادب هي الأخرى من فنون الكتابة والكلام . لكنها تخصصت ووجهت الى اتجاهات خاصة غير ما وجهت اليه سائر فنون الكتابة ، وليس فى ذلك ما يرفع من قدرها على سائر تلك الفنون . اما ان شاء صديقي ان يقول ان الادب والكتابة والكلام كلها شيء واحد ، ما دام الاداء حسناً، فله في ذلك رأيه وان كنت اخالفه فيه

محمد حسين هيكل

النساء يضعن دائما أزهاراً على المائدة . ويخيل الى أن هذه الفكرة خطرت لاحداهن للمرة الاولى فى وليمة لم يكن فيها نساء جميلات ، فأرادت السيدة صاحبة الدعوة أن تخفى وجوه المدعوات وراء الازهار

ميجال زاما كوس

حديث بغل وحمار

بقلم الامير مصطفى الشهابي

قرأت منذ أيام مقالا دبجته يراعة السيد مصطفى صادق الرافعي عنوانه « حديث قطين » أحدهما أهلي سمين والثاني وحشي هزيل . قال حفظه الله انه موضوع في الانشاء طرح على تلاميذ المدارس الابتدائية في مصر للحصول على شهادة إتمام الدراسة في المدارس المذكورة . فاضحكني هذا الحديث اللذيذ وذكرني بالسؤال الذى القاه ديوان المعارف في الشام على تلاميذ مدارسنا الابتدائية في لحص مماثل ، وهو « حديث بغل وحمار » . وكان هذا السؤال داعياً الى رسوب عدد كبير من الاطفال ، لأن معظمهم من سكان المدن ، لم يركبوا بغلا ولاحمارا ، ولم يشهدوا بينهما حديثاً ولا حواراً . ومن العجيب أن يتفق القطران على امتحان الصبيان بهذه المحنة وأن يظنا فيهم القدرة على معالجة هذه الشئون العويصة ! وتمنيت ، على هذا ، لو ردني الله صبياً ، اذن لسودت قرطاس ديوان المعارف بحديث عجب ربما كان فيه نجاحي ، وربما أظفرني بتلك الشهادة المعشوقة التى طالما تحلب لها ريق الاطفال المساكين :

وقف البغل بظهره المحدَّب وغاربه الواطىء وزوره الضيق وكفله القصير القاطع ، على قوائم طوال دقاق صلاب الحوافر شداد السنابك ، وهز ذنباً بادياً عليه الحصص[1] ، ورفع رأساً ضخماً ركبت فيه جبهة عريضة وأذنان طويلتان وشدقان واسعان ، ثم حدق بالحمار وصعر خده ورمح برجله وقال : ويحك يا بن العم[2] لقد سئمت الحياة مع ابن آدم ومللت عشرته .

فهو منذ فجر الانسانية إلى يومنا هذا يصاحبني فأخلص صحبته ويستخدمني فأحسن خدمته ويتملقني فأنقاد له مطيعاً ، لكنه يسومني الخسف أحياناً فأثور وأجمح وأحرن وأعض وألبط . ومن العجيب أن هذا المخلوق الخبيث لا يدفع القوة بالقوة ، بل تراه كلما رآني محنقاً يعمد الى المصانعة والملاطفة وتقديم شهى المآكل ولذيذ العلف ، فتهدأ بذلك ثائرتي ويسكن غضبي وأستكين له مرغما ، والحيوان كما تعلم عبد الاحسان . . .

ومن واجب الانسان أن يحمد صحبتي له لأن فوائدي كبيرة وأعمالي كثيرة لاتقاس بقليل العلف الذى أعلفه . فأنا عامل أجرته زهيدة أو آلة محرقاتها طفيفة . وفوق كل هذا يتعصب بعض الناس للفرس ويرجحونه عليَّ ويتناسون أني أقوى منه وأصبر وأقنع وأطول عمراً وأصلب رأيا . ولعلهم يجهلون (والانسان جاهل جهلا مطبقا) أني أذكى من الفرس وأفطن وأقدر على

---

(١) قلة الشعر

(٢) البغال أولاد ذكور الحمر واناث الخيل فى الاعم . وقد تكون أولاد الاحصنة والأتن نادراً

تسلق الجبال والسير فى المسالك الوعرة ، وأنني أمنع منه جانبا وأشد مقاومة لفتك الامراض وتسلط الحشرات وتعاقب الحر والقر، حتى إننى أرقد في الوحل وعلى الثلج أحيانا ، وأمضى في العراء ليالى حرارتها دون الصفر بينما تكون حرارة النهار فوق الاربعين . وسها عن بال هؤلاء المتعصبة من هواة الخيل بل من الغواة بها ، أننى ربما بلغت في الجبال مسلكا ضيقا لا تسلكه الخيل فسرت فيه بتؤدة ، دون أن أخشى السقوط في واد أو هاوية لفرط احترازى وشدة فطنتى . ولست مجنونا فأقفز كالفرس فوق الحواجز العالية . بل اذا رأيت حظاراً يحجز الطريق درت حوله حتى أعود الى الطريق السوي . ومهما غرر بي صديقي الانسان واستحثنى على القفز فانا لا أطيعه لانني لا أغامر بحياتي وحياته فى العاب هى ضرب من العبث والجنون

وانظر الى الفرس المسكين إذ يحملونه فوق طاقته ، فهو يرضى أن يسير بالاثقال مرغما ، ويظل يتخبط بها حتى ينهك . أما انا فاذا حملت فوق طاقتى وقفت ولم أسر حتى يخفف الحمل . وهل رأيت الخيل كيف تتقاتل وتتهارش ؟ اما نحن فلا قتال بيننا ولا هراش لان البغل يعطف على اخيه البغل . ويظن فوات الغيد من بنات حواء أنهن أمهر منا بالسباحة في البحار وأجرأ على قطع الانهار ومصارعة الامواج ، فظنهن ياصاح إثم لان البغل سباح عوام ، كثيراً ماترميه المراكب في عرض البحر فيسبح حتى يبلغ الشط سالما

وبعد هلا شاهدتنى احرث الارض البراح فأصيرها خصبة مغلالا ، واجر العجلات على اختلاف اشكالها وتنوع اثقالها ، وأمكن الانسان من صهوتي ، واحمل له من الاثقال ما يعادل ثلثى وزني ؟ على حين أن الفرس لا يقوى على اكثر من نصف وزنه . هذه وامثالها امور يطول بنا نفس الكلام إذا ما رحنا نستقصيها . لكنه لا بد لى من تذكيرك بأني حانق على ابن آدم ساخط عليه ، لأنه يأبى إلا ان يستعين بي في الحروب فأخجل من إلحاقه وإلحاحه فاجر المدفع واحمل الادوات الطبية وصناديق القذائف على غير رغبة منى لانني ادين بالاشتراكية ولا اميل إلى الحروب وويلاتها ولا ارغب كالخيل بجنون الكر والفر فى حومة الوغى . ولو كان تقاتل ابناء آدم وتفانيهم لا يضر بغيرهم لهان الأمر ولسهل الخطب ، لكننا نحن نكون مثلهم معرضين لنيران اعدائهم من حيث لا عداوة بيننا وبينهم . وهذا شيء لا يجوز ان يدوم لأننا والانسان حلفاء تعاقدنا على التعاون فى سبيل الحياة المديدة لا على التعاون في سبيل الموت الزؤام

ويؤلمنى ادعاء الانسان بان عقم البغال عيب ونقيصة . فهلا اتصل به ان العدميين

من ابناء جنسه يتمنون لو كان كل رجل عقيما وكانت كل امرأة عاقرا . او لغير الموت ما تلد الوالدة ؟ فنحن معشر البغال كل منا شيخ المعرة في قوله : « هذا جناه ابي علي »

ولم ينته البغل من حديثه حتى هز الحمار رأسه وتزن في جوابه كلقمان الحكيم او كارسطو المعلم الأول وقال : خفض عليك يا ابن اخي فان ما تعانيه من ابن آدم دون ما اعانيه ، ومع كل هذا تراني صابرا على جوره نازلا على رأيه ، احاكم الامور بتعقل ورزانة ، ولا ادع اعصابي تهيج في الجليل او الدقيق من الشئون . فانا كما علمت ، إذا علفني الانسان وعلف الفرس مقداراً واحداً من الطعام ، أقوم بعمل أكبر من عمل الفرس ، لأنني أقوى منه على الهضم وأصلح للاستفادة من بعض ما كل رخيصة لا يستفيد الفرس منها . وكان يجب على الانسان أن يجل في هذه المزية النفيسة على الاقل ، وأن يجعلني وإياه في مرتبة واحدة ، وألا يفرق بيننا ونحن من جنس واحد . فبدلا من هذا تراه يقول لي : إن رأسك كبير بشع لا يتناسب مع سائر أعضائك ، و إن أذنيك طويلتان عريضتان غليظتان ، وعلى طول ظهرك كما على كتفيك خط ضارب الى سواد ، وظهرك مستقيم لا تطامن فيه ، وقوائمك ضخمة وحوافرك اسطوانية دابرتها عالية جداً ، وليس لذنبك شعر إلا في رأسه أما ذنب الفرس فكله يكتسي بالشعر ، وعرفك (أي شعر عنقك) قصير منتصب أما عرف الخيل فطويل منسدل ، وليس لك رقات[1] إلا في يديك ، أما الخيل فلها رقات في قوائمها الاربع . الى آخر هذا الكلام الممل الذي إن دلّ على شيء فهو أكبر دليل على فضول الانسان واشتغاله بما لا يعنيه . فنحن والخيل لا نشكو اليه تباغضاً أو تحاسداً . لكنه أبى إلا أن يميز بعضنا عن بعض حتى تدب بيننا البغضاء . وهي شنشنة الفها مع أبناء جنسه كما لا يخفى على ذكائك وفطنتك . ولم ينصفنا على ما أعلم إلا هذا الرجل الذي تراه على مقربة منا يسترق حديثنا هذا ويدونه . فقد قرأت له في كتابه المسمى « كتاب الدواجن »[2] الجملة الآتية : « ولو رأيت في مصر بعض الحمير البيض عليها سرج مفضضة وفي أفواهها لجم لامعة ملونة الاعنة ، لحكمت بأن أصحابها وهم على متونها ليسوا أقل شأنا من راكبي الصافنات الجياد » . هذا هو السحر الحلال . وهذا هو الانصاف كل الانصاف . غير أن رفاق هذا الرجل لا يتزلون ويا للاسف على رأيه بل يحسبونه فاسد الذوق لانه يجاهر بالحقيقة دونما جمجمة ولا وجل

ويقولون إن أصواتنا منكرة و إنها أنكر الاصوات ، وقد يكون ذلك صحيحا لدى

(١) هنات كالأظفار (٢) من كتبي المطبوعة

الانسان، فنحن ما ادعينا بأن لنا أصواتا يسمونها موسيقية هي علامة التخنث. وهناك الأسد والثور وهما من ملوك الحيوان، فللاول زئير وللثاني خوار لا يطرب لهما ذاك المخلوق العجيب الذي أتانا من صلب آدم في آخر زمان وامتدت أيامنا السود معه حتى صار له صولة ودولة. إن ما يطرب به – لا أمّ له – زقزقة العصافير وصداح الشحارير وصفير البلابل وامثال هذه المضحكات من الاصوات الطنانة الرنانة. أما شحيجك ونهيقي فهو يعدهما في جملة المنكرات. ولست أدري بعد هذا لم لا تخر الجبال وكيف لا تقوم الساعة!

ويتهمني الانسان بالغباوة، لكنني خير له من عدد من أبناء جنسه المتشحين بالذكاء. فأنا النبي ولا فخر مطية الفلاح والعامل والفقير والمسكين. ألفتهم وألفوني، وخدمتهم فكرموني، وأخلصت لهم فلم يعقوني. وسنظل أصحاباً مادام على هذه الكرة الحمقاء أناس يسمون صعاليك رقيقي الحال. وأشد ما يضحكني حالة الفرس مع أرباب الوجاهة. فانهم ما كادوا يخترعون القطرات والسيارات حتى أهملوا الفرس فكاد يهلك جوعا. وأخذت أنساله تنقرض. ونسى هؤلاء العتاة أن الفرس تأنس في حقبة القلز «البرونز» من الاعصار الجيولوجية القديمة، وأنه رضي بان يحالفهم فدجن وزيض واستخدم في اغراضهم المختلفة منذ آلاف السنين الى يوم الناس هذا. ويقولون بعد ذلك ان اصحاب الخيل المذكورين طبعوا على الفتوة والوفاء!.. واضحك من هذا ان أهم ما يتطلبونه منه اليوم ان يجيء المجلى أو المصلى في حلبة السباق لكي يربحوا من جهوده المضنية واتعابه التي لا تطاق. والخلاصة يا صاح لقد صحبنا جميعنا الانسان منذ ما وجد الى الآن فحمدنا له صحبته حيناً وذممنا عشرته احيانا. فلماذا لا ندعه وشأنه ونلتحق برفاقنا الطلقاء الراتعين احرارا في بعض أنحاء هذه الارض؟ ولعلك لا تدري ان من الخيل جماعات حرة يسميها ابن آدم وحشية لانها تعيش بعيدة عنه في بعض اقطار امريكا الجنوبية، وان للحمير ايضا عانات من هذا القبيل ترتع في بحبوحة من العيش في جزيرة سقطرى من جزائر البحر المحيط الهندى. فاما والامر على ما ذكرت فلنهاجر افراداً وجماعات الى مثوى اقاربنا الافاضل حيث لا نرى الانسان ولا يرانا. واذا أبى المرء علينا ذلك وعدّنا عبيدا آبقين فلنثرها عليه حربا شعواء حتى يبيدنا أو نبيده – وما كاد الحمار يتم جملته حتى أدركه صاحبه وهو بائع خضر، كما اطل عليهما صاحب البغل وهو بائع زيت. فزجر الاول حماره وزجر الثاني بغله وسار كل منهما في طريقه. لكن الحمار اسر الى البغل الا يبوح بالسر وان يكتم امر الهرب إلى فرصة أخرى...

مصطفى الشبابي

العبقرية

كما يراها علماء النفس

بقلم الاستاذ أمير بقطر

مدير كلية المعلمين بالجامعة الاميركية بالقاهرة

نشرنا في عدد يناير مقالا عن «العبقرية» للاستاذ العلامة محمد فريد وجدى . وقد بعث الينا الاستاذ أمير بقطر بهذا المقال رداً على الاستاذ وجدي فيما ذهب اليه من رأى في العبقرية والعبقريين . ولاريب أن في هذا الموضوع مجالا للخلاف والمناقشة . وقد تعددت فيه آراء علماء النفس بتعدد تجاريبهم ، فليس من الغريب أن يقوم الجدال بين هذين الفاضلين وأن يثور أحدهما على ما ذهب اليه الآخر ، وأن يستوعبا في ذلك غير مقال

لولا أن كاتب المقال علم من أعلام الشرق ، قد تؤخذ أقواله حجة بغير مناقشة ، وأن المجلة التى نشرت له المقال ذات مكانة سامية فى العالم العربى — لولا هذا لما تعرضنا فى عدد فبراير لاعادة منظر أسدلت عليه الهلال الستار فى شهر يناير

وأقول استدراكا إن الكاتب قد رغب فى تجنب التبسط فى موضوع لا يعرف الكثيرون عنه إلا النزر اليسير . غير أن أكثر الموضوعات غموضاً ، وأقلها اتصالا بمعارف الجمهور ، أشدها حاجة الى التبسط والتوسع والاطناب والتمثيل والتفسير . وقد يكون المقال كتب فى عجالة دفعت الكاتب الى الاجمال ، فنستميحه عذراً اذا حاولنا تلخيص ما يقوله العلماء فى هذا الصدد ، بعد مناقشة ماجاء فى الموضوع الاصلى

☆☆☆

يخيل الينا أن الاستاذ فى مقاله المشار اليه أراد أن يدور بحثه على محور المسائل الآتية :

١ — هل تأتى العبقرية من طريق الوراثة . أو من طريق البيئة ؟ أو بتعبير آخر — هل هى موروثة أباً عن جد ، متسلسلة من الاسلاف والاجداد الى الاخلاف والاحفاد ، أو مكتسبة بالتربية وسائر العوامل التى تؤثر فى البيئة ؟

٢ — هل العبقرية كمية ثابتة ؟ أى هل يكون الرجل عبقرياً فى سن معلومة ، ويكون متوسطاً فى الذكاء ، أو دونه فى سن معلومة ، أو تلازمه العبقرية أو كمية الذكاء طول حياته بنسبة واحدة تقريباً ؟

أما عن السؤال الاول فقد صدر الكاتب مقاله بما يفيد أن العبقرية وراثية ، أى غير مكتسبة ،

إذ قال : « .. العبقرية موهبة غير مكتسبة ، تظهر مخايلها منذ الطفولة الأولى ، فلا تزال أصولها توجه عقلية الطفل العبقرى ونفسيته الى ناحية السمو حتى يكبر فيصبح واحداً من الافذاذ من غير تكلف » . وقد عزز هذا القول مرة أخرى فجاء فى الصفحة الثانية من المقال هذه العبارة : « هل توجد التربية الحكيمة العبقرية ؟ لم يشاهد ذلك الخ » . فكأنه هنا أيضا أراد أن يبين أن التربية (وهى من أهم عوامل البيئة) لا توجد العبقرية ، أى أنه انحاز الى الوراثة مرة أخرى . ولكن العلامة الكاتب لم يلبث طويلا حتى انقلب على الوراثة ، وانحاز الى جانب البيئة بغير مقدمة أو استئذان . فقد جاء فى الفقرة التالية لاقواله السابقة مباشرة ما يأتى : « هل العبقرية تأتى من طريق الوراثة ؟ قد دلت الحوادث على خلاف ذلك » الخ

ومن العبارة السابقة يفهم أنه قلب ظهر المجن للوراثة فجأة وأراد أن يبين أن العبقرية تأتى عن طريق البيئة . ولكن من الغريب أنه فى هذه العبارة الاخيرة ناقض نفسه بنفسه ، إذ قال : « هل العبقرية تأتى من طريقة الوراثة ؟ قد دلت الحوادث على خلاف ذلك فان أكثر العباقرة خرجوا من بيئات جاهلة .. »

أى أنه فى هذه العبارة الاخيرة قال فى الشطر الاول منها إن العبقرية لا تأتى من الوراثة ، وقال فى الشطر الثانى تعزيزاً للشطر الاول إن البيئة لادخل لها فى العبقرية وهذا تناقض وخلط لاشك فيهما

وذكر الكاتب العلامة نفراً من العباقرة ، قال عنهم أنهم « خرجوا من بيئات جاهلة .. ونبتوا كلهم فى منابت قاحلة » ، غير أنه لم يوفق أيضا فى معظم هذه الاسماء . مثال ذلك أن بيكون الذى ظن الاستاذ أنه نشأ من بيئة جاهلة ، ترعرع فى أحضان العز والثقافة الانجليزية التى كانت معروفة فى ذلك الحين ، فقد كان أبوه حارس الختم الاعظم ، وكانت أمه من علماء اللاهوت واللغات ، وكان جده لأمه مربى الملك ادوارد السادس ، وتغلغل بيكون منذ صغره فى عصر اليصابات الذهبى .

كذلك بيركليس ، كان أبوه علماً من أعلام اثينا السياسيين ، ولعب دوراً هاماً فى تدمير اسطول ملك الفرس ، وينسب عن أمه الى أرقى الاسر فى ذلك العصر

كذلك رينيه ديكارت ، كان جده طبيباً ، وأبوه مستشاراً ، وجده عن أمه من أكابر رجال القانون ، وتربى هو تربية راقية منذ الصغر

كذلك سبنوزا ، فانه كان من أسرة ذات ثروة وجاه لابأس بهما ، فكان جده عميد الطائفة الاسرائيلية فى امستردام ، وكان أبوه رئيس الكنيس ورئيساً لجمعية خيرية اشتهرت بقرض النقود بغير فوائد

أما كوبرنك فكان أبوه تاجراً ولكن عمه تبناه وعكف على تربيته ، وكان عمه هـذا اسقفاً متفقاً

فهل يمكن أن يقال إن هؤلاء خرجوا من بيئات جاهلة ونبتوا فى منابت قاحلة ؟

وكأن الكاتب أراد أن يسترسل فى قوله إن العبقرية غير وراثية ، مناقضا لأقواله الاولى فقال إن بركليس كان له ولدان ابلهان ... وكذلك سقراط وشيشرون ... وهنرى الرابع . . . ولويز الرابع عشر . . وبطرس الاكبر . . ونابوليون . وليس من العدل أن تذكر هذه العبارة بغير تعليق أو تفسير ، لان القارىء العادى يفهم منها أن ضعف العقل غير وراثى . والواقع كما سنرى فى صلب المقال (أولا) أن فى الاغلبية الساحقة من الاحوال يرث الطفل العبقرية أو الذكاء أو ضعف العقل من أبويه ، (وثانيا) أن الامثلة التى أدلى بها الاستاذ ليست دليلا على شىء ، لان نابوليون أو سقراط أو شيشرون أو بطرس الاكبر كانوا عباقرة حقاً ، ولكن يحتمل أن نساءهم لم يكن كذلك . ويحتمل انهن كن ضعيفات العقول . يضاف الى ذلك أن فى ثلث الاحوال قد يرث الطفل جدا بعيداً ، كما قد يرث طفل متسلسل من عائلة بيضاء شمالية Atanordicism من مئات من السنين ، لوناً اسود وملامح زنجية ، لان أحد أجداده البعيدين منذ مئات من السنين كان زنجياً ، وهذا ما يسمونه Atavism ولم يقل أحد من أنصار الوراثة إن الولد يرث أباه وجده فقط ، ولا يرث أمه أو أحد أجداده كما سنرى فيما بعد

أما عن السؤال الثانى وهو : هل العبقرية أو الذكاء كمية ثابتة ، أم قابلة للزيادة والنقصان ؟ فقد أجاب عنه الاستاذ إجابة تدل أحياناً على رأى ، وأحياناً أخرى على رأى مناقض له . ففى العبارة الاولى التى صدر بها المقال وسبق اقتباسها ، قال : « العبقرية موهبة غير مكتسبة تظهر مخايلها عند الطفولة الاولى ، فما تزال أصولها توجه عقلية الطفل العبقرى ونفسيته الى ناحية السمو حتى يكبر فيصبح واحداً من الافذاذ من غير تكلف » . وفى هذه العبارة شهادة واضحة بأن العبقرية كتلة ثابتة . وأعقب الاستاذ العلامة هذه العبارة ، فجأة أيضا ، وبغير مقدمة أو استئذان ، بأخرى تناقضها ، إذ قال : « وقد لا نشاهد فى طفولة العبقرى مخيلة نجابة ، فيقطع أدوار حياته الاولى وسطا بل أقل من الوسط ، فلا يلبث بعد اكتمال السن ، وتمام النضج ، أن تظهر فيه سمات العبقرية ويبرز فيها على المطبوعين عليها . وقد شوهد أن العبقرية (المبكرة) قد لا تتابع سيرها فتقف ويصبح صاحبها رجلا عادياً »

وقال فى مكان آخر تعزيزاً لهذا الرأى : « العبقرية قد تظهر فى عهد الطفولة وقد تتأخر . أما فى ظهورها متأخرة فلا عجب ، فان الادمان فى البحث وسعة الاطلاع . . . واجادة الروية فى المسائل كلها أسباب طبيعية للنبوغ » وهذه الاقوال مغايرة لما وصلت اليه نتائج الابحاث العلمية الحديثة ، فالعبقرية لا تقف ويصبح صاحبها رجلا عادياً كما يقول الاستاذ إلا لاسباب باثولوجية عارضة ، ولا يحدث مطلقا أن يكون الطفل الى سن معلومة متوسط الذكاء أو دونه ، فينقلب عبقرياً بالبحث

واجادة الروية ، كما أن الزنجي لا يمكن ان ينقلب سكسونيا بمجرد انتقاله إلى اسوج وعيشه فيها عشرات من السنوات أو بأية وسيلة أخرى

ومن الغريب أن الاستاذ قد ملأ صفحة ونصف صفحة من «الهلال» باسماء تاريخية ، ظهرت فى ذويها العبقرية منذ نعومة اظفارهم ، ولم يذكر مثالا واحداً لرجل كان عبقرياً نصف حياته ودون المتوسط فى النصف الآخر ، وبهذا خصص نصف المقال تقريباً لامثلة تعزز رأياً يخالف أحد الآراء التى أدلى بها !

وليسمح لى الاستاذ العلامة أخيراً أن أعتب عليه فى رأى قال عنه إنه علمى ، وهو لا يخرج عن كونه خرافة وشعوذة ، وهذا هو الرأى أعيده للقراء : «فى أوربا الآن رأى علمى (؟) مقتضاه أن الذين يموتون ولم يبلغوا درجة روحانية تؤهلهم العيش فى العالم الروحانى ، يقذف بهم الى الارض عددا كبيراً من الدفعات حتى يحصلوا الدرجة المرجوة ... إن أرواح هذه الاغلبية كانت عائشة على الارض ، ولما عادت ثانية تسربت الى مخاخهم المعارف التى حصلتها نفوسهم فى حياتهم الماضية على الارض لاسباب مجهولة »

وانى أترك للقراء التعليق . . . .

***

لا بد أن يكون القارىء قد خرج من هذه المناقشة بصورة متناقضة . وليس ثمة سبيل لاراحة القارىء من هذا العناء خيراً من أن أضع أمامه أحدث آراء العلماء فى هذا الشأن مع ذكر اسمائهم ومؤلفاتهم فى ذيل المقال ، آملا أن يستخلص منها جواباً شافياً للمسائل التى أثارها الاستاذ وحاول الاجابة عنها :

١ ـ العبقرى لغة الكامل فى كل شىء ، واصطلاحا «فى علم النفس» هو الذى يبلغ رقم قياسه بحسب اختبارات الذكاء فوق المعتاد ، أى بين ١٦٠ و ١٨٠ على حساب أن الرجل متوسط الذكاء رقمه ١٠٠ فقط ، مع العلم بأن الذى يبلغ رقم قياسه ١٨٠ لا يزيد عن واحد فى كل مليون نفس . وقد وجد العلماء منذ شهور طفلا عمره ٧ سنوات ورقم ذكائه ٢٣٠ أى أنه يزيد ٢٥ رقماً عن اينشتين

٢ ـ تتفق الاغلبية من علماء النفس والاحياء على أن الطفل فى ثلثى الحالات تقريباً يرث أبويه الاقربين . ويرث فى الثلث الباقى أجداده البعيدين . وكان العالم الانجليزى فرنسيس جلتون يقول ان الطفل يرث نصف صفاته من أبويه الاقربين ، وربعها من جديه الاقربين ، وثمنها ممن فوقهما ، و $\frac{١}{١٦}$ ممن فوقهما وهكذا $\frac{١}{٣٢}$ و $\frac{١}{٦٤}$ و $\frac{١}{١٢٨}$ الى نهاية شجرة الاسرة . غير أن العلماء بعده أبانوا أن الوراثة لا تحدث بهذه الدقة ولا تتبع هذا النظام الحسابى

٣ ـ وقد درس ثورنديك (وهو من أكبر علماء النفس الاحياء منهم والاموات ان لم يكن

أكبرهم جميعا) ١٦٨ أسرة لكل منها طفلان فوصل فى بحثه الى نتيجة مدهشة ! وهي ان فى ١٣٨ من هذه الاسر كان الاطفال إما اذكياء جميعهم او اغبياء جميعهم وأن فى ٣٠ اسرة فقط كان احد الطفلين ذكيا والآخر غبيا

٤ ــ ودرس ولوبي (١) ١٤١ اسرة فوجد ان نسبة وجه الشبه بين الآباء والابناء ٣٦ ٪ وبين الآباء والبنات ٣١ ٪ ومتوسط الشبه بين الوالدين والاطفال ٣٥ ٪ فى حين انه وجد ان وجه الشبه بين هؤلاء الاطفال واناس غير والديهم صفر تقريبا

٥ ــ يقول جودارد (٢) انه اذا كان كل من الوالدين ضعيف العقل جاء الاولاد ــ ذكوراً واناثا ــ ضعفاء العقول فى معظم الاحوال . واذا كان احد الوالدين متوسط الذكاء جاء الاولاد بحسب قانون مندل اى ان ثلاثة يكونون متوسطى الذكاء وواحدا يكون ضعيف العقل

٦ ــ وذكر جودارد ايضا سيرة أخاذة لاسرة معروفة باسم كاليكاك (Kalikak) . وتتلخص فى الآتى : تزوج مارتن كاليكاك (وهو رجل عادى أى متوسط الذكاء) فتاة ضعيفة العقل فرزق منها ولداً ضعيف العقل . ثم تزوج هذا الولد من فتاة متوسطة الذكاء فرزق منها سبعة أطفال منهم خمسة ضعاف العقول . وتتبع العلماء سيرة ٤٨٠ نفساً من هذه السلالة (أسرة كاليكاك) موزعين على ستة أجيال (أى جدود) فوجدوا أن منهم ١٤٣ ضعفاء العقول و٤٦ متوسطو الذكاء و ٢٩١ مشكوك فى أمرهم أولا يعرف عن عقليتهم شيء ، وأن بينهم ٣٦ غير شرعيين و ٣ من المجرمين و ٢٣ من مدمنى الخمر و٣٣ مفسودو الاخلاق و٣ مصابون بالصرع

ولما ماتت زوجة كاليكاك ــ وهي الضعيفة العقل تزوج من فتاة أخرى متوسطة الذكاء وتتبع العلماء كذلك ٤٩٦ نفساً من ذريتها فوجدوا أن معظمهم متوسطو الذكاء . ولم يوجد منهم ضعيف العقل سوى ثلاثة فقط

٧ ــ ويقول علماء الاحياء ان قوة الذكاء فى النسل كامنة فى خلية الذكر وبويضة الانثى

وهناك أسرة أخرى معروفة باسم رئيسها يوناثان ادوارد . فقد تمكن العلماء من اقتفاء أثر ١٣٩٤ نفسا من اعضاء هذه الاسرة فوجدوا بينهم ٢٨٠ من خريجى الجامعات و ١٠٠ من رجال القضاء والقانون و١٠٠ من القسوس و ٨٠ من كبار الموظفين و٤٠ ضابطا حربيا وبحريا و ٦٥ من اساتذة الجامعات و٣ من اعضاء مجلس الشيوخ ، وكان احدهم رئيس جمهورية وآخر من أسرة ملكية ــ أى ان معظم أفراد أسرة ادوارد كانت متوسطة الذكاء أو أكثر

٨ ــ ومن الاسر الشهيرة التى عنى العلماء بدرسها هي اسرة فرنسيس جلتون وهو العالم الشهير الذى سبقت الاشارة اليه فقد وجد ان تشارلس دارون المعروف بنظرية التطور ابن عمه

(١) Willoughby (٢) Goddard

وان اراسموس داروں — وهو من رجال الادب — جده

وتتبع برسون هذه الاسرة فوجد ان منها أعضاء ينتمون للاسر المالكة وأكابر الانجليز

ودرس أسرة جلتون على جانب عظيم من الاهمية ، لانه هو الذى جاهد كثيراً فى إماطة اللثام عن أسرار الوراثة وقوانينها ، وهو الذى قال أن مشاهير الرجال لهم من مشاهير الرجال من الاقارب ، أكثر مما يعزى لمجرد الصدفة والاتفاق كما يتضح من الفقرة التالية

٩ — قال سر فرنسيس جالتون ان الرجل الذى يبلغ شاواً عظيما من الجاه والشهرة والعظمة ، يحتمل أن يكون له أقارب عظماء ، أكثر من احتمال رجل غير عظيم أن يكون له أقارب عظماء ، بمقدار الف مرة . وقال إنه كلما ابتعدت القرابة بين رجل وعظيم ، قل احتمال ذلك الرجل أن يكون عظيما ، وان عظماء الرجال ونوابغهم يظهرون عبقريتهم عادة منذ صغرهم . ويشاهد عليهم منذ طفولتهم نضج الفهم قبل الاوان

وبنى جلتون نتائجه على مباحث قام بها بين ٩٧٧ عظيماً فكان كل من هؤلاء يفوق أربعة آلاف من معاصريه فى الذكاء والشهرة . ووجد أيضا أنه كان لهؤلاء الـ ٩٧٧ عظيماً أقارب من مشاهير الرجال كالآتى : آباء ٨٩ . اخوة ١٤٤ . أبناء ١٢٩ . أجداد ٥٢ . أحفاد ٣٧ . أعمام وأخوال ٥٣ . أبناء أخ او أخت ٦١

١٠ — ويقول كارليل تعزيزاً لهذا المبدأ : « لم أسمع فى حياتى عن رجل ذكى أنجبته أسرة غبية »

١١ — وقال كارل بيرسون (Karl Pearson) : « اننا نرث عن والدينا وأجدادنا الطباع والشعور والحياء والنبوغ كما نرث القامة والشكل والهيئة . وكما اننا نجد فى الأسرة الواحدة على ممر الاجيال الصلع والسمن والقصر وضعف النظر او العكس كذلك نجد الذكاء والسرعة الخ أو عكسها »

١٢ — ووجه الشبه (فى الذكاء وغيره من الصفات) بين الاخوة والاخوات أكبر منه بين هؤلاء وأحد الوالدين . وذلك معقول جداً لان ما يرثه الطفل من أبيه ينقل اليه من الجرثومة المنوية . وما يرثه من امه ينقل اليه من بويضة الانثى . فى حين ان الشبه بين الاخوة ينقل اليهما نتيجة اتحاد الخليتين

١٣ — وقد فحص جونز (Jones) ٢٥٠٠ شخص تتراوح أعمارهم بين ثلاث سنوات وخمس وستين سنة فوجد أن احتمال توريث الذكاء من الام لطفلها يزيد ٥ ٪ عن احتمال توريث الأب . وأنه فى حالة وجود والد عبقرى فان الطفل لا يرث عبقرية الوالد بل يولد متوسط الذكاء . أى ان اتقاد الذكاء عند أحد الوالدين لا ينتقل الى الطفل متى كان الآخر غير متقد الذكاء

١٤ — ودرس ثورنديك ٥٠ زوجا من التوائم والاخوة غير التوائم فوجد ان وجه الشبه فى كمية الذكاء بين الاخ واخيه بنسبة ٦٠ ٪ ووجد أن وجه الشبه بين التوائم ضعفه عند الاخوة

العاديين. ووجدت السيدة تلمان أن التشابه بين الاخوة يكون على الترتيب الآتى: التوائم المتماثلة (identical) وهى التى يلقح فيها التوأمان من بيضة واحدة (unicellular) فالمتحدة جنساً اى ذكراً أو انثى فالتوائم غير المتماثلة وهى التى تلقح من بيضتين (bicellular) ويطلق على هذا النوع من التوائم اسم (Fraternal) فالاخوة غير التوائم (Siblings)

١٥ ــ ومن أدلة العناية بمسألة الوراثة هو جزع اليوجنيين اليوم من كثرة التوالد بين الطبقات المنحطة وتحديد النسل بين الطبقات الراقية. ونشاط الحكومات والجماعات فيما يختص بتعقيم المجرمين والمجانين والمعتوهين الخ

١٦ ــ ومن اغرب الحوادث فيما يتعلق بالتوائم ما حدث أخيراً فى اميركا من ان رجلا رزق توأمين، ولما كان أحدهما يختلف كل الاختلاف عن الآخر اتهم زوجته بالخيانة بدعوى ان احدهما ابنه والآخر ابن جاره وطلب من القاضى الحكم بطلاقها. ومن الغريب ان الاطباء الشرعيين أكدوا ان هذا يحتمل حدوثه

١٧ ــ ويتفق العلماء على ان العقل ينضج فى سن معلومة لا يزيد الذكاء بعدها ولا ينحط. أو على الاقل اذا كان هناك زيادة او نقص فانها لاتكاد تذكر. ويكون النقص فى الغالب أمراً عارضاً كعيب فى الغدد الصماء او اصابة زهرية او مرض او حادث وتكون الزيادة كذلك بسبب زوال هذه العوامل

١٨ ــ والمعول عليه ان الرقم الذى يدل عليه قياس الذكاء ثابت (Constant) وغير قابل للتغير (not variable). وفى خلال الحرب العالمية قيس ذكاء مليون وثلاثة أرباع المليون من الجنس الاميركى فاتضح ان متوسط الرقم القياسى للذكاء فيهم لا يزيد عن السن العقلية لاطفال فى الثالثة عشرة من اعمارهم

١٩ ــ ومما يدل على ان الرقم القياسى للذكاء كمية ثابتة ما أثبته ثورنديك هذا العام من ان التلميذ الناقص الفهم اذا بقى فى المدرسة عشرين سنة وانقطع لتعلم المطالعة فانه رغم ذلك يعجز عن فهم المقتطفات التى تحتاج لشيء من التفكير. وقد ذكر بعض هذه المقتطفات تمثيلا لما يقول

٢٠ ــ وهناك واقعة فكاهية معروفة فى اميركا وهى ان تلميذاً مكث فى السنة الثالثة الابتدائية الى نهاية السن المقررة للتعليم الالزامى، ولم يستطع الانتقال منها الى السنة الرابعة. وانتهى به الأمر الى أنه تزوج من معلمة الفرقة

٢١ ــ وقد زادت عناية العلماء بهذه الابحاث بتقدم مقاييس الذكاء منذ ان وضعها «بنيه» وزميله «سيمون» فى فرنسا. وقد وجد بواسطتها ان ٥ ./. من الاطفال ضعاف العقول و٥ ./. ممتازون. ولا يزيد العباقرة عن واحد فى كل مليون. ووجود هذه المقاييس وارتقاء شأنها اكبر دليل على ان كمية الذكاء ثابتة

٢٢ ــ وضعاف العقول درجات . وأخف هذه الدرجات وطأة هم الذين يسمونهم morons . وهؤلاء ليسوا خطراً على المجتمع ، ولكنهم يجدون صعوبة فى العيش ويحتاجون عناية ورقابة مستمرة . والمجتمع لا يستغنى عن هؤلاء للحاجة اليهم فى الاعمال الوضيعة

وفى الدرجة التى تلى هذه من يسمونهم imbéciles أو السفهاء وهؤلاء لا يستطيعون ادارة شئونهم وغير قابلين للتعليم . وفى الدرجة الاخيرة من يسمونهم idipts المتوهين وهؤلاء لاتمكنهم عقولهم حتى من وقاية أنفسهم من أبسط الاخطار التى يصادفها المرء فى كل ساعة

٢٣ ــ وضعاف العقول يختلفون عن غيرهم فى تركيب الجهاز العصبى والافرازات الغددية ، وعدد الخلايا العصبية

٢٤ ــ أما المجانين فليسوا ضعفاء العقول لانه يفترض أن يكونوا عقلاء ثم يصابون بالجنون كما يصاب المرء بأى مرض كان . أما ضعفاء العقول فيولدون كذلك ويموتون كذلك اللهم الا فى الأحوال العارضة التى سبقت الاشارة اليها

٢٥ ــ والعبقرية لا تأتى متأخرة لانها تولد مع الطفل ــ الا فى حالات استثنائية كمرض أو عارض أو سوء تغذية تؤخر ظهورها وهذه نادرة جداً . ولكنها كثيراً ما لا يعرف عنها الناس شيئاً الا بعد أن يبلغ صاحبها من العمر عتياً أو بعد أن يموت بأجيال . فكثيراً ما يموت العباقرة رمياً بالرصاص أو قذفاً بالاحجار وبعد اجيال يقوم أبناء القتلة أنفسهم وينصبون التماثيل لهؤلاء الشهداء ويكللونها بالزهور مدى الدهور . فشوبرت لم يعرف العالم عبقريته الا متأخراً . وداروين طرد من الجامعة لان اساتذته لم يفهموه ولم يدرك نبوغه إلا بعد موته . وليوناردو دى فنشى كان موسيقياً وفيلسوفاً ومصوراً ونحاتاً ورياضيا وفلكيا ولكنه عاش مضطهداً . وقيل انه لو كان التعقيم معروفا فى أيامه لعقمته الحكومة كما يعقم المتوهون اليوم فى المانيا وأميركا وغيرهما

٢٦ ــ وهناك مذهب « السلوكيين » ، وعلى رأسهم جون وطسن (John B. Watson) وهذه المدرسة لا تعلق اهمية تذكر على الوراثة بل تعزو كل شيء تقريبا للبيئة الا فيما يتعلق بأولئك الذين يولدون بعاهات جثمانية فانهم يكونون بالطبع مصابين بضعف عقلى

٢٧ ــ ويقول جودون وطسن (Goodwin Watson) أن الضعف العقلى غير قابل للشفاء الا فى حالة التمكن من العلاج كما فى حالة الاختلال فى الغدد الصماء . ولكنه حالة عضوية ناشئة عن عدم نمو النسيج المخى . ولا يكون الضعف دائماً ناشئاً عن عيب فى جرثومة اللقاح . وقوانين الوراثة لا تدلنا تماماً على مقدار ما ينتقل الى الطفل من والديه الناقصى العقول أو الاحوال التى ينتقل فيها هذا النقص

٢٨ ــ ومع شدة الخلاف بين البيئيين والسلوكيين فانه مما لا يشك فيه أن كلا من الوراثة والبيئة

منممة الواحدة للأخرى . فالرجل الذكى الذى يريد أن يخلف نسلا صالحاً عليه أولا أن يبحث عن زوج صالح (أى سليم العقل والجسم) وعليه ثانيا أن يبحث عن بيئة صالحة أى تربية حسنة من جميع الوجوه ، لان البيئة والوراثة متممتان الواحدة للاخرى

ومما يدل على أن الواحدة متممة للاخرى هو أن تجربة علمية واسعة النطاق قام بها رجال التربية فى أميركا لايجاد الفرق بين ذكاء التلاميذ فى المدن وأمثالهم فى القرى . وقد جاءت النتيجة دالة على تفوق تلاميذ المدن ، وعزى هذا إلى أمرين : أولا أن الاذكياء من أهل الريف يهاجرون إلى المدن لانهم عادة أكثر طموحا من غيرهم وأشد سرعة وفهما ، فمن بقى من أهل الريف يكون أولادهم أقل ذكاء ، وهذا انتصار بالطبع للوراثة . ومن الناحية الاخرى قيل ان الحركة المستمرة فى المدن وما بها من منشآت ومتاحف وملاه ، تنبه أذهان التلاميذ ، فتزيد كتلة الذكاء فيهم قليلا ، وهذا بالطبع انتصار للبيئة

غير أن أنصار الوراثة يجيبون عن هذا بقولهم : انك اذا وضعت شقيقين فى بيئة واحدة فان احدهما قد يشب عبقريا والآخر عاديا

امير بقطر

مراجع البحث

1 — Hollingworth "Gifted Children"
2 — Walin "The Education of Handicapped Children
3 — Goddard "The Kalikak Family"
4 — Galton "Hereditary Genius"
5 — Thornike "The Mesure of Intelligence"
6 — Thornike "Educational Psychology" Volume II
7 — Dearborn "Intelligence Tests"
8 — Levine & Marks "Testing Intelligence & Achievements"
9 — Morgan "Intelligence and Mental Conflict"
10 — Watson & Spence "Educational Problems for Psychological Study"
11 — "Humen Steriligation" (من مطبوعات جماعة تحسين النسل فى كليفورنيا)

كان الاسكندر يحترم الفيلسوف الاغريقى ديوجينوس وينزل كلامه منزلة رفيعة . وقد قال مرة وهو يتحدث عنه :

« لو لم أكن الاسكندر لوددت أن أكون ديوجينوس ! »

وعند ما أقلع الاسكندر مع قواده وكبار جيشه الى الحرب ، أمر بتوزيع أمواله وكل ما كان يملك على القواد ورجال الحاشية . فسألوه : « وانت ؟ ألا تحتفظ بشىء لك ؟ »

فاجاب الاسكندر : « يكفينى الامل ! »

الديوان الشرقى للمؤلف الغربي*

عروس الديوان

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقى

فى صميم بلاد الشمال ، وتحت السماء ذات الغيوم ، وفى ظلال أشجار البلوط والحور ، والدم الجرمانى الخالص يسرى فى العروق ، تطور « جوته » هذا الطور من أطواره المتعددة ، ولعله آخرها . فبعد جوته الالمانى ، وجوته اليونانى ، اذا به هذه المرة جوته الشرقى

ولقد عرفنا لشاعرنا طيلة حياته اطلاعاً فى الشرقيات وائتناساً بالشرق . بل بتلك المعرفة النزرة غلة وأواما ، ويحلم بذاك الافق المسحور حلما لماما . أما اليوم فقد دنا هذا الافق البعيد حتى أظله واشتمله ، وأحاط به واحتواه ، وصار له موطنا وبيئة . هو اليوم يحس من نفسه كأنه إبن الشرق من فرعه الى أخمص قدمه ، رافلا فى الجبة الفضفاضة ، متوجاً بالعمامة الفخمة ، متمشياً مشيته الحالمة فى فضاء ساحر مشرق ، بين النخيل ممشوقة الشطاط على ضفتى دجلة والفرات ، ينطق بالحكمة وينشد الاشعار . بل قل — بعبارة أصح — كأنه شبحه الفارسى حافظ الشيرازى بذاته وسمته ، وفى مقامه الاثير من جنات المصلى ونهر ركنا باد ، غافل إلا عن نفسه ، مستغرق فى إحساسه وحسه ، نشوان يترنم بمنظوم الغزل

وهكذا طابت لشاعر الغرب هجرته الروحية الى الشرق :

« هناك فى ظل النقاء والصدق تطيب لى الرجعى الى نشأة الانسانية الاولى . الى الازمان التى تلقى فيها بنو الانسان كلمة الحق منزلة من الله باسان أهل الارض ، فلم يقدحوا فكراً ولم يكدوا ذهنا . الى تلك الأزمان التى كانوا فيها يبجلون السلف وينهون عن كل دين غير دينهم

«أريد التملى من عصور الفطرة بأفقها الممدود المحدود : ايمان واسع وفكر قانع ، لها من الشأن ما للكلمة ، فانها كلمة منزلة

« أريد معاشرة الرعاة فى المنتجعات ، والاسترواح فى ظلال الواحات ، والارتحال مع القوافل متجراً فى الطرح والبن والمسك ، طارقاً كل درب من البوادى الى الحضر

« وسيان أنجدت أو أتهمت ، فان أغانيك ياحافظ تؤنسنى فى وعثاء السفر ، أذ يترنم المرشد بها على ظهر برذونه مأخوذاً طرباً ، وكأنما يوقظ بها النجوم الوسنى ، ويرهب قطاع الطريق

---

* اعتمدنا فى هذه الكلمة على جوته وفيتكوب وليوبولد سترن وبول أمان

« هناك فى الشرق فى ردهات حماماته وبين جدران حاناته ، أريد أن أذكرك يامولانا حافظ وقد رفعت حبيبتى خمارها ، وتضوع الطيب من غدائرها المهدلة المضمخة بالعنبر

« وليعلم الذين ينفسون عليه هذه النعمة والذين تطوع لهم نفوسهم تنغيصها ، أن كلمات الشاعر لاتبرح حائمة حول جنة الخلد طارقة فى لطف ابوابها تطلب الخلود»

واذن فقد انصرف خيال جوته بكليته الى دنيا الشرق الساحر كما تمثله من مطالعاته وبخاصة فى شعر حافظ . فهو منه فى جو تشيع فيه اللذة وتشب الوان الحياة . تلطف حواشى نهاره بانداء النوافير الفوارة ، وتتردد فى لياليه المقمرة أصداء المعازف وتلاحين القيان . وفى المقاصير من قصوره تتخايل الجوارى فى برود الخز الفاخرة ومطارف الوشى الخسروانى ، ويخطف الابصار سنا الجواهر وبريق الحلى ، وتنعم الحواس مجامر البخور وسطعات المسك وعبير الورد

ولقد ملك هذا السحر على الشاعر لبه ، وحق له أن يملكه ، ولكن المغلوب على أمره لاقدرة له ولا خير يرجى منه . وما من سبيل للشاعر الى الغلبة إلا أن يملك هو السحر بدوره ويقوى عليه فيقيده بالعبارة ويخضعه للفظ

وهاهو ذا شاعرنا يعالج الغلبة . وقد واتته بعض منظومات فى شتى الاغراض مما استوحى وحيه من الادب الفارسى . ولكنه كدأبه لا ينشط للانتاج الادبى نشاطه العجيب إلا أن يساعفه الحب ويخف الى نجدته . فانه على كل طاقته وبأسه لايستطيع شيئاً بغير هذا السند . فليس هو بصاحب السلطان على ملكاته . وقد ترين عليه فترات من الخمود يطول أمدها أحياناً حتى لتحسب أن الفنان فيه نضب معينه وصوح ربيعه . ثم على حين غرة تدر أفاويقه وتزدهر أفانينه تحت تأثير حب جديد شديد . وكذلك تتواقى أبدا فورات عبقريته على موعد من موقف غرامه ، وعهود محبته

واليوم هو فى الشرق يتغنى الشباب فيه والشيوخ بأحاديث العشق ، وتتردد على ألسنتهم اسماء أزواج من العشاق أصبحوا على صدق الهوى أعلاماً مرفوعة وامثالا مضروبة ، تسير بذكرهم الركبان ، وتستفيض أخبارهم فى كل أفق وكل زمان . كالمجنون وليلى ، وجميل وبثينة ، وخسرو وشيرين ، وصاحب الملك سليمان وملكة سبأ فاتنته السمراء ، ويوسف وزليخا

فمن له هو الآخر بشطره المكمل وإلفه الاليف ؟ أين تكون زليخاه ؟

فى شهر يوليه من عام ١٨١٤ ارتحل جوته من « وعار » شاخصاً الى الجنوب ميمما وجهة « ويزبادن » مدينة العيون الحارة الطبيعية . وقد حيا هجرته قوس قزح شاحب غارق فى غمرات الضباب . فشام فيه المهاجر بشارة الرجاء والسعادة المقبلة :

« حين اقترن إله الشمس بالمزنة الهتون ، تولد فى الحال قوس ملون بشتى الالوان

« وإنى الساعة ناظر مثل هذا القوس مرتسما فى الضباب . وهو فى رأى العين أبيض ولكنه مع هذا قوس غمام

« كذلك أنت أيها الأشيب الضليع . لاعليك إن شاب مفرقك ، فان العشق لايزال من قسمتك »
وكان قد مضت عليه سنوات عدة لم يعاود فيها هذه الاكناف من فرانكفورت مسقط رأسه ومدرج صباه فطالعته بعد مروج وعمار المزيلة ضفاف نهرى «الرين» و«المين» شائقة رائعة ، تنعكس على عبابهما عرائس الكرم ومناظر القرى وابراج الاجراس :

« ماهذا الذى يتراءى هنالك أرقش منمنما وكأنما يصل الربى بالسماء . ان هبوة البكور تزين الافق وتغشى على نظرى الثاقب . أتراها خيام الوزير أقامها لجواريه الحبيبات ، أم هي الطنافس الخسروانية يمدها احتفالا بمهرجان عرسه ؟ حمر وبيض ، ومشربة ومبرقشة ، ليس فى العيان أجل منها . ياحافظ ، أترى بلدتك شيراز أقبلت بكل ما وصفت من ورودها الى سهول بلادنا المدجنة ؟ بل هى أزاهير الخشخاش المجزعة تتبدى جميعاً وتتحدى إله الحرب فتكسو الميادين ببساط بديع بهيج

« لا برح العقلاء يغرسون الرياحين لخير الخلق ، ولا برحت الرياحين فى شعاع الشمس متألقة تألقها اليوم فى طريقى »

وكانت الكنائس فى طريقه داوية باصداء الرنين متجاوبة بصلوات الحمد احتفالا بأعياد تحرير المانيا ، وقد حفلت المحاريب بجموع الاهلين المتوافدة من كل صوب فى اثواب الآحاد القشيبة وفى جو الجنوب حيث الرياح الدافئة السافية ، ذكر جوته شيخه حافظ وحن الى الحب :

« التراب عنصر من العناصر أنت بارع التصرف فيه ياحافظ ، كما نظمت النسيب فى معشوقتك

« فالتراب على أعتاب دارها أحب اليك من الطنافس المرقة بوشى الذهب يتربع عليها ندمان الشاه أبى اسحق محمود . واذا السافيات تحملت من لدن بابها عجاجة من الغبار فانه لاطيب عرفا عندك من المسك وعطر الورد

« يا للتراب ! لقد طال حرمانى منه فى ربوع الشمال المتحفة أبد الدهر بالضباب . أما هنا فى الجنوب الدافىء فانى ملاقيه موفوراً

« غير أن أبواب الحب لما تزل دونى قابعة فى مدارها مرتجة لاصرير لها

« ألا ايتها السواقى المعصرات . أغيثينى بغيثك ، دعينى أسوف رائحة الارض الندية . ولا بأس بالرعود كلها ترعد ، وبالسماء تتأجج أقطارها بالبرق . فان الغيث المنهمر لهابط بهذا العثير المثار على وجه الارض طينة مخضلة . وسرعان ماتنبعث الحياة ، وتشيع روح من التخمر خفية السر مباركة الاثر ، فاذا كل شىء فى كل ناحية ينتعش ويترعرع ، واذا كل شىء يخضر وينضر »

واشتد بالشاعر هذا الشوق الى التجدد . ولئن كان من قبل فى طوره اليونانى يرى الصورة المفرغة والكيان المجبول أبلغ مافى الوجود ، إلا أنه اليوم يرى التحيز فى كيان بعينه معناه الجمود . فلا بد للحى من الممات لتتجدد له الحياة ، ولكى ينبعث اصفى جوهراً وأغنى عنصراً . وما الحياة

إلا تطور من حال الى حال ، سواء فى ذلك حياة الحشاش فى الثرى أو الاجرام فى أجواز الفضاء

ولقد قرأ للسعدى أبياتاً فى فاتحة غزله يتغنى فيها بشوق الفراشة الى اللهب وراحتها فى الاحتراق به ، فخرج منها بمعنى غير شوق المتصوفة الى الفناء ، لأن صاحبنا حاضر الحس لايشبع من البقاء على ظهر هذه الغبراء . وهو القائل فى رسالة له الى صديق : « يقينى أننى كنت حيا مثلما ترانى اليوم الف مرة قبل هذه المرة . ولعلى عائد الى الحياة الف مرة أخرى بعد هذه المرة » ، فشوقه انما هو الى التجدد الحافل المستمر . وهذا مايجيش الساعة بنفسه . اليس هو اليوم غيره بالامس ألم يمت جوته اليونانى طاويا حقبة حياة تنيف على خمس وعشرين سنة كانت وقفاً على عبادة المثال الاغريقى ؟ وهل يشوقه اليوم إلا أن يحترق كالفراشة فى لهب عشق جديد ليتم له فى سمته الشرقى انبعاث جديد ؟ وإنه ليشرح هذا « الحنين السعيد » فى مقطوعة من أروع الشعر :

« لاتتحدث بهذا لغير عاقل حكيم ، فان عامة الناس على الهزؤ مطبوعون :

ما أسعد الحى يطلب المنية فى اللهب !

« فى ليالى الحب الندية التى أنت فيها تتلقى الحياة وتبذل الحياة . تستحوذ عليك عاطفة غريبة إذ يسطع سنا السراج الساجى فما تطيق بعدها البقاء فى الظلمة ، ويستدرجك شوق جديد الى قران أسنى وأعلى ، ولا يقعدك المدى ، بل تخف مبادراً مفتوناً . فاذا أنت ياعاشق النور ، ياصنو الفراشة ذائب محترق

« مت وتحول خلقا جديداً ! فانك — ماجهلت هذا — لعلى ظهر الارض المظلمة ضيف حزين »

وكان هذا الضرام المنشود فى انتظاره فى فرانكفورت

وذلك أنه كان بين آل جوته وآل فيلمر أحد أصحاب الاموال فى فرانكفورت روابط صداقة قديمة فما سمع الاخير بأن جوته مقيم على مقربة منه فى « ويزبادن » حتى أقبل الى زيارته فى الرابع من شهر اغسطس سنة ١٨١٤ ومعه صاحبته مريان يونج فرد لها جوته الزيارة وتردد على بيتهما الحلوى بضاحية فرانكفورت

ومريان يونج هذه فتاة نمسوية بارعة الحسن كان أبوها صانع عيدان فى « لنز » ، وقد أظهرت منذ نعومة أظفارها ألمعية متوقدة وملكة طيبة فى الغناء والموسيقى والرقص . ولقد كانت قبل سنوات وهى دون الرابعة عشرة تلعب على المسرح الى جانب أمها فى فرقة تمثيلية قدمت تعرض العابها فى فرانكفورت . وكان الفنانة الصبية تجمع الى رونق الحسن لطف الشمائل ، فتوافر لها كل مايؤذن بمستقبل فنى زاهر . وفى الواقع نجحت في روايات الغناء والرقص نجاحاً مبينا . فهى تطلع تارة فى هيئة زهرة رائعة وتارة فى زى مهرج أنيس ظريف ملفق الثوب مختلفة الوانه وآونة تخرج من بيضة هائلة الحجم وأخرى تنطلق من فوهة مدفع من الورق المقوى . وهى فى هؤلاء جميعاً فتنة للناظرين تسبى العقول وتخلب الالباب

وكان فيمن استرعاهم جمالها وفتنة سحرها فيلمر . وكان عضوا فى إدارة المسرح . والظاهر أنه كان فى بادىء الامر مطوى الجوانح لها على شبه عاطفة أبوية وأنه أشفق على طفلة فى مثل نقائها وطهرها من بيئة التمثيل ، وارتأى مقامها منها فى غير موضعه . فاستجاب لداعى الخير ووطن نفسه على انقاذ مريان والعمل على تركها خشبة المسرح . وكان فيلمر وقتئذ أرملا فى الاربعين من عمره . فتقدم يعرض على والدة الفنانة أن تهجر صغيرتها المسرح ، وأن يتولى عنها أمرها . فيأويها عنده ويتعهدها بالتربية مع كريمتيه . فضجت مدام يونج بطبيعة الحال متمنعة معترضة ، فهيهات لها الصبر على فراق ابنتها الحبيبة ! فلما ان أقبل يحدثها عن قدر كبير من المال ينفحها به فضلا عن رزق يجريه عليها ، سلمت فى الفتاة وقلبها على حد قولها مفعم غما

ونزلت مريان فى قصر المتمول الكريم ، نخلت بين ابنتيه فى مقام ابنة له ثالثة . ولكن هـذا « الانقاذ » كان مثار اللغط . فخاضت فيه ألسنة السوء على ستها ولا كته أفواه القارضين . ومع ذلك فان فيلمر كان فى حقيقة الامر ينظر الى مريان نظرته الى ابنة له . ولقد جعل همه الى احسان أدبها وتثقيفها . فاذا بها فى زمن وجيز ذات براعة واقتدار فى الموسيقى والتصوير والشعر جميعا . وليس ينفى هذا أنه كان فى خفايا قلبه يهواها منذ البداية ، حتى اذا نماحبه واستفحل لم يسعه إلا أن يصارح به نفسه ويعترف به بينه وبين ضميره . وأما التى يهواها فانه لم يصارحها الحب الا بعد زواج كريمتيه . ولقد آنست مريان من نفسها حبا له . فقام بينهما من ذلك اليوم تعاطف جميل وميل عذرى

وفى هذه الآونة ظهر جوته فى حياتهما

وحسبنا تعريفا لما أحدثه ظهوره من الاثر أن نورد وصف « روزين » احدى كريمتى فيلمر لزائر الشاعر : « ياله من رجل ! ان صدرى ليجيش بالعواطف ! فلقد رأيت منذ هنيهة هذا الانسان وكنت أتمثله طاغية متوعر الخلق لا يطاق ، فألفيته لطيف الشيم رقيق الطبع متفتحاً للمؤثرات جميعها . يود المرء أن يحبه محبة الطفولة وأن يسكن اليـه بكليته . انها لاشك فطرة فريدة يعز نظيرها . لطافة حس وقدرة وسكينة معا . وان أهون بارضة من العشب وأيسر نبرة وأدنى لفظ ، وبالاجمال سائر مافى الطبيعة جل أو قل ــ ليناجيه بالمعانى العميقة الشائقة وليس من شىء إلا يصبح فى نفسه صورة وشعوراً . وهو يحسن تأدية هذا كله تأدية حية حق الحياة . ومن ثمة لا ريب كان كل سطر من سطوره يخاطب القلب تواً من غير وناء . ولا غرو فما عمرت كتاباته بالمعانى الا لانها تصدر عن قلب حافل عامر »

وكانت مريان حين تعرف اليها جوته تناهز الثلاثين . وهى قصيرة ربعة القوام ، ولـكنها مفعمة صحة وحرارة ومراحا ، ذات وجه مدور وذوائب سود وعينين ضحا كتين ، أشبه ما تكون بزوجته كريستيان ، غير انها أنضر ريعانا وأذكى جنانا . وما لبث الشاعر بعد التعرف بها أن اشتعل قلبه بحبها

جريا على ديدنه ومألوف عادته . ولعل فيلمر بصادق فراسته وطبيعة استرابته كان متوجساً ذلك ، فسارع فى تعجل ملحوظ إلى توثيق عشرته لصاحبته بالعقد الشرعى

ولقد نزل الشاعر تلبية لدعوة فيلمر أياما متواليات عندهما فى مغناهما الحلوى المسمى « طاحون الدباغ » ،وكانت الضيعة كما تشتهى الانفس ، وريقة وارفة الافنان تنحدر رياضها المعشوشبة وثيرة حتى نهر « المين » ويحلو التلبث فى الظلال الندية من خمائلها اللفاء الممدودة . وكان الشاعر والغانية لا يملان الاجتماع يتجاذبان حلو الحديث ويترامقان بلحاظ الحب ويتطارحان الشعر . وانفرطت الايام طوع هواهما خفيفة الخطى سراعاً ، ثم اختتمتها ليلة ليس أورى منها للوجد ولا أشجى ، اذ صعدا إلى برج الدار يشهدان من ذراها أنوار المهرجان ونيران الافراح المشبوبة من كل حدب فوق المرتفعات والروابى احتفالا بذكرى انتصار الالمان فى « ليبزج » وكانت الليلة زاهرة النجوم مهتوكة الحجب ، فكأنما اضطرمت السماء والارض معاً وامتزجتا فى شعاع واحد . فكيف يعتصم الشاعر والغانية من وقدة هذا اللاعج وبوصدان القلب دون هذا الشعاع !

وفى الغداة ارتحل الشاعر قافلا الى ويمار ، وخيال مريان لا يفارقه . فهى ماثلة له بقريحتها المتفننة اللعوب ومزاجها المرح الطروب وعينيها النجلاوين وسود ذوائبها الجثلة وصوتها الممتلىء العامر بالحياة وعودها العجيب الناطق وفهمها فهم العابد المتخشع لشعر جوته وموسيقى بيتهوفن . فلم يزل فى نشوة من هواها يمسى ويصبح لا تغيب عنه ذكراها . وكان الشاعر قد ترك عندها كتابا تذكارياً فبعث به اليه مشفوعاً بهذه الابيات : « فيك يعرف الناس أعظم من عرفوا . وفيك يكرمون خير من كرموا . ولا يمحو من رآك إلا أن يحبك » . وأصدر الشاعر فى ختام هذه السنة الطبعة الأولى من « الديوان الشرقى » ، ويشتمل على خمسين قصيدة مرتبة على حسب تواريخ نظمها ، ومن بينها قصائد فى الغزل ضمها فيما بعد الى « سفر العشق » . وفى صيف السنة التالية عاود جوته الرحلة الى « ويزبادن » . وكان قد طالع من بين ذخائر الخزانة المشرقية التى عنى بجمعها « برتليمى هربلوت » مجموعة طيبة من أخبار عشاق الشرق ، فاختار من بين أسمائهم لعروس شعره الغزلى اسم « زليخا » . ولكنه لم يتخذ لنفسه اسم « يوسف » معشوق زليخا بل تسمى فى أشعاره « حاتم »

وفى الثانى عشر من أغسطس كان الشاعر فى ضيعة « طاحون الدباغ » فى زيارة طويلة لآل فيلمر ، لكى يتملى بأسابيع راحة ، بعيداً عن همومه المنزلية بجوار زوجة طائشة ، وبعيداً عن احاديث السياسة أثناء انعقاد مؤتمر فينا . فهو هنا منقطع عن شواغل الدنيا ، يستفتح الابواب على مصاريعها لاحلامه ، ويتوغل فى جو هذا الشرق العاطر حيث يلقى زليخاه ويستلهم الوحى فى قربها

وكان الشاعر يلزم غرفته فى الصباح مختليا بنفسه ، يشتغل بتدوين الحواشى والتعقيبات على ديوانه الشرقى وتحرير بحوثه عن الفن والازمان الخالية . ولا يتوقف لحظة عما هو فيه إلا ليشرب جرعة من نبيذ الرين فى جام من الفضة . فاذا حان موعد الغداء ارتدى حلته محتفلا ، ولاقى فيلمر

ومريان على المائدة ، ثم انصرفوا بعدها إلى النزهة فى الخلوات . وثمة لا كلفة ولا ضيق فهو الاليف الأنيس وكله بساطة وطيبة . يلفتهما تارة إلى شكل السحب والى لون الظلال وكثافتها وإلى الاشجار القائمة فى الطريق ، وتارة يقطع بمديته فننا من الأسل أو ينبش عن حصاة متحدثا اليهما فى علم النبات أو طبقات الارض . نزهات ما كان أطيبها الى جنب مريان بين المروج الزاهرة وفى جوف الخمائل المظللة . على أن الليالى كانت اطيب وأمتع ، وكان جوته فيها أ كثر طلاقة وترسلا . اذ يتدثر بمبذله من الصوف الابيض ويستوى مرتاحاً فى مقعد كبير بجانب المعزف (البيانو) وتغنى مريان فى تأثرو شجو أبدع الاغانى لصاحبها جوته : « أتعرف الربوع ؟ » و « الاله والراقصة » و « ثم . ماذا نشتهى بعد هذا ؟ » ولقد أسمعتهم فى ذات ليلة قطعة لموزارت فهتف شاعرنا للعازفة مأخوذاً طرباً : « انها لدون جوان صغير » فصفق السامعون وهللوا . وظلت الحسناء بقية الليلة ورأسها مكب على كراسة الموسيقى لا ترفعه خفراً واستحياء . وكانا يختليان أحياناً عند الشرفة ، والقمر يسلسل لجه على حرير الستائر ، ويفضض عصابة مريان وطرحتها الكشميرية . وبينما فيلمر فى ركن من الاريكة مهموم ناعس ، ينشدها جوته رافعا عقيرته بمقطوعات الغزل بين حاتم وزليخا

يا للحب ! انه خارج عن الزمن . وان الماضى والحاضر ليتزجان فى هذه البقعة ويضمان الشاعر أفنا ضمة . فهذا نهر « المين » يترقرق تحت النوافذ ، وتبدو من بعيد ابراج فرانكفورت . وهنا فى جوار الطاحون مدرج الطريق التى كان من قبل يسلكها فى ذهابه للقاء احدى حبائب صباه . انهن ليتمثلن له جميعا فى مريان ، وانها لحب مديد متصل الحلقات ، حب ينطوى قديمه فى جديده

وكان اليوم الثامن والعشرون من اغسطس هو العيد السادس والستين لميلاد الشاعر ، فاذا الجوسق محفوف باغراس القصب تطاول ذوائبها النوافذ وتمايل كأنها سعف النخيل . واذا الجدران مزدانة بالزهر والنوار منسقة على مقتضى نظرية الالوان . واقبلت مريان وروزين تقدمان بين يديه ملء السلال من الرياحين وفوقها عمامة من ألطف صنوف الشف الموصلى يعلوها اكليل من الغار وفى هذا يقول جوته : « هلمى ، تعالى يا حبيبتى . أنت الموكلة بعمامتى . وما تجمل العمامة إلا أن تصوغها بنانك . وما كان الشاه عباس على عرش ايران المعظم ليعتمر بعمرة أبدع من هذه

« وهل كانت الا عمامة تلك العصابة التى كانت تتدلى سبائبها الانيقة على فودى الاسكندر ، واتخذها الملوك من بعده شارة ملكية ؟ ثم البس عمامة مازين جبين مليكنا . هم يسمونه تاجا ، فلتعد من الاسم الى المسمى . انه در وعسجد فتنة للناظرين . والشف الموصلى لله دره هو أيضا أفتن الشارات وأبهى الحلى — وهذى عمامتى ناصعة البياض مفضضة الأطراف . فتعالى يا حبيبتى . واعصبى بها جبينى . فما العظمة ؟ انها عندى شىء مألوف . ترمقنى عيناك فاذا أنا الملك العظيم الشان »

وما حل شهر سبتمبر حتى كان جوته جياش الصدر ، يفيض فيضا بالشعر . يرسل المقطوعة فى أثر المقطوعة باسم حاتم متغزلا بصاحبته زليخا . وما كان أشد دهشة الشاعر وفرحته وهو

يتلقى جوابها شعراً بشعر من طبقته وفى قوته وبلاغته! ولقد ودعها متعجلا ولكنه وداع من يفر من نفسه . فرحل فى الثامن عشر الى « هيدلبرج » بدعوة من صديقه « بواسريه » أحد هواة الفن ، لمشاهدة مجموعته من اللوحات والصور لاعلام المصورين . بيد أن آل فيلمر لحقوا به بعد أيام . وقد نظمت مريان فى الطريق انشودة حنين « مناجاة لنسيم الصبا » . وهنا بين اطلال القصر القديم وآجام الربى المشرفة على النهر قضيا أويقات هنية مسكرة وتعاهدا على أن يذكر كل منهما صاحبه. وفى اجتماعهما بعد الفراق نظم الشاعر قصيدته العصماء فى « اللقاء » . ثم بعد قليل كان الوداع الاخير

مضت مريان فى السادس والعشرين . وبقى الشاعر بعدها مختليا بنفسه أياما فى منزل مضيفه . والذكرى فى قلبه لما تزل ماثلة حية وأغانى الحب فيه لاتفتأ ثرة المعين متدفقة :

« ياالغدائر الخلابة ! أنت تيمتنى وأوقعتنى شباكك فى أسر هذه الطلعة الاسيلة الجلواء . وليس عندى أيتها الاساود المحبة ما يضارعك . ليس لى إلا قلبى ، وهو أبداً كعهده ، يتملأ وينفتح كالزهرة اليانعة . إنه تحت الثلج الأشهب والدجن المخيم بركان مسجور يجيش بحبك . لقد علت وجهى منك حمرة كما اصطبغت من الفجر مراقى الجبال الوعرة . وآنس « حاتم » مرة أخرى فى نفسه نفحة الربيع ووقدة الصيف » . ولقد أجابته مريان بابيات رائعات تناشده : « والله لا أرضى لك التلف . فان الحب يذكى الحب ويؤكده . فابق بصبابتك زينة لصباى . وما أشدنى زهواً بمحبتك كما سمعت اطراء الناس لعبقريتك : فانما الحب الحياة ، وعبقرية الذهن حياة الحياة »

وانطوى جوته على مضض ولوعة دفينة ، ونبا جنبه المضجع وجفاه طيب الكرى . وفى أوائل اكتوبر ارتحل متنقلا في جهات متعرجة متعددة فى طريق المعاد الى ويمر . وفى هذه الاثناء كتبت اليه مريان انشودة حنين هي « مناجاة لريح الدبور » غير أنه مضى حسيراً مبلبل الفكر مهدود القوى . تنطق بحسرته تلميحات وأحاج وكنايات ، وتتناهبه هواجس غريبة . وقد تمتم ذات يوم بصوت متهدج : « سأكتب وصيتى . لم أعد أستطيع المقام . لا أستطيع المقام » وكان — على ما فى الرحلة من الشواغل والمصادفات — شجياً حليف الاسى يعالج البرحاء ، ولا يقدر له من يراه شفاه

ولم ير جوته مريان . وتكفل الزمن بشفائه من وجده إلا أن المراسلة اتصلت بينهما ، ودامت صداقتهما حتى موته . وظلت هى مقيمة على عهده ، حتى آخر العمر . وان الصليب الذى يزدان به قبرها فى فرانكفورت ليشهد بذلك أبلغ الشهادة فى الكلمة المنقوشة عليه : « الحب لايموت »

ولقد أتم جوته نظم ديوانه الشرقى فى سنتى ١٨١٤ و١٨١٥ وطبعه كاملا مفرغاً فى الصورة النهائية له عام ١٨١٩ . وهو مقسم على اثنى عشر بابا مختلفة الاغراض سنأتى على تفصيلها فى مقال تال . وقد تعمد الشاعر أن يكون كتاب زليخا فى المنتصف بين اجزاء الديوان لاعتباره إياه قلب الديوان وفى الحق أنه منه فى مقام القلب الخفاق الجائش بدم الحياة

عبد الرحمن صدقى

لماذا أرى اللاتينية من العربية

بقلم الاب انستاس ماري الكرملي

« لكل كلمة لاتينية أو اغريقية احادية الهجاء أو ثنائيته مقابل لها في اللغة العربية » هذا ما وصل اليه في بحثه الاب انستاس ماري الكرملي. فقد كان علماء اللغة يرون ان لا صلة بين العربية واللاتينية. ولكن جناب الاب استطاع في هذا البحث اللغوي القيم أن يبرهن على وجود هذه الصلة بالشواهد والامثلة العدة

يرى علماء اللغة أن لا صلة بين العربية واللاتينية، كما لا علاقة للعربية باليونانية. أما النفر القليل منهم، فيرى ان المشابهة بينة بين الساميات واليافثيات، ومن جملتهم الاستاذ هرمن ملر، وكان من مدرسي جامعة كوبنهاغن، وقد الف كتاباً سماه: «وحدة الالفاظ الهندية الجرمانية والسامية» Vergleichendes Indogermanisch —Semitisches Worterbuch. Hermann Muller وهو بالالمانية وأنا لا أفهم كلمة من هذه اللغة. ولهذا لا اقتبس منه حرفاً واحداً بل اذكر هنا ما بلغت اليه من تحقيقاتي الشخصية بسعيي واجتهادي. ومبدئي هو: «أن لكل كلمة لاتينية، أو غريقية احادية الهجاء أو ثنائيته، مقابلا لها في اللغة العربية». على انه قد يتفق أن بعض الالفاظ العربية مماتة أو مندثرة، وهي حية في اللغتين الاماميين، ولهذا لا يقال أن لا شبيه لها في العربية. بل أن ما يناظرها في لغتنا مفقود في عهدنا هذا.

سبب قولي بان اللاتينية هي من العربية

الذي يحملني على هذا القول، هو أن العربية بقيت في حداثتها في جميع مشتقاتها، وأما اللاتينية فانها تطورت تطورات غريبة أبعدتها عن الاصل كما يظهر لك هذا الامر من بعض الشواهد التي نذكرها فيما بعد

وثم سبب آخر هو أن الهجاء الواحد العربي يمثل حكاية ما في الطبيعة ثم يزاد في أوله حرف أو في قلبه أو في ذيله للتفنن في المعنى وفي تصوير حقائق المعاني. وليس الامر كذلك في الرومية (اللاتينية). وهناك سبب ثالث هو ان الحرف الواحد قد ينتقل إلى حرف آخر يقاربه في مخرجه من الفم فتتشابه المعاني لتشابه مخارج الاصوات. وهو أمر بديع لا يرى في أي لغة وجدت على الارض. وكل ذلك يتضح من الامثلة التي نورد بعضها فقط لكيلا نحمل ذهن القارىء حملا ثقيلا لا يستطيع النهوض به

بعض الشواهد على تطور اللفظ فى اللاتينية دون العربية

فعل (زرع يزرع زرعاً) يضارعه فى اللاتينية Sero. ودونك تفصيل كلمتهم هذه: إن اللاتين أو الرومان يكرهون الزاى أو Z فى أول ألفاظهم ولهذا لاترى كلمة لاتينية بحتة تبتدىء بهذا الحرف. نعم ان هناك بعض كلمات إلا أن أصلها يونانى أو سامى. ولهذا يقلبون كل «زاى» «سيناً»، لتكون الكلمة لاتينية الخلق، ثم لما لم يكن فى لسانهم «عين» أو أى حرف حلقى اسقطوه فى نقله الى لغتهم. ولهذا قالوا فى زرع Sero

وأنت تسلم معى بان اللفظ سامى الاصل اذ يرى فى العبرية والآرمية والحبشية فضلا عن العربية أم اللغات، وذلك واضح من أن «الزراعة» عرفت فى ديار العراق أو فى وادى النيل قبل أن يعرفها غير سكان الديار المذكورة. اذن (زرع) قديمة وما شابهها من الفاظ سائر اللغات مأخوذ منها. و (زرع) وردت فى سفر الخلق لموسى وسفر الخلق من أقدم الكتب المخطوطة التى وصلت الينا. فهل من أحد يجرؤ على أن يقول الخلاف ؟

ومشتقات (زرع) فى العربية مدونة فى جميع دواوين اللغة كبيرها وصغيرها وكلها تتقارب بعضها من بعض. أما اللاتينية فتبتعد عن الاصل بعداً شاسعاً

مثال ذلك يقولون فى المزروع Situm (سيتم) والمزروعات Sata (ساتا) والزرع (مصدر زرع) Satio (وكانت تلفظ قديما ساتيو واليوم يلفظونها ساسيو) (١) والزرع للحب الذى يزرع Semen (سيمن) وفى الاضافة يقولون Seminis (سيمنس) والمزرعة اسمها Seminarium (سيناريوم) والزارع Seminator (سميناتور) وزرع تزريعاً غير موجود فى العربية، إلا أنه يقاس على ما يشابهه من معانى الافعال، وهو كقولك فرق تفريقاً أى نثر زرعه هنا وهناك — وهو باللاتينية Dissemiare (دسميناره) إلى غير ذلك من مشتقاتنا ومشتقاتهم. ولكنك ترى الزاى والراء والعين فى جميع الفروع من لغتنا وأما فى لسانهم فقد ضاع الاصل ولم يبق منه سوى السين الذى أصله الزاى، فاين لغتنا من لغتهم ؟ — فهذا دليل بين على أن لغتنا بقيت على حداثتها بخلاف اللاتينيه

ولنا أمثال لا تعد ولا تحصى من هذا القبيل. ولا بأس من سرد مثال آخر: هذه كلمة (رعى) بمعنى دبر وساس وقاد الى المرعى. فان اللاتين نقلوها الى لغتهم بصورة Rego وقد حولوا هذه المرة العين G لعدم وجود حرف حلقى يقابل العين عندهم. وهم قد فعلوا مثل ذلك منذ أقدم الازمنة، فقد

(١) ومن الغريب اننا نرى تحويل التاء المثناة الفوقية سينا صفيرية في لغتنا نفسها ويسمى «الوتم» قال في المزهر (١ : ١٠٩ من طبعة بولاق): الوتم في لغة اليمن أن تجعل السين تاء كالنات في الناس.» اه قلنا: وقال بعضهم الجت في الجس، والعانت في العانس، والقربوت في القربوس، ونكته في نكسه. ونات ينوت في ناس ينوس، والوتاوت في الوساوس، وهمت الكلام مثل همسه اي اخفاه، الى غير ذلك

سموا مثلا عمورة Gomorrah وهناك مئات من الألفاظ حولوا فيها حرفنا الحلقي السامي ونقلوه الى حرفهم G. ورعى ترى فى جميع اللغات السامية : العبرية والارمية، والحبشية، والسامرية، فهى اذن سامية بلا أدنى ريب. وقد ورد لفظ (الراعى) بالعربية بمعنى الملك، وان لم توضح فى معاجمنا اللغوية. وسموا تابعيه (الرعية) ومنه الحديث — على ما ورد فى النهاية لابن الأثير : «كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته» قال : «أى حافظ مؤتمن. والرعية كل من شمله حفظ الراعى ونظره» اهـ وانت ترى ان عمل الراعى هو عمل الملك نفسه. ومنه اسمه. أما الراعى أو الملك فى لغتهم فهو Rex (ركس) وفى الاضافة Regis (ريجس) فانظر ما حل بكلمتنا فى لسانهم. وقالوا فى ترعى Regis (ريجس كالراعى عندهم فى حال الاضافة) ورعى (بالماضى فى لسانهم) Rexit (ركست) والمرعى Rectum (ركتم) والمصدر Regere (ريجره). واشتقوا من فعلهم هذا كلمات كثيرة وكلها تبعد عن الاصل وكأنه ينكرها الكثرة التغيرات التى وقعت فى فروعه بخلاف العربية، فانها بقيت محافظة على الحروف الاصلية مع زيادات داخلة ومقحمة، وكاسعة، حتى انها لا تخفى على المبتدىء فى اللغات

ولنا غير ذلك من الالفاظ المشابهة لماذكرنا هنا وهى تعد بالمئات لا بالعشرات. ومن المحال أن يقال : «ان هناك الفاظا لا يعتمد عليها، أولا يقاس عليها ولا تثبت البتة أن اللاتينية منها». فهذا كلام رجل متعصب لا يريد أن يرى الحق بعينيه ولا يود لمسه بيديه

ان الهجاء الواحد العربي يتفرع فروعاً كلها متجانسة

ذكرنا أن فى لغتنا : أن الهجاء الواحد العربى يتفرع فروعاً كثيرة متجانسة، وكلها تمثل حكاية مافى الطبيعة ثم يزاد فى أوله أوفى قلبه أو فى آخره، حرف للتفنن فى المعنى، ونضيف إلى ذلك : ان تلك المبانى مع معانيها تكاد لا تحصى، وكلها تتدانى وتتقارب، ويأخذ بعضها بأيدى البعض الآخر فتتهادى بين يديك، وتتراقص وتداعب العقول مداعبة تسكر حياها من يلاطفها أو يداعبها. ونحن نجتزىء بذكر شاهد واحد خوف الاطالة والاملال

الاداة Cum اللاتينية تدل على «مع» العربية (١). وقد تأتى «كم» العربية بما تعنى

---

(١) ولنا راى آخر هو ان الحرف G هنا منقول عن العين العربية فيكون مقابلها (عم) بمعنى (مع) لكن العرب لم يحتفظوا بهذه الصورة بل نقلوها الى (مع) اما الارميون والعبريون فقد ابقوها على حالها (أي عم بمعنى مع). أما السلف فكان عندهم في أول الامر (عم) عوض (مع). والدليل على ذلك : فعل (عم) و (العموم). وتكسع (عم) بأحرف تغير معنى هذا الحرف ومنه عمت الصوف عمتا : لفه (أي جمعه) مستديراً ليجعل في اليد فيغزل — وعمد الثرى : بلّه المطر حتى اذا قبضت عليه تعقد (تجمع) لندوته — وعمر فلان الدار : بناها (أي جمع حجارة الى حجارة ليقيم منها بيوتا وحيطاناً) — العمشج والعماشج : الصلب الشديد من الخيل والابل (الذي تجمع عضله واشتد) — وعمعم الرجل : كثر جيشه بعد قلة. والعماعم الجيش المتفرق — والعمهج والعماهج : الممتلىء لحما وشحما، والاخضر الملتف من النبات والعمروج : المتلىء

الاداة اللاتينية التي يتركب منها افعال واسماء كثيرة في تلك اللغة تدل على الجمع والملء. وعندنا في لغتنا المبينة الفاظ كثيرة تدل على الجمع والملء وهي مركبة من «كم». من ذلك كمز السقاء: ملأه — وناقة مكملة الخلق: أي متداخلة مجتمعة — وكمز الشيء: اجتمع وتداخل بعضه في بعض — وكمز الشيء: جمعه بيديه حتى يستدير، والكمزة: الكتلة من التمر ونحوه والكثبة من الرمل والتراب — واكمش بالناقة: صر أخلافها جمع، وتكمش الجلد تقبض واجتمع — وكمر السنام: صار فيه شحم أي اجتمع — وكمل الشيء وأكمله: أتمه، وجمله أي جعله جملة وكم الناس اجتمعوا. قلنا وهذه الكلمة هي أساس الكلمة اللاتينية، لانها تدل على الجمع ولفظها كلفظها بلا أدنى فرق — ومنه أيضا: كم الشيء بكمه أي غطاه — وكهل الرجل: جمع ثيابه وحزمها للسفر. وكهل المال جمعه. وهذا ماتراه في اللاتينية أيضا أي Cumulo وكمى نفسه: سترها بالدرع والبيضة، ومنه الكمى، وهو الشجاع اللابس السلاح سمى به لانه كمى نفسه أي سترها. والكيتل القصير المجتمع الخلق

وتبدل الكاف جيما فتصير (كم) (جم) فتجيء منه الفاظ كثيرة منها الجم وهو الجمع والكثرة من كل شيء. والجم من الماء: معظمه. وفي جم مشتقات عدة تدل كلها على الكثرة والجمع. ومن الجم جاءتنا كلمة الجمع، بزيادة عين في الآخر. والجمد الحجارة المجموعة وجمر الحمار وجمعر: جمع نفسه وجراميزه ثم «حمل» على العانة، أو على الشيء، اذا أراد كدمه. والجمهور كالجمور الجمع العظيم والجملة من العسل والسمن: كتلة منهما صغيرة قدر جوزة. وجمع الشيء كجمله — وجيا الجنين وغيره: حركته واجتماعه، وجبى الماء: جمع. والجثورة: التراب المجتمع — وتجيا بثيابه وتجمع. والجماجم جمع جمجمة، والقبائل التي تجمع البطون — والجمجمة القحف أو العظم الذي يجمع الدماغ، والجماح ما يخرج على أطرافه شبه سنبل لين كرموس الحلى والصليان ونحوه. وجمد الماء: تجمعت دقائقه. وجمر القوم على الامر: تجمعوا وانضموا — والجزة الكتلة من التمر والاقط، وبرعوم النبت الذي فيه الحبة. وجس الودك جمد، والجسة القطعة من الابل ومن التمر اليابس — وجمش الناقة: حلبها باطراف اصابعه — والجماظ الصلب الجافي الى غير هذا

و (جم) تنتقل الى (ضم) فتفرق منه الفاظ كثيرة لاتخرج عن معنى الاجتماع — وضم تصير على لغة (صم) أي بالصاد المهملة أو تنقلب عيناً على لغة أخرى. فيأتي منها (عم) ويتولد منها كلم لاتحصى و (عم) تصير (أم) ومشتقاتها لاتجهل — و(أم) تصير على لغة (لم) ومنها الفاظ لاتحصى عدا. فهذه طريقة لغتنا المبينة

لحماً وشحماً — والعميدر: الغلام الناعم البدن الكثير المال — والعميثل من كل شيء: البطيء لعظمه وترهله. والعميثلة: الناقة الجسيمة. وهناك غير هذه الامثلة فاجتزأنا بما ذكرنا

نزيد على ما تقدم ان ابدال الكاف عيناً وبالعكس معروف عند العرب والبدويين ومنه. قولهم: اكلندى البعير كاعلندي أي غلظ. وباع الشيء وباكه. وكبل الشيء حبسه مثل عبله. فاذا كان الامر جارياً في لغتنا، فلماذا لا يكون سارياً في لغة الاعاجم؟

أما طريقة اللاتين فانهم يضيفون الى Cum الفاظاً فتطول طولاً شنيعاً تزيد اللسان ثقلاً وعياً. وقد تتحول الى Com أو Con أو Col أو Co (١) على ما يطول شرحه. وهذا لا يخفى على من درس لغتهم، ووقف على أسرارها، وبهذا القدر كفاية، اذ الاستفاضة فيه، تقع في عدة مجلدات والله الهادي

الاب انستاس ماري الكرملي

في ساعة الاحتضار

قيل لما مرض معاوية بن ابي سفيان مرضه الاخير وفد اليه الناس يعودونه. فقال لاهله: «مهدوا لي فراشاً، واسندوني، وأوسعوا رأسي دهاناً، ثم اكحلوا عينيّ بالاثمد، ثم ائذنوا للناس يدخلوا ويسلموا عليّ قياماً، ولا تجلسوا عندي احداً» ففعلوا ذلك. فلما خرجوا من عنده أنشد يقول:

وتجلدي للشامتين أريهم ... أني لريب الدهر لا أتضعضع
وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمة لا تنفع

ولما دنا منه الموت تمثل بهذا البيت:

هو الموت لا منجي من الموت والذي ... نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

---

(١) ترى شواهد على ذلك في المعاجم الفرنسية والانكليزية، فضلاً عن اللاتينية وقد أبينا ذكر شيء من هذا القبيل لأنا حصرنا مقالنا في شواهد لغتنا الضادية دون اللغات الاجنبية

ونختم كلامنا هذا بأن بعض الادباء والكتاب المعاصرين يقولون اللاطين واللاطينية جرياً وراء بعض الاقدمين. ونحن نفضل الجري وراء الاقدمين الذين نطقوا بالكلمة على أصلها. أي بالتاء لا بالطاء الكريهة هنا على السمع. قال الحاج خليفة في كتابه كشف الظنون ـ وقد نقل نصه عن الاقدمين أيضاً ـ في مادة علم الحكمة في باب الحاء: «وحققنا ذلك حين الاشتغال بنقل كتاب اطلس وغيره من لغة (لاتن) الى اللغة التركية» ـ وقال قبل ذلك: «فا كثرها [أي اكثر كتب الحكمة] ليس باسلامي. بل يوناني ولاتيني» اهـ نقله بحرفه

وممن ذكر اللتين (وزان السكين) صاحب البرهان القاطع في نحو آخر معجمه. وهناك غير هذين المؤلفين فاكتفينا بذكرهما عن سواهما فنقول ان الذين يكتبون اللاتن أو اللاتين أو اللتين غير مخطئين وكذلك من يقول اللاطين أو اللاطين فكل ذلك مسموع غير مدفوع فليحفظ

الازهر ودار الحكمة

وكيف بدأت صفة الازهر الجامعية

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

هل أنشأ الفاطميون الازهر ليكون مسجداً أو جامعة ؟ وهل أنشأوا مدرسة أخرى لدراسة العلوم الدينية ؟ وهل أشركوا النساء في تعلم هذه العلوم ؟ ومتى بدأت الدراسة في الازهر ؟ وكيف استقل بالتعليم وأغلقت المدارس الاخرى ؟ — ذلك ما تراه مفصلا في هذا المقال التاريخي الطريف

منذ نحو الف عام يتمتع الجامع الأزهر بصفته الجامعية . بيد أنه من الخطأ الذائع أن نقرن هذه الصفة الجامعية بفكرة تأسيس الجامع الازهر ذاتها ، فلم ينشأ الأزهر ليكون جامعة أو مدرسة ، وإنما أنشىء ليكون مسجداً رسمياً للدولة الجديدة التي قامت بانشائه أعني الدولة الفاطمية ، ومنبراً للدعوة التي حملتها هذه الدولة الجديدة الى مصر . وكانت المساجد الجامعة تحمل منذ عصر الفتح الاول ، طابع الرسمية ، وتقام في العواصم الاسلامية الجديدة رمزاً لسيادة الاسلام ومنبراً لدعوته . وأول مسجد أقيم بمصر هو جامع عمرو ، أقيم بالفسطاط أول عاصمة للاسلام بمصر . وكما كانت العاصمة الجديدة رمزاً لسيادة الاسلام السياسية ، فكذلك كان المسجد الجامع أو جامع عمرو رمزاً لسيادة الاسلام الروحية . وكان المسجد الجامع مركز الصلاة الرسمية التي لبثت عصراً خطة خاصة إلى جانب خطة القضاء ، وخطة الخراج ، ومركز الدعوات والخطب والمجالس الرسمية ، ومركز القضاء الاعلى . ثم غدا المسجد الجامع بمضى الزمن وظروف العصر أيضاً مركز الحلقات العلمية والادبية ، وأضحت هذه الصفة الجامعية من بعض مهامه وصفاته . بيد أنها لم تكن مقصودة ولا منظمة . ولما استقل احمد بن طولون بولاية مصر ، أنشأ عاصمته الجديدة (القطائع) ومسجده الجامع فكانا رمزا للدولة الجديدة وسيادتها . وكان قيام القاهرة وجامعها — أى الجامع الازهر — على يد الدولة الفاطمية عنواناً لهذه السياسة التقليدية . فكانت القاهرة عاصمة الدولة الجديدة و رمزاً لسلطانها السياسي ، وكان الأزهر رمزاً لسيادتها الروحية . وليس فى تاريخ الازهر ما يدل على أنه أنشىء في الاصل ليكون جامعة أو معهداً للدرس ، ولكن المساجد الجامعة بمصر الاسلامية كانت كما قدمنا إلى جانب صفتها الرسمية والدينيـة ، تقوم بدور هام فى توجيه الحركة العقلية ، فقد كان المسجد الجامع مثلا منذ القرن الاول للهجرة منتدى

العلماء والادباء ومركزاً للدراسة الممتازة ، وكان حين إنشاء الجامع الازهر أهم معهد للقراءة والدرس في مصر . ويرجع بدء الدراسة بالازهر إلى ما بعد إنشائه بنحو أربعة أعوام فقط ، في عهد المعز لدين الله ذاته . ففي صفر سنة ٣٦٥ هـ جلس كبير القضاة علي بن النعمان القيرواني بالجامع الازهر ، وقرأ مختصر أبيه في فقه آل البيت في جمع حافل ، فكانت هذه أول حلقة عقدت للدرس بالجامع الازهر [١] ، وتوالت حلقات بني النعمان بالازهر بعد ذلك . وفي رمضان سنة ٣٦٩ هـ جلس ابن كلس وزير المعز لدين الله ثم وزير ولده العزيز من بعده وقرأ على الناس كتابه في الفقه [٢] . والظاهر أن عقد المجالس الدراسية بالازهر لم يكن يومئذ عاماً ، بل كان خاصاً ، مقصوراً على أكابر رجال الدولة. ثم تقدم الوزير ابن كلس خطوة أخرى في تحويل الازهر إلى معهد دراسي ، فاستأذن العزيز بالله سنة ٣٧٨ هـ في أن يعين بالازهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس ، وبذلك اتخذ الجامع الازهر صفته الدراسية . وكان هذا التحول طبيعياً متفقاً مع تقليد المساجد الجامعة . بيد أن الدراسة بالازهر في هذه المرحلة الاولى كانت قليلة الانتظام محدودة المدى

وقد كان من برنامج الخلافة الفاطمية أن تقيم في العاصمة الجديدة جامعة للدرس ونشر المذهب الفاطمي ، ولكنها لم ترأن تتخذ من الازهر - وهو مسجد الدولة الرسمي - مقراً لهذه الجامعة ، بل أريد أن تكون الجامعة الجديدة معهداً مستقلا بذاته وعلى ذلك أنشئت دار الحكمة الفاطمية أو دار العلم الشهيرة . أنشأها الحاكم بأمر الله في جمادى الآخرة سنة ٣٩٥ هـ (مارس سنة ١٠٠٥) . وكانت تعقد قبل ذلك مجالس بالقصر تسمى مجالس الحكمة ، ينظمها قاضي القضاة وتقرأ فيها علوم آل البيت ويهرع الناس إلى شهودها وتخصص فيها مجالس للكافة ومجالس للخاصة وأخرى للنساء . ولكن الحاكم بأمر الله رأى أن تكون هذه المجالس أوسع مدى وأن تنظم في سلك حلقات دينية وعلمية متصلة يجمعها معهد رسمي واحد . فأنشئت دار الحكمة وأفردت لها دار عظيمة بجوار القصر الفاطمي [٣] وعين فيها أقطاب الاساتذة وقسمت إلى مجالس للقرآن والفقه واللغة والطب والتنجيم ، وأنشئت بها مكتبة عظيمة للدرس

(١) راجع خطط المقريزي الطبعة الاهلية ج ٤ ص ١٥٦

(٢) ابن خلكان - بولاق - ج ٢ ص ٤٤١ . خطط المقريزي ج ٤ ص ١٥٧ . ويستفاد ضمنا من كلام المقريزي وابن خلكان أن ابن كلس كان يجلس للدرس أحياناً بالازهر وأحياناً بداره .

(٣) كانت هذه الدار بجوار باب التبانين أحد أبواب القصر الفاطمي الصغير وكانت متصلة به (خطط المقريزي - ج ٢ ص ٣٣٧)

والمراجعة ورصدت للانفاق عليها أموال عظيمة، وكان التعليم فيها حرا على نفقة الدولة، ويشمل صرف الكتب والادوات الدراسية . فهرع اليها الطلاب من كل صوب وعينت للنساء فيها مجالس خاصة . وكان الاشراف على مجالس الحكمة من شئون قاضي القضاة ولكنها لما انتظمت واتسع نطاقها بقيام دار الحكمة عهد بها الى زعيم خاص يلي قاضي القضاة فى الرتبة ويسمى « داعى الدعاة » وأنشىء لها بين وظائف الدولة ديوان خاص [١] . ولم يمض سوى قليل حتى ازدهرت الجامعة الجديدة وسار ذكرها فى الآفاق وتبوأت مكان الزعامة في الدراسات العالية في هذا العصر [٢]

وكان لقيام دار الحكمة أثر كبير في سير الدراسة بالجامع الازهر فقد ركدت حلقاته يومئذ وانفض عنه عدد كبير من الطلاب والاساتذة الى الجامعة الجديدة . بيد أنه يلوح لنا من جهة أخرى أن الازهر لبث في هذه الفترة ملاذا للعلوم الدينية . والواقع أن قيام دار الحكمة لم يكن نسخاً للدور الذى بدأ الازهر يقوم به كمعهد للدرس والقراءة وانما كان متمما لهذا الدور، وبينما استمر الازهر مركزا للثقافة الدينية المحضة إذا بدار الحكمة تعنى إلى جانب مهمتها فى نشر علوم آل البيت بتدريس علوم اللغة والطب والرياضة والمنطق والفلسفة وما اليها [٣] وبينما لبث الازهر محتفظاً بطابعه الديني الخالص إذا بدار الحكمة تغلب عليها الصفة المدنية والفلسفية . وثمة فارق آخر بين المعهدين المتنافسين ، هو أنه بينما كانت العلوم الدينيـة تدرس بالازهر في نوع من الحرية دون التقيـد بالقيود المذهبية إذا بدار الحكمة تقصر التعليم الدينى على مذهب الشيعة وعلوم آل البيت ، وكان جامع مصر أو جامع عمرو لا يزال يحتفظ الى جانب الازهر ودار الحكمة بقسط من نشاطه القديم في توجيه الحركة الفكرية ، وتعقد حلقاته العلمية والأدبية بانتظام ويشهدها كثير من الاساتذة والطلاب والشعراء [٤]

كانت هذه المعاهد الثلاثة جامع القاهرة أو الجامع الازهر ودار الحكمة أو دار العلم

(١) كان منصب داعي الدعاة (أو رئيس الدعاة) من المناصب الدينية الكبيرة في الدولة الفاطمية وكان يختار من كبار العلماء المتفوقين في علوم آل البيت وله نقباء ونواب فى سائر النواحي (راجع الخطط ج ٢ ص ٢٢٦ ـ وصبح الاعشى ج ٣) (٢) راجع في دار الحكمة ونظمها ومجالسها ـ الخطط ـ ج ٢ ص ٢٢٦ و٢٢٧ و٣٣٤ و ٣٣٧ وصبح الاعشى ج ٣ وحسن المحاضرة للسيوطي (مصر) ج ٢ ص ١٦٨ . وراجع أيضاً بحثاً نشرته مجلة الهلال بقلم محمد عبد الله عنان (عدد يناير سنة ١٩٣٤)

(٣) الخطط ج ٢ ص ٣٣٤ ـ كتاب قضاة مصر وامرائها للكندى (الذيل) طبعة رفن جست ص ٦١٠

(٤) الخطط ج ٢ ص ١٤٨

وجامع مصر أو جامع عمرو هي معاهد الدراسات العالية في مصر الاسلامية في أوائل القرن الخامس الهجري. وكانت دولة التفكير والأدب في بغداد قد أخذت في الضعف والاضمحلال وأخذت مصر تتأهب بدورها لرعاية التفكير الاسلامي في الشرق، وأخذت قاهرتها تجذب أنظار العلماء في المشرق والمغرب، ولكن الازهر لم يكن قد تبوأ مركز الزعامة العلمية التي جعلته فيما بعد كعبة العلماء والطلاب من جميع الاقطار الاسلامية. ونلاحظ أن العلماء والرحل الذين وفدوا على مصر في تلك الفترة مثل ناصري خسرو الذي شهدها سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٨ م)[١] وعبد العزيز بن أبي الصلت العلامة الاندلسي الذي شهدها في أوائل القرن السادس الهجري[٢] - لم يشيدوا بذكر الازهر ومكانته العلمية كما شاد بها بعد ذلك بنحو قرن علماء مثل عبد اللطيف البغدادي[٣]. بيد أن الازهر كان يومئذ ركن الثقافة الدينية في مصر، وكان عنصراً هاماً من عناصر الحركة الفكرية، وكان يأخذ بقسط بارز في تخريج العلماء والاساتذة ولا سيما المحدثين والفقهاء. وكانت تعقد فيه الى جانب الحلقات العادية مجالس الحكمة للنساء في أحيان كثيرة[٤]. وكانت له فوق ذلك أهمية رسمية خاصة ففيه كان جلوس قاضي القضاة في أيام معينة[٥]. وفيه كان مركز المحتسب العام[٦]. وفيه كان يعقد كثير من المجالس الخلافية والقضائية

ولبثت دار الحكمة مدى قرن تنافس الازهر في مهمته العلمية وتتبوأ مكان السبق والزعامة في أحيان كثيرة. بيد أن ذلك الازدهار لم يطل امده فقد اضطربت شئون هذه الجامعة وفتر نشاطها منذ منتصف القرن الخامس الهجري، وفقدت كثيراً من أهميتها أيام المستنصر بالله حينما اضطربت شئون الخلافة الفاطمية وسرت الفوضى الى كل شئون الدولة ومرافقها، وما زال أمرها في انحلال حتى انتهى أمير الجيوش الافضل شاهنشاه بابطالها واغلاقها في أوائل القرن السادس أيام الخليفة الآمر بأحكام الله (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ) لما ذاع

---

(١) راجع الترجمة الفرنسية لرحلة ناصري خسرو Relation du Voyage de Nasiri Khosru (ص ٤٦ - ٥٤) حيث يصف قاهرة مصر.

(٢) وفد ابن أبي الصلت على مصر ايام الافضل شاهنشاه ابن بدر الجمالي في خلافة الآمر باحكام الله وتوفي سنة ٥٢٨ هـ

(٣) وفد عبد اللطيف البغدادي على مصر في اواخر القرن السادس الهجري

(٤) خطط المقريزي - ج ٢ ص ٢٢٦

(٥) كتاب الولاة والقضاة للكندي - ص ٦٠٠ - ٦١١

(٦) المقريزي - ج ٢ ص ٣٤٢

من تدخلها في العقائد (١) . ثم أعادها المأمون البطائحي وزير الآمر بأحكام الله سنة ٥١٧ هـ على نمط جديد . وعنى فيها عندئذ بتدريس القرآن وعلومه عناية خاصة واستمرت زهاء نصف قرن آخر حتى نهاية الدولة الفاطمية (٢) . بيد أنها كانت فى تلك الفترة معهداً عادياً لا يتمتع بكثير من أهميته القديمة

ولقد أصيبت الحياة العقلية فى مصر الاسلامية بكثير من الاضطراب والضعف فى أواسط القرن الخامس الهجرى أعنى منذ اضطربت شئون الخلافة الفاطمية في عهد المستنصر بالله ونكبت مصر بالشدة العظمى وعانت عسف القحط والوباء أعواماً طويلة (٤٤٦-٤٦٤هـ) وشغل المجتمع المصرى حيناً بما توالى عليه من الارزاء والمحن ، وشغل الخلفاء ورجال الدولة بالتنازع على السلطان وتدبير الانقلابات السياسية العنيفة عن تعهد الحركة الفكرية ، وعجزت الدولة عن الانفاق على معاهد التعليم لنضوب مواردها ، و بددت خزائن الكتب أثناء الفتنة وكانت من أنفس وأعظم ما عرف العالم الاسلامى (٣) . هذا الى أن الصبغة المذهبية التى كانت الخلافة تعنى بمراعاتها في التعليم والدرس كانت تثير كثيراً من الصعاب والمتاعب فى وجه الطلاب والاساتذة ، وكان لهذا الاضطراب أثره فى الازهر ودار العلم فركدت حركة الدرس والتحصيل تبعاً لركود الحياة العامة واضطراب الحياة الخاصة . وفى أواخر القرن الخامس فى عصر امير الجيوش بدر الجمالى المتغلب على الدولة (٤٦٥ - ٤٨٧ هـ) وولده الافضل شاهنشاه (٤٨٧ - ٥١٥ هـ) عاد النظام والامن والرخاء الى البلاد وانتظمت الحياة العامة واستعادت الحياة الفكرية نشاطها بما أسبغ عليها من الرعاية وما بذل للانفاق على معاهد الدرس من الاموال والارزاق

[النقل ممنوع] محمد عبد الله عنان

المحامي

ه انهزم ابو عبد الله ، آخر ملوك غرناطة ، أمام ملك اسبانيا فرديناندو . وسقطت عاصمة ملكه فى قبضة الاسبانيين سنة ١٤٩١ . فاضطر ابو عبد الله الى الخروج منها مع اسرته . ووقف فوق جبل يشرف على المدينة . والقى عليها نظرة أخيرة . وتساقطت الدموع من عينيه . وكانت أمه عائشة بجانبه فقالت له :

— ابك كما تبكى النساء ، ملكا لم تحسن الدفاع عنه كرجل وكملك !

---

(١) المقريزي – ج ٢ ص ٣٣٧ (٢) المقريزي – ج ٢ ص ٣١٣ (٣) المقريزي ج – ٢ ص ٢٥٤

الفنان الأعمى

بقلم الاستاذ علي محمود طه

أرتهُ السماءُ أعاجيبَها ... وروّته من كلِّ فنٍ بديع

فضنّ بلألاءِ هذا الجمالِ ... وخاف على كنزه أن يضيع

أبى أن يبدده الناظرانِ ... فأطبقَ جفنيهِ ما يستطيع

كما غلّقت راحتا صيرفٍ ... على ماله بابَ كهفٍ منيع

تكفّله الفنُّ في مهده ... غريرَ الطفولة جمَّ النقاء

حَبَتْهُ الألوهةُ قلباً يرى ... وينطقُ عنها بوحي السماء

يحسُّ الخيالَ إذا ما سرى ... ويلمسُ ما في ضمير الخفاء

ويبتدرُ النجمَ في أفقهِ ... فيرشفه قطرةً من ضياء

له محجرانِ على ما وعى ... من الألَقِ الطهرِ مختومتان

ففي عقله حركاتُ الزمانِ ... مصورةٌ وحدودُ المكان

وفي قلبهِ أعينٌ ثرّةٌ ... بها النارُ مشبوبةُ العنفوان

وفي كل خاطرةٍ نيزكٌ ... يشقُّ سناه حجابَ الزمان

إذا ماهوتْ ورقاتُ الخريف ... أحسَّ لها وخزاتِ السنان

وإنْ سكبتْ زهرةٌ دمعةً ... فمن قلبهِ انحدرتْ دمعتان

ومن عَجَبٍ شدوُه للربيع ... وقد يخطىءُ الطيرُ شدوَ الاوان

كقيثارة الريح : ما لحنُها ... سوى الريح في جفوة أو حنان !

عوالمُ جيّاشةٌ بالمنى ... ودنيا بأهوائها تضطرب

من اللانهاية ألوانُها ... مشعشعةٌ بالندى المنسكب

ففيها الصباح وفيها المساء ... وبينهما الشفق الملتهب

تطوف بها صدحات الطروب ... وتسهو بها أنّةُ المكتئب !

علي محمود طه

الخبز الذي نأكله

طعام جميع الامم منذ القدم

الخبز من أقدم الاطعمة التى صنعها الانسان . ولعله الطعام الوحيد الذى اشتركت فى الاغتذاء به جميع الامم المتمدنة منذ أقدم الازمنة الى الآن . فقد اتخذ كل جيل من الناس الاطعمة التى توافقه وتلائم ذوقه من لحوم وبقول . ولكن الجميع اشتركوا فى صنع الخبز واتخاذه طعاماً اساسياً يؤكل مع غيره من صنوف الاطعمة . وقد كان صنع الخبز وجميع الاعمال التى تتعلق به (من طحن القمح وعجن الدقيق وصنع الارغفة وخبزها) من شأن النساء . وفى كتب الادب والتاريخ والتوراة اشارات واضحة إلى ذلك . فقد ذكر هوميروس أن الخبز فى عصره والعصور التى تقدمته كان من عمل الفتيات المخدرات

وفى سفر اللاويين (٢٦ : ٢٦) قوله : « تخبز عشر نساء خبزكم فى تنور واحد ويرددن خبزكم بالوزن » وفى سفر صموئيل الاول (٨ : ١٣) قوله : « ويأخذ بناتكم عطارات وطباخات وخبازات » وفى سفر النبي ارمياء (٧ : ١٨) قوله : « الآباء يوقدون النار والنساء يعجن العجين »

فترى مما تقدم أن عمل الخبز من أقدم الاعمال التى زاولها الانسان وكانت مزاولتها خاصة بالنساء . وقد عثر العلماء على آثار خبز مصنوع من دقيق خشن فى جهات البحيرات السويسرية ترجع إلى العصر الحجرى . والادلة متوافرة على ان الانسان فى فجر التاريخ كان يكسر القمح وبعض أصناف الحبوب ويصنع الخبز من فتاتها الخشن . وهنالك أيضا دلائل على أن الخبز كان يصنع فى عصور التاريخ الاولى من دقيق البلوط . وما يزال بعض سكان جزائر المحيط الهادى يصنعون هذا الخبز . ولا يخفى أن دقيق البلوط مر ، ولذلك يغلونه بالماء لتزول مرارته ثم يصنعون من عجينه كعكا ينشفونه فى الشمس ويصنعونه خبزاً

والارجح أن سكان البحيرات السويسرية كانوا يكسرون القمح ويصنعونه عجيناً ثم يمدون هذا العجين على حجارة محدبة الشكل بعد تسخينها ثم يذرون الرماد الحار على الارغفة . وهذا مايعرف بخبز الملة ، وفى التوراة عدة اشارات اليه . وفى الازمنة التى عقبت فجر التاريخ كان هذا الخبز يخبز على موقد وأحياناً يطمر فى الجمر أو الرماد الحار . وهذه الطريقة لا تستغرق وقتاً طويلا فهى تقتضى أن توقد النار من قضبان أو قش أو من زبل البهائم ثم يمال الجمر الى جانب وتوضع الكعكة على الرمل الحار وتغطى بالجمر والرماد . وبعد نضجها تخرج من النار ويزال عنها الرماد

وقد وجد علماء الآثار فى قبور بعض قدماء المصريين خبزاً من دقيق الذرة مصنوعاً أرغفة

مستديرة محدبة . مما يدل على أن القوم كانوا يخبزون تلك الارغفة على حجارة محدبة الشكل كما تقدم . وقد ذكر الاستاذ ماسبيرو أنه كان فى فناء كل بيت من بيوت الكلدانيين تنور خاص لصنع الخبز . وعلى مقربة من التنورحجارة الرحى لطحن القمح وصنع الدقيق . ويقول الدكتور جورج بوست إن اليهود كانوا يصنعون خبزهم غالباً من الحنطة إلا أنهم كانوا أحياناً يصنعونه من الشعير والذرة ومن حبوب أخرى . وفى سفر القضاة (٧ : ١٣) قوله : « قد حلمت حلماً واذا رغيف خبز شعير يتدحرج فى محلة المديانيين » . وفى العصور الحالية ـ كما فى العصور المتأخرة ـ كانوا يعجنون العجين فى معاجن خاصة أو فى قصع من خشب كما يفعل البدو الآن . ويزعم البعض ان العجين كان يعجن على قطع مستديرة من الجلد كما يفعل بعض البدو وفى بلاد فارس . وفى سفر الخروج (١٢ : ٣٤) اشارة صريحة إلى المعاجن المذكورة إذ يقول : « فحمل الشعب عجينهم قبل أن يختمر ومعاجنهم مصرورة فى ثيابهم على اكتافهم » والاشارة الى الخبز المختمر دليل على أن القوم فى ذلك الزمن كانوا يعرفون الخبز المختمر والخبز الفطير أيضاً ، ويقول بوست ان الخبز المختمر كان بسيطا للغاية وان الارغفة كانت تصنع مستديرة على شكل صحفة بثخانة الخنصر . والشريعة اليهودية تصف طرقاً مختلفة لعمل الخبز وتشير الى الادوات المختلفة التى كانت تستعمل فى هذا الصدد . وكثيراً ما كان القمح يطحن ويصنع دقيقاً ثم يعجن ويخبز فى الحال بحيث لا تمضى الا دقائق معدودة بين طحن القمح وصنعه خبزاً وتقديمه للآكلين

أما الفطير (أى غير المختمر) فكان رقيقاً جداً إلا اذا أريد حفظه طويلا فكان يصنع أرغفة ثخينة . أما « خبز الوجوه » الذى كثرت الاشارات اليه فى التوراة فلا يعلم هل كان فطيراً أم مختمراً ولكن « خبز الفصح » كان فطيراً بلا شك

ويقول هيرودتس إن المصريين نبغوا فى صناعة الخبز نبوغا تاماً وأوصلوا هذه الصناعة إلى أبعد حدود الاتقان . أما روما فقد ذكر بلينوس أنه لم يكن فيها خباز عمومى منذ تأسيسها حتى سنة ١٧١ قبل الميلاد مع ان الخبازين العموميين كانوا معروفين بين اليهود والكلدانيين والمصريين منذ أقدم الازمنة . وفى سفر ارمياء النبى (٣٧ : ٢١) اشارة صريحة الى الخبازين العموميين إذ يقول : « فأمر الملك حدقيا ان يضعوا أرميا فى دار السجن وأن يعطى رغيف خبز كل يوم من سوق الخبازين »

وذكر هيرودتس أيضا أن من غريب أمر المصريين « أنهم يعجنون العجين بارجلهم والفخار بايديهم » وفى الواقع ان عادة عجن العجين بالارجل كانت شائعة بين شعوب كثيرة ولا تزال شائعة فى بعض الانحاء حتى الآن . وكان المصريون يصنعون الخبز من القمح أو الشعير أو الذرة . أما الخبز الابيض المصنوع من الدقيق الخالص فكان طعام الاغنياء فقط . وعلى الآثار المصرية نقوش مستديرة أو مستطيلة تمثل أرغفة الخبز . ويظهر ان المصريين كانوا يذرون عليها مسحوق بعض البذور كما يذرى اليوم البعض حب السمسم على الخبز

وكذلك كان يفعل الاشوريون والبابليون والكلدان واليهود أيضاً . وكان خبز القمح وخبز الشعير وخبز الذرة وغير هذه من أصناف الخبز شائعة بين تلك الامم كلها . وفى أيام المملكة اليهودية كان للخبازين العموميين سوق خاصة . أما بلاد اليونان فالمعروف انه كان فيها خبازون عموميون يصنعون ويبيعون أصناف الخبز المختلفة . وفى سنة ١٧١ قبل الميلاد ظهر الخبازون العموميون فى مدينة روما ، ومع ذلك كان لكل بيت رحى لطحن القمح وتنور لصنع الخبز — وكانت مدينة بومباى غنية بالمخابز العمومية وكان للخبازين سوق مخصوصة مقيدة بنظم وقوانين دقيقة من جملتها أن يختم كل خباز أرغفته بختمه وذلك لضبط وزن الرغيف ونقاوته . وفى أواخر أيام الجمهورية وضعت المخابز العمومية تحت مراقبة الحكومة المشددة وكانت الحكومة تنزل أشد صنوف العقاب بالخبازين الذين يتلاعبون بوزن الخبز أو يخلطونه بمواد غير مقبولة . وكان الخبازون يشترون القمح من الاهراء العمومية الخاصة بالحكومة والحكومة تشترى القمح من الزراع . وكان الخبازون يستخدمون العبيد فى طحن القمح . فلما الغى الامبراطور قسطنطين الرق صارت الحكومة تقدم للخبازين المجرمين المسجونين ليطحنوا القمح . ولما جاء الامبراطور تراجانوس وضع للخبازين قيوداً جديدة وانشأ لهم نقابة . وأشهر الخبازين الذين نبغوا فى روما رجل يقال له « اوريساس » عاش قبل انشاء النقابة بنحو مائة سنة وعلى قبره نقوش بارزة تمثل صناعة الخبز فى ذلك الزمن

وفى العصور الوسطى كان الخبازون فى جميع أنحاء أوربا مقيدين بقيود كثيرة لمصلحة المشترى ولمنع كل غش أو تلاعب فى المتاجرة بالخبز ، وكثيراً ما كانت تلك القيود عبئاً ثقيلا على الخبازين . وفى سنة ١١٥٥ ظهرت فى لندن نقابة الخبازين العموميين وكانت تشمل طائفتين منهم وهما طائفة باعة الخبز الابيض وطائفة باعة الخبز الاسمر . وفى النمسا كان الخبازون الذين يخالفون نظم البوليس أو يبيعون خبزاً مغشوشاً أو ناقص الوزن يعاقبون عقاباً شديداً بالسجن والغرامة والجلد . وفى تركيا كان الخبازون يعانون شيئاً من الظلم والاضطهاد . وقد كتب البارون دى توت الذى كان فى القسطنطينية فى القرن الثامن عشر يقول : انه اذا ارتفع ثمن الخبز فى تركيا ارتفاعاً فاحشاً فان الحكومة لاتحجم عن شنق الخبازين الذين تعتقد انهم سبب ذلك الغلاء . وكان الخبازون الذين يبيعون خبزاً مغشوشاً أو ناقص الوزن يعاقبون فى مصر عقابا فظيعاً ، فكان يؤتى بالخباز وتسمر اذناه الى باب دكانه . ولم تكن حالة الخبازين فى فرنسا أدعى الى الهناء . الا أن الحكومة الفرنسية أصدرت فى سنة ١٨٦٣ « ديكرتو » ازالت به كثيراً من القيود الجائرة التى كان يشكو منها الخبازون فى ذلك العهد ، إلا أنها تركت للمجالس البلدية حق مراقبة الخبازين ووضع القيود اللازمة على المخابز العامة وجباية ضريبة معينة عن الخبز ومنع الخبازين من رفع أسعار الخبز إلى مستوى أعلى من المستوى الذى يسوغه سعر الدقيق أو القمح . وفى سنة ١٨٦٣ أبطلت هذه الضريبة من أكثر أنحاء فرنسا

أما فى انجلترا فقد فرضت الرقابة على الخبز والخبازين منذ سنة ١٢٦٦ اذ أصدر البرلمان قانونا يقضى بتلك الرقابة ويقيد صناعة الخبز بقيود معينة ، وقد ظلت تلك القيود معمولا بها فى لندن حتى سنة ١٨٢٢ . وفى سائر أنحاء انجلترا حتى سنة ١٨٣٦ . وقد حدد سعر الخبز بالنسبة الى سعر الدقيق

ومما يدعو الى الدهشة ان طريقة صنع الخبز فى بعض البلاد ما تزال بسيطة كما كانت فى أدوار الاجتماع الاولى . نعم ان اكثر البلاد المتمدنة تستعمل الآلات البخارية والكهربائية فى صناعة الخبز ولكن هذه الآلات هي للشركات الكبيرة وأما المخابز البسيطة التى تخص الافراد فما تزال تجرى على الطرق القديمة . بل ما يزال عجن العجين يتم بالارجل بدلا من الايدى فى بلاد كثيرة

وقد عرف العلم خواص الخبز فاتضح أن أفضل أنواعه من الوجه الغذائى هو الاسمر الذى يكثر فيه الفيتامين . أما الابيض المعروف فى مصر بالفينو فليس أحسن الاصناف . ومن الحقائق التى يجهلها الكثيرون أن قشر الخبز أو الطبقة المحمصة منه ليست مسهلة الهضم . وهذا على خلاف الاعتقاد الشائع بين الناس الذين يزعمون خطأ أن لب الخبز لا يهضم بسهولة وأن قشوره هي التى تهضم

وفى مصر نوع من الخبز يعرف بالشمسى وكان قدماء المصريين يصنعونه ، ولا شك انه من أفضل أنواع الخبز من الوجه الغذائى . ولو احكم الخبازون صنعه وراعوا فيه مقتضيات النظافة لكانت له فى مصر سوق رائجة . على أن لكل بلاد اصنافا خاصة من الخبز . ومهما تنوعت هذه الاصناف فالخبز هو هو من حيث كونه أقدم مادة غذائية صنعها الانسان بل هو الغذاء الوحيد الذى احتفظ به منذ عصور تطوره الاولى حتى الآن

في شحاذ

شكت عارضاً فى الجفن ناء بحمله	يشاكل تحت الهدب عالقة الحب
فقالت لحاه الله ضيفاً مشوهاً	يسمونه « الشحاذ » فى لغة الطب
فقلت لها عطفاً عليه وان جنى	نعم هو شحاذ ولكنه قلبى
فقالت وماذا يبتغى فأجبتها	سما يستجير الطرف من ألم الضرب

خليل مطران

غرائب الارقام

بقلم الاستاذ حبيب غبريل

لفت نظرى أحد الاصدقاء إلى ماورد فى الصفحة ٣٨ من كتاب « نظرية الاعداد » لمؤلفه ادوار لوقا (١) من انه إذا ربعت العدد ٨٢١٢٨٩٠٦٢٥ رأيت ان ارقامه تتكرر كما هى فيما يقابلها من منازل مربعه . وليس هناك سوى عدد آخر له هذه المزية وذى عشرة ارقام (إذا استثنينا عشرة اصفار متوالية أو الرقم ١ تتبعه تسعة أصفار) وهو العدد ١٧٨٧١٠٩٣٧٦ - وبالفعل فان مربع الأول ٦٧٤٥١٥٧٢٤١٨٢١٢٨٩٠٦٢٥ ومربع الثانى ٣١٩٣٧٥٩٩٢١٧٨٧١٠٩٣٧٦

ولا بد لمن يطلع على هذه الفقرة أن يسأل:

اولا - لماذا تفرد هذان العددان بهذه المزية . ولماذا يتألف كل منهما من عشرة ارقام فقط ؟

ثانياً - نرى ان أرقام العددين المذكورين واردة بترتيب معلوم . فهلا يمكن ان نجد اعداداً اخرى بغير هذا الترتيب ينطبق عليها هذا الشرط ولو كانت ارقامها أقل من عشرة ؟

ثالثاً - هل العشرة الأرقام بترتيبها هذا هى الحد الاقصى لما يمكن أن تبلغه ارقام العددين المذكورين ؟ وهلا يجوز ان نجد ارقاماً جديدة اخرى نضيفها اليهما ؟ وإذا كان ذلك بالامكان فما هو الحد الاقصى الذى تقف عنده هذه الزيادة ؟

رابعاً - هل عثر على هذين العددين اتفاقاً بطريق المصادفة (وهو ما استبعده) أم انهما وجدا بالاستقراء تبعاً لقاعدة معلومة ؟

إن المؤلف لا يذكر من هذا القبيل شيئاً يشفى الغليل ويترك القارىء فى حيرة . وهذا ما حدا بى لان اعالج هذه المسألة حتى وضعت لها قاعدة سأشرحها فيما يلى ومنها يتضح :

اولا - ان العددين المذكورين لاثالث لهما سواء قلت ارقامهما أم كثرت . وان ترتيب الارقام كما وردت فى كليهما ثابت لايقبل التحوير والتبديل . لحيثما بدأت بالستة وجب أن يتبعها حتما ٧و٣ الخ وحيثما بدأت بالخمسة تبعها حتما أيضاً ٢و٦ الخ

ثانياً - أن العشرة الأرقام ليست حداً اقصى لما يمكن أن يبلغه هذان العددان . وانه يمكن أن يبلغ كل منهما طولا يقاس بالاشبار . ولكنى قد اكتفيت بأن أبلغ باحدهما ١٦ رقماً هكذا : ٣٧٤٠٠٨١٧٨٧١٠٩٣٧٦ ومن يعن بتربيعه يجده مستكملا للشرط الاساسى السالف الذكر

(١) Theorie des nombres: par E. Lucas.

وهذا بيان القاعدة

تستخرج ارقام المنازل كلا على حدته فتى عرفت رقم الآحاد تسعى لمعرفة رقم العشرات ثم رقم المئات ثم رقم الالوف الخ

وبديهى ان الارقام التى تتكرر كما هى فى آحاد مربعاتها وتصلح لان نبدأ بها العمل هى أربعة فقط ٦ و ٥ و ١ و ٠ . فاذا استثنينا الواحد والصفر كما جاء فى كلام المؤلف يبقى لدينا رقمان فقط يمكن وضعهما فى منزلة الآحاد . وهذا هو السر فى أن العددين المذكورين لاثالث لهما

ولنفرض الآن اننا بدأنا العمل بالرقم ٦ فوضعناه فى منزلة الآحاد . فنرسم لاستخراج كل رقم بعده جدولا ذا ست خانات على هذا الوضع :

جدول ١ لمعرفة الرقم ٢

٦	٠	٦	٣	٣	
	٦	٠		٤	٧

جدول ٢ لمعرفة الرقم ٣

			٠		
٦	٠	٧	٤		
٧	٧	٦	١٣	١٧	
	٦	٠		١٦	٣٣

جدول ٣ لمعرفة الرقم ٤

			٣		
٦	٠	٣	١		
٧	٣	٧	٥		
٣	٧	٦	٢	١١	
	٦	٠		٨	١٩

جدول ٤ لمعرفة الرقم ٥

			١		
٦	٠	٩	٥		
٧	٩	٣	٥		
٣	٣	٧	١١		
٩	٧	٦	٨	٣٠	
	٦	٠		٠	٣٠

جدول ٥ لمعرفة الرقم ٦

			٣		
٦	٠	٠	٠		
٧	٠	٩	٦		
٣	٩	٣	٧		
٩	٣	٧	١٣		
٠	٧	٦	٠	٢٩	
	٦	٠		١٢	٤١

جدول ٦ لمعرفة الرقم ٧

			٤		
٦	٠	١	٠		
٧	١	٠	٧		
٣	٠	٩	٢		
٩	٩	٣	٣		
٠	٣	٧	٠		
١	٧	٦	٧	٢٣	
	٦	٠		٤	٢٧

جدول ٧ لمعرفة الرقم ٨

			٣		
٦	٠	٧	٤		
٧	٧	١	٩		
٣	١	٠	٣		
٩	٠	٩	٨		
٠	٩	٣	٠		
١	٣	٧	٣		
٧	٧	٦	١٣	٤٢	
	٦	٠		١٦	٥٨

جدول ٨ لمعرفة الرقم ٩

			٥		
٦	٠	٨	٤		
٧	٨	٧	١٠		
٣	٧	١	١		
٩	١	٠	٩		
٠	٠	٩	٠		
١	٩	٣	٩		
٧	٣	٧	٥		
٨	٧	٦	١٠	٥٣	
	٦	٠		٤	٥٧

الخانة الأولى من الشمال ـ نضع فيها الأرقام التى تمت لنا معرفتها مصفوفة على الترتيب من اعلى إلى أسفل . فترى فى الخانة الاولى من الجدول الاول رقم ٦ فقط لانك لم تكن تعرف سواه . وفى الجدول الثانى ترى ٦و٧ وفى الثالث ٦و٧و٣ الخ

الخانة الثانية : تضع صفراً فى اعلاها ثم تصف بعده الارقام المعلومة لك معكوسة الترتيب

الخانة الثالثة : تتبع فيها نفس الترتيب الذى اتبعته فى الخانة الثانية ما عدا ان الصفر الذى جاء فى أعلى تلك الخانة يأتى فى أسفل هذه

الخانة الرابعة : تضع فى اعلاها أولا الباقى من استخراج الرقم السابق إذا كان ثمة باق كما سيجىء . ثم تاخذ كل رقم من ارقام الخانة الاولى فتضربه فيما يليه من الخانة الثانية وتحفظ من الحاصل رقم آحاده فقط . ثم تضربه أيضاً فى رقم الخانة الثالثة وتحفظ من الحاصل رقم العشرات فقط . ثم تضع فى الخانة الرابعة مجموع الرقمين المحفوظين

الخانة الخامسة : تجد فيها عددين فقط . فالاول منهما هو مجموع اعداد الخانة الرابعة . والثانى تجده هكذا : تبحث متلمساً عن رقم تسميه الرقم المتمم أو المكرر وهو رقم إذا ضربته بأول رقم بدأت به العمل (وهو هنا ٦) وأخذت ضعفى آحاد الحاصل فجعلته العدد الثانى لهذه الخانة ، أصبح مجموعها عدداً يبتدىء بذلك الرقم المتمم عينه . مثلا إذا نظرت الى الخانة الخامسة فى الجدول الاول وجدت ان عددها الثانى ٤ وهو من جهة ضعفا آحاد الحاصل من ضرب ٦×٧ ، ومن جهة اخرى يجعل مجموع هذه الخانة ٧ ، فالرقم ٧ إذاً هو المتمم الذى تلمسناه . كذلك فى الجدول الثانى ترى ان العدد الثانى لهذه الخانة ١٦ وهو من جهة ضعفا احاد حاصل ٦×٣ ، ومن جهة أخرى يجعل مجموع الخانة ٣٣ يبتدى بالرقم ٣ وهو المتمم كما تقدم . .

الخانة السادسة : تضع فيها فقط مجموع عددى الخانة الخامسة . ثم تاخذ رقم الآحاد من هذا المجموع فتعتبره الرقم الذى تسعى لاستخراجه وتضعه الى شمال الارقام التى سبق عرفتها . وما بقى من ارقام هذا المجموع تنقله كباق الى اعلى الخانة الرابعة من الجدول التالى . اه

ان فائدة هذه القاعدة لاتقتصر على معالجة العددين الواردين فى اول هذا المقال ، فهى تساعد من يستوعبها جيداً على حل عدة مسائل تنصب على مبدأ التربيع هذا ، وتظهر كانها مستحيلة

مثلا : لدينا عدد نصف ارقامه مطموسة لاتقرأ (وهى المشار اليها بالعلامة ×) ٧×٦×٥×٤×٣×٢×١ × وكل ما نعلمه هو أن الارقام المطموسة تتكرر كما هى فيما يقابلها من المنازل فى مربع ذلك العدد وعلينا ان نعرف ماهى الارقام المطموسة

مثل اخر : عدد مربع اوله من اليمين ٩ وأرقامه الاربعة التالية تتكرر كما هى فى المنازل التى تقابلها من جذره فما هو هذا العدد؟

ولعل القارىء يرغب ان يحتفظ لنفسه بلذة استخراج هذه الاعداد حسيب غبريل

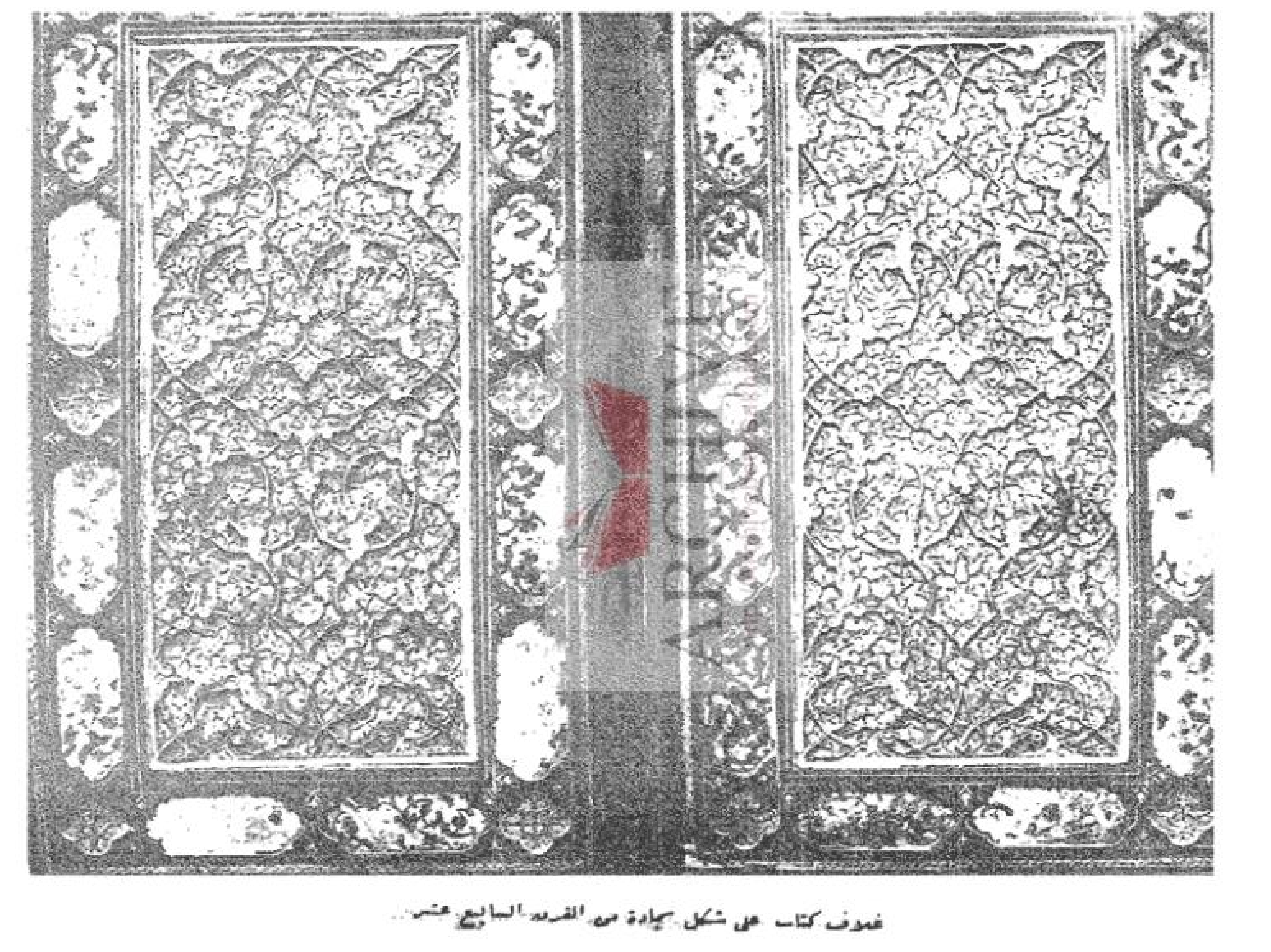


القطعة العلوية من باب خشبي صنع القرن الثامن عشر على الطريقة الفارسية



في يوم ٢٤ يناير الماضي افتتح صاحب الدولة محمد توفيق نسيم باشا معرض الفن الفارسي الذي تقيمه جمعية محبي الفنون الجميلة بدارها بالقاهرة مدة ثلاثة أسابيع تنتهي بيوم ١٤ فبراير الجاري بمناسبة مهرجان أبي القاسم الفردوسي . وقد احتوى هذا المعرض على مجموعات نفيسة من السجاد والقطع الخزفية والمعدنية والخشبية والصور والرسوم مما لا يقل عما عرض في المعرض الفارسي الذي أقيم بلندن . وتبلغ قيمة محتويات هذا المعرض نحو مائة الف جنيه . وقد جمعت من دار الآثار العربية ودار الكتب المصرية ، ومن بعض البيوتات الكبيرة التي تحتفظ بنفائس الفن الفارسي ومن بعض تجار الآثار القديمة . وهي تشمل ١٥٢ سجادة و ٢٥٠ قطعة خزفية و ١٥ قطعة خشبية و ١٥٠ قطعة معدنية و ٢٥٠ صورة ورسماً . وقد عرض الى جانب ذلك صور جميع المعروضات التي حواها معرض لندن ، نقلت اخيراً لهذا المعرض . وقد طبع بالمناسبة مجموعة صور (البوم) لاثنتين وسبعين تحفة من أنفس ما حواه معرض القاهرة . ولا شك ان لهذا المعرض قيمته الفنية التاريخية العظيمة ، وهو يرينا نواحي عدة من الفن الفارسي الذي اشتهر بدقته وتناسب ألوانه

ونرى هنا صوراً لبعض محتويات هذا المعرض



غلاف كتاب على شكل سجادة من القرن السابع عشر..



مبخرة من الفخار من عهد السلطان ابار في القرن الرابع عشر



[illegible] في الجانب المعوج [illegible]

في الجانب الآخر بدهن الجوز ولا يرى الضوء سبعة ايام وينفع

ايضا من الصداع ومن نزول الماء اكتحالا [illegible]

[illegible]

[illegible] المفاصل [illegible] في الحمام [illegible]

[illegible] منها لوجع الكليتين

والمثانة بماء الحمص [illegible] كروان طائر يقال له [illegible]

[illegible] شهوة الباه [illegible]

اللقلق طائر معروف يأكل الحيات لا يزال [illegible] الربيع [illegible]

وذكر ان احدهما بلاد [illegible] والآخر [illegible] احدهما

الى الآخر رحلة الشتاء والصيف ولا [illegible]

[illegible] ياتي بالاعواد [illegible]

بعضها في بعض تركيبا عجيبا [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الهوام [illegible] قال

ايضا [illegible] بيض اللقلق [illegible]

[illegible] طائر طويل الرقبة والرجلين [illegible]

[illegible] قال الجاحظ [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

صفحة من كتاب «عجائب المخلوقات» تأليف القزويني في القرن الرابع عشر

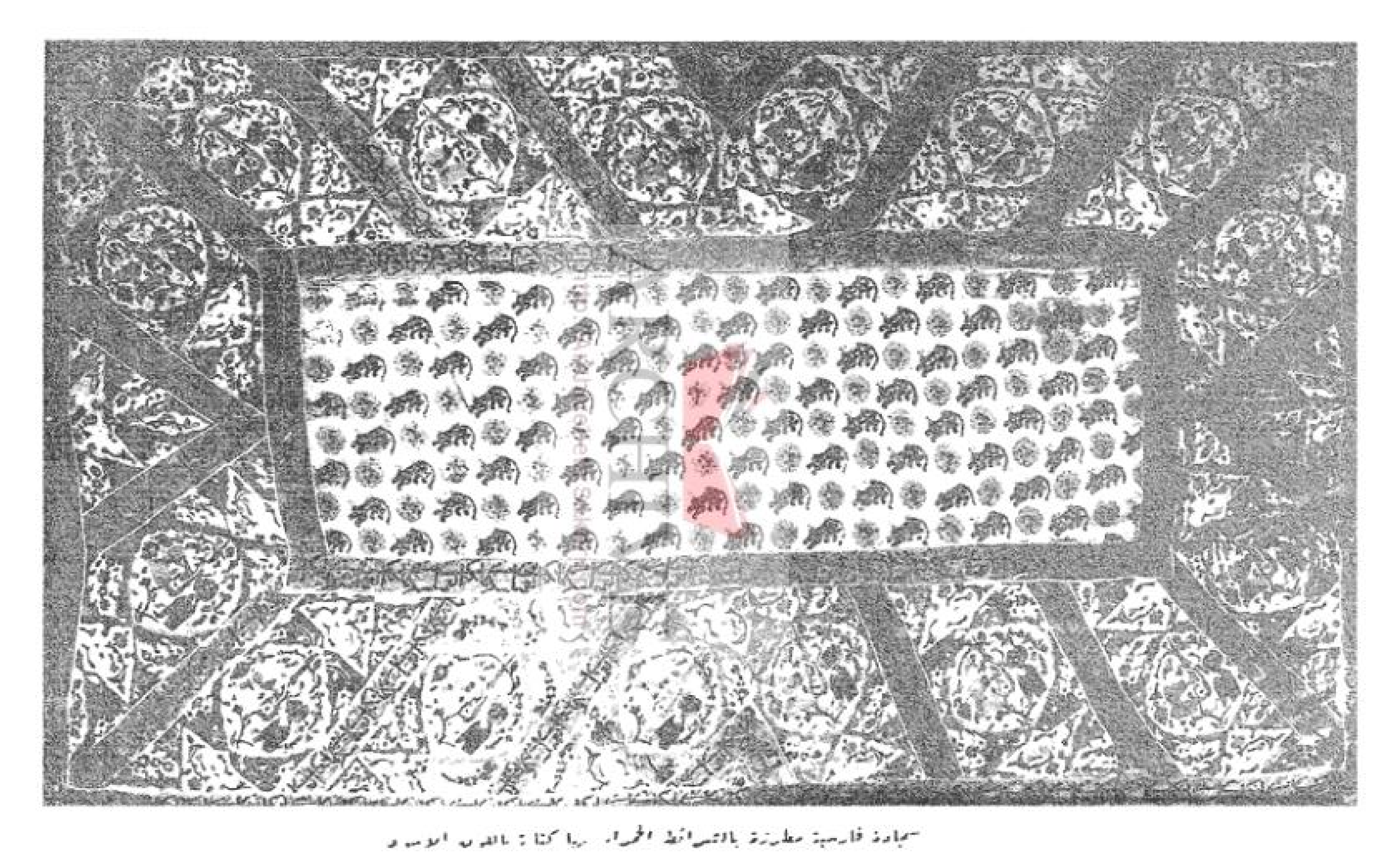
سجادة اصفهانية عليها
رسوم اوراق وازهار .
وقد كتب عليها بيت من
الشعر الفارسي وفي أعلاها
صورة اسد يصرع غزالا



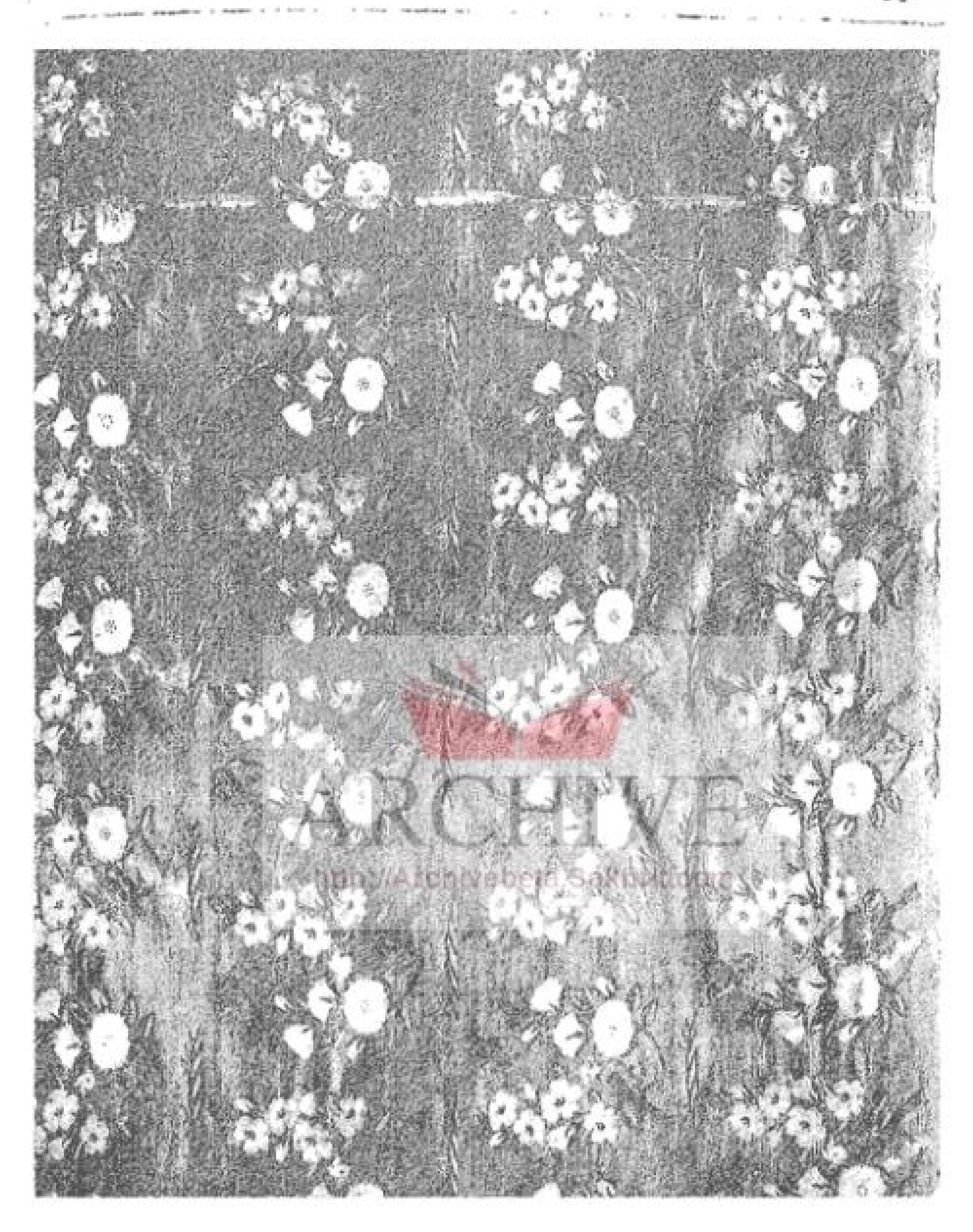
وعاء من الفخار لامه السلطانه
أباد ربه رسوم مفرغة من
القرن الرابع عشر



صورة جميلة لدرويش من بغداد . من صنع الرسام بهزاد



سجادة فارسية مطرزة بالشرائط الحمراء بها كتابة بالقرب الاسود



نسيج فارسي وشي به رسوم عصافير فوقه عيدانه من الفضة

مُدُن الفنّ في بلاد الأندلس

(٣)

بقلم المرحوم احمد زكي باشا

نشرنا في عدد يناير الماضي الفصل الثاني من كتاب « مدن الفن في بلاد الاندلس » الذى قام بتأليفه المرحوم احمد زكي باشا . وقد اشتمل ذلك الفصل على وصف مسجد قرطبة كما شاهده شيخ العروبة . ويتناول الفصل الذى ننشره في هذا العدد بقية الكلام عن قرطبة وآثارها الفنية ، ثم الجزء الأول من الكلام عن مدينة « غرناطة » التي تفنن الكتاب والشعراء من العرب والافرنج في وصفها حتى قالوا عنها : « من لم ير غرناطة لم ير شيئاً » ! !

لم تكن « قرطبة » قط يوماً « كأشبيلية » مركزاً مسيحياً زاهراً بالفن . ومع ذلك يلزمنا أن نذكر من فنانى ذلك العصر رجلا ذا شهرة عالمية لمهندس وحفار ومصور ، وهو « باولو دى سلبادس » الذى أدار من سنة ١٥٧٧ الى سنة ١٦٠٨ مصنعاً كان مقصد الطلاب من كل جهة . وكثير مما صدر عن هذا المصنع أقيم فى المسجد . وقد دفن هذا المهندس فيه أيضاً بجانب أعماله . وأحسن ما اخرجته ريشته الساحرة رسم « العشاء السرى » ، وهو رسم كبير قلد فيه « باولو » فكرة المصورين الايطاليين وعلى الأخص « جول رومان » الذى تذكرنا لوحاته وتكلف المرسومين فيها بلوحات « ميكال انجلو » . فلوحات « باولو » الموجودة فى مسجد « قرطبة » فى حالة غير جيدة ومنها غير رسم « العشاء السرى » رسم « ضحية ابراهيم » و « العذراء مع الطفل يسوع » و « القديس أندراوس » و « القديس يوحنا المعمدان » و « القديس رافائيل » فى الكابيلا المخصصة باسمه . لكن كل هذه الصور لا تمكننا من الحكم على قريحة هذا الرسام الذى نرى له من الآثار الأخرى ما يمكننا من ذلك كما فى « اشبيلية » و « مدريد » .

* * *

وبعد الخروج من الجامع إذا اتخذ الانسان طريقه هابطاً نحو الوادى ماراً بجانب الاسوار الخارجية ، يرى ان النقوش المحفورة كانت قديماً تغطى هذه الجدران . كذلك الزخرفة بالقيشانى وقد غطاها المسيحيون بطبقة من المونة . وكانوا قد شرعوا منذ اوائل القرن التاسع عشر فى كشف هذه البدائع الفنية المغطاة من مكان إلى آخر ، لكنهم توقفوا بالاسف عن هذا العمل فيما بعد .

وترى بما رفعوا الغطاء عنه أبواباً ونوافذ مزينة بشبكات جميلة وأشكال عربية مدهشة وكانوا قبلا سدوها بالحجارة

وتحت المسجد يمر فوق « الوادى الكبير » جسر قديم غريب المنظر بنى فى العهد الرومانى وجدده العرب على رسمه الأول تقريباً . ونمر ونحن ذاهبون إلى النهر امام بناء أطلق عليه اسم « النصر » وهى عمارة ضخمة ثقيلة ليس فيها شيء من المحاسن ، بناها سنة ١٧٦٥ الاسقف « بارسيا » تذكاراً لظهور زعيم الملائكة « رافائيل » وهو شفيع « قرطبة » . أما « الكوبرى » فيبتدىء بقنطرة مبنية على طراز عصر النهضة ولكنها مهدمة ، وينتهى برأس غريب الشكل من صنع المغاربة ويسمونه « القلعة الحرة » وفيها مزاغل لرمى الرصاص من الداخل وأنابيب لقذف الزفت « المسيح » على العدو واوناش . وتحتها على محاذاة الماء ترى الطواحين المغربية القديمة التى تكمل مجموعة هذه المناظر الغريبة التى وصفها « الادريسى » فى كتابه « وصف افريقيا واسبانيا »

ومن ضفة النهر اليمنى يرى السائح أبدع المناظر على المدينة وطواحينها والجسر ، وسقوف الكاتدرائية التى تناطح السحاب بارزة من قلب المسجد

أما فى المدينة نفسها فلا ترى شيئاً يستحق الذكر إلا مما يقع تحت النظر من شيء غريب فى أحد الشوارع أو فى دار قديمة . كذلك لم يبق شيء مهم من آثار القصر البديع الذى كان مقراً للخلفاء ، ووصفه كتاب العرب بأوصاف عجيبة . فمبانيه قد اضمحلت وحدائقه قسمت اجزاء منها للمنافع العامة ومنها لبعض الخاصة ، وفى اراضيه بنيت ثكنة عسكرية وسجن وكرسى للاسقف راعى الابروشية

***

أما بقية كنائس المدينة فليس فيها شيء يذكر . وليست قبة كنيسة « القديس نيقولا » إلا مئذنة قديمة بالكاد قد تحولت . وكنيسة جامعة « القديس هيبوليتو » عمارة على طراز Churrigueresque مملوءة بشكل فظيع وهى تحتوى على بقايا الملك « فردينان الرابع » وولده « الفونس الحادى عشر » . وكنيسة « القديس لورنسيوس » بيعة جميلة من « الطراز القرطبى » تجد فيها بعض بقايا أثرية رومانية . وفى كنيسة « سان باولو » تجد داراً تحيط بها صوامع للرهبان . وفى كنيسة « سان بدرو » تجد رسم المسيح مكللا بالشوك صنع « الونسوكانو » وفى مقدس كنيسة « العذراء » فى « فيونسانتا » ترى أربع لوحات يقال لك انها من صنع « تانيا » احداها تمثل المسيح مكللا بالشوك

***

وهناك فى « قرطبة » متحف . وهو وان يكن قد جعل مبدئياً لحفظ الآثار بقصد التخلص منها لا بقصد عرضها للانظار والاعجاب بصفة مجموعة منظمة ، إلا انه يستحق الزيارة ، فكل ما رآه

أهل «قرطبة» انه أهل لأن يحفظ حشروه فى هذا المتحف بخلاط غريب ! فترى قرون البقر المجلوبة من اميركا الجنوبية بجانب تيجان وأ كاليل الاعمدة المغربية . والبنادق والطبنجات من عهد نابليون بجانب التماثيل النصفية وأدوات المنازل من العهد الرومانى . ورسوم سمينة من ريشة «موريللو» و «ريبارا» وغيرهما من نوابغ اسرة «كاستيلوس» القرطبية ، بجانب بعض صور ولوحات زيتية فظيعة الاشكال . أما أهم قطعة فى هذه الآثار فهى «غزال» صغير من الحديد وهو من نوادر بقايا ماوصل الينا من الحفريات العربية

* * *

من المعلوم أن القرآن ينهى المسلمين عن عمل الاصنام وأن هذا النهى يتناول سائر المخلوقات الحية كما أوضح ذلك أدق علماء التفسير العديدين . مع ذلك لم يكترث العرب بهذا النهى أ كثر من ا كتراثهم بمسألة تحريم شرب الخمر . فان كتابات مؤرخى العرب وأناشيد شعرائهم تدلنا على أن قصور اغنيائهم كانت مزدانة بالتماثيل والرسوم ، ولكن فى المساجد كان التقيد بنواهى الدين محترما ومعمولا به بكل دقة ، ولهذا السبب لم يترك لنا العرب سوى نزر قليل من الحفريات والرسوم المنقولة عن العوالم الحية ، لانه لو رفعت من الفن الالمانى أو الفن الفرنسى من القرن التاسع إلى القرن الخامس عشر كل التماثيل والرسوم التى لها علاقة بالدين لم يبق لديك سوى عدد قليل من نتائج الفن التى تمثل المخلوقات الحية ، يكاد لايتجاوز العدد الذى خلفه العرب من هذا النوع ولو أن المسلمين ـ وعلى الأخص مغاربة أسبانيا الذين هم موضوع بحثنا الآن ـ قد مثلوا الحياة فيما ندر ، يجب أن ننسب ذلك أولا إلى ميلهم للاشياء غير المنظورة الفائقة الطبيعة التى تدفع بهم إلى الاغراق فى حياة مملوءة بالاحلام ، لا نهاية لها ، ومحاطة بالظلام ، فى تقلب دائم ، رغماً عن كونها فى الجوهر تدور على وتيرة واحدة . وهذا الميل هو الذى يطبع زخارفهم بطابعه الخاص

ولو ان نهى «القرآن» هو وحده الذى أثر عليهم لكان بقى امامهم عالم النبات ومناظر الطبيعة والبحر وهندسة يمكن لرجال الفن أن يجدوا فيها مادة مغذية لقرائحهم ومجالا واسعا لخيالهم. لكنك تراهم اذا استعملوا الزخرفة النباتية ينقشون مثالهم ، بمعنى أنك لا تجد فيه سوى انموذجاً هندسياً ليس إلا . . .

وذلك التمثال النحاسى ، تمثال الغزال الموجود فى متحف «قرطبة» ، لا ترى فيه سوى جسمه المستدير البارز وارجله المخروطة على البرجل

ومن رأيى انهم لم يرفضوا تمثيل الأشياء إلا لكون الاشكال المختلفة فى الطبيعة لم تكن توافق فنهم الذى تلعب فيه الهندسة الدور الأهم . ومهما يكن من الامر فقد وجد بالرغم ما تقدم حفريات ورسوم عربية للبشر والحيوانات بكميات وافرة تدل على ان القوم إما انهم قبلوا

تفسير « القرآن » أو أنهم خالفوه . وستتعرف فى الفصل الثانى من هذا الكتاب إلى كثير من الآثار العربية التى من هذا القبيل عند الكلام على « غرناطة »

أما الغزال المذكور آنفاً فقد وجد على مسافة خمسة كيلو مترات الى الشمال الغربى من « قرطبة » فى خرائب قصر « الزهراء » الذى بناه « عبد الرحمن الثالث » (١) ونحن لانشير على السياح بزيارة هذه الاطلال المنعزلة التى لايرى منها سوى بعض جدران مغطاة بطبقة كثيفة من الطين ، ولكننا نلفت انظارهم إلى هذا الكنز المدفون والمهمل من الآثار العربية النفيسة التى ينتظر أن يكشف الحجاب عنها يوماً ما . فان « قصر الزهراء » ترنم فيه كتاب وشعراء ذاك العصر بأوصاف حماسية ومفصلة إلى حد يخيل لمن يقرأ أوصافهم انه يرى امامه « فرسايل » أخرى مغربية تخفى تحت أرضها كنوزاً لاتقدر بثمن . واذا تصور الانسان ما تنفقه حكومات اوربا سنوياً من المبالغ الباهظة للبحث عن الآثار فى البلدان الاجنبية - حالة كون هذه البحوث لاتؤدي فى أكثر الأحيان إلا للكشف عن بعض أشياء من العهد الرومانى أو الاغريقى أصبحت مألوفة لدينا لدرجة الابتذال - لايسعه إلا أن يأسف لعدم وجود شخص لديه الوسائل والمعارف اللازمة ليباشر رفع الغطاء عن دفائن « قصر الزهراء » . نعم إن هذا العمل يقتضى تذليل مصاعب جمة ينشأ أكثرها عن تقاليد الشعب الاسبانى كوجود هذه الخرائب وسط مرج قفر من املاك ماركيز « وادى الكزار » وهو رجل ليس له عاطفة ود وقبول نحو « المنقبين » . فقد منح منذ عشرين سنة لاحد أساتذة الفن فى « مدريد » تصريحاً بالتنقيب فى أرضه لمدة ثلاثة أشهر فقط . ومما زاد فى صعوبات عمل هذا الباحث ان المطر كان يضايقه على الدوام فاضطر إلى ابطال العمل بعد أن كان قد وجد بعض أعمدة مع بعض تيجان

ومع ذلك فليس من المستحيل أن يأتى يوم (ونحن نرجو ان يكون قريباً) تتحرك عاطفة حب الفن فى قلب أحد ورثة هذه الاسرة ، أو بالحرى عاطفة حب كشف الكنوز المخبوءة فى ارضه ، وعندئذ يتحقق رجاؤنا ونتمكن من أن نضيف ادلة جديدة على ما لدينا من المعلومات عن الفن الاسبانى المغربى فى عهده الذهبي

وكان « عبد الرحمن الاول » وهو الخليفة الاعظم الذى أسس ملك « بنى امية » فى اسبانيا قد شاد فى الشمال الشرقى من « قرطبة » منزلا خلوياً (مصيفاً) فى غاية الفخامة والجمـــال سماه « الرصافة » (باسم جده (؟) فى دمشق)

وهناك زرع فى الارض الاسبانية أشجار النخيل الاولى التى يرى الغريب الآن سلالتها تحييه عند قدومه بتحريك تيجانها الظليلة الجميلة . وتمطى هذه الاشجار أول وهلة إلى مبانى الفن

(١) عبد الرحمن الثالث (٩١٢ - ٩٦٢) بدأ ببناء هذا القصر سنة ٩٣٦ تحت اشراف « عبد الله يونس » . .

العربى الاندلسى طابعاً شرقياً يشعر بالغرابة الموجودة بين هذه البلاد وجارتها افريقيا
« وعبد الرحمن » الذى لم يكن يكتفى بتشجيع العلوم والفنون بل كان هو نفسه عالماً فناناً ، أنشد على إحدى شجيرات النخيل هذه الابيات المحزنة الآتية ترجمتها :

« أنت غريبة هنا على هذه الارض بعيدة عن الوطن ! .. »

« ابكى ! .. ولكن كيف تبكى الشجرة البكماء ؟ »

« لا . انها لاتشعر بكآبة قط . ولا تحس بحزن كحزنى ؟ »

« لانها لو أمكنها الحزن لكانت تلتفت وهى تبكى إلى ناحية غابات النخيل فى الشرق وإلى أمواج الفرات ! . . »

« لا . انها لاتفتكر بذلك . وأنا أيضاً كدت أنسى غرامى . . . »

« من يوم حقد ابن عباس طردنى من وطنى »

الفصل الثانى

غرناطة

لكى نبين تأثير ذاك السحر العجيب الذى أحدثته ولم تزل تحدثه « غرناطة » فى كل من أسعده الحظ بزيارة هذه المدينة العجيبة ، طال أمد هذه الزيارة أم قصر ، يلزمنا قبل كل شىء وببضعة سطور أن نزيل من الافكار وهما وخطأ سائدين فى أوربا الشمالية : ذاك ان اسبانيا الجميلة ليست « ولاية الأندلس » التى هى ذاك الاقليم البعيد هناك نحو الجنوب حيث ينبت شجر الكستناء الظليل على ضفاف نهر « أبره » ! . . . إنما هى تلك المنطقة الوارفة الظلال الموجودة فقط فى الشمال،خصوصا فيما يلى جبال « البيرانى » . ففى « أراجونه » و « بسكايا » ، تجد الغابات الظليلة الحقيقية على ضفاف مجارى المياه . اما فى باقى اسبانيا فانك عبثا تفتش لتجد غابة أوظلالا وعلى الاخص فى اقليم « الأندلس » حيث انك تتحقق انك لا تلقى شيئا من ذلك

يظهر أنه من الغريب أن تتخذ قاعدة للتشبيه والمقارنة مع « الأندلس » أى جزء من العالم يألفه القارىء ، أقل من الجزء الذى هو « جنوب شبه جزيرة اسبانيا » . مع ذلك قد يجوز لنا أن نشبه الأندلس بفلسطين . فاسبانيا الجنوبية كثير من الوجوه يجمعها مع « اليهودية » (التى اعتدنا أن نعتبرها كأنها أرض الميعاد أو الفردوس الارضى ونتصورها خميلة دائمة الخضرة والازدهار) وتخدعنا أناشيد الشعراء وأوصاف كتاب الاسرائيليين والعرب ، الذين فيما عدا بعض مبالغات شعرية كانوا مدققين فى كتاباتهم وتواريخهم . ولكنهم فى هذا الموضوع لا يوافقون الحقيقة . . . « فالأندلس » « كفلسطين » بلاد تحرقها الشمس حرقاً . أرض قفراء

تكاد تخلو من الشجر ، بل فى أماكن شاسعة الاتساع تخلو من كل نبات . لا نهر فيها ولا ماء جار ولا ينابيع دافقة ولا طيور مغردة . أرض بدون حياة حيوانية . سهول سوداء مقبضة وصفراء عارية موحشة ، إذا وقع بصرك فيها على شيء أخضر فكأنك ظفرت بواحة فيعود إلى نفسك بعض اللذة والاغتباط

***

هناك فى بلاد « الاندلس » مناطق يمكنك أن تسافر فيها يوماً كاملا بدون أن ترى منزلا قائماً أو حقلا مزروعاً أو شخص إنسان حى . ففى هذه الوحدة المزعجة والخلاء المحزن بعض من جلال ضاحية « رومه » أو من جلال وعظمة « البحر »

ترى قرص تلك الشمس الجنوبية يذوب محترقاً فيلهب كل شيء بدون إشفاق ويجفف الأرض حتى أعماقها ويحمر التراب ويزيل الحياة النباتية والحيوانية معاً . وفى الخريف والشتاء والربيع تمتلىء مجارى الانهر والجداول بالماء فتخترق الرطوبة المخصبة طبقات الحضيض ويظهر فى كل مكان جذوع وأغصان النبات بأوراقهـــا الخضراء . ويزور ذاك القفر المجدب وفود الحشرات والطيور ، وتدب الحركة والحياة فى كل شيء ، ولكن لايلبث الموت أن يفاجىء فتجف مجارى المياه وتيبس الارض وتتشقق ويذبل كل أخضر ويموت وتزول الحياة النباتية ويصمت كل شيء ويحترق كل شيء تحت الاتون الشمسى المتأجج لهيباً

فتصور الآن بعين الخيال أننا بعد سفر شاق وسط هذا الموت المائى لهذا القفر اليابس المملوء بالتراب ، دخلنا فجأة فى روض من الاشجار الوارفة الظلال ، حتى ان ثقل أغصانها وتشابكها لا يدع لشعاع واحد من أشعة الشمس مجالا للنفاذ ، ورأينا وسط الغابات والاحراش الرطبة كل نبات أخضر وكل عشب مفتح الازهار ، وسمعنا من كل مكان خرير المياه المتدفقة من الشلالات وتغريد الينابيع فوق الاحواض ، ثم أصغينا إلى سجع الطيور تسبح بفرح عيد تجديد الحياة ، وتنشقت صدورنا النسمات المنعشة اللطيفة وهى تلاطم جبيننا المحترق ، ووجدنا فراشاً ناعماً وثيراً على بساط الخضرة السندسى ، وزالت منا الكآبة باقبال النشاط ، ونسينا مشقات الطريق وعقباتها . . . فتلك هى غرناطة وتلك حمراؤها . . .

إن موقع هذه البقعة من الارض (إذا استعملنا له تشبيهاً بسيطاً يطابق الواقع) يشبه تماماً موقع قصر « هيدلبرج » . يكفى لذلك بأن نضع وسط قفر الاندلس المحرق الجديد أكمة « هيدلبرج » وغاباتها لكى نستطيع أن ندرك مقدار الابتهاج الذى يحيق بالمسافر عند وصوله إلى « غرناطة » ولكن لهذا الابتهاج سبب آخر غير الذى تقدم وصفه . ذاك ان المغاربة قد أقاموا فى قلب تلك الواحة البهيجة أعجب قصر من تلك القصور المســحورة التى ولدتها مخيلة الشعراء والقصصيين والعرب فى كل الازمان . فقد نثروا نثراً بدون حساب في كل الدور وكل

القامات والمقاصير جميع بدائع القصور التي سكنتها أميرات الجان أو تخيلتها القرائح وهي سابحة في فضاء الاحلام، بعد قراءة تلك الاساطير التي وضعها العرب . ونحن عوضاً عن أن نشرح تشريحاً تلك البدائع ونصفها حسب قواعد البيان الترتيب الاحسن، لنا أن نأخذ بأيدينا كتاب « الف ليلة وليلة » ونعيد قراءته ونرى فيه « علاء الدين » ومصباحه العجيب . . .

***

ما من زائر « لغرناطة » والحمراء التي يرى فوقها قصر « جنة العريف » ذاك المنزل الحلوى الساحر، إلا وقع تحت تأثير هذا السحر العجيب . فشعراء العرب تفننوا ما شاءوا بنظم المدائح والاوصاف الرائعة في هذه المدينة ومنازلها وحدائقها . و « المقرى » مؤرخ الاسلام في اسبانيا ـ وهو الراوية الذي لاينضب له معين ـ خصص قصائد برمتها في ذكر غرناطة . واليك بعض ماجاء فيها :

« كلا . . أبداً . . لاشيء في العالم . . لا مصر ولا سوريا ولا العراق . . كلا . . أبداً . . لا شيء من ذلك يضاهي غرناطة . . هي تسطع كعروس في ملابس العيد ليلة زفافها . ألست ترى أن كل هذه البلدان من ضمن بائنتها ؟ »

وابن « بطوطة » الذي ساح حول العالم وزار كل البلدان الاسلامية حتى وصل الى الصين ، يؤكد أنه لا يوجد محل في الدنيا يضاهي غرناطة . ونرى المسيحيين كالعرب مجمعين على الاطناب بوصف روعة مركز هذه المدينة، و « بيار مارتير » كاتب أسرار فردينان وازابيلا، والبندقي « اندريا نافاجارو » الذي اقام في غرناطة سنة ١٥٢٦ بصفة سفير لدولته لدى الامبراطور « شارلكان » ، وكل واحد غيرهم حتى أيامنا هذه حقيراً كان أو شهيراً ينشدون بالاجماع مدائح غرناطة

والفرنسويان « فيكتور هوجو » و « تاوفيل غوتيه » والشاعر الامريكي « وشنطون ارفن » في كتابه (Thales of the Alhambra) والانجليزي « ليتون » في « ليله » والاسباني « سوللر » في تقاليد غرناطة والغرناطي « جوزى زوريلا » في كتابه « غرناطة » ومانويل فرناندز اوغنزالز » في كتابه « الله اكبر » وغيرهم . . وغيرهم من أعاظم الكتاب الحديثين قلدوا « باراز » في كتابه « حروب غرناطة الاهلية » الذي مزج فيه الحكايات الخرافية والأساطير بالحقائق ، وصفوا الحياة مثله في دور وحدائق ومقاصير الحمراء ، مع فرسان أبطال وحور عين ، وذكروا ما رأوه من شوارع غرناطة وساحاتها العمومية وشعبها المنهمك بالاثقال، ومثلوا الوقائع التي شهدها مرج « غرناطة » بين العراك والصدام واللعب والفروسية . فأرونا صورة مجسمة لتلك العهود الغابرة الخلابة أيام كان باهراً سطوع الفن العربي في سماء اسبانيا

والأمثال السائرة الآتي بيانها لم تزل للآن شائعة على ألسنة العوام في اسبانيا فانهم يقولون :

« من لم ير غرناطة لم ير شيئاً » . وأيضاً : « فى غرناطة وحدها ينزل الله من يحبه » . لكن أحسن وصف وصفت به هذه المدينة وقصورها العربية هو الذى أنشاه الألمانى « أدولف فريدريك فون شك » الذى فوق ما هو عليه من الخبرة فى الفن العربى فان له ذوق الهواة وتورهم مع وحى الشعراء . لذلك يمكننا أن نسمى كتابه « الشعر والفن عند العرب » نشيد الانشاد لتلك المدينة الزاهرة ، كما ان كتاب الهولاندى الفرنساوى « رينه دوزى » تاريخها

***

قد كان لغرناطة قديماً جاليتها الرومانية كغيرها من المدائن . ولكن من تلك المحلة الرومانية « ايلبريس » التى كانت تجاه بوابة « الفيرا » (حيث يمكن للآن أن تشاهد خرائب حصن مغربى اسمه القصبة) لم يبق منها سوى أطلال دارسة لبعض حجارة عليها كتابات . ويؤكد كثيرون من المنقبين والباحثين فى الآثار الفنية بان هذه الحجارة الرومانية لم تكن موضوعة منذ البدء فى المكان الذى وجدت به بل ان العرب جلبوها اليه لاستعمالها فى بناياتهم . ومع ذلك فان الامر ليس بذى أهمية عندنا حيث اننا لا نبحث هنا عن الآثار التى خلفها « الرومان » ولا يبتدىء اهتمامنا « بغرناطة » يظهر إلا فى القرن الثالث عشر لما « النخريد ابن محمد الاحمر » أسس فيها دولة ظلت قائمة بعد سقوط « قرطبة » و « اشبيلية » ، وأصبحت مركزاً للحركة العقلية بين المسلمين فى شبه الجزيرة كلها ، وأزهرت فيها بكامل ازدهارها المدنية العربية فى اسبانيا . فلغاية ذلك العهد لم تكن « غرناطة » سوى مدينة عادية كسائر مدن الارياف ، زارها الادريسى فى أواسط القرن الثانى عشر ، وهو يتكلم عنها فى سطور قليلة بينما يخصص من الصفحات بعدد هذه السطور فى وصف « قرطبة »

مع ذلك فقد كان لها حتى قبل ذلك العهد شىء من الاعتبار ، إذ أنه فى القرن الحادى عشر لما أراد الطاغية (Badis) أن يتمثل بسلفيه (Habbus و zakri) ملأ المدينة من القصور الشاهقة والبنايات الفخيمة . لكن مؤمنى العرب (السنيين) كانوا يكرهون هؤلاء الملوك إذ كانوا يرون بكل اشمئزاز ونفور أنهم قد جعلوا خاصة مقربيهم من اليهود والنصارى وأقصوا عنهم المسلمين ، فاشعلوا ثورة سنة ١٠٦٦ أفضت الى الفتك بكثيرين من هاتين الطائفتين وخلصت البلاد من سيطرة الكافرين

وفى العهد التالى أوشكت « غرناطة » مراراً أن تقع بيد المسيحيين إذ هاجمها سنة ١١٢٥ الفونس ملك « اراجون » وعسكر تجاه أسوارها مع جيشه مدة عشرة أيام ، ولكن « غرناطة » لم تسقط حينئذ إذ انه كان مقدراً لها بان تكون المعتصم الاخير للدين الاسلامى فى اسبانيا . ولما ضيق العدو نطاق الحصر وتوالى سقوط العواصم الواحدة تلو الاخرى بيد المسيحيين ، من «قرطبة» الى « بلنسية » الى « اشبيلية » مع باقى المدن والحصون ، حشر المسلمون مع كل ثروتهم

وما تملك ايمانهم فى « غرناطة » فازدادت هذه بنسبة نقص سواها ، إذ أن المسلمين هاجروا اليها جموعا كثيفة مدفوعين بضغط وظلم الفاتحين النصارى واستقروا فى ملجئهم هذا الاخير ، وللآن ترى آثارهم داخل اسواره

فالمحلة التى سميت « بالبيازين » ، تجد على سفحها وجوانبها الكهوف والمغـــاور التى يلتجىء اليها « البوهيميون » فى هذه الأيام ، اتخذت اسمها من « المؤمنين » الذين هاجروا فى سنة ١٢٣٧ من « بياســة » . وكذلك « انتكوريلا » ، صارت منذ سنة ١٤١٠ محلة خصوصية لملتجئ « انتكويرا »

وإذ انه فى ذلك العهد كانت المدينة الاسبانية مأهولة بالمسلمين فقط ، نفهم كيف أنه بعد حشرهم فى مكان واحد نبغت الفنون والآداب والعــلوم العربية وأشرقت بنور جديد باهر وأينعت حدائقها بأزهى الأزهار . فالآثار التى شيدها الفن العربى فى « غرناطة » لم تزل بالحقيقة أجمل ما وصل الينا من آثار هذا الفن فى كل زمان ومكان . نعم إننا لا نلقى هنا آثار أيدى أولئك القوم المتدينين الورعين الذين بنوا مسجد « قرطبة » الفخم وبرج « جيرالدو » فى « اشبيلة » ذاك الأثر الخالد . ولكن الفن العربى فى « غرناطة » يتحفنا بأجمل مظاهر الرشاقة الحرة الطليقة ويرينا ذاك الشعب الذى بدأ يتراخى فى حياة البذخ والترف والنعيم مستسلماً للكسل والخمول الناتجين عن الميل الى الشهوات . فكل شىء فيه مشبع بما يلذ الحواس ويخدرها ، فلا بد من أن سكان « قصر الحمراء » كانوا يرغبون أن ينغمسوا فى الفنون التى تزهر أيام الهدوء والسلام ويشجعون الشعر والاناشيد ويتعاطون التجارة والصنائع الجميلة ، لذلك أهملوا صناعة العرب الاصلية وهى « الحروب » بما فيها من التقشف والحرمان

كان من الواجب أن نمتدحهم على ذلك بدلا من أن نلومهم ، لولا علمنا بأنهم كانوا محاطين من كل جهة باعداء لا يكترثون باعمال السلام الهادئة ، بل دأبهم التفتيش على الشهرة والمجد فى ساحات القتال . فكان هؤلاء « الافاقون » المتعطشون للدماء المترصدون للسلب والنهب المشتتون فى كل نقطة من بلاد اسبانيا المسيحية ، تجذبهم الكنوز المكدسة لدى المسلمين منذ أجيال ، وتدعوهم الحدائق الجميلة والحقول اليانعة والقرى العامرة والقصور الباذخة والمدن العظيمة والمساجد الفخمة ، لذلك كان طمع القوى فى مال الضعيف هو السبب فى سقوط المدنية الاسلامية فى اسبانيا وقيام التمدن المسيحى بدلا منها . وقد جاء هذا التمدن الجديد فى دوره بما لا يقل عما جاء فى الذى قبله من البدائع الفنية

***

فتحت « غرناطة » على يد الملكين « فردينان » و « ايزابيلا » الملقبين بالكاثوليكيين سنة ١٤٩٢ وهى سنة اكتشاف « أمريكا » . ففى تلك السنة سقطت المدينة العربية وجاء اكتشاف

« كولومبوس » حداً فاصلا فى تاريخ الشعوب . استقبل الملكان هذا « الجنوى » فى « سانتافا » وهى مدينة كانا قد شيداها لجيشهما المحاصر تجاه « غرناطة » ، وأنالاه بغيته من التصريح له بتجهيز السفن التى طلبها لاتمام رحلته ، فكانت تلك السفن (كما جاء فى التقاليد المشكوك بصحتها كثيراً) هى التى عند رجوعها الى اسبانيا نقلت الملك المنكود الحظ « أبا عبد الله » ـ وهو آخر ملوك المسلمين فى اسبانيا ـ إلى أفريقيا حيث كان أجداده قد أتوا منذ سبعة أجيال . وقد رافق هذا الملك فى منفاه كثيرون من أغنياء وأعيان المسلمين فانطفأت بذهابهم جذوة الحياة فى « غرناطة » ، لأن فقراء المغاربة الذين ظلوا فى مواطنهم عوملوا فى بادىء الأمر معاملة حسنة كما قضت على المسيحيين بذلك شروط المعاهدة التى عقدت وأكدت بالايمان المغلظة من قبل الملوك ، ولكن رأى « الكردينال كزيمانس » فيما بعد أن المؤمن غير ملتزم بحفظ يمينه وعهده تجاه الكفار ، فبدأت ضد المسلمين أفظع الاضطهادات التى عرفت فى التاريخ وجرت باسم الدين

ولما كان البحث فى هذه الفظائع ليس من شؤوننا ، فاننا نكتفى بأن نقول : إنه فى عهد « فيليب الثالث » سنة ١٦٠٩ طرد من بقى من سلالة المغاربة كما كان قبل ذلك طرد جميع اليهود من اسبانيا كلها (سنة فتح غرناطة) وقد حسب هذا العمل من جلائل الاعمال وخلد بكتابة محفورة ترى الآن فى كاتدرائية « طليطلة » وهى كبرى الكنائس الاسقفية فى اسبانيا (١)

مع ذلك لم يضمحل الفن العربى من اسبانيا بعد خروج المغاربة بل ظل ردحاً من الزمان ترى آثاره فوق المبانى العمومية خصوصاً فى الزخارف الخارجية . ولكن بعد فتح « غرناطة » فقد هذا الفن كثيراً من روعته الاولى فى كل مكان بأسبانيا ولم يعد ينتج منه مايستحق الاعجاب . فلو أردنا أن نتتبع آثاره من ذاك العهد يلزمنا أن نغادر الاندلس مع العرب ونتبعهم الى أفريقيا حيث استقروا بعد طردهم ، فنجده هناك فى البنايات العظيمة التى أقاموها كمسجد « تلسان » ومنارتها فى بلاد الجزائر

ولنأت الآن على وصف غرناطة :

إن أكثر السياح والمسافرين يصلون الى غرناطة اليوم عن طريق « جبل طارق » بواسطة سكة حديد « الجزيرة » ، ولكن برنامج السفر يكون أهم وألذ إذا اتبعه السائح مبتدئاً فى « قرطبة » ماراً « بجيان » . ففى هذه المدينة يتمكن من مشاهدة كنيسة جميلة مبنية فى « عهد النهضة » على أنقاض الجامع الاسلامى . ويرى أيضاً خرائب قلعة عربية قديمة العهد فوق أكمة قريبة . ثم يترك السائح قطار السكة الحديدية فى « جيان » لكى يتابع سفره فى عربة « الديلجنس »

وبطبيعة الحال تكون تتمة هذا السفر متعبة أكثر مما لو كانت بالسكة الحديدية عن طريق « أبى عبد الله » ، ولكن يستفيد المرء بالأشياء والأشخاص أكثر . فالطريق ترتفع وتنخفض

(١) وقد اقام فيليب الثالث مسابقة لذلك بين نقاشى المملكة فنال الجائزة فلاسكز ولكن الرسم فقد

وسط ممرات ضيقة أو أودية كالحدائق الغناء . فبقدر ما ترى الجبال عارية موحشة قفراء ترى الأودية خصبة خضراء مفترة ، تسمع فيها خرير السواقى وتغريد الطيور وتشاهد فى طريقك سلالة أولئك المغاربة الذين ظلوا فى البلاد واعتنقوا الديانة المسيحية يزرعون تلك الحقول والبساتين التى كانت ملكاً لآبائهم وأجدادهم

ترى كثيراً من الضياع مبنية كأوكار النسور على قمم الآكام الصخرية ، وتشاهد منازلها المتراصة فوق بعضها يعلوها كلها البرج او « Atalaya » ، وهو ما كان فى زمان العرب يقوم مقام الحصن فى حماية البلاد ، ومن أعاليه كان الحارس يرقب حركات العدو

***

إن الأندلسى بطبيعته اليف ومؤانس إلى حد أنك بعد أربع ساعات من قيامك يكون رفاقك فى السفر قد أصبحوا أصدقاءك ، وهم فى كل خطوة أمام كل قرية أو زريبة أو منعطف طريق يقصون عليك الحكايات ويسردون لك الوقائع الغريبة ، فتعرف كيف يعيش هؤلاء القوم وما هى أرواح الذكريات التى ترفرف فوق أطلال هذه القصور

وعند وصولك الى أعالى الهضاب المطلة على « البيازين » تخرج العربة من الطريق الجوفاء حيث كانت اشجار الرومان بأزهارها الحمراء الساطعة وأشجار التين الشوكى بأزهارها الصفراء تسد أمام عينيك منافذ البصر ، فترى أمامك قد برزت « غرناطة » بمناظرها البيضاء وأبراجها الناطحة للسحاب . ترى الى الشمال الجبل الذى يعلو المدينة ويتسلط على أسوار وأبراج « قصر الحمراء » وهى ذات لون أحمر . وفوقها أيضاً عند أحد منعطفات الجبل ترى نوراً أبيض يسطع بين خضرة السرو ، ذاك هو « قصر جنة العريف » . ووراء الكل شبه ستارة سلسلة جبال « سيارا نفادا » زرقاء فى أوساطها بيضاء على قممها من أكاليل الثلوج . ذاك إلى الشمال . فاذا التفت الآن إلى يمينك ترى أمامك ينبسط ذاك السهل البديع « مرج غرناطة » الذى كان فيما مضى أجمل واخصب وأغنى بقعة على وجه الأرض . بل يمكنك للآن أن تشاهد فيه كثيراً من الرونق والبهجة ، بل تراه لم يزل حديقة غناء بالنسبة لأعمال الرى الباقية فيه من عهد المغاربة

أما المدينة نفسها فموقعها مما يأخذ بمجامع الألباب وهو أحسن جداً من موقع « قرطبة » و « غرناطة » مبنية فوق أربع آكام تنحدر بسرعة إلى ضفاف جدولين كبير وصغير لا تنقطع مياههما بسبب ذوبان الثلوج المستمر فى أعالى الجبال ، حتى إنك فى أشد أزمنة الحر الصيفى تجد ماءهما له فى بعض ساعات النهار برودة الجليد

وقد احتفر نهر « حدره » مجراه العميق بين « البيازين » و « الحمراء » فتسمعه فى هذا الوادى يزأر على الدوام وهو مختبىء بين الأدغال الخضراء التى تغطيه فلا ترى مياهه اللامعة إلا من مسافة لأخرى

ومن أعالى جدران « قصر الحمراء » ينخفض النظر الى ذاك الوادى المحاط بالصخور. وعند ما يصل الى المدينة فى البقعة المسماة « الساحة الجديدة » يختفى هذا الجدول تحت سقف معقود بل ان « الساحة الجديدة » نفسها ليست سوى سطح هذا العقد المشيد فوق حدره. وإذا اتبعنا مجراه بعد أن يتخطى الساحة وينكشف لا يلبث أن يوصلنا إلى ساحة السوق العربى الذى أصبح الآن متهدماً فى بعض نواحيه ، وهو المعروف « بالقيسارية » التى تشبه بمجموعها برغ السوق المسقف الموجود « فى القاهرة » وفى « بيت المقدس » ، ولكن فن الزخرفة هنا يرسم على القناطر والاعمدة طابعاً خاصاً للبناء يذكرنا بعهد كان هذا الفن فيه معبراً عن الابتهاج وفرح النفس

ثم نصل من شارع « zakatin » الى باب الرملة القديم وهو ميدان متسع كثير الذكر فى تاريخ « غرناطة » . ففيه كانت تقام الافراح العمومية والعاب الفروسية ، وفيه كانت تحتشد الوفود والجماهير وتجرى الاجتماعات التى يذكرها « هيتا » و « مندوزا » وغيرهما من رواة تاريخ وأساطير « غرناطة » . وبالقرب منه ترى فى مكان المسجد القديم الكاتدرائية المسيحية والكنيسة الصغيرة الملحقة بها التى تحوى مدافن أجداد شارلكان وآبائه وهم : « فردينان » و « إيزابيلا » و « فيليب الجميل » و « حنة المجنونة » .

وفى « Alameida » وهو الطريق الممتد من « الميدان الملوكى » محاذياً مجرى النهر الى طرف المدينة الجنوبى حيث يتحد حدره بشنيل (الذى يروى الجانب الجنوبى من أكمة الحمراء) ترى أمامك تمثالا عظيماً حديث الصنع من الصلب يمثل مشهد مقابلة « كولومبوس لايزابيلا » . وفى هذا المكان يتنزه شعب « غرناطة » بعد الظهر فى ظلال صفوف تلك الاشجار الجميلة. ومع أن هناك فى « قرطبة » لايرى الناظر سوى مدينة متأخرة خاملة بل تكاد تكون عديمة الحياة بخلاف اشبيلية التى لم يزل فيها للآن شىء من الحركة ، فانه بالرغم من ذلك تستحق « الالاماداه » زيارة تساوى قيمتها ، خصوصاً عند ساعة النزهة اليومية ، حتى لو لم يكن من وراء ذلك سوى أن يتحقق السائح بنفسه من صحة المثل الشائع : « الغرناطيات جميلات جداً » .

لكن مهما كان هذا الجمال جذاباً عند نساء غرناطة (التى نالت إحداهن تاج الملك بزواجها وهى الامبراطورة أوجانى) فان الجاذب لغرناطة ليس جمال النساء . بل ان الزائر يهفو به الشوق أبداً لان يرى أخيراً بعينيه ذاك القصر الشهير قصر الخلفاء الذى سمع ذكره فى الاناشيد ، فلا يمكنه إذاً أن يستقر فى المدينة ويغمض أعينه ويسد آذانه عن كل منظر أو سمع خلاب فيها وكل جمال آخر يحيط به ، فان قوة سحرية لا تقاوم تجذبه إلى أعلى .. إلى هناك . الى « قصر الحمراء » ...

[يتبع — النقل محظور]

السبب في وضع الشطرنج
كما يرويه صاحب الشاهنامه*

كان فى بلاد الهند فى ذلك الزمان ملك يسمى جمهور . وكان له الأمر على تلك الممالك من حد كشمير إلى ارض الصين . وكانت مدينته سندلى دار ملكه ومستقر جنوده ومخبأ خزائنه . وكانت له زوجة من بنات الملوك موصوفة بالرأى والعقل . فرزق منها ولداً سماه « كوا » (١) فمات الملك بعد ولادة هذا الابن عن قريب ، وأوصى الى زوجته . فاجتمعت الجنود عليها وبقيت تنهى وتأمر . وكان لزوجها أخ اسمه ماى وكان يسكن مدينة زنبر (٢) فتقدم وتزوج بزوجة أخيه ، وقعد مقعده من سرير السلطنة ، واجتمعت عليه العساكر . فكان يدبر أمورهم ويسوس جمهورهم . فرزق منها ابنا وسماه « طلخند » . فمات بعد سنتين من ولادة هذا الصبي . فاجتمعت العساكر واتفقت كلمتهم على تقديم زوجة الملك والرضى بسلطنتها . فأرسلوا اليها وأشاروا عليها بان تتقلد الأمر وتقوم بالملك وكفالة الولدين إلى أن يصلح أحدهما للتقدم والسلطنة . وكان أحد الولدين ابن سبع سنين والآخر ابن سنتين . فتسنمت الملكة تخت الملك واشتغلت باقامة مراسم السلطنة . وألزمت كل واحد من الصبيين عالماً يؤدبه ويعلمه . فكانا يربيانهما ويعلمانهما حتى برعا فى الأدب وترشحا للقيام بأعباء الملك . فكان كل واحد يخلو بالملكة ويسألها ويقول : « من الذى يصلح منا للتاج والتخت ؟ » وكانت الأم تقول : « من كان منكما أبرع فى الآداب واجمع لمكارم الاخلاق وليته الأمر ، وقلدته الملك » . وكانت تعللهما بذلك إلى أن بلغا مبلغ الرجال ، ودبت بينهما عقارب الشحناء ، وأخذا فى التحاسد والتباغض ، ونفقت بينهما سوق أهل النفاق والنمائم . فكثرت مراجعتهما إلى الملكة ومطالبتهما اياها بتعيين احدهما للسلطنة . وكان قلبها يميل الى « جو » لكونه أكبر سناً وأحق بالسلطنة من وجهين : احدهما من حيث الأب ، والثانى من حيث اختصاصه بمزيد الشهامة والعقل ومزية الاحسان والعدل . فقسمت الكنوز والأموال والذخائر بين الولدين على السوية . وقالت لطلخند : « الرأى أن تبايع أخاك على الملك ولا تنازعه فيه . كما رضى أبوك بتقدم أخيه » . فلم يرض بذلك ، واتفقت كلمتهم على أن يجمعوا وجوه العسكر وأعيان الدولة ويشاوروهم فى المتعين من الملكين . فنصبوا تختين فى إيوان دار الملك ، وقعد كل واحد منهما على تخت ، وبجنب كل واحد منهما وزيره ومن هو مدبره ومشيره . وحضرت

---

* ترجمها الفتح بن على البندارى ، وصححها وعلق عليها الدكتور عبد الوهاب عزام

(١) فى الشاه كو . وقد عربها المترجم هنا بالكاف مرة وبالجيم اخرى (٢) فى الشاه دنبر

الامراء والاكابر فى مجلس عام . فقام الوزيران وقالا : « أيها الحاضرون ! من الذى ترون من هذين الملكين يصلح أن يكون فيكم مالك الامر ومتولى الحل والعقد ؟ » فتعجبوا من تلك الحالة وتحيروا ولم يحيروا جوابا ، وعمهم السكوت والوجوم . فقام واحد منهم وقال : « إنا لا نتجاسر على الكلام فيما بين هذين الملكين . ولننصرف اليوم فنجتمع ونتشاور فى هذا الامر ثم نخبر بما نرى من الصواب » فانفضوا من ذلك المجلس . وكان بعضهم يميل الى «جو» وبعضهم يميل الى طلخند . وتفرقوا وتحزبوا وانضم كل واحد منهم الى من كان يميل اليه . ومهما ظهر فى بيت آمران فمن قريب يخرب . ولا يجتمع سيفان فى غمد ، ولا ملكان على تخت . فاتفق أنهما اجتمعا ذات يوم فأقبل «جو» على اخيه ينصحه ويعظه ويحذره عاقبة مخالفته ويشير عليه بموافقته ومتابعته محافظة على أبهة السلطنة ، ودفعا لشماتة أعداء الدولة . فلم تنجع مقالته فيه ، وكان تأثير كلامه فى قلبه تأثير الماء إذا جرى على الصخرة الصماء . وكان من جوابه له أن قال : « إنا لم نر أحدا طلب السلطنة بالرقية والتملق . وأنا فقد ورثت هذا التخت من أبى . فالملك حقى أدافع عنه بسيفى » فأفضى حالهما الى المنابذة وتصدياً للمقاتلة . فانصرف كل واحد منهما الى منزله فارتفع الصياح من الدركاهين . فابتدأ طلخند بتهيئة أسباب القتال ، وفرق الاسلحة على الرجال . فاضطر اخوه الى أن استحضر عدده وعدده ، ودعا أمراءه وقواده ، وأمرهم بالتشمر لما حزبهم من ذلك الامر المهم ، والحادث المدلهم . ثم برزوا وعبوا عساكرهم ميامن ومياسر ، ومقانب ومناسر ، وقدموا الرجالة أمام الفرسان فى آلات الضراب والطعان ، وأسرجوا الفيلة لركوب الملكين . ثم لما اصطف الفريقان وتقابل الجمعان أدركت الرقة جو حتى كاد يحترق جوى . فأرسل الى اخيه أحد ثقاته ينصحه على لسانه ويسأله أن يكف من عنانه ويشتغل باصلاح الفاسد ، ولا يغتر بمقالة الكاشح والحاسد ، على أنه يقسم الممالك فيكون له مايختار منها ويريد . فابى طلخند إلا التمادى فى غيه والاستمرار فى غلوائه . وكان من جوابه أن قال : « لا كان يوم أسلك فيه هذه المسالك أو أرضى منك بقسمة الممالك » فعظم ذلك على جو فاستحضر وزيره وسأله عن وجه التدبير فى كف أخيه عن مغامسة القتال ، والتعرض لسفك دماء الابطال . فقال : « إنه ، على ما أرى من احكام النجوم ، لاتطول مدته . فداره بابلغ مايمكن ، وله جميع الممالك ، وحكمه فى جميع الذخائر والخزائن ، وارض من الملك بتاج وخاتم » فاختار رجلا موسوما بالعقل والذكاء ، وأرسله إلى طلخند ، وأمره أن يقول له : « ان أخاك موجع القلب مما أنت مصر عليه من المنابذة . ولا ينسب ذلك الا الى دستورك الذى هو العادل بك عن سواء الطريق . ولا يخفى عليك أن حوالينا جماعة من الاعداء مثل ملك كشمير وبغبور وغيرهما . ومهما تقاتلنا على التاج والتخت قرفونا بكل سوء وأطلقوا فينا الالسنة ، وزعموا أنا لسنا من أصل طاهر . وانك إن نهضت الى لم أبخل عليك بالتاج والتخت . ولا عار عليك ولا غضاضة تلحقك فى أن تجنح الى مصالحة أخيك الاكبر بل

تكون بذلك محموداً عند ملوك البحر والبر ، وقد نصحتك ان قبلت . وان لم تقبل فستندم حين لاينفع الندم ، وتعض على يديك حين تزل بك القدم ، فاتاه الرسول وأدى اليه الرسالة فما نجعت فيه تلك المقالة . وكان من جوابه أن قال : « قل له من أنت ؟ ومن أين لك التاج والتخت حتى تمن بهما على وتفوضهما الى ؟ وما أراك الا وقد أطلت الامل حين شارفت الاجل ، وأنك حين رأيت الامر امراً أخذت تخادعني حيلة ومكراً ، وجعلت الرسل تتردد بينهما الى أن أمسوا فنزل العسكران فى مواضعهما ، وخندق كل واحد منهما حوالى معسكره ، وبث الطلائع الى أن تبلج الاصباح . فارتفعت أصوات الكوسات من الجانبين ، وتراءت أعلام الملكين ، وترتبت الميامن والمياسر ، ووقف كل واحد منهما فى قلب عسكره وبجنبه وزيره ودستوره . فامر جو دستوره أن يامر أصحابه بألا يبدءوا بالقتال ، ويقول لهم : « اذا رزقتم الظفر فلا تسفكوا الدماء . ومن وصل منكم الى موكب طلخند فينبغى أن يضع خده بين يديه على الرغام ، ولاينظر اليه الا بعين الاكبار والاعظام » . وأما طلخند فانه أوصى رجاله بخلاف ذلك وأمرهم بالقتل والنهب والقبض على أخيه وحمله أسيرا مكتفاً اليه

فتزاحف الفريقان وتلاقى الجمعان وجرت وقعة عظيمة . وظهرت الغلبة لجو ، وبقى طلخند وحده فى المعترك . فناداه جو وأشار عليه بان يعود الى ايوانه . فعاد ووضعت الحرب اوزارها وأخمدت نارها . ثم اجتمع من تفرق من عساكر طلخند عليه فخلع عليهم وأحسن اليهم واستأنف الامر وعزم على معاودة اللقاء . فترددت بينهما الرسل وتكررت السفراء فى أصلاح ذات البين ولم الشعث من الجانبين ، فلم يزدد طلخند الا غلوا فى العصيان وتماديا فى الطغيان . فبرزا فى عساكرهما الى ساحل البحر ، وحفر كل واحد منهما حوالى عسكره خندقا ألقى فيه الماء . ثم انهم التقوا وجرت بينهم وقعة عظيمة قتل فيها أكثر أصحاب طلخند ، وبقى هو وحده فى المعترك . فنظر فرأى رجاله مجدلين وقد ارتطم بعضهم فى ذلك الخندق وبعضهم فى الصحراء . عظم عليه ذلك فانحنى وهو على ظهر الفيل ، على قربوس سرجه وخرجت روحه من الاسف والهم . فنظر جو فلم ير راية أخيه فنفذ فارسا ليأتيه بخبره . فانصرف وأخبره بالحال . فترجل جو ومشى ميلين راجلا باكيا فرأى أخاه على تلك الحالة ففتشه من رأسه الى قدمه فلم يجد به أثر ضربة ولا رمية فعلم انه مات حتف أنفه . ثم انه أخذ فى البكاء والنحيب فوصل وزيره وعزاه ، وشكر الله تعالى على أنه لم تكن ميتته قتلا على يده ، وأشار عليه بان يركب حتى يراه الناس فيسكنوا . فركب ونادى مناديه ألا فرق بين العسكرين . فانصرفوا مستظلين بظل الامن والامان . ثم انه حمل تابوتا من العاج ووضع أخاه فيه ، وعاد الى دار ملكه

وكانت أمهما مضطربة تنتظر ما تسفر عنه تلك الوقعة ترجف أحشاؤها وتضطرب فرائصها وقد أرصدت على المراقب ربايا حتى يأتوها بالخبر . فلما طلعت رايات جو وفقدت أعلام طلخند

أنهى اليها الخبر فزقت الثياب على نفسها وأخذت فى البكاء والعويل ، ثم دخلت الى ايوان طلخند وأحرقت جميع ما كان له من الاثواب والاسلحة ، وأوقدت ناراً عظيمة وعزمت على أن تلقى نفسها فيها ، على آيين الهنود ورسمهم ، فلما أعلم جو بذلك تقدم راكضا حتى أتاها فامسكها وضمها الى صدره ، وأخذ يسليها ويعزيها ويخبر أنه لم يباشر قتل أخيه ولا أحد من أصحابه وذويه وأنه لم يمت الا حتف أنفه ، فلم تصدقه أمه على ذلك ، وأخذت تعنفه وتوبخه فحلف لها على ذلك بالايمان المغلظة . ثم قال لها : « وان كذبتنى فيما أقول أحرقت نفسى » وعزم على ذلك فرقت له أمه، وقالت : « إذا كان الامر على ما ذكرت فابن لى ما جرى فى هذه الوقعة ، وكيف كان موت طلخند . فلعلى أتسلى بذلك فينجلى عنى بعض ما بى من الهم والحزن والجزع والاسف » فانصرف جو الى ايوانه . وأحضر وزيره وفاوضه فيما دار بينه وبين أمه . وذكر له ما التمسته منه فاخذا يتشاوران ويتفاوضان فقال الوزير : « الرأى أن نجمع علماء الهند ونامرهم باعمال الفكر فى حكاية صورة المعترك بما اشتمل عليه من العساكر والحفائر ، وكيفية موت الشاه طلخند » فبثوا الرسل فى بلاد الهند وجمعوا العلماء عند الملك فأوقفوهم على صورة المعترك وما جرى فيه . فخلوا وباتوا ليلتهم فى ذلك الفكر حتى أصبحوا . فاستحضروا الآبنوس وعملوا تختا ، وصوروا فيه مائة بيت . ثم عملوا من الساج والعاج صورة شاهين متعصبين بالتاج مع جنودهما وخيولهما وفيولهما ، ثم صفوها صفوفا فجعلوا كل واحد من الشاهين فى قلب عسكره وعلى يمينه وزيره . والى جانب كل واحد منهما من الميمنة والميسرة فيلان يتنقلان فى ثلاثة بيوت . وجعلوا دون الفيلين جملين عليهما راكبان ، ودونهما فرسين عليهما فارسان ، ودون الفرسين رخين كأنهما مبارزان يركضان يمنة ويسرة ، ولا يقف قدامهما أحد . ورتبوا الرجالة مصطفين أمام الكل ، ومهما انتهى واحد منهم إلى آخر المعترك صار فى مرتبة الوزير ، يقعد بجنب الشاه ويختلف بين يديه . ثم كل واحد من هؤلاء المقاتلين اذا رأى الشاه فى بيت صاح وأشار اليه بالاحجام والتنحى من ذلك البيت . ثم إن أحد العسكرين غلبوا فسدوا الطريق على الشاه . فنظر فرأى عساكر العدو قد احاطوا به من كل جانب ، وسدوا عليه كل مسلك فمات من الهم والاسف ما بين المعترك

فكانت أم طلخند تشاهد الشطرنج يلعب به عندها فتتعرف أحوال ذلك المعترك الذى جرى فيه على ولدها ما جرى . ولم يزل ذلك دأبها الى أن قضت نحبها

فهذا سبب وضع الشطرنج والحمد لله رب العالمين

وما الحقد الا توأم الشكر فى الفتى	وبعض السجايا ينتسبن الى بعض
فحيث ترى حقدا على ذى إساءة	فثم ترى شكرا على حسن القرض
اذا الأرض أدت ربع ما أنت زارع	من البذر فيها فهى ناهيك من أرض

اكتشافات روبرت كوخ
وأهميتها للهيئة الاجتماعية *

بقلم الدكتور علي توفيق بك شوشة

« لم نعد نواجه الآن عدوا مجهولا . بل نحن امام ميكروب منظور محسوس ، ندرك الى حد ما الظروف التي تكتنف حياته ، ونستطيع ان نستزيد من دراستها بالتجارب والبحوث » (روبرت كوخ)

كان الاعتقاد السائد لدى الشعوب القديمة أن المرض عقوبة توقع على الانسان من قوة خارقة للطبيعة ، وظل هذا الاعتقاد ينحدر بطريق التواتر إلى المدنيات الاولى

فعزا البعض أسباب المرض الى الارواح النجسة ، والبعض الآخر الى عمل الآلهة. فالبابليون مثلا كانوا يعتقدون أن المرض عمل من أعمال الشيطان الذى يطوف بالارض والهواء ، ووصفوا له التضرعات المطولة والتعاويذ المتعددة

واعتقد بنو اسرائيل أن المرض سوط عقاب يسلطه الاله عليهم وعلى أعدائهم بمحض ارادته

وجاء ابقراط يعلم تلاميذه أن الهواء هو مصدر الوباء . وقد تناول كثيرون هذه النظرية ، فقال بعضهم ان الهواء انما يكون مصدر الوباء بفعل الشيطان . وقال آخرون انه من عمل إله غاضب . وقال غيرهم انه يحدث بتأثير الاجرام السماوية أو الاهتزازات الارضية أو قيام الرياح أو بتصاعدات من الارض والماء . وقد ظلت هذه النظرية ذات سلطان على رجال الطب مدة تزيد عن الفى عام . ولا يزال هناك فى الجيل الحالى من يعتقد أن القحط والحرب والوباء تنشأ من ظهور علامات فى قرص الشمس أو اقتراب الاجرام السماوية من بعضها . فقد عزا وبستر المؤرخ المشهور ظهور الاوبئة الى حدوث الزلازل والهزات الارضية . وكان العلامة سيدنهام يقول بأن هناك حوادث طبيعية فى مختلف السنين لا ترجع فى منشئها الى الحرارة أو البرودة ولا الى الرطوبة أو الجفاف ، ولكنها تعزى إلى تغيرات معينة خفية فى باطن الارض ، لا يمكن تعليلها ، تتصاعد منها ذرات تلوث الجو وتتكيف بها أجسام الناس فتصاب بهذا المرض أو بغيره حسبما تكون الحالة

وقد كان يظن أن الاراضى الواطئة والمستنقعات هى الاماكن التى تتصاعد منها الابخرة الضارة وتنتشر فتسمم الهواء فى المناطق المجاورة . ولذلك كانت هذه الاماكن تجتنب خصوصاً بعد غروب

* خلاصة محاضرة ألقيت بقاعة يورت بالجامعة الاميركية بالقاهرة

الشمس ، وكان الخوف عاماً تقريباً من استنشاق الهواء بالليل

غير أن البحوث التي عملت بعدئذ زحزحت نظرية التصاعد من مكانها إذ لوحظ أن الاوبئة تطوف من الشرق إلى الغرب ، فالكوليرا التي هي وباء مستوطن في الهند تتحول الى وباء عام إبان موسم الحج ، لان زوار بيت الله الحرام يفدون على الاراضي المقدسة من جميع بقاع الارض فيأتي فريق منهم من موطن الكوليرا حاملا الميكروب ، فيصاب به فريق آخر ، وعند ما يتفرق الحجيج عائداً إلى بلاده يكون بينهم فريق يحمل الميكروب معه فتتسع مناطق العدوى

تلك هي النظريات القديمة عن منشأ المرض ، ولكن العقل البشري دائم التفكير والتطور ، فقد اهتدى الى نظريات أخرى . ففي القرن الأول للميلاد كان هناك عالم ايطالي يدعى فارو يقول بان الامراض تنشأ من المستنقعات فتدخل جسم الانسان عن طريق الفم أو الانف . غير أن هذا العالم لم يستطع تعليل هذه النظرية تعليلا طيبا

وكانت تسود خلال السنوات التي تلت تلك الايام آراء ، منها أن المرض يحتمل أن ينشأ عن احياء دقيقة ، غير أنه لم يكن هناك ما يؤيد ذلك ، اللهم الا نفس التعليل السابق لنظرية فارو وهو الاستنتاج الفلسفي . وفي الحق أنه كان من السهل القول بنظرية منشأ المرض من الاحياء الدنيئة ، وانما كان متعذراً على الباحثين أن يدلوا على وجود هذه الاحياء لانها من الضآلة بحيث لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة

والمظنون أن اول من استطاع أن يرى الميكروبات هو « ليون هوك » أحد أهالي مدينة دلفت في هولندا . وكان المتوقع على أثر ما وصل اليه « ليون هوك » من تمكنه من رؤية الميكروبات أن يحدث تقدم سريع في تلك الناحية ، غير أنه قد انقضى ما يقرب من قرن من الزمان قبل أن يحدث اكتشاف آخر ذو بال . حقيقة أن رؤية الميكروبات ليست هي كل شيء ، بل المهم هو معرفة من أين تجيء وما هو عملها . وقد كان الاعتقاد المسلم به اذ ذاك أن الاحياء تتكون من ذاتها ، فقد ذكر هومر شيئاً عن أناس كونتهم الطبيعة كما لو كانت الارض قد ولدتهم وكان ارسطاليس يظن أن الحيات تخلق من الطين . ونشر « فان هلمونت » تعليمات دقيقة عن التوالد الذاتي للفيران تتلخص في وضع بعض حبوب من الشعير والقمح في قاع اناء من الفخار ثم يوضع فوقها طبقة من الخرق البالية . ثم طبقة من هذه الحبوب ثم طبقة من الخرق وهكذا الى أن يمتلىء الوعاء . ثم يلف الوعاء بقطعة من القماش ويترك في زاوية قبو مظلم مدة ثلاثة أشهر ، فعند ما يزال الغطاء تشاهد فيران كبيرة تقفز منه وتشاهد فيران صغيرة داخل الوعاء بالقرب من سطحه ، وان هناك فيراناً صغيرة جداً تحت التكوين موجودة في قعر الوعاء . وفي القرن السادس عشر ظهرت عدة وصفات لصنع الضفادع والنحل . وأخيراً تجدد الاعتقاد بأن الاحياء الدنيئة لابد أن تكون قد نشأت عن طريق التوالد

الثانى ، وذلك لأن التوراة لم تذكر أنها كانت ضمن الاحياء التى أخذها نوح معه فى الفلك

☆☆☆

ان الفحص الميكروسكوبى للاشياء التالفة كاللحوم والمنتجات النباتية قد أدى الى نتائج تحير العقول ، فقد دل على أنها تحتوى على مليارات من الميكروب ، فدعا هذا الى التساؤل عن كيفية تكوين هذه الميكروبات ، وعما اذا كانت قد هبطت من الهواء أو تكونت تكوناً ذاتياً من السوائل نفسها ؟ وقد ظلت هذه الاسئلة وغيرها موضع حيرة بين العلماء مدة طويلة من الزمن ، وكانت التجارب فى خلالها ناشطة والقرائح متوافرة على درسها . ولقد يطول بنا الوقت لو تتبعنا تلك المعارك التى خاضتها الآراء المؤيدة أو المضادة ، غير أن هذه المعارك قد ظلت حامية الوطيس الى ان كان عام ١٨٦٢ فتولى « باستور » القيادة فضرب بمعوله الضربة التى قضت على تلك الآراء . وقام هذا العلامة ببحوث على طبيعة التخمير (كالتخمير الذى كان يصيب غالباً البيرة والنبيذ) كان لها دوى هائل فى ذلك الحين ، إذ أنه لما وجه همه للوقوف على أسباب حدوث هذا التخمير تمكن من القضاء على تلك الاسباب بقتل الميكروبات والخمائر بواسطة تسخين البيرة دون درجة الغليان ، ثم يتركها زمناً ما فى هذه الدرجة من الحرارة . فنجح فى ذلك نجاحاً باهراً

وإذ نجح « باستور » فى الوقوف على أسباب تلف النبيذ عهدت اليه الحكومة الفرنسية ببحث أسباب مرض ديدان القز إذ أن هذه الصناعة كانت مهددة بالبوار فى حين أنها من الابواب الرئيسية للايراد فى فرنسا . وبعد عدة سنوات من الدراسة العميقة وصل باستور الى نتائج باهرة فانقذ بذلك صناعة الحرير من الانهيار . ومع أن تجارب باستور كانت باهرة إلا أنها لم توصل الى كيفية الاصابة بالمرض وماهيتها

وبينما باستور يقوم بتلك البحوث ، كان هناك على مقربة منه شاب ألمانى ضئيل الجسم ضعيف النظر متقد الغيرة يدرس الطب بجامعة « جوتنجن »

هذا الشاب هو « روبرت كوخ » صاحب الفضل العظيم فى سعادة وهناء الهيئة الاجتماعية . تخرج كوخ فى الكلية الطبية سنة ١٨٦٦ وعين طبيباً فى مستشفى المجاذيب بهامبورج ، وظل فى هذا المستشفى زمناً ما بين المعتوهين والمجانين المساكين ، غارقا فى عمله معهم فلم تقرع أذنيه استكشافات باستور وتنبؤاته عن تلك الاشياء المروعة التى تفتك بالانسان ، ألا وهى الميكروبات

ظل ينتقل هذا الطبيب بعدئذ من قرية الى أخرى يزاول مهنة الطب الى أن استقر به المطاف فى بلدة واشتاين فى مقاطعة بروسيا الشرقية

الا أنه كان دائم القلق وكثيراً ما أظهر علائم الاحتقار لمهنته . فقد كان يقول لنفسه : « حقاً أنى أكره هذا الابهام الذى تحمله صناعة الطب . وليست كراهيتى للطب معناها انى لا أرغب فى انقاذ

حياة الاطفال من مرض الدفتريا مثلا ، ولكنني أرجو أن تتصوروا معي حالة امهاتهم وهن يقرعن بابي صارخات مولولات لانقاذ فلذات أكبادهن من هذا المرض ، ولكن مابيدي حيلة ، وقد اطمئن بعض الاحيان احداهن ، مع أنه قد لا يكون هناك أمل في بقاء طفلها حيا ، ثم أعود الى نفسي مردداً : كيف استطيع أن أعالج هذا المرض مع أنني لا أعرف كيف تحدث الاصابة به ولا منشأ العدوى فيه ، لا بل ان أمهر طبيب لا يعرف ذلك ؟ »

وحدث أنه في يوم عيد ميلاده الثامن والعشرين ابتاعت له زوجته مكرسكوباً ليلهو ويتسلى به في أوقات فراغه . فأخذ كوخ يلهو بمنظاره ويفحص به كل ما يقع تحت يديه ، واتسعت الدائرة أمامه فاخذ يفحص دم الغنم والماشية التي تموت بالجمرة الخبيثة ، وكانت الجمرة الخبيثة في تلك الايام مرضاً فتاكا أقلق بال فلاحي أوربا جميعا ، وفي احدى المرات وضع كوخ تحت عدسة منظاره نقطة من الدم الاسود فرأى اشياء محية كالعصى الرفيعة في شكلها ، فصاح : ما هذه الاشياء ؟ أهي ميكروبات ؟ ... أحية هي أم ميتة ولم لا تتحرك ؟... أهكذا يتحول دم تلك الحيوانات المسكينة التي وقعت فريسة المرض الى أشكال الخيوط والعصى ؟ . أخذ كوخ يسبح في بحار من التفكير . وكان يشاطره تفكيره اذ ذاك عالمان آخران أحدهما بواندر في المانيا وثانيهما دافين في فرنسا ، فقد كانا شاهدا نفس هذه الاشياء في دماء الاغنام النافقة وأعلنا أن تلك العصى الرفيعة ليست سوى جراثيم حية ، وأنها بلا شك السبب الحقيقي لعدوى الجمرة الخبيثة . وكل ما في الامر أنهما لم يستطيعا اثبات ذلك فلم يصدقهما شخص واحد في أوربا

استمر كوخ في تفكيره وحار في أمره ، فحول تفكيره الى ناحية الحيوانات السليمة ، فاخذ يتردد إلى دور ذبح الحيوانات ويعود كل مرة حاملا كميات من دم تلك الحيوانات السليمة التي ذبحت للبيع . وكان يفحص هذا الدم ، فلاحظ أن تلك الخيوط والعصى الرفيعة لا توجد أصلا في دم الحيوان السليم ، فقال إن هذا أمر حسن ، ولكن يبقى أن نعرف هل هذه الجراثيم حية وهل تنمو وتتوالد وتتكاثر . . .

لم يكن لدى كوخ من المال ما يمكنه من شراء بعض الاغنام والبقر لاجراء تجاربه عليها ، ولم يكن مناسباً أن يحول عيادته الى زريبة للمواشي . فاهتدى الى أنه يمكنه أن يستخدم الفيران في اغراضه ويرى هل تنمو هذه الجراثيم حقيقة فيها . وقد بلغ به الحال إلى أنه لم يكن لديه محقن يستعمله في حقن الفيران بالدم الموبوء ، فاستنبط طريقة ينقل بها الى تلك الفيران مرض الجمرة الخبيثة الفتاك ، وهذه الطريقة هي أنه أخذ قطعا صغيرة من الخشب ونظفها تنظيفا دقيقاً ، ثم القي بهذه القطع في كمية من الدم المحتوي على تلك العصى الرفيعة ، ثم أحدث قطعاً في جزع ذيل الفأر بمبضع نظيف وأدخل في هذه الفتحة قطعة الخشب الملوثة بالدم ، وما كان أشد دهشته اذ وجد في صباح

اليوم التالى أن الفأر قد مات ، وأن أسراباً من هذه العصى الرفيعة تملأ جسم هذا الحيوان كما كانت ترى تماماً فى نقطة الدم المأخوذة من الغنم الميتة ــ فرح كوخ باستطاعته نقل العدوى التى تصيب الغنم والبقر والانسان ، الى ذلك الحيوان الرخيص الثمن الميسور للتجربة . وقال فى نفسه : « ان نقطة الدم التى دخلت جسم هذا الحيوان كانت تحتوى على بضع مئات من هذه الجراثيم . فنمت هذه الجراثيم وتكاثرت فاصبحت ملايين فى مدى أربع وعشرين ساعة حتى أمرضته وقتلته ، وكان عليه بعدئذ أن يشاهد بنفسه هذه العصى وهي تنمو وتتكاثر ، ولكن ليس هناك سبيل الى رؤيتها كذلك فى جسم حيوان حى ، ففكر فى أن يحاول انماءها على بيئة تقرب فى تركيبها من العناصر المكون منها جسم الحيوان ، وأن يعمل على أن تكون نقية خالية من أى ميكروب آخر . فاحضر كوخ قطعة من الزجاج الرقيق ونظف سطحها تنظيفاً جيداً ، وعرضها على لهب ووضع على هذه القطعة قطرة من ماء العين مأخوذة من ثور سليم بعد ذبحه مباشرة ، ووضع فى هذه القطرة قطعة صغيرة جداً من طحال فأر كان قد مات بمرض الجمرة الخبيثة منذ لحظة وجيزة ، ووضع فوق قطرة السائل قطعة من الزجاج الكثيف المجوف بحيث لا تلمس سطحه قطرة السائل . ووضع حول التجويف قليلا من الفازلين ، لتلتصق الزجاجة الكثيفة بالزجاجة الرقيقة ، ثم قلب وضع الزجاجتين فجعل أسفلهما عاليهما ، فحجزت القطرة وفيها قطعة الطحال المملوءة بالجراثيم فى الحفرة الصغيرة بعيدة عن الاتصال بأى مكروب آخر . ثم وضع هذه تحت عدسة المنظار واستقام على كرسيه يرقب ما يحدث . فلاحظ أنه لم يحدث شيء مدى ساعتين ، الا أنه بعد ذلك أخذت تظهر بعض أشباح فى فجوات الطحال كما لو كانت صوراً سينمائية . فقال كوخ : يا له من منظر ! ان العصى الرفيعة يتكاثر عددها وان الواحدة تصبح اثنتين ، حتى إنه بعد ساعتين كانت قطعة الطحال الصغيرة قد غطيت بملايين منها ، أشبه بخيوط نسيج من القماش ، ولكنه نسيج من أجسام حية فتاكة . ومنذ تلك اللحظة تأيد زعمه بان العصى الرفيعة هي أجسام حية نامية . وأخذ يقوم باجراء تلك المعجزة مرة كل أسبوع ، فينمى قليلا من الميكروبات فتتكاثر وتصبح عدة ملايين . وكان يتساءل قائلا : هل هذه الأجسام الحية هي السبب فى الاصابة بمرض الجمرة الخبيثة ؟ وهل تتكاثر يا ترى فى جسم الفأر اذا حقن بقليل منها . ذلك ما أريد الوصول اليه كخطوة تالية . فعمد الى قطرة من السائل المملوء بالميكروبات المتوالدة فى ثامن ذرية ، ووضعها على شظية وأدخلها فى جسم فأر سليم ففى صباح اليوم التالى وجد الفأر ميتاً ووجد طحاله مليئاً بالخيوط ، وأن الميكروبات هي نفسها التى كان رآها سابقاً فى دم أول بقرة نفقت ، وأنها تشبه تماماً تلك العصى الرفيعة

وكان قد بلغ السنة الرابعة والثلاثين من عمره فى عام ١٨٧٦ ، يوم خرج من وكره فى قرية ولشتاين ليبلغ العالم رسالته عن اكتشافاته . ومع أن باحثين كثيرين قد تقدموا كوخ من بينهم نبى

الطب باستور ، الا أنه كان أول باحث امكنه أن يثبت بغير أدنى شك النظرية الطبية الهامة التي تقول بأن نوعا معيناً من الميكروبات لا يحدث الا نوعا معينا من المرض

وفيما بين عامي ١٨٧٨ ـ ١٨٨٠ كان كوخ يعمل كجندي في ميدان الميكروبات ، يتحسس اما كنها ، ويتبع خطى تلك الكائنات العجيبة التي تسبب العدوى القاتلة للحيوان والانسان . وقد تعلم في تلك المدة كيفية صبغ جميع أنواع الميكروبات بمختلف الاصباغ ، حتى ان أصغر ميكروب كان يبدو واضحا باللون الذي اصطبغ به . ثم ابتاع آلة تصوير بما اقتصده من دراهم ، وثبت عدستها مقابل الميكروسكوب ، وتعلم ـ دون أن يرشده واحد ـ كيفية أخذ صور تلك الكائنات الصغيرة

وفي سنة ١٨٨٠ استدعته الحكومة الى برلين ليعين عضواً بالمصلحة الطبية ، ولما حضر وضعت تحت تصرفه معملا كاملا ، واجهزة كثيرة لم يكن يحلم بالحصول عليها

بدأ كوخ عمله في برلين بمحاولة استنباط طريقة سهلة لانماء جميع طوائف الجراثيم كل على حدة بعيداً عن العناصر التي تلوثها بانسلالها اليها

وحدث مرة بطريق المصادفة أنه كان يحدق في سطح نصف قطعة بطاطس مسلوقة كانت موضوعة على طاولة معمله فابصر مجموعة عجيبة من بقع صغيرة ملونة منتشرة على السطح ، ولون احداها رمادي ولون الاخرى احمر ولون ثالثة اصفر ولون رابعة بنفسجي وهكذا . فتعجب كوخ مما قدمته اليه الطبيعة من وسيلة للتجارب ، واتخذ من ذلك دليلا على أن كل لون ماهو الا مزرعة لنوع معين من الميكروب ، أي مستعمرة لطائفة معينة من الجراثيم ، وقال ان الجراثيم عندما تتساقط من الهواء على بيئة سائلة تختلط أنواعها ببعض وتعوم سابحة في هذا السائل ، ولكنها اذا سقطت على بيئة صلبة فان كل جرثومة تقيم في المكان الذي هبطت عليه وتنمو وتتكاثر الى ملايين الجراثيم التي من نوعها تماماً . ولقد تمكن بعدئذ من صنع بيئة أخرى أحسن من بيئة البطاطس وذلك باضافة كمية صغيرة من الجلاتين او الاجار (وهو عشب بحري ينمو في اليابان) إلى مرقة لحم البقر وتركها تتجمد بالبرودة

وكان من نتيجة تلك التجارب البسيطة أن تمكن « كوخ » من أن ينقل البحث عن الميكروبات من ميدان الحدس والتخمين الى ميدان الحقيقة العلمية ، ثم بدأ كوخ يعد نفسه ليخوض اكبر موقعة حربية ضد الميكروبات ، وأخذ يتحسس ليكتشف مكمن ذلك الميكروب الخبيث بل ذلك القاتل الخفي الذي يفتك كل عام بالآلاف من بني البشر ، ذلك الميكروب هو ميكروب السل

ففي ٢٤ مارس سنة ١٨٨٢ قدم للجمعية الفسيولوجية ببرلين بحثه الخالد عن اكتشاف الميكروب المسبب للسل وطريقة زرعه وانمائه . وقد وصف في هذا البحث التاريخي طريقة عزل الميكروب وتلوينه ، وبرهن على أنه يستطيع باستخدام هذا الميكروب ان يحدث بالجسم اصابات درنية ، كما انه

أثبت عمليا وجود هذا الميكروب دائما فى اصابات السل ، فى الانسان والحيوان .وقد ختم كوخ بحثه بكلمات حكيمة جديرة بالاثبات بنصها هنا لما حوته من الآراء العلمية . وليس ادعى للتأمل من الاستماع الى حين يقول بصدد محاربة السل وتخفيف ويلاته : « لم نعد نواجه الآن عدوا مجهولا ، بل نحن أمام ميكروب منظور محسوس ، ندرك الى حد ما الظروف التى تكتنف حياته ، ونستطيع أن نستزيد من دراستها بالتجارب والبحوث ، ولقد ثبت لنا أن هذا الميكروب لا يستطيع أن يجد وسيلة للحياة الا فى أجسام البشر أو الحيوانات ، وهذا الاعتبار من شأنه أن يزيدنا أملا فى امكان محاربته محاربة جدية ـ وأهم شىء هو توجيه أنظارنا الى منشأ الميكروب ومصدره . فبصاق المسلولين هو بلا مراء أهم هذه المصادر واولاها بالعناية . فمن الواجب أن نعنى بتطهيره وجعله بمنجاة من نقل العدوى الى الاصحاء »

وما ان اطمأن كوخ على نتيجة كفاحه ضد السل باكتشافه ميكروبه والكيفية الدقيقة للاصابة به حتى بدأ يتعقب عدواً آخر أكثر وحشية وأشد فتكا ببنى الانسان . ذلك هو ميكروب الكوليرا

ففى عام ١٨٨٣ طرقت الكوليرا الاسيوية باب العالم الاوربى ، وبعد أن تسللت من موطنها الهند وعبرت الاوقيانوس والبحار وصحارى وادى النيل ، أطلقت احدى قنابلها فجأة فى الاسكندرية . فانتشر منها وباء مخيف ، ووقفت امام أبواب أوربا عبر البحر الابيض المتوسط تهددها وترعبها . وكان شبح الموت يطوف طرقات مدينة الاسكندرية فى ثياب ميكروبات قاتلة ، ولم يكن لدى انسان أية فكرة عنها أو عن نوعها أو شكلها ، وما اذا كانت حيوانات يمكن رؤيتها . وكان من أمر تلك الميكروبات انها تندس فى الصباح الباكر بين اصحاء الاجسام ، فلا يأتى ظهر اليوم حتى يكونوا قد اصيبوا بتشنجات ، واذا ما أمسى الليل يكون الموت قد احتضنهم الى راحة أبدية

ولما بلغ ذلك أسماع حكومتى المانيا وفرنسا سارعتا الى ايفاد العلماء لبحث أسباب المرض ، فارسلت المانيا روبرت كوخ ومساعده جافكى ، وأرسلت فرنسا أبرع مساعدى باستور وهما العلامتان رو وتوليه ، فاشتغل كوخ وجافكى فى احدى غرف المستشفى اليونانى بالاسكندرية بعد أن حولت الى معمل صغير ، وحبسا نفسيهما فيها ، واخذا يعملان وقطرات العرق تتصبب من جباههما ، يلقحان شتى مخلفات الموتى فى الكلاب والدجاج والفيران والقطط . وحدث أن قرع باب معملهما يوما ما احد الرسل وقال لهما ان توليه ـ أحد أفراد البعثة الفرنسية ـ قد توفى مصابا بالكوليرا فلم يبد عليهما اثر الذعر والوجل ، بل كان كوخ احد الذين حملوا جثمان توليه إلى مقره الاخير ، ووضع على قبره باقة من الزهر وهو يقول : « ما ابسط هذا الورد ! ولكنه اكليل غار يقدم للشجعان »
وظل الوباء يفتك بالناس شهوراً ثم اخذ يتوارى خفية كما بدأ خفية . ورفع كوخ تقريرا الى وزيره عن مهمته قال فيه : « وجدت ميكروبات فى جسم كل حالة توفيت بالكوليرا ، ولكننى لم أتمكن

حتى الآن أن اثبت أنها هي السبب في الاصابة . ارجو أن ترسلوني الى الهند حيث توجد الكوليرا في كل وقت ، وأمامكم ما وصلت اليه فانه يبرر ارسالي اليها »

سافر كوخ الى كلكوتا ، وهناك عثر على الميكروبات الواوية الشكل في جميع الجثث التي فحصها وفي امعاء المصابين بالمرض ، ولم يجدها في جسم أي واحد من الهندوس الاصحاء الذين فحصهم ، ولا في أي حيوان ، من الفيران الصغيرة الى الفيلة الضخمة . وقد أمكنه في تلك الفترة أن يتعلم كيف ينمي هذه الميكروبات وأن يدرس خواصها . كما أنه امكنه أن يعثر عليها في المياه الآسنة في الخزانات حيث تتجمع حولها اكواخ الهنود البؤساء . ولما عاد كوخ الى المانيا استقبله الشعب استقبال القائد الفاتح . وتحدث الى زملائه العلماء فقال لهم : « لا يمكن أن يصاب بالكوليرا شخص سليم ما لم تدخل في بدنه تلك الميكروبات الواوية الشكل . إن هذه الميكروبات تتوالد من مثيلاتها لامن أي شيء آخر ولا من لاشيء ، وانها لاتنمو الا في امعاء الانسان أو في المياه الملوثة »

وفي سنة ١٨٨٥ عين كوخ استاذا لعلم الصحة في كلية برلين ومديراً لمعهدها الذي أنشيء في تلك الجامعة . وفي هذا المعهد تمكن كوخ وتلاميذه أن يعرفوا الاسباب المحدثة لامراض كثيرة ، فاكتشف لفلر ميكروبات مرض السقاوة في الخيل سنة ١٨٨٢ ، والدفتريا في الانسان سنة ١٨٨٣ ، والحمرة في الخنازير سنة ١٨٨٦ . واكتشف جافكي ميكروب التيفويد سنة ١٨٨٤ ، ونيكولاير ميكروب الكزاز سنة ١٨٨٥ ، وفاكسلباوم ميكروب الالتهاب السحائي سنة ١٨٨٧ ، وكيتاساتو ميكروب الطاعون سنة ١٨٩٤ ، وفرنكل ميكروبات ذات الرئة سنة ١٨٨٦

أما السنوات التي تلت ذلك حتى ختام القرن التاسع عشر فقد اشتغل فيها كوخ ببحث طائفة أخرى من أمراض الانسان والحيوان وقضى جانباً كبيراً منها خارج موطنه ، فطاف الهند لدراسة الطاعون البشري ، وعرج على جنوبي أفريقيا لدراسة الطاعون البقري ، ومنها زار أفريقيا الشرقية لدراسة مرض النوم ، حتى وافاه القدر المحتوم في ٢٧ مايو سنة ١٩١٠ وهو في الثانية والستين

* * *

لا ريب أن ثمة مكتشفين يضاهون كوخ في عظمته ولكن يندر أن نجد بينهم مكتشفاً واحداً يتصل اسمه بتاريخ علم كامل مثل اتصال اسم كوخ بتاريخ علم الميكروبات ، وإنه حقاً لجدير أن يعرف بالاسم الذي أطلقه عليه البكتريولوجيون وهو « أبو البكتريولوجيا »

وإنه وان كان من المتعذر على المرء أن يحصي ملايين الناس في بقاع الارض كلها التي ذهبت ضحية الامراض الوبائية في الايام التي تقدمت عصر اكتشاف الميكروبات ، إلا أن المصادر الطبية التاريخية تؤيد عظم الخسائر والاضرار في النفوس والارواح التي فتكت بها الامراض المعدية

ولكي تقدروا بأنفسكم تلك المصائب التي لايمكن وصفها التي تسببها الاوبئة عند عدم التغلب

عليها ، ولكي تلمسوا من الناحية الاخرى التقدم العظيم في علم الطب الحديث ، سأتلو عليكم بعض فقرات من كتاب هكر ، عنوانه « اوبئة القرون الوسطى لاسيما مرض الموت الاسود الذي هو الطاعون » . قال هكر : « كانت مصر تخسر يومياً من ١٠٠٠٠ الى ١٥٠٠٠ نفس ، وفي الصين مات أكثر من ١٣ مليونا ، وأما الهند فقد أقفرت جهات منها من السكان ،وفي بلاد ما بين النهرين والشام كانت الارض تغطى بجثث الموتى ، أما أهالي بلاد الكرد فانهم هربوا الى قمم الجبال ولكن المرض تعقبهم هناك ، وفي حلب كان يموت يومياً ٥٠٠ شخص ، وفي غزة مات ٢٢ الف شخص في ستة أسابيع ، وخسرت قبرص معظم أهلها ، وأقفرت السفن من البحارة . وفي فلورنسا مات ٦٠ الفا وفي فنيس ١٠٠ الف ، وفي باريس ٥٠ الفا ، وفي لندن ١٠٠ الف على أقل تقدير »

لا تظنوا أن الامر كان مقصوراً على القرون الوسطى ، فدعوني أحدثكم عن مصائب الاوبئة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . فقد كتب باركل عن وباء الكوليرا سنة ١٨٧٣ أنه ظهر فجأة وأصاب كل نفس وصل اليها ، دون تمييز أو تفريق . الغني والفقير ، القوي والضعيف ، الرجل في عنفوان قوته والمرأة في ريعان جمالها ، حتى الطفل في أرجوحته ، ورجل الدين في معبده . وكان الوباء اذا ما انتهى من عمله في منطقة ما رحل الى منطقة أخرى ساعيا خلف فريسته ، مخرباً ومدمراً كل ما يقع بين يديه . بل انه لم يفرق بين بلد وآخر فلم يعترض سيره أي حاجز صناعي أوحد من الطبيعة ، فقد فتك بالرجل الاسيوي والرجل الاوربي ، كما فتك بالجنس الاسود والجنس الابيض ، كذلك فتك على السواء بسكان الدنيا القديمة ومستعمري الدنيا الجديدة . وعبر المحيطات والصحاري الشاسعة ، وحل بكلكله بالجزر النائية ، ووصل الى السفن الماخرة عباب البحار

كانت هذه الويلات والمصائب أشياء عادية في الايام السابقة على عصر كوخ . أما بعد اكتشافاته واكتشافات تلاميذه فان الحالة قد تغيرت . فامكن علم الطب الوقائي أن يشق له طريقا الى مكافحة الاوبئة . فمن وسائله المتبعة الآن القضاء على الميكروبات ورفع مستوى المناعة الذاتية وقطع الطريق على الوسيط الذي تنمو الميكروبات فيه . بهذا وبذاك يمكن القضاء على الامراض الوبائية قضاء مبرما

غير أن هناك نقطة واحدة يجب ألا تغيب عن أذهانكم وهي : ان استمرار وجود الامراض الوبائية يجب ألا يعد طعنا في قيمة علم البكتريا وقدرته ، بل ان اللوم في عدم القضاء على الامراض قضاء تاما انما يجب أن يوجه الى الهيئة الاجتماعية . ان مهمة علم البكتريا ليست أكثر من ان تنير أمامنا الطريق لاتقاء العدوى والقضاء عليها . أما ما عدا ذلك فهو من عمل الهيئة الاجتماعية

أمثال العوام ودلالتها

بقلم الاستاذ اديب عباسي

العامة أدبها ، وهو خلاصة ما في حياتها النفسية والاجتماعية من تجارب وخواطر وأخلاق وعادات . ولعل أوضح ما يمثل هذه الحياة تلك الحكم والامثال الدارجة التي يتمثلون بها في كثير من الاحيان ، وتدل دلالة صادقة على حياة السواد الاعظم من الناس . وفي هذا البحث دراسة طريفة لتلك الدلالة من نواح شتى . وقد استعان الكاتب في دراسته ببعض الامثال الذائعة في سوريا

يقول كاتب غربي : ان الامثال يجب ان تباع أشفاعا ، كل اثنين معاً . وهو لا شك يريد أن المثل مهما يكن حظه من الاحكام والبلاغة لا يسوغ ان يتخذ دستوراً عاماً للحياة ، يرجع اليه ويجرى عليه كلما واجه المرء من مشكلات الحياة ما يتقاضاه اعمال الفكر والاستنارة بخبرة الغير . ثم ليصح الاستهداء بالأمثال والاسترشاد بخبرة قائليها يجب ان تسترشد على أنها بعض الحقيقة ، لا الحقيقة بكاملها ، وانه ـ لهذا ـ كان محتوماً ان تشفع هذه الأمثال بما يكمل نواحي النقص فى خبرة قائليها ، وعندها يصح الرجوع اليها كمصدر من مصادر التهدى والاسترشاد . على ان هذا الذى ينعاه الكاتب على المثل من ضيق عن استيعاب حقائق الحياة الشاملة وعجز عن تلخيص الخبرة البشرية تلخيصاً تاماً لا نقص فيه ولا تضليل ، غير محبوس ولا موقوف على المثل وحده من وسائل التعبير . فالذى يصدق على المثل يصدق على الخطاب صدقه على القصيدة والمقالة والكتاب وعلى كل وسيلة أخرى من وسائل التعبير . وذلك ان حقائق الحياة أعضل وأدق من أن تحيط بها الأقوال وتلخصها وتلم بها المباحث مهما جلت وذهبت فى ناحيتى العمق والارتفاع . ونحن على مثل اليقين التام ان الفكرة مهما سمت وتجردت تظل فى اكثر الأحوال فكرة فردية تدل على خبرة قائلها ونظرتهم إلى الحياة قبل ان تدل على حقائق الوجود والحياة المطلقة . ان نسبية اينشتين تدخل فى عالم الحقائق والخبرة البشرية كما تدخل فى عالم الحقائق والدساتير المادية ، يصدق على هذه ما يصدق على تلك من فعل الزمان والمكان . فاذا كان ذلك كذلك جاز لنا ان ننظر فى غير حرج الى المثل والحكمة كحقائق نسبية توجز لنا خبرة صادقة على قدر ما يمكن ان يكون من خبرة صادقة فى اختبار الفرد أو الجماعة فى ظروفهم الخاصة وفروقهم الصارخة وأزمنة اختبارهم وأمكنة تجاربهم المتباعدة المتنائية . وعلى فرض ان المثل ـ كما يريد الكاتب الغربى ـ لا يمثل إلا بعض الحقيقة ، أو على الأصح لا يرينا إلا وجهاً واحداً

من وجوه الحياة المتعددة ـ أقول على فرض هذا ، فليس ثمة ما يمنعنا ان نتخذ من هذه الأمثال وسيلة استدلال ـ على الأقل ـ وأداة للنفوذ الى حياة قائليها أفراداً وجماعات . ثم التغلل الى مواطن شعورهم الخفية وطراز تفكيرهم و مواضع الأمل ومواطن الألم فى حياتهم واختبارهم . ولنا بعدها ان نؤيدهم ونقرهم على ما يذهبون اليه . ولنا أن نخالفهم ونعارضهم كما نشاء . وليس علينا ولا عليهم فى ذلك حرج . واذاً فسنجعل همنا فى الصفحات التالية ان ندرس بهذه الروح وهذا التقدير ، ما يجرى على ألسنة العامة فى شطر من سورية من أمثال وحكم

دلالتها النفسية والاجتماعية

امثالنا العامية فى سورية هى لا شك استمرار للحياة العقلية والخبرة العملية اللتين كانتا للعرب فى زمن الجاهلية والاسلام . وليس معنى الاستمرار هنا الوحدة والتشابه ، انما هو الاستمرار وحسب . ونقول إن أمثالنا العامية هى استمرار للحياة العقلية الجاهلية لاعتقادنا أن المثل فى يومنا هذا وفى أمسنا هو أدل ما يدل على حياة السواد الاعظم فى الامة ، لا خاصتها المعدودين ، فقد كان المثل فى الجاهلية الوسيلة الفنية للتعبير الشعبى ، يجرى على ألسنة العامة كما يجرى على ألسنة الخاصة . والمثل كذلك ـ ليومنا هذا ـ ما يزال أعم أداة من أدوات التعبير بين العامة فى حالته المهذبة المركزة ومن هنا ولوع بعض المستشرقين بتقصى هذه الامثال وشغفهم بترويها وتدوينها. وخطرها عندهم كخطر كتاب « الف ليلة وليلة » صدقا فى الدلالة على أخلاق العامة ونوع معيشتهم وطراز تفكيرهم . ولئن جاز للباحث مثل نيكلسن ـ مثلا ـ ان ينقض امثال الجاهلية فى دلالتها التاريخية ، اعتقاداً منه ان كثيراً من هذا القصص المروى حول هذه الامثال انما هو محمول عليها ملحق بها وهو فى الحقيقة ليس منها بشىء ـ أقول إن جاز مثل ذلك لنيكلسن أو غيره ، فليس بجائز لأحد أن يشك اليوم فى الدلالة النفسية والاجتماعية لأمثال العامة ، سواء فى ذلك الجاهلى منها وما بعد الجاهلى الى يومنا هذا . قد يختلف المفسرون فى ظروف الحال التى قيل فيها المثل أو أرسلت الحكمة ، وقد يصدق ما يروى بصدد مثل من الامثال وقد لا يصدق ، ولكن ما من شك فى ان المثل فى ذاته والحكمة فى ذاتها يدلان دلالة صادقة على تفكير قائليهما والمتمثلين بهما فى المفترق والمتشابه من شؤونهم . ولو أنك قابلت بين الشعر والمثل يجيئان من الخاصة وبين أمثال العامة فى دلالتها الشعبية فى ناحيتيها ، النفسية والاجتماعية ، لظهر لك الفرق واضحاً جلياً . فالشعر قديمه وحديثه كان ولم يزل اداة خاصة من التعبير ، وهو بعد ، فوق اختصاصه ، لا يجىء مرسلا بعيداً عن الاقتسار والتعمل والرغبة الشديدة فى تقبيح الافكار وتهذيب النزوات وكبت النزعات الشاذة الا فى القليل الاقل . وذلك ان قارضى الشعر هم عادة من الخاصة الذين رفعتهم

عن أبناء جيلهم زعامة الاعراق أو الثقافة أو الجاه ، فاضحوا لذلك مجبرين على ان يحافظوا على هذه الزعامة بشتى الوسائل ومختلف الطرق ، فعنوا بوزن القول - بين ما عنوا به - وتدبروه من جميع وجوه النظر ونواحي التقدير - يدققون ما يدققون فى نقد القولة يقولونها لتجىء غير نابية ولا مستهجنة . أما صدق التعبير وأمانة الوصف لما يجول فى النفوس من مشاعر وعواطف ، فقد كانا عندهم فى الاعتبار الثانى . أما العامة فهم لا يشعرون غالباً بأن لهم قيما كبيرة فى الحياة ومراكز بارزة وزعامات غالية يجب أن تنزه عن مواطن النقد ومواضع الريبة ، لا يستشعرون شيئاً من ذلك . لهذا فلا زمانة ولا ترصن ، فتراهم يرسلون القول ارسالا على سجية الطبع وبساطة الفطرة . لا يتأنقون فى تفكيرهم ولا يتلطفون فى عرض آرائهم ، ولا يقيمون وزناً للرقيب وناقد الاخلاق ، ولا يحفلون ما يحفله الخاصة من عناية بارضاء الرأى العام وتملق ذوقه . ومن هنا ما قد تراه فى قولهم ومأثور كلامهم من سفه وبذاء ، وما تلحظه من انانية صاخبة وترويج للقسوة والمكر فى حكمتهم ، الى جانب ما يوردونه من مثل عفيف وحكمة مهذبة وقولة نبيلة . يفعلون هذه وتلك دون أن يستشعروا جرماً أو يحسوا خطيئة . ومن هنا يجد الباحث النفسى والاجتماعى فى هذه الأمثال مادة ثمينة لدراسة النزعات والاهواء الانسانية فى حالة فطرية غير مهذبة . وما يصدق على الشعر من ناحية الخاصة يصدق على المثل والحكمة لا سيما فى العصور المتأخرة . فامثال الخاصة وحكمتهم كثيراً ما تكون فلسفة كراسى ليس غير ، يرسلها مرسلوها وهم جالسون الى مناضدهم ورؤسهم بين أيديهم وعيونهم شاخصة وألبابهم سارحة تتصيد الرأى وتتحايل للفكرة الى أن تجيئهم مقسورة غير منقادة . أما اذا بدا لهم ان فى بعضها ما يتعارض وارادة الرأى العام والعرف الدارج كبتوه بلا رحمة . وهم لا يكتفون غالباً بارضاء معاصريهم من الاحياء بل تراهم يزنون أثر أقوالهم فى الاجيال اللاحقة ، فلا يدعون الفكرة تفلت من صدورهم ولا الكلمة تند عن شفاههم إلا إذا أيقنوا انها مرضية الاجيال الآتية والجيل الحاضر معاً

دلالتها على الخبرة الواسعة

وثم شىء آخر نحب أن نشير اليه بشأن الفروق بين أدوات التعبير الفنى عند الخاصة وأداة التعبير الفنى عند العامة . وهو أن معظم ما انتهى الينا من شعر وخطب فى عصر الجاهلية يمثل لنا الأمة العربية فى دور سذاجة وخبرة محدودة بالحياة . فأشعارهم وخطبهم من هذه الناحية دون أمثال العامة فى هذا العصر التى تدل أكثر الأحيان على خبرة قوم عركهم الدهر بكلكله . وضرسهم بانيابه . وأذاقهم كل ما يذاق من حلو الحياة ومرها ، وتوالت عليهم فيه آلاف الخطوب والنوب . وليس معنى هذا ان أمثال العامة أدق وأبلغ من أشعار الخاصة وأقوالهم ،

انما هو ان أمثال العامة أكثر إحاطة بعناصر الحياة وأشمل لنواحي الخبرة الانسانية على ان هذا لا يعني بحال أن خبرة العامة مقطوعة الانقطاع كله عن خبرة الخاصة. فالغرائز والميول والاهواء النفسية، وهي واحدة، تعمل عملها في العامة والخاصة على السواء. ومن هذه الغرائز والميول والأهواء تنبع الامثال والحكم. فلا غرو اذاً ان تتقارب الأمثال والحكم عند الخاصة والعامة في روحها ودلالتها الاجمالية. انما الفرق هو ان أولئك يخضعون لسلسلة من الأوامر والزواجر ويراعون عددا من العادات والمحرمات ويصانعون مجموعاً من المسلمات والمعتقدات، يربى كثيرا على مايخضع له هؤلاء ويراعونه ويتملقونه ويصانعونه منها. ومن هنا تجيء الأمثال والأقوال منقحة عند البعض ومرسلة عند البعض الآخر. لهذا جميعاً نعتقد اننا لا نسرف في الاعتماد على هذه الأمثال في دراستنا لشؤون العامة والاستعانة بها على فهم بعض أحوالهم النفسية والاجتماعية

التسليم بالقضاء والقدر

أول ما يلحظه الباحث في امثال العامة شيوع فكرة القضاء والقدر وتغللها الى اغوار قصية من نفوسهم. فالانسان - كما تصوره هذه الامثال - أداة مسيرة للاقدار تصرفه تصريفاً اعمى لا خيار له فيه، فيصيب خيراً تارة ويصيب شراً تارة أخرى، ولكنه - في كلا الحالين - لا يد له في جلب الخير ولا دفع الشر. ولا شك في أن للاديان الثلاثة أثراً في طبع تفكير العامة بهذا الطابع. إلا اننا لا نعتقد أن للأديان كل الاثر في ذلك، وإلا لكان الأوربي، وهو صاحب دين قدري، يؤمن بالقضاء والقدر، وهو ما ليس كذلك. ونرى أن لأحوال المحيط من بيئة طبيعية واقتصادية آثاراً في ذلك غير خفية. فهذا الجزء من العالم يكاد يكون تحت رحمة الاقدار وتصرفات القضاء، ويكاد يكون عمل المرء فيه عملا ثانوياً، يزيد الخير بعض الزيادة وينقص الشر بعض النقص، ولكنه لايستطيع دفعهما بعيداً عن الحد الذي تعينه سلطة القدر وجبروت القضاء..

يسقط المطر هذا اليوم سحاً مدراراً، فيستبشر الفلاح، ويشرع ينثر بذوره ويسوي كرومه ويعد ارضه. ويتوالى المطر ويتوالى عمل الفلاح وغبطته، إذ يرى الزرع ناضراً والمواشي مترعة الضروع كثيرة الانتاج، ولكنه ما يكاد يطمئن إلى نصيبه هذا من العام حتى يجيء يوم يشعر أن الامطار قد تلكأت وان ستسوء العقبى إن لم يتداركه الله برحمته وينزل المطر وشيكا عاجلا، ثم يعلق بديم النظر إلى صفحة السماء صباح مساء، ولكن سماءه تظل اجمد ما تكون وجهاً واشح ما تكون عطاء، فيبدل ايناسه وحشة واستبشاره قلقاً. وقد يطول الارتقاب فيترقى القلق الى يأس قاتل والوحشة إلى حزن عميق، إذ يرى ثمار اتعابه تذوي بين يديه وهو لايستطيع دفعاً للكارثة.

ولكنه، وهو فى مثل هذه الغمرة من اليأس، يرى سماءه تجود بعد شح وتعطف بعد قلى، فيحس المسكين بشاشة الأمل تعاوده، ولكنه يشعر، فى كلا الحالين، انه الريشة فى مهاب القدر ترفعه حينا وتضعه حينا آخر وتعصف به حيناً ثالثاً. بمثل هذا وغيره من احداث الطبيعة وتراوحها بين الشدة واللين نشأت فى نفوس الناس فكرة التسليم إلى القضاء المحتوم، وماذا يستطيع امرؤ أن يعتقد خلاف هذا فى بلاد تكاد تعطل فى المرء عمل الارادة وقابلية السعى ؟!

الدعوة لبعض الفضائل

ويلحظ الباحث كذلك ميلا عاماً فى امثال العامة الى وضع فضيلة الصبر فى رأس الفضائل الانسانية. وليس فى هذا غرابة. فالذى يرى مساعيه تكاد تكون معطلة مشلولة تلقاء سلطة الاقدار لايستطيع إلا ان يصبر ويتصبر. وكثيراً ما يعقب الصبر الفرج، فينشأ المرء على اعتقاد ان الصبر أجدى ما يتحلى به من خلق وخير ما يخفف من وقع المصيبة. على أن صبر العامة ليس صبر الواثق من انفراج الازمة وانكشاف الغمة انما هو صبر الذى لا يستطيع دفع البلوى، فهو صبر يلتقى واليأس فى ملتقى واحد من النفس

وفى هذه الامثال دعوة قوية للبذل والسخاء. وهو لاشك راجع إلى مثل البادية العليا حيث فضيلة الكرم تعد فى أول الفضائل قدراً. وقد طبع أهل البادية بطابع الكرم والاريحية لان المغازى قللت من قيمة الثروات الشخصية، ولان البادية بقسوتها وشحها جعلت افضل مايستطيعه المرء تقديم الطعام إلى الاضياف والمسترفدين

والمحافظة على الجار لها حظها الوافر من امثال العامة. وهذه أيضاً ـ فى اعتقادنا ـ ترد إلى فضائل البادية التى انتقلت بالخلطة والجوار والتوريث الى الريف. على ان هذا لا يعنى ان الحضر كانوا يخلون من الميل الى منع الجار لو لم تجبهم البادية بمثلها العليا، ومنها فضيلة المحافظة على الجار، ذلك ان المحافظة على الجوار مركبة فى طبيعة العربى، حضرية وبدوية على السواء

والحرص أو الحيطة بالتقية لها نصيب وافر من امثال العامة. ونعتقد ان لهذا علة تاريخية نفسية. فهذه البلاد وما توالى عليها من فتوح الفاتحين وعبث العابثين غرست فى نفوس القوم ميلا شديداً الى الحيطة والحرص واخفاء ما يحسونه من نقمة على هؤلاء الفاتحين. وقد افضى ذلك فى آخر الامر إلى طراز واضح من المصانعة والتوق. لقد كانوا يدركون ضعفهم ويدركون بسليقتهم أن تنازع البقاء يوجب على الضعيف المصانعة والتستر حين لا يجدى الجهر بالعداء، فيبش حين الحزن اولى، ويلم حينا الظلم احلى، ويصبر حينا الثورة والتخريب ادعى للتسرية عن النفس وأنآ للألم. فتأكدت فيهم هذه الاخلاق. وللعامة فى ذلك امثال عدة كقولهم: «اليد التى تستطيع قطعها بوسها، الرجال عند اغراضها نسوان، الخضوع عند الضرورة رجولة»، وهكذا

المرأة . العصبية . الاقتصاد

والمرأة فى امثال العامة تنزل منزلة وطيئة . فهى فى معظم الامثال التى يوردونها عنها المرأة ضعيفة التفكير التى لاتؤتمن على سر ولا تستشار فى رأى ولاتطاع فى أمر . على ان العامة لم يستقلوا وحدهم بهذا الظن السيء فى المرأة . فالشعر العربى والامثال العربية القديمة طافحة بالزراية على المرأة والاتجاه اليها بالنقد اللاذع

والعصبية القبلية لها نصيب غير قليل من أمثال العامة . فهم لا يزالون على رأى القائل القديم : « انصر اخاك ظالماً أو مظلوماً » ومن أقوالهم الدالة على قوة العصبية : « أنا وأخى على ابن عمى وأنا وابن عمى على الغريب ، عد ارجالك وارد الماء » وهذا لاشك مرجعه ضعف سلطة الحكومة وتلاشى هيبتها فى عصور الانحلال السياسى والاجتماعى الذى منيت به البلاد العربية . وفى الاخص الملاك الخصيب بعد فتوح المغول بحيث اضحى كل امرىء مسئولا عن الدفاع عن نفسه وذويه . وهكذا عادت القبيلة العربية الى حالها القديم من الانكماش . وعاودها الحنين الى مثل الجاهلية الاولى من عصبية ضيقة وانتصار لذوى القربى معتدين أو معتدى عليهم

والمسائل الاقتصادية على اختلاف مناحيها تعالجها أمثال العامة وتخرج فى كثير من الاحيان الى كثير من السداد والاصابة . ففضيلة العمل وضرورة الاقتصاد والتوفير ووجوب التأنى عن الارتباق فى حمأة الدين وضرورة المغالبة والسعى فى طلب الرزق ــ كل اولئك وغيرها موضحة فى اقوالهم وأمثالهم . ومن أقوالهم السائرة فى ذلك : « الصنعة ان ما اغنت سترت . من خبا فطوره لغداه ما اشمت فيه عداه . يكفيك من ثوبين ثوب واحد » . وأمثال هذا كثير فى كلامهم

ويطول بنا الشرح جداً لو اردنا أن ندل على كل خلة او خصلة يرد فى أمثال العامة مايلصقها بهم ويردها اليهم . فنكتفى بما تقدم على أمل ان نعود يوماً الى أمثال العامة هذه وأساطيرهم ونوفيها حقها من الدراسة والتحليل . وهو فى اعتقادنا عمل يستحق من عناية الباحثين أكثر مما تتسع له صفحات الصحف السائرة

أمثال

وقبل ان نختم هذا البحث نورد ، غير متخيرين ، طرفاً من امثال العامة ، فيتبين القارىء الكريم أن كثيراً منها لايقل بلاغة تعبير ودقة اداء ولطف مأخذ وصدق وصف عن امثال الفصحى . هذا فضلا عما سيلحظه فيها من توازن فى الجمل واختيار فى اللفظ مستعذبين

يقول العامة : (١)

« الآخذ امرأتين مثل الزارع فى بلدين »

(١) حافظنا بقدر الامكان على الصيغ الاصلية لهذه الامثال من حيث اللفظ والاعراب

« كثرة الترحيب تأتى بالضيف الخم » والخم فى اللغة المنتن

« لا تركض وراء الذلال تعلمه المراجل » (إذا احرجت الجبان اخرجته)

« من عرف راس ماله باع واشترى »

« لاتدخل بيت ظنان ولا تا كل زاد منان »

« من شاف (رأى) مصيبة الناس هانت عليه مصيبته »

« الذى مايعرف الصقر يشويه » أى من لا يعرف الصقر ولا يقدر قيمته يحسبه كباقى الطير

« الذى يسكر لا يعد قداح» أى من أراد أن يجهل يجب أن يذهب فى الجهل الى غايته !!

« حمل جائر ولا حمل مائل »

« لا تجلس فى مجلس تقوم منه » يريدون أن المرء يجب ان يتخير من المجالس - إذا أم نادى قوم - مجلساً يتناسب ومنزلته حتى لا يجيء من هو اولى به منه فينحى عنه

« ان شفتها سخرة اعملها معونة » يعنون انك إذا أجبرت على عمل من الاعمال فأظهر انك تعمله مختاراً لا مجبراً . ذلك يكون احفظ للكرامة

« فى الوجه مرآه وفى القفا مذراه » يريدون ان المرائى كالمرآة مقبلا عليك ، يواجهك بما تهوى وتحب ، فاذا ادبرت اعمل فى عرضك انيابا حداداً من النقد

« كلام الليل مدهون بزبدة ان طلع عليه النهار ذاب »

« الطريق ولو دارت ، وبنت العم (وبعض يقول بنت الاسد) ولو بارت (كسدت) »

« الميت ان مات طالت رجليه » يعنون أن المرء اذ يموت لايذكره الناس الا بحسناته

« لاينفع البر يوم الغارة » أى لايجدى الاستعداد للشيء وقت الاقبال عليه فقط . انما يجب أن يكون على مراحل سابقة

« عجوز فى عجرمة تبكى على عباد » وهو مثل يضربونه للتناهى فى الرياء . وعباد وعجرمة قبيلتان بدويتان من قبائل شرقى الاردن . ومثله قولهم : « العرس فى الكرك وأهل مؤتة يرقصوا» ومؤتة هى البلدة المشهورة فى الفتوح الاسلامية الاولى ، وهى على بعد خمسة كيلو مترات من الكرك

« البرد على قدر الغطا » يريدون أن المرء يزداد قابلية للاحساس بالشيء المؤلم كلما أكثر من توقيه . وهى ملاحظة فى الغاية من الصدق

« صانع الاصنام قليل العبادة » اذ كيف يستطيع المرء أن يحترم صانعه وموجده ؟!

« من كبر حجره ما ضرب » يريدون أن المرء إذا بالغ فى مظاهر العداء فهو عاجز فلا تخفه ونقف عند هذا الحد ، ووددنا لو أن مجال التمثيل يتسع لا كثر من هذا

اديب عباسي

ما وراء الحياة

في نظر المتقدمين والمتأخرين

« . . ما من امرىء الا ويخطر بباله هذا السؤال : ما وراء هذه الحياة وما وراء ظلمة القبر ؟ بل ان هذا السؤال اهم ما يشغل بال الانسان في هذا العالم . . ومع أن الاديان المنزلة تؤكد له أن وراءهما الخلود فهو يظل متمسكا بحياته على هذه الارض . اما لانه لا يؤمن بهذا الخلود ، او لانه يخشى الا يكون حظه من الخلود نعيم الفردوس . . . »

ليس ما هو أروع فى نظر الانسان من الموت وما هو أدعى الى الرهبة من تلك الوقفة الأخيرة التى يقفها كل مخلوق حى على عتبة الأبدية وهو لا يدرى ما وراء ظلمتها الصامتة . وقد عرف الانسان الموت منذ خرج من الطور البهيمى فادرك أنه غاية كل حى ونهاية كل كائن ذى روح . وفى الواقع أن الموت هو الشر الذى لابد منه بل هو خاصة كل كائن ذى حياة ، وهو فى نظر الذين يؤمنون بالخلود يتم بانفصال الروح عن الجسد . وفى نظر غير المؤمنين يتم بوقوف أعضاء الجسم الحيوية عن القيام بوظائفها كما تقف أجزاء الساعة عن الحركة . وغريب من هؤلاء الماديين أن ينكروا وجود الروح ولا يؤمنوا إلا بخلود المادة ، وهم لا يستطيعون أن يبينوا ما هى القوة المجهولة التى وجدت المادة بأمرها ولماذا قضت بخلود المادة دون العقل أو الروح ؟ فانه اذا صدقت نظريتهم فسيجيء يوم تنقرض فيه الحياة وكل كائن حى ولا يبقى فى الكون إلا المادة تسبح فى الفضاء الى أبد الآبدين لا تراها عين ولا يحس بوجودها أى مخلوق

واذا سلم العقل بامكان فناء الحياة فناء تاماً فانه لا يسلم بفناء المادة أيضاً لأن العلم والاختبار قد أثبتا عدم قبولها للفناء ، ولأن العقل لا يستطيع ان يتصور الكون فراغاً مجرداً من كل شيء ، من الروح ومن المادة معاً

واذا قلنا بوجود الروح لم يكن لنا بد من القول بعدم فناء الروح ، لأنه اذا كانت المادة غير قابلة للفناء فالروح أولى بالخلود

قلنا إن الموت هو من خواص كل كائن حي . وفى الواقع أنه لا موت الا حيث توجد الحياة . أما حيث توجد المادة العمياء فقط فلا معنى للموت لان المادة ميتة بطبيعتها . والارجح أن الانسان هو المخلوق الوحيد الذى يعلم أن آخرة كل مخلوق حى هى الموت . بل الارجح أيضاً أنه لم يكن يدرك هذه الحقيقة فى أدوار نشوئه الاولى يوم كان حلقة بين الحيوان والانسان المفكر

وبعبارة أخرى أن الحيوان ـ حتى أرقى أنواعه ـ يجهل على الأرجح أن مصيره الى الموت

ويجهل ما هو الموت . واذا رأى أحد أفراد نوعه ميتاً لم يدرك أنه ميت ولم يعلم سبب وجوده على تلك الحالة . أما الانسان فقد هداه عقله الى حقيقة الموت والحياة والى أن ذاك من مستلزمات هذه . وقد اثبت له العقل أيضاً أن المادة خالدة لا تقبل الفناء ، وان تكن قابلة للتحول ، وأن الروح اذا وجدت فهى انما تخلد مجردة من المادة لا لابسة ثوبها الهيولى

على أن هنالك فريقاً من العلماء يقولون ان اكثر الحيوانات تعلم أن آخرتها الموت ، وان الغنم مثلا تدرك أن مصيرها الى الذبح . على أن هذا الزعم لا يمكن تأييده بدليل على صحيح . وسواء ثبت أم لم يثبت فان الموت هو أفجع ما يقع لاى كائن حى

ويقول العلماء أيضاً ان الأصل فى الحياة الخلود ، وان الموت إنما هو طارىء . وبيان ذلك أن جراثيم الحياة الاولى ـ وقد كانت ذات خلايا مفردة ـ كانت ولاتزال تتوالد بالانقسام فكل جرثومة منها تنقسم شطرين وكل شطر ينقسم بدوره شطرين آخرين وهكذا الى مالانهاية له . ومعنى ذلك أن الجرثومة الاولى كانت خالدة ولم يدركها الفناء . فلما تطورت الحياة وارتقعت أنواعها وأصبحت الجرثومة ذات الخلية المفردة جراثيم ذات خلايا مركبة صارت معرضة للفناء ، وأصبحت دورة الحياة ـ أى متوسط العمر ـ مقياساً يختلف باختلاف اعتبارات كثيرة . وما هى إلا بضعة ملايين من الحقب حتى تنوعت المخلوقات الحية وصار كل نوع منها مستقلا بذاته يختلف عن غيره كانه خلق قائماً بنفسه . واذا نظرت اليوم إلى تلك الانواع رأيت متوسط أعمارها يختلف اختلافاً عظيماً من بضع دقائق الى عدة عقود من السنين . فبعض الطيور تعمر سبعين وثمانين عاماً ، وبعض الحيوانات ـ كالحيتان والسلاحف ـ قد تجاوز المائة من الاعوام . والانسان يعمر عدة عقود من السنين وقد يجاوز مائة عام . وليس صحيحاً مايقال من أن بين حجم الجسم الحى ومدى العمر نسبة . فالانسان والببغاء قد يجاوزان المائة من الاعوام مع ان الاختلاف بين جسميهما عظيم جداً

المتوحشون والموت

وقد كان الموت سبب حيرة الانسان منذ أقدم الازمنة فلم يكن فى أدوار تطوره الاولى يدرك سببه . ولكنه بمرور الزمن صار يعتقد أن وراء هذا العالم المنظور قوة غير منظورة وأن هذه القوة مسيطرة على كل ما فى الكون تحيي وتميت كما تشاء . ثم تطور اعتقاده فصار يعتبر الموت قصاصاً توجبه تلك القوة على كل كائن حى . ولا يزال هذا الاعتقاد شائعاً بين المؤمنين بوجود الله

أما الشعوب المتوحشة فقد كانت تنسب الموت دائماً الى فعل السحر . فاذا توفى أحد افرادها لغير سبب ظاهر عزت وفاته الى سحر أحد أعدائه من قبيلته او من أية قبيلة معادية .

وإذا كان الميت رئيس قبيلة أو زعيماً معروفاً فقد يؤدى موته الى شن الغـارة على قبيلة من القبائل المجاورة التى يعينها ساحر القرية والتى يلقى عليها تبعة وفاة الرئيس . وفى افريقا شعوب تنسب وفاة كل انسان (وان كان سببها ظاهراً) الى سحر عدوه فتبحث عن هذا العدو وتنتقم منه بعد استئذان زعيم القبيلة . وبناء عليه لا يموت فرد إلا وله غريم يموت ازاءه ، وليس لزعيم القبيلة أن يحول دون وفاة هذا الغريم . وكانت شعوب اوستراليا المتوحشة تعزو وفاة المرء الى سحر الساحر أو شعوذته . ولا يزال فلاحو أوربا ينسبون الموت الى الشيطان

المتمدنون والموت

ولما ظهرت الاديان المنزلة التى يؤمن أتباعها بالخلود أصبح الموت بمنزلة عقاب ينزله الخالق بالانسان . وفى قصة الخلق فرض الموت على الانسان عقاباً له على عصيانه الخالق ، وفى اكثر الاديان الحاضرة تعزى الحياة الى الخالق والموت الى الشيطان أو الى ملاك الموت ، وفى الاديان المختلفة ملائكة مهمتها قبض الارواح ، وأقدمها اوسيروس ختنامنتو إله العالم السفلى أو الموت عند المصريين القدماء . والارجح ان اوسيروس كان إله الموت عند الحثيين القدماء اوعند غيرهم من الساميين الذين غزوا مصر . وكان لليونان والرومان والفرس وغيرهم من الامم البائدة آلهة خاصة بالموت . وكان للهنود القدماء عدة آلهة كهذه أشهرها « ياما » . أما الشيطان فقد كان إلهاً للموت عند قدماء العبرانيين ، وكثيراً ما كانوا يسمونه « ملاك الهاوية » ولاتزال طائفة اليزيدية تعبده وتعتبره إله الموت ، بل ان بعض بسطاء المسيحيين يعتبرونه كذلك

ولقد تغير الموت فى نظر المتمدنين فصاروا يعتبرونه نهاية ضرورية لكل جسم حى لاعلاقة له بسلوك الانسان فى هذا العالم . وبعبارة أخرى أن الموت الذى كان فى نظر اتباع الاديان المختلفة عقاباً للانسان على الشرور التى يرتكبها فى هذا العالم أصبح الآن ظاهرة فسيولوجية يختتم بها كل جسم حى حياته على هذه الارض . وإذا كان العلم يجهل حتى الآن من اين جاءت الحياة فهو يجهل أيضاً الى اين تصير . وكل مانعلمه هو انه إذا لم يطرأ على الانسان أى طارىء مفاجىء فانه يمر بأدوار متتابعة من العمر تنتهى الى الشيخوخة فالموت . والموت فى هذه الحالة يكون طبيعياً لا طارئا . فاذا اصيبت اعضاء الجسم الحيوية بما يعطل وظائفها ويمنعها من القيام بتلك الوظائف وقع الموت وفى هذه الحالة تعتبر طارئا لا طبيعيا

ما وراء القبر ؟

وما من امرىء إلا ويخطر بباله هذا السؤال ، وهو : ما وراء هذه الحياة وما وراء ظلمة القبر ؟ بل إن هذا السؤال أهم ما يشغل بال الانسان فى هذا العالم . ذلك لان الحياة ـ مع ما قد

يصحبها من هموم وأحزان ونكبات - هى عزيزة فى نظر صاحبها يخشى ضياعها لانه يخشى ما وراء القبر . ومع أن الاديان المنزلة تؤكد له أن وراءها الخلود فهو يظل متمسكا بحياته على هذه الأرض - إما لانه لا يؤمن بذلك الخلود . أو لانه يخشى أن لا يكون حظه من الخلود نعيم الفردوس ، أضف إلى ذلك أن فكرة الموت فى حد ذاتها تخيف الانسان لانها مصحوبة دائما بفكرة الآلام التى يضطر الانسان إلى معاناتها عند الاحتضار أى قبيل مغادرة النفس للجسد

وانه لمن أشد دواعى الأسف أن يكون الانسان عاجزاً حتى الآن عن إثبات نظرية الخلود التى تؤكدها جميع الاديان المنزلة بل غير المنزلة ايضا . وفى الواقع أننا إذا رجعنا الى ديانة المصريين القدماء نجد فيها عقيدة الخلود جلية واضحة ، وأى دليل أصدق على شيوع تلك العقيدة عند القوم من انهم كانوا يدفنون مع الميت ثيابه والطعام الذى يحتاج اليه فى أثناء تجواله فى العالم السفلى ؟ اما اليونان والرومان فلئن تكن عقيدة الخلود غير واضحة من ثنايا اساطيرهم إلا أن الكثيرين من حكمائهم وفلاسفتهم كانوا يؤمنون بخلود الروح وقد عانوا أشد صنوف الاضطهاد بسبب اعتقادهم هذا ، وفى مقدمتهم سقراط فيلسوف اليونان الكبير فقد كان يؤمن بالخلود ويقول انه « مامن شر يمكن ان يحل بالرجل الصالح لا فى الحياة ولا بعد الموت » ، وقد قال عن نفسه ان جسده وحده هو الذى سيدفن وأما روحه فستمضى إلى النعيم الدائم ، وكذلك قال تلميذه افلاطون بالخلود وإن كانت اقواله بهذا الصدد تبدو احيانا متناقضة وغير مرتبطة بعضها ببعض ، ولما جاء ارسطوطاليس جاهر بعقيدة الخلود على وجه جديد فقال ان العقل خالد وأما شخصية صاحبه فغير خالدة ، وادعى كريسيبوس ان الحكماء وحدهم هم الذين يخلدون بعد الموت. وقال مركوس اوريليوس الامبراطور والفيلسوف الرومانى ان روح الانسان تبقى قليلا بعد الموت الى ان تفنى فى ذات الكون ، وقال القديس أوغسطينوس ان خلود النفس هو نتيجة اتحادها بالحقيقة الازلية ، وهذه النظرية مستمدة بعض الشىء من اقوال افلاطون فيلسوف اليونان

اما الديانة المسيحية فالخلود من اهم تعاليمها ولا يكاد يكون لها قيام بدونه لانها تقول بالثواب والعقاب . والخلود ايضا من تعاليم اليهودية والاسلام الاساسية . وقد ذهب ابن سينا الى ان النفس خالدة ، وقال ابن رشد بخلود العقل الجامع . وذهب البرتوس مجنوس الى ان النفس خالدة دون الجسد وزعم الكثيرون من الفلاسفة ان خلود النفس من المسائل التى يتعذر إثباتها او نقضها ، وقال سبينوزا : « ان عقل الانسان لا يمكن ان يفنى كله بل لابد ان يبقى منه شىء وهذا الشىء يظل الى ابد الآبدين »

وقال ليبنتز ان النفس خالدة لا تفنى اما الجسد فيفنى . وعند فنائه تعود النفس الى حالتها التى كانت عليها قبل استقرارها فى الجسد . وذهب « كانت » الى القول بأن قضية الخلود لا يمكن

إثباتها كما تثبت القضايا المنطقية إلا انها من النواميس الاولية التى يجب ان نسلم بها كما نسلم بالاوليات البديهية . وقال الفيلسوف آدم فرجسون ان امل الانسان الغريزى بالخلود هو فى حد ذاته دليل قاطع على حقيقة الخلود . وقد سلم الفيلسوف « فيسك » أيضا بهذه الحجة

اما الفيلسوف هيجل فقد أنكر الخلود كما انكره رسل وغيره من الماديين والطبيعيين . وفى الواقع ان الفلسفة المادية تقول إنه لما كانت الحياة تقوم بالمادة ولا مظهر لها إلا بالمادة فلا يمكن إثبات وجودها منفصلة عن المادة . وكذلك العقل فان قوامه الدماغ ولا وجود له بدونه . على أن هؤلاء الفلاسفة يتغاضون عن هذه الحقيقة وهى ان الانسان يستطيع ان يفرق بين ذاته وجسده وان يدرك ان له وجدانا وانه يستطيع ان يتحكم فى جسمه ، وهذا التحكم هو صادر من الذات أو النفس وأن النفس وهى غير مادية هى المسيطرة على الجسم وأن الجسم تفنيه العوامل المادية واما النفس فما هى العوامل التى تستطيع أن تفنيها ؟

ولعل أحسن رد على فلسفة الماديين الذين يقولون ان العقل هو وليد الدماغ فاذا فنى الدماغ فنى العقل ، هو ما قاله الفيلسوف جيمس من كبار علماء البسيكولوجيا . وفحوى قوله أن العقل ليس وليد الدماغ ولكن الدماغ هو وسيلة لظهور العقل كما هو أيضاً ناقل للفكر . فاذا مات الناقل فان موته أو فناءه لا يعنى فناء المنقول لأن كلا من الاثنين منفصل عن الآخر

حفر الاموات

وليس هذا مجال الكلام عن الخلود من الوجه الدينى فجميع الاديان المنزلة تقول بعقيدة الخلود وتعتبر هذه العقيدة من جوهر الدين . وقد نظر المؤمنون إلى الموت باعتباره الموصل بين الحياة الدنيا والآخرة واعتبره المسيحيون الباب الذى يدخل منه المرء الحياة الدائمة

والأموات فى جميع أدوار التاريخ محل عناية خاصة من الأحياء . وقد كان الانسان حتى فى أوائل مراحل نشوئه ينظر إلى موتاه نظرة عطف واحترام . يدلنا على ذلك أنه فى العصر الحجرى لم يكن يعنى بتشييد بيت دائم له ولكنه كان يعنى بايداع موتاه فى مقر ثابت . فكان يدفنهم فى كهوف ينقرها لهم أو فى حفر خاصة . وفى أوربا آثار ترجع إلى عهد الانسان النياندرتالى . وبينها بقايا جثث مدفونة بأقصى ما كان يتسنى للقوم يومئذ من العناية ، فهى محاطة بحجارة تحول دون عبث العابثين . وقد مارس بعض تلك الشعوب عادة حرق موتاهم ليتسنى لهم الاحتفاظ ببقاياهم . وكان الناس فى العصر الحجرى يدفنون الميت على وضع مخصوص فكانوا يحنون ركبتيه ويجعلون ذراعيه تحت رأسه كأنه نائم . وكانت هذه العادة شائعة بين جميع الشعوب التى سكنت اوربا فى ذلك العصر وهى دليل على ان القوم كانوا يعتبرون الموت كالنوم . ولا يبعد انهم كانوا يعتقدون ولو عرضا أن الميت ينام قليلا ثم يستيقظ . وهذا

منشأ دفن بعض الاطعمة والاسلحة معه . أما فى افريقا فان كثيرا من شعوبها يوثق يدى الميت ورجليه لكى لا يستيقظ ويهرب فينتقم من الاحياء . أوليس فى ذلك بعض الدليل على عقيدة الخلود بعد الموت وإن لم تكن واضحة كل الوضوح ؟

وقد عثر علماء الآثار فى بعض انحاء فرنسا واسبانيا على جماجم بشرية ترجع الى العصر الحجرى الجديد . ويؤخذ من فحصها ان الناس فى ذلك العصر كانوا يستعملون الجماجم للشرب فى بعض الحالات اى فى الجنائز ، وكثيراً ما كان القوم يفصلون الرأس عن الجسد فيدفنون هذا ويحتفظون بذاك ليتمكنوا من نقله حيث ساروا . وقد ظلت هذه العادة شائعة بين الكثير من القبائل الافريقية الى ما بعد العصر الحجرى بكثير

واذا نظرنا إلى اساليب الدفن عند الاقدمين والمتأخرين نجدها مختلفة ، واشهرها الخمسة الآتية وهى :

(١) الدفن ـ أى دفن الجثة كلها أو دفن جزء منها
(٢) الاحراق ـ ولا يزال شائعاً حتى الآن
(٣) الحفظ بطرق التحنيط أو بالتدخين
(٤) التعريض للعوامل الجوية
(٥) الدفن فى الماء

وهنالك طرق أخرى نضرب عنها صفحاً لقلة شيوعها

فاما الدفن فهو اقدم تلك الأساليب واكثرها شيوعاً . وقد اتخذ الانسان المقابر من أقدم العصور ، وهذه المقابر تقام عادة على مقربة من القرية أو المدينة . وكان الأقدمون ـ كالمتأخرين ـ يعنون بتشييد منازل الأموات ويبالغون فى تزيينها وزخرفتها ـ كل حسب طاقته وغناه . وكما تستطيع أن تعرف قصور الاغنياء بسهولة تستطيع أن تعرف أيضاً قبورهم . ومع أن الموت يساوى بين الوضيع والعظيم ـ فان كليهما من التراب يجىء والى التراب يعود ـ فقد جرى الناس على التفرقة بين الموتى أيضاً . فدفنوا كلا بحسب جاهه وثروته . وهذا لعمر الحق شر أنواع التفرقة . بل إنك لتجد هذه التفرقة فى قبور أقدم الشعوب البشرية ـ يوم لم يكن القبر سوى كومة من الحجارة . فكان قبر الزعيم أو رئيس القبيلة مجموعة كبيرة من تلك الحجارة . وقبر الرجل الاعتيادى كومة صغيرة . وبتقدم فن العمارة صار الناس يتفننون فى تشييد البيوت والقصور . وفى جميعها دلالة على عقيدة الخلود حتى عند الشعوب المتوحشة التى لا تجاهر بتلك العقيدة

أما الاسلوب الثانى من أساليب الدفن فهو الاحراق . وهذه العادة شائعة شيوعاً تاماً بين الأقدمين والمتأخرين وما يزال الهنود يستعملونها حتى هذا اليوم . بل ان الكثيرين من زعماء

الغرب وقادة الرأى فيه يفضلون هذا الاسلوب على غيره من أساليب الدفن لانه اكثر انطباقاً على شروط الصحة، ولاعتبارات أخرى ليس هذا مجال البحث فيها

أما الشعوب التى تمارس هذه العادة فتحتفظ برماد الجثة فى وعاء خاص يعطى لأهل الميت إذا أرادوا ذلك أو يدفن فى مكان خاص

وكان المصريون وبعض الشعوب الشرقية الاخرى يمارسون عادة التحنيط، ومن اغرب ما يروى بهذا الصدد ان بعض القبائل العريقة فى الهمجية — كقبائل مضيق توريز (The Torres Straits) — كانوا يمارسون التحنيط وانما كانوا يقصرونه على زعمائهم وكهنتهم وقد تعددت المواد التى استعملها الناس فى التحنيط فاستعمل بعضهم العسل والخل والنشارة، واستعمل غيرهم الكثيراء والصبر والكحول، واستعمل آخرون مواد اخرى غير هذه. وكثيرا ما كانوا يدخنون الجثة او يعصرونها ليخرجوا منها كل اثر للرطوبة فيتم تحنيطها

ولا حاجة بنا الى الاشارة إلى ما بلغه فن التحنيط عند قدماء المصريين حتى لقد كان سراً من أسرارهم. ولا شك أن التحنيط عندهم كان دليلا على رسوخ عقيـــدة الخلود فيهم وعلى اعتقادهم أن الموت ليس نهاية الحياة

أما الاسلوب الرابع من أساليب الدفن ونعنى به تعريض الجثة للعوامل الجوية فما يزال شائعاً حتى الآن بين شعوب همجية كثيرة. فهم يعرضون الجثة على قمة جبل أو فى أعلى شجرة أو فى غابة. ومتى فسدت وتعفنت عمد أهل الميت الى العظام فجمعوها ليحتفظوا بها. وكثيراً ما يترددون اليها فى أثناء تعفنها فيحتكون بها على امل ان تنتقل اليهم الخصال الحسنة التى كان صاحبها يمتاز بها فى حياته

بقى هنالك الاسلوب الخامس وهو الدفن فى الماء. واكثر الذين مارسوا هذا الاسلوب القبائل الرحل المقيمة على مقربة من شواطىء الانهر وسواحل البحار. وما تزال هذه العادة شائعة عند المتمدنين إلى هذا اليوم ولا سيما عند أهل سلك البحار وقادة السفن والاساطيل. وعند القاء الجثة الى البحر تؤخذ الاحتياطات اللازمة حتى لا تطفو الجثة على الشاطىء

جهل السعادة

اولى السعـــادة إنا لانضيق بكم
ذرعاً فما بالكم ضقتم بيلوانا
لا يبلغ الجهل منكم فى سعادتكم
أن تحسبوا كل من فى الارض جذلانا

عباس محمود العقاد

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

هل يزول النوع الانسانى ؟

[خلاصة مقالة عن مجلة سابانى نيوز .
بقلم السيدة مارجورى فان دى واتر]

كثيراً ما يخطر ببال المرء هذا السؤال وهو : «هل يأتى على لندن ونيويورك وغيرهما من عواصم العالم يوم يصبحن أثراً بعد عين ؟ وهل تنهار الصروح الشاهقة وتتهدم ناطحات السحاب ويزول كل أثر للانسان على هذه الارض ؟ »

قد تتمثل للمرء هذه الصورة القاتمة اذا ماقرأ الاحصاءات المختلفة الدالة على ما هو واقع اليوم للجنس البشرى مما لايكاد يصدقه العقل . ولا شك أنه اذا صدقت تلك الاحصاءات الدالة على تناقص نسبة المواليد وازدياد نسبة الوفيات كان مصير النوع الانسانى الى الفناء . وهذا رأى فريق كبير من العلماء فى مقدمتهم الدكتور تشارلس الكاتب الاجتماعى البريطانى المشهور

ومما يجدر بالذكر أن بعض علماء الاجتماع يرون غير ذلك ويقولون ان البشر يزدادون بسرعة هائلة وستغص بهم الارض بحيث يضطرون الى التناحر والتفانى ليتسع المجال لمن يبقى منهم . وعليه فالحروب بركة للبشر لانها تخفف وطأة الازدحام

على أن العاقل المفكر لايسلم بهذه الفكرة ولا يرى للحروب مسوغاً . ومن رأى الدكتور تشارلس المذكور أن اطراد الزيادة فى المواليد — حتى فى الشعب اليابانى الكثير التناسل — أنما هو ظاهرة خادعة . نعم إن نسبة المواليد فى بعض البلاد كاليابان مثلا هى أكبر من نسبة الوفيات ولكن العبرة ليست بهذه الزيادة ، بل بزيادة متوسط العمر . فاذا كان هذا المتوسط فى تناقص فزيادة نسبة المواليد غير مجدية نفعاً

فى بدء عهد أمة من الامم تكون نسبة المواليد عادة عالية بسبب نشاط تلك الأمة فى شبابها . وما هى إلا بضع حقب حتى تأخذ تلك النسبة فى التناقص بسبب تقدم النساء فى السن . فاذا أريد الاحتفاظ بنسبة المواليد وابعاد النقص عنها وجب أن تلد كل الف امرأة مثلا أكثر من الف ابنة . ولا يخفى أن من كل الف ابنة تولد اليوم يموت عدد لايقل عن الربع . ومن الباقيات يتزوج نحو

النصف . ومن هؤلاء، يتناقص عدد المواليد تناقصاً محسوساً نهايته الى الزوال . والمعروف الآن أن هذا التناقص قد بدأ فى أنحاء كثيرة من العالم . ففى انجلترا مثلا قد أصبحت كل الف فتاة لاتلد أكثر من سبعمائة وخمسين فتاة أى أن النقص نحو ٢٠ فى المائة . ولعل الحالة فى اميركا ومعظم بلاد أوربا شبيهة بالحالة فى انجلترا . وهذا التناقص لابد أن يظهر أثره بجلاء أتم كلما طال الزمن

واذا استمرت الحال على هذا المنوال فان سكان انجلترا وويلز مثلا (ويبلغ عددهم الآن نحو خمسة واربعين مليوناً) سيصبحون بعد مائتى سنة نحو سنة ملايين

وما هو واقع فى انجلترا اليوم هو واقع فى غير انجلترا أيضا من بلاد العالم المتمدن، بحيث يلوح للمفكر العاقل أن الحضارة وتناقص نسبة المواليد شيئان متلازمان لايمكن فصل احدهما عن الآخر. ولا شك أنه اذا استمرت نسبة التناقص فى الولايات المتحدة على ماهى عليه الآن فان سكان تلك الولايات سينقصون بعد مائتى سنة من ١٢٣ مليونا الى سبعة عشر مليونا

على أن الانقراض محسوب على أساس هذا التناقص . فاذا زادت نسبة التناقص اسرع الانقراض ، والعكس بالعكس . ويؤخذ من الاحصاءات الحسابية ان كل نقص يعادل نصفاً فى المائة يؤدى الى تناصف عدد السكان فى ثلاثين سنة . وعلى هذا القياس، فان بلاداً كانجلترا وويلز مثلا يبلغ سكانها خمسة واربعين مليوناً يصبح عدد سكانها بعد ثلثمائة سنة خمسة واربعين الفا فقط

ومما يجدر بالذكر أن تناقص نسبة المواليد هو على أظهره فى بلاد الغرب ، أى فى أوربا وأميركا. ترى هل يؤدى هذا التناقص الى انقضاض الامم الشرقية على أمم الغرب ؟

ليس ذلك فى حيز المحتمل ، فان حالة الشعوب الشرقية ، وان تكن أحسن بوجه الاجمال من جهة المواليد من حالة الشعوب الغربية ، إلا انها لاتدعو الى الارتياح التام . فاننا اذا استثنينا الهند واليابان وبضعة بلاد أخرى ، حيث نسبة المواليد ما تزال فى ازدياد ، فان معظم بلدان الشرق وفى مقدمتها الصين تشكو من تناقص نسبة المواليد أو على الاقل من وقوف تلك النسبة . أما اليابان فان النسبة فيها ما تزال فى ازدياد . وقد كان عدد اليابانيين فى سنة ١٩٢٨ اثنين وستين مليونا أى ضعفى ما كان سنة ١٨٧٨ . وكانت الزيادة سنة ١٩٢٨ أربعة وثلاثين ونصفاً فى الالف — وهى ضعفا نسبة الزيادة فى انجلترا وويلز — واذا استمرت هذه النسبة فستبلغ الزيادة فى سنة ١٩٠٧ ثلاثين مليونا . وفى سنة ١٩٦٥ ثمانية واربعين مليونا . على أن هذه الزيادة هى ظاهرة أكثر منها حقيقية . وفى الواقع أن الاحصاءات الدقيقة تدل على أن عقود الزواج قد أخذت تتناقص فى اليابان تناقصاً محسوساً منذ سنة ١٩٠٨ . ونتيجة تناقص كهذا لايمكن أن تخفى على الناقد البصير . ومما لاشك فيه أن اليابان قد بدأت تواجه المشكلة التى تواجهها أوربا وأميركا منذ زمن بعيد . نعم إن الشعب اليابانى لا يزال يزداد زيادة مطردة وستظل هذه الزيادة مستمرة الى زمن . إلا أن الزيادة هى كما قلنا ظاهرة أكثر مما هى حقيقية

أحدث الاديان

[خلاصة مقالة عن مجلة الالوستراسيون . بقلم جورج رعون]

ظهرت الكاودية فى أوائل سنة ١٩٢٠ فى مستعمرة الكوشان شين التابعة لبلاد الهند الصينية فهي اذن أحدث أديان العالم باعتبار الزمن . وان تكن قائمة على مبادىء معروفة منذ أزمنة قديمة . وهي ذات صلة بكثير من الخرافات وضروب الشعوذة . وأشهر أنبيائها القائمين بنشر دعوتها ثلاثة من أهالي البلاد ، وهم : « ترانج » و « تروانج » و « ترنج » . ومع حداثة هذه الديانة فقد بلغ عدد أتباعها أكثر من خمسمائة الف نفس — لا من أهالى الهند الصينية فقط بل من الاوربيين أيضاً . وانتشار هذه الديانة يشغل اليوم بال حكومة الكوشان شين

وفى سنة ١٩٢٠ ادعى أحد موظفى الحكومة بجزيرة « فوكوك » — واسمه فو — نجو — فان — شيو — بان روح الاله « كاو — داى » الكائن الاعظم قد حل عليه وأوحى اليه بمبادىء الديانة الجديدة . وتتابع هبوط الوحى على هذا الموظف حتى أواخر سنة ١٩٢٤ . وفى سنة ١٩٢٥ عقد بعض موظفى حكومة سايجون التابعة لمستعمرة الكوشان شين مؤتمرا واطلعوا على أخبار الوحى الذى كان يهبط على « فو — نجو — فان — شيو » المذكور فقرروا انه صحيح وان ذلك الوحى صادر من روح الاله « كاو — داى » ومن كنفوشيوس وغيره من الرسل الذين أنشأوا الاديان المختلفة . وكانوا يعبرون عن روح الاله « كاو — داى » بالحرف الاول من حروف الهجاء مكرراً ثلاث مرات . وفى عيد الميلاد من سنة ١٩٢٥ اعلنوا تنظيم الديانة الجديدة وسموا الاله المذكور « الله »

وكان فى مقدمة الذين دانوا بالديانة الجديدة رجل من كبار موظفى الحكومة هو « لى — فان — تروانج » من أعضاء المجلس الاستعمارى ومن حملة « اللجيون دونور » . وكان المشهور عنه بين أصحابه وأهل وطنه أنه شديد الميل إلى اللهو والترف وإلى المعيشة « العصرية » . الا ان رسل الديانة الجديدة تمكنوا من اقناعه بالانضمام الى ديانتهم لكي يصبح « منقذ البشرية » ومخلص العالم . فانقاد الرجل إلى دعوتهم وهجر العالم ومسراته وانتظم فى سلك الديانة الجديدة زاهداً متقشفاً

وفى سنة ١٩٢٦ أصبح « لى — فان — تروانج » رئيس الشيعة الجديدة بدلا من « فو — نجو — فان — شيو » صاحب الوحى المشار اليه آنفاً (ومختصر اسمه « فو — شيو ») فقام بالنصيب الذى قام به بولس الرسول عند نشره الديانة المسيحية . على أن الرئيس الجديد ليس بالرئيس الأعلى المطلق لان هذا المنصب مايزال شاغراً حتى الآن ، والرئيس الجديد يرفض قبوله لشدة تواضعه . وقد أظهر وما يزال يظهر نشاطاً عظيما والاهالى يدخلون فى الدين الجديد أفواجاً وبينهم كثير من

الاوربيين المقيمين ببلاد الكوشان شين ومنهم ضابط من ضباط الجيش الفرنسي يدعى الكابيتان مون وهو من أشد أتباع الديانة الجديدة حماسة وتفانياً فى سبيل نشرها . وفى سنة ١٩٢٧ جعلت مدينة « لونج تنج » (بمقاطعة تاى نتج) كعبة الديانة الجديدة ومقرها الاقدس . ومن هذه الكعبة يخرج اتباع الديانة ورسلها وكهانها لينشروا الدعوة ويبشروا « بولادة البشرية ولادة جديدة » وبوجوب نشر السلام فى العالم

ترى ما هى ديانة الكاودية وما هو محور دعوتها ؟

الكاودية ديانة تجمع بين البوذية والتآوية والكنفوشية والمسيحية . وهى تقول ان الله أرسل الاديان الاربعة المذكورة طبقاً لحاجات البشر فى الازمنة المختلفة . أما الآن فقد حان الوقت لتوحيد البشر بدعوتهم إلى الديانة الكاودية ، وهذه الديانة تأمر بعبادة الله واحترام الارواح وتوضح واجبات الفرد من نحو الاسرة والبشرية وتقول بوجوب الزهد والتقشف واحتقار المال والتسامح ومحبة الغير ومحبة جميع الحيوانات والنباتات ، وتقول أيضاً بخلود الروح وتقلصها واقامتها بفردوس النعيم ، وتدعو الى نبذ الفوارق الجنسية والخصومات ، وتمنع تقديم الضحايا الحيوانية والنذور

واتباع هذه الديانة درجتان وهما « ثوبج ثوا » أو الطائفة العليا . « وها ـ ثوا » أو الطائفة السفلى . وعلى اتباع كل من الطائفتين اقامة الصلاة أربع مرات فى اليوم : فى الساعة السادسة صباحاً وعند الظهر ، وفى الساعة السادسة مساء ، وعند منتصف الليل ، وعند اجتماع الاتباع فى المعبد لاقامة الشعائر الدينية ينقسم المصلون فريقين فيجلس الرجال إلى يمين المحراب والنساء إلى يساره . وكلا الفريقين بالثياب البيضاء الناصعة

ومعبد الكاودية مقام على قطعة من الارض تبلغ مساحتها مائة وخمسين هيكتاراً ، وقد انفق القوم خمسين الف فرنك على بنائه . ولهذه الديانة مبشرون قد خرجوا حديثاً من معقلهم بمستعمرة الكوشان شين لنشر دعوتهم فى البلدان المجاورة ولا سيما بلاد الكمبودج . وقد أسفرت كرازتهم هنالك عن نجاح كبير . ولا شك انه لولا مقاومة اتباع البوذية فى بلاد الكمبودج لكان نجاحهم أعظم

وقد وصلت تعاليم الكاودية الآن إلى المانيا فانضم اليها بعض اتباع الطائفة المعروفة « بفرسان الوردة السرية » وشيعة الاغنوسطيين الالمان ووصلت الدعوة إلى فرنسا أيضاً فاخذت عدة صحف تدعو اليها وتدافع عنها وفى مقدمتها « لا جريف » و « بروجريه سيفيك » و « ريفاى أوفريه دى ناتسى » و « فراتريتست » وغير هذه الصحف

على أن الكاودية تؤمن بالسحر وتقول بممارسة الشعوذة ومخاطبة الارواح ، مع أن القانون فى تلك البلاد يحرم السحر والشعوذة وكتابة الرقى والتعاويذ . وهى تدعو أيضاً إلى عبادة السلف التى تدعو اليها الكنفوشية والبوذية وكلتاهما من الاديان التى تقوم الديانة الجديدة على مبادئها

معقل الحرية

[خلاصة مقالة عن مجلة هاربرز
بقلم لودفيج لويزوث]

ان الطبقة الوسطى فى كل أمة هى سلسلتها الفقرية وعمادها العمرانى . والافراد الذين تتكون منهم هذه الطبقة هم أفضل خلقاً وأحسن مبادىء من غيرهم . وكلما نقصت الفوارق بين طبقات الامة الواحدة كان بناء صرحها العمراني أقرب إلى الثبات والرسوخ . ومما يجدر بالذكر أن الشعب الاميركي لا يعرف مبدأ الطبقات فهو لذلك أكثر تمتعاً بالحرية من غيره وأكثر شعوراً بمزاياها الحسنة ، وقد ظهرت صفاته فى زمن الحرب وبعد الحرب بأجلى مظاهرها

أما أوربا فان صرح المدنية فيها متداع الى السقوط ، والفوضى آخذة فى الانتشار ، والاحقاد والضغائن متفشية تفشياً هائلا . ولذلك ترى الناس هنالك ينتقلون من نظريات جنونية إلى أعمال أشد جنونا وكأنهم على شفير هار لا تعوزهم الا حركة صغيرة حتى يهووا فى منحدر لا آخر له

وبازاء ذلك تجد صرح الحضارة فى أميركا ثابتاً راسخاً . ومع أن الضائقة المالية اجتاحتها كما اجتاحت كل ناحية أخرى من أنحاء العالم فقد ثبتت على إعصارها الهائل وخرجت منه سليمة قوية ، ثم إن أخلاق الشعب الاميركي تجعل لحضارته مزايا لا تجدها فى حضارة أى شعب آخر . فهى أقرب الى الفضيلة ومبادىء الانسانية من حضارة الشعوب الاخرى . وبينما الحضارة الاوربية تقوم على القوة والتعصب الى حد بعيد تجد الحضارة الأميركية بعيدة عن ذلك كل البعد . نعم إن فى أوربا قوى هائلة تكافح وتناضل فى سبيل المدنية الفاضلة ، ولكن هذه القوى أضعف من أن تصل إلى غايتها . وعليه ترى أن أنصار القوة هم أصحاب السلطة فى كل مكان فالفاشستيون يضطهدون من لا ينتمى الى حزبهم والشيوعيون يجيعون الافراد ويذيقونهم الشدائد الواناً

ولقد اتفق لكاتب هذه السطور أن قابل فى بعض أنحاء الشرق جماعة من أحرار الاميركيين وجرى له معهم حديث بشأن مشروع الانعاش الاميركى وكيفية معالجة الضائقة المالية فى الولايات المتحدة ، فكان انتقادهم للادارة الأميركية مراً وسخريتهم من مسلكها عظيمة . ومع ذلك لم يكن عندهم شك فى أن بلادهم — مع ما ارتكبته فيها الادارة من الاغلاط الكثيرة ومع ما وقعت فيه حكومتها من هفوات — ما تزال مباءة المدنية الفاضلة ومعقل الحرية الحقيقية ، حيث تستطيع الصحف أن تحمل على كل سياسة مخطئة تجرى عليها الحكومة . وحيث يستطيع كل فرد أن ينتقد من حكومته ما يحسبه خطأ . وحيث يتسنى للافراد أن يجتمعوا ويخطبوا ويراقبوا سير النظم الديمقراطية مراقبة دقيقة . ولما عاد كاتب هذه السطور الى اميركا بعد سياحة كبيرة قام بها فى أوربا وفى بعض أنحاء الشرق حضر

اجتماعا سياسيا عقده بعض الاميركيين وحملوا فيه على حكومتهم حملة شعواء ، وكان هذا أول اجتماع من نوعه — بعد الاجتماعات التى حضرها فى أوربا — لم تحضره رجال الشرطة ، والمخبرون السريون ، ليضيقوا الخناق على المجتمعين وليخنقوا فيهم صوت الحرية

إن الخطر الذى يتهدد صرح العمران من ناحية بعض النظم فى أوربا وغيرها لايتأتى من كون تلك النظم تحاول التحكم فى أساليب الانتاج والتوزيع من الوجه الاقتصادى ، بل من كون تلك النظم تنشىء أسوأ الاثر فى نفس الانسان . ومن دواعى الارتياح أن مزية الحضارة الاميركية فى هذا العصر هى كونها تحاول ترميم صرح النظام الاقتصادى باتهاج السبل الوسطى البعيدة عن التطرف والغلو والقريبة من مبادىء الانسانية . وهنا مزية الحضارة الاميركية على غيرها . فهى تستطيع ادخال جميع التغييرات التى تدعو اليها الحاجة الاقتصادية ومع ذلك تحتفظ بجميع وجوه الحرية التى لاتطاق الحياة بدونها ، وهذه فضيلة من فضائل الحضارة التى تشجع الفرد وتجعله يحتفظ بصلابته وقوة عزيمته فى وسط زعازع الحياة



ثعبان البحر

[خلاصة كتاب بهذا العنوان . تأليف ر . ت . جولد من القواد البحريين الانجليز]

يظهر ان الجمهور لن يصدق الحكايات التى تروى عن ثعبان البحر إلا إذا جىء بذلك الثعبان الى حديقة الحيوانات وعرض على الانظار . ذلك لان معظم الناس يشكون فى صدق تلك الروايات ولا يؤمنون الا بما تثبته الحواس . وقد اختتمت الانسكلوبيديا بريتانيكا مقالتها عن ثعبان البحر بما يأتى : « وهنالك بعض الروايات التى تبدو عليها مسحة الصدق ويصعب تعليلها تعليلا منطقياً »

فى سنة ١٧٤٦ كتب القبطان فون فرى الالمانى يقول : « فى أواخر شهر أوغسطوس من هذا العام كنا نمخر البحر على مقربة من « مولديه » فسمعت بين البحارة لغطا كبيراً وعلمت أنهم كانوا قد لمحوا على مقربة من السفينة ثعباناً بحرياً . وبعد قليل مر هـذا الثعبان امامنا فصوبت بندقيتى نحوه وأطلقت عليه رصاصة فاذا به قد غاص تحت الماء وقد صبغ الماء بدمه . وكان رأس الثعبان كرأس حصان إلا أنه أكبر منه . وله عرف كعرف الفرس . وجسمه طويل وبه تلافيف بين كل واحدة منها وما يليها بضع أقدام

وكان الاب هانس ايجيد القس النروجي قد كتب قبل ذلك بست سنوات يقول : انه بينما كان مسافرا بباخرة نروجية الى جزيرة جرينلند لمح على كثب من السفينة ظهر حيوان غاطس قليلا

تحت الماء وجلده كثير التجعد وشكله كثير الشبه بشكل الحية وطوله لا يقل عن طول السفينة . والمعروف عن هذا القس أنه كان من كبار العلماء المعروفين بالصدق والنزاهة فشهادته جديرة بالاحترام

وفى سنة ١٧٥٣ نشر اسقف برجن مؤلفه الشهير « التاريخ الطبيعى لبلاد النرويج » وفيه فصل خاص بثعبان البحر جاء فيه أن الكثيرين لمحوا هذا الحيوان على كثب من سواحل النرويج . وفى الكتاب أيضاً فصل يحتوى على رواية القبطان فونفرى المشار اليها آنفاً

وفى ١٨ اغسطوس سنة ١٨١٧ عينت « الجمعية اللينية » بمدينة بوسطن (وهى من أشهر الجمعيات العلمية فى العالم) لجنة لجمع الادلة المثبتة لما شاع يومئذ من ظهور ثعبان البحر فى خليج جلوستر . فقامت اللجنة بما عهد به اليها وسمعت شهادات الكثيرين ممن لا يتطرق الشك الى أقوالهم وقد شهد جميعهم بأنهم أبصروا ثعبان الماء غير مرة وأنه كان يظل أحياناً فوق سطح الماء نحو ساعتين ويدنو منهم حتى يصبح على قيد بضع أقدام . وكانوا يرونه أحياناً ثابتاً لا يتحرك وأحياناً يسير متقوسا جسمه فوق الماء ، وهو يشبه ثعبانا هائل الحجم أسود اللون يبلغ محيط جسمه (ثخنه) نحو ثلاث أقدام . واختلفوا فى تقدير طوله ، فقال بعضهم إنه يبلغ نحو سبعين قدما ، وقال آخرون انه نحو مائة وعشرين قدما . وشكل الرأس شديد الشبه بشكل رأس الحية الاعتيادية

ولعل أشهر ما كتبه الكتاب عن ثعبان البحر هو تقرير الكابتن بيتر ما كوهى قائد البارجة ديدالوس الانجليزية سنة ١٨٤٨ وقد جاء فيه ما يأتى : « علمنا أن المخلوق الغريب الذى شاهدناه كان ثعبانا هائل الحجم قد رفع رأسه نحو أربع أقدام فوق سطح الماء . وتبلغ ثخانة جسمه (محيطه) نحو ست عشرة بوصة ، ولونه أسمر قاتم وبين عينيه خط أبيض وهو شديد الشبه بأفعى ، وكان يسير فى الماء بسرعة نحو اثنى عشر ميلا فى الساعة على بعد نحو مائة يارد من بارجتنا . وقد شهد جميع الجنود البحارة الذين رأوه (وكان بعضهم قد قضى نحو أربعين سنة على البحار) بأنهم لم يروا مخلوقا أغرب منه

ولقد لغط الناس يومئذ كثيراً بهذا الموضوع بالنظر الى مقام واضع التقرير وحسن سمعة الذين وقعوه وشهدوا بصحة ما جاء فيه . وقد خصصت مجلة « الاسترايتد لندن نيوز » منذ ذلك العام أعمدتها لنشر كل رواية جديرة بالتصديق عن ثعبان البحر . ومنها رواية نشرتها سنة ١٨٧٢ وكان لها وقع عظيم فى مجالس العلماء ، وخلاصتها أن جماعة من المشهود لهم بالعلم وبصدق الرواية أبصروا ثعبان البحر على كثب من سواحل سكوتلندا

وفى سنة ١٩١٧ أغرق الالمان طراداً انجليزيا يدعى « هيلارى » وقبل اغراقه ببضعة أيام كتب قائده الكابتن دين انه أبصر هو وبحارة بارجته ثعبان الماء فى بحار سكوتلندا . وقد قال

ما خلاصته : « فى صباح ذات يوم سمعت بين الجنود البحارة لغطا فخرجت لأرى ما الخبر فقالوا لى انهم أبصروا عن كثب شبحا متحركا لا يمكن أن يكون منظار غواصة والارجح أنه جسم حى . وفى الواقع أننى أبصرت ذلك الشبح المتحرك فاذا هو أشبه بجذع شجرة طويلة ملقاة فى الماء كثيرة العقد والتجاعيد . ومر على مقربة ثلاثين ياردا منا فقدرنا طول عنقه بنحو عشرين قدما وطول جسمه بنحو ستين قدما . وأمرت الجنود باطلاق النار عليه على سبيل التمرين فاخطأته الرصاصة الاولى وأصابته الثانية اصابة محكمة فاخذ يتلوى ويضرب الماء ضربا شديداً يدل على شدة هياجه . وما هى الابضع ثوان حتى توارى عن الانظار . واضطرب بعض البحارة من جراء هذا الحادث اضطرابا شديداً وتشاءموا » وفى الواقع أنه لم ينقض على هذا الحادث يومان حتى نسف الالمان البارجة هيلارى

هذا قليل من كثير من شهادات أناس مشهود لهم بصدق الرواية وكلهم يؤيدون وجود ثعبان البحر . أما الذين ينكرون وجوده فيعللون تلك الشهادات بقولهم انها من قبيل انخداع البصر . وهم يقولون ان البحث لم يثبت حتى الآن وجود هذا المخلوق الغريب اثباتا قاطعا ولا أبصر أحد حتى الآن جثته

فاما الانخداع فقد يمكن التسليم به لو كان المنخدع فرداً . أما والمنخدعون كثيرون (وقد كانوا فى كل مرة يرون ذلك المخلوق معاً لا كل واحد بمفرده) فنظرية الانخداع ليست تعليلا مقنعا ، فضلا عن أن للانخداع البصرى عادة مقدمات كأن تتوقع حدوث شئ أو رؤية شيء فكل صوت تسمعه أو شبح تراه يجعلك تعتقد أنه الشيء الذى تتوقعه . وحكاية ثعبان البحر لا تنطبق على هذه الحالة فان الذين أبصروه لم يكونوا فى حالة توقع أى انهم لم يكونوا يتوقعون أن يبصروه ، أضف الى ذلك أن جميع الذين شهدوا بأنهم أبصروا ذلك الحيوان كانوا من المنزهين عن كل غرض وممن لا يستطيع أحد ان يطعن فى صدقهم وصحة روايتهم

أما القول بأنه لم ير أحد حتى الآن جسم هذا الحيوان طافيا على وجه الماء عند موته أو مقذوفا على البر ، فبنى على اعتقاد شائع فحواه ان الحيوانات البحرية اذا ماتت وجب أن تطفو على وجه البحر . على أن ذلك الاعتقاد لايقوم على أدلة مقنعة

وعلى كل فسيظل موضوع ثعبان البحر مدار جدل ونقاش عظيمين بين فريق الذين يؤمنون بوجود ذلك الثعبان ، وفريق الذين يحسبون وجوده خرافة لم يثبتها العقل اثباتا قاطعا حتى الآن

روسيا تخضع للطبيعة

[خلاصة مقالة عن مجلة كرانت
هستوري، بقلم وليم تشمبرلن]

ما من امرىء يراقب تطور الثورة الروسية إلا ويخطر بباله هذا السؤال وهو : « إلى أى حد تستطيع النظم الاقتصادية تغيير طبيعة الانسان ؟ وهل استطاع النظام السوفياتى أن يؤثر فى سلوك الروس وفى أخلاقهم ؟ » . والذى يلوح للباحث المدقق ان النظام السوفياتى قد غير أخلاق الروس وسلوكهم من دون ان يغير البواعث التى تنطوى عليها تلك الاخلاق وذلك السلوك

وإذا كان النظام السوفياتى قد أثر فى مسلك الشعب الروسى فان مسلك هذا الشعب قد أثر بدوره فى النظام السوفياتى . مثال ذلك أنه فى بدء الثورة السوفياتية كان من الخطل أن يبدى المرء شيئاً من العصبية الوطنية من نحو روسيا ، لان مبادىء البلشفية كانت تعتبر العالم كله بقعة واحدة لا يجوز تجزئته بالحدود الجغرافية ما دام البشر كلهم أسرة واحدة. أما اليوم فقلما تخلو صحيفة من صحف الروس من الكلام على « الوطن العزيز » و « بلاد الآباء والاجداد » وما الى ذلك من الاوصاف . ولا شك ان انهماك الروس فى المشكلات الدولية قد حملهم على الاهتمام بشؤون روسيا واعتبارها وطنهم القومى . وانك لتجد ساسة الروس اليوم فى جميع معاملاتهم الدولية يدافعون عن « مصلحة روسيا » ويعتبر ذلك الدفاع من أول واجباتهم . وليس ذلك فقط بل تراهم يحاولون التقرب من جميع دول أوربا وأميركا وينشئون معها العلاقات السياسية والتجارية والمالية ، مع أنهم كانوا حتى الامس يطعنون فى تلك الدول وينعتونها بأقبح النعوت لانها دول « رأسمالية » قائمة على مبادىء « الامبريالسم »

وانظر الى نظام التعليم فى روسيا منذ بدء الثورة الروسية حتى أوائل سنة ١٩٣٢ تجد الفوضى ضاربة أطنابها والمدارس يعوزها الكثير من النظام والتعليم فيها على أحط ما يكون . أما الآن فقد عاد اليها النظام وأصبح الاساتذة يشعرون بما لهم من سلطة . وصار التلاميذ يدخلون الامتحانات العامة كما يفعل اخوانهم فى جميع مدارس العالم ، بعد أن كانت الثورة قد أبطلت الامتحانات بحجة أنها عقبة فى استخدام قوى التلاميذ الذين يدخلون المدارس . وأصبح التعليم متجهاً فى السبيل المتجه فيه التعليم فى جميع البلاد المتمدنة

والمعروف عن شبان الروس فى العهد السوفياتى أنهم لا يسعون الى جمع الثروة ولا يتمنون أن يكونوا أغنياء لان ذلك مناقض للمبادىء التى قد قامت عليها ثورتهم . وهذا صحيح بعض الشىء لان الشاب الروسى يتمنى اليوم أن ينال الشهرة فى الفن أو الصناعة أو السياسة ولا تهمه

الشهرة فى الفن . وفى الواقع ان السبل موصدة فى وجوه شبان الروس الذين يريدون جمع الثروة ولكنها مفتوحة فى وجوه الذين يعملون على ترقية الاتحاد السوفياتى وعلى خدمة الدولة . والنظام السوفياتى يستحث الناس على التماس الشهرة من طريق السياسة وسلطة الحكم لامن طريق المال . ومع أن الذين يشغلون مناصب الدولة العليا لا يتناولون الا أجوراً قليلة الا أنهـم يتمتعون بسلطة واسعة وبوسائل الراحة على حساب الدولة فى حركاتهم وسكناتهم ورحلاتهم

وهنالك ميدان يظهر فيه الانقلاب العظيم الذى قد أحدثه مسلك الشعب الروسى فى النظام السوفياتى وهو ميدان المادة . فالاتجاه الجديد فى هذا النظام لا يرمى الآن – كما كان يرمى سابقاً – الى ازالة الفوارق المادية بين الافراد ، بل بالعكس الى زيادة تلك الفوارق والى مكافأة كل عامل حسب عمله . وفى هذا من التنشيط الى العمل مافيه . وقد ألقى ستالين دكتاتور روسيا المطلق خطبة فى أحد الاجتماعات التى عقدها المؤتمر الشيوعى أخيراً أنحى فيها باللائمة على الذين يقولون بوجوب تقرير المساواة المطلقة بين الافراد والطبقات وقال ان تلك المساواة مناقضة للمبادىء الاشتراكية القويمة

وقد كان الشيوعيون فى بدء الثورة يطلبون المساواة فى كل شىء ويرغمون الفلاحين على الاتيان بجميع محصولاتهم وتقديمها الى الاهراء العامة مجاناً ليأخذ منها الافراد حاجاتهم والمطابخ العامة ماتشاء لتقديم الطعام للجمهور . أما اليوم فقد زال هـذا من بروجرام البلشفية وصار كل فلاح يحتفظ بمحصولاته وحيواناته الداجنة . ولا يفكر أحد من أصحاب المعامل فى منح العمال أجوراً متساوية ولا يرضى أحد من هؤلاء العمال بمبدأ المساواة فى الاجور على الاطلاق

وليس ذلك فقط بل ان الحكومة تستعمل جميع وسائل الترغيب والتحضيض لحمل العمال على بذل المجهود فى سبيل الراحة والرفاهة وههنا روح المنافسة الشريفة فى ميدان الاعمال . فان هـذه المنافسة لا تكون الا حيث يكون الامل بالحصول على مكافأة تتعادل والعمل . والحكومة الروسية تحرض المعامل بجميع وسائل الترغيب ، على زيادة انتاجها وتعين المكافآت المختلفة لذلك الانتاج

وهنالك ظاهرة أخرى من ظواهر التغير الذى قد اضطر اليه البلاشفة فقد أرغمهم الاختبار على وجوب التفرقة بين طبقات الشعب المختلفة . وقد كانوا ينادون قبلا بوجوب ازالة جميع الفوارق من بين الطبقات لكى تزول كوامن الاحقاد والضغائن . على أن الشعب الروسى هو من الشعوب الشديدة المحافظة على العادات والتقاليد ، فليس من السهل ازالة الفوارق من بين الطبقات . وعليه فليس من السهل تحقيق حلم الشيوعية بهذا الاعتبار . كما أن القرائن كلها تدل على ان قادة الرأى العام فى روسيا يدركون الآن أنه من المتعذر تحقيق المساواة بين الافراد من كل وجه . وعليه فالمبدأ السوفياتى لا يعنى الآن بجعل الاجور متساوية بين جميع العمال ، بل يعنى بالاكثر بجعل الحكومة هى المشرفة على موارد العمل بحيث تكون بمنزلة مدير شركة والافراد مستخدمين فى تلك الشركة

الحضارة ونبوءات المتشائمين

[خلاصة مقالة عن مجلة اتلانتيك
مونثلى . بقلم الفريد سلوان]

كثيراً مانادى المتشائمون فى عصور التاريخ المختلفة بالويل والثبور وانذروا الناس بان نهاية الحضارة قد قربت وأن خاتمة الانسان أدنى من قاب قوسين . وفى الربع الاخير من القرن الفائت كان بعض الوزراء الاميركيين يطوفون ببعض أنحاء الولايات المتحدة ويلقون الخطب قائلين ان الرخاء الذى شهده العالم فى الخمسين سنة الماضية قد بلغ أقصى حده وان الخمسين سنة المقبلة ستكون سنى شدة عصيبة . ومما كانوا يقولونه إن العالم قد أصيب بشبه تخمة من جراء شيوع الآلات فى كل منحى من مناحى الحياة بحيث أن الانتاج قد زاد على حاجة البشر . وعليه فلن تزاد الاجور ولن يكون فى الوسع استخدام العمال الجدد . بل بالعكس سيضطر أصحاب المعامل إلى نقص الاجور أو إلى الاستغناء عن الالوف من الايدى العاملة

ولو صدق أمثال هؤلاء المتشائمين الذين يكثرون فى كل زمان ومكان ، لظل العالم اليوم على الصورة القاتمة التى اعتادوا أن يصوروه بها ، ولحرم البشر الاختراعات الكثيرة التى يتمتعون بها فى جميع أنحاء العالم ، ولخلت البيوت من مصابيح الكهرباء ومن آلات الاضاءة والتدفئة والتهوية والطبخ والغسيل والاستحمام والتخاطب وغير ذلك من مقتضيات المعيشة

وفى الواقع أن الاختراعات المدهشة التى يوفق اليها العلم من وقت الى آخر قد أثبتت كذب النبوءات التى يجاهر بها المتشائمون والناعقون بالسوء وستظل تثبت كذب تلك النبوءات الى الابد . ولا شك أن كل من يدعى أن رقى الانسان قد بلغ منتهاه أو يحدد لنهاية ذلك الرقى تاريخاً معيناً يخطىء خطأً عظيما . ففى المعرض الاخير الذى أقيم فى مدينة شيكاجو باميركا عرضت معروضات تمثل آخر ما وصل اليه رقى العقل البشرى ، وا كثر من نصف تلك المعروضات أشياء لم تكن معروفة منذ أربعين سنة . وا كثر من نصف الذين عرضوا مصنوعاتهم كانوا يرتزقون من صناعات لم يكن العالم يعرفها قبيل ختام القرن الفائت ، ومنها صناعة الاوتوموبيلات والطيارات وأجهزة السينماتوغراف وبعض المستنبطات الكهربائية وغيرها . فهذه الاشياء التى ابتدعها عقل الانسان فى خلال الاربعين سنة الماضية قد وسعت نطاق العمران وزادت ثروة البشر وحسنت وسائل المعيشة وفتحت أبواب الرزق لعشرات الملايين من الناس . ومع ذلك فان التطور اليوم هو أسرع منه فى كل زمن مضى ، وسيكون أسرع فى المستقبل ، اذ سيظل الانسان سائراً فى طريق الصعود الى ماشاء الله

ان مايتطلع اليه العمال وأصحاب الاموال فى كل عصر وجيل هو ولادة صناعة جديدة تنتج انتاجاً يستهلك فى كثير من شؤون الحياة ــ كصناعة الاوتوموبيلات التى ولدت منذ عهد غير بعيد

ولم يمض عليها زمن طويل حتى عم استهلاكها وصار الاوتوموبيل بجميع أنواعه من ضرورات الحياة له علاقة بكل فرد من أفراد الامة . ثم إن الصناعات التى يتطلع اليها العمال وأصحاب الاموال يجب أن تكون عادة ذات مساس بأعمال الجمهور لا باعمال طائفة معينة فقط

لقد كانت أكثر مصانع العالم تصنع حتى الآن أدوات واجهزة مختلفة مما لاتستغنى عنها البيوت والمكاتب بجميع أنواعها ، وتلك المصانع متجهة اليوم الى غاية اذا تحققت أحدثت انقلاباً عظيماً فى نظام العمران . وهذه الغاية هي صنع أدوات سهلة التداول يمكن أن يركب من مجموعها بيت مستوف جميع شروط الراحة والصحة ، بحيث يمكن تركيب ذلك البيت ووضع الاثاث فيه واعداده للسكن فى مدة لاتجاوز ثلاثة أيام . ويقول الذين يحاولون حل هذه المشكلة إن بيتاً كهذا يجب أن تتوافر فيه جميع شروط المعيشة من رخص ومتانة وسهولة النقل والتركيب . ويجب أن يشتمل أيضاً على وسائل الراحة الحديثة التى تخفف أعباء الشؤون التى تقوم أو تشرف عليها ربة الدار . ومن جملة ماسيشتمل عليه مستحدثات التليفون والراديو والتليفزيون ووسائل كهربائية بسيطة للاتصال بدور الصور المتحركة بحيث يستطيع الانسان مشاهدة تلك الصور بضغط زر كهربائى وهو جالس فى غرفته

ولا ريب أن أسعار هذه المنازل ستختلف باختلاف حجومها وما فيها من وسائل الراحة والعيشة الهنيئة . واذا أريد شيوعها بسرعة فيجب أن تكون أسعارها فى متناول جميع الطبقات ولا سيما الفقيرة منها . كذلك يجب أن يراعى فى صنعها سهولة تفكيك أجزائها واعادة تركيبها

وهنالك أيضا صناعة الاوتوموبيلات فانها ماتزال بعيدة عن درجة الكمال سواء كان فى شكلها أو متانتها أو مقدار ما تستهلكه من الوقود . ولا يخفى أن فى غالون واحد من البنزين قوة تدفع الاوتوموبيل نحو اربعمائة ميل (نحو ٦٤٠ كيلو متراً) لو أمكن الانتفاع بجميع القوة التى فى تلك الكمية من البنزين . ولكن الجانب الاكبر من تلك القوة يذهب اليوم ضياعا . وستظل صناعة الاوتوموبيلات بعيدة عن الكمال الى أن يعالج فيها هذا النقص

وما عسانا أن نقول عن صناعة الطيارات وهى حديثة ولكن لها مستقبلا مجيداً كما يشهد الكثيرون . ولا شك أنه لن تنقضى بعض السنين حتى تطير الطيارات بسرعة يختلف متوسطها من مائتى ميل الى أربعمائة ميل ويكون الطيران فيها أكثر أمنا وسلامة مما هو الآن

اما السكك الحديدية فما تزال بعيدة هى أيضا عن مراحل الكمال من حيث السرعة والراحة والطمأنينة ، وسيسير رقيها وتطورها بخطوات بطيئة ولكنها ثابتة . وكل مرحلة من مراحل تطورها ستكون وسيلة جديدة لاستثمار الاموال المكدسة فى المصارف وعند الاغنياء

ولقد ذكرنا ما ذكرنا على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر . اذ أن رقى الانسان سيشمل كل منحى من مناحى الحياة ، وهذا الرقى ما يزال بعيداً كل البعد عن مراتب الكمال . وفى كل امة حية قوى كامنة تدفع الاجتماع فى سبيل ذلك الرقي

الجندى المجهول

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة كريستيان سنتورى . للقس هارى فوزديك الاميركى]

لقد كانت فكرة انشاء ضريح فخم «للجندى المجهول» من أبلغ ما أوحى الى الانسان بعد الحرب . وهذا الضريح رمز إلى ما انتهت اليه حضارة البشر بعد تطور ورقى استغرقا بضعة آلاف من السنين . وقد وضعوا داخل الضريح رفات جندى لم يعرف قادة الجيوش من هو وانما اتخذوه رمزاً الى الحرب — بل الى الجنود الذين ضحوا بحياتهم فى سبيل تثبيت دعائم السلام

وقد تعتقد أيها القارىء أن ذلك الجندى مجهول بالحقيقة وانه لم يكن أحد يعرفه . ولكن كاتب هذه السطور عرفه معرفة تامة وعاش معه ومع اخوانه وزار الجميع ساحات القتال وخنادق الجيوش ومواطن الحرب . وكان قادة الجيوش قد أرسلوا ذلك الجندى الى صفوف القتال بعد أن اقنعوه بان تلك الحرب انما كانت للقضاء على الحرب ولانقاذ البشرية من شرورها . ولم يرسلوا ذلك الجندى وحده بل أرسلوا معه رجال الدين أيضاً من أمثال كاتب هذه السطور ليقنعوا الجيوش فى ميادين القتال بنبالة قصدهم وسمو الغرض الذى يرمون اليه ، وليفهموا الجنود معنى الحرب وليقووا عزائمهم وينفخوا فيهم روح البسالة والاقدام

وقد اتفق لى أن خطبت ذات ليلة فى فصيلة من رماة القنابل كانوا مرابطين فى الخنادق ، وصدرت اليهم الاوامر بمهاجمة خنادق الاعداء . وقاموا بمهمتهم خير قيام ملبين نداء الواجب ، ولكن لم يرجع منهم سوى النصف ، وهؤلاء لم يسمعوا من رؤسائهم سوى الفاظ العطف والتشجيع لانهم أحسنوا القيام بالواجب فقتلوا من استطاعوا قتله ورووا الارض بالدماء وهم لايعرفون أعداءهم ولم يروا أشخاصهم من قبل

واتفق لى مرة أخرى أن أودع شرذمة من الجنود فى الساعة الثانية بعد منتصف الليل . وكانت هذه الشرذمة على وشك الهجوم على الاعداء وقد اجتمع أفرادها القلائل يصلون معاً ويسبحون . ولما حان ميعاد الهجوم لبوا نداء الواجب وهجموا على العدو ، ولم يعد منهم أحد . ومن يدرى ؟ لعل الجندى المجهول كان بينهم !

ولكم خدعنا أنفسنا فى تلك الحرب ، وخدعنا الجندى المجهول أيضاً موهمينه ان تلك الحرب لا بد أن تسفر عن خلاص الانسانية من شر مطامع الانسان . ولكم كذب زعماؤنا وقادتنا وكذبنا معهم لاقناع الجنود بالذهاب الى ميادين القتال وحملهم على بذل أرواحهم فى سبيل تلك الغاية السامية! ولكن ما أشد جنون الانسانية ! اذ كيف يتسنى لها أن تسفك دماء خيرة رجالها وهى ترجو أن تعوض عنها ؟

من المحتمل أن يكون الجندى المجهول من الذين تطوعوا للخدمة من تلقاء أنفسهم . ولكنه على الارجح من الاشخاص الذين جندوهم بسلطان القانون العسكرى ، فان يد ذلك السلطان امتدت الى كل بيت وسقطت على كتف كل انسان وأمرته بالذهاب الى ميادين القتال . وفى هذا دلالة لا يمكن أن تخفى على العاقل . على أن الدول ما كانت لتستطيع أن تجد كفايتها من الجنود لارسالهم الى تلك المجازر الوحشية لولا التجاؤها إلى التجنيد الاجبارى — وبعبارة أخرى — الى الاكراه والارغام

وليت شعرى — من ذا الذى يقف أمام ضريح الجندى المجهول ولا يشعر بقشعريرة تمر بجسمه ، وبحزن عظيم على ذلك الراقد هنالك ؟

لسنا نلوم الامة التى قذفت بذلك الجندى الى ساحة الوغى . وإنما نقول ان هذه هى الحرب وهذه هى مقتضياتها ومستلزماتها . ولكن جانباً من اللوم يقع على أولئك الذين قاموا بتلك الدعوة الكاذبة موهمين الشبان الذين جندوهم وأرسلوهم إلى ميادين القتال أن تلك الحرب كانت خاتمة الحروب . وكلما وقف المرء أمام ضريح الجندى المجهول يخيل اليه انه يسمع رفات ذلك الجندى يقول له : « لقد لبيت نداء الواجب فاين ما أطمعتمونى به من بزوغ فجر السلام ؟ وأين العصر الجديد الذى قلتم انه سيبدأ فى العالم ؟ لقد أعمت الغازات السامة نظرى ، وبترت شظايا القنابل يدى ورجلى ، ولم اسمع حتى الآن أن أهلى وأولادى يتمتعون بالهناءة والسعادة اللتين كنتم تعلوننى بهما لابذل حياتى ! . . . »

حقاً انها قصة محزنة . انا نفكر فى الجندى المجهول فيتمثل لنا شبح جندى لبى نداء الواجب وعرض نفسه ضحية لانقاذ العالم من شرور مطامع الانسان ، وقد ابرزت تلك الحرب أجمل ما كان فى ذلك الجندى من صفات وأخلاق — من شجاعة واقدام وتضحية ووطنية واخلاص . . . وفيم غامر بحياته وأظهر تلك الصفات ؟ لقد استخدمته الحرب لغاية ظاهرها نبيل ، وباطنها الطمع والشره والقسوة والظلم وكل ضرب من ضروب الفساد والاستبداد

فما أفظع الحرب وما أشد ما يجب أن يكون كرهنا لها ! انها توقظ فى نفس الجندى الامين أفضل الصفات وأنبلها واسمى المقاصد وأشرفها . انها تعلله بان العالم سيصبح فردوساً بعد أن تضع الحرب أوزارها ، ولكنه فردوس وهمى لا يمكن الوصول اليه الا عن طريق الجحيم . أجل ان الحرب توقظ فى الانسان اخلاصه وأمانته وشجاعته واقدامه واستعداده لبذل حياته . توقظ فيه جميع هذه الصفات الجميلة والمقاصد النبيلة . ولكنها تفعل ذلك بان توقظ فيه أيضاً اشرس الصفات الحيوانية وتستفزه لقتل أخيه الانسان والفتك به فى البر والبحر والهواء !

اعادة الحياة بعد الموت

[خلاصة مقالة من مجلة رسالة الاخبار
العلمية . للسيدة جين ستافورد]

قد استنبط العلم عدة وسائل لاعادة الحياة الى الجسم بعد الموت كالابرة الكهربائية ومحرك الرئتين وآلة التنفس الصناعي وغيرها . ترى هل تعيد هذه الوسائل الحياة بعد الموت حقيقة ؟

الجواب عن ذلك يتوقف على ما نعنيه بالموت أو ـ بعبارة أخرى ـ على درجة الموت . فاذا قلنا ان الانسان يموت حالما ينقطع قلبه عن النبض أو تقف رئتاه عن التنفس كان من المحتمل اعادة الحياة اليه بعد الموت . نعم ان وسائل اعادتها لا تنجح دائما ولكن عدم نجاحها ينشأ فى الغالب عما قد يصيب أعضاء الجسم الحيوية من عطب . فاذا كان الدماغ أو الكليتان أو الكبد أو غير هذه الاعضاء قد أصبحت عاجزة عن القيام بوظائفها أو كان السم قد سرى فى الجسم فمن المستحيل اعادة الحياة الى الجسم بعد الموت

وفى الواقع أن ارجاع الحياة لا يعنى فقط ارجاع النبض الى القلب والتنفس الى الرئتين بل لا بد من اعادة الدماغ الى وظيفته . ولم يوفق العلم حتى الآن الى وسيلة يمكن بها مساعدة الدماغ على استعادة وظيفته . وقد قال أحد كبار الاطباء : « اذا صعقني تيار كهربائى فلا أريد أن يعيد أحد حياتى الى لان دماغى لن يعود الى وظيفته وعليه فسأكون ميتاً من أخمص قدمى الى عنقى »

ولا يخفى أن الدماغ يتغذى بالدم الذى يتدفق اليه من القلب . فاذا وقف القلب مدة حرم الدماغ الغذاء اللازم له . وهذا الحرمان يؤدى الى موت الدماغ موتاً لا حياة بعده . وعليه فمسألة اعادة الحياة بعد الموت تتوقف على مقدار الزمن الذى يظل فيه الدماغ محروماً غذاءه من الدم . وهذا يجعل من الضرورى عندما تريد ارجاع الحياة الى رجل غريق أو مصعوق بالكهرباء أن تشرع فى الحال فى إعادة تنفسه من دون أن تنتظر وصول الطبيب

ولا يعلم أحد حتى الآن كم من الزمن يستطيع الدماغ أن يظل محروما غذاءه وأن يعود بعد ذلك الى الحياة . والارجح أن أقصى ذلك الزمن لا يتجاوز خمس عشرة دقيقة . وقد قام الدكتور كورنيش من أطباء جامعة كاليفورنيا بعدة تجارب أعاد فيها الحياة الى الكلاب بعد قتلها فاحدثت تجاربه دهشة عظيمة بين الاطباء فى جميع انحاء العالم . إلا أن أدمغة هذه الحيوانات لم تعد الى وظائفها ، والارجح انها حرمت غذاءها من الدم زمناً طويلا . ويقال ان كلباً من الكلاب المذكورة عاد ينبح ويأكل ويتذكر بعض الاصوات إلا أن دماغه لم يعد الى عمله

ثم ان العجز عن ارجاع الحياة الى من يصاب بصعق التيار الكهربائى أو بأى حادث آخر ينشأ

فى الغالب عن مرور وقت طويل على حدوث الوفاة . ويقول علماء الفسيولوجيا أنه على فرض تقدم العلم واستطاعة الاطباء اعادة الحياة الى الميت فان عملا كهذا ليس فيه شفقة على الميت إلا فى بعض الحالات النادرة كما لو نشأت الوفاة عن تيار كهربائى أو عن اختناق أو غرق أو ما أشبه . وفى هذه الحالة يجب العمل فى الحال لان مرور الزمن يقضى على الدماغ قضاء مبرما . فاذا فرضنا المستحيل وأمكن ارجاع الحياة من دون احياء الدماغ فان الموت فى هذه الحالة خير وأكثر انطباقاً على مبادئ الرحمة

ومع ذلك فان الواجب الانسانى يحتم على الطبيب أن يحاول ارجاع الحياة بعد الوفاة فى حوادث الغرق والاختناق والتسمم والصعق بالتيار الكهربائى وما أشبه . بل يجب على كل امرىء أن يتعلم وسائل ارجاع الحياة على أن يتم ذلك بأقصى مايمكن من السرعة وقبل فوات الوقت

ولا شك أن القارىء يعلم أن هنالك طرقاً خاصة بالتنفس الصناعى يراد بها ارجاع الحياة بعد الموت باعادة الرئتين الى وظيفتهما . وفى مقدمة تلك الطرق الطريقة المنسوبة الى السر ادورد شفر العالم البريطانى المشهور ، ومعظم الاطباء يعرفون هذه الطريقة . وهنالك حوادث تنقطع فيها الرئتان عن التنفس بسبب شلل يصيب بعض العضلات المرتبطة بالرئتين . ففى هذه الحالة يمكن استعمال طريقة السر ادورد شفر المذكور مقرونة بجهاز خاص اخترعه فيليب درنكر أحد المهندسين الاميركيين لاجل التنفس الصناعى ، وهو يساعد الرئتين على القيام بوظيفتهما بعد توقفهما هنيهة عن العمل . وهنالك ايضا جهاز آخر لاعادة التنفس بوسيلة صناعية ويسمى « بولموتور » أو محرك الرئتين وهو يمد المصاب بالكمية اللازمة له من الاوكسجين

وغنى عن البيان ان التنفس الصناعى يعيد الحياة الى الميت بتحريض الرئتين على استئناف وظيفتهما . وبعض الاطباء يعمد اولا الى اعادة القلب الى وظيفته لكى يسرى الدم فى الجسم بعد وقوفه . فمتى سرى الدم شرع فى اعادة الرئتين الى وظيفتهما . اما اعادة الدم الى تدفقه من القلب فتتم بوخزه بابرة كهربائية خاصة على ان تغرز هذه الابرة بين الضلوع حتى تصل الى القلب . ومخترع هذه الابرة هو طبيب اميركى من اهالى مدينة نيويورك يدعى البرت هيمان

وقد تحدث الوفاة عن النزيف بحيث يتوقف القلب عن القيام بوظيفته فلا يبقى فى القلب دم يتدفق منه . ففى هذه الحالة يلجأ الطبيب الى طريقة اخرى وهى نقل الدم من جسم الى جسم ثم وخز القلب بالابرة الكهربائية ليعود الدم الى التدفق فتعود الحياة الى الميت . وعلى كل فان هذه الاعادة تتوقف دائما على المدة التى قد انقضت على الوفاة . فاذا زادت على الحد اصبحت الوفاة نهائية وتعذرت اعادة الحياة

تقدم العلم والعالم

مخدر جديد

الاثير من أشيع المواد المخدرة التى يستعملها الاطباء الجراحون إلا ان لهذا المخدر تأثيراً يجعل الاطباء يأنفون من استعماله . وفى الانباء العلمية الاخيرة أن بعض علماء الكيمياء الاميركيين توصلوا إلى اكتشاف مخدر جديد هو الاثير بعينه ، ولكنه مصنوع على وجه لا يترتب على استعماله فى العمليات الجراحية اية نتيجة من النتائج التى تترتب على استعمال الاثير الاعتيادى . وتقول الصحف التى نقلنا عنها هذا النبأ إن المخدر الجديد لم يعرض حتى الآن فى السوق ولا يستعمله إلا بضعة مستشفيات فى الولايات المتحدة

درجة الحرارة فى أعالى الجو

اذا ارتفعت الى قنن الجبال العالية شعرت ببرودة الجو . فاذا واليت الارتفاع نحو مائة ميل بدأت تشعر بارتفاع درجة الحرارة . ولا تكاد تصل الى علو مائتى ميل أو أكثر حتى تشعر بحر لا يطاق . هذا ما اثبتته الارصاد الجوية الاخيرة . ويؤخذ من هذه الارصاد ان درجة حرارة الجو فيما وراء قنن الجبال والى ارتفاع نحو مائة وخمسين ميلا تكاد تكون ثابتة لا تتغير لا ليلا ولا نهاراً

آثار الشعوب البائدة فى ما بين النهرين

فى العراق اليوم بعثتان اميركيتان تنقبان عن آثار الشعوب البائدة التى كانت تسكن مابين النهرين كالاشوريين والبابليين والفرس . وقد عثرت هاتان البعثتان على آثار كثيرة قديمة يستدل منها على ما كان بين بعض تلك الشعوب من علاقات سياسية وتجارية ومالية . ومن تلك الآثار اختام لكبار رجال الدولة فى بلاد فارس مصنوعة من الفخار ومنها ايضاً آنية فخارية منقوشة نقشاً بديعاً . ونحو خمسمائة قطعة نقود ترجع إلى المائة الاولى قبل التاريخ الميلادى

مومياء الملكة هات شبسوت

كانت الملكة هات شبسوت أو هاتا سو ابنة توتميس الاول وحكمت حوالى سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد وكان حكمها قصيراً ، ومع أن علماء الآثار قد عثروا على قبرها إلا انهم لم يوفقوا حتى الآن الى العثور على مومياتها

وعلى ذكر مومياء هذه الملكة نقول إن اقدم مومياء مصرية معروفة هى مومياء راء نوفر من ملوك الدولة الثالثة (حوالى سنة ٢٩٠٠ قبل الميلاد) وهذه المومياء محفوظة فى متحف كلية الجراحين الملكية بانجلترا

الغذاء الصناعي

قام بعض أساتذة جامعة كورنيل الاميركية بتجربة غريبة وهى انهم جاءوا بقطيع من الغنم ووضعوه تحت ملاحظتهم وغذوه بمواد غذائية صناعية مدة طويلة ومنعوا عنه الكلأ واوراق الاشجار الخضراء وما أشبه . وبعد مدة ذبحوا هذه الغنم فوجدوا لحمها دسماً يفوق لحم الخراف

التي تتغذى بالكلأ الاعتيادي . ويفكر الاساتذة المذكورون في القيام بتجارب اخرى واسعة النطاق لاختبار تأثير المواد الغذائية الصناعية في البقر والثيران والخنازير

قعر الاوقيانوس

ليس قعر الاوقيانوس مستوياً كما قد يتبادر إلى أذهان بعض العوام ، بل هو شديد الشبه بسطح الارض من حيث كثرة أخاديده ومرتفعاته وجباله ووهاده واوديته وكهوفه . ولو نشف ماء المحيط الباسفيكي فجأة - ويبلغ عمقه في بعض جهاته نحو عشرة كيلو مترات - لرأينا على مقربة من سواحل كاليفورنيا مثلا وادياً عميقاً دون مستوى ذلك القعر يبلغ عمقه نحو سبعة آلاف قدم ، وعلى كلا جانبيه أشجار مائية وغابات هائلة وكهوف مظلمة مخيفة لا يعلم إلا الله ما يسكنها من الحيوانات الغريبة والتنانين العظام . وكثيراً ما خاطر العلماء والغواصون بأنفسهم محاولين استكشاف تلك المجاهل الغريبة فلم يوفقوا التوفيق التام حتى الآن

حيوانات تموت حسب ارادتها

يؤخذ من المباحث التي قام بها بعض علماء الحيوان ان هنالك نوعا من الزحافات تسمى « ايجوانا » وتسكن في بعض مجاهل اميركا تستطيع ان تموت عندما تريد . وهذه الزحافات هي كبيرة الحجم وذات منظر راعب ، إلا انها غير مؤذية وهي الحيوانات الوحيدة التي من نوعها في العالم والتي تموت بمحض ارادتها

مذنب رينموث

هو المذنب الذي اكتشفه الاستاذ رينموث مدير مرصد هيدلبرج في سنة ١٩٢٨ ثم رآه بعد ذلك غيره من علماء الفلك . وقد عاد هذا المذنب فظهر الآن مرة أخرى وشاهدته عدة مراصد فلكية في اوربا واميركا الى شمال كوكبة الجبار ، وهو من القدر السادس عشر ولا تمكن رؤيته بالعين المجردة ولم يكتشف علماء الفلك ذنبه حتى الآن

اختراعات مطلوبة

في مصلحة تسجيل الاختراعات بمدينة واشنطون قائمة بالاختراعات التي يحتاج اليها العالم ويتوقع انجازها ويستحث قرائح المخترعين على اخراجها إلى حيز الوجود . ومن هذه الاختراعات اشياء لا يعنى بها إلا عدد محدود من الناس ، فمنها ما له علاقة بتحسين صناعة الاوتوموبيلات . ومنها اختراع سماعة للصم ومادة لرصف الطرق تمنع الزلق والتزحلق . وفوطة يستعملها الجالس الى الخوان لا تتزحلق عن ركبته . ومدفأة رخيصة يستطاع حملها في الجيب للوقاية من البرد ، وغير هذه من الاختراعات التي قد تبدو تافهة لبعض الناس ولكن لها قيمة عظيمة للجمهور

السيار هيدالجو

هو سيار صغير اكتشفه علماء الفلك سنة ١٩٢٤ ثم توارى عن الانظار في السنة التالية . ويؤخذ من تقارير المراصد الفلكية المختلفة ان هذا السيار قد عاد الآن إلى الظهور وان فلكه واقع بين فلكي المريخ والمشترى وان حركته شبيهة بحركة المذنبات ، وهو من القدر الثاني عشر فلا تمكن رؤيته إلا بالتلسكوبات القوية

وعلى ذكر المذنبات نقول إن علماء الفلك يتوقعون ظهور عدة مذنبات في القريب العاجل وبينها مذنب ساطع جداً . ولا يمكن تعيين

الوقت أو العام الذى سيظهر فيه تماماً ، فقد يتم ذلك بعد عشر سنين أو أكثر . وفى الواقع أن حركة المذنبات غير معروفة تماماً وقد كان مذنب هالى اشهرها فى العصور الحديثة . وإذا صدق حساب بعض الرياضيين الفلكيين فان مذنب هالى سيعود إلى الظهور مرة اخرى بعد خمسين سنة تماماً أى سنة ١٩٨٥ . وعلى كل فان علماء الفلك يبذلون جهوداً عظيمة لدرس حركات المذنبات درساً دقيقاً ومعرفة نواميسها

شفاء العى بالتنويم المغناطيسي

يؤخذ من تقرير لجمهور من الاطباء الاميركيين التابعين لمصلحة الصحة العمومية بمدينة فرنسيسكو ، أن بعض اولئك الأطباء تمكنوا من شفاء عدة افراد مصابين بعى اللسان بواسطة الاستهواء أى التنويم المغناطيسى

زلزال في قعر المحيط

سجلت آلات رصد الزلازل زلزالا حدث فى ٥ نوفبر الماضى فى قعر المحيط الباسفيكى على مقربة من مضيق بيرنج ، فهز قعر البحر هزة عنيفة ظهر أثرها فى حدوث تموجات عظيمة هائلة كادت تقذف ببعض المراكب على السواحل

المؤتمر الجغرافي الدولى

فى فصل الخريف الفائت عقد فى مدينة فارسوفيا ببولونيا مؤتمر جغرافى دولى حضره جمهور كبير من علماء تقويم البلدان (الجغرافيا) من جميع انحاء العالم، وعرضت فيه أكبر مجموعة من الخرائط القديمة والحديثة أرسلها خمسون معهداً علمياً من خمسة وعشرين قطراً مختلفاً واثنتى عشرة مدرسة جامعة وبينها خرائط دقيقة لامثيل لها فى الضبط والاتقان

جوائز نوبل العلمية

منحت جائزة نوبل للكيمياء عن سنة ١٩٣٤ الى الدكتور هارولد اورى من اساتذة جامعة كولومبيا الاميركية ، اعترافاً بالنصيب الذى قام به من اكتشاف عنصر الايدروجين الثقيل . واسمه العلمى « دويتريوم »

ومما يجدر بالذكر ان جميع جوائز نوبل العلمية لسنة ١٩٣٤ قد منحت أو ستمنح لعلماء اميركيين ومنهم الاطباء هويبل ومينوت ومرفى الذين اكتشفوا طريقة معالجة الانيميا الخبيثة بخلاصة الكبد

بقعة المشترى الحمراء

لايخفى أن على سطح السيار المشترى بقعة كبيرة حمراء قد حار العلماء فى تعليلها . وفى الصحف العلمية الاخيرة أن أحد علماء الفلك قد توصل إلى حل لغز هذه البقعة فرأى أنها جزيرة عائمة من النوشادر (الامونيا) المتجمد فى بحر من مواد ايدروكربونية سائلة (كالاثلين والاسيتلين وغيرهما) وان هذا البحر يكاد يغطى سطح السيار كله وقطره نحو خمسة وثلاثين الف ميل

من آثار العصر الحجرى

اكتشف الاستاذ يانسى السويدى آثار قرية لا يقل عمرها عن أربعة آلاف سنة أى انها ترجع الى العصر الحجرى السويدى ، وهذه القرية قريبة من خليج فلدبمار على سواحل السويد الجنوبية الشرقية . وقد عثر الاستاذ يانسى فى جملة ما عثر عليه هنالك على آنية فخارية وأدوات وآلات عظمية وحجرية وبقايا حيوانات من الحيوانات التى كان الاقدمون يغتذون بها .

ويرجو المكتشف أن يعثر بين هذه الآثار على اشياء تميط اللثام عن كثير مما هو مجهول من تاريخ بلاد السويد فى الحقب الخالية وعن اخبار الشعب الذى كان يسكنها فى العصر الحجرى

هل يثبت فساد نظرية النسبية

من أهم الأنباء العلمية التى وقفنا عليها اخيراً ما روته مجلة (سايانس نيوز ليتر) فى جزئها الصادر فى أول ديسمبر الماضى ، وخلاصته ان السر شاه سليمان المشترع والعالم الهندى المشهور ورئيس محكمة الله اباد العليا ، قد عرض على اكاديمية العلوم الهندية نظرية حسابية جديدة إذا صدقت فستثبت بطلان نظرية النسبية للفيلسوف اينشتين . وليس هذا مجال البحث فى نظرية العالم الهندى المذكور، وانما نقول ان العلماء فى جميع انحاء العالم قد شرعوا يفحصون هذه النظرية ويرون فيها وسطاً معقولا بين نظريات اسحق نيوتن ونظرية النسبية . والسر شاه سليمان من خريجى جامعة اكسفورد وقد اشتهر منذ كان طالباً فى تلك الجامعة بميله إلى الرياضيات وهو من العلماء القلائل الذين يدركون المعادلات الرياضية العليا التى تنطوى عليها نظرية النسبية

ترياق للسعة العنكبوت السام

لاتزال لسعة العنكبوت السام (أبو شبت) تشغل بال الكثيرين من العلماء الذين يبحثون فى خواص السموم ويبحثون عن ترياق لها . وفى الانباء العلمية الأخيرة أن الدكتور دامور الأستاذ بجامعة دنيفر قد توصل الى صنع مصل يشفى من لسعة العنكبوت المذكور وسينقذ حياة الألوف من الفلاحين الشرقيين والغربيين المعرضين لتلك اللسعة القتالة

ومن أغرب مايروى عن ضحايا العلم ان طبيباً اميركياً يدعى آلان بلاير وهو استاذ بجامعة آلاباما قضى شطراً من حياته يبحث عن ترياق يشفى من لسعة العنكبوت السام . وأخيراً عزم أن يعرض نفسه للسعته على ان يكون ذلك على مرأى فريق من أصدقائه الأطباء ليستطيعوا مراقبة تأثير اللسعة فى جسمه عسى أن يتمكن العلم من اكتشاف الترياق المطلوب . وفى الواقع انه عانى من تلك اللسعة آلاماً مبرحة يعجز القلم عن وصفها . ومن اعراض هذه اللسعة تشنجات مؤلمة وانقباض اضلاع الصدر بحيث يتعذر التنفس . وما هى إلا ساعة أو أكثر حتى يغيب الملسوع عن رشده ويقضى نحبه فى أكثر الحالات . وقد كان الأطباء حتى الآن يحقنون الملسوع بمادة مخدرة لانقاذه من الآلام التى لاتطاق . أما الآن فان الترياق الذى صنعه الدكتور دامور المذكور يخفف الآلام وينقذ الملسوع من الموت

الزوابع الرملية

كثيراً ماتثور الزوابع الرملية فى الصحارى الكبيرة فتحمل الرياح الرمال الى مسافات بعيدة وتلقيها احياناً فى البحار . ومن هذا القبيل الزوبعة الهائلة التى وقعت سنة ١٩٠١ وانتشر غبارها فوق اوربا كلها وعلى البحر الأبيض المتوسط، فقد ثارت تلك الزوبعة فى صحراء افريقيا الكبرى ومنها اتجهت شمالا حتى عقد من غبارها سرادق ظلل أوربا كلها . وكانت هذه أكبر زوبعة رملية عرفت فى التاريخ

نوع جديد من النتروجين

لا يخفى ان الاوكسجين والنتروجين هما قوام الهواء . ومن أحدث الاكتشافات العلمية ان هنالك نوعاً من عنصر النتروجين يتحول من تلقاء نفسه إلى عنصر الاوكسجين بطريقة التشعع الراديومى . وهذه اول مرة يتضح فيها للعلماء أن فى الامكان تحول كل من عنصرى الاوكسجين والنتروجين الى الآخر

مرصد ليك

قررت ادارة مرصد ليك الفلكى صنع تلسكوب جديد سيكون من أدق التلسكوبات فى العالم . وقد شرع المهندسون الفلكيون فى وضع رسوم هذا التلسكوب . ولا يعلم حتى الآن كم ستكون نفقاته ، ولكن مؤسسة كرينجى الاميركية تعهدت بتقديم المال اللازم له

تقديم الاولاد ضحايا

كانت عادة تقديم الاولاد ضحايا عادة دينية شائعة بين امم كثيرة من الأمم البائدة كالحثيين والكنعانيين وشعوب الازتيك والمايا باميركا الجنوبية وغيرهم . وقد عاد اخيراً الاستاذ اريك طمسون العالم الأثرى المشهور من جزيرة هوندوراس البريطانية حيث درس آثار شعوب تلك الجزيرة الاصليين فوجد انهم كانوا يمارسون عادة التضحية بصغار الاولاد فى الأعياد الدينية استرضاء لآلهتهم لتجدهم بالمطر . وقد وجد الأستاذ طمسون المذكور أشلاء عدة اطفال مدفونين معاً على وجه معين وبمقتضى العرف الدينى الذى كان شائعاً فى ذلك الوقت ، وهؤلاء الاطفال ضحايا قدمها الآباء لاسترضاء الالهة واستنزال الغيث

آثار بيت ايل

بيت ايل هو الموضع الذى تقول التوراة إن يعقوب أبصر فيه حلماً فرأى الملائكة تصعد إلى السماء وتنزل الى الأرض ، وهو أيضاً المكان الذى بنى فيه الملك يربعام هيكلا عظيما . وهنالك الآن بعثة اميركية برئاسة الأستاذ البرايط تنقب عن آثار هذا المكان وقد اكتشفت آثار النار التى أحرقت بيت إيل بين القرنين السابع والسادس قبل الميلاد ، وكانت المدينة قد احترقت قبل ذلك مرة اخرى فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ثم اعيد بناؤها

واكتشفت البعثة أيضاً نقوداً لمختلف الدول التى استولت على بيت ايل حتى سنة ٦٩ ميلادية وهى السنة التى استولى فيها فسبازيان الرومانى على المدينة وقد بقيت فى يد الرومان الى ان استولى عليها العرب

غاز النيون في النجوم

عثر بعض علماء الفلك منذ عهد قريب على آثار غاز النيون فى النجوم وهو الغاز الاحمر الذى يستعمل فى الاعلانات المضيئة ليلا . وكان الكثيرون من العلماء يرتابون فى وجود هذا الغاز فى أكثر النجوم إلى أن ثبت لهم خطؤهم

طير منقرض

من الطيور المنقرضة المحفوظة آثارها فى بعض المتاحف العلمية طير يسمى ايبيورنيس ، Aepyornis وكان هائل الحجم جداً حتى ان سعة بيضته كانت ٢٥٨ اونساً أو أكثر من جالونين مع ان سعة بيضة الدجاجة الاعتيادية لاتزيد على أونسين وسعة بيضة النعامة لاتزيد على عشرة اونسات

كتب جديدة

جبران خليل جبران

بقلم الاستاذ ميخائيل نعيمه

طبع بمطبعة لسان الحال ببيروت. صفحاته ٣٠٧ يطلب من المؤلف بسكنتا (لبنان). ومن المكاتب الشهيرة . وفي مصر من مكتبة الهلال — ثمنه ٢٠ قرشاً

ليس من السهل أن تقضي فى قراءة هذا الكتاب ست ساعات إن كنت سريع القراءة لتقول ان المؤلف وفى بالغرض من وضعه ، وانه أجاد فى ترجمة حياة فنان امتلأت بكثير من آيات الفن ونزعاته ، وتعددت نواحيه ومتجاته . فجبران خليل جبران ، ليس هو الذى يقال عنه : ولد ، فعاش ، فات ، وتقلب فى الوظائف أو التجارة ، فاصاب منهما أو لم يصب ، بل هو فنان عاش للفن ، ومات فى سبيل الفن . فجدير بان يكتب عنه أديب كبير درسه وعاشره ووصل الى اعماق نفسه وتفكيره . ومن كالاستاذ ميخائيل نعيمه يقدم زميله وصديقه جبران؟ - هذا الشاعر الكاتب المصور الموسيقى الذى طوحت به الغربة والفقر منذ كان صبياً ، وعاش هذه الحياة المملوءة بالآمال والاحلام والحب والتمرد والثورة ومغالبة العواصف ، وفرض على الناس احترامه وتقديره ، وكان مفخرة الشرق فى بلاد الغرب

فقد اتصل به مؤلف هذا الكتاب اتصال قرابة وصداقة وزمالة فى الادب ، فاستطاع ان يترجم له هذه الترجمة الوافية . وان يقدم لنا من حياة جبران صورة بل صوراً شتى ليس من السهل الاحاطة بها إذا مر بها القارىء مروراً دون أن يقف عندها ، ويتأملها ويتملى من دروسها

فليست حياة جبران كحياة أى انسان ، بل ليست حياة انسان ماسواه أكان فنانا أم غيره كحياة انسان آخر ، بالرغم مما يقوله الاستاذ ميخائيل نعيمه فى مقدمة الكتاب :

« ولو اننا كتبنا تاريخ انسان واحد لقرأنا فيه تاريخ كل الناس . ولو اننا دونا تاريخ شىء واحد لطالعنا فيه تاريخ كل شىء »

فلكل حياة بيئتها وخواصها وميزاتها ، ولكل صفحة من صفحات الحياة لون يخالف غيرها . وإذا عدت الحياة بالساعات لرأينا لكل ساعة لوناً خاصاً وميزة خاصة ، فكيف بحياة الرجال من الفنانين والعلماء ؟ . وآية ذلك أن الترجمة النفيسة ، التى عرضها الاستاذ ميخائيل نعيمه لصديقه جبران تطلعنا على لون آخر ، وتخالف اى ترجمة أخرى من تراجم الرجال بل إن جبران فى كهولته غيره فى شبابه ، غيره فى فتوته وصباه . . وجبران فى الشفق هو غيره فى الغسق ، غيره فى الفجر - نعم هو فى كل قسم من هذه الاقسام التى ذكرها المؤلف فى ترجمته ، شخص مستقل فى احلامه وآرائه ونزعاته . وقد ألف الاستاذ نعيمه من هذه الالوان الكثيرة فى حياة جبران قصة شائقة متعددة المناظر ، متعددة الفصول ، بدأها بالفصل الاخير وهو « الشفق » وما أشد هذا الفصل تأثيراً وايلاماً

للنفس . فقد عرض « احتضار جبران فى ساعة الموت » فوصف بقلمه المؤثر كيف كانت حشرجة الروح ، وكيف كان هذا الفنان الكبير يصارع الموت . . وكأن المؤلف اراد ان يزيد فى تأثير القارىء فوضع هذا الفصل فى أول الكتاب ، وكان عهدنا به ان يكون فى الآخر ، ولكنه يعتذر عن ذلك بان « وع . وع . التى يقذفها صدر الطفل عندما يطل على عالمنا هذا هى عين (غر . غر) التى تتسلل من صدر المحتضر عندما يشرف على عالم غير هذا العالم »

ولذلك كان سيان أن يبدأ بفصل الاحتضار أو بفصل الولادة . ولكن جبران مات وبموته ابتدأت له حياة أخرى ،فاذا يمنع ان تبدأ ترجمته بما بدأت به هذه الحياة ؟ وكذلك بدأ المؤلف بفصل الاحتضار واعقبه بفصل ولادة جبران فى قصبة بشراى من لبنان سنة ١٨٨٣ . واستمر يقص حياة جبران منذ الطفولة فى اسلوب قصصى شائق ، وكيف سافر مع امه وأخيه واخته الى اميركا ، وكيف تعلم ، وكيف عانى ما عانى من آلام الحب ، وشدائد الحياة ، وكيف قضى غسق الحياة حتى طلع الفجر وانتشر نور الشمس ونشر هو مع هــذا النور نوراً ليس دفئاً للاجسام ، ولكنه دفء وغذاء للقلوب والارواح

استطاع المؤلف ان يستوعب حياة جبران كما عرفه فى كتاب ضخم كلفه مجهوداً ليس بالقليل ، وصاغه بقلبه ، وصب فيه من روحه جانباً وافراً بقدر اخلاصه لصديقه . وروى على لسان جبران كثيرا من الآراء التى يعرفها عنه ولم يدون بعضها فى كتبه ، ودرس فى خلال ذلك مؤلفاته ومقالاته ، وضمن بعضها هذه القصة فى لباقة وحذق . ومن ذلك ما رواه عن المصادفات . يقول جبران :

« لا تقولى مصادفات يا مارى . الحياة لا تعرف المصادفات . في الكون خيوط لا تحصى يتألف منها نسيج الكون الواحد ، وحياتك وحياتي خيطان في هذا النسيج السرمدى ـ يتباعدان ثم يتقاربان ثم يتماسان ثم يتباعدان ويتقاربان ويتماسان من جديد . وهكذا الى أن يتم النسيج الحائك الجالس وراء النول يعرف الغاية من كل خيط ، لكن كل خيط لا يعرف غاية الحائك . لقد مات أخي وأختي وأمى ، لانه كان من الواجب أن يموتوا في الحين الذي ماتوا فيه وبالميتة التي ماتوها ، ولقد احترقت صورى لانه من الواجب أن تحترق في المكان والساعة المحتومين لحريقها . وقد يكون لى في ذلك خير كبير » . وهذا كلام رجل قدري في أسلوب شاعر خيالى

ويقول مناجياً حبيبته : « يا حبيبة نفسي ! . . هل تذكرين يا حبيبتى ذلك الروض حيث وقفنا وكلانا ناظر وجه الآخر . هل تعلمين ان نظراتك كانت تقول لى ان محبتك لم تنبثق من الشفقة على . تلك النظرات التى علمتني أن اقول لنفسي وللعالمين ان العطاء الذى يكون مصدره العدل هو أعظم من الذي يبتدىء بالحسنة ، وان المحبة التى تبتدئها الظروف تشابه حياة المستنقعات

« أمامي يا حبيبتى حياة أريدها ان تكون عظيمة جميلة . حياة تؤاخي ذكرى الانسان الآتي ، وتستدعي اعتباره ومحبته . حياة قد ابتدأت عند ما لقيتك ، وأنا واثق بخلودها لانى مؤمن بكونك قادرة على اظهار القوة التى أودعني الله اياها متجسمة باقوال وأعمال كبيرة ، مثلما تستنبت الشمس ازهار الحقول ذات العرف الطيب ، وكذا تظل محبتى لى وللاجيال وتبقى منزهة عن الانانية لتعميمها ، ومتعالية عن الابتذال لتخصيصها بك »

لقد ابدع الاستاذ ميخائيل فى كتابه واستطاع أن يوفى صديقه حقه . ولم يتحرج عن شرح اسرار حبه . وهي اسرار لا تضر الاباحة بها لانها جزء من حياة جبران لا تتم ترجمته إلا به ،

وهى ليست من الاسرار التى يكتمها الناس حتى يقال بان الاستاذ نعيمه تصرف فيما ليس له

فوق العباب

للدكتور احمد زكى أبو شادى

طبع بمطبعة التعاون بالسيدة زينب بالقاهرة . صفحاته ١٣٨

يا ليتنى في فضـولى لم أطع قدمى
يا ليتني ! كم اعاني الآن من ألم
ان انس لم انس سوقاً لاتباع بها
غير الكرامات والاخلاق والقمم
حيث النساء ضحايا في جوانبهـا
وفي مسـالكها في ذلة الرمم
حيث السماسرة المرهوب جانبهم
ما بين بائسة تدمي ومنهم
يضاعفون من الويلات اسقمهـا
ويؤجرون على الويلات والسقم
في كل ركن صراخ لا مثيل له
وفي التراب عرين الوجد والقمم
دار العـويل ودار الشجيات وما
اقسى العويل بدار العدل في الظـلم
من يطالبن بالقوت الضئيل وما
ينلن الا صنـوف اللوم والتهم

هذه قطعة من قصيدة «فى المحكمة الشرعية» مما حواه هذا الديوان . وهى صورة من صور حياتنا الاجتماعية التى نحياها هذا العصر . وقد اقتطفناها كمثل من هذه المجموعة الكبيرة التى حوت كثيراً من القصائد والمقطوعات فى أغراض شتى . ففى الحق أن الشاعر أبا شادى شاعر فياض ، لا تمر به صورة من الصور ، ولا خاطر من الخواطر ، ولا حالة من الحالات النفسية او الاجتماعية إلا سجلها شعراً . وهذه إحدى ميزاته . فالديوان قد خلا اكثره من هذه الأغراض القديمة كالمديح والرثاء والهجاء ، واشتمل على موضوعات جديدة استمد وحيها الشاعر من الحياة التى نحياها سواء أكانت فنية أو سياسية أو اجتماعية أو علمية . فأنت ترى فى الديوان « مصر هبة النيل » ، وهى قصيدة ممتعة استوحاها الشاعر من اللوحة الفنية التى صنعتها يد المثال المصرى إدوار زكى خليل ، كما ترى « الربات الراتعـات » و « أبولو ودافنى » و « إيزيس والطفل الصغـير » و « ديانا وا كتيون » وغيرها مما أبدعته يد الفنان ونقلته من الحضارة المصرية ، أو من أساطير اليونان والرومان

وهنـاك الشعر السياسى والاجتماعى والوصفى ، وقد أعجبنا بقصيدة «النحاس باشا» و « وحى الراديو » و «بلوطو» و « الهدهد فى القرية » الخ

ايام بغداد

تأليف الأستاذ أمين سعيد

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي . صفحاته ٢٤٦

يكاد يكون الأستاذ أمين سعيد تخصص فى الكتابة عن الشرق وعن الشؤون العربية ، فقد رأيناه فى كتابه « الثورة العربية الكبرى » قام بمجهود حميد فى وضعه على هـذا النحو الذى سجل فيه تاريخ هذه الثورة تسجيلا نعتقد ان الأستاذ أمين نهض فيه بعبء عدة أفراد لافرد واحد ، لا يملك إلا قلمه ولا يعتمد إلا على كفاءته وسعة اطلاعه على الشؤون العربية

وهذا الكتاب الذى نحن بصـدده « أيام بغداد » هو احد الجهود الأدبية التى يبذلها فى خدمة الشرق العربى ، وهو وصف شامل

لنهضة العراق الحديثة ولمعالمه التاريخية ، فقد رحل المؤلف إلى العراق مندوبا عن الهيئات السورية بمصر لحضور حفلة التأبين الكبرى التى أقيمت فى بغداد لانقضاء أربعين يوماً على وفاة المرحوم جلالة الملك فيصل ، واغتنم هذه الفرصة فطاف بالعراق باحثاً دارساً . ثم كتب هذه الفصول المفيدة عن نهضة العراق وما رآه من المشاهد التاريخية والاجتماعية والعمرانية . وقد تناولت هذه الفصول كثيراً من الموضوعات الهامة كالنقد فى بلاد العرب ، وسكة حديد فلسطين ، والاستعمار الصهيونى ، والحرب الجركية . وشباب العراق . وموكب الملك غازى . والعمران فى بغداد . والقصور الملكية . ونهضة التعليم فى العراق . وغير ذلك من الفصول والموضوعات التى تختص بهذا القطر الشقيق

المنتقى

للاب بطرس الخورى اللبنانى

وبمعاونة الاخوة المريميين

طبع بمطبعة المعارف بحلب . صفحاته ٣٤٥

المنتقى هو كتاب تهذيبى يقوم باصداره الأب بطرس الخورى أستاذ الفلسفة وآداب اللغة العربية بمعهد الفرير فى حلب : بمعاونة الاخوة المريميين . وهو مجموعة نفيسة تحتوى على مختارات كثيرة فى موضوعات مختلفة لطائفة من الكتاب والشعراء المشهورين ، وتتألف هذه المجموعة من ثمانية أجزاء : أربعة للصفوف الأولى ، وهى مدخل المنتقى الأول « الف باء » والمدخل الثانى والثالث والرابع . وأربعة للصفوف الوسطى وهى المنتقى الأول والثانى والثالث والرابع . ويحوى كل من الاول والثانى من المنتقى ١١٢ قطعة لنحو ٢٠ من مشاهير الأدباء ، وبه عدة صور لمشاهد مصر وسورية وفلسطين ولبنان والعراق ، ويحوى الجزء الثالث والرابع ١١٢ قطعة أخرى لنحو ٦٥ من مشاهير الأدباء العصريين وبعض القدماء المطلوب دراستهم فى منهج البكالوريا السورية واللبنانية مع رسوم الجميع ومختصر تراجمهم . وفى كل جزء من هذه الأجزاء معجم لشرح الألفاظ الغريبة ، وسلسلة فروض متنوعة نحوية وصرفية ، وترجمة من العربية إلى الفرنسية وبالعكس ، وقد صدر الجزء الأول والثانى من هذه المجموعة القيمة ، ونحن على يقين أن جناب الأب ومعاونيه الافاضل قد قاموا فى إصدار هذه المجموعة بخدمة حميدة للنشء الحديث فى الاقطار العربية

دائرة المعارف الاسلامية

ترجمها الى العربية الاساتذة : محمد ثابت الفندي ، واحمد الشنتناوى ، وابراهيم زكي خورشيد ، وعبد الحميد يونس

تطلب من (لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية) بشارع نوبار باشا رقم ٣٠

هذا هو العدد الثامن من المجلد الأول من الدائرة التى شرع هؤلاء الشبان الاربعة بترجمتها ، وأصدروا منها أعداداً ثمانية . وقد قوبل عملهم هذا بالثناء والتشجيع ، وكنا أول من شجعهم تشجيعاً أدبياً على النهوض بهذه الخدمة المفيدة بعد ما وطدوا العزم على النهوض بها ، فكانوا عند حسن ظن الجمهور بالشباب المصرى المثقف ، وبرهنوا على كفايتهم فى هذا العمل الجليل . وقد أصدروا العدد الثامن . وهو

سابقه ، حسن الترجمة ، فصيح العبارة ، وقد بدأ باحمد شاه أحد ملوك الهند ، واحتوى على كثير من تراجم القدماء والمشاهير . واختتم فى الصفحة ٥٥٢ عند مادة (ادفو) وهى بلدة مصرية قائمة على الشاطىء الغربى للنيل . فنثنى على همة هؤلاء الشبان ونرجو لهم حسن التوفيق

ضحايا الاطفال

تأليف أجنس دى ليما

ترجمة الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف

طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . صفحاته ٢٧٢

شرعت لجنة التأليف والترجمة والنشر فى إصدار سلسلة فى التربية والتعلم تبسط فيها على التوالى النظريات والاتجاهات الجديدة فى التربية والأسس الاجتماعية والبسيكولوجية التى تقوم عليها وأساليب تطبيقها فى مختلف البيئات ونتائج التجارب التى أجريت فيها . وقد بدأت باصدار كتاب ضحايا الأطفال تأليف أجنس دى ليما وهو مترجم بقلم الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف مدير التعلم بمدارس الجمعية الخيرية الاسلامية . وفى هذا الكتاب اتجاه جديد فى عالم التربية ، يفيد المعلمين ، ويحل لهم كثيراً من مشاكل التربية المدرسية . وقد قضت مؤلفة هذا الكتاب عدة سنوات فى البحث والدرس وزيارة المدارس الامريكية ، ودونت مشاهداتها وملاحظاتها فى هذا الكتاب بأسلوب وصفى قصصى ، واستخلصت عدة قواعد جديدة فى التربية . وقد أجاد الاستاذ المترجم فى نقل هذا الكتاب النفيس الى اللغة العربية ، واستطاع أن يبرزه على أحسن وجه . ولا غرابة فهو مرب قدير معروف ، تبوأ مركزاً محترماً بين افاضل المربين ، فضلا عن انه أديب واسع الاطلاع

كتاب البلهارسيا

تأليف الدكتور رمسيس جرجس

الدكتور رمسيس جرجس نطاسى قدير له مثابرة على الاعمال العلمية الدقيقة . وقد عنى ببحث مرض البلهارسيا المنتشر بكثرة فى القطر المصرى وبعض الأقطار الاسيوية والافريقية والامريكية . والف هذا الكتاب ، فاستوعب فيه كل ما يختص بالبلهارسيا ، فاضاف بذلك المجهود الذى قام به فى تأليفه الى الطب ثروة علمية جديدة

ويحتوى الكتاب شرحاً وافيا عن أصل البلهارسيا وتوالدها وسبب « سيروز » الطحال الناتج عنها . وله فى ذلك نظرية جديدة لم يسبقه اليها أحد ، وهذه النظرية كانت قد وجدت مقاومة من بعض الاطباء الا ان الكثيرين سلموا بها ، وهذا فضل كبير للمؤلف

وقد أرسل الاستاذ الدكتور واى استاذ الامراض الباطنية فى القصر العينى الى المؤلف خطاباً جاء فيه :

« قرأت كتابك القيم عن البلهارسيا مع كثير من الاهتمام والتقدير ، وهو كتاب نفيس يحتوى على ثروة من المعلومات التى لا توجد فى أى مؤلف آخر ، فهو بلا شك مفيد جداً لجميع الاطباء المشتغلين فى البلاد التى توطن بها هذا المرض »

ولا ريب أن شهادة عالم فاضل كالدكتور واى من خير الادلة على قيمة هذا المؤلف من الوجهة الطبية والعلمية ، فقد تخصص هذا الفاضل بالامراض الباطنية ، واشتغل ببحث هذا المرض عدة سنوات

بين الهلال وقرائه

الرياضة في المنزل

(القاهرة ـ مصر) ج . ع

ما هي أفضل رياضة يستطيع أن يمارسها في بيته [illegible]

(الهلال) [illegible] الرياضة [illegible] [illegible] أنواع الرياضة [illegible]

[illegible]

ان « الزغب » والشعيرات التي يعنيها [illegible] لا [illegible] الا [illegible] الطبيعي .

[illegible]

سيقان الحشرات

(الاقصر ـ مصر) [illegible]

رأيت اليوم [illegible]

(الهلال) [illegible]

[illegible]

الحمّى

(القاهرة ـ مصر) [illegible]

ما هو سبب الحمى وهل من وسيلة لازالتها ؟

(الهلال) سبب الحمى [illegible] الانسان [illegible]

[illegible]

بصمة الأصابع

(القاهرة ـ مصر) [illegible]

من أول من اهتدى الى فكرة بصمة الأصابع ؟

(الهلال) بصمة الأصابع [illegible] سنة ١٨٢٣ [illegible] بصمة الأصابع [illegible]

[illegible] بصمة الأصابع في تحقيق الشخصية

شعار الدولة البريطانية

(لاغوس ـ نيجيريا) داود خوري
لماذا جعل "شعار الدولة البريطانية بالفرنسية وهو قولهم : "Dieu et mon Droit" ؟
(الهلال) اول من اتخذ هذا الشعار ريكاردوس الملقب بقلب الاسد وذلك في معركة جيزور سنة ١١٩٨ للميلاد . وقد ظل هذا الشعار يكتب حتى الآن باللغة التي قيل بها في الاصل

طوابع البريد المصري

(لاغوس ـ نيجيريا) ومنه
لماذا طبع طابع البريد المصري باللغتين العربية والفرنسية بدلا من اللغتين العربية والانجليزية مع ما لانجلترا من المقام في مصر ؟
(الهلال) ليس لاستعمال اللغة الفرنسية في طوابع البريد المصرية بدلا من اللغة الانجليزية مغزى خاص سوى ارتباط مصر بمعاهدات البريد الدولية ، وهذه المعاهدات مكتوبة في الاصل كما لا يخفى باللغة الفرنسية

لسعة الحية

(دمنهور ـ مصر) أحد القراء
حدث في هذا الاسبوع أن افعى لسعت رجلا لسعة مؤلمة أصيب على أثرها بحمى شديدة وعالجه أحد الاهالي بوضع ورق التين على المكان الملسوع فشفي الرجل ولم يمت . فما رأيكم في هذا العلاج ؟
(الهلال) هو حديث خرافة بلا شك فليس في ورق التين ما يصلح ترياقا لسم الافعى . أما شفاء الملسوع فليس غريباً فان لسعة الافعى انما تكون مميتة في بعض الحالات دون غيرها كما لو كان الملسوع صغير السن او اذا كان سم الافعى قد وصل الى أحد الاوردة أو العروق أو كانت كمية السم المنفوث في الملسوع كافية لاحداث الوفاة . والشواهد كثيرة على أن في بعض الاجسام شبه مناعة فلا تؤثر فيها لسعة الافعى الا تأثيراً مؤقتاً

لسعة النحل

(دمنهور ـ مصر) ومنه
يقال ان النحلة تموت بعد أن تلسع فريستها . فهل هذا صحيح ؟
(الهلال) هذا هو الاعتقاد الشائع بين الجمهور اذ يقال ان النحلة تترك حمتها في جسم الملسوع فتموت . على أن اختبار العالمين بطبائع الحيوان لا يؤيد هذا الاعتقاد فقد ذكر الكثيرون أن النحلة تستطيع أن تلسع مراراً أى أنها لا تترك حمتها بالضرورة في جسم الملسوع . بل لقد ذكر مايرز وهو من الخبيرين بغرائز الهوام أنه كثيراً ما راقب نحلة تلسع فريستها وتترك فيها حمتها ولا تموت

وجه ابي الهول

(دمنهور ـ مصر) ومنه
قرأت في بعض المؤلفات أن انف تمثال ابي الهول (« تفتت ») بسبب ضرب المدافع في المعركة التي وقعت لنابوليون في سفح الاهرام . فهل هذا صحيح ؟
(الهلال) هذا هو الشائع . ولكننا نشك في صحته

بحيرة طبريا

(راشيا الفخار ـ الجمهورية اللبنانية) شكري مقري
يزعم بعض العلماء ان بحيرة طبريا كانت متصلة في قديم الزمن بالبحر الابيض المتوسط عن طريق مرج ابن عامر فقذف احد البراكين بحممه فسدت البرزخ الذي كان يصل بينهما . فهل هنالك ما يثبت هذا الزعم ؟
(الهلال) هذا الزعم من النظريات الخيالية التي يصعب اثباتها بالبرهان ، وليس من السهل أن ينفجر بركان فتملأ حممه برزخاً (على فرض وجود ذلك البرزخ) يزيد طوله على مائة كيلو متر ولا يعلم عمقه الا الله

نمو ذراع الانسان

(الموصل – العراق) كريم عبد المحسن

قرأت في احدى المجلات العلمية ان الانسان كان في اوائل عهد تطوره يعيش متسلقاً الاشجار . فهل هذا صحيح ؟ وهل ثبتت نظرية التطور ؟

(الهلال) هذا هو ما تقوله نظرية التطور وتؤيده قرائن كثيرة . ويظهر ان الانسان عند ما كان يعيش متسلقا الاشجار كانت ذراعاه أطول مما هما الآن نسبياً . فلما نزل عن الاشجار وصار يمشي على قدميه انكمشت ذراعاه تقصران طبقاً لناموس الانتخاب الطبيعي ولانه لم تبق به حاجة الى الذراع الطويلة

ويؤخذ من فحص الجنين البشري ان ذراعيه في أوائل أطواره تكون أطول نسبياً من ساقيه . وبمرور الزمن تقف ذراعاه عن النمو نسبياً ، ولكن ساقيه تظلان تزدادان طولا حتى اذا خرج الجنين الى الحياة بدا بذراعين وساقين متناسبتين

أما سؤالكم هل ثبتت نظرية التطور فالجواب عنه بالايجاب . وليس من العدل الاستمرار على تسمية مذهب التطور « نظرية » فقد دخلت هذه « النظرية » في عداد الحقائق العلمية . وما من مذهب علمي توافرت الادلة على صحته في خلال العقدين الماضيين من السنين كمذهب التطور . ولا يتسع هذا المجال لبسط تلك الادلة وشرحها

زهر « النرد »

(الموصل – العراق) ومنه

من أول من اخترع هذه المكعبات الصغيرة التي تسميها العامة « زهر » النرد ومن اخترع النرد « الطاولة » ؟

(الهلال) فاما النرد فقد اخترعه اردشير بن بابك من ملوك الفرس ، ولهذا أضيف اليه فقيل « النردشير » . و « الطاولة » كلة ايطالية معناها المائدة أو المنضدة . واستعمالها بمعنى النرد هو من قبيل حذف المضاف أي « نرد المنضدة أو الطاولة » وأما المكعبات التي تسميها « الزهر » فقديمة الاستعمال جداً ، وقد كان الاشوريون منذ ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة « يرمون النرد » من قبيل الاقتراع اذا أرادوا انتخاب كبار أصحاب السلطة والحكم . وفي جامعة يابل بامیرکا « زهر » قد نقش عليه اسم « ايامي » وزير شلمناصر الثالث الذي ملك على اشور في القرن التاسع قبل الميلاد . ويظهر ان الاشوريين كانوا ينقشون كل سنة اسم كل من يرشح للوزارة على « الزهر » فاذا جاء ميعاد تعيين الوزير اقترعوا على تعيينه مستعينين بالزهر . فمن أصابه الحظ عين وزيراً ودعيت تلك السنة باسمه . فكانوا يقولون : « وقع ذلك في سنة ايامي » مثلا أي في السنة التي كان فيها ايامي وزيراً . وكان الزهر المنقوش عليه اسمه يحفظ بين سجلات المملكة وآثارها

اليهود وفلسطين

(القدس – فلسطين) أحد القراء

بلغني ان أحد أساتذة الجامعة العبرانية بالقدس قد اكتشف نقوداً يهودية ترجع الى القرن الخامس قبل الميلاد . فهل كان اليهود يحكمون فلسطين في ذلك الزمن حتى يتمكنوا من سك نقود يهودية ؟

(الهلال) كان الظنون حتى عهد قريب ان يهود فلسطين لم يكن يؤذن لهم بسك النقود الى ان أباح لهم أحد ملوك سورية ذلك سنة ١٣٩ قبل الميلاد ، وان جميع بلاد فلسطين كانت قبل ذلك التاريخ تتعامل بنقود الدول الاجنبية التي كانت تخضعها بالتتابع . على ان الاكتشافات الحديثة تدل على انه لما انتصر الفرس على البابليين سمحوا لليهود المنفيين بالعودة الى القدس ومنحوهم استقلالا داخليا كان من جملة شروطه ان يسكوا نقوداً خاصة . ونظن ان هذه هي النقود التي تشيرون اليها والتي اكتشفها أحد أساتذة الجامعة العبرية عندكم

دورة الارض

(زيكلشور – السنغال) سليم حداد

من المعلوم أن الارض كروية تدور على محورها مرة كل أربع وعشرين ساعة . فلماذا نرى الطيار الذي يريد أن يسافر من أوربا الى اميركا مثلا يخاطر

بالطيران بدلا من أن يرتفع في الفضاء وينتظر بضع ساعات فتدور الكرة الارضية تحت طيارته وينزل في أميركا ؟

(الهلال) ما تقولونه كان يمكن لو استطاع الطيار أن يرتفع عمودياً في الجو وان يظل واقفاً بطيارته في الفضاء من دون أن يتحرك الى ان تدور الكرة الارضية وتصبح اميركا تحته . على أن الطيارة لا تستطيع الوقوف في الجو عدة ساعات بلا حركة . فضلا عن أن الارض لا تدور فقط على محورها بل هي تدور أيضاً حول الشمس بحيث لو فرضنا أن الطيار استطاع أن يقف بطيارته في الجو بلا حركة فان الكرة الارضية تحته لا تدور على محورها فقط بل تدور حول الشمس أيضاً فيرى الطيار بعد بضع ساعات ان مركزها قد تغير بسبب انتقالها وانها ليست تحته تماما

رواية تليماك

(زيكنشور ــ السنغال) ومنه

هل ترجمت رواية تليماك تأليف فنلون الى العربية ؟

(الهلال) رأينا ترجمة هذه الرواية في بعض المكاتب منذ نحو ثلاثين سنة

جلود الثعابين

(نيويورك ــ الولايات المتحدة) أحد القراء

من أين يؤتى بجلود الثعابين والزحافات التي تستعمل في صناعة الاحذية ؟

(الهلال) نظن ان الهند هي في مقدمة البلاد التي تصدر جلود الثعابين الى الخارج ، فقد بلغ عدد ما أصدرته منها في السنة الماضية (١٩٣٣) نحو اربعة ملايين ونصف مليون جلد افعي . وتليها « ملايا البريطانية » فقد اصدرت في السنة الماضية ١٧٤٩ طناً من تلك الجلود

ويخشى علماء الزولوجيا أن يؤدي استمرار هذه التجارة الى ابادة أنواع الثعابين ولا سيما غير المؤذية منها . وفي الواقع ان بعض هذه الانواع غير المؤذية قد انقرض الآن ويخشى ان تتبعه انواع اخرى

الذرة الشامية وحطب القطن

(السنبلاوين ــ مصر) باسيلي حنا الديب

لماذا تسمى الذرة البيضاء شامية وحطب القطن « هندي » ؟ فهل جاءت الذرة من الشام والقطن من الهند ؟

(الهلال) لم تأت الذرة في الاصل من الشام . وانما سميت البيضاء شامية لان بزورها أخذت من الشام . وقد ورد ذكرها في تاريخ الدول البائدة التي ازدهرت في ما بين النهرين أي دول الاشوريين والبابليين والفرس وغيرهم . اما القطن فلم يأت في الاصل من الهند ولكن في الهند اصنافاً خاصة يعرفها تجار القطن وزارعوه . وحطب هذه الاصناف هو الحطب الهندي . أما تسمية حطب الاصناف الاخرى بالهندي ــ اذا صح ان هذه التسمية شائعة ــ فخطأ

المناعة الاكتسابية

(السنبلاوين ــ مصر) ومنه

عرفت رجلا بترت ساقه بسبب مرض السرطان يقضي نهاره جالساً في مكانه وفي الليل يفترش الغبراء ويلتحف بالسماء وفي الشتاء لا يغطي جسمه الا نسيج رقيق وكأنه لا يتأثر بالطوارىء الجوية . فما قولكم ؟

(الهلال) في هذا الرجل ما يعرف بالمناعة الاكتسابية أي أنه قد اكتسب المناعة من البرد بالاعتياد والممارسة . والفقراء متصفون عادة بهذه المناعة

عيسى المسيح

(تياس ــ السنغال) سليم عنبر حداد

لماذا سمي المسيح عيسى ؟

(الهلال) عيسى اسم عبراني أو سرياني وقيل هو مقلوب يسوع وهو عبراني أيضاً . ولعله تحريف عيسو . واستعمله المسلمون اسماً للمسيح

الاسكندر الكبير

(تياس ــ السنغال) ومنه

لماذا سمي الاسكندر بالكبير ؟

(الهلال) سمي الكبير والاكبر وذا القرنين للدلالة على عظمة فتوحاته

وزارة المعارف ووزراؤها في مائة عام

نهضة جديدة يعتزمها وزير المعارف الحالي

« إن فى اولاد مصر نجابة وقابلية للمعارف » . . .

تلك هى الكلمة التى قالها محمد على باشا الكبير فى مفتتح النهضة الحديثة ، حينما قدم له أحد ابناء الشعب آلة لضرب الارز وتبييضه ، وكانت السطر الاول الذى خط للبدء فى نشر التعليم فى هذه البلاد بعد ما قضى عليه الحكم العثمانى فى عهد « المماليك البكوات » ، وأقفلت المدارس والروابط وخزائن الكتب ، ولم يبق إلا الجامع الازهر الذى احتفظ بقبس من نور العلم فى تلك العهود المظلمة ، وكان اثراً من نهضة العلوم والآداب فى عهدى الفاطميين والايوبيين والسلاطين المماليك . . ففى الحق ان مصر لم تفقد الاهتمام بالتعليم فى عصر مثل ما فقدته فى عصر المماليك البكوات الذين كانوا خاضعين للحكم العثمانى . فمصر منذ القدم منبع العلوم ومهد الحضارة وموطن الشرائع والطقوس وملجأ العلماء والادباء . وقد دخلها العرب فلم يقصروا فى نشر التعليم فيها . وأسسوا جامع عمرو بن العاص . فكان بمثابة جامعة عظيمة يؤمها الطلبة من سائر الانحاء . وكان يدرس فيه الطب والعلوم المدنية بجانب العلوم الدينية . وفى سنة ٣٦٠ هـ اسس الفاطميون الازهر لغرض سياسى فى المبدأ وهو نشر مذهبهم الشيعى والقضاء على المذهب السنى الذى كان يدرس بجامع عمرو ، وكان طلبته لا يزيدون وقتئذ عن ٣٥ طالباً . وجاءت



أدهم باشا

تولى الوزارة ثلاث مرات من ١٥ مايو ١٨٣٩ ـ ٢٤ مارس ١٨٤٩ ومن ١٨ اكتوبر ١٨٤٩ ـ ٨ مايو ١٨٥٠ ومن ١٦ يناير ١٨٦٣ ـ ٢٩ يونيه ١٨٦٣



مصطفى مختار باشا

تولى وزارة المعارف مرة واحدة من ٩ مارس ١٨٢٧ ـ ١٧ نوفمبر ١٨٢٨



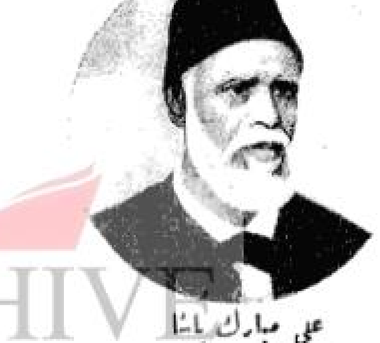
عبدي شكري باشا

تولى الوزارة مرة واحدة من ٩ مايو ١٨٥٠ – ١٦ ديسمبر ١٨٥٤



محمد شريف باشا

تولى الوزارة مرة واحدة من ٢٦ يوليه ١٨٦٣ – ١٤ ابريل ١٨٦٨



علي مبارك باشا

تولى الوزارة أربع مرات من ١٥ ابريل ١٨٦٨ – ٢٠ سبتمبر ١٨٧٠ ومن ١٣ مايو ٧١ – ٢٥ أغسطس ٧٢ ومن ٢٨ أغسطس ١٨٧٨ – ١٨ ابريل ١٨٧٩ ومن ١١ يونيه ١٨٨٨ – ١٢ مايو ١٨٩١



مصطفى بهجت باشا

تولى الوزارة مرة واحدة من ٢١ سبتمبر ١٨٧٠ – ١٢ مايو ١٨٧١



الأمير حسين كامل

تولى الوزارة مرة واحدة من ٢٦ أغسطس ١٨٧٢ – ١٤ أغسطس ١٨٧٣



مصطفى رياض باشا

تولى الوزارة ثلاث مرات من ١٥ أغسطس ١٨٧٣ – ٢٤ مايو ١٨٧٤ ومن ٢٥ يونيه ١٨٧٦ – ١٣ أكتوبر ١٨٧٧ ومن ٢١ فبراير ١٨٩٣ – ١٥ ابريل ١٨٩٤



محمد ثابت باشا

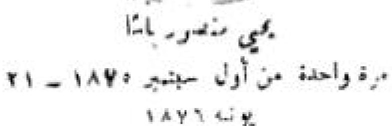
تولى الوزارة مرتين من ٢٥ مايو ١٨٧٤ ـ ٦ سبتمبر ١٨٧٤ ومن ٩ ابريل ١٨٧٩ ـ أول يونيه ١٨٧٩



الامير طوسون باشا

مرة واحدة من ٧ سبتمبر ١٨٧٤ ـ ٣١ أغسطس ١٨٧٥





يحيى منصور باشا

مرة واحدة من أول سبتمبر ١٨٧٥ ـ ٢١ يونيه ١٨٧٦

اسماعيل ايوب باشا

من ١٤ أكتوبر ١٨٧٧ ـ ٢٧ اغسطس ١٨٧٨



محمود سامي باشا البارودي

من ٢ يوليه سنة ١٨٧٩ ـ ١٧ أغسطس ١٨٧٩



على ابراهيم باشا

من ١٨ أغسطس ١٨٧٩ ـ ٩ سبتمبر ١٨٨١



محمد زكى باشا

من ١٤ سبتمبر ١٨٨١ – ٢ فبراير ١٨٨٢



عبد الله فكرى باشا

من ٤ فبراير ١٨٨٢ – ٢٦ مايو ١٨٨٢

الدولة الايوبية فاكثرت من إنشاء المدارس . وزاد عدد طلبة الازهر ونشرت التعليم فى بلاد القطر حتى بلغ عدد دور التعليم فى القاهرة فقط ١٥٥ واستمرت الحركة العلمية والادبية فى عهد السلاطين المماليك ، الذين لم يبخلوا بتشجيع العلم والتعليم وبحماية اللغة العربية من غزوات التتار . وقد نبغ فى عهدهم غير واحد من المشهورين كالقلقشندى صاحب « صبح الاعشى » وابن منظور صاحب « لسان العرب » وابن خلكان صاحب « وفيات الاعيان » والبوصيرى صاحب « البردة » وابن نباتة المصرى الشاعر المعروف وغيرهم

حتى اذا كان الفتح العثمانى أهمل العلم والتعليم فى مصر . وأغلقت المدارس . وبقيت مغلقة حتى تخربت . وضعفت اللغة العربية ضعفاً فاحشاً . ثم بعث الله لمصر محمد على باشا . فشرع فى إحياء نهضتها على الطريقة الحديثة . فانشأ المدارس على النظام الأوربى وأدخل فيها العلوم المدنية. وكانت أول مدرسة أنشأها مدرسة « المهندسخانة » بالقلعة سنة ١٨١٦ م على أثر مشاهدته هذا الاختراع الذى اخترعه « حسين شلبى عجوة » أحد ابناء الشعب لضرب الارز وتبييضه

وقد جعل رياسة هذه المدرسة لمعلم مماليكه حسن افندى الدرويش . وهو أول ناظر مدرسة فى النهضة التعليمية الحديثة . وكانت تدرس فيها الرياضة والهندسة واللغة التركية والعربية . وفى سنة ١٨٢٠ أمر محمد على بتدريس اللغة الايطالية فيها . فكانت هذه اللغة أول لغة أورية تدرس فى مصر

ثم أخذ محمد على باشا ينشىء المدارس المختلفة واحدة بعد أخرى فى القاهرة وأنحاء القطر . وكان لهذه المدارس مجلس شورى يبحث فى شئونها مؤلف من كبار رجال الحكومة . ولما اتسع نطاق التعليم وتعددت مدارسه رأى الحاجة داعية الى إنشاء ديوان خاص به . ففى ٩ مارس سنة ١٨٣٧ أنشىء ديوان المدارس وجعلت رياسته لامير اللواء مصطفى مختار بك . وهو يعتبر أول وزير للمعارف وكان يعرف فى ذلك الوقت بمدير ديوان المدارس



سليمان اباظه باشا

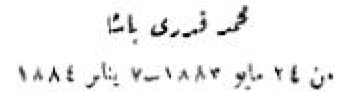
من ٢٠ يونيه ١٨٨٢ - ٢٧ أغسطس ١٨٨٢



احمد خيري باشا

من ٢٨ أغسطس ١٨٨٢ - ٢٢ مايو ١٨٨٣





محمد قدري باشا

من ٢٤ مايو ١٨٨٣ - ٧ يناير ١٨٨٤

محمود الفلكي

من ٩ يناير ١٨٨٤ - ١٨٨٥



عبد الرحمن رشدي باشا

من ٢٠ يوليه ١٨٨٥ - ٩ يونيه ١٨٨٨



حسين فخري

من ١٦ ابريل ١٨٩٤ - ٢٧ اكتوبر ١٩٠٦

أما المجلس العالى لهذا الديوان فكان يتألف من الرئيس و ١١ عضواً . وهم : رفاعة بك رافع الطهطاوى . وكلوت بك . وارتين بك . وأسطفان بك وكيانى بك . وحكيكيان بك . وفارين بك . ومحمد بيومى افندى . ولامبير بك . وم . دوزول . وهو سكرتير المجلس

وقد قرر هذا المجلس نظام التعليم بالمدارس المصرية . وأعد قانوناً خاصا به يحوى ٣٧ مادة نصت الثانية منها على وجوب انشاء خمسين مدرسة ابتدائية بالقاهرة وعواصم القطر . وكان ذلك فاتحة نشر التعليم الابتدائى فى انحاء البلاد المصرية . وبلغت ميزانية التعليم فى مصر سنة ١٨٣٩ (٢٤٦٫٧٨٤) جنيها

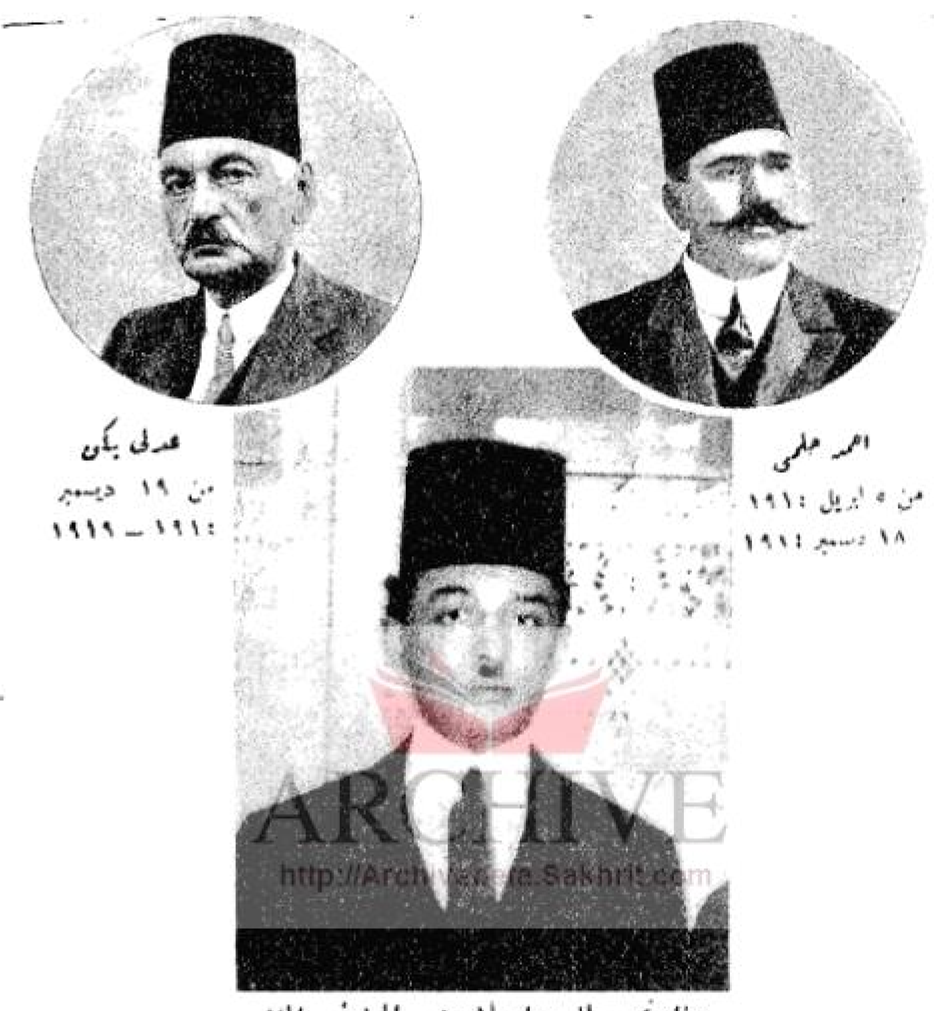
وفى سنة ١٨٤٠ بلغ عدد التلاميذ تسعة آلاف تلميذ . وميزانية التعليم ٨٨٫٢١٥ جنيها . وكانت ايرادات الدولة فى ذلك الوقت ٢٫٩٢٦٫٦٢٥ جنيها . وقد أصبحت ميزانية التعليم عندنا الآن نحو ثلاثة ملايين وثلثمائة الف جنيه

واذا استثنينا عهد الفتور والركود العلمى فى عهدى عباس باشا الأول . وسعيد باشا ، فاننا نستطيع أن نقول إن حركة التعليم قد استمرت فى تقدمها . ولقيت فى عهد الخديو اسماعيل تشجيعاً جبر مافاتها فى عهـدى سلفيه ، فاعاد تأليف الديوان ، وفتح ما أغلق من المدارس ، وجدد مدارس أخرى ، وزاد فى عدد أعضاء المجلس الأعلى للمعارف لجعلهم ٢٤ بدلا من ١٢ . واستمر هذا الأنتشار حتى وقتنا الحاضر . ومهما قيل فى عيوب حركة التعليم فى مصر ، فانها بلا شك كانت خير واسطة لربط مصر بالأمم الاوربية التى تحمل لواء المدنية والحضارة اليوم

وقد تولى وزارة المعارف منذ انشائها حتى اليوم عدد كبير من رجال مصر الاكفاء ، ونستطيع أن نذكر منهم هنا من لم يعرفهم الكثيرون حتى سنة ١٩١٩ . وهم حسب ترتيب توليهم الوزارة لاول مرة : مصطفى مختار بك ، ادهم باشا ، عبدى شكرى باشا ، محمد شريف باشا على مبارك باشا ، مصطفى بهجت باشا ، الامير حسين كامل (السلطان حسين) ، مصطفى


سعد زغلول باشا
من ٢٨ اكتوبر ١٩٠٦ – ٢٣ فبراير ١٩١٠


احمد حشمت
من ٢٤ فبراير ١٩١٠ – ١٤ ابريل ١٩١٤



احمد حلمى
من ٥ ابريل ١٩١٤ : ١٨ دسمبر ١٩١٤

عدلى يكن
من ١٩ ديسمبر ١٩١٤ ـ ١٩١٩

معالى نجيب الهلالى بك وزير المعارف الحالى

رياض باشا ، محمد ثابت باشا ، الامير طوسون باشا ، يحيى منصور باشا ، اسماعيل ايوب باشا ، محمود سامى باشا البـــارودى ، على ابراهيم باشا ، محمد زكى باشا ، عبد الله فكرى باشا ، سليمان أباظة باشا ، احمد خيرى باشا ، محمد قدرى باشا ، محمود الفلكى باشا ، عبد الرحمن رشدى باشا حسين فخرى باشا ، سعد زغلول باشا ، احمد حشمت باشا ، احمد حلمى باشا ، عدلى يكن باشا

أما من تولوا وزارة المعارف بعد سنة ١٩١٩ فهم معروفون مشهورون . ولنأت هنا بطرف يسير من سيرة أول وزير للمعارف وهو مختار بك ، وآخر وزير لها حتى الآن ، وهو نجيب بك الهلالى ثم نعقب ذلك بحديث معه

فامير اللواء مصطفى مختار بك قد تخصص فى دراسة الفنون الحربية فى البعثة الاولى التى ابا محمد على باشا الى فرنســـا . وكان قبل ذلك دويداراً فى ديوان محمد على ، وقد بعثه الى

فرنسا مع عبدى شكرى ، وحسن الاسكندرانى . وكلاهما من موظفى الديوان . ولما عاد سنة ١٨٣٢ أنعم عليه برتبة بكباشى مع لقب بك ، وقد اشترك فى الحرب السورية ، ثم اختير رئيساً لمجلس شورى المدارس قبل ان ينشأ الديوان . ولما انشأه محمد على اختاره مديراً له ، وأضيفت له الاشغال الهندسية ، فكان بمثابة وزير للمعارف والاشغال وقد توفى سنة ١٨٣٨

أما نجيب بك الهلالى ، فقد تخرج فى مدرسة الحقوق ، وكان استاذا بها ثم اختير سكرتيراً عاما لوزارة المعارف فوكيلا مساعداً بها ، فستشاراً ملكياً . وقد قضى فى وزارة المعارف قبل أن يتولى رياستها سبع سنوات، فهو من أخبر الذين تولوا شئون هذه الوزارة وحركة التعليم فيها

ساعة مع الوزير الجديد

وقد تفضل بمقابلتى فى الشهر الماضى ، ودار بيننا حديث عن وزارة المعارف وعيدها المئوى وعن شئون التعليم ، فقلت لسعادته :

ــ علمت انكم تفكرون فى الاحتفال بالعيد المئوى لوزارة المعارف فماذا تم فى ذلك ؟

فقال : « الاحتفال بالعيد المئوى لوزارة المعارف هو احتفال بالنهضة التعليمية فى مصر التى أنشأها محمد على باشا ، ونمت وترعرعت فى عهد خلفائه حتى وصلت الى ما وصلت اليه من التقدم والرقى فى عهد حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الاول

« وكل مطلع على تاريخ التعليم فى مصر يقدر تلك الجهود التى بذلت فى نشر العلم والتعليم . ويرى كيف بدأت هذه الوزارة ديواناً صغيراً كان يدعى ديوان المدارس ، ثم اتسع نطاقها وأصبحت نظارة فوزارة . فالاحتفال بالاطوار التى مرت بها . وبأول غرس للنهضة التعليمية فى البلاد ، لا شك مما يهم كل مصرى ومما تنبغى العناية به . ولقد عنيت باحياء هذه الذكرى والاحتفال بهذا العيد . فكلفت أحد كبار رجال التعليم بتحقيق تاريخ السنة التى أنشىء بها أول ديوان للتعليم بمصر . ولم أكتف بذلك بل ألفت لجنة لتحقيق هذا التاريخ ولوضع برنامج للاحتفال والعمل لتنفيذه فى الوقت المعين وطبع كتاب ذهبى له . وما زالت اللجنة تبحث هذا الموضوع حتى اذا جاء الوقت احتفل بهذا العيد احتفالا يليق بالنهضة التعليمية فى هذه البلاد »

قلت : « وهل تعتقدون ان وزارة المعارف قد أدت واجبها نحو التعليم فى هذه المدة ؟ »

فقال : « لا استطيع ان أجيبك عن هذا السؤال لأن المدة التى مضت وان كانت طويلة بعدد السنين ولكنها بالنسبة لعمر أمة تعد فترة قصيرة

« فمائة سنة ليست كافية لان تؤدى النهضة التعليمية فيها ما يجب ان تؤديه على الوجه الاكمل خصوصاً اذا علمنا انها بدأت فى وقت كان التعليم فيه مهملا كل الاهمال ، وكانت الرغبة فيه ضعيفة حتى اضطر ولاة الامور ان يغروا الاهالى بكثير من وسائل الاغراء حتى يقبلوا على التعليم

« ومهما قيل فى تقدم التعليم فى أمة من الامم فهذا لا ينفى ان هناك عيوباً يجب على ولاة الامور ان يعملوا لاصلاحها . ولذلك أخذت منذ وليت هذه الوزارة أدرس الحالة التى وصلنا اليها وما يتنابها من النقص والعيوب . فكلفت رؤساء التعليم العالى والثانوى والابتدائى والاولى بعمل تقارير عن حالة التعليم فى الاقسام المختلفة . كما كلفت رؤساء المدارس الاجنبية فى مصر بعمل تقارير عن انواع التعليم فى بلادهم الاوربية . والادلاء بآرائهم فى عيوب التعليم فى مصر . وقد وصلنى كثير من هذه التقارير وأخذت فى دراسة بعضها »

قلت : « كثيرون يشكون من اهمال العناية فى المدارس المصرية بتاريخ الحضارة العربية وتاريخ مصر القديم . فما الذى عزمتم عليه لربط مصر الحديثة بمصر العربية والفرعونية القديمة؟»

قال : «الواقع أنه ليست الشكوى فقط من اهمال العناية بتاريخ الحضارة العربية وتاريخ مصر القديم ، وليس هذا هو العيب الوحيد ، بل هناك عدة عيوب تحتاج الى الاصلاح . وفى مقدمتها هذا البرنامج الضخم الذى فرض على التلامذة فرضاً وضعفت قواهم عن النهوض به . وهو من أهم الاسباب فى ضعف الانتاج عندنا لان هذا التضخم بطبيعته لا يساعد فى اتقان علم من العلوم المختلفة التى يتلقاها التلاميذ ، بل يضطرهم الى تحصيل القشور واهمال اللباب من كل علم ، حتى اذا انتهت الدراسة نسوا القشور أيضا وخرجوا الى الحياة العملية دون أن يتقنوا شيئاً ، ودون أن ينتفعوا من هذه السنين الطويلة التى قضوها فى المدارس إلا بالنزر القليل من العلوم »

قلت : « وما الذى عزمتم عليه القضاء على الامية ؟ »

قال : « لو انكم قارنتم ماينفق على التعليم الأولى فى مصر الآن بما كان ينفق عليه فى انجلترا سنة ١٨٩٥ لوجدتم اننا ننفق لمكافحة الأمية اضعاف ما كانت تنفقه انجلترا على التعليم الاولى . فانجلترا ـ هذه الامة الكبيرة ـ كانت تنفق مائة الف جنيه على التعليم الاولى . وكانت الامية عندها وقتئذ ليست كالامية عندنا فى عام ١٩٣٥ ، ومع ذلك فنحن ننفق لمحاربة الامية فى العام مليونا واربعمائة الف جنيه أى أكثر من ثلث ميزانية وزارة المعارف . ولا ريب أن هذه الحالة تستدعى الدرس وسنهتم بها كل الاهتمام ، لان التعليم الاولى هو أهم فروع التعليم ، وهو الذى نستطيع به القضاء على الامية التى كانت وما زالت سبباً فى تأخر الامة وضعفها . ولا شك ان مكافحتها من أول واجبات الوزارة . وسوف لا نألو جهـــداً فى تعميم التعليم الاولى واصلاحه ، ونحن نرحب بل نشجع كل من يتقدم لمعاونتنا فى هذه السبيل

« واعتقد اننا فى العام القادم تستطيع وزارة المعارف أن تواجه الامة باصلاح شامل فى جميع فروع التعليم . فلا ينقضى القرن الاول للوزارة حتى تكون قد دخلت فى طور من الاصلاح جديد »

طاهر . . .

الكتابة والأدب

الادب فن وحده له حدوده ومراميه

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

« .. قد يجول بخاطر بعضهم ان يسأل عن السبب في تحديدي نطاق الادب ، وعدم رضاي عن التوسع فيه واعتبار كل كلام جاد أسلوبه وحسن أداؤه أدبا . وقد يكون لهذا البعض العذر اذ كان هذا المدى الواسع قد أقر في بعض عصور مضت لتعريف الادب . لكن التبويب والترتيب في العلوم وفي الفنون قد صار بعض مايختمه عصرنا الحاضر .. »

فري عالم إيطالى وكاتب في الفلسفة الجنائية ضليع . ومن بين مؤلفاته الكثيرة كتاب صغير الحجم عنوانه «المجرمون في الأدب والفن» عرض فيه لما تناوله رجال الأدب ورجال الفن من شؤون المجرمين وما صوروه من حالاتهم النفسية ، وكيف ألم بعضهم حقائق في أحوال المجرمين النفسية لم يكشف العلم الجنائى عنها إلا بعد قرون من حياة هؤلاء الكتاب ، وكيف وفق بعضهم الى تصوير هذه الحقائق النفسية تصويراً أوفى على الغاية من البراعة والدقة . وإنى لأذكر مثلين مما ورد في هذا الكتاب يصوران الالهام في أحدهما وبراعة التصوير فى الثاني . فأما الاول فشخصية هملت فى روايات شكسبير . هذه الشخصية الفذة من الناحية الروائية ، الدقيقة غاية الدقة من ناحية علم النفس الجنائى . فها هو ذا هملت يقتل دنكان ولا يعلم بأمره إلا امرأته . مع ذلك يقف وخنجره مسلول يقطر منه الدم يروى لنفسه حديث جريمته ويصور بشاعتها وعجز مياه البحار جميعاً عن أن تطهر هذا الخنجر المخضب بدم الجريمة ، ذاهلاً عمن قد يسمعه فيعرف خبره فيحدث الناس عنه ليثأروا منه ـ هذا الذهول الذي يصيب الجاني في أعقاب ارتكاب جنايته ، والذى يدفعه ليطوّف بمكانها وليدور حولها ، والذى ينتهى به آخر الأمر إلى الاعتراف ، حقيقة كشف عنها علم النفس الجنائي بعد قرون من موت شكسبير ومن وضعه روايته الخالدة ومن تمثيلها على المسارح مئات المرات بل ألوفها . فالهام الحياة لعبقرية شكسبير هو إذن الذى جعله يلمس الحقيقة قبل أن يراها العلم ، ويصورها في هذه الصورة الشعرية القوية ، التى ما تزال مثلا من أروع ما أخرج الأدب للناس في مختلف عصور الحياة

أما المثل الثاني فشخصية راسكلنيكوف في قصة الجريمة والعقاب لدستويفسكي . راسكلنيكوف

هذا شاب فقير يدرس في الجامعة ولا يجد ما يقتات به ، فيقترض من عجوز مقابل رهنه لديها ما يملك من متاع ، ثم يدفعه فقره و بؤسه فيقتل هذه العجوز ويتمكن من الفرار . لكنه مع ذلك يظل يطوف حول مكان جريمته حتى تقوم الشبهات حوله وحتى يتنبه قاضي التحقيق لامره إلى أن ينتهي به إلى الاعتراف . فقد بلغ دستويفسكى من براعة التصوير لحال راسكلنيكوف النفسية مبلغاً سجله قرّى في كتابه باعجاب غاية الاعجاب . وقرّى إذ يتحدث عن هذين المثلين وعن غيرهما مما تناوله الادب والفن من شؤون المجرمين ، يتحدث ببراعة فى العبارة وحماسة في الاسلوب وحسن أداء للمعانى لا تقل كلها روعة عن تصوير شكسبير لهملت ودستويفسكى لراسكلنيكوف . مع ذلك لم يقل أحد إن قرّى أديب أو إن كتابه هذا بعض كتب الادب . إنما قرّى عالم مدقق في البحوث الجنائية ، وفي مباحث علم النفس الجنائى . وهو إذ تناول ما ألهم الجناة الادب والفن إنما تناوله كبحث من مباحث العلم الجنائي والفلسفة الجنائية

ومن أروع الكتب الفرنسية التي قرأت في جمال الاسلوب كتاب فريسينيه رئيس وزراء فرنسا إبان حوادث الثورة العرابية فى مصر عن المسألة المصرية . وهو قد كتب هذا الكتاب يدافع فيه عن سياسته التي أدّت الى انفراد انكلترا بضرب قلاع الاسكندرية و بدخول مصر . والكتاب بهذه المثابة كتاب تاريخ وليس كتاب أدب . فهو يسرد لوقائع تلك الفترة من التاريخ السياسي لمسألة كانت موضع التنافس بين فرنسا وانكلترا ، وتوجيه للحوادث يدفع المؤلف به شبهات الذين اتهموا وزارة فريسينيه بأنها أساءت في القيام على مصالح فرنسا وعلى نفوذها فى وادى النيل ، بعد أن كان هذا النفوذ قد استتب منذ الحملة الفرنسية في مصر ، ومنذ شق قناة السويس ، ومنذ كانت الثقافة الفرنسية صاحبة النفوذ الاول فى ثقافة المصريين

ويضارع كتاب فريسينيه في روعة الاسلوب كتاب بالانكليزية عن مصر أيضاً . ذلك كتاب ملنر « انكلترا فى مصر » ، فإن فيه صحفاً بالغة من السمو ومن القوة ما يهز النفس وما يدعو الانسان لاعادة تلاوتها غير مرة . مع ذلك فلم يقل أحد إن الكتاب كتاب أدب ، و إنما هو كتاب في التاريخ السياسى

وما أزال أذكر كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة و إن كنت قد قرأته منذ أكثر من خمس وعشرين سنة ، وأذكر كيف جذبني إلى إتمام قراءته وأنا بالريف حيث لا كهرباء ولا مثلها حتى بلغ مني الجهد وسقط المصباح على الفراش وكدت وكاد البيت يحترق . فالامامة

والسياسة ليس من كتب الادب بل هو من كتب التاريخ ، أو التاريخ السياسي إن شئت . ولن يغير جمال أسلوبه وقوة عبارته ودقة ادائه من أنه ليس من كتب الادب . فجمال الاسلوب ودقة الأداء واجبة في الكتابة كلها . وعلى الذين يكتبون في العلم أو في الفلسفة أو في التاريخ أو في الفقه أو في أي ما شئت من نواحي العلم الانساني أن يبلغوا منها غاية ما تمكنهم مواهبهم . لكنها لا تجعل كتاباً من كتب العلم أدباً ، ولا كتاباً من كتب الفلسفة أدباً ، لان الادب فن وحده له حدوده وله مراميه . فما لم تتناوله هذه الحدود ، وما لم يقصد الى هذه المرامي من ألوان الكتابة المختلفة ، فلا يمكن أن يحشر في زمرة الادب

سقت هذه الامثال إيضاحاً للفكرة التي وقع عليها الخلاف بيني وبين صديقي الدكتور طه حسين على صفحات الهلال في الشهرين الماضيين . وأضيف إليها أن ما يكتب في تاريخ الادب للعلم بالادب ليس أدباً . فكتاب أسرار البلاغة للجرجاني ليس أدباً وإن ساق في أمثاله طرفاً كثيرة من الادب . وكتب فقه اللغة ليست أدباً هي الاخرى . إنما الادب فن تنطوي تحته ألوان معينة من الكتابة كالقصة والاقصوصة والرسالة وما اليها في النثر ، وكالشعر الذي يقصد منه إلى غايات أدبية فنية . فأما ماعدا ذلك من ألوان الكتابة نثراً وشعراً ، فليس أدباً وإن بلغ أسلوبه غاية البراعة ، وبلغ الأداء فيه غاية الحسن

قد يجول بخاطر بعضهم أن يسأل عن السبب في تحديدي نطاق الادب وعدم رضاي عن التوسع فيه واعتبار كل كلام جاد أسلوبه وحسن أداؤه أدباً . وقد يكون لهذا البعض العذر اذ كان هذا المدى الواسع قد أقر في بعض عصور مضت لتعريف الادب . لكن التبويب والترتيب في العلوم وفي الفنون قد صار بعض ما يحتمه عصرنا الحاضر . والكتب التي كانت تضم في الماضي أشتات العلوم والفنون مبعثرة على صفحاتها في غير نظام لم يبق لها اليوم وجود . وشتان بين دوائر المعارف المهذبة المنظمة المرتبة على طريقة علمية وبين بعض الكتب القديمة تخرج بك من مادة الى مادة لا صلة بينهما تدعو الى تجاورهما لتزج بك بعد ذلك في مادة ثالثة بعيدة كل البعد عنهما . وترتيب العلوم وتدريجها من الابسط الى الاكثر تركيباً ، ومن المكتفي بنفسه الى المحتاج الى علوم غيره ، قد استنفد مجهوداً غير قليل أثناء القرن الماضي في أوربا . والفن الواحد يبوب اليوم ويقسم وتطلق الاسماء على مختلف ألوانه وتحدد الصلة بينها . فلا بد إذن من وضع الحدود لكل فن كما وضعت الحدود لكل علم ، ولا بد من تحديد ما يدخل في الادب من ألوان الكتابة وما لا يدخل فيه

ولقد بلغ من انتشار روح التبويب والتحديد أن قامت منذ سنوات حركة في أوربا لتفصل بين الادب والمسرح ، وتقول إن القطع المسرحية لا تدخل فى الادب ، وإن الكاتب المسرحي لا يدخل في زمرة الادباء وإن كان يدخل بطبيعة الحال في زمرة الكتاب ، وكان بذلك صاحب فن مستقل عن الادب . وكان أصحاب هذا الرأي ممن يفرقون بين الادب والمسرح يعتمدون في رأيهم على أن المسرح لا يحتاج بالضرورة إلى مقومات الادب في القصة والاقصوصة ، وأن له مقومات خاصة به تجعل الاسلوب وتأثيره في القارىء والسامع ، مما لاغنى للقصة والاقصوصة والرسالة عنه ، بعض ما يجب أن يتنزه المسرح عنه . صحيح أن هذا الرأى حورب من بعد ذلك وأن كثيرين يصرون على أن المسرح بعض فنون الادب وألوانه . لكنه يدل على روح التبويب الذى انتشر وتغلغل في جميع نواحي الحياة الفكرية والفنية

وليس انتشار هذا الروح ضرباً من العبث وهو ليس فضولا يدعو اليه الترف الذهنى وحده . إنما تدعو اليه حاجتنا الى تنظيم التفكير حتى لا يضطرب ولا يتشوش . وهو أثر محتوم للطريقة العلمية التي غزت عالم الفكر في الاجيال الاخيرة . وفى رأيي أن التبويب للعلوم والفنون من أهم ما يجب أن تعنى به الدراسات وتتناوله البحوث ويتدرب عليه المتهذبون وطلاب العلم والادب في الجامعات . فهو خير ما يوجه أذهانهم الى التفكير على الطريقة العلمية دون سواها . والتفكير على هذه الطريقة العلمية أكفل ببلوغ ما نطمع في بلوغه من حسن أو خير أو جمال ، وهو كذلك حسن في البحوث النفسية والروحية . بل هو كذلك حسن في الانتاج الفني الذي لا يتقيد بطبيعته بطريقة معينة لانه يتأثر أولا وقبل كل شيء بذاتية رجل الفن

ذلك إذن هو ما يدعوني الى التدقيق في تحديد الادب وفنونه وألوانه ، وهذا التحديد بحاجة لا ريب الى مجهود غير ما يبذل الانسان في فصل قصير كهذا الفصل ، مجهود يتوفر عليه أساتذة الادب ويتوفر عليه الادباء أنفسهم . وغاية ما أستطيع أن أقوله هنا أن الادب كفن إنما تغلب فيه الذاتية . أما العلوم والفنون التى تتناول الآداب بالبحث ، ومن بينها النقد ، فتغلب فيها الموضوعية . وهذه الفنون والعلوم ليست دون الادب في حياة العالم العقلية وفي فنون الكتابة مقاماً . بل إن منها ما يبز الادب وما يبلغ اليه هوى النفس المهذبة أشده . فلعل هذا التبويب الذى أدعو اليه ينال ماهو جدير به من عناية في الجامعة المصرية . ولعل صديق طه يكون أكبر أعوانه والعاملين عليه

محمد حسين هيكل

شقاء الادباء والعلماء

ليس الفقر حليف العلم والادب

بقلم الاستاذ احمد امين

من المشهور منذ الاجيال الماضية ان البؤس حليف الادباء والعلماء ، وان ذكاء المرء محسوب عليه كما يقولون . وقد أكثر الشعراء في شكوى هذه الحال التي اختص بها — في رأيهم — أولو العلم والادب . ولكن الاستاذ احمد امين يرى غير هذا الرأي ، ويذهب الى ان العلماء والادباء كغيرهم من سائر الطوائف . فيهم الغني والفقير ، والمجدود والمحروم ، وان حالهم ليست بأسوأ من أصحاب المهن الاخرى ان لم تكن أحسن منهم ، كما ترى فيما يلي :

لفت نظر الناس قديماً وحديثاً ما يعتري الفئة العاقلة من بؤس وشقاء ، وأكثروا القول في ذلك بين شاعر وفيلسوف ، عربي وغربي

فقديماً عرض المتنبي لهـذا المعنى وأبان بطريقته الشعرية المعروفة أن خير الناس غرض للزمان يصوب اليهم سهامه ويخصهم بأشد آلامه :

أفاضل الناس أغراض لذا الزمن يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

وتابع الشعراء على هـذا المعنى فصوروه صوراً مختلفة بحسب مقدرتهم الفنية ، وشاع بين الأدباء ان الادب حليف البؤس والفقر فسار على ألسنتهم القول المشهور : « أدركته حرفة الادب » ، وقصروا قولهم على الادب ولم ينظروا الى العلماء عامة لأنهم أدباء لا يشعرون شعوراً قوياً إلا بأمثالهم من أهل حرفتهم . ولكن كان غيرهم أوسع نظراً واكثر إحاطة فلم يقتصروا على الادب والادباء والعلم والعلماء ، بل عمموه في ذلك وفيما وراء ذلك فقالوا : « ذكاء المرء محسوب عليه » يريدون ان يقولوا ان الطبيعة عدلت بين الناس فنحت بعضهم جهلا ومالا وغباء ومنحت بعضهم فقراً وبؤساً وذكاء فتعادلت المنح وتساوت العطايا . ولكن صدمهم ما رأوا في بعض الناس من ثروة وعلم أو ثروة وأدب ، وما رأوا عند بعضهم من حمق وفقر ، ومن جهل وبؤس فأغمضوا أعينهم عن ذلك وعدوه شذوذاً في الطبيعة ولها في كل فن شذوذ

* * *

وعالج ابن خلدون هذا الامر لا من الناحية الشعرية كما فعل المتنبي وأضرابه بل من ناحيته الفلسفية ، فعقد في مقدمته فصلا عنونه « بأن القائمين بأمور الدين من القضاء والفتيا والتدريس

والامامة والخطابة ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم فى الغالب » وعلل ذلك بعلتين : الاولى ان المال ـ عادة ـ فى يد أرباب الدولة وهم يمنحونه حسب حاجتهم الى من يمنحونهم ، واضطرارهم اليهم . وحاجتهم الى هذا الصنف من الناس قليلة محدودة فكان عطاؤهم إياهم قليلا محدوداً ، ومن أجل ذلك قلت مرتبات القضاة والخطباء والمدرسين عن امثالهم من رجال السيف ونحوهم ، وحتى اذا احتاج أرباب الدولة الى هذا الصنف فانما يحتاجون هذه الحاجة الضعيفة الى عدد قليل منهم ، ويبقى العدد العديد بعيداً عنهم لا يناله شيء منهم فيصبح بائساً فقيراً . والعلة الثانية ان هذا النوع من العلم فى نظر ابن خلدون يكسب أصحابه عزة وأنفة وإباء تجعلهم لا يخضعون لمن فى يدهم المال ولا يتملقونهم ، وقد جرت عادة أرباب الاموال وأرباب الجاه ألا ينزلوا عن قليل مما فى أيديهم إلا بكثير من الملق وكثير من الخضوع والذلة

وعالج ابن خلدون نفس الموضوع علاجاً قريباً من هذا فى موضع آخر من مقدمته فرأى ان من اسباب شقاء العلماء والادباء ، ان العالم إذا تبحر فى علمه أو الكاتب المجيد فى كتابته أو الشاعر البليغ فى شعره يتوهم ان الناس محتاجون اليه فيترفع عنهم وكلما أجاد فى فنه زاده ذلك ترفعاً على الناس وملأه اباء وأنفة واستصغر من عداه ، وعد الخضوع للناس مذلة وهواناً وسفها ، وحقد على من قصر فى احترامه ، وأدخل على نفسه الهموم والاحزان من غمطهم حقه وتقصيرهم فى تقديره ـ ويقابل ذلك من الناس شعورهم بتاهه وكبره وتقديره نفسه فوق قدرها فيمقتونه ويكرهونه ، ويترفعون عليه اذ ترفع عنهم ، وكان أشد الناس مقتاً له أصحاب الجاه لأنه ينازعهم الجاه والعظمة فينقطع عنهم وينقطعون عنه ويأبى أن يتعاهدهم أو يغشى منازلهم فيأبون ان يصلوه بمالهم أو يتعهدوه بمنحهم » فيفسد معاشه ويبقى فى خصاصة وفقر أو فوق ذلك بقليل فاما الثروة فلا تحصل له أصلا »

والذى نلاحظه على » ابن خلدون » انه وسع نظره فلم يقصر حكمه على الادباء بل عممه على العلماء والكتاب بل وعلى كل ماهر فى صناعة ، ولكنه قصر فى معالجته المشكلة ، وقصر قوله على احية المالية المادية ولم يتعرض لناحية ما يعترى المثقفين من الهموم المعنوية كما سنبينه بعد

• • •

نول » جون ستورت مل » فى رسالته فى مذهب » المنفعة » ان الانسان اذا كبرت وبعدت غايته شعر دائماً بأن ما يؤمله من السعادة لم يحدث بأكمله وما يتوقعه منها لا يتم ما دامت الدنيا هى الدنيا وهو ـ مع ذلك ـ يحتمل هذا النقص إن كان مما يحتمل ، وهو لا يحسد من لم يشعر بهذا النقص ولم يدرك مافيه من خيرات ، ولأن يكون الرجل انسانا غير راض خير من ان يكون خنزيراً راضياً ، ولأن يكون سقراطاً غير راض خير من ان يكون أبله راضيا ، واذا رأى الخنزير أو الابله رأيا غير ذلك فانما سببه انه لا يدرك غير ما هو فيه ، اما الاول

فيدرى الحالتين معا ويفضل العيشة الانسانية الحكيمة مع السخط على المعيشة الحيوانية مع الرضاء ،

لجون ستورت مل بهذا قد مس ناحية غير التى مسها ابن خلدون وأعنى بها الشقاء العقلى أو الروحى أو ما شئت فسمه

* * *

إذن تعرض هؤلاء الكتاب وأمثالهم الى مسألتين ، وادعوا دعويين : الاولى مادية والاخرى عقلية روحية. فالدعوى المادية او المالية ان العلماء والادباء من كتاب وشعراء مهضومو الحق فى هذه الحياة وان الفقر حليفهم غالباً وانهم لم ينالوا حظهم فى الحياة كما نال غيرهم . ولكن هل هذا صحيح ؟ هل هم مغبونون فى الحياة اكثر من غيرهم ؟

يخيل لى ان هذه الدعوى غير صحيحة وانا لو قارنا بين طائفة العلماء والآدباء وطائفة التجار وطائفة الصناع والزراع وأحصينا دخل كل طائفة لوجدنا العلماء والادباء ليسوا أسوأ من غيرهم ان لم يكونوا أحسن منهم حالا . نعم فيهم الفقير البائس ، ولكن أية طائفة من تجار وزراع وصناع ليس فيها الفقير البائس ؟ كل طائفة فيها غنيها وفقيرها وفيها من ينهال عليه المال انهيالا ومن عدم القوت . والعلماء والادباء فى كل أمة خاضعون لهذا القانون . ففى العلماء من اغتنى من آرائه وبحوثه وكتبه . ومن الادباء من أغنته رواية وضعها أو كتاب نشره . كما فيهم من ضاقت بهم السبل وتلمسوا كل الوسائل ففشلوا . فالعلم والادب والشعر وسيلة من وسائل العيش كالزراعة والتجارة والصناعة ، ولكن هذه الوسائل جميعها قد تنجح فى يد بعض الافراد فتدر عليهم عسلا ولبناً وقد تفشل فلا تأتى بشىء . فدعوى ان العلم والادب حليفا الفقر لم يقم عليها برهان بل شواهد الاحوال تكذبها ولا نستطيع تصديقها حتى يأتى المدعون باحصاء للطوائف المختلفة يتبين منه ان دخل العلماء أقل من دخل غيرهم

وأخشى ان يكون الامر فى الناس على السواء ولكن لما كان العلماء والادباء أقدر على تصوير حالتهم بأقلامهم اكثروا من الشكوى وبالغوا فى وصفها فشكوا شعراً وشكوا نثراً وشكوا أمثالا حتى أدخلوا فى أوهام الناس انهم أشد بؤساً وانه لم يظلم احد كما ظلموا . ولو كان لغيرهم قدرتهم اللسانية والقلمية لشكوا شكواهم وندبوا حظهم مثلهم

انما هناك سبب حقيقى جعلهم يشكون ويلحون فى الشكوى ويصورون دعواهم فى صورة الحقيقة حتى خيل للناس انهم على حق . ذلك ان علمهم أو ادبهم مكنهم من معرفة الدنيا معرفة واسعة فهم يعرفون الحياة وألوانها ولذائذها وآلامها ، قد خالطوا الاغنياء والمترفين فعرفوا صنوف الترف والنعيم ، وترددوا فى الاوساط المختلفة فعرفوا كيف يعيشون وكيف ينعمون فلما سكنوا الى انفسهم ليضعوا برنامج حياتهم ورسموا مطالبهم وأمانيهم ، رسموا

صورة كاملة ممتعة وجعلوا من أجزائها كل صنوف اللذائذ وزادهم غلواً فى مطالبهم أن رأوا عقلهم اكبر من عقل الاغنياء الجاهلين وأدبهم لا يستطيع ان يفهمه الاغنياء المترفون. فلم لا يكونون احق بالترف والنعيم ممن سواهم ؟ ولم لا يضعون لانفسهم برنامجاً فى الحياة ان تواضعوا فيه فلا يصح ان يكون اقل مما ينعم به هؤلاء المغفلون؟ - فلما لم يتحقق برنامجهم كاملا شكوا وأفرطوا فى الشكوى وندبوا العلم والادب ، ورووا الاشعار ، وتمثلوا الامثال . وفاتهم ان قوانين الحياة فى الغنى والفقر لا تستند على العلم وحده ولا على الادب وحده بل قد تستند على اشياء أخرى لا علاقة لها بالعلم والادب

• • •

والدعوى الثانية ان أرقى الناس عقلا وأقوامهم فكراً وأحدهم عاطفة وأكثرهم علماً وأعلاهم أدباً أشدهم تبرماً وأمعنهم شقاء وأكثرهم سخطا ، لا من الناحية المادية المالية بل أهم من ذلك من الناحية العقلية والروحية ، حتى ولو أتيحت لهم أسباب النعيم وبسط لهم فى الرزق كما قال المتنبى أيضاً :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله   وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

وهى دعوى صحيحة الى حد ما . فكثير من العلماء والادباء نغص عليهم الحياة كبر عقلهم وقوة شعورهم . اتسع أفقهم فتعددت أسباب ألمهم ، وكبرت نفوسهم فصغرت الدنيا فى أعينهم

غير انى أريد ان أقرر ان ليس كل علم يسبب هذا الالم ، ولا كل أدب يبعث هذا الهم ، فمن تبحر فى علم الهندسة أو الطبيعة والكيمياء أو اطلع على الادب وحفظ الكثير منه وأجاد تقليده ، أو بلغ فى الصرف والنحو مبلغاً كبيرا ، كل هؤلاء ان لم يمسوا الحياة الاجتماعية ويوسعوا نظرهم فيها فهم والجهال سواء من حيث الهم والالم من الحياة ، لا يزيدهم علمهم هماً ولا أدبهم ألما . انما يتبرم بالحياة أشد التبرم ويألم أشد الالم قوم من العلماء أو الادباء أو الفلاسفة أدركوا الحياة الواقعية إدراكا صحيحاً ورأوا ما فيها من شقاء وعناء ، ثم حلقوا فى جو السماء واستوحوا منه مثلا أعلى للحياة ثم رأوا أن المثل الاعلى يبعد كل البعد عن الواقع ، وأن العدل والحق والانسانية فيه تسير مشرقة ، والحياة الواقعية بظلمها وجورها وعدم معقوليتها تسير مغربة ، ثم منحوا مع قوة عقلهم وعلومثلهم إحساساً دقيقاً عالياً بحب الانسانية وخيرها غمر نواحيهم وملك عليهم نفوسهم

هذا العقل الراقى العالم بأمراض المجتمع وسيئاته ، وهذا الشعور بالخير للانسانية إذا اجتمعا فى إنسان سببا له الهم والحزن والسخط غالباً . وهو مع ذلك لو خير لا يرضى أن يفقد عقله الواسع ولا شعوره الحساس إذا وعد بالغبطة والسرور والرضا ، لانه يعطف على ألمه وسخطه

ويحبهما ويفخر بهما ، ويرى أن ما هو فيه ألم لذيذ أو لذة مؤلمة لا يرضى بها بديلا ، وأنه ان انحط لدرجة الرضا التام فقد لذته برفعته ، وغبطته بعلوه عن العامة وأشباههم ، وهو يحس فى هذا كله لذة لا يضيرها أنها مشوبة بالألم الممض المضنى

ولكن ماسر هذا الألم الذى يسود الكبير العقل الدقيق الحس ؟

أهم سبب أنهم يطمحون أن يسير العالم وفق المنطق ووفق العقل ، ووفق ما يتصورونه من العدل المطلق ، ووفق مارسموا من مثل أعلى ، ولكنهم سرعان ما يصطدمون بالواقع فيرون أن الأمور فى هذا العالم لا توزن بميزان العدالة إلا فى الأقل النادر ، وأن شؤونه أكثر ما تقوم انما تقوم باعتبارات سخيفة ، من مظهر اوجاه أو علاقات شخصية ، وأن الشهوات تسير الأمور أكثر مما يسيرها الحق والعدل ، وأن تصور العدالة من أكثر الناس تصور سخيف هو شهوات باطلة لبست ثوب الحق خداعاً وادعاء كاذب مزيف ظاهره جميل وباطنه مشوه . ثم هم يرفعون صوتهم بالدعوة الى الحق فكأنما يرسمون فى هواء ، أو يخطون فى ماء ، أو كأنهم يبذرون فى صحراء أو يحرثون فى بحر ، فالناس الناس ، وقد اطرد القياس

وهم شديدو الحب لخير الانسانية شديدو الشغف للعمل على اسعادها ، وإذا بهم يرون مايقع لايرضيهم وما يرضيهم لايقع فهم فى اضطراب دائم ، وحزن عميق

ويرون - أيضاً - أن العالم كما هو محكوم بالعدالة المعوجة والشهوات الحادة - محكوم كذلك بأحداث القدر والمفاجآت الغريبة التى تهدم فى كثير من الاحيان آمالهم ، وتقلب براجهم رأساً على عقب

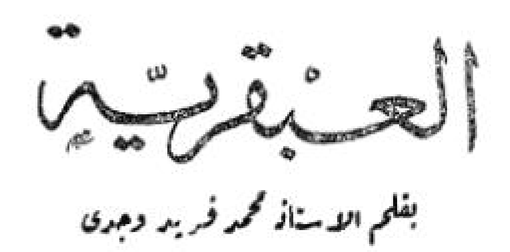
ومن أجل هذا جاءت الأديان تنعى على هذا العالم ، ولا تتوقع منه خيراً وتصفه بأنه لهو ولعب وتفاخر بالأموال وتكاثر بالبنين والجاه

وسبب آخر يذكره علماء النفس وهو أن الانسان كلما رقى اتسع موضع الرضا من نفسه أو كما يعبر بعضهم كبر عنده حوض اللذة فأصبح لا يرضيه من اللذائذ ما يرضى الوضيع المنحط . إن الطفل الصغير ترضيه قطعة من الحلوى وتملؤه غبطة وسروراً والغر من الناس يرضيه الاكل اللذيذ والفراش الوثير وكفى ، وعلى الدنيا بعد ذلك العفا . أما الفيلسوف الراقى فيضع شروطاً للذائذه قل أن تتحقق . يجعل سعادته مشروطة بسعادة الناس وهناءه بهنائهم وينشد مع القائل :

وحسبك داء ان تبيت ببطنة وحولك أكباد تحن إلى القدر

عنده ما يكفيه لذته من مال وجاه ولكن فى أعماق نفسه مناديصيح دائماً : أين الناس وكيف حال الناس ؟ ماقيمة ما أنعم به إذا لم ينعموا وما قيمة لذتى إذا ألموا ؟ لا يكفيه أن يكف شره عن الناس ولايكفيه أن يجود عليهم بما فى استطاعته . انما يريد عالما شمله العدل وانغمس كل افراده فى السعادة وسار على النمط الذى رسمه من العدالة - وهيهات

احمد امين



بقلم الاستاذ محمد فريد وجدى

نشرنا في الشهر الماضي مقالا للاستاذ أمير بقطر يرد فيه على مقال العلامة الاستاذ محمد فريد وجدى الذى نشر في هلال يناير عن العبقرية . وقد بعث الينا الاستاذ وجدي بهذا المقال ردا على مقال الاستاذ بقطر . والموضوع بلا شك جدير بالعناية . ولذلك لا نستغرب ان يهتم به هذان الفاضلان ، وينشب بينهما هذا الجدال المفيد

قرأت في هلال أول فبراير مقالا للاستاذ المفضال أمير بقطر يلاحظ فيه على بعض ما كتبته عن العبقرية ، فلم أعجب أن يكون بيني وبينه خلاف عليها ، ولكن العجب أن لا يكون . فقد كتبت عن العبقرية بمعناها العلمي . وكتب هو عنها بمعناها العامي الشائع على ألسنة الناس . فقرر مايأتى :

(١) انها الذكاء الذى يبلغ الى درجة عالية ، أى بين ١٦٠ و ١٨٠ وما فوقها

(٢) وانها تأتى من طريق الوراثة

(٣) وانها تحصل من تأثير التربية فقال : « مما لا يشك فيه ان كلا من الوراثة والبيئة متممة الواحدة للاخرى » ثم فسر البيئة بأنها « تربية حسنة من جميع الوجوه »

(٤) وانها تظهر فى واحد من كل مليون . ومؤدى هذا القول ان على سطح الارض الآن مالا يقل عن الفى عبقرى لان مجموع أهلها يبلغون الفى مليون

هذه كلها مقررات لا تمت الى العبقرية بسبب ، جر الاستاذ أمير اليها ظنه بان العبقرية هى الذكاء المفرط كما يفهمه العامة منها . ولذلك أجهد نفسه فى مراجعة ما كتب عن الذكاء من المؤلفات فكان بذلك راميا إلى غير هدف ومجريا فى غير حلبة

ولقد خشيت والله بعد أن رأيت ما رأيت ألا يكون للعبقرية فى مصر نصيب من البحث الجدير بها ، فانتدبت أن اكتب فصلا موجزاً فيها قبل أن أناقش الاستاذ أمير فيما نقده من مقالى وان كان فى ذلك إطالة ولكنها فيما أرى اطالة لاتوجب الملل لما فيها من المعارف الطريفة

قالت دائرة معارف (لاروس) تحت كلمة عبقرية :

« هذه كلمة من الكلمات التى تستعصى على التحديد فيسهل أن تكتب فيها مجلدات دون أن يمكن استنفاد مادتها . فاى مستور من المساتير mystères أعصى على الفهم وأعلى عن الوصف من العبقرية ؟ فعليك بالاستعارات فاجمعها وبالمجازات فكدسها فقد تستطيع بذلك أن تكشف جانباً بعيداً من هذه الكلمة الصغيرة فى الرسم الضخمة فى المعنى مستعيناً على ذلك بالتشبيهات

والأمثال ولكنك لا تستطيع أن تجد تحديداً مضبوطا قاطعا ما نعا يؤدى معنى هذه الكلمة المعقدة غاية التعقيد البسيطة غاية البساطة فى وقت معا »

نقول اذا كانت العبقرية هي الذكاء كما فهمها الاستاذ أمير بقطر لكان ماتقوله دائرة المعارف عنها هنا من اللغو الفاحش ولاعتبر كتابها وهم من جلة العلماء يهذون أشد الهذيان وأسمجه. وهل بالذكاء من خفاء إلى حد يعتبر من المساتير البعيدة الغور ؟

ثم ختمت دائرة المعارف المذكورة فصل العبقرية بقولها :

« ان نظرية حازمة ونزيهة بدأت تظهر وهي معترفة بالصعوبة العظيمة التى تحيط بهذه الكلمة معلنة بأن موهبة العبقرية لم يستطع أحد تفسيرها للآن ، وانها ربما كانت غير قابلة للتفسير على الاطلاق »

نقول لو كان العلماء يعتبرون العبقرية افراطا فى الذكاء لما تجاسروا على القول بانها لم تفسر للآن وغير قابلة للتفسير على مدى الزمان فان الذكاء معروف الحدود ودرجاته معدودة والاستاذ أمير بقطر قد فهمه على أتم وجه وقرر بان العبقرية هى ما بعد المائة والستين من معيار الذكاء . فماذا إذن هذا الشيء الذى يقول عنه علماء الأرض انه لم يفسر للآن وانه يحتمل أن يكون غير قابل للتفسير على الاطلاق ؟

العبقرية هبة طبيعية تعد صاحبها لقبول الالهام :

قال الفيلسوف دوبو Dubos فى كتابه (افكار على التصوير والشعر) :

« العبقرية هي المهارة التى تهبها الطبيعة لرجل يتفوق بها فى عمل من الاعمال ويأتيه بغير تكلف مما لا يستطيع غيره أن يأتى بمثله وان أتى فلا يجيده مهما بذل فيه من الجهد والمشقة »

وقال « كنت » Kant الفيلسوف الالمانى فى كتابه (نقد الحكم العقلى) :

« العبقرى هو الذى ان عمل شيئاً ابتكره ابتكاراً ولم يقلد أحداً فيه تقليداً ويصبح عمله أثراً يتبعه الناس من بعده »

وقال فى موطن آخر من ذلك الكتاب :

« والعبقرى هو الفنان الذى لا يستطيع أن يفسر لنفسه تفجر القوى الادبية المودعة فيه فيبقى سرها مجهولا لديه مدى الحياة »

وقال البرت هللر Haller فى كتابه (جوتنج) : « العبقرى هو الذى يوهب التفوق فى شيء بعينه وينقطع لترقية هذه الموهبة الخاصة فيه »

وقال أفلاطون : « العبقرية حال إلهية مولدة للالهامات العلوية »

وقال فولتير فى قاموسه الفلسفى :

« ان كلة العبقرية لا يجوز أن تشمل الملكات السامية بدون تمييز (تأمل) فان من شروطها أن يكون فيها خاصة الابتكار . فهذه الخاصة للابتكار هي التي تعتبر (منحة الهية) . وعليه فان الفنان مهما برز في عمله لا يجوز أن يعتبر من أهل العبقرية ان لم يكن في عمله ابتكار لم يسبق اليه »

وقال العبقري « فيكتور هوجو » في كتابه (وليم شكسبير) :

« لندع ما هو من عمل المخ للمخ (تأمل) ولنشهد بأن عمل العبقرية نفحة فوق القدرة الانسانية تستخدم في بروزها لعيان الانسان نفسه »

يخلص للقارىء من كل هذه الآراء العلمية المقتبسة من بحوث كبار المفكرين وبعضهم من العباقرة المعدودين أن العبقرية هبة الهية ثمرتها فوق القدرة البشرية يمنحها الله لبعض الافذاذ ليبرز على ألسنتهم أو على أيديهم أمورا لا يستطيع العقل البشري أن يستقل بايجادها . فسماها (دوبو) مهارة خارقة للعادة تهبها الطبيعة لبعض الناس . واعتبرها (كنت) ناشئة من قوة كامنة في النفس لا يعرف صاحبها سر تفجراتها . وعدها هلر موهبة خاصة . ووصفها أفلاطون بانها حال الهية . وقال عنها فولتير انها منحة الهية . ونعتها فيكتور هوجو بانها نفحة فوق القدرة البشرية . فهذه الآراء هي مذهب العلم والفلسفة في العبقرية . فقدر بعد هذا كم بين هذا المذهب وبين ماذهب اليه الاستاذ أمير بقطر من الخلاف العظيم . فهذا في واد وذاك في واد آخر وبينهما بعد المشرقين

هل يمكن الحصول على العبقرية بالدرس ؟

لما كانت العبقرية عند الاستاذ أمير بقطر هي درجة راقية من درجات الذكاء كان مما لا شك فيه أن يعزو صدورها للوراثة والتربية العلمية فقد قال بالحرف الواحد : « مما لا يشك فيه أن كلا من الوراثة والبيئة متممة الواحدة للاخرى . فالرجل الذكي الذي يريد أن يخلف نسلا صالحا عليه (اولا) أن يبحث عن زوج صالح أي سليم العقل والجسم وعليه (ثانيا) أن يبحث عن بيئة صالحة أي تربية حسنة من جميع الوجوه لأن البيئة والوراثة متممتان الواحدة للاخرى »

هذا رأي الاستاذ أمير بقطر وله العذر فيه لأنه يخلط بين الذكاء والعبقرية ، ولكنه ليس برأي العلم بوجه من الوجوه . واليك البيان :

جاء في دائرة معارف لاروس :

« ان العبقرية الحقة تجعل الناحية الخارجية للعمل الفني سهلة مستطاعة وتعرف كيف تتسلط على أفقر المواد وأعصاها قياداً فتجبرها على تمثيل المدركات الصحيحة لتصورها العالي . لا مشاحة في ان هذا الاستعداد المغروز في صميم الرجل العبقري يجب أن يترقى بادمان العمل حتى يصل إلى درجة الكمال ، ولكن خاصة القدرة على الانتاج تكون عنده (هبة طبيعية) فان كل مهارة تكتسب بمجرد التعلم والدرس لا تبلغ مهما سمت الى انتاج عمل فني يقدر له ان يحيا حياة حقيقية »

ثم قالت : « ان الالهـام العبقرى لا يأتى من طريق التحريض ولا من الارادة ، ولا من إطالة الروية »

وقال الفيلسوف الفرنسى المشهور « تين » Taine :

« العبقرية هبة لا تستطيع أن توجدها أية دراسة ولا أية مثابرة فاذا عدمت هذه الهبة استحال العاملون الى مقلدين وعملة »

ثم قال : « اجتهد فى أن تدخل فى صميم كبار الفنانين وفطاحل الكتاب المعاصرين ، ادرس مسوداتهم ومشروعاتهم ويومياتهم ، ومراسلات أسلافهم الأقدمين ــ تجد فى كل ما تراه أن اسلوبهم كان فطرياً فيهم لا مكتسبا . فان تحط هذا العامل الخفى بالاسماء الجميلة فتسمه وحياً او تدعه عبقرية كنت محسنا ومصيبا فيما تفعل . ولكنك لو أردت تحديده بدقة وجدت دائما أنه شعور ذاتى طبعوا عليه فطرياً من خاصته أن يجمع حوله طوائف الافكار المناسبة لما هو بصدده فيقومها ويحورها ويحولها ثم يستخدمها ليبرز نفسه للعيان »

وقالت دائرة معارف لاروس أيضاً :

« كل ابتكار فنى يقتضى أن يصحبه عنصر موهوب من الطبيعة نفسها ، وهذا العنصر لايستطيع الانسان ان يوجده بمجهوداته الذاتية ، ولكنه يحس به فى نفسه دون أن يتكلفه . وبناء على هذا فيجب أن يقال إن العبقرية ذاتية وغير مكتسبة »

وقال الفيلسوف الالمانى الكبير هيجيل فى كتابه (علم الجمال) :

« ان أعمال العباقرة ليست بنتيجة التقليد ولا هى بثمرة التخير بين الصور التى تقدمها لنا الطبيعة . فان تخيلها على هذه الحال يعتبر جهلا بأخص صفاتها وهى أنها تحدث بذاتها من طريق الالهام المفاجىء (تأمل) . فالعمل العبقرى لا يمكن أن يتحصل عليه بالتعلم ولا يقبل التوريث فهو هبة من العبقرية وكفى »

ثم قال : « ان الالمام التام بالنواحى التاريخية والعلمية والعملية لفن من الفنون (تأمل) لا يمكن أن يوجد العبقرى بوجه من الوجوه . فالعبقرية يجب أن تدرس على وجه خاص لانها كلمة لاتطلق على الفنان العملى فحسب ، ولكن على كبار رجال الحرب والحكم وأبطال العلم أيضاً »

ذهب كثير من الفيزيولوجيين الى وجود قرابة قريبة بين العبقرية والجنون . فقال الدكتور مورو دو تور :

« ان الاستعداد الذى يجعل الانسان يتفوق على سائر الناس بطرافة آرائه ومدركاته أو بغرابة أطواره أو بقوة خصائصه وسمو مواهبه ــ يستمد وجوده من الحالات العنصرية التى تستمد منها الاضطرابات النفسية وجودها ، مما يكون من أثرها الجنون والبله على أتم حاليهما »

فرد عليه الأستاذ بيير جانيه المدرس بجامعة السوربون فقال :

« ان الدكتور مورو دو تور لم يفسر لنا ما هى العبقرية بمعناها الصحيح . اننا نراه يذكر السمو وغرابة الاطوار والطرافة الخ . ولكن هذه الصفات لا تعدو كونها كلمات غير معينة الحدود . ونراه يتكلم عن العبقرية كما يتكلم عنها الناس فى لهجتهم العادية . فأين من كل ما يقوله المميزات الاصلية للعبقرية ؟ ألا انها قبل كل شيء الالهامات (تأمل) . وأعنى بها حالات عقلية لا يستطيع الحس الباطنى ولا الذات نفسها أن تدعى أنها تملكها أى انها تحدث على غير علم منا بها (تأمل) . ولا تستطيع ارادتنا أن توجدها »

نقول : يتبين مما مر من أقوال العلماء أن العبقرية الهامات فوق الطبيعة تتنزل على أفراد من النوع البشرى ليبرز قيم الوجود بوساطتهم ما يريد أن يجعله مثلا عليا للناس يحتذون مثالها فى تطوراتهم الروحية ومحاولاتهم العلمية والعملية

العبقرية لا تستلزم الكمال المطلق

يتوهم بعض الناس ان الرجل ما دام عبقريا وجب أن يبلغ درجة من السمو لا يتطرق اليه فيها النقد ، ولا تحوم حوله الملاوم . وهذه منزلة لم تكتب لأحد من العالمين

قال الفيلسوف العبقرى شاتوبريان الفرنسى :

« كان شكسبير واحداً من أصحاب هذه العبقريات التى تكون أماً لما يأتى بعدها . فهوميروس منح الخصب الأدبى للانسانية القديمة ، واشتق منه ايشيل وسوفوكل واوريبيد واريستوفان وهوراس وفيرجيل . ودانتى أوجد إيطاليا الحديثة من عهد بترارك الى تاسى . ورابليه ابتدع الآداب الفرنسية . وكان مونتنى ولافونتين وموليير من خلفائه . وانجلترة برمتها هى شكسبير الى أيامنا هذه . وقد أعار لسانه الى بيرون وحواره الى وليم سكوت

« ان الناس كثيراً ما ينكرون هؤلاء الرجال الأعلين بل ويثورون عليهم . وتراهم يسجلون عليهم نقائص ، فيتهمونهم بالاملال وبالاسهاب وبالاغراب وبفساد الذوق ، فى الوقت الذى يسرقون من أقوالهم ويتزينون باسلابهم . ولكنهم يضطربون عبثا تحت نيرهم . فان كل شيء يصطبغ بصبغتهم ويترسم طريقتهم »

وقال فيكتور هوجو فى كتابه « وليم شكسبير » :

« ان الذوق القديم والنقد العتيق ليسجل على ملوك العبقريات عيباً مشتركا فيهم . هو الغلو الكبير . وانهم لمظلومون . فان الغلو مصدره ما انطوت عليه جوانحهم من المدى غير المحدود بسبب أنهم فى الواقع غير محصورين . وفيهم حصة من الشيء المجهول »

أقول : أما وقد تم لى بيان حقيقة العبقرية وانها موهبة غير مكتسبة ثمرتها الالهامات العلوية .

وانها لا يتحصل عليها من طريق الوراثة ولا بالدرس والتفكير فقد ساغ لى ان أنظر الى النقد الذى وجهه الى الاستاذ امير بقطر نظرة عجلى فاقول :

نظرة على نقد الاستاذ أمير بقطر

ذكر الاستاذ امير بقطر فى نقده انى قلت ان العبقرية وراثية واستشهد على ذلك بقولى : « العبقرية موهبة غير مكتسبة » الخ فهل قولى انها موهبة يفهم منه أنها وراثية ؟ لا أظن أحداً يوافقه على هذا

ثم قال انى عززت هذا الرأى مرة أخرى فقلت : « هل توجد التربية الحكيمة العبقرية ؟ لم يشاهد ذلك » فهل قولى ان التربية لاتوجد العبقرية يقتضى انها لا بد من أن تكون وراثية ؟

ثم ذكر أنى ناقضت نفسى وانحزت الى التربية فى ايجادها فقلت : « هل تأتى العبقرية من طريق الوراثة ؟ قد دلت الحوادث على خلاف ذلك »

أقول لو كان هذا الكلام صدر من غير الاستاذ امير بقطر لاهملته ولم آبه به ، فان هذا النقد كان يصح لو كنت منه أفهم العبقرية بمعنى الذكاء . وأحصر مصدرها فى الوراثة أو التربية . فاذا نفيت عنها احداهما لزمتنى الاخرى ، ولكننى قررت فى أول المقال انها موهبة غير مكتسبة تكون مهبطا للالهامات يمنحها الله لبعض الناس من غير طريقى الوراثة والتربية . فأى تناقض يتخيله الناقدون فى هذا الكلام ؟

ثم ذكر الاستاذ انى أتيت على اسماء رجال وقلت انهم « خرجوا من بيئات جاهلة ونبتوا كلهم فى منابت قاحلة» والذى قلته هو : «ان اكثر العباقرة خرجوا من بيئات جاهلة» وفرق بين اكثر وكل كما لا يخفى

نعم انى لما سردت أسماء باكون وبركلى الخ . قلت انهم نبتوا كلهم فى منابت قاحلة . ولم أرد بالقحولة هنا أن آباءهم لم يكونوا يعرفون القراءة والكتابة . وان بعضهم لم يشب فى أحضان العز والثقافة . ولكن مرادى بالقحولة هنا معناها النسبى . أى أن تلك البيئات لا تنبت هذا النوع من الافذاذ الملهمين تشددا منى فى نفى الوراثة وتأثير البيئة . وهل عهد الناس منبتا أقتل لطيبات النفس من مواطن العز ومجالات السؤدد ؟

وقد جعلنى الاستاذ انى قلت ان من العباقرة الذين ذكرتهم فى تلك الفقرة بريكليس . والحقيقة انى عددت منهم (بركلى) الفيلسوف الانجليزى لابريكليس

ثم أخذ على انى قلت ان العبقرية موهبة غير مكتسبة تظهر مخايلها فى الطفولة الاولى . ثم رجعت فقلت وقد لا تشاهد فى طفولة العبقرى مخيلة نجابة فيقطع أدوار حياته الاولى وسطاً بل اقل من الوسط . فرأى الاستاذ بأن فى هذا تناقضاً . ولا أظن ان فى قراء العربية من يوافقه على هذا الرأى . فاذا كان اكثر العباقرة شوهدت عبقريتهم منذ طفولتهم . وقليل منهم لم تشاهد فيه الا بعد

ان قطعوا شوطا من حياتهم فكيف كان يسوغ لى ان اعبر عن هذه الحقيقة العلمية بغير ماقلت ؟

ثم ذكر انى قلت : « وقد شوهد ان العبقرية المبكرة قد لا تتابع سيرها فتقف ويصبح صاحبها رجلا عادياً » فعقب الاستاذ على قولى هذا بقوله : « وهذه الاقوال مغايرة لما وصلت اليه نتائج البحوث العلمية الحديثة ، فالعبقرية لا تقف ويصبح صاحبها رجلا عاديا الا لاسباب باتولوجية . ولا يحدث مطلقا ان يكون الطفل الى سن معلومة متوسط الذكاء أو دونه فينقلب عبقريا بالبحث واجادة الروية »

أتدرى لماذا يرى الاستاذ بقطر أن هذه الاقوال مغايرة لما وصلت اليه نتائج البحوث العلمية الحديثة ؟ لانه يتابع خطأه الاول فى تناول العبقرية بمعناها العامى وهو الذكاء المفرط ، ونحن نتناولها بمعناها العلمى وهو انها موهبة خارقة للعادة ، لاتتقيد بزمان ولا بمكان ولا بالذكاء نفسه . فنحن نسجل فى حقها ماوقف عليه العلماء من حالاتها واطوارها ، وهو واقف فى حيز الذكاء الطبيعى لايتحول عنه يمنة ولا يسرة . فهو فى كل هذه الاقوال يرمى الى غير الهدف الذى نرمى اليه

يقول الاستاذ وهو يرد على ماتقدم : « فالعبقرية لاتقف ويصبح صاحبها رجلا عادياً إلا لاسباب باتولوجية . ونحن نقول هـذا كلام صحيح فى الذكاء الطبيعى المعروف ، ولكنه ليس بصحيح فى العبقرية التى قرر العلماء انها موهبة خارقة للعادة . وستأتى الامثلة على ماقررناه فيها هنا فى الرد على شبهة تالية

ثم قال الاستاذ : « ولا يحدث مطلقا أن يكون الطفل الى سن معلومة متوسط الذكاء أو دونه فينقلب عبقرياً بالبحث واجادة الروية »

ونحن نقول مادام الاستاذ يتحدث عن الذكاء الطبيعى فنعم ، ولكنا قررنا ماقررناه عن العبقرية ، وأول دليل على ماقلناه « دارون » صاحب مذهب النشوء والارتقاء ، فقد كان وهو صغير مضرب المثل فى عدم الفهم حتى طردته الجامعة يأساً من فلاحه ، ولكنه لما كبر نشأ فيه ميل للفيزيولوجيا والبيولوجيا والباليونتولوجيا فسبق فيها فحولها المقدمين ، وأسس مذهبا لم يسبقه اليه أحد ، واضعاً إياه على أصول سرت على جميع مجالات النشاط العقلى حتى السياسية والتشريعية والادبية . ومن هؤلاء أيضا موجد مصر الحديثة محمد على الكبير ، فقد عاش نصف حياته رجلا عادياً ، فلما ولى الحكم ظهرت فيه عبقرية لم تكن فيه من قبل ، فالهم أن يأتى بامور كان من آثارها وجود مصر الحديثة . ولا تزال جارية على الطريق الذى رسمه الى اليوم

واذا جارينا الفلاسفة المعاصرين جدلا فى قولهم إن المرسلين الذين صاغوا الامم وطبعوا نفسياتها وعقلياتها بطابعهم كانوا عباقرة على الاصطلاح العلمى المعروف ــ فانهم جميعا ولدوا رجالا عاديين ولم تظهر فيهم هذه الخصائص العالية إلا بعد الاربعين

ثم قال الاستاذ بقطر باننا قد ملأنا صفحة ونصف بصفحة باسماء تاريخية ظهرت فى ذويها العبقرية منذ نعومة اظفارهم ولم نذكر مثالا واحدا لرجل كان عبقريا نصف حياته ودون المتوسط فى النصف الآخر

ونحن نقول اننا لم نقل إن رجالا كانوا عباقرة نصف حياتهم ثم انقلبوا الى مادون المتوسط فى النصف الآخر ، ولكنا قلنا : «قد شوهد أن العبقرية المبكرة قد لا تتابع سيرها فتقف ويصبح صاحبها رجلا عاديا »

فان أراد الاستاذ بقطر أن أسوق له أمثالا على هذا قاليه :

ذكر الاستاذ الكبير ميرس Myers مدرس علم البسيكولوجيا فى جامعة كمبردج فى كتابه الشخصية الانسانية The Human Personality نقلا عن المطران « واتلى » أنه كتب عن نفسه يقول : « ظهرت فى خاصة الحساب وأنا بين الخامسة والسادسة من عمرى ودامت معى ثلاث سنين ، فكنت احمل فى نفسى مسائل فى الجمع غاية فى التعقد أسرع مما كانوا يعملونها على الورق . ولم يشاهد فيها أقل خطأ ، ولما بلغت السن التى بدأت فيها الدراسة زالت هذه الخاصة منى ، فكنت بعد ذلك من اضعف التلاميذ فى الرياضة »

وقال الاستاذ ميرس أيضا : « ان الاستاذ ستافورد كان وهو فى العاشرة من عمره يعمل غيبا وبدون أن يخطىء قط مسائل من الضرب حاصلها يتكون من ستة وثلاثين رقما ، وهو الآن لا يسمو عن أقرانه فى الحساب العقلى »

وقال أيضا : « كان للمستر فان دوتيكا خاصة فى الحساب العقلى ممتازة زالت بعد سنتين من وجودها » الخ

وقد جاء فى دائرة معارف القرن العشرين الفرنسية بالحرف الواحد :

"Toutes les pousses précoces ne portent pas fruit; et les enfants prodiges ne tiennent pas toujours tout ce qu'ils promettent"

ومعناها أن الغصون المبكرة قد لا يحمل بعضها ثمرا ، كذلك الاطفال الافذاذ قد لا يوفى بعضهم بما كان ينتظر منهم

وهذا هو مطابق لما قلته من كل وجه ، وهو أن العبقرية المبكرة قد لاتتابع سيرها فتقف ويصبح صاحبها رجلا عاديا

☆☆☆

وبعد فقد عاتبنا الاستاذ امير بقطر فى آخر مقالته عن قولنا إن فى أوربا الآن رأيا علميا مقتضاه أن الذين يموتون ولم يتأهلوا للعيش فى العالم الروحانى يقذف بهم الى الحياة الارضية دفعات كثيرة حتى يحصلوا على الدرجة المرجوة

فقال : ان هذا رأى لايخرج عن كونه خرافة وشعوذة

نقول يكفى فى وصف الرأى بأنه علمى أن يقول به بعض العلماء ، ثم قد يثبت ثبوتا قاطعا أو ينفى نفيا باتا ، والقول بالرجعة ذهب اليه عدد من العلماء قديما وحديثا

فاما عند اليونانيين القدماء فكان يقول به فيثاغورس وهيرودوت أبو التاريخ واريستوفان وسوفوكل وبورفير وافلاطون . وقد مال اليه جميع فلاسفة الأفلاطونية الجديدة فى جامعة الاسكندرية على عهد البطالسة وكانوا يدرسونه للطلبة

وعند الرومان كان يقول به العبقريان فيرجيل وأوفيد

أما فى أوربا الحديثة فكان يقول به فى القرن السابع والثامن عشر الفيلسوف الالمانى الاشهر ليبنز ، والفلاسفة دونيمور وباللانش وشليجل وسان مارتان

ومن أعلام القرن التاسع عشر قال به بالزاك وجورج ساند وساردو وكونستان سافى وبيرلورو وفوريبه وجان ربو . والشعراء تيوفيل جوتييه وجيرار دوبرنفال وجان لاهور وفيكتور هوجو . وقد ملأ هؤلاء الافذاذ جو الآداب الاوربية بهذه العقيدة

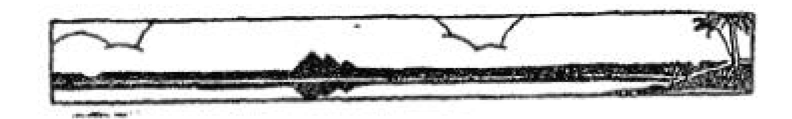
ويقول به من القصصين الكبار بول بوديه وفكتور لوسيان جرو وجيرون وجان جالمو

ويقول به من العلماء المعاصرين جوستاف جيليه مدير معهد المباحث النفسية بباريز ، والفلكى الكبير كاميل فلامريون ومؤسس علم الجرائم لومبروزو والسير وليم باريت المدرس بجامعة دوبلين والعضو بالمجمع العلمى الملكى بلوندرة والبير دوروشاس مدير مدرسة الهندسة بباريز والدكتور ما كسويل النائب العام أمام المحاكم والدكتور موتان والاستاذ تومولو المدرس الجامعى بايطاليا الخ

وانى اختم هذا الفصل بكلمتين للاستاذ العلامة الانجليزى (باريت) من كتابه « على عتبة العالم الآخر » وهو مدرس علم الطبيعة بجامعة دوبلين وعضو المجمع العلمى الملكى بلوندرة ، قال :

« ان مسئلة الرجعة مطروحة على بساط البحث والتمحيص فى العصر الحاضر »

محمد فريد وجدى



في النقد الادبي

لقد أصبح النقد فوضى

بقلم الاستاذ عبد العزيز البشرى

لا أزعم أنني استويت اليوم الى مكتبي وهذا الموضوع الذى أتقدم للحديث فيه واضح المعارف فى رأسى مجتمع الأقطار بين الحدود ، إنما هى خواطر تتطاير من هنا ومن هناك في هذا الباب . وسأحاول بجهدى نظمها ، فاذا اتسق منها موضوع واضح الشخص مستوي المعارف ، وإلا فليأخذها القارىء على أنها خواطر نثار

على أنه لم يبعثنى على إرسال القلم فيما لم يدرك بعد في نفسي ولم يتسق لى من أجزائه خلق سوى ، إلا ما هالني من حال النقد الأدبي في هذه الأيام . فهذا النقد ، مع الأسف العظيم ، لا يجرى أكثره الآن على حكم الغرض المقسوم له من استعراض الكلام ، وطول تصفحه ، وامتحان الرأى والذوق له لأمارة جيده من رديئه ، والدلالة على هذا والاشارة إلى هذا ، مع الابانة عن وجوه التعليل . ولا أقول مع سوق البرهان وإقامة الدليل ، فان مرد هذا في الاكثر إلى تقدير الذوق ، شأن جميع الفنون الجميلة . وقضايا هذه الفنون ليس مما يثبت ، في الغالب ، على القياس المنطقي فى أى شكل من الاشكال

وأنت خبير بما يكون للنقد إذا وقع على جهته من الأثر البعيد فى تصفية الآداب ، والاطراد بها فى سبيل التقدم إلى ماشاء الله . وهذا يكون بتبصير المنشئين بمواطن الاجادة ومواطن الضعف فيما يخرجون من الآثار ، ليأخذوا انفسهم بتحرى ما ذهب النقد السليم الى أنه الخير . كما يكون بتفتيح أذواق القارئين وارهاف إحساسهم حتى يفطنوا إلى دقائق الصنعة ويستجلوا مواضع الحسن في الكلام . فتجتمع لم بهذا خلال ، منها العلم بفن نقد الكلام ، والقدرة على تمييز جيده من رديئه ، وطيبه من خبيثه . ومنها جلاء الذوق و إرهاف الحس . ولا شك أن استمتاع من يتهيأ له هذا والتذاذه بروائع الفن لا يمكن أن يدرك بعضه من لا حظ له في شيء من ذلك إذا صح أن يكون لمثل هذا بالفن الجميل متاع !

وللنقد فوق هذا مزية أخرى لا ينبغى أن تسقط من الحساب . ذلك بأن قيام النقدة

وارتصادهم لما تنضح به قرائح المتأدبين من شأنه أن يدخل الحذر على هؤلاء ، فلا يتكشئوا في شأنهم على البهرج يزيفونه للجمهرة تزييفاً ، بل إنهم ليجمعون للتجويد ويشمرون في تحري الاصابة والاحسان ما واتى جهدهم الاحسان . إن لم يكن للظفر بالثناء الرفيع يذهب به الصيت والذكر ، فللسلامة على النهجين وسوء المقال

ولقد شهدنا في عصرنا هذا من كبار الادباء من لا يجلو على الجمهور شيئاً من أدبه إلا بعد أن يعرضه عل عنق من النقدة فما أجازوه منه أمضاه ، وما استدركوه عليه استدركه بالتسوية والتغيير والاصلاح . وما يفعل أحدهم ذلك لأنه ضعيف الرأي في نفسه ، ولا لأنه لم يذهب بأمره الى غاية الاعجاب . وإنما هو الخوف من النقد ، والشهوة الى استخراج الثناء ممن لهم في إذكاء شهرة الاديب ورفع صيته أثر كبير أو صغير

ولا شك أن هذه الخلة في بعض أصحاب الادب معيبة بمقدار ما هى ضارة . أما وجه العيب فيها فيما تدل على تخاذل الطبع ، وإظهار الناس على عدم الثقة بالنفس . وأما وجه الضرر فلأن خير أدب الأديب ما يصدر عن نفسه ، ويترجم عن حسه ، بحيث يكون صورة صادقة له هو لا لمزيج منه ومن سواه من الادباء ! ولا أحب أن أغفل في هذا المقام شيئاً له خطره الشديد . ذلك أن الناقد ، مهما تبلغ دقته ونفوذ نظره ونزاهته عن كل هوى ، لا يُكفل له التوفيق على الدوام ، فلقد يكون الرأى فى كثير من الاحوال فى جنب المنشيء الاديب لا فى جانبه . هذا الى أن موهبة الشاعر أو الكاتب أو الفنان على العموم ، لقد تنزع نزعة مستحدثة طريفة تنشز على مستوى العرف الفنى القائم ، فلا تلقى أول الامر من الاذواق إلا التواء وإلا إنكارا . فرد الفنان عن هذا إلى ما شاع به العرف وانعقد عليه الذوق العام ، حد للعبقرية عن سبيلها الذى لو قد تهيأ لها أن تطرد فيه لاحدثت فى الفن أعظم الاحداث ، على أن هذا العيب وهذا الضر لا يرجعان الى النقد ولا الى النقدة ، وانما يرجعان الى طبائع هؤلاء الفنانين . ومهما يكن من شيء فانني انما أردت أن أبين خطر النقد على كل حال

موضع النقد من الادب

والنقد ، ولا شك ، قديم يقوم بقيام الفنون فى كل زمان وفي كل مكان ، فان الفنان مهما يبلغ من صغوه لفنه ، وصدق هواه اليه . ومهما يجد فى ذلك من اللذة والاستمتاع ، فان لذته واستمتاعه إنما يكونان أتم وأوفى إذا ظفر من الناس ، وخاصة من أصحاب البصائر ، بحسن

الرأى وجلالة التقدير . وأحسب أن الفنان الذى لا يدخل في حسابه هذا وما زال معه عقله لم يخلق بعد في الزمان . وما دام الحديث في النقد الادبي فلنقصر الكلام على أهل الادب ؛ وان كان الفنانون جميعاً في ذلك بمنزلة سواء

واذا قلت لك إن النقد قديم ، فاعلم أن احتفال الشعراء والكتاب للنقد ، وجهدهم في استخراج رضى النقدة ، واستدراج السنتهم الى الثناء عليهم والهتاف بآثارهم كذلك قديم . وان من يتصفح تاريخ الشعر والشعراء من مطلع الدولة الاموية ، وتاريخ النثر والنثار من يوم احتفل أهل البيان للنثر الفنى في عصر الدولة العباسية ، لا يتداخله أى ريب فى هذا الكلام

نم ، لقد كان الادباء ، والشعراء منهم خاصة ، يصانعون النقاد ، ويعملون جاهدين على الزلفى اليهم وابتغاء المنزلة فيهم . وكثير منهم من كان يعرض شعره عليهم لامتحانه واختباره قبل طرحه على سائر الناس . إن لم يكن لحسن الظن بادراك ملكاتهم وحدة احساسهم ورهافة أذواقهم ، فلاطلاق ألسنتهم فيه بحسن المقال . والا فكيف للفنان بانطلاق الذكر وذهاب الصيت عند الجمهور وليس له ، فى العادة ، وسيلة الى هذا إلا تقدير هؤلاء ؟

واني لأذهب فى تقدير النقد والابانة عن خطر النقدة الى ما هو أبعد من هذا من جليل الآثار . فان أثر هذا اذا اتصل بشهرة الشاعر أو الكاتب والذهاب بصيته ، فان الذى أرمى اليه هو جدوى النقد على الفن . وان شئت تعبيراً أدق وأدل على بعد الاثر قلت في بناء الفن نفسه وتأصيل أصوله وتقعيد قواعده وتفصيل فصوله . وحسبك فى هذا الباب أن تعرف أن علوم البلاغة ما كانت لتكون لولا نقدة الكلام . إذ الواقع أن قواعد هذه العلوم فى الجملة، وأعنى علوم البلاغة ، انما انعقدت بتقصى ما أثر عن نقدة الكلام في الاجيال المتعاقبة من الكشف عما يضمر هذا البيت أو هذه الجملة من معنى كريم . والدلالة على ما جلى فيه من نسج متلاحم ومن لفظ نير شريف ، ومن التفطين كذلك الى ما يقع من فسولة معنى واستكراه لفظ ، وتزايل تركيب ونحو ذلك

ولعل بلوغنا هذا المعنى الذي استدرج اليه تداعى الكلام من غير سابق نية . من أسعد الفرص التى تهيىء لنا أن نصارح بأن علوم البلاغة ، على شأنها الذى انعقدت عليه منذ الاجيال الطوال، لم يصبح لها من الاثر ، سواء في تحرى ألوان البلاغات أو في اجراء مقاييس النقد كثير من الغناء . فالبلاغة لم تكن قط في اصابة معنى مأثور ، ولا فى نظام لفظ موروث ، ولا فى استنان أسلوب معين من أساليب البيان . وانها لم تكن كذلك في يوم من الايام .

وانها لن تكون كذلك فى يوم من الايام

و بعد ، فهذا موضع النقد من الادب . وهذا أثره فيه من قديم الزمان . ولا يذهب عنك أن هذا النقد ، إذا استثنيت ما يتصل منـه باللغة أو بقوانين النحو والصرف ، انما مرجعه فى الكثير الغالب الى شدة الخبرة بالامور على وجه عام ، والى شدة الفطنة وصفاء الذهن ورهافة الحس وكمال الذوق بحيث يتهيأ للناقد من النفوذ في باطن الكلام ، والتفطن الى دقائقه واستظهار ما فيه من حسن أو من مكنون عيب بما يعيا عنه اكثر النـاس . ذلك كان متكأ النقد ومصدر وحيه . لا ضابط له وراء ذلك من قانون ، ولا من نظام مسنون . بل انه لكثيراً ما كان النقد يجرى مجرى النكتة و يأخذ مأخذها فى الكلام . أعنى أنه لقد يكون أثراً للمحة الخاطفة من الذهن ما تعتمد على أصل ثابت من التعليل والتوجيه . وكثيراً ما كان يتعسف في هذه النكتة أيضاً رغبة فى التشهير واحتيالا على اسقاط الكلام . وإن من يتتبع كتب الادب العربي ليقع له من هذا الشيء الكثير

ولعل مما بعث على هذا وحمل النقدة عليه أن النقد انما كان يوجه على كل بيت في القصيدة استقلالا ، قل أن يسلك في عبارة نقدية بيتان أو أبيـات . وذلك راجع الى طبيعة الشعر العربي من عدم اعتبار القصيدة وحدة ماثلة الشخص مستوية الخلق ينزل البيت فيها منزلة الجزء من الكل والعضو من الكائن الحي لا يتشخص إلا بمجموعة الاعضاء

ونرجع الى الحديث فى أثر النقد فى توجيه الآداب . واذا كان للنقد مع هذا ـ ومع هذا كله ـ هذا الاثر البعيد في حياة الادب العربي ، فكيف كان يكون شأنه اليوم في ذلك ، وقد أصبح للنقد مناهج واضحة وطرق معبدة وحدود مرسومة . واصبح يتكأ في كثير من وسائله على قضايا العلم . وان لم يزل للذوق فيه أثره البعيد ؟

أقول كيف كان يكون شأن الادب العربي اليوم لو جرت الطرق على أزلالهـا . واخـذ جمهرة نقـادنا أنفسهم جاهـدين بمذاهب النقد الحديث ، على ان يكونوا فى نقـدهم نزهاء مخلصين . وعلى ألا يجروا اساليب النقد الغربية كما هى على كل ما يخرج لهم من آثار ادبنـا العربي . فذلك الى ما فيه من عسف وعنت ففيه اذى للادب كبير . فان مما لاشك فيه اننا نفارق القوم فى كثير : نفارقهم فى العقليات وفي الاخلاق والعادات ، وفى التاريخ والبيئة ، كما نفارقهم في الاذواق . ولا يذهب عنا ان الاذواق هى مستمد الفنون على وجه عام

لقد لاح لك مايكون للنقد ـ إذا سار على هذا النهج ـ من عظيم الجدوى على ادبنا

العربى بانتخاله وتصفيته ودفعه في طريق الكمال حتى يوفى بجهد الناقدين على الغاية لو كان الكمال حد مقسوم . فهل نحن الآن فاعلون ؟

فوضى النقد الادبى

الواقع ان الامر ليس كذلك مع الاسف . هذا هو الواقع الذى يشركني في تقريره كثير . ويشركني في الايمان به الجميع ، وان جحده من تميل بهم الاهواء عن قصد السبيل

الواقع أن النقد عندنا أصبح فوضى ما تفتأ تستفحل وتستحصد ، حتى بات يخشى أن يضل الناشئين عن كل أدب صحيح إذا لم يأت بالفعل على كل أدب صحيح

وإنني لأتقدم الى تقرير هذا الواقع المر وتبيينه لأنني امرؤ لا أنتمى والحمد لله لشيعة ، ولا أتصل بحزب من هذه الأحزاب الأدبية القائمة في البلاد الآن . ولا يستطيع زاعم أن يزعم أني دعوت لنفسى أو دعوت لأحد من الأدباء في يوم من الأيام

وعلة هذا ، في تقديرى ، تعود إلى السُّعار الذى لحق كثيراً من متأدبي هذا العصر إلى طلب الشهرة ونباهة الذكر من أخصر طريق . وليس في هذه الطرق أخصر ولا أيسر من التهويش وحب المديح جزافاً ، وهيل الثناء وإضفاء النعوت وافراغ الالقاب بغير حساب !

والأديب لا يستطيع أن يضطلع لنفسه بهذا وحده ، مهما يجد ويسرف في انتحال الاسماء والالقاب يضيف اليها ما تفضل به في نعت نفسه من سابغ المقال ، بل لا بد له فى بلوغ الشأو وادراك الغاية من الاستعانة بغيره على مهمه . وكلما كثر هؤلاء الأنصار والاعوان، هان بالضرورة إحراز الشهرة فى أقرب آن . وهؤلاء الاعوان لا ينهضون لهذه الخدمة بغير ثمن عينى ، أى بدون أن يبادلهم صاحبنا المديح ويقارضهم الثناء . ومن هنا كان للأدب عندنا في هذه الايام أحزاب وشيع هى أشبه ما تكون بالشركات المالية يساهم فيها الجميع فتعود جدواها على الجميع ! . ولقد دعا هذا بالضرورة ، الى التنافس والتبارى بين هذه الاحزاب والشيع الأدبية . وهذه الهيئات أو الشركات رأس مالها قائم على الكلام ، فهي إنما تتنافس وتتبارى بالكلام وهذا الكلام عبارة عما شئت من غلو و اسراف في اراقة الثناء من كل منهما على كل أثر يصدر عن أى كان من المنتمين اليها ، والارتصاد بلاذع النقد لما يظهر من أثر خارج عليها . وهكذا ديست حرمة الأدب ، وعفر وجه النقد الكريم بالتراب !

ليس يعني الادب كثيراً أن يغمط أديب بعض حقه أو أن يغمط حقه كله . ولا يعنيه

كثيراً أن يفرغ على متأدب من النعوت والالقاب ما لا يرتفع الى بعضه كل قدره . ليس هذا ما يعني الادب في ذاته كثيراً . وانما الذى يعنيه ويجهده ويعنيه هو فقدان المقاييس الادبية التى هى المرجع الصحيح ، أو القريب من الصحيح في تقويم حظوظ الآداب

هذا شعر خالد ! وهذه شاعرية جبارة ! وهذا المعنى من وحى السماء ! وهذا فلان يؤدى رسالة الادب الى العالم . . . الخ . يالطيف ! يالطيف !

مهلاً رويداً أيها الناس ، فلقد والله ابتذلتم النعوت وأرخصتم الالقاب . ومالها لا ترخص ولا يلحقها أشد الوكس ، وقد أصبحت لا تدل فى أكثر الاحيان إلا على كل تافه هزيل !

نم ، لقد خرجت هذه الالفاظ عن معانيها الموضوعة لها ، فالالفاظ تخرج عن معانيها بالاستعمال حتى تصبح حقائق عرفية ، بل حقائق لغوية بطول صرفها الى معانى جدد . كذلك سنة اللغة من قديم الزمان ! . ولقد تبحثون غدا عن الفاظ تؤدى هذه المعانى على حقائقها وتجلو صورها المتمثلة في صدور الناس فلا تخرجون من هذا بكثير ولا قليل

وبعد ، فلقد تجود بعض القرائح بالشعر الخالد ، ولقد تصل الشاعرية الى مرتبة الجبروت ، ولقد يكون فينا اليوم ، ولقد ينجم فينا غداً من يستحق بنبوغه شيئاً من هذه النعوت والالقاب ، فكيف ندعوه ؟ وبماذا ندل على موضعه ؟ وما الذى نميزه به من سائر المشتغلين بالآداب ؟

ثم اذا كانت هذه الالقاب والنعوت الضخمة التى لا ينضجها الزمان على الافراد في الامم الاخرى إلا في الحقب الطوال ـ إذا كانت هذه النعوت والالقاب مما لا ينقطع عنا وابله المدرار ، لا في الليل ولا في النهار . فترى ما الذى يبعث الهمم ويشحذ العزائم في انضاج الملكات ، وتربية ما عسى أن يكون مطويا من الموهبات في بعض النفوس . والمطلب يسير وأضخم الالقاب معروضة بابخس الأثمان فى اكسد الاسواق ؟ . لقد يحتج علي بان في مصر عنقاً من مشيخة الادب ، وان فيها كذلك فريقاً من شباب الادباء . وهؤلاء وأولئك يأخذون أنفسهم في باب النقد الادبي بما شئت من دقة ومن نفوذ ومن انصاف ؟ وهذا حق لا ريب فيه . ولكن لا تنس ان هؤلاء قد غمرت آثارهم الكثرة الكثيرة بما تتهافت به كل يوم من النقد الفسل المغرض الشهوان . وبهذا يفوت الادب نقد الفاضلين الاذكياء النزهاء

واذا اجتمع علينا الى فقدان موازين النقد الادبي إهدار رأي كل ذى رأى . وتهاون قدر كل ذى قدر . واضلال الناشئين فى بيداء مجهل . فذلك الخذلان من الله والعياذ بالله !

اسأل الله تعالى ان يتولانا بهدايته انه على كل شيء قدير

عبد العزيز البشري

جوته يتغنى بالشرق

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقي

يستطيع المطلع على الديوان الشرقى ان يصور لنفسه شيخوخة ناظمه جوته اصدق التصوير. فقد كانت أشبه بأصيل يوم جميل، والشمس دالفة نحو الغروب فى أروع مجاليها، تنشر على الافق الغربى فى دلوكها ضياء شعشعانياً ليس لجلاله مثيل، وكأنه منها بمقام كلمة الوداع الاخير قبل ان تغيب غيابها فى جوف الدياجير

واذا كانت فى هذه الساعة تشتبك الظلال وتستوى الشخوص وتصطبغ الاشياء جميعها بصباغ مشترك ويغمرها وهج شامل، فلا غرو ان نظم فيها مؤلفنا الغربى ديوانه الشرقى

ولقد عالج جوته اساليب النظم فى غزل حافظ الشيرازى، ولكنه لم يلتزم قيودها فى الوزن والقافية التزاماً إلا فى القليل. فانه لا يريدها قناعاً خلاباً خاوياً ولا يرتضى من أجل العرض التضحية بالجوهر. وشأن الشيوخ من الفحول فى الغالب قلة الاحتفال بالنسق وعدم الصبر على التقيد بالقالب. وما حاجة جوته الى القالب الظاهر وقد اصبحت شخصيته الكبيرة الغنية لاشعاره وكتاباته حسبها من طابع مبين وقالب صميم. ثم انه وإن قصر عن الشاعرين «روكرت» و «فون بلاتن» فى احتذائهما لقوافى حافظ وفنونه فى القريض كما تشهد منظوماتهما فى ديوان «الغزل» و «ورود الشرق»، فانه لأصدق واعمق منهما تعبيراً عن حياة الشرق نفسها، حياته المديدة غير المحدودة. ولقد تناولها شاعرنا منطلقة جارية كماء الفرات فاستحالت فى كفه الصناع صورة مفرغة من البلور تشع بالوان الموشور

ويصطنع جوته فى معظم ديوانه أوزاناً أشبه بالأراجيز يصب فيها عباب حياته العريضة الزاخرة. فاذا الديوان معتلج بالحركة الطليقة متجاوب باصوات الخليقة، واذا نواحيه عامرة بالاشارات تغلب فيها - على عادة الشرق - لغة الاستعارات، واذا الشوارد الغريبة والتواليد الجريئة والتضمين والاطناب، واذا الكلام المرسل فى جوار اللحن المنغم، والسلاسة المأنوسة بين قيود الرصف المحكم. فلقد تم لشاعرنا فى هذا العمر اجتياب عالم الصور باسره واستيعاب معانيها كافة، وراق ما كان فى مرارة وعيه كدراً، وخلص ما كان فى نفسه مكبوتاً. فله اليوم أن

يغيب ويظهر فيما شاء من الصور دون أن يخشى الضياع على نفسه ، وفي قدرته اليوم التعبير عن شيخوخته بحمية الشباب وأساليبه وعبارته . وانه ليرى في رمز الافعوان الملتف مثلا للسعادة على مدى الايام : « أيتمنى المرء خيراً من ان يتهيأ له عقد أوله بآخره ؟ »

وميزة جوته في مشرقياته انها ليست مجرد تهلل وفورة عاطفية واستسلام الى لون متقد من الصوفية لا عهد للغربيين به . بل ان شاعرنا ليجمع الى الاستمتاع الخيالي صحة الملاحظة وصدق النظرة ويقرن الى التأثر النفساني سلامة التأمل الموضوعي . ويصدر عن إحاطة بالمادة التاريخية وعلم بمآتي الامور ومجرى الاحوال وسير التطور وحسن تقدير لاعتبارات الزمان والمكان

ولقد توفر جوته بعد أن استقر به القرار في ويمار مرة اخرى على مراجعة هذه الاشعار وكانت مرتبة على حروف الهجاء ، فقسمها على حسب الموضوعات الى اثنى عشر سفراً وهذه هي باسمائها الشرقية على الترتيب : كتاب المغنى . كتاب حافظ . كتاب العشق . كتاب التفكير . كتاب السخط . كتاب الحكمة . كتاب تيمور . كتاب زليخا . كتاب الساقي . كتاب المثل . كتاب الفرس . كتاب الخلد

ويزعم جوته أنه يطبع هذا الديوان على اعتباره نسخة خاصة لاطلاع الاخوان لا بوصفه كتاباً كاملا من جميع الوجوه . وليس في ذلك على كل حال مايدعو للعجب فاننا لو امعنا الفكر لألفينا أن كل كتاب انما يكتبه مؤلفه من أجل مريديه وانصاره والمعجبين به . ويعتذر جوته عن تعجله في طبع الديوان الى تقدم سنه . فلو أنه كان أقرب الى الشبيبة لاستبقاه في قطره امداً طويلا كعادته قيد التعديل والتنقيح ، كما أنه ليؤثر أن يتولى في حياته اخراجه بنفسه على أن يترك جمعه لمن بعده كما فعل حافظ . لأن نشر مطويه ومثوله مطبوعاً نصب عينيه أحفز له على تقليب النظر فيه كل حين لتوفيته حقه من الكمال

ونحن فيما يلي نعرض لبعض أسفار الديوان بالتعريف والاختيار بقدر ما يسمح به المقام

كتاب المغنى

يتغنى الشاعر في هذا الكتاب بمظاهر الحياة الشرقية كما وقعت في نفسه . ولقد كان يود أن يضيف اليه أشعاراً في المديح عرفانا لفضل أوليائه وتحية لأخصائه ليكون في ذلك رضى للاحياء منهم وإعلاء لذكر الراحلين . وهو يلاحظ على شعر المديح في الشرق انه مما لا يستطاب في الغرب لذهابه مذهب الغلواء وكيله الجزاف للثناء . والقصيد الحر الصادق الشعور هو القمين وحده بأن يجلو مناقب الممدوحين من العظماء الذين تخلدهم آثارهم ويزداد على الزمن إكبارهم ولا ينقضي ديننا لهم . ويقول جوته انه أدى بعض هذا الدين على النسق الذى اختاره في مديح سبق نشره على الناس . والى القارىء طرفاً من أشعاره في هذا السفر الاول من ديوانه :

تعويذة

« لله المشرق ، ولله المغرب ، وفى راحتيه الشمال والجنوب جميعاً

« هو الحق وما يشاء بعباده فهو الحق . سبحانه له الاسماء الحسنى . وتبارك اسمه الحق وتعالى علواً كبيرا . آمين

« ينازعنى وسواس الغى . وأنت المعيذ من شر الوسواس . فاللهم اهدنى فى الأعمال والنيات الى الصراط المستقيم

« ومهما تزين الخطرات والشهوات . فالنفس التى لا تذهب شعاعا ولا تضيع ضياعا فى الهباء . لا تلبث من الادخار والاباء أن تنطلق عارجة الى أوج العلاء

« وللناس فى تردد أنفاسهم آيتان من الشهيق والزفير : هذا يفعم الصدر وهذا يفرج عنه . كذلك الحياة عجيبة التركيب . فاشكر ربك اذا بليت . واشكر ربك اذا عوفيت »

ألطاف أربعة

« لكيما يسعد العرب فى البيداء ، راتعين فى بحبوحة الفضاء ، أولاهم المولى ذو الخير العميم مننا أربعاً :

« وأولى هذه المنن العمامة . وهى زينة أروع من التيجان قاطبة . ثم خيمة يتحملونها من مكان الى مكان . حتى ليعمروا كل مكان . ثم حسام بتار وهو أمنع من الحصون وشاهق الاسوار . ثم قصيد يؤنس ويفيد ويسترعى أسماع الخرد الغيد »

الحرية

« دعونى ما شئت على صهوة جوادى السابح ، وابقوا انتم فى بيوت المدر وخيام الوبر ! انى لأنطلق جذلان فى الفضاء الشاسع ، وليس فوق عمامتى إلا النجوم الزواهر

« وما زينت السماء الدنيا بمصابيح إلا هدى لكم فى البر والبحر ، ولتكونن متعة للطرف كلما وليتم وجوهكم أبد الدهر قبلة السماء »

تنافر

« اذا ما عزف إله العشق اللعوب عن يسارى بمزماره الشجى الطروب على حافة جدول سلسال . وعن يمينى فى حومة الميدان نفخ إله الحرب فى بوقه الصاخب الرنان . فان السمع لا شك منجذب عنه إلى الناحية الاخرى . ولكن الصخب يحرم السمع بهجة الطرب . فاذا استمر النغم الرخيم عالى الجرس مرفوع العقيرة فى وسط الوغى القاصف فانى لأسخط وأنقم

وإن عقلي ليشت ويشرد . فهل على فى ذلك من جناح ؟ واذا تزايد تطريب الناى وضجيج البوق فنسيت نفسى وخرجت من الخلق عن طورى . ففيم عجب العاجبين ؟ »

عناصر الشعر

« كم هى العناصر التى يقوم بها القصيد حتى يتملاه العامة ويلذ سماعه الخاصة ؟

« اذا نحن أنشدنا فليكن قبل شيء موضوع نشيدنا الحب ، فان الحب اذا داخل النغم زادت نبراته حلاوة ، ثم ليردد رنين الكؤوس ولتتلألأ فيه كميت الخمر كالياقوت فانما العشاق والندامى هم وحدهم من نهش لهم ونحييهم بأجمل الاكاليل

« كذلك يطيب لى أن اسمع صليل السلاح ودوى النفير حتى اذا انجلى الحظ أبلج أزهر غدا البطل بين الناس مؤلهاً بالنصر المؤزر »

ولا معدى للشاعر فى آخر الامر عن أن ينكر أشياء عدة . فما كان له ان يلقى القبيح المستنكر بمثل ما يلقى الحسن المستحب

فاذا اجتمعت للشاعر القوى الاولى لهذه المقومات الاربع فقد أشاع مثل حافظ البهجة والحياة بين الورى أجمعين الى أبد الآبدين

كتاب حافظ

يردد جوته قول أبناء العربية بأن العرب بفطرتهم مطبوعون على الشعر . ثم يعقب عليه بان أمة شاعرة كهذه لا بد فيها من نبوغ العدد العديد من فحول الشعراء . فاذا اختص بالذكر منهم على تعاقب القرون سبعة فقط وهم أصحاب المعلقات فليس لنا إلا قبول هذا بالتجلة والاخبات

ومثل هذا يقال أيضاً فى مكانة حافظ عند الفرس . ولا يحب جوته إطالة الكلام فى أشعار حافظ لأنه يرى الخير كل الخير لك فى أن تحسها وتجربها فى نفسك وتسترسل معها على وتيرة واحدة . فهى فيض من الحياة زلال سلسال لا ينضب معينه . وحافظ حكيم طروب ، يأخذ فى أثناء الطريق نصيبه من الحياة الدنيا ويلقى نظرة من بعيد على الأسرار الربانية العليا . وان يزهد عن الملذات الغليظة الحسية فانه كذلك ليغفل عن الفرائض الدينية . ثم إن شعره مع ما يبدو فيه من ترغيب وهداية دائم الاختلاج بحركة شكوكية

وقد استهل جوته كتاب حافظ بهذا الشعار : « هلم نسم اللفظة العروس ، ونسم المعنى العريس . لقد شهد هذا الزفاف من قرأ لحافظ شعره » . وهذى بعض مختارات من الكتاب :

لقب حافظ

الشاعر (جوته) ـ قل ، يا محمد شمس الدين ، ما بال قومك الاكرمين يدعونك حافظاً ؟

حافظ ـ أحييك تحية التعظيم . وجواباً على سؤالك أقول إن ذلك لحفظى القرآن الكريم

عن ظهر قلب ، واستيعابي ذخرة المصون عن التبديل والتحريف فى خزائن صدرى . ولقد حمانى كل مكروه كما حمى جميع الذين يعلمون علم اليقين ما أنزل على النبى من القول المبين . ذلكم هو السر فى تسميتى حافظاً

الشاعر - أما والأمر ما تقول يا حافظ ، فاراني حرياً بمشاركتك فى لقبك . والمرء إذ يفكر تفكير غيره يصبح لامحالة مثله . فانا شبيهك حق الشبه . إنى قد طبعت فى ذهنى كتبنا المقدسة بنصها وحرفها كما انطبعت أسارير السيد المسيح على صفحة المنديل مسحت إحدى الصالحات به وجهه فى طريق جلجلة . وانى على الرغم مما يداخلنى من الانكار والمعارضة والتجريد لواجد فى طلعة الايمان الساجية أنساً وراحة

نهاية ولا بداية

« أنت لا تؤذن بانتهاء ، وهذه عظمتك . ولا عهد لك بابتداء ، وهذه قسمتك . وانما شعرك يدور على نفسه كالفلك الدوار . سيان البداية والنهاية . والذى يرد فى الوسط وارد باجلى بيان فيا هو لاحق وفيما هو سابق . إنك المعين الشعرى للملذات ، وعنك تصدر فيضاً فى إثر فيض لا ينتهى مداه . فم لا يبرح نزوعاً للتقبيل ، ونشيد صادح بالحب منسجم كالسلسبيل ، وحنجرة ملتاحة على الدوام عطشا إلى الشراب ، وقلب طيب العنصر متفتح للبث والنجوى

« عفاء على الدنيا غيرك ! فانت يا حافظ وحدك دون العالمين من اشتهى معارضته . ولكم من المسرات والتباريح نحن فيهما شريكان . بل أخوان توءمان . ألا فليكن الحب والشراب لى مثلما كانا لك مطمح الهمة ومطلب الحياة . ويا أناشيدى : رجعى أنغامك متقدة بحر ضرامك . فانك اليوم لأعرق قدماً . وأقشب جدة »

محاكاة

« إنى لأرجو أن أوفق إلى أسلوب نظمك . وما أحرى ترجيع القافية أن يطربنى مثلما أطربك . وليس لقافية أن تتكرر بعينها إلا إذا أفادت معنى مغـــايرا كما صنعت فاجدت أيها الشاعر الذى أوتى ما لم يؤته أحد من الاوائل والاواخر

« وما من شك فى أن القوافى تعجب وتطرب . ويلذ لصاحب القريحة التفنن فيها . ولكن الطبع يمجها إن كانت قناعاً معروضاً لحسب ليس وراءها جسد ولا روح . ولن يجد الفكر لذاته فتنة إلا إذا استحدث قالباً جديداً واطرح القديم الخامد »

كتاب العشق

يستحضر الشاعر فى هذا الكتاب عشاق الشرق من ظلمات الماضى . وينوه بتعظيم الخلق

كافة للحب حتى لتذكر على الدهر أسماء المحبين كما تذكر أسماء الخالدين :

« أجل ، الحب فضيلة عظمى . ولن تجد نعمة هي أنفس منه . انه لا يهب الجاه ولا الثراء ، ولكنه يجعل صاحبه صنو الأبطال الاعلام . وكما يتحدث الخلق عن النبي فانهم كذلك ليتحدثون عن وامق وعذراء . بل هم لا يتحدثون عنهما وانما يذكرونهما . فاسمهما على كل لسان . أما وقائعهما وأما حقيقة امرهما فليس لأحد بها علم . لقد أحب أحدهما الآخر وهذا كل ما نعرف وفيه الكفاية » . والكتاب يصف ما يتملاه العاشق من سعادة فى سويعات القرب وما يعانى بعدها من حرقة الفراق ومرارة الحرمان فى قصائد عدة موسومة كلها بطابع الشرق وأخيلته :

كتاب مطالعة

« سفر ما اعجبه بين الاسفار ! ذلك سفر العشق . لقد أمعنت فى مطالعته . بضع صفحات من اللذة ، وأبواب مستفيضة فى الألم . اختص الفراق بجزء كامل واقتصر اللقاء على فصل وجيز ، على مقطوعة . وللاشجان مجلدات مذيلة بحواش لا حصر لها ولا آخر »

أسير

« هنا كان الطرف الأدعج والثغر الأحوى اللذان حظيت منهما باللحاظ والقبل . قوام سبط وأعطاف بضة لينة كأنما جعلت للمتعة فى جنة النعيم

« أكانت هنا حقاً ؟ وأين مضت ؟ أجل هى بعينها التى جادت بهـــذا كله ، هى التى سمحت بالوصال وولت هاربة لقد تيمتنى وتركتنى ما حييت أسيرها »

سلام

« واهاً ! ما كان أسعدنى ! . . . كنت أتمشى خلال الحقول فاذا الهدهد يطفر فى طريقى ، وكانت بغيتى التفتيش هنا وهناك بين الأحجار عن ودعات متحجرات مما تخلف عن البحر القديم ، فاعترضنى الهدهد فى اختيال ناشراً تاجه متبختراً فى هيئة المدل الساخر ، وانه لسخر الحى بالميت . فقلت له : يا هدهد ! فى الحق أنك لطائر جميل . انطلق يا هدهد وبلغ حبيبتى أنى لها وملك يمينها ما حييت . وكذلك كنت من قبل رسول الحب بين سليمان وملكة سبأ »

« فقال الهدهد : إن التى أنت موفدى لها ، قد أودعتنى كامل سرها ، فى نظرة واحدة من ناعس طرفها ، وأنا لا زلت كما كنت أغبطك دواماً على سعادتك . فاحبب ! واحبب ! . . فانه مكتوب لك فى الطالع دوام الحب الزاهر بقية أيامك مقترناً بالقوى الخالدة . وانتحى الهدهد الى نخلة فاتخذ له عشاً بين شماريخها يرمى هنا وهناك باللحاظ . ما أبدعه ! إنه أبداً يرعانا »

عبد الرحمن صدقى

حنين الى القاهرة

بقلم الامير مصطفى الشهابي

[نشرت الهلال عدة مقالات للامير مصطفى الشهابي حوت خطرات ادبية ونظرات اجتماعية كانت موضع اعجاب القراء ، وبرهنت على أن العلم يغذى الادب والادب يستفيد من حقائق العلم . فالامير عالم جليل في النبات والحيوان ، وهو الى ذلك اديب اتخذ الادب هوى يميل بطبعه اليه ، ومتعة يسري بهـا عن نفسه . وربما كانت ناحيته الشاعرية مجهولة حتى عن الكثيرين من أصدقائه . وقد اسمعنا هذه القصيدة العصماء التى تالهـا في وصف القـاهرة ومشاهدها وآثارها ، فأحببنا ان نتحف بها قراء الهلال لانها من عيون الشعر البليغ]

يا ساكنينَ حمى الاهرام إنَّ لكمْ ... في القلبِ ذكرى تُناجيها فتحيينا

هلاَّ أجبتم أخا ود يبثكمْ ... من « قاسيونَ » تحيات المشوقينا

لله نيلكمُ المخضلُّ جانبهُ ... حاكت سوائلُهُ أخلاقَكم لينا

فكم قطفنا جنى اللذات يانعةً ... من شاطئيه وكم رحنا وكم جينا

والزهرُ في « القبة » الخضراء يغبطنا ... و« عين شمس » ترى صفواً تآخينا

والطير قد رفرفت تشدو لنا طرباً ... والدوحُ قد أرقصت منها الأفانينا

لو لم تكن غادة « الزيتون » فاتنةً ... ماضمّن الآيَ زيتوناً ولا تينا

القناطر الخيرية

فهل تعودُ لنا الأيام مؤذنةً ... بما نودّ وهل نُحيي أمانينا

وهل نزور مُسنّاةً[1] تسحرنا ... رياضها الغرُّ تفويفاً وتلوينا

وهل نداعبُ غزلاناً بها أخذتْ ... تهوى إلى الخد تبريقاً وتزيينا

أم نستقر « بمينا هوس » في دعةٍ ... لله ليلتنا القمراء في « مينا »

القلعة

أم نرتقي القلعـة[2] الفتانَ منظرُها ... ونجتلى سندسَ الوادى فيسبينا

(١) القناطر الخيرية (٢) قلعة القاهرة ومسجدها

وندخل المسجد الأخاذ زبرجه نستغفر الله في قُلّ المصلينا

الذهبيات

أم نركَبُ «الذهبيّات» التي وقفت في النيل تسمعُ آهاتِ المحبينا
كأنها ديدَبانُ الحب يرمقنا شزراً ويُصغي الى صافي تناجينا

حديقة الحيوان

أم ندخل «الجيزة» الغناء روضتها[1] كأنها جنةُ الحُور الخليّينا
سجعُ الحمائم في أفياء غابتها لايستثير البوازي والشواهينا
والأسدُ تزأر في أقفاصها حنقاً تبغي التفلت من سجن الظالمينا
والببرُ يزعم ان لا كفء يعدله وأن في الضيغميّ الذلّ والهونا
والفيلُ يمرح مختالاً كأن به تصلفَ الغاصبين الأجنبيينا
والقردُ يلعب فوق الدوح مغتبطاً يقول وقّيت شرّ الآدميينا
والوعلُ والظبي والآرام نافرةً والذئبُ يبلغها شوقَ الموالينا
والضبعُ في لؤمه يزور مكتئباً يود لو كان يرديها ويردينا
والثعلبانُ يرى في الديك مثلبةً فيبتغي غارةَ الركب المغيرينا
وتزبئر ديوك الروم من كبر تخالها في نهاديها دهاقينا
حتى التماسيح حول الماء في سكر لاتشتهي الفأر زاداً والثعابينا

حديقة النبات

أم نقصد النبتَ في أكناف روضته[2] نشدو خزامى وقحواناً ونسرينا
نستعرض الشجر الدوّاح عن كثب سنطاً وميساً وجميزاً وزيتونا
بخور مريم يلقانا يبسمه والياسمين ضحوك من تصافينا
والماء يهتز من نيلوفر نضر والجو من عبق النوّار يندينا
أين الدجنّة في جوّ الشآم اذا «كانون» هاج أعاصيراً تغادينا
من رائق الجو في مصر وقد نسمتْ ريّا تلاعب في الروض الرياحينا

---

(١) حديقة الحيوان (٢) حديقة النبات

دار الكتب

أم نقرأ الكتب في دار[1] نيممها ... للروح فيها غذاء بات يغذينا

فيها ثمار عقول الناس دانية ... قطوفها للمكبين المجدّينا

من كل سفرٍ نفيسٍ لا كفاء له ... وكلّ عِلْقٍ يفوق الوهمَ تثمينا

ورب بحاثةٍ في الكتب ينقرها ... نقر المناجذ[2] ترباً في بساتينا

يشجيك منه لسان ناصح ونُهى ... وروعةُ الساطعين الألمعينا

دار الآثار

أم نجتلي دار آثار الألى ذهبوا ... ففاتنا بعدهم عزّ الأبيينا

نمتّع الطرفَ في آيات كل فتى ... صِنْعِ اليدين يجلّي في المجلينا

يكاد يذهبُ بالألباب زخرفها ... كأنها صنع جن عبقريينا

يا دارُ هل نقتفي آثار من ملئوا ... جوانب الأرض تمصيراً وتمدينا

« قوم اذا استخصموا كانوا فراعنة ... يوماً وإن حكموا كانوا موازينا »

وان تسنمت العلياء جلتهم ... كانوا على الناس في الدنيا سلاطينا

***

يا ساكني مصر لا تنسوا مودّتنا ... إن الوفاء لكم أضحى لنا دينا

أنتم بنو عمنا ، فاجفوا بساحكم ... حمراء بالشر تغريكم وتغرينا

الخلق والخلق والعادات تجمعنا ... والدين واللغة الفصحى وماضينا

مصطفى الشهابي



---

(١) دار الكتب المصرية

(٢) المناجذ جمع (الخلد) من غير لفظه وهو نوع من القواضم يعيش تحت الارض وليس له عينان ولا اذنان

نظم الدراسة بالازهر
في العصر الفاطمي

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

رأى القراء في هلال فبراير الماضي كيف انشئت دار الحكمة في عهد الحاكم بامر الله الفاطمي، وكيف مكثت مدى قرن من الزمان تنافس الازهر ، ثم ضعفت وأغلقت في القرن السادس الهجري . ثم أخذ الازهر يتبوأ المكانة الاولى بين معاهد التعليم . وفي هذا المقال يتناول الاستاذ عنان انظمته الدراسية في تلك المرحلة من التاريخ

لبثت دار الحكمة القاهرية ،كما رأينا ، عصراً تأخذ فى توجيه الحركة الفكرية بقسط وافر . وكان الجامع الازهر أثناء ذلك يقوم بمهمته العلمية فى ذلك المدى المحدود الذى أتيح له أن يعمل فيه حسبما بينا . بيد انه كان يعمل فى جو اكثر هدوءاً وانتظاماً ، بعيداً عن تلك العواصف التى تضطرب لها الدراسة فى دار الحكمة ، وربما كان أثره لذلك ابعد فى تكوين المجتمع الفكرى يومئذ ، خصوصاً منذ اضمحلت دار الحكمة ثم اغلقت فى أوائل القرن السادس . وكان لاغلاق دار الحكمة بلا ريب اثر فى نشاط الدراسة بالازهر خصوصاً فى علوم اللغة والعلوم العقلية التى كانت تستأثر بها دار الحكمة (١) وتلاحظ ان صفة الازهر كجامعة رئيسية أخذت تبدو من ذلك الحين بوضوح . وكان المسجد الجامع (جامع عمرو) لا يزال يحتفظ بحلقاته ، ولكنها كانت تقتصر فى الغالب على حلقات الاقراء والمطارحات الادبية ، ولم يكن لبعث دار الحكمة فى عهد الآمر بأحكام الله كبير شأن كما قدمنا ، فكان الازهر منذ اوائل القرن السادس فى الواقع أهم معاهد التعليم والدراسة المنظمة فى مصر الاسلامية

ماذا كانت أنظمة الدراسة بالازهر فى تلك المرحلة من تاريخه ؟ من الصعب ان نقدم عن تلك الأنظمة صورة دقيقة ، وليس فيما لدينا من المصادر عنها أية رواية شافية . بيد انه يلوح لنا مما لدينا من الاشارات الموجزة ان نظام الدرس بالازهر قد بدأ على نفس النمط القديم الذى كان متبعاً فى مصر وباقى العواصم الاسلامية يومئذ ، ونعنى نظام الحلقات ومجالس الدروس العامة والخاصة . وقد اشتهر نظام الحلقات الدراسية بمصر منذ القرن الثانى للهجرة . وكانت هذه الحلقات على نوعين عامة وخاصة . فاما العامة فكان مركزها المسجد الجامع او جامع عمرو ، وتتناول العلوم الدينية بنوع خاص . وفى هذه الحلقات تخرج معظم المحدثين والفقهاء بمصر

(١) الخطط ج ٢ ص ٣٣٤ — وكتاب الولاة والقضاة ص ٦١٠

الاسلامية خلال القرنين الثانى والثالث وأوائل القرن الرابع ، وكانت منها حلقة الامام محمد بن ادريس الشافعى الشهيرة فى خاتمة القرن الثانى وفاتحة القرن الثالث (١٩٨ - ٢٠٤ ه) وهى التى تخرج فيها عدة من الاقطاب فى هذا العهد . وأما الحلقات الخاصة فكان يعقدها كبار الفقهاء والأدباء فى منازلهم ، ويقرأون دروسهم فيها على الأخصاء من اصدقائهم وتلامذتهم . وأشهر هذه الحلقات حلقة بنى عبد الحكم (١) . وهى اسرة مصرية نابهة نبغ فيها عدة فقهاء ومحدثين فى اوائل القرن الثالث (٢) . وقد بدأت الدراسة بالجامع الأزهر وفقاً لهذا النظام القديم أعنى نظام الحلقات ، واستمرت كذلك عصوراً طويلة . وعقدت أول حلقة للدرس بالازهر فى صفر سنة ٣٦٥ ه اعنى لنحو اربعة اعوام فقط من إنشائه ، عقدها قاضى القضاة على بن النعمان ،وقرأ فيها مختصر ابيه فى فقه آل البيت وهو الكتاب المسمى بكتاب « الاقتصار » فى جمع حافل وأثبتت اسماء الحاضرين . وفى سنة ٣٧٨ ه أذن العزيز بالله لوزيره ابن كلس ان يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للدرس والقراءة ، وكانوا يعقدون حلقاتهم الدراسية بالجامع يوم الجمعة بعد الصلاة الى العصر ، وهم أول اساتذة بالازهر اجريت عليهم من الدولة رواتب خاصة (٣) . وفى هذين النصين القديمين ما يدل بوضوح على ان الدراسة بالازهر ، بدأت بنظام الحلقات الدراسية القديمة . ولهذه الطريقة كثير من مزايا الدراسة الجامعية . وكانت الدراسة يومئذ بالازهر حرة، ينفق عليها من أموال الاحباس والصدقات العامة والخاصة (٤) فاما الاحباس العامة فرتبها الدولة أو الخليفة ، ويفصل فيها وجوه النفقة على نحو ما ورد فى سجل الحاكم بالله ، وهو أول سجل من نوعه رتبت للازهر بمقتضاه أرزاق ونفقات خاصة . وأما الخاصة فيرتبها الاكابر والاغنياء على نحو ما فعل الوزير ابن كلس ، وأما الصدقات فكانت تشمل نصيب الازهر من مال النجوى ، وتوزيع أولى الامر الاطعمة والحلوى على الطلبة والمساكين بالازهر وغيره من المساجد الجامعة فى مواسم معينة (٥) وكان الازهر منذ بدأت فيه الدراسة مفتوح الباب لكل مسلم،يقصد اليه الطلاب من مشارق الارض ومغاربها،وتقيم كل جماعة فى مكان خاص بها،وكان هذا بدء نظام الاروقة الشهير الذى ما يزال قائماً الى يومنا (٦)

هذا . وأما عن الكتب الدراسية التى كانت تدرس بالازهر فى هذا العصر ، فليس لدينا أيضاً سوى اشارات موجزة جداً . وأول كتاب درس بالازهر هو كتاب « الاقتصار » أو

(١) السيوطى فى حسن المحاضرة ج ١ ص ١٨٦ (٢) كان عميد الاسرة عبد الله بن عبد الحكم أحد أقطاب الفقه المالكي ، وقد توفي سنة ٢١٤ ه وابناه : عبد الرحمن بن عبد الحكم اقدم مؤرخ لمصر الاسلامية وقد توفي سنة ٢٥٧ ه ، ومحمد وهو فقيه كبير وقد توفي سنة ٢٦٩ ه (راجع ابن خلكان ج ١ ص ٣١٢) (٣) الخطط ج ٤ ص ٤٩ — وص ١٥٧ (٤) يراجع فى نصيب الازهر من الاحباس الخطط ج ٤ ص ٤٩ و٥٠ و ٨٤ (٥) الخطط ج ٢ ص ٢٥٢ و ٢٩٢ و ٣٠٠ (٦) الخطط ج ٤ ص ٥٤

« الاقصار » الذى وضعه أبو حنيفة النعمان بن محمد القيروانى قاضى المعز لدين الله فى فقه آل البيت . وكان يتولى قراءته وتدريسه بالازهر ولده ابو الحسين على بن النعمان كما قدمنا . واستمرت قراءته مدى حين على يد بنى النعمان الذين تعاقبوا فى قضاء مصر حتى نهاية القرن الرابع . وكان للنعمان القيروانى كتب أخرى فى فقه الامامية (الشيعة) ذكر لنا ابن زولاق مؤرخ المعز لدين الله أسماءها وهى : كتاب « اختلاف أصول المذاهب » وكتاب « الأخبار » وكتاب « اختلاف الفقهاء » . ومن المرجح انها كانت تدرس بالازهر الى جانب كتاب « الاقتصار » حتى أواخر القرن الرابع (١)

ثم قرىء بالازهر كتاب ألفه الوزير ابن كلس فى الفقه الشيعى على مذهب الاسماعيلية وضمنه ما سمعه فى ذلك من المعز لدين الله وولده العزيز ، وهو المعروف بالرسالة الوزيرية، وكان يجلس لقراءته وتدريسه بنفسه . وأفتى الناس بمافيه (٢) . وكان التدريس بالازهر يومئذ يجرى على المذهب الشيعى ، وشدد فى ذلك بادىء بدء ، حتى انه فى سنة احدى وثمانين وثلثمائة قبض على رجل وجد عنده كتاب الموطأ لمالك وجلد من أجل احرازه (٣) وفى سنة ست عشرة وأربعمائة أمر الظاهر لاعزاز دين الله بان يدرس الدعاة للناس كتاب « دعائم الاسلام » وكتاب « مختصر الوزير » ، ورتب لمن يحفظهما مالا (٤) والدعاة هم أساتذة دار الحكمة ، وقد كانوا يجلسون بالجامع الازهر فى أحيان كثيرة (٥) والمرجح ان كثيراً من الكتب الفقهية التى كانت تدرس بدار الحكمة كانت تدرس أيضا بالازهر . ومن الاسف اننا لم نعثر على بيانات أخرى تلقى ضياء على أنواع الكتب التى كانت تدرس بالازهر فى هذا العهد فى العلوم الاخرى . كذلك لم نعثر على شىء من أسماء الكتب التى كانت تدرس بدار الحكمة ، وان كان قد انتهى الينا شىء عن الدعوة السرية الفاطمية وقليل من رسائل الدعاة وتعاليمهم (٦) ومن المحقق ان كثيراً من الكتب التى ألفت ودرست فى هذا العهد قد دثر بانتهاء الدولة الفاطمية ، واشتداد الدولة الايوبية التى خلفتها فى محو رسومها وآثارها ، فلم يعن كثيرا بتداولها والتعريف عنها

* * *

كان للازهر بلا ريب أثره فى توجيه الحياة العقلية المصرية فى هذا العصر (العصر الفاطمى) بيد أن هذا الأثر كان محدوداً ، خصوصاً منذ قيام دار الحكمة جامعة الدولة الرسمية وتبوئها

(١) ابن خلكان ج ٢ ص ٣١٩ (٢) راجع « الاشارة الى من نال الوزارة » لابن الصيرفى ص ٢٣ — وابن خلكان ج ٢ ص ٤٤١ — والخطط ج ٤ ص ١٥٧ (٣) الخطط ج ٤ ص ١٥٧ (٤) الخطط ج ٢ ص ١٦٩ (٥) الخطط ج ٣ ص ٢٢٦ — تاريخ ابن ميسر ص ٦٤ (٦) انتهى الينا بعض رسائل الدعاة السرية فى مجموعة مخطوطة بدار الكتب وهى تنسب لحمزة بن على احد أكابر الدعاة (دار الكتب رقم ٥٤ عقائد النحل)

مقام الزعامة فى توجيه الحركة الفكرية . وقد كان أثر الازهر أقوى وأشد ظهوراً فى نشر العلوم الدينية وتخريج علماء الدين ، لأنه كما قلنا كان موئل الثقافة الدينية بينما كانت دار الحكمة موئل الثقافة المدنية . وعلى أىّ حال فان مؤرخ الآداب العربية لا يسعه إلا أن ينوه بما كان للازهر من أثر فى سير الحركة العلمية أيام الدولة الفاطمية ، وان كان هذا الاثر لم يبلغ يومئذ ما بلغه فيما بعد من الأهمية والخطورة

ونلاحظ من جهة أخرى ان أثر الازهر فى توجيه الحياة السياسية فى تلك المرحلة الاولى من حياته لم يكن عظيما . ذلك ان الدولة الفاطمية كانت تحرص على سلطانها السياسى أشد الحرص وتمعن فى التمسك بعصبيتها ، ولا تفسح كبير مجال لنفوذ العلماء ورجال الدين ، ولم تكن عنايتها بنشر دعوتها الدينية إلا توطيداً لدعوتها السياسية ، ولم يكن للدعاة من العلماء ورجال الدين من النفوذ المستقل إلا ما يتجه نحو هذه الغاية ، ويخضع لسياسة الدولة العامة . كذلك لم يكن للفقهاء والمشترعين المستقلين كبير أثر فى سير الشرائع فى ذلك العصر ، لأن الدولة الفاطمية كانت تهتدى فى صوغ شرائعها بمبادئها المذهبية الخاصة ، ومن ثم فانا لا نستطيع أن نلمس أثراً يذكر لرجال العلم والدين فى توجيه الحياة السياسية فى العصر الفاطمى

محمد عبد الله عنان

المحامي

ه هل كنا نجد من وقتنا متسعاً لكى نفكر فى المستحيل ، لو كنا نصنع اللازم الضرورى؟ وهل كنا نعرف معنى اليأس لو كنا نعيد الامل الى أولئك الذين لا ثروة لهم غير الامل ؟

« جورج صند »

ه الانسان العاقل لا يمكنه إلا ان يكون راغباً فى الحرية . لأن العقل روح الحرية

« الفيلسوف ليبتز »

ه ان مساء الحياة يأتى بمصباحه معه « جوبير »

الوطن الاول للانسان

بحث عن المهد الذي نشأ فيه النوع البشري

بقلم الدكتور محمد عوض محمد

أصبح الانسان وقد اتخذ من الارض كلها داراً ومن كل اقليم وطناً . ويوشك ألا يكون فى الكائنات جميعاً حيوانها ونباتها من هو أوسع انتشاراً وأكثر ضرباً فى مناكب الارض من الانسان ، سكن الجبال على وعورتها وشدتها ، واستوطن الصحراء على قلة نبتها ومائها ، واستطاع أن يعيش وسط الغابات الكثيفة وتحت الشمس المحرقة ، وأن يتخذ حتى من المستنقعات وطناً يعيش فيه ، ولم يرتد حتى عن الاقطار القطبية ذات الزمهرير القارس والظلام الدامس . لم ينثن الانسان أمام هذا كله ، بل استطاع ان يتخذ لنفسه فى كل اقليم داراً وان يجعل من كل بيئة وطنا

ولكن أى هذه الاوطان هو الوطن الاول ؟ أين الوطن الاول لهذا الكائن الذى يملأ اليوم هذا الكوكب ، والذى أصبح له اليوم ألف وطن ؟ إنه من غير شك لم ينشأ فى كل هـذه الاوطان مرة واحدة . ولم تكن له نشآت مستقلة متعددة فى جهات متفرقة . إنه لا يمكن أن يخالف الانواع جميعاً بحيث تنشأ منه فى آسيا سلالة وفى أفريقية سلالة أخرى وفى أوربا سلالة ثالثة . لقد وجد بين علماء الانثروبولوجيا من قال بأن للانسان نشأتين مستقلتين(١) ، محاولا بهذا أن يعلل اختلاف الاجناس فى الوقت الحاضر وخصوصا اختلافها فى شكل الرأس . ولكن هذا الرأى اذا استطاع أن يوصلنا إلى حل مشكلة واحدة ، فانه يثير أمامنا مشاكل أشد منها وأكثر تعقيداً ، ولهذا لم يلبث أن نبذه الباحثون نبذاً تاماً . ويكاد ألا يكون بين الكتاب اليوم كاتب واحد ذو شأن يقول بهذا الرأى . وفى وسعنا ان نقرر فى أول بحثنا هذا أن نشأة الانسان واحـدة ، وأن سكان الارض جميعاً ــ مهما اختلفوا فيما بينهم فى صورهم وأشكالهم وفى مذاهبهم وثقافاتهم ، وأيا كان وطنهم اليوم أو مساكنهم بالأمس أو مأواهم فى الغد ــ ينتمون إلى نوع واحد . وإن هذا النوع نشأ وتكون فى ناحية واحدة من سطح الارض . ودرج ونما فى وطن واحد ، ثم انتشر من هذا الوطن الى سائر الأنحاء والبقاع . ولهذا جاز لنا أن نتساءل : أين كان الوطن الاول ؟

---

(١) لعل المؤلف الالماني كلاتش Klaatch هو أكبر وآخر أصحاب هذا الرأي . وقد حاول أن يثبت أن لانسان آسيا نشأة مستقلة عن انسان اوربا وافريقية . ولكن لم يبق له أنصار يستحقون الذكر

ولا بد لنا قبل أن نجيب عن هذا السؤال أن نقرر الخطة التي نسلكها في بحثنا . فان الامر بطبيعته ليس بالهين. وآثار الانسان التي خلفها من بعده تقل تدريجياً كلما رجعنا إلى العصور القديمة ، حتى تكاد تصبح عدما إذا رجعنا إلى العصر الذى نستطيع ان نفترض أن الانسان قد نشأ فيه

ذلك أن الانسان لابد قد نشأ ودرج على سطح الارض وقضى فيها أزمنة وعصوراً يجد ويدأب ويتعلم بالتدريج جميع تلك الاشياء التي ميزته فيما بعد على سائر الكائنات . إنه لا بد قد تعلم بالتدريج كيف يتفاهم ويتحدث الى بني نوعه . وتعلم بالتدريج كيف يصنع الآلات من الحجر ليقنص بها الصيد الذى يقتات به هو وعياله . وبالتدريج جعل يتفهم ما حوله من ظاهرات الطبيعة : من حرارة وبرودة ورياح وعواصف . ثم اهتدى ــ بعد لأى ــ الى النار وكيف ينتفع بها . والى الكهوف وكيف يأوى اليها هو وأسرته . وترك لنا في منازله هذه آثاراً ترينا في كثير من الغموض والابهام كيف كان يقضى حياته ، وكيف كان يدفن بعد مماته . وكيف أخذ يبتكر على مر السنين عددا وآلات من الصوان ومن العظام ومن قرون الوعول متنوعة متعددة . خلف لنا هذه الآثار جميعاً ، لكن وجود هذه الآثار ليس وحده دليلا على أن الجهات التي وجدت بها هي الوطن الاول للانسان . فان هذا الكائن لا بد أنه قضى دهراً طويلا يجاهد ويناضل دون أن يكون لديه من الآلات ما قد يبقى أثراً من بعده . ولا بد أنه قاسى في ذلك الزمن البعيد أشد العذاب ، إذ كان في الغالب أعزل إلا من غصن شجرة أو قطعة من حجر يدرأ بهما عن نفسه . ففي ذلك العهد البعيد لم يكن الانسان اهتدى الى ابتكار تلك الآلات التي قد تبقى أثراً من بعده . ولئن كان لديه ما قد يدل على وجوده ، فان في قدم العهد وحوادث الدهر ما يكفى لضياع الكثير

حقيقة هنالك آثار قد يتركها الانسان الاول وتدل عليه دلالة صريحة مهما تقادم العهد . تلك هي بقايا الانسان نفسه . من عظام الرأس والاطراف والاسنان . ولاشك أن هذه ــ ان وجدت ــ كان فيها غنية للباحث غير أن ما وجد الى اليوم من بقايا الانسان نفسه شيء قليل جـداً . فليس لدى الباحث اليوم من البقايا البشرية القديمة سوى بضعة آثار مبعثرة لن ترشدنا الى الوصول الى نتيجة حاسمة

ودراسة بقايا الانسان وآثاره تستلزم حتما دراسة التربة التي وجدت فيها تلك البقايا ومقارنتها بالتربة التي فوقها والتي تحتها . لكى نتبين من هـذا البحث العصر الذى ترجع اليه تلك التربة ، ولنفهم من هذا مبلغ قدمها ، وقدم الآثار المقبورة فيها بما فى ذلك بقايا الانسان نفسه ، لعلنا نهتدى بهذا الى درجة قدم الانسان نفسه ــ وهل الانسان قديم ؟

لعله ليس من الفضول ان نسأل هذا السؤال ونحن نبحث عن الوطن الاول للانسان ، فان المسألتين مرتبطتان أشد الارتباط وبينهما علاقة متينة . ولا بد من معرفة الزمن الذى يرجع اليه نشوء الانسان الاول حتى نعرف أين كان وطنه الاول . لهذا يحق لنا أن نتساءل : هل الانسان قديم ؟

واعتبار الانسان قديماً أو غير قديم أمر يرجع الى المعنى الذى نقصد اليه بكلمة القدم . فبالقياس إلى سائر الكائنات من وحش وطير ، وحشرات ونبات ، يعد الانسان من غير شك كائنا حديثاً مفرطا فى الحداثة . فان تاريخ الحياة على سطح كوكبنا هذا تاريخ قديم جداً تدرجت فيه الحياة من أصغر الكائنات حجما وأبسطها شكلا ، الى ما نراه اليوم من كائنات راقية عظيمة

ولكن الانسان — مع هذا — قديم على سطح الارض إذا نظرنا الى قدمه من ناحية أخرى غير الناحية الجيولوجية . ذلك أن الرأى الشائع فيما مضى هو أن الانسان قد ظهر على سطح الارض منذ بضعة آلاف من السنين . وغلا بعض الناس حتى حدد تاريخ ذلك الحادث الخطير بأنه قد تم حوالى سنة اربعة آلاف قبل ميلاد السيد المسيح . ولعل أظهر نتيجة للبحث عن اثار الانسان هي ان هذه الآثار ترجع إلى زمن بعيد جداً لا يجوز أن نحصيه بعشرات الالوف من السنين

واذا اقتفينا أثر الانسان من زماننا هذا الى العصور القديمة ، متنقلين بالتدريج من ضياء التاريخ الساطع الى ظلمات ماقبل التاريخ : من هذا العصر الذى نعيش فيه وندعوه عصر البخار والكهرباء، الى عصور أخرى ننعتها بعصور الحديد والبرنز والنحاس . ثم مضينا إلى ماوراء ذلك إلى العصر الذى نسميه العصر الحجرى الحديث والمتوسط والقديم — اذا نحن اقتفينا أثر الانسان فى هذه العصور كلها ، نراه ماثلا أمام أعيننا فى جميع تلك الازمنة . ونكاد نتخيله فى غدوه ورواحه وفى جده ولعبه وفى حياته ومماته . ونجد بقاياه فى غير واحدة من القارات لانه ترك آثاره فى نواح شتى من سطح الأرض مما يدلنا على انه — حتى فى ذلك العهد البعيد — كان الانسان قد انتشر فى منا كب الارض ورحل عن وطنه الأول الذى نشأ فيه ودرج

اذن لا بد لنا أن نمضى فى بحثنا عن الانسان الى ماوراء العصر الحجرى القديم . وهنالك نجد أنفسنا فى ظلمات وغياهب يوشك ألا يتخللها قبس واحد من النور ، لأن الانسان قبل العصر الحجرى لم يكن قد اتخذ بعد آلات من الصوان ذات صور وأشكال تدل على أنها من صنع الانسان . فكيف نهتدى اليه فى تلك العصور المظلمة ؟

لم يبق الا أن نبحث عن الانسان نفسه فى طبقات سطح الارض الحديثة التكوين : ههنا رواسب نهر . فلنحفر فيها الى أبعد عمق نستطيع الوصول اليه وهناك بقايا خلفتها الثلوج المتراكمة فى زمن كانت فيه تلك الجهات من أوربا مغطاة بالثلوج . لنبحث هذه المخلفات الجيولوجية الحديثة . ولنحفر ماوسعنا الحفر علنا نعثر على بقايا الانسان القديم

فى العصر الجيولوجى الحديث الذى يدعونه العصر الرابع أو البليستوسين ، وهو عصر حديث العهد جداً ، نجد الانسان قد انتشر فى غرب أوربا ونجد بقاياه فى روديسيا وفى بعض نواح أخرى فى مختلف القارات . فى هذا العصر انتابت بعض الاقاليم — وعلى الاخص شمال أوربا وأمريكا — تغيرات مناخية عنيفة وانخفاضات شديدة فى درجة الحرارة كان من نتائجها أن تكونت على سطح الأرض

طبقة من الجليد تغطى تلك النواحى على نحو ماهو مشاهد اليوم فى جزيرة جرينلندة . وكانت فترات الجليد هذه تتخللها فترات دفء وحرارة تعود فيها الأحوال الماضية الى نحو ماهى عليه الآن . ومهما يكن من شيء فان هذه الظاهرة الطبيعية — التى كانت سببا فى نعت هذا العهد بالعصر الجليدى — هى من أهم مميزات هذا العصر الرابع

فى أثناء هذا العصر — فى معظمه ان لم يكن فى جميعه — نجد آثار الانسان وبقاياه فى نواح مختلفة فى أوربا مختلطة ببقايا حيوانات غريبة منقرضة كانت تعاصره وكان يصيدها ويتغذى بلحومها

ان الانسان دخل أوربا من غير شك فى فترة من فترات الحرارة والدفء لا فى أوان البرودة والجليد فأقام بها زمناً يجوب أقطارها ويتنقل بين أرجائها وهو يعيش فى العراء وعلى منحدرات الكثبان الخالية من الغابات الى أن أدركته فترة الجليد واشتد عليه البرد فاضطر لأن يبحث لنفسه عن مأوى . فسكن الكهوف وتعلم كيف ينتفع بالنيران وان لم يكن بعد قادراً على احداثها . وكيف يكتسى بالفراء والجلود اتقاء لأذى البرد . وهكذا أخذ يتقدم ويرتقى فى ظل هذه البيئة القاسية

واذن فقد عرفنا وجود الانسان بآثاره ومخلفاته فى أوربا فى أوائل عصر البليوسين . واذن فبحثنا عن قدم الانسان يسوقنا حتما الى أن نفتش عنه فى أواخر العصر الثالث أى فى الزمن الذى يدعوه الجيولوجيون بالبليوسين . فاذا فرض أن الانسان الأول عاش فى ذلك العصر فمن الممكن أن نجد بقاياه مدفونة وسط الطبقات التى تكونت فى هذا الزمن . فلئن كان الانسان الأول عاجزاً عن صنع آلات تبقى بعده دليلا عليه فمن الجائز على الاقل أن تترك عظامه وجماجمه وأضراسه مدفونة فى طبقات الأرض فتدل الباحثين عليه

وهنا نجد أنفسنا أمام اكتشاف واحد لا ثانى له من نوعه . ونحن مضطرون لان نعلق أهمية عظيمة على هذا الكشف الوحيد . . ذلك أن جراحا هولنديا اسمه الدكتور دبوا (Dubois) أخذ يبحث فى جزيرة جاوة فى الرواسب المتراكمة على ضفاف بعض أنهار هذه الجزيرة . فبعد لأى عثر على جمجمة انسان وبعض عظام الفخذ وعدد من الاسنان . والمفروض أن هذه الاشياء كلها لشخص واحد . والرواسب التى وجدت بها هذه البقايا ترجع الى أواخر عصر البليوسين

وهذه العظام على قلتها كافية لان تساعدنا على أن نمثل لانفسنا صورة الشخص الذى تركها فلقد كان إنساناً فى مرتبة غاية فى التأخر ، لا يملأ جمجمته سوى مخ صغير (حجمه نحو ١٠٠٠ س م ٣) أى أنه يقل عن أحط الاجناس التى تعيش اليوم فى حجم المخ ، أو على أكبر تقدير يشبهها . وكان ذا فك بارز وأنف أفطس غليظ ، وجبهته مائلة منحدرة ، وله حواجب مشرفة من فوق عظم بارز . هذه الصفات — التى يصفها بعض الكتاب بأنها من الناحية البشرية صفات منحطة ، جعلت بعض المتحذلقين من الكتاب ينعتونه باسم Pithecanthropus أى

الانسان القرد . لكن هذه الحذلقة ليس لها داع مطلقاً . فهذه بقايا إنسان من غير شك ، ولها من الصفات البشرية ما يضطرنا لان ندخله فى عداد البشر . وأن نطلق عليه اسم « إنسان جاوه »

فبقايا إنسان جاوه هي كل ما عثر عليه من بقايا الانسان البليوسيني . وهي للاسف بقايا قليلة ولا نستطيع أن نغلو فنبني عليها نظريات كثيرة . وكل ما نستطيع تقريره هو أن بقايا الانسان قد وجدت فعلا فى عصر البليوسين . ونظراً لان تلك البقايا لا تدل على نوع بشرى راق ، ففي الغالب أن انسان البليوسين هو أول انسان وجد على سطح الارض . فلا يجوز لنا أن نذهب الى أبعد من هذا العصر — الى الميوسين مثلا كما يفعل بعض الغلاة من الكتاب — بل الذى يمكننا تقريره أن الانسان قد نشأ وتكون فى عصر البليوسين فى بقعة فسيحة من الارض هى وطنه الاول

وقد كان البليوسين عصر اضطرابات جيولوجية : ارتفاع تدريجي وهبوط تدريجي فى قشرة الارض. وكان النصف الشرقي للبحر الابيض المتوسط منفصلا عن النصف الغربي. وكانت أوربا متصلة بأفريقية عند إيطاليا . وكذلك عند جبل طارق . وكانت هنالك اضطرابات بركانية كثيرة . وجبال الألب وان تم تكونها غير أنها لم تكن بعد قد وصلت إلى حالة استقرار . وكانت مصبات كثير من الأنهار مغمورة بمياه البحر إلى مسافات بعيدة . وهذا صحيح بوجه خاص فى حالة النيل والرون والبو . وقد تكون البحر الأحمر على شكل بحيرة مستطيلة لان افريقا كانت متصلة بآسيا حيث اليوم بوغاز باب المندب . وهنالك أدلة واضحة تشير إلى أن الهواء أخذ يبرد والجليد أخذ يتكون فى شمالى أوربا الغربى فى أواخر البليوسين — أى فى الوقت الذى افترضنا أنه عصر نشأة الانسان فأصبح الهواء قارسا فى معظم أوربا ، وأخذ الجليد يتراكم . أما فى شمالى افريقا وما يوازيه من الاقطار فى آسيا فهناك كان الهواء معتدلا حيث تغلب عليه صفة الحرارة اليوم . وكان المطر كثيراً حيث يسود الجفاف اليوم فى صحراء آسيا الغربية وافريقا الشمالية . وفى أواخر عصر البليوسين وأوائل البليستوسين كانت هنالك تغيرات كثيرة فى توزيع الماء واليابس ، بحيث أن جزءاً عظيما مما يغمره المحيط الهندى اليوم مثل خليج العجم كان أرضا يابسة

وهنالك أمر اخر يجب أن نجعله نصب أعيننا ، ونحن نفكر فى أمر ذلك الوطن الاول ، وهو ملاءمة هذا الوطن للهجرات المختلفة التى قام بها الانسان . وهي التى أدت الى انتشاره فى جهات وأقطار أخرى ، وإلى تكوين أجناس مختلف بعضها عن بعض . فالانسان الاول فى وطنه الاول لم يكن أفراده أجناسا وشعوباً مختلفة الاشكال والصور ، بل الادنى الى العقل أن الافراد فى الوطن الاول كانوا جميعاً متقاربين فى شكولهم وصورهم لا يكاد يتميز بعضهم عن بعض الا قليلا

اذن لا يكفى أن يكون الوطن الاول للنوع البشرى ملائماً للانسان كما نعرفه اليوم ، بل يجب أن يكون موضع ذلك الوطن من سطح الارض بحيث نستطيع أن نفهم كيف انتشر منه الانسان فى شتى الجهات بحيث أمكن تكوين الاجناس فى مواطنها المختلفة — فاذا ذكرنا هذا كله استطعنا الان

أن نتناول كل قطر على حدة ، لنرى مبلغ صلاحه لان يكون الوطن الاول للنوع البشري

فأما أمريكا — شماليها وجنوبيها — فيجب أن نستبعدها بتاتاً . ومما لا يعقل مطلقا أن تكون أمريكا هي مهد الانسان ، فانها لم تكن وطنا الا لجنس واحد ذي صفات خاصة هو جنس هنود أمريكا . ومن المستحيل — مهما كان بها من اعتدال في الهواء — أن نتصور كيف نزح منها الجنس الزنجي حتى وصل الى افريقية . وخصوصاً أن نقطة التقاء أمريكا ببقية سطح الارض هي حيث تقترب الاسكا وسيبريا في المحيط المتجمد الشمالي . وهو طريق جليدي وعر لايطيب للانسان في حاله الاولى أن يسلكه . ونحن عدا هذا نعلم أن الجنس الامريكي الاصلي مشتق من الجنس المغولي ، بل هو فرع تفرع منه وهاجر في زمن ليس ببعيد عن طريق سيبريا والاسكا حتى وصل الى أمريكا ... فلنستبعد اذن أمريكا فانها لا يمكن أن تكون الوطن الاول ، حتى ولا الوطن الثاني . وكذلك أوربا لن تكون هذا الوطن ، لأن مناخها القارس وزلازلها وجبالها ووعورة مسالكها ، والثلج المتراكم في كثير من أرجائها — كل هذا لايتفق وما تتطلبه نشأة الانسان من الأحوال الملائمة . ونحن نرى الانسان الذي ترك مخلفاته في عصر البليستوسين بأوربا — نراه داخلا اليها من ناحية افريقيا ، في فترات الدفء والحرارة . ونستطيع أن نقتفي أثره الى المانيا (حيث بقايا انسان هيدلبرج) والى انكلترا (حيث بقايا انسان بلتدون) . ومن بعد ذلك نرى بقايا انسان نياندرتال Nean derthal منتشراً في جهات كثيرة وقد دخل أوربا من الجنوب . وكان المدخل الى أوربا هو من قارة افريقيا

بقيت لدينا قارتان افريقيا واسيا (اذ ليست استراليا في هذا البحث سوى ملحق لقارة اسيا) . وقد وجد بين الباحثين من ينتصر لواحدة من هاتين القارتين فيجعل منها الوطن الأول للنوع البشري ، كما وجد فيهم من يجعل الوطن الأول اقليما وسطا يتناول جزءاً من أفريقا وجزءاً من اسيا

أما افريقا وصلاحيتها لأن تكون مهداً للانسان فقد قال بهذا الرأى كثير من العلماء في الجيل السالف منهم كين العالم الانثروبولوجي المعروف . ولقد كانت افريقيا في عهد جيولوجي حديث — وبلا شك في اخر البليوسين — متصلة باسيا عند بوغاز باب المندب وبأوربا عند جبل طارق . وهكذا يصبح في وسع الانسان الأول أن يمضى الى هاتين القارتين من غير حاجة لان يتعلم السباحة أو الملاحة . اذ كان البحر الاحمر بحيرة مستطيلة لا تتصل بالمحيط . وكذلك البحر الابيض المتوسط . . .

وقبل أن نبت برأى في صلاح قارة افريقيا للانسان يجب أن نستعرض اقاليمها الرئيسية لكي نتعرف صفاتها . أما أواسط افريقيا فاقليم استوائي وكان في عصر نشأة الانسان أغزر مطرا وأشد رطوبة . وغاباته الكثيفة كانت أشد كثافة مما هو معروف اليوم وحتى على فرض أنها كانت في ذلك الوقت كما هي اليوم فان الاقاليم الاستوائية الافريقية — بحرارتها ورطوبتها وحشراتها وامراضها — ليست من الاقاليم التي يرتاح للعيش فيها النوع البشري ولا تحفزه بيئتها الى الجد ولا تساعده على التفكير هذه الغابات الاستوائية تحتل الربع الاوسط من القارة ، أما الجزء الجنوبي من أفريقا فشديد

الوعورة ، كثير المرتفعات والهضاب ، منقطع عن العالم . إذا وجد فيه الانسان فعلا فانه لن يستطيع أن ينتشر منه الى بقاع أخرى

بقيت لدينا الاقطار الواقعة شمالى المنطقة الاستوائية . وهنا نجد القارة أرضاً ممهدة واسعة مترامية الاطراف . ليس فى مسالكها وعورة أو صعوبة إلا ما قد يسببه اليوم انتشار الصحراء المقفرة التى تملأ الشطر الاعظم من افريقا شمالى خط الاستواء . ووجود هذه الصحراء الممتدة من المحيط الاطلسى الى البحر الاحمر قد يحملنا على الظن اول وهلة أنها لن تكون صالحة بحال من الاحوال لنشأة النوع البشرى . إذ لا تتوافر فيها حاجاته من طعام وشراب

لكن هذا القول إن صح اليوم فانه ليس صحيحاً بالنسبة لما كانت عليه القارة فى العصور القديمة فان فى كثير من الكهوف التى بالصحراء رسوماً وصوراً لحيوانات لم يصبح لها وجود فى يومنا هذا كان يعيش سكان تلك الكهوف بصيدها والتغذى بلحمها

فلماذا لا تكون هذه الصحراء الكبرى هى المهد الأول للانسان ، مادامت فسيحة الارجاء طيبة الهواء ، كثيرة الماء والنبات والصيد ؟ إن الصحراء الكبرى ما تزال للاسف محتفظة بالكثير من أسرارها ، وقد أخذت ترفع النقاب — بفضل ما يقوم به الباحثون — عن وجهها وعن دقائقها قليلا قليلا . غير أنها إلى الآن لم تخرج لنا من باطنها دليلا ملموساً على وجود الانسان بها

والسبب الاكبر الذى يدعونا لان نبحث عن وطن الانسان فى غير افريقا ، هو الصعوبة التى لا نستطيع التغلب عليها ، اذا أردنا أن نتصور كيف استطاع الانسان أن ينتشر من شمالى افريقا حتى وصل الى استراليا وجاوه فى زمن قديم جداً ، وحتى انتشر بعد ذلك فى سائر أنحاء المعمورة ليكون سلالات واجناساً جديدة . إن إفريقا ليس لها ذلك المكان المركزى بالنسبة لسائر القارات ، والذى يمكن أن يكون مبعثاً لانتشار الاجناس

لهذا نحن مضطرون لان ننظر الى آسيا بأن فيها الوطن الاول للانسان ، وبالرغم من أن بقايا الانسان القديم لم يوجد منها باسيا سوى بقايا انسان جاوه . فاننا هنا أيضاً يجب ألا نعبأ بالادلة السلبية ، التى لا تدل على شىء ، سوى أن البحث فى هذه القارة لم يتسع مداه بعد ، ولم يتناول سوى نقط منفردة من القارة . ومع ذلك فبقايا العصر الحجرى منتشرة فى جهات كثيرة من آسيا . ونحن إن قبلنا الرأى القائل بنشأة الانسان فى آسيا ، استطعنا من غير مشقة أن نؤلف صورة قريبة من أن تكون كاملة لنشأته وانتشاره واختلاف سلالاته

والآن وقد أوصلنا البحث إلى قارة اسيا . يحسن بنا أن نتأمل فى هذه القارة العظيمة — وهي القارة الوحيدة التى ما يزال بها الى اليوم جماعات تمثل جميع الاجناس البشرية — لننظر الى هذه القارة ونستعرض اقاليمها ونواحيها لعلنا نستطيع أن نحدد الوطن الاول ، ونحصره فى دائرة أضيق من مجرد قولنا قارة اسيا

أقل جهات اسيا صلاحاً لان يكون وطناً للانسان الاول هو سهولها الشمالية، التي تحيط القارة من الشرق الى الغرب ، والتى تتمثل اليوم فى مساحة سيبريا الهائلة تلك الاقاليم التى يشتد زمهريرها شتاء وتغيب شمسها طويلا ، والتى تكسوها غابات من شجر الصنوبر ، كثيفة ملتفة ، هى بعيدة كل البعد عن أن تكون الوطن الاول — ولا بد لنا هنا أن نذكر القارىء مرة أخرى بان الانسان بتركيبه الجثمانى يألف الدفء والمناخ الدافىء . والنوع البشرى قد تكون من غير شك فى اقليم دافىء ، بعيد عن التطرف فى الحرارة والبرودة . والمشاهد اليوم ان الانسان يصيب راحته ورفاهيته فى حالة الاعتدال والدفء . ولئن كانت الحضارة منتشرة اليوم فى جهات هواؤها أدنى الى البرودة ، فان الحضارة لم تنشأ فى هذه الجهات بل نشأت فى جهات دافئة . والوطن الاول للانسان كالوطن الاول للحضارة البشرية ، لا يمكن إلا أن يكون فى اقاليم معتدلة الهواء . وهكذا نستطيع أن نستبعد شمالي آسيا

أما بقية نواحى اسيا فليس استبعادها بهذا القدر من السهولة . فشرقي آسيا الذى نسميه اليوم الشرق الاقصى بعيد كذلك عن ان يكون الوطن الاول للانسان . فان هذا الاقليم لم يوصف بالبعد لان بينه وبين بقية العالم مسافات كبيرة بل لانه يحول بينه وبينها مسالك غاية فى الوعورة . وعدا هذا فان الشرق الاقصى هو اليوم الوطن الاكبر للسلالات المغولية . وبقية الاجناس البشرية بعيدة جداً عن هذا الوطن

أما جنوبي اسيا فان به أقطاراً ، أو على الاقل قطراً واحداً عظيما ، قد لقى من بعض الباحثين عناية والتفاتاً ، وقد جعله بعضهم الوطن الاول . وهذا الاقليم هو بلاد الهند . تلك المساحة العظيمة التى تتألف من سهول فسيحة وهضاب وأنهار وجبال . وكان هواؤها في ذلك الزمن أدنى الى الاعتدال مما هو اليوم فى نظر كثير من الكتاب . ولكى يسهل على القارىء أن يتصور قوة هذا الرأى يجب أن نذكر أن الهند كانت أوسع مساحة مما هي اليوم ، لان البحار التى تحيط بها كانت أقل اتساعاً . وكانت على اتصال بجزيرة العرب بطريق برى سهل ، لان خليج العجم كان أرضاً يابساً . كما أنها على اتصال بجزر الهند الشرقية وباستراليا التى كانت كلها متصلة باسيا . ثم اليست الهند قريبة جداً من المكان الذى وجدت به بقايا انسان جاوه ، وهى أقدم البقايا البشرية التى عثر عليها الى الآن ، فلماذا نتردد فى اعتبارها الوطن الاول ؟ من السهل ان نتصور انتشار الانسان من الهند الى الجهات التى تكونت فيها الاجناس — جلها ان لم يكن كلها — فمن الممكن أن نتصور طائفة من الناس نزحوا من الهند الى جزيرة العرب ثم الى افريقا عن طريق باب المندب وهنالك تكون الجنس الزنجى الافريقى ، وآخرين نزحوا الى الجنوب الشرقي ، وكان منهم الجنس الاسترالى والاقزام والزنوج الذين يعيشون فى أطراف اسيا الجنوبية . ومن الممكن أيضا أن نتصور الجنس

القوقازى وقد نزح الى غربى اسيا وانتشر منها الى أوربا وافريقيا الشمالية – كل هذا ممكن وجائز ولكن من الصعب جداً أن نرى كيف نزح الانسان الاول من الهند الى بلاد المغول ، لكى يتكون من نسله ذلك الجيش العظيم الذى يسكن شمالى وشرقى اسيا . فليس هنالك من طريق موصل ، والهند معزولة عزلة تامة عن اسيا الشرقية والشمالية بواسطة حاجز هائل من الجبال ليس له فى قوته ومنعته نظير فى بقية أنحاء العالم . حقيقة أن هنالك ممرات ، أو بالاحرى ممراً واحداً وسط هـذه الجبال وهو ممر خيبر . ولكن هذا المدخل الى الهند قلما كان مخرجاً منها

وهكذا لا يبقى أمامنا – سوى غربى اسيا – اقليم لنشوء الانسان الاول . وهو وحده الذى تتوافر فيه الصفات التى نتطلبها فى الوطن الاول للانسان . فهو سهل الاتصال بالاقليم المغولى وبالاقاليم الزنجية وبالجهات التى تعيش فيها السلالات السمراء والبيضاء من الجنس القوقازى . وليس من الصعب أن نتصور خطوط الهجرة التى سلكها الانسان من هنا الى مختلف النواحى . وقبل ان نكمل هذه الصورة وصفاً وايضاحاً يجمل بنا أن نشير الى أن هذا الوطن الاول فى غربى اسيا لم يكن قطعة صغيرة محدودة من الارض ، بل كان يمتد شمالا من سهول تركستان الى هضبة إيران الى سهول دجلة والفرات وخليج العجم الذى كان أرضا يابسة . والى شمالى جزيرة العرب وبادية الشام ، فالوطن الذى نحن فى ذكره يحده شمالا سهول سيبريا القارسة وبحر قزوين وجبال القوقاز . وغرباً تحده جبال أرمينية ولبنان . وشرقا تحده هضبة البامير وجبال سليمان . ولكنه يمتد فى الجنوب الشرقى حتى يبلغ بلاد السند ان لم يدخل فيها . ومن الجنوب يستحيل تحديد هذا الوطن لان معظم جزيرة العرب أو على الاقل نصفها الشمالى صالح لأن يكون جزءا منه . وهكذا نستطيع أن نضيق المدى ونحصر نشأة النوع البشرى فى هذا الجزء من غربى آسيا

وبعد فلنكتف الآن بتلخيص ماذكرناه فى هذا البحث من أن الوطن الاول لا بد أن يكون فى قارة اسيا للاسباب الآتية :

١ – لاننا لم نجد بين القارات الاخرى مايصلح ان يكون مهداً للنوع البشرى مستوفياً جميع الشروط التى ذكرناها ٢ – لان اسيا هى القارة الوحيدة التى تمثل فيها اليوم جميع السلالات البشرية المعروفة ، وفيها بعض سلالات ليس لها وجود فى اية قارة أخرى ٣ – لانه لايمكن ان يكون محض مصادفة أن أقدم بقايا بشرية قد وجدت فى جاوه أى فى أطراف قارة اسيا ٤ – لان اسيا هى القارة الوحيدة التى تتصل بجميع القارات ٥ – لان حركة الجماعات البشرية فى عصور التاريخ وقبيل التاريخ هى عادة من قارة اسيا الى الجهات المجاورة ، وليست بالعكس

ومن بين جهات اسيا قد رأينا ان الناحية الوحيدة التى ترضينا فى جميع الاعتبارات هى الاقليم الغربى

محمد عوض محمد

مدن الفن في بلاد الأندلس

(٤) بقلم المرحوم احمد زكى باشا

نشرنا في عدد فبراير الماضي الفصل الثالث من كتاب « مدن الفن في بلاد الاندلس » الذى قام بتأليفه المرحوم احمد زكي باشا . وقد اشتمل ذلك الفصل على وصف بقية آثار قرطبة كما شاهدها شيخ العروبة . ويتناول الفصل الذي ننشره في هذا العدد وصف الحمراء وما أبدعته يد الفن في هذا القصر العربي العظيم

فى الطريق الى قصر الحمراء

. . . فالطريق الصخرية المسماة شارع « بنى عمارة » توصل من « الساحة الجديدة » الى حدائق القصر . ويتألف هذا الشارع كله تقريباً من مخازن ودكاكين يعيش أصحابها من بيع بضاعتهم للغريب . فان « غرناطة » هى المدينة الاسلامية التى يضايق فيها جيش المتسولين والباعة والتراجمة السياح اكثر من كل مدينة سواها ، مع أن المدن الاندلسية تكاد تكون مجهولة لا يزورها إلا القليلون بالنسبة الى مدن الفن الايطاليـة . لكن « غرناطة » تشذ خاصة عن هذه القاعدة . واكثر من يزورها ، والحق يقال ، هم السياح الانجليز . فمن جبل طارق ، وهى المحطة البحرية التى تقف عليها جميع السفن القادمة من انجلترا تمخر فى بحر الروم ، يأتى هؤلاء السياح لمشاهدة « غرناطة » فبسببهم لا يمكن الانسان ان يخطو ثلاث خطوات فى هذه المدينة إلا ويتعلق باذياله عدد من هؤلاء المتسولين والباعة والتراجمة وأمثالهم

وفى مخازن شارع « بنى عمارة » لا يباع سوى بضائع لها صلة بقصر الحمراء ، فمن اصناف الآثار القديمة الى الصور الفوتوغرافية الى الرسوم الملونة المأخوذة عن جدران القصر ومقاصيره ومحتوياته الخ . . الخ . . ومعظم هؤلاء التجار يطلبون فى بضائعهم ثلاثة أضعاف أثمانها مع أن اكثرها مشكوك فى صحته

فكل هذه الدكاكين وبالاجمال مبانى المدينة لا تتجاوز « باب الرمان » بل تقف عنده .

وهذه البوابة عمارة ثقيلة ضخمة ليس فيها شيء من الجمال بنيت مع السبيل الذى سنمر عن قريب به ، فى عهد « شارلكان » الذى سنرى كثيراً من آثاره . وقد سميت بهذا الاسم تيمناً بشعار المدينة المرسوم عليه « ثمر الرمان »

ومتى جاوزنا عتبة هذه البوابة تسكن بغتة ضوضاء المدينة وتنقطع جلبتها ويحيط بنا هدوء وحدة الغابات ، فيخيل الينا أننا أصبحنا فى إحدى تلك الجهات الشمالية العظيمة ، إذ نرى أمامنا أشجار تلك المنطقة بارزة بجذوعها العالية مرصوص بعضها فوق بعض رصاً كثيفاً حتى إنها تحجب عنا أشعة شمس الجنوب المحرقة اذا حاولت أن تخترق ستارها . ونسمع من كل جهة فى ذاك المكان خرير الجداول وتغريدها وتدفق مياهها الباردة فى الأحواض ونرى مرآتها اللامعة تحت بساط العشب الأخضر وبين الأدغال المتشابكة ، ثم نراها تنساب بسرعة وتجرى متجهة نحو « حدره » . وهناك تشق صدورنا أعطار الأزاهر التى تملأ جو الغابات وتسمع آذاننا ألحان الطيور الساجعة بنغماتها الشجية

فالسائح القادم من جهات الشمال يذهل من هذه البدائع ، ويشعر أنه قد انتقل على أجنحة سحر الخيال خارجاً عن اسبانيا (تلك البلاد المحرقة الجافة المملوءة بالغبار) وعاد الى وطنه البارد الظليل ، وأن هذه الرطوبة المنبعثة من الغابات التى تدهشك بقدر ما تسرك لها تأثير مضاعف فى هذه البلاد . وهى التى كان من شأنها أن جعلت اسم « الحمراء » على ألسنة الناس فى سائر أقطار العالم

فى قاعات القصر

أما قاعات القصر العربى وان تكن مملوءة بآيات الجمال الساحر الذى يخلب الألباب إلا أنها لا تفوق كثيراً من حيث الجمال مثيلاتها فى قصر « اشبيلية » ، فان هذه وان تكن تقل عن تلك دقة وروعة إلا أن لها من المزايا ما يجعل القرابة بينها وبين «الحمراء» متينة العرى . نعم إن « القصر » فى اشبيلية لا يؤثر فى السائح تأثير « حمراء غرناطة » لأنه واقع فى قلب المدينة ومشيد على أرض منبسطة متساوية يصل اليه الزائر من شوارع وأزقة عادية بل حقيرة . وعبثاً تفتش لتجد فى الخمائل المحيطة به أثراً لتلك الينابيع الدافقة والطيور المغردة والأزهار العطرة التى تملأ صدرك من رائحة غابات الشمال . ثم إنه محاط من كل جهة بأسوار عالية تسد منافذ النظر . وبالاختصار لم تجهد الطبيعة قط نفسها فيه لتساعد أيدى الفن الصناعى . فى حين تجد العكس فى « قصر الحمراء » ، فان الطبيعة والفن قد اتحدا وتعاونا فى العمل لكى يجعلا من هذه العمارة فتنة للناظرين . فان العرب قد أظهروا فيه مقدرتهم الفنية بشكل باهر وجاءوا ببرهان عظيم على أنهم أساتذة فى إخضاع قوى الطبيعة لخدمة رسومهم الهندسية المحدودة . فسحر الفن

منبعث من تلك الخمائل الغناء حيث يجتمع حفيف أوراق الشجر مع خرير مياه الينابيع وتساقط المياه من الشلالات مع تغاريد الطيور وطنين الحشرات - اجتماعاً مدهشاً يدلك على أن هناك ليس للطبيعة وحدها الفضل فى وجود تلك المشاهد الرائعة !

فن قمم « سيارا نفادا » المكللة دائماً بالثلوج والتى تبدو للنظر منــذ وصول السائح الى « غرناطة » جلب مهندسو العرب فى عهد ملوك المغاربة المياه الصافية التى تكون منها ذاك الجدول المتوزع فى حدائق « الحمراء » وفى داخل قاعاتها ومقاصيرها بمئات من الفروع فيمد النوافير والاحواض ويبعث الحياة فى الحيوان والنبات. كذلك الأشجار التى تستقبلنا بحفيفها وتحيينا منذ وصولنا كأنها صديقاتنا أو معارفنا أتى بها العرب من قديم الزمان من أودية « البيرانى » الجبلية الواقعة فى شمالى اسبانيا وتعهدوها برعايتهم ، فعاشت وأينعت وصيرت من هذه الأرض الجنوبية المحرقة واحة غناء ذات ظلال بهجية ، مع أنه فى أرض اسبانيا لا ينبت سوى « النخيل » الذى مع رشاقته يكاد يخلو من الظلال ، و « السرو » العمودى الذى لا يزيد ظله عن خط واحد ، و « البرتقال » الذى ليس له سوى تاج ضيق من الأوراق لا يعطى إلا ظلا خفيفاً ، و « الزيتون » الذى لا تحمل أغصانه القليلة سوى نزر شحيح من الأوراق الصغيرة المفضضة

سبيل شارلكان

عند ما تصل الى سفح الأسوار المحيطة بالحصن الملوكى نرى « السبيل » المبنى على طراز « عهد النهضة » ونشاهد حوضه المنقور فى الحجر الاصم مغطى بالطحلب الأخضر الرطب ، فنقف فترة للاستراحة فنستنشق رائحة الغاب العطر ونمتع انفسنا بمشاهدة ما يحيط بنا من الملذات

ولو ترك الأدلاء والمتسولون (والانجليز) لنا لحظة من الراحة وابتعدوا عنا لما كنا نرى فى هذه الطريق غير « السقايين » . ففى أعلى « الحمراء » داخل أسوارها بنى ملوك المغاربة بئراً عظيمة عميقة لخزن المياه ليستقى منها أهل غرناطة من ذاك العهد حتى اليوم ، أبرد وأنقى وألذ مياه شربهم . فمن هذا المستودع يملأ السقاة آنيتهم ، فترى بعضهم حاملين على ظهورهم قربة من جلد حيوان مسلوخ قطعة واحدة ، يعرفها القارىء الذى اطلع على حوادث « دون كيشوت » ، وبعضهم يسوقون حميراً يحمل كل واحد منها ثلاثة براميل أو قربتين وبرميلا . . .

أما السبيل الذى لم نزل مرتاحين فى جواره ، فان وجوده فى تلك الجهة يلائم الغابة الشمالية المحيطة به ، لذلك لا نستغرب إذا رأيناه مزخرفاً بشعار النسر الرومانى وهو شعار الامبراطورية الجرمانية المقدسة

بنى هذا السبيل فى عهد شارلكان على يد المهندس الشهير والحفار البارع « الفونسو بوروغويت » ، على طراز عهد النهضة الذى لا يخلو مع غلو قيمته من حسن الذوق . وقد زينه

بأعمدة مذهبة و باطارات محفورة حفراً بارزاً ، وأسنده الى جدار طوله ثلاثون متراً وارتفاعه خمسة أمتار . وأخرج الماء فيه من ثلاثة رءوس متوجة بأزهار الغاب ترمز إلى الانهر الثلاثة التي تروى « مرج غرناطة » ، وهي : « حدرة » و « شنيل » و « بيرو » . وحفر فى أركانه تماثيل غلمان ذوى أجنحة يلعبون مع أسماك البحر من نوع « الدلفين » حول هلال فى وسطه أسلحة يقرأ تحتها هذه الكتابة باللغة اللاتينية : « الامبراطور القيصر كارلوس الخامس ملك اسبانيا » . ولهذا السبب يسمى أهل « غرناطة » هذا السبيل باسم بسيط وهو « عمود كارلوس »

المدافن والابراج

وفى منتهى هذه الحديقة الظليلة الخضراء كان فى الماضى مدافن ملوك غرناطة . وفى الواقع لم يكن هناك أقدس وأنسب لهذا الغرض من هذا المكان (١) . لكن قد استأذن أبو عبد الله من الملكين الكاثوليكيين وكشف قبل سفره عن رفات أجداده وأخذها معه إلى « موندجار » وهى مدينة جبلية واقعة فى سلسلة « البشرات » . إذ أنه كان يظن أن هذا التراث العزيز السمين يكون تحت حماية سكان هذه الجبال المخلصين كلهم للدين الاسلامى ، اكثر طمأنينة واحتراماً من أن يكون فى مدينة « غرناطة » التى ملكها الفاتحون المسيحيون

ومن الناحية الأخرى لهذا الوادى الضيق الساكن يرى الناظر من فوق أعالى البرج الصغير الابراج « Vermeilles » التى تختص بقصر « الحمراء » وتتصل به بواسطة جدار يجتازه الزائر عند ما يتخطى « باب الرمان »

بنيت هذه الابراج فوق أساسات رومانية . وهى تخفى تحتها سلسلة من الاقبية المدفونة تحت الأرض . وقد كان الجبل المبنى عليه هذا القصر محاطاً بسور علوه عشرة أمتار ومتوسط سمكه متران ، يعلوه أبراج عدة موزعة عليه . لان « الحمراء » لم تكن قصراً ملكياً فحسب بل كانت محلة كاملة

كذلك نرى فى أيامنا هذه كثيراً من المدن المغربية « كطنجة » مثلا حيث لا يسكن « القصبة » الحاكم وحده بل كثيرون من الافراد (٢)

وتمتد أكمة الحمراء من الجنوب إلى الشرق مسافة ثمانمائة وخمسين متراً فى معظم طولها ومائتين وأربعين متراً فى معظم عرضها . وفى عهد العرب كان يعيش عشرون الف نسمة فى هذه المنطقة . بل إن « الحمراء » لم تزل فى أيامنا هذه مدينة منفصلة قائمة بنفسها يوجد فيها ما عدا الموظفين الموكلين بالمحافظة على أبنيتها وحدائقها ، كثيرون من أصحاب الفنادق والمصورين وغيرهم

---

(١) قد دلت المباحث الأخيرة فى آثار الحمراء على أن مدافن الملوك كانت بقصر الحمراء لا بالحديقة
(٢) وهذه تشبه الكرملن فى المدن الروسية والاكروبول فى المدن الاغريقية

من المرتزقة . فكأنها قرية كاملة فترى بعض أهلها يسكنون فى الدور والميادين وبعضهم فى المبانى الأمامية التى بناها المغاربة الاقدمون وبعضهم يرتدون ملابس خلقة بالية غريبة الاشكال تناسب مناظر تلك الاطلال البالية

فى أقسام القصر

ولكى يكون لدى القارئ تصور إجمالى لرسم « الحمراء » ندعوه لان يطوف معنا حول هذه القلعة بالفكر فقط . لان الطواف حولها بالجسد يعترضه من الصعوبات ما يجعله شاقاً مزعجاً

ففى القسم الشمالى الشرقى المنحنى نحو المدينة و « البيازين » ينحدر الجبل بغتة فترتفع بسبب ذلك حتما جدران الاسوار الخارجية من هذه الجهة الى علو عظيم . وما عداها نشاهد من الاسفل برجين عظيمين وسطوحاً مظلمة لبعض المبانى الصغيرة

فالبرج الذى هو فى الطرف الشرقى لهذا الجدار المستطيل يسمى برج « Vela » والبرج الآخر البارز بين تلك البنايات الصغيرة يدعى « برج قمارش » . وكلا البرجين متين يشبه بشكله المربع ما يرى عادة من الخرائب على ضفاف نهر الرين . ولا يعلم الانسان الذى يرى هذين البرجين مقدار ما يخفيانه تحتهما من الكنوز التى لا تقدر بثمن

***

دعنا نصعد الآن متتبعين مجرى « حدرة » حيث تنحدر مياهه كالسيل المزبد فى ذاك الوادى العميق . واضعين تجاه أعيننا أسوار « الحمراء » إذ نرى بعضها عن بعد متصلا بالبعض الآخر وذا منظر كئيب ، فلنعبر النهر وتتسلق ذاك الطريق الصخرى الوعر فهو يوصلنا إلى منخفض من الارض اشتركت أيدى الصناعة فى حفر جزء منه . فنرى عن يميننا أسوار « الحمراء » وعن شمالنا طريقاً يصعد إلى قصر « جنة العريف » الذى تظهر جدرانه البيضاء كالصفائح اللامعة وسط خضرة الحدائق . ونمر ونحن فى غور ذاك المنخفض تحت أبراج تأتى متتابعة بعد برج « قمارش » وهى كلها مثله مربعة تمتاز بضخامتها وليس فيها شىء من الرشاقة . ويسمى هذا الطريق الذى نسلكه « طريق الملك شيكو » أى « الملك الصغير » نسبة الى « أبى عبد الله » آخر ملوك العرب فى اسبانيا

***

كثير من ابراج « الحمراء » أصبح الآن خراباً وقد اشترك فى اضمحلاله اكثر عوادى الزمان من توالى السنين إلى الزلازل والحرائق والحروب . وغير ذلك من الطوارىء

أول هذه الابراج هو المدعو « برج السبعة أدوار » وله مقام عظيم فى تاريخ عرب اسبانيا ومن عتبته تخطى « أبو عبد الله » لآخر مرة مودعاً قصر « الحمراء » ويذكر فى الاساطير أن هذا الملك المنكود الحظ توسل الى غالبيه بأن يسدوا هذا الباب بالحجارة لكيلا يمر به من بعده

رجل آخر . ومن نفس الباب توجه هذا الملك الذى كان يخشى أن يمر فى المدينة دائراً من الناحية الغربية حول « أكمة الشهداء » حتى وصل إلى « باب الطواحين » واتبع من هناك مجرى نهر « شنيل » الى ان وصل إلى مسجد صغير تحول فيما بعد الى كنيسة باسم القديس سباستيانوى . وهناك التقى بالملكين الكاثوليكيين فسلمهما مفاتيح المدينة كما تدل على ذلك لوحة رخامية مثبتة فى ذاك المسجد . ومنه اتجه نحو « مرج غرناطة » واجتاز ذاك السهل الواسع حتى بلغ سفوح جبال « البشرات » التى ترى جيداً من أعالى « الحمراء »

ولما وصل إلى إحدى تلك الآكام التى تسمى للآن « آخر زفرات المغربى » التفت لكى يرى لآخر مرة مدينة ابائه وطفق يبكى بكاء مراً

وقد نظم الشاعر الكبير « ثاوفيل غوتيه » قصيدة مؤثرة يصف بها ما شعر به ذاك الملك الشريد من الاحساس أثناء هربه مستولياً عليه الرعب ومصعداً من صدره الزفرات . وهذه ترجمة بعض ما جاء فيها :

« إن ذاك الفارس المسرع نحو الجبل مضطرباً مصفر اللون جازعاً لأقل حركة هو « ابو عبد الله » ملك مغاربة اسبانيا الذى كان بامكانه ان يموت . لكنه فر

« إن غرناطة سلمت للاسبان وحل الصليب محل الهلال . اما « ابو عبد الله » لا يفتدى « مدينته المفقودة بل فقط يذرف الدمع عليها

« يقول « ابو عبد الله » كنت بالأمس خليفة حباً ومعبوداً كالاله . انتقل من « جنة العريف » إلى الحمراء المذهبة . كان فى قصرى بركة تستحم ثلثمائة سلطانة فى مياهها البلورية بعيدة عن أعين الرقباء . كان ذكر اسمى يلقى الرعب فى كل مكان . لكن واحسرتاه ا سلطانى زال وجيشى انهزم وأنا شريد لا يتبعنى من الحاشية سوى ظلى فقط ! »

عندئذ قالت له والدته « عائشة » التى لم تكن مسئولة عما حصل له : « يمكنك الآن أن تبكى كامرأة على المدينة التى لم تعرف أن تدافع عنها كرجل »

ولما دخل « شارلكان » فيما بعد قصر « الحمراء » فاه بما يأتى : « لو كنت فى مكان أبى عبد الله لكنت بقيت متسلطاً فى المدينة أو دفنت تحت أنقاض الحمراء »

* * *

ويلى « برج السبعة الادوار » الذى يذكرنا بهرب الملك المغربى « باب الشريعة » حيث تنتهى نزهتنا المستديرة لأنه على بعد خطوات قليلة نرى « السبيل » المسمى « عمود كارلوس الخامس » الذى ذكرنا أننا استرحنا عنده أثناء طلوعنا

فكل محيط الحمراء بالثلاثة والعشرين برجاً المشيدة فوقه من عمل القرن الرابع عشر . وفى ذاك العهد باشر « يوسف الأول » إقامة القصر الذى تجتمع بناياته حول برج « قمارش » الذى

رأيناه من الأسفل والذى لا يشغل بالحقيقة فى داخل القلعة سوى حيز صغير فان « الحمراء » والحق يقال ليست شهيرة اليوم كقصر بقدر شهرتها كحصن

فهذا الحصن بدىء فى الواقع بانشائه فى القرن التاسع أو قبله مع برج «Vela» على الطرف الجنوبى من الجبل . وهذا البرج لم يزل للآن منعزلا عن بقية الأسوار والبوابات . ولغاية آخر القرن الثانى عشر كان أمراء غرناطة يسكنون قصراً فى « البيازين » على الضفة الثانية من نهر « حدره » حيث انه فى زمن العرب كانت هناك أجمل احياء المدينة التى لا تزار الآن إلا لمشاهدة مافيها على السفح الشرقى من الكهوف والمغارات

ولما هاجر المسلمون اليها فيما بعد جموعاً كثيفة مدفوعين بضغط الفاتحين النصارى أصبحت « غرناطة » مركزاً للعالم الاسلامى فى أسبانيا وكسفت شمس عظمتها وثروتها بقية مدن شبه الجزيرة فاصبح القصر القديم فى « البيازين » ضيقاً على ملوكها

حينئذ أنشأ « محمد بن الاحمر » على جبل الحمراء قصراً آخر جعله تحت حماية الحصن ، وكان لهذا الأمير شعار خاص تناقله بعده خلفاؤه وهو « لاغالب إلا الله » تراه منقوشاً فى كل مكان على زخارف القصر ، وقد أضاف اليه « شارلكان » فيما بعد شعاره الخاص وهو : « Plus Uetra » . فالقصر الحالى ليس إذن عريقاً فى القدم إذ أن معظمه أنشىء فى زمن « يوسف الأول » أى بين سنة ١٣٣٣ وسنة ١٣٥٤ وفى عهد خليفته « محمد الخامس » بين سنة ١٣٥٤ وسنة ١٣٩١

أما قصر الطرف الغربى من الجبل وحصنه وهما المسميان « القصبة » فانتقلا بعد ذهاب «أبى عبد الله» إلى أيدى ملك اسبانيا وأصبحا من ذلك العهد أملاكاً للتاج ، بينما العمارات الصغيرة الموجودة داخل الأسوار وزعت على نبلاء الاقطاع وصارت ملكاً لهم . ومع مرور الأجيال حدث هنا ما يحدث فى كل مكان (كما نرى الآن فى أسوار المدن الالمانية ومدارج « نيم » و « فيرونه » وقصر « غرافنشتين » فى غاند الخ الخ) . وهو أن سلالة أولئك الاقوام الذين وهبت لهم هذه المبانى استقروا فيها واتخذوها محلات لسكناهم . فترى الآن من هؤلاء فى قصر الحمراء بعضهم يسكنون فى كوى الأسوار والبعض فى الأبراج القديمة والبعض فوق الاطلال والخرائب

وقد أقام «فرديناند» و « إيزابيلا » ردحاً من الزمان فى قصر الحمراء ورمما قاعاته ومقاصيره بواسطة عمال المغاربة . ولما جاء بعدهما « شارلكان » إلى غرناطة سنة ١٥٢٦ ورأى جمال موقع هذا القصر وبدائع زخرفته عزم على اتخاذه مقراً لاقامته . . . فنحن إذن « مدينون » بتشويه الحمراء وتشنيعها إلى « شارلكان » كما نحن مدينون لهذا الملك أيضاً بادخاله الكنيسة المسيحية القوطية فى قلب مسجد « قرطبة » كما تدخل بيضة الكتكوت فى عش النسر ، فان القصر العربى

العظيم لم يكن يكفي « شارلكان » ، وقد يمكن أن يكون ذلك بالنسبة إلى ضيق مقاصيره والفرق الذى لا بد من وجوده بين معيشة أمير عربى قديم وامبراطور مسيحي من عهد النهضة . فباشر شارلكان إذن بناء قصر كبير ، فاضطر لذلك من سوء الحظ أن يهدم قسما كبيراً من جناح القصر العربى.ومما يزيد فى أسفنا هو أن قصر « شارلكان » ظل ناقصاً ولم يسكنه قط أحد من الملوك فكأنه هدم قاعات الحمراء بدون فائدة

ولكن من حسن الحظ أن الملوك الاسبان حولوا انظارهم عما بقى من القصر المغربى فاهملوه وتركوه على حالته إلى أن خطر يوماً « لفيليب الخامس » وامرأته « اليصابات » أن يقيما فيه . فلكى يجعلاه صالحاً لسكناهما رمما فيه جناحاً وزينا جدرانه برسوم تقلد رسوم « رافائيل » وبعد هذين الملكين لم يسكن فيه أحد . ولما زاره « واشنطون ارفن » سنة ١٨٢٩ وجده قد عملت فيه أيدى الخراب وأصبح مسكناً لبعض عائلات فقيرة منزوية فى بعض أركانه وقد أقام فيه « إيرفن » نفسه مدة

ففى ذاك العهد كان الحوض الكبير المبنى فى « دار الريحان » مستعملا للغسيل . ومن الواضح أن الغسالات قد عاملن جدرانه معاملة بعيدة عن الرفق والصيانة . ولم تتجه اليه الانظار إلا حوالى منتصف القرن التاسع عشر للبحث عن كنوز الفن السمينة التى يحتويها . فنحت ملكة اسبانيا « إيزابلا الثانية » مبلغاً ضئيلا من المال لترميمه والمحافظة عليه . ومن ذاك الوقت صاروا يتعهدونه بشىء من الرعاية إذ وضعوه تحت إشراف « جوزى كونتراراس » أولا ثم جاء بعده ولده وهو اليوم تحت رعاية ابن أخيه

وقد لا يوافق أرباب الفن وأنصاره على بعض الترميمات التى أجريت فيه . ويظهر أن الانتقادات التى وجهت إلى « كونتراراس » من محافظى القصر بخصوص سوء معاملتهم للزخارف الجبسية كانت فى محلها . مع ذلك يمكننا أن نعتبر أن بواسطتهم انتهى عهد التخريب . بل نرى أيضاً أن كثيراً من الاصلاحات الحديثة التى جرت فيه (بالرغم عن الهفوات) أبقت الأجزاء التى رممت بحالة تبعث على الارتياح . إذ أنها لم تزل تذكر الزائر عما كانت عليه تلك القاعات والدور من البهاء والروعة فى العهد الغابر

باب الشريعة

فلنجتز الآن « باب الشريعة » الذى رأيناه بعد أن تركنا سبيل « شارلكان » . نلقى برجاً عظيماً مربعاً تتألف ناحيته الشرقية كلها من عتبة معقودة وعليها قنطرة بشكل حدوة الفرس ومحفور عليها شكل « يد » فى غاية الضخامة

ويذكر فى الاساطير أن « سطوة العرب لا تزول إلا يوم تمتد هذه اليد وتنال المفتاح

الحجرى المزخرف الموجود فى القنطرة الداخلية . وقد ذكر فى اسطورة أخرى أن هذه اليد رمز أوحرز لابعاد الأرواح الشريرة ،ولذلك ترى أهل «الاندلس» حتى فى أيامنا هذه يتفاءلون باليد فيضعون منها تماثيل فى عقودهم أو فى سلاسل ساعاتهم ، ويعتقدون انها تبعد العين الرديئة عن صاحبها . كذلك يذكر بعض المفسرين الآخرين أن أصابع اليد الخمس ترمز الى الديانة الاسلامية وأركانها الخمسة وإلى السلطة التى أعطاها الله لرسوله محمد لفتح أبواب الجنة

وهناك فوق الباب الخارجى كتابة منقوشة فى الحجر تنبئنا أنه قد « بنى هذه البوابة ، أبوعبد الله ابو الـ Hadjis فى مدة سبعين يوماً سنة ٧٧٤ الهجرية (١٣٤٨ م)

وفى داخل العقد بنوا ثلاثة منعطفات لكى يزيدوا المدخل مناعة وتحصيناً . ثم تجد هناك أيضاً مذبحاً مسيحيا وكتابة اسبانية فوقه ، تذكر كيفية فتح غرناطة على يد الملكين الكاثوليكيين . ولم تزل هناك المقاعد التى كان يجلس عليها حراس البوابة والكوى التى كانوا يضعون فيها أسلحتهم

وقد أخذ « باب الشريعة » اسمه من العادة التى كانت لبعض ملوك العرب (وكانت قبلهم لملوك اليهود وزعمائهم كما هو مذكور فى التوراة) بأن يجلسوا لاقامة العدل بين رعاياهم أمام إحدى بوابات قصورهم فيأتى الرعايا اليهم ويقدمون لهم شكاويهم . وكانت هذه أيضا من عادات أمراء المسيحيين فى الأجيال الوسطى ويسمونها قضايا الأبواب . ولم تزل للآن جارية فى بلاد المغرب الاقصى

* * *

وبعد هذه القنطرة الحلزونية تأخذ صعداً فى طريق ضيق يوصلنا إلى ميدان فسيح يسمى « ميدان الجب » وهو الذى أنشىء فيه المستودع لخزن الماء . وقلنا إنه الآن ملتقى للسقايين وحمالى القرب . فنرى عن شمالنا « القصبة » القديمة وأبراجها الشماء واكبرها برج « Vela » وعن يميننا بابا رشيقاً أنيق المنظر اسمه « باب الخمر » فوقه قنطرة بشكل قوس يشبه حدوة الفرس ، ولكنه ينكسر على مساواة المفتاح . وهذا الباب يلاصق القاعات المخصصة لسكنى محافظ القصر ولا فائدة منه اليوم

* * *

وينقسم جبل « الحمراء » عند قمته الى قسمين بواسطة جدار مبنى بينهما يبتدىء هنا وينتهى على السفح الشمالى الشرقى عند باب Hierro . ففى أحد هذين القسمين نرى القصر والقلعة والمسجد وفى القسم الثانى مساكن الموظفين

ولم يكن « باب الخمر » يسمى بهذا الاسم فى زمن ملوك العرب . ولم يطلق عليه ذلك إلا فى القرن السادس عشر إذ أقام فيه أحد باعة الخمور

وفوق عتبة هذا الباب تفتح نافذة مزدوجة فى غاية اللطف والرشاقة من الطراز الاسبانى يفصل بين قوسيها المحددين عمود صغير ممشوق من المرمر ، لكن منذ سكنت هذه النباية سدوا هذه النافذة الجميلة بالحجارة ولم يبقوا منها سوى فتحة صغيرة مربعة . وأسفل هذه النافذة وجوانب قنطرتيها مملوءة بالكتابات الدينية ومزخرفة « بالارابسك » ، وترى من واجهتها الأخرى هذه الكتابات والزخارف محفوظة بحالة حسنة لانهم عوضا عن أن يسدوا فتحة تلك النافذة البديعة بالحجارة من تلك الجهة جعلوا لها درفات قلدوا بها الطراز العربى القديم إذ صنعوها من قطع الخشب المخروط المثقوب بحسب أشكال هندسية وأقاموا على جانبيها أطراً مزخرفة أحاطوها بأعمدة صغيرة من المرمر فى غاية الجمال

فمجموعة هذه الزخارف الهندسية والنباتية والحفرية يؤلف شكلا يقر العين

مربعات الخزف الصينى

أما قوس العقد فوق الباب نفسه فهو مبنى بالطوب ومنزل فى قلب ا كليل من قطع الخزف الصينى المربعة التى لم تزل الآن محفوظة بجدتها ولمعانها كأنها فى اليوم الذى وضعت فيه . والسبب فى حفظ هذه المربعات الزخرفية فى جدتها ورونقها يرجع إلى ارتفاعها وابتعاد أيدى الزائرين عن الوصول اليها وإتلافها . ولذلك ترى فى دور وقاعات الحمراء تلك القطع نفسها - التى كانت لا تغطى الأرض فقط بل ترتفع عنها على الجدران إلى علو منتصف القامة - قد زالت تقريباً من الوجود ، فكثير منها قد تحول الى منازل الغرناطيين حتى إنهم زينوا به مواقد مطابخهم . . . وكثير منها يباع الآن فى دكاكين شارع « بنى غمارة » وشارع « مندز لونز » وبعض هذه والحق يقال تقليد تلك ولكنها تباع باسمها

وهنا الآن فى « اشبيلية » وعلى الأخص فى ضاحيتها التى تسمى « تريانا » الواقعة تجاه المدينة على الضفة الأخرى من « الوادى الكبير » ، معامل كبيرة لعمل هذه المربعات الزخرفية التى تقلد خزف الحمراء الاصلى العربى وغيره من أنواع الخزف القديم . ويرجح أن العرب هم الذين جاءوا معهم من أفريقيا بهذه العادة وهى تزيين منازلهم ومبانيهم العمومية من الداخل والخارج بمربعات الخزف الصينى . وقد اقتبس هذه العادة منهم سكان الاندلس كما أخذوا عنهم كثيراً غيرها من العادات

مع ذلك فان الخزف الصينى القديم الذى كان يصنعه العرب يمتاز (إذا لم تر فيه سوى الوجهة المادية فقط) عن الزخرف الاسبانى الحديث بميزة جوهرية . وهى أن الزخرف الاسبانى لا يصلح لعمل « الموزايك » لان المربعات التى يصنعونها الآن فى أسبانيا يضعونها فى الافران بعد أن يضعوا عليها الرسم الذى يرغبونه بالالوان المختلفة ، ولكنها واحدة فى كل القطع وخطوطها

تقابل بعضها فلا يبقى على العامل البناء إلا أن يرص هذه القطع رصـاً الواحدة تلو الاخرى ويجمعها بالمونة فيكمل الانموذج المطلوب بدون انقطاع . أما المربعات الخزفية القديمة فهى بالعكس قطع صغيرة من لون واحد ولكن بأشكال هندسية مختلفة كانوا يصنعونها أولا بحسب أنموذج منفصل حتى يتكون منها الشكل المرغوب

وقد زرنا « تطوان » فى بلاد المغرب الأقصى وشاهدنا كيفية صنع الخزف الصينى فى أفرانها ولا حظنا أنهم لم يزالوا يستعملون طريقة مغاربة اسبانيا الاقدمين بالضبط . ومعلوم أن العرب اشتهروا بحسن الذوق فى هذه الصناعة التى أخذها عنهم أهل الاندلس . لذلك نجد أن بلاط اكثر دورهم الآن منه ، بل كثير من ساحاتهم العمومية وشوارعهم مرصوفة «بالموزايك» وترى النقط السوداء تتخلل الارض البيضاء فتعطى أشكالا غريبة مختلفة فتظن نفسك أنك تدوس على بساط من القماش لولا شعورك بصلابة الحجر وأطرافه الحادة

أما ساحة « الجب » الفسيحة فاسمها مأخوذ عن « الجب » ، أى مستودع الماء المحفور تحتها . وقد رممتها ووسعتها « المملكة الكاثوليكية » بعد أن ظلت أجيالا عدة تكفى من الماء حامية القلعة . ولم يزل للآن أهل غرناطة يستقون منها

قلعة القصبة القديمة

فلنتخط الآن الباب الذى يفتح عن شمالنا فهو يوصلنا إلى « قلعة القصبة » القديمة حيث الآن مساكن الموظفين و بعض الافراد من الأهالى

فترى أولا الحصن العظيم (الذى يعطى مع زميله « برج قارش » طابعاً خاصاً لقلعة الحمراء) ماثلا أمامك . وهو أول شىء يدعوك لأن من أعلاه ستتمكن من أن ترى المدينة تحت قدميك وترى «حدرة» فى واديه العميق وترى قبالتك كهوف الغجر على سفح «البيازين» المغطاة بالتين الشوكى

وترى مرج غرناطة محاطا بمرتفعات وعرة جرداء مصفرة - أما الابراج التى تراها أمامك على الاكمة التى يفصلنا عنها ذلك المنخفض الذى صعدنا من أسفله فهى أبراج « برماجا » التى وصفناها

فلندر الآن وجوهنا نحو « الحمراء » . نرى الشمس تسطع على ساحة « الجب » فالقت الجدران المحيطة بها ظلا بنفسجياً على أرضها الصفراء . ونرى من جهتها القاصية بناء عظيما من الحجر (أشبه شىء بمقدم قطار) لا يعلم الناظر اليه هل هو أمام عمارة جديدة أم تجاه أطلال وخرائب ، لأن هـذه العمارات تظهر بوقت واحد قديمة وجديدة إذ أنها هدمت قبل أن تتم . . ذاك هو قصر « شارلكان »

أما تلك البنايات العادية الحقيرة المنخفضة التي تتزاحم على بعضها بين هذا القصر وبين السور الخارجي المبني فوقه برج «قارش» ... فهي «الحمراء» اى ذاك القصر العربي الذي يحتوى أشهر وأجمل آثار الفن

وما عدا الكنيسة والابراج المبنية فوق الاسوار، نرى أيضا في وسط الدائرة التي يرسمها الجبل (خصوصاً في الجزء الذي يقابل الوادي المشجر) منازل عديدة لبعض الأفراد تحيط بها الاحراش والحدائق

ومن وراء قمة الجبل يحيينا قصر «جنة العريف» الذي يبرز بجدرانه الناصعة البيضاء من خلال غابات السرو الجميل وخضرة حدائقه الغناء

ومن فوقه كرسي المغربي وهي قمة ترى للآن عليها أطلال بالية وهي الباقية من قصور عظيمة كانت مشيدة فوقها للمرح والملذات في الزمان الغابر

ومن فوق ذلك كله على نهاية امتداد النظر نرى اكاليل الثلوج على قمم جبال «سيارانفادا» التي ترتفع بالتدريج وسط جو ازرق فتكون ستاراً بديعاً لهذه المشاهد المتناهية في الروعة والجلال

ومن كل الابراج الباقية اذا صعدت اليها تشاهد هذه المناظر الرائعة

كذلك من ساحة «الجب» ومن نوافذ كثيرة في القصر العربي يرى الزائر شوارع المدينة وعلى «البيازين» ووادي «حدره»

وهذه المشاهد بعيدة كانت أم قريبة وتلك الازقة التي ترى الاهالي يمرون فيها كما يرى الطير من أعلى الجو والتي تموج بالناس، وتلك المراقب المبنية فوق المنازل يتحرك فيها سكانها ـ كل ذلك مما يزيد في سحر «الحمراء». فكأن ملوك المغاربة يتمتعون وهم جلوس على مقاعدهم بعزلة لا يمكن ان يخترق حجابها بصر، مع ذلك قد كانوا كأنهم في وسط المدينة يرقبون بأعينهم كل مايجرى فيها وهم بعيدون

• • •

أما مدخل القصر العربي المحاذي للجناح الذي بناه «شارلكان» فهو مدخل يقبض النفس، لذلك لانستغرب لو وصلنا منه الى اسطبل او الى «زريبة». ومع أننا نعلم أن هناك كما في سائر المنازل المغربية الاندلسية، القاعدة هي أن يكون التناقض موجوداً على الدوام بين بساطة الجدران الخارجية وأبهة وفخامة الغرف والقاعات الداخلية ـ مع ذلك لا يمكن إلا أن يكون قد وجد للحمراء مدخل غير هذا يتفق مع جمال داخلها الذي يفوق الوصف، فان قصر اشبيلية مثلا له مدخل من هذا النوع مع كونه بني في عهد المسيحيين

[يتبع ـ النقل محظور]

الكتابة السرية

أنواعها وكيف يهتدون الى فك طلاسمها

للدكتور محمد زكى شافعى

الكتابة السرية ، وتعرف بالشفرة أو الجفر هى اصطلاحات رمزية لا يفهمها إلا كاتبوها والمرسلة اليهم

وهى تستعمل فى أثناء الحروب بين الدول المتحالفة . وبين الجيوش وحكوماتها وبين أجزاء الجيش الواحد وبين الجواسيس . وفى وقت السلم بين الدول ومندوبيهم السياسيين وغيرهم

وتستعملها مكاتب الصحة الدولية فيما بينها لاخطار الحكومات بأخبار الامراض المعدية المنتشرة بمناطق هذه المكاتب ، ويتخاطب بها أطباء السفن التى تمخر عباب البحار المحيطة بأمريكا مع مستشفيات خاصة مقامة بالبر طلباً للمشورة الطبية عند وجود مرضى بالسفن استعصت حالاتهم على هؤلاء الاطباء ، ويصفون الاعراض والعلامات فيشير عليهم أطباء البر بما يجب عمله وحدث ذلك بين بعض السفن التى لا تحمل طبيباً وبين الاطباء بالبر

وقد قام طبيب سفينة مرة باجراء عملية الزائدة الدودية طبقاً لما وصفه له باللاسلكى جراح بالبر ، وقد نجحت العملية نجاحاً باهراً

والغرض من التخاطب بالكتابة السرية فى الحالات الاولى عدم وقوف العدو أو الاجنبى على أسرار الدولة أو اسرار الجيوش . أما الغرض من التخاطب بها فى الحالات الطبية فهو الاختصار فى الكتابة والوقت

ولكل دولة قاموس للغتها السرية محفوظ فى حرز مكين . وفى كل مفوضية قاموس لهذه اللغة فى عهدة موظف أمين

وأما قواميس اللغة السرية الصحية أو الطبية ففى مكنة الكثيرين الحصول عليها لان سريتها ملحوظ فيها مصلحة الجميع على السواء ، فرجل الصحة أو الطبيب لايعرف ــ فى اتخاذ الاجراءات لوقاية بنى الانسان من غائلة مرض ما أو لشفائهم منه عند الاصابة به ــ وطناً غير الاخوة العامة والانسانية الشاملة لجميع الاجناس والنحل ، وهذا هو المثل الاعلى والهدف الاسمى الذى يجب أن يتجه اليه الجميع ليصيبوه فيصلوا إلى عصر الانسانية الذهبى . إلا أن هناك كتابة تلجأ اليها الجمعيات السرية سياسية كانت أم اجرامية ويستعملها أفراد هذه الجمعيات سواء أكانوا جميعاً فى السجون أم البعض فى السجون والبعض الآخر طليقاً أو فاراً من وجه العدالة

وتجتهد كل دولة فى فك رموز لغة دولة معادية لها سواء أكان ذلك فى الحرب أم فى السلم . وهناك اخصائيون لهذا الغرض كما ان هناك اخصائيين متوفرين على حل طلاسم الكتابة السرية للجمعيات السياسية والاجرامية

أنواع الكتابة السرية

وهناك ثلاثة أنواع رئيسية من الكتابة السرية وإن تعددت أشكالها وهى :

١ ـ الكتابة القلبية . وطريقتها أن تستبدل بالحروف الصريحة حروف أبجدية أو ثنائية أو أكثر مصطلح عليها . والأبجدية السرية إما أن تكون حروفها هى الحروف العادية مرتبة ترتيباً يخالف الترتيب الأبجدى العادى ، وفى هذه الحالة تعرف هذه الطريقة بالطريقة اللفظية ، وإما ان تكون حروفها عددية ، وتعرف بالطريقة العددية ، أو رموزاً أو اشارات أو نقطا ، وتعرف بالطريقة الرسمية

٢ ـ الكتابة الابدالية وطريقتها تغيير ترتيب الحروف العادى فى الأبجدية بترتيب مصطلح عليه

٣ ـ الكتابة من قاموس خاص فيحفظ كل من المرسل والمرسل اليه قاموساً مرموزاً فيه لكل كلمة بعدد من الاعداد

قراءة الكتابة السرية

يمكن قراءة الكتابة السرية بتطبيق القواعد الآتية :

١ ـ يحصى عدد مرات تكرار الحروف اذا كانت الرسالة مكتوبة الفاظها بالحروف العادية ، فاذا وجدنا مثلا حرفا كالواو كثير الاستعمال أو حرفا كالكاف معدوماً أو قليل الاستعمال فنعرف ان طريقة الكتابة هى الابدالية

وأما اذا لاحظنا تكرار استعمال حرف بدل الآخر طرداً أو عكسا فهذا دليل على استعمال الطريقة القلبية

٢ ـ وإذا كانت الرسالة مكونة من أعداد أرقامها متساوية العدد ، فهذا دليل على أنه قد أعد قاموس لاستعماله ، وإذا كان عدد الارقام غير متساو فتكون الطريقة هى القلبية

٣ ـ وإذا كانت الرسالة مؤلفة من رموز أو اشارات فالطريقة قلبية أيضا . ويمكن تسمية هذه الرسالة اختزالية ، لأنها والاختزال سواء تقريبا

وبعد اكتشاف الطريقة المكتوبة بها الرسالة يمكن قراءتها . ولنضرب للقراء بعض الامثلة :

ففى الطريقة القلبية بأبجدية واحدة ، يستبدل الحرف بما بعده فى الترتيب مباشرة أو بالذى يليه بحرفين أو ثلاثة او أكثر ويسهل حل الرسالة المكتوبة بهذه الطريقة إذا وضعنا الحروف أفقيا

ثم أتينا اسفل كل حرف وما يليه فى الابجدية ، وهكذا حتى نصل الى الكلمات الصريحة ، وهذه تعرف بطريقة يوليوس قيصر ، فاذا كانت الرسالة السرية مثلا هى :

ع غ ن ش و ج ض ن ا و ج خ

فتحل هكذا :

ع	غ	ن	ش	و	ج	ض	ن	ا	و	ج	خ
غ	ف	ه	ص	لا	ح	ط	ه	ب	لا	ح	د
ف	ق	و	ض	ي	ح	ظ	و	ت	ي	خ	ذ
ق	ك	لا	ط	ا	د	ع	لا	ث	ا	د	ر
ك	ل	ي	ظ	ب	ذ	غ	ي	ج	ب	ذ	ز
ل	م	ا	ع	ث	ر	ف	ا	ح	ت	ر	س

وأما فى الطريقة الابدالية فقد تكتب الرسالة بحروف تقابلها حزوف أخرى تتفق مع بعضها فى عدد مرات ورود هذه الحروف فى صحيفة من كتاب أو قاموس ، وهذا الاتفاق يكون نسبيا ، فثلا لوحظ فى صحيفة من كتاب أن الحروف تتكرر بالنسب الآتية :

ا	ب	ت	ث	ج	ح	خ	د	ذ	ر	ز	س	ش	ص	ض	ط
١٠	٧	٤	٣	٢	٥	٩	١١	١٥	١٧	٢٧	١٢	٤	١٤	١٣	٢٣

ظ	ع	غ	ف	ق	ك	ل	م	ن	ه	و	لا	ي
٦	٢٠	٢١	١٨	٨	٠	٤	٣	١	٩	٣٠	٤٢	١٧

فتكتب الرسالة بحيث تتكرر الحروف بنسبة تكرارها فى هذا المفتاح

ورسالة كهذه تكون صعبة التحضير وأصعب منه حلها لانه قد يستعمل فيها أبجديتان أو أكثر من صحيفتين فا كثر فتكرر الحروف بارقام مختلفة أو متماثلة ، وفى الحالة الاخيرة يتعقد الحل ولا يحصل عليه إلا بالاناة والصبر ، وبالتجارب العدة يمكن قراءتها ، وخصوصاً اذا كانت الرسالة مطولة وكذلك الاشارات الرمزية

وفى الطريقة الابدالية قد تتخذ كلة كمفتاح كما فى الرسالة الآتية :

ل	ا	ت	ع	ت	ر	ف
ا	ل	م	ن	ص	و	ر
٢	٤	٦	٨	١٠	١٢	١٤

سواء أكان ذلك بالحروف أم بالارقام

وقد يكون الابدال بحرف من أبجدية مقابلة تارة ومن أبجدية أخرى تارة أخرى وهلم جرا كما فى الشباك الآتى :

١		٢		٣		٤	
ا	ط	ي	ص	ك	د	س	و
ب	ظ	لا	ش	ل	ذ	ش	لا
ت	ع	و	س	م	ر	ص	ي
ث	غ	ه	ز	ن	ز	ض	ا
ج	ف	ن	ر	ه	س	ط	ب
ح	ق	م	ذ	و	ش	ظ	ت
خ	ك	ل	د	لا	ص	ع	ث
د	ل	ك	خ	ي	ض	غ	ج
ذ	م	ق	ح	ا	ط	ف	ح
ر	ن	ف	ج	ب	ظ	ق	خ
ز	ه	غ	ث	ت	ع	ك	د
س	و	ع	ت	ث	غ	ل	ذ
ش	لا	ظ	ب	ج	ف	م	ر
ص	ى	ط	ا	ح	ق	ن	ز
ض		ض		خ		ه	

الكتابة الخفية

يستعمل الكتابة غير المرئية المساجين السياسيون وغير السياسيين بينهم وبين زملائهم الطليقين وبين أعضاء الجمعيات السرية وبين الجواسيس أو رؤسائهم

وفى السجون أو المعتقلات يستخدم فى هذه الكتابة اللبن أو اللعاب أو البول أو بعض الادوية التى يحصل عليها بدعوى المرض كالشب أو البوراق أو حمض البوريك أو عصير الليمون أو البرتقال أو البصل أو الكوبالت أو كبريت الشمع أو ضغط ابرة على ورقة مبتلة

وهذه الكتابة قد تكون بين السطور أو على حافة الظرف او هامش جريدة او غلافها أو على قماش منثنى مثل ياقة الرقبة أو صندوق من ورق مقوى

ولاظهار هذه الكتابة تستعمل الحرارة او التلوين باليود بتعريض الورقة لبخاره مدة من دقيقة الى خمس عشرة دقيقة، ثم تؤخذ صورة شمسية لها، أو يستعمل اليود الحديث التوليد. ويستعان بهذه الطريقة لجميع انواع الحبر أو بنترات الفضة. وللكوبالت بالتعريض للحرارة. وللعاب بالنجروسين وقد يستعمل لتلوين الكتابة ايضاً مسحوق الجرافيت او اوكسيد الحديد او الاحمر الانجليزى

الدكتور محمد زكي شافعى

غرائب المصانعين

بين الامعية ، والمجاملة ، والصراحة

نشرنا في عدد يناير الماضي مقالا قيما للأمير مصطفى الشهابي بعنوان « غرائب المصانعين » تناول فيه جانباً من النقص الخلق في بعض الافراد الذين لا يثبتون على رأى ، ويتخذون من المصانعة والمداراة وسيلة لستر ما يضمرون من آرائهم وميولهم ، اما خوفاً وجبنا ، واما طمعا في الوصول الى مآرب ، وقد استثار هذا المقال تفكير القراء في هذا الخلق العجيب ، فأرسل الينا الاستاذان أديب عباسي ، والياس يعقوب هاتين الكلمتين يدليان فيهما برأيهما في هذا الموضوع . ونحن ننشرهما فيما يلي

كلمة الاستاذ اديب عباسي

سمعت قاضياً كان معروفا فى شرقي الاردن ببراعة النكتة ولطف المحضر واسلاس الحديث يقص هذه القصة عن نفسه . قال :

قت عصر أحد الاخمسة — بعد انتهاء العمل — من بلدة (ا) ، حيث محل عملى ، أبغى بلدتى (ح) لاقضى عطلة الجمعة بين اهلى ومعارفى . والمسافة — كما تعلمون — لا تعدو بين البلدين ساعة سيراً على الاقدام أو بعض الساعة على الخيل . ورأيت ، والفصل إبان الربيع ، ان أمضى مسافة السير مترسلاً متنظراً حتى لا يفوتنى منظر السهل فى خضرته النضرة واستوائه التام وانبساطه الفسيح . ولم تكن لى قدرة على المشى ، والجسم ماتعلمون اعتلالا ووهناً ، فرأيت ان امتطى جواداً لا يفيتنى ما تفيت السيارة من متعة النظر المطال والمشاهدة المتأنية . ولا يفيتنى — كذلك — ما تفيت القدمان تمتطيان من متعة الراحة للجسم المكدود المعتل

وشاء ربك — أو القدر ان شئت — ان يسوق الى طريقى فلاناً من الناس الذى تعرفونه ، فقلت فى نفسى : الآن طاب السير وتوكدت المتعة . ففى السهل الناضر مجتلى للعين والخاطر ، وفى هذا الزميل إذهاب لسآمة الصمت والوحدة

وبدأ السير — كالعادة — أحاديث متقطعة فاترة . ولم يكن بى ميل الى تفتير الحديث وتقطيعه . أما الزميل فقد عزوت ذلك منه — فضلا عن صعوبة البدء — الى تحفظه ورغبته عن الاسترسال فى الحديث فى حضرة « الموظف » ، تبعا للتقاليد التركية التى ما تزال مرعية بيننا بقوة الاستمرار ووجود المخضرمين بيننا من الموظفين الذين شهدوا العهد الفائت ، ثم ما يزالون يشغلون مناصبهم الى اليوم

واحيت ان اذهب عن صاحبي هيبة القضاء ، فتماجنت ما تماجنت وتبسطت ما تبسطت ، ولكن فى غير طائل . وأخيراً بدالى - كى استثيره الى الحجاج واللجاج - ان احاجه وأعارضه أو ابثه على المحاجة والحديث الحار

والتفت فرأيت فى زاوية الافق الجنوبى الغربى غيمات مسرعات الى الشرق كأنهن السفائن مشرعة القلوع فى مهاب الريح أو مدافع الماء فقلت : « اليك يا صاح ! اليك هـذه الغيمات كيف تسير - خلاف ما عهدناه فى الغيوم - عامدة الى الشمال كأنها تجر جراً بأسلاك ، لا تحيد هنا ولا هناك ! » فقال غير مستريب : «سبحان الله ! كانها تسير الى الشمال على صراط الحشر ، لم أر فى حياتى أغرب مشهداً ، انها أعجوبة ! »

وأدركت أنى فشلت فيما انتويت وبيت . ونظرت فاذا سرب من الدراريج ينساب متهادياً أمامنا فى الطريق انسياب الماء أو الحباب ، فلا تكاد تلحظ - لسرعة الخطو - ان ثم أرجلا تنتقل وتتحرك . فخاطبت صاحبي : « بالله الا ما رأيت الى هذه « الزرازير » كيف تتقافز وتهدج وتتعارج وتلفظ مهزجة » ، فأجاب ، وفى جوابه نبرة الاطمئنان : « أى ورب الحق هى الزرازير بصوتها الصرار وتلغيطها الشديد ، ان لأعناقها لوشيا وبريقا وان لريشها لسواداً أى سواد »

وعيل صبرى عندها وكدت انفجر لولا بقية من أمل . وصبرت نفسى وقلت لأجربن آخر سهم فى كنانة الصبر وخاطبته :

« يا فلان (وهنا ذكرت اسما غير اسمه يعرفه كلانا) أتذكر كذا وكذا من حوادث شبابك وأيام صباك ؟ أتذكر يوم فعلنا كذا وكذا ويوم أضعنا كيت وكيت ؟ اتذكر كم قسونا وكم تجنينا وكم اسرفنا فى التجنى على فلان وفلان ؟ » ومضيت أذكر أموراً وأتخيل وقائع لم يكن للمسكين بها قط خبر ولا علم . وهنا استعددت لاتلقى ما تجمع من ثورته الجارفة المحتمة بما يجب من التخفيف والتلطيف ، إذ ليس أشد على المرء ولا أدعى لاستنفار خصومته من أن تبدله شخصا آخر . ولكن ما كان أخيبنى ظناً وأشعرنى بالمرارة حينما استدار الرجل نحوى ، وعلى وجهه آيات الرضى البليغ ، وقال : « أى والله ، أذكر ذلك ولا أنساه ! ومن ينسى حوادث الصبي وطيش الطفولة ؟ » وفنى صبرى وفار صدرى ، ولم أشعر إلا وانا انهال على الرجل بكل شتيمة وكل نعت من نعوت التحقير والسباب . ولم أقف حتى استنفدت كل مافى واعيتى ، وهو كثير من قاموس الشتم والتعزير

ونظر الرجل فى وجهى حائراً مبهوتاً ساعة ، ثم شرع يقول : « عجباً ! لانى أوافقك فى كل ما تقول ، المعقول وغير المعقول ، تشتمنى هـذه الشتيمة ؟ كيف لو خالفتك ، ماذا كنت صانعاً ؟ » فاجبت حانقاً : « لهذا ما أهينك ، لهذا ما نلت من شتائمى أيها الامع المستقيد . اليس لك عقل ؟ اليس لك كيان مستقل ؟ ألست بشراً ؟ ألا تفكر ؟ »

ولم يفهم الرجل مما أقول شيئاً ، وظل ينظر إلى مشدوها حائراً فى سبب ثورتى ... ولم أطق ريثا الى جانبه ، فنصصت الجواد على الطريق اللاحب بمهمازى . ولم أشأ ان أوقفه حتى غدوت على غلاء من ذلك الامعة المدارى . ولم آسف ، إذ نأيت عن وجهه البغيض ، على ما أفسد على بعض الطريق ، من متعة النظر ، وأخذت أدعو الله ألا يجمعنى به مرة أخرى حتى لا يكون لى معه شأن غير هذا الشأن ، قد ينتهى بى الى الوقوف أمام منصة القضاء بدل المجرمين يقفون أمامى يستقبلون بين الخيبة والامل أحكامى !

هذا ما قصه صاحبنا القاضى الظريف ولا أزال أذكره من عهد الطفولة الواعية . ومنذ أعوام ستة أو سبعة كان فى بلدتى (وهى بلدة القاضى أيضاً) قس انكليزى قح ، لم يشأ ان يغير من طباعه الانكليزية شيئاً ، ولم يشأ أن يجارى القوم فى أخلاقهم وعاداتهم . وفى ذات يوم أولم القس الى ثلاثة من أصدقائه فى البلدة ودعاهم الى طعام الغداء . وقبل الموعد المضروب بساعة أوا كثر زاره شخص معروف ذو مكانة ولسان سليط . وظن أن الزائر جاءه نتيجة خطأ فى توجيه الدعوات فبادهه بقوله : « لماذا أنت آت ؟ انى لم أدعك ، وليس عندى الا طعام ثلاثة أنا رابعهم » . وحاول الزائر ان يستوضح أو يحتج ، ولكن صاحبنا القس كان أسبق الى اغلاق الباب دونه منه الى الاحتجاج ، فراح يصخب ويلعن وحده ملء الطريق ، لكن القس لم يعنه من ذلك شيء ، لانه — فى اعتقاده — عمل ما يجب عمله . وقد يكون اعتذر للشخص فيما بعد ، ولكنى لم أسمع انه فعلها

* * *

والمهم فى القصتين انهما تمثلان لنا فى بطليهما ، خلتين متباينتين وتقفان دليلاً على حدين متدابرين من الاخلاق هما خلقا الامعية والصراحة . ويتوسط هذين الحدين خلة المجاملة . وهى بحكم التوسط أميل الى التدريج والتنويع وأقرب الى مقتضيات الحياة اليومية . ومن هنا حسبت المجاملة — إذا لم تتعد حدودها المعقولة — خلة مستحبة تلطف من مرارة الحياة وتغنى عن كثير من الخصومات التى لا تفيد شيئاً والتى تجلبها الصراحة العارية كصراحة صاحبنا القس الانكليزى الذى شاء ان يطرد زائراً اعتاد ان يزوره كما يطرد المتسولون

على أن هذا لا يعنى ان يطلق الناس فضيلة الصراحة ويلجأوا الى « المصانعة والمداراة » والتدلى فى انكار الذات بحيث يصبح المرء صدى حاكياً يردد أقوال الغير وأفكارهم ويجاريهم على أهوائهم ونزعاتهم دون أن يكون له فى الحياة كيان مستقر خاص وذات مميزة . لسنا الى شيء من هذا ندعو . وما نقصده وما ندعو اليه هو — على الحصر — ان يدخر المرء خصومة الصراحة وجهد المقاومة للامور الجسام والاحوال التى تقتضى منتهى الصراحة والجفوة والبعد عن اللين والموادة . وهذه الاحوال تعرض كلما كان معنى المجاملة اغراء المجامل (بفتح الميم) بمحرمات الناس

أو اموالهم أو أرواحهم أو معتقداتهم ، وخلاف هذا مما يجيء مع توهم الرجل المسئول - ان كان جائراً عن الحق او باغيا - بما يسمع من مجاملة وثناء ، انه على حق فيما هو صانع ، وما هو على حق.
ويلخص هذه الاحوال مبدأ اخلاقى عام : وهو ان نقول ما نشاء من قول ونفعل ما نشاء من فعل مادام قولنا وفعلنا لايفضيان الى اضرار تصيب الغير، وليس من اللازم ان يكون الضرر ماديا صرفا بل قد يكون الضرر معنويا كالضرر الذى يصيب قوما فى تفكيرهم وسلامة اذهانهم إذا فشت بينهم دعوى العلم الكاذب والنقد الزائف وكثر المغررون دون ان يقوم لهم من الصراحة رادع يردعهم ويكشف للناس عن سوءاتهم

وتحمد الصراحة الى حدود القسوة والعنف والتشهير حينما تستغل المبادىء العامة والمثل العليا استغلال منفعة، يسعى لنيلها الوصوليون تارة عن طريق التعصب الكاذب للدين واخرى عن طريق الوطنية الزائفة وحينا عن طريق الفضيلة الثعلبية . ولايقف الضرر الناجم فى مثل هذه الحال عندحد التغرير والخديعة ، انما هو يتعدى ذلك الى نتائج فى غاية الوخامة ، اذ تقل على العموم ثقة الشعب بالقيادة ويضيع عمل القادة المخلصين الذين يعملون صامتين لاجلبة ولا ضوضاء ، ويأخذ الجمهور يشك فى كل تضحية ويلتمس دائمًا تعليلا لكل عمل دافع المنفعة . وحينما يتسفل رأى الجمهور بالقيادة الى هذا الحد فقل على الاصلاح العفاء ، وترحم على كل الامانى الكبار والآمال الجسام التى لاتتحقق الا بالقيادة المخلصة الرصينة والانقياد الحار المندفع . واشنع ما يبتلى به شعب من الشعوب هو انتفاء الصلة بين القيادة والجمهور ، فيكون شأن الجمهور، فى مثل هذه الحال ، شأن السفينة بلا ربان. ولعل معظم الويلات التى يعانيها الشرقيون اليوم هو هذا الظن السيء بالقيادة ، وهو ظن لهم من وقائع الحال وما يشاهدونه شهوداً متواصلا من كذب الزعامة وريائها ووصوليتها مسوغات لاتقبل الاعتذار. وما نرجوه هو أن يبلغ صوت الزعامة الصادقة حداً يغطى به على جلبة الزعامة النفعية المتاجرة ، فيعود للجمهور إيمانه بعد ان تزعزع ويضحى قادراً على التمييز بين الداعية والمصلح والنفعى والمضحى، وتزول من ذهنه نظرة الشك والتبرم بالقيادة ، فيفوز فى ميدان الزعامة ذوو الزعامة الصحيحة والتضحية البالغة بدل عناكب المبادىء الذين ينصبون هذه المبادىء شباكا موبقة يتصيدون بها النفع ويستدرجون المغانم تارة باسم الدين وأخرى باسم الوطن وطوراً باسم الفضيلة . وهم فى ذلك كلا مراءون . واقسم لو كان خلق الصراحة من الاخلاق الشائعة فى الشرق لما طغى الطغاة ولما تسنى لهم أن يغلوا ما يغلون فى جورهم وعسفهم . انما هم يطغون ويمعنون فى الطغيان لانهم لا يجدون من الناس الا متملقا أو مجاملا يمد لهم فى اسباب البغى والطغيان ، فيعتقدون فى هذه الحال انهم على حق ابرياء من اللوم

وأخيراً تجب الصراحة كل الوجوب ضد الرأى العام ان كان ضالا وعلى غير السبيل السوى

وهو عمل من الخطر والخطورة فى أعظم مكان . لهذا لا يتصدى له ولا يقوى عليه الا جبابرة المصلحين والأنبياء الذين يصمدون لحمق الجمهور وغروره وأنانيته وطيشه

وملخص ما أوردنا وصفه ايرادة عجلان بأن الامعية وفقدان مقومات الشخصية خلق رذيل يجب التجافى عنه ، وان المجاملة فى شؤون الحياة اليومية كثيراً ما تكون بلسما يشفى الجراح الدامية وزيتاً يقلل الاحتكاك وشهداً يفل من مرارة الحياة ، وان الصراحة إلى حدود القسوة والعنجهة والتشهير لا زمة أشد اللزوم حينما يكون معنى المجاملة التحيف من خير عام أو خاص سواء أكان الخير مادياً أم معنوياً

☼☼☼

هذا ويجب ألا ننسى ان كثيراً من مبادىء الحياة يحتمل أكثر من وجه واحد ، لا سيما اذا كان المبدأ مما يخضع لتقدير العقل والعاطفة معاً . وليس من العدل ، فى مثل هذه الاحوال ، أن نفرض على امرىء رأياً خاصاً بعينه . وقد يطلب اليك أن تبدى رأياً فى مسألة من هذه المسائل التى تخضع لحكم العقل والعاطفة ، فيحكم العقل بشىء وتحكم العاطفة بشىء آخر . فأى الحكمين نتبع ؟ الا يكون حكم العاطفة أحياناً أجدى من حكم العقل كما يكون حكم العقل أحياناً أخرى اجدى من حكم العاطفة ؟ ومثل هذا يعرض كثيراً للقضاة ورجال الشرع ولا سيما فى الجرائم العاطفية ، ولولا النصوص القانونية الصريحة لوقع الارتباك فى عملهم وتعذر عليهم أن يخرجوا إلى نتيجة حاسمة فى كثير من القضايا . وبرغم هذه النصوص كثيراً ما يقعون فى مثل هذه الحيرة التى وصفنا . لهذا كنا نلتمس العذر لمن نعته الأمير مصطفى الشهابى فى هلال يناير بالمصانعة والمداراة ، لولا انه سبق والصق بصاحبه هذا خلة المصانعة فى كل ما كان خارجاً عن نطاق القضاء . ووجه المعذرة للرجل فى عدم النزول على رأى بات فى الصيد أفضيلة هو أم رذيلة ، ان هذه المسألة هى كغيرها من عديد المسائل التى يحق للعقل والعاطفة أن يحكما حكمهما فيها . وقد يتفق الحكمان وقد يختلفان ، وليس لأحد فى حالة الاختلاف أن يجزم جزماً باتاً أى حكمهما أصح . نعم ان المنفعة قد تميل بنا الى تفضيل ما يراه العقل ، ولكن المثل العليا قد تهيب بنا الى اصطناع رأى العاطفة . وهكذا فى كل مسألة أخرى يحق للعقل والعاطفة أن يرتئيا رأيهما فيها

اديب عباسي

كلمة الاستاذ الياس يعقوب

قرأت المقال الذى نشر فى شهر يناير ، تحت عنوان « غرائب المصانعين » للعلامة الامير مصطفى الشهابى . فأثار اهتمامى السؤال الذى ختم به المقال : « فما قول القراء فى هذا الخلق العجيب . وهل يحمدونه أو يذمونه ؟ » فانبريت لاجيب الامير عن سؤاله الذى القاه على قراء هذه المجلة عموماً وعلى من يهمهم البحث والتمحيص خصوصاً . ولم كنت أحب — ولما أزل — أن أعرف رأى الامير

فى « هذا الخلق العجيب » وماله من محاسن ومساوىء وهل يحبه أو يذمه

ماهى المصانعة فى أبعد أغوارها وأجلى مظاهرها ؟ هل هى حقيقة ضرب من المداراة واللطف؟ وهل المصانع يحترم آراء الناس لأن لها محاسن ومساوىء أم يحترمها لسبب آخر ؟

لماذا نصانع واحداً ، أو اثنين أو أكثر – وهنا تظهر الغرابة – فنلعب على الحبلين، ولا ننحاز لهذا ولا لذاك ؟ بل نظل نتراوح بين الجانبين ذهاباً وإياباً كرقاص الساعة . فلا ننفر من الباطل ولا ننتصر للحق . إننا نساهم فى الحق والباطل ونثنى على الحق والباطل وننصر الحق والباطل . فما الذى يجعلنا نلتوى هذا الالتواء كالغصن الرخص ؟

أرى ان المصانعة ظاهرة خوف . إذا بحثنا عنها واستقصينا آثارها على ضوء السيكولوجيا البحتة . فالباعث اليها هو الخوف بعينه ، وان تعقدت وأصبحت ترادف اللطف وصار الناس يعدونها مظهراً من مظاهره ولوناً من ألوانه . اننا نخشى – إذا جهرنا برأينا الذى يترفع عن الحزبية والنفعية والاهواء – أن نرضى فريقاً ونغضب الفريق الآخر ، ونخاف أن يكون كلا منا ، الذى هو وحى الوجدان الحى والافكار السامية ، سبباً لنكبة لا نرجوها ولشر جسيم نتجنب وقوعه، فيخامرنا شعور معقد كل التعقيد ، فهو ضرب من التهيب والخوف والضعف والتخلف فى نواح شتى

ان معاداة الناس فى آرائهم ليست حمقا وبلاهة . وأين الحق والبلاهة فى عملنا إذا رأينا الاعوجاج فانبرنا اليه أو سعينا لتقويمه؟ وأين الحق والبلاهة فيما إذا أجبت داعى الحق ولو كدرت صاحبى وجميع الناس ؟ وأين الحق والبلاهة فى عمل الطبيب الذى يعمل المبضع فى الجسم العليل قصد استئصال الداء لما فيه الخير والفائدة ؟ وأين الحق والبلاهة فى عمل الزارع الذى يعمد الى زرعه وينقيه من الاشواك والاعشاب المضرة التى تعرقل النمو ؟ هل نصم هؤلاء جميعا – بلا استثناء – بالحمق والبلاهة لانهم لم يصانعوا ويداروا بل رأوا اعوجاجا فقوموه ، أو سعوا الى تقويمه ، وفاهوا بالحق لاجل الحق ، واستأصلوا الداء لكى ينقذوا الرجل من الموت ، ونقوا الزرع من الاشواك لاكثار الغلة ؟

ويجب أن يفطن المصانع لهذه الحقيقة : ليس إرضاء الناس شرطا وواجبا تفرضه علينا الحياة ، وليس هو الغاية التى تنتهى عندها مساعينا وجهودنا . بل ان غاية الغايات وأسماها هي الانتصار للحق والنضال عنه بقدر الطاقة . والمصانع مهما تعب واجتهد ، لاينال الرضى الخالص ولا يتمتع بالثقة الكاملة ، فانه لا يؤيد الحق ويتعصب له ، ولا يؤيد الباطل ويتعصب له ، فقد أصبح عدو الباطل عند ما أيد الحق وأصبح عدو الحق عند ما أيد الباطل

ولا أرى أن المصانعة القائمة على أسس واهية كالنفعية والهوى هى أقمن بدوام العلاقة وتمكين عرى الصداقة ، من الصراحة فى الرأى القائمة على أمتن الاسس ، فهى تحرص جد الحرص على

الفضائل الانسانية . وتريد أن تبقى هذه بمأمن من سوس الرذيلة

كنا نتكلم — أنا وصديق لي — عن المصانعة . فعبت هذا الخلق السيء ولمت كل من يتخلق به . فقال صديقي — وكأنه يريد ان يجد ما يرتكز عليه : أما سمعت بالمثل العامي المشهور : « اذا دخلت بلاد العميان فضع يدك على عينيك » ؟ أي يجب — من باب اللياقة — أن تتكلف العمى ما دمت تعيش في المحيط الذي يعيشون فيه

ولم أدعه يتم كلامه حتى بادرته قائلا : « وإذا دخلت البلاد التي يسكنها لصوص فيجب عليك — لحسن الادب واللياقة — أن تداريهم وتصانعهم وتصبح لصا مثلهم . ولا تمضي عليك أيام معدودة حتى تصير زعيمهم الفذ بلا منازع ولا مثيل . واذا دخلت بلاداً يقطنها فاسقون ، فيجب عليك — الادب واللياقة يتطلبان ذلك — أن تصير فاسقا فاجراً . فلا تأبه لوازع الدين والشرف والاخلاق . وهكذا قل عن الخونة والسفاحين والمرابين والمرائين . وليكن الهدف الاسمى لكل فرد الحصول على رضى الرأى العام والسير بمقتضى أوامره ونواهيه »

فانتفض مخاطبي لهذا القول وقال : « أعوذ بالله ! أعوذ بالله من هذا الكلام ! لم أقصد إلى هذا »

أجبته : « من كلامك أدينك . وما أردت التشبه بالعميان ومراعاة شعورهم الا التجوز لنفسك التشبه بالذين سميتهم لك . فعلى حد قولك ، يجب أن يكون المرء شبيها بالحرباء — وهي بحق عجيبة في تكوينها — التي تصطبغ بلون المكان الذي تعيش فيه : فاذا كانت على الشجرة الخضراء تصطبغ باللون الاخضر ، وإذا كانت تدب بين الهشيم اليابس تصطبغ باللون الذهبي ، فنراها تلبس لكل حالة لبوسها ، فليس لها صبغة ذاتية خاصة تعرف بها وتتميز بها عن غيرها ، ولذلك فانها أصبحت رمزاً للتقلب والخداع والرياء . وليس الداعي لتغير اللون ، وفقاً للون المكان الذي تدب فيه ، الا الخوف . واعتقد أن هذه الميزة الفذة التي مهرتها بها الطبيعة هي سلاح للمدافعة عن نفسها »

ليت شعري ، ما الذي ضمن الحياة للرسالات الدينية المنزلة وخلود الذكر لمن جهدوا بمبادئها وبشروا بتعاليمها ؟ أبمصانعتهم العادات والتقاليد والاعتقادات التي كانت مزدهرة عند ظهورهم ، أم لانهم تمردوا وثاروا على العادات الذميمة والتقاليد البالية والاعتقادات الفاسدة والسخيفة . فكانوا كعاصفة هوجاء كسرت بهبوبها الاغصان اليابسة والاغصان التي نخرها داء الرجعية والجمود في شجرة الحياة الباسقة . فوسعوا أفق الحياة الذي كان يبدو ضيقاً . وكانوا السبب في تحرير الانسان من عبودية الوهم والخرافات ، ومهروا الانسانية باسمى المبادىء والافكار فكانوا رسل خير واصلاح ونور وهدى

طرسوس الياس يعقوب

عنصر المرأة

في الكاتب الرجل

بقلم الاستاذ امير بقطر

> « . . . ان الرقة النسائية التي يحاول بعض الكتاب والنشء تقليدها لا تتقنها الا المرأة . فهي بطبيعتها أقدر على تصويرها من الرجل . وللمرأة أسلوب خاص تمتاز به ينم عن رقة خاصة ونعومة فريدة في بابها ، خصتها بها الطبيعة ، وارادت أن تكون من نصيبها لا من نصيب الرجل . ومهما حاول الرجل محاكاة هذا الاسلوب كتابة أو قولا أو اشارة فان فشله مؤكد لا محالة . . . »

لا يؤلمني كثيراً الكاتب الذى يوقع على أوتار العاطفة الجنسية ، فيكتب المقالات إشباعاً لها ، ويملأ الصحائف تلبية لندائها وطوعاً لامرها ، لا يؤلمني كثيراً ذلك الكاتب الذى ينغمس فى لذات الكتابة من هذا النوع ، كما ينغمس الذباب فى المادة المعسولة . فيموت قتلا بيده !

بيد أنه يؤلمني جداً ، أن أرى طائفة قليلة من الكتاب الناشئين تنزع الى صفات الانوثة وتميل الى الرخاوة فيما تكتب وتصنف ، فيدرك القارىء أن الكاتب يقلد امرأة وهو ليس بامرأة ، ويحاكى الجنس اللطيف ، وهو من الجنس الخشن ، ويحاول بكل ما أوتى من قوة ادخال الرقة النسائية فيما يكتب فتشف أقواله عن التصنع وتبدو عباراته كالياف النخيل مدسوسة فى نسيج منقوب من الحرير الصناعى !

يؤلمني الى أقصى حد من الايلام أن يكتب الكاتب فتنطوى عباراته على مرض نفسانى مزمن كالامراض الشاذة التى ينسى صاحبها أن الطبيعة أرادته أن يكون رجلا فى قوله وكتابته وتعبيره كما أرادته أن يكون رجلا فى أداء وظيفته البيولوجية ! . ومن الغريب أن الشذوذ الجنسى قد يصيب نفسية الرجل فتبدو أعراضه قولا وكتابة ولا تصيب جسمه ، أى انه يكون عاديا سليما فيزولوجيا ، شاذاً سيكولوجياً !

يقولون إن كل رجل فيه شىء من المرأة ، وكل امرأة فيها شىء من الرجل . ولم تخلق الطبيعة رجلا كاملا أو امرأة كاملة . غير أنه يحدث أنه فى أحوال نادرة الوقوع (من ١ الى ٣ فى المائة فى عرف أدلر) يتغلب عنصر التأنيث فى الرجل أو عنصر التذكير فى المرأة فتبدو أعراض الشذوذ فى الرجل فيسلك مسلك المرأة ، شعوراً أو قولا أو كتابة ، وتبدو أعراض الشذوذ فى المرأة

فتسلك مسلك الرجل شعوراً او قولا أو كتابة . وعلى هذا يكون هذا الشذوذ وراثياً . ولسنا نريد الكلام عنه فليس هذا بيت القصيد

أما ما نريد التحدث للقراء عنه فى هذا المقال فهو الشذوذ المكتسب . الذى يجنح اليه الكاتب بعد أن يروض نفسه على تقليد المرأة فى أحاديثها وعباراتها . فى ليونتها ورقتها . فى نعومة اسلوبها وطرق تفكيرها

أرأيت صبياً فى الخامسة أو السادسة من عمره فى مدرسة بنات ؟ اصغ اليه يتحدث بعد أن يكون قد قضى سنة أو سنتين فيها . اصغ اليه وهو فى حركاته وميزات صوته ونغمات أقواله يقلد البنات رغماً عنه لا عمداً أو طوعا واختياراً . اصغ اليه وهو يدس بين الجمل الساذجة البريئة التى ينطق بها كلمات وجملا وموضوعات يختص بها عادة الاناث دون الذكور حتى يخيل الى السامع أن المتكلم صبية لا صبى

ان القائمين بشئون التربية فى بعض ممالك الغرب يخشون أحياناً عاقبة هذه الظاهرة فى المدارس المختلطة بين الجنسين التى تكون فيها الغالبية الساحقة من البنات . ويخشونها كذلك فى المدارس الثانوية التى يكون فيها معظم القائمين بالتدريس من المعلمات بعد أن يكون طلبتها قد أتموا دروسهم الابتدائية فى معاهد كل معلميها من السيدات . والخطر هنا لا ينحصر فى محاكاة الصبى للصبية فى خلال فترة التلمذة ، بل فى استمرارهم فى هذه المحاكاة حتى يكبر فتصبح خلة ثابتة فيه

ولم أذكر حكاية الصبى الذى يتلقى دروسه فى مدرسة للبنات أو معهد مختلط بين الجنسين اكثريته من الفتيات الا من قبيل التمثيل . فهناك عوامل وبيئات لا تحصى من شأنها أن تكون مرعى خصيباً تنمو فيها هذه الصفات وتترعرع . فقد يكون منشأ هـذا الشذوذ فى الكاتب فى الاصل الافراط فى الاستسلام والمغالاة فى التفكير الجنسى وأحلام النهار والاسراف فى الغزل والنسيب وقد يكون منشؤه على النقيض من هذه كلها أى الحرمان والكبت

وقد يكون منشأ هذا الشذوذ الرغبة الشديدة فى الكياسة والذوق ، والغلو فى الرقة والنعومة والامعان فى العطف ، والاسراف فى الرفق واللين ، والمغالاة فى تعشق الجمال ، ظناً من الكاتب أن هذه صفات مستحبة ، تجذب الانظار اليه ، وتسترعى الاسماع ، فيفتتن به الناس عامة ، والنساء خاصة .

ومن هذا يتبين أن الكاتب قد يكون سليم النية فى بادىء الأمر ، ولكنه لا يلبث أن يجد هـذه الصفات متمكنة منه متأصلة فيه ، يعسر عليه الافلات منها ، ويصبح كالرجل الذى يقص على اخوانه حكاية مكذوبة ، يعلم انها لا أساس لها بتاتاً ، ولكنه يعود فيقصها على الغير مثنى وثلاث ورباع ، حتى يعتقد هو فى نهاية الامر أنها واقعة حال

وأسلوب الكاتب المصاب بهذا الشذوذ الجنسى يسهل تمييزه عن سواه بمجرد قراءة بضعة

سطور منه . يميل صاحب هذا الاسلوب عادة أن يكون معظم كلامه عن النساء ، وحياة المرأة وشعورها وما تحب وما تكره وعن زواجها وطلاقها ، وزينتها وثيابها وفرحها وبكائها ورقصها. يميل أن يتخنث فى لفظه ويرق فى قوله رقة لا يقبلها النساء ولا يحبها الرجال أن تصدر من الرجال . يميل أن يعطف على الانسانية ويبكى لبكائها ولكن كما يبكى الغلام الشاذ فلا تكتسب دموعه عطف الرجال ولاتستمطر دموع النساء . يميل إلى التحدث عن الفنون الجميلة أحاديث لاطائل تحتها بمناسبة وبغير مناسبة مع جهله فى معظم الأحيان الفنون الجميلة . غيرأن حديثه عنها مع كثرة زخرفه وتعدد الوانه ينقصه الاتزان والرسوخ والحشمة والكياسة والتورع وغيرها من النعوت التى يتفق فيهـا الرجال الافاضل والنساء الفضليات على السواء

يميل صاحب هذا الاسلوب الى مناجاة الجمال والتغزل فيه سواء أكان موضوعه يدور حول الأحياء أم الأموات ، الملاهي أم الدواهي ، الغزلان أم الغربان . وما جمال الطبيعة عنده سوى سلم يتدرج به إلى التعبير عن مشاعره السفلى . فيبدأ بالقمر والنجوم والكواكب، أو يأخذ فى تصوير الانهار المنسابة فى بطون الوديان ثم يمرق إلى جهة لا يشك القارىء اللبيب فى شذوذها ويسخر الفاظاً وأساليب وعبارات لسائية ناعمة

غير انى أخشى أن أكون غامضاً فيسىء القارىء فهم ما أريده . لست أعنى أن فى كل من يكثر من الرجال الكتابة عن النساء شذوذاً ، ولست أعنى أن رقة التعبير ورنة الحزن وصوت العطف وانشودة الغرام وعذوبة الاسلوب وحلاوة القول فى الرجل دليل الشذوذ ، ولست أعنى أن تعشق الجمال وكثرة الاشارة الى الفنون الجميلة والاعجاب بالطبيعة مجلبة للريبة والشك فى أن هناك انحرافاً مستتراً فى الكاتب

فقاسم امين فيما ألفه عن المرأة لم يجف له مداد ولم تجف له يراعة ولم يبح له صوت . ولم يجد فى حياتهـا اليومية ومقامها الاجتماعى باباً الا وطرقه . فكتب عن زوجها وولدها وعن طعامها وزينتها وعن عزها وبؤسها وعن سفورها وحجابها وعن زواجها ومهرها وطلاقها ونفقتها وعن عاداتها الحسنة منها والقبيحة وعن مقامها فى الغرب والشرق وفى نظر المجتمع والقوانين وعن جسمها وعقلها عاطفتها ووجدانها . . . ومع ذلك لم يلمح أحد يوماً فى كتبه شبح تلك الصورة التى يضعها أمام عيوننا بعض الكتاب كلما خطوا حرفا عن المرأة . ولم يقرأ أحد بين سطور قاسم أمين كلمة من شأنها أن تهيج فى طبيعة الرجل السفلى عاطفة هوجاء . ولم يسمع أحـد فيما سطرته أنامله نغمة خليعة شائنة . ذلك لأن قاسم أمين كان يكتب فيما كتبه عن المرأة عن عقيدة راسخة وإيمان ثابت وعاطفة نبيلة وحساسية دقيقة وشجاعة نادرة وجرأة لم تثنها طعنات الطاعنين وهجاء الهجائين . كان قاسم أمين فى نسائياته رجلا حديديا لا يفله الحديد . وكان فى رقته وعذوبته يمثل الشجاعة فى الشجعان

والوداعة فى الحملان ممتزجتين . وكان كالنبى يأتى بالرسالة فيرجمه الاجداد بالحجارة وتنثر الاحفاد على قبره الزهور

ولا مرتين شاعر الطبيعة تغنى بالزهور والرياحين وأنشد مع البلابل الصداحة وناح مع اليمام النازح ورق مع النسيم فوق قمم الجبال أو على شواطىء البحيرات، ولكنه زأر ايضا مع أمواج البحر المتلاطمة وصخب مع مياهها المتكسرة فوق الصخور وهب مع ريحها الصرصر وهطل مع مطرها المنهمر . فهل اشتم أحد فى شعره أو نثره مايفوح فى كتابات بعض الأدباء من روائح «شم الغرام» المركزة التى لا تتعطر بها غير المرأة الخليعة ؟ وهل قرأ أحد فى مؤلفاته حرفا واحداً من تلك الكلمات الصفيقة التى لا تتشدق بها سوى المرأة الساقطة ؟

ودستو يفسكى الكاتب الروسى الذى وصف ويلات الانسانية وآلامها . ألم يصور لنا البؤس والذلة والشقاء وآلام البشرية ، وعطف على الفقراء والمعوزين ، وجسم لنا الظلم الاجتماعى واستبداد الانسان بأخيه الانسان ، فاستمطر من عيون القراء الدموع وأصاب مواقع الوجدان ؟ ولكن هل سمع أحد فى أقواله على رقتها وعذوبتها تلك الرنة الصوتية النسائية التى لا تشاهد فى غير النساء المأجورات الندابات ؟

وهذا شكسبير فى روايته الخالدة « روميو وجوليت » جعل من روميو عاشقاً متيماً ، والقى على لسانه أقوالا لهجت بها الشعوب بعد مئات السنين ، فذهبت أمثالا ، وتصيد من قاع الانجليزية أجمل لآلئهـا مفردات وتراكيب ، وصاغ منهـا عقود الحب منظومة كعقود الكهرباء ، وفاز فيما صوره من شهداء الغرام السابق واللاحق ، ومع ذلك لم يقل أحد يوماً ان أسلوب شكسبير فى غرامياته ينم عن شىء من الانوثة

وهذا عبد الله نديم ، تقرأ خطبه فى عهد الثورة العرابية ، فتجد عباراتها تقطر رقة وعذوبة وتذوب عطفاً وحناناً ، وتبكى أحيـاناً لبكائه ، وترثى لرثائه ، غير أنك لا تلمح بين سطوره أثراً للعويل الصبيانى ، والولولة النسائية ، التى تعافها فى الرجال شهامة الرجل ونبل المرأة ، بل على النقيض من ذلك قد تمسح دمعة حائرة فى جفون عينيك لتستل سيفاً وتثور كالليث من عرينـك مقاتلا للعدو

وهذه رسائل مصطفى كامل التى كانت تسطرها أنامله الصغيرة لمدام جولييت آدم بالفرنسية . منذ أن كان طالباً فى التاسـعة عشرة من عمره يتلقى الحقوق فى جامعة تولوز . أعد قراءة هـذه الرسائل البديعة وانظر كيف كانت عباراتها تترقرق كقطرات الندى فوق أوراقها المتناثرة . واصغ الى زفراته وأناته الصادقة التى تشعر أنها لا تزال صاعدة من أعماق فؤاده وصميم وجدانه فى عالم الابدية . ويخيل اليك أن حروفها نقشت من عصارة الفؤاد لامن سواد المداد . ولكن من ذا

الذى يحس وهو يعيد قراءتها أن هناك نعومة فى الالفاظ وليونة فى العبارات تنبىء بشىء من ذلك الشذوذ ؟ ألا يشعر القارىء بعد تلاوتها أن العدو واقف له بالمرصاد وان القتال دفاعاً عن العزة القومية من الايمان وأننا « أحرار فى بلادنا كرماء لضيوفنا » ؟ وما قيل عن شكسبير ولامرتين يمكن ان يقال عن ولى الدين يكن (فى الصحائف السود والمعلوم والمجهول) والمنفلوطى (فى العبرات والنظرات) ونجيب حداد فى كثير من مقالاته وغيرهم وغيرهم

٭٭٭

قلنا ان هذا العيب الذى نراه أحياناً فى بعض الكتاب يعود الى المغالاة فى الرثاء أو الاسترسال فى الخيال أو الاسراف فى الرقة والعذوبة والعطف وغيرها من الصفات التى تشاهد فى الامم اللاتينية وسكان البلدان الواقعة على شواطىء البحر الابيض المتوسط . وما يعنينا الكلام عنه هنا مصر لانها أكثر هذه البلدان امعاناً وغلوا ، وطلبتها فى مدارسهم ، وصغار ادبائها فيما يحررون ويؤلفون ، والعامة فيما يعزفون وينشدون ، أكثر جنوحا من سواهم فى البلدان الاخرى — حتى الامم الشرقية المجاورة — الى هذا الامعان والغلو الذى طالما جر صاحبه الى الشذوذ الذى نتحدث عنه

ولا يخفى أن شدة الميل الى المأساة (التراجيدى) والخيال وحب الرثاء والبكاء حتى فى الاناشيد القومية ، والانوثة فى التعبير حتى فى المواقف الوطنية الحماسية — كلها تعود الى أصل واحد وهو الضعف والاستكانة والاستسلام والخضوع وذرف الدموع لأوهى الاسباب . وكلها من صفات المرأة . استمع الى الاناشيد القومية فى سورية والجزائر وتونس والعراق ، تجدها تمثل الشجاعة والبطولة والقتال . وانظر كيف أنها فى مصر ندب وعويل وبكاء وحب وهجران وفراق ووداع ولوعة وألم وتعذيب وفجيعة ووجع قلب . قد يفسر ذلك علماء الجغرافيا البشرية . وقد يقول لنا « هنتنجتون » إن جبال لبنان وجبال الاطلس وصحراء العرب هى التى توحى الى الكتاب والمغنين فى تلك البلاد الشجاعة والبسالة وتلهمهم البطولة والرجولة بما فيها من مخاطر ومشاق ووعورة فى السير وصعوبة فى كسب الرزق . وإن وادى النيل كسائر الوديان حيث الارض سخية والتربة خصبة والعيش سهل والاستسلام للغزاة الفاتحين طبيعة متأصلة منذ عهد الكياسرة والاغريق — هو الذى تعزى اليه الاخلاق المومأ إليها

انظر الى الروايات التمثيلية والسينمائية المصرية واقرأ عناوينها : الذبائح . الضحايا . الاتهام . العاصفة . الفجيعة . الجحيم . الوردة البيضاء . . مزيج من المأساة والخيال . وانظر الى الموضوعات الانشائية التى تستهوى عقول الطلبة المصريين ، فيرغبون فيها اكثر من سواها : يتيم فى عيد . الثكلى . لوعة . دمعة وابتسامة . . . مزيج من المأساة والخيال . وانظر الى الدور الصناعية والتجارية تجدها أيضاً تنزع الى هذه الصفات . . . مكوجى الوردة البيضاء . حلاق الوردة البيضاء . فندق الوردة

البيضاء . كوارع الوردة البيضاء . جزارة الوردة البيضاء . وهذه كلها منشآت حديثة فى القاهرة وقع عليها نظرى من نافذة الترام . قارن بين هذا الغزل التجارى والخيال والرقة ، وما تراه فى مثل هذه الدور فى انجلترا وامريكا — Yes, Madam (اسم لمحل تجارى فى انجلترا يبيع ملابس للسيدات) . She expects one of these (مجموعة من الهدايا فى مخزن تجارى فى امريكا كتب فوقها هذه الجملة) . Say it with flowers (كتب على محل لبيع الزهور فى امريكا اشارة الى انه يحسن ان يكون قولك « كل عام وانتم بخير » فى الاعياد مصحوبا بباقة من الزهور) أو Take a friend with you (كتبت على محل لبيع الكلاب اقتراحا على راكبي السيارات ان يأخذوا معهم كلابا للاستئناس) . ومن أجمل ما رأيت ما كتبته بلدية احدى المدن الامريكية فوق مجموعات الزهور فى حدائق النزهة. فبدلا من أن تكتب العبارة المالوفة : « ممنوع قطف الزهور » أو مايشاكلها من العبارات ، كتبت هذه الجملة : Give us a chance to live أو We want to grow (أى نريد أن نعيش أو دعونا نكبر)

⁂

سبق القول ان منشأ العيب الذى اتخذناه عنوانا للبحث قد يكون حب الظهور وادعاء الرقة فى الاحساس . وما حضرت مرة « غادة الكاميليا » و « النباخ » فى مصر الا وشاهدت شابا يبكى ويشهق فى البكاء حتى يحمل على الاعناق الى خارج المسرح . وأذكر أنى حضرت رواية « غادة الكاميليا » اكثر من مرة فى ملهى ساره برنارد فى باريس ولكنى لا اذكر مرة ان تأثر احد النظارة تجاوز دمعة حائرة فى عينى صاحبها أو منهمرة على خده . أما هذا الشهيق وهذا السقوط على الأرض الصادر من رجل تجرى فى عروقه دم الرجولة فهو مهزلة لا رقة فى العواطف او دقة فى الاحساس كما يريدوننا ان نفهم ، وعيب اخلاق لايصح السكوت عليه . وتعليل هــذه الظاهرة يتلخص فى ميل للظهور والاستسلام للعواطف ، فالمغالاة ، فالاعتقاد أن هذا الشعور الكاذب هو شعور جدى فالبكاء والسقوط . والعطف على مثل هؤلاء جريمة والعلاج صفعهم على الوجوه حتى يفيقوا من هذه الشهوة الممقوتة وهــذه الانوثة المحتقرة . وقد ولت تلك الايام التى كانت فى عهد الشيخ سلامة حجازى (كما قيل لى) تتصاعد منها الزفرات من مقصورات الهوانم فى دار التمثيل العربى بالازبكية . فما بالها تبعث من رمسها وتتقمص فى روح بعض الشبان فى المسرح المصرى الحديث ؟

أقام بعض الطلبة منذ سنوات حفلة موقرة ألقيت فيها خطب الرثاء لزعيم راحل . وما بدأ أحد الخطباء كلامه حتى أخذ فى الندب والولولة والشهيق والبكاء والتمثيل حتى أبكى السيدات من أقارب الفقيد . وكان يخيل الى أنه لم يخلق الا ليشتغل نادبا بين النادبات المأجورات . ووددت لو أتيح لى من السلطة والقوة والتقاليد التى تخول لى ان اعتلى منصة الخطابة واحمله بين يدى وأقذف به من

النافذة . وقد كان يجلس بجانبي احد كبار الموظفين فى وزارة المعارف فشاركني فى هذا الاستياء والخجل من هذه المعية . واننى أؤكد للقراء ان هذا الشاب كان ممثلا لا غير وناظما لا شاعراً . وأنه عقد النية عمداً مع سبق الاصرار على العويل والنواح . فناح وبكى بفعل هذه الظاهرة النفسانية كما تنوح بولانجرى وجريتا جاربو وتبكيان بكاء جدياً ، بعد ان ترسما الخطة للنواح والبكاء برغم علمهما انه شعور صناعى تقتضيه وقائع الرواية

☆☆☆

ان الرقة النسائية التى يحاول بعض الكتاب والنشء تقليدها لا تتقنها الا المرأة فهى بطبيعتها أقدر على تصويرها من الرجل وللمرأة اسلوب خاص تمتاز به ينم عن رقة خاصة ونعومة فريدة فى بابها خصتها بها الطبيعة وارادت ان تكون من نصيبها لا من نصيب الرجل . ومهما حاول الرجل محاكاة هذا الاسلوب كتابة اوقولا أو إشارة فان فشله مؤكد لا محالة . وإذا ظن ان هذه المحاكاة تكسبه عطف الرجال وحب النساء فانه يكون مخطئا كل الخطأ لان كلا من الرجل والمرأة يمقت هذه المحاكاة كل المقت . ونرى دليل ذلك فى الأزياء والملابس . يظن بعض الشبان أن كثرة التأنق وانتقاء الالوان الزاهية والملابس المتقنة التى تلصق بالجسم — يظنون أن هذا مدعاة لتقريب المرأة اليهم . وقد يعمدون الى تحمير الشفاه وتلوين الشعر وكيه كما تفعل الفتيات ظنا منهم انهم بذلك يبلغون من الاناقة والكياسة والذوق والرقة ما يجعلهم فى مقدمة فتيان العصر ، وأكثرهم حظوة عند النساء . وكثيراً ما نرى موظفا من صغار الموظفين ، أو طالبا من اسرة متواضعة أو متوسطة فى طريقه الى مكتبه أو معهده وكأنه فى هندامه المتقن وجورباته الحريرية ، وكسوته الغالية وحذائه البراق وشعره المنساب المصفوف وراء طربوشه — كأنه على أهبة الرقص او الاستقبال لا على قدم الرحيل الى مكان العمل

هذا الشاب الذى يقلد المرأة فى هندامه وشعره ومشيته . وذلك الطالب الذى يميل الى المأساة والرثاء والتمثيل والبكاء عندما يكتب او يخطب . وذلك الكاتب الذى يظهر عنصر المرأة فيما يؤلف — جميع هؤلاء يدفعون أنفسهم الى ذلك الشذوذ وذلك العيب الخلقى الذى لابد ان يشاهده فيهم الغير فيكونون عرضة للنقد ولا يحظون باحترام الناس لهم

واختم المقال بتكرار القول أن رقة الاسلوب ورنة الحزن فى الالفاظ والمعانى ومناجاة الطبيعة وحب الجمال ووصف الانسانية المعذبة وتصوير آلامها من اسمى ما يكتبه الكاتب . وليس هناك ما يشوه هذا السمو سوى الجنوح الى التصنع والغلو فى محاكاة ما لا يستطاع محاكاته

امير بقطر

كيف يجب أن يكتب التاريخ
ومن هو المؤرخ الكامل

للدكتور عبد الكريم جرمانوس

يقيم الآن فى مصر المستشرق المجرى الدكتور عبد الكريم جرمانوس استاذ التاريخ بجامعة بودابست ، وهو عالم جليل درس فى بودابست وفينا والمانيا وانجلترا ، وحصل على « الدكتوراه » فى التاريخ واللغة التركية ، وهو يتقن من اللغات الشرقية ثلاثاً ، ومن اللغات الاوربية خمساً عدا اللغة اللاتينية ، وله كتب فى تاريخ الادب التركى ، واثر الاتراك فى تاريخ الاسلام . وكتاب فى الحركات الجديدة فى الاسلام . وكتاب عن النقابات الصناعية فى تركيا أثناء القرن السابع عشر ، وهو الذى حصل به على شهادة الدكتوراه وعلى جائزة قدرها مائة جنيه من الجامعة . وقد ترجم كثيراً من الادب التركى الى المجرية . وهو يناهز الآن الخمسين عاماً ، أولع بحب الشرق منذ صباه . ومن أجل هذا الولع درس التركية والفارسية ، وتعلم العربية فى أربع سنوات ونصف . وقرأ القرآن الكريم ، وتفسير الطبرى ، وجزءاً من البيضاوى ، وعدة كتب فى الحديث والادب والتاريخ . وقد زار تركيا أكثر من ثلاثين مرة ، واشترك فى الحرب الكبرى مع الاتراك ، وسافر إلى الهند فمكث بها ثلاث سنوات كان يشتغل أثناءها بالتدريس فى الجامعة التى انشأها شاعر الهند الكبير رابندرانات تاغور ، وأعلن اسلامه فى جامع دلهى ، وسمى نفسه عبد الكريم ، ثم اشتاق الى زيارة مصر ، فحضر اليها والتحق بالازهر الشريف ، وسيقوم بفريضة الحج فى هذا العام ، ويزور فى هذه الفرصة بعض البلاد الاخرى من جزيرة العرب

كتابة التاريخ

قلت : « قمت بتأليف عدة كتب فى التاريخ ، فهل تسمح بالتحدث عن الطريقة التى سلكتها فى كتابته ؟ »

قال : « كتابة التاريخ يجب أن تعتمد على المقارنة والموازنة بين المصادر من عدة وجوه ، لان هذه المصادر آثار انسانية وكل انسان يخضع لعدة مؤثرات ، وليس هناك انسان مجرد من التأثيرات المختلفة . والمؤرخ لم يخرج عن انه انسان له ماللانسان من التأثر بمؤثرات البيئة والظروف الاجتماعية والسياسية . وهذه التأثيرات كلها تظهر فى مصادر التاريخ . ولنضرب لذلك مثلا : المؤرخين الاولين من

الرهبان ، لحياة الرهبان محدودة . وهى حياة عزلة وتأمل وتقشف ، فاذا شاهدوا العرب فى القرون الوسطى ، وماهم عليه من الشجاعة والاقدام ، دهشوا ، فبالغوا فى وصفهم ، ووسموهم بالوحشية

« وكذلك قل فى تأثير العاطفة السياسية ، فقد يكون المؤرخ متأثراً بلون من الالوان الحزبية ، فيمدح حزبه ويبرر مواقفه ، فى حين يأتى مؤرخ آخر من حزب آخر ، فيذم هذا الحزب ، ويتهمه بالتقصير ، فاذا أراد مؤرخ بعد مائة سنة أن يكتب تاريخ النهضة المصرية ، فيجب عليه أن يوازن بين جميع المصادر ، ويقدر التأثيرات التى يخضع لها كل مصدر حزبى أو غير حزبى ، ويستخلص الحقائق التاريخية من بينها جميعاً . .

« وفى بعض مصادر التاريخ لاتجد ذكراً للفن فى عصر من العصور ، فهذا لا يدل على ان ذاك العصر خال من الفن ، بل ان الكاتب لم يهتم بالفنون فى العهد الذى كتب عنه ، فمر به دون أن يعيره التفاتاً ، أو يقيم له وزناً

« وفى الاشعار التى رواها الرواة لامرىء القيس لا ترى شيئاً عن زيارته للقسطنطينية وعشقه لابنة القيصر ، فهذا لا يدل على انه لم يذهب الى هذه البلاد ، ولم يعشق بنت القيصر على نحو مايرويه المؤرخون اليونان ، بل يدل على أن الرواة العرب لم يهتموا بشعره عن هذه الزيارة ، فسقطت قصتها وقصة هذه العشيقة

«فيجب اذن على المؤرخ أن يوازن بين المصادر المتأثرة بعدة تأثيرات مختلفة ، ويقيس هذه التأثيرات كلها التى يخضع لها أصحابها ، لا أن يأخذ عنهم دون تدبر وموازنة وتفكير »

المؤرخ الكامل

قلت : « ومن هو المؤرخ الكامل فى رأيك ؟ »

قال : « التاريخ مرآة الحياة تظهر فيها جميع ألوانها من مباهج ومآس ، ومحاسن ومساوىء والمؤرخ الكامل هو المثقف العميق التثقيف الذى يقارن بين المصادر كما قلنا ، ويكون عنده استعداد لان يصور الحوادث المختلفة تصويراً طبيعياً ، فيستطيع أن يضحك ويبكى دون تكلف ويستوحى مناظر الحياة مجرداً من أغراض النفعية ، وأظن Gibbon الذى كتب تاريخ سقوط الامبراطورية الرومانية أقرب إلى المثل الأعلى للمؤرخين ، وأعتقد أنه يفوق فولتير فى فرنسا ، وماكولى فى انجلترا ورانكه (Ranke) فى المانيا ، فانت تشعر حين تقرأ Gibbon أنك عائش فى العصر الذى يتحدث عنه ، وكانك تشاهد الحوادث تمثل أمامك وتجذبك بروعتها وأسلوب عرضها . فالمؤرخ الكامل يجب أن يجمع بين القدرة على تمثيل الحقائق التاريخية والاسلوب الذى يفضى إلى تفهم هذه الحقائق ، فيحيي الحوادث ، وينقل الحياة نقلا صحيحاً مؤثراً . ولا يستطيع ان يعمل ذلك الا المؤرخ الذى جرب الحياة ، ومرت به ألوانها المختلفة كما قال جوته :

« الذى لم يأكل خبزه باكياً ، والذى لم يجلس على فراشه الليالى الطوال ، والذى لم يبتهج بقدوم الربيع ، لا يستطيع أن يفهم الفنون ويصور حوادث التاريخ ، وما فيها من عبر وعظات وسرور وأحزان »

أحسن مؤرخي العرب

قلت : « وأى مؤرخى العرب تفضل ؟ »

فقال : « أفضل — من الذين قرأتهم — ابن خلدون بلا شك ، لان أسلوبه أسلوب القرن العشرين ، ولانه أكبر مفكر فى مؤرخى الشرق ، وقد شاهد ولاحظ ، وكانت طريقته المقارنة . وقد اتبع هذا الاسلوب فى القرن الرابع عشر حينما كانت أوربا كلها فى ظلام لا تعرف هذا الاسلوب . وإذا كان قد ولد فى القرن الرابع عشر الميلادى ، فهو ما زال فى هذا القرن شابا . وهو ما زال جديداً يتعلم منه أبناء العصر الحاضر

« وهناك مؤرخ عربي آخر أعجبت به كثيراً وهو (البيرونى) الذى عاش فى القرن الحادى عشر الميلادى . فان مؤلفه عن الهند لا نظير له حتى الآن . فقد وصف حياة الهنود وعاداتهم ومذاهبهم وصفاً تاماً . ولو فقدت جميع الكتب التى كتبها الاوربيون عن الهند . وبقى لنا كتاب البيرونى لكفى مصدراً تاريخياً قيما عن هذه البلاد

« وأعجب من هذا أنه كان مسلماً لا هندياً فى القرن ١١ . ومع ذلك كتبه بروح خالية من التعصب والنعرة الجنسية ، كرقيب على ربوة عالية ، ينظر نظرة العلم فقط بأسلوب منطق وانصاف وتقدير »

الحضارة العربية

قلت : « وما رأيك فى الحضارة العربية القديمة . وهل تمكن مقارنتها بالحضارة الناهضة فى العصر الحديث ؟ »

قال : « الحضارة العربية القديمة حضارة اسلامية أكثر منها عربية ، لان العرب قبل ظهور الاسلام كانوا فى جاهليتهم الاولى ، ولكن لما بزغ الاسلام فى شبه الجزيرة واتسعت فتوحاته نشأت حضـارة جديدة كانت ميزتها كما يقول اليونان (eclectic) أى انها مقتبسة من عدة حضارات . فقد قال النبى محمد — صلوات الله عليه — : « اطلبوا العلم ولو بالصين » ، فاخذت الحضارة الاسلامية من اليونان والفرس والهند ومصر وانتفعت من علوم هذه الامم ، واقتبست من فنونهم وعاداتهم ، وتألف من مجموع ذلك وما اتى به الاسلام حضارة زاهرة لم تضعف إلا بعد أن ضعفت الممالك الاسلامية من الوجهة السياسية . ولو لم يكن هذا الضعف السياسى لحمل المسلمون فى الاندلس لواء

التطور الجديد فى القرن السادس عشر ، ولكان عهد الاحياء والنهضة الحديثة فى اوربا على يد العرب لا على يد الاوربيين

« والحضارة العربية خصوصاً فى عهد العباسيين ، لا تختلف فى جوهرها وأسسها عن الحضارة الاوربية الحديثة اذا راعينا الظروف ، فاساس كل من الحضارتين (eclectic) وعدم تحديد الافق. واذا كانت الحضارة الاوربية يغلب عليها العنصر الآلى ، فقد كان هذا العنصر من الاسس التى قامت عليها الحضارة العربية أيضا . فالكيمياء لم تكن عند العرب علما نظريا بل كان عملياً . وهناك كتب عربية فى الكيمياء العملية أخذ عنها الاوربيون كما أخذوا كثيراً من الاسماء العربية ، فالكحول والاكسير والدورق والعقاقير عربية . وقد اخترع العرب العدسة وكان فى بغداد شارع خاص للادوية

« فالحضارة العربية فى عهد العباسيين لا تختلف فى جوهرها عن الحضارة الحالية . وقد سلك الغربيون نفس المسلك الذى اتبعه العرب فى بناء حضارتهم »

أجدر العصور بالدراسة

قلت : « وأى العصور أجدر بالدراسة ؟ »

قال : « ليس هناك عصر أولى من عصر فى دراسة التاريخ ، ولكن من وجهة المصلحة القومية يجب أن نقدم فى دراستنا تاريخ القرن الذى سبقنا لان العلاقة بيننا وبينه أقرب . ولان الروابط بينه وبين القرن الذى نعيش فيه أوثق . ولان وظيفة التاريخ أن يلقى علينا دروسا من التجارب والعبر التى ننتفع بها فى حياتنا فيجب أن تكون هذه الدروس قبل كل شىء من تاريخ أقرب الآباء الينا الذين تربطهم بنا روابط وثيقة فى نواحى الحياة المتعددة . وتكون فائدة هذه الدروس بالمقارنة بين القرن الحالى والقرن السابق . فنسائل أنفسنا ما الفرق بين حياتنا وحياة هؤلاء الآباء . وهل تقدمنا عنهم أو تأخرنا . وهل انتفعنا من تجاربهم أو لم ننتفع . فمثلا فى مصر اليوم خلاف بين أنصار القديم وأنصار الجديد . فعلينا أن نحتكم الى أي حزب يجب أن ننحاز . فنقارن أولا بين الماضى والحاضر . ثم نوازن بين التطور الذى مر بمصر فى القرون السابقة والاتجاه العام فى العالم كله الآن . فنلائم بين حياتنا وما ورثت من آثار قديمة ، وبين الاتجاه العام فى الوقت الحاضر ، وقد دخل الراديو والتلفون والطيارة الشرق ، وأخذ الذوق الجديد يقتل الذوق القديم . ولا مندوحة عن ذلك . والجدال اللفظى بين أنصار القديم وأنصار الجديد لا يجدى نفعاً . فان الحكم ليس بيد أحدهما ولكنه بيد هذا الاتجاه الآلى الذى يجرف تياره الآن كل شىء أمامه »

فن الحياة في تاريخ الادباء

بين حافظ ابراهيم وشارلس ديكنز

بقلم الاستاذ حافظ محمود

يفتن الكتاب وهم يكتبون للناس الصحيفة عن حياة أبطالهم التعساء حتى يكوا بسير أولئك الابطال الخياليين الذين لا حياة لهم فى الواقع . ونسمع من أقاصيص الحب والشقاء ما يشوقنا ويدهشنا ويجعلنا مبهوتين أمام شتى العواطف الانسانية التى يبرزها الكاتب فى صحائفه . ولا يكاد يخطر ببالنا ان هناك أناساً يحبون هذا اللون من الحياة إلا فى الخيال

لكن الطبيعة التى اختصت الشعراء والكتاب بهذا الخيال كله قد قدرت على بعض هذه الطائفة أن يعيشوا فى لون من المآسى التى تصورها أقلامهم للعالم . والذى أعتقده ان الاديب الحق هو رجل ينقل صورة حياته أو صورة نفسه الى العالم مكتوبة أو مصورة فى الأسلوب الذى يختطه لنفسه

لقد كان قراء العربية يتعشقون شعر حافظ ابراهيم ، ويقيمونه فى دولة الشعر زعيما فى صدر حياته ، لانه كان اذ ذاك يصور البؤس الذى يعانيه والتعاسة التى يمارسها . ومن منا يستطيع أن يقرأ لحافظ قوله :

سعيت إلى أن كدت أنتعل الدما — وعدت وما أعقبت إلا التندما

إلا ويطوف بذهنه موقف المشردين من الحياة الذين خاب رجاؤهم وأصبحوا ولا ناصر لهم إلا دموعهم فى الليل وشكواهم فى النهار ؟ من منا يكون قد جرب خيبة المسعى مرة أو اكثر من مرة ويقرأ هذا البيت من غير أن تتملكه عاصفة من الشجون ؟

مهما كان الكاتب أو الشاعر بليغاً فصيحاً نابهاً فهو ليس بمستطيع أن يخلف فى نفوسنا الأثر العميق الذى تتركه فى أعماقنا حقيقة ساذجة من حقائق الحياة الموجعة التى يعانيها صاحب الشعر أو صاحب القلم

فالسر فى عبقرية حافظ ابراهيم ، هذه العبقرية التى لا تبلى ، ولا تبلى آثارها من نفوس قراء شعره هو ما انتابه من حقائق الحياة المؤلمة أول حياته

شقى حافظ ابراهيم فى صباه ، بل فى طفولته ، إذ فقد أمه الحنون ، وأحس بشقائه يوم أن تزوج أبوه من غير أمه ، وقوى عنده هذا الاحساس بمرور الزمن على هذه الزوجة فى بيت

أبيه ، فكلما كانت تزداد قدمها رسوخاً زادته بطبيعة الحال شقاء ، حتى أفقدته الصبر على العيش فى بيت والده ، ففر منه الى غير مأوى ، فلما ادركته السن ، انتظم فى سلك المدرسة الحربية حيث وجد فيها مأوى وميداناً فسيحاً لخياله ونشاطه وفتوته وشبابه

لكن من غير حافظ ابراهيم اذا تركه البؤس يستطيع أن يعبر عن آلام الحياة هذا التعبير الذى دقت معانيه وتحولت الى احساسات حادة حارة ؟ فهو ما يكاد يتخرج فى المدرسة حتى يلقى به الى جنوبى السودان فى مجاهل حياة ضنكة عسيرة المأوى ، فقال هناك الشعر الذى اختمر فى نفسه منذ طفولته ، وأذاع هذا الشعر فأغضب عليه من بيدهم أمره بقدر ما أكسبه عطف الجماهير . . ثم أقيل حافظ من وظيفته التى كانت له كل شيء من ماديات الحياة

وهكذا عاد الشاعر العظيم مرة أخرى الى معاناة العيش ومحاكاة البائسين ، فترجم البؤساء . والذين قرأوا البؤساء من ترجمة حافظ يجمعون كلهم على ان الجزء الاول أبلغ تعبيراً من الثانى ، ذلك لأن حافظاً حينما ترجم الجزء الثانى كان البؤس عنده خيالا ذاهباً لا حقيقة يمارسها

فالذين يعبرون عن أدق مشاعر الانسان من أصحاب الشعر والقلم هم الذين تتألف حياتهم من هذه الدقة فى ذاتها

***

كذلك لم يتعلق الانجليز فى النصف الاول من القرن التاسع عشر بقصاص مثلما تعلقوا بشارلس ديكنز ، لأن ديكنز كان ينقل فى رواياته لون الحياة التى عاشها ، بما فيها من دقة وحساسية

كان « شارلس ديكنز » فى مقدمة طفولته سعيداً بين أحضان والديه فى « شاتهام » مستمتعاً بجمال الطبيعة على الشاطىء ، طروباً باصوات الموسيقى العسكرية ، ومناظر البحارة الذين تبدو هناك صفوفهم ، ووراءهم الحبالون الذين يفتلون الحبال - كانت هذه كلها مشاهد تغذى طفولته الاولى بالسعادة

لكنه ما ذاق هذه السعادة إلا ليتعرف منها طعم الشقاء ، فقد نقل ابوه فجأة الى لندن ، وفى لندن لم يكن لهذا الأب من ماله أو من مرتبه ما يقيم به عيشاً سعيداً لعائلته ، فخلف ولده « شارلس » فى شاتهام يشعر بالوحدة الخالية من الحنان . ثم لم يستطع المستر ديكنز أن يوالى الانفاق على ابنه فى القرية . فأتى به الى ضاحية من ضواحى لندن المتواضعة ، حيث بدأ الصبى يعيش عيشة راكدة ليس فيها مرح ولا جمال . على أن يد المقادير لم تقف بديكنز الصغير عند هذا الحد ، فان أباه قد أثقلته الديون ، ولما عجز عن أدائها وجهه الدائنون الى السجون ، ولحقت به زوجه الى السجن ، وعاش الصبى وحيداً مع غير عائل يرعاه !

نسى ديكنز طفولته ، وسعى فى طلب الرزق ، فلم يجد إلا عملا تافهاً فى متجر من متاجر

الاطلية والدهانات نظير ستة شلنات ليس غير، وكانت هذه الشلنات الستة هى كل ما يملكه ديكنز الصغير فى نهاية كل أسبوع، فبها يشترى طعاما وشراباً، ويكترى مناما ثم يقضى ببعضها سائر حاجات الانسان

كان يشترى الفطيرة الواحدة من الصنف السميك الرخيص ليقتات بها يوماً كاملا، فاذا قرصه الجوع أثناء النهار ذهب الى بعض النواحى الفقيرة فاشترى نصف كوب من القهوة الممزوجة باللبن ... وهكذا علمت الحاجة هذا الصبى الذى لم يكن حينئذ قد جاوز العاشرة من عمره كيف يكون مدبراً مقتصداً

أجل كان ديكنز الصبى يقتصد البنسات القليلة لا ليكنزها، بل ليشترى بها كتباً قديمة تثقفه وتضىء له طريق الحياة، ذلك انه كان قد عجز عن أن يواصل الدراسة فى المدارس بعد أن حالت السجون بينه وبين أبيه

عانى هذه الحال سنتين كاملتين قد كان حرياً به فيهما أن يستمتع بزهاء الطفولة المرحة، على ان الله قد استجاب دعواته الصالحة فخرج أبوه من محبسه بعد هذه الشهور كلها، وألحقه بالمدرسة مرة أخرى، وكان أجل ما أحس فيه بالنعيم بعد عودة أبيه هو رجوعه الى المدرسة. هناك أخذ يجد بقوته كلها حتى تخرج بعد أربع سنين، ولما لم يكن بمقدوره ولا بمقدور أبيه أن ينفق عليه فى الجامعة، فقد التحق بعمل فى مكتب أحد كبار المحامين، وعاود ديكنز من جديد حبه للكفاح فى سبيل العلم والكمال. فادخر من ماله القليل ما كان يشترى به الكتب والمجلات

اشتغل عقل ديكنز الشاب بهذه الصورة التى مرت به ومر بها فى الحياة، وفاضت خواطره فسطرها قصصاً صغيرة يحفظها فى أدراج مكتبه الصغير، لكنه ذات يوم وهو يطالع المجلة الشهرية أحس برغبة ملحة تدفعه لأن يحاول نشر شىء من أقاصيصه فيها ... وفى يوم مطير سعى ديكنز الشاب فى ساعة الغروب الى باب دار المجلة وألقى بمقاله الاول خلسة فى صندوق البريد ثم فر راجعاً !!

لم يكن يدرى انه بما أرسل الى المجلة قد افتتح صفحة جديدة من المجد الخالد، فقد نشر له ما كتب، واستزاده الناس فيما يكتب، لانه كان يصور لهم آلامهم فى أعمق أعماقها، وكثيراً ما كان يبلغ التأثر من قراءته أن يرسلوا اليه يلتمسون منه الرحمة بأبطال قصصه التعساء أو المخاطرين !!

***

فالى أى حد يتأثر الاديب بالمآسى التى تجعل الحياة الشقية بطلا فيها؟ والى أى حد تتأثر الجماهير بهذه البطولة التى يقيمها البؤس فى نفوس بعض الادباء؟!

كان حافظ ابراهيم معاصراً لشوقى، وقد وصل شوقى فى الدرجات الادبية الرفيعة الى درجة

سمى فيها أمير الشعر والشعراء، أما اذا احتكم الشاعران الى الجماهير، فهذه الجماهير نفسها التى كانت تقدر شعر شوقى تقديراً عميقاً كانت دائماً تهيم بحافظ وبشعر حافظ، ذلك لانه كان الشاعر الاديب الذى تشربت نفسه بؤس الناس جميعاً فأجاد التعبير عنه للناس جميعاً

وقف حافظ يوماً ليرثى امين الرافعى، وكان المرثى والراثى أديبين ذاقا غصص الحياة. فما استطاع حافظ أن يكمل فقرة واحدة من رثائه من غير أن يقاطعه التصفيق أو آهات الالم والاعجاب !!

كذلك كان شارلس ديكنز فى انجلترا يفر من الوفود التى تطلب منه المقالات والقصص فى كل مكان حتى انه ما كان يجد له مفراً إلا فى الخروج من انجلترا الى هذه السياحات الواسعة النطاق التى اتخذها الاديب الانجليزى العظيم سبيلا الى العلم الذى أحبه، وسبيلا الى الترفيه عن نفسه التى كان قد أضناها الشقاء.. وما أبلغ ديكنز وهو يصف عناء طفولته حيث يقول: «لولا رحمة ربى لكنت لصاً صغيراً، أو قاطع طريق»

لم يكن حافظ ابراهيم، أو لم يكن شارلس ديكنز أعظم الادباء فى عصره، لكن كلا منهما كان أحب عظماء الادباء الى نفوس الناس، ولم يكن هذا ولا هذا الاديب الذى تفرد فى أمته بهذا الحب، فكم كان وكم سيكون فى العالم أدباء تحقدهم الطبيعة، فيستحيل حقدها فى نفوسهم فناً جميلا يحبهم من أجله الناس فى كل زمان وكل مكان

حافظ محمود

° قال فردريك الثانى ملك بروسيا العظيم لقواده: «أريد منكم أن تحافظوا على سمعتكم الطيبة بعد موتى كما حافظتم عليها فى حياتى. فهى أثمن كنزاً للبلاد ما دمتم انتم حماتها»

° وعندما قلد الرشيد يحيى بن خالد الوزارة اوصاه قائلا:

«قلدتك أمر الرعية وأخرجته من عنقى. فاحكم فى ذلك بما ترى من الصواب. واستعمل من رأيت واعزل من رأيت. وامض الامور على ماترى. وكن لما جاء فى الكتاب اميناً»

° وكان الملك هنرى الرابع ملك فرنسا يقول دائماً للولاة والحكام:

«أوصيكم بالفقراء والوضعاء خيراً فانهم عماد المملكة ولولاهم لما كنتم انتم ولما كنت أنا شيئاً يذكر. ففى استطاعتهم أن يستغنوا عنا. أما نحن فليس فى استطاعتنا أن نستغنى عنهم!»

° وكثيرون هم الملوك الذين كانوا يرددون هذه الكلمة: «الملك مهنة صعبة!» حتى ان الناس يختلفون الآن فيمن قالها قبل غيره

° وعندما اعتدى على حياة الملك الفونس الثالث عشر للمرة الثانية أو الثالثة، التفت الى حاشيته وقال: «هذه مخاطر المهنة!»

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربيـة

العصبيون أقرب للنجاح

[خلاصة فصل من كتاب بهذا العنوان . بقلم الدكتور لويس بيش]

اذا كنت أيها القارىء من أصحاب الامزجة العصبية فلا تدع اليأس يأخذ منك أو يستولى عليك ، بل افرح وشدد عزائمك ، فقد قام بعض كبار الاطباء الاخصائيين بتجارب واسعة النطاق مدة عشرين سنة فاتضح لهم أن المزاج العصبي ليس بالضرورة شؤماً على صاحبه ، بل هو مصدر سعادة وهناء

وقد يبدو هذا الكلام غريباً أول وهلة ، ولكن البحث والاختبار يدلان على أن أصحاب الامزجة العصبية الذين يكون الاحساس فيهم عادة دقيقاً جداً ، والذين كثيراً مايستولى عليهم الشعور بأنهم أحط من غيرهم — هم فى الواقع من أحسن الناس حظاً ومن أوفاهم شروطاً للنجاح

ولا شك أن صاحب المزاج العصبي يدرك حالة ذوى الامزجة العصبية أحسن من غيره . وكاتب هذه السطور واحد منهم ، وقد ثبت له بالاختبار صحة نظرية العالم يونج الذى يعتقد أن فى كل رجل ذى مزاج عصبي نواة للصفات التى تجعله من النوابغ ، وأنه اذا أمكن اقناع هـذا العصبي بأن مزاجه ليس نقيصة بل يمكن استغلاله وتحويله الى فضيلة ، أمكن جعله من أسعد الناس ، وابراز مافيه من الصفات التى ترفعه فوق مستوى الرجل المتوسط

وليس معنى ماتقدم أن كل رجل ذى مزاج عصبي هو من النوابغ بل أنه متصف بالصفات التى يمكن — اذا استغلت استغلالا صحيحاً — أن ترفعه الى درجة النبوغ . وفى الواقع أن فى العالم كثيرين من ذوى الامزجة العصبية يعيشون أشقياء تاعسين لاعتقادهم أن العالم لايفهمهم ولا يدرك سبب مايبدو عليهم من المزاج العصبي . وهم يعلنون أن بينهم وبين عامة الناس فرقاً عظيما وأن هذه العامة تنظر اليهم نظرة مريبة

واذا أريد اصلاح صاحب المزاج العصبي ، وجب تعليمه قبل كل شىء كيف يحترم نفسه ، وكيف يتغلب على ذلك الشعور الذى تجيش به نفسه — ونعنى به الشعور بالحياء واتهام النفس بما ليس

صحيحاً . ويجب تفهيمه أنه ليس الرجل الوحيد من نوعه فى العالم ، بل هنالك ملايين مثله ذوو أمزجة عصبية ، وان هؤلاء الرجال قد أفادوا العالم أكثر مما أفاده غيرهم من ذوى الامزجة الطبيعية ، وبلغوا من المجد مالم يبلغه غيرهم . وفى الواقع أن أهل الامزجة العصبية هم من أمثال الاسكندر وقيصر ونابوليون وانجلو وواط وغيرهم الذين تزدان بهم صفحات التاريخ والذين تسطع اسماؤهم فى سماء الشهرة . ولا شك أن شذوذ مزاج المرء عن الحد الطبيعي ليس دليلا على أنه أحط من الرجل المتوسط الاعتيادى ، بل كثيراً مايكون أعلى بكثير وأحق بأن يخلد العالم اسمه

وكلتا الحكمة والمصلحة تقضى بتمهيد الطرق التى يمكن بها استغلال همة صاحب المزاج العصبي ونشاطه وقوة تفكيره لكيلا تذهب الصفات التى تميزه من غيره عبثاً ، ولكى يستفاد من ذكائه وبعد نظره . ولقد جرب كاتب هذه السطور (وهو كما تقدم من أصحاب الأمزجة العصبية) أن يزاول صناعة الكتابة والانشاء ، وما كان ليزاولها لولا هذا المزاج ولولا الحاجة الى منفذ لتصريف النشاط الزائد على الحاجة ، والذى هو بمنزلة البخار اذا لم يجد منفذاً سبب انفجاراً . وقد كان الاتجاه الى صناعة الكتابة فى باديء الامر من قبيل التماس اللهو ومحاولة شغل الفكر فقط . أما الآن فان الكاتب يجد فى تلك الصناعة لذة وتسلية تفوقان كل وصف . وما يجده الكاتب منهما فى مزاولة الكتابة قد يجده غيره من أصحاب الامزجة العصبية فى اعمال البر أو فى مزاولة المهن الكثيرة المختلفة

وفى الواقع أن فى وسع كل ذى مزاج عصبي أن يجعل مزاجه مصدر قوة وبركة ليس له فقط بل للذين يلوذون به ويجولون حوله أيضا . أما اهمال الامر وترك الحبل على الغارب فمدعاة الى الخيبة . والغريب أن الذين يخيبون يلومون البيئة التى هم فيها والاشخاص المحيطين بهم . أما الذين ينجحون فانهم يصبحون مصدر خير عظيم لانفسهم وللمحيطين بهم

وعليه فليعلم كل ذى مزاج عصبي أن بيده أن يجعل من مزاجه مصدر نعمة أو مصدر شقاء . ومن حق أهله وصحبه ووطنه عليه أن يجعل مزاجه مصدر سعادة وهناء وأن يسعى ليجعله سلماً للنجاح . وكل ماعليه أن يفعل هو أن يراجع نفسه ويفحص قواه النفسية ويعالج مزاجه بالايحاء والاستهواء . أما استعمال العقاقير والادوية ومحاولة تغيير البيئة فما لايجدى نفعاً . وقد قال سقراط : « اعرف نفسك » . وفى هذه الحكمة البليغة مفتاح السعادة والنجاح

الفرد وليد الجماعة

[خلاصة مقالة عن مجلة ماي
مجازين . بقلم منشىء المجلة]

ان نوابغ العالم وأهل العبقرية فيهم ليسوا هم الذين يسيرون نظام الاجتماع أو يتحكمون فى مصير البشرية ، بل إن الذى يقوم بذلك هو الرجل الوسط العادى . ومن مجموعة الرجال العاديين يتألف المجتمع البشرى . وهذا المجتمع هو الذى سيقرر مصير الانسان فى المستقبل

ترى هل يذهب الفرد ضحية نظام الاجتماع الذى هو من صنعه ؟

يزعم فريق من الفلاسفة أن قوى الانسان العقلية ثابتة لا مرتقية ، وأن هذه القوى لا تزال كما كانت منذ لبس الانسان ثوب المدنية . فآثار المصريين واليونان والرومان تدل على أن مدارك أولئك القوم بلغت أعلى درجات الرقى وأن تقدم الانسان منذ ذلك العهد إلى الآن لم يكن رقياً فى قواه العقلية بل فى كيفية استعمال تلك القوى لاخضاع الطبيعة وتسخيرها لراحة الاجتماع

وفى الواقع أن جميع وجوه الرقى التى تمت للانسان انما كانت نتيجة تحسن نظام الاجتماع لا نتيجة تحسن القوى العقلية لان القوى العقلية فى حد ذاتها ثابتة لا تتطور ولا تقبل التحسن وانما الذى يتطور ويتحسن هو كيفية استخدام تلك القوى لاخضاع الطبيعة

ان الفرد عند ما يموت يترك وراءه تركتين : الاولى قواه العقلية وصفاته الادبية والمادية ، وهذه يرثها بنوه . والثانية اختراعاته وفتوحاته الادبية والعقلية ، وهذه يرثها المجتمع البشرى . والذى يرثه الولد من والده هو القدرة على التعلم والادراك وتقليد الغير . وهــذا وجه من وجوه الخلاف بينه وبين الحيوان . ومن خواص طباع الانسان المرونة . وهــذه المرونة تمكنه من تطبيق حياته ومعيشته على البيئة المحيطة به وعلى تقليد غيره

ان الطفل عندما يولد يكون كالطينة اللينة فى يد الاجتماع الذى يتحكم فى خلقه ويكيف مشاعره وعاداته كما يشاء . وبناء عليه نقول إن الفرد هو وليد الجماعة . وتأثير شعبه أو قبيلته ليس شيئا يذكر بجانب تأثير العوامل الاجتماعية المحيطة به . بل ان تأثير البيئة المادية فيه دون تأثير البيئة الاجتماعية . وقد قلنا ان الانسان يمتاز بغريزة خاصة وهى قدرته على التعلم والادراك بتقليد الغير ، وهو بهذا التقليد يشبه القرد بل هو أقدر على التقليد من القرد . وما أعماله سوى سلسلة من الاعمال والحركات التى يقلد بها غيره سواء كان منتبها لما يعمل أو غير منتبه . وهو لايقلد حركات الغير فقط بل أفكارهم وآراءهم ومشاعرهم أيضا . وهذه هى الطريقة التى بها يكتسب الطفل المعرفة ويستكمل علمه وتهذيبه . وفى الواقع أن الولد يشبه من هذا الوجه الزهر المعروف بدوار الشمس فانه يتجه نحو كل انسان ليقلده ويسترشد بأعماله . وبهذه الطريقة يستكمل كل فرد من أفراد المجتمع تحصيله

وتهذيبه وان كان يجهل هذه الحقيقة . ولا شك أن فى هذه الطريقة شبه تنويم مغناطيسى مصدره الايحاء . وهذا الايحاء غير المتعمد هو القوة الخفية التى يقوم عليها الاجتماع

خذ أى حشد أو جمهور مجتمع فى ساحة عامة تجد أن روحاً خفية تسرى فيهم بطريق الايحاء كما تسرى النار فى الهشيم . وكثيراً ما تدفع الجماهير فتضج وتصخب وتعمل فيها سورة الحدة فتأتى أموراً أو تصدر أحكاما تندم عليها متى هدأت ثائرتها وعادت الى حالة الصحو والرزانة

وإذا نظرت الى الجماعات التى تسيرها روح الديمقراطية المحضة والتى تتشابه فيها غايات أفرادها وجدت ان روح الجمهور فيها من أشد العوامل خطراً . وقد تقضى هذه الروح على حرية الفرد وتسمح بانتشار افكار وآراء ما كان لولاها ليسمح بانتشارها ، وهذا هو سبب ظهور «الدكتاتوريين» المستبدين فجأة . ومن دواعى الارتياح أن تلبية «الوحى الاجتماعى» — أو الايحاء الصادر من الجماعة — لا يؤدى دائما الى الفوضى واباحة أعمال الغوغاء ، بل كثيراً ما يؤدى الى الخضوع لقيود العرف والعادة وهو ما يعبر عنه البعض بروح المحافظة على القديم

على أن روح التقليد التى يمتاز بها الفرد هى فى الغالب روح قيمة ذات أثر طيب فى الاجتماع . وفى الواقع ان روح التقليد هذه هى أهم وأقوى وأبعد أثراً من روح الاستنباط والابتداع ، فانها تساعد على تخليد تقاليد الجماعة وآرائها ونزعاتها ووجوه حضارتها . وبعبارة مختصرة — انها تساعد على تخليد اختبارات الجماعة وأفكارها ونظرياتها . وعليه فعقل الفرد هو ملك للجماعة ، وكل ما يكتسبه الطفل بفضل عقله وتفكيره انما يكتسبه بالتقليد والمحاكاة حتى ان ملكة الكلام فيه انما هى نتيجة التقليد . ولا يخفى أن حياة الفرد قصيرة بالنسبة الى حياة الجماعة . إلا أن حكمة الجماعة بعيدة الغور وآثارها يبقى طويلا ، وحكمة الفرد هى وليد اختبارات الجماعة واتجاهاتها . وبعبارة أخرى أننا نتاج الجماعة أكثر من كوننا أفراداً . وكل ما نعمله هو صدى اختبارات الجماعة وميولها ونزعاتها

وغنى عن البيان أن الاطفال يقلدون كل ما يرونه أمام أعينهم سواء أكان ذلك حسناً أم قبيحاً . وهذه فوضى تعالج فى الجماعات المتمدنة بفرض القوانين والعقوبات وبالخضوع لنواهى الدين وأوامره . ومن الحقائق المعروفة أنه كلما ارتقت الجماعة كان نفوذ الفرد وسلطانه أقوى . وكلما اشتدت قوة التقليد فى الفرد اشتدت فيه أيضا قوة الابتداع . وفى الواقع أن قدرة الفرد على «هضم» ما يكتسبه بالتقليد وعلى تطبيق خلاصة ما «يهضمه» على أحوال الحياة انما هو دليل على النبوغ والعبقرية . وكلما اكتسب الانسان معرفة بواسطة التقليد اتسعت دائرة معلوماته وأصبح اقدر من غيره على الابتداع والاستنباط . ولا شك ان كبار النوابغ هم الذين يطبقون ما يكتسبونه بالتقليد على ما تبتدعه عقولهم ومخيلاتهم . وكلما ارتقت الجماعة وانتظم كيانها كانت قوة الفرد فيها أعظم . وعمل الفرد لا يقتصر على التقليد فقط بل يمتد الى الابتداع ايضا . وبناء على ذلك فان بين الفرد والجماعة أخذاً ورداً مستمرين او قل ان بينهما تفاعلا . وما الحضارة سوى مظهر ذلك التفاعل

مصارف العصور الوسطى

[خلاصة مقالة عن مجلة ايتود
اوريئتال بقلم المستشرق ماسينيون]

كان فى بغداد أيام المقتدر جماعة من أغنياء اليهود تربطهم بالدولة علاقات مالية . وفى مقدمتهم اثنان من أغنى الاغنياء كان أحدهما يكنى بابن فنحاس والآخر بابن عمران . وكان لهذين الغنيين مصرف مالى يقدم للدولة فى الاسبوع الاول من كل شهر مبلغاً من المال تنفقه الحكومة فى بعض الوجوه الضرورية وبخاصة فى دفع أجور الجنود وتوزيع الوظائف عليهم . وكان من عادة أهل ذلك الزمن أن يقترضوا الاموال من التجار بفوائد تبلغ الثلاثين فى المائة أو أكثر . وكان للمصرف المذكور مهام أخرى من جملتها قبول الغرامات التى كانت حكومة بغداد تفرضها على بعض الموظفين والتى كان فرضها من شأن « ديوان المصادرة » . ومن هذه الغرامات كان يسد عجز الميزانية . وكان نظام الدولة المالى فى ذلك الزمن من النوع المعروف بالمزدوج (بيميتالسم) وأساسه الدينار وهو عيار الذهب ، والدرهم وهو عيار الفضة . ونسبة هذا الى ذلك كنسبة واحد الى عشرة . وكانت بعض الولايات تتعامل بالفضة والبعض الآخر بالذهب والاموال تنتقل بين بغداد والقاهرة بواسطة تحاويل وسفاتج وكمبيالات مالية مع مراقبة تقلبات الاسعار

وتطورت النظم المالية فى ذلك الزمن حتى بلغت درجة عالية من الاتقان تشبه الاتقان الذى تقوم عليه المعاملات المالية فى هذا الزمن . ولما كان نقل الاموال من بلد إلى بلد لا يخلو من خطر بسبب كثرة اللصوص وقطاع الطرق كان نقلها يتم بواسطة الحوالات أو السفاتج أو الصكوك

وفى أواخر القرن التاسع بلغ المصرف الذى سبقت الاشارة اليه أوج فلاحه فى بغداد ، فانشأ له فرعاً رئيسياً فى القاهرة وفروعاً ثانوية فى اصفهان وغيرها من المدن الكبرى فى ذلك الزمن وكانت الجالية اليهودية فى بغداد تتمتع ببعض الاستقلال الداخلى فى ادارة شؤونها المالية والتجارية وأحوالها الشخصية . ولكن الحال تبدلت بعد أن استولى الفاطميون على القاهرة اذ اجتذبوا إلى ناحيتهم معظم أصحاب المصارف من اليهود ، وفى أيامهم ظهرت جماعات قطاع الطرق والمزيفون والمهربون ، وكان قطاع الطرق يهاجمون القوافل التى تنقل أموال الصيارف حتى ضج أغنياء اليهود وأصحاب المصارف . وكانت بغداد تتهم الفاطميين بأنهم هم الذين يحرضون قطاع الطرق على مهاجمة القوافل ونهب أموالها . واضطر أغنياء اليهود فى ذلك الزمن إلى الانتقال من بغداد إلى أسبانيا لمزاولة أعمالهم المالية براحة وطمأنينة . ومنهم حزقيا صاحب مصرف من أكبر المصارف اليهودية التى كانت الدولة العباسية تعتمد عليها ، وقد نقل هذا الرجل مصرفه من بغداد إلى قرطبة فى منتصف القرن الحادى عشر

وتبدلت الحال بعد بدء القرن الثانى عشر فأصبحت مصر وأسبانيا مركزاً للاعمال اليهودية المالية فى العالم الاسلامى بل فى العالم أجمع . وكانت الحروب الصليبية وحملات الصليبيين المتوالية على السواحل السورية الممتدة من غزة الى عسقلان قد قربت بين اليهود والمسلمين ووثقت عرى المصلحة المالية بينهم فكان ذلك مدعاة إلى اضطهاد المسيحيين لليهود ، لا فى البلاد التى كانت ميداناً للحروب الصليبية فقط بل فى جميع البلدان المسيحية. فاضطر الكثيرون من أغنياء اليهود إلى التنصر ليأمنوا شرور الاضطهاد وليستطيعوا مواصلة أعمالهم المالية بسلام . ولم يقتصر الامر على ذلك بل خاف اليهود فى مصر وبغداد أن ينقلب المسلمون أيضاً عليهم فأخذوا يتقربون اليهم بجميع ضروب المجاملات وأعلن بعض علماء التلمود أن عيد الاضحى الذى يحتفل به المسلمون هو من الاعياد الدينية المقدسة التى يجب على جميع اليهود حفظها ، وانه يجوز لليهود أن يؤدوا الفرائض الاسلامية وأن يعلنوا اسلامهم . وفى الواقع أن الكثيرين من يهود ذلك الزمن اعلنوا اسلامهم كما أعلن غيرهم دخولهم فى الدين المسيحى . وما زال فى سمرقند ومشهد وسلانيك وفاس بقايا أسر مسيحية واسلامية كانت فى الاصل يهودية . أما فى البلاد المسيحية فقد كان تنصر اليهود أصعب لان المسيحيين كانوا ينظرون الى اليهود الذين يتنصرون بعين الريبة، وهذا ما حمل أصحاب المصارف من اليهود فى ذلك الزمن على التفكير فى نقل مراكز أعمالهم من البلاد المسيحية الى البلاد الاسلامية . ولكن لما خرج العرب من الاندلس تغيرت معاملة المسيحيين لليهود فصاروا يعطفون عليهم ويسهلون لهم الاقامة ومزاولة العمل . فاصبحت طليطلة وليفورن ومانتو ولسبون وبايون وافنيون من أهم المراكز المالية اليهودية فى العالم وازدهرت تلك المراكز ازدهاراً عظيما . ومنها تشتت اليهود فى جميع الأنحاء فذهب بعضهم الى هولندا وغيرهم الى انجلترا وآخرون الى الولايات المتحدة

على أن اليهود لم يكونوا محتكرين للمصارف المالية فى البلاد الاسلامية يومئذ ، فقد كان لبعض أغنياء المسيحيين أيضاً بعض المصارف . الا أن الحكومات الاسلامية كانت تنظر اليهم فى زمن الحرب الصليبية بعين الريبة وتخشى أن تكون لهم صلات مع الدول المسيحية . ولذلك كانت تفضل معاملة أغنياء اليهود والمصارف اليهودية لعلمها أن اليهود ليس لهم دولة تسندهم . وهذا ما ساعد المصارف اليهودية على الانتشار والازدهار

والذى يدرس التاريخ يتضح له أن اليهود الذين انقطع كل رجاء لهم بانشاء سلطة زمنية فى العصور المسيحية الاولى حتى أوائل العصور الحديثة راوا أن يستعيضوا عن السلطة الزمنية باحتكار السلطة المالية فى العالم لكى يظل لهم شىء من النفوذ يستعينون به على حفظ كيانهم والدفاع عن أمتهم وعصبيتهم . وقد أدرك أذكياؤهم منذ أقدم الازمنة ما للمال من قوة وسلطان ، والى هذه القوة وهذا السلطان وجهوا جميع قواهم وجهودهم وساعدتهم فى ذلك بعض الدول وفى مقدمتها الدول الاسلامية فى العصور المظلمة والمتوسطة

هؤلاء الموتى !

[خلاصة فصل من كتاب بعنوان : « جندي من رجال الحرس ». بقلم ستيفن جراهام النقاد الحربي]

قال الكاتب وهو من الجنود الذين خاضوا غمار الحرب الماضية :

شهدنا معركة فى حديقة تزينها الازهار الجميلة ، وقد كانت مسرحاً لمعركة أخرى سابقة . لان الجثث كانت ما تزال مبعثرة فيها ، وأكثرها قد أودى بها العفن ، فامتزج لونها الاخضر بألوان الازهار الجميلة فكان المزيج غريباً . ومر جنديان برتبة « شاويش » بجثة أحد الجنود الاعداء ، وكانت الخوذة الحديدية ماتزال على الرأس وقد مالت على الجبين فغطت العينين ، فمد أحدالشاويشين يده ليرفع الخوذة . واذا جلدة الرأس قد انكشطت مع الخوذة وجرت معها الشفة العليا فبانت الاسنان وظهر الميت كأنه يكشر عن أنيابه تكشيرة الغضب ، فأعاد الشاويش الخوذة الى مكانها قائلا: « أغمض عينيك وأقلع عن هذه التكشيرة المشؤومة » ثم رفس الجثة مقهقهاً ! . . .

ان الجنود فى ساحات القتال يصبحون عديمي الاكترات للموتى قليلي الحرمة لهم . ولكثرة ما يرونه من الجثث ينشأ فى نفوسهم شبه احتقار لها . وكثيراً ما يرفس أحدهم الجثة كما يرفس الحجرة أو يرى المركبات المختصة بنقلها تمر عليها وتقطعها ولا يشعر بوخزة ألم أوتوبيخ . فكأن الحرب تقلب الانسان حيواناً فى طرفة عين ، فلا تبقى فى نفسه ذرة حرمة للموتى

ومررنا بساحة أخرى نشبت فيها معركة هائلة . وكانت بقايا الجثث منثورة على هذه الساحة ونظرات الهلع لا تزال مرسومة على وجوه بعض تلك الجثث ، وقد ملأت رائحة العفن الفضاء . ومن دلائل انقلاب الانسان وحشاً فى مثل تلك الحال ، وعودته الى غريزته البهيمية ، أن بعضاً كان يسير بين جثث الاعداء وهو يشعر بشيء من الارتياح ، وقد تناثرت بينها بقايا الاسلحة من بنادق وغدارات وطبنجات ودبابات ، ويكاد المرء يقرأ على جبين كل جثة قصتها المحزنة

ومررنا بخنادق كثيرة قد امتلأ أكثرها بجثث لا تزال غيرمطمورة . وكان فى وسعنا أن نستدل من حالتها على أن الاحياء كانوا يطوفون بها من وقت الى آخر يبحثون فيجيوبها عما قد يعثرون عليه من نقود وأشياء أخرى تستحق « السرقة » . ولا يخفى أن من الناس من يتفاءلون بالاحتفاظ بأشياء تخص الموتى . ويظهر أن تلك الجثث كانت تبعثر من وقت الى آخر بقصد نزع ما يمكن نزعه عنها والاحتفاظ به . أما الجثث التى كانت قريبة من خط النار فقد كانت أسلم من غيرها اذ كان منظرها يدل على أن سطوالساطين عليها كان أقل من سطوهم على غيرها . واذا استثنينا بعضها ممن كانت جيوبها مقلوبة — دليلا على عبث العابثين بها — فان معظمها كانت فى حالة أسلم من حالة الجثث البعيدة عن خط النار ، لولا أن جميعها كانت متعفنة

ووقع أحد الجنود على جثة ألمانى كان مرآها يدل على أن العابثين لم يعبثوا بها ، ومد يده الى جيوبها يبحث لعله يجد غدارة أو « مسدساً » — والاسلحة النارية أول ما يبحث عنه العابثون بالجثث — واذ لم يجد شيئاً رفس الجثة حانقاً كما يفعل من يخيب رجاؤه ، وهو يقول : الى الجحيم !..

واذا لم يجد من يسطو على الجثة مسدساً أو سلاحاً بحث عن المال أو عن خاتم قد يكون فى أصبع الجثة أو عن أدوات أخرى سمينة لا حاجة بالموتى اليها . على أن ادعى ما وجدناه بين تلك الجثث الى الحزن بقايا رسائل من أهالى أولئك الموتى ، ويظهر أن هؤلاء كانوا يحرصون عليها حرص البخيل على درهمه . وكان بين بعضها صور فوتوغرافية تمثل زوجة القتيل أو طفله أو أولاده ، وقد بللتها الدموع وكتب تحت بعضها سطور تفتت الاكباد وتعرب عن آمال وأمانى ومخاوف كانت تتردد فى قلب تلك الام أو الزوجة أو العروس أو الاخت . واليك أمثلة من تلك الرسائل :

« احلفك بحياة طفلنا الوحيد أن تحذر الاندفاع الى خط النار ، وان تحتاط كل الاحتياط لتعود الينا سالماً . . . »

« لا تنس ان تبذل كل مافى وسعك لنيل إجازة بضعة أيام لنقضى عيد الميلاد معاً ولترى طفلنا الذى ينمو من يوم الى يوم وأبوه بعيد عنه » . . .

« تناولت رسالتك التى تعرب بها عن شوقك إلى رؤيتنا وإلى قضاء العيد معنا . . . يقولون ان الحرب على وشك أن تضع أوزارها ، فاذا صح هذا الحلم — وياله من حلم جميل ! — فسنراك عن قريب ونفرح وننسى آلام هذا الفراق وأحزان هذه الاوقات العصيبة ! . . . الى اللقاء ! »

هذا نزر يسير مقتبس مما جاء فى بعض تلك الرسائل التى لم تتحقق آمال كاتبيها لان ذلك الوالد أو العريس أو الابن قتل ولم يجتمع بذوى قرباه ولا قرت عينه برؤية أهله

ومما يجدر بالذكر ما كتبه جورج ما كول المراسل الحربى لبعض الصحف الاميركية فى ابان الحرب الماضية فقد قال : « ولم يكن يؤذن لنا نحن المراسلين الحربيين أن نبعث الى صحفنا برسائل تصور الحرب والقتلى صورة محزنة . وفى الواقع ان الشعب الاميركى لم يكن يعلم الشىء الكثير عن فظائع الحرب ، ولعل سواد الجمهور كان يعتقد أن الذهاب الى ساحة القتال كان أشبه بنزهة يذهب فيها الجنود الى أوربا على أمل أن يعودوا عند انتهاء تلك النزهة . ولم يكن يؤذن لأى مراسل أو جندى أن يصف برسائله فظائع الحرب وأهوالها . وعليه لم تسنح الفرصة للآباء أو الامهات فى أميركا لرؤية جثث القتلى أو مناظر المعارك أو ما الى ذلك . والغرض من هذا الاحتياط واضح وهو عدم استفزاز الشعب الاميركى لاستفظاع الحرب وأهوالها . ولذلك لم تكن الحكومة الاميركية تسمح للصحف بغير نشر أسماء القتلى

لقد قضى الانسان مئات الالوف من السنين فى انتقاله من طور الهمجية الى طور الانسانية . ولكنه ينقلب بالعكس من طور الانسانية الى طور الهمجية فى طرفة عين

نظريات طبية غريبة

[خلاصة مقالة عن جريدة الطان.
بقلم الدكتور هنري بوكيه]

فى فرنسا – كما فى غيرها من بلدان العالم المتمدنة – قوانين خاصة بالشؤون الصحية تقضى بتطهير البيوت التى تتفشى فيها الامراض المعدية . من ذلك قانون سنة ١٩٠٢ الذى أصدرته الحكومة الفرنسية وما يزال معمولا به حتى الآن ، وهو يقضى بتطهير كل بيت يكون فيه مرض معد بعد وفاة المريض أو شفائه . وهنالك قائمة بالامراض التى يجب أن يطبق عليها هذا القانون . فاذا تفشى مرض الجدرى فى بيت من البيوت مثلا شاهدت عند انتهاء المرض جيشاً من عمـال مصلحة الصحة قد هرعوا لتطهير البيت وكل ما فيـه من متاع وأثاث . وكثيراً ما يصاب الاثاث بعطب بسبب ذلك ، ولكن للقانون حرمة يجب مراعاتها

وقد كان الاطباء قديماً ينصحون باستعمال محلول السليمانى للتطهير . ولأسباب يطول بنا شرحها حل التبخير بالفورمول فيما بعد محل ذلك المحلول الذى هو أرخص وأسهل تداولا . وبعضهم يستعمل اليوم حامض السيانهدريك أو أحد مركباته على زعم أنه خير قاتل للجراثيم

على أن النظريات الطبية – كغيرها من النظريات العلمية – عرضة للنقض والاثبات . ونظرية تطهير الغرف وما فيها بعد وفاة العليل أو بعد شفائه قد أصبحت عتيقة لا يؤمن بها الطب الحديث ولا يوافق عليها ثقات الاطباء . ولذلك تراهم يطلبون تنقيح قوانين التطهير التى أشرنا اليها فى صدر هذه المقالة ، ومن جملتها قانون سنة ١٩٠٢ الفرنسى . والمكتب الدولى الصحى يعلم اليوم سخافة تلك القوانين ويبذل جهوداً كبيرة لتنقيحها

إن القانون الذى يحتم تطهير غرفة العليل بعد شفائه أو موته يفترض أن جراثيم المرض تظل حية بعد الشفاء أو الموت . على أن أدق المباحث العلمية الحديثـة تثبت أن جراثيم معظم الامراض المعدية كجدرى الماء والحصبة والتهاب الغدة النكفية والشهقة والانفلونزا والالتهاب السحائى وغيرها لا تعيش إلا فى بيئة معينة هى جسم المريض أو لعابه أو أنفاسه أو سعاله أو ما إلى ذلك . ولا يمكنها أن تعيش فى سقف الغرفة أو جدرانها أو أرضها أو هوائها . وقد أثبت البحث العلمى أيضاً أن عدوى هذه الامراض لا تنتقل إلا فى أثناء المرض . فاذا شفى المريض أو مات لم يبق لتلك الجراثيم أى أثر فى المنزل ، فلا معنى لتطهير المنزل إذ ذاك

خذ الحصبة مثلا فقد أثبت العلم أنها غير معـدية إلا فى الطور الذى يسبق ظهور الطفح وأن ميكروب الحصبة لا يمكن أن ينتقل بواسطة ، كالثياب وغيرها . كذلك أثبت العلم أن نوبات السعال الديكي أو الشهقة إذا طال المرض تصبح غير معدية

فنى جميع الامراض المتقدم ذكرها ترى أن التطهير عند نهاية المرض غير مجد على الاطلاق وأن التبخير بالمواد المطهرة بقصد قتل الميكروبات يشبه اطلاق المدافع على جثث الأموات . ولما كانت ميكروبات بعض الامراض تنتقل من شخص الى شخص بواسطة بعض الهوام والحشرات — كمرض التيفوس والحمى الصفراء وغيرها — فان طرق الوقاية من هذه الميكروبات إنما تكون بابادة الهوام والحشرات الناقلة لا بابادة الميكروبات نفسها. والتطهير لا يكون بعد انتهاء المرض ، بل فى أثناء المرض نفسه . وعلى كل فان التطهير فى أثناء المرض وبعد انتهاء المرض أيضاً يكون اضمن عاقبة . أما الا كتفاء بالتطهير بعد المرض فقط فلا فائدة منه على الاطلاق

وكذلك الحمى التيفوئيديه فقد أثبت البحث العلمى أن المصاب بها يعدى المحيطين به عن طريق الافرازات التى تلوث الثياب والفراش والايدى . وعليه يجب تطهير هذه الاشياء فى اثناء المرض لا بعده

على ان هنالك امراضاً توجب التطهير حتى بعد انتهاء المرض . ومن هذه الامراض الجدرى فان قشور طفحه تظل شديدة العدوى . ولذلك يجب القيام بعملية التطهير حتى بعد انتهاء المرض . أما الحمى القرمزية فان العلم لم يثبت حتى الآن هل تتم العدوى بها فى اثناء المرض أو بعده . ولذلك قد يكون من الحكمة القيام بعملية التطهير فى اثناء المرض وبعد انتهائه ، وذلك على سبيل الاحتياط

أما السل فان عدواه لا تنتقل إلى الكبار ولكنها تصيب الصغار . وميكروبه قد يعيش مستقلا بعيداً عن جسم المصاب . وعليه فلابد من تطهير غرفة العليل بعد تركه إياها

وخلاصة القول أنه يصعب وضع قاعدة عامة لتعيين الزمن الذى يجب فيه القيام بعملية التطهير . فان هنالك جراثيم تعيش منفصلة عن جسم العليل أى أنها تظل حية بعد انتهاء المرض . وهنالك جراثيم أخرى لابد لها من ناقل لاحداث العدوى كالهوام والحشرات والبعوض . وهنالك جراثيم لا تعيش إلا على جسم العليل أى أنها لا تعيش فى الهواء أو فى الجدران أو على الارض . والحكيم الماهر هو الذى يفرق بين هذه الجراثيم ويعرف خواصها ومتى تجب مكافحتها

أما المواد التى تستعمل للتطهير فكثيرة متنوعة وبعضها شديد الخطر كحامض السيانهدريك وبعضها لا فائدة منه الا اذا استعمل مكثفاً كالفورمول . وهنالك اليوم طائفة من الاطباء المشهود لهم بالعلم وسعة الاطلاع يقولون إن الغسل بالماء والصابون من أفضل طرق التطهير . وفى الواقع أن الصابون من أحسن المواد المطهرة واذا أضيف اليه قليل من « ماء جافيل » كان منه مطهر فعال قلما يفضله أى مطهر آخر (الا فى مرضى الجدرى والكوليرا) وهو شائع جداً فى أنحاء كثيرة من اوربا واميركا . وقد اثبت الاختبار فى جميع تلك الأنحاء ان فائدته عظيمة جداً والتطهير به يمنع العدوى . ولا حاجة الى القول ان اشعة الشمس الحارة هى احسن المواد المطهرة وارخصها اذا امكن التعرض لها والاستعانة بها

العلم يرغم المجرم على الاعتراف

[خلاصة مقالة عن مجلة الفورم .
بقلم هنري روبنسون]

لم تتغير طرق « التحقيق » مع المجرمين كثيراً منذ مئات السنين ، وما تزال بعض الدول المتمدنة تلجأ الى شتى وسائل التعذيب لحمل المجرم على الاعتراف . إلا أن العلم قد وفق اخيراً الى عدة وسائل سوف تحدث فى معضلة الاجرام انقلابا خطيراً لانها تنتزع من المجرم اعترافا صريحا بما ارتكبه

وفى مقدمة تلك الوسائل الجهاز المعروف بالبوليجراف (Polygraph) أو « كاشف الكذب » وهو شديد الشبه بمقياس ضغط الدم الذى يستعمله الاطباء وانما يختلف عنه بأن له قلما يرسم بالحبر خطوطا متموجة على «اسطوانة» من الورق وهذه الخطوط هى نتيجة ارتفاع ضغط الدم وانخفاضه . وهذا التغيير ينشأ عن الانفعالات التى تطرأ على الانسان . وتفصيل ذلك أنه عند احداق الخطر المفاجىء يعبىء «الجسم» قواه لمواجهة ذلك الخطر . فتندفع ملايين الكريات الحمراء من الطحال الى المجارى الدموية كما تندفع الجنود الى ساحات القتال . وتنضم اليها فى تلك المجارى افرازات الغدد الادرينالية وغيرها . وبعبارة أخرى أنه عند ما يحدق الخطر بالانسان من جراء سؤال مفاجىء له صلة بجناية من الجنايات يستولى على ذلك الانسان شىء من الهلع يحدث فيه انفعالا فجائيا . فيستعد جهازه للدفاع عنه بمحاولة الانكار واخفاء الحقيقة . ومهما يظهر من الحذق والجلد فى اخفاء جريمته فانه لايستطيع أن يمنع مايقع فى باطنه لان ضغط الدم يرتفع ارتفاعاً واضحاً يسجله جهاز «البوليجراف» تسجيلا لاسبيل الى انكاره . وقد جرب هذا الجهاز فى نحو الف وخمسمائة حادثة صدق الجهاز فى جميعها صدقاً تاما ولم يكذب فى واحدة

ومع أن المحاكم لم تقرر حتى الآن استعمال هذا الجهاز لاكتشاف الجرائم ، فقد قررت شركات ومصارف كثيرة فى اميركا استعماله لمعرفة الذين يسرقون ويخونون الامانة من الموظفين والمستخدمين . وفى تقرير لأحد مصارف مدينة شيكاجو أنه اختلس منه مرة خمسة آلاف دولار . فقامت ادارة المصرف « بالتحقيق » مع ستة وخمسين من المستخدمين وكانت النتيجة أنه ظهر المختلس واعترف بجريمته . ووقعت عدة حوادث اختلاس أخرى أمكن الوصول فى جميعها الى معرفة المختلسين معرفة لا تبقى مجالا للشك . وقد قرر بنك شيكاجو المذكور أن يفحص مستخدميه بجهاز « البوليجراف » مرة فى السنة على سبيل الاحتياط

☆☆☆

وهنالك جهاز آخر لكشف الكذب ومعرفة المجرم وهو جهاز « البسيكو جلفانو متر » (Psycho galvanometer) ومخترعه قسيس يدعى « الاب صمرز » . ولهذا الجهاز تيار كهربائى خفيف يتولد عن « بطارية » ناشفة . فاذا وصل الجهاز برجل متهم وفوجىء هذا المتهم بسؤال محرج فان الغدد التى تفرز العرق تنشط للافراز وتبتل بشرة اليد ابتلالا خفيفا يقلل قوة مقاومة المتهم للتيار الكهربائى الذى يمر بجسمه . وهذا النقص فى قوة المقاومة يسجله الجهاز بطريقة خاصة يستحيل معها الخطأ وقد جرب الجهاز فى حوادث كثيرة أسفرت جميعها عن نتائج قاطعة

☆☆☆

وهنالك أيضا وسيلة أخرى لانتزاع الاعتراف من المجرم وهى طريقة بسيكولوجية نضرب صفحا عن وصفها إذ قد لاتسلم من بعض الخطأ . وهنالك أيضا وسيلة رابعة متعلقة بالالوان ومبنية على تأثير بعض الالوان فى نفسية المجرم وما يحدثه فيه تغيرها تغيراً تدريجيا . وقد ظهر حديثا جهاز جديد لهذا الغرض يعرف بالبنوموجراف (pneumagraph) أو « مسجل الرئة » وقد أسفرت تجربته مع البوليجراف عن نجاح تام . وهذا الجهاز يسجل سرعة تنفس المتهم الذى يفاجأ بالاسئلة . ولا يخفى أن الانفعال يؤثر فى سرعة التنفس وهذه السرعة تشى بالمتهم . ولما كان الجهاز يستعمل عادة مع البوليجراف فان الخطأ فى اكتشاف المجرم بعيد الاحتمال جداً

☆☆☆

وهنالك أيضا جهاز آخر لمعرفة المجرم يسمى « أوسيلوجراف » ويقوم بتسجيل افرازات الغدد . وهذه الافرازات تختلف باختلاف درجات انفعال الانسان . وقد استعمله « المحلفون » فى بعض محاكم الولايات المتحدة

تكلمنا فيما تقدم على الاجهزة الميكانيكية والكهربائية لانتزاع الاعتراف من المجرم . على أن العلم لم يكتف بتلك الاجهزة بل خطا فى هذا السبيل خطوة أخرى زيادة فى الاحتياط ومنعا للخطأ . وفى الواقع أن بعض المجرمين المغالين فى الاجرام والذين ماتت ضمائرهم قد لا يصابون باى انفعال عندما يفاجأون ببعض الاسئلة. وعليه فقد وفق العلم الى اكتشاف دواء يعرف «بالسكوبولامين» (Scopolamin) أو مصل الصدق اذا حقن به المتهم لم يسعه إلا الاعتراف بالحقيقة . والحقن بهذا « المصل » لايؤلم ولا يؤذى . وكل مايحدثه فى المأبور (المتهم الملقح) هو أنه يؤثر فى ذلك الجزء من الدماغ الذى هو مركز الكذب والذى يختلق الاقوال الباطلة للدفاع عن النفس ، مع الابقاء على الذاكرة وعلى قوة النطق والحواس الخمس

وقد قام الكولونيل جودارد — وهو من أشهر الاخصائيين بعلم البحث عن الجرائم — بتجربة السكوبولامين فى عدة حوادث فاسفرت التجربة عن النجاح التام ، ولم يستطع أحد من الاشخاص

الذين جربه فيهم أن يكذبوا ،لان « المصل » المذكور كان يضعف فيهم « مركز الكذب » فى الدماغ فلا يستطيعون إلا ذكر الحقيقة كما هي

ومما يجدر بالذكر أن المستر ديفيز أحد كبار القضاة فى اميركا ورئيس محكمة جنايات برمنجهام بولاية الاماجا استعمل مصل « السكوبولامين » فى اثنى عشر متهما . فاعترف جميعهم بأنهم ارتكبوا جرائم القتل . ومع ذلك لم تكتف المحكمة باعترافاتهم بل واصلت البحث والاستقصاء حتى ثبتت التهم على جميعهم ثبوتا لايقبل الشك

وهنا يعن للقارىء هذا السؤال وهو : اذا كان « مصل السكوبولامين » يؤدى الى مثل هذه النتائج القاطعة فلماذا لاتعمم المحاكم استعماله ولماذا لم يحقن به رجل كرنشارد هوبتمان خاطف طفل لندبرج مثلا ؟

الجواب عن ذلك أن القضاء النزيه يحذر بناء أحكامه الرهيبة على اعترافات تنتزع من المتهم وهو فى حالة نفسية غير طبيعية وناتجة عن الحقن بمادة مخدرة أو شبيهة بالمواد المخدرة . وهذا من قبيل الاحتياط النزيه الذى لايراد منه إلا الوصول الى الحقيقة . وفضلا عن ذلك فان البدع (واستعمال السكوبولامين وأشباهه بدعة) تقتضى وقتا طويلا قبل شيوعها

الدفاع عن المرأة

[خلاصة مقالة عن مجلة ليبرتي.
للسيدة كاثلين نوريس]

الاعتقاد الشائع بين الناس أنه لم تنبغ فى التاريخ امرأة تستحق الذكر ، ولا اشتهرت بالعبقرية واحدة من بنات حواء ــ لا فى الرسم ولا فى التصوير ولا فى الشعر ولا فى فن من الفنون الجميلة أو فى علم من العلوم النافعة . ولايمكن تعليل عدم نبوغها فى شئ من هذه الاشياء بقولنا إنها عاشت أجيالا كثيرة خاضعة لسلطان الرجل واستبداده . ولكن يجب ألا ننسى ان المرأة عانت منذ أقدم الحقب الى الآن كثيراً من الظلم والاضطهاد فعوقبت بلا حق وهزئ بها وهضمت حقوقها وعوملت أشنع معاملة . وما تزال بلدان أوربا الجنوبية ترهقها بجميع صنوف الظلم والاضطهاد . ففى بعض تلك الانحاء لايحق للمرأة أن تتصرف بأموالها وإن كان زوجها شحاذاً . وليس لها على ولدها سلطان ولا تستطيع أن ترفع أى دعوى الى المحاكم . بل أن فى أوربا اليوم شعوباً يضرب رجالها نساءهم ويعاملونهن أسوأ معاملة . وكثيراً ما ينتقل الرجل وزوجته من بلد الى آخر فيركب حماره وتسير هي وراءه حاملة على رأسها أو فوق كتفيها حملا باهظا ، مع أنها قد تكون حاملا وعلى وشك

الوضع . وهنالك بلاد إذا زلت فيها قدم الفتاة كان جزاؤها الموت . وفى أنحاء كثيرة من أميركا الجنوبية لايجوز للزوجة الشابة أن تتكلم فى مكان عمومى

هذا نزر يسير مما تعانيه المرأة فى بلاد الغرب – دع عنك ما تعانيه فى أنحاء كثيرة من بلاد الشرق . وفى الواقع ان أكثر من نصف نساء العالم يعشن حتى الآن فى أحوال لا تختلف كثيراً عن الاحوال التى كانت المرأة تعيش فيها فى العصور المتوسطة بل المظلمة

ومن الغريب أننا إذا القينا نظرة على تاريخ شهيرات النساء رأينا أنه لم تشتهر منهن واحدة الا كانت سيرتها وآدابها مما تندى له الوجوه . فهنالك كليوبطره ومارى ستيوارت واليصابات وكاترين وجورج اليوث وجورج صاند وكريستينا ملكة السويد وحنة ملكة انجلترا ومدام سيفينيه ومدام دى منتنون ومدام دى ستايل وازابيلا وجوزيفين ومارى تريزا وغير هؤلاء ممن اشتهرن وكانت سيرهن وأحاديثهن موضع تغامز أهل جيلهن . أما جان دارك التى رفعها البعض الى مرتبة القديسات فقد قيض لها الله أناساً يدعون أنها كانت رجلا لا امرأة . كأنه قدر على المرأة ألا يكون بينها وبين العظمة أية صلة على الاطلاق

وقد اعتاد الناس منذ أقدم الازمنة وصف المرأة بالجنس الضعيف مع ان المرأة لم تكن قط ولن تكون أبداً من ذلك الجنس ، ولعل الدليل على ضعفها فى زعم القوم قولهم إنها لم تخض قط غمرات الحروب ولا كان لها أثر فى الثورات والاضطهادات التى يروى أنباءها التاريخ بل كانت تقف بعيدة عن جميع هذه الحوادث ترقبها عن كثب وتحاول ما أمكنها اجتنابها

على أن المفكر المنصف يدرك إذا هو أعمل فكرته أن وقوف المرأة بعيدة عن تلك الحوادث انما كان لسبب منطقى وهو اعتقادها ان تلك الحروب والفتن والاضطرابات كانت جهلا مطلقاً ودليلا قاطعاً على جنون الانسان وغباوته . وهى لم تكن تكتفى باجتناب تلك الحوادث فقط ، بل كانت تظهر مقتها لها وامتعاضها منها وأسفها على العمران بسببها . وقد أثبت الزمن صحة حكمتها

على أن هنالك ميادين اشتهرت فيها المرأة وفاقت فيها الرجل . ففى التمثيل والرقص والغناء أحرزت قصب السبق . بل ان هناك نساء – وإن يكن عددهن قليلا – بلغن قمة الشهرة فى مجال الحكم ، مثل كاترين ملكة روسيا وحنة واليصابات وفكتوريا ملكات الانجليز وغير هؤلاء ممن خلد التاريخ اسماءهن . وهنالك أيضاً ميادين البر والرحمة والاحسان من مستشفيات وملاجئ خيرية ومدارس وغيرها . وقد اشتهرت المرأة فى جميعها وبلغت فيها أعلى المراتب وكانت إدارتها لتلك الملاجئ والمعاهد خير شاهد على ما تستطيع انجازه فى ميادين الاعمال النافعة

ومع ذلك ما تزال المرأة بعيدة عن مرتبة النبوغ والعبقرية لانها لم تستعد حتى الآن الاستعداد الكافى . وما على الرجل الا أن يفسح لها فى الزمن فيرى كيف تلحق به وتتقدمه . ولا شك أنه اذا أمهلها مائة سنة أخرى رأى أن زعامة الاجتماع قد افلتت من يده وصارت للمرأة

الارتزاق من القلم

[خلاصة مقالة عن مجلة
ريدرز دجيست، بقلم مورس]

لصناعة القلم جاذبية تغرر بالكثيرين وتدفعهم الى طلب الشهرة فى ميادين الكتابة والانشاء. وفى الواقع انه مامن مهنة فى العالم يتوقف فيها النجاح على الفطنة والذكاء وقوة الاستنباط كهذه المهنة. الا أن الشهرة فيها تتوقف ــ ويا للاسف ــ على الكثير من الحظ. ولعل بعض السبب فى ذلك يرجع الى ازدحام سوق الادب بالكتاب والادباء

ان بعض المجلات الاسبوعية الكبرى فى أميركا مثلا تتلقى ما متوسطه ثلثمائة رسالة كل يوم معظمها ــ أو نحو تسعين فى المائة منها ــ روايات خيالية ليست تلك المجلات هي التي طلبت الى الكتاب وضعها. وهنالك مجلات تتلقى رسائل وروايات أكثر مما ذكرنا. ومجلات تتلقى أقل. واذا تذكرنا انه ما من مجلة اسبوعية فى أوربا أو أميركا (مهما كان انتشارها عظيما) تنشر اكثر من خمس روايات مختصرة فى كل أسبوع أو نحو ٢٥ رواية فى السنة، ومثل هذا العدد من المقالات التى يبعث بها اليها الكتاب والمنشئون، علمنا انها لا تنشر فى العام كله سوى جزء مما تتلقاه فى يوم واحد أو يومين. وما يصدق على المجلات الاسبوعية يصدق أيضاً على المجلات الشهرية

واذا نظرنا الى مؤلفى الكتب نجد الوقائع متشابهة. فبعض شركات الطبع والنشر فى أميركا تتلقى نحو الفى كتاب مخطوط فى العام من مؤلفين يعرضون على تلك الشركات نشر مؤلفاتهم. وقلما تنشر تلك الشركات أكثر من خمسة فى المائة مما يعرض عليها. والجانب الاكبر من هذه الخمسة فى المائة هو مما تكون الشركة قد اتفقت مع المؤلف من قبل على كتابته. ومن الطبيعى أن المؤلفين الذين تتفق معهم هم من المشهورين فى عالم الادب. فان لم يكونوا من المشهورين فقلما تنشر الشركة اكثر من واحد فى المائة من المؤلفات التى يعرضونها عليها

وما يصدق على الروايات والكتب الاعتيادية يصدق على جميع المؤلفات الخاصة بالراديو والسينما ومختلف الصناعات. فان مايظهر منها وما تتداوله الايدى أقل كثيراً مما يؤلفه المؤلفون. ومع ذلك يواصل هؤلاء الكتابة ويصرون على عرض ما يؤلفونه على الطابعين والناشرين، وكل منهم يزعم أنه أبلغ من كتب. وشركات الطبع والنشر ترى غير ذلك، ورؤساء تحرير الجرائد والمجلات يعلمون أكثر من غيرهم أن صناعة القلم أشق الصناعات وأبعثها على خيبة الرجاء

وافرض أن أحد هؤلاء الكتاب أفلح فى اقناع شركة الطبع والنشر بطبع كتابه. فاليك خلاصة شروط التعاقد:

يعطى المؤلف عشرة فى المائة من ثمن بيع الخمسة الآلاف الاولى من كتابه

ثم يعطى ١٢½ فى المائة عن كل الفى نسخة أخرى تباع
ولا يكون للمؤلف حق اعادة طبع كتابه

هذه أهم الشروط التى يتم الاتفاق عليها بين الشركة والمؤلف . ومما يكاد يكون مؤكداً انه قلما تباع خمسة آلاف نسخة من مؤلفه — الا إذا كان من كبار الكتاب ، فان شروط الاتفاق بينهم وبين شركات النشر تختلف عما ذكرناه . وعليه فاذا فرضنا أن الشركة باعت من كتاب المؤلف خمسة آلاف نسخة — وهو أمر نادر — وأن ثمن النسخة ريال فمجموع ثمن النسخ خمسة آلاف ريال أو الف جنيه يأخذ منها المؤلف ½ ١٢ فى المائة أو مائة وخمسة وعشرين جنيهاً ، وهو كل ما يرجو المؤلف أن يكسبه من مؤلفه الذى قضى عاماً أو اكثر فى تأليفه

أما كبار الكتاب الذين أوصلتهم كتبهم وتآليفهم إلى ذروة الشهرة فنادرون جداً . وهم يجنون من صناعة القلم أرباحاً كبيرة قد تبلغ فى بعض الاحيان عشرين أو ثلاثين الف جنيه ، ولكن مثل هذا الحظ قد يصيب واحداً من عشرين الف كاتب فى العالم

وقد كانت المجلات الكبرى قبل الضائقة المالية الاخيرة تدفع لكبار الكتاب والمؤلفين ماموسطه قرشان عن كل كلمة . أما الآن فقد نزل القرشان الى النصف أو الربع أو الى مادون ذلك

ثم إن شركات النشر والطبع تفضل اليوم معاملة الوسطاء (أى الذين يتولون مطالعة المؤلفات المعروضة للطبع) على معاملة المؤلفين رأساً . ذلك لان هؤلاء الوسطاء خبيرون بذوق الجمهور وبالموضوعات التى يميل إلى مطالعتها . وهم يؤلفون شركات خاصة تعنى بنقد الكتب والمؤلفات المراد نشرها . ومن موظفى هذه الشركات نقاد مشهورون بحسن الذوق لاعمل لهم سوى مراجعة ما يعرض عليهم من المؤلفات . وهم يغربلون هذه المؤلفات وقلما يستحسنون اكثر من ربعها . وما يقع خيارهم عليه منها يعرضونه على شركات الطبع والنشر ويفاوضونها فى أمر نشره . وهذه الشركات تفضل معاملتهم على معاملة المؤلفين مباشرة . ومع ذلك فانها قلما تقبل من أولئك الوسطاء الا نزراً يسيراً مما يغربلونه ويعرضونه عليها . وفى الواقع أنها قلما تقبل منهم اكثر من اثنين فى المائة مما يعرضونه من مؤلفات الكتاب غير المعروفين . أما مؤلفات الكتاب المعروفين فقد تقبل منها سبعين فى المائة أو اكثر . وعلى كل فان الوسطاء يربحون عادة اكثر من المؤلفين ، وهذا من سوء حظ الكاتب الاديب أو قد يكون من حسن حظ الأدب اذا كان المعروض فى السوق تافهاً غثاً

ولعل الروايات المسرحية أعود بالربح من الروايات الاعتيادية . ومع ذلك فان شركات التمثيل فى أوربا واميركا تفضل شراء الروايات التمثيلية التى يضعها الممثلون أنفسهم على روايات غيرهم لان الممثلين أدرى بذوق الجمهور وبما يميل اليه من ضروب التمثيل . وكثيراً مايكسب مؤلف الرواية التمثيلية خمسة آلاف أو ستة آلاف جنيه اذ ينال عادة جزءاً من الربح الناتج عن كل مرة تمثل فيها الرواية

تقدم العلم والعالم

شعب الماورى

الماورى هم سكان نيوزيلندا الاصليون وهم مشهورون بجمال اجسامهم وتناسب أعضائهم. وقد كان هذا الشعب حتى عهد قريب مهددا بخطر الانقراض بمقتضى ناموس بقاء الاصلح. إلا أن درس تاريخ هذا الشعب فى خلال العقدين الاخيرين من السنين يدل على ان الجزر قد بدأ ينقلب مدا فقد اخذ هذا الشعب ينمو ويزيد من جديد. وهى أول مرة يقع ذلك منذ استيطان الرجل الابيض جزيرة نيوزيلندا

القرود وامراض الاسنان

يقول الدكتور شولتز من أطباء جامعة جون هوبكنز الشهيرة انه فحص أسنان الوف من القردة فى جميع أنحاء العالم فوجدها مصابة بالأمراض التى تصاب بها أسنان الانسان عادة. وقد كان المظنون حتى عهد قريب أن اسنان القردة خالية من تلك الأمراض، ولكن البحث العلمى اثبت أن العلاقة بين القرد والانسان امتن مما كان يظن، حتى من جهة الاسنان

ظاهرة غريبة

تدل الاحصاءات الموثوق بها على ان اولاد الأسر الكبيرة (أى التى يكون فيها الأولاد كثيرين) هم اذكى فى علم الحساب من اولاد الأسر الصغيرة، ولكن اضعف منهم فى معرفة القراءة والكتابة. على ان اولاد الاسر الصغيرة هم بوجه الاجمال أذكى من اولاد الأسر الكبيرة. وفى الوقت عينه هم أكثر ميلا إلى ارتكاب جرائم السرقة والجرائم الجنسية على اختلاف انواعها. أما الكذب فمن خصائص اولاد الأسر الكبيرة العدد

وهذه الاحصاءات مجموعة من درس اخلاق أكثر من عشرين الف ولد من اولاد الاسر المختلفة فى الولايات المتحدة

جراحة القلب

يخطو علم الجراحة فى أوربا وأميركا خطوات واسعة. وأقل أعضاء الجسم نصيباً من عناية الجراحين هو القلب. وقد أثبتت التجارب الحديثة ان فى الامكان اصلاح ما يطرأ على القلب من عطب. ولا شك ان الطب سيكتشف وسائل جراحية جديدة لمعالجة ضروب هذا العطب. ويقول الدكتوران بيك وارنست من كبار الجراحين الاميركيين انهما قاما بعدة تجارب لمعرفة درجة قوة القلب على احتمال الاصابات المختلفة. فثبت لهما أن القلب يستطيع احتمال الصدمات والضربات والرضوض بل التمزيق أيضا بالرصاص، وانه اذا قام الجراح بالعملية اللازمة لاصلاح عطب القلب فى الوقت الذى يجب فيه ذلك الاصلاح فان القلب ينجو من كل خطر. ولهذا ينصح الجراحان المذكوران الجمهور بالانتباه الى الاصابات التى تلم بقلوب الصغار والمبادرة الى معالجة القلب واصلاحه قبل

فوات الفرصة لأن مرور الزمن يجعل اصلاح ذلك العطب من الامور المتعذرة

افرازات الغدد

كل يوم يمر يجيء معه اكتشاف جديد عن افرازات الغدد. ولا شك ان ما اكتشف من خواص هذه الافرازات حتى الآن ليس سوى جزء يسير منها. وجميعها مما لا يخفى تؤثر فى جسم الانسان وفى أخلاقه وسلوكه. وقد تمكن العلماء من عزل الافرازات وبعضها فى حالة بلورية. وليس ذلك فقط بل تمكن العلماء من صنع ضربين من الافرازات وهما (التيروكسين والايبنيفرين) فى المعامل الكيماوية

التحكم في النسل

ما يزال العلماء يحاولون التحكم فى نسل الحيوانات بالطرق الصناعية. وتدل الاخبار الواردة من بعض المعاهد العلمية الاميركية ومن جامعة ادنبرج بانجلترا على ان الآمال قد أصبحت قوية جداً بقرب العثور على الوسائل الصناعية التى تؤدى الى التحكم فى النسل. فقد روت احدى المجلات العلمية الاميركية ان بعض علماء جامعة انديانا قاموا بتجارب واسعة النطاق فحقنوا نحو الف دجاجة بخلاصة «هرمونات» الأنوثة فجاءت معظم الكتاكيت إناثاً، ولم يشذ إلا عدد قليل لم يتضح سبب شذوذه جلياً حتى الآن، وانما يظن انه ناجم عن عدم ضبط التجربة ضبطاً تاماً. وسيعيد العلماء المذكورون التجربة على نطاق أوسع وبعناية أتم

وقد قام العلماء المذكورون بتجربة عكسية لهذه، أى أنهم حقنوا طائفة كبيرة من الدجاج بخلاصة «هورمونات» الذكور فلم تسفر التجربة عن النجاح المطلوب، ولا يعلم السبب حتى الآن. على ان هذا الفشل لن يقعد العلماء عن مواصلة البحث والاستقصاء الى أن يبلغوا غايتهم ويتمكنوا من التحكم فى جنس النسل

الحياة في الافلاك

لم يبحث علماء الفلك فى شيء قدر بحثهم فى مسألة الحياة والأجرام العلوية ولم يتفقوا حتى الآن على رأى حاسم فى هذا الشأن إلا أنهم أجمعوا على انه اذا كانت بعض الأجرام مأهولة فلا بد أن تكون الحياة فيها مختلفة كل الاختلاف عن الحياة على هذه الارض. ويؤخذ من أحدث المباحث الفلكية أن جو السيارين زحل والمشترى مشبع بالغازات السامة، وهذا يجعل وجود الحياة هنالك مستحيلا إلا اذا افترضنا إمكان وجود مخلوقات حية لا تؤثر فيها الغازات السامة. أما جو المريخ فعادى وملائم للمخلوقات الحية، ولذلك لا ينكر اكثر علماء الفلك احتمال وجود الحياة فى المريخ. أما الغازات السامة فى جو زحل والمشترى فمعظمها غاز النشادر وغاز «الميثين» وكلاهما قاتل لا يتفق وجوده والحياة. ولو فرضنا ان انساناً صعد الى جو أحد السيارين المذكورين يحمل معه ما يلزمه من الاوكسجين فانه حال وصول الاوكسجين الى ذلك الجو يحدث انفجار شديد. وهذا دليل على عدم وجود عنصر الاوكسجين هنالك وهو عنصر لازم للنبات والحيوان والانسان

أما السياران أورانوس ونبتون فبعيدان جداً ولم يتمكن علماء الفلك من رصد جوهما رصداً دقيقاً حتى الآن. ولكن هنالك ما يحمل

على اعتقاد ان جوهما شبيه بجو زحل والمشترى أى أنه مشبع بغازى النشادر والميثين. أما بلوطو السيار المكتشف حديثاً فلا هواء فيه لأنه بسبب صغر حجمه ليس له جاذبية تقوى على استبقاء أى غاز فى جوه. وما يصدق عليه يصدق على عطارد ايضاً

للوقاية من شلل الاطفال

لا يخفى ان المرض المعروف بشلل الاطفال والذى هو سبب هلاك مئات الألوف من الاطفال كل سنة ينشأ عن ميكروب قد تمكن العلماء من عزله. وتقول احدى المجلات العلمية ان بعض أطباء جامعة نيويورك قد تمكنوا من صنع لقاح يقى من هذا المرض وانهم جربوا هذا اللقاح فى طائفة من القردة (والقردة كما لا يخفى تتعرض لمرض الشلل) فأسفرت التجربة عن نجاح كبير، إلا أنهم لم يجربوه فى الاطفال حتى الآن. والرجاء عظيم أن تسفر تجربته فيهم عن النجاح المطلوب فيتم انتصار الطب على مرض من أشد الامراض فتكا بالانسان

هل تدرك هذا الامهات؟

كان من نتائج المدنية الحاضرة ان اكثر الأمهات يهربن من واجب إرضاع أطفالهن ويستعضن عن ذلك بارضاعهم أطفالهن بالوسائل الصناعية. على ان أحدث المباحث العلمية تدل على ان نسبة الوفيات أقل بين الاطفال الذين يرضعون لبن أمهاتهم منها بين الذين يرضعون بالوسائل الصناعية. وتقول مجلة «رسالة الاخبار العلمية» فى الجزء رقم ٦٩١ ان بعض الاطباء الاميركيين جمعوا احصاءات عن عشرين الف طفل، فوجدوا ان عدد المتوفين من الاطفال الذين كانوا يرضعون بالوسائل الصناعية عشرة أضعاف المتوفين ممن رضعوا لبن أمهاتهم. وليس ذلك فقط بل ان عدد المتوفين ممن رضعوا لبن أمهاتهم والألبان الأخرى أيضاً أقل بكثير ممن لم يرضعوا إلا بالوسائل الصناعية

فهل تتعظ الامهات ويدركن الواجب الذى تفرضه الطبيعة عليهن بازاء أطفالهن فيعملن على تقليل نسبة الوفيات بينهم

حمم بركانية خفيفة

فى الحديقة الاهلية بجزيرة هاواواى حمم بركانية غريبة! فهى خفيفة جداً تطفو على وجه الماء كحجر الخفان. ويمكن احماؤها والقبض عليها من دون شعور بالاحتراق. وبعض تلك الحمم تشبه شعر الرأس أو الياف من صوف وهى اغرب حمم من نوعها فى العالم

الشموس الهائلة

ليست الشمس التى تنير كرتنا الارضية من الشموس الكبيرة مع انها اكبر من الارض مليون مرة. ففى فضاء الفلك البعيد عنا شموس لا يستطيع العقل أن يتصور حجومها الهائلة. ويظهر من الارصاد الفلكية ان المادة التى تتألف منها بعض تلك الشموس هى كثيفة جداً وان كثافة بعضها تعادل خمسين ضعف كثافة الماء. ومع ذلك فان القرائن كلها تدل على انها تتألف من «نيوترونات» وهى ومضات أو ايلكترونات غير كهربائية. ثم ان بعض الاجرام العلوية من نوع الشموس صغيرة الحجوم ومع هذا فهى أثقل من أجرام أخرى اكبر منها، وهذا دليل على شدة كثافة مادتها

عناصر النظام الشمسي

لا يخفى ان نظرية النظام الشمسي تقول إن الارض وسائر سيارات ذلك النظام كانت فى الاصل جزءاً من الشمس ، وبمرور الزمن انفصلت عنها وأصبحت أجراماً فلكية مستقلة. والمجال لا يتسع لبسط الاسباب التى أدت الى ذلك الانفصال ، ولكن من جملة البراهين أن العناصر التى تتألف منها الشمس وسائر أجرام النظام الشمسي هى هى . وليس ذلك فقط بل ان نسبة هذه العناصر تكاد تكون واحدة فى جميع الأجرام المذكورة

وقد ألقى الاستاذ رسل أستاذ علم الهيئة بجامعة برنستون خطبة فى مرصد مونت ويلسون شرح بها نظرية العناصر المذكورة شرحاً مسهباً . ومما قاله ان درس العناصر التى فى باطن الارض والطبقات التى تتألف منها الكرة الأرضية يدل على ان قطر نواة الكرة الارضية يبلغ نحو ألفى ميل ، وان هذه النواة تتألف فى الغالب من حديد وكوبالت ونيكل وذهب وبلاتين . وحول النواة قشرة أو طبقة من عنصر الكوبالت ومركباته المختلفة . وفوق هذه الطبقة قشرة حجرية أهم عناصرها السليكات وهى القشرة التى نعيش عليها

وقد يخيل الى المرء ان بعض العناصر الموجودة فى الشمس موجودة فى الكرة الارضية أيضاً ولكن بنسبة أقل . والحقيقة ان النسبة تكاد تكون واحدة ولكن توزيع تلك العناصر يختلف . وقد نتوهم ان بعض العناصر على الأرض نادرة والحقيقة انها ليست نادرة وانما هى سهلة الاتحاد بعناصر أخرى . مثال ذلك عنصرا السكنديوم والجرمانيوم وقد كان العلماء يظنون انهما من العناصر النادرة على الارض مع أنهما موجودان بكثرة فى الشمس . إلا ان العلم أثبت الآن انهما موجودان بكثرة على الأرض ايضاً ولكن بما انهما يتحدان بسهولة بالعناصر الاخرى فيخيل الى الانسان انهما نادران

ومن حسن الحظ ان عنصرى الكربون والأوكسجين اللازمين للحياة موجودان بكثرة فى الجو المحيط بالكرة الارضية . وتدل المباحث العلمية الاخيرة على ان نصف الكمية الاصلية منهما قد زالت من الجو واتحدت بالحديد . وهذا هو سبب الصدأ وسبب ما نراه من الفخار والحجارة الرملية . والأرجح ان جميع الاوكسجين الموجود فى جو الكرة الارضية سيقتنصه الحديد بمرور الزمن فيضطر الانسان الى استحداث الاوكسجين اللازم له بطرق كيماوية . ومن المحتمل أن يكون الأوكسجين الذى كان فى جو المريخ فى العصور الخالية قد زال بهذه الطريقة واتحد بعنصر الحديد الموجود هنالك ، وهذا سبب ظهور ذلك السيار بلون مشرب بالحمرة

وكذلك القول فى ثانى أوكسيد الكربون اللازم للنباتات التى تمتصه وتحوله الى معادن أخرى . ولولا وجود النباتات لأصبح الجو مشبعاً بذلك الغاز . والأرجح ان هذا هو سبب إحاطة « الزهرة » بجو كثيف من الغاز المذكور

الزرنيخ والسرطان

تدل المباحث العلمية على ان الافراط فى استعمال الزرنيخ لتنقية الدم ولشفاء بعض الامراض الجلدية قد يكون من أسباب ظهور السرطان ولا يخفى ان بعض الدجالين يعالجون السرطان بالزرنيخ وهى طريقة ضارة

كتب جديدة

ضحى الاسلام ـ الجزء الثانى

تأليف الاستاذ احمد أمين

طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة . صفحاته ٣٦٣

الاستاذ احمد امين من خيرة من ظهروا فى النهضة الأخيرة . وجمعوا بين الثقافتين العربية والغربية . وكانوا بحق الحلقة المفقودة بين هاتين الثقافتين . فامتاز انتاجهم بالجمع بين الروحين روح الثقافة العربية فى عصورها الذهبية . وروح الثقافة الغربية وأساليبها فى العصر الحديث . وليس هناك من ينكر ما لذلك من أثر حميد فى بناء النهضة الشرقية الجديدة ، تلك النهضة التى يجب أن تتأسس على الماضى والحاضر . وأن تأخذ من مجد الأول ما تستعين به على مسايرة الثانى والتقدم والرقى فيه

فالاستاذ احمد أمين قد اتيح له من هاتين الثقافتين ما لم يتح إلا للقليلين . وقد كان استاذاً للاخلاق فى مدرسة القضاء الشرعى فى عهد المرحوم عاطف باشا بركات ثم اختير قاضياً شرعياً فى المحاكم المصرية . ولما ضمت الجامعة المصرية إلى الحكومة اختير مدرساً فى كلية الآداب . وعكف على البحث والدرس ، وأصدر أخيراً كتاب « فجر الاسلام » فى تاريخ الادب العربى ثم الجزء الاول من كتاب « ضحى الاسلام » فتناول فيه الحياة الاجتماعية والثقافات المختلفة فى العصر العباسى الاول . وقد وعد فى هذا الجزء بأن يصدر الجزء الثانى مشتملا على الكلام عن الحركة العلمية والمذاهب الدينية ، إلا ان مجال البحث فى هاتين الناحيتين واسع . فرأى أن يستوفى الكلام عن الحركة العلمية وحدها فى هذا الجزء مرجئاً الكلام عن المذاهب الدينية إلى الجزء الثالث . وقد قال فى ذلك : « فلما أخذت فى درس العلوم ونشأتها وتكونها وتطورها رأيت أن لابد من الكلام فى الحركة العلمية اجمالا أعرض فيه للبحث فى قوانين تطور العقل البشرى والعلم الانسانى وتطبيقهما على العقل والعلم الاسلاميين ، والبحث فى معاهد العلم فى ذلك العصر ومناهجه وحرية الرأى فيه وما إلى ذلك ، ليكون مقدمة لدراسة العلوم تفصيلا . ولما وصلت إلى تاريخ كل علم رأيت أن اتتبع خطواته من اولها ، وأرصد مراحله التى اجتازها ، واقف عند كل امام من أئمته كان له أثر بين فيه ، وأوازن بين المراحل التى اجتازتها العلوم بعضها ببعض ، لأتبين إلى أى حد اتفقت وإلى أى حد اختلفت . فاتسع مجال القول وتعددت مذاهبه . وإذا بى أمام جزء خاص فى نشأة العلوم مع مابذلت من جهد فى الايجاز والضبط »

ولكن هذا الايجاز الذى يشير اليه المؤلف قد استوعب ٣٦٣ صفحة من الحجم الكبير احتوت سبعة فصول فى كل فصل عدد غير قليل من البحوث والموضوعات . ولنضرب لذلك مثلا: الفصل الاول من هذا الجزء . فهو يشمل الكلام عن : قوانين الرقى للعقل البشرى ـ وتطبيقها على الفكر العربى ـ وقوانين العلم

وتطوره وتطبيق ذلك على العلم العربي - والطور الذي وصل اليه العلم في العصر العباسي - وعوامل الرقي - وانقسام العلوم عند العرب في العصر العباسي إلى علوم نقلية وعقلية - واختلافهما في منهج البحث والتأليف - وهل للعباسيين أثر في تلوين العلوم بلون خاص - وحرية الرأي في ذلك العصر

ذلك ماحواه فصل واحد من فصول هذا الجزء القيم . وهو يدل على غزارة المادة وسعة الاطلاع . ودقة الدرس والبحث وهي صفات قد عرف بها مؤلف هذا الكتاب ونحن ننقل فقرات مما جاء فيه عن قوانين العقل البشري قال :

« جد الباحثون في العصور الحديثة في استخراج قوانين طبيعية لسير العقل البشري في الامم ، وذهب بعضهم إلى تطبيق رقي العقل وخطواته التي يخطوها الفرد ، على رقي العقل في الامم . فكما ان الفرد يبدأ بحالة عقلية تناسب طفولته ثم يتدرج في الرقي تبعاً لسنه ونضجه ، كذلك الامة والامم جميعاً تمر بهذه الاطوار وان اختلفت ريثاً وعجلة . وذكروا ان الاطوار التي تمر بهـا الامم خمسة (١) عصر سرعة التصديق واعتناق الخرافات (٢) عصر الشك والتحري (٣) عصر العقيدة والايمان (٤) عصر العقل (٥) عصر الهرم والشيخوخة - وان هذه العصور يسلم بعضها إلى بعض وان الامم في العالم تقف على درجات مختلفة من هذا السلم »

وقال في موضع آخر عن مدرستي البصرة والكوفة : « كذلك كان الشأن في اللغة والادب . فاقت البصرة فيهما ماعداها من الامصار . وحسبك دليلا ان اقوى الشخصيات التي رويت عنها اللغة والادب من البصريين . نذكر منهم ثلاثة كانوا أشهر الناس في ذلك وهم : الاصمعي وابو زيد وابو عبيدة وكلهم بصري »

المعجم في بقية الاشياء

تأليف ابي هلال العسكري

أكمله وعلق عليه وضبطه الاستاذان

ابراهيم الابياري ، وعبد الحفيظ شلبي .

طبع بمطبعة دار الكتب المصرية . صفحاته ١٧٤

« . . ومعلوم ان من يطلب الترسل وقرض الشعر وعمل الخطب كان محتاجاً لامحالة الى التوسع في علم اللغة خاصة لتكثر عنده الالفاظ فيتصرف فيها بحسب مراده ، ولا يضيق مجاله في مرتاده ؛ وليعرف العلوي من الكلام فيستعمله والعامي فيتقيه ويجتنبه . وقد عرفت حاجتك الى ذلك . فعملت كتباً متوسطة تشحذ البليد فضلا عن اللقن الذكي ، وكتباً دون ذلك لطافاً خفيفة مختارة ، مثل كتابي هذا ، وهو وان صغر حجمه فقد كبر نفعه لغريب ما تضمنه من اسماء بقايا الاشياء ، وبديع طريقته في الدلالة على سعة لغة العرب وفضلها على جميع اللغات »

تلك فقرات مما قدم به أبو هلال العسكري هذا الكتاب في أواخر القرن الرابع الهجري واللغة العربية في ذلك الوقت لغة الحضارة التي انتشرت في الشرق وغزت الغرب وكتبت بها العلوم والآداب والفنون . ولم يكن لها منافس يتطاول الى مغالبتها كما هو موجود الآن ، فكان كتاب ذلك العصر وشعراؤه وعلماؤه أكثر ثروة في اللغة العربية وأعلم بمفرداتها من امثالهم اليوم . ومع هذا فقد كانوا في حاجة الى مايزيد هذه الثروة . ويضاعف هذه المفردات

لأن اللغة العربية من أوسع اللغات إن لم تكن أوسعها. فلكل شيء جماداً أو حيواناً اسم خاص به بل اسماء تدل عليه حسب اختلاف أوصافه وتباين أحواله، ولكل عمل أو صوت أو حركة لفظ يدل عليها دلالة توحيها الطبيعة والفطرة. وكذلك ما تخلف من الاشياء، وهو ما نعبر عنه بالبقايا. فلكل بقية اسم خاص بها. فاذا كنت كاتباً مجيداً أو إذا كنت كاتباً تريد أن تكون مجيداً. فيجب ان تتوخى فى تعبيرك الاسم الذى يدل على بقية الشيء الذى تريده دون سواه. فاذا أردت أن تعبر عن بقية الطعام على المائدة فلتقل (الحتامة) بضم الحاء. وإذا احببت أن تعبر عن بقية العسل فى موضع النحل فلتقل (الآس) وإذا مررت بمزرعة محصودة وقد تخلف من زرعها بقية، ولم تعبر عن هذه البقية بلفظها وهو (الجذامة) بضم الجيم فقد أخطأت فى حق الفصاحة وعلو التعبير. وكذلك لو أصبحت، فوجدت على منضدتك كوباً فيه بقية من شراب بائت، وسألك سائل ماذا فى هذا الكوب. فاذا لم تجبه بانه (بسيل) فقد اخطأت أيضاً فى حق الفصاحة، وقد سمى بسيلا اى مكروها لأن النفس تكرهه وتعافه

تلك بعض امثلة مما حواها هذا المعجم للدلالة على بقية الاشياء المختلفة. وقد وضعه ابو هلال العسكرى فى القرن الرابع الهجرى كما قلنا و ..وة الأدباء والعلماء. وقتئذ أغزر من ثروتهم اليوم واللغة العامية لم تطغ كما طغت اليوم. فاذا أخرج الأديبان الفاضلان ابراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبي هذا الكتاب من قبره احياء لتلك الالفاظ التى مات أكثرها، وهدية لهذا الجيل الذى اضطرب بين العامية واللغات الاجنبية، فقد قاما حقاً بعمل يشكر لهما كل الشكر. ولكن الاديبين الفاضلين لم يكتفيا بذلك، بل نظرا فوجدا أن هذا المعجم إذا سد حاجة العصر الذى ألف فيه، فقد تكون فائدته للعصر الحاضر ناقصة لنسيان كثير من المفردات وموت أكثر الفاظ اللغة حتى ما كان يستعمل منها فى العصور الذهبية للحضارة العربية. فنقبا فى كثير من المعاجم. واضافا ما عثرا عليه من الاسماء التى تدل على بقايا الاشياء الأخرى. وأكملا هذا المعجم المفيد. وقد وضعا مازاداه بين قوسين واستدركا ما فات ابا هلال من معانى الالفاظ التى أتى بها. ورتباها على ترتيب حروف المعجم تسهيلا للقارىء. ولم يكن المؤلف قد التزم ترتيب الحروف - هذا فضلا عن الشرح والتعليق وضبط الالفاظ واسناد الأبيات التى أتى بها المؤلف إلى ناظميها

وبالاجمال. لقد بذل هذان الأديبان مجهوداً حميداً فى اخراج هذا المعجم لقراء العربية. وهو نوع من الأحياء المفيد للآثار اللغوية والعلمية وللثروة المجيدة التى خلفها لنا القدماء.

الاطلال

رواية قصصية مصرية

بقلم الاستاذ محمود تيمور

طبعت بالمطبعة السلفية بدرب الجماميز بالقاهرة. صفحاتها ١٥٧

هى سبع قصص لاقصة واحدة تحمل اسم اولاها وأكبرها وهى « الاطلال »، والاطلال قصة مصرية تتألف من ١٥ فصلا. اجاد المؤلف فى تأليفها كما أجاد فى القصص الست الاخرى. وهى: ابو عرب. والطفل والمصور، وحلم انقضى، وجريمة الحب، وليلة الرضا، وحسن اغا

ولسنا فى حاجة إلى تقديم القصصى الأديب الاستاذ محمود تيمور . فقد عرفه القراء بقصصه الممتعة التى نالت اعجاب الكثيرين . وقد طبعت له لجنة التاليف والترجمة والنشر «الحاج شلبى» وغيرها . وحازت قصة رجب افندى رواجاً واقبالا حتى نفدت طبعتها الاولى وشرع فى اصدار طبعتها الثانية منقحة تنقيحاً مفيداً . وصفوة القول أن الاستاذ تيموراً أحد الادباء القليلين الذين يحاولون ان يرفعوا لواء فن القصة فى الادب العربى . ولاشك أن هذه المحاولة هى الاساس الاول للفن القصصى الذى نرجو أن تتوطد اركانه ويشاد صرحه على امتن القواعد الفنية فى العصر الحديث

علم الدولة ـ الجزء الثانى

بقلم الاستاذ أحمد وفيق

طبع بمطبعة النهضة بمصر . صفحاته ٤٠٦

لما أصدر الاستاذ احمد وفيق الجزء الاول من هذا الكتاب قوبل فى الأوساط القانونية بالاعجاب ، وقد شارك هذه الاوساط فى الاعجاب به وزارة المعارف فجاء فى تقريرها : « . . وفى نية واضعه أن يعقبه بأجزاء أخرى قد تبلغ جميعها أربعة عشر جزءاً تظهر فى مستقبل قريب . ولا غرابة فى ذلك ، لأن الموضوع الذى تناوله الكاتب مترامى الاطراف متصل بمختلف البحوث السياسية ، والقانونية والتاريخية . ولا شك فى أن دراسة المبادىء المتعلقة به واظهارها فى سجل واحد يستدعى جهدا عظيما ومثابرة تثير الاعجاب . . . » ثم جاء فى هذا التقرير : « والخلاصة ان هذا الكتاب يعتبر الاول فى نوعه باللغة العربية ، ويصلح لان يوضع فى مكاتب المدارس الثانوية لكى يطلع عليه مدرسو التاريخ . كما أنه لا بأس من ايداع نسخة منه فى قاعة بحث القانون العام ، وأخرى فى قاعة بحث القانون الدولى بكلية الحقوق »

ذلك بعض ما جاء فى تقرير وزارة المعارف عن الجزء الأول من هذا الكتاب ، فضلا عما قرظه به بعض كبار رجال القانون . وقد وفى الاستاذ احمد وفيق بما وعد به . فأسرع فى إصدار الجزء الاول وهو أربعة فصول يتناول الاول منها عهد الاصلاح الدينى وفترة الانتقال إلى عصر الثورة الفرنسية . وعناصر فكرة الدولة وأطوار هذه الفكرة وإيضاح العوامل التاريخية لنظرية الحقوق الاساسية للدولة وعواملها الفقهية . مع دراسة عميقة عن كل فترة تاريخية حملت اسم واحد من مشاهير الفقهاء مثل « جروسيوس » "Grotins" و « وولف » "Woilf" و « زوك » "Zouch" و « لوك » "Locke" وغيرهم

ويتناول الفصل الثانى كلمة إجمالية عن أطوار فكرة الدولة خلال الثورة الفرنسية . والاستفتاء العام فى مختلف مراحله . والتوسع فى سلطة الدولة ومدى هذا التوسع إلى المرحلة التى تزعزع فيها القانون العام وما جرى خلال الثورة من تيارات تشريعية إلى ان استظهر النظام البرلمانى باتباع مبدأ انفصال السلطات . ثم يتناول كلمة عن فكرة روسو فى انفصال السلطات ونظرية « الامة مصدر السلطات »

ويتناول الفصل الثالث والرابع أطوار الدستور البريطانى من نشأته حتى نهاية القرن ١٨ وشرح مبادىء الدساتير الفرنسية وأطوارها ، إلى غير ذلك من الموضوعات والفصول . وقد عنى المؤلف فى هذا الجزء

بالعنصر التاريخى وكشف فيه عن العناصر الاخلاقية والفضائل السياسية التى يرمى اليها الغرض من تأسيس الدولة . فان الدولة لم تكون كما قال المؤلف إلا لتحقيق نوع من الخير . ولانها إذا تأسست على الخلق الكريم كانت عنايتها موجهة إلى الحرص على مصير الوطن . ولاوجود لهذا الحرص إلا إذا اعتقد الافراد جميعاً أن هناك واجبات عامة لا تتحقق إلا إذا قام كل وطنى بنصيبه من الجهد والبذل فى نزاهة تسود معها المساواة حتى تتحقق الفضيلة السياسية

معضلة السرطان

تأليف وليم سيمن بانيبروج

ترجمة الدكتور يوسف اسكندر حتى ، والاستاذ شاكر خليل نصار

طبع بالمطبعة الاميركية ببيروت . صفحاته ٢٢٦

مؤلف هذا الكتاب من أحذق الأطباء فى الولايات المتحدة ، وقد عكف مدة على دراسة هذا المرض العضال حباً فى تخفيف ويلات الانسانية وشقائها الذى ينتابها منه ، فان (السرطان) ما يزال من أخطر الامراض ، وما يزال معضلة المعضلات ، واذا علمت ان نسبة من يصابون به بين أفراد الانسان هى امرأة واحدة فى كل سبع نساء ، ورجل فى كل أحد عشر رجلا فوق الخامسة والثلاثين ، تبين لك عظم خطر هذا المرض المتعدد الأنواع . ولقد ألفت لجنة فى بولندا لمحاربته ، كما اهتم الأطباء فى كل مكان بمكافحته . ولذلك لما ألف الدكتور وليم سيمن هذا الكتاب بالانجلزية سارع الى ترجمته بعض الأطباء فى الأمم الأخرى ، فترجم الى الالمانية والاسبانيــة والبولونية . وقد عنى بنقله الى العربية الدكتور يوسف حتى والاستاذ شاكر نصار ، وتوخيا فى ذلك أسهل الاساليب ، ويسرا الاطلاع عليه حتى لغير الأطباء من القراء .

والكتاب يحوى ١٣ فصلا غير المقدمة ، وغير لمحة تاريخية فى الطب العربى للدكتور حتى . ومن فصول الكتاب : تاريخ السرطان فى الأعصر القديمة والعصور الوسطى والعصور الحديثة ، والسرطان فى الحيوان ، وخلاصة البحوث العلمية العالمية عن السرطان ، وطرق الوقاية من السرطان ، وادوية السرطان ، والمداواة بغير الجراحة ، والسرطان الذى لا ينزع بالجراحة ، واحصاءات وأرقام ، وتهذيب السكان وتدريبهم على مقاومة السرطان

تاريخ الوزارات العراقية

تأليف الاستاذ السيد عبد الرازق الحسنى

طبع بمطبعة العرفان بصيدا بيروت . صفحاته ٢٤٢

هو تاريخ سياسى يبحث فى نشوء الدولة العراقية ، ويتناول الأدوار التى مرت عليها ، ويحتوى نصوص المعاهدات والاتفاقات التى عقدتها الوزارات المختلفة التى تعاقبت على كراسى الحكم فى بلاد العراق الى الآن

وقد سلك فيه المؤلف أسلوباً علمياً بحتاً خالياً من التحيز لجهة من الجهات . أو لحزب من الاحزاب . وقد أثبت الحوادث الهامة وبحث الحقائق التاريخية بحثاً مفيداً ، ودون الوثائق التى تتعلق بكل وزارة ، وحلى ذلك كله بعض الصور اللازمة ، خصوصا صور جميع الوزراء الذين تولوا الحكم فى السنوات المختلفة

والكتاب سفر تاريخى نفيس يجدر بكل المهتمين بشئون العراق أن يطلعوا عليه ويقتنوه

أسرار الطفولة

بقلم الاستاذ ميلاد كرواني

طبع بمطبعة المجلة الجديدة بالقاهرة . صفحاته ١٤٨

هي موضوعات مختلفة عن الطفولة على هامش علم النفس الحديث . وقد أراد بها المؤلف أن تكون دليلا للوالدين في تربية أطفالها ، لا بحوثاً لاعمال الذهن والتفكير . وقد استخدم فيها البساطة والايجاز حتى يسهل على جمهرة القراء الاطلاع عليها . فالكتاب من هذه الناحية مفيد لاكبر طائفة من الآباء والامهات ، وقد استعان المؤلف في تأليفه بالآراء الجديدة في التربية وعلم النفس . ولا شك ان كل من يقرؤه يجد فيه مادة نافعة لكل أب وأم ولكل مرب يعهد اليه في تنشئة الاطفال على أقوم الاساليب . وقد احتوى الكتاب كثيراً من الموضوعات التي تفتح أمام القارئ أبوابا من التفكير في مهمة تربية الاطفال وما يجب على القائمين بشئونهم القيام به في أدوار طفولتهم وأحوالهم الخاصة التي طالما كانت العناية بها في هذه المرحلة الاولى من العمر أهم ما يجب بذله لاعدادهم للمستقبل إعدادا حسناً يعود عليهم وعلى المجتمع الذي يعيشون فيه بالنصيب الاوفر من الخير والنجاح

كتب اخرى

• « الجديد في الاملاء » هو كتيب نافع في قواعد الاملاء . تأليف الاستاذ محمود احمد تركي المدرس بالمدارس الاميرية . صفحاته ٣١ طبع بالمطبعة اليوسفية بطنطا

• « ابنة استريا » قصة طريفة من قصص الحب تأليف فيلبس أوبنهايم وترجمة الاستاذ محمد عبد الفتاح ابراهيم . وهي جزآن كتبها المؤلف بعد أن زار جزيرة استريا وسمع القصة بأذنيه ورأى أماكنها . وقد عني المترجم بترجمتها في أسلوب عربي فصيح . طبعت بمطبعة عبد الحليم حسني بالقاهرة

• « المغامرة العظمى » وهي الرواية المقررة على طلبة البكالوريا بالمدارس الاميرية لسنة ١٩٣٥ . تأليف أرنولد بنيت . وقد عربها ولخصها وشرح مفرداتها وتراكيبها الصعبة باللغة الانكليزية الاستاذ فهمي حنا النمير ، والمستر د . مكارتي أستاذ الاديبات الانجلزية بالمدارس الاميرية . تطلب من مكتبة الهلال بالفجالة بالقاهرة

• « السامريون » تأليف القس الياس مرموره . يتضمن تاريخ السامريين واصلهم ، ومنشأهم وأعيادهم والفروق بينهم وبين اليهود وفيه لمحة عن تاريخ شكيم (نابلوس) والسامرة (سبسطية) وآثارهما . يطلب من مكتبة فلسطين العلمية بالقدس . صفحاته ٩٧

• « اغاني الكوخ » هو ديوان لطيف للاديب محمود حسن اسماعيل بدار العلوم . وقد قرأنا فيه جانباً غير قليل من الشعر الرقيق الذي ينم على ان لناظمه ملكة شاعرية لو عني بها وغذاها بسعة الاطلاع لكان له في هذا الفن مستقبل حسن . طبع بمطبعة الاعتماد بالقاهرة . صفحاته ١٤٦

بين الهلال وقرائه

حول الكرة الارضية

(دمشق ـ سوريا) مصطفى السندي

من أول من طاف حول الكرة الارضية وكم من الزمن استغرق طوافه ؟

(الهلال) لا نعلم من أول من طاف حول الكرة ، ولكننا نعلم أن فرناندو مجلانس السائح البرتغالي الشهير الذي عاش في القرن السادس عشر للميلاد ،طاف حول الكرة في ثلاث سنوات الا اثني عشر يوماً . فقد أقلع في ٢٠ سبتمبر سنة ١٥١٩ من أحد موانيء اسبانيا باحثاً عن طريق مختصر الى جزائر ملقا . وظل متجها غرباً حتى طاف حول الكرة الارضية وعادت السفينة الى الميناء الذي قامت منه

وفي ٢٩ يونيه سنة ١٩٢٨ طار ميرز وكولير الاميركيان من نيويورك بقصد الطواف حول الكرة الارضية فعادا الى نيويورك في ٢٢ من شهر يوليه من السنة عينها ، أي انهما طافا حول الكرة في ٢٣ يوما و ١٥ ساعة و ٢١ دقيقة و ٣ ثوان ، ومع ذلك فان عملهما كان أقل من عمل فرناندو مجلانس بالنسبة الى عصرهما

زرقة السماء

(دمشق ـ سوريا) ومنه

ما سبب زرقة الجو ؟

(الهلال) سبب ذلك تشتت النور بواسطة الذرات التي تتألف منها أمواج النور أي بواسطة دقائق الاوكسجين والنتروجين . ويعادل طول أمواج النور الزرقاء نصف طول الامواج الحمراء . وكلما كانت موجة النور قصيرة كانت دقائقها اكثر تشتتاً وانتشارا . ولما كانت الامواج الزرقاء أقصر الامواج فهي اكثرها تشتتاً . ولهذا يبدو الجو أزرق . ويعكس ماء البحار هذا اللون . وكلما ارتفع الانسان بالمنطاد في الجو نقصت الزرقة لعدم وجود هواء كاف لتشتيت الاشعة الزرقاء ونشرها

المطر الصناعي

(الاسكندرية ـ مصر) أحد المشتركين

أصحيح ما يقال من امكان استنزال المطر باطلاق المدافع وغير ذلك من الوسائل الصناعية ؟

(الهلال) الاعتقاد شائع بين الكثيرين من الناس أن في الامكان استنزال المطر باطلاق المدافع . على أن المباحث العلمية الدقيقة تنكر ذلك انكاراً باتا واذا كان المطر ينزل احياناً بعد المعارك التي يكثر فيها اطلاق المدافع فليس نزوله ناشئاً عن المدافع بل هو يقع تبعاً للنواميس الطبيعية

ومما نذكره في هذا الصدد أن محتالا أميركياً طاف في احدى السنين ببعض الولايات المتحدة وكانت قد نكبت بالقيظ وادعى أن في وسعه استنزال المطر بأجور زهيدة . فما كان من مصلحة الارصاد الجوية الاميركية الا أن نشرت تحذيراً تلفت به نظر الجمهور ، ولا سيما جماعة الفلاحين ، الى استحالة استنزال المطر بأي وسيلة صناعية

حفظ اللبن

(الاسكندرية ـ مصر) ومنه

هل توجد طريقة علمية صحيحة لحفظ اللبن من الفساد مدة طويلة ؟

(الهلال) يمكن حفظ اللبن الحليب طويلا من الفساد بتخثيره . فاذا أريد حفظه طازجاً فهنا لك طريقة الدكتور سيدل النمسوي وقد اهتمت بها الحكومة النمسوية اهتماما جدياً وحاولت تعميمها في جميع معامل الالبان . وهذه الطريقة تقوم على اطلاق تيار كهربائي على اللبن بعد تسخين اللبن الى الدرجة أربعين بمقياس سنتجراد . ومثل هذا اللبن يظل طازجاً بضعة أيام حتى في أشد الاجواء حرارة

ناطحات السحاب

(نيويورك ـ الولايات المتحدة) ع . ج

بكم يقدرون متوسط عمر ناطحات السحاب الاميركية ؟ وهل على هذه البنايات الشاهقة خطر من الزلازل ؟

(الهلال) ناطحات السحاب الاميركية تعمر اكثر من غيرها من البنايات . ولما كان الحديد والخرسانة المسلحة أهم المواد التي تشاد منها فان الخطر عليها من الزلازل أقل من الخطر على الابنية الاعتيادية

ترنح ناطحات السحاب

(نيويورك ـ الولايات المتحدة) ومنه

أصحيح أن ناطحات السحاب تتمايل في مهب الرياح ؟

(الهلال) نعم تتمايل قليلا ويبلغ مدى تمايلها أحيانا عند قمتها نحو ست بوصات . وقد يزيد ذلك اذا اشتدت سرعة الريح . ومع ذلك لا يخشى على ناطحات السحاب من الهبوط . والذين يسكنونها لا يشعرون بتمايلها

تقطير الماء

(بحر الغزال ـ السودان) أحد القراء

انا مقيم في هذه البقاع النائية حيث وسائل المعيشة غير متيسرة . وكثيراً ما أضطر الى شرب ماء لا أعلم هل هو نقي أم ملوث . فهل تستطيعون أن تدلوني على طريقة أضمن بها نقاوة الماء وسلامته من الجراثيم ؟

(الهلال) خير ما تفعلونه أن تشربوا الماء المغلي. نعم ان الماء المغلي يفقد شيئا من طعمه ولكن اغلاءه أهون الشرين الا اذا تمكنتم من الحصول على أقراص السوكسنكلوريميد (Succin chlorimide) وهي اقراص اذا القي واحد منها في كاس الماء قتل كل ما فيه من جراثيم من دون تغيير طعمه . والذي نعلمه أن هذه الاقراص غير موجودة في مصر ولكن الحكومة الاميركية تجهز جنودها الذين يقيمون بالجهات النائية بهذه الاقراص

شهر العسل

(بحر الغزال ـ السودان) ومنه

لماذا يسمى الشهر الأول من الحياة الزوجية شهر العسل ؟

(الهلال) ليست هذه التسمية عربية بل غربية : وقد كان من عادة بعض شعوب اوربا الشمالية ان يشربوا في الاعراس شرابا خاصا يصنع من العسل المختمر . وكان العروسان يشربان من هذا العسل المختمر مدة ثلاثين يوما بعد عقد الزواج، ومن ثمة سمي الشهر الأول من الحياة الزوجية شهر العسل. ويقال ان اتيلا ملك الهون عند ما تزوج ظل يشرب من خمر العسل المذكور بافراط عظيم حتى توفي بسببه. وكانت مدينة هيبلا بجزيرة صقلية مشهورة بصنع خمر العسل الخاص بالافراح

الصلع والانفعال

(القاهرة ـ مصر) حبيب زاهر

هل بين الصلع والانفعالات النفسانية اية صلة ؟

(الهلال) نعم ولكنها ليست واضحة . وقد ذكر الاطباء حوادث اصيب فيها البعض بالصلع بسبب حزن شديد

نظرية التطور

(القاهرة ـ مصر) ومنه

الا يزال العلماء يؤمنون بنظرية التطور كما شرحها داروين ؟

(الهلال) نعم يؤمنون بها مع تغيير طفيف جداً . ولا يكاد ينقضي عام الا ويقف العلماء على ادلة جديدة تؤيد نظرية التطور المذكورة

شعر الرأس

(بغداد ـ العراق) قارىء

كم متوسط عدد شعر الرأس ؟

(الهلال) متوسطه نحو خمسين الف شعرة للرجل ونحو سبعين الف شعرة للمرأة . ولا يدخل الرجال الصلع في هذا الاحصاء !

تركيب الهواء

(القاهرة – مصر) مصطفى حسن خليل

ما هي العناصر التي يتألف منها الهواء الذي نستنشقه ؟ وما هي النسبة المئوية لكل من العناصر المذكورة ؟

(الهلال) أهم العناصر التي يتألف منها الهواء هي النتروجين فالاوكسجين فالارجون فالايدروجين . وهنالك عناصر أخرى توجد في الهواء بكميات ضئيلة جداً . أما نسبة هذه العناصر فهي ٧٨ ، ٠٣ في المائة من النتروجين ، و٢٠ ، ٩٩ في المائة من الاوكسجين و ٠ ر ٩٤ في المائة من الارجون ، وواحد من عشرة آلاف من الايدروجين . وواحد من ٦٥ ألفاً من النيون ، وواحداً من مائتي الف من الهليوم . وواحد من مليون من الكريتون

رائحة الازهار

(القاهرة – مصر) ومنه

لاحظت في أثناء تجوالي في الارياف أن رائحة الازهار تكون على أقواها فيحا وأوا كثرها انتشاراً بعد وقوع المطر . فهل هذه الملاحظة صحيحة ؟ واذا كانت صحيحة فما هو تعليلها ؟

(الهلال) ملاحظتكم صحيحة وتعليلها ان مسام الازهار التي تنبعث منها الرائحة تكون عادة مسدودة فاذا وقع عليها المطر غسلها وازال ذرات الغبار التي تسدها فتنبثق منها الرائحة وتنتشر في الفضاء

تعليم السنما

(لاريوجا – الارجنتين) قيصر ضو

هل توجد في مصر مدرسة لتعليم فن السنما أي الصور المتحركة، وفي اية مدينة من مدن القطر توجد هذه المدرسة وما شروط دخولها ؟

(الهلال) ليس في مصر مدرسة لتعليم السنما ولكن بها شركات وجوقات تمثيلية تقوم بوضع الروايات السنماتوغرافية واخراجها وتمثيلها . وقد صادفت جميعاً نجاحاً يذكر ولقيت من البلدان العربية كلها تشجيعاً عظيماً

الالقاب الدخيلة

(ايجان – ساحل العاج) عبد اللطيف نظري

لماذا لاتزال مصر والعراق وسوريا متمسكة بالالقاب الدخيلة كباشا وبك . وهل اللغة العربية قاصرة عن امدادنا بالفاظ تحل محل تلك الالفاظ ؟

(الهلال) ما تزال مصر والعراق وسوريا متمسكة بالالقاب التي أشرتم اليها لان في الامم ميلا كامنا الى المحافظة على القديم الا اذا اقتنع الجمهور بضرر ذلك القديم . ومسألة نبذ الالقاب التي اشرتم اليها ليست من المسائل التي تؤثر في حياة الامم فكل تغيير يطرأ عليها يكون بحكم الطبع بطيئا جداً . وقد شرعت بعض الاقطار التي تتكلم العربية تتخلص من تلك الالقاب وتستبدلها بالقاب اخري تحل محلها . ويظهر من مراقبة تطور الاجتماع ان مصير الالقاب – ليس في الشرق فقط بل في جميع أنحاء العالم – هو الى الزوال . فقد زالت من فرنسا وتلاشت في أميركا وأخذت الديمقراطية تقضي على ذلك الاثر الباقي من آثار الارستقراطية ، مثبتة لنا أن قيمة الانسان هي ما يحسنه من الاعمال لا ما يحمله من الالقاب

المجمع اللغوى الملكى

(ايجان – ساحل العاج) ومنه

ماذا حل بالمجمع اللغوى الملكي المصري ؟

(الهلال) ما يزال حياً . والمنتظر أن تدخل عليه اصلاحات تجعله جديراً بالمهمة التي قد عهد بها اليه وتنفخ فيه حياة جديدة . وقد افتتح موسمه الجديد في ١٨ الشهر الماضي

زحل واورانوس

(كركوك – العراق) اكرم نشأت ابرهيم

كم من الزمن يستغرق السياران زحل واورانوس في دورانهما على محورهما وفي دورانهما حول الشمس ؟

(الهلال) يدور زحل على محوره مرة كل نحو عشر ساعات وربع ساعة · وحول الشمس مرة كل ٢٩ سنة و ١٦٧ يوماً . ويدور أورانوس على محوره مرة كل نحو عشر ساعات الى اثنتي عشرة ساعة . وحول الشمس مرة كل ٨٤ سنة وسبعة أيام

الاغتذاء باللحم

(بيروت ــ الجمهورية اللبنانية) محمد اياس

هل الانقطاع عن اللحوم مفيد أو مضر ، فقد قرأت في احدى المجلات عندنا أن العلماء في هذا العصر قد اثبتوا أن الاغتذاء باللحوم غير طبيعي وأن هذه اللحوم هي سبب الآلام والامراض التي تنتاب الانسان فما قولكم في هذا ؟

(الهلال) الحقيقة هي عكس ذلك تماماً . نعم أن الكثيرين من الناس لا يزالون يعتقدون أن الاغتذاء باللحوم مضر بالصحة وان الاعتماد على البقول أفضل للانسان. ولكن أحدث المباحث العلمية قد اثبتت ان اللحم غذاء لاغنى عنه للانسان بل ان فريقاً كبيراً من الاطباء الاخصائيين يقولون اليوم بوجوب تغذية الاطفال باللحوم منذ السنة الثانية من العمر ، فان في اللحوم من الغذاء مالا يمكن الاستعاضة عنه بالبقول والمواد النباتية . وفي اميركا واوربا اليوم بروباجندا واسعة النطاق يقوم بها الاطباء لتنبيه الجمهور الى الخطر الذي ينجم عن الانقطاع عن اللحوم . وقد كنا نحن حتى عهد قريب من القائلين بان الاغتذاء بالبقول والمواد النباتية أفضل من الاغتذاء باللحوم الى أن ثبت لنا عكس هذه النظرية . ويقول الاطباء الاخصائيون في شؤون التغذية ان خطر الانقطاع عن اللحوم والاكتفاء بالبقول لا يظهر الا بمرور الزمن

وقد اشرنا على صفحات الاجزاء الاخيرة من الهلال الى آراء بعض الثقات في هذا الشأن

محطة راديو مصر

(كاب هايتين ــ هاييتي) شارل مرزوقه

كنت منذ عهد قريب اطوف بانحاء مختلفة من اميركا وكان جميع السوريين هنالك متشوقين لسماع محطة الراديو المصرية ولكن خاب أملهم . فما هي قوة محطة مصر ؟

(الهلال) بالطبع لا يمكن سماع محطات مصر والاسكندرية في اميركا فان قوة اقوى محطة من المحطات الاربع الموجودة اليوم بالقطر المصري لا تزيد على عشرين كيلوات وموجاتها متوسطة . واليك اطوال موجات المحطات الاربع المذكورة :

١ ــ القاهرة : ٩ ، ٤٨٣

٢ ــ « ٢ ، ٢٢٦

١ ــ الاسكندرية : ٤ ، ٢٦٧

٢ ــ « ٩ ، ٢٠٩

عصير البرتقال

(القدس ــ فلسطين) احد المشتركين

المعروف أن البرتقال يحتوي على كمية كبيرة من الفيتامين « ج » فهل عصيره المحفوظ يحتوي مثله على هذا الفيتامين ؟

(الهلال) تدل التجارب التي قامت بها بعض المدارس الزراعية بأميركا على ان عصير البرتقال المحفوظ في زجاجات يحتوي تقريبا على نفس الكمية التي يحتوي عليها البرتقال الطازج من الفيتامين « ج »

في النسبية

(القدس ــ فلسطين) ومنه

قرأت في احدى المجلات العلمية الاميركية الاخيرة أن الفيلسوف اينشتين صاحب نظرية النسبية المشهورة يعتقد أنه من المستحيل تحويل المادة الى قوة تحويلا يصلح للاغراض العملية مع أن آراءه المسجلة عليه في أوائل اعلانه نظريته المشهورة تقول عكس ذلك . فما رأيكم ؟

(الهلال) ملاحظتكم هذه في محلها فان اينشتين كان يقول في اوائل اعلان نظريته بامكان تحويل المادة الى قوة . وفي سنة ١٩٠٥ نشر معادلاته الرياضية المشهورة التي اثبت بها ان في الامكان تحويل المادة الى قوة وبالعكس . ويظهر الآن انه قد غير رأيه وصار يعتقد ان تحويل المادة الى قوة ممكن نظرياً ولكنه لا يصلح للاغراض العملية . ومعنى ذلك اننا اذا أردنا تحويل المادة الى قوة استنفدنا في سبيل ذلك قوة تزيد على القوة المرجو انتاجها . وعليه تكون مثل هذه المحاولة ــ كما يقول اينشتين نفسه ــ اشبه بصياد يحاول ان يصطاد عصافير في الظلام في صحراء ليس فيها سوى عصافير قليلة جداً

الأحياء العربي

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

«.. من الجناية أن تبقى النفائس العربية مطمورة في بطون المكاتب وقماطرها لا يقف على ما فيها الا القليلون الذين يلذ لهم هذا الوقوف . . واحسب ان من العار علينا ان يضع الباحثون من الغربيين مباحث قيمة عن الثقافة العربية ولا نعنى نحن من ذلك بشيء . .»

كنت منذ أسابيع أزور حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي بحلوان وأعرض عليه تجارب الطبع لكلمته التى تفضل بكتابتها تعريفاً عن كتابي «حياة محمد» . ولما كانت في هذه الكلمة إشارة إلى الغزالى وطريقته في البحث ومشابهة هذه الطريقة للطريقة العلمية الحديثة ، فقد جاء الاستاذ بكتاب الغزالى «المنقذ من الضلال» وتلا منه ما كتب حجة الاسلام في هذا المعنى فاذا شيء بديع حقاً ! منطق دقيق غاية الدقة وتصوير واضح كل الوضوح وتفكير عميق كل العمق . وتناول حديثنا بعد ذلك الكتب القديمة في عصور الاسلام الزاهرة وقص الشيخ على من أمرها حديثاً فياضاً وانتهينا من ذلك إلى أن إحياء الادب العربي لا يكون بنقل كتب الغرب وحضارته إليه و إنكار ماضيه ، وإنما يكون الاحياء أولا وقبل أى شيء باحياء المؤلفات العربية القديمة فى العصور المختلفة وجعلها في ثوب من تفكير هذا العصر الذى نعيش فيه وربط الحاضر بالماضي من ناحية الثقافة ، والاستفادة إلى جانب ذلك من علم الغرب ومن حضارته ، لتكون بيننا و بينه رابطة لم يبق مفر منها بعد أن وصلت المخترعات الحديثة بين أجزاء العالم بأوثق صلة وأسرعها

وطبع الكتب القديمة القيمة له من غير شك أثره في هذا الاحياء . لكن هذا الأثر يظل محصوراً فى طائفة ممن تعينهم ثقافتهم وتفقههم في اللغة على دراسة هذه الكتب . وهذه طائفة قليلة بطبيعتها ، ولا ينتظر أن تبعث بمجرد الدراسة روحاً قويا في الاحياء . بل الواجب علينا ازاء هذه الكتب شيء آخر . ذلك تلخيصها وصوغها في أسلوب حديث على الطريقة التى ألفها الناس في زمننا هذا وتقريبها إلى الأذهان وتيسير قراءتها على المثقفين كافة . إذ ذاك يسهل على رجل القانون وعلى الطبيب وعلى المهندس وعلى غيرهم من المتعلمين تعليما عاليا ،

بل يسهل على من دون هؤلاء ثقافة وعلما ، أن يحيطوا بما تنطوى عليه هذه الكتب القديمة من نظريات وما يرد على هذه النظريات من اعتراض أو تأييد ، ومبلغ بقائها مؤيدة من العلم الى أحدث ما وصل اليه العلم من مراحل ، وما نفاه العلم منها وهدمه . هذا المجهود يحتاج دأباً وعملا متصلا . لكنه هو المجهود المثمر في الاحياء فلا مفر من القيام به ممن يعنيهم أمر هذا الاحياء

ومن شبابنا طائفة تفكر فى القيام بشيء من هذا وهى جديرة بكل تشجيع . أطلعني شابان على مايقومان به من عمل صالح في تبويب مواد لسان العرب ، أوسع المعاجم العربية وأغزرها مادة ، على نظام المعاجم الحديثة بحيث لا يتركان منه شيئاً ، وهما في نفس الوقت يراعيان الترتيب الذى يسهل الاهتداء لمن يريد البحث . وأحسبهما يطبعان باكورة مجهودهما الآن في مطبعة دار الكتب . وذلك خير لاشك فيه وسيكون له أثره في احياء اللغة العربية . فمتى تيسر للكتاب الرجوع الى هذا المعجم العظيم الضخم وسهل عليهم الوقوف على بغيتهم منه دون إضاعة لوقتهم،سهل عليهم اختيار الالفاظ الصالحة . أما اليوم فان الانسان قد يضيع في البحث في اللسان زمناً طويلا وقد يفوته أن يقف عندما يريد بعد أن يقرأ عشرات الصحف ، فيصده ذلك عن التصدي لمثل هذا البحث والعود اليه كرة أخرى . وميسرة اللغة لدى الكتاب وسهولة الوصول إلى ما يريد الكاتب منها في المعاجم له بلا ريب أثره في إحياء الآداب والعلوم

العمل الذى يقوم به هذان الشابان عمل جليل لا ريب . لكنه عمل من نوع آخر غير ما نطلب في شأن العلوم والآداب العربية القديمة . هو تبويب جديد لمعجم كامل ،وهو ضرورة تقضى بها اللغة . أما الذى نطلب نحن فيختلف من حيث إنه إما أن يكون دراسة لحياة مفكر وتفكيره وفلسفته ، أو تلخيص طائفة من كتبه وتقريبها إلى الاذهان على الطريقة التى يسيغ الشباب اليوم فى التفكير والعرض . و إذا ذكر الانسان أن هذه هي الطريقة التى قام عليها الاحياء الاوربى حين بعث علوم اليونان وفلسفتهم وتشريع الرومان وفقهم ، تبدى له مافي الاخذ بها من جليل الاثر . والحق أن التفكير العربي فى العصور الاسلامية الاولى قد بلغ حداً من النضج في مختلف فروع العلوم التي كانت معروفة في ذلك العصر ،حتى ليرى الانسان من الجناية على التاريخ الفكرى للامم العربية أن تبقى هذه النفائس مطمورة في بطون المكاتب وقماطرها ، لا يقف على ما فيها إلا القليلون الذين يلذ لهم هذا الوقوف ، دون أن يفيد جمهور المثقفين شيئاً منها . وأحسب أن من العار علينا أن يضع الباحثون من الغربيين مباحث قيمة في هذه الثقافة العربية القديمة ولا نعنى نحن من ذلك بشيء ولا نخرج فيه أثرا ذا

قيمة . ففيا خلا بعض رسائل قدمها طلاب فى الجامعة ، و بعض كتب قيمة وضعها أساتذة الجامعة ومدرسوها ، لا يكاد الانسان يعثر على مبحث ذى قيمة في هذه الناحية

ويجمل بى أن أقول إن الموضوع الواحد أو الكاتب الواحد لا يكفي فيه كتاب ليكون قد فرغ منه الى عشرات السنين . فالتفكير الحى دائم التطور ، وهو يضفي على الموضوعات ألواناً مختلفة كل حقبة قصيرة من السنين،حتى لتراك اذا رجعت إلى موضوع ودرست ما كتب فيه في أمة حية رأيت هذا الذى كتب وقد صوره بعد سنوات قليلة كثيرون ، وقد نظر الى الموضوع من جوانب مختلفة ، وأهملت منه بعض نواح كانت تعتبر ذات أهمية أساسية ، ثم ردت الى المحل الثاني ، وقد أضيفت اليه بحوث هدى اليها التفكير في ميدان قد يظن الناس بادىء الأمر أن لا اتصال بينه و بين هذا الموضوع . فحيثما يكون التقليد حياً متوثباً يسارع المفكرون إلى تسجيل نتائج ذلك كله في أمر التفكير الحديث وفي أمر التفكير القديم سواء . فأما أن يرغب الانسان عن موضوع ما لأن غيره سبقه إلى الكتابة فيه ، فذلك معناه خوف التقليد وخوف السطو على ما أنتج الغير . ولا يقلد ولا يسطو الا العقل الراكد الذى لايعرف كيف يثمر جديدا . فأما العقل الحى فيجد فى المزاوجة بين ما وضع الاقدمون و بين ما وصل اليه التفكير الحديث ما يزيده حياة وما يزيده خصباً وما يدفعه ليثمر جديدا يكون هذا القديم أساسه ، يثمر جديدا يصل به بين تفكير الماضي والحاضر ، فيبعث بذلك الى التفكير القومي من الاعتزاز بالسلف ومن الاعتداد بالنفس ما له أكبر الأثر في حياة الأمم

وقد دلتني تجر بتي الخاصة في السنوات الأربع الأخيرة على ذلك بوجه لعله هو الذى يدفعني الى أن أناشد الشباب وأن أناشد الاساتذة ليقوموا بهذا العمل الذي أدعو الى القيام به . فقد راجعت الكثير من الكتب التي وضعت عن مكة وعن الكعبة وعن النبى العربى عليه السلام ، وكثير من هذه الكتب قديم مما كتب في القرون الستة الاولى للهجرة . وأؤكد أن فى هذه الكتب ألواناً من التفكير وصورا من الأدب جديرة حقاً بأن تبعث . وليس فى مكنتى مع الشيء الكثير من الاسف أن أقوم أنا بهذا الاحياء فأنا فى شغل عنه بناحية أخرى من نواحى الاحياء لا أدرى ما يكون حظى من التوفيق فيها . فلو أن هذه الكتب وجدت من يقف عندها ومن يجلو جمال مافيها من أسلوب حديث وعلى طريقة علمية سواء فى النقد أو فى التاريخ ، ومن يستلهمها فى الادب ، إذن لافادت العربية من ذلك ثروة عظيمة

لست أريد بما قدمت أن أنكر ما عند كتاب العربية اليوم من نشاط في التأليف

وتفوق فيه . فلقد وضعت في هذه السنوات الأخيرة كتب قيمة جداً في مباحث مختلفة يمس بعضها هذا الذى أشرت اليه . من ذلك كتاب الاستاذ عباس محمود العقاد عن « ابن الرومى ـ حياته من شعره » ومنها كتاب الاستاذ زكى مبارك « النثر الفنى » ، وكتب أخرى شغلت بحكم الظروف عن إتمام تلاوتها . فالحق أشهد أن هذين الكتابين اللذين أشير ههنا اليهما من خير ما قرأت . وكتب أساتذة الجامعة ، من مثل كتب الدكتور طه حسين والاستاذ احمد أمين جديرة بكل اكبار . لكن ثمرات هذه السنين الطويلة إذا وقفت عند هذا الحد في الناحية التى أدعو للبحث فيها وإحيائها لم يكن ذلك حركة منظمة ذات غاية نريد تحقيقها ، وانما كانت جهودا فردية قد يظهر أثر من الآثار الصالحة بفضلها ثم تنقضي السنوات ولا يظهر بعد ذلك شيء ، فينسى الناس الحركة لذاتها ولا يعودون يفكرون فيها على انها احياء مقصود به الاحياء ، بل على أنها مجهود أدبي فردى يقدره الكتاب ثم يقفون عند ذلك لا يتعدونه

وكم أود أن يتضافر رجال الازهر البارزون مع رجال الجامعة في تنظيم هذا المجهود . فان من هؤلاء وأولئك من لو تعاونوا لنظموا حركة منتجة بفضله ، ولحملوا الشباب على متابعة هذه الحركة وتغذيتها وتقويتها . والشباب عمدة مثل هذه الحركات الثقافية والكفيل باستمرارها . وما أشك برهة في أن هذا الشباب اذا وجد التوجيه الصالح لافاد أكبر الفائدة . ولقد نعلم أن قوماً يريدون ان ينصرف الناس عن هذه الناحية وان يتوفروا بكل جهودهم على الغرب يأخذون عنه وينهلون من ورده . ولن يقول أحد للشباب : دعوا الغرب وآثاره ، وهو صاحب القوة الآن حتى في الدراسات العربية . لكن أحدا لن يجوز له أن يقول للشباب كذلك : دعوا تراث السلف حتى ينقب الغرب فيه ويظهرنا نحن عليه . فمثل هذه الدعوة معناها الواضح أنا لا نصلح بعد بأنفسنا حتى لاحياء تراثنا . ولو أننا كنا كذلك لما كنا جديرين بأية ثقافة ولما كان لنا أن نطمع فى احياء من أى نوع يكون

أفتثمر هذه الدعوة وأنا أوجهها على صفحات الهلال لأقطار العالم العربي المختلفة ؟ واذا بدىء هذا التنظيم للاحياء في مصر . فهل تتعاون فيه سائر الامم العربية ؟ أرجو هذا . فأنى أعلم ان مجمع دمشق يعنى به عناية كبيرة . وما أرتاب في أنه يلقى عناية فى مختلف الحواضر العربية . فلنعمل على ان تكون الطريقة في الاحياء بحيث تؤتى خير الثمرات فى اقرب حين . وانا الكفيل بعد ذلك بأن تكون لهذه الثمرات آثار أعمق وأبعد مدى مما يستطيع الانسان ان يتصور قبل ان تتحقق هذه الثمرات والآثار

محمد حسين هيكل

رسالة الأدب

ليست بالشيء المبتذل في الاسواق

بقلم الاستاذ عبد العزيز البشري

من الصِّيَغ التى يكثر دورانها هذه الأيام على أقلام المتحدثين في الفنون « رسالة الأدب أو الفن » و « رسالة الأديب أو الفنّان » ، تشيع هذه الصيغة في حديث المتحدثين في أسباب الفنون ، ويكثر دورانها على أقلام المتعلقين بالآداب منهم خاصة ، شأن كثير من الصيَغ والكلمات التى يعتمدها بعض الظاهرين من الكتاب لأداء بعض المعاني الطريفة يستحدثونها فى العربية استحداثاً . وهذا في القليل النادر ، أو يترجمون بها عن تعبيرات إفرنجية ، وهذا فى الكثير الغالب . وسرعان ما تنتضح بها الاقلام حتى لقد تنتظمها أقلامُ نشء المتأدبين من غير حساب إلى أن يملَّ بكثرة الابتذال . والى أن تفقد معناها بطول تدريتها ذات اليمين وذات الشمال ! . وإنك ماتكاد اليوم تشق صحيفةً من الصحف حتى تأخذ عينيك من جميع أقطارها كلمةٌ من هذه الكلمات الدائرة من نحو « القدر الساخر » أو « يا لسخرية الاقدار » . و « رسالة الأدب » أو « رسالة الأديب » ، وغير ذلك مما تراه فاشياً في رسائل بعض المتأدبين في هذه الأيام حتى يكاد يشيع فيك الاعتقاد بأن هذه الكلمات أو تلك الصيَغ المستطرفة هى مادة المقال وملاكه ، والغرض المقسوم بنظمه والتشمير في وضعه وإنشائه . وإن طلبت تعبيراً أبلغ دقةً وصراحة ، قلت إنك لا تخرج من النظر في بعض هذا إلا بالشعور بأن الكاتب لا يعنى من حديثه شيئاً ، وأنه لم يجتمع لتأليف مقاله ليؤدّى غرضاً لأنه لا يتراءى له غرض ، وان كل ما يريد من الأمر وما يملك أن يزجى طائفةً من الصيَغ والكلمات الطريفة التى أثرها عن بعض مشهورى الكتاب !

هذا عرض يدلك بنفسه على منجمه ، ويهديك ، في غير عسر ، إلى جوهر علته . وهى لا تعدو ، في الغاية ، إرخاص الأدب وتيسير انتحاله لمن شاء من أهون سبيل . وليس أدل

على هنا ولا أبلغ في الاحتجاج له من شيوع هذه الكلمة التي اتخذناها موضوعاً لهذا المقال أعني « رسالة الأدب » وكثرة دورانها على الأقلام !

***

وبعد ، فهل للأدب ، أو للفن على جهة العموم رسالة ؟ وما رسالته التي يحملها الأدباء أو الفنانون ؟

هذه كلمة ، فيما أعلم ، جديدة ، أعني أنها لم تقع لي في كل ماقرأت للمتقدمين . فاذا كانت مما سبقت بها الاقلام ولكنها لم توافقني في كل ما أرسلت فيه النظر ، فان علمي بها على ذلك هو الجديد

ومهما يكن من شيء فانه ما خفق معنى هذه الكلمة في ذهني إلا راعني وتعاظمني فأسرعت الى رده عنه وتوجيه القول فيه على لغو الحديث . وأحلته الى ذلك الضرب الشائع من الالفاظ في هذه الايام لا يضبط معنى من المعاني ، ولكنه يُبذَر على الطِّرس بذراً قصداً الى محضِ التزيّد والاطراف !

وقبل أن يتعاظمك مني هذا الكلام ويروعك ، أرجو أن تطيل النظر والتدبر في معنى « رسالة العلم أو الفن » وقولهم : « إن فلاناً أدى رسالة الأدب أو الفن » ، فانك إذا نزلت من فورك كما ينبغي على الحقائق اللغوية ، استحال عندك أن يكون لشيء من الأدب أو الفن أو ما يجرى مجراها رسالة يحملها الناس أو غيرَ الناس ، إنما يبرد البرد ويبعث الرسل من له عقل وإرادة ورأيٌ في تصريف الامور ، وليس للأدب ولا لسائر الفنون حظ من هذا ، بالضرورة ، كثير ولا قليل !

لم يبق إلا أن تعوذ بالتجوّز باللفظ والانحراف به عن أصل موضوعه ، وتصير به إلى المعنى الأشكل بمراد البلغاء ما دامت علائق المعاني تأذن لك بهذا التجوز والانحراف . وهنا يتمثل لك الفن في صورة العاقل المريد القادر على التدبير والتصريف . وتتمثل له رسالة يتقدم إلى الفنان بتبليغها إلى من يشاء أو إلى ما يشاء من العالمين . وأنت خبير بأنه ليس للفن ولا لغيره من هذه المعاني لسان يترجم به عما يريغ من فنون الاغراض . فكيف الحيلة في أن يتقدم إلى الرسل بتبليغ ما شاء من الرسالات ؟

اللهم إن له من أسباب البيان ، ما هو أفصح وأبين من تعبير اللسان . بل إن له على رسله من السلطان ما لا يقاس به سلطان ، إن له تلك السطوة الساطية التي تكره الفنان ا كراهاً

وترغمه إرغاماً على أن يؤدى رسالته لا يستطيع لامره معصية ولا يجد منه سبيلا إلى الفرار !

لقد تعتلج الصور الرائعة في نفس الفنان ، ولقد تزدحم فى صدره وتقوى وتشتد في طلب المفيض والمتنفس ، ولا تزال كذلك حتى تتفصد عنه ما يكاد يجد فى حقنها حيلة أو يكون له في تفصدها خيار ، فهو فى شأنها منفعل أشبه منه بفاعل ، إذا صح تعبير أصحاب الفلسفة في مثل هذا المقام . هذه رسالة الفن وكذلك يؤديها الفنان !

ليست رسالة الفن إذن شيئا من تلك الاشياء التى تتعلق بها إرادة المرء حراً تام الاختيار ، يوردها إذا اراد ، ويصدرها حيثما شاء ، ولكنها كما زعمت لك قوة قاهرة لا يكاد يكون له بموردها ولا بمصدرها يدان . بل إنه بمجرد أداة لتصرفها لأشبه منه بفاعل متأنق مختار . ولولا أنه إنسان يمشى ويريد ويتصرف فيما يتصرف فيه الاناسى لحق أن يضاف فى هذا الباب إلى خلق من ذلك الخلق الذى يصدر عنه كثير من أسباب اللذة والمتاع لا إرادة له فى شيء منها ولا تدبير ! . بل لقد يصدر عنه من ذلك ما يصدر ، ماله فطنة اليه ولا شعور به ولا إحساس ! . وليت شعري : هل يدرى الهزار بما يصنع ، ساعة يزجل ويسجع ، وليت شعرى : هل تجتمع له نية وأرب ، في ان يشيع في نفوس الخالين بترجيعه اللذة والطرب ، أم تراه اراد بتغريده وشدوه ، ما يذكي من لوعة الصب ويهيج من وجده وشجوه !. وهذه الزهرة أتحسبها قد أشرقت لتتبهج لعين الناظر ، وتنفست بالشذا لتنفث السحر في انف العاطر[1] ؟ وقل مثل هذا في البدر إذا تألق ، وفي الغدير اذا ترقرق . فإذا صدرت عنها روائع الآثار ، فما كان لشيء منها هوى فيه ولا خيار

ومما يتصل بهذا المعنى ما زعمته في بعض مقامات الكلام[2] من ان من الشعراء ، واعنى بهم بالضرورة من يستحقون هذا الاسم ، من تتخطى شاعريتهم أفق مداركهم ، فتراهم يصيبون من المعاني ما لا تتعلق به ، فى العادة ، اذهانهم ، حتى لو راجعتهم في بعضها ، وقد آبوا إلى انفسهم ، لاحتاجوا في تفهمها الى مطاولة وجهد في الاستخبار !

ذلك بأنهم لم يصنعوا مثل ذلك الشعر صنعاً ، ولا جاءت روعته من التشمير فى التجويد والافتنان ، ولكنه فيض يفاض على الشاعر من عالمَ الغيب فيتحرك به لسانه ، أو تجرى به على الطرس بنانه ، لا أقول نزل به جبريله ولكن وسوس به شيطانه !

ولعل هذا المعنى يفسر لنا ما كان يزعم العرب من أن لكل شاعر شيطاناً يُلهمه الشعر

(١) العاطر : المحب للعطر (٢) راجع ما كتبناه عن المرحوم شوقى بك فى كتاب « المرآة »

ويفيض به عليه ، كأنه حين تعاظمهم أن يقع للشاعر من فنون المعاني ما لا يتسق ، في العادة ، لفكره ، ولا يتعلق به ذهنه ، راحوا يلتمسون المصدَر من عالمَ الغيب ويَصلونه بما وراء آفاق الحس ، ففرضوا لكل شاعرٍ شيطاناً يُسدى بدائع الكلم اليه ، ويفيض بروائع الحكم عليه ! والله أعلم !

* * *

وبعد ، فليس هناك شك في أن زعم العرب ذاك خرافة من الخرافة . ثم لقد ترانا من ناحية أخرى قد غلونا في توجيه كلمة « رسالة الفن » على المعنى الذى وجهنا ، وأن أمرها أرفق من ذلك وأهون . وليكن لك ، في هذا ، من التقدير ما تحب ، على ألا تبالغ في ارهاق الافهام ولا تغلو في النشوز على ذوق الكلام . فانك مهما تجهد فى الأمر وتتلطف فى الاحتيال له لواجدٌ للفن رسالة يريد ، على أية صورة من الصور ، وبأية كيفية من الكيفيات تبليغها للناس ، أو على الاقل لمن يجرى منهم على عرق فى ذلك الفن . وأن هذا الفن قد أصطفى من بين أهله فلاناً ليبلغ رسالته ففعل

ليكن لك ما تريد من تصوير الكيفية التى يحمل بها الفن اولئك المصطفين رسالته ، ويقتضيهم أداءها الى من بعثوا فيهم من العالمين — فانك على ألين تقدير لتجد الخطب جليلاً كل جليل !

* * *

رسالة الفن ! — هذه لعمرى كلمة إذا كان لها مدلول يتصل بالواقع ، فمدلولها على كل حال غال ثمين ! . تالله ما كانت رسالة الفن إذا حق ان يكون للفن رسالة ، بالشيء المرتخص المبتذل فى الاسواق يشتريه من شاء باوكس الاثمان . ولا هو باللقى [1] على عذارى الطريق يتناوله من شاء ويطرحه في حيثما اراد !

رسالة الفن ! — كلمة كبيرة سواء اجرت على معنى استحداث الاحداث فيه ، ام على معنى إيتائه بجليل مطالبه ، ام تجليته في أبرع صوره واروعها — ليس مدلولها الجد ، على أى معنى من هذه المعاني وجهته ، بالذى في يد المتناول ولا بالذى على طرف الثمام [2] كما يقولون . إنما هو شيء شامس [3] عصى لا يذل ولا يسلس إلا لمن آثره الله تعالى بالمواهب العظام !

---

(١) اللقى بفتح اللام والقاف : الشيء الملقى المطروح (٢) الثمام بضم الثاء : نبت ضعيف لا يطول . كلمة تقال للشيء السهل اليسير الذى لا يتطلب الحصول عليه أى جهد (٣) الشامس : الممتنع الأبى

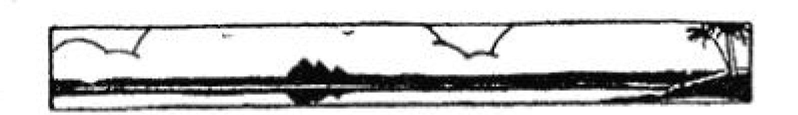
هنا يخيل إلى القارىء الجاد الذى لا يعرف ان الالفاظ قد تعبث وان الصيغ قد تعربد، ان مصر قد استوى لها في هذا العصر آلاف من العبقريين الذين اصطفتهم الفنون لأداء رسالتها فأدوها على خير الوجوه . وما للقارىء الجاد ، او على الصحيح القارىء الذى يقدر الجدَّ فى جمهرة الكاتبين ، لا يرى ، على هذا ، أن مصر كما تخرج الحَبَّ وتجود بالقطن ، أصبحت كذلك تخرج ، ولكن عفواً بلا بذر ولا سقى ولا تعهد ، آلاف العبقريين الذين يحملون الى العالم رسالات الفنون ؟ وكيف لا يرى هذا وهو لا يبسط بين يديه صحيفة إلا زحمَ نظره أسماء الحشد الحاشد من هؤلاء الموهوبين الذين يشتعبون أقطار البلاد حاملين بريد الفنون إلى أصحاب الفنون! . على أنك لو اطلعت على كثير من هذه الصحف المنزلة على أولئك الرسل ، بل لو قد اطلعت على أكثرها الكثير ، لما شككت في ان الالفاظ قد انحرفت عن معانيها بقدر كبير ، حتى إننا لو اطردنا في إجالة مثل هذه الصيغ ، سنصبح بعد قليل من الزمن في أشد الحاجة إلى نقض معجماتنا اللغوية لنقيم من جديد كلَّ لفظ بإزاء معناه الطريف . وإلا اضطربت الافهام ، واختل ميزان الكلام !

***

لقد قلت في بعض هذا المقال إن العلة في هذا لاتعدو ، في الغاية ، ارخاص الأدب . ولقد تعلم أن هذا الادب قد تيسَّر انتحاله لمن شاء . وحسْب المرء في تقلده ان يتكثر في المقال بطائفة من تلك الألفاظ والصيغ الطريفة الدائرة . وما دام هذا سبيل المرء إلى ادعاء الادب وانتحاله فلا شك ، على هذا القياس ، في ان الترقي إلى مقام العبقرية وحمل رسالة الأدب انما يغني فيه ان يطبع كلاماً منثوراً او منظوماً يذهب به الى اى غرض او لا يذهب به الى غرض البتة . وله بعد هذا ان يضفي عليه ما شاء من النعوت والألقاب ، وان يستحيل فى طرفة عين من حملة رسالات الفنون والآداب!

فاللهم اذا كان هذا هكذا ـ وهو كذلك مع الاسف العظيم ـ فويل للآداب وويل للفنون في هذه البلاد

عبد العزيز البشرى



الانتقام

بقلم الامير مصطفى الشهابي

ثار منذ زمن قريب حوار بين بعض الادباء في مصر والشام حول شيوخ الادب وشبانه . وقد ترجم العالم الجليل الامير مصطفى الشهابي هذا المقال لهنري لافدان أحد أعضاء مجمع اللغة الفرنسي . وهو يصف نزق الشباب وطمعهم القذع على من سبقوهم من شيوخ الادب دون أن يفكروا أنهم سيهرمون مثلهم في مستقبل الأيام ، وأنهم سيكونون هدفاً لسهام أمثالهم من كتاب النشء الجديد . وقد ترجمه الامير مع تصرف في اسماء الاعلام . وليس يرى في ذلك الى نصرة فريق على فريق ، فانه يعتقد أن ليس في الادب قديم وحديث ، وليس بين الادباء شبان وشيب ، وانما الاديب بجهده وأثره ، لا بعدد سني عمره

« قاسم » له من العمر ٣٩ سنة

« هشام » بلغ السبعين من العمر . عضو في مجمع اللغة

كان الاثنان جالسين في غرفة المطالعة في دار هشام يصطليان بالنار ويتحدثان

***

هشام ـ إتكل عليَّ يابني فسآخذ بيدك ولن أخذلك أبداً

قاسم ـ آه ياسيدي !

هشام ـ أنا أتقصى منذ ست سنين كل ما تسيل به يراعتك على القرطاس وقد استيقنت أن فيك خصائص الكتاب المبدعين

قاسم ـ استغفر الله ياسيدي

هشام ـ وروايتك الاخيرة التي عنوانها « رجل شريف » تكاد تكون آية في بابها . ولو نسبت إليَّ لما كانت دون مؤلفاتي السائرة

قاسم ـ شد ما تخجلني ياسيدي وأنت الكاتب العظيم ، بل أنت صاحب الروايات الخمس والعشرين التي رسمت فيها أبدع الرسوم الادبية في عصرنا هذا

هشام ـ لم ينته حديثي . فاعلم أن لديَّ سراً سأفضي به اليك

قاسم ـ لا تخف عليه يا سيدي

هشام ـ وهو ألذ على قلبك من إطرائي لك . فهلا حزرت ما هو ؟

قاسم (مرتعشاً) ـ لا أجرؤ على الجواب

هشام ـ تشجع فقد كدت تدرك ما في نفسي . إننا ذكرنا اسمك بجد في المجمع اللغوى . فماذا تقول ؟ ولماذا صمت ؟

قاسم ـ أراني سعيداً جداً . ولعل ذلك ما عقل لساني عن الكلام

هشام ـ نعم إن علياً الهادى أحد رفاقنا في المجمع وأحد المعجبين بك قال بالحرف الواحد : « إذا ظل قاسم الفتى عاقلا ومكباً على العمل فليس ببعيد أن اقترح ضمه الينا قبل مرور سنتين »

قاسم ـ أو قال ذلك هذا الرجل الصالح ؟ أنا يا سيدى أسعد خلق الله بهذه الثقة . ومما يزيدنى اغتباطاً إعجابك أنت خاصة بما أكتبه . وهو أكبر عزاء لى أمام المثبطات الجمة التى كادت تقعد بي عن العمل

هشام ـ أو يوجد مثبطات لمن هم في سنك ؟ فما هى هذه المزعجات ؟ وهل لك أن تطلعنى عليها ؟

قاسم ـ آه ياسيدي الأديب الكبير ! أنهم يتحاملون علي كل يوم في الجرائد بل يحملون اسمى و يلقون به فى حمأة الاقذار بلا روية ولا تعقل ولا هوادة

هشام ـ هذا شيء عجيب ! ومن هم أخصامك ؟

قاسم ـ الشبان ياسيدي . عصبة الشبان من الكاتبين والكويتبين

هشام ـ هذا أمر يدق عن الفهم ! فأنا أرى أنهم يجب أن يغتبطوا بعملك ويسروا لنجاحك و يقتدوا بك في أعمالهم حتى يكونوا أشباهك أو حتى يبذوك ، فلست إلا شاباً مثلهم بل أنت ما تزال بنظرى فتى صغيراً فما سن التاسعة والثلاثين ؟ وماذا يبتغى هؤلاء الشبان ؟

قاسم ـ أشاطرك هذا الرأي . ومع أن سنى على ما ذكرت فهم لا ينفكون عن الطعن فيَّ في كل فرصة تلوح لهم . فأنا بنظرهم من الشيوخ ، لأ ننى فقتهم في معترك الاقلام وشهرت لدى جمهور القراء وصارت كتبى تباع كالخبز . فلهذا حل لهم دمى

هشام ـ ولم لا تدافع عن نفسك ؟

قاسم ـ الدفاع ضرب من العبث يا سيدي لأن لهم في الطعن أساليب وحشية دنيئة قذرة يستغرب الانسان كيف يعمدون اليها تجاه أخيهم الأكبر الذى كان لهم البارحة صاحباً وصديقاً !

هشام ـ صدقت يا صاح . فطريق المجد وعرة . ولا بد دون الشهد من ابر النحل . ومع هذا ليس ما تشكو منه شيئاً جديداً بل هو شيء قديم

قاسم ـ دعني يا سيدي اعترض على جملتك الأخيرة . فقد كنت أنا مثلا أحمل على الادباء أحياناً عندما كنت في المدرسة أو بعيد أيام المدرسة ، ولكن . . .

هشام ـ أنا لا أعرض بك ولا أعنيك فيما أقول

قاسم ـ . . . ولكن قلمي ما قسا هذه القسوة الفظيعة . أما شبان اليوم فأهون شيء لديهم السب . وقد تفننوا به وشكلوه أشكالا ولونوه ألواناً ورمونا به في أحط ألفاظه واتخذوه رياضة لاقلامهم . فأين النقد اللاذع الشريف الذي كان يستعمل في غابر الأيام من هذا الشتم الواطيء القبيح ؟

هشام ـ على رسلك يا فتى . خفض عليك واعلم أنك قد بعدت عن محجة الصواب . فالذئاب التي تسطو عليك اليوم ليست بأضرى من أشباهها في أيامي حتى في أيام أبي ، بل كلها سواسية . وليس الشتم الوجيع الذي يشتمك به شبان اليوم بأقذع مما كان يصبه أقرانهم عليَّ في أيامي الغابرة . وما أشبه الليلة بالبارحة !

قاسم ـ ربما كنت تبالغ يا سيدي

(وفي هذه الأثناء وقف هشام وتناول دفتراً كبيراً من خزانة الكتب)

هشام ـ لا يا صاحبي . أنا لم أخطيء المقارنة بين الشبابين . والدليل على ذلك هذا الدفتر فقد جمعت فيه كل مقالات الشتم التي تنفضل بها الشبان منذ أربعين سنة الى يومنا هـذا . فعدد هذه المقالات كبير ، ومنها ما جاء آية بفاحش الكلام . (يقلب صفحات الدفتر) وهاك واحدة منها مثلا كتبها صاحبها منذ ست عشرة سنة وهي من خير الادلة على صحة ما أقوله لك . أما عنوانها فهو : « جاهل لا كالجهال » ومن البديهي أنني أنا المنعوت بهذا العنوان

قاسم ـ آه ! هذا شيء فظيع ! أو كانوا يستعملون هذه العناوين في تلك الأيام ؟

هشام ـ نعم . ولكن تربص ولا تستهجن العنوان فهو لا يعد شيئاً مذ كوراً إذا قيس بما حواه متن المقال . ولما كان هذا المقال طويلا ضربت صفحاً عن معظمه فلا أقرأ الا الجمل الآتية التي وردت في آخره . (يقرأ) :

« ان شهرة المسمى هشاماً أسطع دليل على حماقة البشرية . ومن مخازي هذا العالمَ أن يبرز فسكل من العدم كهذا الكويتب الذي لا لون ولا شكل ولا لحم ولا دم في انشائه ، وأن لا تعجب به طبقة الطهاة والبوابين وحدها ، بل يعجب به أيضاً جمهور القراء المثقفين ، وأن ينال حظوة لديهم وأن يمنح وساماً عالياً وان تحدثه نفسه بأن يكون عضواً في المجمع اللغوي ...

حقاً إن هذا لعار الأبد . فعلى كل انسان أن يعرف وأن يردد وأن يصرخ عالياً بملء فيه على ملأ من الناس: إن هشاماً هذا لا قيمة له البتة وإن القصائد التى اشتهر بها والتي عنوانها « الدموع الذهبية » ليست من نظمـه ، فقد اشتراها بماله لانه غنى (ويتساءل الناس كيف اتصلت به هذه الثروة) ولانه اشترى ضمائر بعض الجرائد الكبيرة فأخذت تكيل له المدائح جزافاً على حين أنه ليس سوى جاهل يمدحونه لماله »

(يقف هشام ثم يقول) : كيف رأيت هذا الطعن ؟ وهذه السلاطة ؟

قاسم (متأثراً) ـ هذه دناءة . ولا شك يا استاذ أنك ألقمت صاحب المقالة حجراً

هشام ـ لا !

قاسم ـ ألم تتعرض له ؟ ألم تدعه الى البراز ؟ ألم تقتتلا ؟

هشام ـ لو اتبعت هذه الخطة لوجب على أن أمضى كل أيامى في قتال الناس من الصباح الى المساء . ولست كما تعلم عنترة العبسى فى حومة الوغى

قاسم ـ اذن نمت على هذه الشتائم ولم تأت عملا ما ؟

هشام ـ لا . لم أنم بل قمت بعمل يذكر

قاسم ـ ما هو هذا العمل ؟

هشام ـ داومت على مطالعة كتب الأدب وعلى اتقان الانشاء وعلى الكتابة والتأليف

قاسم ـ آه !

هشام ـ نعم هذا هو جوابى عن كل الشتائم التى يوجهونها الىّ . وهذا هو سلاحي . ولست أملك سلاحاً أمضى منه

قاسم ـ ولكن من هو هذا الوغد الحقير الذي بلغت به الجرأة هذا المبلغ ؟

هشام ـ أتعنى الذي كتب هذا المقال ؟

قاسم ـ نعم

هشام (متراخياً) ـ لا فائدة لك من الاطلاع على اسمه . فلنغلق هذا الباب

قاسم ـ هل هو ممن أعرفهم ؟

هشام ـ بلا ريب . ولو أسميته لك لدهشت كل الدهش

قاسم (متخابثاً) ـ أتراه أحد أصدقائى ؟

هشام ـ لا تلح كثيراً

قاسم ـ أرجو منك يا أستاذي . . .

هشام ـ لمَ الالحاح ؟ وماذا تبتغي من ورائه ؟

قاسم (مندفعاً) ـ أريد أن أنتقم لك منه

هشام (يريه امضاء صاحب المقالة) ـ اذن انتقم لي منه

قاسم (يقرأ الامضاء ويصرخ) ـ لا ! هذا مستحيل !

هشام ـ بلى يا سيدى

قاسم ـ هذا مستحيل ! هذا مستحيل !

هشام ـ كيف يكون ذلك مستحيلا ؟ فالامضاء « جهينة » وجهينة هو الاسم المستعار الذي كنت توقع به مقالاتك !

قاسم ـ أنا لم اكتب هذا المقال وكاتبه رجل آخر

هشام ـ لا . لم يكتب أحد غيرك بامضاء « جهينة » في تلك الايام . فجهينة البارحة وقاسم اليوم شخص واحد مع ست عشرة سنة من الفرق ليس غير

قاسم ـ ولكن لو كنت صاحب المقال لتذكرته . انني لا أتذكر شيئاً البتة

هشام ـ المرء ينسى اضراره بالناس أيها الفتى ، كما ينسى فضل الناس عليه . أرى الدمع يترقرق فى عينيك اتراه دمع الغضب أم دمع الاستحياء ؟

قاسم ـ دمع الغضب والخجل والندامة وكل شيء

هشام ـ هل حنقت على ؟

قاسم ـ أقل من حنقي على نفسي (يقوم) انا ذاهب دون ان اتمكن من الاعتذار لك

هشام ـ تقبلت عذرك يا بني فلا تذهب . لقد اثر فيك هذا القصاص اشد التأثير وليس الذنب ذنبي . نحن الشيوخ الجهلاء نعتقد بالله . فاعجب لما صنعه بك انتقاماً لى . لقد بعثك الىَّ متوسلا ان اقبلك في المجمع ولما يمض سوى ست عشرة سنة على شتمك اياى . وكنت بلا ريب تبغضنى في ذلك الزمن وكنت تتمنى لى الموت . واغرب من كل هذا انك لا تتذكر شيئاً من هذه الامور لان سخرية الاقدار شاءت لك ان تنساها . اما اليوم فانك تحبنى مخلصاً وتشكو إلى قساوة الشبان والصاقهم بك ما لم تتورع ان تلصق مثله بمن سبقوك . فقل لى ألا تدعو هذه الحال إلى التأمل ؟ وهلا فكرت بالضرر الذى يحيق بك وبالناس من

مثل هذه الاقوال والافعال . وأى فائدة من ورائها وهى لا تذهب إلا هدراً ولا تكون إلا مضيعة لأعز أوقات الشباب

قاسم — صدقت ياسيدى . ولا جواب عندى أجيبك به . وعزائي الوحيد أن عقلك الواسع حال دون اهتمامك بعمل دفعت اليه جهلة الفتوة وصبوتها . وأنا موقن أنه لم يصبك شيء من هذه الشتائم التى لا قيمة لها وأنك لم تشعر بشيء منها . أليس كذلك ؟

هشام — أما أنا فلم أشعر بها كما قلت . ولكن هنالك من كان شديد الشعور بها كثير التألم منها . آه ما أطيش الشباب وما أقساه ! فهو إذا حمل على انسان حملته الشعواء لا يفكر بمن يحيط بخصمه من الاشخاص الذين تصيبهم ضرباته دون أن يستهدفوا لها ! هو لا يفكر بالنساء والبنات والامهات ممن يقرأن هذه المقالات فيبكين لها

قاسم — أوه ! أظن أن الامر لا يبلغ بهن هذا المبلغ

هشام — كيف لا ! أوتدرى أن كل هذه المقالات التى تراها في هذا الدفتر كانت جمعتها ابنتى التى هى فى سنك ؟ وأنها هى التى قطعتها من الجريدة وصنفتها و بوبتها والصقتها بالدفتر المذكور ، وأنها كانت تفعل ذلك ليلا على ضوء المصباح وهى اشد ما تكون غضباً وحزناً ، وانني لم اتمكن من تخفيف ألمها إلا بعد لأى ، فلقد رأت على كر الايام ان هذه المقالات كانت تذهب كأمس الدارج بلا جدوى فاعتادتها والفت عدها من مهملات الشئون ؟

فيابنى ينبغي لك أن تثق بى . فسأتقدم بك الى المجمع اللغوي وسأجعلك تتخطى ابوابه لان فيك خصائص الكتاب المبدعين . وستكون اذن من الخالدين ولكنك لن تكون من المعصومين ، إذ العصمة لله وحده مصطفى الشهابي

يا بائع الصبر لاتشفق على الشاري	فدرهم الصبر يسوي الف دينار
لا شيء كالصبر يشفى جرح صاحبه	ولا حوى مثله حانوت عطار

ناصيف اليازجي

الحرب..!
بين الصحف والكتب

بقلم الاستاذ احمد أمين

«... خير الأمم أن تظل هذه الحرب قائمة أبداً ، وأن يكون النصر سجالا أبداً ، وألا ينتصر احدهما انتصاراً يبيد الآخر ، فذلك ادعى الى أرباب الصحف والمجلات أن يمثلوا التحسينات على صحفهم ومجلاتهم دائماً ، والى مؤلفي الكتب أن يتملقوا العقول بوضع مؤلفاتهم في شكل سائغ واسلوب مقبول .. »

هنالك حرب عوان بين الصحف والمجلات من ناحية والكتب من ناحية أخرى ، وهذه الحرب لا نراها ولا نشعر بها ، لانه ليس لها صليل السيوف ولا دوى القنابل ، ولكنها مع صمتها شديدة قوية ، يراها المفكر ويرتاع لمنظرها ، ويعجب من هجومها ودفاعها ، هي أشبه ما تكون بالحروب الاقتصادية ، كالحرب بين السلع اليابانية والسلع الاوربية ، وكالحرب بين الثقافة الانجليزية والثقافة الفرنسية ، تغيب عنك في كثير من الاحيان وسائلها ، ولكن تبدو ـ في وضوح تام ـ نتائجها

والحرب بين الصحف والكتب تدور على القراء ، فهم ميادين القتال ، وهم المستعمرات التي تحاول كل ناحية أن تشملها بنفوذها ، وتبسط عليها سلطانها ، وتأخذ صكا عليها بالاحتلال أو كما يعبرون عنه باللغة الحديثة « الانتداب »

هناك طائفتان خرجتا من دائرة النزاع ولا أمل للصحف ولا للكتب أن تستولى عليهما استيلاء تاماً ولا أن تغير مجراهما ولا أن تكسبهما في حربهما ، وهما الطائفة المثقفة ثقافة دنيا ، والطائفة المثقفة ثقافة عليا ، فأما الاولى فقد احتلتها الصحف والمجلات وكسبتها كسباً نهائياً ، وهم بهذا الاحتلال راضون مطمئنون لا يضجون بشكوى ، ولا يرفعون احتجاجاً ، ولا ينادون باستقلال ، وقد يئست منهم الكتب وأخرجتهم من منطقة نفوذها ، واعترفت بهزيمتها أمامهم هزيمة منكرة ، هؤلاء هم طبقة العمال ومن في درجتهم ، وتلاميذ المدارس الذين لم يتموا دراستهم ، والطبقة الغالبة من الآنسات والسيدات المثقفات إلى حد ما . وأما الطائفة الاخرى وأعنى بها المثقفين ثقافة عليا فلا غنى لهم عن الكتب لانهم يرونها غذاءهم الدسم وعمادهم في حياتهم

الفكرية ، وهي التي تحقق مطالبهم ، وتحاول أن تحل لهم ما يعرض لهم من مشاكل عقلية ، وهؤلاء أمثال رجال الجامعات والقضاة والفلاسفة والادباء والعلماء ومن يتصل بهم ، ومن ينهج منهجهم ، ويعد نفسه للوصول الى درجتهم ـ وهم يقرأون الصحف لاخبارها والمجلات لطرافتها. واعتمادهم الحقيقي في علمهم وأدبهم على الكتب غالباً

وبين هاتين الطبقتين طبقات لاعداد لها هي محل الحرب بين الصحف والكتب وهي موطن النزاع ، وهي الغرض الذي يرمي اليه كل للاستيلاء عليه . والحرب على هذه الطوائف سجال ، يوم تنتصر المجلات والصحف فتشعر الكتب بالفشل ولكن سرعان ما تتخذ التدابير للهجوم ، ويوم تنتصر فيه الكتب فتشعر الصحف بلذعة الهزيمة ثم تستعد الوثبة ، وهكذا دواليك

ولكل جبهة من هذين المعسكرين وسائل للقتال وآلات للحرب ، تقوم لها مقام الطيارات والغواصات والدبابات والغازات الخانقة في الحروب البدنية ، وأنا أسوق لك طرفاً قليلا من هذه الوسائل :

فالصحف أخذت من جانبها تعد صفحات فيها لانواع الثقافة المختلفة ، فصحيفة للادب ، وصحيفة للعلم ، وثالثة للاقتصاد ، ورابعة للقانون وخامسة للفن وهكذا ، تريد بذلك أن تغني القراء عن الكتب ، وتملأ شهوتهم للمطالعة والقراءة ، ثم هي تجتذب اليها أعلام الكتاب والادباء والعلماء وتطلب اليهم أن يوافوها بفصول من علمهم وأدبهم حتى يقبل القراء على صحفهم، ويرووا لذائذهم من قادتهم ، فلا يحتاجوا بعدها إلى الكتب ، ثم هم يثيرون النزاع بين الكتاب في مسائل هامة ويوقدون النيران ليزيدوا الحرب اشتعالا وهي كلما اشتدت نيرانها كثر قراؤها وانقسموا قسمين أو أقساماً ، وتشيعوا شيعاً . فهذا مؤيد وهذا مفند ـ والخسران في كل ذلك على الكتب

والمجلات من جانبها تحارب الكتب بشتى الوسائل ، فأحياناً تستغل شهوة الجمهور بالكتابة في النواحي الحساسة فيهم ، فتقدم لهم ما يشتهون ، وتعلمهم منها ما يجهلون ، وأحياناً تسلك سبيلا أشرف من هذا فترفع مستواها ، وتصل إلى حد الكتب في بحثها أو خير منها ، وتقدم لقرائها صوراً جذابة وخرائط مبينة ، فتستهوي القراء ، وتجذبهم إلى مطالعتها ، ويجدون فيها من التنوع والتعرض لشتى الموضوعات ما لا يجدونه في كتاب ، وأحياناً ترقى الى أكثر من ذلك كالذي نجده في الغرب من مجلات دورية للجغرافيا وللتاريخ وللطبيعة والكيمياء وللاخلاق

والاجتماع وهكذا ، يعكف على الكتابة فيها خاصة الخاصة ، ويفخر العالم بأن المجلة قبلت مقالته فنشرتها ، ويجد فيها القارىء أرقى ما وصل اليه العلم من نظريات ومكتشفات ، فهي من هذه الناحية سمت على اكتاف الكتب وحلقت فوقها

هذا قليل من كثير من حرب الصحف والمجلات للكتب . وأما حرب الكتب لها فأكبر مظهر لذلك ما نراه سائداً في عصرنا من محاولة المؤلفين الوضوح والابانة ليصلوا بمعلوماتهم إلى اكثر الاوساط وأقلها ثقافة ، واحتيالهم في أساليب الكتابة ، حتى يتعرضوا إلى أعقد المسائل وأعوص المشاكل فيعرضوها في شكل لذيذ جذاب فتشعر كأنك تقرأ قصة أو تستمتع برواية ، ثم هم يشوقون القارىء بشتى الاشكال فيسمون الكتاب « قصة الفلسفة » أو يسمون كتب التاريخ « قصة الامم » ونحو ذلك ، ثم يودعون الكتب من الصور الملونة للمناظر العامة والاشخاص وعظماء الناس ما يسهل عليك دفع الثمن واقتناء الكتاب ، وهم من حين لآخر يهاجمون المجلات باخراج الكتب على شكل مجلات دورية فيخرجون « دائرة معارف الاطفال » عدداً في كل خمسة عشر يوماً ويستمرون فى ذلك سنوات ، حتى اذا فرغوا من ذلك عجبت أن أصبح لديك كتاب ضخم فى عشرة مجلدات أخذته بشكل مجلة ، فاذا انتهوا من ذلك عمدوا الى كتاب آخر عنوانه « خلاصة العقائد الحديثة » ومن هذا القبيل كثير

وبعد — فأى ذلك خير للامم ؟ أن تنتصر في هذه الحرب الصحف والمجلات أم أن تنتصر الكتب ؟ وماذا أفادت هذه الحرب ؟

الحق أننا استفدنا كثيراً من هذا النزاع ، وتحققت به الرغبات المختلفة ، فان صعبت قراءة الكتب في أوقات الرياضة وحين الانتقال من مكان الى مكان فى الترام أو في القطار أو البواخر ، فالمجلات والصحف أوفى بتحقيق هذا الغرض ، يسير ثمنها ، سهل حملها ، خفيفة موضوعاتها

وان صدعتنا الكتب أحياناً بما فيها من ثرثرة ومن صفحات لا قيمة لها ليست إلا تمهيداً سقيماً لفكرة قد تكون سقيمة ، فقد نجد فى المجلات المحترمة عصارة مركزة لافكار قيمة ، هى خلاصة لشىء كثير وضعت في برشامة

وان أفرطت الكتب فى الالتفات الى الوراء بالبحث عما قبل التاريخ وما بعد التاريخ وثورات الامم وحروب الاعداء وسيرة الملوك والخلفاء والامراء ، فالصحف كفيلة أن تلفتنا كثيراً الى الحاضر ، وتضع يدنا على الواقع ، وتقفنا على العالم الذى نعيش فيه ، وتعرض علينا

مشا كلنا الحاضرة . وعقول المفكرين الاحياء في حلها

وان غلت الكتب فى اكثر الاحيان فى عرض النظريات العلمية والادبية في شكل جاف وأسلوب بغيض فالصحف والمجلات تأخذ على عاتقها أن تصوغ ذلك كله صياغة أدبية فيها كثير من الخيال الشعرى وفيها كثير من لباقة الادب وطرافته

ولئن كانت الكتب ارستقراطية في جميع نواحيها ، ارستقراطية في ثمنها ، ارستقراطية فى معلوماتها وموضوعاتها، ارستقراطية في قرائها، فالصحف والمجلات ديمقراطية فى كل ذلك ـ ومن أجل هذا انتشرت الصحف والمجلات وانتصرت في عهد الديمقراطية وكانت الكتب في أوجها وعزها في عصر الارستقراطية

ولكن من الحق أن نحتفظ بارستقراطية الكتب وارستقراطية العقول التى تتطلبها ،فهؤلاء الديمقراطيون الذين يقرءون ، وهذه الصحف والمجلات الديمقراطية تعيش وتنتشر وتتغذى بهؤلاء الارستقراطيين الذين عاشوا على الكتب وأنتجتهم الكتب

في الصحف والمجلات عيوب لا تصلحها إلا الكتب . ذلك أن الصحف والمجلات بحكم ديمقراطيتها وملابستها للجمهور ومراعاتها اكبر عدد ممكن من المثقفين تضطر الى تخفيف ما يتقطر من المعلومات الى الشعب ، فهى ان صلحت غذاء للعقول العادية والعقول المثقفة ثقافة واسعة غير عميقة فلا تكفي وحدها للعقول القوية والعقول الشرهة والعقول التى تحترف هضم الافكار وتتطلب دائما أفكارا جديدة وأفكارا عميقة وتتطلب أن تلم بالشيء من جميع نواحيه وبالنظريات في أطوارها المختلفة وهي لا تجد ذلك إلا فى الكتب

خير للامم أن تظل هذه الحرب قائمة أبدا ، وأن يكون النصر سجالا أبدا ، وألا ينتصر أحدهما انتصارا يبيد الآخر ، فذلك أدعى الى أرباب الصحف والمجلات أن يدخلوا التحسينات على صحفهم ومجلاتهم دائماً ، والى مؤلفى الكتب أن يتملقوا العقول بوضع مؤلفاتهم في شكل سائغ وأسلوب مقبول

وان مما يؤسف ـ حقاً ـ ألا تكون في الامة طبقة كثيرة العدد تعتمد في غذائها على الكتب بجانب المجلات والصحف فذلك دليل على ثقافة خفيفة ، ووقت في الحياة العقلية قصير . كما يؤسف ألا يكون لأغلب الامة حظ في قراءة الصحف والمجلات يشعرها بحاضرها ويقدم لها الغذاء الضرورى لفكرها !

احمد امين

في نشوة الروح

الشوق عند المتصوفة *

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقي

المتصوفة فى جميع الأزمان تغلب عليهم نشوة روحية ، فهم فى شبه غيبة عن عالم الحس ، مستهلكون فى شوق غامض الى التجرد عن أشخاصهم والأندراج فى حقيقة كلية عليا ، هى الله المحيط بكل شيء . ومعلوم أن الكافة من المتصوفة المسلمين فى كلامهم عن الله يعنونه دائماً بقولهم : « الحق » ، ويعرفون المطلب الأسمى الذى ينشده السالك فى طريقهم بأنه « الفناء فى الحق »

وهذا الشوق يأنسه فى نفسه كل من ينظر الى الوجود نظرة المتصوفة أو بعبارة أصح يحس به احساساً تصوفيا ، لان التصوف إحساس أكثر منه عقيدة . ومن ثمة كانت وجهتنا وجهة المعنى مع تعميم القول من غير تقيد بمصطلح أو تعرض لمختلف الطرق

فالوجود كله صادر عن الله . ويسمون هذا الصدور بالتجلى . وتتجلى وحدانيته سبحانه فى خلائقه التى لايحصى كثرتها إلا هو . فهو حقيقة الحقائق وعين الوجود ، ومنه كل موجود من شاهد ومشهود وروح ومادة ونور وظلمة . وكما أن حركة التنفس شهيق وزفير ، وحركة القلب بسط وقبض ، وكل فعل من الافعال له رد . فكذلك هذا التفصيل فى الخلائق المترتب على الايجاد فانه لايفتأ متطلعا الى الاتحاد . وناموس الحب هو السائد فى عوالم الروح والنبات والجماد أيضا حيث يتبدى فى صور مختلفات كالجذب والثقل النوعى والمغنطيسية والتزاوج الكيمياوى

ولما كان المتصوفة فى جملتهم يحسون احساس الشعراء الى جانب روحهم الدينى ، فهم يشهدون لمحة الهية فى كل شيء : فى رواسى الجبال ومعتلج الامواج وعصف الاعصار ، يشهدون جبروته . وفى أعماق الفضاء يزدان بالانجم الزهراء ، وفى امتداد الصحراء تمتد فى رأى العين الى غير انتهاء ، يشهدون عظمته . وفى الوان المروج الحالية بالنوار وشتى الازهار ، وفى مناغاة الجداول ونضرة الخمائل ، وفى نصاعة الثلوج على الذرى ورفيف السنابل الذهبية فى نور الضحى وترقرق الامواه الفضية فى ضياء القمر ، يشهدون جماله . وفى ابتسامة الخفر وحمرة الخجل واطراقة الطرف من الفتاة العذراء فى هواها العذرى للفتى ، وفى قبلة المحب للحبيبة فى لهفة غير مريبة ، وفى عناق الزوجين تمازجت نفساهما وتجاوب قلباهما ، وفى ضحكة الطفل فى لعبه البرىء ، وفى

---

* اعتمدنا في هذه الكلمة على القشيرى وابن سينا والغزالى وابن طفيل وابن خلدون والشعراء المتصوفة ونيكلسون وآنى بيزانت وغيرهم

وفاء الصديق للصديق وفى عون الرفيق للرفيق ، يشهدون حبه . فهم أبداً فى طلب المعانى حتى أصبحت علما عليهم فعرفوا باسم « أهل المعانى » . وشعر المتصوفة كله شاهد على ماوصفناه من شهودهم معنى الربوبية فى كل شيء . قال شيخهم ابن الفارض :

تراه إن غاب عنى كل جارحة ... فى كل معنى لطيف رائق بهج
فى نغمة العود والناى الرخيم اذا ... تألفا بين ألحان من الهزج
وفى مسارح غزلان الخمائل فى ... برد الاصائل والاصباح فى البلج
وفى مساقط أنداء الغمام على ... بساط نور من الانوار منتسج
وفى مساحب أذيال النسيم اذا ... أهدى الى سحيراً أطيب الارج
وفى التثامى ثغر الكأس مرتشفاً ... ريق المدامة فى مستنزه فرج

والواصلون منهم إذ يشهدون الله فى آيات الخلق ينسون الخلق جميعاً ويذكرونه ، ويزهدون فى العرض المعروض الى الجوهر المكنون ، ويغيبون عن عالم الشهادة الى عالم الغيب وعن عالم الاشباح الى عالم الروح . فهنا الخير كله والجمال كله . وقد ذهبوا فى استعلائهم على الحسيات الى قول بعضهم : إن التصوف هو العصمة عن رؤية الكون . وعندهم أن التماس الجمال فى الخارج تكلف ، لان الروح مشتملة عليه . والعاقل من يعكف فى حرم روحه يستزيدها من الخير والجمال فيوسع بالاحتجان والتوفر نطاق وجوده ، وبدلا من توزع الهمة بين المتعدد يحصرها فى الواحد فانه فى هذا الفيض الروحى عارج الى مصدر الفيوض وحقيقة الوجود

وهذا الشوق عند المتصوفة أفاد العاطفة الدينية فنزهها عن المقايضة والمساومة وارتفع بها الى أوج الروحانية . فلم تعد علاقة العبد بالرب مجرد الخشية من عذاب المنتقم الجبار ولا الطمع فى ثواب الغنى ، بل الحب الخالص ، كما فى قول رابعة العدوية : « إلهى ، ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا فى جنتك . بل حباً لك وقصد لقاء وجهك » وفى دعاء آخر تبتهل الى الله أن يعطى ما كتبه لها من نصيب فى الدنيا لاعدائه وما كتبه لها فى الآخرة لاوليائه فانه هو حسبها

وهذه المحبة للذات الالهية تستولى على متصوفة الشرق حتى تتجاوز الحد وتضطرم اضطرام العشق وتتلون بوهجه . فاذا هم يشكون برح الغرام واحتراق القلب بلواعجه وكيف اضنى أجسادهم وبرى عظمهم وقرح جفونهم بالبكاء وأطال ليلهم بالسهاد . ثم يذهبون أكثر من ذلك الى التشكى من التدلل والصد وتمنى القرب والوصل ، وهذا كله حتى هنا سائغ على سبيل المجاز ومع كثير من التجوز ، إلا انهم ليحيرون اللب حقا ويعدون كل معقول حين يعرضون للمحبوب بالوصف فاذا بالجبين المسفر والغدائر المسدلة والخد الاسيل المورد وفتور الطرف الادعج وما الى ذلك بما هو أشبه بالغزل والتشبيب كقول محيى الدين بن العربى :

حقيقتى همت بها ... وما رآها بصرى

ولو رآها لغدا قتيل ذاك الحور
فعند ما ابصرتها صرت بحكم النظر
فبت مسحوراً بها أهيم حتى السحر
كأنما أنفاسها أعراف مسك عطر
كأنها شمس الضحى فى النور أو كالقمر
ان أسفرت أبرزها نور صباح مسفر
أو سدلت غيبها سواد ذاك الشعر

والحب حاجة قلبية لبنى الانسان على السواء، وكأنما يتنفسه الأحياء مع الهواء. وإنما يتوجه به الزاهد عن الدنيا الى الذات العليا. فيكون التغير فى المرتبة لا فى طبيعة الشعور، ومن ثمة هذا الاتفاق فى التعبير بين شعر التصوف وشعر الغزل. وإنه لتمر بالقــارىء الأبيات لولا معرفة ناظمها لتشابه عليه الأمر ففهمها على غير وجهها. بل ان المتصوفة أنفسهم ليتمثلون فى مواجدهم وحلقاتهم بأشعار العذريين. ومنهم من يروون أن مجنون بنى عامر رؤى فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال غفر لى وجعلنى حجة على المحبين. فالحب عندهم كل شىء. وقد امتلأت به قلوبهم

والحب عاطفة مركبة القوى. فالمرء يحب للحب ثم لشخص المحبوب وكذلك ليحس أنه محبوب. وقد لمست رابعة العدوية هذا التركيب فى قولها:

أحبك حبين حب الهوى وحب لأنك أهل لذاكا

وأما ما ذهب اليه الامام الغزالى من أنها أرادت بحب الهوى حبهــا الله لاحسانه اليها وانعامه عليها بحظوظ العاجلة فلا نحسبه التفسير الارجح لما هو معروف من رفضها الدنيا وزهدها حتى أصبحت فى أخريات أيامها كالخلال البالى

ويتوسل الســالك الصوفى لحصول الحال التى يشتاقها بالزهــد والتقشف ومجاهدة النفس. ويقول الشيخ على بن سينا: «فاذا بلغت به الارادة والرياضة حداً ما عنت له خلسات من اطلاع نور الحق لذيذة كأنهـا بروق تومض اليه ثم تخمد عنه. وتكثر عليه الغواشى اذا امعن فى الارتياض، ثم انه ليوغل فى ذلك حتى تغشاه فى غير الارتياض. وتبلغ به الرياضة مبلغاً ينقلب له وقته سكينة، فيصير المخطوف مألوفاً، والوميض شهاباً بيناً، وتحصل له معارفة مستقرة كأنها صحبة مستمرة. وينتهى بأن يصير سره مرآة مجلوة يحاذى بها شطر الحق. وحينئذ تدر عليه اللذات العلى. ويفرح بنفسه لما يرى بها من أثر الحق. ويكون له فى هذه الرتبة نظر الى الحق ونظر الى نفسه. وهو بعد متردد. ثم انه ليغيب عن نفسه فيلحظ جناب القدس فقط. وان لحظ نفسه فمن حيث هى لاحظة. وهناك يحق الوصول».

وتلك حال من السعادة كما يقول ابن طفيل لا يقوم بها وصف، لانه من طور غير طورها

وعالم غير عالمها . ولا يمكن اثباتها على حقيقة أمرها لانه متى حاول أحد ذلك وتكلفه بالقول أو الكتابة استحالت حقيقتها إذ أنها فى اكتسائها بالحروف والاصوات وتقريبها من عالم الشهادة لا تبقى على ما كانت عليه بوجه واختلفت فيها العبارات اختلافاً كثيراً . وزلت به أقدام قوم عن الصراط المستقيم . وظن بآخرين أن أقدامهم زلت وهى لم تزل . وانما كان ذلك لانه أمر لانهاية له فى حضرة متسعة الاكناف محيطة غير محاط بها . غير أن تلك الحال لما لها من البهجة واللذة والحبور لا يستطيع من وصل اليها وانتهى الى حد من حدودها أن يكتم أمرها أو يخفى سرها . بل يعتريه من الطرب والنشاط والمرح والانبساط ما يحمله على البوح بها بجملة دون تفصيل . ولقد اكتفى الغزالى عند وصوله الى هذه الحال بالتمثل بهذا البيت :

فكان ما كان مما لست أذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

ووقف غيره ممن أدبتهم المعارف وحذقتهم العلوم عند حد . أما البعض فقالوا فيها بغير تحصيل مقالات أخذوا بها .. ومعظم الاشعار فى وصف هذه الحال فيها جماح واجتراء . والمتصوفة أنفسهم يعرفونها بالشطحيات . ونجتزىء هنا بترجمة مقطوعة من ديوان المثنوى لجلال الدين رومى يصور فيها معنى التوحيد على حد رأى البعض فى أن لفظ « أنا » غير جائز لغير الله لانه وحده الموجود بذاته ولا وجود إلا به : « طرق أحدهم باب المحبوب . فهتف به من البيت هاتف : « من الطارق ؟ » فأجاب : « أنا » . فقال الهاتف : « لا يتسع هذا البيت لى ولك » . فانطلق المحب الى الخلاء واختلى بنفسه صائماً مصلياً . ثم عاد بعد عام وطرق الباب مرة أخرى . فهتف الهاتف كذلك : « من الطارق ؟ » فقال المحب : « أنت » . وعندها فتح الباب »

وهذا الشوق من المحب للفناء فى المحبوب له أيضاً نصيب من الشوق الى المعرفة . فان الباحث فى رأى الغزالى اذا اعتمد على المحسوسات لم يلبث أن يداخله الشك فيها فانه لينظر مثلا الى الكوكب فيراه صغيراً ، وتدل الادلة الهندسية على أنه أكبر من الارض فى المقدار . فان هو عول على المعقولات فما يدريه ؟ لعل وراء ادراك العقل حاكم آخر اذا تجلى يكذب العقل فى حكمه كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس فى حكمه . وعدم تجلى ذلك الادراك له لا يدل على استحالته . وعلى هذا يكون جميع ما تعتقده فى يقظتك بحس أو عقل انما هو حق بالاضافة الى حالتك . ويمكن ان تطرأ عليك حالة أخرى تكون نسبتها الى يقظتك كنسبة يقظتك الى منامك . فاذا اوردت تلك الحالة تيقنت أن جميع ما توهمت بعقلك خيالات لا حاصل لها . ولعل تلك الحالة ما تدعيه الصوفية انها حالتهم اذا غاصوا فى أنفسهم وغابوا عن الحسيات والعقليات وتوصلوا من طريق التواجد ثم الوجد الى تحقيق وجودهم بالفناء فى الحق سبحانه ، فان هذا الذى فاتهم ادراكه بظاهر الحس وبرهان العقل تحصل لهم معرفته بالملابسة والذوق

عبد الرحمن صدقى

العبقرية

كما يراها علماء النفس

رد الاستاذ أمير بقطر على الاستاذ محمد فريد وجدى

نشرنا في هلال مارس الماضى رد الاستاذ العلامة محمد فريد وجدي على مقال الاستاذ أمير بقطر الذى انتقد فيه مقاله عن العبقرية . وقد بعث الينا الاستاذ بقطر برده على الاستاذ وجدي فيما تناوله في مقاله الاخير . وقد جاء في رد كل منهما معلومات مفيدة وآراء مختلفة من آراء الباحثين والمؤلفين مما يسر قراء الهلال الاطلاع عليه

عجبت كل العجب لزعم الاستاذ محمد فريد وجدى ان ما كتبته عن العبقرية هو معناها « العامى الشائع على ألسنة الناس » وأن ما كتبه الاستاذ هو « معناها العلمى » . وهذا غريب جداً لأننى لم أذكر شيئاً فى مقالى غير مدعم بأقوال أولئك العلماء الذين لا يفهمون العبقرية إلا كما أبنا فى المقال السالف الذكر !

ومن أخطر التهم التى يوجهها الاستاذ الى هؤلاء العلماء أن يقول إن ذلك المعنى الذى يملأون به صفحات كتبهم إنما هو المعنى « العامى الشائع على ألسنة الناس » ومن أشد العبارات قسوة على العلم ان يقول الاستاذ إن « العبقرية هبة إلهية . . يمنحها الله لبعض الأفذاذ . . » وهل فى هذا القول ما يمت إلى العلم بصلة ؟ أليس هذا الكلام هو قول العامة بعينه ؟ أليس من السهل أن يقال ان العبقرية هبة إلهية . كما يقال عن الشعر الذهبي ، والعيون الزرقاء ، والبشرة البيضاء : انها هبة إلهية يمنحها الله لمن يشاء ؟ . وما الفرق بين هذا وما يقوله غير علماء الطب : ان الحمى القرمزية ، والسرطان ، والجدرى ، وسائر الامراض لعنات من الله يصبها على من يشاء من عباده المساكين ؟

إن قولنا إن ذلك الرجل « ذو مواهب ممتازة » من قبيل التسامح فى التعبير ، كما إذا كتب أحدهم مقالا فذكر « العواطف » بدلا من « الانفعالات » وتكلم عن « الارادة » وهو يقصد « النزوع » وأشار إلى « الوجدان » وهو يريد « الاحساس » . غير ان علماء النفس اذا كتبوا مقالا علمياً دققوا فى التعبير وأعطوا القوس باريها . ومعنى ان العبقرية منحة إلهيـة ، لا يخرج عن قولنا انها موروثة ، أو متسلسلة الينا عن أسلافنا ، لا اكثر ولا أقل . والفرق بين التعبيرين ان الاول « عامى » والثانى « علمى » ، لأن مجرد قولنا ان القوة أو الشجاعة أو أية صفة أخرى

« منحة إلهية يمنحها الله » الخ لا تزيد الى معارفنا شيئاً عنها ، لاننا نعلم جيداً ان زنوج أواسط افريقيا بشفاههم الكثيفة ، وشعورهم المجعدة ، يلدون أطفالا مثلهم ، غليظى الشفاه ، مجعدى الشعور ، ولم نسمع أن « منحة إلهية » شقراء ، دقيقة الفم ، زرقاء العين ، ولدت من أبوين زنجيين

ومن الفقرات البديعة التى جاءت فى مقال الاستاذ ما اقتبسه من دائرة معارف لاروس عن العبقرية ، فان هذه الدائرة كبر عليها تعريف « العبقرية » لما تشمله هذه الكلمة من المعانى وما يحوط بها من تعقد وغموض . غير أن الاستاذ استدل من هذه الفقرة على ان العبقرية لو كانت ضرباً من الذكاء الخارق لما عجزت لاروس عن تعريفها ، ظناً منه ان الذكاء كمية معروفة ، وعبارة يسهل تحديدها . غير ان الواقع غير ذلك ، فان تعريف الذكاء ذهب فيه علماء النفس كل مذهب . فنهم من عرفه باتجاه الفكر إلى ناحية معينة ، بشرط المحافظة على هذا الاتجاه . ومنهم من قال انه المقدرة على التفكير تفكيراً معنوياً ، أو المقدرة على تكييف النفس تكييفاً يناسب مقتضيات الاحوال . ومن أغرب التعاريف قول أحد العلماء ان الذكاء هو المقدرة على المقدرة

ومن هذا يتضح ان تعريف الذكاء لا يقل صعوبة عن تعريف العبقرية الذى أشار اليه الاستاذ نقلا عن « لاروس » . وربما لا يخفى على الاستاذ الفاضل ان « العبقرية » تعددت معانيها واختلفت باختلاف العصور . وأخشى أن يكون الاستاذ قد وقف على معناها فى عصر من العصور الخالية ، ولم يتمش مع هذا المعنى فى تطوره الحديث كما سيتضح من سياق الحديث

وسأنقل للقراء هنا فقرة من مؤلف حديث فى علم النفس ، يصح أن يقال عن مؤلفته بحق انها شعلة من الذكاء ، وحسبها أنها ضربت الرقم القياسى للذكاء بين جميع من التحقوا بجامعة كلومبيا وعددهم مئات الألوف ، ولم يبلغ هذا الرقم أحد بعدها ، وهى الآن من أكابر أساتذة هذا العلم هناك . قالت المؤلفة (واسمها ليتا هولنجورث) فى كتابها « الاطفال الممتازون » ما يأتى :

« إننا اذا تكلمنا عن الاطفال الممتازين او ذوى المواهب (على رأى الاستاذ وجدى) فانما نلجأ إلى هذا التعبير تفاديا من استعمال كلمة « عبقرية » (Genius) وتجنباً لها ، لأن تاريخها القديم وكثرة معانيها واختلاف مدلولاتها باختلاف العصور تجعل الاشارة اليها فى علم النفس أمراً غير مرغوب فيه . فقد وضع جولتون (١) كتاباً فى سنة ١٨٦٩ اسمه « العبقرية الموروثة » (Hereditary Genius) ثم ندم على استعمال هذه الكلمة ، لأنه خاف ان يفهمها الناس بغير ما وضعت له فلما أعاد طبعه شرح معنى الكلمة بقوله : « وأقصد بالعبقرية المقدرة الطبيعية » ثم أخذ يشرح التعريف فى قوله : « وأعنى بتلك القدرة الطبيعية تلك الصفات والميول العقلية التى تدفع الانسان وتعلق به فيقوم بأعمال جسام ويملأ صيته الآفاق . ولا أعنى بهذه القدرة كفاية بغير نشاط أو نشاطاً بغير كفاية ، أو الاثنين معاً بغير القيام بأعمال عظيمة متعددة شاقة ،

(١) سر فرنسيس جولتون العالم الانجليزى وقد اقتبسنا منه الكثير فى مقالنا السالف

ولكنى أقصد تلك المقدرة الطبيعية (الموروثة) التى اذا تركت لذاتها تتسلق سلم العظمة والشهرة بفضل الدوافع الداخلية الموروثة فى صاحبها - تلك المقدرة التى اذا هوجمت أو وضعت فى سبيلها العقبات، تجاهد وتقاتل حتى تزول العقبة، فتصبح حرة طليقة، جرياً وراء ميولها التواقة للعمل والنصب، هنا انتهى كلام جولتون، ثم استأنفت المؤلفة كلامها فقالت:

« وفوق ذلك فان كلمة «عبقرية» محوطة بسياج من الآراء الخرافية والأباطيل والغموض، والادعاء انها فوق مدارك البشر. ونظراً لهذه الآراء الخرافية وطدنا العزم على حذف «هذه الكلمة من كلامنا عن الاطفال الممتازين (أو ذوى المواهب) ».

* * *

وليس هناك ما يدعو لسرد جميع المعانى التى انطوت عليها « العبقرية » على مدى العصور، وما طرأ عليها من التطور فى عهد الاغريق، ثم الرومان، ثم أوربا فى عصر فلسفة الاديالزم. وحسبنا ان كلمة genius اللاتينية ومثلها الانجليزية و génie الفرنسية ما تزال تتصل بكلمة « جن» العربية، ومعناها فى هذه اللغات « عفريت »، وجمعها فى الانجليزية genii. وتقول دائرة المعارف البريطانية الطبعة الحديثة، بعد أن عددت معانيها المختلفة باختلاف العصور، إن معناها فى العصر الحديث « أسمى مقدرة أصلية فى الانسان يمكن تصورها »، ومن هذا التعريف يتضح انها لاتختلف عن التعريف الذى أدلى به علماء النفس تحديداً للذكاء المفرط. ولكن مما يدل على اضطراب معنى هذه الكلمة تعزيزاً لقول الدكتورة هولنجورث التى نقلنا عنها الفصل السالف، أن صاحب التعريف (فى الموسوعة البريطانية) أردف كلامه بقوله: « غير أن هذه المقدرة الأصلية (والأصلية هنا معناها الموروثة) تختلف عن « الهبة الطبيعية » (talent) التى تمتاز بكفاية عقلية عظيمة »، وهذا أكبر دليل على أن أسهل الألفاظ. كما ذكر الأستاذ وجدى أصعبها تحديداً، كالألفاظ الآتيـــة مثلا: العقل، النفس، الضمير، المقدرة، الذكاء، الهبة، النبوغ، الحذق.

أما لاروس فلم يبعد فى تحديده معنى العبقرية عما ذكرناه فى مقالنا السالف، فقد جاء فيه ما معناه: « العبقرية ميل طبيعى لدرجة سامية تستطيع بلوغها الملكات البشرية »، ولا يشك أحد أن « الملكات » هذه لايمكن أن تكون غير العقلية (١)

غير أن هذه التعاريف، وما أدلى به الأستاذ وجدى من كلام دوبو، وكنت وهلر، وافلاطون، وفولتير، وهوجو، وهيجل، كلها إما لغوية، أو فلســفية. ولا شك أن كلام

(١) وهذا هو التحديد بحروفه:
...talent, penchant, naturel à un haut degré auquel pouissent arriver les facultés humaines.

الفلسفة شيء ، وكلام العلم شيء آخر . فالأرادة ، والعقل ، والنفس ، والضمير ، والحقيقة ، والخطأ والمشاهدة ، تختلف فى بحوثها عند الفلاسفة ، عنها عند العلماء ، كعلماء النفس . وهناك فريق من علماء النفس يعتقد أن « العقل » و « النفس » و « الضمير » كلمات خيالية لا وجود لها فى عالم الحقيقة ، ولا تدل على معنى واضح على الاطلاق ، ولذا يؤثرون حذفها من قواميسهم . واسم « علم النفس » ذاته خطأ مسلم به ، لايدل على ماهية ذلك العلم

وهذه الاسماء التى جاء بها الاستاذ وجدى ، ليس بينها اسم عالم واحد من علماء النفس ، أو عالم واحد من علماء علم الأحياء . وربما كان هذا سبب الخلاف بينى وبينه . فبينما هو يتكلم عن العبقرية من الناحية الفلسفية ، غير العلمية ، فانى طرقت بابها من الناحية العلمية المحضة

أما ماجاء به الاستاذ نقلا عن افلاطون فيذكرنى باشياء كثيرة قالها الأقدمون واتضح بطلانها . فتلميذه ارسطو كان يعتقد أن أسنان المرأة أقل عدداً من أسنان الرجل ، وقد تناقل هذا الخطأ العلماء بعده ، بغير أن يكلفوا أنفسهم مؤونة البحث عملياً عن صحة هذه المسألة على بساطتها ، ولا أظن الاستاذ وجدى يصر على اتباع رأى ارسطو فيها

أما فولتير وهوجو وغيرهما ، فقد كتبوا ما كتبوه عن العبقرية من ناحية عامة ولم يقصدوا أن يتعمقوا فى البحث العلمى ، بل جاءت إشاراتهم الى العبقرية مصادفة فى سياق الأحاديث ، كما كتب العالم الرياضى اينشتين أخيراً عن مسألة اجتماعية ، فقال عنه أحد علماء الاجتماع انه مع نبوغه فى العلوم الطبيعية ، فان آراءه الاجتماعية لاتزيد عن آراء طالب فى المدارس الثانوية . ولا يمكن أن يرجع الى اينشتين فى مسألة اقتصادية مثلا ، كما أنه لا يرجع الى هوجو ، أو فولتير فى مسألة كالتى نحن بصددها

ومن أراد التحقق من تعدد معانى العبقرية بتعدد العصور ، فما عليه إلا أن يراجع ما قاله عنها انكسا جوراس ، وهيركليتس ، والصدوقيون ، وفلاسفة الاديالزم وما تبعها وما سبقها من الفلسفات الى يومنا هذا . غير أن العلم الصحيح لا يقيم وزناً لآراء جدلية ، خيالية ، تتصل بماهو وراء المادة . أى اننا نريد أن نقول صراحة إن العلماء لايعدون المتافزيك (metaphysique) علماً . فقد يضع الفلاسفة الذين يعتقدون فى هذه « المتافزيك » مؤلفات ضخمة فى الروح ، والأبدية ، والألهام ، والضمير ، والفكر . غير أن المشتغلين بالعلوم الطبيعية لايستطيعون أن يفهموا هذه إلا بالطرق الملموسة . فالالهام عندهم ضرب من الانتاج منشؤه طارىء أو حادث عظيم الأثر . فاذا قلنا إن العقاد أو مطران ألهم قصيدة شعرية ، فان ذلك عندهم لايخرج عن كونه نوعاً من الانتاج مصدره حادث سياسى أو اجتماعى أو انفعال وقتى ، مفرحا أو محزناً ، أو غير ذلك . وما الضمير والعقل والروح سوى أسماء معنوية لشىء واحد وهو التمييز (reason) . وما الفكر عند الكثيرين منهم سوى تحريك الأوتار الصوتية تحريكا خفيفاً ، أو بتعبير أصرح

التكلم بصوت غير مسموع ، كأن يقول أحدهم كامرىء القيس : « قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل » مخاطبا نفسه . ففي هذه الحالة ، سواء أ كان الصوت مسموعاً أم غير مسموع فان الكلام هنا تفكير وحسب

نعود هنا فنبين للعلامة الاستاذ وجدى مايقوله علماء النفس عن العبقرية (genius) لنرى اذا كانوا يقصدون بها أسمى درجات الذكاء أو شيئاً آخر . يقول ورن (warren) صاحب المؤلفات العدة واستاذ علم النفس فى جامعة برنستون ، تعريفاً للعبقرى ما يأتى : « العبقرى فرد يسمو فوق غيره سموا بحسب المقاييس أو الاختبارات المعروفة » ، وهنا يشير طبعاً الى مقاييس الذكاء ، المنتشرة الآن فى المانيا وروسيا واميركا وانجلترا وفرنسا ، وأول من وضع هذه المقاييس على قواعد متينة العالم الفرنسى الفرد بنيه (١) ، وهو الآن حى يرزق وله معمل فى باريس ، لا يزال يواصل فيه تجاربه

ويقول هفلوك اليس (Haveloék Ellis) العالم الانجليزى عن عبقرية النساء إنه درس ٩٧٥ من عباقرة البريطانيين فلم يجد بينهم سوى ٥٥ امرأة أى بنسبة ١ : ١٨ ، وفى بحثه كان يتكلم عن الذكاء المفرط كما تكلم جولتون الذى نقلنا عنه الشىء الكثير من مقالنا السابق . ويتكلم العالم الاميركى كتل (Cattell) ، محرر مجلة « العلم » (Science) وزميل ولهلم وندست صاحب المختبر السيكولوجى الشهير فى المانيا ـ يتكلم عن عبقرية المرأة وشدة ذكائها فيستعمل الواحدة تارة والثانية أخرى ، الى أن يذكر بين العبقريات سافو (Sapphoe) وجان دارك . وجان دارك تتوافر فيها الشروط التى جاءت فى تحديد العبقرية أو الذكاء المفرط ، ولو أن غير العلماء يقولون عن جان دارك انها قديسة ، بخلاف العلماء فان « القديس » فى نظرهم عبقرى ، اذا توافر فيه ماتوافر فى جان دارك من الصفات ، وإلا اذا عدمها كان أحد عباد الله ، لا أكثر

وفى موضع آخر يتكلم « اليس » عن الفروق السلالية فى العبقريات . أى العباقرة بين سلالات الأمم الشمالية واللاتينية ، ولا شك أن هذا البحث ما هو إلا بحث فى الفروق فى الذكاء بين سلالة وسلالة . وقلما يخلو مؤلف من كتابة الفصل أو الفصول الطوال فيه ، طالما كان هذا المؤلف يتناول موضوع الذكاء

---

(١) اقرأ :ـ

Binet et Simon, "Méthodes nouvelles pour le diagnostic du niveau intellectuel des normaux".

واقرأ للعالم الانجليزى :

Spearman, "The nature of Intelligence".

واقرأ للعالم الاميركى ثورنديك مؤلفاته فى مقاييس الذكاء

ثم انظر ما كتبه ثورنديك فى الجزء الثالث من مؤلفه « التربية فى علم النفس » (صفحة ٢٣٦) إذ قال :

« إن أول من كتب جدياً فى موضوع الملكات العقلية سر فرنسيس جولتون ، وكتابه « العبقرية الموروثة » خليق أن يدرسه كل باحث فى موضوع الذكاء والوراثة » . ويفهم من هذا القول أن البحث فى العبقرية هو البحث فى الذكاء بعينه ، لان ثورنديك ينصح لمن يريدون بحث مسألة « الذكاء » أن يدرسوا كتاب جولتون فى « العبقرية الموروثة » . وقد اقتبسنا الكثير من أقوال جولتون فى الذكاء ، استناداً على تجاربه وبحوثه العملية ، والآن نقتبس بعض اقواله فى العبقرية ذاتها التى أشار اليها بكلمة Genius لا بكلمة Intelligence ، وليوازن القارىء بين هذه الاقوال عن العبقرية صراحة ، وما قلناه نقلا عن المؤلف عن الذكاء صراحة فى المقال السالف . وهذا بعض ماتوصل اليه :

(١) إن الذين عندهم عبقرية طبيعية (أى موروثة) قد يبلغون قمة المجد والرفعة رغم مراكزهم الاجتماعية الوضيعة

(٢) إن الذين أتاحت لهم الايام بيئات راقية لا يبلغون ذروة المجد ما لم تكن ملكاتهم الطبيعية الاصلية (الموروثة) على درجة عظيمة من السمو

ولا شك أن الغرض الذى يرمى اليه جولتون من هذه الاقوال تعزيز نظريته المعروفة فى أهمية الوراثة وأثرها فى العبقرية . وكأن دكتور ثورنديك أراد أن يعزز كلام جولتون ، فقال: « إن التاريخ ينبئنا أن بعض الباباوات العباقرة قد تبنوا أولاداً وقاموا بتربيتهم ، ولكن قلما بلغ هؤلاء درجة تقرب مما كان عليه من تبنوهم » أى أنه أراد أن يقول هنا إنه قلما تتغلب البيئة على الوراثة

وليسمح لى الاستاذ أن اسجل هذه الملاحظات جوابا عن مقاله السابق :

(١) إن اقوال الفلاسفة الذين ذكرهم الاستاذ وجدى ، على فرض اننا سلمنا بها ، لاتنفى ما سبق بيانه من أن العبقرية موروثة . غاية مافى الامر أن الاستاذ يؤثر التعبير «منحة الهيئة» أو «الهام» أو «وحي» أو « هبة » والعلماء يؤثرون التعبير « ملكات أصلية أو موروثة » . والتعبير عنها بالانجليزية لايحتاج الى دليل كقولهم inborn أو native . ومما يدل على أن التعبير واحد ، انهم يقولون أحيانا native endowment أى «منحة موروثة» وكلمة « منحة » هذه تساهل فى التعبير ، يرتاح له الاستاذ وجدى ، ولكن كل القرائن تدل على الاشارة الى الوراثة

(٢) فى الخلاف الذى بينى وبين الأستاذ انه كلما ذكر فى مقاله الاول ان العبقرية غير وراثية ، تبادر الى ذهنى انه يقصد انها مكتسبة ، وكلما ذكر انها غير مكتسبة تبادر الى ذهنى انه يقصد أن يقول انها وراثية . لذلك ظننت ان فى كلامه تناقضاً ظاهراً ، لأن علماء الأحياء والنفس

يقولون ان الطبائع الاصلية إما أن تكون موروثة أو مكتسبة ، ولم يخطر ببالى مطلقاً ان الاستاذ يعنى بهذا ان هناك شيئاً ثالثاً اسمه « منحة » لأن المنحة فى نظر العلماء هى صفة موروثة لا غير

(٣) فى الواقع ان جميع الآراء التى اقتبسها الاستاذ من الفلاسفة تدعم ما سبق فقلته من ان العبقرية لا تكتسب «بالادمان والبحث وسعة الاطلاع وإجادة الروية فى المسائل » . فان ما أورده لنا فى مقاله الثانى من دائرة معارف لاروس ينفى الكلام السابق إذ نقل الاستاذ ما يأتى : « ان كل مهارة تكتسب بمجرد التعلم والدرس لا تبلغ مهما سمت إلى إنتاج عمل فنى . . . » ونقل لنا عن الفيلسوف الفرنسى « تين » ان « العبقرية هبة لا تستطيع أن توجدها أية مثابرة . . . وان أسلوبهم كان فطرياً لا مكتسباً » . والعبارة الاخيرة « فطرياً لا مكتسباً » معناها موروثاً لا مكتسباً بالبيئة . وهذا ما أردنا فى مقالنا الاول إثباته وحاولنا الدفاع عنه ، والحمد لله ان الاستاذ دعمه بحجة أخرى ، بل بحجج كثيرة ، فقد ذكر ايضا عن لاروس ان « العبقرية ذاتية غير مكتسبة » وهذا معناه انها موروثة

(٤) أما قول هيجل الفيلسوف (الذى نقله الينا الأستاذ وجدى) أن العبقرية « تحدث بذاتها عن طريق الالهام المفاجىء . . . وأن العمل العبقرى لا يتحصل عليه بالتعلم أو التوريث فهو هبة من العبقرية وكفى » . . . فهو تحريف من هيجل لا محالة ، وأود ألا يأخذ الاستاذ وجدى كل ما قاله هيجل قضايا مسلماً بها ، وليسمح لى بنقل ماقالته عنه دائرة المعارف البريطانية طبعة سنة ١٩٢٩ ، وهو بحروفه : « إن فلسفة هيجل من أشد الفلسفات عسراً على الفهم ، وحسبنا أنه قال عن نفسه : لم يفهمنى فى الوجود سوى رجل واحد ، وحتى هذا لم يفهمنى » ويقصد بهذا الواحد نفسه . ولسنا نحتاج الى الموسوعة البريطانية فى دحض أقواله . فان قولا كهذا « العبقرية تحدث بذاتها عن طريق الالهام . والعمل العبقرى هو هبة من العبقرية وكفى » قولا كهذا كلام لا معنى له كقولنا إن الرياح سببها الرياح وكفى . . .

(٥) يقول الأستاذ تدليلا على أن العبقرية المبكرة قد لا تتابع سيرها (ونحن لم نخالف هذا الرأى طالما كان الاستاذ يتكلم عن الاستثناء لا القاعدة) : « إن أحدهم كان نابغا فى الحساب قبل السنة المدرسية . ثم أصبح ضعيفاً فى الرياضة » . فهذا لا علاقة له بالعبقرية مطلقاً وربما يذكر القراء الفتى الريفى الذى عثرت عليه مصلحة المساحة منذ أعوام . وقد أتيح للدكتور حسن عمر . والاستاذ رسل جولت وكاتب هذه السطور اختباره . فكان يضرب الملايين فى الملايين بغير احتياج الى الورق والقلم . ومع ذلك فقد كاد يكون معتوهاً مع فوقانه فى الحساب ، وتعليل ذلك أنه شاذ الخلقة لا غير

(٦) أما زعم الاستاذ وجدى أن درون كان « مضرب المثل فى عدم الفهم » فهذا خطأ

فادح . لأن درون كان مقياس ذكائه كما سبق القول ١٨٦ أى أنه ولد عبقرياً . أما طرده من الجامعة فلأنه كسائر الافراد الشديدى الذكاء ، كان ثائراً على النظم المدرسية وقيودها . وكان قد عيل صبره من أساتذة دون المتوسط فى الذكاء (mediocre) ولو لم يغادر الجامعة لما سمعنا عنه شيئاً . فقد قال مرة لمعلميه : « ان التوالد والانتاج يتناسب تناسباً طردياً مع أعداء الحى ، واستدل على ذلك بالحوت فهو قليل النسل لانه لا يوجد له أعداء سوى الانسان . فكان معلموه يهزءون به وبآرائه ويضطهدونه

(٧) وقد هال الاستاذ وجدى قول العلماء إن بين كل مليون يولدون ، يولد أحدهم عبقرياً . وقدنسى أن معظم هؤلاء يولدون ويموتون ولايعرف عن أمرهم شيئاً سوى الاحصاء . وقد يعدونهم مجانين وذلك لسببين . أولا لانهم قد يقضون أعمارهم أميين كما هى الحال فى مصر. فقد يكون بين الفلاحين عباقرة ولكنهم كاللآلىء فى اصدافها فى قاع الخليج الفارسى . وثانياً لأنهم قد يكونون متعلمين . ولكن لم تتح لهم الفرص التى تتجلى فيها عبقريتهم ، كما يفهم ضمناً من كلام جولتون . والدليل على ذلك ان الاستاذ وجدى ذكر لنا بين العباقرة بركلى المطران الارلندى وسبنوزا الفيلسوف . ألا يعتقد الاستاذ اننا نستطيع ان نسمى بين المتعلمين فى اوربا اليوم مئات من الذين يفوقون بركلى وسبنوزا ؟

(٨) ولا نزال نعتقد أن قول الاستاذ وجدى : « فى أوربا الآن رأى علمى (؟) مقتضاه أن الذين يموتون ولم يبلغوا درجة روحانية تؤهلهم للعيش فى العالم الروحانى يقذف بهم الى الارض عدداً كبيراً من الدفعات حتى يحصلوا على الدرجة المرجوة . . الخ » ـ لا نزال نعتقد أن الاستاذ وجدى أبعد من أن يصدق هذه الخرافات ، برغم ما ذكره من أسماء بعض الذين أشار اليهم . ونجل الاستاذ أن يقيم وزنا لفئات قليلة غير علمية ، ولا تمت للعلم بصلة ما ، وهذه الفئات القليلة لايعتمد عليها فى شىء ، ومثلها مثل الطوائف الشاذة التى تعتقد بالجن والعفاريت وقراءة الكف. ولاعبرة بها اذا التف حولها أحيانا بعض ذوى « الهستريا » فى أزقة باريس ، ولندن ، وبرلين . ونستطيع ان نذكر له من هذه الطوائف الشاذة الكثير على سبيل التفكهة لولا ضيق المقام

امير بقطر



التراث المنسى

صبح الاعشى

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

بلغت الحياة الفكرية والادبية فى مصر الاسلامية ذروتها من النضج والازدهار فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين ، ففيهما تحتشد أعظم جمهرة من العلماء والكتاب من كل فن وضرب ، وفيهما تغص القاهرة بأكابر العلماء الوافدين عليها من المشرق والمغرب ، تجتذبهم نهضتها الفكرية ، وأزهرها التالد ، وبلاطها المستنير ، حامى الآداب والعلوم . ويمتاز القرن الثامن بظاهرة فكرية خاصة هى انه عصر الموسوعات العلمية والادبية الكبرى ، ففيه ظهرت طائفة من العلماء الذين توافروا على جمع أشتات العلوم والفنون المعروفة يومئذ فى مؤلفات جامعة لم تعرفها الآداب الاسلامية من قبل ، وكتبت عدة موسوعات جليلة ما زالت تتبوأ مقامها الفذ فى تراث الادب العربى . وأقطاب هذه الحركة ثلاثة من أكابر العلماء والكتاب المصريين ، هم : احمد بن عبد الوهاب النويرى المتوفى سنة ٧٣٣ هـ (١٣٣٣ م) صاحب كتاب « نهاية الأرب فى فنون الادب » ، واحمد بن فضل الله العمرى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) صاحب كتاب « مسالك الابصار فى ممالك الأمصار » ، وابو العباس احمد القلقشندى المتوفى سنة ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) صاحب كتاب « صبح الأعشى فى كتابة الانشا » .

وانه لمن التجاوز والتواضع أن نسمى هذه المؤلفات العجيبة كتبا ، فهى فى الواقع موسوعات ضخمة شاسعة لا تدل اسماؤها على حقيقة محتوياتها ، ومن الصعب أن نصف مؤلفيها بأنهم كتاب أو أدباء من نوع معين ، فهم فى الواقع علماء موسوعات (انسيكلوبيديون) ، امتازوا بالتمكن والتوسع فى كثير من علوم عصرهم ، واستطاعوا بكثير من الجهد والجلد أن يجمعوا أشتاتها فى أسفار منظمة متصلة ، وأن يجعلوا من هذا النوع من الكتابة فناً خاصا لا يستطيع أن يضطلع به سوى قليل من العلماء والكتاب الذين يتمتعون بمواهب خاصة . وقد وجدت فكرة الموسوعات العامة فى الادب العربى قبل القرن الثامن ، ولكنها لم تصل من قبل إلى مثل هذا التوسع فى النوع وهذا التبسط فى المادة . ويكفى أن تتصفح أثراً من هذه الآثار الجامعة لتدرك أى جهود مدهشة وأى مواهب وكفايات ممتازة اتحدت فى شخص مؤلف بمفرده لتخرج هذا الاثر الضخم الذى تشعبت مناحيه وموضوعاته بصورة مدهشة ، وبلغت مع ذلك حدا بديعاً من الاتصال والتنسيق يجعل منها وحدة متماسكة وثيقة العرى

وسنخص بالحديث فى هذا الفصل كتاب « صبح الأعشى » أحد هذه الآثار الجامعة . وقد يتساءل المرء بادىء ذى بدء : كم من شبابنا المتعلم عرفوا هذا الاثر ، وكم منهم قرأوه أو قرأوا فيه ؟ ومما يدعو الى الاسف حقاً أن هذا الشباب المتعلم قلما يرتد ببصره الى الماضى ، وقلما يعنى بشىء من هذه الآثار القيمة التى ما زالت تتبوأ مقامها فى تراثنا الادبى ، أو يستسيغ قراءتها ودرسها ، مع انه لو أعارها قليلا من عنايته لألفى فيها كنوزا من المعارف والادب الرفيع ، ولسنا نشك فى ان « صبح الأعشى » ما زال من هذه الآثار المنسية المغموطة ، ولهذا نرجو أن يكون التعريف به فى هذا الفصل تقدمة للتعريف بهذا التراث المنسى وانصافاً له ، وحافزا لشبابنا المثقف إلى العناية بناحية من الادب القوى لها قيمتها وأهميتها فى صقل معارفه وأذواقه الادبية

ويحسن بنا أن نبدأ بالتعريف بصاحب هذه الموسوعة ، ففى التعريف به ما يفسر توافره على هذا النوع من التأليف الجامع . فهو القاضى شهاب الدين احمد بن على بن احمد القلقشندى . ولد بقلقشندة إحدى قرى قليوب سنة ٧٥٦ هـ . ودرس بالقاهرة على أكابر شيوخ العصر ، وتخصص فى الادب والفقه الشافعى . وبرع بالأخص فى علوم اللغة والبلاغة والانشاء ، وتولى بعض الوظائف الادارية مدى حين (١) بيد أن براعته فى الكتابة والانشاء لفتت اليه أنظار البلاط ، ومهدت اليه سبل الاضطلاع بالمنصب الذى تؤهله له مواهبه الادبية والفنية ، وهو العمل فى ديوان الانشاء ، فالتحق بخدمة هذا الديوان كما يقول لنا فى مقدمة كتابه فى سنة ٧٩١ هـ فى عهد الظاهر برقوق . وقد كانت لديوان الانشاء فى هذا العصر أهمية خاصة لا يعمل فيه إلا أقطاب النثر والبلاغة الذين تؤهلهم معارفهم الواسعة للوقوف على شئون الحكم والسياسة الداخلية والخارجية ، وسير العلائق الدبلوماسية بين مصر وباقى الأمم ، وكان قد تولاه قبل ذلك بنحو نصف قرن كاتب ممتاز وعلامة جغرافى وسياسى بارع هو احمد بن فضل الله العمرى صاحب « مسالك الابصار » ، ووضع فى نظم الكتابة والانشاء الرسمية كتابه الشهير « التعريف بالمصطلح الشريف » ، وهو ما يقابل فى اصطلاح العصر مراسيم البروتوكول والمراسلات الديلوماسية ، فكان نواة للموسوعة الشاسعة التى ألفها القلقشندى فى نفس الموضوع . ولبث القلقشندى أعواماً يعمل فى ديوان الانشاء . ولعله استمر حتى آخر عهد الظاهر برقوق (سنة ٨٠١ هـ) أو بعده بقليل ، وفى تلك الفترة خطرت له فكرة وضع مؤلفه الكبير فى فنون الانشاء

وقد بدأ القلقشندى فوضع فى هذا الباب رسالة موجزة بين فيها ما يحتاج اليه كاتب الانشاء

---

(١) لم تقدم الينا كتب التراجم كثيراً عن القلقشندي ، وهذا كل ماذكره عنه ابو المحاسن في النجوم الزاهرة ، في وفيات سنة ٨٢١ هـ ، والعماد الحنبلي في شذرات الذهب في وفيات سنة ٨٢١ أيضاً . ولم يذكرا لنا تاريخ مولده ، غير انهما يقولان انه توفي عن خمسة وستين عاما اعني انه ولد سنة ٧٥٦هـ وهذا ما يذكره السخاوي صراحة في الضوء اللامع . ويزيد عليه بعض تفاصيل يسيرة أخرى

من المواد ، وما تقتضيه من أصول ورسوم وأساليب ، فوقعت موقعا حسناً وأشير عليه - والظاهر ان الاشارة كانت من السلطان - أن يبسط الكلام فى هذا الموضوع وأن يلحق رسالته بمؤلف جامع فى أصوله وفنونه ، واسترشد بما كتبه العمرى من قبل فى « المصطلح الشريف » (١) وقضى أعواماً طويلة فى البحث والتنقيب واستخراج الوثائق والكتب والمراسلات الخلافية والسلطانية ، حتى اجتمعت له من ذلك مادة غزيرة لم يسبق أن اجتمعت من قبل لكاتب فى موضوعه . ورتب مؤلفه على مقدمة وعشر مقالات . وانك لتدهش إذ تعرف ان هذه المقدمة والمقالات العشر تملأ أربعة عشر مجلداً ضخماً هى كتاب « صبح الأعشى فى كتابة الانشا » (٢)

والظاهر أن القلقشندى بدأ فى كتابة مؤلفه الجامع حوالى سنة ٨٠٥ الهجرية اذا قدرنا أنه استغرق فى وضعه عشرة أعوام ، فهو يقول لنا فى خاتمته إنه فرغ من تأليفه فى شوال سنة ٨١٤ هـ. وتتناول المقدمة الحديث عن المسائل والتعريفات التمهيدية كالتنويه بفضل القلم والكتاب ومعنى الأنشاء وتطوره خلال العصور ، وترجيح النثر على النظم ، وصفات الكتاب وآدابهم ، وتاريخ ديوان الأنشاء ، وأصله فى الأسلام ، ثم انتظامه بعد ذلك فى مختلف الدول الاسلامية ، وقوانين الديوان ومرتبة صاحبه ، ثم التعريف بوظائف الديوان فى مصر واختصاص كل منها فى مختلف العصور والدول . وهذه المقدمة البديعة تصلح أن تكون وحدها مؤلفا مستقلا . وفى المقالة الأولى يحدثنا المؤلف عما يجب أن يستوعبه الكاتب من مواد الأنشاء والمعارف اللغوية والادبية ، واحوال الامم ، والاحكام السلطانية ، لكى يستطيع أن يؤدى مهمته فى وضع الوثائق والمراسلات السياسية والادارية على الوجه المرغوب ، وما يحتاج اليه الكاتب من أنواع الاقلام والحبر وغيرها ، ويتبع ذلك بنبذة شائقة فى الخط العربى وتاريخه . وتتناول المقالة الثانية الحديث عن المسالك والممالك ، وهى استعراض جغرافى ونظامى للدول الاسلامية منذ ظهور الاسلام ، وفيه تفصيل خاص لشئون الديار المصرية والشامية التى تتبعها ، وما يحيط بها أو يجاورها من الامم الاخرى اسلامية وغيرها . وفى المقالة الثالثة تفصيل واف لترتيب المكاتبات وما يناسب انواعها من الاقلام وأحجام الورق قديما وحديثاً ، وأنواع المراسيم ومصادرها ، وأقلام الترجمة واختصاصها وفى فواتح الرسائل وخواتمها ، مع تفصيل خاص لما يتعلق بذلك كله فى ديوان مصر . وهذه مزية من أجل مزايا الكتاب فان المؤلف اذا كان يتحدث بصفة عامة عما يتعلق بموضوعه فى مختلف الدول الاسلامية والعصور ، فانه يخص مصر دائما بالنصيب الاوفى من الشرح والبيان

(١) راجع صبح الاعشى - المقدمة ٩ و ١٠

(٢) ويسميه السخاوى « صبح الاعشى فى قوانين الانشا »

وتتناول المقالتان الرابعة والخامسة الكلام على مقدمات الرسائل ورتب المرسل اليهم وأصول الكتاب فى ذلك قديما وحديثا ، ومصطلحات الكتابة فى الدول الاسلامية منذ عصر النبى (ص) ثم استعراض الكتب الصادرة من الخلفاء والملوك فى مختلف العصور والدول ، وتفصيل خاص للكتب الصادرة عن ملوك الديار المصرية حتى عصر المؤلف الى مختلف الامراء والحكام والموظفين المحليين والخارجين ، ثم نماذج شائقة من الوثائق والمراسلات السياسية التى تبودلت بين ملوك مصر وبين باقى الدول الاسلامية والنصرانية فى مختلف العصور ، ثم انواع الكتب والمراسيم الخلافية والسلطانية من ولاية أو خلع أو دعوة الى الجهاد ، والبشارة ووفاء النيل والانعـــام والاعتذار والتكريم والتهنئة الخ . ثم تفصيل لوثائق التعيينات والبيعات والعهود ، وما صدر منها عن الخلفاء الى أرباب المناصب من الجند والكتاب وغيرهم . وهذا القسم الذى يشغل من « صبح الاعشى » نحو ثلاثة مجلدات ضخمة هو أهم أقسام الكتاب فى الواقع لانه يشتمل على مئات الوثائق والنصوص الرسمية والدبلوماسية ويلقى أعظم الضياء على تاريخ مصر النظامى والادارى فى عصور الخلفاء والسلاطين وعلى السياسة الخارجية المصرية وعلائق مصر بالامم الاسلامية والنصرانية فى تلك العصور ، وهى مادة نفيسة من الوثائق والمحفوظات الجليلة التى لا يمكن أن نظفر بها فى مؤلف آخر وان كان العمرى قد أورد فى « المصطلح الشريف » شيئاً منها

وفى المقالة السادسة يتحدث المؤلف عن الوصايا الدينية والمسامحات وتصاريح الخدمة السلطانية والطرخانيات ، وعن التواريخ ومقابلاتها . ويتحدث فى الســـابعة عن الاقطاعات وأصلها ونشأتها واحكامها وانواعها ، ويقدم الينا نماذج من مراسيمها فى مختلف الدول والعصور . ويتحدث فى الثامنة عن الايمان وأنواعها منذ الجاهلية وفى عصور الاسلام والايمان الملوكية والاميرية فى الدول الاسلامية وغيرها . وفى التاسعة يحدثنا عن عهود الامان وعقدها لاهل الاسلام والكفر ، وما يكتب منها لاهل الذمة ، ثم الهدن وانواعها وصيغها وعقود الصلح ونماذجها . وفى العاشرة والاخيرة يعرض نماذج مختلفة من الرسائل الملوكية فى المدح والفخر والصيد ، ثم يحدثنا عما يتعلق بديوان الانشاء غير الكتابة مثل البريد وتاريخه فى مصر الشام ، وهو فصل بديع جامع ، ثم الحمام الزاجل وابراجه ومطاراته ، ثم المناور والمحرقات التى كانت تستعمل فى استطلاع حركات العدو ، وهذا الفصل هو خاتمة الكتاب

هذا هو ملخص موجز لمحتويات « صبح الاعشى » . وفى تنظيم الكتاب وروحه واسلوبه ما يشهد لمؤلفه برفيع فنه وقوة بيانه وغزارة علمه وثقافته . وعنى القلقشندى بنواح أخرى من

التاريخ والادب ، فوضع كتاباً فى انساب العرب عنوانه «نهاية الارب فى معرفة قبائل العرب» (١) وانشأ كثيراً من النظم الجيد . والظاهر أنه قضى أعوامه الاخيرة فى عزلة بعيداً عن الاعمال والوظائف الرسمية ولم يتول بعد ديوان الانشاء منصبا آخر ، بيد أنه ظل كما يحدثنا السخاوى يحتفظ بمكانته الرفيعة فى البلاط وفى الدولة وفى الدوائر العلمية

وقد سبقنا البحث الغربى كعادته الى العناية بهذا الاثر النفيس ، فترجمت منه الى الفرنسية مجموعة هامة من الوثائق الدبلوماسية التى تبودلت بين مصر والدول الفرنجية ، ونشرت منه مختارات أخرى الى الفرنسية والالمانية ، وكان لدار الكتب المصرية فضل اخراجه كاملا فى اربعة عشر مجلداً ضخماً ، بيد أنه اخرج للاسف خلوا من فهرس حديث يدل على نفائسه ودقائقه ويوفر على الباحث مشقة التنقيب المضنى

فهل يعنى ابناء العربية اخيرا ، وهل يعنى الشباب المثقف خاصة بتراث قومى مجيد مازال منسيا يغمط حقه من التداول والتقدير والاعجاب ؟

محمد عبد الله عنان
المحامي

طريق الحياة

حاول جسيمات الأمور ولا تقل ... ان المحامد والعلى أرزاق
وارغب بنفسك أن تكون مقصراً ... عن غاية فيها الطلاب سباق
لاتشفقن فان يومك إن أتى ... ميقاته لم ينفع الاشفاق
واذا عجزت عن العدو فداره ... وامزج له ان المزاج وفاق
فالنار بالماء الذى هو ضدها ... تعطى النضاج وطبعها الاحراق

ابن نباته السعدى

---

(١) ومنه نسخة خطية في برلين يستفاد منها أنه كتبه سنة ٨١٢ هـ . وقد طبع في بغداد كتاب في هذا الموضوع ينسب للقلقشندى وظهرت منه طبعات أخرى بصور مختلفة ، ولكن هناك شك في نسبته لصاحب صبح الاعشى . ويرى بعض الباحثين أنه من تأليف ابنه الذي وضع مختصراً لكتاب صبح الاعشى ومختصراً آخر لكتاب انساب العرب

نابليون ينتحر
الايام الرهيبة في حياة الامبراطور

بقلم الاستاذ حسن الشريف

تقع الحوادث التي يرويها كاتب هذا المقال في أوائل سنة ١٨١٤ بعد أن كانت جيوش أوربا المتحالفة قد هزمت جيش الامبراطور نابليون الاول في موقعة لايبسيج المشهورة ، ثم دحرت البقية الباقية من هذا الجيش في موقعة دارسي ، وبدأت الزحف على باريس عاصمة الامبراطورية الفرنساوية

تردد واضطراب

فى ليلة التاسع والعشرين من شهر مارس سنة ١٨١٤ كان الامبراطور نابليون الاول معسكراً مع فلول جيشه فى قرية تبعد عن باريس بستين مرحلة ، وقد قضى ليلته مكباً على خرائط بسطها أمامه وجعل يغرس فى بعض نواحيها دبابيس ذات رءوس مختلفة الالوان ترمز الى مواقع جيشه ومواقع جيوش أوربا المتحالفة عليه الزاحفة نحو باريس بعد أن هزمته فى معركة « دارسى » وانفتحت امامها الطرق الى عاصمة الامبراطورية الفرنساوية

أمضى نابليون ليلته يرسم الخطة تلو الخطة ويقارن بين هذه وتلك ويجهد فكره المتعب ليعرف أى خططه الاصوب : أيسرع بفلول جيشه الى باريس عسى أن يسبق جيوش الحلفاء اليها فيرتب فيها وسائل المقاومة ؟ أم يذهب الى شرق فرنسا فيضم اليه القوى المرابطة باقليم اللورين ويطوق الحلفاء من الخلف ويضربهم الضربة القاضية ؟

ولكن الامبراطور كان متردداً . وكأن توقد ذهنه ونفاذ بصيرته ورهافة رأيه وسرعة ادراكه للاشياء والحكم عليها وصحة تقديره للمواقف واختيار أوفقها ــ كأن كل هذه المواهب ، التى لم تجتمع فى جندى قبله ولا بعده بقدر ما اجتمعت فيه ، قد خانته فى تلك الليلة فبقى متردداً حائراً لايطمئن الى خطة ولا يستقر عند رأى

ولعمرى كيف لايضطرب هذا الرجل وقد أمضى اثنين وستين يوما فى حركة دائمة ونشاط متواصل ، لا يذوق النوم إلا لماما ولا يمنح جسمه إلا الضرورى من الراحة ، تمتوره حمى العمل فيرهق قواه فى خدمة عبقريته ويذيب مواهبه فى تحقيق مطامعه ، ويرى السهل الميسور فيما يراه الجبابرة حلما بعيد المنال ، ثم ينثى على نفسه فيحملها ما لا تطيقه نفوس البشر ويلهب عقله ونشاطه فى تدبير مشروعات تتقاعس امام تصورها أقدر العقول وأمضى الهمم ، وينتقل ببقايا

جيش منكسر منهوك من مكان الى مكان فى خفة وسرعة تدهشان العدو حتى ليحسبهما من الخوارق والمعجزات : فبينما يتعقبه هذا العدو عند حدود بورجونيا إذا هو يدفع جيوشه الى بيكارديا ثم اذا هو يسوقها فى الغد من شاطىء نهر الاين الى شاطىء نهر الاوب ليصبح بها عند المارن ، وهو فى خلال هذه الاثنين والستين يوما يحارب حرب المستميت بشراذم من الرجال هى البقية الباقية من جيشه العظيم ضد ثلثمائة الف جردتها أوربا المتحالفة لتقضى بها عليه ؟!

عند بزوغ الشمس كان نابليون فوق جواده وأركان حربه يجهلون ما اعتزم من خط السير فساروا وراءه حتى بلغ قرية دولانكور حيث أمر الجيش بالاستراحة ريثما تمد فرقة الاشغال العسكرية قنطرة عبر نهر الاوب . وهناك فى وسط سهل فسيح جلس الامبراطور ينتظر البريد الذى ما لبث أن وافاه فاذا هو يحمل اليه رسائل من أخيه جوزيف ومن الجنرال كلارك وزير الحربية وكان قد عهد اليهما الدفاع عن باريس فانقطعت عنه اخبارهما منذ ثلاثة أيام

علم الامبراطور من الرسائل أن بلدة « مو » وقعت فى يد العدو وأن القائدين مارمون ومورتييه ينجليان عن باريس . وكأن هذه الانباء السيئة كانت بمثابة صيحة من عاصمته تستدعيه اليها فزال تردده واضطرابه وقرر أن يهرع اليها بلا ابطاء فأوفد أحد ياورانه ليبشر أهل باريس بقدومه معتزما أن يقطع المسافة فى أربع وعشرين ساعة

وصدر الامر للجيش بالمسير فحمل الجنود المتعبون سلاحهم وامتعتهم وساروا وراءه مستسلمين لهذه الارادة العاتية مدفوعين بقوة هذه الشخصية الامارة الباهرة ، ساروا يجوبون السهل والوعر حتى قطعوا سبع عشرة مرحلة كاملة . فلما انتصف الليل وأعياهم السير وعجزت أرجلهم عن حمل ابدانهم ارتموا على الارض شاخصين نحو سيدهم كأنهم يسألونه الصفح والمعذرة . أما الامبراطور فلم يطاوعه نشاطه واستمر فى طريقه الى العاصمة يحيط به فريق من أركان الحرب وضباط الياوران . واذ بلغوا أول قرية توقف قليلا ريثما يكتب الامر العام بأن تلحقه سائر جيوش الامبراطورية لتنضم اليه فى أصبوحة اليوم الثانى من شهر ابريل بالقرب من باريس . ثم استأنف الرحلة فى عربة أخذت تنهب الارض وتطوى المراحل وهو غير مبال باصحابه الذين يركضون وراءه وقد تراخت أطرافهم وانطبقت أجفانهم وهم يتساءلون : أما لهذا العذاب من آخر ؟

وصل نابليون الى فونتنبلو بضواحى باريس وكان الليل قد بدأ يرخى سدوله فأخذ الضباط يتهيأون للمبيت وأخذ الامبراطور يفض الرسائل التى وافته هناك فعلم أن أخاه جوزيف والامبراطورة وابنه الصغير ملك روما قد رحلوا عن العاصمة والتجأوا الى ضاحية رامبوييه وأن جيوش الروسيا وبروسيا قد احتلت بعض الارباض المحيطة بباريس . وكأن هذه الانباء قد استفزت حميته فهب من مقعده واصدر الامر بتغيير جياد العربة استعداداً لاستئناف السير مؤملا أن تنجح

حامية باريس فى صد العدو أو فى الثبات على المقاومة حتى يصل اليها فى الوقت المناسب فينقذ الموقف

وجلس فى العربة شاخصاً نحو الافق شزراً كأنه يتحدى القدر أو يود لو تنعدم المسافات تحت أرجل الخيل . وإذا كوكبة من الفرسان مقبلة فأمر السائق بالوقوف ونزل ليتعرف القادمين ثم صاح : « قفوا » وعرف الفرسان هذا الصوت الذى طالما الفوه فترجل قائدهم الجنرال بليار وتقدم نحو الامبراطور فتلقاه بوابل من اسئلة لم ينتظر الجواب على واحد منها : « لماذا أتيتم ؟ . . وأين جيوش العدو الآن ؟ ومن القائد الذى يدافع عن باريس ؟ . . وأين الامبراطورة ؟ . . وابنى ؟ وأخى جوزيف والجنرال كلارك ؟ . . وماذا فعلت حامية المدينة ؟ . . وجنودى ومدافعى ؟ »

وكان بليار يحمل الى سيده أسوأ الانباء فلم يجرؤ على مصارحته بحقيقة الحال فجعل يرتجل المقدمات ويلف حول الاسئلة ولا يجيب عنها والامبراطور يستحثه على الكلام ثم أراد الله به خيراً فساق اليه فى تلك اللحظة الدوق كولانكور كبير الامناء فى رهط من أركان الحرب فانصرف اليهم نابليون يسألهم فى لهفة وقلق عما آلت اليه الحالة فى باريس فافضى اليه كولانكور بأنه غادر المدينة أمس وكانت الحالة فيها اسوأ ما يمكن أن تكون ، فلقد انسحبت الحامية ولم يبق الا بعض وحدات من فرقة الحرس الوطنى . وطوق العدو العاصمة من اكثر من ناحية وأغلب الظن أنه احتلها فى المساء . وأضاف الدوق الى ذلك أن الحالة المعنوية فى الجيش لا تدعو إلى الارتياح والقواد لا يرون فائدة فى استمرار القتال بل يشيرون بالتسليم

استمع نابليون الى هذه الانباء فى شىء يشبه الذهول وأطرق برأسه ملياً ثم قال : « اذن تعين الذهاب إلى باريس فى الحال . ان المكان الذى أغيب عنه لا يمكن الا ان تسوء الاحوال فيه » فاعترض كولانكور بأن الامبراطور يعرض نفسه بهذه المجازفة لان يقع أسيراً فى أيدى القوات الروسية والبروسية . ولم يعر نابليون هذا الاعتراض أى التفات وصاح : « ليكن من الامر ما يكون فلا بد من الذهاب الى باريس . سأدخل المدينة وسآمر بدق النواقيس فى جميع الكنائس وباضاءة الانوار فى جميع المنازل . وسأدعو السكان الى حمل السلاح والى المقاومة حتى النهاية . ماذا ؟ . . . مدينة فيها ثمانمائة الف ساكن تسلم نفسها بلا حرب ولا مقاومة ؟ ان هذا لعجيب ! »

وتناول الامبراطور خريطة لمدينة باريس وضواحيها وعكف على دراستها وبعد ان قاس بعض الابعاد ورسم باصبعه خطوطا فى الهواء ، نظر الى رجاله متهللا وقال : « لا موجب لليأس يا سادة ففى الامكان تدارك ما فات . ولكن يجب أن نكون بباريس آخر النهار . . . الى بعربتى واتبعونى يا سادة »

ألا ليت شعرى هل ظن هذا الجبار الذى لبث عشرين عاماً يأتى بالمعجزات أن الحظ سيظل مواتيه وأن الزمن سيدأب خاضعاً لاوامره ونواهيه وأن ما عليه الا أن يشير الى عاصى القدر فيخضع ويطيع ! . وإلا فعلام كان يعتمد وماذا كان فى يده من عوامل النصر بل من دواعى الثقة بالمستقبل

القريب أو البعيد ؟ ولكن رجل « مارنجو » وبطل « استرليتز » ما كان يعرف معنى لكلمة « المستحيل » لذلك ركب عربته وهو يبسم لاعوانه بسمة الواثق من نفسه وتدبيره وأمر السائق بالمسير

بيد أن المقادير كانت تخبىء لهذا المتفائل ما ليس فى الحسبان إذ ما سارت به العربة قليلا حتى اقبلت عليه شرذمة من الخيالة ترجل قائدها وتقدم نحوه وحياه . فسأله الامبراطور عن سبب قدومه فأخبره أن باريس قد سلمت نفسها للعدو وأن الحكومة قد أمضت فى الصباح اتفاقية التسليم

عندئذ تداعى صرح الامل وانهار وتهدمت فى لحظة كل الخطط والتدابير وأيقن نابليون أن العناية قد تخلت عنه وأن الخصومة لم تكن بينه وبين أوربا وانما كانت بينه وبين الله ، فاحنى رأسه وقد علا وجهه الاصفرار ونزل من عربته ونظر فيمن حوله كالمشدوه وقال بصوت خائر متصدع : « لقد خاب الامل ! » . وشبك يديه خلف ظهره وسار متثاقلا فى مشيته بضع خطوات حتى وجد حجراً عاليا فجلس عليه وستر جبينه بكفه . وكان رجاله يظنون أنه يفكر ، ولكنه إذ رفع يده عن وجهه نظروا فرأوا الدموع تترقرق فى عينيه فاحنوا الرءوس نحو الارض خشوعا وأطرقوا كباراً لتلك الدمعة المتساقطة من عين لم تعرف البكاء

ولكن أنى لليأس أن يعرف طريقه إلى هذه النفس الكبيرة وأنى للوهن أن يتطرق الى تلك الهمة القعساء ؟ لقد كان يشعر فى هذه اللحظة أن الارض تهوى من تحت قدميه وأن الاسباب تقطعت به وأن أبواب الامل أوصدت فى وجهه ، فلم يبق أمامه إلا الاستسلام لحكم القدر والخضوع لقضاء الله ، ولكنه فى الوقت نفسه كان لا يصدق أن نجمه قد أفل ولا أن الدائرة قد دارت عليه ، بل كان لا يصدق أن فى وسع الزمن أن يقف فى وجهه ولا أن فى طاقة المقادير أن تعرقل عمله أو ان تناصبه العداء . ونهض الامبراطور من جلسته وقال لمن معه : « سننظر فى كل ذلك ياسادة . والآن دلونى على مكان آوى اليه »

خضوع الجنود وتمرد القواد

كان نابليون يرى أن الحرب بينه وبين أوربا المتحالفة عليه لم تنته بعد فأخذ يعد العدة ويمهد لاعادة تنظيم الجيش ويفحص بنظراته السريعة وبديهته المرهفة حالة أعدائه . ولقد تراءى له أن جيوش العدو قد رابطت فى ثلاث جهات متنائية وأنها بوقوفها مبعثرة على هذا الشكل قد استهدفت لهجماته ويسرت له سبيل الفوز عليها . لذلك ماحل ركابه بقصر فونتنبلو حتى أخذ يزور مواقع فرق الجيوش الفرنسية مبتدئا بجيش الماريشال مارمون الذى كان بعد أن غادر باريس قـد رابط بمدينة ايسون . ولقد تجددت الآمال فى نفسه بعدما رآه من حماسة الجنود ونشاط الضباط وبعد ماشاهده من تضخم الجيش بفضل اقبال الاهالى على التطوع والانضواء تحت الاعلام ، وازداد أملا بل يقيناً لما وصلت اليه فرقة الحرس القديم وفرقة الحرس الجديد وفرقتا القائدين فريان

وهزبون . واذا كمل لديه هذا الجيش عرضه فى ساحة فونتنبلو وخطبهم بكلمة تناسب المقام ختمها بقوله : « وغدا الى باريس ! » فقابلها الجيش هاتفا : « ليحى الامبراطور ! . . . إلى باريس »

بيد أن نابليون كان يرى والحسرة تنهش فؤاده أن كبار قواد الجيش لا يشاطرون الجنود هذه الروح الطيبة ولا يشاركونهم فى التفاؤل بالمستقبل السعيد ، بل لقد كان يرى روح التذمر تدب فى أولئك القواد وبوادر التمرد والعصيان تتجلى فى حركاتهم وأقوالهم . لذلك كان يعرض عنهم ولا يشاورهم فى الأمر . ولكنهم لما سمعوه يضرب لهم الغد موعدا للتلاقي عند مداخل باريس وايقنوا أنه ماض فى طريق المقاومة واستئناف القتال لا يثنيه عنهما شىء ، اجتمعوا تلك الليلة فى احدى الغرف المجاورة لمخدعه بالقصر وعقدوا مؤتمراً يبحثون فيه الحالة ويحددون موقفهم من الامبراطور وظلوا يتساءلون : « ماذا يريد هذا الرجل العنيد ؟ وإلى أين يسوق فرنسا ؟ وعلام يعتمد ؟ وإلى أية غاية يريد أن يصل ؟ وما هى وسائله لبلوغ غايته ؟ وهل يريد أن تنشب فى البلاد حرب أهلية لا تبقى ولا تذر ؟ » واندفع المارشال ناى فقال : « لو أن هناك أملا يرجى من مقاومة الحلفاء لقاومناهم ، أما وليس ثم بريق من الأمل ، فانا قد سئمنا المعارك وسئمنا الطاعة العمياء والسير وراء هذا الرجل فى ظلام خططه وأساليبه . . . ان ما يريده منا نابليون لكثير وفوق ما تطيقه النفوس . انه لا يطلب منا الطاعة ولكنه يفرض علينا العبودية والاستسلام وهذا مالا نرضاه . انه يشعر بأنه لامحالة ساقط فى الهوة المفتوحة أمامه فهو يريد أن يحتضن كل شىء ليضيع معه كل شىء . لقد استوفى الامبراطور حظه فعليه أن يستقبل وحده مصيره الى النهاية »

الا ليت شعرى ما أقل الوفاء فى الناس : من هم أولئك القواد الذين اجتمعوا ليأتمروا بنابليون ؟ هم لوفيفر زوج الغسالة التى عرفت فيما بعد باسم « السيدة التى لا تتحرج « Madame Sans-Gêne» والتى كانت اضحوكة رجال البلاط الامبراطورى ونسائه ، لوفيفر الذى رفعه نابليون من الحضيض إلى رتبة المارشال ! وناى الذى لم يكن شيئا مذكورا فجعله نابليون قائداً فمارشالا فأميراً وكان يلقبه بلقب « بطل الأبطال » . وبرتييه ومونسى وغيرهم وغيرهم ممن خلقهم نابليون خلقاً وسواهم عظماء بين مواطنيهم ورفع مقامهم بين الناس . وكأنى بأولئك الرجال قد أنستهم أثوابهم الموشاة بالذهب والمحلاة بالأوسمة والنياشين تلك الثياب الخشنة التى كانوا يلبسونها وهم جنود أوضباط صغار قبل أن يأتى نابليون فيرفعهم إلى ذروة المجد ، وكأنى بهم قد نسوا أنه لولا هذا العبقرى الذى جلسوا ليصارحوه بالعصيان لما ارتفع لواحد منهم اسم ولانبه له ذكر ولعاشوا وماتوا نكرات

لم يكتف المارشال ناى بخطبته الملتهبة بل جذب زملاءه وراءه ودخل على الامبراطور فى مكتبه وجابهه فى غير تلعثم ولا حياء قائلا : « يامولاى إن الحكمة تقضى ألا تتقدم فى مشروعك خطوة إلى الامام . إن حالتك حالة مريض لا يرجى له شفاء ، فيجب أن تكتب وصيتك وأن

تتنازل اليوم عن العرش لابنك » ولقد استمع نابليون إلى هذه القحة فى صمت يشبه الوجوم ثم رفع بصره الى ناى فانبعث من عينيه ذلك البريق الذى كانت العيون لا تستطيع أن تحدق فيه ، ولكن المارشال لم ير بداً من اتمام فكرته فاستطرد قائلا : « ان مصلحتك يامولاى ومصلحة فرنسا تحتمان ذلك . . . » وعندئذ ضرب نابليون مكتبه بقبضة يده ضربة هائلة وصاح : « كفى » وكأن هـذه الصيحة أذكرت المارشال ذلك الفرق الشاسع الذى يفصل مابين ضعته وسمو مكانة الامبراطور ، فاخذ يعتذر ويتلطف ويطلب الصفح حتى هدأت ثورة العاهل فأمرهم بالانصراف . ولكن المأساة عادت فتكررت فى اليوم التالى اذ اجتمع المراشلة فى حجرة المائدة ودخل عليهم الامبراطور عابس الوجه مقطب الجبين تحيط بعينيه هالة من السواد هي أثر التعب والجهد والسهر الطويل ، فامرهم بالجلوس وأخذ يلتهم الطعام وهو مشرد الفكر بدون أن يقول كلمة . أما المراشلة المؤتمرون فلبثوا ساكتين كأن طلعة نابليون قد ألجمت أفواههم ولو أنهم كانوا مازالون مصرين على العصيان . ولقد أدرك الامبراطور مافى قرارة نفوسهم وفهم أن أولئك الرجال الذين أفاض عليهم الاسماء والألقاب والرتب والنياشين والمجد والمال قد أصبحوا يضنون بشىء من هذا الذى أفاضه عليهم أن يضحوه فى سبيل انقاذ سيدهم ووطنهم . فلما مر ذلك فى ذهن نابليون وأيقن أن رجاله باتوا يحسبونه النجم الآفل ويتأهبون لاستقبال الشمس المشرقة فى شخص الملك لويس الثامن عشر ، أيقن لأول مرة فى حياته أن الخاتمة قد دنت وانه قد غلب على أمره ولم يبق أمامه سوى التسليم

التضحية العظمى

انتهى نابليون من طعامه ونهض الى غرفة الاستقبال ودعا المراشلة فوقفوا حوله مطأطئ الرءوس كأن أدمغتهم لا تقوى على أن تنهض بعبء الخيانة التى تختمر فيها ، وصار الامبراطور يذهب ويجيء فى وسطهم ويداه مشتبكتان وراء ظهره وهو يحاول أن يكظم ثورة الغيظ المتأججة فى نفسه ثم تفرس فى وجوههم ملياً وتساقطت من فمه هذه الكلمات الرهيبة : «إنى مستعد للتضحية العظمى وانى متنازل عن عرش فرنسا» . وتناول دوق كولانكور كبير الامناء من سيده وثيقة التنازل ، وهذا نصها :

« لما كانت الدول المتحالفة قد أعلنت أن الامبراطور نابليون هو العقبة الوحيدة فى سبيل اعادة السلام والأمن الى أوربا ، فان الامبراطور نابليون — محافظة على اليمين التى أقسمها — يعلن أنه مستعد للتنازل عن عرش فرنسا ولمغادرة وطنه ولتضحية حياته فى سبيل مصلحة هذا الوطن . على أن يكون مفهوما أنه لاسبيل الى التفريق بين مصلحة فرنسا وحقوق ابنه وحقوق الامبراطورة فى القوامة على العرش للمحافظة على الامبراطورية وقوانينها

صدر عن قصر فونتنبلو فى ٤ ابريل سنة ١٨١٤ »

بيد أن هذه الوثيقة التى انتزعها من نابليون خدام مجده وصنائع عظمته وصلت الى أيدى الملوك

المتحالفين فى الوقت الذى كان فيه الجنرال مارمون قد سلم نفسه وجيشه للعدو . لذلك كان طبيعياً أن لايكتفى الحلفاء بهذا القدر من التضحية وأن يطلبوا المزيد . ولقد طلبوا ألا يقتصر التنازل على شخص الامبراطور وأوجبوا أن يتناول أيضا حقوق الابن فى عرش أبيه

وأعاد المراسلة الكرة على نابليون وأوضح له الماريشال ناى أن الوقت لايتسع للمساومة وان الحالة تقضى بالاستسلام . فقابل الامبراطور اقوالهم بفتور لعله أأدب صور الاحتقار واستمع اليهم فى صمت هو أبلغ أنواع المقت والاستصغار . ثم عاودته أحلامه وأمانيه ، فحاول مرة أخرى أن يلهب فى نفوسهم تلك الشعلة التى أوصلتهم تحت قيادته إلى ذروة المجد والعظمة ، وأخذ يشرح لهم خطته التى تتلخص فى أن يذهب مع الفرق التى بقيت موالية له من جيشه إلى ايطاليا حيث يجيش الجيوش ويعود إلى فرنسا لينقذ الوطن من براثن العدو ، وكان يتكلم فى لهجة الواثق من نفسه المطمئن إلى خطته ، وكلما آنس منهم تشككا أو ارتيابا قال لهم : «انى أعرف فى أمور الحرب وأصول قيادة الرجال مالا تعرفون . واذا كنا قد أتينا معا حتى اليوم بالمعجزات فى ساحات القتال فكيف تستعظمون على مثل هذا المشروع على ماهو عليه من سهولة فى التنفيذ ؟ »

ولكن القضاء كان قد حم وأبت قدرة الله الا أن تتجلى فى اذلال هذا الجبار المتمرد على سنن الكون ومشيئة القدر ، فلم يستمع اليه رجاله وكانوا قد بيتوا رأيهم وحزموا أمرهم فأعرضوا عنه بالسمع والبصر . وهنا رأى نابليون أن الخط يبس له وأن كل شىء يهوى من تحت قدميه فاستولى عليه يأس حاسم مرير وتناول القلم وكتب وثيقة التنازل الشاملة لحقوقه وحقوق ابنه فى عرش فرنسا ودفعها اليهم وهو يقول : « مادمتم تريدون الراحة فى الذلة والسعادة فى المسكنة ، فاليكم ما تشاءون »

حدث ذلك فى اليوم السادس من شهر ابريل . وكان مجلس الشيوخ قد أعلن فى صباح اليوم البارح تنصيب لويس الثامن عشر ملكا على فرنسا . فبدأ قصر فونتنبلو يصفر ممن كان يموج بهم أمس اذ سرعان ماأعرض القوم عن المجد المتهدم ليستعرضوا المهد الناهض وسرعان ماهجروا نابليون الذى لم يصبح شيئا ليستقبلوا الملك الجديد الذى أصبح كل شىء

ولقد كان نابليون ينظر إلى كل ذلك وفى نفسه حسرة يغالبها فتغلبه ، حتى لقد أفضى الى دوق كولانكور — وهو أحد القلائل الذين ظلوا موالين له — فقال : « . . . انى ليخجلنى أن أرى أولئك الرجال الذين رفعتهم إلى الذروة العالية ، ينزلون أنفسهم بايديهم إلى هذا الحضيض السافل . وما الذى يقوله ملوك أوربا الآن عندما تتراءى لهم هذه الخسة فى نفوس رجال هم أعلام دولتى وقوائم عرشى ودعائم سلطتى ؟ . . . مهما يكن من الأمريا كولانكور ومهما تنكر لى قومى وناسى فان كل مايشين فرنسا يشيننى لأنى أشعر أنى قد افنيت نفسى فى شخصية فرنسا وأفنيت فرنسا فى شخصيتى حتى بت أنا وهى شيئا واحداً لاسبيل إلى تجزئته »

ومضت أيام كان نابليون خلالها لايفعل شيئا وهو الذى لم يألف الراحة والسكون . فكان يقطع الوقت وهو يطل من نافذة القصر على الحديقة شاخصا بعينيه نحو الافق البعيد كمن يتعقب ببصره الحظ أفلت من يده وولى الأدبار . وكان وجهه قد شحب وظهرت التجاعيد على أساريره واستولى الهم على نفسه حتى طغى فيها على كل شىء فاستسلم للمقادير ولبث ينتظر أن تتم آية الله فيه

وفى اليوم الحادى عشر من ابريل ابرم ملوك الحلفاء مع حكومة فرنسا الملكية اتفاقا ينص على منح الامبراطور السابق جزيرة « البا » الصغيرة ملكا له يقيم بها على أن يتبعه اليها جيش صغير مؤلف من أربعمائة جندى يختارهم من بين فرقة الحرس الامبراطورى . ولما أبلغ هذا الاتفاق الى نابليون لم يأبه له ولم يعلق عليه برأى حتى لقد خيل الى محدثيه انه قطع كل صلة تربطه بهذا العالم وبما يجرى فيه وانه بات يرتقب شيئا أوحدثا مجهولا لا يعرفه هو ولا يعرفه أحد سواه

الامبراطور ينتحر

فى الليلة الواقعة بين ١٢ و ١٣ ابريل أوى الخادم كونستان إلى غرفته فوق مخدع الامبراطور بعد أن عاون سيده على خلع ثيابه وبعد ان غادره وهو يتأهب للنوم قبيل نصف الليل . وما كاد كونستان يستقر فى فراشه ويغمض عينيه حتى أحس بقدمين تسرعان نحو غرفته وإذا زميله بيلار — وكان عليه الدور فى هذه الليلة لخدمة الامبراطور — يدفع الباب بقوة ويدخل وعلامات الذعر بادية على وجهه وقد جحظت عيناه وانقلبت سحنته وجعل يقول فى عبارات مضطربة متقطعة : « اسمع يا كونستان ... انصت جيداً ... ألا تسمع شيئا ؟ لست أدرى ماذا فعل الامبراطور بنفسه . لقد رأيته يذيب مسحوقا فى قدح ماء ويشربه ثم سمعته بعد ذلك يتأوه ويشهق » ولم يدع كونستان زميله يتم كلامه بل جذبه وجرى به الى مخدع سيدهما حيث وجداه منبطحاً على السرير وقد احتضن الوسادة وغطى وجهه وهو يتقلب تقلبات عنيفة ويبعث من صدره زفيراً ينم عن ألم عظيم

وكان الدكتور ايفان طبيب الامبراطور الخاص مقيما تلك الليلة بالقصر فاسرع اليه كونستان وأيقظه كما أيقظ الدوق ده كولانكور كبير الأمناء . فلما أبصر نابليون طبيبه ابتدره قائلا : « أظن أن الجرعة كافية يا إيفان » فنظر الطبيب الى أرض الغرفة فرأى كيساً صغيراً من الورق المشمع وقدحاً فارغا فأدرك أن فى الامر شيئاً . ولكنه كان يجهل أن الامبراطور نابليون كان يحمل دائما فى معاركه الحربية كيساً صغيراً يحتوى على مسحوق سام وأنه كثيرا ما كان يضع يده على جيب سترته ويقول : « إذا كتب على أن اقع أسيرا فى يد العدو فلست أخشى شيئاً لان مصيرى فى هذا الجيب » ولقد ذعر دوق كولانكور اذ رأى شحوب وجه سيده وانقباض أساريره والعرق البارد المتصبب من رأسه ، فركع على احدى ركبتيه وتناول يد الامبراطور وسأله ما به فقال نابليون : « لم أعد استطيع البقاء ياصديقى وسأموت الآن فاوصيك بابنى وبزوجتى وأرجو أن تدافع عن ذكراى »

وأقبل الطبيب بقدح من الشاى الساخن وطلب من الامبراطور أن يشربه فأبى،فاستعان بكبير الامناء وألحا عليه وكانا كلما ازدادا إلحاحاً ازداد تأبيا وأشاح عنهما بوجهه قائلا : « دعا هذا فلست أريد الحياة » ثم جحظت عيناه وخرج الزبد من شدقيه وبدأت البرودة تدب من أطرافه إلى جسمه فارتمى على الفراش ساجي الطرف يكاد لايعي . وانتهز الطبيب الفرصة وأدنى القدح من شفتى المريض المحتضروصب الشاى فيهما صباً ثم انقضت هنيهة انتفضت على أثرها أطراف الامبراطور واعتراه قيء شديد سقط بعده على الوسادة لا يقوى على النطق بكلمة

وجهز الطبيب عقارا آخر وقدمه لنابليون ليشربه فاشار بيده رافضا فهمس ايفان فى أذن كولانكور : « اذا لم يشرب هذا فلا حيلة لى فيه » ، وعندئذ تقدم كبير الامناء وظل يتوسل إلى سيده وتناول الكأس من يد الطبيب وقربها من شفتى سيده قائلا : « يامولاى استحلفك بابنك وبالامبراطورة وبفرنسا التى لا تزال ترجو الخلاص على يديك ، استحلفك أن تشرب فان حياتك ليست ملكا لك وحدك . أرجو أن تساعدنا على انقاذك . ابنك يريد ذلك وزوجتك وجنودك الذين يحبونك ويعبدونك يضرعون اليك أن تشرب » وكأنه كان لهذه الكلمات سحر خاص فافاق نابليون من غيبوبته ونظر الى ما حوله نظرة بلهاء وتمتم بين شفتيه : « فرنسا ... ابنى ... زوجتى ... » وتناول الكاس وشربها على جرعات متواليات فكانت نفسه تجيش وتعتريه نوبات قيء الى أن لانت أطرافه المتصلبة وانفرجت أسارير وجهه فاستلقى على السرير مرة أخرى وأخذته سنة من النوم

وسهر الطبيب والدوق الى جانب المريض حتى دقت الساعة الرابعة من الصباح . وهنا اعترت نابليون انتفاضات عصبية استيقظ بعدها بعينين غائرتين ووجه ينم اصفراره عما قاساه الجسم من الالم المبرح المرير ، فادار نظره فيما حوله وقال بصوت خائر متهدج : « كل شيء يخونني ويتخلى عنى حتى الموت ! » ، وحاول كولانكور أن يرفه عنه بكلمات ليسرى عنه بعض الهم ، فقاطعه قائلا :«ليس ضياع عرشى هو الذى يؤلمنى ، بل الذى يجعلنى أبغض الحياة أنما هو مارأيته من نذالة الناس وحطة نفوسهم ونكرانهم للجميل . انى إزاء ما لقيته من جبن رجالى ووقاحتهم قد تقززت نفسى ولم أجد سبيلا إلى الراحة سوى الموت . ان الذى قاسيته فى هذه الايام شيء فظيع شيء لا يمكن أن يدركه الناس ولا أن يفهموه . أواه يا كولانكور لو كنت تدرى ! » ونهض الامبراطور من سريره متثاقلا وأزاح استار النافذة وكاد سواد الليل ينقشع فلبث ينظر من النافذة هنيهة ثم عاد واعتمد رأسه بين يديه وقال : « مضت على أوقات يا كولانكور كنت أحس فيها ان صوابى فارقنى وأنى جننت .. نعم كنت أحس فى رأسى بحرارة مستعرة تكاد تلهبه فكنت أمسك رأسى بيدى هكذا كأنى أحبس فيه عقلى حتى لا يطير . أعوذ بالله من الجنون . . . إنه لأحط ما يصاب به انسان فما بالك برجل مثلى ؟ ألا إنى لافضل الموت على الجنون الف مرة »

الايام الاخيرة

لم تمض بعد تلك الليلة أيام حتى كانت العزلة التى يعيش فيها الامبراطور تامة . فان اخوته واخواته وابنه وزوجته لم يعودوا اليه ، وكبار قواد الجيش هجروه من غير توديع ولا استئذان ، حتى طبيبه ايفان وخادمه كونستان ومملوكه رستم فقد اختفوا فجأة هم الآخرون . وهكذا بقى نابليون وحيداً لا يأتنس الا بمحادثة صديقه الوفى كولانكور خلال ساعات قصيرة من النهار

بيد أنه اذا كان كبار رجال الدولة والجيش قد هرولوا ليعرضوا خدماتهم على الملك الجديد فقد بقى لنابليون رجال حرسه وهؤلاء لبثوا أوفياء له لم يفارقوه لحظة فى أيام المحنة والبلاء . ولعل من أحسن مايروى عن وفاء أولئك الشجعان المخلصين انه بينما كان الامبراطور يتنزه ذات صباح اذ أقبل عليه جندى من جنود الحرس وحياه ووقف صامتاً فابتدره نابليون سائلا : « ماذا تريد ؟ » قال : « جئت أرفع مظلمة الى جلالتك يامولاى . لقد أمضيت فى الخدمة العاملة اثنتين وعشرين سنة احرزت خلالها أنواطا وأوسمة فى كثير من المعارك ومع ذلك لم يدرجوا اسمى فى قائمة المسافرين مع الامبراطور . وهذا انكار لحقي لا أستطيع السكوت عليه . فاذا أصروا على نسيانى فانى سأرتكب منكراً . . نعم ساخلى لنفسى مكانا بين الاربعمائة المختارين بان أقتل واحداً منهم لاحل محله »

ارتسمت على شفتى الامبراطور ابتسامة تنم عن الدهشة لهذه الجرأة أو الارتياح لهذا التفانى فى الاخلاص فقال : « ألك رغبة فى الرحيل معى ؟ » قال : « ليست المسألة مسألة رغبة يا مولاى ولكنها مسألة حق . ذلك حقى أتمسك به وشرفى ادافع عنه » فنظر اليه نابليون طويلا وقال : « هل فكرت فى الامر مليا ؟ وهل تعلم انك برحيلك معى ستغادر أهلك ووطنك وتضحى ترقيتك ؟ » فأجاب الجندى بلا تردد ولا تفكير : « أما الترقي فليبارك الله للراغبين فيه . وأما أهلى ووطنى ففى جلالتك كل العوض وأنت بمثابة كل شيء لى . ولست أستطيع أن أفارق مولاى بعد أن رافقته عشرين عاماً منذ حملة مصر الى اليوم . » فابتسم الامبراطور وداعب أذن الجندى باصابعه وقال : « هذا حسن منك وسآخذك معى . » فكاد وجه الجندى يطفح بشراً وقال : « الحمد لله يا مولاى فلقد وفرت على ارتكاب جناية » وحيا سيده وانصرف

وتحدد لرحيل الامبراطور إلى جزيرة البا يوم ٢٠ ابريل سنة ١٨١٤ وحضر مندوبو ملوك الحلفاء المكلفون بالاشراف على ترحيل نابليون ومصاحبته الى الحدود ووقفوا ينتظرون خروجه من القصر . وكانت المعدات قد تمت وتأهب العاهل لمغادرة القصر فى أصبوحة اليوم المعين وقد اختار لمرافقته ثلاثة من قواده الأمناء وهم برتران ودروو وكامبرون . أما باقى ضباط فرق الحرس الذين قضى عليهم بالافتراق عن سيدهم فقد أبوا أن يغادروا القصر قبل أن يطل عليهم سيدهم ليودعوه . وسعى الجنرال بيتى قائدهم لدى الامبراطور ففاز منه باجابة رغبتهم

الوداع

نزل الامبراطور قبيل الظهر إلى الشرفة الكبرى المطلة على ساحة القصر حيث اصطف رجال فرقة الحرس القديم وبحارة الحرس الجديد ووقف يصافح بيده بضع عشرات من الضباط الذين جاءوا ليحيوه التحية الاخيرة . ثم نزل السلم بسرعة ووقف عند الدرجة الاخيرة هنيهة وأصدر الامر بجعل الحرس على شكل نصف دائرة ثم سار ووقف فى وسطهم تحت العلم الذى كان قد اهداه لحرسه وقد كتب على أحد وجهيه بحروف مذهبة : «من الامبراطور نابليون الى الفرقة الاولى من المشاة: رماة القنابل » وكتبت على الوجه الآخر أسماء المعارك التى اشتركت فيها تلك الفرقة

وكانت الشمس ترسل أشعتها على هذا المشهد الرائع الجليل فتزيد من روعته وجلاله وقد تجمعت عظمة ذكريات الماضى الى عظمة هذا الوداع فكان المنظر يبعث الى النفوس مزيجا من الحزن والاكبار وأشار الامبراطور بيده اشارة فهموا منها أنه يريد الكلام فصمت الجميع فى خشوع وسرت فيهم قشعريرة لا توصف وارتفع صوت الامبراطور قائلا : « أيها الضباط وصف الضباط والجنود . انى أودعكم واستودعكم الله. لقد ظللت مسروراً بكم وراضيا عنكم عشرين سنة حيث كنت أراكم حولى فى طرق المجد وميادين الشرف ... » واستطرد نابليون فى خطابه بجأش ثابت لا يبدو فى صوته ولا فى حركاته أثر من انفعال نفسه . فلما انتهى من الكلام لم تبق عين الا هطلت منها الدموع وصاح الجنرال بيتى : « يحيى الامبراطور ! » فدوى صوت الجنود مردداً : « يحيى الامبراطور ! »

وعندئذ بدت على وجه نابليون علامات التأثر فاستأنف الكلام وقال : « ليس فى امكانى ان اعانقكم جميعاً . لذلك سأكتفى بان اعانق قائدكم . . . تقدم يا جنرال بيتى لاعانقك بصفتك ممثلا لجنودى الشجعان الاعزاء » فأقبل عليه الجنرال فعانقه طويلا ثم أشار الى حامل العلم أن يتقدم وتناول طرف العلم وقبله ثلاثا وقال : « أيها العلم العزيز ارجو ان يكون لهذه القبلات ترجيع فى نفوس جميع الابطال الذين اغادرهم اليوم ... وداعاً يا ابنائى الاعزاء »

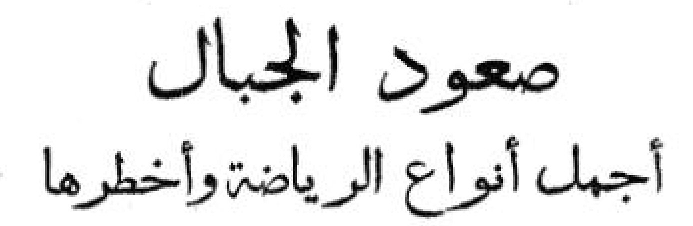
وركب نابليون عربته بينما كان الجميع يحاولون ان يقبلوا ما تصل اليه ايديهم منه ودموعهم تنهل من مآقيهم وهم يصيحون مولولين : « الى اللقاء يا امبراطورنا العظيم . . . وداعا يا قائدنا المحبوب »

واقتحمت العربة ابواب الحديقة وما هى الا دقائق حتى اختفت وراء أشجار الغابة وغابت عن الانظار

حسن الشريف

مصادر هذا المقال

I. Rois Sans Royaumes, par : Georges Lenôtre de l'Académie Française.
II. Mémoires de Napoléon I. TomeV.



صعود الجبال

أجمل أنواع الرياضة وأخطرها



أحد المصابين في تسلق صخور الجبال وهو ينقل من قمة الى أخرى بواسطة الحبال وفي المناطق الجبلية وسائل منظمة لاسعاف المصابين

الجبال

الباسقة منتشرة في نواح كثيرة من أوربا وقد أصبح صعودها غاية لكثير من الرياضيين المغامرين. وهناك (أدلاء) في سويسرا وغيرها جعلوا صناعتهم مساعدة الراغبين في الصعود على الوصول بهم الى القمم مرتبطون بهم بالحبال. ولكن هناك أناسا من المجازفين يأبون أن يستعينوا بدليل ويصعدون الجبال وحدهم وفي ذلك خطر كبير، فان من أيسر الامور أن تنزلق قدم المتسلق فيهوي الى هاوية بعيدة القرار. ولم يمّح من الاذهان أن تنسى مصرع الملك البير ملك البلجيك إذ لقى حتفه من تلك الرياضة الجريئة

ونحن في مصر قد حرمنا من هذه الرياضة التي تتيح فرصة المجازفة فان بلادنا خالية من الجبال العالية التي تستحق التسلق ولكنا قد استعضنا منها لدرجة ما بصعود اهرام الجيزة ـ والقياس مع الفارق . . . ولا يعرف اللذة التي تستمد من صعود الجبال إلا من مارس هذه الرياضة بنفسه

ولما كانت هذه الرياضة محفوفة بالخطر فقد نظمت وسائل الاسعاف في المناطق الجبلية باوربا ويقوم بالاسعاف هناك رجال أشداء برعوا في تسلق الصخور



رجال الاسعاف يهبطون من أعلى القمم على الصخور الملساء ومعهم رجل مصاب

حين يصل المصاب ملفوفاً بما يشبه «الزكيبة» يتسلمه رجال الاسعاف ويفك قيوده ثم يحمله الى حيث يعالج



رجال الاسعاف يتدلون على حبال ممتدة من احدى القمم ومعهم جسم شخص مصاب

شخص أصيب في تسلق الجبل فهو ينقل مربوطاً إلى جذع شجرة



نقالة تسير بين قمم الجبال لاسعاف المصابين وهو عمل يتطلب قوة أعصاب لدى رجال الاسعاف.



رجال الاسعاف في المناطق الجبلية يجرون نقالة تحمل شخصاً مصاباً على الجليد

جنود تركوا البنادق وأمسكوا بالفؤوس لفلاحة الارض

من الجندية الى الزراعة !

مدرسة زراعية للجنود الالمان

في مدينة جوتربوج بالمانيا مدرسة زراعية خاصة بالجنود وفيها يتعلمون كل ما يتعلق بالزراعة وتربية الماشية نظريا وعمليا كى يهيئوا لانفسهم عملا يرتزقون منه بعد انتهاء مدة الجندية . ويتبع المدرسة عدد من الفدادين يتدرب فيها الجندى الطالب مدة نصف سنة يتلوها التعليم النظرى مدة نصف سنة آخر . وترى الجنود يقبلون على هذه المدرسة والحكومة تشجعهم على ذلك



جنديان يقودان بقرتين الى المرعى



في التعليم النظرى تعرض
نماذج لبهائم تبين تكوينها
الجثمانى

حرث الارض لزرع الخضراوات





جنود يبخرون الاشجار
لقتل الآفات الزراعية



جنود يشحنون الدريس في عربة

مُدُن الفنّ
في بلاد الأندلس

(٥) بقلم المرحوم احمد زكي باشا

نشرنا في عدد فبراير الماضي الفصل الرابع من كتاب « مدن الفن في بلاد الاندلس » الذي قام بتأليفه المرحوم احمد زكي باشا. وقد اشتمل ذلك الفصل على وصف غرناطة وقصر الحمراء كما شاهدهما شيخ العروبة . ويتناول الفصل الذي ننشره في هذا العدد بقية وصف الحمراء وما أبدعته يد الفن في هذا القصر العربي العظيم

ولكن الذين بنوه هم مهندسو العرب بحسب الطراز العربي وكان ذلك تقريباً في العهد الذي بني فيه قصر الحمراء . فيحق لنا اذن أن نفترض بأن مدخل قصر عظيم كهذا القصر يجب أن يكون قد وضع قدماً في المكان الذي شاد عليه « شارلكان » فيما بعد قصره الضخم . ولكن بما أنهم قد ضحوا لهذه العمارة التي ماتت يوم ولادتها جناحاً كاملاً من القصر العربي فيلزمنا الآن على المدخل في الباب الحديث المجاور « للعمارة الامبراطورية » .

* * *

اننا نلاحظ في قصر « الحمراء » ما لاحظناه في « مسجد قرطبة » وهو ان لفن الهندسة المعمارية عند العرب ميزتين :

الاولى ـ ان في هاتين العمارتين نرى الدار هي قلب العمارة كلها

الثانية ـ ان كلتيهما قامتا بدون سابق تخطيط لرسم معين من بادىء الامر في كل اجزائها. أي أنهما لم تنضجهما القريحة للنهاية ولم يخططهما الفكر والتصميم تخطيطاً كاملا . ففي « مسجد قرطبة » أمكن ان يضاف أعمدة كثيرة جديدة فوق التي كانت موجودة بدون إحداث تغيير في التأثير العام والتناسق الهندسي . كذلك في قصر الحمراء كان بالامكان أن يضاف الى الدارين المحاطتين بالأروقة والمقاصير ثلاث دور أو أربع أو خمس أخرى تشبهها . وليس هنا ما يدل على تصميم اجمالي كامل اذا استثنينا من ذلك « دار الريحان » التي تتصل بها قاعة السفينة

اتصالا محكما وتصلها ببرج « قارش » والتي كانت توصل اليها قبل ان يبنى قصر « شارلكان » من الباب الاكبر والرواق الذى بعده . ومن عتبة هذا الباب كان يرى الزائر أمامه مباشرة صفوف تلك الاعمدة المتناهية فى الظرف والرشاقة التى تطوق « دار الريحان » وكان يشاهد ايضاً من هناك الحوض الكبير (البركة) وقاعة السفراء التى تفتح نوافذها على المدينة و « البيازين »

وكانت هذه الأبهة المتناهية الجمال التى تستقبل السفراء فى ذاك العهد ساعة دخولهم لا بد أن تحدث تأثيراً عظيما فيهم . واذا كان هذا التأثير قد خف فى أيامنا هذه فذاك بسبب اننا عوضاً عن أن ندخل الى هذه الدار من وسط واجهتها الضيقة الواقعة تجاه برج « قارش » حيث نرى ألطف الاعمدة ويتراءى لنا الحوض المستطيل بشكله الجذاب ـ ندخل من باب جانبى فلا نرى من بادىء الأمر إلا جزءاً من الدار بدون أن تشهد أعيننا احدى القاعات الفخمة المفتوحة عليه . كذلك بسبب ما لعبت به أيدى التخريب فى هذه الدار ثم أيدى الترميم الذى حصل فى أواسط القرن التاسع عشر ثم ما أحدثته حرائق سنة ١٨٩٠

ومع كل ذلك فان جمال هذه الدار وبهاءها ورشاقتها وحسن تناسب أجزائها وتناسق هندستها وبراعة وفخامة زخرفها التى تدل على حسن الذوق وليس فيها شيء من الغلو والافراط ـ كل ذلك يستهوى النفس ويأخذ بمجامع الألباب

فالقناطر الممدودة الرشيقة وأعمدتها اللطيفة المشوقة وزخرفة الجبس ذات الألوان الباهرة التى تغطى الجدران كالستائر الكثيفة من الدنتلا والنوافذ المشبكة بالحديد المشغول المزخرف والأبواب الخشبية الملونة بكافة الألوان المصورة على أبهى النماذج وصفا أشجار الريحان الاخضر المحيطان بالبركة وقبة السماء الزرقاء الصافية ـ كل ذلك تعكس صورته مع هذه المشاهد الرائعة على تلك المرآة المائية الساحرة مع ما يحيط بهذا المكان مع جو الهدوء والسكينة إذ تنقطع عند عتبته كل ضوضاء وتخرس كل جلبة وتقف كل حركة خارجية حتى انك تسمع فيه حفيف أجنحة الفراش الملون ، فيأخذ بمجامع الالباب ويذهب بك فى فضاء الاحلام الى أرض بعيدة حيث تحلم بحياة أخرى مملوءة بالملذات ، حياة الفردوس وهى التى تنعم بها أولئك الذين سكنوا فى هذا المكان

أليست جنة عدن بمياهها الجارية وحورها الحسان ما أقامه العرب وأنشأوه فى قصر « الحمراء » ؟ . . أما كان ذاك الشعب مشبعاً بالتصاوير الشعرية عندما افتكر بكل هذا وحقق فكرته كما يحققها الجان ، بان خلق من الجبس الصامت حياة ناطقة ؟ .. وخلقها باشكال ضوهيت فيها الطبيعة أروع مضاهاة بتلك التعاريش الملتفة حول النوافذ ، بتلك التماثيل المدلاة كأنها فى الكهوف ، وبكل شيء استعاره هؤلاء الصناع الحاذقون من مخيلتهم فقط وصوروه فى أذهانهم بدون أن يأخذوا شيئاً من أشكاله عن العالم الخارجى أى عن الحقيقة إلا بعض تفاصيل خاصة .

حتى انهم بهذه التفصيلات أبدعوا أيما إبداع فى أنهم سبكوها بقوالب غريبة ولم يتركوا للاصل شيئاً معتبراً بل جعلوه منسياً يكاد لا يعرف انه النموذج الذى نقلوا عنه

***

وقد قاومت « الحمراء » - كما قاومت بالاجمال سائر المبانى العربية - تأثير الزمان وطوارئه بشكل مدهش. وبنايات المغاربة كلها توجب هذه الدهشة عندنا نحن الذين تعودنا أن نرى مخلفات المسيحيين تتهدم قبلها مع صلابة أدواتها ومواد بنائها

فحيث تتعرض للرياح والامطار ترى تلك الحجارة المنحوتة التى بنيت منها الكنائس تتفتت وتنهار بينما جدران المبانى العربية المصنوعة من الطين « الدلغانى » لم تزل باقية ناعمة سليمة فى كل مكان لم تمتد اليه فيها « يد الانسان » أو تؤثر فيه ظروف طارئة خارجية كزلزال أوحريق مثلا. فجدران الحمراء مثلا مبنية بالمادة المعروفة بـ Tapia وهى التى وصفناها عند كلامنا على مسجد قرطبة وذكرنا تركيبها وكيفية استعمالها

لكن الذى يدهشنا زيادة هو مقاومة الحفريات والنقوش والزخارف. فان كل هذا الذى يملأ جدران الدور والقاعات والاروقة لم تزل خطوطه وحافاته متينة وزواياها لم تزل حادة بارزة كما صنعت منذ خمسمائة سنة ويصعب جداً أن نصدق انها من الجبس العادى. واذا بحثنا فيها نجد انها بالواقع نوع من « المونة » ناتج عن مزج صنف من الحجر معروف فى غرناطة. وكل زائر لا يتمالك من أن يمس بيده هذه الزخارف البارزة أو المحفورة لكى يتحقق انها ليست من الرخام أو من صنف حجر آخر كما هى الحال فى « قرطبة ». لذلك لا يشبه جبس الحمراء الجبس المستعمل فى أيامنا لأن الذى نستعمله الآن فى بناياتنا من المؤكد انه لا يقوى على الطوارىء ومرور الزمان كثيراً. والبرهان على ذلك اننا الآن نميز فى قصر الحمراء نفسه الاجزاء التى رممت من عهد ذهاب المغاربة بمجرد القاء نظرنا على دوائرها التى ذابت وحافاتها التى استدارت

ان الدار التى يسميها الاسبان دار « البركة » أو دار « الريحان » هى مربع مستطيل طوله سبعة وثلاثون متراً وعرضه ثلاثة وعشرون. جدرانه الجانبية وهى الكبرى المستطيلة مبنية ومطلية بالجير الابيض اللبنى وزخرفتها الوحيدة قائمة فى الدور الاسفل بأبواب فوقها أقواس معقودة مكللة بزخارف جبسية. وفى الدور الأعلى بنوافذ مزدوجة من الصنف الذى وصفناه

وقد كانت هذه الجدران فى الازمان الغابرة مكسوة بالخزف الصينى لغاية ارتفاع نصف القامة لكنها الآن زالت منها هذه الزخارف تماماً

أما الجدران الطرفية وهى القصيرة فزينة بصف من الاعمدة الرخامية وهى تفوق الجدران الاولى زخرفة واتقاناً

فالوجهة الشمالية التى تقابلنا وجهاً لوجه عند دخولنا هى أبسط الوجهات . فرواقها يرتاح على ثمانية أعمدة رشيقة تحمل سبع أقواس مزخرفة . والعمود الاوسط هو اكبر الجميع ضخامة وارتفاعاً . والمسافة المسطحة بين عقود الاقواس والسقف كلها مغطاة بطبقة من الجبس المخرم تخريماً تخاله نوعاً من الدانتلا السمينة المزركشة . ويتساط على سطح هذا الرواق «برج قارش» المخرق بالمزاغل والمعزز على كل من جانبيه ببرج آخر صغير

أما الواجهة الجنوبية فعوضاً من أن يكون لها دور واحد كالتى وصفناها فان لها دورين : الدور الاسفل بأقواسه السبعة وجدرانه المزخرفة يشبه تماماً الدور الذى يقابله من الواجهة الاولى ولكن سقفه يحمل « مئذنة » ذات ارتفاع قليل وله فوق قوسه الاوسط نافذة مزدوجة وفوق كل قوس من أقواسه الاخرى الستة نافذة اعتيادية بسيطة . وجميع هـــذه النوافذ تقفل بدرفات حديثة الصنع مقلدة فى هندسة قطعها الطراز العربى القديم تقليداً . وفوق المئذنة رواق ذو قناطر وأعمدة وأطر من القيشانى كما فى الدور الاسفل ومطابقة له . إلا أن هذا الرواق أقل ارتفاعا من الرواق الاسفل . ويتسلط على هذا الجزء من الدار جدران قصر شارلكان العارية . وحيث ان لهذا القسم دورين فيستنتج من ذلك ان القسم الآخر كان مثله قبل أن يهدمه شارلكان . ويؤيد ذلك وجود فتحات الابواب التى لم تزل للآن فى جدران الدورين العلويين والتى كانت تفتح على المقاصير المقابلة لها والتى لم يعد لها وجود اليوم . فوجهتا هذه الدار الصغيرتان أمام كل واحدة منهما رواق يزيد طوله قليلا عن ثلاثة أمتار

أما الوجهات الكبرى فقد أحاطوا كل واحدة منها باطار من الرخام والصقوا فوقه شرفة مستطيلة زرعوا فيها السرو والريحان . فهذان الخطان أحدهما أبيض والثانى أخضر يحيطان ببركة ضيقة مستطيلة تتصل عند كل من طرفيها بحوض صغير بالكاد تتجاوز حافته سطح مائها

وسقف الرواق الذى يعلو ثمانية أمتار عن رخام الدار يتألف من « موزايك » مصنوعة من خشب الأرز وهى ذات أشكال ورسوم مختلفة وهيئات هندسية كثيرة الاضلاع الجانبية أو باشكال النجوم . وجميع هذه الرسوم تتغير على الدوام الى ما لانهاية . وقديماً كان عليها نقوش مذهبة وطبقات من الالوان تزيدها مع ابرازها للنظر بهاء ورونقا . وقد تشوهت هذه الزخارف تشوهاً فظيعاً بكثرة ما دخل عليها من الترميمات التى فى اكثر الاحيان لم تكن موافقة لها ثم أتلفها الحريق الذى حصل سنة ١٨٩٠ فى جهة برج « قارش »

أما تيجان أعمدة هذه الدار فتختلف عن بعضها . وتجد بين الابواب العديدة التى تفتح على المقاصير المحيطة بجوانب الدار الكبرى بابين متشابهين بزخرفتهما . فهنا ليس للاقواس رءوس

مسننة وليست بشكل حدوة الفرس ، بل هى عبارة عن أنصاف دوائر ليس لها شيء من شكل الحدوة ، إلا أن تحدبها عوضاً عن أن يبتدىء مباشرة من وسط العقد لا يبتدىء إلا من بعد خط مستقيم مواز لاتجاه العمود

وتيجان الاعمدة التى تحمل القنطرة المقوسة الوسطى مصنوعة على الطراز العربى الصميم الذى يشبه قرصاً معلقاً يشبه بتقسيمه خلايا قرص العسل . وباقى التيجان لها أشكال ورق "lotos" وهى تتصالب وتتشابك من كل جهة باشكال غريبة

أما أطراف الاعمدة فهى من المرمر ايضاً كتيجانها وترتاح من الاسفل على مساطب بسيطة وفى كلا طرفيها قوالب مقعرة أو محدبة تحيط بها كالاساور لتزينها

وأطر الجبس المخرمة الواقعة بين عقد القوس والسقف مقطعة باشكال هندسية مستطيلة ذات زوايا حادة ومحفور فى وسطها شكل شعار مؤلف من نبات ومنحوت عليه كتابة عربية

***

وإنك لترى خفة روح وذوقاً متناهيا فى هذه الاعمال لدرجة انك تذهل كيف انها عملت فى مثل هذه الادوات الصلبة . فالسائح المتفرج يكاد يظن ان نفحة خفيفة من النسيم لو هبت عليها لمحتها من جدران الدار كما تفعل بنسيج العنكبوت . ألا يحق لنا أن نعجب اذن بالبراعة الفائقة التى أبداها مهندسو العرب المعماريون الذين أعطوا لشيء ظاهره وهن ضعيف تلك القوة التى قاومت مرور الاجيال والحقب ؟ .

***

ونزيد على ما تقدم ان الأقواس كلها من التاج حتى العقد محاطة بزخارف من الجبس فى منتهى الجمال . كذلك أبواب ونوافذ الدار كلها مزخرفة بنفس الشكل التعريشى . وما عداها يستوقف نظرنا أيضا تلك الكوى المحفورة فى أطراف الأروقة

كان الغرض من تلك الكوى أن تسند اليها المتكئات التى كان يستعملها سكان القصر فى أوقات راحة القيلولة بين خرير الماء . وحفيف أوراق الشجر . وفى هذه الكوى بل فيها وحدها حفظت الزخارف الخزفية فى حالة روائها وبهائها الأول . ولذلك فهذه الكوى وحدها تجعلنا نتصور كيف كانت أبهة الزخارف وسطوعها القديم فى كل تلك الاسقف والجدران . وتتخذ هـــذه الزخارف فى كل كوة أشكالا هندسية مختلفة يكثر بينها الشكل النجمى والشكل الكثير الاضلاع . بينما الشكل النباتى والحفريات الكتابية تكثر فوق الزخارف المصنوعة من الجبس

***

ان أحد العناصر المهمة فى الهندسة المعمارية العربية وفى الزخارف العربيـــة هو الطراز

« المعلق » أو « المدلى » وهو الذى تارة يلتصق فى الزوايا كما تلتصق خلايا النحل وتارة يتمشى تحت السقف كافريز سابح فى الهواء وتارة يتخذ أشكال التماثيل المائية المتحجرة التى تتدلى من الكهوف والمغارات فتخال انه معلق فى السقف تعليقاً لا أنه هو الذى يحمل السقف

وهذا الشكل الاخير هو اكثر الاشكال استعمالا . وشيوعه بكثرة وفى كل مكان بدرجة الافراط سبب ارتكاب هفوات كثيرة فى اتقانه لما كان يوضع فى غير محله المناسب . ويدعى أحد العلماء بان العرب لم يستعملوا هـــذا النوع من الزخارف التى تشبه النسيج الخلوى فى الاجسام الحية إلا لكونهم كانوا دائماً يفتشون على الظلال . ثم جاء عالم آخر وأصلح خطأ زميله بقوله : «ان الطراز العربى المدلى لا يعطى ظلا انما استعمله العرب لنفورهم من الاشكال المسطحة» وكلا الرأيين مصيب فى بعض المواضع . إلا ان الحقيقة تجدها فى وجه واحد وهى الصعوبة التى كان يجدها مهندسو المعمار عند مباشرة عملهم باقامة قنطرة معقودة فوق سطح مربع . فلكى ينشئوا الزوايا اضطروا الى استعمال قطع ضخمة من الخشب تسد فراغ الاركان . فنتج بذلك بدون مشقة وبدون قصد التركيب الخلوى المشار اليه تقريباً من تلقاء نفسه على نوع ما . لأن تكديس هذه القطع الخشبية المتتابع واحدة فوق الاخرى شغل كل الفراغ الذى يجب أن يملأ فنتج من ذلك ان القنطرة عقدت من تلقاء نفسها . لكن لما أصبحت هذه الطريقة مألوفة فى المدينة لدرجة الابتذال صاروا يستعملونها فى أمكنة ليس من شأنها أن تحمل سقفاً . . . ونحن نستطيع أن نفهم ذلك بسهولة اذا افتكرنا فى أصل هذا الطراز « المعلق » أو « المدلى »

***

أما تيجان الاعمدة فى دار « الريحان » وهى التى تكلمنا عنها فمصنوعة من المرمر . ولكنها تمثل بدون شك نماذج من الخشب إذ بدون ذلك لم يكن باستطاعة الحفار العربى أن يفتكر بنحت وحفر الحجر هكذا . وأخيراً أصبح الطراز المدلى أهم أنواع الزخارف . حتى انهم بدلا من أن يصنعوه من الخشب أو الحجر صاروا من باب الاقتصاد يصنعونه من الجبس مصبوباً فى قوالب . ويصعب التمييز إذا كانت تلك القناطر المصنوعة على هذا الطراز والتى نراها أثناء مرورنا فى كل مكان بالحمراء هى حقيقة من الجبس أم لا . إذ قد يمكن أن تكون القشرة جبسية وتخفى تحتها هيكلا خشبيا . هذا أمر لم يتمكن أحد من تحقيقه للآن بصفة قاطعة . ومهما يكن فانك تجد فى متحف قصر الحمراء دكة خلوية مركبة من قطع خشبية تبين لك بايضاح ما يلزمك من الشروح لتفهم كيفية تركيب الزخارف بموجب الطراز المعلق

***

دعنا الآن نمر تحت تلك القناطر المدلاة منها تلك التماثيل الكهفية الملونة والمذهـــبة التى توصلنا من دار « الريحان » الى « قاعة السفينة »

سميت هذه القاعة هكذا لأن قنطرة سقفها تشبه سفينة مقلوبة

ففى هذه القاعة حصلت حريقة أتلفت العقد المذكور وأحدثت أضراراً أخرى لكن المدخل لم يزل باقيا محفوظا بحالة جيدة عن باقى الاقسام

وفى هذه القاعة نثر الفنان العربى بدون حساب كل موارد الزخرفة والتزيين التى أفاضها الفن على قريحته . فالى كل من جانبى المدخل حفرت كوة متسعة كانت فيما مضى تستعمل على الأرجح لوضع أوانى المرطبات والمشروبات . وجدران القاعة ـ كسائر جدران المنازل المغربية فى اسبانيا ـ مملوءة من الزخارف ترى فيها أولا الزخرفة بمربعات الخزف الصينى المذهبة الساطعة من الارض الى ارتفاع منتصف القامة . ثم طبقة من الجبس الفاخر ممتدة لغاية السقف ومقطعة هنا وهناك بصفوف من الاعمدة والافاريز . وتجد عليها الكتابات العربية محفورة يتخللها رسوم هندسية وتيجان من أوراق الشجر وأزهارها

اما الدهان على هذه الزخارف لا يدل دائماً على ذوق كبير . فان النار قد سودت جدران هذه القاعة وذهبت بلمعان ألوانها الباهرة . لكن فى القاعات الاخرى لم يكن نقص الذوق إلا بسبب الترميمات والاصلاحات التى أدخلوها فيها وكانوا يرتكبون فيها هفوات كثيرة . مع ذلك فيمكننا أن نقول بوجه الاجمال ان الأجزاء الحية البارزة كانت مذهبة . وكانت التجاويف حمراء والجوانب زرقاء

***

نجتاز الآن بعد « قاعة السفينة » ممشى معقوداً يقابل مدخل « دار الريحان » وهو مملوء مثله بزخارف الجبس المدهون أو المذهب وبالتماثيل الكهفية المعلقة (المدلاة) وبمربعات الخزف الصينى . ومحفور فى جدرانه كوى لآنية الماء والمشروبات فنصل منه الى قاعة « السفراء » التى تشغل كل « برج قارش » العظيم

يظهر ان هذه القاعة كانت مخصصة قديماً لاستقبال سفراء الدول الاجنبية . وفيها عقد زعماء المغاربة آخر اجتماع لهم قبل تسليم المدينة والقلعة . وهى من أجمل وأسمى قاعات «الحمراء» . ولما تسلمها « رافائيل كونتريراس » أول الذين تسلموا المحافظة على القصر عد فيها مائة واثنين وخمسين أنموذجاً من مختلف الزخارف التى تغطى سائر جدرانها . كذلك ترى القطع المربعة الخزفية التى تغطى الجدران وقطع « الموزايك » التى تغطى السقف تختلف أيضاً بنماذجها كتلك التى تتج أجيجاً بالذهب والألوان الباهرة

أما أرض القاعة فقد تغير من كثرة الترميم ، ولكن يفترض من المقابلة مع باقى قاعات الحمراء وقاعة قصر « اشبيلية » أنه كان هناك فى الزمن الماضى نافورة للمياه فى وسطها كان النائمون المتكئون على الكوى يتأرجحون على نغمات خريرها

وشكل هذه القاعة مربع كالبرج الذى تشغل عرضه، فكل جانب من جوانبها طوله تسعة أمتار وعلوه ثمانية عشر متراً بل يبلغ تسعة عشر فى الوسط تماماً لأن سقفها متوج فى وسطه بقبة مسقفة صغيرة. ولها تسع نوافذ ثلاث من كل جهة أما الجهة الرابعة فمقفلة لأنها تحاذى قاعة السفينة. ومتى كنت فى الاسفل رأيت هذه النوافذ كأنها مزاغل لرمى الرصاص لكنها من القاعة نفسها تتضح فتحاتها العالية والواسعة ويدخل منها النور والهواء بكثرة ويسرح منها النظر على المدينة وعلى المرج وعلى سلسلة الجبال

وجدران البرج كثيفة حتى إن هذه النوافذ فى قاعة السفراء تشبه غرفاً حقيقية لأن كل واحدة منها لا تقل عن ثلاثة أمتار طولا وتسعة أمتار ارتفاعا. والثلاث الوسطى منها مزدوجة مقطعة بأعمدة صغيرة وأقواس فى منتهى الرشاقة والجمال تمثل طراز «الفمندلون» المحبوب جداً عند مهندسى المعمار الاسبان العرب. ولولا الذوق اللطيف الذى تشف عنه هذه الزخارف الرائعة لقلنا ان هناك تفريطاً كبيراً فى الاكثار منها بهذه القاعة لدرجة تزيد عن الاعتدال. لكن فى كل نماذج هذه الهيئات الهندسية التى لا عداد لها وتلك التعاريش والأفاريز والكتابات وكل أنواع الزخرف والنقش المنثور فى كل مكان لا يلقى الزائر نفسه إلا مرتاحاً بل مسحوراً مأخوذاً بمحاسن ذاك البهاء العجيب والتناسق المسكر والجمال الذى يملك النفس

فالطريقة التى يستعملها العرب لتزيين داخل منازلهم تميز فن الزخارف عندهم عن فنون الاغريق والرومان. فالرومان (كما تجد ذلك فى أطلال بومباى) يتركون جدران منازلهم بلون واحد ويكتفون بأن يغطوها برسوم طبيعية أو بمناظر تبرز على أرض دائماً ذات لون واحد. ولكن العرب يكثرون من ألوان زخارفهم، ليس فقط على الجدران والسقوف بل ايضاً على الارض التى كانوا يرصفونها عادة بمربعات خزفية تشبه الأطر السفلى التى كانوا يضعونها على الجدران. لذلك كان يقتضى أن يكون عندهم ذوق خاص فى اختيار الالوان يبلغ منتهى الدقة لكيلا يقعوا فى غلط الافراط بوضع الرسوم التى يزيد لمعانها عن حد الاعتدال فتصير خليطاً مزعجاً. فكانوا أولا يمعنون النظر فى المساحات التى كان عليهم أن يغطوها بزخرفهم ثم يباشرون تقسيمها بان يرسموا عليها مربعات كما فى «دار الريحان»، أو بواسطة شبكة يرسمونها رسماً خطيا بحسب نماذج قديمة. وكانت هذه التقسيمات أو هذه الخطوط تتخذ على العموم اشكال شرائط بارزة أو تعاريش أو سلاسل متعددة متعاقبة بكل انتظام. وبعد أن ينتهوا منها كانوا ينزلون فيها تنزيلا نماذج النبات البارزة أو الكتابات سواء كانت متشابكة بعضها أم منعزلة كل واحدة عن الاخرى. وكان لكيفية تركيب هذه الزخارف التى تبرز بروزاً مسطحاً فوق تجاويف هى بمثابة أسس لها، أهمية عظمى بالنظر الى وقعها الفنى على الذين يعرفون قيمة الفن، لأن الذهب الذى يرصع هذه القطع البارزة والألوان الحمراء الزاهية المنزلة تنزيلا فى التجاويف والالوان الزرقاء

التي تصبغ الجوانب كانت كلها مفترقة عن بعضها بواسطة حافات الحفر فلا تتعدى الواحدة على الاخرى مطلقاً ولا تلامسها . فكانت عوضاً عن أن تبدو كخليط من الالوان المشتبكة الغارقة فى بعضها وغير المميزة فتتعب نظر المتأمل - تظهر لافتراقها عن بعضها بشكل صاف واضح كل الوضوح

ومن المحتمل انه ما عدا هذه الالوان الثلاثة (الاحمر والازرق والاصفر) قد استعمل العرب ايضاً الاخضر والابيض . لكن هذا لا نستطيع تأكيده . انما الذى نؤكده هو انهم استعملوا على مربعات الخزف الصيني التي ملأوا بها أرض القاعات وأسافل جدرانها ما عدا اللونين الازرق والاصفر، ألواناً أخرى كالاسمر الغامق والاخضر والازدرختي والابيض المخضر، لكنهم لم يستعملوا الاحمر على الخزف مطلقا . اما الكتابات التي تكثر فى المبانى العربية بقصد تزيين الجدران فمنها ما يمثل آيات قرآنية ومنها تذكارات لبعض الوقائع التاريخية تختص ببناء القاعات أو بالذين بنوها ، ومنها مدائح فى الملوك الحاكمين بذاك العهد ومنها أبيات من الشعر تصف سيد المكان أو المكان نفسه وما شاكل ذلك . والكوى الموجودة فى مدخل « قاعة السفراء » زينوها بأبيات من الشعر من هذا القبيل يعرف من معانيها الغرض من عمل هذه الكوى . فقد كان يظن قبلا انها موجودة لوضع الاحذية فوقها عند الدخول إلى القاعة . ولكن هذا زعم سقيم لأنه حتى لو لم تكن هذه الاشعار موجودة لما كان بالامكان أن تخصص هذه الكوى لوضع الاحذية إذ أن ارتفاعها يزيد عن متر فوق سطح أرض القاعة . واليك معنى ما هو محفور على إحداها :

« إن حائطي وتاجي يزيدان بهاء عن كل شيء سواهما إن نجوم السماء ترمقني بعيون الحسد والغيرة

« هنا توجد الآنية التي تشبه المؤمن الذى يلتفت نحو مكة ، ويصلي فى قبلة المسجد المقدسة صلاته لله . أنا لا أمنع المشروب عن الظمآن لكي ينعشه ولا أمل من هذه الخدمة اللذيذة »

وعلى كوة أخرى ما يأتي :

« إن يد الحفار قد طرزتني كنسيج من الحرير وتوجتني باكليل مزين بالحجارة الكريمة الباهرة . فانا كعرش العروس أشع بالانوار ، ولكني أعطي السعادة اكثر منه . وهي سعادة لا تزول ولا تتحول . فالذى يدنو مني ظمآن أروى غلـــله بالمشروب العذب الصافي الذى لا تشوبه شائبة . يمكن أن يشبهوني بقوس قزح أو بالشمس سيدة هذا الكون التي تخلق هذه القوس . فلتحل بركات السماء على أروقة هذا القصر ما دامت قوافل الحجيج تذهب الى حرم مكة »

[يتبع – النقل محظور]

الغدد تتحكم في سلوك الانسان

للدكتور محمد زكي شافعي

مدير المكتب الفني بمصلحة الصحة العمومية

يتألف جسم الانسان من مجموعات من ملايين الخلايا ذات الاشكال المختلفة . وكل مجموعة متماثلة تقوم بعمل خاص وتؤلف نسيجا نوعيا تتركب منه وحده أو مع غيره أجزاء الجسم . ومن هذه المجموعات الغدد . وتختلف شكلا ونوعاً ووظيفة. فنها كبير الحجم كالكبد ، أو دقيقه كغدد الامعاء وغدد الجلد ، ومنها ما يفرز افرازاً داخلياً ، ومنها ما يفرز افرازاً خارجياً أو الاثنين معاً

والغدد التي تفرز افرازاً داخلياً فقط تعرف بالغدد الصماء . وتفرز مفرزها من الخليات الى الدم مباشرة . وأهمها الغدة الدرقية والغدد المجاورة لها فى العنق ، والغدة التيموسية خلف أعلى عظم القص ، والغدتان الكظريتان أعلى الكليتين والطحال فى البطن ، والغدة النخامية من داخل الجمجمة

ومن الغدد التى تفرز افرازاً داخلياً وافرازاً خارجياً البنكرياس فى البطن والخصيتان فى الصفن والمبيضان فى الحوض

وهذا الافراز الداخلى الذى تفرزه كل من هذه الغدد له تأثير فى نمو الانسان وسلوكه

الهرمونه

ويعرف المفرز الداخلى بالهرمون وهو مادة تفرز بكميات قليلة جداً وتصل الى الدم مباشرة فاما أن تنبه نشاط أعضاء الجسم أو تقلل من هذا النشاط . فغدة البنكرياس مثلا التى لها الافراز الخارجي الذى يساعد فى الهضم لها افراز داخلى هو الانسولين الذى ينشط العضلات لاستعمال السكر توليداً للطاقة اللازمة للحركة. ولذلك فان نضوب هذا المعين يؤدى الى مرض الديابيتس (البول السكرى) ويظهر ذلك فى البول كما ان التذبذب فى هذه الكمية بالدم ينشأ عنه تذبذب فى هناءة الشخص ونشاطه

ويؤثر توافر الانسولين فى جسم الانسان بان يجعله يشعر بالجوع والتعب أكثر من المعتاد كما يصاب بالقشعريرة والحيرة والقلق وقد يهذى وتضطرب قواه العقلية وقد يفقد الشعور وسلوكه حينئذ يكون تابعاً لهذه الحالات

وقد يحدث نقصان الانسولين اضطراباً فى القوى العقلية كما يشاهد فى بعض مرضى الديابيتس

تأثير بعض الغدد

ولبعض الهرمونات تأثير فى نمو المخ ونشاطه فالغدد الكظرية الموجودة فوق الكلى (الادرنياليان) تشجع نشاط العضلات بواسطة هرمونها (الادرنيالين) الذى يولد المظاهر التى تشاهد فى حالتى الخوف والغضب

ويصل الادرنيالين للدم بكميات قليلة فى الاحوال العادية فينبه القلب والعضلات ويزداد افرازه كلما احتيج الى نشاط عضلى . وكذلك فى حالة الاستفزاز للخوف أو الغضب ، ففى هذه الحالة يصل مقدار كبير من الادرنيالين للاعضاء فيتأثر بعضها به كان تزداد دقات القلب وتسرع دورة الدم فى الجسم وينشط الكبد فيخرج الى الدم بعض ما يختزن من سكر فيصل للعضلات وقودها (السكر) الكافى وكذلك الاوكسجين فينشط إما للهرب أو للمقاومة وذلك بأقل مجهود ممكن

وأما تأثير الادرنيالين على الجهاز الهضمى فى هذه الحالة فهو بعكس ما يحصل فى الدورة الدموية أى أنه يفقد الشهوة للاكل ويضعف حركة الهضم . وهذا بلا شك فيه توفير لاستهلاك الوقود الذى تنتفع به العضلات وغيرها من أجزاء الجسم . وبذلك لا تتعدد أبواب استغلال النشاط فتنهدم قوى الجسم

والادرنيالين لا يقف عمله عندما ذكر فى حالة الغضب أو الخوف بل يوقف الشعر ويمدد حدقتى العينين ويغزر افراز العرق ويرفع ضغط الدم بسبب انقباض الشرايين الشعرية فيضطر القلب لاستعمال قوة أشد لدفع الدم فى هذه الاوعية الضيقة ، ومثله فى هذه الحالة مثل دفع سائل فى انبوبة لها ثقب متسع يدفع منه السائل ليخرج من ثقب صغير جداً . وكلما زاد افراز الادرنيالين ارتفع ضغط الدم وكان التهيج شديداً لان الاجهزة المذكورة تكون فى حالة نشاط غير عادى

والغدة الدرقية تفرز هرمونا يحتوى اليود الذى يوجد بكثرة فى البحر الملح وبقلة فى بعض العيون ، ويقل فى الجهات البعيدة عن البحر كسويسرة فيقل افراز هذا الهرمون عند بعض سكانها . والأطفال الذين يولدون وغددهم الدرقية ضامرة أوفاقدة يكونون صغيرى الاجسام اقزاماً وامخاخهم غير تامة النمو ولذلك نجدهم فاترى الهمة ناقصى الذكاء . ويشفون عادة اذا اعطوا هـذا الهرمون المستخلص من درقيات الحيوان

واذا زاد إفراز هذا الهرمون ازداد النشاط الجثمانى لدرجة غير عادية وكان الشخص عرضة للتهيج الشديد لاتفه الاسباب كما تزداد ضربات القلب ويرتفع ضغط الدم ويصاب بالأرق والخلط العقلى

وهذا الهرمون ينشط الاستحالة الغذائية بان ينعش العمليات الكيمياوية بالجسم ، وقد يكون تأثيره على السلوك ثانويا بسبب هذا الانعاش الذى يدفع الجسم للعمل المتواصل بمساعدته على احتراق المواد الغذائية بسرعة هائلة

أما الغدد التي تجاور الغدة الدرقية فان هرمونها يعمل في استغلال مادة الكلسيوم الموجودة في الماء والطعام واللازمة لنمو العظام . وأهم فعل له انه يقلل من المغالاة في تنشيط الانسجة لا سيما الانسجة العضلية . واذا زاد افراز هذا الهرمون فقد يعدم هذا النشاط بالمرة لدرجة الشلل. وأما اذا قل فتعمل الانسجة خصوصاً العضلية لدرجة عظيمة فتحدث تقلصا في العضلات وتشنجا

فمن ذلك نرى انه لا بد من وجود حالة توازن بين مفرزات هذه الغدد والغدة الدرقية ، للحياة حياة طبية متزنة سواء من الوجهة المادية أو النفسية ، لان الغدة الدرقية تعمل للنشاط الزائد والأخرى تعمل للحد من النشاط . وللسلوك المتزن يجب ألا تتغلب واحدة على وظيفة الأخرى

والغدة النخامية تشبه في عملها عمل الغدة الدرقية ، ولكن لا يمكن أن تحل احداها محل الأخرى وان كانت الاثنتان تنبهان الاستحالة الغذائية ، وهما ضروريتان للنمو الطبيعي . واذا توقفت الغدة النخامية عن عملها توقف النمو اذا حصل ذلك قبل البلوغ . وأما بعده فيتراكم الشحم ويترهل الجسم وتفتر الهمة فتوراً عاما وأما اذا زاد افرازها نشط النمو لدرجة كبيرة حتى يتحول الشخص الى مارد قد يصل طوله إلى أكثر من مترين . واذا أتت زيادة الافراز متأخرة فان اليدين والقدمين والوجه تنمو نمواً غير عادي

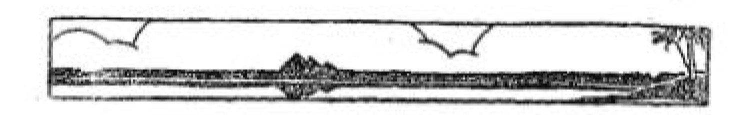
وأما الغدة التيموسية فتنمو حتى البلوغ ثم تضمر ويقال انها ذات علاقة في وفاة الفجأة

العمل المتحد للهرمونات

يرى القارىء مما تقدم أن الغدد تشترك في تنمية النمو الجسماني . وبالاتحاد مع الغدد الادرنيالية والبنكرياس تعمل في الاستحالة الغذائية ، وهذا العمل المشترك ضروري لسلامة الصحة وللسلوك القويم. فاذا حدث اختلال في وظيفة الغدة الدرقية وجاراتها فان هذه الحالة تجعل الشخص قلقا غير مستقر على حال في عمله وسلوكه ، ولا سيما اذا زاد مفرز الغدة الدرقية كان نشاطه بحالة غير طبيعية . وبالعكس اذا زاد مفرز الغدد الأخريات فيكون هادىء الطبع حتى البلادة . كما أن مفرز الغدد الجنسية يؤثر في حذقه ودهائه

وبالاختصار إن المفرزات الداخلية لها أكبر الاثر في شخصية الانسان وأخلاقه وسلوكه كما لها الاثر الفعال في طباعه وأذواقه وعلاقاته مع أقرانه وأنداده ومن هم أقل أو أعلى منه

محمد زكي شافعي



لكى تنجح :

يجب أن تدرس ميولك

خلاصة بحث للاستاذ ليون فالتر

استاذ علم النفس بالجامعة المصرية

لا شك أن للميول والغرائز الكامنة فى كل إنسان أثرها وتأثيرها فى النجاح أو الفشل الذى يصيبه فى أعمال المهنة أو الحرفة التى يختارها لنفسه . ودرس تلك الميول والغرائز يشغل الآن فريقاً من علماء النفس . وقد وصلوا فى بحثهم وتجاربهم إلى نتائج قيمة ، وعلى الخصوص فيما يتعلق بالحرف اليدوية على مختلف أنواعها وفروعها . وفى الدوائر والأوساط الصناعية فى أوربا يمتحن الآن كل عامل يرغب فى التخصص فى إحدى الصناعات ، ليس فقط من حيث المهارة اليدوية فى العمل ، بل أيضاً من حيث الميل الطبيعى والغريزة الكامنة فيه . فقد دلت التجارب العملية على أن العامل قد يكون ماهراً فى هذه أو تلك من الحرف اليدوية . ولكنه لا يميل اليها ولا رغبة عنده فى إتقانها . فعامل هذا شأنه لا يمكن فى حال من الاحوال ان يلاقى النجاح الذى يلاقيه زميل آخر له ، قد يكون أقل مهارة منه ولكنه يمتاز عنه بميله إلى حرفته وحبه لها ورغبته فى اتقانها والنبوغ فيها

وقد اقتصر علماء النفس فى بادىء الامر على درس هذه المسألة من الناحية العملية فيما يتعلق بالصناعات . ثم انتقل فريق منهم الى درسها فيما يتعلق بالمهن الحرة كالطب والجراحة والهندسة والمحاماة وغيرها . وهذا الفريق يقول بان القاعدة التى بنيت عليها مسألة درس الميول والغرائز وتوجيهها الى أهدافها فى الاعمال الصناعية هى ذاتها التى يجب ان تبنى عليها مسألة درس تلك الميول والغرائز وتوجيهها الى أهدافها فى الاعمال الحرة

وأمامنا ونحن نكتب هذا درس واف للاستاذ ليون فالتر أستاذ علم النفس بالجامعة المصرية ، نشرته « المجلة الفلسفية » فى أحد أعدادها الاخيرة . وهذه المجلة تصدر فى باريس

والأستاذ فالتر صاحب البحث الذى نشير اليه من القائلين بمبدأ الأخذ بالميول والغرائز فى المهن الحرة أسوة بالحرف الصناعية . واليك ملخص نظريته وبعض الادلة التى يقدمها لتعزيزها واثبات صحتها :

كان الناس يعتقدون من قبل أنه يكفى لضمان النجاح فى عمل من الاعمال أو حرفة من

الحرف أو مهنة من المهن ، ان ينصرف صاحب العمل أو الحرفة أو المهنة إلى احراز مقدار كبير من العلوم والدروس والمعلومات الخاصة بالعمل الذى يختاره ، ولكن التجارب العملية دلت فيما بعد على خطأ هذه النظرية وهذا الاعتقاد ، واتضح أن الميل الغريزى لا بد منه لضمان ذلك النجاح المنشود . وما يقال عن الأعمال الصناعية يقال أيضاً عن الأعمال الحرة . غير أن هناك شرطا أساسياً لابد من توافره والأخذ به فيما يتعلق بكل مهنة حرة يرغب الانسان اختيارها والانصراف لها . وذلك الشرط هو توافر مبلغ الذكاء اللازم عند طالب المهنة ، فضلا عن ميله الغريزى . وهذا الشرط الاضافى ليس لازماً ضرورياً فى اختيار الحرف الصناعية التى يكفى فيها أن تتوافر عند الطالب المهارة اليدوية مضافة الى الميل الغريزى فقط

لنفرض اذن أن أحدا من الناس يرغب فى اختيار مهنة حرة ينصرف اليها ويتخصص لها فى حياته . فماذا يجب عليه أن يصنع لكى يضمن لنفسه النجاح والتوفيق ، قبل أن يبدأ بتلقى العلوم اللازمة لمهنته ؟

هناك سؤالان لابد ان يلقيهما ذلك الشخص على نفسه :

السؤال الاول : هل أنا لائق لأحدى المهن الحرة ؟

والسؤال الثانى : فى حالة الرد بالايجاب على السؤال الأول : ما هى المهنة الحرة التى اليق لها ؟

والسؤالان منفصلان تمام الانفصال الواحد عن الآخر . فقد يكون الشخص غير حائز على مبلغ الذكاء الكافى لضمان نجاحه وفوزه فى المهن الحرة أيا كان نوعها . وفى هذه الحالة يتحتم عليه أن يعدل عن عزمه وأن يبحث عن حرفة صناعية أو أى عمل آخر لا يدخل فى دائرة المهن الحرة . وأما إذا كان حائزاً على مبلغ الذكاء اللازم للمهن الحرة على العموم فانه يتحتم عليه حينذاك أن يزن ميوله وغرائزه ، وان يمتحن نفسه من جميع الوجوه الاخرى لمعرفة المهنة الحرة التى يليق لها مادياً وأدبياً ونفسياً ، بعد ان ثبت له أنه لائق لها عقليا . فان الذكاء أنواع كما أن المهارة اليدوية أنواع

وهذا النوع من الذكاء يضمن النجاح مثلا فى الطب والجراحة وقد لا يضمنه فى الهندسة أو المحاماة . والعكس بالعكس

وهنا نقسم التجربة إلى ثلاثة أطوار أو ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : امتحان الذكاء لمعرفة اللياقة للمهن الحرة

المرحلة الثانية : تحديد المهنة التى يظن أن ذلك النوع من الذكاء لائق لها

المرحلة الثالثة : اختبار ذلك الظن لجعله يقيناً أو للعدول عنه فى حالة عدم اليقين أو الشك

فالمسألة إذن دقيقة صعبة تتطلب صبراً وبحثـــاً وتجربة . وكثيرون وياللأسف هم الذين يختارون مهنتهم بشىء من الخفة والتسرع ، دون التثبت من ذلك كله ، حتى إذا ما فوجئوا

بالفشل وخيبة الأمل ، ألقوا الذنب كله على الحظ العاثر الذى ابتسم لغيرهم وعبس لهم . ولو فكروا قليلا فى أمرهم ، لأدركوا أن الذنب كل الذنب عليهم دون سواهم ، وأن ليس للحظ دخل فى شأنهم ، وأنهم أهملوا الأخذ بتلك المبادىء والقواعد التى بسطناها قبل الاقدام على اختيار مهنهم والتخصص فيها . ولو فعلوا ذلك لوفروا على أنفسهم مرارة تلك الخيبة التى حلت بهم

واختيار مهنة حرة كالطب والجراحة والهندسة والمحاماة وغيرها عمل شاق ، أصعب بكثير من اختيار حرفة يدوية وصناعية . وقد يجد الانسان نفسه ، وقت الاختيار ، فى مأزق يتطلب الخروج منه دقة فى البحث والتمحيص ونظراً بعيداً وفكراً ثاقباً . فقد قامت أخيراً بين فريقين من علماء النفس مناقشة حول هذا السؤال : « هل يجب أن تتوافر فى الجراح المهارة اليدوية وخفة الحركة بقدر ما يتوافر فيه الذكاء وسرعة الخاطر ؟ أو بعبارة أخرى ـ هل تعد الجراحة مهنة حرة وحرفة يدوية فى آن واحد ؟ »

والسؤال محرج حقاً . وقد يتبادر إلى الأذهان أول وهلة أن خفة اليد يجب أن تتوافر فى الجراح بخلاف الطبيب الذى لا يعمد فى عمله إلى الأسلحة الجراحية . ولكى تتوافر خفة اليد فى الجراح ينبغى أن يكون سليم الجسم من كل عاهة قد تعوقه فى عمله . فهل كان جميع الجراحين الذين اشتهروا بمهارتهم سليمى الاجسام ؟

الجواب : لا

وهنا وجه الدهشة !

ويقول العالم « فور » الفرنسى ان الجراح يشتغل بدماغه اكثر مما يشتغل بيديه . ويؤكد غيره من علماء النفس أن فى استطاعة الجراح أن يكون نابغة فى مهنته دون أن يتوافر عنده ذلك الشرط الذى يعتقده البعض أساسياً . ألا وهو سلامة الجسم ومن ثم خفة الحركة

واليك بعض الأمثلة :

ان الجراح الشهير ريدل كان مصاباً بكسر فى فخذه يعوقه عن حركاته

وكان الجراح دالجون الذى توفى أخيراً أعور

وكان لانيك الذى قلب علم الجراحة رأساً على عقب مصاباً بالسل ، ضعيف الجسم هزيلا إلى حد بعيد

وكان فارابوف ثقيل السمع بطىء الحركة

وهناك كثيرون من مشاهير الجراحين كانوا مصابين بأمراض وعاهات عدة لم تمنعهم من النجاح فى مهنتهم والقيام بأعمال عجز دونها سليمو الاجسام خفاف الحركة

وهذا ما يزيد المسألة التى بسطناها تعقيداً وصعوبة فى الحل ، وما يثبت من ناحية أخرى

صحة النظرية القائلة بوجوب درس الميول والغرائز والحالة النفسية والمواهب الجسدية والعقلية ، قبل الأقدام على اختيار حرفة أو مهنة فى الحياة

ويخطىء كثيراً أولئك الذين يقدمون على ذلك ، دون الأخذ بهـــذه النظرية التى أثبتت التجارب صحتها وضرورتها ، والتى أصبحت الآن معمولا بها فى جميع الدوائر العلمية والفنية والصناعية فى أوربا

فكل انسان يمتاز عن الآخر بمواهبه الخاصة ، وميوله وغرائزه وذكائه

وإذا كان ذلك الانسان يرغب فى ضمان النجاح فى حياته ، فانه يجب عليه أن يجعل المهنة أو الحرفة التى ينصرف لها قائمة على قاعدة تلك المواهب والميول والغرائز

ولا نقول ان « الحظ » كلمة جوفاء ، بل نقول ونؤكد أن الحظ يمكن استجلابه وانتزاعه انتزاعاً من مجاهل الاقدار ، بالاستعداد له والتذرع بوسائل التوفيق والفوز والنجاح

الويل للمغلوب

فى سنة ٣٩٠ قبل الميلاد هاجم القائد الغالى برينوس بقبائله القوية أطراف الدولة الرومانية فاجتاح أرضها ودخل روما ظافراً منصوراً . وفر السكان خارج المدينة والتجأ الاشراف الى دار « الكابيتول » ، ولم يبق غير أعضاء مجلس الشـــيوخ الذين ظلوا فى مجلسهم ينتظرون قدوم الغزاة الفاتحين . وكان عدد أولئك الشيوخ ٨٠ شيخاً

وكانت روما قد تحملت الحصار مدة سبعة شهور غير أن الجوع أرغمها على التسليم . فاراد الشيوخ أن يدفعوا للغاليين جزية ويشتروا منهم رحيلهم عن المدينة . فرضى برينوس بذلك ، وعقد مجلس من الطرفين للقيام بوزن الذهب الذى تقرر دفعه ثمنا للرحيل

وحدث فى أثناء الوزن أن اختلف الفريقان . فندد الرومانيون بالغاليين واتهموهم بأنهم يغشونهم بالاوزان . وحينذاك استشاط برينوس غيظاً ، واستل سيفه الصقيل الثقيل والقاه فى كفة الميزان صائحاً :

— اذن الويل للمغلوب !

وأمر جنوده بنهب المدينة

وذهبت كلمته مثلا ، ولا تزال الى الآن تردد على الألسنة كلما وقعت حرب استبد فيها القوى بالضعيف . والغالب بالمغلوب

عاطفة الانتقام

وأثرها في العمران

بقلم الاستاذ أديب عباسي

الغريزة في خدمة الفرد والنوع ــ مم تتألف عاطفة الانتقام ؟ ــ الاثر النشوئي لها ــ الاثر الفردي ــ اطوار عاطفة الانتقام ــ الانتقام والدين ــ اثر عاطفة الانتقام في الآداب والفنون ــ اثرها في النقد والتصوير

الغريزة في خدمة الفرد والنوع

يسيطر على الحي من الناس منذ يستهل الى أن يواري رمسه بعد عمر طويل أو قصير حافزان قويان أشد القوة شاملان أوسع الشمول ، وقد جرى الاصطلاح الحديث على تسمية أحد الحافزين غريزة حفظ الذات ، والحافز الآخر غريزة حفظ النوع أو الجنس . غير ان الاصح الاصلح أن يطلق عليهما غرائز حفظ الذات والنوع ، إذ ليس على التحقيق غريزة فذة تقوم بمفردها على صيانة الفرد من عوادى الدهر وبوائق الزمن ، كذلك ليس ثمة غريزة واحدة مفردة تستقل بالعمل على صيانة النوع من الفناء المطلق وتؤكد استمراره ، بل هناك غرائز ــ لا غريزتان ــ تتآخى وتتحد في العمل على حفظ ذات الفرد أو جنسه . فغرائز الحرب والقتال والتسود وخلافها تخدم حياة الفرد وتسعفه على توقى الاعداء وعوامل الطبيعة من حر وبرد وجوع وعطش وكل مؤثر آخر يضعفه أو يفضى به الى الهلاك . والغريزة الجنسية وغريزة الابوة والامومة من غرائز حفظ النوع همها اجمالا وقاية الجنس من العدم وصونه من النفاد . على أن هذا لا يعنى أن الجماعة الواحدة من هذه الغرائز لا تتعدى حدودها مطلقا بحيث لا تعمل غرائز حفظ الذات فى غير دائرتها ولا غرائز حفظ النوع فى خلاف نطاقها . والواقع أن من الغرائز ما يعمل فى الوقت نفسه على صيانة الفرد وحياة الجنس معاً كغريزة القتال مثلا ، فهى اجمالا أداة مسخرة لحفظ حياة الفرد ، ولكن غير منكور أن هذه الغريزة ذاتها كثيراً ما تستعين بها الحياة لحفظ الجنس . فالمرء إذ يقاتل ما يقاتل دون ذراريه وصغاره ، ويشقى ما يشقى فى الذود عن زوجه الراهنة أو العتيدة، يحفزه الى هذا وذاك نداء الجنس الصارخ وصيانة النفس معاً . وصيانة الجنس تجىء من ناحية ما يتخيله المرء او يرجوه من قيام الصغار ، الذين يدفع عنهم ويرأمهم صغاراً قوة لهم ، برد الاذى عنه وجلب القوت له متى

أمسى عاجزاً قعدة لايملك نفعاً لنفسه ، واضحوا هم أقوياء ذوى أيد وحيلة ، وهذا الخيال أو الامل قد يكون عنده طافياً على وجه الشعور أو مستسراً متخفياً فيما وراء الشعور . ومن هنا نرى أن بعض التعميم فى مجال التقسيم ، بشأن الغرائز ، أولى من التخصيص . بيد أن هـذا لايعنى أننا لا نستطيع أن ندرس الغريزة الواحدة على أنها غريزة همها الاول ومجالها الاوسع خدمة الفرد والنوع . انما الذى نعنيه أن الغرائز تشتغل مستقلة أو متساندة فى خدمة الفرد والجنس

* * *

يعلم دارسو علم النفس أن الغريزة من الغرائز اذا استثيرت ودعيت للدفاع عن حياة الفرد أو الجنس ، صحبتها حالات شعورية لدنية أو ملازمة تتراوح بين أقصى اللين وأقصى الشدة . هـذه الحالات الشاعرة التى تصحب الغرائز حين تدعى للعمل هى مايسمى بالعواطف . فغريزة القتال مثلا ، اذا استثيرت صحبتها عاطفة الغضب ، وغريزة الحرب متى أهيب بها صاحبتها عاطفة الخوف ، وغريزة التسود متى تستنفر تلازمها عاطفة الاستعلاء او التصاغر ، وغريزة الجنس اذ تستثار تصحبها عاطفة الحب (بالمعنى الجنسى) وغريزة الابوة والامومة تصحبها عواطف الحنو والشفقة والعطف ، وهكذا فيما عدا هذه من غرائز حفظ الذات وغرائز حفظ النوع

وهذه العواطف التى ذكرنا وما يوجبها من غرائز لم تدخل فى حساب الاقدمين كعوامل من عوامل الدفع فى العمران . ويعذر الاقدمون — أولا أنهم كانوا يعزون كل حادث من حادثات الطبيعة والحياة الى قوى خارجة عن نطاق الامكان الطبيعى ، وثانياً أنهم لم يكونوا يعرفون لهذه الغرائز وما يصحبها من عواطف خصائص معينة ثابتة يستطيعون أن يرجعوا اليها فى التفسير والتعليل . الا أنه ما عتم ان اتجه العلم الحديث الى الانسان يدرسه دراسة تحقيق لا دراسة حدس وتخمين حتى احتلت غرائز الانسان وعواطفه مكانة أولى بين العوامل التى تزجى العمران فى نواحى التقدم واطراد السير . وليس اليوم باحث يحترم نفسه ويحترم عقول الناس يستطيع أن يغفل من حسابه عامل الغريزة والعاطفة فى تفسير نشوء الحضارة وترقيها

كيف تتألف عاطفة الانتقام ؟

وعاطفة الانتقام التى سقنا من أجلها هذا التمهيد ، برغم ما يلصقه بها رجل الاخلاق ويوليها اياه من مقت ، كانت ولم تزل ذات آثار خطيرة فى النشوء والعمران . وهى من العواطف المركبة التى تلازم أكثر من غريزة واحدة . فهى تتركب من عاطفتين أساسيتين طالما استنفرتا معاًهما عاطفتا الغضب والاستعلاء الاساسيتان . فعاطفة الغضب وحدها لاتكفى لتبعث فى المرء رغبة الانتقام . وهناك مئات الأشياء تستنفر غضبنا وهى مع ذلك أبعد ما تكون عن اثارة الميل الى الانتقام فينا ، وواضح أيضا أن مايثير عاطفة الاستعلاء وحدها فينا لا يكفى ليثير فينا شهوة الانتقام . فانت لا تفكر فى

الاعتداء على شخص لمجرد كونك أقوى منه وشعورك بالاستعلاء عليه ، وتحتاج استثارتك الى الانتقام منه استثارة غضبك عليه الى جانب شعورك بالاستعلاء عليه . وقد تجتمع للمرء مثيرات الغضب ومثيرات الاستعلاء ولكنها مع ذلك لا تستثير فيه الميل الى الانتقام . ولكن الواقع أن عاطفة الانتقام وقد تهيأت أسبابها لا تظل راكدة إلا اذا كان ثمة عامل أو عوامل خارجة عن نطاق الشخص المستثير أو المثار كخشية العقاب الديني أو الدنيوي ومحاسبة الضمير والاحساس الادبي أو خلافها . على ان المرء قد تتيسر له أسباب الانتقام جميعاً والنجاة من عواقبه ، ولكنه مع ذلك يتجاوز عن ذنب المسيء ولا ينتقم ، وهذا في الغالب لا يكون إلا في الاحوال التي يستطيع المرء فيها أن يثبت للملأ أنه يتجاوز ويعف ليس من ضعف بل من مقدرة . وهذا هو معنى العفو عند المقدرة والى مثل هذه الحقيقة النفيسة يشير بيت المتنبي المشهور :

«كل حلم أتى بغير اقتدار حجة لاجىء اليها اللئام »

إذن نستطيع أن نقرر أن عاطفة الانتقام عاطفة مركبة عنصراها الاساسيان عاطفة الاستعلاء وعاطفة الغضب اللتان ترجعان بدورهما الى غريزتي التسود والقتال . وهما من أقوى الغرائز البشرية وأكثرها آثاراً في العمران فلننظر في بعض هذه الآثار

الأثر النشوئي

الأثر النشوئي يجيء في أول هذه الآثار التي ترد الى غريزتي التسود والقتال وما يصحبهما من عاطفة الانتقام المركبة . وذلك أن أدوار الحياة الأولى وما كان سائداً فيها من تنازع على البقاء شديد ومغالبة قوية على أسباب العيش واعتداء غير محدود على الاموال والارواح ، يسرت فرصة البقاء للاجناس والجماعات القوية فقط التي كانت قادرة على رد الاذى عن النفس أو الجنس لا سيما حيث كان يخلو المكان من قوة عامة مسيطرة تكبح من جماح القوي وتحد من اعتدائه على الضعيف . وهذا معنى قول سبنسر ان أقل الامم ميلا الى التعدي كانت أقل الامم نصيبا في الحياة وأكثرها ميلا الى الانقراض . وما يصدق على الامم القديمة يصدق على أمم العصر الراهن . فلا الاديان ولا القوانين ولا غيرها من مثل الحياة العليا استطاعت أن تهذب في الجماعات هذا الميـل الذي سوف يظل يفعل فعله ، على ما يبدو ، ما زالت الارض الارض وما زال تنازع البقاء قانون الحياة العام يسيطر على الامم في أدوار الطفولة والنضج من نشوئها على السواء

الأثر الفردي

وثم الاثر الفردي لعاطفة الانتقام ، وهو أثر واضح غير ملتاث : تبدأ هذه العاطفة بالخنجر أو المسدس أو خلافهما من وسائل العنف والقهر ، وتنتهي غالبا في غيابات السجون وعلى أعواد

المشانق . ولقد حاول المصلحون أن يخففوا من الغلو فى ممارسة هذه العاطفة ويحدوا من نتائجها الوخيمة فى الافراد ، ولكنهم فى اعتقادنا لم يزيدوا على أن يقنعوا شطراً من الناس اقناعاً نظرياً فى الاكثر بأن هذه العاطفة من العواطف الوحشية التى لا يصح للرجل المهذب أن يمارسها ويلجأ اليها فى الوصول الى حق من حقوقه ، كذلك قد نجحوا فى نقل حق الانتقام من الفرد الى الجماعة ممثلا فى القانون والمحاكم ، فوضعوا بذلك حداً لفوضى الاعتداءات والغلو فى الانتقام والافتئات على حريات الابرياء الذى كان يجىء نتيجة لاندفاع المنتقم الى اقصى حدود الانتقام فيصيب بنقمته الابرياء والمذنبين على السواء . وعلى كل سوف يظل التقتيل والسجن والتشنيق نتائج هذه العاطفة فى الافراد مافتئت النفوس على شرتها ، وما بقيت هذه العاطفة على شدتها وعرامها ، وما زالت أسباب الاستثارة وبواعث الاحقاد موجودة بيننا تملأ الصدور حقداً وضغينة

اطوار عاطفة الانتقام

ومن الناحية التاريخية الاجتماعية يلحظ الباحث أن عاطفة الانتقام تمر فى اطوار ثلاثة يتميز كل طور منها عن تاليه ببعض الخصائص البارزة . ففى الطور الاول يكون هدف المنتقم مبهماً غير تام الجلاء ، فيكتفى المنتقم بأن يلحق الاذى بأناس وأشياء لاصلة مباشرة لهم ببواعث الانتقام فى صدره . وحال المرء فى هذا أشبه ما تكون بحال الطفل يستثار فينهال على كل شىء يقع فى سبيله تحطيما وضرباً وتخديشاً ولطالما قد يناله هو نفسه منه حظ غير يسير . ويصعب نوعا أن نتبين الصلة بين فعل الانتقام يمارس على هذا الشكل وبين ما أشرنا اليه فى فاتحة هذا الفصل من اتجاه جميع العواطف والغرائز فى ناحيتى الدفاع عن النفس أو الجنس . والتفسير الوحيد الذى نراه يستقيم مع هذه المظاهر الغريبة لعاطفة الانتقام فى هذا الطور هو أن المنتقم لشدة رغبته فى الانتقام وعدم وجود أية سلطة أدبية أو مادية رادعة تزجره وتوقفه عند حد معقول من الاستجابة لدواعى هـذه العاطفة — يفقد قوة التمييز بين المعقول وغير المعقول ويطوح به زخم العاطفة الى ما وراء هدفه ، كالجواد الجموح يندفع وراء الطريدة فيخلفها وراءه لشدة جريه وقوة اندفاعه . ويزيدنا ارتياحا الى هذا التعليل ان هذا النوع من الانتقام غير المميز لايكون إلا بين الشعوب البدائية المتقهقرة التى لم تزل من نشوئها العقلى فى دور الطفولة . والأمثلة على ذلك من حياة الشعوب المتأخرة كثيرة . فبعض القبائل المتأخرة تكتفى — اذا اعتدى عليها بالسرقة — بسرقة مال أى سارق . وعند قبائل الموري اذا قتل أحد فان ذويه يكتفون بقتل أول شخص يسوقه سوء الطالع الى طريقهم سواء أكان من ذوى قربى المعتدى أم لم يكن !! وفى جزائر اندامان اذا استثير أحد فانه يتلف ثروته كما يتلف ثروة الآخرين

والطور الثانى يبدأ منذ يأخذ هدف المنتقم يتميز ويتخذ وجهة معينة وتصبح ممارسته أقرب

الى تحقيق أغراض الغريزة من حفظ الذات أو النوع أو كليهما معاً . فى هذا الدور يكون هم المنتقم اضعاف الخصم فى أمواله أو فى رجاله ، فينهب ماينهب من أموال العدو ، ثم يعمد الى الخصم ويصب على رأسه جام غضبه المركز ، واذا لم تنله يداه فاحد اقربائه يقوم مقامه ، لان العصبية القبلية فى هذا الدور تجعل الضرر الحال بفرد من أفراد القبيلة ضرراً يقع على القبيلة كلها ، فاضعاف زيد انما هو اضعاف لعمر واضعاف عمر اضعاف لزيد . وقد ظل هذا النوع من الانتقام شائعا فى الجزيرة العربية الى أن جاء الاسلام واستبدل بعصبيات الجاهلية ومثل البداوة الضيقة عصبية الاسلام ومثل الجهاد العليا . واضحى خصيم البدوى مخالفه فى المبدأ وحسب . إلا أن هذا التحويل لتيار الخصومة فى البدوى من مجراه الضيق وأفقه المحدود الى افق الجهاد الوسيع لم يطل مداه ولم تلبث أن عادت للعرب عصبياتهم القديمة وخصـومـاتهم المتوارثة ، فاضحت وبالا عليهم فى خراسان والشام والاندلس وقوضت بنيان ملكهم الشاسع من الاساس . ولم تنفك عصبيات الدم تمتد وترتد الى الوراء حتى أضحت على مثل ما كانت عليه فى ابان الجاهلية شدة وقسوة . ويذكر أكثر القراء ان غسل العار بالدم كان قاعدة فصل الخصومات فى معظم انحاء الجزيرة العربية الى عهد قريب جداً . ومن اقوال البدو الشائعة : « الذى لايأخذ بالثأر فهو ردىء الخال ، من اخذ بالثأر بعد اربعين عاماً لا يكون استعجل !! » والغفلة عن الانتقام تعد عند البدوى أكبر العار . واذا قتل قتيل عندهم يخلع الرجال العقل (علامة الرجولة) الى أن يؤخذ بثأره . ومن أساطير الجاهلية أن من كان يقتل ولا يؤخذ بثأره يخرج من رأسه طائر يدعى الهامة ولا يزال صائحا : « اسقونى ! اسقونى ! » الى أن يؤخذ بثأر القتيل . وهذا الاعتقاد لايزال سائداً بين قبائل شرقى الاردن بدوها وحضرها ، ولكن بشىء قليل من الاختلاف فهم يعتقدون أن المرء إذ يقتل تظل الارواح ترود قبره صائحة صاخبة . ومن غريب نوادر الخواطر الاجماعى أن الامم الجرمانية القديمة كان لها مثل هذا الاعتقاد بشأن القتيل يقتل ولا يؤخذ بثأره

ويبدأ الطور الثالث لعاطفة الانتقام حين يصبح للشعب رأى عام مثقف بعض التثقيف فيصبح المذنب بالفعل هدف الانتقام والوقيعة لا غيره : وكان حق الانتقام فى بدء هذا الدور للفرد ثم انتقل منه إلى الجماعة . وانتقال حق الانتقام من الفرد إلى الجماعة يعد بحق الزاوية الأولى فى بناء صرح العدالة ونواة المحاكم الحاضرة النظامية . ولعل الباعث الأول على نقل حق الانتقام من الفرد إلى الجماعة ان الجمهور كان يلاحظ ان القوى كان لا يقف عند حـد من الانتقام اذا آنس ضعفاً فى خصمه وقوة من نفسه ، وان الضعيف كان غالباً يهدرحقه اذا كان خصمه قوياً لا يستطيع أن يطوله بأذى . وهذا كان معناه اغراء للأقوياء بالضعفاء واضاعة لحقوق الاكثرية ، لأن الأقوياء هم دائماً الاقلية والاكثرية هم الضعفاء . وهذا يفسر عبارة نيتشه التى يقول فيهـا ان القانون قد يخترعه

الضعفاء ليقيدوا به الأقوياء . هكذا انتزع حق الانتقام من الفرد الى الجماعة التى كان يفترض فيها الحياد والنزاهة فتجيء احكامها اقرب إلى فكرة العدل واكثر ارضاء لضمير الرأى العام الذى أخذت الاحداث المختلفة تهزه من رقدة العدم وتحرضه على تضحية بعض مصلحة الفرد فى سبيل مصلحة الجمهور

هذا ويكاد معظم الباحثين فى نشوء قوانين الجزاء يجمعون على أن هـذه القوانين ترجع فى اصولها الأولى الى مجموع من العادات والتقاليدالتى كانت تمارسها جماعات الانسان الاولى فى الاقتصاص من المجرم والانتصاف للمتأذين من المؤذين . ودليلهم أن الشعوب المنحطة تقوم العادة عندها مقام القانون ، بل كثيراً مايتقهقر القانون أمام سلطان العادة حتى فى أرقى البلدان كما يحدث كثيراً فى أميركا فى حوادث الاعتداء على الزنوج وتشنيقهم وتحريقهم قبل أن يقول القانون كلمته الأخيرة فى الجرم المنسوب اليهم . وفى انكلترا والهند أكبر الاثر للعرف والعادة فى القانون الممارس هناك . وفى شرائع يونيسيان اشارة صريحة إلى أن تلك الشرائع فى أصلها كانت عادات تأكدت واستحكمت على الزمن . وفى اليونانية كلمة « عادة » ترادف لفظ القانون . وهذا لا شك ليس من فقر فى اللغة اليونانية ، وهى أرقى اللغات القديمة اطلاقاً ، انما هو يرجع إلى ما كان متأصلا فى نفوس القوم من اقتناع شديد بعلاقة العادة بالقانون . ويجب أن نذكر ان القانون الذى لايحترم عادات القوم وتقاليدهم لا يحترم . وهذه حقيقة أغفلها كثير من المصلحين المتحمسين ، فباءوا بأشد الفشل والخيبة حينما أرادوا أن يصطنعوا قوانين وعادات لا توافق بيئاتهم وتقاليدهم . ولعل مأساة الافغان الحديثة وما منى به غاندى من فشل يرجعان فى الاكثر الى هذه الحقيقة

الانتقام والدين

ولم تقف عاطفة الانتقام عند حد التأثير فى الشرائع الدنيوية بل تخطت شرائع الدنيا الى شرائع السماء . فشريعة حمرابى وشريعة موسى وغيرها من الشرائع السماوية وشبهالسماوية قد حرضت على الانتقام ودعت الى ازالة الشر بشر مثله ، فعين بعين وسن بسن وحياة بحياة . بل لقدغلت الشريعة الموسوية أشد الغلو فى فكرة الانتقام ، فاقامت الله منتقما جباراً لا ينسى الاساءة وان نسيها فى هذا الجيل عاد وحاسب عليها الذرارى كما جاء فى احدى الوصايا العشر : « ان الله يفتقد ذنوب الآباء فى الابناء » . وقدكان من القدماء أناس يترضون الآلهة الظمأى الى الدم بالذبائح البشرية يقدمونها على مذابحهم فينتشون برائحة الدم المهراق فيصرفون نقمتهم عنهم . وجهنم فى اكثر الاديان هى وسيلة الانتقام يعدها الله للكافرين به من الناس

ولعاطفة الانتقام حظ وافر فى آداب القدماء وفنونهم ، لا سيما فى اطوار جاهليتهم . وفى جاهلية العرب واليونان تصطبغ آداب الشعبين بفكرة الانتقام أشد الاصطباغ . وهذهحرب داحس والغبراء

والبسوس وما يروى حولها من أشعار ، وهذه الالياذة وما اشتجر فيها من حروب بين الطرواد واليونان وما شب من خصومات بين الآلهة انفسهم ، وهـذه حوادث الانياد وخلافها من آداب القدماء تلونها عاطفة الانتقام الواناً واضحة قوية . ولعل أروع المآسي القديمة التي تتمثل فيها عاطفة الانتقام هي مأساة « بروميثيوس » لاسخوليس . وحوادث الانتقام الناشيء من الغيرة أو خلافها لها حظ وافر في القصة والرواية والدراما في هذا العصر

وادب النقد والتصوير الهزلي لاشك متأثر الى حد بعيد بعاطفة الانتقام . فليس جميع النقاد آلهة منزهين عن مستوى الاحقاد والخصومات الشخصية . ولا يعني هذا أن النقد يجيء دائماً جائراً زائغاً بعيداً عن الحق . فقد يكون مع الخصومة ميل شريف الى الانصاف ، فيجيء رأى الناقد مراً بعض المرارة ولـكنه غير شديد الجور عن الحق . على أن النقد يكون أقرب الى الانصاف كلما نأى الزمن بالناقد عن المنقود حيث لا يطل على الناقد الا الاثر الفني أو الادبي الذي يتصدى لانتقاده

هذه بعض آثار عاطفة الانتقام الرئيسية والثانوية. على أن أشد آثارها وأروعها هو أثرها الاجمالى فى الشعوب بما تشبه من خصومات وتوقده من حروب . ففي نارها تتلاشى عواطف الود بين الامم وفى اتونها تصهر الصـداقات وتنقلب ناراً حامية تصلاها الشعوب حروباً مهلـكة ومجازر مروعة كتلك التي شهدناها قبل عشرين عاماً وكهذه التي يترقب العالم بين يوم ويوم ان يصلاها . ولعل شبح الحرب المخيف كان يتزاح من أفق الحياة لو أزيلت شهوة الانتقام والرغبة في غسل العار بالدم والحديد والنار من عشرة صدور أو نحوها ، ولـكن كيف تزال ومن يزيلها ؟ !

ادیب عباسی

وكم من حامل لي ضبَّ صغنٍ ... بعيد قلبه حلو اللسان
ولو أني أشاء نقمت منه ... بشغْبٍ أو لسان تيِّحان (١)
ولـكني وصلت الحبلَ منه ... مواصلة بحبل « أبي بيان »
و « ضمرة » ان ضمرة خير جارٍ ... علقت له بأسباب متان
هجانُ الحي كالذهب المصفى ... صبيحة ديمةٍ يجنيه جاني

ربيعة الضبي

---

(١) الشغب تهييج الشر . والتيحان بتشديد الياء العريض الثرثار

القفاز

لفريدرك فون شيلر الشاعر الالماني

ترجمها الاستاذ ابراهيم ميخائيل عطا

بنى شلر قصته التالية التى نظمها شعراً أنيقاً منثوراً على ما كان يجرى في بلاط فرنس ملك فرنسا (١٥١٥ — ١٥٤٧) الذي اشتهر بحروبه ضد كارلوس ملك اسبانيا وامبراطور جرمانيا — كان الملك فرنس مغرما باقتناء الوحوش الكاسرة ومشاهدة صراعها . وقد أقام لها حديقة خاصة . وهذه القصة تمثل التضحية في سبيل الحب ، وتمثل الشجاعة والكرامة في اسمى مظاهرها . فالرجل الشريف المحتفظ بكرامته لا يثنيه شيء عن الدفاع عنها مهما كلفه هذا الدفاع من مخاطر ، وهو يؤمن أن الوفاء للكرامة خير من الوفاء للحب

جلس الملك فرنس فى حديقة الوحوش ليشاهد صراع السباع، وكان يحف به طائفة من عظماء مملكته ، وجلست السيدات على شرفة عالية فى دائرة أنيقة

وأشار الملك إشارة ففتح رتاج الحديد ، فدخل ليث الى المسرح وهو يتخطر فى مشيته تخطرا ويلتفت حواليه ويتثاءب ويهز لبدته ثم يقعى على الارض ممدود القوائم

واصدر الملك إشارة أخرى ففتح باب آخر وخرج منه نمر شرس فقفز قفزة هائلة . وحالما شاهد الأسد جأر جئيراً دوى صداه وأخرج لسانه ودار غاضبا بجانبا الليث ثم اقعى وكأنه يتذمر من هذه المفاجأة

وأشار الملك ثالثة فارتفع بابان وخرج من كل فهد دفعة واحدة وهاجما النمر بشراسة فقبض عليهما بخوافيه الخطرة . عندئذ تحرك الليث وجأر فهابته الوحوش الثلاثة وهدأت ، ولكن فى هدوء المتعطش للدماء

واذا بقفاز يسقط من يد حسناء فى الشرفة المطلة على الوحوش ، فيقع بين الليث والنمر ، فتخاطب الحسناء عاشقها ديلورجس الفارس الشريف باستخفاف قائلة :

« اذا كانت محبتك لى صادقة كما أقسمت لى مرارا فبرهن على محبتك بالتقاط القفاز من بين الوحوش وإرجاعه إلى ! » . فينتفض الفارس مسرعاً ويمشى بخطوات ثابتة الى الوحوش الكاسرة غير هياب ولا وجل ويلتقط القفاز من بينها

فينظر الحاضرون الى شجاعة الفارس بدهش ، ويستقبلونه بالاعجاب . وتبتسم الحسناء ابتسامة الرضى والارتياح لعاشقها ، ولكنه يرمى القفاز فى وجهها فى عزة ويتركها وهو يقول : « انى لا أبتغى شكرك أيتها السيدة ! »

ابراهيم ميخائيل عطا

دوائر المعارف
في مختلف العصور

ليس من شك في ان دوائر المعارف من اهم ما يحتاج اليه المثقفون . وهي بمثابة معاجم للعلوم والفنون يرجع اليها العالم والمؤرخ والباحث في كثير من الاحيان . ولذلك حرص العلماء على تصنيفها وجمعها منذ اقدم العصور . وقد تناول هذا المقال الجامع تاريخ هذه الموسوعات ومراحلها واطوار تقدمها حتى عصرنا الحالي

دوائر المعارف أو الموسوعات هي ما يعرف عند الغربيين بالانسكلوبيديا . وهي إما عامة تبحث فى موضوعات متنوعة أو خاصة تبحث فى موضوعات معينة ، وقد كانت الموسوعات قديما عند العرب مجموعة فصول ومقالات فى علوم وفنون مختلفة غير مرتبة على حروف المعجم . ولعل أشهر الموسوعات العربية من هذا النوع « نهاية الارب فى فنون الادب » لشهاب الدين احمد النويرى ويستوعب ثلاثين مجلدا ونيفاً ، وكتاب « صبح الاعشى » وهو موسوعة فى أربعة عشر مجلداً : فى الادب والانشاء ، و « مسالك الابصار فى ممالك الامصار » ، وهو يتألف من بضعة وعشرين مجلدا فى الادب والتاريخ والجغرافيا ، والتاريخ الطبيعى ، وغيرها ، و « سفينة الراغب ودفينة الطالب » وهو مجموعة فى كل علم وفن كالكشكول يحتوى على موضوعات وشذرات فى الادب والشعر والطبيعة والحديث والطب والرياضيات والمنطق والادعية والاصول والنجوم

وقد تطورت الموسوعات واتسع نطاقها الآن ، ونظمت تنظيما حديثاً ، وأصبحت تعالج مختلف الموضوعات العلمية والفنية والعمرانية والمالية والصناعية

والصينيون هم أول من صنف الموسوعات وأولها موسوعة « آر - ياء » ويرجع عهدها الى القرن الثانى عشر قبل المسيح على ما يزعمه الصينيون وان كانت القرائن تدل على أنها أحدث عهداً . والارجح أن المصنف المعروف باسم : « تاى ينج يو لان » هو أقدم كتاب صينى يستحق أن يسمى موسوعة وقد تم تأليفه بأمر امبراطور الصين وتحت اشرافه وهو ينقسم الى الف باب . على أنه ليس أكبر الموسوعات الصينية . ولذلك يعتبر الصينيون موسوعة « ينج لوتا تين » أفضل موسوعاتهم وقد تم تصنيفها تحت اشراف الامبراطور الثالث من اباطرة أسرة « منج » وهذه الموسوعة تتألف من ٢٢٩٣٧ كتاباً ولم يكتب منها سوى ثلاث نسخ تلفت اثنتان منها عند سقوط أسرة « منج » المذكورة . وتلفت الثالثة (ماعدا بضعة أجزاء منها) عند حرب البوكسر . وفى أيام الامبراطور « كانج هسى » شرع علماء الصين فى وضع موسوعة جديدة وفرغوا منها وطبعوها فى أيام الامبراطور يونج شنغ (سنة ١٧٢٣ - ١٧٣٦)

وإذا التفتنا الى بلاد الغرب نرى أن اليونان تقدموا غيرهم فى تصنيف الموسوعات . وعلى معظم

سار بلينوس المؤرخ الرومانى الشهيرصاحب معجم « التاريخ الطبيعى » وقد قال فى مقدمة كتابه هذا انه اقتفى أثر مؤلفى الموسوعة اليونانية . وفى الواقع أن كتابه المذكور هو أقدم موسوعة اوربية موجودة فى الوقت الحاضر وهو يتناول موضوعات شتى ويميط اللثام عن كثير مما يتصل بأحوال الغرب فى الحقب الغابرة

قلنا ان الموسوعات اما عامة وإما خاصة . فالعامة تبحث فى مختلف الموضوعات العلمية والفنية والعمرانية والمالية وغيرها . والخاصة تبحث فى موضوع واحد فقط كالموسوعات الزراعية مثلا فانها لا تبحث إلا فى شؤون الزراعة .وكالموسوعات التجارية فانها لا تعالج الاماله علاقة بشؤون التجارة. وأمثال هذه الموسوعات كثيرة فى معظم اللغات الحديثة . أما موسوعة بلينوس التى أشرنا اليها (التاريخ الطبيعى) فتتألف من سبعة وثلاثين مجلداً ومن ٢٤٩٣ فصلا فى الفلك والتنجيم والمتيورولوجيا والزولوجيا والجغرافية والنبات والطب والأطباء وطرق المعالجة والوصفات الطبية ومختلف الفنون . والغريب ان بلينوس الذى مات سنة ٧٩ بعد المسيح لم يكن من العلماء الطبيعيين ولا من الاطباء ولا من أهل الفن ، ومع ذلك جمع مباحث كثيرة نفيسة فى مختلف الموضوعات . وقد قال انه جمع فى موسوعته عشرين الف خبر أو حقيقة فى موضوعات شتى . ويقول « لمير » ان موسوعته تحتوى على ضعف ذلك العدد من الاخبار والحقائق . وقد عول بلينوس فى تأليف موسوعته على ٤٦٤ مؤلفاً من المؤلفين الذين تقدموه أو عاشوا فى عصره . وبلغ عدد طبعات هذه الموسوعة حتى سنة ١٥٣٦ م ثلاثاً وأربعين طبعة

وفى أوائل القرن الخامس للميلاد الف رجل من أهالى أفريقا ومن رعايا الحكومة الرومانية (وكان يدعى ما رتيانوس كيلا) موسوعة نصفها منظوم والنصف الآخر منثور كانت ذخيرة علم وأدب وظلت حتى العصور المتوسطة من أهم المراجع العلمية والادبية والمدرسية وكان الكثيرون يحفظون الجزء المنظوم منها ويعتبرون ذلك من متممات التحصيل

وفى بدء القرن السابع شرع ايزيدور مطران اشبيلية فى وضع موسوعة لا تزال تعرف الى هذا اليوم بعنوان « الاصول » واستغرق تصنيفها ثلاثين عاماً وهي تبحث فى موضوعات شتى علمية وأدبية وفنية ولغوية ومنها فصول فى فنون الحرب والالعاب والصناعات والملائكة واجناس البشر والحيوانات والنباتات والرياضات وصناعة السفن والثياب ، وهلم جرا . وكان المؤلف ملماً باللغتين اليونانية واللاتينية ويعرف العبرانية أيضاً وقد ساعده ذلك على تأليف موسوعته

وفى منتصف القرن التاسع وضع رئيس أساقفة ماينز موسوعته المسماة « الكائنات » فى اثنين وعشرين مجلداً واعتمد فى تصنيفها على موسوعة ايزيدور المشار اليها بعد حذف واضافات . وقد ظل شرحه لقصة الخليقة ولرواية سفر التكوين عنها عقيدة راسخة عند الشعوب المسيحية حتى

أواخر العصور المتوسطة . وقد رفع مصنفه هذا الى لويس ملك بافاريا فى سنة ٨٤٧ . وفى سنة ١٤٧٢ أعيد طبعه فى مدينة ستراسبورج

واذا التفتنا إلى العصور المتوسطة رأينا أن فنسنت دى بوفيه الذى عاش من سنة ١١٩٠ الى سنة ١٢٦٤ كان مؤلف أعظم موسوعة ظهرت فى أواسط القرن الثالث عشر وكانت هذه الموسوعة تتضمن بيانات ومعلومات كثيرة مقتبسة عن كتب كانت شائعة فى ذلك الزمن وقد ضاعت اليوم. وكان بعضها باللغة العربية وقد حصل المصنف على ترجمتها باللغة اللاتينية

وفى نحو ذلك الزمن كان العلامة « برونيتو لا تينى » استاذ دانتى شاعر ايطاليا المشهور منفياً فى فرنسا فقضى وقته فى تصنيف موسوعة دعاها « كتب الكنوز » وكان بين الموضوعات التى عالجها مسائل دينية وتاريخية وعلمية وأدبية وسياسية وفلكية وجغرافية . وكان الجزء الاخير منها يبحث فى منشأ الجمهوريات الايطالية التى كانت قائمة فى عصره . وفى أواخر القرن الثالث عشر ترجم العلامة جمبونى هذه الموسوعة الى اللغة الايطالية . وفى أوائل القرن التاسع عشر عزم نبوليون بونابرت أن يأمر بترجمتها إلى اللغة الفرنسية وعين لجنة خاصة للقيام بهذا العمل فقامت اللجنة به ولكنها لم تفرغ منه الا بعد وفاة نبوليون بزمن طويل . ولم تنشر الترجمة الفرنسية الا سنة ١٨٦٣ وذلك بعنوان مجموعة « مستندات لم يسبق نشرها »

وفى سنة ١٣٦٠ ميلادية نشر « جلانفيل » الراهب الفرنسسكانى الانجليزى مصنفاً يشتمل على مباحث فى موضوعات شتى . ولم يمر على هذه الموسوعة قرن ونصف قرن حتى كانت قد طبعت خمس عشرة مرة

وفى سنة ١٣٦٢ نشر الاب برسوين (بركوريوس) رئيس دير سان ايلوا بباريس موسوعة مؤلفة من ثلاثة أجزاء تبحث فى المسائل الدينية فقط وكان لها رواج عظيم جداً وقد طبعت الاجزاء الثلاثة مجلداً واحداً

وفى سنة ١٤٩٦ نشر الاب جورج ريش الالمانى معرف الامبراطور مكسيميليان موسوعة تتألف من اثنى عشر جزءاً تبحث السبعة الاجزاء الاولى منها فى الفنون والمهن والصناعات والجزآن الثامن والتاسع فى منشأ الاشياء الطبيعية والجزآن العاشر والحادى عشر فى مختلف النباتات وخواصها والجزء الثانى عشر فى الفلسفة الادبية

وفى سنة ١٥٠٦ نشر رافايل مافى بمدينة روما موسوعة عامة تبحث بوجه خاص فى المسائل التاريخية والجغرافية — وهى موضوعات لم تسهب فيها الموسوعات التى تقدمتها، وقد راجت هذه الموسوعة رواجاً لامثيل له حتى انها طبعت ثمانى مرات آخرها سنة ١٦٠٣ . واجزاء هذه الموسوعة تشتمل على فصول مرتبة على نمط الموسوعات القديمة الا انها أكثر منها دقة وجلاء وأصدق أخباراً . ولم يكن يفوقها فى غزارة مادتها فى ذلك الزمن سوى موسوعة « جورجيو فاللا » المعروفة

بالموسوعة البلاستية نسبة الى مدينة بلاستيا بايطاليا . وهذه الموسوعة تتألف من تسعة وأربعين جزءاً تحتوى على ٢١١٩ فصلا فى موضوعات مختلفة

وفى سنة ١٦١٤ نشر اسقف بتينا « باستريا » موسوعة تبحث فيما يشبه اليوم علم الانثربولوجيا أى تاريخ الانسان وتركيب جسمه وقواه العقلية والمادية منذ أقدم أزمنة التاريخ حتى ذلك العصر . والى جانب هذه المباحث فصول فى التنجيم والفراسة وتفسير الاحلام وقراءة الكف ، وفى سنة وثلاثين علماً من العلوم المختلفة . وهذه الموسوعة هى فى الحقيقة ذخيرة علوم لا يجدها المرء فى مراجع أخرى . وفضلا عن ذلك لها فهرست عام شامل يسهل على القارىء المراجعة

وفى سنة ١٦٣٠ نشر يوهان هنريخ آلستيد موسوعة شاملة تبحث فى مختلف العلوم والفنون والفلسفة والآداب والصناعات . وقد قال أحد علماء ذلك العصر عنها انها « الموسوعة الوحيدة التى لا تستحق الازدراء ! . . . »

ومعنى ذلك أن الكثيرين من علماء ذلك الزمن كانوا ينظرون الى الموسوعات المتداولة فى عصرهم بعين الاحتقار

ومما يجدر بالذكر أن ترتيب الموسوعات فى ذلك الزمن لم يكن هجائياً فكان القارىء يجد صعوبة كبيرة فى البحث عما يهمه من المعلومات . وقد كانت موسوعة آلستيد التى نحن بصددها آخر الموسوعات التى ظهرت فى تلك العصور باللغة اللاتينية التى كانت لغة العلماء ورجال الادب والسياسة . ولعل « جان دى مابنون » ـ مؤرخ ملوك فرنسا ـ أول من خرج على التقاليد القديمة اذ عزم أن يصنف موسوعة منظومة مؤلفة من عشرة أجزاء وفى كل جزء منها عشرون الف بيت شعر . وقد قال المصنف فى ذلك : « سأضع موسوعة تجعل جميع الكتب ومكاتب العالم لاقيمة لها » الا انه لم يعش ليكمل موسوعته لان اللصوص قتلوه فى سنة ١٦٦٢ . وقد طبع الجزء الذى انجزه منها بعد وفاته بعنوان : « العلوم العامة » فى عشرة أجزاء تحتوى على احد عشر الف بيت من الشعر ، تبدأ بالكلام على الخالق وصفاته وتختتم بقصة سقوط الانسان . ومع أن المؤلف كان من أصدقاء موليير وقد عاونه فى نظم الشعر واخراج الروايات فان نظم موسوعته لا يشف عن روح شعرية

وفى سنة ١٦٧٧ نشر يوهان هوفمان من أهالى مدينة بال واستاذ التاريخ واللغة اليونانية فى جامعتها موسوعة عامة تبحث فى التاريخ والجغرافيا والميثولوجيا وعلم اللغات (علم الاساطير) والمواليد وسير العظماء والأمراء والملوك وهلم جرا . وفى سنة ١٦٨٣ ظهر جزآن آخران من هذه الموسوعة . على أن مباحث هذا المصنف لا تخلو من أغلاط وشوائب كثيرة

* * *

وفى ٧ فبراير سنة ١٦٣٩ شرع معهد العلوم الفرنسى (الاكاديمية الفرنسية) فى وضع موسوعة

فرنسية.وفى نحو ذلك الزمن أيضاً شرع توما كورنيل (وكان من اعضاء الاكاديمية الفرنسية) فى وضع معجمه المعروف بمعجم العلوم والفنون فقررت الاكاديمية الفرنسية طبع هذا المعجم مع الطبعة الاولى من موسوعتها وذلك سنة ١٦٩٤ أى بعد شروعها فى تأليف تلك الموسوعة بنحو أربع وخمسين سنة

وفى نحو ذلك الزمن أيضاً (سنة ١٦٩٧) ظهرت فى روتردام موسوعة جديدة باللغة الفرنسية بعنوان « المعجم التاريخى الانتقادى » لمؤلفه بيير بايل وقد نقح هذا المعجم غير مرة وترجم الى اللغة الانجليزية . وقضى العالم بروسبير مارشان أربعين سنة فى تنقيح طبعته الاخيرة وفى اضافة فصول ومباحث جديدة

وفى النصف الاخير من القرن السابع عشر شرع فنشنزو كورونيللى الراهب العالم الايطالى وأحد أهالى البندقية فى وضع أول موسوعة باللغة الايطالية ، فقضى فى جمعها وتصنيفها ثلاثين سنة وسماها : « الموسوعة العامة الدينية الالحادية » قيل انها بلغت خمسة وأربعين مجلداً ولكن لم يطبع منها سوى سبعة مجلدات بين سنة ١٧٠١ و ١٧٠٦ وذلك من الحرف "A" إلى الأحرف "CAQUE" . وهذه من أكمل الموسوعات التى ظهرت يومئذ فى أوربا ومن أحسنها وأسهلها تداولا وان كانت لاتخلو من الاغلاط لان المؤلف كان سريع الكتابة والتأليف

أما الموسوعات الانجليزية فاول ماظهر منها موسوعة جون هاريس وقد طبعت سنة ١٧٠٤ وكان مؤلفها من رجال الدين ومن أهالى مدينة لندن . وقد رتب موسوعته على حروف الهجاء بخلاف اكثر الموسوعات التى كانت متداولة فى ذلك الزمن . وهذه الموسوعة تشتمل على مباحث مسهبة فى كثير من العلوم والفنون ماعدا علم الآثار وعلوم الدين والشعر وسير العظماء .فان المؤلف لم يشأ التعرض لها . وبعد ست سنوات ظهر المجلد الثانى من هذه الموسوعة وهو يتألف من ١٤١٩ صفحة ، ويبحث باسهاب عظيم فى الفلك والرياضيات والطبيعة . وكان بين المؤلف والفيلسوف اسحق نيوتن مودة عظيمة وقد أذن نيوتن للمؤلف أن ينشر فى موسوعته بحثه فى الحوامض . وقد أعيد طبع هذه الموسوعة خمس مرات لما كانت تشتمل عليه من الموضوعات العلمية والمباحث الدقيقة

وفى سنة ١٧٠٤ ظهر فى مدينة ليبسيج بالمانيا موسوعة المانية للعالم يوهان هوبنر . وبعد ثمانى سنوات ظهر فى ليبسيج موسوعة أخرى من تأليف ذلك العالم نفسه . وكلتا المجموعتين نفيسة تشتمل على مباحث ضافية فى العلم والفلسفة والسياسة والادب والاجتماع والتجارة والحرب والسلم وصناعة السفن والجغرافيا وغير هذه من الموضوعات العامة

وفى سنة ١٧٢٨ نشر افرايم تشمبرس الانجليزى موسوعته التى لا تزال متداولة الى الآن ومعروفة باسمه . وقد جاء فى الصفحة الاولى منها انها « معجم عام للعلوم والفنون وتفسير الاشياء وشرحها مع توسع فى العلوم السماوية والدنيوية » . وهذه الموسوعة جزآن كبيران وفى كل مقالة فيهما اشارات إلى المراجع التى اعتمد المؤلف عليها . وقد عنى عناية خاصة بالمباحث اللاهوتية

والمادية والفلسفية والسياسية والمنطقية واللغوية وأهمل التاريخ وسير العظماء . . وفى سنة ١٧٣٨ ظهرت طبعة جديدة من هذه الموسوعة وقد أضيفت اليها مباحث جديدة . وفى منتصف القرن الثامن عشر ترجمت هذه الموسوعة الى اللغة الايطالية فكانت اكمل موسوعة ظهرت فى تلك اللغة إلى ذلك العهد . ولما ذهب تشمبرس الى فرنسا سنة ١٧٣٩ طلب اليه أن يصدر موسوعة باللغة الفرنسية شبيهة بالموسوعة الانجليزية على أن تقدم الى الملك لويس الخامس عشر فلم يلب الطلب . ولما توفى سنة ١٧٤٠ ظهر انه كان قد جمع واعد للطبع مواد لسبعة مجلدات جديدة لموسوعته . وقد تولى السر « جون هل » العالم النباتي المشهور يومئذ طبع الملحق الخاص بعلم النبات فى هذه الموسوعة . وفى سنة ١٧٧٨ بدىء بطبع نسخة جديدة كاملة من هـذه الموسوعة وملحقاتهـا واستغرق طبعها عشر سنوات وظهرت فى ٤١٨ جزءاً

وظهر فى أوربا بعد ذلك موسوعات أخرى اهمها موسوعة زدلر الالمانية وهى من أحسن المصنفات التى من هذا القبيل ومن اكملها وأدقها . وقد اشترك فى تصنيفها تسعة من علماء الالمان فى ذلك العهد ، عهد الى كل منهم الاشراف على علم معين من العلوم كالتاريخ والفلسفة والطب والفلك والجغرافيا وهلم جراً . وجميع مباحث هذه الموسوعة مشحونة اشارات الى المراجع التى اعتمد عليها المؤلفون ــ الامر الذى جعل لتصنيفهم قيمة كبيرة . وقد حاول يومئذ طبيب فرنسى متجنس بالجنسية الانجليزية ومقيم بلندن (وهو الدكتور كوتلوجون) أن يضع موسوعة باللغة الانجليزية على نمط موسوعة زدلر فوضع مجلدين ضمنهما مباحث كثيرة فى موضوعات شتى

وفى سنة ١٧٤٤ نشر العالم بيفاتى عضو أكاديمية العلوم بمدينة البندقية موسوعة علمية كبيرة فى عشرة مجلدات ونشر فيها كثيراً من التصاوير والرسوم . وتعتبر هذه الموسوعة من أفضل الموسوعات التى ظهرت فى اللغة الايطالية

٭٭٭

ونأتى الآن إلى الانسكلوبيديا الفرنسية الكبرى وهى من أعظم مصنفات القرن الثامن عشر . وأساس هذه الموسوعة ترجمة موسوعة تشمبرس الانجليزية التى سبقت الاشارة اليها . وقد بدىء بترجمتها سنة ١٧٤٣ وقام بترجمتها رجل انجليزى يدعى جون ميلز كان مقيما بفرنسا . وأعانه فى عمله هذا جوتفريد سليوس أحد علماء ذلك العصر . وقد وقعت مشكلات قضائية بسبب هـذه الترجمة اضطر جون ميلز على أثرها أن يغادر فرنسا ويعود إلى انجلترا ساخطاً غاضباً . فعهد اذ ذاك إلى جان دى مالف أستاذ الفلسفة فى « كوليج دفرانس » فى الاشراف على ترجمة الموسوعة وتحريرها . فاتفق هذا وطائفة من العلماء على مباشرة العمل من جديد بينهم ديدرو المشهور . الا أن الناشرين لم تكن لهم ثقة بجان دى مالف . فعهدوا إلى ديدرو فى القيام بتلك المهمة . وكان قد سبق أن ترجم معجماً طبياً عن الانجليزية للدكتور روبرت جيمس . وقد قام ديدرو بالمهمة التى

نيطت به واستعان بواحد وعشرين عالماً من علماء ذلك الزمن . وكان أساس عملهم ترجمة جون ميلز لموسوعة تشمبرس . واتفق أن حكم على ديدرو بالسجن لاسباب يطول بنا شرحها . فأدى سجنه إلى تأخير طبع الموسوعة . وأخيراً ظهر المجلد الاول منها فى أوائل سنة ١٧٥٢ . الا أن مجلس الوزراء الفرنسى قرر مصادرته بحجة أن فيه ما يمس بسلطة الملك وبالدين . وبعد ذلك بشهر منع « ماليرب » الجزء الثانى وحاول مصادرة الاصل المخطوط مع أصل الجزء الثالث ولكن ديدرو كان قد اخفى جميع المخطوطات . وحاولت جماعة الجزويت يومئذ أن تقوم بمواصلة العمل وانجازه فلم تفلح . وأخيراً أباحت الحكومة للمنشئين أن يكملوا الموسوعة على أن يجعلوها أكثر ملاءمة لمجد فرنسا العلمى الادبى ، فقاموا بالعمل ، ولكن برلمان فرنسا عاد فى أوائل سنة ١٧٥٩ فاصدر أمراً جديداً منع به بيع تلك الموسوعة وغيرها من الكتب وحظر تداولها . وبعد اسبوعين آخرين أصدر أمراً آخر إلى لجنة عينها لفحص الموسوعة . وكانت النتيجة انه أصدر أمراً ثالثا فى ٧ مارس بمنع طبع المجلدات الباقية — وكان الجزء الثامن يومئذ تحت « الطبع » . ولكن العمل تم سراً ووزعت الاجزاء المطبوعة ، وكان عدد المشتركين ٤٢٥١

***

ونأتى الآن الى الانسكلوبيديا البريطانية وهى بلا شك أكبر الموسوعات التى من نوعها وقد صدر منها حتى الآن أربع عشرة طبعة ظهرت آخرها سنة ١٩٣٠ أى منذ أربع سنوات . وأول من شرع فى تصنيفها « جماعة من أفاضل الاسكوتلنديين » ، وتم طبع الطبعة الاولى منها سنة ١٧٧١ وكانت فى ثلاثة مجلدات تشتمل على ٢٦٧٠ صفحة . وظهرت الطبعة الثانية سنة ١٧٧٧ والثالثة سنة ١٧٨٨ والرابعة ١٨٠١ ثم توالت بعد ذلك الطبعات . وكانت كل مرة تكبر وتضاف اليها مجلدات وموضوعات جديدة حتى أصبحت تتألف اليوم من أربعة وعشرين مجلداً موضحة بالوف التصاوير والرسوم . وقد اشترك فى تصنيفها الوف من أفاضل الفلاسفة والعلماء ورجال الفن والادب

***

بقيت لنا كلمة عن دوائر المعارف العربية الحديثة . ومن دواعى الاسف أن اللغة العربية فقيرة فى الموسوعات والمعجمات المستوفية شروط مثيلاتها فى اللغات الغربية . ولعل أول من فكر فى تأليف موسوعة عربية على نمط الموسوعات الاوربية المرحوم بطرس البستانى أحد أركان النهضة العلمية الادبية فى سوريا فى القرن الماضى . وكان على جانب عظيم من معرفة اللغات والعلوم . وانت تعلم أن وضع موسوعة عامة للعلوم والفنون عمل شاق ان يكن قد قام به فى العصور الماضية أفراد فان تقدم العلوم والفنون وتطور شؤون الاجتماع يجعل قيام رجل واحد به أمراً متعذراً . ومع ذلك فقد قام البستانى بوضع موسوعة قال فى وصفها المرحوم جرجى بك زيدان انها : « موسوعة فى العلم والادب والتاريخ وسائر العلوم الطبيعية والرياضية والادبية وغيرها مرتبة على حروف المعجم — تعريب

ما يسميه الافرنج (Encyclopaedia) وهو عمل شاق لا تقوم بمثله الجمعيات لكن البستانى كان هماماً ونشطه اسماعيل باشا ماديا وأدبيا فاصدر من هذه الموسوعة ستة مجلدات وبدأ بالسابع ، فاتمه هو والثامن من بعده ابنه سليم وتوفى قبل الشروع بالتاسع . فأصدر أبناؤه الباقون ما بعده الى المجلد الحادى عشر بمساعدة ابن عمهم سليمان البستانى ناظم الالياذة »

ووضع الاستاذ العلامة محمد فريد وجدى دائرة معارف القرن العشرين باللغة العربية تتألف من عشرين مجلداً . وهو مجهود يحمد عليه لأن الموسوعات تقتضى كما قلنا جهد لفيف من العلماء ورجال الادب

فرق تسد

كان لويس الحادى عشر ملك فرنسا الداهية ، حينما جلس على العرش لا يحكم إلا على جزء صغير من فرنسا . وكانت بقية البلاد تؤلف طائفة من الامارات والاقطاعات التى يستقل أمراؤها وأقيالها بالحكم ولا يعترفون للملك إلا بسلطة اسمية عليهم

وجعل لويس الحادى عشر يسعى إلى القضاء على أولئك الأمراء والاقيال وضم ممتلكاتهم إلى ممتلكات التاج ، أو بعبارة أخرى جعل يسعى إلى تحقيق الوحدة الفرنسية وإنشاء مملكة قوية تخضع كلها لعرش واحد

وبعد أن وضع لنفسه خطة للعمل مضى فى تنفيذها بلا خوف ولا وجل ، ولكنه كان يعمد إلى الدسائس والمكائد اكثر مما يعمد إلى السلاح . أو انه كان يلجأ الى السلاح بعد أن يمهد طريق النصر ويضمن لنفسه الفوز بالكيد والدس . وعقد ذات يوم مجلساً من أربعة قواد كان يثق بهم ويعتمد عليهم فى حروبه ، وعهد إلى كل منهم فى مهمة حربية صعبة التنفيذ

وبعد أن انصرفوا من عنده ، عاد فناداهم واحداً واحداً ، وقال لكل منهم كلمة تجعله يوجس شراً من زملائه الثلاثة الآخرين . وكان ذلك على مرأى من نجيه وأمين سره « كومين »

فقال له الرجل : « أراك دائماً تلقى بذور الشقاق بين أمراء المملكة وقوادها . ولا أفهم لماذا صنعت مع هؤلاء الاربعة ما صنعت ! »

فاجابه لويس : « لكى أسود يا كومين : لا يمكن أن أسود إلا بالتفرقة بين هؤلاء جميعاً . ولن تقوم مملكتى إلا على هذا الاساس : فرق بين الصغار لكى تسود انت الكبير ! »

ومن هنا جاء المثل الفرنسى القائل : « فرق لكى تملك » ، والذى نعبر عنه بالعربية بكلمتى : « فرق تسد ! »

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

نفسية المجرم ومظهره

[خلاصة مقالة عن مجلة رسالة الاخبار العلمية . بقلم السيدة جين ستاذورد]

ليس من السهل أن نعرف القاتل السفاح من مرآه الخارجي ولكن فى الامكان معرفة نفسيته وشرح غوامضها . وإذا فحصت وجوه كبار المجرمين الذين خلد التاريخ أسماءهم - كآل كابونى وديلنجر وغيرهما - لم تجد فى مظهرهم الخارجي ما يشف عن ميلهم الاجرامي . الا أن نفسياتهم تختلف كل الاختلاف . ولعلماء النفس مباحث جليلة فى هذا الشان تدل على أن نفسية الذين يرتكبون جريمة القتل تختلف عن نفسية الذين يرتكبون جريمة السرقة مثلا ، وعن نفسية الذين ليس بينهم وبين الاجرام أية صلة . وليس ذلك فقط بل ان الآلات التى يستعملها المجرمون كثيراً ما تشف عن تلك النفسية والنفسية بالاعتبار البسيكولوجي عامل ذو شأن عظيم . وكثيراً ما دفعت صاحبها إلى ارتكاب جريمة القتل . فاذا أمكن درسها درساً صحيحاً أمكن منع صاحبها من ارتكاب الجرائم فى حالات كثيرة وكان من المرجو إصلاحه

ولعل أول الصفات التى يمتاز بها مرتكب جريمة القتل تقلب عواطفه ومشاعره وعدم استقرارها على حالة واحدة . وقد درس بعض الاخصائيين نفسية الكثيرين من المجرمين والصفات التى تمتاز بها هذه النفسية فاتضح لهم أن القاتل المتعمد سريع الانفعال سريع التقلب فى أهوائه وقلما تستقر عواطفه ومشاعره فى اتجاه واحد . ولما كانت الحالات التى درسها أولئك الاخصائيون تعد بعشرات الالوف وتتضمن درس نفسيات المجرمين المختلفين - من القاتل الذى يتعمد القتل الى الشخص الذى يقتل خطأ - فقد تسنى لاولئك الاخصائيين وضع مبادىء عامة يمكن الاستدلال بها على المجرم والحكم بامكان اصلاحه أو عدم امكانه . وفى مقدمة تلك المبادىء أن المجرم المتقلب فى عواطفه هو أخطر أنواع المجرمين وقلما يرجى صلاحه بل قل ان صلاحه متعذر

ولو أمكننا درس نفسيات المجرمين الذين يرسفون فى الاغلال بين جدران السجون فى جميع أنحاء العالم لوجدنا أن عامل تقلب العواطف هو أكثر شيوعاً بين مرتكبي جرائم القتل منه بين أى

فريق آخر من المجرمين ، بل ان نسبته عند أولئك القتلة الى نسبته عند غيرهم هو كنسبة أربعة الى واحد . وإذا أخذت مجموع عدد المحكوم عليهم بالسجن لجرائم اعتيادية وجدت عدد الذين يمتازون منهم بتقلب العواطف والمشاعر لا يزيد — نسبياً — على ربع عدد الذين يمتازون بتلك الصفة من المتهمين بجرائم القتل المتعمد او غير المتعمد . وهنالك جرائم قتل يرتكبها أصحابها عند اشتداد سورة الغضب . ويقول الاطباء الذين درسوا نفسيات المجرمين ان أمثال هؤلاء ليسوا من النوع الذى يتعمد القتل أو الذى يريد الاستمرار فى المعيشة فى الجو الاجرامى . ولذلك يرجى صلاحهم اكثر مما يرجى صلاح السفاحين الآخرين . وفى الواقع ان جريمة القتل التى يرتكبها أمثال هؤلاء هي — فى عرف علماء البسيكولوجيا — طارئة . لان مرتكبها انما يرتكبها وهو فى غير حالاته الاعتيادية. وإذا صحا من سورة غضبه ندم على مافعل ولات ساعة مندم

ومما يجدر بالذكر ان لهذا النوع من الاجرام علاقة بالجنسية . فبعض أجناس البشر أشد اسراعاً الى سورة الغضب من غيرهم . وامزجتهم اسرع انفعالا من امزجة غيرهم . وفى هذا دليل على ان للاحوال الجوية تأثيراً فى نفس المجرم . فاهالى الاقاليم الباردة أقل اندفاعاً الى سورة الغضب من غيرهم . والذين يعيشون فى الاقاليم الحارة اكثر اندفاعاً الى ارتكاب القتل فى ساعة الغضب ، ولكن أقل ارتكابا لجرائم القتل المتعمدة ، لان تعمد الاجرام يكون فى الغالب فى الاقاليم المعتدلة

ويؤخذ من احصاء اميركي يوثق به ان اكثر مرتكبي جرائم القتل فى أميركا هم من الجنس اللاتيني الاوربي الاصل . ويليهم زنوج اميركا . ويلي هؤلاء الجنس الارلندى . ومعظمهم يرتكب ما يرتكبه من الجنايات بين السابعة والعشرين والحادية والثلاثين من اعمارهم . وأغلبهم من غير المتعلمين وممن يميلون الى الوهم والخيال . اى انهم سريعو الانفعال والتشبث بالاوهام . ومن الملاحظات على هذه الطائفة من المجرمين أنك قلما تجد بينهم من هو قبيح الشكل أو دميم المنظر

ويؤخذ من الاحصاء المشار اليه ان نحو ثلث مرتكبي جرائم القتل — عمداً كان القتل أم بلا سبق اصرار — مصابون ببعض الخلل فى قواهم العقلية . وفى الواقع أن الذين يرتكبون جريمة القتل من ذوى العقول الراجحة او من أصحاب الذكاء المفرط قليلون جداً . بخلاف الذين يرتكبون جرائم التزوير والاحتيال والسرقات المالية فانهم فى الغالب ممن تسمو قواهم العقلية على المتوسط . ولهذا تجد الفرق كبيراً بينهم وبين مرتكبي جرائم القتل من جهة التعليم ، فان هؤلاء غير متعلمين فى الغالب وقد تكثر الامية بينهم الا الذين يرتكبون القتل فى أثناء سورة الغضب

والخطر من نقص القوى العقلية يزداد شدة اذا كان المرء من مدمنى المسكرات او المخدرات او من المصابين ببعض الامراض التى لها صلة بادمان المسكرات كالزهرى مثلا فان مثل هذه الحالة تزيد فى ميل المرء الى الاجرام

الاسلام فى فنلندا

[خلاصة مقالة عن مجلة ايتود
اسلاميك . بقلم الدكتور بشر فارس]

فى الرابع والعشرين من شهر ابريل سنة ١٩٢٥ أعلنت الحكومة الفنلندية أن الأسلام من الاديان المباحة فى بلادها . ولا يخفى أن المسلمين المقيمين بفنلندا هم من التتر والاتراك وأ كثرهم جاءوا فى الاصل من الجهات التى وراء جبال أورال على أثر الثورة الروسية

ويبلغ عدد الجالية الأسلامية فى فنلندا اليوم ٦٤٨ نفساً أو مايزيد على مائة أسرة مشتتة فى سبع عشرة مدينة وبلدة . والجانب الا كبر منهم مقيم بمدن هلسنجفورس وتمرفورس وتوركو

ومعظم مسلمى فنلندا يتاجرون بالفرو والمنسوجات وبينهم جماعة من الاغنياء . والمشهور عنهم انهم هادئون مسالمون لايدعون لأحد مجالا للشكوى منهم . ولما كانت الحرية الدينية مطلقة فى فنلندا فهم يتمتعون بكل مايتمتع به غيرهم من الحقوق والمزايا . وأبواب الوظائف الحكومية غير موصدة فى وجوههم

ولهؤلاء المسلمين امام تتم على يديه عقود الزواج وتسجل عنده المواليد والوفيات ولا تخبر بها الحكومة إلا مرة فى العام . وهم شديدو المحافظة على تقاليدهم لايتزوجون إلا من أهل دينهم ولا يتنزلون عن المهر . وقد تزوج بعضهم فتيات مسيحيات ولكن أغلب هؤلاء المسيحيات أسلمن واللواتى لم يسلمن منهن وقع بينهن وبين بعولتهن شىء من الخلاف بسبب موقف الاولاد وحالتهم غير الصريحة

ويعنى مسلمو فنلندا بتعليم أولادهم أصول الدين . وقد أسسوا لهذا الغرض مدارس يتردد اليها أولادهم مرتين أو ثلاث مرات فى الاسبوع . وهؤلاء الاولاد يتعلمون عدا أصول الدين التاريخ الاسلامى وتاريخ الاتراك ويحفظون القرآن باللغة العربية على انهم يتلقون أ كثر دروسهم باللغة التركية المكتوبة بالحروف اللاتينية

والمدارس الاسلامية بفنلندا قليلة العدد ومشتتة ومواعيد الدراسة فيها غير منتظمة . ففى كل من مدينتى هلسنجفورس وتمرفورس مدرسة تفتح أبوابها تسعة أشهر من كل اثنى عشر شهراً . أما المدارس الاخرى فبعثرة فى القرى والبلاد التى توجد فيها جاليات اسلامية وان كانت تلك الجاليات صغيرة . وهذه المدارس لاتفتح أبوابها إلا ثلاثة أشهر فقط من كل سنة واساتذتها يتنقلون بينها من مدرسة الى مدرسة على مدار السنة

ومسلمو فنلندا يعنون بتنظيم الحفلات التى تلقى فيها الخطب (المحاضرات) وموضوعات هذه

الخطب مختلفة متباينة . فمنها ما هو دينى ومنهـا ما هو أدبى أو قومى ومنها ما هو تاريخى . فأما الموضوعات القومية والتاريخية فصبغتها تركية محضة . والذين يقومون بالقاء الخطب هم أساتذة المدارس الذين سبقت الاشارة اليهم ، يعاونهم بعض اخوانهم فى الدين من الاتراك أو غيرهم ممن يمرون بفنلندا. وفى السنة الماضية ظهرت هنالك نبذة تحتوى على بروباجندا قومية باللغة الفنلندية بقلم ابرهيم عريف الله امين سر الجالية الاسلامية الفنلندية وهى بمنزلة دفاع يسوغ انحياز القوم الى جانب الاتراك مع انهم فى الاصل من أقاليم روسيا الجنوبية . وفى الواقع أن مسلمى فنلندا شديدو الاعجاب بالاتراك والعطف عليهم وهم يتتبعون سير النهضة التركية ويهتمون بأخبار أنقرة ، ولا يخلو بيت من بيوتهم من صورة الغازى مصطفى كمال . ولا يمر اليوم الثالث والعشرون من شهر ابريل والتاسع والعشرون من اكتوبر من كل عام (وهما العيد الوطنى وعيد الاستقلال التركى) إلا ويحتفلون بهما كما لو كانوا اتراكا

وليس فى فنلندا جامع ولكن فيها ثلاثة مساجد صغيرة احدها فى هلسنجفورس والآخر فى تمرفورس والثالث فى توركو . أما الجهات التى ليس فيها مساجد فيجتمع أهاليها فى أيام الجمع رجالا ونساء فى أحد البيوت لتأدية فريضة الصلاة . على ان النساء لا يجتمعن فى المساجد إلا فى عيد الفطر وعيد الاضحى يقمن بالشعائر الدينية مع الرجال

وليس فى فنلندا سوى امام واحد يعيش على حساب الجالية الاسلامية ومقره بمدينة هلسنجفورس إلا أنه يزور المدن الاخرى من وقت الى آخر . وعند غيابه يقوم مقامه بعض الافراد المتبحرين فى العلوم الاسلامية وفى عيد المولد النبوى يتلو المسلمون القرآن الشريف باللغة العربية ويلقى الامام باللغة التركية خطبة تلائم مقتضى الحال . ويقيم كرام المسلمين واغنياؤهم الولائم ويدعون اليها اخوانهم . ومسلمو فنلندا يمتنعون بوجه الاجمال من شرب الخمر مع شدة برد الجو فى تلك الانحاء ، ولا تقدم المشروبات المسكرة فى أعيادهم الدينية والقومية . وقد أكد بعضهم لكاتب هذه السطور أنه منذ عشرين سنة لم يقبض على أى مسلم فنلندى بتهمة السكر

أما الصوم فى شهر رمضان فسلمو فنلندا لا يتشددون فى حفظه ولا يحتمون على غيرهم أن يحفظه . وفى الواقع أنه اذا وافق شهر رمضان أحد أشهر الصيف التى يكون النهار فيها طويلا لم يعتبر الصوم اجبارياً بل استعيض عنه بشهر آخر . ولم يقم بفريضة الحج حتى الآن سوى واحد من مسلمى فنلندا . وفى الواقع أن اقامة هذه الفريضة ليست من الامور السهلة على القوم نظراً الى بعد الشقة والى ما يحيط بأداء تلك الفريضة من الصعاب

والمرأة المسلمة الفنلندية تتمتع بكل ماتتمتع به غيرها فى تلك البلاد . وهى لا ترقص ولا تخاصر ولكن أخشى أن يجرفها تيار المدنية الكاذبة فلا يطول بها امتناعها هذا وترفعها عن مظاهر الحضارة الخادعة

المرأة فى الاربعين

[خلاصة كتاب بهذا العنوان .
بقلم السيدة ساره ترنت]

تقف المرأة مذعورة عند ما ترى أنها قد أصبحت على أبواب الاربعين . فتتمثل لها التغيرات الخطيرة التى تطرأ عليها عادة عند الدنو من تلك السن ، وتقول فى نفسها : « أنا الآن على وشك الدخول فى أخطر أدوار حياتى وأصعبها ! »

على ان ذعرها هذا فى غير موضعه . فاذا كانت قد قضت سنيها الماضية على الوجه الذى رسمته لها الطبيعة وقامت بالتبعات التى القاها عليها نظام الكون قياماً حسناً فلن تحرم التمتع بمسرات الحياة التى هى حق من حقوقها عند بلوغها سن النضج

وفى الواقع ان حالة المرأة التى تبلغ سن الاربعين لاتدعو إلى أى شىء من الهم . وليس ثمة ما يسوغ المخاوف التى تخامرها عند تفكيرها فى هذه المسألة فليس لتلك المخاوف سبب غير الوهم . والتغييرات البيولوجية والفيسيولوجية التى تطرأ عليها عند بدء هذا الطور من أطوار حياتها يجب ان لا تخيفها ابداً

وليس معنى ذلك ان تكتفى المرأة بحالتها وان تجلس فى عقر دارها مكتوفة اليدين ، بل يجب ان تتذكر ان هذا الدور من ادوار حياتها كثير المشاكل التى يجب حلها . والمرأة التى تريد ان تعيش فى هذا الدور العيشة الصحيحة التى رسمتها لها الطبيعة ، وان تتمتع بالعقل الناضج الذى تمتاز به بالغات تلك السن ، يجب أن تعرف نفسها وتقدرها حق قدرها . ترى ما الذى تفعله الطبيعة بمن جاوزت سن الاربعين ؟

انها تعفيها قبل كل شىء من اعباء الولادة وما يتعلق بها . فكأن الطبيعة تقول لها : « لقد عشت حتى الآن من اجل النوع ، فيجب ان تعيشى من الآن من اجل نفسك »

والنصيحة الواجب اعطاؤها للمرأة فى هذه السن هى : « اجتنبى الافراط والاجهاد فى كل شىء فلا تجهدى جسمك بكثرة العمل والرياضة وبقلة النوم . واذا شعرت بطروء أى شىء غير عادى فلا تهملى استدعاء الطبيب واستشارته فان حاجتك اليه فى هذا الطور أعظم من حاجتك اليه فى أى طور آخر . فهو الذى يجب ان يعنى بك كعناية والديك بك فى أيام طفولتك »

ولا حاجة الى القول بان فى مقدمة التغييرات التى تطرأ على المرأة فى هـذه السن تغيرات نفسانية تتناول عواطفها ومشاعرها . وهـذه التغيرات طبيعية فيجب ان لا تزعجها او تلقى فى نفسها شيئاً من الذعر. ومعظم النساء المشهورات بدقة الاحساس يشعرن - إذا وصلن الى هذه السن -

بدافع غامض يدفعهن إلى البكاء من غير علة ظاهرة . ففي هـذه الحالة يجب تركهن وشأنهن ليبكين ما شئن لان الدموع تسرى عنهن وتفرج عن كربهن وهى بمنزلة «صمام الأمان» . وقد ينشأ البكاء عن أتفه الاسباب أو تصخب المرأة وتصرخ فى تلك السن وتعنف غيرها لاتفه الاسباب . وقد تخامرها الريب والشكوك فتنشىء فى نفسها شعوراً بالحسد والغيرة . فتطلق لعواطفها العنان وتندفع فى الصياح والبكاء . ففى مثل هذه الحالة يجب أن تترك وشأنها وان لا يحاول أحد اعتراضها أو منعها. وأمثال هذه الطوارىء يجب أن لا يحسب لها حساب لانها — من الوجهة الفيسيولوجية — ناشئة عن تأثير افرازات الغدد الصماء فى المجموع العصبي تأثيراً يجعل ذلك المجموع دقيق الاحساس الى درجة بعيدة . ومن حسن الحظ أن الطوارىء المشار اليها زائلة غير دائمة . واذا أدرك الزوجان هذه الحقيقة أمكنهما اجتياز سن الاربعين بكل سلام وصارت حياتهما تفيض سعادة وهناءة . وعلى الرجل الذى جاوزت زوجه الاربعين أن يدرك مغزى تلك التطورات . وعلى المرأة نفسها أن تعلم سبب التغيير الطارىء عليها فلا تحزن ولا تكتئب . ولتعلم ، قبل أن تصل الى تلك السن ، أن تلك التغييرات سوف تطرأ عليها ثم تنقضى بسلام فاذا علمت ذلك كانت كمن يأخذ عدته لمواجهة الخطر فيتغلب عليه

ثم ان المرأة عند وصولها الى سن الاربعين تساورها المخاوف من جهة جمالها وتخشى أن يزول ذلك الجمال فتفقد محبة زوجها واعجاب الناس بها . وهذا يعلل ظهور روح الحسد والغيرة فجاة فى نفوس بعض النساء متى بلغن الاربعين . ولذلك تقضى الحكمة على الزوج بان لا يستفز غيرة زوجه باى وجه من الوجوه فان الغيرة مؤلمة لنفسها ومتعبة له . وعلى المرأة من الجهة الاخرى أن تعلم أن بلوغها الاربعين لا يعنى ذهاب دولة حسنها واختتام حياتها الجنسية ، وان انقطاعها عن الولادة ليس نذيراً بدنو الشيخوخة . وفى الواقع ان المرأة فى سن الاربعين هى فى ذروة حياتها « الجنسية » فلها حق التمتع بجميع مسرات الحياة ومباهجها كأنها ما تزال فى سن العشرين . ويقول بعض كبار الاطباء أن المرأة انما تصل الى ذروة حياتها فى سن الخمسين

ومما يدعو الى الاسف كثرة الاشاعات الخيالية التى يتناقلها الناس (ولا سيما العجائز) عن النساء اللواتى يبلغن سن الاربعين . فمن تلك الاشاعات ان المرأة فى الاربعين معرضة فى كل دقيقة من دقائق حياتها للجنون والهستيريا وأمراض الوهم والخيال التى لا وجود لها إلا فى أدمغة الذين يخترعونها . وفى الواقع أن الطبيعة لا تجر المرأة أبداً الى مثل تلك الحال ولا يعقل أن تجرها اليها . فاذا طرأت عليها مثل تلك الحالة كانت غير طبيعية ويجب البحث عن سببها . وهذا السبب هو فى الغالب السن لاغير فيجب أن لا يؤدى الى أى قلق أو انزعاج . ومن اسهل الامور التغلب على أمثال هذه الطوارىء ، وذلك بان تعيش المرأة عيشة طبيعية هادئة وان تدرك ، فى الوقت المناسب ، سبب ما يطرأ عليها

لسنا سلالة القرود

[خلاصة مقالة عن مجلة باسنج
شو . بقلم جيرالد هيرد]

تقول نظرية النشوء والارتقاء أننا سلالة القردة أو على الاقل سلالة حيوان شبيه بالقرد . وليس مهماً أن يكون تسلسلنا من ذلك الحيوان قد تم مباشرة أو بمراحل بل المهم أن الانسان نشأ من مخلوق أحط منه

ولا يخفى أن أهم فصائل القردة ثلاث هي : الشمبانزى ، والغوريلا ، والاورانج أوتانج . ويقول علماء النشوء والارتقاء إن أول الثلاثة الانواع المذكورة — أى الشمبانزى — هو جد الانسان . وغنى عن البيان أن جميع أنواع القردة كبيرة الفم شديدة البطش ذات قوة بدنية هائلة لا تقل عن قوة السباع الضارية . وعليه فالنظرية الداروينية غير مشرفة للبشر لانها تصور الانسان متسلسلا من حيوان شرس خطر على من يجاوره وقد ارتقى وساد غيره وأخضع الحيوانات الاخرى بدهائه ومكره وخبثه وسعة حيله

وبعبارة أخرى أن الانسان بحسب النظرية الداروينية فاز على كل ماحوله من مخلوقات حيوانية مستعيناً بذينك الناموسين القاسيين وهما تنازع البقاء وبقاء الاصلح يؤيدهما ناموس آخر لايقل عنهما شدة وهو ناموس الانتخاب الطبيعى ، أى أن الانسان وصل الى قمة سلم النشوء بالحيلة والمكر والشدة ، ولم يكن فى طبيعته أثر للفضائل السامية كالشفقة والعطف والحنان إذ لم يكن له شأن بها ولم تكن به أية حاجة الى اظهارها فكأنها من الكماليات لا من الضروريات

ومعنى ذلك أن الانسان الذى كان يعيش فى أول أمره عيشة طبيعية يفتك بكل مخلوق حوله لم يكن يجد من نفسه دافعاً الى اظهار الرحمة والشفقة ولا يشعر بشىء من وخز الضمير . بل لم يكن يشعر فى باطنه بان لتلك الصفات مسوغاً حقيقياً

على أن المباحث الحديثة تثبت أن تلك الصفات الجميلة لم تظهر فى الانسان طفرة أو اعتباطا بل كانت غريزية فيه وقد نمت وقويت بمرور الزمن . وهذا يناقض العقيدة الداروينية التى تصور غرائز الانسان فى أول مراحل نشوئه بصورة غرائز حيوان شرس مفترس لا يأمن على نفسه إلا اذا فتك بكل من حوله بلا رحمة ولا شفقة . ولهذا يميل فريق كبير من علماء البيولوجيا الى نبذ النظرية القائلة باننا سلالة القردة

واذا صدق هذا الرأى الجديد فمن نحن متسلسلون ومن هو جدنا الاول ؟

وقبل الاجابة عن هذا السؤال لا بد لنا من تقرير هذه الحقيقة وهى أن الزمن الذى استغرقه

الانسان فى نشوئه حتى وصل الى طوره الحاضر هو أطول بكثير مما كان العلماء يزعمون قديما ، فبقايا المخلوق الانسانى التى اكتشفها الدكتور ليكى فى كينيا منذ عهد غير بعيد قد اثبتت بوجه قاطع أن جد الانسان الاول عاش على هذه الارض منذ نحو مليون سنة بل ربما وجد قبل ذلك بكثير ، فى العصور الجيولوجية التى كان شكل الارض الجغرافى فيها يختلف عن الشكل الحالى أى يوم كانت انجلترا قطعة من أوربا ونهر الرين الالمانى يصب فى سواحل اسكوتلندا . وغنى عن البيان أن اثبات هذه الحقيقة قد أحدث انقلاباً خطيراً فى نظرية التطور فيما يتعلق بتاريخ ظهور الانسان على الارض ، اذ أثبت أن « سكان الكهوف » — أولئك الجبابرة الذين كانوا أقرب الى القردة منهم الى البشر — لم يكونوا جد الانسان بل كانوا سلالة نشأت كما نشأ الانسان من أرومة أخرى ثم انقرضوا لانهم لم يكونوا فى حالة تقدم ورقى بل فى حالة تقهقر وانحطاط . ولم تكن قوامهم الجسمية الهائلة سوى نذير انحلال واندثار . وفى الواقع أن تيار الحياة فى تلك الفصيلة كان قد أخذ فى النضوب

ترى من أين جاء « انسان كينيا » الذى وجد على الارض منذ مليون سنة ؟ ومن كان جده ؟

ان العلم لا يستطيع حتى الآن أن يجيب عن هذا السؤال جواباً قاطعاً ولكنه ينبئنا ببعض الصفات التى كان ذلك الجد متصفا بها بلا شك . من ذلك أن الانسان الحالى بالنسبة الى ذلك الجد هو جبار هائل الحجم والقوة . والعلم يثبت لنا أن جميع المخلوقات الحية نشأت من مخلوقات أصغر منها . وهذا الناموس عام شامل ليس له — على ما نعلم — أى شذوذ . فجميع الزحافات الهائلة التى سادت الارض فى الحقب الجيولوجية الخالية نشأت من حيوانات أصغر منها . والحصان نشأ من حيوان صغير جداً . والثلاث الفصائل الكبرى من القردة — الشمبانزى والغوريلا والاورانج اوتانج — ليست سوى سلالة أنواع أصغر حجوماً منها . وهكذا قل فى سائر الانواع فانها تنشأ صغيرة ثم تكبر وتقوى فى الجسم والعقل

وبعبارة أخرى أن كل نوع ذى حجم هائل انما هو فى طور لاحق لطور كان فيه ذلك النوع صغير الحجم . وليس هنالك ما يحملنا على استثناء الانسان من هذه القاعدة . وعليه فلا بد أن جد الانسان كان صغير الحجم بالنسبة الى الانسان الحالى

ترى أين نجد ذلك الجد ؟

منذ عهد قريب عثر العلماء فى غابات جزائر ملقة على حيوان غريب الشكل شديد الاحساس كثير الحياء لا حول له ولا طول وهو يكاد يخشى ظله . وكثيراً ما حاول الاهالى أن يربوه فى بيوتهم فكان يموت من شدة حزنه ودقة احساسه . وهنالك قرائن كثيرة تدل على أن هذا النوع الغريب هو الانسان بعينه فى أحد الاطوار التى مر بها فى أثناء تطوره البطىء فبينه وبين الانسان شبه عظيم فى الصفات والغرائز . والقول بان الانسان الحالى نشأ منه لا يناقض أى شرط من شروط التطور

الخاصة بالحجم والصفات والغرائز وغير ذلك . فهذا المخلوق الهادىء الشديد العطف والاحساس يجمع كل الشروط التى تؤهله ليكون جد الانسان الاول ما دام العقل لا يسلم بان الانسان سلالة حيوان شرس وبانه عمل على ابادة كل ما كان يصادفه فى طريقه . فاذا صدق هذا الزعم فنكون قد أحدثنا انقلاباً خطيراً فى نظرية النشوء والارتقاء وأثبتنا أن الانواع التى تنتصر وتصلح للبقاء هي التى تمتاز « بالعواطف » الرقيقة والشعور الدقيق ودماثة الاخلاق

واذا درسنا شكل الحيوان الذى نحن بصدده وتركيبه الفيسيولوجي وجدنا فيه كل ما يؤهله ليكون جداً للانسان . أضف الى ذلك ان طباعه وغرائزه شديدة الشبه بطباع الانسان وغرائزه وقواه العقلية لا تقل عن قوى أرقى أنواع القرود العقلية . وشكل الكثير من أعضاء جسمه شبيه بشكل ما يقابلها من أعضاء جسم الانسان

ان مستقبل تطور الانسان غير واضح ولكن اذا صدقت نظرية التطور الحديثة فان انسان الغد سيكون أفضل خلقاً وأدق شعوراً من الانسان الحاضر وسيكون عقله أصفى وأكثر مضاء وأشد اختراقا لاسرار الطبيعة . ولن ينظر إلى الفضائل الغريزية كانها غير جديرة بالانسان بل سيرتقى شعوره حتى يعتبر الشراسة والقسوة والشدة من مظاهر الضعف والانحطاط

مالنا وما علينا

[خلاصة مقالة عن أميركان
مجازين . بقلم الدكتور مليكان]

إذا أردنا أن نلقى نظرة على سنة ١٩٣٤ لنرى مبلغ رقى العالم ومدى الشوط الذى اجتازه الاجتماع فيها وجب علينا قبل ذلك أن نلقى نظرة على أنفسنا لنرى الى أى حد وصل رقينا العقلى الروحانى الاجتماعى . وفى الواقع أن الانسان لا يهمه أن يدرك اسرار الاشعة الكونية قدر ما يهمه أن يدرك أسرار رقيه الحقيقى

إننا إذا رجعنا إلى الاحصاءات الختامية للسنة الماضية أدهشنا ما تشف عنه أرقامها الضخمة من دلائل اليسر والرخاء . فقد بلغ ما أنتجته المعامل وما نقلته السكك الحديدية وما وسقته السفن وما قطعته الطيارات ، مبلغاً لم يكن يحلم به الاولون والآخرون . وكان سير الاجتماع فى تلك المدة الوجيزة مفخرة لعقل الانسان . ولكن المهم فى جميع ذلك ليس هو الارقام بل الروح المعنوية التى كانت ولا تزال تسود الانسان . وبعبارة أخرى أن عدد الذين اشتركوا فى ذلك الانتاج ليس مهما بقدر روح أولئك الافراد ونفسيتهم . فلا تسل كم كان عددهم بل ماذا كانت حالتهم النفسية والمعنوية وكيف كانت أخلاقهم ؟

خذ صناعة الاوتوموبيلات مثلا فقد يبهرنا العدد الذى أخرجته لنا المصانع منها والمسافات الشاسعة التى اجتازتها . وهذا الأمر مهم فى حد ذاته الا أن هنالك ما هو أهم منه وهو الاعتبار الأدبى فى رقينا وفى خلقنا . ترى هل سرنا بتلك الاوتوموبيلات نهيم على وجوهنا على غير هدى أم كنا نقف عند كل محطة ونجيل أبصارنا حولنا لنرى ماذا يمكننا أن نبذل للناس من المعونة ولم يمكننا أن نبدى لهم من العطف ؟ وهل من الحكمة أن نقيس مدى رقى العقل البشرى بالارقام فنخلط بذلك بين الروح والمادة ؟

إن مناحى الرقى فى نظامنا الاجتماعى تشف عن شيوع الراديو والتلفون والتلغراف وغير ذلك من وسائل التخاطب والاتصال ، ولكن هل شيوع هذه الوسائل وكثرة انتشارها دليل على رقى مستوى المدنية وعلى أننا أرقى اليوم حضارة مما كان آباؤنا وأجدادنا ؟ وهل تهمنا كثرة وسائل الاتصال بين البشر — من تلغراف وتليفون وراديو وغيره — قدر ما يهمنا نوع الاحاديث التى تتم بتلك الوسائل والروح التى تسود تلك الاحاديث ؟ وهل كنا فى تخاطبنا نزقين طائشين نزرع بزور البغض والحقد ونكيل التهم والشتائم جزافا — أم كنا حلماء متواضعين نتوخى نشر السلام والاخاء ونعمل على بث روح الطمأنينة بين الافراد ؟ وهل كنا نصدر فى أعمالنا ومعاملاتنا عن حقد وأنانية وكذب وجشع ورثاء أم كنا نتكلم ونعمل مدفوعين بروح الوفاء والاخلاص والتضحية والصدق والزهد وصفاء النية ؟

وما الذى يهم اذا تمكنت لندن من مخاطبة باريس أو اتصلت برلين بنيويورك بالتلفون واللاسلكي والتلغراف وغير ذلك من الوسائل ؟ ان ذلك أمر تافه بالنسبة إلى الروح التى كان يتم بها التخاطب بين تلك المدن . وإنه لمن أعظم ضروب الاساءة إلى المدنية والى الاجتماع أن نستعمل تلك الوسائل للتشاتم والتراشق بالتهم والوشايات ، ولتبادل العبارات الجارحة والاقوال المسيئة التى ليس لها سوى نتيجة واحدة وهى زيادة عوامل النفور بين البشر وتقوية روح البغضاء بينهم

وإذا كانت أبنيتنا ومعاهدنا وقصورنا وناطحات السحب عندنا تشف عن وجه واحد من وجوه تقدمنا وهو الوجه المادى فان العبرة ليست بعدد تلك الابنية والمعاهد بل بما يجرى فى داخلها من مباحث علمية وأدبية وروحية وبما يبذله ساكنوها من جهد فى رفع مستوى الانسان الروحى والخلقى وفى ترسيخ دعائم السلام والاخاء بين البشر

فلنحذر لئلا تخدعنا مظاهر المدنية الكاذبة ، فليست العبرة بمقدار ما تنتجه حقولنا ومزارعنا ومصانعنا بل بما نحن عليه من مستوى عقلى وأدبى واجتماعى . ولا يهمنا أن يكون سير تقدمنا سريعاً بل أن يكون أساس ذلك التقدم من الوجه الادبى الروحانى راسخاً متيناً . وليت شعرى أية قيمة لاتقان شكل الآلة التى تستنفد الوقود فى الاوتوموبيل مثلا إذا كنا لا نسعى لترقية تلك الآلة العجيبة التى تستنفد وقود الدماغ — ونعنى بها العقل ؟

مداعبة الموت من ابواب الرزق

[خلاصة مقالة عن مجلة بوبيولار
ميكانكس . بقلم بوب روز]

كاتب هذه السطور هو أحد أفراد طائفة من أغرب طوائف الناس . وهو (بعد مزاولة مهنته الغريبة مدة تسع عشرة سنة) أحد ستة نجوا من الموت من مائة وخمسين كانوا يرتزقون ويكسبون قوتهم بمزاولة أعمال هى من أشد المجازفات خطراً على الحياة . وقد شهد الكاتب وفاة أكثر رفاقه مع أنه قام بمغامرات لا تقل عن مغامراتهم . فقد وثب ٥٦١ مرة من أعالى الجو بالمظلات الواقية (الباراشوت) . ووثب ثمانين مرة من طيارة إلى طيارة فى الفضاء . وقفز مائة وخمسين مرة من علو تسعين قدماً ليغوص فى الامواج . وانكسر به مائة وثمانون اوتوموبيلا . وركب جياداً جامحة فوق صخور وعرة وجرف هار خمساً وستين مرة . وقام بمجازفات أخرى خطيرة غير هذه

أما الذين هلكوا من رفاقه فقد أودى بهم الخوف والذعر وعدم رباطة الجأش وضعف القلب وعدم الصبر . وتدل الاحصاءات الكثيرة على أن الذين يقومون بتلك المغامرات على سبيل الارتزاق لا ترجى نجاتهم الا اذا امتازوا بالصفات اللازمة فى مثل هذه الاحوال . فاذا امتازوا بها فان حظهم من النجاة لا يقل عن سبعين فى المائة . ومن أهم شروط النجاح ــ غير الصفات التى أشرنا اليها ــ أن يفحص المرء العدد والآلات التى يستعملها بحيث لا يترك شيئاً « للمصادفة »

وقد زعم بعض الناس أن الاشخاص الذين يمتازون بالقوى الرياضية هم خير من يقوم بامثال هذه المجازفات . وهذا خطأ كبير فان الرجل الرياضى يعتاد حركات معينة حتى يصبح قيامه بها أمراً ميكانيكياً . بخلاف الرجل الذى يقوم بالمجازفات فان كل خطوة يخطوها وكل حركة يقوم بها يجب أن يكون الذهن متنبهاً معها تمام التنبه حتى لا يكون العمل ميكانيكيا بل نتيجة حساب دقيق وانتباه عظيم

والمفروض فى الذين يقومون بالمجازفات انهم « يملكون أعصابهم » الى أقصى حد ، وهذا صحيح يتضح لكل من يراقبهم ويتتبع حركاتهم . واذا كان قد تسنى لكاتب هذه السطور أن يداعب الموت وينجو من براثنه مراراً فما ذلك لان جسمه أقوى من أجسام الذين هلكوا من رفقائه أو لان حظه أحسن من حظهم ، بل لانه كان دائما يملك قياد أعصابه ويظل حذراً متنبها لكل صغيرة وكبيرة ولا يقوم بأية مجازفة الا بطريقة علمية دقيقة ، كما كان يفعل هووينى شيخ المجازفين . ومن الخرق فى الرأى أن يعتمد المجازف على الحظ أو أن يقوم بأية مجازفة ــ مهما كانت صغيرة ــ وهو يشعر بالخوف والارتباك فان الخوف والارتباك يؤديان به الى الهلاك لا محالة

وهنالك عقيدة شائعة بين جميع أفراد طائفة المجازفين وهي أن الذى يهجر مهنة المجازفة زمناً ثم يعود اليها يلاقى حتفه لا محالة . وكاتب هذه السطور ممن يؤمنون بصحة هذه العقيدة . وهو يعللها بان الذى يترك مهنة المجازفة مدة يفقد ما كان قد كسبه بقوة الممارسة كما يفقد دقة الملاحظة وشدة الحذر والتيقظ . فاذا عاد إلى مزاولة مهنته استولى عليه شيء من القلق الباطنى وهذا القلق هو أصدق نذير الى الهلاك

ومن الاغلاط التى يرتكبها بعض المجازفين انهم يعتمدون على غيرهم ويتوقعون منهم المعونة للنجاة من الهلاك . وقد وقع كاتب هذه السطور فى هذا الخطأ مرة فكاد يهلك لولا لطف الله . ومنذ ذلك الحين أقلع عن الاعتماد على الغير اقلاعاً تاماً وصار يعتمد على نفسه فقط . وقد كانت أخطر المجازفات التى قام بها وثوبه من طيارة من علو خمسة آلاف قدم ومعه مظلة واقية (باراشوت) على أن تدنو منه طيارة أخرى وهو فى الهواء فتلقى اليه بحبل فى طرفه « صنارة » فتجذبه اليها وتطير به . وقد اقتضت هذه المجازفة الخطيرة تمريناً كبيراً ودقة نظر وتنبهاً إلى أبعد حد

☆☆☆

والجوزيف بونومو — وهو من كبار المجازفين أيضاً — تاريخ حافل بالمغامرات وقد كتب يقول: إنه قضى فى هوليوود اثنى عشر عاماً زاول أهول المخاطرات التى يكاد يغمى على الانسان اذا شاهدها. وكان لهذا الرجل عدة رفاق يقومون مثله باعظم المخاطرات ولكنهم هلكوا جميعاً ولم يبق منهم سواه . وكان عضواً بالنادى المعروف « بالقطة السوداء » وعدد أعضائه ثلاثة عشر من كبار المجازفين هلك جميعهم ما عداه . ولم ينج هو من الهلاك الا باعجوبة . ومع ذلك فما من عظم من عظام رقبته الا كسر أو رض . وقد كسرت ذراعه اليمنى أربع مرات وذراعه اليسرى مرتين وقدمه اليمنى سبع مرات وقدمه اليسرى أربع مرات . وخرجت بعض فقرات ظهره من مكانها على الاقل ثلاثين مرة وكسر ظهره مرة وأصيب بارتجاج الدماغ ست مرات والتوت أضلاع صدره على الأقل عشرين مرة الخ الخ

ولا شك أن بعض المجازفات التى نراها على ستار السينما هى خداع لاحقيقة فان لأهل الفن طرقا وأساليب لاتخطر ببال أحد لتمثيل المجازفات وخداع المشاهدين . على أن هذا لا يعنى ان جميع المجازفات التى نشاهدها فى السينما هى خادعة بل أن هنالك مجازفات حقيقية خطيرة جداً تنتهى بصاحبها إلى الهلاك . من ذلك ماذكره جوزيف بونومو الذى أشرنا اليه من أنه انكسر به (وهو يقوم بتلك المجازفات) أربعة وعشرون أوتوموبيلا وثلاثة قطرات وثمانية موتوسيكلات . وكثيراً ما كان يندفع باتوموبيله إلى جرف هائل ومعه ركاب (هم فى الحقيقة دمى) فيهوى به الاتوموبيل من حالق فينكسر وينجو هو برضوض بسيطة . ومن أشد مجازفاته الخطرة أنه كان ينتقل وهو فى الجو من طيارة الى طيارة بسرعة البرق الخاطف

تطور الاجتماع والعصر الآلي

[خلاصة مقالة عن مجلة
« لو » . بقلم بريلز فورد]

مر على انقضاء الحرب الماضية ستة عشر عاما كان العالم يحتفل فى كل عام منها بعيد الهدنة فيقف صامتا دقيقتين ينقطع فى خلالها عن الكلام وتقف المعامل عن الحركة ثم يستأنف الجميع العمل فتواصل معامل الذخيرة والاسلحة انتاجها ويستمر رجال الحرب فى وضع خططهم ــ كأن الهدنة لم تعقد ، وكأن الدول لاهم لها إلا التنافس فى اقتناء أدوات الدمار والهلاك . كيف لا وفرنسا تزيد جيشها والمانيا تفعل مثلها واليابان تطلب زيادة أسطولها وبريطانيا العظمى تأبى إلا أن يكون لها أكبر الاساطيل ، واذا تسنى حل عقدة أساطيل البحر فستتبعها غداً عقدة أساطيل الهواء؟

لقد كنا نعيش قبل الحرب فى عالم لاغنى فيه لامة عن أمة . فكانت رءوس الاموال تنتقل من قطر الى قطر لا تحول دون انتقالها الحدود الجغرافية . وكان محبو السلام يرجون أن يقوى الشعور بين الدول بانه لابد للامم من التعاون والتآزر وإلا فان نظام الاجتماع يصاب بهزة شديدة على أن أسواق العالم قد بدأت تضيق شيئاً فشيئاً ونظام العالم المالى قد انقلب رأساً على عقب وبلغ من عظم ذلك الانقلاب أن المدين أصبح لايعترف بدينه ولا يحترم عهوده . وقد تعقدت المشكلات المالية فى كل ناحية من انحاء العالم . وزادت الضائقة الاقتصادية الطين بلة فكاد علماء الاقتصاد يفقدون صوابهم وصاروا لايعلمون ماذا يفعلون أو بماذا يشيرون ؟

ترى كيف العمل وهل نكتفى بان نعلل أنفسنا بقرب زوال الضائقة المالية وبان علاقات البشر ستعود بعودة الرخاء الى حالتها الطبيعية ؟ وهل يتبع تطور الحالة الدولية تطور الموقف الاقتصادى ؟ وهل تعمد الدول الى نزع سلاحها واغراق أساطيلها متى عاد اليسر والرخاء ؟

ان الذى يعلل نفسه بمثل هذه الامانى انما يعلل نفسه بالاوهام . فقد تطور العمران بسبب الازمة الاقتصادية الاخيرة تطوراً جديداً وأعيد تنظيم الاجتماع على أسس جديدة ثابتة لكى تصبح كل أمة مكتفية بنفسها وبما تنتجه بلادها . ولا يخفى أن مبدأ « توزيع العمل » كان أهم الاسس التى قام عليها نظام الاجتماع الاقتصادى فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين . فكانت كل أمة من الامم مختصة بصناعة أو تجارة لاتحسنها غيرها . وكانت التربة والاحوال الجوية وطبيعة البلاد الجغرافية تضمن لكل قطر من أقطار العالم زراعة أو صناعة معينة لا تصلح لمكان آخر . فكان بعض الشعوب اخصائيين فى النسيج وغيرهم فى زراعة القطن أو الحبوب ، حالة أن شعوباً أخرى كانت تزاول صناعات أخرى لا تستطيع غيرها منافستها فيها . فكانت كل أمة تأخذ حاجتها من غيرها وتعطى غيرها ما تنتجه بلادها

أما الآن فقد تغير كل ذلك بسبب نظام العالم الآلى . وهذا النظام لايؤدى الى ارتباط الامم معاً بل الى فصلها وجعل كل أمة فى غنى عن غيرها . وبعبارة أخرى أن مبدأ توزيع العمل الذى هو من مبادىء علم الاقتصاد الاولية قد بدأ يزول ليحل محله نظام «الاستغناء عن الغير» . فمنذ عشر سنوات كان أهالى لنكشير يسخرون ممن يقول لهم إن فى وسع غيرهم من الشعوب منافستهم فى صناعة النسيج أما الآن فقد أصبحت هذه المنافسة حقيقة راهنة بفضل انتشار العدد والآلات . وفى الواقع أن الانتاج كان يتوقف قديماً على عوامل الجو والجغرافيا والذكاء . أما الآن فان الآلات الحديثة تسهل كل عمل وتغنى عن عامل الذكاء . زد على ذلك أن الآلات والاساليب والاكتشافات الكيمائية الحديثة تجعل كل أمة تسعى الى الاستقلال عن غيرها والى الاكتفاء بنفسها

ولا يشمل هذا الاستقلال المنتجات الصناعية فقط بل يتناول المواد الاولية أيضا كالقطن وغيره فقاطعة لنكشير مثلا تعتمد على زراعة القطن كل الاعتماد ومع ذلك فهى لاتزرع القطن بنفسها ، ولندن التى لاغنى لها عن البترول ليس فيها شىء من ينابيع هذا السائل السمين . ولكن العلم يأتى بالمعجزات فالحصر البحرى الذى ضرب نطاقه على فرنسا فى أيام الحروب البونابرتية أدى الى اكتشاف طريقة لصناعة السكر من البنجر . وخوف انجلترا من مستقبل ترعة السويس يحمل الوزارة البريطانية الآن على التفكير فى استنباط وقود سائل من مادة الكربون . وحاجة أميركا والمانيا الى الكاوتشوك حملت علماءها على استنباط وسائل لصنع الكاوتشوك من مواد ونباتات لم تكن معروفة من قبل . وافتقار بعض الامم الى القطن أدى الى استنباط الحرير الصناعى . وحاجة الروس الى الشاى حملتهم على استنباط وسيلة علمية لزراعته فى أودية القوقاز . وقس على ذلك الامثلة الكثيرة التى تدل على أن الحاجة أم الاختراع وعلى أن الانسان لايعدم الوسائل العلمية للتغلب على الصعاب التى تحيط به

واذا استمرت الحال على هذا المنوال فلابد أن يجىء يوم تصبح فيه عصبة الامم ضرباً من اللهو والعبث . والغريب أن بعض الناس يعتقدون أن تطور الاجتماع على هذا المنوال سيؤدى الى السعادة والرخاء لان كل أمة من أمم العالم ستصبح مستقلة عن غيرها مكتفية بما تنتجه أرضها ومعاملها . وهو اعتقاد باطل ، لاننا اذا فرضنا امكان حصول ذلك وأنه سيأتى يوم تستطيع فيه كل أمة أن تعتمد على ماتنتجه وأن تستغنى عن غيرها ففى أية الاسواق تطرح منتجاتها ولمن تبيعها اذا أوصدت فى وجهها الاسواق العالمية ؟ واذا فرضنا أن لنكشير مثلا استطاعت أن تستغنى عن قطن أميركا والهند ومصر فلمن تبيع منتجاتها وهى تصنع من تلك المنتجات كل عام ما يكاد يكفى العالم ؟ أم ترى تكتفى بانتاج الكمية التى يحتاج اليها أهلها فقط ثم تقفل أبواب مصانعها بعد ذلك ؟ فترى إذن أن هذا الاستقلال أو الاستغناء الذى ينشده البعض لا يمكن أن يفيد أحداً بل هو كارثة عالمية يجب السعى لتلافيها بكل الوسائل الممكنة

الرجال أم النساء

أيهما الجنس الضعيف ؟

[خلاصة مقالة عن مجلة نيوز ليتر .
بقلم السيدة مارجوري فان ديواتر]

جرت عادة الناس فى العصور الحديثة أن يسموا الرجل « الجنس الخشن » والمرأة « الجنس الضعيف » . وهم يقولون إن الرجل أكثر ميلا إلى الحرب والكفاح والخصام من المرأة فهو اذن أحرى بالوصف الذى قد خلع عليه ، ولكن هل ينطبق هذا الوصف على الحقيقة ؟

كثيراً مايعود الولد من المدرسة وثيابه ممزقة ووجهه معفر وتحت عينه آثار لكمة : فتلقاه أمه بصيحة الذعر لانها تدرك فى الحال ما وقع لابنها وتعلم أن الاولاد سيظلون أبد الدهر ميالين إلى الكفاح والقتال ، وأن اشتباك الولد فى معركة مع غيره شر لا بد منه كالاصابة بمرض الحصبة

فالاعتقاد السائد بين الناس هوأن « الجنس الخشن » — أى الاولاد — هو الجنس المغرم بالكفاح والخصام . على أن الاختبار لا يؤيد هذا الاعتقاد ، فقد ثبت أن البنات لسن أقل ميلا إلى التلاكم والتضارب ، ولا يضعف فيهن هذا الميل الا متى بلغن سناً معينة

فقد قام أحد العلماء الاميركيين ببحث واسع النطاق استغرق سنتين متواليتين جمع فى خلالهما احصاء دقيقاً عن الفى معركة شهدها بنفسه بين الاولاد والبنات الذين تختلف أعمارهم من سنتين إلى أربع سنوات . وقد درس هذا العالم نفسية أولئك الصغار وخبر أفراحهم وأتراحهم وأسباب ضحكهم وبكائهم ، ووجه همه إلى درس المسائل الثلاث التالية وهي :

(١) مبلغ ميل كل منهم — ذكوراً وإناثاً — إلى المخاصمات

(٢) الاسباب التى تؤدى إلى المخاصمات

(٣) الاسلحة التى يستعملها كل من الفريقين

ويظهر من البحث الدقيق أن ميل الاولاد إلى الخصام والكفاح يختلف باختلاف الافراد . ففى مدة السنتين اللتين استغرقهما بحث العالم المذكور اشتبك أحد الاولاد فى مائة واحدى وأربعين معركة واشترك آخر فى سبع وثمانين معركة . وآخر فى سبعين معركة . وكان عدد المعارك التى اشترك فيها الآخرون يختلف ويتدرج . وأقلها سبع عشرة معركة قام بها أقلهم ميلا إلى الخصام

ولم يكن فى المعارك التى وقعت بين الاولاد والبنات مايدل على أن المعارك وقعت بسبب اختلاف الجنسين . ولايمكن أن يستفاد منها مايسوغ تسمية البنات بالجنس اللطيف والاولاد بالجنس الخشن . وقد اتضح من درس تفاصيلها أن هنالك فرقاً بين الوسائل التى يستعملها الاولاد والوسائل التى تلجأ

اليها البنات ولاسيما بعد السنة الثالثة . فان البنات فى هذه السن يصرخن ويصخبن أ كثر من الاولاد
ولما كانت البنات فى تلك السن أقدر على الكلام من الاولاد وأشد امتلاكا لناصية اللغة فقد كان المنتظر أن يستعملن من قوارص الكلم أ كثر مما يستعمل الاولاد وأن يخرجن ألسنتهن زراية واحتقاراً للاولاد الذين هم أقل منهن فصاحة ، الا أن الاحصاءات التى جمعها العالم الذى نحن بصدده لا تدل على تفوق البنات على الاولاد فى فن المهاترة عندما يشتد وطيس الخصام بين الفريقين

ان الاعتقاد الشائع بين الناس هو أن أ كثر الخصومات التى تقع بين الاولاد والبنات منشؤها الخلاف الغريزى بين الجنسين ، وان هذا الخلاف الغريزى يظهر فى نهضة المرأة الحديثة للمطالبة بكثير من الحقوق التى تدعيها وفى ميادين المنافسات المختلفة بين الرجل والمرأة وفى المناقشات الكلامية التى تكثر بين الذكور والاناث . ولكن البحث والاختبار لا يؤيدان هذا الاعتقاد . وفى الواقع أن المعارك التى تقع بين أفراد الجنس الواحد هي أ كثر وأشد من المعارك التى تقع بين أفراد الجنسين . وقد يزعم البعض أن قلة المعارك الاخيرة ترجع إلى روح الفتوة التى يعبر عنها الافرنج بكلمة الفروسية (الشيفالرى) أما مباحث العالم الاميركى الذى نحن بصدده فقد اسفرت عن الحقائق الآتية وهي : (١) ان الاولاد عندما يخاصمون أولاداً مثلهم يظهرون شراسة أشد مما يظهرونه عندما يخاصمون البنات (٢) ان البنات اللواتى يخاصمن اترابهن من البنات يفرطن فى الصخب والكلام ا كثر مما لو كن يخاصمن الاولاد

(٣) عندما يقع خصام بين ولد وبنت يكون الولد هو البادىء بالعدوان عادة (٤) عندما يقع خصام بين بنتين فان الضرب أو اللكم أو الرفس بينهما يكون أخف منه بين ولدين من الذكور (٥) عندما يقع خصام بين بنت وولد تبكى البنت وتصخب أ كثر مما تفعل عندما تخاصم غيره

وقد لوحظ فرق كبير بين أولاد الفقراء وأولاد الاغنياء باعتبار الميل إلى الخصام . فهذا الميل هو أقوى فى الاولين منه فى الآخرين . وليس الفرق بين الفريقين فى عدد المخاصمات فقط بل فى شدتها أيضا . ويخيل إلى المرء من كثرة عدد المخاصمات التى يشتبك فيها أولاد الفقراء ان ميلهم إلى العراك يكاد يكون غريزيا وان نتيجة العراك لا تهمهم بقدرما يهمهم الاشتباك فى العراك نفسه

اضف الى ذلك ان اللغة التى يستعملها أولاد الفقراء أبعد عن مقتضيات الادب والحياء من اللغة التى يستعملها الذين يربون فى أحضان النعمة

واذا نظرنا الى هذه المسألة من الوجهة الجنسية وجدنا أن الميل الى العراك والخصام يختلف باختلاف الجنس والعوامل الجغرافية والاثنولوجية . فقد اثبتت المباحث والاحصاءات التى أشرنا اليها فى صدر هذه المقالة ان أهالى البلاد الواقعة على سواحل البحر الابيض ا كثر ميلا إلى العراك والخصام من سكان شمالى أوربا ، وان أقل الامم ميلا إلى العراك هم اليهود . أما باعتبار الاجناس فان ذلك الميل يبدو على أشده فى الاسبان ثم فى الايطاليين ثم فى اليونان ثم فى الارلنديين

تقدم العلم والعالم

أقدم معاهدة صلح

فى متحف جامعة يابل قطعة بيضوية الشكل من الفخار ترجع الى سنة ٢٩٠٠ قبل المسيح وقد نقشت عليها باللغة السامرية القديمة (البابلية) معاهدة صلح بين مدينة لجس وأوما . والمعروف من التاريخ ان هاتين المدينتين تحاربتا مدة طويلة وانتهت الحرب بينهما بانتصار مدينة لجس على مدينة أوما وعقدت المدينتان صلحاً نقشت شروطه على قطعة الفخار المشار اليها . وقد جاء فى هذه المعاهدة ان مدينة لجس أشهد الاله « تنجرسو » على عدوتها القديمة وتستسبغ لعناته عليها ان هى حنثت بيمينها ونكثت شروط المعاهدة . والمعروف من التاريخ أيضاً ان مدينة أوما لم تعبأ بتلك المعاهدة فانه لم يمض على عقدها سنتان حتى ثارت هذه المدينة على عدوتها القديمة وشهرت عليها الحرب كأن هذه المعاهدة لا قيمة لها

تصلب الشرايين

يؤخذ من احصاءات طبية كثيرة ان مرض تصلب الشرايين آخذ فى الانتشار بسرعة بين الناس لأن جهود الانسان فى ميدان الحياة قد أصبحت اكثر وأعظم

وتدل الاحصاءات أيضاً على ان الوفيات بسبب أمراض القلب آخذة فى الازدياد وان الامراض الصدرية كالسل والتهاب الرئتين وغيرهما هى مع تقدم علم الطب اكثر انتشاراً فى هذا الزمن منها فى كل وقت مضى

الذهب من السماء

عثر علماء الجيولوجيا على قطعة من نيزك غريب فى مقاطعة نيو مكسيكو يحتوى على قليل من عنصر الذهب . وهذا أول نيزك من نوعه وهو دليل قاطع على وجود الذهب فى الأجرام العلوية . على ان كمية الذهب الموجودة فى قطعة النيزك المذكور قليلة بحيث ان ثمنها لا يفى بنفقة استخراجها

الشعب الروماني

كان الشعب الرومانى أسود الشعر بوجه عام خلافاً للاعتقاد الشائع بين الناس وهو ان الرومانيين والرومانيات كانوا شقراً وكانت الرومانيات شديدات الشغف باللون الذهبى ولذلك كن يستعملن الصبغات المختلفة لتلوين الشعر وإكسابه اللون الاشقر والاصفر

جو السيارات الكبرى

تدل الارصاد الفلكية الحديثة الموثوق بها على ان أجواء السيارات الكبرى كعطارد والمشترى وزحل واورانوس ونبتون مشبعة بذلك الغاز الذى لا يلائم الحياة ونعنى به غاز « الميثين » الذى يكثر فى مناجم الفحم وهو غاز شديد الخطر كثيراً ما تنجم عنه الانفجارات فى المناجم . ووجود هذا الغاز فى أجواء تلك السيارات يكاد يكون برهاناً قاطعاً على عدم وجود أثر للحياة فيها

التعقيم بالفضة

اكتشف أحد علماء الكيمياء الالمان طريقة لتعقيم الماء بالفضة وتعرف بطريقة كاتادين ، وهي رخيصة جداً فان رطلا واحداً من الفضة يكفي لتعقيم نصف مليون غالون من الماء الملوث بالجراثيم . ولا يخفى ان بعض مركبات الفضة مضرة بالانسان ضرراً بليغا ، كنترات الفضة مثلا فانها مادة كاوية تحرق الجلد حرقاً شديداً . وكمادة الارجيرول (وهي ضرب مخفف من ملح نترات الفضة) فهي أيضاً مادة كاوية . أما عنصر الفضة البسيط فانه اذا عولج به الماء بواسطة تيار كهربائي قتل جميع الجراثيم والميكروبات التي قد توجد في الماء وتجعله صالحاً للشرب

الاشعة الكونية

أشرنا الى الأشعة الكونية في عدة أجزاء ماضية من الهلال وهي الأشعة التي اكتشفها الاستاذ مليكان العالم الاميركي الشهير . وما تزال هذه الأشعة سراً مستغلقاً على العلماء ، اذ لايعلمون كيف تنشأ وأين تتكون . ولايعرفون من خواصها إلا النزر اليسير . وهذه الأشعة تغمر الكرة الارضية وتمطرها وابلا متواصلا على مدى الزمن . ويعتقد الدكتور مليكان مكتشف هذه الأشعة انها لا تختلف كثيراً عن أشعة اكس إلا في درجة قوتها ، وانها تشبه أشعة النور والحرارة من وجوه كثيرة . ويعتقد غيره ان هذه الاشعة مجموعة ومضات كهربائية مؤلفة من نويات الجواهر الفردة . ويظهر ان الزوابع الكهربائية التي تحدث في جو الكرة الارضية كالبروق والرعود وما أشبه تنشأ عن مرور الايلكترونات السلبية والايجابية في الجو

هل وجدوا علاجاً للسرطان

لا يخفى ان أشعة الراديوم في مقدمة وسائل مكافحة السرطان في الوقت الحاضر . وقد أنشيء في المعهد الفني بكاليفورنيا أنبوب هائل لأشعة إكس تبلغ قوته تسعمائة الف فولت لمعالجة السرطان . وتدل التجارب التي تجري بهذا الأنبوب على انه أفضل جميع وسائل مكافحة السرطان . على ان الاطباء القائمين بهذه التجارب يقولون انه لا يمكن الجزم بفائدة الأنبوب إلا بعد مرور خمس سنوات

وتقول مجلة « رسالة الاخبار العلمية » في الجزء الصادر في ٢٦ مايو الماضي ان الدوائر الطبية المختلفة تلقت خبراً فحواه ان الدكتور طود وهو من أشهر الاطباء الانجليز قد اكتشف علاجا لمرض السرطان يصلح في الحوادث التي يقطع كل أمل من شفائها . وقد جرب هذا العلاج في حالات كثيرة فكانت النتيجة تبعث على الارتياح . نعم لم يمر زمن كاف لاثبات فائدة هذا العلاج اثباتاً قاطعاً ولكن القرائن كلها تدل على عظم فائدته . وتقول المجلة التي نقلنا عنها هذا الخبر ان هذا العلاج يخفف آلام السرطان كثيراً جداً . واسمه هلام كبريت السلينيوم ـ وبالانجليزية (Sulphur-selenium colleid) ويستعمل مع هلام آخر من هلامات السلينيوم ومع مواد أخرى راديومية بحيث يرمز اليه بالحروف "Sse" ، وفي الحالة الثانية بالحروف "R.A.S." . ويحقن المصاب بهاتين المادتين في أحوال وبقيود نشرتها المجلة العلمية المشار اليها يبدو على المريض تحسين ظاهر حتى في الحالات التي يعجز الراديوم عن تخفيف الآلام فيها

أمراض الروماتزم

يؤخذ من أحدث المباحث الطبية أن أمراض الروماتزم على اختلاف انواعها ناشئة عن نقص الفيتامين «ج» من الغذاء. ولا يخفى أن مرض حمى المفاصل يصيب الاطفال عادة إذ يكونون فى طور النمو السريع، حالة أن غذاءهم تعوزه المقادير اللازمة من الفيتامين «ج». وأعراض هذا المرض ورم وأوجاع فى المفاصل وضعف فى القلب وارتفاع فى درجة الحرارة. وعليه فان خير علاج لأمراض الروماتزم التى تصيب الاطفال فى زمن الحداثة هو تغذيتهم بالاطعمة التى يكثر فيها الفيتامين المشار اليه. وهذا الفيتامين يكثر كما لا يخفى فى البرتقال والطماطم والكرنب وغير هذه من المواد. وقد أصدرت مصلحة الصحة العامة باحدى الولايات الاميركية نبذة تنصح بها الجمهور باطعام الاولاد الصغار المواد المذكورة

الامبراطورية المجهولة

لا نظن ان كثيرين من الناس يعلمون شيئا عن امبراطورية طرابزون التى ازدهرت فى العصور الماضية وكانت على ما يظن بعض المؤرخين نقطة الاتصال بين الشرق والغرب. وقد نسى اكثر المؤرخين هذه الامبراطورية إلى أن شرع أخيراً الاستاذ فاسيليف الروسى الاصل فى البحث عن تاريخها يعاونه عالم انجليزى. ويظهر مما وقف عليه هذان الاستاذان أن أمبراطورية طرابزون كانت فى الاصل أى منذ نحو ثلاثة آلاف سنة مستعمرة يونانية على الساحل الجنوبى للبحر الاسود بآسيا الصغرى. وبعد أن خضعت لليونان مدة دخلت فى حوزة الامبراطورية الرومانية ثم فى حوزة الامبراطورية البيزنطية وبقيت خاضعة لها إلى سنة ١٢٠٤ للميلاد ثم استقلت وأصبحت أمبراطورية ذات شأن واحتفظت باستقلالها حتى سنة ١٤٦١ إذ غزاها الاتراك وأدخلوها فى حوزتهم وامتزج شعب طرابزون بهم حتى ضاعت جنسيتهم بعد زمن قصير

لمقياس حرارة الانفاس

اخترع الدكتور فرنسيس بندكت من أساتذة معهد كرنجى آلة دقيقة جداً لمعرفة درجة حرارة انفاس الانسان ودرجة حرارة الرئتين. وبواسطة هـذه الآلة يمكن معرفة تقلبات درجات حرارة الجسم معرفة دقيقة جداً

تمثال قديم

بينما كان بعض الباحثين عن الآثار يحفرون خرائب مدينة أور الكلدانيين ـ وهى أقدم مدينة بناها الانسان ـ عثروا على قبر جندى يرجع تاريخه الى خمسة آلاف سنة مضت. والجندى مدفون فى هذا القبر مع حربته ومع تمثال امرأة مصنوع من حجر، وهو خشن الصنعة غير متقنها. ولا عجب فانه من أقدم التماثيل التى صنعها الانسان المتمدن

حاسة السمع في الحيات

ليس للحيات آذان تسمع بها ولكنها تسمع الامواج الصوتية بواسطة ألسنتها. وهنالك أسماك تسمع الامواج الصوتية عن طريق الجسم

شيء عن القمر

تدل الأرصاد الفلكية الاخيرة على ان المادة التى يتألف منها سطح القمر هى شبيهة بالرماد وبحجر الخفان . وتركيبها هذا يعلل سرعة تقلب الحالة الجوية فى القمر من حر لافح فى النهار إلى برد قارس فى الليل . ولا يخفى أن القمر ليس فى فضائه أى هواء . وهذا يجعل وجود الحياة فيه مستحيلا . وسطح القمر تكثر فيه فوهات البراكين واكثرهاإن لم نقل كلها براكين منطفئة . وتدل الأرصاد على ان القمر كان فى العصور الخالية مسرحا لعواصف بركانية هائلة . وفى الواقع ان براكين الارض ليست شيئاً يذكر بالنسبة إلى براكين القمر . ويبلغ عمق بعض فوهاتها أربعة وعشرين الف قدم وهو عمق هائل جداً . كما أن علو بعض جبال القمر يبلغ خمسة وعشرين الف قدم . ولا يستطيع العلماء حتى الآن أن يعللوا كيفية نشوء جبال القمر

أجناس البشر

يقول أحد علماء الانثروبولوجيا الفرنسيين إن أجناس البشر اتخذت اشكالها الحاضرة منذ ثلاثين الف سنة على الأقل أى منذ العصر الجليدى الاخير ، وان هذه الاجناس ولا سيما البيضاء والسوداء منها ، لم تتغير فى شكلها كثيراً منذ ذلك العصر إلى الآن

الخل من العسل

فى إحدى الجرائد العلمية أن أحد علماء الكيمياء الالمان اكتشف طريقة يمكن بها استخراج الخل من العسل وهذا الخل من أحسن الاصناف

الجعة عند العرب

يقول الاستاذ لندنر العالم البكتريولوجى الشهير إن العرب كانوا يصنعون الجعة «الصلبة» وإن السويق الذى يعرفه الكثيرون من أدباء اللغة العربية لم يكن سوى قطع صلبة من الجعة كان المسافر يحملها معه فاذا أراد أن يشرب جعة وضع قليلا من السويق فى الماء فيصبح جعة ذات كمية قليلة من الكحول

ويقول الدكتور لندنر أيضا إن هذه الجعة «الصلبة» كانت معروفة عند أهل بابل . ولعل العرب أخذوها فى الاصل عنهم وكانوا يسمونها «هوبوت بولوج جار» . ويظهر من التحليل البكتريولوجى أن قطع السويق المذكورة كانت تحتوى على نوع من البكتريا يسمى علمياً «تيرمو بكتيريوم» . وقد أرسل الاستاذ لندنر إلى فريق كبير من أصدقائه فى الشرق يرجو منهم أن يبحثوا له عن قطع من الجعة الصلبة المذكورة ليفحصها ويميط اللثام عن سر جعة الاقدمين

السل وهنود أميركا

يؤخذ من الاحصاءات التى لدى حكومة الولايات المتحدة أن عدد الذين يودى بهم داء السل من هنود أميركا يعادل سبعة أضعاف عدد الذين يودى بهم من البيض

الرعود والبروق في الصيف

تكثر الرعود والبروق فى أوربا وأميركا فى شهر يوليو ويزيد عدد ما يحدث منها فى ذلك الشهر على عدد ما يحدث منها فى سائر أشهر الصيف

معبد الاله متراس

اكتشفت البعثة الفرنسية التى تنقب عن الآثار على مقربة من الفرات آثار معبد متراس الذى كان من أعظم آلهة الفرس قبيل التاريخ المسيحى بقليل حتى ختام القرن الثالث للميلاد . ومما يدل على ما كان لهذا الاله عند الأمم القديمة أن بعض الفيالق الرومانية اتخذته إلهاً وحامياً لها . وقد قال الفيلسوف رنان الفرنسى انه لو لم توجد الديانة المسيحية لكان معظم العالم يدين اليوم بديانة متراس

أما آثار معبد هذا الاله الذى اكتشفته البعثة الفرنسية فلا تزال محفوظة جيداً وعليها نقوش كثيرة تمثل الاله متراس يقتل الثور المقدس ويقوم بأعمال أخرى كثيرة . وقد وجدت البعثة داخل المعبد كرسيين مستطيلين كان المصلون يجلسون عليهما

وقد عثرت البعثة المشار اليها على آثار مجمع لليهود بين خرائب دره . ويرجع هذا المجمع إلى القرن الثالث للميلاد وعلى جدرانه نقوش كثيرة تمثل بعض الحوادث التاريخية المدونة فى التاريخ كقصة موسى وخروج بنى اسرائيل وسير صموئيل وداود واستير ومردخاى وغير هؤلاء الاشخاص . وعثرت البعثة أيضا بين تلك الخرائب على آثار هيكل لزفس إله الآلهة عند الرومان مما يدل على ما كان لمدينة دره من الشأن من الوجه الدينى

زلزال في القاهرة

فى الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والخمسين من صباح يوم الاثنين الموافق ٢٥ فبراير الماضى شعر سكان القطر المصرى بهزة أرضية شديدة استمرت بضع ثوان وسجلتها آلة الزلازل بمرصد حلوان . وقد ابتدأت الهزة الساعة ٤ والدقيقة ٥٣ والثانية ٢٣ وبلغت شدتها فى الساعة الرابعة والدقيقة ٥٥ والثانية ٥٥ وكان مركز الزلزال يبعد نحو ثمانمائة كيلو متر عن القاهرة . ثم اتضح أن هذا المركز كان على الارجح فى جزيرة كنديا من الجزر اليونانية

وعلى ذكر هذا الزلزال نقول ان العلماء فى جميع انحاء العالم يعملون ليل نهار على استجلاء سر الزلازل والعوامل التى تؤدى الى حدوثها . وفى اليابان وايطاليا والولايات المتحدة معاهد علمية مختصة بالبحث فى كل ما له علاقة بها . وفى مقدمة الاشياء التى تبحث فيها مسألة الانباء بالزلازل قبل وقوعها . ويعتقد الكثيرون أن ذلك فى حيز الامكان . ويظهر من المباحث التى قد قامت بها المعاهد المذكورة أن البيوت المبنية من الحديد والاسمنت المسلح تتحمل الهزات الارضية أكثر من غيرها وان ناطحات السحاب الاميركية تقوى عليها ولا تخشاها

الراديوم في قعر الاوقيانوس

تدل التجارب العلمية الدقيقة على أن فى الغرين أو الوحل الراسب فى قعر الاوقيانوس كميات من عنصر الراديوم النادر تزيد كثيراً على الكميات الموجودة من هذا العنصر فى طبقات الارض ، فان فى كل الف الف الف مليون أونس من ذلك الوحل ثلاثة أونسات من الراديوم ، وهى نسبة تفوق نسبة الراديوم فى طبقات الارض الجيولوجية كثيراً جداً

ثعبان الماء

تختلف آراء العلماء بشأن ثعبان الماء وهل هو موجود حقيقة أم إن وجوده خرافة . على ان عدم وجود هذا الحيوان فى الوقت الحاضر لا يعنى انه لم يكن موجوداً فى الأزمنة الخالية. وفى الواقع ان العلم قد أثبت وجود هـــذا الحيوان منذ ستين مليون سنة . وقد عثروا على بقايا متحجرة لهذا الحيوان وصلت حديثاً إلى المعهد السمثسونى وهى الآن موضوع درس طائفة كبيرة من العلماء

فوائد

ه يقال ان نحو ثلث سكان بلاد تبيت الذكور هم كهنة من رجال الدين وإن جانباً كبيراً من الفتيات التبتيات العازبات يخدمن فى الهياكل كراهبات

ه كانت صناعة الفخار الصينى من الاسرار الصينية التى استغلقت على الاوربيين قروناً كثيرة الى أن اهتدى اليها بوتشر سنة ١٧٠٩ للميلاد

ه يظهر ان صناعة شباك السمك لم تتقدم كثيراً عما كانت عليه منذ بضعة ألوف من السنين ، فقد عثر العلماء على شباك كان قدماء المصريين يستعملونها وهى لا تختلف فى شىء عن الشباك المستعملة الآن

ه بين ثعابين الماء (الانكليس) نوع رعاد ينبعث منه تيار كهربائى يكهرب كل من يلمسه . وهذا التيار يقوى ويضعف بحسب ارادة الثعبان . وينطفىء عندما يموت

ه من أغرب ما قرأناه فى احدى المجلات العلمية الاميركية ان ٧٤ فى المائة من طلبة الطب فى المدارس الروسية هم من البنات . وان الحكومة الروسية أنشأت فى مدارس الطب فروعاً لتعليم التدليك وخصصت هذه الفروع بالعميان فقط

* من المستحدثات الاميركية صناعة ربطات العنق (الكرافتات) من جلد ناعم يشبه الحرير تماماً . وهذه الكرافتات ، فضلا عن متانتها وجمال اشكالها وألوانها رخيصة جداً وخفيفة

* عثر أحد فلاحى البلقان بمقاطعة بويتشيا على تمثال لهرقل بطل الاساطير اليونانية مصنوع من البرونز . ويرجع تاريخه الى سنة ٤٩٠ قبل الميلاد وهو من آيات الفن اليونانى القديم

* من الامور المعروفة ان قارة استراليا قد سلمت حتى الآن من الامراض الوافدة الخطيرة . والاطباء يعللون هذه الظاهرة ببعد تلك القارة عن سائر أنحاء العالم المتمدن حيث تكثر الامراض الوافدة ، فان البواخر تقضى أياماً كثيرة فى الوصول اليها وفى أثناء ذلك تكون ميكروبات الامراض الوافدة التى يحتمل أن تنقلها تلك البواخر قد فنيت

* عثر المنقبون على سواحل الفرات على عظام بشرية يرجع تاريخها الى سنة ٢٥٦ قبل الميلاد ويظهر انها عظام رجال احترقوا بالنار التى شبت هنالك فى احدى غزوات الفرس

* يقول أحد الاطباء الاميركيين انه قد قام بتجارب واسعة النطاق ثبت له منها ان البرتقال من المواد الغذائية التى تصلح للمصابين بالروماتزم

كتب جديدة

الاوشال

الديوان الخامس - للشاعر الكبير

جميل صدقي الزهاوي

طبع بمطبعة بغداد . صفحاته ٣٢٤

كاتب هذه السطور لا يؤمن بأن هناك شعراً فلسفياً كما يقول البعض ، وكما يريدون أن يقسموا الشعر الى فلسفي وعاطفي . وانما الشعر منذ ظهر وليد الشعور ، ونتيجة الاحساس النفسي والذهني على السواء . أو بعبارة أخرى هو اللسان المعبر عن الاحساس الأدبي الخاص والاحساس الادبي العام الذي يشترك فيه أفراد المجتمع . فالشاعر ليس فيلسوفا ، والفيلسوف ليس بشاعر . وكلاهما اذا استعار ثوب الآخر صار نظاما للآراء والافكار ، لأن الفلسفة تقوم على البحث عن علل الكون ، واستكناه أسرار الطبيعة ، واستقصاء نواميسها وأصل نشأتها وأسباب تحولها ، والتحرر من كل قيد لادراك هذه العلل والاسرار . وليست خاضعة للاحساس النفسي أو الاحساس الذهني ، وانما هي خاضعة للبحث والاستقصاء والتعقل . وما يبدو في شعر بعض الشعراء كالمتنبي من قول رائع يجمع بين جلال المعنى ، وحسن التأثير ، وصحة الاقناع ، فهو حكمة أدبية سما اليها شاعر قوي شعوره بمظاهر الحياة الاجتماعية واستفاد من تجارب الحياة ، لا فلسفة بالمعنى العلمي الاصطلاحي . فحكم المتنبي وبعض أبيات اللزوميات للمعري شعر لا فلسفة ، ولا شعر فلسفي كما يقولون

وإذن فالاستاذ الزهاوي حين يقول في مقدمة ديوانه إن الشعر هو كل ماهز السامع سواء أكان عاطفة أو وصفاً أو فلسفة ، انما يضع للشعر تعريفاً غير محدود . ونحن نراه في قصائد ديوانه يتصف في بعضها بصفة الشاعر المجيد وفي بعضها الآخر بالنظام المفكر الذي ينظم آراءه وافكاره نظما دون أن يعني بشيء إلا بأداء الفكرة ليس غير . فقصيدة يوبيل الكرملي من أجمل قصائد الديوان حقا ، لأنه أرادها أن تكون شعراً لا فلسفة ، فجاءت شعراً جميلا وهو يقول فيها :

وحسب قوم في التعصب رشدهم
وما أخر الاقوام غير التعصب

وما ذل قوم أبرموا وحدة لهم
وان لم يكونوا ينتمون الى أب

ولا اوجسوا ممن تهدد خيفة
وان جاءهم في هجعة المتألب

الى أن يقول :

شدا الشعر بعد الصمت يطرب أمة
فياشعر قد أحسنت فاشد وأطرب

وليس بعقل المرء يكبر شعره
ولكن بما في روحه من تكهرب

ويعجبنا أن يكون الاستاذ الزهاوي عاد فاعترف بان الشعر انما يكبر بالروح ، لا بالعقل والفلسفة ، كما تعجبنا كلمة تكهرب التي

اشتقها من الكهرباء . وان أغضبت اعضاء مجمعنا اللغوى . ولا شك أن الأستاذ الزهاوى شاعر كبير فى أ كثر قصائد ديوانه ، ولكنه ليس بشاعر حين يصف الزمان والمكان :

بين القديمين فى عنـ ـصر الوجود قران
فللمكان زمان وللزمان مكان

ويكاد يكون البيتان غير مفهومين ، فضلا عن انهما ليسا بشعر ، أما قصيدة (ثورة فى الجحيم) فقد أراد أن يحاكى بها رسالة الغفران وكوميديا دانتى ، وقد وفق فى معظمها توفيقاً محموداً إلا أن قواه كانت تخونه فى عدة مواضع وكان حسن التعبير والاقتصاد يعوزه . وعلى مافيها من خيال مقبول وآراء حرة وخواطج نفسية ، لايصح أن نعدها قطعة شعرية بالمعنى الفنى ، وان كنا نعـدها فى باب الاسلوب القصصى قصة خيالية بديعة ، وحلماً لذيذاً لأديب أراد أن يفضى فيها بآرائه المكبوتة ، فى ترددبين الشك واليقين ، وبين الايمان والانكار ، وبين التصريح والتلميح

ملك البائسين

رواية تاريخية أدبية ـ جزءان

نقلها عن الانجليزية الأديب ميشيل رحال

تطلب من مكتبة سعد زغلول بالفجالة .

صفحاتها ٢٦٤ و ٣٠٤

حياة لويس السابع عشر مأساة مؤلمة من مآسى الحياة . فقد ولد هذا الأمير البائس فى أحضان الملك ، ورضع لبانه فى مهده ، وكاد يشب فى ظلال أوجه ، لولا أن داهمته الثورة الفرنسية بفظائعها ، فأطاحت بكل أمل باسم ، وهناء شامل ، ومستقبل زاهر ، وأمسى سجيناً مع أمه وأبيه الملك لويس السادس عشر ، ثم أراد القدر أن يزيد من شقائه ، فأنفذ سهمه الأول باعدام أبيه ، وأنفذ سهمه الثانى باعدام أمه بعد فصله عنها ، ثم سجن هذا الطفل اليتيم وحيداً ، وحمل من العذاب ألواناً ، وأتيح له بعد هذا البلاء أن فر من السجن ، ولكنه لقى من حوادث الحياة المختلفة ما يلقاه أشقى البائسين . فليس غريباً أن تكون حوادثه الممثلة فى هذه القصة الممتعة مأساة مؤلمة تستفز النفوس وتستثير الألباب . وقد وضعت بالانجليزية ، ثم نقلها الى العربية بتصرف الأديب ميشيل رحال فأحسن نقلها فى أسلوب عربى سلس . وقد وصف حياة لويس السابع عشر أو « كارل ناوندورف » كما تسمى بعد هروبه من السجن ، منذ لقى أول صدمة من صدمات البؤس والشقاء الى أن توفى فى هولانده . وتمتاز هذه القصة بما فيها من تحليل دقيق وحوادث مؤثرة تغرى كل قارىء باستيعابها على الرغم من أنها ثلاثة وأربعون فصلا فى جزءين

الكتاب السنوى الخامس

للمجمع المصرى للثقافة العلمية

طبع بمطبعة دار الكتب المصرية . صفحاته ١٨٤

للمجمع المصرى للثقافة العلمية موسم سنوى يلقى فيه بعض أعضائه ثمانى محاضرات فى ثمانية أيام متوالية تتناول أهم البحوث العلمية والعمرانية والاجتماعية . وقد سار على هذه السنة الحسنة منذ خمس سنوات رغبة فى نشر العلوم والمعارف وتنشيطاً للانتاج الذهنى فى مصر . ففى شتاء كل عام يعقد هذه الحفلات العلمية لالقاء البحوث المختلفة ويدعو اليها المتعلمين من جميع الطبقات

دعوة عامة . وقد اشتمل موسم العام الفائت على ثماني محاضرات في : الري . والثروة المعدنية . والبحث عن الآثار . وأمراض الكلب . ومزارع جاوه . والمرء والمرض . والأحجار الكريمة . وواحة سيوة . لحضرات: حسين بك سري . والدكتور حسن بك صادق . والاستاذ سليم حسن . والدكتور محمد سعيد نيه . والاستاذ محمد توفيق الحفناوي بك . والدكتور محمد شرف بك . والدكتور احمد زكي . والدكتور محمد خليل عبد الخالق بك

وقد طبعت هذه المحاضرات في كتاب أنيق وصدرت بكلمة الرئيس السابق للمجمع المصري للثقافة العلمية «احمد حسنين بك» . ولا شك أن جمعها في كتاب خاص بعد القائها ، وتوزيعها بثمن زهيد مما يشكر لهذا المجمع الذي أنشيء لغاية علمية وقومية حميدة

المشوق - تسعة أجزاء

للخوري ايسيدورس فتال

طبع بمطبعة الآباء البولسيين بحريصا لبنان

الخوري ايسيدورس فتال من المربين الافاضل الذين مارسوا التربية والتعليم زمناً . ولهم فيهما تجارب كثيرة . وهو الآن مدير مدرسة الروم الكاثوليك الكبرى في حلب . وقد كان مديرا للدروس العربية بمدرسة القديسة حنه الاكليريكية في القدس . فهو لذلك من أخبر المؤلفين للكتب التي يعتمد عليها الناشئة في درس اللغة العربية وآدابها لأنه سبر قواهم وعرف حاجاتهم في جميع الأدوار التي يمرون بها في حياة الدرس والتعلم . وقد قام بتأليف هذه السلسلة المفيدة التي سماها باخص الصفات التي يجب أن يتصف بها التدريس والتهذيب .

وهي التشويق ، فاطلق على جميع أجزاء سلسلته اسم «المشوق» ، وجعلها تسعة أجزاء لكل الصفوف العربية ، من الصف الأدنى الذي يتلقى فيه التلاميذ مباديء القراءة الى الصف الذي يستعد فيه طلبة البكالوريا اللبنانية والسورية . وكل جزء كاسمه مشوق في طريقة عرضه واختيار موضوعاته . وقد احتوت الاجزاء عدة قطع متنوعة لاشهر الادباء العصريين في مصر وسورية ولبنان والعراق وفلسطين وامريكا ، مع نشر خلاصة لحياة اكثرهم . والموضوعات يدور معظمها حول بلاد الشرق ومحاسن مدنها واخلاق أهلها وتاريخهم المجيد

دائرة المعارف الاسلامية

العدد التاسع

نقلها الى العربية : محمد ثابت الفندي ، واحمد الشنتناوي ، وابراهيم خورشيد ، وعبد الحميد يونس

يطلب من لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية بشارع نوبار رقم ٣٠ بالقاهرة

هذا هو الجزء التاسع من ترجمة دائرة المعارف الاسلامية . وقد تحدثنا لقراء الهلال عن المجهود الذي بذله ويبذله هؤلاء الشبان الاربعة في ترجمة هذه الدائرة ، وعن الخدمة الحميدة التي يقومون بها لقراء العربية . ويبدأ هذا العدد بلفظ آدم . وينتهي بأرطغرل ، وقد احتوى الكلام عن كثير من الأسماء التاريخية والجغرافية . وجاء فيه عن كلمة «أرضة» : «الأرضة (النمل الأبيض) - إن معلوماتنا لا تزال إلى اليوم ناقصة عن هذه الحشرة التي تعيش في البلاد الحارة بين خطي عرض ٤٠° شمالا و ٤٠° جنوباً . ومعارف العرب بها

أقل كذلك . فهم لا يعرفون إلا انواعها المختلفة الموجودة فى البلاد الاسلامية . وقد وصفوا منها النمل الابيض الذى نجد بعض أصناف مختلفة منه فى مصر والذى يكثر كلما صعدنا إلى منابع النيل : الى النوبة والسودان. وذكروا أن بعضها تنبت له أجنحة ، وأن هذه الاجنحة لا تعمر إلا زمناً محدوداً قدره القزوينى بعام واحد، ولكنهم لم يعرفوا الصلة بين هذه الأجنحة والوظائف التناسلية عند هذه الحشرة . وقد عرف العرب كل المعرفة الحياة الاجتماعية التى تعيشها الارضة وطريقة التعاون فى بناء مساكنها المخروطية الشكل ذات المسارب الكثيرة والمعارك التى تشنها هذه الحشرة على النمل »

الفروق اللغوية

للامام الأديب اللغوى أبى هلال العسكرى

عنيت بنشره مكتبة القدسى بباب الخلق بالقاهرة . صفحاته ٢٥٨

هذا الكتاب لا يستغنى عنه الكاتب والشاعر ، فهو ككل مؤلفات أبى هلال العسكرى من أسمى المؤلفات اللغوية والادبية. وحسبك أنه يرشدك الى الاستعمال الصحيح للالفاظ . ويبين لك الفروق بينها فى ثلاثين بابا، فتستطيع أن تضع كل لفظ فى محله ، وان بدا لك أن اللفظين مترادفان . فهو يبين لك الفرق بين « القديم والعتيق » ، و « الباقى والدائم » ، و « الفرد والواحد » ، و « الكبر والتيه » ، و « الجسم والجرم » ، و « التأليف والتصنيف » ، و « الاحسان والانعام » ، و « الصحيح والصواب » ، وغير ذلك من الفروق بين الالفاظ التى تبدو كأنها متحدة المعنى

فهو يقول مثلا فى الفرق بين القديم والعتيق: « ان العتيق هو الذى يدرك حديث جنسه فيكون بالنسبة اليه عتيقاً أو يكون شيئاً يطول مكثه ، ويبقى اكثر مما يبقى أمثاله مع تأثير الزمان فيه فيسمى عتيقاً . ولهذا لا يقال ان السماء عتيقة ، وان طال مكثها لأن الزمان لا يؤثر فيها ، ولا يوجد من جنسها ما تكون بالنسبة اليه عتيقة . . والقدم لا يستفاد ، والعتاقة تستفاد .الا ترى انه لا يقال سأقدم هذا المتاع كما تقول سأعتقه . ويتوسع فى القدم فيقال : دخول زيد الدار اقدم من دخول عمرو ، ولا يقال اعتق منه »

نشرة المباحث الشرقية

(Bulletin D'Etudes Orientales)

أهدى الينا المعهد العلمى الفرنسى بدمشق المجلدات الثلاثة التى أصدرها منذ عام ١٩٣١ الى عام ١٩٣٣ وهى تحتوى على مباحث نفيسة فى موضوعات شتى لها علاقة بالحضارة الشرقية بوجه عام وبالحضارة العربية فى سوريا وفلسطين بوجه خاص . فالمجلد الاول يتناول مباحث شائقة فى تأثير الاسلام فى المصارف اليهودية فى العصور المتوسطة . ووصف آثار كنيستين قديمتين بحوران . وتحديد النبرات الصوتية فى اللغتين العبرانية والارامية . ووصف بعض أحياء مدينة دمشق وترجمة المرحوم الدكتور شبلى شميل الفيلسوف المعروف

ومجلد السنة الثانية يحتوى على وصف مسهب « للبيت السورى » فى سهل حوران وفى حوض بردى وهضاب القلمون مع وصف نظام المعيشة هنالك وما يحيط بها من عوامل طبيعية وجغرافية وعمرانية

ومجلد السنة الثالثة يحتوى على نبذة فى تاريخ المماليك فى سوريا وأخرى فى الفسيفساء بدمشق والقدس يليها بحث ممتع فى تطور اللغة العربية الدارجة

وجميع هذه المباحث النفيسة موضحة بالصور والرسوم الكثيرة ومطبوعة أجمل طبع على ورق صقيل . وكل ما فيها يدل على شدة عناية المعهد العلمى الفرنسى بدمشق بهذه الموضوعات الطريفة ، واهتمامه بنشر آثار الحضارة الشرقية . فنشكر له هذه الغيرة ونرجو أن يوالى نشر مباحثه النفيسة خدمة لأبناء الشرق

على عتبة الامومة

بقلم الدكتور مصطفى خالدى

طبع بمطبعة طباره ببيروت . صفحاته ٢٠٥

هو سفر نفيس يشرح للأم واجباتها نحو نفسها ونحو أطفالها منذ بدء الحمل ، ويوضح لها الحقائق العلمية التى تجب معرفتها . ولاريب أن أكثر الاضرار التى تتعرض لها الحامل ناشئة عن جهل هذه الحقائق وعدم الاحاطة بها احاطة تستعين الأم بها فى الوقاية من هذه الاضرار . واذا كانت الحامل تجهل نفسها ، وتجهل تلك التطورات الطبيعية التى تمر بها منذ بدء الحمل الى مابعد الولادة ، ثم هى كذلك تجهل الواجبات المفروضة عليها فى العناية بطفلها فاجدر بها ان تكون من اكثر السيدات تعرضاً لما يتعرضن له فى مثل هذه الحالات التى آفتها الجهل وعدم العناية . ولهذا نهض الدكتور مصطفى خالدى بتأليف هذا السفر القيم ليكون للامهات خير مرشد الى الفروض الواجبة عليهن نحو انفسهن واطفالهن . وقد وضعه فى اسلوب سهل ووضحه بالصور اللازمة حتى يسهل على كل قارئة وقارىء استيعابه والاستفادة مما تضمنه من تعليمات ونصائح

كتب أخرى

• (ديوان صالح جودت) الجزء الأول من ديوان الشاعر المجيد صالح جودت . وهو يضم بين دفتيه مجموعة جديدة من الشعر الطريف. طبع بالمطبعة المصرية الأهلية الحديثة بالقاهرة. صفحاته ١٣٩

• (يزداندوخت الشريفة الاربلية) وهى رواية قصصية مصورة تتناول صحيفة من تاريخ العراق واحوال شعوبه . تأليف القس سليمان صائغ طبع بمطبعة النجوم الكلدانية يطلب من مؤلفه بالموصل شارع شمعون الصفا بالعراق

• (النفط مستعبد الشعوب) وهو كتاب قيم عن أهمية النفط من الوجهة الاقتصادية والعالمية. بقلم الأستاذ يوسف ابرهيم يزبك طبع بمطبعة الفن الحديث ببيروت . صفحاته ٢٨٨ . وقد احتوى على أبواب وفصول مهمة عن النفط من الوجهة التاريخية ، وعن مناطقه الجغرافية وعناية الامم الغربية بالاستيلاء على مناطقه

• (سلاحك أيها المسيحى) كتاب فى الدفاع عن الدين المسيحى وشرح حقائقه . تأليف الاب نعمة الله العنداري . طبع بمطبعة المرسلين اللبنانيين . صفحاته ٣١٦

• (النحلة العاملة) قصص للاطفال تأليف الأستاذ كامل كيلانى. وهى قصص ممتعة باسلوب لطيف . طبعت بمطبعة المعارف صفحاتها ١٥٠

بين الهلال وقرائه

المصابيح الكهربائية

(الخرطوم – السودان) قارىء

أصحيح أن صيادي الوحوش يستعينون بالمصابيح الكهربائية في الليل لارهاب الوحوش ؟

(الهلال) نعم فان للمصباح الكهربائي يفاجىء الوحش بنوره الساطع فيوقع عليه سبات ويستوقفه في مكانه ، وصيادو الوحوش يروون روايات كثيرة من هذا القبيل وكثيراً ما انقذ المصباح الكهربائي حياة الصياد ليلا

ومن المحتمل أن يحسب الوحش نور المصباح الساطع وهج نار . والوحوش الضارية تخشى النار وتهرب منها . وهذه حقيقة يعرفها الصيادون

الايمان بالخرافات

(الخرطوم – السودان) ومنه

أصحيح أن بعض السياح الذين يحضرون الى مصر يعتقدون أن عندنا سحرة « وكاشفي بخت » وان بعضهم يقصدون الى هؤلاء المشعوذين لمعرفة « بختهم » ؟

(الهلال) نعم هو صحيح ولكن أمثال هؤلاء السياح قليل والحمد لله ومثلهم مثل الكثيرين من المتعلمين عندنا ممن يقعون في حبائل المشعوذين الذين يدعون ان لهم سلطانا على الانس والجن . وما عهدنا بقضية شمهورش – بل بقضايا الشيارشة المتعددة – ببعيد

الذهب

(طنطا – مصر) حسن سالم خليل

كيف يتكون الذهب في طبقات الارض ؟

(الهلال) الرأي الشائع بين علماء الجيولوجيا أن جميع المعادن – الكريمة وغير الكريمة ايضا – توجد مصهورة في قلب الكرة الارضية وانها تندفع في طبقات الارض بقوة الحرارة ثم بقوة الماء فتتخلل التربة والصخور وتتكون منها المناجم الطبيعية

حواس النحل

(طنطا – مصر) ومنه

ما هي الحاسة التي تدفع النحل الى بعض الازهار دون غيرها – أهي حاسة الشم ام حاسة البصر ام حاسة اخرى لا نعرفها ؟

(الهلال) الارجح انها حاسة الشم وربما كانت مقرونة أيضاً بحاسة البصر . وبعض العارفين بغرائز الحيوان ينكرون ان لحاسة البصر اية علاقة بهبوط النحل على ازهار معينة ويقولون ان التجارب التي تمت في الظلام الدامس اثبتت ان النحل يميز بعض الازهار من بعضها بفضل حاسة الشم فقط

الشرارة الكهربائية

(بغداد – العراق) سعيد الحسين احمد

ما هي الشرارة الكهربائية وكيف تتولد ؟

(الهلال) الشرارة الكهربائية هي مجموعة ملايين لا تحصى من الايلكترونات او الومضات تحاول الوثوب من نقطة الى نقطة اخرى مجاورة لها فتحدث بوثوبها شرارة . وهذا نفس ما يحدث عند حصول البروق والرعود في الجو . فان ملايين الايلكترونات تتجمع في سحابة ويزداد تجمعها الى ان تدنو منها غيمة اخرى فتحاول الوثوب اليها فجأة فيحصل الانفجار الذي نسميه رعداً

تغيير جسم الانسان

(بغداد – العراق) ومنه

قرأت في بعض المجلات ان الارض كانت في غابر الازمان مأهولة بعمالقة ذوي اجسام هائلة الحجوم . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) ليس هنالك اي دليل على ان جسم الانسان في هذا العصر قد تغير — باعتبار حجمه — عما كان عليه في العصور الغابرة . وقد وجد العمالقة كما وجد الاقزام في كل عصر من العصور . على ان هذا لا يعني انه لم يطرأ على جسم الانسان اي تغيير في شكل الاعضاء فان كلا الاختبار ومذهب النشوء والارتقاء يثبت حصول ذلك التغيير وانه سيستمر الى ما شاء الله خاضعا لعوامل البيئة وللناموس المعروف عند علماء النشوء او التطور بناموس الانتخاب الطبيعي

البرد

(سان باولو — البرازيل) أحد المشتركين

كيف يتكون البرد (بفتح الراء) في أعالي الجو؟

(الهلال) لا يعرف ذلك على وجه التحقيق . والرأي السائد بين العلماء هو أن نقط المطر تمر في أثناء وقوعها من أعالي الجو بطبقة من الهواء شديدة البرودة فتتجمد وتسقط على الارض بشكل حبات برد

حفظ اللحوم في البرد

(سان باولو — البرازيل) ومنه

كم من الزمن يمكن حفظ اللحوم من الفساد في الثلج ولماذا يحفظ الثلج اللحم ؟

(الهلال) يحفظ اللحم من الفساد لأن اكثر أنواع البكتيريا (وهي سبب الفساد) لا تعيش في هواء شديد البرودة . أما المدة التي يمكن حفظ اللحم فيها من الفساد فلا يمكن تقديرها . ففي سنة ١٩٠٠ عثر العلماء على جسم حيوان هائل الحجم من التنانين العظام مطمور في جليد سيبريا ، وكان لحمه ما يزال سليما لان الثلج كان قد حفظه من الفساد مع انه كان قد مر عليه ثلاثون أو أربعون الف سنة . وعليه فالثلج يحفظ اللحم من الفساد مدة لا يمكن تحديدها

الماء والحياة

(سان باولو — البرازيل) ومنه

قلتم في أحد أجزاء الهلال الماضية ان القمر لا يمكن ان توجد فيه كائنات حية اذ ليس فيه ماء . فلماذا لا تستطيع الاحياء ان تعيش بلا ماء ؟

(الهلال) نقول هذا القول اعتقاداً منا ان الحياة في كل مكان وزمان تتطلب شروطا متماثلة من ماء وهواء وهلم جرا . أما كون الماء لازما للحياة فلان مادة البروتوبلازم التي هي قوام الحياة نصفها ماء فاذا زال جزء من هذا الماء وقعت الوفاة

غذاء الدماغ

(حلب — سوريا) ف . ص

اذا كانت جميع أعضاء الجسم تتغذى بالمواد التي يأكلها الانسان فبماذا يتغذى الدماغ وهل هو يتغذى حقيقة ؟

(الهلال) الدماغ ككل عضو آخر من أعضاء جسم الانسان يحتاج الى غذاء وغذاؤه هو الدم . وفي الواقع ان بالدماغ مجاري دموية دقيقة تفوق بكثرتها المجاري الدموية التي في أي جزء آخر من أجزاء الجسم . وهذه المجاري توزع الدم على الدماغ بانتظام وتقوم بتغذيته على أحسن وجه . فاذا عطبت تلك المجاري أو تصلبت عجز الدماغ عن القيام بوظائفه وأصابه الضعف

تغيير لون البشرة

(كوروبا — البرازيل) خير الله رزق

قرأت في احدى صحف البرازيل أن عالماً المانيا اخترع طريقة لتغيير لون جلد الانسان من الاسود الى الابيض . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) هي خرافة من الخرافات التي تنشرها بعض الصحف غير الجدية

عندما تمطر السماء نجوما

(كوروبا — البرازيل) ومنه

قرأت أيضاً في احدى المجلات التي تصدر في هذه البلاد ان السماء تمطر احيانا نجوماً . والمجلة التي قرأت فيها هذا الخبر مجلة محترمة . فما رأيكم ؟

(الهلال) قولها ان السماء تمطر نجوماً مجازي ومعناه أنه كثيراً ماتتساقط الشهب في الفضاء فيخيل الينا أنها وابل من النجوم

الاديان والاستقلال

(كوروبا — البرازيل) ومنه

يقولون إن تعدد الاديان في سورية هو سبب تأخير استقلال تلك البلاد . فهل هذا صحيح ؟ ولماذا لا تستقل مصر مع أن الاديان فيها غير متعددة ؟

(الهلال) ليس تعدد الاديان هو سبب عجز سوريا ومصر عن نيل استقلالهما بل هنالك أسباب وعوامل تستنها السياسة للحيلولة دون ذلك الاستقلال مما لا يسعنا الاسهاب فيه . ومن حسن الحظ ان أتباع الاديان المختلفة في كلتا مصر وسوريا متحدون قلباً وقالباً اذ قد أدركوا ما في تنابذهم وتخاصمهم في الدين من الضرر للجميع

الاخلاق والغرائز

(كوروبا — البرازيل) ومنه

هل هناك فرق بين غرائز الرجل الشرقي وغرائز الرجل الغربي ؟

(الهلال) لا فرق بين غرائز شعوب البشر المختلفة فان تلك الغرائز هي هي عند الجميع . وانما هنالك فرق عظيم بين أخلاق الشعوب الشرقية والشعوب الغربية مما لا يمكننا في هذا المجال ان نتوسع فيه

اوفى معجم عربي

(أدلب — سورية) حبيب مدنى

ما هو أوفى معجم عربي وهل صدر المعجم الذي عهد في تأليفه الى مجمع اللغة العربية الملكي بمصر ؟

(الهلال) ان أوفى معجم عربي هو لسان العرب لابن منظور وليس من المعجمات العصرية ولا يخلو من هفوات . أما المعجم المعهود الى مجمع اللغة العربية الملكي في وضعه فلا ينتظر ظهوره قبل مرور زمن

الصحافة العربية

(أدلب — سورية) ومنه

ما رأيكم في الصحافة العربية وهل بلغت شأو الصحافة الغربية ؟

(الهلال) لا شك أن الصحافة العربية في مصر قد بلغت شأواً بعيداً لا يقل عن شأو بعض الصحف الغربية الكبرى . وما تزال صحف مصر تتقدم وترتقي . واذا ظلت سائرة على هذا المنوال فلن ينقضي وقت طويل حتى تصبح في مستوى أرقى صحف الغرب

نظرية النسبية

(الشهبا — جبل الدروز) حمدى رزق

ما هي نظرية النسبية ؟

(الهلال) هي نظرية جاء بها الفيلسوف اينشتين يتعذر شرحها في بضعة أسطر وهي تشمل علمي الطبيعة والفلك مبنيين على مقاييس الزمان والمكان والحركة . وقد سبق للهلال أن نشر عنها في بعض أعداد العام الماضي

سيبويه

(الشهبا — جبل الدروز) ومنه

من هو سيبويه ؟

(الهلال) هو مولى لبني الحرث بن كعب واسمه عمرو بن عثمان الشيرازي وكان امام النحاة في عصره وذاع صيته في البصرة . ومعنى سيبويه بالفارسية رائحة التفاح وهو لقب له لأنه كان طيب الرائحة جميل الوجه . ولا يزال كتابه في النحو المرجع الاعلى واليه يحتكم أئمة اللغة اذا اختلفوا

شيخ معمر

(السنبلاوين — مصر) باسيلى حنا الديب

ما قولكم في شيخ معمر يدعي بانه بلغ ٢٠٦ سنوات من العمر وأصيب بالعمى منذ عشرين سنة تقريبا واستبدل اسنانه لما بلغ المائة والعشرين . وما يزال حاد الذهن سريع الخاطر يحدثك عن التاريخ القديم بطلاقة لسان ويطمع في الزواج مع أنه تزوج أربع مرات ؟

(الهلال) اما ان هذا الشيخ بلغ من العمر ٢٠٦ سنوات فلا نصدقه . واما قولكم بانه استبدل اسنانه عندما بلغ المائة والعشرين من العمر فنذكر اننا قرأنا مرة خبراً كهذا فلم نصدقه . وليس غريبا ان يظل هذا الشيخ المعمر حاد الذهن وان يعي صدره الكثير من اخبار الزمن الماضي . كما انه ليس غريبا ان يطمع في الزواج للمرة الخامسة

حرفة الأديب

بقلم الدكتور طه حسين

كانت توقظه اذا أقبل الصبح من كل يوم أصوات الباعة ذات النغم المختلف المؤتلف معاً ، الذى يتغنون به ما يعرضون على الناس اذا ما أصبحوا من هذه الخضر الرخصة الرطبة كأنها تحمل شيئاً من نسيم الصباح ، ومن هذه الطير البائسة الغافلة المذعنة كأنها الانسان ، لو ان الانسان يحسن التفكير والتقدير

كانت توقظه هذه الاصوات ذات النغم المختلف المؤتلف ، فكان يضيق بها أول الامر حين تطرق سمعه وتمس نفسه وتضطره الى أن يفتح عينه لضوء النهار ، وترفع عنه هذه الأستار المريحة التى كانت ملقاة بينه وبين أثقال الحياة وأعمالها . ولكنه كان لايكاد يألف النور ويطمئن اليه ويألف نفسه هذه الجديدة التى غابت عنه ثم ثابت اليه ، ويتعرف بعينيه وأذنيه ويديه أيضاً ما حوله من الاشياء حتى يفزع لهذه الاصوات التى ترتفع فى الجو وتشق اليه الجدران وتنفذ اليه من غير منفذ بانغامها المؤتلفة المختلفة . فاذا هو يذوقها ويسيغها ويستمتع بجمالها الساذج الخشن اليسير ، ويجد فى ذلك لذة فنية خالصة . ومن الذى يستطيع أن يجحد هذا الجمال الحلو فى هذه الاصوات الكثيرة التى يمتلىء بها جو الصباح والتى تختلط أحياناً وتفترق أحيانا وفيها صوت الشاب قد ملأه الشباب ، وصوت الشيخ قد حطمته الشيخوخة ، وصوت الفتاة النضرة ، وصوت العجوز الذابلة ، وصوت الصبي الناشىء . وفيها الصوت المرتفع ، والصوت المنخفض ، والصوت المتوسط بين بين . وفيها الصوت الطبيعى الذى يصور القرية أو الحقل تصويراً . وفيها الصوت المصنوع المنظم الذى يصور حياً من الأحياء الوطنية وبيئة من بيئات الشعب فى مدينة القاهرة . وفيها الصوت الذى لا يدل على أكثر من ان صاحبه يعرض هذا اللون أو ذاك من ألوان الخضر والفاكهة . والصوت الذى يدل على ان صاحبه يتجاوز هذا المعنى بعض الشىء ، فيريد أن يوقظك من نومك إن كنت نائما ، وأن ينبهك من غفلتك إن كنت غافلا ، وأن يدعوك اليه أو إلى ما يعرضه على كل حال . وفيها هذا الصوت الذى يبعد فى الصنعة ويمعن فى التكلف و يعمد إلى الفن ويقصد إلى الغناء حقا ، فاذا هو يرجع ترجيعا ويوقع توقيعا ، يرق حتى كأنه يناجى نفسه ، ويغلظ حتى كأنه يريد أن يصدمها صدما

يقصد إلى هذا ليبلغك وليعجبك وليلفتك فى ظاهر الامر ، ولعله فى كثير من الاحيان إنما يقصد إلى هذا كله لأنه يجد لنفسه فيه لذة واربا ، ومتاعا ودعاء للامل وتسلية عن المشقة

والجهد ، فهو يغنى لنفسه قبل أن يغنى لك . ومن يدرى لعل جمال هذه الخضر ، أو هذه الفاكهة التى يحملها ويعرضها قد أعجبه حقا ، فهو يتغنى به ويدعو اليه صادقا مخلصا لا يفكر فى التجارة ولا فى الربح ، وانما يتغنى الحياة وجمال الحياة ولذات الحياة

وكان صاحبي اذا أرضى نفسه من هذا التفكير الفنى هبط الى نوع آخر من التفكير الحسى المادى ، فصور هذه الألوان التى تعرض وتساءل فى شيء من الشره عما يمكن أن تكون ربة البيت قد اختارت أو أرادت أن تختار لطعامه من هذه الألوان التى يمتلىء الجو بجمالها أو جمال الدعاء اليها . وكان هؤلاء الباعة على كل حال يستغرقون كل يوم من وقت صاحبنا جزءاً غير قليل . كانوا رسل اليقظة اليه يصلون بينه وبين الحياة صلة حسنة حلوة ، لا مشقة فيها ولا جهد ولا عناء ، وكان يسمع الناس من حوله يشكون من هؤلاء الباعة ، ويلحون فى الشكوى ويلومون الشرطة ويغلون فى اللوم لأنها تخلى بينهم وبين الشوارع ، والشوارع الارستقراطية الممتازة يملأونها باصواتهم هذه المنكرة التى تدعو إلى الحمام والدجاج ، والى الباقلاء والخرشوف

وكان صاحبنا يدافع عن هؤلاء الباعة ويبلى فى دفاعه عنهم بلاء حسنا ويجتهد دائما فى أن يحول المتحدثين من مهاجمة الباعة ولوم الشرطة ، إلى جمال الخضر والصلة بينـه وبين جمال الصباح ، ثم الى لذة الطعام والشراب وما بينها وبين لذة العقل من صلة . وكثيرا ما كان أصحابه ومحدثوه يكرهون أن يعرضوا هذا الموضوع بين يديه مخافة أن يردهم الى فن من هذا الحوار الذى لم يكونوا يحبونه ولا يميلون اليه لشدة سخطهم على هؤلاء الباعة الذين يخرجونهم باصواتهم البشعة من أحلامهم الحلوة فى نومهم اللذيذ

ثم يريد الله لصاحبنا أن ينتقل من حى إلى حى ، ويستقر من القاهرة أو من ضواحيها فى حيث لا تقصر الشرطة ولا تفتر ، لأنها مضطرة الى اتقاء التقصير والفتور . لمكان هؤلاء السادة من الوزراء وأشباه الوزراء ، ومن القادة وأشباه القادة ، ومن الرؤساء وأنصاف الرؤساء المصريين والانجليز . الذين لا يحبون أن تزعجهم أصوات الباعة ولا أن يستيقظوا على الدعاء الى الحمام والدجاج ، والى الباقلاء والخرشوف . فينكر صاحبنا مكانه من هذا الحى المسرف فى التكلف والهدوء ، وينكر استيقاظه كل يوم لانه لا يسمع هذا الدعاء الحلو ، الرخص ، الساذج العذب المؤتلف المختلف . وانما يظل نائما مغرقا فى النوم كأنه ميت إلا أن تعبث به الاحلام الحلوة أو البشعة الكاذبة على كل حال . ثم يسمع طرقا متصلا خفيفا أو ثقيلا ، فاذا سأل عن الطارق أو أذن له بالدخول فتح الباب وأقبلت خادمه الدميمة السوداء تحمل اليه إفطاره البغيض الثقيل فيصيب منه كارها عجلا ثم يستقبل حياته عابسا مقطبا حتى يأذن الله له بما يرسم على وجهه ابتسامة أو يحيي من نفسه أملا ، أو يبعث فيه شيئا من نشاط . ولم يخف على صاحبي انه حزن أشد الحزن لما فقد من اصوات الباعة لانهم كانوا يفتحون له باب الحياة اليومية فى شيء من

الجمال اليسير الهادىء الذى يحيى النفس ، ويحبب اليها العمل ، والذى كان يرده لحظة الى منشئه فى الريف ، والذى كان يذكره بل يصور أمامه هذه الحقول الجميلة التى تحيا فيها الخضر وهذه الحدائق . التى تنضج فيها الفاكهة ، وهذه الافنية التى تضطرب فيها الدجاج ويتغنى فيها الحمام

لم يخف على صاحبي حزنه المتصل الملح لما فقد من هذا كله ، وأسفه أيضا لان هؤلاء الباعة كانوا يوقظونه مع الصبح المصبح والبكرة المبكرة قبل أن يتقدم النهار ويرتفع الضحى ،فكانوا يمكنونه من أن يفرغ للقراءة او للكتابة أو للنشاط العقلى ساعة هى اشد ساعات النهار ملاءمة لهذا النشاط . اما الآن فانه يغرق فى النوم وأهل البيت من حوله يحبونه ويؤثرونه بالراحة ، ويحبون له أن ياخذ باعظم حظ ممكن من النوم والراحة . فهم يؤخرون إيقاظه ما وسعهم ذلك ، فاذا أنكر عليهم ما يفعلون تلقوا إنكاره بالغضب حينا والابتسام حينا آخر والسخرية دائما ، وزعموا له ان النوم خير من اليقظة وان الراحة خير من العمل وان العمل شىء مفروض لن يفلت منه صاحب الجد ، وان الراحة والنوم شىء يتاح ولا يلتمس بالطلب والمحاولة فاذا ظفر به الرجل العامل المجد فليأخذ منه بحظه فى غير تردد ولا تعجل ولا احتياط

وكذلك حيل بين صاحبي وبين لذته تلك الفنية الخالصة كما حيل بينه وبين ما كان يحب من النشاط . ولكنه استيقظ ذات يوم على صوت غريب غشه أول الامر ، فاسرع اليه اسراعا وثابت اليه نفسه من أقصى النوم ، إن صح هذا التعبير ، لانها ظنته صوت الدعاء الى الباقلاء والخرشوف .ثم لم يلبث أن سقط فى يده ، ووقفت نفسه نادمة آسفة ، كئيبا حين أعيد الصوت واضطرب به الهواء ، واتصل بسمعه وانتهى الى عقله ، لانه لم يكن دعاء الى الباقلاء والخرشوف وانما كان دعاء الى الاهرام والجهاد والسياسة . وصاحبي هذا اديب يغرق فى القراءة والكتابة اكثر وقته ويتمنى النوم حين تأتى ساعة النوم لانه ينقذه من القراءة والكتابة ، فهو يخرجه من لجة ثقيلة بغيضة ليغرقه فى لجة أخرى ثقيلة بغيضة أيضاً ، ولكنها تريحه لان فيها شيئا من التنويع وتحقيق هذا الاختلاف الذى يحتاج اليه الاحياء الناطقون ، كما يقول ارسطاطليس . فصاحبي لا يحب النوم، لأنه يغيبه عن نفسه ويخفى عليه شعوره ويدفعه الى حيث لا يعلم ، وصاحبي لا يحب اليقظة ، لأنها تحضره نفسه وتظهر له شعوره وتدفعه إلى مايبغض من القراءة والانشاء . وصاحبي مجنون بعض الشىء ، وهل عرفت ان أديباً أومعنياً بالحياة العقلية برىء من بعض الجنون ؟ وصاحبي من أجل جنونه هذا كان يحب اصوات الباعة الذين يبلغونه مع الصبح ـ ولا يغضب الاستاذ عبد العزيز البشرى ـ رسالة الباقلاء والخرشوف . فلما انتهى إلى نفسه ذات صباح صوت هذا البائع ابتهج لأنه ظنه يحمل اليه هذه الرسالة الرخصة العذبة . ولما تبين انه يدعوه إلى الاهرام والجهاد والسياسة اكتأب ، لا زهداً فى الاهرام والجهاد والسياسة ، أستغفر الله له ولى من هذا الزهد . ومن الذى يستطيع ان يقترف هذا الاثم ويتورط فى هذه السيئة ويقدم على هذه

الكبيرة فيزهد فى صحف الصباح ، أو يفتر عن صحف المساء ؟ وانما اكتأب صاحبي لان هذا الصوت لم يحمل اليه الراحة والدعة والهدوء ولم يغمره بنسيم الصبح ولم يرفه عليه بعبير الحقول ، ولم يبرد غليله بقطر الندى . ولم ينته إلى أذنيه بهذا الصياح الحزين البائس وهذا الغناء الذى يملأه الشجن والحنين ، صياح الدجاج وغناء الحمام . لم يحمل اليه هذا الصوت جمال الحياة الذى تحمله الخضر والفاكهة ، ولا عبرة الحياة التى يحملها صياح الدجاج وغناء الحمام ، وانما نقل اليه هذا الصوت أو قل دعاه هذا الصوت إلى حياة الانسانية ، إلى خلاصة حياة الانسان ، إلى هذه الخلاصة الثقيلة التى تعتصر من الحياة اعتصاراً وتختصر منها اختصاراً ثم تهدى إلى الناس فى كؤوس أو أقداح من الورق تسمى الاهرام حيناً والجهاد حيناً آخر والمقطم أو الكوكب حيناً ثالثاً

هذه الخلاصة التى تمثل تفكير الناس على ما فيه من خير وشر ، ومن حسن وقبح ، وعمل الناس على ما فيه من عرف ونكر ، وكلام الناس على ما فيه من جد وسخف ، ومن خطأ وصواب . وصاحبي كما قلت غارق فى هذا كله بياض النهار وسواد الليل . وهو من صناع هذا كله يكتب فى الصحف ويؤلف الكتب وينشر الاسفار . فانت لا تنكر عليه ضيقه بهذا الصوت الذى أيقظه ذات يوم وهو يلقى فى أذنه هذه الجملة : «حى على الاهرام حى على الجهاد» قال هذا الاديب البائس لنفسه : يا للشر ! أمن جهاد واهرام إلى اهرام وجهاد ؟ أمن قراءة وكتابة إلى كتابة وقراءة ؟ اليس من أمل فى بعض الراحة ؟ اليس من أمل فيما يرفه على النفس ويكفل لها بعض العزاء ؟ وقضى صاحبي وجه النهار كئيباً محزوناً سيء الخلق كاسف البال . ولكن الغريب الذى لم يستطع صاحبي ان يتقيه أو يجد له تأويلا ، الغريب الذى سجل على صاحبي انه شقى حقا وانه شهيد القراءة والكتابة ماعاش ، الغريب انه لم يكد يعقل هذا الصوت حتى وثب من سريره ففتح النافذة والقى إلى البائع نقداً وأخذ منه صحفاً وانكب على قراءتها انكباباً ، وغرق فيها إلى أذنيه ، ولم يخرجه منها إلا هذا الطرق المتصل الخفيف ودخول هذه الخادم السوداء تحمل اليه طعام الافطار

تبارك الله ! لقد كان يكره مقدم هذه الخادم فاذا هو الآن يحبه ويرتاح اليه . وتبارك الله ! لقد ضاق ببائع الصحف أشد الضيق ولكنه قد جعل صوت هذا البائع موقظا له ، وعلامة على ان اليقظة خير من النوم والحركة خير من السكون والنشاط خير من الفتور . ولست فى حاجة إلى ان أنبئك ان بائع الصحف قد أحب النداء تحت هذه النافذة فقام من صاحبي مقام المنبه الذى يوضع فى حجرة النوم ، أو مقام ذلك المنبه الآخر الذى كان ينطلق فى الشارع فيملأه جمالا وعذوبة وسذاجة وسحراً . وهو غناء هؤلاء الباعة الذين كانوا يدعون إلى الباقلاء والخرشوف

أصبح هذا الصوت عنده آية النهار وعلامته ، فكأنه المسافر الممعن فى صحراء مشتبهة غامضة ، يمضى فيها على غير هدى ، حتى يبلغه هذا الصوت ، فلا يكاد يسمعه حتى يتبعه ولا يكاد يتبعه حتى يرى نور النهار فيسرع اليه ، وحتى يحس الحياة فيمعن فيها إمعانا . وهو يستفتح يومه

بهذه الصحف ، ينظر فيها مسرعا ، أو مبطئاً ويمر بها مر السحاب ، أو يلح فى الوقوف عليها إلحاحاً حتى إذا أرضى منها حاجته ، وشفى غليله ، وفرغ مما لابد منه للانسان المتحضر ، قبل ان يفرغ للعمل أو يخرج للقاء الناس ، هبط إلى مكتبه ولم يكد يلج من بابه حتى يرى هذه الكتب قد رصت على موائده رصا وازدحمت عليها ازدحاماً فى نظام أو فى غير نظام ، وكلها يدعوه إلى القراءة وكلها يلح فى الدعاء . هذا يغرى ، وهذا يستعطف ، وهذا يلوم ، وهذا يعاتب ، وهذا يتجاوز اللوم والعتاب إلى الوعيد والنذير . هذا كتاب طريف فى موضوع خطير لم يطرقه الناس من قبل أو لم يطرقه كاتب فى العربية من قبل ، فهو يغرى صاحبي بالنظر فيه ليرى كيف مس هذا الموضوع فى نفسه أو كيف مسه الكاتب العربي . وهذا كتاب قد أقبل إلى هذه الحجرة منذ زمن بعيد واستقر على هذه المائدة منذ وقت طويل وهو يستقبل صاحبي كل يوم مع الصبح ، ويتمنى له نوماً سعيداً إذا كان الليل . ويرقبه بين ذلك جهرة أو خلسة ، ويلح عليه فى نظرة قصيرة أو طويلة ، بطيئة أو سريعة فلا يظفر بها . وهذا كتاب قد طال عليه العهد ، وثقل عليه الانتظار ، فأدركه الملل أو كاد يدركه ، وآذاه السأم أو كاد يؤذيه . وهو يخرج من الاستعطاف إلى العتاب أو اللوم ، وقد يذكر انه كتاب فلان هذا الاديب الكبير الانف الذى لا يحتمل اهمالا ، ولا يرضى من النقاد إعراضاً ولا تقصيراً ، ولايعجبه أن تصل كتبه اليهم ثم لا تظفر بما ينبغى لها من القراءة والدرس والتأمل ، ثم النقد أو التقريظ.

وصاحبي الاديب قد يكون مشغولا بل هو مشغول عن أكثر هذه الكتب أو عنها كلها بكتب أخرى ، لم تظهر أمس ، ولم تظهر منذ شهر ، ولعلها ظهرت منذ اعوام ، ولعلها ظهرت منذ قرون ، ولكنها احب اليه ، وأكرم عليه ، وآثر عنده من كل جديد . وقد يكون صاحبي مشغولا بخواطر تضطرب فى نفسه وتريد أن تظهر ، وتملأ قلبه ، وتريد ان تفيض ، وهى تكرهه على أن يأخذ القلم ويستمع لها ويكتب ما تملى عليه . وقد يكون صاحبي مشغولا باشياء أخرى لا تدعوه اليها لذة القراءة الحرة ، ولاتدعوه اليها لذة الكتابة الحرة وانما تدعوه اليها ضرورة الحياة . وصاحبي كما قلت أديب يحترف الادب ويعيش منه ، ومعنى ذلك انه يعرض على الناس شر ما عنده من الادب ، وأسخف ما يستطيع أن يؤاتيه . فقد يكون مشغولا بكتاب قد باعه من أحد الناشرين وحدد عدد صحفه ، وسطوره ، قبل أن يكتب منه حرفاً . ثم ابطأ فى تقديم الكتاب . فالناشر يدفعه ويدفعه ، ويتقاضاه ويتعجله ، وهو يعصر ذهنه عصراً ويستخرج من عقله ما يعطى وما لا يعطى ، لعله يكتب من هذا الكتاب صفحة أو صفحات . ولعله مشغول بهذا الفصل الذى فرضته عليه هذه الصحيفة اليومية أو هذه الصحيفة الدورية أو فرضته الحياة عليه لهذه الصحيفة أو تلك ، وقد دنا الموعد أو كاد ، فالصحيفة تطلب وتلح فى الطلب ، والكاتب يعد ويلح فى الوعد ، ثم يستمهل ويغلو فى الاستمهال حتى لم يبق فى الوقت فسحة لطلب ولا لوعد ، ولا لاستمهال . والاديب مع ذلك

فارغ الرأس ، مفلس العقل ، لايدرى ماذا يكتب ، ولا يعرف كيف يقول . ولا بد له مع ذلك من أن يكتب ومن ان يقول ، وهو من أجل هذا كله مضطر الى أن يعرض عن هذه الكتب الكثيرة المزدحمة على مائدته فلا ينظر اليها ولا يسمع منها ولا يقبل عليها ولا يقف عندها ، وانما ينظر الى نفسه البائسة ويستملى عقله المكدود وخاطره الكليل . ولعل الحياة تضيق به ، أو لعله هو يضيق بالحياة فيخرج من مكتبه ويهجر بيته كله ويمضى امامه يلتمس الوحى ويبحث عن الخواطر فى الطريق العامة . او فى مواضع النزهة والتروض . ولكنه لم يكد يجاوز باب الدار ويخطو امامه خطوات حتى يسمع النداء الملح ويرى العرض الملح . فهذه الصحف الادبية الهازلة والجادة ، تلقاه وتتصدى له وتتحداه ، وتعرض نفسها عليه عرضا وتفرض نفسها عليه فرضا . فهو قد فر من القراءة فوقع فى القراءة ، وهو قد هرب من الصحف فوقع بين الصحف ، وهو قد فارق الادب ليغرق فى الادب . وسواء اقرأ صاحبى ام لم يقرأ ومهما يكن الكتاب الذى يقرأ فيه أو الصحيفة التى ينظر فيها فقد ملأ الادب والتفكير الادبى عليه عقله وقلبه ، وشعوره وحسه

وكذلك يمضى صاحبى أمامه أو يرجع ادراجه فى غير نفع ولا جدوى لأنه لم يستطع ولن يستطيع أن يفلت من الأدب أو من التفكير الأدبى . واحذر أن تظن أنه قد يجد فى لقاء الأصدقاء والزملاء راحة وعزاء ، فهو لا يكاد يلقى هذا الزميل أو ذاك حتى يتحدث اليه فى الأدب والأدباء ، يسأله عن رأيه فيما كتب فلان ، وينبئه رأى فلان فيما كتب هو ، ويجادله فى هذا الموضوع أو ذاك ، ويعرض عليه هذا الأثر الأدبى أو ذاك ، ويثير أمامه هذه الفكرة أو تلك . ومن هنا كره صاحبى لقاء الأصدقاء والزملاء إلا أن يضطر إلى ذلك اضطراراً ، أو يكره عليه إكراهاً . وقد يفر صاحبى من الأدب والأدباء ، ومن الصحافة والصحف ، ومن القراءة والكتابة إلى أهله وبنيه ، ليلهو بالحديث اليهم ، والعبث معهم ، ولكن ذلك كان ميسوراً فيما مضى . أما الآن فقد أصبح عسيراً كل العسر ، فأهله وبنوه مثله مشغولون بما يعنيهم من أمر الحياة ، فان فرغوا لأنفسهم وطمعوا فى شىء من الراحة ، فهم يلتفون حول هذا الشيطان المريد ، حول هذا العدو لراحة الأديب ، حول الراديو الذى يصب الأدب والثقافة والغناء والموسيقى والأنباء التجارية وغير التجارية صباً فى كل لحظة من لحظات النهار والليل . ويحملها اليك من وجوه الدنيا . فصاحبى سجين مهما تتسع أمامه الآفاق ، مضطهد مهما يكن حرا . سجنه الأدب ، ومضطهده الأدب ، لأن الأدب قد ملك عليه حياته وأخذ عليه نفسه وقلبه ، ونفوس الناس وقلوبهم ، فهو أديب إن خلا إلى نفسه ، وهو أديب إن خلا إلى أهله ، وهو أديب إن لقى الناس

أليس معذوراً إن تعلق بهذا الشعاع الضئيل الذى كان يريحه من الأدب والأدباء ، لحظات قصاراً فى كل يوم حين ينتهى اليه مع الصبح فيحمل إلى نفسه المتعبة المكدودة هذه الأصوات العذبة الرطبة المختلفة المؤتلفة التى تدعو إلى الباقلاء والخرشوف ؟!

طه حسين

التعاون في الاحياء العربي

فرض على العالم العربي كله

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

أتيح لى أن أتحدث إلى قراء العدد الأخير من الهلال عن الاحيـاء العربي وما يجب القيام به من بعث آثار السلف في العصور الماضية . وقد أشرت إلى الغزالى وابن سينا ، وذكرت أن إعادة طبع الكتب القديمة له فائدته ، لكنها فائدة محدودة أغلب الأحيان لأنها تقف عند طبقة معينة من المثقفين الذين يطيقون بطبيعة دراستهم مراجعة هذه الكتب القديمة والاستفادة منها ، وذكرت لذلك أن الاحياء المثمر يقتضى الباحثين والجامعيين تلخيص هذه الكتب وإعادة نشر ما فيها بلغة هذا العصر وأسلوبه . ورجوت أن يتعاون أهل البلاد العربية في هذا الاحياء المثمر

ولقد أتيح لى بعد أن نشرت الهلال هذا الفصل في العدد الماضي أن أتحدث الى غير واحد من أهل البلاد العربية المختلفة ، فعاد بنا الحديث الى التعاون فى الاحياء كيف يكون ، وعاد بعضهم يذكر هذه الحواجز السياسية القائمة بين البلاد العربية ، وإلى ضرورة تذليل ما تقيمه هذه الحواجز من عقبات في سبيل الاحياء . أما أنا فما زلت على الرأى الذى قلت به منذ سنوات . ذلك أن التكييف السياسي لبلاد ما لا يمكن أن يحول دون الاحياء الفكرى فيها . وهو كذلك بصورة أكثر وضوحاً إذا كان التكييف السياسى خاضعاً لظروف غير عادية وكان مشكلا لبلد ما أو لبلاد عدة على صورة لا تدل على حرية اختيار أهل هذا البلد أو هذه البلاد إياها . فالتكييف السياسى صائر حتماً وبقوة الطبيعة إلى الشكل الذى يرضاه من يدعنون إلى هذا التشكيل ، عاجلا أو آجلا . وهو يصير إلى هذا الشكل الذى يحوز رضى الناس على نحو أسرع كلما قويت الحركة الفكرية واشتد التيار العقلي والروحي . والحركة الفكرية لا يمكن أن تخضع لحاجز من الحواجز أو تحول دون سيرها عقبة من العقبات . بل هى تسمو بطبيعتها فوق الحواجز والعقبات وتتغلب عليها . وهى كلما ازدادت قوة وازداد تيارها اندفاعاً كانت أرفع فوق الحواجز تحليقاً وأسرع على العقبات تغلباً . فأما إن بقيت الحركة الفكرية

وبقى التيار العقلى فى ركودها وحاولنا مع ذلك التغلب على الحواجز والعقبات فلن يكون مثل ذلك إلا كمثل الرجل الواحد يحاول زحزحة صخرة لا يقوى على زحزحتها ، فهو يدور حولها لعله يجدها ألين في ناحية من نواحيها ، فاذا هو عاجز عن درك غايته ، واذا هو يزداد بما ينفق من مجهود ضائع اعياء . ولو انه استعان بقوى العلم أو بأمثاله من الرجال لما أصابه الاعياء ، ولتغلب على الصخرة وزحزحها . والتعاون الفكرى والروحى لاحياء ماضينا هو الطريقة المثلى للعود بنا كمجتمعات الى الحياة الطبيعية في تكييفنا السياسى وفي توجيهنا الى الكمال الاجتماعي

وهذا الرأى الذى قلت وأقول به إنما يستند إلى قاعدة أساسية بسيطة . تلك أن من لا ماضى له لا مستقبل له . هذه قاعدة تنطبق على الاحياء جميعاً . وهى أشد انطباقاً على الجماعات منها على الأفراد ، كما أنها أشد انطباقاً على الافراد في الاحياء العليا منها فى الاحياء الدنيا . والامة التى تنسى مالها من ماض مجيد لا يحق لها أن تطمع في مستقبل مجيد . ومجد الامم ليس اكثره فيما لها من غلب سياسي يطوع لها في النضال أن تتحكم في غيرها عصوراً أو قروناً ، وإنما أكثر مجد الامم فيما لها من آثار فكرية وروحية تنتقل ميراثاً باقياً من جيل الى جيل ومن قرن الى قرن . فاذا نسيت الأمم مالها من هذه الآثار التي تشكل الحضارة الانسانية في بعض عهودها ، ولم تبذل ما يجب بذله من المجهود لجعل هذه الآثار حية دائماً متطورة دائماً سائرة مع الحياة مؤثرة فيها متأثرة بها ، واقتصرت على ترك نفسها يدفعها تيار الحضارة الحاكمة ، ولو كان مما يحاوله هذا التيار أن يطمر آثارها وأن يعفى على ماضيها ، فقد حق على هذه الامم أن تعنو لغيرها جبهتها وأن يخضع لسلطانه مجموعها

والحق أن الامم التى تعيش في الحاضر وحده ، ناسية ماضيها مقتصرة على الاستفادة المادية جهد الطاقة ، إنما هي الامم الضعيفة المتخاذلة التى يعيش كل فرد فيها بنفسه لنفسه ، لا يصل بين ماضيه وحاضره ، ولا يقدر الحقيقة الازلية الخالدة التي صورها الشاعر القديم في قوله : وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

ولو أن الفرد أراد أن يبلغ على الحياة ما يجب عليه أن يبلغه لذكر أنه حلقة في هذه السلسلة المنظمة ، سلسلة الحياة ، حلقة متصلة فى المكان بأمثاله من الافراد الذين يعيشون معه في أمة واحدة وبأمثاله من أفراد الانسانية جميعا ، متصلة في الزمان بالذين سلفوا جميعا منذ الأزل والخلق الأول ، فهى وإياهم وحدة يسرى فيها التيار الذى يسرى فيهم وتنتظمها وحدة الوجود التى تنتظمهم . إذا شعر الفرد بهذا الشعور ونظر إلى الحياة على أنه منها في هذا

المكان ، عظم في عينه أمره وعظم في تقديره واجبه وهان عليه أمر المادة في هذه الحياة ، المادة التي يحسبها الاكثرون مقصد الحياة الاسمى والغاية التي يجب أن ينفق في سبيلها العمر إذا أريد أن يعتبر صاحبه ناجحا في الحياة

ولقد صدق الذين قالوا إن تاريخ الانسانية تحتويه القبور أكثر مما تحتويه الدور ، ومجد الانسانية ماثل في أعمال أولئك الذين تحتويهم القبور . ولن تكون لأمة حياة اذا تركت هذا المجد مطويا في السجلات ولم تقرأه كل آن وحين . وكما أن الارض التي استثمرها الاجداد على طريقتهم لا يجود اليوم ثمرها الا اذا زرعت على طريقة العصر وبأسلوبه ، وكما أننا نرى أنفسنا مضطرين لتنقيح ما ترك لنا أسلافنا من مساكن لتتفق وطلبات اليوم ، فنحن مطالبون كذلك باحياء تراثنا الروحي والعقلي على طريقة العصر واسلوبه

وهذا التراث عظيم حقا ، جسيم جداً . هو يتناول كل ما تتناوله البحوث العلمية الحاضرة على طريقة أولئك السلف . فهو يبحث في الكلام والنقد والفلك والرياضة والجغرافيا والطب والعلوم الكونية والعناصر وكل ما يمكن أن يدور بخاطر ابن اليوم . وهو يتناولها أحيانا في كتاب واحد لمؤلف واحد يقع في بضعة أجزاء أو في عشرات الاجزاء . ولو أن الرجل الواحد منا في هذا العصر أراد أن ينفرد باحياء ما ترك واحد من هؤلاء السلف لاضطر في كثير من الاحيان الى ايجاز الاحياء في ناحية والافاضة فيه في ناحية أخرى . ذلك أننا بحكم العصر قد ملنا الى التخصص ولم نعد نستريح الى أن يكون الرجل منا واقفا على المعارف الانسانية جميعا ، لان هذه المعارف الانسانية قد بلغت من التفصيل والكثرة حداً جعل تقسيم العمل والتخصص فيه الوسيلة اللازمة لاتقان البحث ولابداع جديد فيه . وهذا يدعونا الى القول بان الاحياء بالنسبة لواحد من كبار الكتاب والمؤلفين من السلف ربما اقتضى أن يتعاون عليه أكثر من واحد منا ، لان هذا الاحياء لن يقتصر على تحديد ما كتب هذا المفكر أو المؤلف بأسلوبنا نحن . بل هو يتناول دراسة مقارنة أكثر الاحيان ، ويقتضى كذلك تتبع الفكرة أو الموضوع أو العلم أو البحث أيا كان نوعه مما طرق هذا المفكر أو المؤلف وكيف كان أثره فيمن جاء بعده سواء من الغربيين الذين تناولوا البحث أو من المتأخرين من أهل شرقنا . واذا كانت الفكرة أو الموضوع قد درس اقتضى ذلك تتبع أسباب فنائه ، وهل يرجع فناؤه الى أنه غير صالح للبقاء مثلا ، أو الى ان الذين تناولوه بعد الباحثين الاولين تناولوه على طريقة كانت سبب القضاء عليه مع صلاحه للحياة وامكان بعثه من جديد اليها

اذا كان احياء المؤلف الواحد أو المفكر الواحد قد يقتضى تعاونا وقد يقتضى أن تتألف جماعات كالتى تتألف في أوربا تحت اسم أصدقاء روسو أو أصدقاء موليير أو أصدقاء كونت ليكون التعاون أدنى الى أن يؤتي ثمرته، فما اعظم مبلغ هذا التعاون الذى يجب توافره اذا صدق عزمنا على الاحياء العربي حقا، واذا صدق عزمنا عليه على الطريقة التى قدمت . اننا نكون اذن بحاجة الى تعاون ينتظم العالم العربى كله ويجعل الجماعات التى تتألف اصدقاء للغزالى او لابن رشد او الجاحظ او للمتنبي او لهذه العشرات والمئات من المحدثين والمتكلمين والكتاب والفلاسفة والعلماء والادباء بحيث لا تقف في دائرة حدود مصر او الشام او العراق او تونس، بل تتخطى حدود كل واحدة من هذه الامم وتحلق فوقها وتصل بينها جميعا وتجعل الجماعة الواحدة تشمل ابناء كل واحدة من الامم العربية جميعا

ولن يستطيع حائل من الحوائل ان يقف في سبيل هذا التعاون على الاحياء . لن يستطيع حائل سياسى او غير سياسي . وكيف يمكن ان يرد بخاطر انسان من الناس ان يحول بين جماعة في مصر ومثلها فى الشام وثالثة في العراق ورابعة فى الحجاز وخامسة في تونس وسادسة في مراكش، تريد ان تتعاون كلها لاحياء المعرى او ابن سينا او ابن خلدون اوغير هؤلاء من الذين خلفوا التراث العقلى العظيم للانسانية كلها لا للناطقين باللغة العربية وحدهم . واننى لعلى ثقة بان هذا التعاون سيكشف عن كنوز ثمينة جداً، وسيبعث الحياة الى آثار مطوية اليوم، فهى لذلك لا تحرك الناس ولا تحدث في الحياة ما يجب أن تحدثه فيها من أثر. وسيكون لهذا التعاون الى جانب ذلك مزية أخرى هي هذا التعارف الفكرى والروحي بين أمم يجب أن يتم التعارف بين المثقفين من أبنائها على خير وجه . وأى وجه للتعارف خير من هذا التعاون لأنبل مقصد وأسمى غاية ؟!

لو أن عقبة خيف ان تقوم فى وجه هذا التعاون لكانت هذه العقبة رغبتنا عنه وعدم حرصنا عليه . ولقد كانت هذه العقبة هي الحائل الصحيح عن القيام بالعمل المثمر في عصور الانحلال التى مضت . فاذا كان حقا ما نعتقد من أن هذه العصور قد آن أن تنتهى وان يبدد فجر هذه النهضة الحديثة ظلمتها، فآية ذلك من الناحية العملية قيامنا بهذا التعاون فى سبيل الاحياء العربي، نخدم به الحقيقة ونخدم به الانسانية، ونخدم به هذا الشرق العربي نخرجه به من حالته الحاضرة، حالة الاعتماد على غيره، ليبدأ عصراً جديداً هو عصر الحرية والنور والتضامن مع سائر اجزاء الانسانية في سبيل خير الانسانية جمعاء

محمد حسين هيكل

على عتبة الخمسين

الشباب المولي

بقلم الاستاذ عبد العزيز البشرى

كتب الاديب الكبير الاستاذ عبد العزيز البشرى هذا المقال على لسان شيخ في الخمسين من عمره يناجي الشباب الراحل ، ويصف ما يشعر به بعد زوال أيامه ، وانقضاء أحلامه ، وما أصاب فيه من وقت قصير كعمر الورد . ومع أن الاستاذ البشري يأبى الا أن يكون هذا المقال على لسان خمسيني مجهول ، فان سطوره تنم على ما يريد كتمانه من الاعتراف بحقيقة سنه . وأغلب الظن أنه أناف على الخمسين

هذه هى المرة الثانية التى يهتف فيها « فلان » بسنيّ ، ويزعم أننى أتشرّف الآن على الخمسين ، إذا لم أكن قد جزتها بقليل ! . وترى ما خيره في أن يباديني بهذا ويؤكده ويلح فيه ؟ . وأنا أنفيه جاهداً فلا يصدق ، وأردُّه عنه فلا يرتد وأزجره فلا يزدجر ؟ . وتالله ما أراه يطلب بهذا إلا غيظى وإحناق بإظهارى وإظهار الناس على أنى قد علت بى السن ، وأنى أنشأت أمعن في الشيخوخة المضنية للأجسام ، والداعية للأسقام ، والمهرولة بالاحياء الى الموت الزؤام !

اللهم إنه لسمج به أن يطلب لى هذا ويتمناه على الله . ثم لا يستحي أن يصارحني بهذه المُنية ويصارح بها الناس . على حين أنى ، ما أسلفت إليه إساءة ولا تناولته قط بمكروه !

سبحان الله ! ما أعظم كدر النفوس ، وأشد اضطغان القلوب حتى على من هو غير حقيق منها إلا بالعطف والايثار !

وبعد ، أفأرانى حقاً قد بلغت الخمسين ؟ هذه الخمسون التى لا يبلغها المرء إلا إذا جاز مستهلا بأيام الشباب ، حتى تطويه السنون عنه طى السجل للكتاب . وهيهات للمرء أن يأسى عليه بعد أن نهل من مَعين اللذات وكَرَع ، ومرع فى طيبات العيش ورتَع . وواتى النفس بكل مناها ، وأبلغ مطالب الصبوة غاية مداها . ويا طالما طاب مراحه وأنسه ، وسطعت فى أفق الهوى شمسه . ويا طالما اشتد لهوه وقصفه ، وتقلب في ألوان المتاع عِطفه . لا تكدر الهموم من صفوه ، ولا تشغله متاعب الحياة عن متاعه ولهوه . مُخلَّصةً لداعيات الصبا نفسه ، لا يعنيه

يومه ولا يعنيه غده ولا أمسه . حتى إذا استوفى حظه من لذائذ الشباب ، انصرف عنها زاهداً فيها كارهاً لها ، وأقبل على ما هو الأخلق بالحكمة والأشبه بكمال الرجال . وأصبح يتمثل بقول الشاعر : وبلغتُ ما بلغَ امرؤٌ بشبابهِ فاذا عُصارة كلِّ ذاكَ أثامُ

وكيف أكون بلغت الخمسين ولما أبلغ من آثار الشباب شيئاً ؟ ولم أصب بعد من متعه كثيراً ولا قليلا ؟.. اللهم إنني مابرحت أستشرف لهذه الأيام التي طالما تمثلت لأحلام الفتوة جميلة جمال صفحة البدر ، ناضرةً نضرةَ الوَرد قدطله القطر . هذه الأيام اللذيذة التي طالما تراءى لي بها المستقبل ، فأتعزى بقرب لقائها عما أجد في حاضري من همٍ وأسى ، ومن وجد وشجى

اللهم إنني مازلت في انتظار أيام الشباب التي لا يفتأ يوسوس في صدري بها الأمل ، فأشعر لها بشوق لا يعدله شوق ، وأجد في قلبي حنيناً لا يشبهه حنين . وهل تكون هذه الأيام كلها بين أيام العمر إلا روضةً قد ينعت أثمارها ، وضحكت أزهارها ، وأشرقت أنوارها ، وتعطفت في أرضها الجداول ، وسجعت على أيكها البلابل . ومشى في خلالها النسيم ، يحمل من الورد عاطر التحية وأزكى التسليم ، فتنحني الغصون إجلالاً لوفوده ، وإكراماً لوروده ؟

هكذا الشباب المنتظر ، مراحٌ لا يلحقه ضجر ، وصفوٌ لايشوبه كدر ، ودعة لا تروعها الغير . ونفس قد وضعت عنها الأعباء والآصار ، فتكاد من الخفة تطير في اقتناص المنى كلَّ مطار ! لقدطال بي انتظارك ياهذه الأيام ، فليت شعري متى تحقق الآمال وتصدق الاحلام ؟

أنت آتية أيام الشباب لا ريب فيك . وإني ما زلت في الانتظار . . .

مالي أجد غمزاً على كبدي ، وأكاد أحس بأن شعبةً قد انخلعت من قلبي ، وأن ذهني تطاير عني كلما لاح لي شبح الخمسين . فلقد بلغت الخمسين ، وارحمتاه ، حقاً . . .

لا تأسيْ يا نفس ولا يتعاظمنَّك الأمر ، فانني إن كنت قد بلغت الخمسين عدداً ، فانني لم أعلُ بها قط سناً . وكيف تعلو بي السنُّ وأنا لمَّا أزل في انتظار الشباب ؟

لا ! لا ! ليست المسألة مسألة عدد في السنين . وليست الحياة مساحةً تقاس بدورة الفلك . فلتعدُ عليّ السنون ماشاءت أن تعد مادمت في الواقع لم أزل فتي الروح مستشرفاً لعهد الشباب . وليس من سنن الطبيعة أن يسبق الجدَة القدم ، ويتقدم على الشباب الهرَم

إذن فانا لما أزل على شرف الشباب الغض وأنف هذه الخمسين العددية راغم !

لقد بلغت الخمسين حقاً . ولكنها ليست تلك الخمسين التي كان يتمثل لنا الناس فيها شيوخا قد شاب قذالهم ، وابيضت لحاهم ، وتكرشت وجوههم ، وترهلت لحومهم ، وتجلجلت

أسنانهم ، وفترت حدة عيونهم ، وضعفت قوة متونهم ، وثقلت آذانهم ، وكلت أذهانهم . فاذا تحدث أحدهم جعل يعصر ذاكرته عصراً ، واذا مشى فكأنما يحمل على ظهره وقرا

لقد بلغت الخمسين عدداً ، ولكنني لم أتقدم بها في السن كما يتقدم سائر الناس . وكيف تعلى سني حتى تدخلني في الشيخوخة ؟ على حين أني لو قد استعرضتها وفررت عنها من يوم تفطنت الى الحياة ما زادت في الواقع على عشر ، وهذا على أسخى تقدير . فأين يا ترى سائر هذه السنين ؟ اللهم إني لأبحث عنها وأجهد ذاكرتي فى طلبها سوية فلا أجدها . فليس من العدل أن تسقط من مدة العمر هذه السنون . و إن ظلماً دونه كل ظلم أن تجرى حساب الأعمار في هذه الدنيا على دورة الأيام . وليت شعرى ما الدليل على أننى قد بلغت هذه الخمسين لو أننى عشت في بداوة لاتتعقب فيها السنون ؟ اذن لم أصبح بعد شيخاً ولتعد علي الأيام ماتشاء

ولكنني مع هذا أرى الشيب يصيح فى رأسي ، فكيف لعمري لحقني قبل الشباب المشيب ؟ لا تأسي يا نفس ولا تشفق من بياض الشعر، فلكم رأيت فتياناً باكره وسهم هذا الشيب وعجل اليها . فما كان بياض الشعر يا نفس دليلا على المشيب . ومع هذا ففى الصبغ اصلاح لخطأ الطبيعة ، وتصحيح لما يدعى على بعض الناس من كذب وزور

هذا كلام صحيح . ولكن مالي أحس في عيني فتوراً ، وأجد في نظرى قصوراً ، حتى لا أتبين الشخوص الا بمقدار ، ولا أستطيع القراءة الا بمعونة المنظار ؟

لا شك أن هذا من مرض طارىء ، أو من عرض مفاجىء . وما كان جهد العيون وتقاصر الانظار ، دليلاً على انطواء الشباب والطعن في الاعمار ، وهذا أيضاً كلام صحيح . ولكن ما بالى أرى ثقلاً فى سمعى ، لقد يفوت علي في المجلس بعض الحديث ! ولقد ترعش يدي في بعض الاحيان حتى ما تستطيع ان تضبط اليراع ؟ وهذا كذلك ليس امارة على فوت الشباب ، ان هو كما قال الطبيب الا من تعب الأعصاب

فما بالى اجد اسنانى قد شاعت في اصولها الآلام ، وتجلجلت كلها فما تثبت واحدة منها الا لهش الطعام ؟

لقد حدثني الطبيب ان هذا انما اعترانى من اثر (السكر) الذي كشف عنه (التحليل) وهذا (السكر) . والحمد لله ليس صادراً عن علة لازبة ، ولكنه عارض لا يلبث ان يزول بارفق العلاج . على انه كاشفنى بان الخير كل الخير فى خلعها جميعها والتعويض عنها باسنان مصنوعة لا تحقن في اللثة اذى ولا تبعث المًا . فوق انه يسهل تخليلها وغسلها . ويسلس

جلوها وصقلها . وان شئت كسوتها بالمسجد ، وان شئت تركتها كالدر المنضد . وماذا علي في هذا والكواعب الحسان فى الغرب يبادرن الى خلع اسنانهن فى غير شكاة ، بل لمحض التبهج بالاسنان المصنوعة ؟ فلنعجل بخلعها قبل ان نقرع سن الندم ، اذا الحت العلة واعضل السقم . اذن فانني ما زلت في انتظار الشباب ، ولا يجوز ان نلقى لهذه الاعراض بالاً وندخلها في الحساب !

ولكن ما بالى أصحبت لا اشتهى الطعام . ولا اكاد اقوى على هضم خفيفه فضلا عن غليظه الا اذا استعنت على ذلك بالوان المقاقير : هذا فى اثناء الطعام ، وهذا عند المنام ، وهذه الحبة ، يجب أن تبلع بعد الوجبة . وهذا الذرور مما يسهل الصفراء ، ويرفه عن الكبد وينظف الأمعاء ، وهذا لكيت وكيت ، وهذا لذيت وذيت !

سبحان الله ! وماذا يضيرك ذلك مادام يعينك على شأنك ، ويصرف عنك الأذى ، ويقيمك في العافية . والمقاقير ميسورة في كل مكان ! والدواء مما لا يستغنى عنه قوى ولا ضعيف !

ثم مالى إذا مشيت أحسست فى جسمى تزايلا ، وفي ساقيّ تخاذلاً ، وكأنني أحمل رجلي وليست هي التى تحملنى ، وسرعان ما يجهد بي وما مشيت طويلاً ، ولا حملت عبئاً ثقيلا !

ثم إنى بتُّ لا أقوى على رطوبة الليل في العراء ، وما إن تبديت لها ساعة حتى أصبح في أسوإ حال ، ويعتريني من الأوصاب ألوان وأشكال ! وهذا وذلك لا بأس عليك منهما إذا أخذت نفسك بشىء من رياضة البدن واستنشاق الهواء النقي في الشمس الساطعة ، فاذا كان الليل أثقلت الدثار ، واعتكفت في الدار ، فلا ينالك سقم ، ولا يعتريك ألم !

فمالى أمسيت لا أنام إلا غراراً ، وأراني أهب على أخف طرقة ، وأخفت خفقة ؟

وما ضيرك في أن يثقل نومك ، ويستهلك في الغفلة عن الدنيا يومك ، والنوم كما علمت حاجة يضطر اليها تعب الأجسام . فمن العبث أن تتفقد الحاجة إذا لم تجدها ولم تلجئنا اليها الضرورات ! ورحم الله الشاعر الذى يقول : « إنَّ تحت التراب نوماً طويلاً » !

وهكذا ما شكوت علة إلا أصاب الأمل لها تعليلا ، وهون عليّ خطبها وإن كان الخطب فيها جليلا ! وأنا أصدقه وأطاوعه ، وأدفعه ولا أدافعه . ومالى لا أفعل وهو لا يمنينى بحلم من الأحلام ، وإنما يتراءى لى بحق على الأيام . والحق لا بد واصل وإن طال بطؤه ، والدهر لا محالة إلى الحق عادل وإن كثر خطئه . إذن فلننتظر ، ومن صبر ظفر !

ثم إنى لأقوم إلى المرآة فأحقق النظر ، فلا يروعنى الا أن أرى وجهى قد تغضن ، وجبينى قد تكرش ، وأجد في شفتى تهدلا ، وفي عنقى ترهلا . أما عيناىَ فقد بدتا لى كعينى دمية قد

نصلنا فلا أثر فيهما لمايشبه بريق الحياة ! وانى في هذه اللحظة لاستنجد ذلك الذي طالما واساني وهون علي ما أجد ، فاذا هو يتثاقل عنى ، واذا أوصابي وعللي تتداعى وتتجمع لذهني رويداً رويداً حتى تستوى كلها في خلق واحد

رباه ! ما هذا كله ؟ اليس هذا كل ما كنا نتمثله في الشيخ إذا ضربته الخمسون ؟

وما ان كاد يستوى لى هذا الخاطر المشئوم حتى أحسست أن نفسى تطير شعاعاً ، وأن قلبي يتمشى في صدرى ، وأن كبدي تسيل مسالا ، وأن ذهني قد تفرق عنى فما أستطيع له جمعاً ! . . . واني لأستلقى على فراشي وأتحامل لأجمع بعضى على بعضى ، واصطاد ما ندَّ عنى من فكري . فما خرج لى من كل ما جمعت الا أننى الشيخ صاحب الخمسين حقاً ، وأنها قد صنعت بي كل ما تصنع بسائر الناس . اذن فقد ولى الشباب ، فما له من رجعة ولا له من مآب

ارأيت الى التاجر يقدر مواتاة السوق و يطاول الأيام في انتظار الغنى واقبال الدنيا ، و بينا هو في هذا سعيداً بالثقة به والاطمئنان اليه . واذا السوق ترجف رجفتها ، واذا نظرة واحدة في دفتره تؤذنه بأن قد أفلس ، فقد ضاع السبد واللبد ، وأنه لن يشقى فى الحياة شقاءه أحد ؟!

يا ويلتاه ! أ كذلك يذهب الشباب قبل ان يجيء ، و يدبر قبل ان يقبل ، و يودع قبل ان يسلم؟ يا عجبا للهلال يغشاه المحاق ولما يبلغ التمام ، والورد يلحقه الذبول ولما تتفتح عنه الا كمام!

يا عجبا للشمس تشمس للغروب والرجوع ، ساعة يؤذن مشرقها بالبزوغ والطلوع !

و يا رحمتاه للروض اذا ذبلت في مطلع الربيع أزهاره ، وجنت قبل النضج ثماره ، وسكن من الشجر اصطفاقه ، وتساقطت اوراقه ، وسكن النسيم وكان العهد به ان يتنسم . وسكت العندليب وكان الظن به ان يشدو و يتنغم !

أهكذا يكون نقض العهود وخلف الوعود ، أهكذا تشح السماء بعد طول مامنت بالبروق والرعود ؟ فاين هذا الشباب وهو حق لا حلم من الاحلام ، ولا وهم من الاوهام ؟ وليت شعري كيف ذوى ، ومتى انطوى ، وما زلت في انتظار وفوده ، وترقب وروده طوعا لمطرد وعوده ؟

نترقب شباباً فاذا هو هرم ، وجدة فاذا هى قدم ، وصحة فاذا هى سقم ، ووجوداً فاذا هو عدم . تالله ان علمت قط ان التبر يحور تراباً ، وان الماء يستحيل سراباً !

هذا الدهر ما زال يعدنا ويمنينا الأماني . وكلما تنجزنا فى السعادة وعداً أنظرنا الى غد ، فاذا صرنا الى هذا الغد قال اليس موعدكم الغد ؟ ونحن نتابعه كمن يتابع ظله . فلاهو بلاحقه ولا هو عن لحاقه ببعيد . وكذلك تنقضي الأيام بعد الأيام ، وتنطوى الأعوام بعد الأعوام ،

ثم لا يروعنا الا ان نتفقد هذا الغد الذى طالما انتظرناه ، فاذا هو قد مضى في الأمس الذى استدبرناه . فهذا الشباب الذى يتحدثون عنه لا قيام له الا في التصور والتخيل . لانه اما شيء نجيء به الايام ، او شيء قد خلت به الأيام . أما ان له سرحة يتفيأ الانسان في ظلالها ، وفسحة يطمئن بين غداها وآصالها ، فذلك ما لايكون في منهج الأعمار

نعم . لقد يصيب الانسان كثيرا او قليلا مما يدعى بسعادات الحياة . ولكن هيهات أن يصفو له شيء منها إلا كدرا . فان الزمان احرص من ان يصفي العيش لانسان . وانه في هذه السبيل ليسلط عليه ولو من وساوس نفسه ما يصرفه عن متاع الحياة وهو في متناول يده ورهن مراده . فاذا أعوزه هذا وسوس له بالتأميل فيما هو أجل مما تيسر له من النعيم فشغله عن حاضره بقابله ، وصرفه عن عاجله بآجله . وهكذا تنصرم الأعمار ، في الانتظار . .

آمنت يا دنيا انك سارقة ماكرة فاجرة . تمكرين بالناس وتخدعينهم على اعمارهم حتى تنتشليها منهم نشلا . ولا والله ما يعينك على فجورك هذا الا غفلة الناس . . .

وبعد . فلعلك عرفت لماذا يخادع المرء الناس على سنه . بل انه ليخادع عليها نفسه . ولعله في هذا حق معذور . فلقد طالما وصل المستقبل بسعادات وارتبطه بها . حتى ما يستطيع تصوره بغيرها . فكلما مر عليه يوم لا تواتيه تلك السعادات لايراه مماينبغي ان يحسب في مدة العمر ولا مما يجوز ان يعد عليه فيه ، فهذه علة تعاظمه لدخوله في السن واستثقاله لتذكيره اياه

اللهم اننا لنتهاون شأن الذبابة ، ونستحقر هذه الحياة التي تحياها . ولو قد تفطنا الى الحق الواقع لعرفنا انها أسعد منا عيشاً وانعم حالا ، لأنها لا تشتغل الا بالحاضر وهو الحق المحس الذى يذاق ويستشعر حقاً . فلا يتفرق حسها بين الاسى على ما فات في سالف الايام ، وبين التعلق فى المستقبل بكواذب المنى فى كواذب الاحلام . . فيا لله ما اخس حياة تنتهي بالانسان الى التراب ، وهو لا يتذوق منها بعض ما ينال هذا الذباب !

واذا كان لنا معشر الناس ان نأسى على شيء فى هذه الحياة الدنيا ، فليكن أسانا على اننا نتفقها في الاسى على مافات ، وطول التأميل فيما هو آت . وهكذا نجوز بالدنيا فلا نستشعر منها الا آلاماً ، ولا نذوق الا منى واوهاماً . وصنع الله لهذا الشاعر فى كذبه على كذب الآمال :

منى إن تكن حقاً تكن اعذب المنى والا فقد عشنا بها زمناً رغدا

عبد العزيز البشرى

الديمقراطية والدين[1]

بقلم الاستاذ على عبد الرازق

ماهى الديمقراطية ؟ — العلاقة بين الديمقراطية والدين — هل الديمقراطية تنافي روح الدين وفلسفته ؟ — مذهب التفرقة بين الدين والديمقراطية

ليس من السهل على من يريد البحث فى موضوع الديمقراطية والدين أن يحيط بجميع أطراف هذا الموضوع لان نواحى البحث فيه متشعبة لا يكاد يتيسر ضبطها وتحديدها . لذلك كان حتما أن تقتصر هذه المحاضرة على جانب صغير من تلك الجوانب الكثيرة . . والجهة التى اخترناها للبحث فى هذه الليلة تنحصر فيما يأتى :

نريد أن نعرف هل بين الدين والديمقراطية علاقة أم لا علاقة بينهما ؟ . وإذا كانت بينهما علاقة فما هو نوعها ؟ . وهل الدين والديمقراطية خصمان أو هما صديقان أو ان الصلة بينهما صلة من لا يبالى بالآخر ؟

ثم إذا ما تحددت العلاقة بينهما أمكن لنا أن نعرف بسهولة ما اذا كان الدين يمكن أن يكون عاملا من عوامل انتشار الديمقراطية ونجاحها أو لا يمكن . وإذا أمكن للدين ان يكون عاملا من عوامل نجاح الديمقراطية وانتشارها ، فما هى طريقة الانتفاع بالدين واتخاذه وسيلة لهذه الغاية ؟

ماهى الديمقراطية ؟

ولقد ينبغى قبل الخوض فى هذه المباحث أن نمهد لها بكلمة وجيزة فى تحديد معنى الديمقراطية فان هذه الكلمة من الكلمات التى لا يكاد العلماء يتفقون على تحديد معناها على الرغم من أنها كثيرة التداول شائعة الاستعمال

وكنا نحب أن نترك هذه الكلمة على ابهامها وألا نحاول تحليلها وتحديدها ، فان كثيراً من الكلمات المحبوبة الساحرة يفسدها التحليل ويبطل أثرها التحديد . كما أن كثيراً من حقائق الاشياء يفسده ويذهب بجماله الكشف عن حقيقته وتحليله إلى عناصره · غير أننا فى هذا المقام مضطرون الى أن نحاول اجمالا تحديد معنى الديمقراطية ، لان موضوعنا يتصل بالدين . واذا اتصل الحديث بشأن من شئون الدين كان خطيراً وكان خطراً . ولذلك يجب الاحتياط فيه والحذر من استعمال الكلمات إلا اذا اتفق على معناها وكان محدداً تحديدا . فطالما كانت الكلمات المشتركة أو المبهمة مثار

(١) وهى المحاضرة التى القيت بقاعة يورت بالجامعة الاميركية بالقاهرة فى الشهر الماضى

خلاف ما كان يوجد لولا استعمال الكلمات المبهمة أو المشتركة ، والعلماء كما قلنا ما يزالون يجهدون أنفسهم فى البحث عن معنى الديمقراطية ويحاولون أن يجدوا لها حداً . وليس من غرضنا الآن ان نخوض فى غمار تلك المباحث مع الخائضين فيه من العلماء والفلاسفة ولا أن نناصر فريقا ولا أن نرجح رأياً ، وانما كل غرضنا الآن هو أن نتفق على المعنى الذى نريده من كلمة الديمقراطية حتى نجتنب الابهام فى الكلام ونتفادى كثيراً من الخلاف فى الرأى من غير سبب

ونكتفى فى هذا المقام بان نقرر أن الديمقراطية قد تستعمل أحيانا استعمالا ضيقا وقد تستعمل استعمالا واسعا . فاما معناها الضيق فهو الحكومة التى يشترك فيها أفراد الامة على النحو الذى عرفه اليونان ووضعوا له هذا الاسم « ديمقراطية » أو على النحو الذى عرفه الاوربيون وقد يسمونه الحكومة النيابية . وأما المعنى الآخر الواسع فقد عرض للديمقراطية بعد أن اتسعت مباحثها وتشعبت صورها ، فخرجت بذلك عن الدلالة على صورة معينة من صور الحكم الى الدلالة على صورة واسعة من صور الحياة الاجتماعية فى نواحى تلك الحياة السياسية والخلقية والاقتصادية ، وصارت الديمقراطية تستعمل للدلالة على نوع خاص من فلسفة الحياة . وعلى مبادىء معينة من مبادىء الاجتماع بعد أن كانت تستعمل للدلالة على نوع من أنواع الحكومة

من الصعب الآن ان نحدد بالضبط مبادىء الديمقراطية الواسعة وفلسفتها . ولكن يكفى أن نقول اجمالا ان اساس الديمقراطية بهذا المعنى هو المحافظة على حقوق الافراد وترجيح مصلحتهم الى أقصى حد ممكن

العلاقة بين الديمقراطية والدين

يكفى هذا القدر فى تحديد معنى الديمقراطية الذى نتخذه موضوعاً لحديث اليوم

فهل هناك علاقة بين الديمقراطية بأى هذين المعنيين وبين الدين أو لا ؟

لو أنك سألت أى عالم من أى دين ، بل لو أنك سألت أى انسان من أى دين هذا السؤال لوجدت عامة العلماء وعامة الناس من جميع الاديان يجيبونك من غير تردد بأن للدين علاقة بالديمقراطية . ومنشأ هذا الجواب أن الناس فى الاغلب يظنون ان من كمال الدين الذى يدينون به أن يكون ديناً قد وسع كل شئون الحياة وأحاط بها ، فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا عرض لها وأصدر فيها رأياً وقضى فيها بحكم

ومما يشجع على هذا الرأى ويسهله على انصاره ان فى كل دين قواعد عامة مختلفة فيها ما يمس المعاملات ، وفيها ما يمس العقائد وفيها مايمس السياسة ، وفيها ما يمس الاقتصاد وهلم جرا . فهذه القواعد العامة يجد فيها المتدينون مادة صالحة تطوع لهم أن يتوسعوا فى تفسيرها وتأويلها حتى لا يخرج

عنها شأن من شئون الحياة ولا باب من أبواب العلم ـ ذلك ليتم لهم ما يشتهون من تطبيق دينهم على كل شيء ، ومن جعله شاملا لكل موضوع

الأمثلة على ذلك لا تنقصنا ولا انتم تحتاجون اليها . فكلكم يعرف أن علماء المسيحية قد زعموا أن القول بكروية الارض خروج على الدين وبذلك قد جعلوا الدين حكما فى علم الجغرافيا ، وزعموا أن استعمال المخدرات فى بعض الاحوال الطبية خروج على الدين أيضاً ، وبذلك قد جعلوا الدين حكماً فى علم الطب . وكلكم تعلمون أن شيئا يقرب من هذا قد وجد فى الاسلام أيضاً . وما زال الى اليوم من يتخذون الدين معلما للفلك ومرشدا فى الطب وهاديا فى علوم السياسة الاقتصادية

مهما يكن من أمر هذا الرأى فهو كما قلنا مذهب العدد الاوفر من أهل الاديان . ولا يسعنا الآن الا أن نحترم لاهل هذا الرأى كثرتهم وأن نقدر مافيه من بحث ونظر . ولا يسعنا فى هذا المقام الا أن ننزل عند هذا الرأى وأن نقرر مع اصحابه ان هناك علاقة بين الديمقراطية والدين ولننتقل بعد ذلك إلى البحث فيما عسى أن تكون عليه هذه العلاقة بينهما ، فهل هما خصمان أو صديقان أو بين بين ؟ ـ من الراجح أن دينا من الاديان التى نعرفها لم يتكلم عن الديمقراطية ولم يأت فيها بقول صريح ، اللهم الا أن تكون بعض الاديان الحديثة كالبهائية والاحمدية ، ولكن البهائية والاحمدية وما أشبههما لم يبلغا بعد أن يكونا دينين من الاديان العامة التى ينبغى اعتبارها والتحدث عنها فى هذا المقال . وحسبنا من الأديان ما قبل دين البهائية والاحمدية

وإذا لم يكن هناك نص دينى صريح فى شأن الديمقراطية ، فلا سبيل لنا الى تحديد علاقة الدين بالديمقراطية إلا من طريق التوسع فى البحث والاستنتاج . ونحن اذا أردنا أن نحدد العلاقة بين الدين والديمقراطية من طريق البحث والاستنتاج ، وجدنا صعوبة قد لايسهل التغلب عليها ، ووجدنا اضطرابا قدلا يسهل التوفيق بينه

نحن نستطيع أن نبحث عن تحديد هذه العلاقة على ضوء التاريخ ، فذلك باب من أبواب البحث العلمى ، ونستطيع أن نبحث عن تحديد هذه العلاقة على ضوء ماورد فى الاديان من المبادىء والقواعد العامة فهذا باب ثان وفى كلا البابين لا يخلو الأمر كما قلنا من صعوبة واضطراب :

من الوجهة التاريخية نجد أن عامة الحكومات المستبدة التى قامت فى العالم كانت تسير جنبا إلى جنب مع الدين وباسمه وتحت ظلاله . والأمثلة على ذلك لا تنقصنا ولا أنتم تحتاجون اليها . فن ابشع ماوعى التاريخ من ظلم الحكومات ما فعله ملوك الاسبانيول مع المسلمين فى الاندلس ، وكان ذلك ظلما صارخا ينظم باسم المسيحية وبايدى المسيحيين ، وكذلك كان بعض سلاطين المسلمين يبغون فى الارض فسادا ويضطهدون الناس باسم الاسلام وتحت سمع المسلمين وبصرهم

قد يكون معنى هذا أن الدين نصير الاستبداد وركنه وأساسه ، فيكون بذلك خصما لدوداً للديمقراطية ، ولكن يمنعنا من هذا الاستنتاج أننا نرى فى التاريخ أيضا حكومات ديمقراطية بالمعنى

الحقيق للكلمة ، وهى مع ذلك تستند إلى الدين وتستظل برايته . فهنالك أمريكا وهى من أرقى الامم وأعرقها ديمقراطية ، وهى مع ذلك دولة متدينة وأهلها أهل حماسة فى الدين قد يصل الى درجة التعصب . وهنالك انجلترا كذلك أمة ديمقراطية ودينية . . قد يكون معنى ذلك أيضا أن الدين نصير للديمقراطية وانه ركن لها وسند ، ولكن يمنع من ذلك الاستنتاج أن هنالك امما أخرى تسود فيها الديمقراطية من غير أن يكون لها دين . ومثالنا على ذلك حكومة فرنسا التى تقول انها حكومة لادينية وهى مع ذلك ديمقراطية . ومن هذا القبيل حكومة روسيا السوفيتية فانها ديمقراطية ولادينية

اذاً فنحن نرى على ضوء التجارب التاريخية أن الديمقراطية تعيش أحيانا وتقوى مع الدين وبغير الدين ، كما أن الحكم المطلق يعيش ويقوى بدين أحيانا وبغير دين أحيانا . أما ان الحكم المطلق يعيش مع الدين فقد سبق الكلام عنه والتمثيل له . واما أن الحكم المطلق يعيش ويقوى من غير دين فأقرب الأمثلة له تركيا الحديثة ، فالحكومة فيها مطلقة وهى تزعم كما تزعم فرنسا انه لادين لها . وانما اعتبرنا تركيا حكومة مطلقة برغم أنها تعتبر نفسها حكومة جمهورية كفرنسا أو كحكومة روسيا السوفيتية لملاحظات وتقديرات ليس المقام مقام الحديث عنها

والخلاصة انه مهما يكن من أمر فانه لايمكن مطلقا لباحث يريد أن يبنى حكمه على حوادث التاريخ أن يحكم حكما قاطعاً بأن الديمقراطية كانت فى التاريخ عدواً للدين دائماً ، ولا أنها كانت فى التاريخ صديقا للدين دائما . فذلك بيان ماقلنا من ان الاستنتاج فى هذه المسألة صعب ومضطرب

هل الديمقراطية تنافى روح الدين ؟

فلننتقل الآن الى البحث فى المسألة من الوجهة النظرية : فهل فى مبادىء الأديان وفلسفتها وروحها ما ينافى مبادىء الديمقراطية وفلسفتها وروحها ؟ وهل فى النظام الحكومى فى الدين ماينافى نظام الحكومة الديمقراطية أولا ؟ . . هنالك من الدينيين خصوم للديمقراطية كثير ، وهناك من الديمقراطيين خصوم للدين كثير ، وقد يستطيع هؤلاء وهؤلاء أن يجدوا مجالا لتفسير العلاقة بين الدين والديمقراطية على وجه يقتضى استحكام العداوة بينهما

الاديان كلها تعترف بالرق وتنزل الارقاء دون منزلة الاحرار . وقد يكون ظاهراً أن مبدأ الرق لايتفق كل الاتفاق وروح الديمقراطية الكاملة ومبادئها ، وان كان اليونان انفسهم وهم أول من أوجد الحكم الديمقراطى قد اعترفوا بالرق وما يزوا بين الاحرار والارقاء . الاديان كلها أيضا تفرق بين الرجل والمرأة من بعض الجهات وفى بعض الاحكام ، وقد يكون ذلك مما لا يتمشى مع الديمقراطية الكاملة أيضا . ثم إن المسيحية قد انشأت نوعا من الحكم والسلطان خصت به طوائف معينة من رجال الدين لا يستطيع غيرهم أن يشاركهم فيه وهذا ليس ديمقراطية . وقد وجد فى الاسلام أيضا بعض ما يقتضى تفضيل طائفة على طائفة وتمييزها بالحكم . وقد يكون من أمثلة ذلك

الحديث : « فأنا خيار من خيار » وحديث : « الأئمة من قريش » وكل ذلك ليس ديمقراطيا ــ ذلك ما قد يقوله خصوم الديمقراطية من الدينيين وخصوم الدين من الديمقراطيين . فأما أصدقاء الدين والديمقراطية فقد يستطيعون أن يجدوا مجالا لتفسير العلاقة بين الدين والديمقراطية على وجه يقتضي استحكام المودة بينهما ، فمن المبادىء التي اجمعت عليها الاديان أن الناس عند الله سواء وهذا أساس قوي من أسس الديمقراطية وباب واسع من أبوابها . والاديان كلها تدعو الى بسط العدالة بين الناس وهذه العدالة التي تقوم عليها دعوة الاديان هي سر الديمقراطية وروحها

والاسلام بنوع خاص قد تميز بتقرير حق الامة في الحكم ، وهو الذي قضى بأن يكون أمر المسلمين شورى بينهم ، وهو الذي صرح علماؤه تصريحا واضحا قاطعا بأن الحكام ليسوا في الحكم الا نائبين عن الامة التي هي صاحبة الحق في الحكم . ولعمري مهما قال في الديمقراطية القائلون ومهما جهد العلماء والباحثون في تحديد معناها واكتناه سرها فما هم بواجدين للديمقراطية معنى أدق من هذا المعنى الاسلامي ولا سراً أكمل من هذا الذي قرره علماء الاسلام

ونتيجة ذلك أننا إذا بحثنا المسألة من الوجهة النظرية لم نستطع أيضاً أن نحكم حكما قاطعا بأن الدين عدو للديمقراطية ولا ان نحكم حكما قاطعاً بأن الدين صديق للديمقراطية . وحينئذ فتحديد العلاقة بينهما على ما قد رأينا ليس أمراً ميسوراً . وكذلك ليس من الميسور أن نعرف هل يستطيع الدين أن يكون عاملا من عوامل انتشار الديمقراطية ونجاحها أو لا يستطيع ، فقد رأينا مما سبق ان الدين قد يستخدم أحياناً سلاحاً في يد الديمقراطية وقد يستخدم أحياناً سلاحا في يد الاستبداد. ليس هذا الذي تشاهدون من اضطراب وابهام في تحديد علاقة الدين بالديمقراطية خاصاً بهذا الموضوع . بل ان ذلك هو الشأن في كثير من المواضع التي يؤخذ فيها الدين بشيء من التوسع ، بل ذلك هو الشأن في كل موضع أريد فيه تفسير الدين وتأويله على طريقة تذهب بحدود الدين الى أبعد مدى وتحمله أقصى ما يمكن لنصوصه أن تحتمل

ولقد رأيتم أننا منذ الاول في هذه المحاضرة قد جرينا على رأي أولئك الذين يريدون أن يأخذوا الدين واسعا الى أوسع الحدود وأن يؤولوه الى أبعد مذاهب التأويل ويحملوه أقصى ما يستطيع ان يحتمل ،فان الذين يريدون أن يقرروا أن بين الدين والديمقراطية علاقة تامة انما ينحون ذلك المنحى الذي يرمي الى التوسع في الدين والتزيد في تفسيره وتأويله . والشأن دائماً مع أنصار هذه الطريقة أن ينتهوا الى أبواب من الخلاف والى أنواع من التناقض لا تعرف لها نهاية

مذهب التفرقة بين الدين والديمقراطية

والآن نجد أن البحث قد انساق بطبيعته إلى التحدث عن مذهب آخر من مذاهب أهل الاديان أيضا ، وهو يقابل تماما ذلك المذهب الذي حدثناكم عنه ــ هناك في مقابلة أهل الاديان الذين

يميلون الى التوسع والتزيد فى فهم الدين ، طائفة أخرى من أهل الاديان وعلمائها أيضا يميلون عكس ذلك الميل ، ويحبون أن يأخذوا دينهم أخذاً ضيقا فلا يتوسعوا فى حدوده الى أبعد ما ينبغى أن تقف عنده حدود الدين ، ولا يحبوا أن يتأولوا فى نصوصه ولا فى معانيه بأكثر مما ينتظم الاغراض الدينية ويتعلق بها

هذا النوع من التفكير الدينى قد وجد فى المسيحية منذ أمد غير قريب وقد لعب فى تاريخ المسيحية دوراً كبيراً حتى أصبح هذا الرأى هو صاحب الاثر الاقوى فى الدين المسيحى وهوصاحب اليد العليا فى حياة أكثر الامم المسيحية . ويكاد انصار هذا الرأى يبالغون فى تطبيقه أحياناً حتى يصل الامر الى العدوان على بعض الحدود الدينية التى ينبغى أن تبقى داخل دائرة الدين . ولقد استقر اليوم نظام الامم المسيحية الى حد كبير على التمييز تمييزاً واضحا بين ما لله وما لقيصر ، بين ما للدين وما لغير الدين . وكادت تطرد حياتهم فى جميع مناحيها العلمية والسياسية والاقتصادية والاخلاقية على هذا النظام . أما الاسلام فقد وجد فيه هذا الرأى ايضا غير أنه لم يستحكم كما استحكم فى المسيحية ولم يبلغ أشده كما بلغ فى المسيحية . ظهر هـذا الرأى فى الاسلام منذ عهد قريب فى صورة مذهب حديث . ولعله فى واقع الامر لم يكن مذهبا فى الاسلام حديثا ، ولكنه ما يزال على كل حال رأيا لما يرتفع النداء به عالياً ولما تذهب الدعوة اليه بعيداً

خلاصة هذا المذهب سواء فى المسيحية أو فى الاسلام أنه ينبغى أن يقتصر فى الدين على حدوده الثابتة التى لاريب فيها ومعالمه الواضحة التى لا شبهة فيها . وأما ما خرج عن ذلك فليس من الدين ولا ينبغى أن يكون للدين عليه سلطان ، وبذلك يخرج عن حدود الدين وسلطانه أكثر مايمس شئون هذه الحياة الدنيا من علوم وأنظمة فى السياسة وفى الادارة وفى الاقتصاد وفى غيرها. وبذلك يخرج أيضا من حدود الدين ومباحثه كل ما يتعلق بنظام الحكم فى الامم فانما ذلك عمل من أعمال البشر التى لا يخضعون فيها إلا الى وحى عقولهم وتجاربهم . فاما الدين فانه لا علاقة له بها الا من وجه عام ومن مكان بعيد

اذا نحن أردنا ان نتخذ هذا المذهب أساسا للبحث عن الدين والديمقراطية ، وإذا نحن القينا على أنصار هذا المذهب تلك الاسئلة التى عالجناها من قبل فى هذه المحاضرة على طريقة المتوسعين فى الدين ، وجدنا أجوبتهم مخالفة تمام المخالفة لما سمعناه من قبل ، فاذا سألناهم : هل توجد علاقة بين الديمقراطية والدين ؟ لجوابهم الحاضر : أنه لا علاقة بينهما مطلقا ، فللدين حدود ولأنظمة الحكم والسياسة حدود مباينة . فذلك هو السؤال الاول من الاسئلة التى عالجناها . وبعد هـذا الجواب لا نجد محلا للسؤال الثانى ـ وهو : ماهى نوع العلاقة التى توجد بين الديمقراطية والدين ؟ ـ لانه لا علاقة بينهما من أى نوع. فاذا نحن القينا عليهم السؤالين الباقيين ـ وهما : هل يستطيع الدين أن يكون عاملا من عوامل انتشار الديمقراطية ونجاحها أو لا ؟ ثم : إذا كان يستطيع الدين أن يكون

عاملا من عوامل انتشار الديمقراطية ونجاحها فما هى طريقة الانتفاع به فى ذلك واتخاذه وسيلة لهذه الغاية؟ — كان جوابهم عن هذين السؤالين أن الدين والديمقراطية قد يكونان أحيانا خصمين وقد يكونان صديقين تبعا لمصلحة كل منهما وظروف كل منهما، كما قد تكون دولتان متجاورتان أو متباعدتان صديقتين أو عدوتين تبعاً للمصالح ولظروف الاحوال. فاما الدين من حيث هو دين، وأما الديمقراطية من حيث هى ديمقراطية فلا ينبغى أن يكون بينهما عداوة ولا صداقة

ولعل أحسن طريقة فى نظر أصحاب هذا الرأى يستطيع الدين أن يخدم بها الديمقراطية وتستطيع الديمقراطية أن تخدم بها الدين، هى أن يعرف كل منهما ميدانه الخاص به، وأن يلزم كل منهما حدود ميدانه، فلا يتجاوزها ولا يتعدى على حدود صاحبه، فبذلك يستقر بينهما الأمن ويستمر السلام

قد عرفتم أن السبب الاول الذى دعا أنصار التوسع فى الدين إلى ذلك المذهب انما هو ظنهم أن من كمال الدين أن يكون قد وسع كل شئون الحياة، وأحاط بها فلن يغادر صغيرة ولا كبيرة الا عرض لها وأصدر فيها رأياً وقضى فيهـا بحكم، فاعلموا الآن أن السبب الأول الذى دعا أنصار التشدد فى الدين وتضييق حدوده إلى هذا المذهب انما هو نفس السبب الذى دعا خصومهم إلى مذهب التوسع فى الدين. فهؤلاء يظنون كما يظن أولئك أن من كمال الدين أن يقتصر على ما نزل به الوحى من السماء وأن يقف عند كلمات الله الواضحة التى لا يعتورها ابهام ولا لبس وأن يترك لعقول البشر وتجاربهم ما ترك الله لها، وأن يربط أنظمة الحياة وشئون الجماعات والأفراد برباط المصالح التى تتقلب بتقلب الظروف. فمن كمال الدين عندهم أن يكون ثابتا لا يتقلب وعاما لا يتقيد ومطردا لا يتذبذب، ومن كمال الدين عندهم لأجل ذلك أن يكون بعيداً عما هو عرضة دائماً للتقلب والتذبذب، فذلك منشأ هذا المذهب وأساسه، وليس هو كما يبدو لكثير من الناس انكارا للدين ولا جحوداً لفضله، بل الواقع أن كلا المذهبين —مذهب التوسع فى الدين ومذهب التشدد فيه— يقوم على عقيدة واحدة هى الايمان بالله والوفاء لدينه وكلاهما يصدر عن منبع واحد هو الرغبة فى حماية الدين والحرص على مجده وكرامته، فكلا المذهبين جدير بالتقدير، وكلا المذهبين جدير برضا الله

هاتان طريقتان للبحث فى الموضوع ونرجو أن تثقوا بأننا قد توخينا فى بسط هاتين الطريقتين أن نتجنب بقدر المستطاع أى كلمة أو أى نزعة يمكن أن تكون أثراً من آثار مناصرة احدى هاتين الطريقتين والرغبة فى الترجيح بينهما، ذلك لاننا نريد أن يكون موقفنا الآن موقف الناقل الذى يشرح الأمور كما هى من غير تحيز لرأيه ومن غير تعصب لما يميل اليه. نكتفى بذلك الآن ولا نريد أن ننصر رأيا على رأى ولا مذهباً على مذهب، فانما اليكم وحدكم أن تنظروا وتوازنوا بين تلك الطرائق المختلفة وترجحوا منها ما تختارون. وعند هـذا الحد أختم القول شاكراً لـكم، راجيا من الله تعالى أن يوفقنا جميعا إلى الصواب، وأن يهدينا الصراط المستقيم

التفاؤل والتشاؤم
في علم النفس الحديث

بقلم الاستاذ محمد مظهر سعيد

تستطيع أن تعرف نفسك هل انت متفائل أو متشائم اذا قرأت هذا المقال . فقد بحث الاستاذ محمد مظهر سعيد استاذ علم النفس بمعهد التربية الموضوع من الناحية السيكولوجية ، ونقل عن بعض علماء النفس مقياسا دقيقا للتفاؤل والتشاؤم يستطيع كل فرد أن يطبقه على نفسه ليقف على حقيقته ويحدد نزعته النفسية في الحياة ، وهي تلك النزعة التي لها تأثير في جميع أعماله

نستطيع أن نلخص حياة كل انسان ـ طالت أو قصرت ـ فى كلمات ثلاث : الماضى ، والحاضر ، والمستقبل . وما هذه الأدوار الثلاثة إلا حلقات متماسكة الاطراف فى سلسلة الحياة ، فالانسان بالضرورة يبنى حاضره على انقاض ماضيه ، وينظر إلى مستقبله فى ضوء حاضره ، وهو فى كل هذا مقيد بطبيعته الموروثة وتجاربه المكتسبة ، ومقدار جهده أو نصيبه من الثقافة والعلم ، وبيئته التى يخالطها وبيئته الذى نشأ فيه ، وفوق هذا كله مزاجه ونفسيته اللذين هما نتيجة مباشرة لتفاعل كل هذه العوامل

ولذلك تجد من الناس من ينظر الى مستقبله نظرة الثقة والاطمئنان . فهو المتفائل المستبشر الذى يعيش فى نور الأمل أو يرقب الشمس من وراء الغمام . ومنهم من تمكس الحياة على نفسيته ظلا قاتما فلا يثق فيها بأحد ولا يرى شيئا غير الشر . فهو المتشائم المنقبض الذى يعيش فى ظلام اليأس . ومنهم من هو بين بين ، يتخذ لنفسه مركزاً وسطا لا تطرف فيه ولا مغالاة . تدفعه سفينة الحياة كما تدفعه . فتارة يرجو الخير فينشرح ، وتارة يرقب الشر فيغتم

ولا أريد أن ألتوى بك فى طريق الفلسفة فأحدثك عن الفلاسفة والشعراء والكتاب الذين تطبعهم آثارهم بطابع اليأس كالمعرى وروسو وهارتمان وشوبنهاور من غلاة المتشائمين ، أو الذين عرفوا بين الناس بالأمل والمرح والاستخفاف كالخيام وأبى نواس وابيقور من أئمة المتفائلين . ولا أعرج بك على الديانات والمذاهب الخلقية التى تعتبر الدنيا شراً يجب التكفير عنه بالتعذيب ، والتى تجعل الخير فى مقدور الانسان اذا سلك سواء السبيل والشر مآله اذا ضل الطريق ، فيعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً ، ويعمل لآخرته كأنه يموت غداً ، ولا أثقل عليك بشرح ما لهذه النظرات المتباينة من أثر فى توجيه سلوك الفرد ونظام الجماعات ، وانما أنا أريد أن أحدثك من الناحية السيكولوجية عن هاتين الشخصيتين المتطرفتين المتفائلة والمتشائمة ـ وأرشدك الى تشخيصهما فى الناس وفى نفسك ، لترى أين أنت منهما وكيف تكون

ولا يكفيني أن أقول مع القائلين بأن التفاؤل هو أن يطمئن الانسان الى الخير فى حاضره ويؤمله فى مستقبله ، وأن التشاؤم ـ على النقيض ـ هو أن يعتقد الانسان بسيادة الشر على الخير فيتوقعه . فتلك فى الواقع نظرة ضيقة ، لو اقتصر الأمر فيها على الحكم على المستقبل لهان . وانما الذى يروعنى أن نجد نظرة الخير متسلطة على شخصية المتفائل ، تتحكم فى سلوكه ونزعاته ، وتسيطر على أموره وتصرفاته ، وتبدو فى كل حركة بل فى كل لفتة واشارة من حركاته واشاراته

فالمتفائل يسير فى حياته متذرعا بالصبر لا يشكو ولا يتبرم ، متحليا بالقناعة لايكفر بالنعمة ان زادت ولا يتحسر عليها ان زالت ، متكلا على الله يستسلم له فى ضرائه ويشكر له نعماءه فى سرائه . ثم هو ينشر السلام والصفاء بين الناس أينما حل فيسرى عنهم همومهم اذا ضاقت بها صدورهم ، ويتمسك بأهداب الأمل اذا لاحت له منه بارقة ، ويحمد الدنيا ولو ناء بارزائها ويستخف بالمسئولية ولو أثقلته اعباؤها . وهو فوق هذا كله يصفح وينسى ولا يحمل للدنيا هما

فاذا كلفك بأمر تنبأ لك بالتوفيق فيه : « روح ـ الله يسهل لك الأمور ـ الله يجعلها خضرة فى وشك ـ الله يهيىء لك أولاد الحلال » واذا دعا لك فانما بالخير بدلا من أن يشير الى احتمال وقوع الشر : « الله يجعلك مسعد . الله يقضى حاجتك » واذا سألته عن حاله قال : « الاشياء معدن . الدنيا بخير . الحمد لله على الصحة والعافية » واذا وقع فى خطر تخشى عاقبته : « خليها على الله . ياسيدى أهى ماشيه بالبركه . العمر واحد والرب واحد . مايأخد الروح إلا خالقها . ماضاقت إلا فرجت » . واذا أشرت الى ضيق ذات يده أبى إلا أن يوهمك بأنه سعيد : « ألحس مسنى وأبات مهنى . حمارتك العرجة ولا سؤال اللئيم . يوم عسل ويوم بصل » . واذا شاهد مكروها يقع لانسان : « تعيش وتاخد غيرها . علقه وتفوت ما حد يموت . جت العواقب سليمه . قدر ولطف . معلهش » وللمغضب الحانق : « هدى خلقك ما تزعلش . حد واخد من الدنيا حاجه ؟ ما فيش أحسن من المعروف »

أما صاحبنا المتشائم فعلى نقيضه يتصور الشر حيث لا شر ويرقب الضر فيما ليس فيه ضر . يخاف من كل عمل يقدم عليه . فلا تقع عينه إلا على سيئات الحياة وسوآت الناس ، يتبرم بالدنيا ولو كان غارقا فى نعيمها ، وتراه لايفتر عن تذكير نفسه بسيئات الماضى وتحذير الناس من الوقوع فى الخطر وينذرهم بسوء المصير اذا أساءوا التقدير ، ويرتضى لنفسه منظاراً اسود يضعه على عينه فلا يرى فى الحياة إلا سواداً فى سواد ، وتظلم نفسه ونفوس من حوله . فاذا سألته عن حاله قال : « مش ولا بد . هى الدنيا فيها راحة ؟ اللى ماتوا ارتاحوا » واذا كلفك بحاجة تقضيها له : « حاسب لتقع بص كويس . اوعى ولاد الحرام » واذا أعطاك مالا تؤديه عنه : « حط ايدك على جيبك . أوعى يسرقوك » واذا رأى مكروها يقع لانسان : « يستاهل . ما كان فى حاله . الحق عليه . من قال له يفعل كده ؟ عقله كان فى راسه » . وما أسمجه وأبرده حين يراك تأكل فينبهك

بما يفقد شهيتك : « كل على مهلك . حاسب لاتزور » أو يقدم لك شيئاً تشربه : « على مهلك . حاسب لاينداق » . واذا رأى انسانا يقصد القطار ولديه متسع من الوقت أنذره : « طير حتى لايفوتك القطار »

وهكذا من سلسلة الانذارات التى لاتنتهى فى كل أمر من أمور الحياة : « اوعى البياع يشطر عليك . اوعى المحامى يضحك عليك . اياك ما تعملش الشىء الفلانى . أحسن فلان ياخد على خاطره منك . خد الشمسية أحسن الدنيا تمطر . خد البالطو أحسن الدنيا تبرد . خايف أخرج آخد برد . خايف لا الرئيس يزعل . خايف آكل يجى لى مغص . اصحى بدرى أحسن تتأخر . حاسب لتدوس على رجلى . خايف الجواب يضيع فى البوسته » الى آخر هذه المخاوف والانذارات وتوقع الشر وعدم الثقة بالناس وتهيب المسئولية وتصور المرض وتقدير البلاء قبل أن يقع

وقد عنى علماء النفس بوضع مقاييس مقننة مضبوطة لفحص الشخصية وتحديد أنواعها وتشخيص مبلغ شذوذها . وأقربها مساسا بموضوع التفاؤل والتشاؤم هو مقياس نيمان - كوهلشتت الذى وضعاه للشخصية الممتدة المتفائلة والشخصية المنكمشة المتشائمة

فصاحب الشخصية الأولى يتميز بما يأتى :

١ - يفكر دائما فى النواحى السارة من الحياة
٢ - يثق بالناس ثقة كبيرة
٣ - يحب أن يشتغل وحوله جماعة من الناس
٤ - يتمتع بالمجتمعات لمجرد وجوده مع الجماعة
٥ - يقبل المقترحات بدلا من ان يفكر فيها هو
٦ - يمل العمل المتعب
٧ - قلما يحلل أفكاره ودوافعه
٨ - يحب أن يشاهده الناس وهو يعمل ما يحسنه
٩ - يشجعه مديح الناس على العمل
١٠ - يميل الى الأمور المهيجة غير الحادثة
١١ - يرأس المجتمعات
١٢ - يخطب الجماهير
١٣ - يعمل بسرعة بدلا من الابطاء والتدقيق
١٤ - يستطيع أن يعبر عن مشاعره كالحزن والفرح والغضب
١٥ - لايهتم بالتفاصيل قدر اهتمامه بجوهر الموضوع
١٦ - يخالط الناس بحرية ولو خالفوه فى الرأى

١٧ ـ ينفذ مقترحات الناس ولا يقف للتفكير فيها
١٨ ـ يتلذذ بموضوع القصة أو الأدب أكثر من أسلوبهما
١٩ ـ يتصرف بوحي الساعة
٢٠ ـ يكره التفكير فى الأمور الخاصة به
٢١ ـ يتنقل بسرعة من عمل لآخر
٢٢ ـ يبوح بأسراره للناس
٢٣ ـ يدرس شخصيات الناس أكثر مما يدرس نفسه
٢٤ ـ يغير رأيه بسهولة ولو بعد تكوينه
٢٥ ـ يشترك اشتراكا فعلياً فيما يدور حوله من مناقشات
٢٦ ـ لايحب أن ينفرد بنفسه كثيراً
٢٧ ـ لايكون دائما هادئا
٢٨ ـ لايفكر ولا يتنبأ بما سيفعله فى عدة أعوام مقبلة
٢٩ ـ لا ينفر من المجتمعات
٣٠ ـ لايستمر فى عمل واحد طول الوقت
٣١ ـ لايفكر كثيراً قبل أن يصمم على أمر
٣٢ ـ لايميل الى أنواع التسلية الهادئة
٣٣ ـ لا يكره مراقبة الناس له وهو يعمل
٣٤ ـ لايستسلم لأحلام النهار والتخيلات
٣٥ ـ لاينسى نفسه ويخرج عن حده وقت الغضب
٣٦ ـ لايتأمل أو يفكر كثيراً فى الأمور الخاصة به
٣٧ ـ لاينفذ الاشياء التى يحلم بها أو يتخيلها
٣٨ ـ لايميل الى تقليد الكتاب الاجتماعيين ويقتبس منهم فى خطاباته
٣٩ ـ لايطيل التفكير كثيراً
٤٠ ـ لايتحفظ فى مقابلة الناس
٤١ ـ لايميل الى الاحاجى والفوازير والامور المعقدة التفكير
٤٢ ـ لايفضل الامور النظرية على العملية
٤٣ ـ لايعنى بتدوين يومياته فى مذكرة
٤٤ ـ لايلزم الصمت فى المجتمع
٤٥ ـ لايفكر فى عمله قبل أن يبدأه

٤٦ - يفضل أن يواجه المتاعب بدلا من تجنبها

٤٧ - لايصدق الاشاعات

٤٨ - يثق بالناس قبل أن يعرفهم معرفة صحيحة

٤٩ - لايميل الى قضاء إجازاته فى الأمكنة الهادئة

٥٠ - يميل الى الانفاق أكثر من الادخار

وما عليك الآن إلا أن تعيد تلاوة هذه المميزات وترى ماينطبق منها عليك ومالا ينطبق وتصدق فى حكمك ولا تغش نفسك . وتجيب عن كل نقطة (بنعم) إن كانت تتوفر فيك أو (لا) اذا لم تكن . وتعطى لكل « نعم » درجة واحدة موجبة أى « + ١ » وكل « لا » درجة سالبة أى « - ١ » ثم تجمع هذه الدرجات جميعاً جبرياً فتدلك درجتك النهائية على نوع شخصيتك ودرجة قربك أو بعدك عن التفاؤل أو التشاؤم المطلق ، فان كانت اجاباتك كلها « نعم » أى درجتك « + ٥٠ » فانت المتفائل بعينه أو بالعكس « - ٥٠ » تكون المتشائم بعينه وان كانت درجتك « صفرا » تكون أنت انسانا عادياً بين بين . وهكذا

ولعلك الآن تنتظر منى أن أفاضل لك بينهما مادمت لاترى أن كل عناصر التفاؤل خير ولا كل عناصر التشاؤم شر . لان الثقة بالناس عند المتفائل وقبول آرائهم والعمل بها بدون مراجعة أو تفكير قد يوقع المرء فى الضرر البالغ ، ما دام الناس أشراراً يستغلون هذه الثقة وسلامة النية لمصلحتهم . والتصرف بوحى الساعة وعدم الاهتمام بالتفاصيل من دلائل التسرع ، والميل الى اللهو والتفكير فى مسرات الحياة مضيعة للوقت ، والرغبة فى رياسة الجماعات ومحاضرتهم والخطابة فيهم فيها الشيء الكثير من الغرور

كما أن حب العزلة والانفراد والنفور من المجتمعات ومقابلة الناس بالتحفظ وعدم الثقة يجعل المتشائم فى مأمن من شرهم ، والتفكير فى الامور قبل تنفيذها والتردد فى قبول الاشاعات قبل أن تتحقق دليل على الرزانة والعقل ، ولكن مع هذا فسيئات المتفائل الظاهرة لاتعكر عليه صفاء نفسه ، وحسنات المتشائم الظاهرة لاتلطف من نظرته القاتمة للحياة ، فهو يدفع ثمن حرصه ورزانته على حساب اختلال أعصابه وضيق صدره والوساوس التى تأكل قلبه . ومهما نال الاول من أذى الناس وشرهم واستغلالهم لطيبته فلطف طبيعته وصفاء نفسه ينسيه الالم . ومهما جنى الثانى من ثمار تحفظه وعزلته فسواد منظاره يمنعه من التمتع بجمال الحياة . والخير لابد أن يسود مهما دفع الانسان فى سبيل الحصول عليه من ثمن . ولذلك انا أفضل التفاؤل وأرجو أن أكون متفائلا وأن أظل لذلك الى آخر العمر

محمد مظهر سعيد

أستاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية أصول الدين

ماذا كان يلبس الفراعنة
وكيف تطورت ازياؤهم

بقلم الدكتور حسن كمال

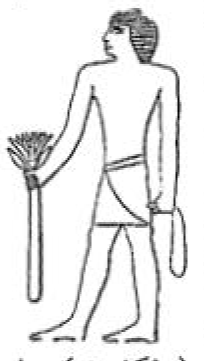
المعروف أن الفنون الجميلة والرياضة واللغة وكثيراً من الأحوال الاجتماعية في العهد الفرعوني حافظت على جوهرها مدى التاريخ القديم على الرغم من طول المدة وتقلبات الدهر وتعدد الغزاة وتباين الحكومات . لكن هناك قليلا من الشعائر الوطنية تأثرت بهذه المؤثرات وتنوعت مع الوقت والاختلاط وتطورت مع الثروة والعلم . وأهم هذه هو الملبس ، شعار القوم أينما ذهبوا وحيثما وجدوا

والمعروف عن المصري في عهد المملكة القديمة (٣٢٠٠ - ٢٢٧٠ ق . م) أنه كان يرتدي لباساً قصيراً يستر به عورته يبدأ من الخاصرة حتى أعلى الركبة . أما في عهد المملكة الوسطى (٢١٠٠ - ١٧٠٠ ق . م) فيشاهد أنه أضاف رداء آخر كان يلبسه فوق المذكور آنفاً كاسياً إياه وواصلا الى منتصف الساق . ولما أتى زمن المملكة الحديثة (١٥٥٥ - ٧١٢ ق . م) زاد المصري في حجم ملبسه حتى كسا صدره وساقيه . ويلاحظ أن تغيير الملبس في تلك العصور الطويلة لم يقتصر على هذه الوجهات فقط بل شمل غيرها . فبينما نجد اللباس في بعض الأحيان قصيراً ضيقاً نراه في أخرى واسعاً بوضوح ويشاهد في غيرها مطوقا للجسم بشكل جذاب . وتمتاز الثياب الملكية عادة عن ثياب الامراء والكبراء . كما تمتاز ثياب العظماء والوجهاء عن ثياب موظفيهم وخدمهم الذين يرتدون عادة ملابس تشبه ملابس العمال كالرعاة والبحارة . أما طائفتا الجنود والكهنة فكان لكل منهما زي خاص يميزهما عن بعضهما وعن الغير . وكثيراً ما كان الصغار يتشبهون بالكبار في زيهم شأن كل زمان ومكان . لذلك اضطر العظماء بين حين وآخر أن يغيروا في زيهم جهد الطاقة ليحافظوا على مكانتهم الاجتماعية . وهذا هو سر تغير الأزياء بين حين وآخر المعروف عند عامتنا (بالموضة) وهذا هو أيضا السبب في تعميم الزي الملكي في أواخر الأسرة الخامسة (٢٧٥٠ - ٢٦٢٥٠ ق . م) بين الأمراء والعظماء حتى انتقل زي الملك سنفرو (٢٩٠٠ ق . م) تدريجا الى الرعية واضحى مستعملا بين موظفي القصر وغيرهم

وهناك ظروف تحتم على الشخص أن يغير في ملبسه . خذ مثلا كبر السن فانه يدفع المسن الى زيادة تدفئة الجسم والمحافظة عليه من تقلبات الجو فيجعل من العنق حتى الكعبين ، بخلاف الشباب الذي يكتفي بالقليل والقصير من الثياب لان دورته الدموية ومقاومته للامراض

أقوى منهما فى الشيوخ . كذلك مقابلات الملوك تتطلب هنداماً فى الملبس لا يتوافر فى الملابس الخلوية أو المنزلية المعتادة .من ذلك يتضح للقارىء طول هذا الموضوع وتشعب فروعة حتى يكاد يستحيل الالمام بها كلها فى بحث واحد . ولهذا سأقتصر على ذكر أهم تغيرات الزى المصرى القديم

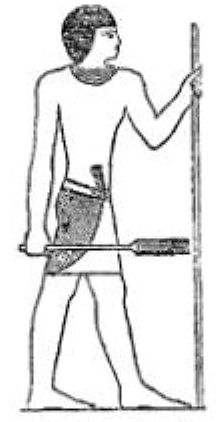
ففى فجر التاريخ نجد المصرى يستر جسمه وبدقئه بفراء الحيوانات شأن كل انسان فى بداية مدنيته . فكان المصريون يستعملون فراء الفهود لباساً لهم ولزوجاتهم فى عهد المملكة القديمة (٣٢٠٠ - ٢٢٧٠ ق . م) . وهذا النوع من الثياب حافظت عليه طائفة الكهنة مدى التاريخ الفرعونى تخليداً لذكرى العهد القديم . بعد ذلك بدأ المصرى يلبس منطقة حول الخاصرة مثبتاً بها من الامام كيس يستر العورة . أما النساء فكن يسترن أجسامهن بملاءة . ثم ظهر اللباس القصير الذى حافظ الرجل على استعماله مدى التاريخ (شكل رقم ١) ويستدل من تجعدات هذا اللباس أو خطوطه الرأسية المنقوشة على الآثار أنه يحتمل أن يكون مصنوعاً وقتئذ من الغاب أو ألياف النخيل . ولما تعلم المصرى صناعة الكتان ظهر هذا الرداء على الآثار مرسوماً أملس ابيض اللون ومثبتاً بحزام حول الخاصرة وواصلا فى طوله الى اعلى الركبتين . وقد ابطل هذا الرداء الكتانى ما سبقه لأنه أتى بالمطلوب وزيادة لكنه بقى مستعملا فى بعض الحفلات الملكية لذكرى العهد السابق



(شكل ١) رداء بسيط من الدولة القديمة

وفى عهد الاهرام وخصوصاً فى حكم الملك (خفرع) زاد القوم لباسهم المذكور طولا وسعة بالتدريج . ثم لما أتت الاسرة السادسة فى الحكم (حوالى ٢٦٢٥ ق . م) أضاف القوم الى هذا اللباس بعض الزخارف من الخرز قصد الحلية والجمال . وفى هذا الوقت بدأ العمال من خدم وبنائين يلبسون لباساً واسعاً . لكن هناك حالات نادرة يرسم فيها الرجال مرتدين زياً طويلا ساتراً لاجسامهم من الكتفين أو الخاصرة حتى القدمين

أما ملابس الحفلات الرسمية التى كان يرتديها سراة القوم وقتئذ فكانت أقرب ما تكون من ملابس العصور الاولى من حيث القصر والالتصاق بالفخذين ، إلا أنها تمتاز بطريقة تثبيتها فى الخاصرة حيث يعمل ذلك بقفل بديع الصنع جميل المنظر مصوغ من الذهب أحياناً قصد الزينة (شكل ٢) وهناك حفلات خاصة يرتدى فيها الامراء والسراة زيادة على هذا اللباس رداء آخر عبارة عن جلد فهد رأسه ومخلباه الاماميان مرسلة الى الخلف وأسفل ومخلباه الخلفيان مثبتان بشريط طويل أعلى الكتف



(شكل ٢) رداء الاحتفالات فى عهد الدولة القديمة

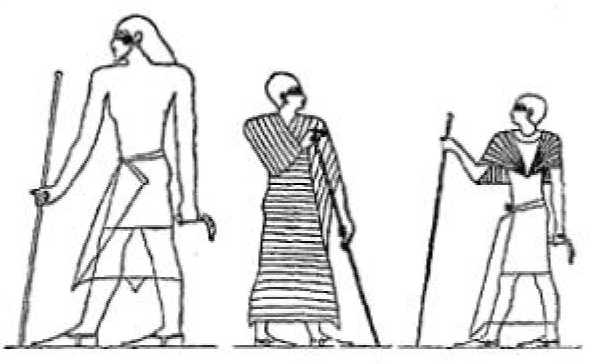


(شكل ٣) رداء بسيط من الدولة الوسطى

وفى العصور الواقعة بين عهدى الاسرة السادسة (٢٤٢٠-٢٢٧٠ ق.م) والاسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ ق.م) حافظ الزى القديم على شكله لكنه ازداد طولا فوصل الى منتصف الساق. ولما حل زمن الاسرة الثانية عشرة صنع القوم حزاماً لتثبيته حول الخاصرة. لكنهم كانوا يربطونه بشكل انشوطة جميلة بمقدم الجسم (شكل ٣) واعتاد عامة القوم أن يصنعوا هذا الزى من قماش متين. اما السراة فكانوا يصنعونه من التيل الابيض الرفيع الشفاف الذى يظهر من أجزاء الجسم أكثر مما يستر. ولما تفنن القوم فى رقة التيل اضطروا أن يلبسوا رداء آخر تحت المهلهل ستراً لعورتهم. فكان الزى الداخلى أشبه كثيراً بزى المملكة الوسطى (شكل ٤ يسار). وقد عثر فى جهة الدشة على رسوم لسراة القوم من عهد الاسرة الثانية عشرة يظهر من أحدها أن صاحبها (شكل ٤ يمين) يرتدى فوق اللباس الداخلى الساتر للعورة والثوب الخارجى المهلهل رداء ثالثا هو معطف يكسو جزء الجسم العلوى ساتراً الكتفين والعضدين والصدر. وهناك رسم آخر (شكل ٤ أوسط) يظهره مرتدياً ثوباً كاسياً لجميع جسمه تقريبا من العنق حتى القدمين. وهو ليس بالواسع. ويظهر من أمره أنه مخطط تخطيطاً أفقياً قصد الزينة وهو يذكرنا بلباس الرجال الطاعنين فى السن الذين لا يتحملون تقلبات الجو بسهولة

وفى العهد الواقع بين المملكة المتوسطة (٢٠٠٠ - ١٧٩٠ ق.م) والمملكة الحديثة ١٥٥٥-١٧١٣ ق.م) بقى الزى على حاله إلا عند الاغنياء الذين فضلوا الرجوع الى الزى البسيط السابق. أما الكهنة فحافظوا على الزى القديم تماماً. وهكذا بقيت أغلبية القوم ترتدى ثوباً مهلهلا تحته إزار ساتر للعورة

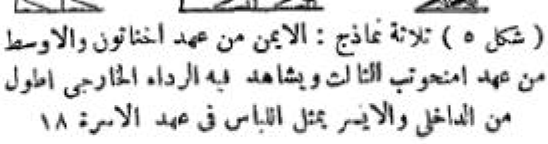
ولما حل عهد المملكة الحديثة تطورت أحوال البلاد المعاشية والاجتماعية والخلقية وتطور معها أيضا الزى مقتفيا أثرها، فانتشر بين القوم لباس القمصان القصيرة الواسعة المثبتة فى الوسط (شكل ٥ اوسط). أما الكهنة فحافظوا على زيهم القديم رغم تيار ذلك الزمان



(شكل ٤) الرسمان الايمن والاوسط يمثلان ثوبين غير اعتياديين من عهد الدولة الوسطى والرسم الايسر يمثل الرداء المزدوج

الجارف . وهكذا أصبحت ترى للذراعين فى الزى الجديد كامل الحرية فى الحركة ، لأن الجزء العلوى المضاف الى الجزء القديم لايحيط بالعضدين بل يكسوهما حتى وسطهما . وهذه هى الخطوة الاولى فى ابتكار الاكام . أما القسم السفلى من الزى فقد حافظ على جزئيه من جيل لجيل





(شكل ٥) ثلاثة نماذج : الايمن من عهد اخناتون والاوسط من عهد امنحوتب الثالث ويشاهد فيه الرداء الخارجى اطول من الداخلى والايسر يمثل اللباس فى عهد الاسرة ١٨

وبقى الازار الداخلى بلا تغيير فى حين أن الازار الخارجى أخذ يقصر تدريجاً من الامام ويزداد طولا من الخلف

وفى عهد الملك اخناتون (١٣٨١ ق . م) بدأ الازار الداخلى يزداد طولا واتساعا . أما الزى الخارجى فثنى الى أعلى وثبت طرفه السفلى عند الخاصرة ، فظهر بشكل منتفخ وجعل لهذا الزى الخارجى عدة ثنيات كبيرة الحجم . أما الازار الداخلى فكان مجعداً بشكل ثنايا صغيرة أشبه بالكشكشة ويلاحظ أن طرفى الحزام يتخذان سيراً منحدراً الى الامام فيتقابلان أسفل السرة (شكل ٥ - يمين)

وتمتاز ملابس الحفلات فى ذلك الوقت بقصر الازار الخارجى عن الداخلى وبكثرة اتساع الداخلى وزيادة تجاعيده . أما الخارجى فكان قطعة من الكتان المرسل حول العجزين تتنوع فى شكلها . فتارة تطوق العجزين وتنتهى اماما بستار قصير وطوراً تأخذ شكل إزار العصور القديمة وأحياناً تكون ملفوفة حول الجسم مرتين أو أكثر (شكل ٦)

وفى عهد الاسرة التاسعة عشرة بطل استعمال زى عهد اخناتون وفضل القوم أن يصنعوا لباسهم الخارجى أملس وأن يزيدوه طولا عما كان عليه من قبل (شكل ٧ يسار)



(شكل ٦) ثلاثة نماذج لملابس الاحتفالات فى عهد الاسرة ١٨

ولا يخفى على القارىء انا وصفنا الجزء السفلى من الزى المكون من الازارين الخارجى والداخلى وضربنا صفحا عن القسم العلوى الذى سبق أن ألمعنا اليه عند الكلام عن عهد الاسرة الثامنة عشرة . والسبب فى

ذلك أن القسم العلوى لم يلحقه تغيير منذ ابتكاره حتى عهد الاسرة العشرين حينما بدأ القوم يزيدونه سعة على المعتاد . لكن هناك نوعاً آخر من الزى شمل القسم العلوى منه وجارى النوع المعتاد فى عهد الاسرتين التاسعة عشرة والعشرين . . هذا النوع أشبه بمعطف جزؤه الخلفى ملتصق بالظهر ما أمكن وكذا جزؤه الامامى . وكان استعمال هذا النوع من الرداء مقصوراً على الملوك واشراف القوم فى الاعياد والاحتفالات (شكل ٧ يمين)

أزياء الملوك والامراء الخاصة

بجوار الازياء العادية السابقة وتطوراتها المتباينة على مدى الدهور هناك أزياء خاصة للملوك والامراء. أما أزياء الملوك الخاصة فتتلخص فى (ا) الثوب الملكى القصير الذى يرتديه فرعون مصر فى الافراح (١) (ب) الثوب الملكى المذنب والمعلق بشريط بالكتف اليسرى والمثبت بزام معه بلطة داخل جعبتها . وهذا الحزام ينتهى خلفا بذيل . هكذا كان الزى الملكى فى عهد الاسرتين الاولى والثانية (٣٢٠٠-٢٧٨٠ ق . م) . (ج) الزى الملكى المكون من ازار للعجزين والفخذين وقطعة ذات شكل مخصوص مرسلة أسفل جزء الازار الامامى وحزام الازار يحوى أنشوطة امامية منقوشاً عليها اسم الملك

(شكل ٧) الرسم الايمن من عهد الاسرة العشرين والايسر من عهد الاسرة التاسعة عشرة (الرسوم كلها عن الاستاذين ارمان ورانكه)

ويصنع الازار أحيانا من الذهب بشكل ثنيات متعددة وحينئذ يتحتم على الملك أن يلبس رداء حقيقياً أسفله

أما الزى الملكى فى عهد المملكة الحديثة فكان يختلف بطبيعة الحال بحسب الظروف التى يكون فيها فرعون مصر . ففى الظروف الكهنوتية الخاصة بالعبادة يلاحظ أن ملابس جلالته كانت قريبة جداً من ملابس رؤساء الكهنة غير انها تمتاز عنها بالازار ولباس الرأس اللذين يحتفظان بالشارات الملكية . والعادة فى الازار أن يكون مزركشاً بالرسوم البديعة وبخاصة رءوس الاسود ، وأن تكون حافته محلاة بصف من الافاعى الملكية التى تشير الى السلطان والجبروت ، وقد ينقش اسم الملك عليه وبجانبيه رسمان لثعبانين ملكيين أيضا

الدكتور حسن كمال

(١) Ermant Ranke Fig 22

المصنفات

بقلم الامير مصطفى الشهابي

نشرنا في هلال ابريل مقالا بعنوان « الانتقام » ، تفضل بترجمته العلامة الامير مصطفى الشهابي للكاتب الفرنسي الشهير (هنري لافدان) صور فيه نزق أدباء الشباب وتطاولهم على أدباء الشيوخ ، وطعنهم عليهم دون أن يفكروا بانهم سيصبحون مثلهم في يوم من الايام . . وفي هذا المقال الذي ننشره الآن يصور فيه هنري لافدان غرور الشبان ورميهم بطلب الشهرة العاجلة قبل أن ينضجوا ويقنعوا الجمهور باحقيتهم بها . وقد ترجمه الامير كما ترجم المقال السابق مع تصرف في أسماء الاعلام. ونحن نكرر أنه لا يرمي من وراء ترجمة هذين المقالين الى نصرة فريق على فريق لأنه يعتقد أنه ليس في الادب قديم وجديد ، ولا في الادباء شبان وشيب

« أحمد » له من العمر ٢٥ سنة

« علي » صديق لاحمد عمره ٢٨ سنة

«حوار بين الاثنين في بيت احمد وهو جالس أمام منصة عليها أوراق مبعثرة وكتب مختلفة»

***

علي ـ ألا تزال مكباً على العمل ؟

احمد ـ نعم

على ـ لقد أسرفت . ان لبدنك عليك حقاً

احمد ـ لا

على ـ ماذا تعمل ؟

احمد ـ أصنف كتاباً كبيراً

على ـ أهو أحد تلك الكتب التي طالما ألمعت اليها في أحاديثك معي دون أن تطلعني على موضوعاتها

احمد ـ نعم

على ـ ومتى يتم تأليف هذا الكتاب ؟

احمد ـ لا أدري فقد يتم في نصف سنة ، وقد لا يتم في عشرين سنة

على ـ أي كلام هذا ؟ عليك بالعجلة . فالرفاق لهم عيون شواخص اليك . وهم يرقبون أن تطلع على الناس بمصنف جديد

احمد ـ عليهم بالانتظار

علي ـ لقد انتظروا كثيراً منذ طبعت باكورة عملك الى الآن . فمتى كان طبع تلك الباكورة ؟

احمد ـ منذ خمس سنين

علي ـ نعم . وأتذكر أن هذه الباكورة الشهية جاءت في خمس صفحات لا غير ! وكل صفحة منها لا تحتوي على اكثر من عشرين سطراً

احمد ـ السر فيما قل ودل لا في الكلام المطول . أنا لست مثلك عجولاً أكتب الغث والسمين وأنثرهما على الناس نثراً . ولا بد لثماري أن تنضج قبل أن أجلوها أمام القراء وقبل أن أقدمها لهم رطباً جنيا

علي ـ ولكن الثمرة متى ازداد نضجها دب اليها الفساد . فقل لي الآن ماذا تهيء للقراء أهو هذا الدفتر الكبير الذي أراه على المنصة ؟

احمد ـ نعم . ويمكنك أن تطلع عليه

علي (يأخذ الدفتر ويقلب صفحاته) ـ ويحك أتستهزىء بي ؟ هذه مجموعة صفحات بيض لم يخط فيها سطر !

احمد ـ صحيح . لكن الكتاب بعد أن أكتبه سيتألف من هذه الصفحات . وقد عددتها فاذا بها على قدر الكتاب تماماً أي أنها ١٩٩ صفحة . فهذا العدد من الدفتر يساوي ٦٠٠ صفحة في الكتاب المطبوع وسيكون اذاً كتاباً ضخماً

علي ـ ألا تظن أنك اذا لبثت على سيرك البطيء ربما انتقلت الى جوار ربك قبل أن تؤلف جزءاً يسيرا من هذا الكتاب بل قبل أن تضع عنوانه ؟

احمد ـ لاضير عليَّ اذا أنا لم أضع غير العنوان شريطة أن يكون هذا العنوان جميلا . ثم لا تنس ان الفكرة ما دامت في رأسي فهي لي وانها متى وضعت على القرطاس تناهبها الناس. ولا تنس ايضاً اني مادمت ساكتاً فالناس عني راضون ولما سأكتب مرتقبون . اما اذا كتبت فهناك التحليلات والاستنكارات والمقيم المقعد من الانتقادات . ومالنا ولهذا ؟ فالقوى من سكت لا من تعرض لهذه التيارات المختلفة

علي ـ هذا ما يسمونه فصاحة الصامتين !

احمد ـ السكوت من ذهب . فلنغذ الشعب بالآمال

علي ـ ولكن ألا يخشى الاديب ان يمل الشعب سكوته وأن يتهمه بشتى التهم ؟

احمد ـ لا

علي ـ كيف لا ! فقد سمعتهم منذ بضعة أيام يستقلون بضاعتك الادبية وقد رماك بعضهم بالعقم . نعم بالعقم . . .

احمد ـ ماذا تقول ؟ ماذا أسمع ؟ أى أحمق جاهل يجرؤ على اتهامى بما ذكرت ؟ أنا أحمد الاديب أرمى بكلام أجوف كهذا الكلام ! ويوجد بين قراء العربية في مشارق الارض ومغاربها من يتهمني بهذه التهمة ؟

علي ـ سكن روعك يا أخي . أنا لا أحب النزاع . هم يقولون إن باكورتك في خمس صفحات مع مقالات في جرائد مجهولة شيء لا يسمن ولا يغني من جوع

احمد ـ الذين فاهوا بهذا الكلام حمير بل تيوس بل خنازير قذرة . لقد قالوا إنني عقمت وسأريهم خطأهم الواضح وجهلهم الفاضح

علي ـ لم أفهم فصرح !

احمد ـ نعم سأريهم خطل رأيهم وضعف حجتهم عندما أظهر للملأ قبل مرور شهر على يومنا هذا كتاباً يقف حصرماً فى أعينهم ويسكتهم زمناً طويلا

علي ـ الحمد لله . إقرع الحجة بالحجة

احمد ـ وسيرون أنهم هم الخصيان وهم الطبول الجوفاء

علي ـ مرحى ! هذا ما أعناه . إذا ألفت كتاباً نفيساً بانشائه وبمعانيه ثم أتبعته بثان وثالث ورابع بل بأكثر منها حق لك عندئذ أن ترغى وتزبد . ولكن قل لى كيف يكون لك الآن كتاب لم اطلع بعد عليه . فهل هو جاهز ؟

احمد ـ نعم

علي ـ وهل هو كبير ؟

احمد ـ تقريباً

علي ـ معناه ؟

احمد ـ عشرون صفحة

على ـ أعمى الله بصيرتك . ولكن لا فالعشرون صفحة هى شيء على كل حال . والرمد أحلى من العمى

احمد ـ لقد أنصفت . فهذه نقطة من الدماغ سالت على القرطاس . وهى شيء ليس بالقليل

علي ـ أفي سبيل هذه الصفحات العشرين سلخت السنين الخمس من عمرك ؟ وهلا فكرت بغيرها منذ ما أذعت باكورتك على الناس ؟

احمد ـ أنا أفكر بها دون غيرها منذ زمن مديد أي منذ اكثر من خمس سنين فهي عصارة دماغي وخلاصة قلبي ولبي

علي ـ وما هو موضوعها عافاك الله ؟ عجل وانبئني بهذه الثمرة المشتهاة

احمد ـ هذه الثمرة . . . هذه الثمرة . . . هي جدول المصنفات التي سأبرزها للناس

علي ـ جريدة المصنفات ! . . .

احمد ـ نعم قائمة الكتب التي سأصنفها في الوصف والرواية والشعر والفلسفة والتاريخ وكل ضروب الادب مما لم يؤلف نصفه فطاحل الكتاب . أتظن أن عناوين كتب شكسبير أو الجاحظ تبلغ عشرين صفحة ؟ واي جاهل يدعي بعد هذا انني خصي او مقل ؟

علي ـ لن يناقشك أحد الحساب . فأنت أطول الكتاب باعاً ! ..

احمد ـ هلا أصغيت إلي فأسمعك اسماء هذه الكتب ؟ لله هي ما أحلاها ! (يقرأ) . العين الدامعة ، الشموس الساطعة ، الأمواج المتدافعة

علي ـ أحسنت . أحسنت !

احمد (يداوم القراءة) ـ خطرات النسيم ، جنان النعيم ، الخير العميم ، البؤس المقيم

علي ـ مرحى !

احمد (مداوماً) ـ اسرار الحجاب ، هفوات الكتاب ، أسود الغاب ، بقة الاخشاب

علي ـ بأبي انت وامي . متى الفت كتاب بقة الاخشاب فقدمه إليَّ بمقدمة جميلة من قلمك البديع ! . . .

احمد ـ وهو كذلك . (يداوم) ظلام القبور . عواقب السرور . هذيان المغرور

علي ـ على رسلك ولا تجشم نفسك قراءة العشرين صفحة كلها . ولنقف عند الكتاب الأخير فان لموضوعه عبرة لأمثالك . ولله درك فان هذه المصنفات ستكون كلها من آثار قلمك العربي المتين . وقد اصبحت على ما ارى جاهزة لا ينقصها سوى شيء طفيف جداً الفت نظرك اليه

احمد ـ وما هو هذا الشيء الطفيف ؟

علي ـ هو أن تؤلفها ! . . . .

مصطفى الشهابي

العبقرية

بقلم الاستاذ محمد فريد وجدى

لعل اللغة العربية لم تظفر بكثير من البحث في موضوع العبقرية الذى قام الحوار فيه بين الاستاذين محمد فريد وجدى وأمير بقطر منذ بضعة أعداد من الهلال . فقد حرصنا على الاطالة في هذا الحوار لعلمنا بقيمة البحث وفائدته للقراء . ونحن ننشر في هذا العدد الكلمة الاخيرة في العبقرية للعلامة الاستاذ محمد فريد وجدي وقد رد فيها على الاستاذ بقطر . وهي فضلا عما تضمنته من الحوار تحوي معلومات شائقة عن العبقرية وأقوال العلماء فيها

أنا لا أزال أقول ان الاستاذ أمير بقطر يتناول العبقرية من ناحية معناها العامى الشائع بين الدهماء فهم يطلقونها على الذكاء المفرط وعلى الاجادة فى عمل من الاعمال

وقد اتهمنا باننا رمينا العلماء الذين نقل عنهم عدة صفحات بأنهم لايفهمون العبقرية إلا كما يفهمها العامة. والحقيقة أننا لم نرمهم بذلك بل قلنا إنهم إنما كتبوا ما كتبوه عن الذكاء الطبيعي لا عن العبقرية ، فصرف الاستاذ أمير كلامهم عليها وهم لا يقصدونها

ويقول الاستاذ أمير : « إن من أشد العبارات قسوة على العلم أن تقول إن العبقرية هبة الهية يمنحها الله لبعض الأفذاذ » . قال : « وهل فى هذا القول ما يمت الى العلم بصلة . أليس هذا قول العامة ؟ »

نقول لماذا يشبه هذا القول قول العامة ، ألم يجر مثله على ألسنة العلماء حيال كل أمر لا يمكن تعليله بعلة طبيعية ؟ ألم يقل العلامة الكبير (نيوتن) الفلكي الأنجليزى العبقرى مكتشف ناموس الجاذبية العامة : « لايوجد سبب طبيعي يمكن أن يعلل به دوران الكواكب حول الشموس ، فلا مناص من القول بان يد الله هي التى تدفعها فى هذه الحركة » ؟ أولم يقل دارون نفسه فى تعليله أصول الأنواع : « ان الاحياء كلها ناشئة من أصل واحد او أصول متعددة منحها الله عنصر الحياة » ؟ أو لم يقل فولتير الفيلسوف الفرنسى الاشهر : « ان العبقرية منحة الهية » وفولتير هذا كان أكبر ناشر للآراء الالحادية فى أوربا . فهل هؤلاء من العامة ؟

ويقول الاستاذ أمير إن تعريف الذكاء لا يقل صعوبة عن تعريف العبقرية

فانا أناشد من يطلعون على هذا الكلام أن يتناولوا دوائر المعارف ويقارنوا بين ما كتبه العلماء تحت هذين العنوانين ليدركوا مبلغ كلام الاستاذ من التحقيق العلمى

ويقول الاستاذ أمير : ان دائرة معارف لاروس التى استأنست أنا باقوالها فى ردى عليه :وقد

كبر علينا تعريف العبقرية لما تشمله هذه الكلمة من المعانى وما يحيط بها من تعقيد وغموض ،

هذا القول فضلا عما فيه من اتهام أكبر دائرة أوربية بالقصور يوهم أن العلماء مختلفون فى فهم (معنى) العبقرية ، والحقيقة أنه لا خلاف بينهم فى فهم معناها وانما هم حائرون فى تفسيرها وتعليل وجودها فاجمعوا على أنها قوة خارقة للعادة somthing altogeter extraordinary كما تقول عنها دائرة المعارف البريطانية (بريتانيكا) . أما معناها فمفهوم وهى انهـا أرفع قوة عقلية مولدة للابتكار ومحدثة للانقلابات العلمية والفلسفية والفنية والاجتماعية

نعم إن الفلاسفة الاقدمين لما هالهم قوى العبقرية نسبها فريق منهم الى تولى الجن لاصحابها ، وعزاها فريق آخر الى اتصال الارواح الزكية بهم ، وكان من القائلين بهذا الرأى الاخير أفلاطون وارسطو وسنيك . أما الاختلاف على معنى العبقرية فلم يقع قط ، لان الناس كانوا منها حيال أمر واقع ينحصر فى وجود آحاد لهم خصائص عقلية ممتازة تصدر عنها أعمال ادبية او فنية لم يسبق لها مثال ولم تدر لاحد قبلهم بخلد . وهل جرت عادة الناس أن يبحثوا فى معانى قوة آثارها محسوسة ام أن يحاولوا فهم مصدرها وتعليل وجودها ؟ مثال ذلك أمامنا اليوم اكبر القوى العالمية وهى الكهرباء فلم يوجد خلاف قط بين الناس على معناها ولكن الخلاف واقع فى فهم كنهها والاهتداء الى مصدرها

نظرة فى مستندات الاستاذ امير بقطر :

قد أكثر الاستاذ امير بقطر من ذكر جولتون وكتابه (العبقرية الموروثة) فلما رجعنا الى الكتاب وجدنا المؤلف يقول صراحة إنه لا يقصد مطلقاً من كلمة عبقرية معناها الفنى Thecnical sense ولكنه أراد منها المعنى العرفى . قال : « وسيجد القارىء انى قد حرصت فى جميع هـذا الكتاب على أن لاأتناول العبقرية باعتبار أنها صفة خاصة ولكن باعتبار انها مرادفة للمقدرة الطبيعية »

من هنا يتضح للقارىء أن كل ما أورده الاستاذ امير بقطر عن جولتون لاوزن له بعد هذا التصريح منه نفسه ، ويقاس عليه كل ما يورده الاستاذ عن المؤلفات الاخرى التى تعالج الكلام عن الذكاء لا عن العبقرية بمعناها الخاص

وأورد الاستاذ عن السيدة (ليتا هولنجورث) أنها قالت ان كلمة العبقرية محوطة بسياج من الآراء الخرافية ولذلك فهى تحذفها من كلامها عن الاطفال الممتازين . وهذا قول غير مفهوم لان كلمة العبقرية genius أصبحت من اشيع الكلمات استعمالاوهى ماثلة فى كل معجم لغوى وموسوعة علمية ، فحذفها من كتاب بسيكولوجى أمر لا يعقل إلا اذا أرادت المؤلفة من حذفها عـدم تناولها بالبحث لخروجها عن حدود المعارف النفسيه المقررة

أما الهرب من استعمال كلمة بحجة ان المخرفين قد أحاطوها بآرائهم الضالة فليس من سيرة

أهل العلم فى شيء . وإذا كان هذا مما يسوغ عمله فعلى العلماء ان لا يتناولوا بالبحث كلمات الكون والسماء والحياة والروح والعقل الخ الخ . فان كل هذه الالفاظ وعشرات غيرها قد أحيطت بالخرافات فى كل زمان ومكان . ولكن الذى سار عليه العلماء هو أنهم متى تناولوا هـذه الكلمات فى بحوثهم سردوا أولا تلك الآراء الخرافية فيها ودللوا على فسادها ثم اردفوا ذلك بالآراء التى وصلوا اليها . وقد ساروا كلهم هذه السيرة عينها فى تناولهم كلمة عبقرية سواء بسواء (راجع دوائر المعارف)

وقال الاستاذ بقطر ان دائرة المعارف البريطانية عرفت العبقرية بانها « اسمى مقدرة اصلية فى الانسان يمكن تصورها ، ثم اردف هذا بقوله : « ومن هذا التعريف يتضح انها لا تختلف عن التعريف الذى ادلى به علماء النفس تحديداً للذكاء المفرط »

ونحن نقول ان دائرة المعارف البريطانية لم تقل ان العبقرية اسمى مقدرة أصلية . ولكنها قالت إنها اسمى مقدرة مولدة للابتكار the highest conceivable form of original ability فان كلمة original تعنى فى هذا الموطن المولدة للابتكار كما يدل عليه السياق . فان الدائرة أردفت هذه العبارة بقولها عن العبقرية : somthing altogether extraordinary أى انها شيء خارق للعادة على وجه الاطلاق

ومن أغرب ما قرأناه من أقوال الاستاذ بقطر عقب ذلك ان كلمة (الاصلية) هنا تعنى (الموروثة). ولا ندرى كيف يسوغ هذا الشرح ولبس من معانى هـذه الكلمة (موروث) فى اى معجم من معاجم اللغة الانجليزية

وكيف يفهم من كلام دائرة المعارف البريطانية أن العبقرية موروثة وهى تقول عنها صراحة إنها شيء خارق للعادة على وجه الاطلاق ؟ فهل سمع انسان بأن ما يعتبر خارقا للعادة يكون موروثاً فكيف يوصف بأنه خارق للعادة إذا كان مما يورث ؟

وقال الاستاذ بقطر : « اما لاروس فلم يبعد فى تحديد معنى العبقرية عما ذكرناه فى مقالنا السالف» ثم ذكر عنه انه قال : « العبقرية ميل طبيعى لدرجة سامية تستطيع بلوغها الملكات البشرية» وتكلف نقل عبارة لاروس هكذا :

talent, penchant naturel à un haut degré auquel puissent arriver les facultés humaines.

لما قرأنا هذه العبارة عدنا الى دائرة معارف لاروس القديمة والى طبعتها الجديدة فلم نعثر على أثر لها فيهما ، فعمدنا الى معجم لغوى للاروس صغير وضعه للصغار فى المدارس الابتدائية فوجدنا أنه لم يقل ما نقله عنه الاستاذ امير بقطر ولكنه قال :

« العبقرية قد تستعمل بمعنى الاستعداد والذوق والميل الطبيعى لشيء من الاشياء . مثال ذلك : العبقرية للاعمال ، والعبقرية للدسائس . وتطلق العبقرية أيضاً على أعلى درجة يمكن ان تصل اليها

الخصائص العقلية الانسانية ، واليك عبارته بالفرنسية :

Génie, talent, Goût, penchant natuel pour une chose ex: Le génie des affaires' le génie, de l'intrique. — Le plus haut degré auquel puissent arriver les facultés humaines.

فأنت ترى أن لاروس لم يقل قط ان العبقرية ميل طبيعي الا فى الناحية التى تستعمل فيها عرفا بمعنى الميل والاندفاع ، ولذلك مثل لها بقوله عبقرية للاعمال وعبقرية للدسائس . ثم افرد لمعناها الخاص تعريفاً خاصاً كما رأيت لا علاقة بينه وبين التعريف الاول . ولكن الاستاذ أمير بقطر مزج بين التعريفين العرفى والخاص وحذف المثالين من اولهما ليخرج منهما تعريفا موافقاً لما يذهب اليه

ويقول الاستاذ بقطر إن (هفلوك اليس) درس ٩٧٥ من عباقرة البريطانيين فلم يجد فيهم سوى ٥٥ امرأة الخ

نقول ان هذا العدد وحده كاف فى الدلالة على ان (هفلوك) درس اذكياء البريطانيين لا عباقرتهم فان انجلترة على عراقتها فى العلم والعقل ليس فيها عبقرى واحد بالمعنى العلمى فى العصر الحاضر . ولا يستطاع أن يعد فى تاريخها كله اكثر من خمسة أو ستة عباقرة تنطبق عليهم مميزات العبقرية . ومثل (هفلوك أليس) لا يجرؤ أن يقول انه نشأ فى انجلترا ٩٧٥ انسانا ينطبق عليهم هذا الوصف . فالعباقرة مخلوقات شاذة تستخدمهم الطبيعة لابراز ما لا يستطيع الذكاء العادى مهما سما وعلا أن يبرزه

ونقل الاستاذ أمير بقطر ما كتبه (ثورنديك) فى كتابه (التربية فى علم النفس) وهو قوله : « ان كتاب جولتون فى العبقرية الموروثة خليق أن يدرسه كل باحث فى موضوع الذكاء والوراثة » نقول ان فى هذا القول نصاً صريحاً على أن ثورنديك يريد الذكاء الذى يورث لا العبقرية . وقد رأيت أن جولتون نفسه نص على ذلك صراحة فى كتابه العبقرية الموروثة كما نقلناه هنا عنه

فصل الخطاب في حقيقة العبقرية

ليس أمامنا وسيلة للفصل البات الحاسم فى مسئلة العبقرية الا ايراد ما قالته دوائر المعارف عنها ، فان هذه الموسوعات يراعى فى كتابتها ايراد خلاصة المعارف البشرية المقررة ، محررة تحت اشراف جماعة من العلماء يؤمن عليهم فيها الخبط والتحريف ، ولا تكون تحت هوى مذهب خاص ولا رأى شخصى . ولأجل زيادة الاقناع ودفع كل توهم رأينا أن نعرب أقوالها ثم نردفها بعبارتها فى لغتها الاصلية

اننا نقلنا فى مقالنا السابق ما جاء فى دائرة معارف لاروس فى طبعتها الأولى واليوم ننقل ما ورد عن العبقرية من طبعتها الحديثة . قالت :

« ان كلمة عبقرية تعنى صلاحية سامية فطرية لدراسة موضوع من المواضيع . فهى خصيصة تصورية وابداعية فى جوهرها . ومن هنا فهى على الدوام خصبة ومولدة للجديد . تستطيع الدراسة

تسهيل ظهور العبقرية ولـكنها لا تستطيع أن توجدها . خلافا للالمعية فانهـا صلاحية تكتسب بالدرس وبالاعمال الارادى لخصائص من رتبة عقلية على وجه عام ، ولـكنها فى جوهرها خصائص مشتركة بين جميع الناس . وعليه فان بين العبقرية التى ديدنها الخلق أو الا كتشاف وبين الالمعية التى تقتصر على التنظيم والترقية يوجد تفاوت من ناحية ثمراتهما وتخالف فى طبيعتيهما » ثم قالت :

« يكاد يكون من المحال تعريف ماهية العبقرية . فانها لا توجد مجردة من سمو فى الاستعداد الطبيعى يميز ويفرد الرجل المتصف بها عن سائر الرجال . قال برونتيير : « انه بسبب هـذه الحالة الشخصية الخاصة تخيب جميع النظريات التى أريد بها فهم حقيقة العبقرية » . وقد صرح هذا المؤلف نفسه أيضا بأن « العبقرية لا يمكن أن تعلل بقوانين وذلك لانها اعلى مظهر للانسانية ولانهـا حالة شخصية خاصة . وقدرة العلم تنتهى حيث تبتدىء أية حالة شخصية خاصة . ومع هذا فن الممكن معرفة بعض العناصر التى تتألف منها هذه الظاهرة المحيرة للعقل »

والى القراء العبارة الفرنسية لهذه الترجمة :

"Le terme de génie exprime une aptitude éminente et innée à tel ou tel objet d'étude: faculté essentiellement imaginative et créatrice, par là toujours fèconde et originale. L'étude peut faciliter l'expression du génie: elle ne saurait le faire naitre. Le talent au contraire est l'aptitude acquise par le travail, la mise en œuvre volontaire de qualités d'ordre généralement intellectuell, mais par elles même communes. Entre le génie qui crée ou découvre et le talent, qui organise ou développe, il y a disproportion quant au résultat, et différence de nature."

"Le génie est presque impossible à définir. Il ne va pas sans une singularité d'aptitudes qui distinque et isole des autres hommes l'homme qui en est doué. "Grâce à cet individualisme, a dit Bruntière, toutes les théories sur le génie doivent avorter". Le même auteur déclare encore: "Le génie ne peut point être soumis à des lois, parce qu'il est la plus haute magnifestation de l'humanité, et parce qu'il s'agit d'une individualité". Il semble pourtant possible de distinguer quelques élémentsx constitutifs de ce phénomène déconcertant.

وجاء تحت كلمة العبقرية فى دائرة المعارف البريطانية المعروفة باسم (بريتانيكا) فى طبعتهـا الاخيرة لسنة ١٩٢٩ قالت :

« ان كلمة العبقرية نفسها صارت الـكلمة الاصولية فى اللغة الانجليزية للدلالة على أرقى ما يمكن تصوره من معنى المقدرة المولدة للابتكار ، فهى شىء خارق للعادة على وجه الاطلاق وأرقى حتى من القوة العلمية الفائقة . وانها لتختلف فى النوع اختلافا بينا عن الالمعية الممتازة باعتبار أنها مقدرة عقلية سامية لا ينقصها الا تلك الموهبة الفذة التى لا تقبل التفسير المحصورة فى كلمة عبقرية »

واليك عبارتها الأنجليزية :

Genius itself has became the regular English word for the highest conceivable form of original ability, somthing altogether extraordinary & beyond even supreme educational prowss & differing, in kind apparently, from talent, which is usually distinguished as marked intellectual capacity short only of the inexplicable & unique endowment to which the term genius is confind"

وجاء فى المعجم العصرى للغة والعلم المطبوع بنيويورك The century dictionary and cyclopedia: ما يأتى عن الاستاذ لوويل Lowell :

« الرجل الالمعي يكون مالكا للالمعية كما يملك الكثير من الادوات ويستخدمها فى تأدية مايريد صنعه ، ولها حد تقف عنده ، ولكن الرجل العبقرى يكون مملوكا للعبقرية ، وهى تحوله الى كتاب أو الى حياة على ما يشاء هواها »

واليك نص هذه العبارة باللغة الأنجليزية :

"The man of talents possesses them like so many tools, does his job with them, and there an end; the man of genius is possessed by it, and it makes him into a book or a life according to its whim"

ونقل ذلك القاموس عن الاستاذ هزلت Hazlitt قوله :

« تختلف الالمعية عن العبقرية كما تختلف المقدرة الارادية عن المقدرة غير الارادية »

وهذا نص عبارته بالأنجليزية :

"talent differs from genius as voluntary differs from involuntary power"

ونقل عن الاستاذ لوويل أيضاً انه قال :

« الالمعية هى المقدرة التى يملكها الانسان ، وأما العبقرية فهى المقدرة التى يكون الانسان مملوكا لها »

واليك نص عبارته الأنجليزية:

"Talent is that which in a man's power; genius is that in whose power man is".

وبعد . فما تقدم من تقريرات اشهر دوائر معارف الارض عن العبقرية يتبين القارىء أخص مميزاتها وهى انها تولد مع بعض الأفذاذ ، وان التربية العقلية تساعد على ابرازها ولكنها لا توجدها ، وانها قوة غير مفهومة خارقة للعادة وخارجة عن سلطان النواميس المعروفة ، وانها تختلف عن الالمعية فى النوع ، وان عمل الالمعية لا يتجاوز تنظيم ما هو موجود وترقيته ، ولكن العبقرية توجد مالم يكن موجودا وتفتح آفاقا جديدة فيما يتصدى له صاحبها ، وان الالمعية تكون فى ملك صاحبها

وتحت تصرفه يستعملها استعماله للادوات ، ولكن العبقرية هي التي يكون الانسان في ملكها وتحت تصرفها فتسخره حيثما شاء هواها ، وان العبقرية حالة شخصية خاصة لا سبيل للعلم الى فهمها ، وانها المقدرة التي تستخدمها الطبيعة لابراز الامور التي لايستطيع العقل العادى أن يبرزها ، وانها تعلو عن الفهم لانها مظهر الانسانية نفسها لامظهر القوة الادراكية فيه

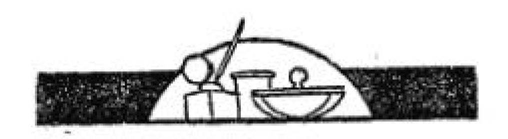
فان هذه المميزات كلها ، وقد نقلناها عن معادن العلم ، مما قاله الاستاذ أمير بقطر عنها من أنها ليست بشيء قائم بنفسه ولكنها أرقى درجة من درجات الذكاء العادى، وانها تقاس بالمقاييس المعروفة ، وانها تحصل بالتربية العقلية ، وانها تورث عن الآباء والاجداد ، وان كل ما يقال فيها غير ذلك فهو من خيالات الشعراء أو من تلاعب الفلاسفة بالالفاظ ، فهل يمكن أن تتهم دوائر المعارف بانها خيالات شعرية أو مبالغات خطابية ؟

لماذا يلجأ الاستاذ أمير بقطر الى هذا التطرف باسم العلم وقد رأيت ان العلم نفسه يعترف بالعجز عن فهم العبقرية ويعدها أمراً خارقا للعادة ؟ وهل العلم فرغ من تفهم كل شيء حتى يكبر على الاستاذ بقطر أن ينسب اليه هذا العجز الذى يعترف العلم نفسه به ؟ هل العلم أدرك كنه المادة ؟ هل حل رمز الحياة في الاحياء ؟ هل وقف من امر اللانهاية الوجودية عند حد يحسن السكوت عليه ؟

يجوز أن يصل العلم في مستقبل بعيد الى حلول هذه المسائل والى حل مسئلة العبقرية ، ولكنه لم يصل الى هذه الحلول بعد ، وليس لنا أن نزعم انه سيصل منها الى ما نتخيله بميولنا المادية ، فربما أدرك لها حلا يحطم من صرح المادية ما لا يحطمه اعترافه اليوم بالعجز عن حلها . فنحن نترسم خطوات العلم فنسير معه حيث سار . وليس لنا أن نفتأت عليه فنصبح أشد غيرة على المادية من أهلها عليها

وانه ليسرني أن وفقت لأن ابني للعبقرية في اللغة العربية صرحا مدعما تدعيما علميا يناسب كرامة هذه الموهبة الفذة ويدفع كل متصد للغض من شأنها والحد من سلطانها

محمد فريد وجدي



لماذا أرى اللاتينية من العربية
رد على رأي

بقلم الدكتور فؤاد حسنين علي

يسرني جداً أن يطلع علم من أعلام العرب على قراء العربية فى عدد فبراير من مجلة الهلال ببحث جليل قد يكون الاول من نوعه يرى فيه أن اللغة اللاتينية التى هى احدى اللغات الايطالية مأخوذة من العربية التى هى احدى اللغات السامية . وقد بنى حضرة الاب المحترم رأيه على بعض أدلة اقتنع هو بصحتها وتحدى غيره أن يعارضه فيها . والآن ليفسح حضرة الاب من صدره لاحد المشتغلين باللغات السامية فيعرض عليه رأيه :

من الحقائق المعروفة لدى علماء اللغات أن لكل شعب من الشعوب مهما انحطت ثقافته ، لغته الخاصة التى يتفاهم بها . كما انه لم يعرف عن شعب ما انه ترك لغته الأصلية واتخذ له لساناً آخر . لكن يحدث (وكثيراً ما يحدث) أن تستعير لغة من اخرى كلمات واصطلاحات كاستعارة معظم اللغات الحية بعض الالفاظ العربية مثل « الكحول » و « اميرال » و « الجبر » وغير ذلك . وقد يحدث ما هو أغرب من ذلك فتتفق لغتان أو اكثر فى لفظ ما دون أن تحدث أية استعارة ، مثلا لفظ « باس » فى العربية يقابله فى الفرنسية baiser وفى اللهجة البافارية Busserl (بوسرل) بمعنى بوسة صغيرة (ونلاحظ ان « رل » علامة تصغير)

وقول الاب ان اللغة اللاتينية مأخوذة من العربية يفهم منه أحد أمرين : أن الشعب اللاتينى شعب عربى ، أو أن العرب حكموا هذا الشعب حكماً قضى على لغته قضاء اخيرا . وأظنه يوافقنى على أن أحد الامرين غير صحيح

ويقول فى ص ٤١٥ من مجلة الهلال .. « أما النفر القليل منهم فيرى أن المشابهة بينة بين الساميات واليافثيات ومن جملتهم الاستاذ هرمن ملر » . وقد الف كتابا سماه « وحدة الالفاظ الهندية الجرمانية والسامية » ثم ذكرت اسم الكتاب بالالمانية . والمشهور عن هذا الاستاذ (وصواب اسمه Moeller لا Muller) انه من اكثر المشتغلين بعلم مقارنة اللغات الهندية الجرمانية والسامية . وقد أخذ يشتغل فى هذا العلم وكرس له حياته ابتداء من سنة ١٨٧٧ . وقد الف فى ذلك الموضوع عدة مؤلفات منها الكتاب الذى ذكرته وترجمت عنوانه خطأ والصواب « معجم مقارن (فى اللغات) الهندية الجرمانية السامية » وقد ظهر هذا الكتاب فى مدينة (جوتنجن) سنة ١٩١١ ومنها « سامى وهندى جرمانى » وقد طبع فى كوبنهاجن سنة ١٩٠٦ و « الصلة بين الاصول الهندية الجرمانية

السامية المكونة من ساكنين وثلاثة والحركات المتقابلة فى (اللغات) الهندية الجرمانية السامية » . وقد ظهر ذلك البحث فى مجلة كون ١٩٠٩ ص ١٧٤ ــ ١٩١

وله بحث آخر فى هذا الموضوع نشر فى مجلة المستشرقين الالمان عام ١٩١٦ ص ١٤٥ ــ ١٦٣

فيتضح لى من جميع هذه الشواهد ان الاب أنستاس قد فهم من اللغات الهندية الجرمانية انها هى اللغات اليافثية . والواقع ان الاسرتين تختلفان تمام الاختلاف . فالاسرة اليافثية تشتمل على الاقسام الرئيسية الآتية :

١ ــ لغات آسيا القديمة ٢ ــ اللغة الاترسكية ٣ ــ اللغات القوقازية ٤ ــ اللغة العيلمية ٥ ــ اللغة الميتانية ٦ ــ اللغة الحيتية وسائر لغات نقوش بوغاز كوى ٧ ــ اللغة المسكية ٨ ــ اللغة الشومارية

أما اللغات الهندية الجرمانية أو الهندية الاوربية فهى تشتمل على أقسام رئيسية منها ما يأتى

١ ــ اللغات الايطالية ٢ ــ اللغات الكلتية ٣ ــ اللغات الجرمانية ٤ ــ اللغات اليونانية ٥ ــ اللغات الآرية

ويقول فى ص ٤١٦ : « . . . فضلا عن العربية أم اللغات » . أما كون اللغة العربية أم اللهجات العربية فهذا ما اعرفه أنا ويقره عليه كل المشتغلين باللغات السامية وأما كونها أم اللغات فهذا ما أرجو شرحه لى

ويقول فى ص ٤١٧ : « فى جميع اللغات السامية : العبرية والارامية والحبشية والسامرية » . فعد السامرية ضمن اللغات السامية الرئيسية علما بانها لهجة ارامية غربية وذكره للغة الارامية فيه غنى وكفاية

أما تصريحه فى صدد بحثه بانه لا يفهم كلمة من اللغة الالمانية وانه لا يقتبس منها حرفا واحداً بل يذكر ما بلغه من نتيجة تحقيقاته الشخصية وسعيه واجتهاده . فذلك ما لا يمكننى أن انكره عليه، الا أن ذلك لا يمنعنى من أن أخبره ان كثيراً من الاشياء التى وفق اليها قد تنبه اليها غيره من علماء الالمان من قبل . والاغرب ان النتيجة كانت واحدة . وقد لاحظت ذلك عند اطلاعى على كتابه القيم « اغلاط اللغويين الاقدمين » فقد وجدت بعض تصحيحات وبحوث لغوية سبقه اليها غيره من العلماء الالمان، وظننت انه نسى ذكر المرجع . وأكتفى هنا بالمثل الآتى :

ذكر الاب فى ص ٢٧٤ من كتابه عند بحث لفظ ــ الاردمون ــ كلاما كثيراً ذكره تماما (سيجموند فرنكل) فى كتابه « الكلمات الارامية الدخيلة فى اللغة العربيــة » المطبوع فى ليدن ١٨٨٦

Siegmund Fraenkel, Die Aramaischen Fremdworter Im Arabischen.
Leiden 1886.

فهو يقول فى كتابه ص ٢٢٥ ــ ٢٢٦ ما ملخص ترجمته : كلمة أخرى يجهلها العرب انفسهم وهى تدل على الشراع .. ثم استشهد بالشطر الآتى : « كما اطرد القادس الاردمونا » وقال فى شرحه : والافضل أن يفسر بمعنى « كما يدفع الشراع السفينة » وليس كما ذكر المتقدمون « الملاحون » واخذ يعلل شرحه بقوله : ان جمع افعل على افعلون من النادر جداً وعلاوة على ذلك فلفظ « اردم » بمعنى ملاح لا يمكن فهمه من مادة ردم . واخذ يذكر المستشرق المذكور سائر المعانى المختلفة للفظ ردم . فالنتيجة التى خرج بها هى ان اللفظ دخيل فى العربية وهو اليونانى (أرتمون) عن طريق السريانية التى جعلت منه (أرطمونا) . . .

وثم اتفاق آخر بين الاب وبين مستشرق آخر فى بحثه الاخير . فالامثلة التى ساقها الاب للتدليل على رأيه كان قد سبقه اليها (هرمن ملر) الذى أشار اليه لكن فى مرجع غير الذى ذكره وهو « سامى وهنــدى جرمانى » فقد ذكر فى ص ٢٤٨ ــ ٢٤٩ مادة (ذرع) وقابل بينها وبين اللاتينية مثــل الاب تماما وذكر جميع ما ذكره لــكن على سبيل المقارنة بين السامية والهندية الجرمانية . . .

أما الادلة التى ساقها الاب فاظنى لست فى حاجة الى تناولها وتفنيدها بعد ذلك . ولا يمنع هذا من أن تكون لغتنا العربية الشريفة من أقدم اللغات وارقاها واعزها

(برلين)

فؤاد حسنين علي

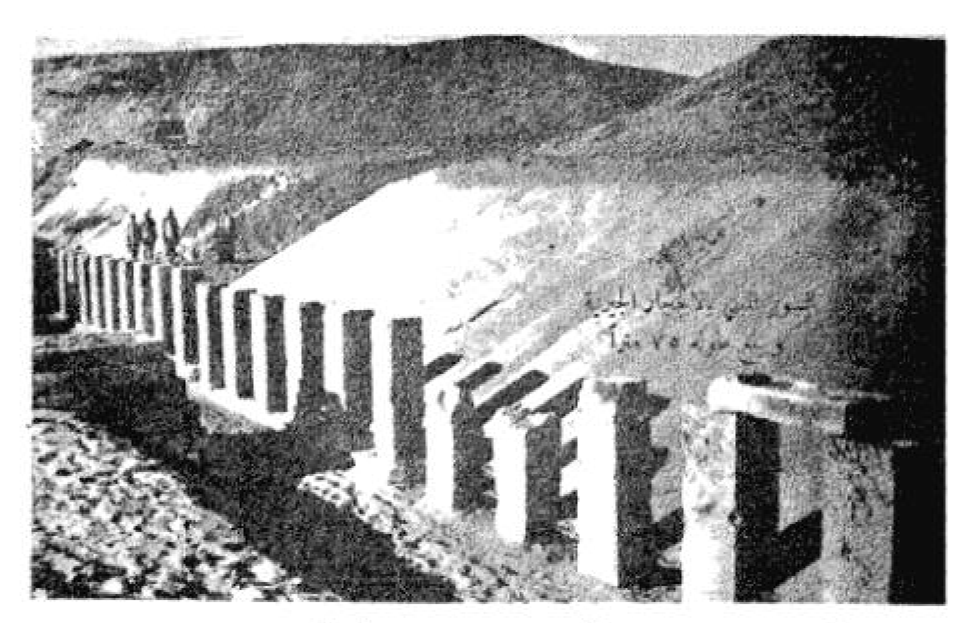
عضو بعثة الجامعة المصرية

ودكتور في اللغات السامية من المانيا

في القلم

شرعوا إلى الغايات كل مهفهف سار على خيل الانامل جائل
لو لم يكن رمحا لما شحذوا له حدين موضع زجه والعامل
نفثاته السحر المبلبل لا كما خبرت أن السحر صنعة بابل

مهيار الديلمى

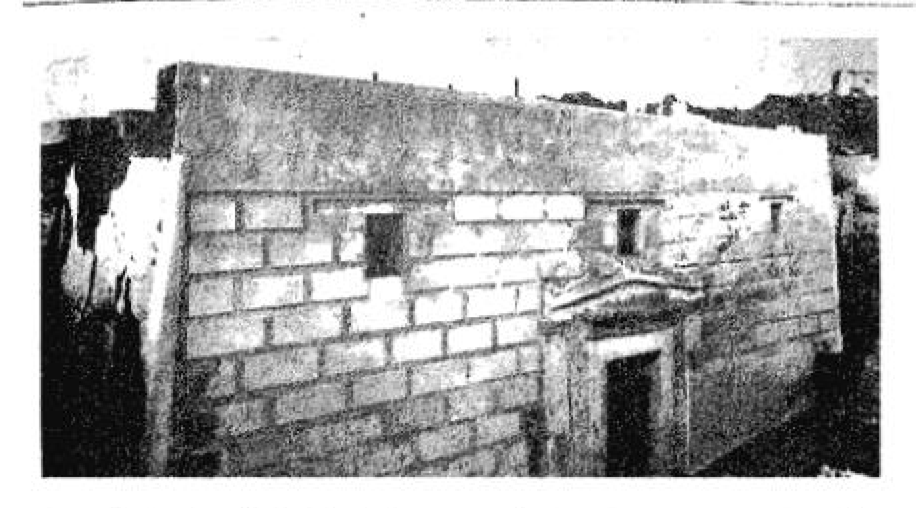


في مدينة توت المقدسة

منذ أربع سنوات تقوم بعثة الجامعة المصرية التي يرؤسها الاستاذ سامي جبرا ببحوث أثرية في منطقة تونة الجبل بالقرب من قرية ملوى احدى قرى الصعيد بالقطر المصري . وقد جعلت خطتها في هذه البحوث الاثرية كشف طبوغرافية مدينة توت المقدسة كما كانت في عهد تيوزيريس كبير كهنة الاله توت الذى يرجع عهده إلى القرن الثالث قبل الميلاد

وقد اكتشفت البعثة عدة آثار . واهتدت الى كثير من المعالم القديمة استطاعت بها ان تقف على كثير من المعلومات التاريخية التي تصور حياة المصريين القدماء في أثناء الفتح اليوناني . وتنقل لنا طريقة معيشتهم وعوائدهم في الصعيد . فقد كانت اكتشافات العام الماضي مما هدى البعثة إلى معرفة عقلية أهل الصعيد فى عصر الانتقال ، وكيف كانت حياتهم المنزلية وفهمهم للفنون ، وما كانوا عليه من القلق والتردد اللذين يصاحبان عادة عصور الانتقال

واكتشفت البعثة هذه السنة بعض الآثار الحجرية منها سور مبنى بالاحجار الجيرية البيضاء بلغ طوله حتى الآن ٧٥ مترا . وهو يتألف من أعمدة جيرية طول الواحد منها ١٣٥ سنتيمترا . وهي قائمة على خط مستقيم . ويشبه هذا السور فى شكله وطريقة وضعه وهندسة بنائه السور الذى وصفه مرييت باشا حينما عثر على معبد السرابيوم . وربما ساعد هذا السور على اكتشاف معبد الاله توت الاكبر إله العلم عند قدماء المصريين . وتكون البعثة قد وفقت الى تحقيق غرضيها اللذين أخذت فى البحث والتنقيب من أجلهما : أولهما تحديد منطقة المعبود توت أو مدينة توت المقدسة التى لا يجوز دفن أحد بها . أما الغرض الثاني فهو الوصول الى تحديد منطقة المدافن القديمة التى كانت مخصصة للجمهور



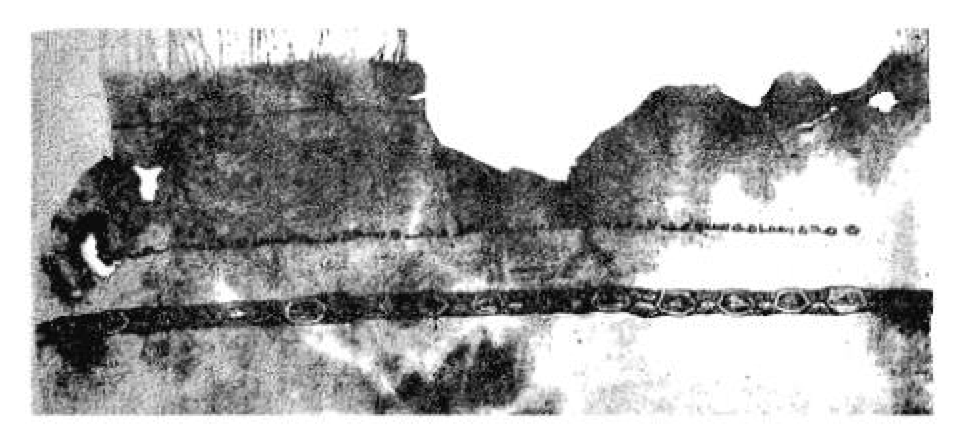
كان من أهم الاكتشافات التى وصلت اليها بعثة الجامعة المصرية فى هذا العام منزل جنازي على شكل بيلون مصري . وقد ظهرت على وجهته في أعلاهـا آثار الفن اليوناني الروماني . وترى في هذه الصورة منظر وجهة المنزل



منظر لاحد جدران المنزل الذي اكتشفته البعثة وقد نقشت عليه صورة صاحبته في ملابس يونانية رومانية والى جانبها الاله توت المصرى يطهرها بالماء . وهذا دليل واضح على تردد المصريين وقلقهم في ذلك العصر لانتقالهم من المدنية المصرية القديمة إلى المدنية اليونانية الرومانية وخلطهم بين الاثنين



منظر عام من الداخل للمنزل الذى اكتشف هذا العام وقد ظهرت على جدار الغرفة الأولى (الامامية) طريقة النقش طبقا للفن اليوناني الاسكندري وظهرت على جدار الغرفة الداخلية طريقة النقش على الطريقة المصرية الفرعونية



(شكل ١) عمامة صمويل بن موسى مؤرخة سنة ٨٨ هجرية وهي أقدم المنسوجات الاسلامية

المنسوجات الاموية والعباسية

ما هى ميزاتها وماذا بقي منها *

بقلم الاستاذ حسن محمد الهوارى

أهدى السير جون هيوم عضو مجلس إدارة البنك الاهلى المصرى إلى دار الآثار العربية قطعة من نسيج الكتان الأبيض من عهد الخليفة المعتمد على الله العباسى مؤرخة سنة ٢٧٨ هـ (٨٩١م) عليها بقية شريط من زخارف غنية بألوانها الزاهية وسطر من الخط الكوفى الجميل طوله ٤٨ سنتيمترا مطرز بالحرير الاحمر هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله . سعادة للخليفة احمد الامام المعتمد على الله أمير المؤمنين أيده الله ما أمر بعمله المفوض بالله بطراز الخاصة بمرو سنة ثمان سبعين مائتين سهل بن شاذان »

وعلى يمين هذا النص وفى طرف قطعة النسيج من أسفل سطران بخط كوفى رفيع أحدهما مطرز بحرير أزرق والآخر بحرير أحمر ونصهما متشابه وهو : « بركة للجوهر بن مر الخباز »

وهذه القطعة من أقدم أنواع النسيج العباسى . وقبل بحثها سنلقى نظرة سريعة على المنسوجات الاسلامية السابقة والمعاصرة لها :

إن دراسة المنسوجات الاسلامية ما تزال محل البحث بالرغم مما كتبه عنها المشتغلون بالآثار الاسلامية فى ربع القرن الأخير . ويرجع ذلك لسببين :

---

* وهي خلاصة المحاضرة التى القاها الاستاذ حسن محمد الهوارى فى المجمع العلمى المصرى بالقاهرة

(الأول) انهماك مؤرخي القرون الأولى من الهجرة في تدوين الفتوحات والوقائع الحربية والمساجلات الدينية والمناظرات الأدبية ، فلم يكتبوا عن الفنون والصناعات إلا النزر اليسير

(الثاني) قلة قطع المنسوجات الباقية من القرون الأولى للهجرة

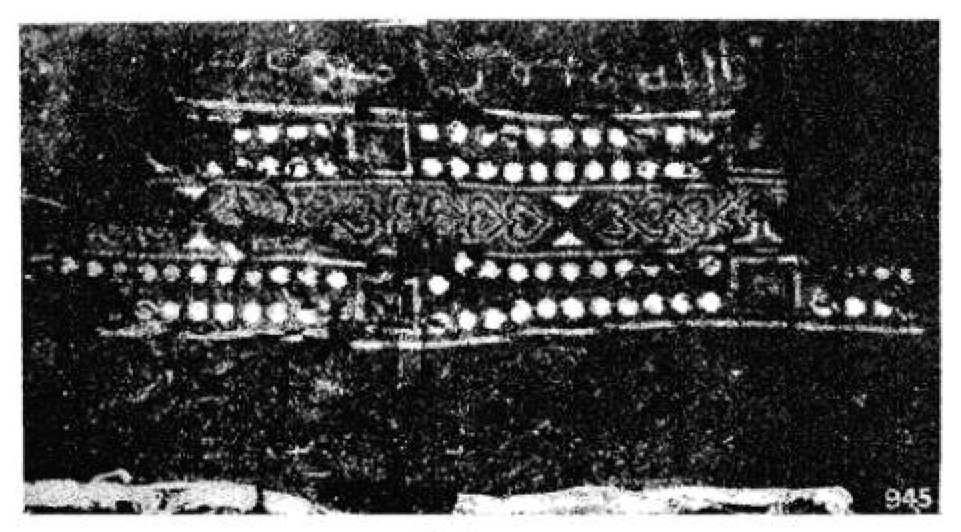
ولكن مما لانزاع فيه أن منسوجات الامم الاسلامية لم تكن دون منسوجات الامم الأخرى المعاصرة لها والتي خلفتها في سوق حضارتها ، بل يمكن أن تعتبر صناعة المنسوجات في البلاد الأسيوية الاسلامية اما متممة لصناعة بيزنطة أو صناعة بني ساسان ، واما مأخوذة عن احداهما .وعلى وجه العموم يسوغ لنا القول بأن جميع البلاد التي عاش فيها المسلمون بما فيها الاندلس راجت فيها هذه الصناعة حتى في الجهات التي كانت فتوحات المسلمين فيها وقتية كصقلية

والمنسوجات الاسلامية لها ميزة خاصة وهي احتواؤها على كتابات مطرزة أو منسوجة تتضمن اسم الخليفة الذي صنعت في عهده والبلد الذي صنعت فيه وتاريخ صنعها مما يسهل على الباحث معرفة عصرها ومصدرها . وتسمى هذه الكتابة طرازاً كما أن اللباس كله إذا كان ملكياً سمي طرازاً أيضاً ، ثم أطلقت على دار صناعة النسيج فقالوا طراز الخاصة وطراز العامة ، ثم استعمل اللفظ فيما بعد للدلالة على الكتابات المنقوشة على الأبنية

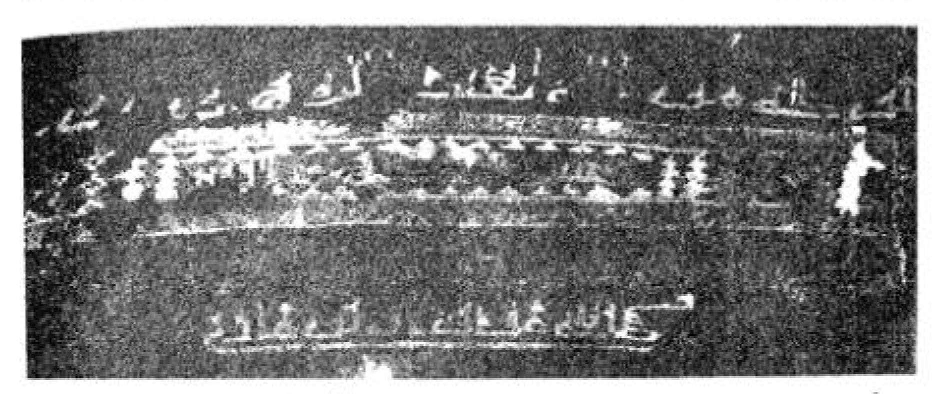
وقد كانت قطع النسيج الاسلامي المحفوظة في دار الآثار العربية الى عهد قريب قليلة العدد . أما الآن ففيها نحو ثلاثة آلاف قطعة

المنسوجات الباقية من عهد الدولة الاموية

وبالرغم من هذه الكثرة فانه لم يبق من عهد الدولة الاموية إلا قطعتان :



(شكل ٢) قطعة نسيج عليها اسم مروان ويحتمل أن يكون مروان بن عبد الملك او مروان بن محمد



(شكل ٣) قطعة نسيج عليها اسم هارون الرشيد وهي أقدم قطعة نسيج عباسي

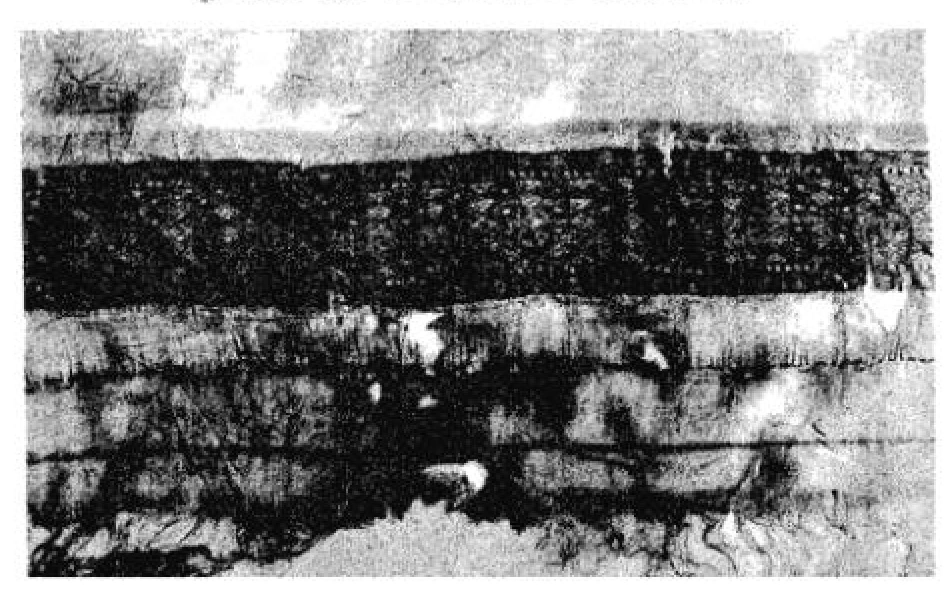
(الأولى) قطعة تعتبر من أقدم المنسوجات الاسلامية عامة محفوظة بدار الآثار العربية وهى من الكتان الابيض عليها سطر بالخط الكوفى البسيط المنسوج بالحرير الاحمر، وهذا نصه :

« هذه العمامة لسمويل بن موسى عملت في شهر رجب من شهور المحمدية من سنة ثمان وثما (نين) »

وعليها شريط من زخارف به جامات داخلها طيور تقليدية وهى شديدة الشبه بالمنسوجات القبطية (شكل ١)

(الثانية) قطعة صغيرة حازها متحف فكتوريا والبرت بلندن فى سنة ١٨٨٨ م عليها بقية كتابة نصها : « . . . الله مروان أمير المؤ (منين) . . . » كتب عنها المستر جست فى مجلة الجمعية الملكية الاسيوية ورجح أنها من عهد أحد المروانيين - مروان بن عبد الملك أو مروان بن محمد -

(شكل ٤) قطعة نسيج عباسي باسم الأمين من صناعة مصر عليها شريط به زخارف هندسية وسطر كتابة كوفية مطرز بالحرير



(شكل ٥) قطع نسيج عباسي باسم المأمون مؤرخة سنة ٢٠٦ عليها سطر كتابة كوفية مطرز بالحرير الاحمر

ووصفها بين سنة ٦٤ و ١٣٢ هـ (٦٨٤ - ٧٥٠ م) . وقد علمت من المستر جست أن فى أحد متاحف انجلترا قطعة أخرى مكملة لهذه القطعة مذكوراً فيها بقية النص التاريخى الذى يستدل منه على أنها من صنع طراز أفريقية . وهى من الحرير الاحمر والكتابة التى عليها مطرزة بالحرير الاصفر أسفلها شريط من زخارف مكون من ثلاث مناطق ، بالوسطى زخرفة على شكل القلب وبكل من المنطقتين الاخريين صفان من نقط مستديرة بيضاء يتخللها مربعات بألوان مختلفة من أخضر وأصفر وأحمر وأبيض (شكل ٢) . وهذه الزخارف مشابهة للزخارف البارزة المنقوشة على الصخر فى تقى بستان ببلاد فارس . وتمثل خسرو الثانى فى الصيد

المنسوجات الباقية من عهد الدولة العباسية

أما المنسوجات العباسية فقد أصبحت الآن كثيرة العدد منها سبع عشرة قطعة باسم ثمانية خلفاء سابقين للمعتمد على الله . والتى يهمنا فى موضوع بحثنا الآن ثلاث فقط : واحدة باسم هرون الرشيد واثنتان باسم ولديه الامين والمأمون

والتى باسم هارون الرشيد حازها متحف برلين فى سنة ١٩٢٣ م . وهى من الكتان عليها ثلاثة أسطر من كتابة كوفية وشريط من زخارف هندسية مختلفة الألوان ونص الكتابة :

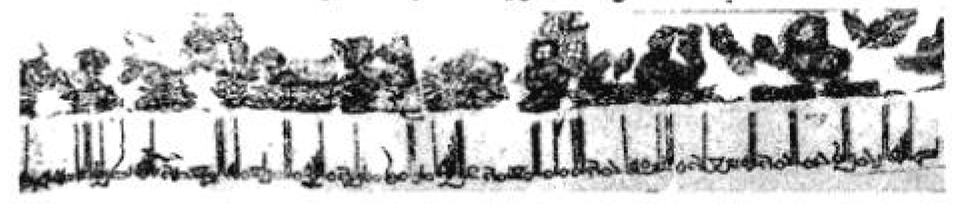
« ١ ـ فسيكفيكهم الله ٢ ـ بسم الله بركة من الله لعبد الله هرون ٣ ـ صنعة مروان بن ماري »

وزخارفها شبيهة بالزخارف القبطية ومادتها وصنعها مثل عمامة سمويل المؤرخة سنة ٨٨ هجرية ، ولا يبعد أن تكون من صناعة مصرية (شكل ٣)

والتى باسم الأمين محفوظة بدار الآثار العربية وهى من الكتان الابيض عليها سطر بالخط الكوفى المطرز بالحرير الرمادى يعلوه شريط من زخارف مختلفة الألوان ونص الكتابة :

« بسم الله بركة من الله لعبد الله الامين محمد أمير المؤمنين اطال الله بقاءه مما امر بصنعته فى طراز العامة

(شكل ٦) قطعة نسيج عباسية باسم المعتمد على الله وولى عهده
الأمير المعتضد من صناعة مرو عاصمة خراسان مؤرخة سنة ٢٧٨ هـ



جعفر على يدى الفضل بن الربيع مولى امير المؤمنين » ويعلو الكتابة شريط من زخارف هندسية لونها رمادى (شكل ٤)

والثالثة باسم المأمون محفوظة فى دار الآثار العربية أيضا وهى من الكتان الابيض يجرى وسطها سطر بخط كوفى صغير مطرز بالحرير الاحمر نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم بركة من الله لعبد الله الامام المأمون امير المؤمنين أعزه الله مما عمل فى طراز العامة سنة ست عشرة ومائتين » وهى خالية من الزخارف (شكل ٥)

أما بقية القطع العباسية السابقة لعهد المعتمد فهى من عهد خمسة خلفاء هم :ـ الواثق والمتوكل والمستعين والمعتز والمهتدى . وهى خالية من الزخارف وكتاباتها مطرزة بالحرير المختلف الألوان



(شكل ٧) قطعة نسيج عباسي باسم المعتمد على الله وابنه جعفر والامير أبو الجيش خماروية من صناعة تنيس على بحيرة المنزلة

المنسوجات الباقية من عهد الخليفة المعتمد على الله

والمعتمد على الله هو أول خليفة اسلامى بقى لنا من عهده عدد وفير من المنسوجات منها هذه القطعة التى أهداها السير جون هيوم الى دار الآثار العربية ، لاحتوائها على شريط من زخارف ما تزال حافظة لرونقها وبهائها . وعدد هذه القطع خمس وثلاثون منها اثنتان صنعت فى بلاد فارس (مرو) والقطع الباقية صنعت فى مصر (الاسكندرية ومصر وتنيس)

ودراسة هذه القطع هى دراسة المنسوجات الاسلامية فى صدر الدولة العباسية . وسنختار منها اثنتين فقط : القطعة موضوع البحث وواحدة مما صنع فى تنيس لاحتوائها على اسم جعفر ابن المعتمد بعد اسم أبيه ثم اسم خماروية بن احمد بن طولون . وهى من الكتان الابيض عليها سطر بالخط الكوفى المطرز بالحرير الاحمر نصه : « المعتمد على الله امير المؤمنين اطال الله بقاه والامير جعفر بن امير المؤمنين اعزه الله مما أمر الامير أبو الجيش خماروية بن احمد مولى امير المؤمنين ادام الله عزه وابقى مولاه بعمله فى طراز تنيس على يدى محمد بن خلف سنة سبعة وسبعين مائتين . على بن جمه . » وهى خالية من الزخارف (شكل ٦)

الخطبة والسكة والتسمى بامرة المؤمنين . ولأخيه طلحة الأمر والنهى وقيادة العساكر ومحاربة الأعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والأمراء وكان المعتمد مشغولا عن ذلك بلذاته . »

ولم تكن الخطبة والسكة هما الشعاران الوحيدان للخلافة بل إن كتابة اسم الخليفة كان من شعائرها أيضا ، يؤيد ذلك ماعثرنا عليه من فقرات فى كتب التاريخ تقرن بين السكة والطراز . فنلا يقول المؤرخون إنه عندما بدأ النزاع بين الأمين والمأمون اسقط المأمون اسم أخيه الأمين من الطرز والسكة ، وعندما خلع المعتمد ابنه جعفر من ولاية العهد أمر بان يسقط اسمه من السكة والخطبة والطرز ، واستمر الأمر هكذا طويلا الى أواخر دولة المماليك فى مصر حيث يقول القلقشندى إن نقش اسم السلطان على الطرز من رسوم الملك . ويؤيد أقوال المؤرخين قطع الأقمشة الكثيرة التى تناولتها أيدينا والتى يندر أن تخلو قطعة منها من اسم الخليفة الذى صنعت فى عهده . وكان الأمير ذو السلطة أو ولى العهد أو الوزير يذكر اسمه بعد اسم الخليفة كما يحصل فى سكة العملة . فما صنع من المنسوجات فى عهد المعتمد فى بلاد فارس (مرو) ذكر فيه اسم الموفق أو اسم ابنه المعتضد وهما وليان للعهد . أما التى صنعت فى مصر فكان يذكر فيها اسم المعتمد فقط وكتب اسم ابنه جعفر فى ثلاث قطع فقط مما صنع فى تنيس ، ولكن مقرونا باسم خمارويه بن احمد بن طولون ، وفى هذا تأييد لقول المؤرخين عن انقسام الدولة العباسية فى هذا الوقت الى قسمين ذلك الانقسام الذى كان سببا فى كثير من المنازعات الداخلية ، وأصله نظام ولاية العهد الثنائى

وقد كانت صناعة المنسوجات رائجة ومنتشرة فى هذا العصر وكانت خزائن الخلفاء العباسيين ممتلئة بها ، يؤيد ذلك ما رواه ابن الطقطقى فى كتابه « الآداب السلطانية » على لسان الوزير الحسن ابن مخلد عن محادثة دارت بينه وبين الموفق ، ومن محاسن المصادفات أن يكون هذا الحديث فى عصر المعتمد الذى ندرسه الآن . قال الحسن بن مخلد : « كنت مرة واقفا بين يدى الموفق بن المتوكل فرأيته يلبس ثوبه بيده وقال لى : يا حسن قد أعجبنى هذا الثوب . كم عندنا فى الخزائن منه ؟ فاخرجت ـ فى الحال ـ من خفى دستوراً ، فيه جمل ما فى الخزائن من الأمتعة والثياب مفصلة ، فوجدت فيها من جنس ذلك الثوب ستة آلاف ثوب ، فقال لى : يا حسن ، نحن عراة ، اكتب الى البلاد فى عمل ثلاثين الف ثوب من جنسه وحملها فى اسرع مدة »

يتبين لنا من ذلك مقدار ما كانت عليه صناعة المنسوجات من الرواج والانتشار ورغبة الموفق فى الاكثار من القطع المشابهة لما يلبسه ولا يريد أن يلبس الحاشية بأقل منه فيأمر الوزير بتنفيذ ذلك على وجه السرعة

وكانت مصر وفارس فى مقدمة الاقطار الاسلامية التى تصنع النسيج وكانت تنيس ومرو من أشهر مدن هذين القطرين

وقطعة النسيج موضوع البحث هي كما قلنا من القطع العباسية النادرة التي طرزت فيها الكتابة بخط متقن جميل . ومما يزيد في أهميتها بقية الزخارف الزاهية التي يشاهد فيها نوع من الزخرف الصيني السائد في المنسوجات وخاصة في السجاد وهو زخرف شبيه بالغمام يعرف (بالتشي) وهو مغاير لزخارف القطعتين الأمويتين ، المتأثرة أقدمهما بالفن القبطي وثانيتهما بالفن الساساني . وهذا الزخرف مغاير أيضاً لزخارف القطع العباسية السابقة لها في العهد ، الموجودة في قطعتين فقط الاولى التي باسم هرون الرشيد والثانية التي باسم الأمين ، وفي كلتيهما تغيرت الزخارف قليلا عن الزخارف الأموية . ولكنها ما زالت متأثرة بالفن المصري وهي في دور التطور والتكوين لتتخذ لها مميزات خاصة تميزها عما سبقها وتمهد الطريق لطراز إسلامي بحت ،فلم تأت الدولة الفاطمية إلا وقد أدمجت الكتابة المشجرة في الزخارف النباتية المقسمة الى جامات بها طيور وحيوانات نشأ عنها أشرطة غاية في حسن الرونق والبهاء .وكانت هذه الأشرطة الزخرفية توضع عند تفصيل قطعة النسيج الى ثوب في الأجزاء الظاهرة منه لنفاسة صنعها ، ومن الأجزاء الظاهرة فيه الأكمام . وكثيراً ما يكون المنسوج أو المطرز تقليد الكتابة مما يجعلنا نميل الى الاعتقاد بأن هناك غرضاً آخر من الكتابة على الأقمشة قد يكون مالياً متعلقاً بجباية الضرائب من الطرز ، ومما يؤيد هذا الرأي وجود بعض قطع من الأقمشة من عهد المماليك في مصر عليها بصمات بالطبع مذكور فيها اسم السلطان الذي صنعت في عهده وتاريخ صنعها

بقيت مسألتان تستدعيان النظر والاستقراء في هذه القطعة من النسيج وهما علمان أحدهما مطرز بالحرير الأحمر على بعد ١٨ مليمتراً من النص التاريخي بخط مشابه له ولكن بحجم أصغر ، نصه : « سهل بن شاذان » ، والثاني مكتوب في سطرين آخرين أولهما على يمين النص التاريخي في خط متعامد عليه مطرز بالحرير الاحمر بخط غير معتنى به وثانيهما في طرف قطعة النسيج مطرز بالحرير الازرق بخط كوفي غير معتنى به أيضاً وقد تضمنا نصاً واحداً وهو : « بركة للجوهر بن مر الخباز » ، والذي أراه أن سهل بن شاذان هو الصانع الذي نسج قطعة القماش أو على الأقل هو المطرز للكتابة نختمها على بعد بامضائه كما يفعل كثير من الفنانين الذين يعجبون بعملهم فيمهرونه بامضاءاتهم .وقد رأينا ذلك واضحاً في القطعة التي باسم هرون الرشيد حيث كتب الصانع اسمه بنفس الخط الذي كتب به اسم الرشيد ولكنه زادنا ايضاحاً فكتب « صنعة مروان بن ماري » ، فرفع عنا اللبس والغموض وعلمنا أنه الصانع بلا نزاع. ولكن مع توالي الزمن أصبح من التقاليد المعروفة عند الصناع كتابة أسمائهم من غير أن تسبقها كلمة صنعة أو عمل أو ما في معناها

أما الجوهر بن مر الخباز فاري أنه من خلعت عليه القطعة من النسيج ، لذلك نرى نوع الكتابة غير معتنى به وعمل على عجل في الوقت الذي خرجت فيه هذه القطعة من خزائن

الملابس. وقد سبق اسم جوهر كلمة بركة وهي لا تقال إلا للابس القطعة أو صاحبها فكثيراً ما ينقشون « بركة للابسه » أو « بركة لصاحبه » من غير ذكر اسم علم

وأحياناً يطرز فى أحد أركان القطعة من النسيج كتابة كوفية رفيعة فى سطرين أو اكثر يذكر فيها اسم علم وقيمة بالدينار وأرى أن هذه الكتابة تطرز فى حالة البيع

وقبل أن أختم كلمتى هذه أريد أن أقرر نتيجة أشعر بأنها على جانب عظيم من الصحة نظراً لكثرة قطع النسيج التى تداولتها أيدينا فى الخمس السنين الماضية وهى خاصة بادارة الطرز نستنبطها من النصوص المنقوشة على الأقمشة التى على اقتضابها واحتوائها على بعض أسماء أعلام من غير تنويه تشعر بأن المتداول والمعروف كان متبعاً فى كافة الطرز على وتيرة واحدة كالآتى :

أولا — كان من الواجب فى الطرز إجمالا سواء أكانت للخاصة أم للعامة أن يذكر فيها اسم الخليفة الذى صنعت فى عهده قطعة النسيج

ثانياً — كان يذكر فى النص أحياناً اسم ولى العهد أو الأمير أو الوزير أو والى الاقليم الذى امر بصنع القطعة من النسيج ونصادف ذلك بكثرة إذا كان الطراز للخاصة

ثالثاً — يذكرون فى النص أحياناً نوع الطراز ان كان للخاصة أو للعامة . وأرى أن كلا الطرازين كانا تحت إشراف الدولة ويمتاز أحدهما عن الآخر بأن طراز الخاصة كان ملكا خاصاً للخليفة يصنع فيه مايلزمه هو وأهل بيته وأمراؤه المقربون . أما طراز العامة فلنسيج ما تحتاج اليه العامة والجند وما شاكلهم

رابعاً — يذكر أحياناً فى النص اسم البلد الذى صنعت فيه قطعة النسيج

خامسا — يذكر أحياناً اسم من صنعت على يديه القطعة وأرى أنه المشرف على الطراز

سادسا — تاريخ صنع القطعة وهو واجب كذكر اسم الخليفة

سابعا — اسم الصانع ويكتب بعد النص مباشرة ان وجد

ثامنا — اسم المستهلك الذى خلعت عليه القطعة أو بيعت له مسبوق بكلمة بركة أو ما ماثلها كيمن وسعادة وغبطة . وفى حالة البيع تذكر القيمة بالدينار وهذا نادر . وقد ذكر سبع من هذه الثمانية النتائج فى القطعة موضوع البحث :

١ — اسم الخليفة : المعتمد على الله ٢ — اسم ولى العهد : المعتضد بالله ٣ — نوع الطراز : طراز الخاصة ٤ — اسم البلد : مرو ٥ — لم يذكر اسم المشرف على الطراز الذى صنعت على يديه ٦ — تاريخ صنعها : سنة ٢٧٨ هـ ٧ — اسم الصانع : سهل بن شاذان ٨ — اسم المستهلك : الجوهر بن مر الخباز

ولا يسعنى أن أختم هذه الكلمة قبل أن أبدى مزيد شكرى للسير جون هيوم على هديته الثمينة التى هى، علاوة على نفاستها تعتبر من التحف التاريخية الهامة

حسن محمد الهوارى

افيونيات كولردج

في قصيدة الملاح الهرم

كولردج شاعر ولد فى ٢١ اكتوبر سنة ١٧٧٢ ، والتحق بمدرسة ديفونشير فى السادسة من عمره ، وبعد بضع سنين وقع فى يده كتاب « الف ليلة وليلة » فأكب على قراءته ، وفيه يقول : « لقد اخترته دون ملاهى الطفولة ، فقرأته ، ثم أعدت قراءته ، فغرقت فى بحر من الاحلام »*

ثم مات والده وهو فى العاشرة من عمره ، فاضطربت حياته ، وفى هذا الاضطراب يقول شارلس لامب : « هو الطفل الغريب الاطوار الذى لا صديق له . . . » *

ولما تجاوز كولردج الثانية عشرة من عمره انغمس فى البحوث العويصة وقرأ علوم الدين والسحر ، ثم عرج على الشعر فكان أول ما قرأ أشعار باولز

ثم التحق بجامعة كامبردج . ثم عادت حياته الى الاضطراب . ثم تطوع فى الجيش ، ثم تركه . وأخيراً تمخضت نزعاته بمشروع افونى عجيب : هو أن يذهب اثنا عشر رجلا واثنتا عشرة امرأة الى أرض تسمى « سوسكيهانا » - وهو اسم موسيقى جميل يكاد لا يكون له مسمى - وهناك يعملون ساعتين كل يوم ليضمنوا القوت الضرورى ثم يعكفون على دراسة العلوم والآداب بقية النهار وشطرا من الليل

ثم نسى هذا المشروع الخيالى العجيب ، وتزوج فلم يوفق فى حياته الزوجية ، وأخيرا اتصل بوردسورث الشاعر الانجليزى الكبير وبأخته دوروثى ، وهناك استقرت حياته وهبت نسماتها رخاء ، فنظم اروع قصائده ما بين شهر يونيه سنة ١٧٩٧ وشهر سبتمبر سنة ١٧٩٨ ، وحق لهذا العام أن يسمى Annus Mirablis كما يقول شعراء اللاتين

وقد وصف لنا وردسورث صديقه كولردج فقال انه رجل يلفت الانظار أول وهلة بعينيه النجلاوين وجبهته البارزة ونزعاته العجيبة . ووصفته اخته دوروثى فقالت انه رجل بديع. ووصفه Hazlitt فى كتابه « أول تعارفى بالشعراء My first acquaintance with Poets » فقال ان مظهره لا يكاد يدل على أنه شاعر حتى يتكلم فتقفز عبقريته قفزاً

---

* Supplement to Biographia Literaria.
* Recollections of Christ's Hospital (1813)

ومما يؤسف له حقاً أن كولردج بدأ يدخن الافيون يافعاً ، فتمكن منه هذا المخدر واضعف من قدرته على الانتاج ، وزين له التوغل فى عوالم من الخيال لا نعهدها قط فى حياتنا الراهنة وكانت قصيدة « الملاح الهرم » احدى قصائده الافيونية ان صح هذا التعبير

° ° °

نحن ازاء قصة ملاح مسن Old Navigator . ولا ندرى لم غير كولردج العنوان فاستبدل The Old Navigator بعنوان آخر هو The Ancient Mariner الا ان تكون النزعة الافيونية قد رانت على خياله ، فرأى ان العنوان الاول لايمهد للصورة التى عول على ان يفاجىء بها الادب الانجليزى

والواقع أن هناك فرقاً بين العنوانين ، فالأول بسيط يكاد يكون عنواناً لقطعة نثرية ، أما الثانى ففيه غرابة وشذوذ . وليس قولك : « امرأة عجوز » كقولك : « عجوز شمطاء »

وقف الملاح الهرم ، وهو رجل بطين كث اللحية حديدى النظرات ، أمام بيت فيه وليمة عرس تصاعدت منها نغمات الموسيقى والغناء . وما كاد يرى ثلاثة من المدعوين حتى انقض على أحدهم انقضاض الصاعقة . . فعجب الرجل ، ووزعه قائلا : « لماذا تعترض سبيلى بلحيتك السكثة وعينيك البراقتين ؟ »

فقال الملاح : « كانت سفينة . . . »

وهنا خضع الرجل للملاح واستمع الى القصة وكما يستمع طفل سنه ثلاث سنوات إلى إحدى القصص المخيفة »

ثم روى الملاح الهرم قصته ، وهى قصة عجيبة ما فتئت ترقص فيها أشباح المزاج الأفيونى وتقفز فيها الشياطين ، ويبعث الأموات ، وتنور الأكوان ، ولا ندرى علام كل هذا !

° ° °

أقلعت السفينة ، وشعر ملاحوها بنشوة النسمات البحرية المالحة ، وانسابت أمامهم المراعى والحقول والاكواخ ، ثم القلاع والتلاع ، ثم استقبلهم الخضم فتزايلت هذه المرئيات وكانت آخرها قنة الفنار

وأشرقت الشمس ثم أخفقت ومالت الى الغروب . ثم أشرقت وغربت . وأخيراً نفخ فى البوق لجاءت العاصفة نكباء ، ثم جنبت لحملتهم شطر الجنوب

وهدأت الريح ثم صبت ثم شملت فبرد الجو وتكاثف الضباب ، واشتد الزمهرير ، وزحفت الثلوج تخشعت الأبصار وكلت وسئمت هذا المنظر الذى لا يتغير ، فلا ماء إلا وتغمره الثلوج ، ولا نبات ولا حيوان

وبينا هم فى هذه الغمرة إذا بطائر جميل رفرف فى الهواء بجناحين كبيرين ، فهرع الملاحون

لرؤيته واستبشروا بقدومه السعيد ، وانتظروا الخير على يديه ، وقدموا له مما كان معهم من طعام ، فلما شبع الطائر أصحت السماء وصبت الريح وانقشع الضباب وذابت الثلوج وسارت السفينة بعد أن كادت الثلوج تحطمها

وهنا ظهر الهلع على الملاح البطين الكث اللحية ، فقد لمعت عيناه ببريق رهيب ، فتساءل الضيف الذى كان يستمع اليه عن السر فى هذا الهلع ، واذا بالملاح يقول فى رعدة : « ويلاه ! لقد شددت على قوسى ورميت عنه فأصاب السهم المفوق قلب الطائر المسكين . . . »

نعم لقد قتل الملاح الطائر الذى جلب السعد على السفينة وعلى ركابها ، فعادت الريح نكباء ، ثم جنبت ، وأخيراً سكنت فوقفت السفينة لا تتحرك . .

عندئذ ثارت ثائرة الملاحين ووجفت قلوبهم من هول الجرم ، وراحوا يصيحون ويتشاءمون ، وقالوا إن زميلهم قتل الطائر الذى جلب عليهم الرياح فهم بعد اليوم الى حتفهم يسيرون

وكانوا قد جازوا خط الاستواء . فلما وقفت بهم السفينة أياماً وأعوزهم الطعام والماء ألح عليهم الجوع وأرهقهم الظمأ فهزلت أجسامهم وشحبت وجوههم وبرزت هيا كلهم ، وانهالت عليهم أشعة الشمس كأنها رماح محماة نصلت عليهم من أعنان السماء ، وأمطروا غضباً من الله وعذاباً . . .

ورمت السفينة وأغث هيكلها ، وأحصرهم البلاء فى غمر من الماء لا أول له ولا آخر ، فأخلدوا به ولا عباب يصعد بهم أو يهبط ، ولا حركة تقشع عنهم ويلات السكون ، ولا نسمة تثلج صدورهم ، ولا ماء إلا الملح الأجاج ، فقد أملح الخضم وأحمأه الطين ، ولا غذاء ولا نشاط ولا أمل

ونشأت فى البحر نتوء من الأقذار ، وغجتهم زواحف صدئة لها أرجل مخيفة ، ورقصت أشباح الموت فوق أمواه كزيت الساحرات ، فبلغت الارواح الحناجر

وذعر الملاحون وأصيبوا بالجنون ، فحملوا الطائر القتيل وعلقوه فى عنق القاتل ، ثم ضاقت صدورهم وشحت أنفاسهم فكانوا يموتون واحداً بعد واحد وكل منهم ينفح الملاح الهرم بلعنة قبل أن يلفظ النفس الأخير !

وكان عددهم أربعين ماتوا فى برهة وجيزة ، ولم يبق إلا الملاح والزواحف الصدئة ذوات الأرجل المخيفة . ومن عجب أن أجداث الموتى لم تتزايل ولم يتطرق اليها البلى ، وان نظراتهم ظلت تنصب على قاتل الطائر المسكين

وظل الملاح الهرم فى هذا الجحيم عدة اسابيع . وفى ذات ليلة طلع البدر فى السماء وخفتت همهمة الزاحفات ، فوقف معجباً بهذا المنظر الساحر ، وتطلع الى الزاحفات فألفاها جميلة فى هدأة

الليل ، فباركها وطلب لها من الله الرحمة . . وهنا ظهرت المعجزة ، فقد مرق جدث الطائر القتيل المعلق فى عنقه وهوى الى البحر وكأنه قطعة من الصلب ، واغفى الملاح وراح فى جنة الكرى

ولما صحا من غفوته سمع دوياً واحس بالرياح وقد عادت الى هبوبها ، ولكن العجيب فى الأمر أن الرياح لم تصل الى السفينة ومع ذلك فقد امتلأ بها شراعها . . وأعجب من ذلك ان الأجداث تحركت ثم أنت أنيناً موجعاً وبعثت من الموت لتؤدى أعمالها على ظهر السفينة ، فهذا يشد حبال الشراع ، وذلك يقود السفينة ، وهؤلاء يهرعون الى هنا وهناك ، ولم يكن احدهم ينبس ببنت شفة أو ينظر ذات اليمين أو ذات الشمال

وظلت السفينة سائرة حتى جازت المنطقة الحارة ودخلت منطقة البرد القارس ، وهنا ظهر فى الجو شبحان قال أحدهما للآخر :

ــ أهذا هو الملاح الملعون ؟

فاجابه الآخر قائلا :

ــ نعم . ولكن يخيل إلى انه لقى من لعنتنا ما كفاه ، ولا بأس من العفو عنه

وظل الملاحون الموتى الاحياء يسيرون السفينة حتى اقتربت من ارض الوطن ، فلاحت اولا قنة الفنار ، ثم القلاع والتلاع ، ثم المراعى والحقول ، ثم الاكواخ

وطرب الملاح الهرم وتلفت الى زملائه فاذا بأجداثهم ملقاة على ظهر السفينة ، واذا بارواح جميلة تقف فوقهم وتحيى الملاح تحية الوداع . . .

واقبل ملاحو المرفأ ليرفأوا السفينة فعجبوا لما يلوح عليها من آثار الموت ، وبينا هم يحاولون القفز اليها اذا بها تهبط الى قاع البحر ، وينجو الملاح الهرم بأعجوبة ، فيذهب الى قسيس المرفأ ويروى له قصته ، ثم يقطع على نفسه عهداً بأن يقضى بقية العمر فى الترحال وفى نصح الناس وارشادهم الى وجوب العطف على الانسان والحيوان على حد سواء

• • •

هاكم قصة الملاح الهرم ، القصة التى أوحاها افيون كولردج ، ومع اننا نعدها ـ من الناحية الشعرية ـ فى الذروة ، الا اننا نقف منها موقف الدهشة ، ونتساءل : اما كان الاحرى بكولردج ان يصل الى تلك النتيجة عن طريق اخرى تكون اقرب الى الحقيقة ؟ وما هذا الجو السحرى الذى اسبغه عليها ؟ وما هذا الطائر ؟ وما هذه اللعنة التى انصبت على الملاحين ؟ واين هو هذا البحر الذى تملأه الزاحفات الصديئة والزيت الذى يشبه زيت الساحرات ؟ ولماذا انصبت اللعنة على الملاحين دون القاتل ؟

الحق يقال ان هذه القصيدة من اغرب ما كتب فى الشعر الانجليزى اطلاقا ، وهى ان دلت على شىء فانما تدل على اثر الافيون فى خيال الشاعر

محمد محمد توفيق

مُدُن الفنّ في بلاد الأندلس

(٦) بقلم المرحوم احمد زكى باشا

تابعنا في الهلال منذ العدد الثاني من هذه السنة نشر جانب كبير من كتاب «مدن الفن في بلاد الاندلس» للمرحوم احمد زكي باشا . وهو الكتاب الذي قام بتأليفه قبل وفاته وحالت منيته دون صدوره . وقد رأينا ان نكتفي من هذه المقالات الممتعة بنشر هذا الفصل عن مدينة اشبيلية ، ونحن نأمل أن يطلع القراء على ما بقي من هذه الفصول بعد صدور الكتاب

فى وسط سهل فسيح على الضفة اليسرى من « الوادى الكبير » ذى المياه الصفراء قائمة « اشبيلية » ملكة الاندلس . وهى المدينة الوحيدة فى أرض مريم الكلية القداسة التى بدلا من أن تصبح « كقرطبة » و « غرناطة » مدفنا لحضارة اضمحلت من زمان مديد لم تزل متمتعة بحياة حقيقية من الحركة والعمل

أن « اشبيلية » لاتسمح فقط للسائح بدرس ما أبقته فيها عصور الفن الغابرة بل هى لم تزل المكان الذى تسمع فيه أكثر من أى مكان سواه خفقان قلب الشعب الأندلسى . فان هذه المدينة لم تزل محتفظة فى أيامنا هذه بالمرتبة التى وصلت اليها فى عهد « الخلافة المغربية » أولا ثم فى عهد السيطرة « المسيحية العربية » أيام « بطرس القاسى »

أن « اشبيلية » الحالية بعيدة الآن عن أن تضاهى ما كانت عليه وهى فى قمة مجدها فى القرنين السادس عشر والسابع عشر عند ما كان « لويس فرجاس » و « بدرو كبانا » و « ذورباران » و « فالدس ليال » و « موريللو » يزخرفون بآيات فنهم الكنائس والأديرة والقصور . . . بعد « فلورنسا » الحديثة عن عاصمة « المديشى » القديمة . .

ولكن بينما كانت كل من « قرطبة » و « غرناطة » آخذة فى الهبوط المستمر منذ الفتح المسيحى ظلت « اشبيلية » على العكس من ذلك (بفضل موقعها الطبيعى وسط اقليم خصب وعلى ضفة نهر عظيم صالح للملاحة يجعلها على اتصال دائم مع البلاد التى عبر البحار والاوقيانوس) محتفظة بجزء لا بأس به من الاهمية ، بل يمكن القول انها كمدينة جنوبية لم تزل ممتازة بالحركة

والحياة . حتى انها (فيما يختص بالفن الاسبانى الحديث) تشغل المقام الأول بين الحواضر الاسبانية ، ويحسب الآن بعض من نوابغ ابنائها «كغارسيا إى راموس » و « بيلباو » و « جيماناس أراندا » و « سانشز بارياه » وغيرهم من أعاظم رجال الفن فى شبه الجزيرة كلها

وينسب الاستعمار التاريخى القديم بل العريق فى القدم الى ماقبل أزمنة التاريخ فى « اشبيلية » وضواحيها ، الى موقعها المستعد لقبول المنشآت التجارية والصناعية والزراعية . ولكن اذا اجتاز المسافر اليوم تلك المنطقة بالسكة الحديدية وهبط على ضفتى « الوادى الكبير » من «قرطبة» الى « اشبيلية » فانه يشعر بانقباض فى صدره إذ يرى ذاك النهر الاصفر يروى أرضا منبسطة لايرى فيها إلا نادراً بعض هضاب قليلة الارتفاع ويبرز أمامه من وقت لآخر طلل لحصن قديم منعزل فى قمة احدى هذه الهضاب ، يطل كأنه الرقيب على ذاك السهل المترامى الذى كان مكلفا بحراسته فيما غبر من الدهر

لكنك اليوم تراه مهجوراً لا نسمة فيه من الحياة وترى ذاك السهل أمامك يمتد على بعد النظر لا روح فيه ولا بشر ، وقد كان فى الماضى مفعما بالحياة مملوءاً بعدد من القرى الزاهرة والضياع المأهولة . وكانت الآلات الرافعة للماء تدور بدون انقطاع آخذة تلك المياه المحيية توزعها فى الترع والاقنية التى تتفرع كخيوط الشبكة فى سائر البلاد . وكانت سهول الاندلس فى ذاك العهد تشبه من بعض الوجوه « دلتا النيل » إذ كانت مثلها ذات نظام للرى فى غاية الاتقان والاحكام ومثله بفضل ذلك حديقة دائمة الايناع ذات خصب لايبارى فى الفاكهة والغلال

أما الآن فهذه الولاية المتسعة التى لاينقص أرضها سوى الماء لتتدفق خصبا ورياً وتعطى كما فى الماضى نباتا قويا وتغذى ملايين من الفلاحين ـ ليست سوى مراع لثيران الزرائب . فلا ترى فيها سوى بعض القرى النادرة هنا وهناك . ويبرز من وقت لآخر أمامك وسط باقة من الخضرة منزل مدهون الجير الابيض ثم بعده يتمادى السهل أمامك خاليا عاريا الى حد بعيد فلا ترى أشجاراً إلا بجوار المنازل ولا حقلا مزروعا إلا ملاصقا لدار . وتجد هذه المزارع مبعثرة فى ذاك السهل بدون نظام

ولذلك فان سهل الوادى الكبير الذى يستطيع أن يكون فى أيامنا هذه كما كان فى الماضى ذاك الفردوس الذى تصفه لنا أحاديث رواة العرب فى الازمنة الوسطى ، تراه يلقى فى نفوسنا روعة الأسى وفى قلوبنا لوعة الحزن عند ما تقع انظارنا عليه

وقد نسب كثير من السياح هذه الحالة المحزنة الى تعصب الفاتحين المسيحيين الذين ثقلت وطأة ايديهم العاتية على أولئك الذين يحسبونهم « كفاراً » ـ فازالوا من الوجود كل منشآتهم . لكننا نحن نظن ان هؤلاء الفاتحين المتعصبين حاذروا مع ذلك من « قتل الدجاجة ذات البيض الذهبى » فانهم تجنبوا تخريب البساتين والحقول التى يعتنى بها الاهالى واحتفظوا أيضا بالترع

والاقنية فلم يدمروها . نعم لا بد أن فى أزمنة الحروب قد تأثرت هذه المزروعات با كتساح المتحاربين لأراضيها وأن بعض المنشآت قد تهدمت . لكن بعد أن تم اخضاع البلاد رأى الغالبون أن من مصلحتهم الاحتفاظ بالآلات الرافعة والسواقى سليمة وأن يشجعوا زراعة الاراضى والكروم . ففى غداة الفتح انتزعوا الحقول انتزاعاً فقط من أيدى العرب ووزعوها على القادمين الجدد . وقد كانت تلك عادة جارية فى القرون الوسطى كما قد فعل « النورمانديون » عندما اقتسموا فيما بينهم « أرض انجلترا » ، وكما فعل « الانجليز » فيما بعد عندما اقتسموا أرض « ايرلاندا » التى تغلبوا عليها

فيفهم جيداً مما تقدم أنه غداة تقسيم الاراضى كانت رغبة المسيحيين شديدة ولازمة فى أن يعيدوا ايرادات البلاد الى مستواها السابق ، ولذلك اعتنوا فى حفظ كل منشآت الرى وبقية الاعمال والمؤسسات ذات المنافع الأكيدة الواضحة . واذا لاحظنا أنه بالرغم من ذلك قد هبط الرخاء بوجه العموم بعد الفتح الى درجة واطئة وعادت البلاد الأندلسية الى الوراء فى عهد المسيحيين فذلك بسبب « تقسيم الاراضى » . فان العرب الذين صودرت املاكهم الثابتة والمنقولة لما لم يعد لهم ما يمكنهم من الاقامة فى بلاد سيطر عليها أولئك الفاتحون الذين من غير دينهم، فضلوا الرحيل عنها الى المناطق المجاورة التى كانت لم تزل فى قبضة اخوانهم . فبدأت من ذلك الحين حركة مهاجرة شديدة ولم يكن عدد الذين قدموا من جديد الى بلاد الاندلس كافياً لسد النقص الحاصل من خروج العرب

فضلا عن ذلك فان المزارعين العرب الذين ظلوا مقيمين فى أوطانهم أصبحوا مزارعين شركاء أوخدماً مأجورين عند بعض صغار الملاك ، فلم يكونوا يشعرون بانهم ملتزمون فى الاعتناء بحب واخلاص فى زراعة الارض التى لم تعد ملكا لهم

أضف الى ما تقدم سببا آخر لكنه لايتعلق بالفاتحين وهو من أهم الاسباب التى ساعدت على خلو البلاد الاندلسية من أهلها أكثر من اضطهادات ومظالم النصارى . ذاك هو « اكتشاف اميركا » الذى تم على يد السفن الاندلسية والبحارة الاندلسيين ، وهو الذى جاء الى الاندلس بكنوز وثروات البلاد التى وراء البحار . فأساطيل ذهب « البيرو » و « المكسيك » كانت ترسو على أرصفة « اشبيلية » لان « كورتز » و « بيزار » كانا من أهالى ضواحى هذه المدينة . وكان « كولومبوس » نفسه مقيما فيها مع عائلته . بل إن كل الفاتحين تقريبا كانوا أندلسيين

فذاك المعدن الهائل « الذى ينضجه سيبانجو فى اعماق حفره البعيدة » (١) كان يحدث فى سكان المدن والقرى الاندلسية جاذبا لايقاوم . واذا رأينا اجزاء عظيمة من هذه الولاية كانت قبلا ملأى بالحقول اليانعة قد أصبحت الآن قفاراً خالية من كل أنيس سوى قطعان الثيران التى

(١) ترجمة بيت شعر فرنسي

ترعى عشبها ، فالذنب فى ذلك يقع على فتح الاسبان لاميركا الجنوبية والوسطى . فالاندلس خصوصاً واسبانيا عموما سبب خرابهما الاستعمار لا التعصب الدينى فقط فان الفروع امتصت من جذور شجرة كل الماء حتى كادت تيبسها

ومن كل المدن الاندلسية التى كانت تحمل فى عهد سيطرة العرب مصباح العلوم والفنون ظلت « اشبيلية » المدينة الوحيدة التى بعد طرد المغاربة احتفظت بمرتبة لابأس بها بين الحواضر ، إذ انها لم تزل مزهرة فيها حضـــارة جديدة قامت على انقاض تلك المدنية القديمة وروعتها وبهائها الغابرين

فان من السهل فى « قرطبة » الابقاء على منشآت المسلمين لأنه بعد دخول المسيحيين اليها اكتفوا بترميم وتشويه تلك الآثار بدون أن ينشئوا شيئاً جديداً لذلك لاترى فيها أثراً يذكر من عمل المسيحيين . أما فى « اشبيلية » فلم يكن الأمر كذلك . وســترى ان أكثر المبانى التى سنصفها فى هذه المدينة قد انشئت فى عهد المسيحيين وإن يكن روح العرب هو المسيطر عليها والمؤثر الاكبر فى خطط المهندسين ورسوم مبانيهم . كما ترى ذلك جلياً عندما تزور الكازار (القصر) ومنزل « بيلاطوس » وغيرهما من المبانى الخاصة

ففى « اشبيلية » آثار للفن ترجع الى أجناس مختلفة من البشر وأزمنة مختلفة من الدهر : الفينيقيون والرومان والفيزيقوط والعرب وأخيراً مسيحيو « قشتالة » كل هؤلاء تداولوا الحكم فيها وكل عهد من عهودهم له آثاره . انما والحق يقال لايوجد بين هذه الآثار مايستحق الذكر هنا سوى آثار العرب والمسيحيين الذين جاءوا بعدهم

نعم قد كان للرومان هنا مستعمرة مهمة لكن الكتابات العديدة المثبتة على الرخام أو حجارة القبور المحفوظة فى دار الآثار « باشبيلية » والقناطر الرومانية التى لم تزل للآن تقوم بمهمتها فى جر المياه وخرائب مسرح « ايتاليكا » المدرج والتماثيل الجميلة القديمة التى ترى فى « منزل بيلاطوس » كل ذلك لايستحق أن يوقفنا طويلا لاننا نجد فى « ايطاليا » وفى « جنوب فرنسا » من آثار الرومان ما هو أفخم منه جداً ويعرفه عامة الرجال المثقفين لدرجة تجعل وصفنا للآثار الرومانية فى اشبيلية مضيعة للوقت . ففى سنة ٤٥ قبل المسيح استولى الرومان على هذه المدينة واثناء سيطرتهم عليها انتشرت فيها الديانة المسيحية انتشاراً عظيما . وفى عهدهم ظهرت القديستان الشهيرتان « جوستا وروفينا » اللتان ترى كثيرا من رسومهما أثناء تجوالك فى المدينة . وفى سنة ٤٠٩ م غزا « الفندال » اسبانيا واستولوا عليها

وبعد ثلاثين سنة جاء دور « الفيزيقوط » وظلت اشبيلية عاصمتهم مدة ثمانية وخمسين عاما . وفى سنة ٥٦٧م جعل ملكهم « ليو فيجيلد » عاصمته «طليطلة» لكن «الجرمان» ظلوا مسيطرين على البلاد . ولغاية الآن هناك فى سهل الوادى الكبير عدة قرى سكانها ذوو شعور شقراء وعيون زرقاء تدل على أصلهم الجرماني النقى

واستولى العرب على اشبيلية سنة ٧١٢ لكنهم لم يتخذوها عاصمة بل جعلوا مقر ملكهم مدينة « قرطبة » ففازت هذه على مزاحمتها وصارت اشبيلية مدينة ريفية ولم تسترجع أهميتها ومرتبتها الخاصة إلا بعد سقوط « بنى أمية »

مع ذلك فان الاسم الذى كان « لقرطبة » فى زمن الخلافة كان ينعكس شعاعه أيضا على جارتها . وقد تلقى العلوم فى مدرستها الجامعة التى انشأها « الحكم الثانى » فى النصف الثانى من القرن العاشر « جربير » الشهير الذى صار فيما بعد حبراً أعظم على كرسى روما ولقب « بالبابا سلفستروس الثانى » فقد كان مسيحيو الاندلس فى ذاك العهد يطلبون الثقافة العربية بكل ارتياح وشوق . ولذلك تجد أن أحد كبار علماء الأندلسيين الذين نبغوا فى القرن العاشر وهو « جوان » أسقف اشبيلية كتب باللغة العربية تفسير التوراة

ولما توفى هشام وهو الخليفة الشرعى للمسلمين وحامت الظنون حول وفاته السرية ظهر فجأة فى اشبيلية « محمد بن العلا » وأجلس على عرش الخلافة شخصا مجهولا ادعى بانه « هشام » وحكم المدينة والولاية باسم هذا الخليفة المستعار . وبعد أن استتب له الامر خلعه وفى الحال نادى بنفسه ملكا على اشبيلية وهو مؤسس دولة « العبابدة » الذين اظهروا فى بلاط الخلافة من الابهة والمجد ما وصفه كتاب العرب وقابلوه وساووه بعظمة الخلافة العباسية ببغداد . ثم جاء « المعتمد » بعد « محمد » فاصبحت اشبيلية فى عهده محوراً للفنون ومجتمعاً للعلماء والشعراء إذ أن المعتمد لم يكتف بان يتخذ تحت رعايته جميع الفنون التى تينع فى زمان السلام ، بل كان هو نفسه مجاهداً عظيما فى الحروب يهابه أعداؤه سواء كانوا من المسيحيين أم من العرب

وخلفه ولده « المعتمد الثانى » وسار على آثار أبيه ونبغ فى الآداب حتى حسب فى مصاف مشاهير الشعراء . وقد نقلت الاحاديث التاريخية الأسبانية شيئاً كثيراً عن وصف ابنته الحسناء « زائدة » التى تزوجت بالملك المسيحى « الفونسو السادس » فاتح « طليطلة » . ولكن هذه القربى لم تمنع الملكين من مواصلة القتال ضد بعضهما . ولما رأى ملك اشبيلية أن الدائرة ستدور على المغاربة استنجد « المرابطين » فهبوا لنجدته وأقبلوا من افريقيا جموعا كثيفة واستظهروا سنة ١٠٨٦ على الملك المسيحى الذى كان يحارب فى جيشه حينئذ البطلان القوميان الاسبانيان « الفار فانس » و « رودريجودى فيفار المشهور بالسيد » ثم عاد « المرابطون » بعد ظفرهم الى أوطانهم ولكنهم بعد سنين قليلة رجعوا الى اسبانيا . انما لم يكونوا هذه المرة انصاراً للمعتمد بل اعداء له فتغلبوا على جيشه وقبضوا عليه وارسلوه مع كل ذويه وحاشيته مكبلين بالحديد الى افريقيا وانشأوا فى الاندلس دولة جديدة لكنها كسالفتها لم تعمر زمانا طويلا

ففى سنة ١١٤٦ بدأت دولة « الموحدين » الذين كانوا قد تغلبوا على المرابطين أولا فى أفريقيا ثم فى اسبانيا . واستظهر « الفونسو الثامن » على ملك اشبيلية فى واقعة « لاس نافاس دى تولوزا »

لكن مع ذلك ظلت أشبيلية ستة وثلاثين أخرى فى يد العرب الى أن فتحها الاسبان نهائيا على يد الملك القديس « فردينان الثالث » .

• • •

ان أكثر المبانى المغربية المحفوظة لأيامنا هذه فى مدينة اشبيلية هى من عهد «الموحدين» . نعم ان هذه المدينة كانت مدينة للخلافة بمسجد يضاهى بجماله واتساعه زميله العظيم مسجد «قرطبة» لكنه ذهب طعمة للنار أثناء غزوة شنها النورمانديون صاعدين فى سفنهم مجرى «الوادى الكبير» وقد ظل بعض جدرانه قائما فاحتفظوا به لاكمال البناية الجديدة . وقد أدخل «الموحدون» بعض تعديلات فى الفن الاسبانى المغربى الذى كان متبعا زمن الخلافة . لذلك تجد طراز هندسة مبانيهم أقل فخامة وعظمة من الطراز المذكور وزخرفتها غير مشبعة مثله بالتقاليد البيزنطية فتبدو مختلفة الالوان والاشكال زيادة عنه وأكثر منه كلفة وبذخا لكنها فى مواضع كثيرة لاتدل على ذوق سليم

ولم يزل باقيا للآن من آثار مسجد الموحدين الأكبر فى اشبيلية بعض أقواس وبعض جدران فى الدار المسماة « حوش البرتقال » . وأفخم هذه البقايا المئذنة العظيمة التى صارت فيما بعد برج « الجيرالدا »

وهناك فضلا عما ذكر من آثار الهندسة المعمارية المغربية فى اشبيلية كثير من البقايا تراها فى معظم الكنائس التى كانت فيما سبق مساجد . وسنصفها فيما يلى عندما نأتى على وصف سواها من الآثار

وفى «اشبيلية» كما على العموم فى سائر مدن الاندلس لم ينسحق الفن العربى تحت تأثير غلبة الفن المسيحى فوراً عقيب الفتح ، بل بالعكس ترى أن « قصر اشبيلية » الشهير الذى يضاهى بجمال دوره وقاعاته أفخم ماهو موجود من طرائف الآثار الشرقية فى أجمل دور « الحمراء » وقاعاتها ، قد بنى فى عهد المسيحيين وليس فيه ، وذلك فى بعض اقسامه فقط ، سوى النزر القليل من بقايا العصور الاسلامية

فقد كان ملوك اشبيلية الأول من المسيحيين بعيدين جدا عن ذاك التعصب الذى كان مزمعا فيما بعد أن يستولى على خلفائهم الذين جاءوا بعدهم مدى قرنين ونصف قرن . بل كان أولئك الملوك الاوائل يشبهون فى معيشتهم وعاداتهم ملوك الشرق أكثر من شبههم لملوك الغرب . فكان عندهم حرم ، وكانوا يتنكرون « كهارون الرشيد » ويزورون أهل المدينة وكانوا يبنون القصور على الطراز المغربى ويتكلمون اللغة العربية بالسهولة التى يتكلمون بها اللغة القشتالية

وقد حدث فى « صقلية » أيضا ما يشبه ذلك وفى نفس العهد . فقد احتل النورمانديون أولا هذه الجزيرة فاستشرقوا تماما ثم جاء بعدهم «الهوهنستوفن» فاستشرقوا أيضا . ونتج من ذلك

اندغام الطراز القوطى بالطراز العربى فبرز منهما طراز جديد « ايطالى » نرى أجمل أمثلته فى كاتدرائية مونريال وكنيسة « قصر باليرما » . كذلك حصل فى اشبيلية فان من اتحاد الطراز العربى بالطراز القوطى وطراز عهد النهضة برز ذاك الطراز الخاص المسمى « طراز المجاورين » وهو الذى نشاهده فى « الكازار » (القصر) ، وفى منزل « بيلاطوس » وفى بنايات أخرى عديدة

وأغرب هؤلاء الملوك اطواراً الملك «بطرس» الذى كان يلقب نفسه «بمقيم العدل» ويلقبه اعداؤه « بالقاسى » ، فان هذا الملك وهو الذى تشاهد خياله يطوف فى الف اسطورة اشبيلية هو الذى بنى الجزء الأكبر من القصر العربى . ومن غداة الفتح شرع المسيحيون فى تغيير المساجد من الداخل والخارج لكى يحولوها الى كنائس كاثوليكية . ولكن فى القرنين الاولين من عهد تسلطهم على اشبيلية لم يبن قط بناية واحدة من الطراز المسيحى الخالص إذ أن التأثير العربى ظل سائداً فى كل مكان حتى إن الكاتدرائية القوطية العظيمة نفسها احتفظت بميزة أصلها الاسلامى وهى « صحن المسجد المربع القديم » الذى يحاولون أن يصيروه من الداخل على شكل صليب

وقد كان بناء هذا الهيكل الفخم بدء عهد التجديد والازدهار للفن الاشبيلى ، إذ من البعد والقرب ، من المانيا ومن الفلنك وهولاندا توافد المهندسون والنحاتون والزجاجون ليضعوا أنفسهم تحت تصرف مجمع الكاتدرائية . فترى للنقش الاسبانى الذى لا يعرف كثيراً فى الخارج أجمل الامثلة فى كاتدرائية اشبيلية . فمن جهة ترى لجميع رجال الفن من « المدرسة الاشبيلية » فى القرنين السادس عشر والسابع عشر آثاراً بينما من جهة ثانية ترجعنا « عذراء انتيجا » الى أوائل عهد الرسم المسيحى فى بلاد الاندلس

وقد جاء اكتشاف اميركا واستثمار معادن الذهب فيها وتدفق كنوزها على اسبانيا كلها وبالاخص على اشبيلية التى كانت فى ذاك العهد أهم الثغور البحرية . . مناسبة وفرصا سمينة اغتنمها اسر كثيرة فأثرت واغتنت ، فبعضها سار على مثال امراء ايطاليا فى عهد النهضة فشجع الفنون والعلوم وأخذ يناصر أصحابها . فاصبحت اشبيلية حينئذ ملجأ لفن الرسم . واجتمع فى القرن السادس عشر أعظم رجال الفن : « كبدرو كمبانا » ، و « بدرو فرندز دى غوادلوب » ، « واليجو فرناندز » و « لويس دى فرجاس » ، و « بدرو مرموليجو » ، و « باولو سلسبادس » . وفى القرن السابع عشر : « فرنسيسكو باشيكو » و « جان دى لاس روالاس » ، و « أوغستين وجوان دى كستيللو » ، و « هريرة » ، وهم كثيرون . و « زور باران » ، و « الونسو كانو » ، و «دياجو دى سيلفا فلاسكز » الذى لم يمض فى اشبيلية سوى أيام شبابه ولم يترك سوى آثار قليلة و « فالدس ليال » ، و « بدرو دى مويا » ، و « برتولومى استبان موريللو » . وقد نبغ فى هذا العهد الحفار « ميكال فلورنتينو » وهو الذى ينسب اليه أجمل آثار النحت فى الكاتدرائية . و «طوريجانى» وهو ند « لميكال انجلو » وله فى دير « بونافيستا » تمثال بديع للقديس جيروم

وغيرهم كثير من رجال الفن من الطبقة الثانية نرى آثارهم فى كنائس المدينة . كذلك ازدهر فى ذاك العهد فن الهندسة المعمارية . وبعد أن تمت الكاتدرائية وجد فن الهندســة مايشغله فى الكنائس العديدة وفى سراى المجلس البلدى و« البورصة »و« مستشفى الرحمة » (الكاريداد) و «خزانة الكتب الكولومبية » و «سراى رياسة الأساقفة» وغير ذلك من المبانى العمومية التى تبدى لنا : أما تلك المناظر الجميلة من طراز النهضة المتساوى ، والخطوط الملتوية لذاك الطراز الغريب الذى يسمونه «الشير يغويرى » باسم مخترعه « شيريغويرا » . وفى القرن الثامن عشر أى بعد مضى زمان طويل على انقراض الفن المغربى بنوا فى اشبيلية « معمل الدخان » الذى يشبه القصور وبنوا أيضا « قصر سان تلمو »

أما القرن التاسع عشر : فبالرغم عن المزاعم والادعاءات العصرية فلم يزد شيئاً يذكر على كنوز الفن فى اشبيلية . وبوجه الاجمال يجب أن نأسف لأحداث التصــليحات الجديدة فى الكاتدرائية والقصر بدلا من أن نمتدحها

حول مقال « أمثال العوام »

قرأت فى عدد فبراير من هلالكم الأغر بحثاً ممتعاً للأستاذ « أديب عباسى » حول « أمثال العوام ودلالتها »

وقد شاء الأستاذ أن يدلل على اتصال الأمثال العامية - بالعصبية القبلية فقال : « والعصبية القبلية لها نصيب غير قليل من أمثال العامة فهم ما يزالون على رأى القائل القديم : « انصر أخاك ظالما أو مظلوما » ومن أقوالهم الدالة على قوة العصبية : « أنا وأخى على ابن عمى وأنا وابن عمى على الغريب » . . الخ . لو اكتفى الأستاذ فى تدليله بالمثل الأخير : « أنا وأخى . . » لخرج من بحثه بالنتيجة التى يحاولها سالما ولما أحوجنا الى شىء من التعليق ، غير أن إيراده : «رأى القائل القديم» فى معرض العصبية هذا واعتباره مبنى عصبية العوام التى يعبر عنها مثلهم : « أنا وأخى . . » - كما يفهم من السياق - قد قلل من شأن الحجة وبرهن على أن الأستاذ قد لايتثبت أحيانا فيما يكتب - والكمال لله وحده

لقد كان على الأستاذ عباسى عند ما عرضت له هذه الجملة : « أنصر أخاك . . » أن يتقصى أمرها قليلا ليتعرف مصدرها وقائلها لعل أن ينكشف له منها غير ما انكشف له وغير ماينكشف لسواه حين تعرض له بهذا الشكل الأبتر . وهو لو فعل ذلك لرأى انها أبعد ماتكون عما أراد لها من معنى العصبية وانها لايصح بوجه أن تكون من « الحقائق النسبية » التى يجدها فى الحكمة

من الادب الروسي

مفتش الحكومة

خلاصة قصة تمثيلية لنيكولاى جوجول

انتهت الاشاعات الى عمدة المنطقة بأن مفتشاً بعثه الحكومة يطوف فى أنحاء اقليمه متنكراً ليرى كيف يقوم حكامه بالامر بين الناس ، وعلى أى وجه يؤدى موظفو الحكومة مهام أعمالهم . فدعا اليه أولى الامر فى دائرته ليفاوضهم فى هذا النبأ الذى أخذهم على حين غرة وليهيء معهم الوسائل التى تخفى عن المفتش ما ينزلونه من العسف بالناس ، وما يأتونه من الاهمال فى العمل ، وما يقبلونه على أنفسهم من الزلفى والارتشاء . فاجتمع فى بيته قاضى المحكمة ومفتش التعليم وطبيب المستشفى ووكيل الصدقات ورئيس البوليس الذين وجفت قلوبهم فرقا من هول ما انبئوا . إن العمدة قد استشعر الخوف منذ ليلة أمس حين تراءى له فى حلمه فأران اسودان أشد السواد ، ضخمان أقصى الضخامة ! . . .

يرى القاضى الذى لم يقرأ غير خمسة كتب أو ستة — وإن كان يأبى الا أن يذكر مؤلفيها ويقتبس من أقوالها كلما تحدث — ان الحرب بدأت تنذر بمقدماتها ، وان الحكومة تريد أن تتبين ما قد يدبره أعداؤها من الفتن والمكايد . فيقاطعه العمدة بأن ليس هناك من يخشى منه خيانة أو تمرداً فى قرية بينها وبين الحدود أمد لا تقطعه ولو عدوت ثلاث سنوات متواصلة ، ومع ذلك فالذى يهمه ويهمهم هو أن يظفروا من مفتش الحكومة بالرضى وحسن القبول

فهو ينصح الطبيب بان يرتب مستشفاه وينظمه ، فيضع فوق كل سرير اسم المريض وتاريخ مجيئه للمستشفى ، ويكتب اسم المريض باللاتينية ، ويقدر لمرضاه الأدوية اللازمة . وان كان الطبيب يرى أن لا فائدة منها ، فهو مقتنع بأن خير دواء هو ترك المريض وشأنه لانه إذا كان سيشفى فهو سيشفى على كل حال ، وإذا كان سيموت فهو سيموت على كل حال . وهو لذلك يبيح للمرضى أن يدخنوا دخاناً من الصنف الحار القوى بدل أن يعطيهم هذه الأدوية الغالية النفقة التافهة القيمة

وينصح القاضى بان ينظف فناء المحكمة الذى اتخذه لتربية الكلاب ونشر الغسيل ، وبان يبحث عن دواء لهذا الموظف الذى يجبى الضرائب لان رائحة كريهة تنبعث منه دائماً . أما الرشوة فالقاضى لا ينكر قبوله لها ، ولكن أى رشوة هى ؟ انها لا تزيد عن جرو صغير من فصيلة كلاب الصيد ! انه

لا يأخذ فراء يساوى خمسمائة روبل ولا شالا لزوجته مثلا . فيقاطعه العمدة الذى يفهم تلميح القاضى بان الرشوة أهون على كل حال من ضلال عقيدته وزيفه فى الدين ، فهو لا يؤمن بالله ولا يذهب الى الكنيسة وعند ما يتكلم عن خلق العالم يقف شعر رأس العمدة هلعا . . .

وأنت يا مفتش التعليم ، ان مرموسيك من المثقفين الممتازين ، ولكن أخلاقهم شاذة . فهـذا المعلم ذو الوجه السميك لا بأس من أن يخيف تلاميذه بطلعته المتجهمة وسيماه المعقدة ، أما ان يقابل مفتش الحكومة بهذه الصورة المؤذية فالله وحده يدرى ماذا تكون العاقبـة . ومدرس التاريخ إنه رجل واسع الاطلاع ، ولكنه حين يتحدث عن أبطال التاريخ تنتابه حمى عنيفة فينسى نفسه وينسى من حوله . لقد سمعته مرة يتكلم عن الاسكندر الاكبر ولا استطيع ان أصور كيف كان أمره ، خيل الى أن ناراً موقدة قد شبت فى البيت ، فقد قفز من مكانه وألقى المقعد على الارض باقصى قوته . إن الاسكندر بطل عظيم ، ولكن هذا لا يستدعى تخريب ممتلكات الحكومة

ثم يدخل رئيس البريد وهو يؤكد أن مجيء مفتش الحكومة دليل قاطع على أن الحرب ستنشب بين الروسيا وتركيا ، فيفرح القاضى لان نبوءته كادت تتحقق بكلام رئيس البريد . ولكن العمدة واثق من أن المفتش لا بد آت للتحقيق فى تقارير رفعها تجار المدينة ضده . وهو يرجو رئيس البريد أن يفتح كل خطاب يرد اليه فربما كانت هناك شكاو الى الحكومة من سوء معاملته وعدوانه على الناس . فيطمئنه رئيس البريد بألا يخشى شيئاً من هذا فقد اعتاد أن يفتح كل خطاب يصل اليه ليمتع نفسه بما فيه من الحديث الظريف وليحيط علما بما يجرى فى العالم ! إنه يكتسب من المعلومات بقراءة بعض الخطابات أكثر مما يكتسب من قراءة جريدة « أخبار موسكو » فمثلا هذا الخطاب الذى يصف فيه أحد الضباط لصديق له مرقص المدينـة ، انه خطاب ظريف حقاً ، حتى انى احتفظت به ، أتريد ان اقرأه لك ؟

ثم يندفع نحوهم رجلان من فلاحي القرية وهما يلهثان من التعب ويتحدثان فى تقطع واضطراب ويتسابقان فى الادلاء بما لديهم من النبأ العظيم . هذا يريد أن يتحدث فيقاطعه الآخر ، فاذا أخذ هذا يتكلم أسكته الاول . والعمدة يلحف عليهما ان يخبراه بما يهدىء فريصته المرتعدة أو يرد اليه قلبه المخلوع . وأخيراً قال أحدهما وسط مقاطعة زميله وتسابقه بانه عندما ترك العمدة مع زملائه يتشاورون فى أمر المفتش ذهب الى فندق القرية ليتناول بعض الطعام وهناك وجد شاباً على وجهه علائم الحزم والتروى . فسأل صاحب الفندق عنه فقال له إنه موظف من بطرسبورج وانه هنا منذ اسبوعين ولكنه لم يدفع له شيئاً ما . فلما سمع هذا أحس بهاتف فى قلبه يهمس : هذا هو الموظف ، مفتش الحكومة

دهش العمدة أشد الدهش ، وأشفق على نفسه كل الاشفاق . مفتش الحكومة مقيم فى قريتنا ؟ !

مفتش الحكومة بيتنا منذ اسبوعين ؟ : أيها القديسون ! أيها الشهداء ! ألا نجاة لى من هذا ! فى هذين الاسبوعين جلدت امرأة الشاويش بالسياط ، ولم تعط للمسجونين جراياتهم ، ولم تنظف الشوارع مرة واحدة ، كلها قذارات ومشاجرات

ثم أشار وكيل الصدقات بأن يذهبوا جميعاً إلى الفندق لمقابلة مفتش الحكومة ، ورأى القاضى أن يذهب رجال الدين أولا ، فقد جاء فى كتاب «حنا البناء» . . ولكن العمدة رأى أن يذهب كل منهم إلى عمله ينظمه ويهيئه ، بينما يذهب هو وحده الى الفندق ، على أن يتأهب موظفوه لاستقبال مفتش الحكومة . ثم يصدر طائفة من الأوامر الى رجاله : فليقل كل واحد منكم انه سعيد ومغتبط والا فسأعطيه شيئاً بعد انصراف المفتش يجعله سعيداً ومغتبطا ، واذا سأل عن الكنيسة لماذا لم تبن مع انه قد جمعت لها التبرعات منذ خمس سنوات فلا تنسوا أن تقولوا انها بنيت ثم تهدمت ، اياكم أن ينسى أحدكم ويقول بغباء انها لم تبن . فليذهب هذا ليقف عند قنطرة القرية فهو مديد القامة مهيب الطلعة . وليفق هذا الذى نام منذ ليلة أمس حين ذهب ليقبض على جماعة من المتشاجرين فرجع معربداً مخموراً . انتى بقبعتى وسيفى ، ألا يرى هذا التاجر الامين أن سيفى قد أكله الصدأ ، فلم لا يرسل الى سيفا جديداً ؟

* * *

موظف بسيط ، حديث السن ، أنيق المظهر ، فارغ الكلام ، قد ترك عمله فى بطرسبورج ، وأخذ يطوف مع خادمه فى أنحاء الريف ، حتى انتهت به رحلته الى هذه القرية بعد أن أضاع مامعه من المال القليل . نزل فى فندقها منذ أسبوعين يأكل وينام دون أن يدفع شيئا ، منتظراً مايرسله اليه أبوه ، ولكن أباه قد أبطأ ، وصاحب الفندق قد ارتاب فى أمره ، فأبى أن يقدم اليه والى خادمه شيئاً من الطعام قبل أن يفى بما تراكم عليه من الدين

أما الخادم فقد اضطجع على سرير سيده ، وأخذ يتسمع ما يحدثه الجوع فى معدته من الاصوات وهو يتمتم بالسخط على سيده الأرعن الطائش . . «كان معه من المال مايكفى لأطول من هذه الرحلة ، ولكنه سيء التصرف ، يذهب الى الفنادق فيأمرنى أن أحجز له أجمل الغرف ، وان آتى له بأغلى الطعام ، كأنه سرى ملىء وليس كاتب سجلات . . . ان أباه يعطيه كثيراً من المال ، ولكنه يبعثره فى استئجار عربات يجول فيها هنا وهناك ، وفى الذهاب الى مسارح ومراقص يقضى فيها لياليه الطوال ، وبعد ذلك يرسلنى الى السوق لأبيع بدلته الجديدة . . والله انه يسير أحيانا وليس عليه سوى جاكتة ومعطف ! . . . وما الذى أتى بنا الى هنا ؟ ما أجمل الحياة فى بطرسبورج ، حيث لاترى منظراً خشنا ، ولا تسمع كلمة نابية . هناك لا يخاطبك الناس الا بقولهم: «يا سيدى» وهناك تلتقى بالخادمات الجميلات . واذا كنت متعبا استطعت أن تركب عربة ولو لم يكن معك شيء فلكل بيت

باب أمامي تدخل منه ، وباب خلفي تفلت منه . . أما هنا ، فها هو صاحب الفندق يأبى أن يعطينا ما نحفظ به رمقنا . آه لو يعطيني قليلا من الحساء ! »

ثم يدخل سيده وقد أخذه الجوع بشدة ، فيأمر خادمه أن يأتي له ببعض الطعام ، فيأبى الخادم ويتردد ، لأن صاحب الفندق قد قال له : « انكما من المحتالين الماكرين ، لقد مر على كثير من أمثالكما الذين يأكلون وينامون ثم يفرون هاربين ، سأبلغ أمركما الى العمدة ليزج بكما في السجن » ويأتي خادم الفندق فيخبره بأن سيده قد رفض أن يقدم له طعاما قبل أن يدفع ما عليه ، وانه قد ذهب الى العمدة ليشكوه ويستوفي دينه فيلحف عليه أن يذكر أنه لم يذق شيئاً منذ حين ، وأن يقنع سيده بأنه ليس فلاحا يستطيع أن يبقى يوما بلا أكل . . وأخيراً يأتون له بغداء من الحساء ، وأي حساء ! شيء كالماء الراكد في رائحته ، وكالماء المصفى في مذاقه ، وفيه تطفو قطع من اللحم ، قد أخذ منها اللحم وأبقي فيها الريش ! . . فيسخط ، ويأنف ويمتنع ، ولكنه جائع جداً ، وصاحب الفندق ينتظر منه أن يمتنع فيرجع بالطعام ممتنا ، واذاً فهو مضطر الى أن يعب الحساء عبا وان كان مشمئزاً ، وان ينهش اللحم نهشاً وان كان متقززاً

ثم يدخل خادمه فينبئه بأن عمدة القرية أتى يسأل ويستقصي عنه : « واذاً فصاحب الفندق قد رفع أمري الى العمدة ، وها هو آت ليقبض علي ويلقي بي في السجن . ولكنني سأقاومه ! أيعرفني من أنا ؟ سأصيح في وجهه : كيف تتجرأ علي ، كيف ! . . . » وهنا يدخل العمدة متهيباً ، فيلقاه الشاب شاحباً مرتعداً ، هذا يزعم أن العمدة جاء ليزج به في السجن حيث يلقى النكال ألوانا ، وذاك يزعم أنه ماثل بين يدي مفتش الحكومة كله ...

موقف حرج دقيق ، فصاحبنا السائح يدفع عن نفسه تهمة الاحتيال ويؤكد أنه سيفي بدينه حالما يصله المال ويشكو صاحب الفندق الى العمدة لانه يأتيه بشرائح من اللحم كأنها قدت من الخشب . فيستسمحه العمدة ويبرىء نفسه لان اللحم الذي يباع في السوق جيد طازج . وهو لا يدري من أين يأتون باللحم في هذا الفندق . ويقترح عليه إذا كان غير راض عن هذا الفندق أن ينتقل إلى مكان آخر . فيحسب السائح أنه انما يريد بذلك المكان الآخر « السجن » فيضطرب ويفزع ثم يثور ويهدد : « لماذا ؟ ... كيف تجرؤ على ذلك؟ لماذا ؟ لماذا ؟ الست موظفا في بطرسبورج لا ، لن أذهب ولو جئت بفرقة كاملة . . سأكتب الى الوزير مباشرة » فيرتعد العمدة ويهلع . . . يا إلهي الرحيم ! انه رجل قاس ! لقد عرف كل شيء

والرعب قد أذهله ، فهو يتوهم أن أهل المدينة قد انبأوه بسيرته المنكرة في ايقاع الظلم وانزال العسف بهم ، وفي مد يده الى أموالهم يستلبها عنوة ، وفي قبوله الرشوة على ذمته وضميره . وهو إذاً يدفع عن نفسه التهم المزعومة ويتمحل الاعذار : « ان مرتبي لا يكفي . لايكاد يكفي للشاي والسكر

وحدهما . وإذا كنت آخذ الرشى فانها اشياء تافهة لا تستحق أن تذكر . أما قصة امرأة الشاويش التي يتهموني بجلدها فقصة مختلقة اختلقها اعدائي ، فيجيبه السائح الذى لا يقل ذهولا وغفلة بان هذا لا يعنيه . لانه إذا كان قد جلد امرأة الشاويش فليس فى وسعه أن يجلده هو كذلك . . وهو مع ذلك سيدفع ، سيدفع عند ما تصله النقود ، أما الآن فليس معه أى شىء

يخطر للعمدة ان المفتش ربما يشير من طرف خفى الى قبوله للمال لوقدم اليه . فيتشجع ويتجرأ ويقول : « اذا كنت ياسيدى فى حاجة الى نقود أو اى شىء آخر فانى الآن فى خدمتك ، ان واجبي أن اساعد كل من يجيء الى مدينتنا » فيجيب السائح على عجل : « نعم . أقرضنى بعض النقود لادفع ما على لصاحب الفندق . انى لا أحتاج الى أكثر من مائتى روبل . وربما أقل » فيسارع العمدة الى تقديم المبلغ شاكراً لله أن انجاه من هذا المازق الحرج العصيب

ثم يقول العمدة لنفسه : « انى لم أظهر له حتى الآن أنى اعرف أنه مفتش جاء ليرى أعمالى . فلأحدثه — على اعتبار أنه زائر عادى — عما أقوم به من مهام الامور . ولا بد أنه سيصدقنى اذ لا داعى لان اكذب عليه ما دمت لا اعرف أنه مفتش الحكومة » فيقول للسائح : « انى جئت اليوم الى هذا الفندق لان على ان أتحقق دائما من أن زائرى مدينتنا يؤدى ما يجب لهم من الراحة والاحترام . ولست كغيرى من العمد الذين لا يعنون باعمالهم . وقد كوفئت على عملى بهذه الفرصة السعيدة »

والرجل متضايق من هذه الحجرة التى لا ينفذ اليها الضوء الكافى ولا يتجدد فيها الهواء النقى بينها الحشرات الصغيرة تدب على أرضها كالافاعى ، وتنهش فى جسمه كالضوارى . فيدعوه العمدة الى ان ينزل فى بيته ، يدعوه فى خجل واضطراب . ثم يعتذر عن دعوته بأنه ساذج بسيط . إذ فى هذه الدعوة من الشرف والفخر ما لا يقوى على حمله . ولكن السائح يقبل مغتبطا فيرسل العمدة الى زوجه كى تعد عشاء فاخراً وغرفة أنيقة ينزل فيها الضيف العظيم

☆ ☆ ☆

منذ ساعة كاملة وامرأة العمدة وابنته تنتظران من يأتيهما بنبأ يهدىء روعهما الحائر . ويطمئن نفسها الجازعة . حتى يتراءى لهما عن بعد شبح رسول العمدة اليهما ، فتستوضحاه الامروهما تطلان من النافذة . فقد ضاق ذرعهما عن أن تنتظرا حتى يجتاز العتبة ويصعد السلم . ويدخل الرجل وهو يباهى بانه أول من اكتشف أمر المفتش ويطمئنهما برضاه عن العمدة واغتباطه باعماله : « نعم فى أول الامر قابل العمدة مقابلة جافة . كان مغضباً لان كل شىء فى الفندق سيء . ولكنه لما تبين أن العمدة برىء من التقصير والاهمال غير ظنه ولله الحمد »

ثم تستوضحه الزوجة والفتاة عن صورة هذا المفتش : أهومتقدم السن أم حديثه ؟ أهو أبيض البشرة أم اسمرها ؟ — ثم تأخذان فى اعداد الخمر ، وتهيئة الغرفة ، وانتقاء الملابس التى تستقبلان

فيها ضيفهما — ثم يأتى المفتش يتبعه العمدة فوكيل الصدقات ومفتش التعليم واثنان من الاهالى

أما المفتش فيبتهج بما قابلوه به من اكرام وفادته والحفاوة بمقدمه ، مغتبط بتطوافهم به على مرافق المدينة واطلاعه على سير الأمور بها ، على نقيض المدن الاخرى التى لم تطلعه على شيء من مرافقها . أما العمدة فيؤكد انه ليس كغيره من العمد الذين لا يلتفتون الا الى أهوائهم الخاصة ، فهو لا يفكر الا فى شيء واحد ذاك أن يعمل على اكتساب رضى رؤسائه بالخلق الحسن والعناية بالعمل . والمفتش معجب بهذا العشاء الفاخر الذى تناوله فى المستشفى حيث لم يكن هناك سوى نفر قليل من المرضى ، فيقول له وكيل الصدقات ان معظم المرضى قد عوفوا بفضل ما يكلأهم به من العناية ، لا بفضل ما يصرف لهم من الدواء ، فمنذ ولى العمل هنا والمريض لا يكاد يدخل المستشفى حتى يخرج صحيحا معافى

والعمدة يؤكد مرة أخرى أنه ، برغم ما يثقل كاهله من أعباء العمل ، يعمل على أداء واجبه على خير الوجوه . فهو لا ينى يفكر — حتى وهو راقد فى فراشه — كيف يستطيع أن يحظى برضى رؤسائه ؟ وهو لا يبغى جزاء على عمله ، وانما يريد أن يرضى ضميره . أما الفخار فشيء جذاب ، ولكن أية قيمة له الى جانب رضى الضمير ؟ فيجيبه المفتش بأن هـذه الآراء كثيراً ما تعرض له وتستغرق تفكيره ، وكثيراً ما يعبر عنها فى فصول نثرية وقصائد شعرية . . .

ثم يسأل عن ملاهى المدينة وأنديتها ، فيفطن العمدة الى أن المفتش يريد أن يخدعه ويوقعه ، فيعلن أن مثل هذه الاندية لم يسمع بها قط فى هذه المدينة ، وانه هو لم يمس بيده ورقة واحـدة طول حياته ، وأنه عندما يسمع عن هذه الالعاب يشعر بالمرض يدب فى أوصاله ، حتى أنه بنى ذات مرة لاطفاله بيتا من أوراق اللعب هذه فبات الليل كله والرؤى المروعة تقض مضجعه . . وهو لا يدرى كيف يقتل الناس أوقاتهم السمينة فى مثل هذه السفاسف . . فيتمتم مفتش التعليم : « واللعين قد كسب منى مائة روبل ليلة أمس فقط ! . . »

وتقبل زوجة العمدة وابنته ، فتتحدثان مع المفتش عما لقيه فى الريف طوال رحلته القاسية من المشاق التى لم يعتدها رجل مترف مثله . . وبدأت الخمر تلعب برأسه ، فاخذ يهذى ، كما يهذى كل أرعن أهوج ، يرى من حوله ناسا يزعمون الكاتب المنزوى المغمور رجلا هائلا خطيراً

« لعلكم تحسبوننى كاتباً بسيطا . . لا ! فان بينى وبين رئيس العمل صداقة عظيمة ، وكثيراً ما يربت على كتفى ويقول : « تعال يا ابنى تناول الغداء معى » أما مكتبى فلا أمكث فيـه أكثر من دقيقتين أو ثلاث ، تاركا ذلك الكاتب ، الفأر المسكين ، يكتب تارة ويهرش أخرى ، وعندما أدخل يلحقنى الخادم على السلم ومعه فرشاة لينظف حذائى . . . »

ويلتفت إلى العمدة ومن معه وهم وقوف فى خشوع ، ويطلب منهم أن يأخذوا مجالسهم والا

يتهيبوا فقد فطر على التبسط والتواضع : « انى أحاول كل المحاولة أن أمر فى سبيلى دون أن يلحظنى أحد . ولكنى لا استطيع أن أفلت من التفات الناس الى . ان هـذا محال . فما إن أظهر فى أى مكان حتى يأخذ الناس فى الحديث عنى . وذات مرة خرجت ثلة من الجنود من معسكرها لتحيتى فقد حسبتنى قائد الجيش كما قال لى صديقى الحميم ضابط الفرقة »

وكلما غيبته الخمر عن صوابه ، اغرق فى ادعائه : « وأنا أعرف جميع الممثلات الجميلات وقد كتبت بعض القطع المسرحية ، وأرتاد دائما الاندية الادبية ، وبينى وبين بوشكين صداقة قوية . . انه شخصية ظريفة . . » فتسأله زوجة العمدة ألم ينشر شيئا من آثاره فى المجلات فيقول : « نعم ! انى ابعث بعض ما أكتب الى المجلات ، وقد نشرت فيها « زوج فيجارو » ، « روبرت الشيطان » ، « نورما » وغيرها من القطع التى لا أتذكر اسماءها الآن . . وفى الواقع لم يكن بى ميل قوى الى الكتابة ، ولكن « مدير المسارح » قال لي : « تعال أيها الرجل العجوز وا كتب لنا شيئا » فقلت حسنا . ولماذا لا اكتب ؟ وفى ليلة واحدة كتبت كل شيء مما أثار دهشة الجميع . . انى أوتيت ملكة عجيبة ، وكل ما نشر باسم « بارون برامبوس » ، « بارجة الامل » ، « تلغراف موسكو » قد كتبته أنا

« وبيتى فى بطرسبورج من اجمل البيوت ، ما من أحد يجهله ، فاذا جاء أحدكم الى بطرسبورج فلا بد من أن يأتى الى وينزل عندى . وكثيراً ما أقيم بعض الحفلات . كيف أصفها ؟ لقد ترى فى احداها على المائدة بطيخة ثمنها سبعمائة روبل . والحساء يؤتى به من باريس فى سفينة بخارية . ولا تمضى ليلة واحدة دون أن ادعى الى حفلة مع وزير الخارجية والسفير الفرنسى والسفير الانجليزى والسفير الالمانى . وعندما ينتهى العشاء والرقص اسرع الى مسكنى فى الدور الرابع . . اوه ! نسيت انه فى الدور الاول

« وما أجل ان تروا صالة البيت حتى فى مطلع النهار قبل ان أصحو من نومي . وقد ازدحمت بالامراء والوزراء وهم يتدافعون بالمناكب . ويطنون كأنهم خلية من النحل . . . وأحياناً يأتى الوزير . . . . »

فيهب العمدة ومن معه واقفين منتصبين . أين هم الآن ؟ أمام من هم الساعة ؟ والشاب ما يزال يهذى ويهرف : « وقد كنت رئيسا لمصلحة حكومية حينا ما . ولم أقبلها الا بعد الحاح والحاف . عندما لم يجدوا من يصلح لها سواى . وحينما كنت أسير بين المكاتب كانت الارض تزلزل زلزالها . الكل مرتعد الفرائص مضطرب الخطى وأنا لا اخشى أحداً - حتى رئيس الوزارة ذاته . لانى اذهب كل يوم الى « القيصر » . وسيعينوننى قريباً قائداً عاما للجيش الروسى »

وأخيراً سقط مغشيا عليـه بعد ان افقدته الخمر توازنه . فرفعوه فى رفق وكأنهم فى حلم مروع وأخذوه الى الحجرة المعدة له وقد انعقدت ألسنتهم من هول ما هم فيه : هكذا يكون الرجل

والا فلا ! لقد كدت أموت خوفا ووجلا . فهذه اول مرة اقف فيها امام رجل عظيم كهذا . أظن انه قائد . لا لا . ان القائد ليرفع قبعته تحية له . ألم تركيف يتحدث عن رئيس الوزارة ؟

وتتنازع زوجة العمدة وابنته : فالام تزعم أنه كان لايحول نظره عنها ، والفتاة تدعى أنه لم ينظر إلا اليها خصوصا عند ما كان يتكلم عن آثاره الادبية وأصدقائه السفراء . فتقول لها الام : ان كان قد نظر اليك فبعين فارغة لامعنى فيها ، لعله قال لنفسه : « فلألق عليها نظرة هى الاخرى.. » والعمدة واثق من أن كل ماسمعه لاريبة فيه ، إذ من المحقق أن من تغيبه الخمر عن رشده لايختلق شيئا من عنده وانما يبوح بما يكتمه فى صحوه . فكل ماينطوى عليه قلبه ينطق به لسانه

***

وفى الصباح جاء الى بيت العمدة قاضى المحكمة ووكيل الصدقات ورئيس البريد ومفتش التعليم واثنان من الاهالى ، مرتدين ملابسهم الرسمية . جاءوا يدبرون أمر مقابلة المفتش ، المفتش الذى يذهب الى القصر الملكى ولا يعبأ برئيس الوزارة ولا يصادق إلا السفراء... وهاهم يتهامسون فى وجل ، ويتشاورون فى حيرة ، ويفكرون فى اضطراب ، حتى يقر رأيهم على أن يضعوا فى كف المفتش شيئا من المال .. ولكن من منهم تواتيه الجرأة على رشو هذا العظيم ؟ أنقدم له مانقدمه على سبيل تذكار من أهل المنطقة كلها ؟ أم نقدمه على أنه مبلغ جاء به البريد من مصدر مجهول ؟ أم يتقدم كل منهم بما معه على حدة ؟ وحبذوا جميعاً الفكرة الاخيرة ، ولكن من منهم يجد فى نفسه الشجاعة على البدء بهذه المجازفة ؟ وكيل الصدقات الذى تناول المفتش غداء الامس على مائدته ؟ أم مفتش التعليم الذى يمثل الثقافة والنور ؟ أم القاضى الذى تتدفق منه البلاغة كما تدفقت من شيشرون من قبل ؟ ويستصوبون جميعاً تقدم القاضى عليهم إذ هو يستطيع أن يتحدث مع المفتش عن أى شىء ، حتى عن برج بابل

يدخل القاضى على المفتش وساقاه تضطربان من حرج الموقف وروعته ، ويسأله المفتش عن الوظيفة التى يتقلدها ، والمدة التى قضاها فيها ، والنيشان الذى أنعم به عليه ــ ثم يلمح فى يده المبلغ الذى أعده لتقديمه ، فيسأله ماهذا ؟ فيفزع القاضى ويهلع .. لقد وقع فيما كان يخشاه ، لاجزاء له إلا غيابة السجن ، لقد ضاعت حياته سدى ! ولكن المفتش يقول له : لعلك تريد أن تقرضنى هذا المبلغ إذ أنت تعلم انى قد أنفقت كل ما كان معى . فيتشجع القاضى ويقدم اليه المبلغ شاكراً الله ان أنقذه ...

ويأتى بعده رئيس البريد فيحدثه المفتش حديثاً تافهاً عن هذه المدينة الصغيرة والفرق بينها وبين موسكو وبطرسبورج . ثم يقول له المفتش : « ان شيئاً غريباً قد حدث لى هنا ، فقد نفد كل ما كان معى من المال . فهل تستطيع أن تقرضنى ثلثمائة ؟ » ، روبل فيسارع المفتش الى تقديم المبلغ ويخرج سالما

ويقبل مفتش التعليم مأخوذ القلب ، مصفر الوجه ، متعثر الخطى ، ومن خلفه من يشجعه ويدفعه دفعاً . ويدعوه المفتش الى الجلوس وهو يقدم له سيجارة ، فيتحير ويتردد : أيأخذها أم يدعها ؟ انه لم يتوقع أن يقدم اليه المفتش سيجارة فيعد نفسه لهذا الحادث ! ثم يقدم اليه شمعة ليشعل السيجارة فترتعد أوصاله وترتجف يداه ولا يدرى كيف يشعلها فتقع من يده وهو ذاهل مأخوذ .. ويسأله المفتش: أيهما يفضل اللون الاشقر أم اللون الاسمر ؟. فينعقد لسانه ولا يحير جوابا. والمفتش اللجوج يلحف عليه أن ينبئه أيهما يفضل . والمسكين لايهمس إلا بكلمات متقطعة مبتورة .. وأخيرا يقول له ما قاله لسابقيه من نفاد نقوده وحاجته الى ثلثمائة روبل فيدفعها له داعياً ألا يريه الله مفتشا آخر ..

ويليه وكيل الصدقات فيحدث المفتش عن اهمال موظفى هذه المدينة جميعاً . فالقاضى مثلا لا عمل له إلا تربية الكلاب فى فناء المحكمة ، وأخلاقه ـ والشهادة لله برغم أنه قريبه وصديقه ـ فاضحة منكرة ، فله صلة مريبة بزوجة أحد الاهالى ، فما ان يخرج زوجها الى عمله حتى يثب القاضى الى بيته .. وأولاد هذا الرجل يشهدون على هذا الخزى بصراحة إذ منهم من هو صورة طبق الاصل من القاضى ! .. ورئيس البريد ومفتش التعليم كيف تكل اليهما الحكومة هذه الاعمال الخطيرة ؟ وهو على استعداد لان يرفع الى المفتش تقريراً عن سير الامور فى هذه المنطقة . والمفتش شاكر له ما يتجشمه فى وضع هذا التقرير الذى سوف يجد فى قراءته متعة ولذة أثناء رحلته الطويلة. ثم يهم بالانصراف فيناديه المفتش ويقول له ما قاله لمن قبله ولا يدعه إلا وقد أخذ منه اربعمائة روبل ..

ويدخل اثنان من الاهالى فيسألهما اقراضه الف روبل . ولكنهما لايملكان سوى خمسة وستين روبل ، فيأخذها مكتفيا بها . وهما لايريدان إلا شيئا واحداً هو أن يذكر اسميهما أمام أصدقائه الوزراء والسفراء ، وكم يكونان سعيدين لو يقول للقيصر : « فى مدينة كذا يعيش اثنان من الاهالى اسمهما كذا، وهو يعدهما بذلك وعداً صادقا ! ..

ثم يخلو الى نفسه فيقول : « لابد انى حدثت هؤلاء الاغبياء ليلة أمس حديثاً غريباً . وهأنذا أخذت منهم هذا المبلغ الكبير ، انها حكاية ممتعة سأكتب الى صديقى فلان عنها » . وبينما هو يكتب رسالته هذه إذا بصوت جماعة من الناس يصيحون ويصخبون . هؤلاء تجار المدينة جاءوا يرفعون شكواهم ضد العمدة الذى يأخذ عروضهم غصباً ، ويبتز أموالهم عنوة ، فيشير المفتش لرجل البوليس الذى يصدهم عن الدخول ، فيندفعون نحوه رافعين عرائضهم اليه ، فيأخذ احداها ويقرأ فى صدرها: « الى صاحب المعالى وزير المالية ... » ويتقدم أحدهم فيبسط شكوى رفاقه من هذا العمدة القاسى. انهم يؤدون واجبهم نحوه من الاحترام ، ولا يفترون عن ارسال الملابس اللازمة لزوجه وبنته ،

ولكنه جشع نهم يريد أن يستولى على كل ما يعرضونه فى محالهم . والمفتش مغضب ساخط على هذا العمدة الذى لابد من نفيه الى سيبريا جزاء وفاقا . ثم يقدمون اليه هدية من السكر والخمر ، ولكنه لم يعتد أن يقبل الرشى ، على أنه لا بأس من أن يقبل منهم قرضا بمبلغ ثلثمائة روبل . فيجمعون من بينهم خمسمائة روبل ويقدمونها اليه مستدرين رحمته مستصرخين عدالته

ثم يسمع صوت امرأة تنتحب وتولول ، وتدخل امرأتان وهما تبكيان أمر البكاء : هذه امرأة صانع الاقفال التى أخذ زوجها الى الجندية عدوانا لانه لا يملك مالا يرشو به العمدة ولا زوجة العمدة ، وامرأة الشاويش التى جلدها العمدة بالسياط ، فقد اتهموها ظلما بالتشاجر فى السوق ، وهى من هول ماقاست لم تستطع أن تجلس منذ يومين

ويصد سيل الوافدين ، وترجأ شكاواهم الى الغد ، ويشير عليه خادمه بأن يغادر هذه المدينة حالا قبل أن يفتضح أمره ، وحسبه من المال ما خدع عنه هؤلاء السذج ، فيأبى ويتردد أولا ، ثم ينتصح برأيه ثانياً ، ويرسله الى البريد ليبعث الى صديقه بخطابه الممتع عن هذه الرحلة الغريبة الموفقة . وليستأجر عربة يبرحان فيها المدينة تواً

وتدخل ابنة العمدة على المفتش فيلقاها مغازلا : اتأذنين لي أن أقدم لك كرسيا وان كنت تستاهلين عرشا ؟ والفتاة تخشى أن تضيع عليه وقته أو تصرفه عن عمله . فيقول لها ان عينيها أثمن واجل من كل وقت وكل عمل ! والفتاة تحدثه عن الجو الصحو الرائق . فيقول لها ان شفتيها أعذب وأرق من كل جو ! والفتاة تريد أن يكتب لها — وهو الاديب النابه الموهوب — شيئاً من الشعر فيقول لها إنه يحفظ كثيراً جداً من القصائد ، ولكنه لا يذكر منها الآن سوى بيتين ، وهو مع هذا يقدم لها بدل الشعر حبه وغرامه ! . . والفتاة تخشى أن يسخر بها هذا الشاب المثقف المترف ، وتخشى أن يخدعها عن نفسها هذا الشاب الثرى الموسر ، بينما هو يبثها نفثات حبه المضنى ، ويستدر قلبها رحمة بهواه المبرح ، ويقوم اليها فيغتصب منها قبلة عنيفة حارة ، فتتراجع عنه وجلة حذرة وتبتعد عنه مغضبة نافرة ، فيخر عند قدميها متضرعا مبتهلا ... بينما تدخل أم الفتاة فترى مفتش الحكومة ساجداً أمام ابنتها ؟!! فتذهل وتبهت ، وتدهش وتعجب ، وتسخط وتحنق ، وتدفع الفتاة بعيداً غاضبة هائجة ، ويبقى المفتش ساجداً عند قدميها .. انه لم يعد يرى شيئاً سوى الحياة والموت : الحياة إن هى حنت عليه وأشفقت ، والموت ان هى قست عليه وتجنت ، والمرأة تظن أنه لايقصد إلا ابنتها . فيؤكد لها أنه لايحب سواها ، لا يحب سوى الام ! . . وتعود الفتاة ثانية فترى المفتش ساجداً متوسلا أمام امها . كما كان ساجداً متضرعاً أمامها هى ! ! ولكن المفتش يعود فيطلب من الام ألا تقف مانعا بينه هو وابنتها وبين سعادتهما ونعيمهما .. ويأتى العمدة فتفجؤه امرأته بان المفتش يطلب يد ابنته ! فيزمجر فى وجهها ويتجهم . ويعتذر الى المفتش عن بلاهتها ، ولكن المفتش يؤكد أن

الفتاة قد تامت قلبه وشغفته حباً ، وألا حياة له إلا الى جانبها ، فان رفض أبوها وحال بينه وبينها فليس أمامه إلا أن يقضى على نفسه منتحراً ، وعند ذلك فليسألوا العمدة عن المفتش القتيل فى بيته . . . والعمدة لا يعى مايرى ولا يصدق مايسمع ، ولا يدرى ماذا يقول إلا أن يبارك زواجهما

ويأتى خادم وينبئه بأن العربة قد أعدت فيقول للعمدة إنه ذاهب الى زيارة عمه فى قرية مجاورة وإنه عائد غداً ، ويسأله العمدة : أليست به حاجة الى شىء من المال ؟ فيقول : « لا بأس اعطنى اربعمائة روبل » ويأخذ المبلغ ، ويودع زوجته ، ابنة العمدة ، وأباها وأمها ، ويستقل العربة مع خادمه . . .

☆☆☆

أكان يحلم العمدة بهذا المجد والنعيم ؟ يصاهر مفتش الحكومة الذى يقابل القيصر ، ويصادق السفراء ولا يأبه لرئيس الحكومة ، وسيعين قريبا قائداً عاماً للجيش الروسى ! . . أما امرأته فلا ترى الامر شاذاً أو بدعا ، فكثيراً ما تعرفت الى هذه الاوساط الرفيعة المترفة ، وكثيراً ما توقعت لابنتها هذا الزوج الثرى ! . .

والعمدة يخشى أن تضطره الحياة الجديدة الى أن يعيش فى العاصمة الى جانب صهره . واذاً فسيفضى هذا الزواج الى اخلاء وظيفته . فتضحك منه امرأته ، إذ ليس من المعقول ألا يعينه زوج ابنتها ، وهو الذى لا يرد عليه عرض ولا ترد له كلمة ، فى منصب خطير ممتاز . . . منصب قائد مثلا ! فيزدهيه الفرح ويستخفه . فما أجله فى مظهر القواد ، وعلى صدره الاوسمة والنياشين ، وبيده السيف الصقيل البراق ، وعلى ذراعه الشريط الاحمر أو الازرق . . فتجيبه امرأته على عجل : « الازرق أنسب وأوفق لك من غير شك » ، وان كان زوجها يرى أن الاحمر لابأس به ! . . وغداً يركب العربة الفخمة تجرها الجياد المطهمة ، ويذهب الى دار حاكم المقاطعة ليتناول الغداء ، بينما يقف عمدة ما بين يديه ، خافض الطرف حاسر الرأس ! . . وامرأته لاتخشى الآن شيئا إلا أن ينسى غداً وهو فى مجالس الامراء والوزراء فينطق بهذه الكلمات الجافة النافرة التى اعتادها لسانه أمام الفلاحين الاجلاف

ويؤتى اليه بالتجار الذين بسطوا الى المفتش أمرهم ، فيحدثهم ساخراً بتصرفهم هازئا بشكواهم ويلقى اليهم بنبأ زواج ابنته بالمفتش . وهو يرغى ويزبد وهم يأسفون ويندمون . وهو يهدد ويتوعد وهم يتوبون وينيبون . وهو يتنمر وهم يتضرعون ويتوسلون ففى وسعه أن يزج بهم فى غيابات السجون أو يلقى بهم فى فيافى سيبريا

وذاع النبأ فى انحاء المدينة فتوافد رجالها ونساؤها ، وما منهم إلا من يكذب وينكر ثم يدهش ويعجب ثم يصدق ويهنىء وهو يوسط العمدة فى طلب وظيفة أو يستشفعه فى قضاء حاجة ! والعمدة

وزوجه يشرحان للمهنئين كيف عقدت الخطبة فصهرهما متنف مهذب لا يعبأ بالمال ولا يأبه للمكانة وانما يريد فتاة جميلة النفس رصينة الخلق . والام قد أبدت له انهم لا يستحقون هذا الشرف الرفيع فخر أمامها ساجداً يبثها حبه ويستدرها رحمتها . والاب بهت وتردد فما كان منه إلا أن هدده باطلاق الرصاص على نفسه . فلم يسعهم إلا أن يرضخوا لامره ويستجيبوا لرغبته

وجو المدينة ثقيل ضيق ، فسيتركونها الى بطرسبورج حيث يستقبلون حياة الرغد والنعيم الى جانب صهرهم العظيم وسيعين العمدة قائداً فى الجيش . ولكنه رغم منصبه الخطير ، لن ينسى أن يشمل رفاقه بعطفه ، وأن يحيط زملاءه برعايته

وهنا يدخل رئيس البريد ملقيا بنبأ غريب « ان هذا الشخص الذى زعمناه مفتشا ليس بمفتش » ! دهش الجميع وبهتوا ، وانكر العمدة وثار ، ولكن رئيس البريد وقد اعتاد أن يفتح كل خطاب يصله . قد فتح الخطاب الذى بعثه المفتش المزعوم الى صديقه قبل ان يبرح المدينة . وها هو يصف لصديقه رحلته ونفاد نقوده . ويبين كيف زعموه مفتشا لجاءوا لتحيته وطافوا به على مرافق الحكومة . ويشرح كيف احتال على هؤلاء السذج البسطاء فسلبهم من المال الشيء الكثير . وإذاً فقد خدعهم هذا السائح عن أنفسهم وإذاً فقد اتخذهم شاب طائش سخرية وأضحوكة . وإذا فقد ضاعت عليهم الاموال الكثيرة عبثاً . وإذاً فقد تهدمت الصروح التى شيدت على الرمال !

ويدخل أحد الجنود ويخبر العمدة ان مفتشا أتى من بطرسبورج يحمل أوامر من الحكومة وأنه ينتظره فى الفندق

تلخيص : عبد الحميد عبد الغني

هيهات ما النصر فى حد الأسنة بل بقوة الرأى تمضى شوكة الأسل

وطالبوا بحقوق أصبحت غرضاً لكل منتزع سهمـــاً ومختبل

ولا تخافوا نكالا فيه منشؤكم فالحوت فى اليم لا يخشى من البلل

عيش الفتى فى فناء الذل منقصة والموت فى العز فخر السادة النبل

سامى البارودي

التفاوت بين الحظوظ

ظلم لا بد منه لنظام الاجتماع

يسعى الاشتراكيون المتطرفون الى توزيع الحظوظ بين الناس توزيعاً متساوياً ويحاولون تحقيق فكرة المساواة بين الافراد بمختلف الطرق والاساليب. ومع أن جميع التجارب التى قاموا بها فى الازمنة السالفة وفى هذه الازمنة قد أسفرت عن الاخفاق فما يزال زعماؤهم يصرون على متابعتها معتقدين أن الاشتراكية المتطرفة (وهى غير الاشتراكية المعتدلة) لا بد أن تحقق فكرة المساواة بين الافراد وتجعل الحظوظ متماثلة متعادلة

ولنفرض جدلا أن تحقيق هذه الفكرة أمر ممكن وأن فى وسع الاشتراكيين المتطرفين أن يضمنوا توزيع الحظوظ بالعدل، فهل من شأن مساواة كهذه أن تجعل العالم فردوساً كما يتوهمون وهل المساواة فى الحظوظ هى أساس السعادة فى الحياة؟

ليست المساواة أساس السعادة وليس فى التماثل أثر للجمال. بل ان التفاوت هو سر جمال الاجتماع والمبدأ الذى يقوم عليه نظام الكون. ألا ترى أنه بضدها تتميز الاشياء. وأنه لولا الظلام ما كان لنور الشمس قيمة ولولا الشر ما كان للخير ذكر، ولولا المر ما كان للحلو لذة؟ فالتفاوت هو الذى يجعلنا نقابل الاشياء لندرك الفرق بينها ونعلم فضل بعضها على البعض. ولنفرض أنه لم يكن بين الاشكال الهندسية سوى الشكل المربع. فاى أثر يكون اذ ذاك للجمال وأية قيمة للتماثل والتشابه؟

اذا علمت ذلك أدركت سر ذلك الناموس القاسى ونعنى به ناموس تنازع البقاء. فهذا الناموس يفترض أن الافراد غير متساوين فى صلاحهم للبقاء لان بعضهم ضعفاء غير نافعين للاجتماع ـ وهؤلاء يجب أن ينقرضوا ويفسحوا فى المجال لغيرهم ـ والبعض أقوياء نافعون فيجب أن تطلق لهم الحرية ليفتكوا بمن هم أضعف منهم من افراد نوعهم أو من أفراد أى نوع آخر

وفى الواقع ان نواميس الطبيعة قاسية لا تعرف للشفقة معنى. والانسان باظهاره العطف والحنان على الضعيف وبمحاولة الدفاع عنه انما يقاوم تلك النواميس التى تقوم على مبدأ تنازع البقاء ودوام الاصلح

والغريب أن جميع الخياليين الذين يظهرون العواطف الرقيقة ويقولون بوجوب الدفاع عن الضعيف تفوتهم حقيقة بسيطة وهى أن وجودهم فى الحياة انما هو تطبيق لمذهب تنازع البقاء، وان الانسان لولا فتكه بمن هو أضعف منه ما كان له وجود. ألا يفتك بالطيور والاسماك

والحيوانات البريئة ليغتذى بلحومها مع أن لها ماله من الحق فى الحياة ؟ وليت شعرى - ماذنب هذه الحمامة الوديعة حتى ينحرها ويغتذى بها ؟ بل ما ذنب الفواكه والبقول حتى يقطع عليها حظ الحياة فيأكلها نيئة او مطبوخة ؟

فترى اذن ان ما نحاول اظهاره من عواطف الرحمة والشفقة لا ينطبق على مقتضيات المنطق اذ لا قيام للاجتماع بمثل تلك العواطف ، ولا جمال للاجتماع الا بوجود الفوارق بين الافراد والجماعات . والتفاوت فى كل شىء هو سر جمال الاجتماع بل ان السعادة نفسها انما تحقق بوجود ذلك التفاوت

ثم ان العدل اعتبار نسبي . فقد يكون الرجل عادلا بالنسبة الى أحد الافراد وظالما بالنسبة الى غيره ، وقد يكون القتل ظلماً ولكنك إذا قتلت أفعى اوعقرباً لم يجرؤ أشد الناس حناناً ان يرميك بالظلم . ذلك لانك بعملك هذا تحقق ذلك الناموس القاسى المعروف بناموس تنازع البقاء . والفرق بين قتلك الافعى وقتلك الدجاجة هو أنك لا تأكل تلك وتغتذى بهذه . والقتل فى كلتا الحالتين مظهر من مظاهر ناموس تنازع البقاء

فترى اذن ان العدل اعتبار نسبي . والانسان بمطالبته بالعدل المطلق انما يتشبث بالاوهام وهو يعلم أن قليلا من « الظلم » لازم لقيام الاجتماع . ومن أكبر مظاهر هذا « الظلم » وجود التفاوت بين حظوظ الافراد

ان الانسان ميال بطبيعته الى الشكوى والتذمر فهو يشكو من كل شىء ولا يجد أمامه ما يفرحه . وفى نفسه عقيدة راسخة توهمه أن حالته دون حالة غيره من حيث أسباب الراحة والرخاء وأن كل مخلوق فى العالم هو أوفر سعادة منه . ولذلك تراه أبداً متضجرا لا يرضيه شىء ولا يقنعه حظ . ولقد يكون من أغنى اهل زمانه وأوفرهم ثروة ومع ذلك لا يقنع بما هو فيه لأن مطامعه لاحد لها ولانه يطمع دائماً الى ما هو وراء متناوله . وهذا الطموح هو الوسيلة التى تتذرع بها الطبيعة لشحذ عزائم الانسان ولولاه لبقى المرء خاملا لا يحرك ساكنا ولا يعنى بتحسين حاله . لهذا كان الطموح من افضل الصفات الغريزية لولا أنه يقوى فى بعض الافراد فيحملهم على الافراط ويدفعهم الى دوس حقوق غيرهم والاعتداء عليها

وبعبارة أخرى - أن الطموح من الصفات المستملحة فى الانسان بشرط عدم مجاوزته تلك الحدود التى تنتهي عندها حقوق الفرد وتبدأ واجباته . فأذا جاوز تلك الحدود كان الطموح شراً ووبالا وانقلب طمعاً غير سائغ . وهذا هو الفرق بين المطامح والمطامع . فقد تكون الأولى « بريئة » مجردة من كل ما يشينها . وأما المطامع فلا يمكن تحقيقها إلا بمس حقوق الغير . وكثيراً ما تكون المطامع طموحاً « بريئاً » فى أول الامر ثم تشتد بصاحبها حتى تخرج به عن جادة الاعتدال . كذلك وقع لنابوليون فقد كانت مطامحه بريئة فى الأصل على الأرجح إذ لم

تكن له غاية سوى إنقاذ فرنسا . ولكن تقدمه من نصر إلى نصر دفع به الى أقصى مراتب الطموح فصار يسعى أن يبنى صرح مجده على أشلاء قتلى فرنسا وقتلى اعدائها . لذلك سئمت فرنسا مطامعه فى آخر الأمر وأدركت أن كل ما يعمله يقوم على ذلك المبدأ القاسى - مبدأ : « مت لأحيا » .

فالطموح إذن غريزى فى الانسان فاذا أخفق المرء ويئس من تحقيقه ضجر وتبرم إذ يرى أن الحظ هو أكثر عطفاً على غيره منه وقد أوصل ذلك الغير إلى الذروة حالة كونه قعد به . ومن سوء حظ المرء أنه ينظر دائماً الى من هو فوقه ولا ينظر الى من هو دونه . وهو إذ ينظر إلى من هو فوقه يرى نفسه مقصراً عنه وحظه دون حظه . فيسخط على الاجتماع وعلى نظم الاجتماع بحجة أن الحظوظ غير مقسمة على السواء وأن نصيبه منها دون نصيب غيره . وكلا الأمرين (أى كون الحظوظ غير مقسمة على السواء وكون نصيبه منها دون نصيب غيره) صحيح لا سبيل الى إنكاره . ولكن كلا الامرين فى مصلحته لو أعمل رويته قليلا

ذلك أنه ينظر دائماً الى من هو فوقه كما تقدم . فيتبرم بحالته ويشكو دهره . ولو أنه نظر الى من هو دونه لغبط نفسه على ما هو فيه من نعمة وحمد الله على أنه أحسن من غيره . وليس ذلك فقط بل لو ألقى نظرة على من هم فوقه ، وأخرى على من هم دونه ، لرأى أن عدد هؤلاء يفوق عدد أولئك أى أن الذين هم دونه هم أكثر من الذين هم فوقه . فهو إذن أسعد حظاً من غيره . ولو جاز لكل مخلوق أن يندب سوء حظه لم يبق أحد من البشر يحمد الله على ما هو فيه من نعمة ورخاء

يقول هذا المتذمر إن غيره أوفر حظا وأكثر نعمة منه . فبينما ذلك الغير يتمتع بثروة كبيرة يعيش هو فى فقر مدقع . وبينما غيره يكسب جائزة كبيرة من جوائز « اليانصيب » يخسر هو النزر اليسير من المال الذى ورثه من أبيه . وبينما غيره يتمتع بالصحة ويسيح فى جميع أنحاء العالم يعانى هو شر صنوف الأمراض والآلام . فالحظوظ إذن مقسمة بين الافراد قسمة ضيزى ونصيبه منها شر الانصبة

هذا ما يدعيه هو . ولكن الواقع يكذبه . نعم إنه لا يتمتع بثروة كبيرة ولكنه يتمتع براحة البال . وهو لم يكسب جائزة من جوائز اليانصيب ولكنه ليس فى حاجة إلى بلغة العيش . وهو لا يتمتع بثروة كبيرة ليسيح فى العالم ولكنه أهنأ حالا من غيره . والذين لديهم أسباب تحملهم على الشكوى والذين يحسدونه على ما هو فيه هم أكثر من الذين هم - فى نظره - من الفريق الذى قد ابتسم له الحظ فى الحياة . ولو أنه عدد النعم التى أنعم بها الله عليه ما وجد سبباً يجيز له الشكوى . ألم ينكب غيره بالامراض ؟ ألم يصب غيره بالافلاس ؟ ألم يحكم على غيره بالشنق ؟ ألم يبتل الله غيره بصنوف الاحزان والآلام ؟ ألا يعانى ذلك الغير الفقر والفاقة والجوع

وضعف الصحة وضعف العقل وسوء أسباب المعيشة وجميع شرور الاجتماع ، حالة كونه قد نجا من جميعها وكان حقاً عليه أن يشكر حظه ويقابله بحظوظ اولئك المنكوبين ـ وهم يعدون بالملايين ـ بدلا من أن يقابله بحظوظ أفراد قلائل يدل ظاهرهم على أنهم أحسن حالا منه وقد تكون الحقيقة غير ذلك

فاذا كان ثمة عدم تساو فى توزيع الحظوظ فان حظه منها ليس أدناها وأسوأها بل هو أفضل من حظ غيره . وإذا كان غيره يفضله فى أشياء فهو يفضل ذلك الغير فى أشياء أخرى . وإذا أخرجنا من حسابنا الافراد القلائل الذين يحكم عليهم بالموت ـ سواء كان لجرائم ارتكبوها أو لاسباب أخرى ـ بقى أمامنا فريق من الناس حظوظهم متعادلة وان لم تكن متماثلة . فبعض الافراد يتمتعون بالثروة وغيرهم يتمتعون بالصحة . وفريق يتمتع براحة البال وآخر يتمتع بالصيت الذائع . ومن الناس من هو مبتلى بالفقر وغيره مبتلى بالامراض . وهذا يعانى الاحزان وذلك يتحمل الآلام والاوجاع

إن جمال الاجتماع يقضى بأن يكون بين الحظوظ تفاوت عظيم فى النوع والدرجة . وليس فى هذا التفاوت ظلم بالاعتبار العلمى . فالعلم لا يعرف معنى للظلم وناموس الاجتماع يقوم على مبادىء قد تبدو لنا ظالمة بالاعتبار الادبى وما هى فى الحقيقة كذلك . والعالم الذى ينظر الى كل شىء بمنظار العلم لا يرى فى ناموس تنازع البقاء وبقاء الاصلح أية قسوة ، لأن الحجر الكبير إذا وقع على الحجر الصغير سحقه وليس فى سحقه له أية قساوة أو شدة . وإذا كانت عواطفنا تنبه فينا أحياناً حاسة العطف والشفقة والحنان فان هذه العواطف هى ـ فى نظر العالم ـ عثرة فى سبيل نواميس الطبيعة أو هى أشبه شىء بحجارة تلقى فى التيار فيتغلب عليها التيار ويجرفها كما تجرف الريح العاصفة

بقى أمامنا هذا السؤال وهو : أما كان يمكن أن يقوم الاجتماع على أسس أقرب إلى العدل والمساواة من أسسه الحالية ؟

الجواب عن ذلك بالنفى . فتنوع أعضاء الجسم من مقتضيات الحياة . وبعبارة أخرى أن من مستلزمات كل جسم حى أن يكون له وظائف مختلفة . واختلاف الوظائف يقتضى اختلاف الاعضاء التى تقوم بتلك الوظائف . ولما كان الاجتماع جسما حياً كانت وظائفه مختلفة متنوعة . وهذا سبب ما نراه فيه ـ أى فى الاجتماع ـ من التنوع والتباين . أما التشابه والتماثل فهما دليل على فقدان الحياة . فالحجر الاصم يتألف من أجزاء جميعها متشابهة متماثلة . ولكنه حجر لا حياة فيه . ولو كانت الحياة تجرى فيه لكان كالنبات أو الحيوان مؤلفاً من أعضاء مختلفة متباينة. وفى هذا برهان قاطع على أن التنوع والتفاوت من مستلزمات الحياة

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

هل للعلم وطن ؟

[خلاصة مقالة عن مجلة آريان باث . بقلم جوليان بنده]

اذا أردنا أن ننقد الحضارة الاوربية وجب علينا قبل أى شىء أن نعرف ماهي العوامل التى تحاول تقويض صرح تلك الحضارة . ولا بد لنا أيضاً أن نجيب عن هذا السؤال ، وهو : هل هنالك حضارة أوربية ؟

والجواب عن هذا السؤال بالايجاب . فقد وجدت فى الماضى حضارة أوربية ولكن لم يوجد معها شعب أوربى بالمعنى العلمى وانما كان قوام تلك الحضارة شعوباً مرتبطة معاً بربط التعاون الفكرى العلمى الادبى . وهى تمتد من سفح جبال البرينيه حتى ضفاف نهر الفستولا . وكان طلبة الجامعات فى العصور المتوسطة عنوان ذلك التعاون الفكرى العلمى الادبى . وكانوا يفدون من أنحاء مختلفة من أوربا ويجتمعون معاً فيتناقشون ويتذاكرون فى مختلف المسائل العلمية والادبية ولا يخطر ببال أحد منهم أن الاستاذ الفلانى المانى والاخر ايطالى والثانى انجليزى . ولا كان يجول بفكر طالب العلم بمدينة فينا مثلا أن من العار أن يلتجىء إلى أستاذ فرنسى أو أن يتخرج فى مدرسة ايطالية . وبعبارة أخرى أن طلبة العلم لم يكونوا يشعرون بالفوارق الجنسية بل كانوا يعتبرون أنفسهم طائفة واحدة من أهل العلم والادب ولهم لغة مشتركة يتفاهمون بها هى اللغة اللاتينية . وظلت الحال كذلك حتى بعد نبذ اللغة اللاتينية والاستعاضة عنها بلغات أوربا المختلفة . فقد كتب فولتير فى سنة ١٧٦٧ يقول : « ان فى أوربا جمهورية عظيمة هى جمهورية علمية ادبية » . وكتب جان جاك روسو قبيل الثورة الفرنسية يقول : « ليس فى أوربا اليوم فرنسيون والمان واسبان وانجليز ، بل هنالك أوربيون فقط تجمعهم أذواق واهواء وعادات واحدة . وما من أحد من هؤلاء تلقى تعليما قومياً بل تعليما عاماً هو ملك للانسانية جمعاء » ويقول بعض المفكرين الذين درسوا هذه المسألة أن سبب هذه الوحدة فى الرأى والتفكير هو أن طلبة العلم فى ذلك الزمن كانوا يتلقون العلم عن أستاذ واحد هو طائفة الجزويت وكانت هذه الطائفة تضم رجالا من جميع الشعوب والجنسيات فى أوربا

فترى مما تقدم أن الحضارة الاوربية كانت تقوم على تعاون عقلى ادبى وثيق بين طائفة المتعلمين ولكن هذا التعاون لم يدم طويلا . وفى الواقع ان صرحه بدأ يتقوض منذ القرن السابع عشر اذ استيقظت العصبية الجنسية من رقادها فى بعض انحاء اورباوصارت تشعر بوجوب انفصالها عن الجامعة الاوربية واستقلالها فى حياتها الفكرية العلمية الادبية الاجتماعية ضمن حدودها الجغرافية . ويقال ان هذه اليقظة تمت أولا فى المانيا اذ طفق العالم توماسيوس يدعو الى مذهب جديد يقوم على نبذ الفكرة القائلة بان تحصيل الانسان لا يكون تاماً الا اذا شمل درس اللغتين اللاتينية واليونانية . وجاء بعده ليبنتز الالماني فاخذ يحفز قومه الى الاهتمام بجنسيتهم والى طلب العلم بلغتهم الالمانية بدلا من طلبه باللغة اللاتينية أو بالفرنسية التى كانت تفرض عليهم فى ذلك العهد .وجاء بعده « لسنجس» و « شليجل » وغيرهما فاخذوا يستفزون الشعب الالمانى الى نبذ لغة راسين وفولتير

واذا استثنينا المانيا التى عملت على تقويض الوحدة الاوربية العقلية ، نجد أن سائر أوربا ظلت محتفظة بتلك الوحدة حتى حرب السبعين (سنة ١٨٧٠) وما كادت هذه الحرب تضع أوزارها حتى طفق كل شعب من شعوب أوربا يحذو حذو المانيا فى تقويض تلك الوحدة . وكان فى مقدمة الداعين الى تقويضها فى فرنسا « جول لميتر » و« باريس » اللذان كانا يحفزان شعبها الى عدم الاعتداد الا بالعلماء الفرنسيين والى عدم ذكر العلماء الاجانب فى كتبهم وخطبهم . وبلغ من شدة هذه العصبية الجنسية فى خارج فرنسا أن الايطاليين احتفلوا فى سنة ١٩٠٤ بمرور ستمائة سنة على ميلاد بترارك العالم والشاعر والفيلسوف الايطالى الشهير . فدعوا مندوبين من رومانيا وفرنسا باعتبارهما شعبين لاتينيين ولم يدعوا أحداً من الالمان أو الانجليز

وقد اشتدت هذه العصبية منذ الحرب العظمى الماضية . وما عهدنا ببعيد منذ خطب الدكتور هوبت — الاستاذ باحدى الجامعات الالمانية — فى حشد يبلغ عدة الوف من الالمان فقال ما نصه : « يجب على أوربا أن تعلم ان المانيا قد نكبت عن طريق الحضارة الاوربية ونبذت تلك الحضارة » وفى نحو ذلك الحين أيضاً خطب وزير المعارف والفنون الجميلة فى ايطاليا فى احتفال رسمى فقال ما نصه : « يجب على رجال الفن عندنا أن يستعدوا لانجاز المهمة التى يلقيها الفن على عاتقهم فيضعوا خطة جلية لجعل الفن أيطالياً بكل ماتنطوى عليه هذه الكلمة من معنى . وكل من يستوحى فنا آخر غير الفن الايطالى يرتكب جريمة فى حق الوطن ويعد خائناً »

هذه هي الحالة فى أوربا والى هذا الحد وصلت تلك الوحدة القديمة فى الرأى والعلوم والآداب وهى حالة تنذر بتقوض أركان الحضارة الاوربية وانهيار صرحها . فهل من سبيل الى اجتناب تلك الكارثة ؟

هنالك سبيل لا شك فى فائدته وهو اعادة ذلك الشعور القديم الذى كان يسود عقول طلبة العلم فى أوربا فى القرون الوسطى ، وهو انه لا وطن للعلم وان العقل يأبى أن يتقيد بالقيود الجنسية وان

العلم إرث مشاع لجميع البشر ، وهذا يقتضي أن ترتفع بالفكر فوق مستوى آداب اللغة . فآداب اللغة يمكن صبغها بصبغة جنسية وأما الفكر أو العقل فيجب أن يكون عاما مشتركا غير مقيد بقيود العصبية الجنسية . وفي الواقع ان قيمة أي كتاب علمي لا علاقة لها بمؤلف ذلك الكتاب أو بلغته ، بخلاف قيمة الكتاب الادبي فانها مرتبطة ارتباطا وثيقا بالمؤلف واللغة . ثم إن الكتاب العلمي يمكن ترجمته الى أية لغة وأداء معانيه بتمامها . . وأما الكتاب اللغوي فليس من السهل التصرف به على ذلك الوجه . وقد أدرك الفيلسوف رينان هذه الحقيقة فكتب يقول : « ان جميع العناصر التي يتألف منها الذوق الادبي — كالشعر والانشاء والبلاغة والفصاحة وهلم جرا — يمكن صبغها بالصبغة الجنسية وطبعها بطابع خاص . واما العلم فعام شامل لا يعرف له وطن ولا حدود جنسية »

فرينان يشير بالعودة الى الحالة التي كانت عليها نفوس طلبة العلم في العصور الوسطى . وهي حالة مشرفة للعقل الانساني . ولكن القرائن تدل على أن العودة الى مثل تلك الحالة ليست من الهنات الهينات ما دام الذين يرجى منهم تسهيل تلك العودة قد تشبعوا من فكرة العصبية الجنسية وصاروا من المبشرين بها حتى ان بعض اساتذة الجامعات في اوربا يزرعون في نفوس طلبة تلك الجامعات بزوراً سامة هي بزور التعصب الجنسي ويسعون الى احتكار العلم لمصلحة أمة من الامم دون غيرها . والامثلة على ذلك كثيرة لا يتسع لها المجال

الميل الى الحرب

هل هو غريزي في الانسان ؟

[خلاصة مقالة عن مجلة ليفنج ايج.
بقلم الاستاذ هفلوك ايليس]

منذ عهد قريب وقف الوزير بلدوين في البرلمان الانجليزي والقى خطبة قال فيها : ان غريزة الحرب هي أقدم غرائز الانسان ، وانها هي وحب حفظ النوع من أهم الغرائز في طبيعة البشر . ومع غرابة هذا القول لم يتصد أحد لتفنيده أو ادحاضه ، مع أننا اذا فحصناه فحصاً بسيكولوجيا لم نجد ما يؤيده ولا عثرنا على سبب منطقي يحملنا على القول بان الانسان الاول كان يقضي وقته في الحرب والقتال . وليس ذلك فقط بل ليس ثمة أي دليل على أن الحيوانات القريبة من الانسان أو التي بينها وبينه صلة نسب تقضي وقتها في محاربة أفراد نوعها . بل بالعكس نجد بين بعض تلك الانواع تعاوناً يقوم على أدق النظم وأحسنها كالتعاون الذي نجد آثاره بين أفراد طائفة النمل وكالتماسك الذي نجده بين افراد النحل . واذا رجعنا الى أحوال الانسان في عهده الاول والى ما كان يحيط به من العوامل

أدركنا أول وهلة أنه لو كان يقضي وقته في الحرب والكفاح لآل ذلك الى انقراضه لا محالة . وفي الواقع أن حاجة الانسان الكبرى في ذلك العهد كانت الى الهدوء والسلام لا الى الحرب والخصام. وكان طلبه للأدوات التي يستعين بها على أمور معيشته أعظم من طلبه لآلات القتال . وفي مقدمة تلك الادوات ما كان يتمكن به من قنص الحيوانات وصيد الاسماك ليغتذي بها . أما الحرب فكان يخوضها مكرهاً في سبيل الدفاع عن نفسه

واذا درسنا تاريخ الشعوب غير المتمدنة وأحوال تطورها — وهي بلا شك أقرب منا الى الانسان الاول أي الى الانسان في عهد بداوته — رأينا أن ماينطبق على هذا من حيث الميل الى الحرب والقتال ينطبق عليها كل الانطباق . فأكثر تلك الشعوب الهمجية كانت في أول عهدها مفطورة على حب السلام ولكنها تعلمت الحرب واعتادتها بمرور الزمن . بل ان بعض تلك الشعوب كالشعب الكاريبي مثلا هو حديث العهد نسبياً باصول القتال لم يعتد الحرب الا منذ العصور الحديثة . وهنالك شعوب همجية أخرى لا تزال على حالة البداوة حتى الآن ولا تعرف الحرب والقتال

أضف إلى ذلك أن بين الشعوب غير المتمدنة شعوباً لا تعرف الهمجية في القتال بل تكتفي — اذا وقعت الحرب بينها وبين غيرها — بأن يقتل رجل واحد من كلا الفريقين ثم يعقد الصلح على جثتي هذين القتيلين . ومثل هذا الترفع عن حب سفك الدماء لاتجد له أثراً بين المتمدنين . ثم إن هنالك قبائل همجية اذا وقع القتال بينها كان مجرداً من كل مايدل على شراسة غريزية بل لقد ينظر الفريق الغالب في اعطاء تعويض للفريق المغلوب رأفة به وشفقة عليه . وليس لهذا الخلق الجميل أثر بين المتمدنين ، فان الغالب منهم يسعى إلى التنكيل بالمغلوب بجميع وسائل الشدة والقسوة

ولقد بدا في الانسان — منذ الفي سنة — ميل إلى التقليل من القسوة وإلى تخفيف ويلات الحروب . ولا يزال هذا الميل يقوى ويشتد مع أن الحروب بين المتمدنين قد أصبحت اليوم شراً مما كانت فيما مضى . ولكن الى جانب ازدياد شرورها يكثر استفظاع البشر لها وسخطهم عليها . وهي كلما زادت شدة زاد مقت الناس لها . وهنالك ميل يقوى ويقضي بفض الخصومات بطرق التحكيم وبغير ذلك من الوسائل السلمية . ولا شك أن هذا الميل سيقوى ويشتد الى أن يزول ذلك الروح الخبيث روح الحرب الذي يستفز الكثيرين إلى سفك الدماء . وسيجيء يوم تزول فيه الحرب ويقضي عليها القضاء المبرم . نعم إن ذلك الدور من أدوار تطور الانسان لا يزال بعيداً حتى الآن . ولكنه سيجيء لا محالة . فالانسان يسير نحو الكمال ونحو السلام العام سيراً متئداً . نعم ان خطواته في هذا السبيل بطيئة ولكنها راسخة ثابتة . وفي ذلك مافيه من الدلالة على أن الميل إلى الحرب والقتال ليس غريزياً في الانسان . وفي الواقع لو كان ميل الانسان الطبيعي منذ أول عهد تطوره متجهاً نحو الحرب لآل ذلك الى انقراض البشر ولكانت الكرة الارضية اليوم قاعاً صفصفاً تصفر فيه الريح وليس فيه أثر للحياة

النبوءات العلمية وتحققها

[خلاصة مقالة عن مجلة بوبيولار
ميكانكس . بقلم رئيس تحرير المجلة]

نحن الآن فى مرحلة من أهم مراحل تاريخ الاختراع . فقد تحققت طائفة كبيرة من النبوءات العلمية التى تخيلها العلماء عن مختلف الاختراعات

فى سنة ١٩١٠ ، أى بعد أول مرحلة جوية بسبع سنوات ، تنبأ توماس اديسون المخترع الاميركى الشهير نبوءة ظنها الناس يومئذ ضرباً من الخيال إذ قال إن الانسان سيطير فى الجو بسرعة مائة ميل فى الساعة وفى طيارات تحمل البريد والركاب . وهوذا الانسان قد جاوز الآن تلك السرعة فقد زادت سرعة طيران أحدهم فى السنة الماضية على أربعمائة ميل فى الساعة

ومما انبأ به ذلك المخترع العظيم قوله : « سوف يأتى يوم يكتشف فيه الانسان طريقة لارسال القوة الكهربائية بطريقة « لاسلكية » من الارض الى الطيارة وهى على متن الهواء . وليس ثمة سبب يحول دون تحقيق هذه الفكرة » . ومع أن هذه النبوءة لم تحقق بعد فان فى أوربا وأميركا عشرات من المخترعين يبذلون الجهود فى سبيل تحقيقها

ومما يروى عن جيمس هيل الذى كان من أكبر مهندسى السكك الحديدية فى الولايات المتحدة قوله : « لن ينقضى الربع الأول من القرن العشرين حتى يصبح عدد سكان الولايات المتحدة مائة وخمسة وعشرين مليوناً . وفى أواسط ذلك القرن سيكون عددهم اكثر من مائتى مليون » وقد تحقق الشطر الأول من هذه النبوءة . وجميع القرائن تدل على قرب تحقق الشطر الثانى أيضا . وكان جيمس هيل المذكور يعزو سبب زيادة السكان الى اتساع نطاق السكك الحديدية

وفى سنة ١٩١٠ نطق طومبلى المهندس الاميركى بهذه النبوءة قال : « ان الاختراع فى المستقبل سيتجه الى غاية جديدة وهى زيادة متانة المادة وتصغير حجمها ونقص وزنها وصنع جميع الاجزاء التى تتركب منها بكميات هائلة وبطريقة منظمة بحيث يسهل تغيير أى جزء من تلك الأجزاء فى الحال فى أية ناحية من أنحاء العالم بثمن زهيد . وستحل عجلات جديدة محل عجلات الكاوتشوك تمتاز بالمتانة وبعدم قبول الانخراق أو الانفجار ، وتستطيع السير من عشرة آلاف ميل الى عشرين الفا من دون أن تحتاج الى أية عناية . ولن يدخل المطاط (الكاوتشوك) فى تركيب هذه العجلات أو ربما دخل فى تركيبها بكمية صغيرة جداً . وسيخفض ثمنها بنسبة خمسة وسبعين فى المائة على الاقل . وستكون نفقات اصلاحها قليلة لا تذكر . وسيزداد بيع مركبات الاوتوموبيل المعدة للنزهة أربعة أضعاف . كما أن لذة النزهة بها ستزداد مائة ضعف . وسيكون وزنها خفيفا جداً لايزيد على رطلين

أو نحو ذلك لقوة الحصان الواحد. ولن تنقضى عشرون سنة (أى فى سنة ١٩٣٠) حتى يباع الاوتوموبيل ذو قوة العشرين حصاناً بنحو خمسمائة دولار وسيكون أمتن وأفضل من كل وجه من الاوتوموبيل الذى يباع الآن بثمن يختلف من الفى دولار الى أربعة آلاف دولار

وقد تحقق الجزء الاكبر من هذه النبوءة وأصبح الاوتوموبيل ذو قوة العشرين حصانا يباع فى أميركا بخمسمائة دولار. وفى سنة ١٩١٠ تنبأ الأستاذ رسل الانجليزى بما يأتى قال:

«نحن الآن على أبواب عصر جديد سيعرف بعصر الصحة والنظافة. وسيحدث فيه انقلاب عظيم فى نظام التدبير المنزلى من طبخ وغسل وكى وانارة وهلم جراً. وسيعول الانسان على أشعة الشمس فى كثير من شؤونه الصحية والعملية. فقد أثبت العلم ان تلك الاشعة هى بركة للانسان لاتقدر بثمن. وأن الانسان بتعريض جسمه لها يشفى من أمراض كثيرة. والعلماء يبحثون اليوم فى قدرة تلك الاشعة على الشفاء من ضعف الدم وتصلب الشرايين ومن السل فى أطواره الاولى»

وفى أوائل هذا القرن تنبأ المهندس مكسيم بما يأتى قال:

«لقد حان الوقت لوصل المدن بالجو عن طريق الطيارات بحيث تنشأ طرق فى أعالى الجو سنسير فيها على أجنحة الطيارات وسيغص الجو بهذه الطيارات ويمتلىء باسرابها وستنقل الركاب بشبه قطرات تسير على متن الهواء. وستشاد الفنادق والمطارات والحدائق ومحطات الركوب والنزول على سطوح البنايات الشاهقة وناطحات السحاب. وسترتبط هذه البنايات معاً بشبكة من الخطوط الجوية والجسور وخلافها فيتغير بذلك شكل المدن وأحوال المعيشة فيها»

وفى سنة ١٩١٠ أيضاً تنبأ الكثيرون من مهندسى مصانع السفن بانه لن ينقضى ربع قرن (أى فى سنة ١٩٣٥) حتى تبنى بواخر هائلة يبلغ طولها الف قدم. وقد تحققت هذه النبوءة بحذافيرها فقد بنى الانجليز الباخرة كوين مارى وبنى الفرنسيون الباخرة نورماندى وكلتاهما بالطول الذى أشير اليه فى تلك النبوءة. وقد كانت تلك النبوءة تشمل أيضاً سرعة البواخر فتحقق هذا الحلم أيضاً. وبعد ان كانت البواخر فى أول عهدها تجتاز المحيط الاتلانتيكى من أوربا الى أميركا فى ستين يوماً اصبحت تجتازه فى أربعة أيام فقط أو فى ست وتسعين ساعة. ولا يخفى ان الباخرتين العظيمتين — «الاولمبك» و «التيتانيك» انزلتا الى البحر. وكانت أولاهما تسير بسرعة احدى وعشرين عقدة. ولعله لولا غرق الثانية وتشاؤم بناة السفن وخوفهم لرأى العالم البواخر التى طولها الف قدم منذ سنوات مضت. وإذا تذكرنا أن أول باخرة وصلت الى أميركا الى مصب نهر الهدسن كانت الباخرة المسماة «هاف مون» — أى نصف القمر — وأنها بنيت سنة ٦٠٩ أى منذ ٣٢٥ سنة، وأن طولها لم يكن يزيد على ثلاث وستين قدماً وسرعتها لا تزيد على نحو عقدة ونصف عقدة أو عقدتين فى الساعة، أدهشنا التقدم العجيب الذى تم للانسان فى صناعة السفن وفن الملاحة، وهو بلا شك ليس آخر مراحل ذلك التقدم

ما يستطيعه الفرد

[خلاصة مقالة عن مجلة
سكربنر . بقلم ادورد بوك]

ان معظم الناس المتصفين بالخوف والوجل والاحجام يجهلون مدى القوى الكامنة فى نفوسهم فهم كثيرو الآمال والامانى ولكنهم يستصغرون قوى أنفسهم ويحجمون عن كل عمل ولسان حال كل منهم يقول : انى لست سوى فرد وما عسى أن يستطيع الفرد عمله وأى عمل يستطيع انجازه وحده ؟

الا أن سؤالهم هذا لا يشف عن جرأة أو اقدام . ترى هل كان يتم شىء من الاعمال العظيمة فى العالم لو جلس كل واحد يفرك يديه ويقول : ما عسى استطيع ان أفعل وأنا فرد من الافراد ؟

ولعلك تقول : إن فلورنس نايتنجايل ومدام كورى وغيرهما من العظماء الذين خدموا العالم هم من فئة نادرة من الناس وليس فى العالم كثيرون منهم . ولكن هذا القول خطأ ، واعتقاد الاكثرين بهذا الشأن فى غير موضعه . ترى هل كانت أم توماس اديسون من تلك الطائفة المستثناة من النساء ، لان ابنها طرد من المدرسة وهو فى السادسة من عمره بسبب غباوته فتولت هى تعليمه بنفسها وأخرجت للعالم أعظم المخترعين الذين عرفهم التاريخ ؟

لقد كانت « مسز لنكن » ربيبة ابراهام لنكن امرأة عادية لا تمتاز بشىء من الصفات غير الاعتيادية . ومع ذلك تولت تربية ابن زوجها بنفسها فانجبت الولايات المتحدة رئيساً من أعظم رؤساء جمهورياتها وظلت تشرف على تهذيبه وتوالى النصح له حتى نشأ وترعرع . وقد سئل «لنكن» مرة عن أعظم كتاب قرأه واستفاد منه فقال : « هو أمى » يريد ربيبته زوجة أبيه

ان أعظم الاعمال التى قام بها البشر فى هذا العالم نشأت فى الاصل من عمل رجل فرد ومن استنباط مخيلة واحدة . وقد قال امرسون أحد نوابغ الفلاسفة الاميركيين ان جميع المنشآت والمعاهد العظيمة ليست سوى أثر من آثار رجال أفراد قام كل منهم بعمله مفرداً . وقال كاتب آخر مل أعمال اللجان والجماعات : « ان أفضل لجنة فى العالم هي اللجنة التى تتألف من ثلاثة أعضاء يكون اثنان منهم مريضين على الدوام » يريد بذلك أن خير الاعمال هي ما يتولاها الفرد وحده . وفى الواقع أن كل جماعة نفعت الوطن انما كانت فى الاصل رجلا واحداً

ومما يدعو الى الاسف استسلام أكثر الناس الى هذه الفكرة وهى أن اليد الواحدة لا تستطيع أن تصفق وأن الفرد لا يستطيع أن ينجز أى عمل بنفسه . ولكن اذا نظرنا الى الجماعات فى مناحي الحياة المختلفة نجد أن القوة الدافعة وراء كل جماعة هى قوة الفرد وقلما تكون قوة رجلين أو اكثر . ورب قائل يقول : « ان هذا صحيح ولكن كل فرد من أولئك الافراد بمقام الف ، والذين مثلهم فى العالم قليلون جداً » ولكن هذا الكلام لا يستند الى أساس صحيح . وقد

قال امرسون الذى سبقت الاشارة اليه انه ليس بين البشر من هو عظيم ومن هو حقير وانما نحن الذين نتوهم أن هذا كبير وهذا صغير . والمرء يتصور أن غيره من الافراد أعظم ليس لان هذا الفرد هو أعظم حقيقة بل لانه أشعل تلك الشرارة الربانية التى وضعها الخالق فيه حالة أن غيره لم يكلف نفسه ذلك . وإذا كنا نعجز عن انجاز الامور فذلك لاننا نستصغر شأن انفسنا ولا ندرك حقيقة شأننا وما نستطيع أن نقوم به من الاعمال

إن فى وسع كل امرىء فى هذا العالم أن يقوم بعمل كبير يكون له أعظم الاثر فى نظام الاجتماع وفى مستقبله . وكل ما يطلب منه هو أن تكون له عقيدة راسخة وايمان قوى بانه أهل للقيام بالعمل الموكول اليه . ولو أن كل فرد من أفراد البشر كان له ايمان بقدر حبة خردل لكان يستطيع نقل الجبال من مواضعها . وغير معقول أن يتمكن أى امرىء من انجاز أى عمل وهو ضعيف العقيدة أو لا عقيدة له على الاطلاق ، لان العقيدة تلد صدق العزيمة وهي صفة لا غنى للمرء عنها فى الحياة

ان من ضياع الوقت أن يقف الشاب مكتوف اليدين ويجادلك قائلا ان كيت وكيت من الاعمال يتعذر على الفرد أو يمكن انجازه . ولما كان الوقت من ذهب فالذين يضيعون الوقت بمثل تلك المجادلات انما يضيعون الذهب . ولو أن كل امرىء أدرك القوة الكامنة فيه وعلم أن الله لم يرسله الى العالم عبثاً بل رسم له خطة وكلفه انجازها ، لاستطاع أن يتمم أعظم الاعمال وأن يخلد اسمه فى بطون السجلات . وإذا رسخت فى الانسان هذه العقيدة وأدرك أنه لم يجىء الى هـذا العالم عبثاً بل جاء لتنفيذ غاية معينة فان هذه العقيدة تشعل فى باطنه الشرارة المقدسة ، وتستفز عزيمته ونشاطه فيستخدم جميع قواه لانجاز ما يطلبه منه الاجتماع ويبذل كل جهده لكى يكون عمله خدمة لوطنه ولافراد نوعه . أما الذى يقف مكتوف اليدين ويهز منكبيه قائلا : « انى رجل واحد ولا أستطيع أن أقوم بأى عمل نافع » فهو عثرة فى سبيل وطنه . والرجل العاقل هو الذى يقول : « انى كل شىء ومسئول عن كل شىء ولا بد لى من القيام بكل شىء . مثل هذا الرجل هو الذى ينفع وطنه ويؤدى أجل خدمة لابناء جنسه

قال نابوليون بونابرت مرة لبعض قادة جيشه وكانوا يتكلمون عن تأثير البيئة فى عمل الانسان : « البيئة ؟ . . انى أنا الذى اخلق البيئة » أراد بذلك ان الانسان يستطيع بل يجب ان يتحكم فى البيئة ولا يدع البيئة تتحكم فيه . ومثل هـذا المبدأ هو سر النجاح فى العالم . ففى وسع كل امرىء أن يخلق البيئة التى يريدها وأن يتحكم فيها . ونشاطه وصدق عزيمته كفيلان باستطاعة التحكم فيها . أما الفشل وضعف العزيمة والعجز وأمثال هذه من الصفات فهى طارئة على الانسان لم يخلقها الله فيه ولا أراد ان يكون لها أى وجود فى نفسه . والمقدام الجرىء يعرف لنفسه قوتها ويعـلم ان الله لم يوجده فى هذا العالم ليكمل به عدد سكانه بل أوجده لغاية سامية ولخطة أزلية رسمها له وكلفه انجازها

لماذا نشترى ؟

[خلاصة مقالة عن مجلة المجلات
الاميركية . بقلم دونلد ليرد]

ان الانسان الاعتيادى لا يحتاج الى أشياء كثيرة ، ولكنه يتطلب أشياء كثيرة . ويكون تطلبه لها مقروناً بكثير من الالحاح . والغريب أنه قلما يدرك ما هو فى حاجة اليه . والدافع الذى يدفعه الى طلب أى شىء . هو دافع باطنى لاسلطة له عليه . ومع ذلك تراه يعلل طلبه له تعليلات لاتنطبق على شىء من الحقيقة . فهو يريد مثلا أن يشترى كثيراً من أدوات الزينة والكماليات لزوجته ليس لاعتقاده أنها فى حاجة الى تلك الاشياء بل لاعتقاده أنه إن لم يشتر تلك الاشياء فلن يستطيع الاحتفاظ بحب زوجته

إن تسعين فى المائة من الاشياء التى نشتريها انما نشتريها بدافع باطنى وفى الوقت عينه نعلل شراءنا لها تعليلات غير صحيحة . ويمكننا أن نقسم الدوافع على شرائها الى ثلاثة أقسام وهى :

(أولا) ميل كلا الرجل والمرأة الى الرجولة . ولا حاجة بنا الى القول أن هذا الميل أقوى فى المرأة منه فى الرجل ، وهو يبدو من خلال محاكاتها للرجل وتقليدها إياه فى زيه وهندامه وسيره وحديثه ومجونه وتدخين سجائره وتردده الى الاندية الخ . الخ . فالمرأة تفعل جميع ذلك وتميل ميلا باطنياً الى التشبه بالرجل فى كل شىء . وكثير من الاشياء التى تشتريها انما هى دليل على ميلها الى الرجولة

وفى الرجل أيضاً ميل باطنى الى الرجولة أو الى الاستزادة منها . وهذا هو سبب انضمامه الى الاندية الرياضية وشرائه المقويات والعقاقير التى تمنع سقوط الشعر والثياب التى تزيد شكل الرجولة وضوحا

(ثانيا) والدافع الباطنى الثانى هو رغبة كلا الرجل والمرأة فى الظهور وفى مجاراة التيار العام ، فقد يشترى الرجل أشياء كثيرة ليس لانه هو أو زوجته فى حاجة اليها بل لانه يميل الى الظهور أمام البائع . وهذا هو السر فى أن نحو ١٥ فى المائة من السلع التى يشتريها الرجل يعيدها الى البائع بعد قليل . ذلك بأنه يعتقد أن شراءه لتلك السلع يعوضه عن الفرق الكائن بينه وبين غيره فى مراتب الاجتماع . وقد يتحمل فى سبيل هذا التعويض مالا قبل له به . وفى الواقع أن مثل هذا الرجل يشعر بأنه غير أهل أن يحسب من مرتبة غيره من أفراد المجتمع . وأنه اذا أراد أن يصل الى تلك المرتبة ويحتفظ بها فلا بد له من اقتناء أشياء لا يملكها

ومن هذا القبيل تعليل الغرور الذى يبدو أحياناً على بعض الفتيات . فالفتاة لا تشترى ثوبا معيناً لانه رخيص الثمن أولانه — كما تقول العامة — « لقطة » بل لان البائع يؤكد لها أنها بلبسها

ذلك الثوب تستطيع الاحتفاظ بجمالها وبمركزها . ومتى تزوجت ووصلت الى الخامسة والثلاثين من عمرها أصبح همها كله موجها الى الاحتفاظ بجمالها بل أصبح حديثها كله دائرا على محور المواد والعقاقير والمستحضرات التى يقال إنها تحتفظ بالجمال . وهى تعنى فى هذه السن بجمالها أكثر من عنايتها به فى أى سن أخرى ، لانها تشعر بحاجتها الى الاحتفاظ بحب زوجها لها . لذلك تراها ، مع عنايتها بجمالها ، تعنى أيضا بكل ما يهم زوجها من أمور المعيشة وتبذل كل ما فى وسعها لتوفير أسباب الراحة له

وقد يدفعها خوفها من فقدان حب زوجها فى هذه المرحلة من مراحل الحياة الى التطرف فى الزينة والبهرجة والاكثار من المندام ويذل كل مافى وسعها لمحاربة آثار الزمن على جبينها وحول اجفانها وعلى خديها

وليس الرجل فى هذه السن أقل غروراً من المرأة . فهو ينفق أكثر ساعات فراغه فى التجمل بقصد الاحتفاظ بميل السيدات اليه والاعجاب به

(ثالثا) والدافع الباطنى الثالث هو الرغبة فى الحياة والخوف من الموت . وهذان العاملان ـ الرغبة والخوف ـ نجدهما على أجلى مظاهرهما فى الانسان متى بلغ سن الكهولة التى يعبر عنها البعض بقولهم أواسط الحياة . وفى الواقع أنك اذا راقبت الرجل الذى بلغ هذه السن رأيته أكثر عناية بصحته وأقل مجازفة بنفسه فى روحاته وغدواته . فاذا كان ممن يسوقون الاوتوموبيل مثلا فانه يسعى لشراء أوتوموبيل جديد يمتاز عن غيره بالعدد والآلات التى تضمن سلامته وتبعد عنه الاخطار ، وتراه يسوق ببطء وتؤدة متوخياً السلامة واجتناب كل خطر . واذا قيل له فى ذلك علل تصرفه تعليلا يخالف الواقع قائلا أن السير ببطء يحول دون استنفاد البنزين بسرعة ودون فناء « العجلات » قبل أوانها . أما السبب الحقيقى ـ وهو الخوف ـ فيسكت عنه

ثم ان المرء متى بلغ سن الكهولة أخذ يعنى بمعالجة نفسه من الآلام والامراض التى تنتابه عناية جدية . والصيادلة وصناع العقاقير والمستحضرات الطبية يعلمون هذه الحقيقة حق العلم فيبذلون كل جهد لترويج سلعهم بين الاشخاص الذين وصلوا الى تلك السن . حتى ان أكثر الاعلانات التى ينشرونها فى الصحف والمجلات هى موجهة الى الاشخاص الذين هم فى سن الكهولة . والجانب الاكبر منهم يتذرعون بحكاية الفيتامينات وخواصها العجيبة فينسبون الى عقاقيرهم ومستحضراتهم من تلك الخواص ما لابد أن يؤثر فى نفوس القراء

جميع هذه الاعتبارات يدركها اليوم رجال الاعمال الذين يهمهم ترويج سلعهم . ومعرفتهم هذه تمكنهم من بيع تلك السلع ومن توسيع نطاق متاجرهم . والتعليم الحديث متجه الى تعميم هذه الحقائق ونشرها إذ عليها يتوقف جانب كبير من نجاح التجار ورجال الاعمال فى العالم

مصير الثورات

[خلاصة مقالة عن جريدة نيويورك
تيمس . بقلم اميل لنجيل]

تختلف الثورات باختلاف ظروف الزمان والمكان ، وباختلاف العوامل التى تدفع اليها والاغراض التى تنشدها والوسائل التى تستعين بها . ويتوقف نجاح جميعها على عنصرى المفاجأة والكتمان مضافا اليهما حسن التدبير . ففى الثورات القديمة كان الزعماء يعتمدون قبل اى شيء على اختطاف رؤساء الحكومات التى يثورون عليها . أما الآن فانهم يلجأون إلى وسائل أخرى كقطع أسلاك النور والتلغراف والتلفون وما أشبه . وقد يلجأون إلى وسائل أخرى كثيرة لا يتسع هذا المجال لشرحها

والثورات هى زلازل أو هزات سياسية اجتماعية تقترن عادة بشل قوى البلاد الحيوية . والذين يوقدون جذوتها يدعون بأنهم انما يفعلون ذلك لازالة حيف ومحو ظلم واقع على الامة . وقد يكون ما يدعونه حقيقة وقد يكون وهماً . ولا شك انه مامن رجال قاموا بثورة الا درسوا تاريخ الثورات الكبرى وحاولوا أن ينسجوا على منوالها ويتجنبوا الاغلاط التى وقع فيها غيرهم . فالثورة التى وقعت فى روسيا فى سنة ١٩١٧ والتى وقعت فى المانيا فى سنة ١٩١٨ لم تكونا تختلفان كثيراً عن الثورة الفرنسية التى حدثت فى القرن الثامن عشر

فى سنة ١٧٨٩ كان جماعة من أشراف فرنسا يجتمعون فى دير اليعاقبة بباريس يتباحثون ويتناقشون فى « حقوق الانسان » . وكان منهم الماركيز لافاييت قائد جيش الحرس الوطنى وقد عاد من الولايات المتحدة حيث ساعد على تحقيق الاستقلال الاميركى وتشبع بالآراء الجديدة عن الحرية والاستقلال . وممن كان يختلف إلى ذلك المكان الكونت ميرابو خطيب الثورة الفرنسية ، والدوق دى شارتر المعروف فى التاريخ باسم لويس فيليب « ملك الفرنسيين » وكان من مؤسسى حزب اليعاقبة . وكان الدوق ديجوبون رئيسا للحزب . وهذا دليل على أن أعضاء حزب اليعاقبة كانوا من طبقة الاشراف . وفى الواقع انهم كانوا يعتبرون لويس السادس عشر ملك فرنسا الشرعى وكان غرضهم الاصلى حمل الملك على الاهتمام بشؤون الدولة اهتماماً جديا . الا أن الثورة اتخذت فيما بعد اتجاها جديداً ولا سيما بعد سقوط الباستيل . ولذلك أسباب لا يتسع هذا المجال لشرحها . وقد ظل حزب اليعاقبة مواليا للملك . الا أن الملك ظل غير مكترث بشؤون الدولة . ولما اشتدت وطأة الثورة أخذ اليعاقبة والاشراف يفكرون فى الفرار الى الخارج لاستعداء دول أوربا على فرنسا . ولما حاولت الاسرة المالكة الفرار أضاعت مالها من الحق فى العرش وكانت نهايتها المفجعة . وحاول الجيرونديون الاستئثار بالسلطة فنشب الخلاف بينهم وبين اليعاقبة ودارت الدائرة عليهم .

واقترنت حوادث الثورة ، فى كل طور من أطوارها ، بسفك الدماء على وجه من ابشع الوجوه . وفى وسط تلك الفوضى ظهر روبسبيير أحد زعماء الثورة.وكان فى الاصل قاضياً مشهوراً برقة القلب ودماثة الاخلاق يحب الشعر والخيال والأزهار والطبيعة . وهجر القضاء لانه لم يكن يطيق اصدار الحكم بالموت على أحد ولو كان يستحق ذلك الحكم . الا أن حوادث الثورة غيرته وأبدلت طباعه فانقلب وحشا ضاريا وصار ابليس الثورة وروحها المنتقم ، يرسل كل يوم عشرات من الابرياء إلى المقصلة ويملأ قلوب الاشراف رعباً . ولقد أفلح بانقاذ فرنسا من أعدائها ولكنه قضى على الثورة نفسها اذ ماعتمت فرنسا أن كرهت رائحة الدماء ومشاهد المقصلة ، فوقع فيها رد فعل كانت نتيجته ظهور نبوليون وازدهار امبراطوريته ردحا من الزمن . فكان مصير الثورة الفرنسية عودة الشعب الى النظام الملكى بسبب الافراط والمغالاة

وانظر الى منشأ الثورة الروسية البلشفية تجد أن بزورها زرعت فى ناد بمدينة بطرسبرج يعرف « بمعهد سمولنى » وكان هذا المعهد فى الاصل مدرسة لبنات الاشراف ، ثم انقلبت فى خريف سنة ١٩١٧ ناديا للحزب البلشفى الذى يتولى اليوم مقاليد الحكم . وكان هم هذا الحزب متجها فى أول الامر الى تحقيق السعادة للشعب الروسى خاصة وللعالم كله بوجه الاجمال . ولكن القوم ما عتموا أن ساروا فى السبيل الذى سارت فيه جميع الثورات السابقة وأصبح شعارهم سفك الدماء والقاء الرعب فى قلوب الخصوم . ولم ينقض وقت طويل حتى تخلص البلاشفة من أعدائهم واستتب لهم الامر

على أن أغراض الثورة الروسية تطورت كما تطورت أيضاً الوسائل التى صار البلاشفة يستعملونها. فقد رأى هؤلاء ضرورة تنقيح خططهم الاولى مسايرة للحوادث وتقلبات الايام . وهذا ما حداهم إلى وضع برنامج اقتصادى يختلف عن البرنامج الأول . ومن مقتضى البرنامج الجديد تشجيع الافراد على الكسب والادخار وهو ما كان يعد جريمة تستحق الموت فى أول الثورة البلشفية

وما يصدق على مصير الثورات السابقة يصدق أيضاً على مصير الثورة النازية . وكما أن تلك الثورات أودت بحياة الكثيرين كذلك أودت الثورة الالمانية الاخيرة بحياة طائفة من خيرة الالمان ولم يكن لهتلر بد من الضرب على أيدى خصومه بيد من حديد لترسخ سلطته وسلطة حزبه

ترى ماهو مصير أحدث الثورات التاريخية ؟

هنالك ــ عدا الثورات التى ذكرناها ــ الثورات العربية والاسبانية والنمسوية وغيرها ــ ويؤخذ من قرائن كثيرة أن الثورة الروسية ، بعد أن تطورت على الوجه الذى ذكرناه ، قد رسخت فى نفس الشعب الروسى . أما الثورة النازية فلم يمر عليها حتى الان زمن يكفى للحكم على مصيرها . نعم إن سواد الشعب الالمانى مؤيد لهذه الثورة ولكن الثورات اشبه بالطبقة السطحية من مياه البحار قد تتلاطم فيها الامواج وتحتها تيارات هى التى تتحكم فى مصير الطبقة السطحية فى آخر الامر . والاختبار يثبت لنا أن عواطف الشعوب سريعة التأثر والتحول

لماذا يعيش المعمرون طويلا

[خلاصة مقالة عن مجلة «ودم» . بقلم
العالم البيولوجي ريموند بيرل]

ما من عالم يستطيع أن ينبئك بما ستبلغه من العمر . وكل مايستطيع العلم أن يفعله هو أن يضع أمامك مجموعة احصاءات عن أعمار الناس مقرونة ببعض البيانات . ومن هذه الاحصاءات تستطيع أن تستخرج قرائن تنبئك بما سيصل اليه عمرك . ويؤخذ من هذه القرائن أن الذين يجاوزون السبعين من العمر لا يزيدون على ثلاثة وثلاثين فى المائة . وأن الذين يجاوزون الثمانين لا يزيدون على اثنى عشر فى المائة . وأن الذين يجاوزون التسعين لا يزيدون على اثنين فى المائة . ومما لا شك فيه أنه قلما يجاوز المرء المائة . ولم يستطع أحد حتى الآن أن يثبت اثباتاً قاطعاً أنه بلغ المائة والعشرة . أما الذين يدعون بانهم قد جاوزوا تلك السن (كالرجل الذى كان يسمى « اولد باره » وقيل انه بلغ المائة والثانية والخمسين) فلا يستطيعون أن يقدموا أى دليل قاطع على صحة ما يقولون

ولقد عنى كاتب هذه السطور بدرس اعمار طائفة من الناس لا يقل عددهم عن الالفين . ففحص سجلات أنسابهم وأعمار آبائهم لعله يستطيع اماطة اللثام عن سر طول العمر . وانتهى من ذلك الدرس الى تقرير مبادىء لاشك أن لها علاقة متينة بطول العمر وان تكن الشواذ التى تخرج على تلك المبادىء كثيرة

فالمبدأ الاول والاهم هو أن لعامل الوراثة صلة متينة بطول العمر وقصره . وهـذا العامل هو بيولوجى بحت. فاذا كان والدا المرء وأجداده ممن عمروا طويلا فالارجح أنه هوأيضاً سيعمر طويلا. مثال ذلك رجل من الالفين الذين فحص كاتب هذه السطور سجلات أعمارهم . فهذا الرجل لايزال حيا وقد دنا من الثمانين . وكان ابوه قد مات فى الثامنة والسبعين وأمه فى الحادية والتسعين وكان جده لابيه قد عاش تسعا وتسعين سنة وستة أشهر وجدته لابيه قد عاشت ثمانية وتسعين عاماً وجدته لامه قد عاشت اربعة وتسعين عاماً. أما جده لامه فات فى الخامسة والثلاثين بمرض الحمى التيفوئيدية . فترى إذاً ان ابوى الرجل الذى نحن بصدده واجداده عاشوا طويلا وقد بلغ هو أيضاً من السن عتيا . وليس ثمة ما يدل على أنه قد وصل الى آخر مراحل حياته

والمبدأ الثانى من المبادىء التى لها صلة بطول العمر مزاج المرء وطباعه . فالرجل الرزين الهادىء الطبع الذى لا ينفعل بسهولة ولا يتأثر بما يقع حوله يعيش عادة أكثر من الرجل العصبى المزاج الذى لا يستطيع امتلاك عواطفه . ويعيش أيضا أكثر ممن يستسلم دائما الى الهموم والاحزان

وتدل الاحصاءات على أن الاشخاص الذين يجاوزون الاربعين ويجتنبون كل اجهاد للجسم ولا ينهمكون فى الاعمال التى تستلزم بذل شىء من القوى الجسدية يعمرون اكثر من غيرهم ممن يبلغون

تلك السن ويفرطون فى نهك قوى اجسامهم . ومثل هؤلاء الاخيرين كمثل سائق القاطرة ينهك مرجل قاطرته العتيق بمواصلة القاء الوقود فيها لتوليد البخار باستمرار

ومن الاوهام الشائعة بين العامة ان الاغتذاء بمواد معينة والامتناع عن الدخان وعن تناول المواد الكحولية مما يزيد فى طول العمر . فالسجلات والاحصاءات التى لدى كاتب هذه السطور لا تدل على شئ من ذلك على الاطلاق . بل ان فى تلك السجلات ذكر رجال ماتوا فى شرخ شبابهم ولم يكونوا يدخنون أو يذوقوا المواد الكحولية . وذكر رجال بلغوا من العمر عتيا وكانوا نهمين يكثرون من التدخين ومن تعاطى المواد الكحولية على اختلاف أنواعها . بل لقد كان بعضهم يدخنون السجائر والسجار ولفائف التوسكانا « والبيبات » وغيرها . وكان بعضهم يعيشون فى جو مشبع برائحة الدخان والمسكر . ومع ذلك لم يكن لمثل هذه البيئة أى تأثير فى طول أعمارهم أو قصرها . نعم كان للافراط فى تلك الامور أثر ظاهر ولكن الاعتدال فيها لم يكن له — ولا ينتظر ان يكون له — أى أثر على الاطلاق . وهذا دليل على ان استعداد الانسان البيولوجى يؤثر فى طول العمر أكثر من الاشياء التى يفعلها . . . ومن الامور الجديرة بالاعتبار فى سجلات طوال الاعمار أن الذين يجاوزون التسعين من أعمارهم قلما اضطروا الى أية عملية جراحية الا العمليات البسيطة . وليس فى هذا ما يدعو الى الدهشة فان المرء لا يصل الى سن التسعين الا اذا كانت بنيته الجسدية سليمة من كل شائبة . واذا كانت سليمة من كل شائبة فلا حاجة به الى عملية جراحية

ومن الحقائق المدهشة التى عثر عليها كاتب هذه السطور بين السجلات التى درسها ، أن الكثيرين ممن شملتهم تلك الاحصاءات ممن عاشوا طويلا كانوا معتلين سقيمى الأجسام وقد قضوا جانبا من أعمارهم يعانون العلل المزمنة والآفات المختلفة . وقد يبدو هـذا غريبا فى أول الامر ! ولكن علم البيولوجيا يؤكد لنا أن الكثيرين من الناس قد يصابون بمختلف العلل والامراض ومع ذلك يتغلبون على جميعها ويعمرون طويلا لان استعدادهم البيولوجى يمكنهم من ذلك . ومما لا شك فيه أنه لاعلاقة بين كثرة الامراض التى يصاب بها المرء من جهة واستعداده البيولوجى من جهة أخرى فكل من الامرين مستقل عن الآخر . وهذا يدعونا الى هذا السؤال : ما الذى يقتل المعمرين فى آخر الامر ويودى بهم إلى حيث أودى بغيرهم ؟

يؤخذ من الاحصاءات الكثيرة التى يعول عليها أن أربعة وعشرين فى المائة من الاشخاص الذين يصلون الى سن التسعين يموتون بامراض القلب ، ونحو عشرة فى المائة بامراض تصلب الشرايين ، ونحو ١٢ فى المائة بامراض الصدر ومجارى التنفس ، ونحو ١٢ فى المائة من الرجال و ٧ فى المائة من النساء بأمراض الكلى ، ونحو ٧ فى المائة بأمراض المعدة والامعاء . فترى اذن أن نحو ثلاثة أرباع الذين يصلون إلى سن التسعين أو يجاوزونها يموتون بسبب خلل يطرأ على واحد أو غير واحد من الاجهزة الاربعة : جهاز الدورة الدموية . وجهاز التنفس . وجهاز الغذاء والهضم . وجهاز الافراز

هذا الكون العجيب

[خلاصة مقالة عن مجلة اتلانتك
مونثلي . بقلم جورج جراى]

ان هذا الكون العجيب الذى نعيش فيه يتألف من ألوف الملايين من النظم أو المجاميع وفى كل مجموعة ألوف الملايين من الشموس والاجرام العلوية . وفى الطرف الاقصى من إحدى تلك المجاميع — وهى المجرة — نجم متوسط الحجم والحرارة قد دخل فى دور الهرم — وهو شمسنا !

أما كرتنا الارضية فذرة سابحة فى الفضاء دائرة على محورها وحول الشمس منذ حقب لا يدركها العد . ولهذه الذرة قشرة تبلغ ثخانتها بضعة أميال . وفى جوفها صخور ومعادن مصهورة يحول دون انفجارها ما يحيط بها من قشرة صلبة . وعلى هذه القشرة يقف الانسان والمخلوقات الحية من أسماك وطيور وحيوانات . وكلها من الضعف بحيث أن هبوطا طفيفاً فى درجة حرارة الشمس يقضى عليها قضاء مبرماً . ومع ذلك فان أعجب ما فى هذا الكون ليس هو الاجرام العلوية بل عقل الانسان الذى يحاول ادراك أسرار الكون واخضاع قوى الطبيعة لارادته القاهرة

ولقد تغنى الشعراء منذ الازل بالنجوم والكواكب واتخذوها نبراساً يهتدون به فى أسفارهم على البر والبحر على اعتقاد أنها ثابتة فى أماكنها لا تنتقل . والحقيقة أن جميع الاجرام العلوية تسبح فى الفضاء متنقلة من مكان الى مكان وليس بينها جرم واحد ثابت فى مكانه

خذ النجمين المكونين نجماً واحداً مزدوجاً باسم « الذراع المبسوطة » . فهذان النجمان يبدوان ملتحمين ومتعادلين فى تألقهما ولكن رصدهما بالتلسكوب والسبكترسكوب يدل على أنهما منفصلان وكل منهما يسير فى اتجاه معاكس لاتجاه الآخر وبعد أحدهما عن الارض يعادل نصف بعد الآخر عنها . ولو كنا عائشين على الكرة الارضية منذ عشرة ملايين سنة لرأينا المسافة بينهما كبيرة . ولو أتيح لنا أن نعود الى الارض بعد عشرة ملايين سنة لكنا نراهما منفصلين متباعدين

وفى الواقع أن هذين النجمين اللذين يلوحان للنظر ملتحمين تفصل بينهما مسافة لا تقل عن مائة ضعف المسافة التى تفصل بين الارض والشمس أى نحو تسعة آلاف ومائتى مليون ميل . فتأمل

ثم إن علم الفلك يؤكد لنا ان فضاء الكون الذى يعجز العقل عن ادراك مداه غاص بالاجرام العلوية المختلفة وهى تشبه الذرات أو الجواهر الفردة التى تتألف منها المادة . وجميعها تنتقل فى الفضاء وأثبة من فلك الى فلك كما تفعل الجواهر الفردة . فهنالك مثلا النجم المعروف بالنسر الواقع (Vega) وهو يندفع فى الفضاء بسرعة ثمانية أميال فى الثانية « والدبران » وهو يبتعد عن الشمس بسرعة ثلاثة وثلاثين ميلا فى الثانية . والسماك الرامح (Arcturus) وهو يسير بسرعة اربعة وثمانين ميلا فى الثانية . وغير هذه من النجوم والكواكب التى تتباعد وتتقارب فى الفضاء بسرعة لا تدركها الابصار .

أما الشمس فانها تندفع بسرعة اثنى عشر ميلا فى الثانية وتجر وراءها الارض والسيارات . وتتحرك المجموعة المعروفة بالنظام الشمسى بسرعة مائتى ميل فى الثانية

ثم اننا نرى تلك الاجرام بالصورة التى كانت عليها فى الماضى لا بالصورة التى هى عليها فى الوقت الحاضر ، لان النور الذى ينبعث منها يستغرق وصوله الينا زمناً يختلف باختلاف بعد تلك الاجرام عن الارض . فالشمس نراها كما كانت منذ ثمانى دقائق . والشعرى العبور نراها كما كانت منذ تسع سنوات . والثريا نشاهدها كما كانت منذ خمسمائة سنة . والمرأة المسلسلة (Andromeda) أو السدم اللولبية نشاهدها كما كانت منذ ثمانمائة الف سنة . وهذه السدم تكاد تكون أقصى ما تستطيع العين المجردة مشاهدته من الاجرام العلوية . ولكن إذا استعانت العين بالمرقب (التلسكوب) أمكنها رؤية ملايين لا تحصى من النجوم والكواكب وغيرها كما كانت منذ ملايين الاحقاب . والاشعة المنبعثة من تلك الاجرام لا تزال سائرة فى الفضاء وقد أصبح نورها أشبه « بالاحافير المتحجرة » لاغراقها فى القدم وهو لايزال يقطع الفضاء سائراً بسرعة ١٨٦ الف ميل فى الثانية الواحدة . أفليس فى ذلك دليل على عظم اتساع هذا الكون وترامى أطرافه السحيقة ؟

وقد تمكن العلم من استنباط طريقة لتصوير الاجرام الفلكية تصويراً فوتوغرافياً على الزجاج الحساس . وفى بعض المراصد صور من هـذا القبيل تضم كل صورة منها أكثر من الفى مجموعة لا تقل كل مجموعة منها على المجموعة المعروفة بالمجرة . فتأمل فى اجتماع أكثر من الفى مجرة فى زجاجة فوتوغرافية واحدة لا يزيد حجمها على سبع عشرة بوصة طولا فى أربع عشرة بوصة عرضاً ! ويقول علماء الفلك إن عدد « المجرات » أو المجاميع الفلكية السابحة فى فضاء الكون نحو خمسمائة الف الف مليون . وفى كل مجموعة — كمجموعة « المجرة » مثلا — نحو مائة الف مليون شمس

ولايضاح عظمة هذا الكون وسعته لنفرض أن الكرة الارضية نقطة صغيرة لا يزيد حجمها على حجم النقطة المرسومة تحت حرف الباء مثلا ، أى ان قطر هذه النقطة جزء من خمسين من البوصة . وبعبارة أخرى — لنفرض أن الارض التى يبلغ قطرها نحو ثمانية آلاف ميل قد تقلصت حتى صارت نقطة لا يزيد طول قطرها على جزء من خمسين من البوصة . ولنفرض أيضا ان جميع الكائنات والابعاد التى بينها قد تقلصت بنسبة تقلص الارض فيكون من ذلك ما يأتى :

(١) تصبح المسافة بين الارض والشمس تسع عشرة قدما ونصف قدم

(٢) تصبح المسافة بيننا وبين أقرب الشموس خارج النظام الشمسى الف ميل وخمسة أميال

(٣) يتقلص قطر المجموعة المعروفة «بالمجرة» الى نحو ثلاثة وعشرين مليون ميل وثلث المليون

(٤) تصبح المسافة بين نظامنا الشمسى وبين أبعد المجاميع التى نستطيع رؤيتها الآن باكبر التلسكوبات نحو اثنين وثمانين مليون ميل

وهكذا قل فى الابعاد والمسافات الاخرى . وكلها دليل على عظمة هذا الكون وسعة حدوده

تقدم العلم والعالم

من أسرار الغدد

ماتزال الغدد التى فى جسم الانسان سراً مستغلقا لايعرف العلماء من كنهها إلا القليل ومن تلك الغدد اثنتان تدعى احداهما الغدة الصنوبرية والاخرى الغدة التيموسية . ويظهر من درس هاتين الغدتين ومن مراقبة وظائفهما أن لهما علاقة بطول قامة الانسان وقصرها . وقد قام فريق من العلماء الاميركيين باختبار تأثيرهما فى طائفة من الفئران فحقنوها بخلاصة الغدة الصنوبرية فاصبحت صغيرة الاجسام الى حد غير طبيعى . وبعد ذلك ببضعة أسابيع حقنت بخلاصة الغدة التيموسية فاذا بتلك الفئران قد كبرت أجسامها الى ما يجاوز الحجم الطبيعى . وبموالاة هذه التجارب فى طوائف أخرى من الفئران اتضح ان ... للغدتين المذكورتين علاقة بطول قامة الانسان أو قصرها . وان وجودهما معاً هو الذى يحفظ التوازن ويجعل القامة ذات طول طبيعى . واستقواء احداهما على الاخرى يؤدى الى طول القامة أو قصرها

حمى المفاصل

يموت كل سنة مئات الألوف من الأحداث والشبان والكهول بالامراض الصدرية غير الوراثية . وسبب هذه الامراض حمى تعرف عند الأطباء بحمى المفاصل يصاب بها المرء فى عهد الطفولة . وقد يخطىء الطبيب فى تشخيصها فيخطىء فى علاجها . ولا يعلم منشأ هذه الحمى تماماً فلا هى وراثية ولا هى تنشأ عن الوسط الذى يعيش فيه الطفل . ويظن بعض كبار الاطباء ان كل طفل فى العالم معرض لها ولكن اكثر الاطفال ينجون منها بفضل « انزيم » أو سائل يفرز فى مؤخرة الأنف أو فى أعلى الحلق فيقتل ميكروب هذا الداء الوبيل . ومن أوضح أعراض هذا الداء التهاب اللوزتين . ولذلك يشير بعض الأطباء باستئصال اللوزتين . ولكن الاختبار قد أثبت ان استئصال اللوزتين لا يكون علاجاً ناجعاً لحمى المفاصل إلا اذا تم قبل إصابة الطفل بهذا الداء .

مرض الصرع

لما وضعت الحرب العظمى أوزارها وسرح الجانب الاكبر من الجنود ظهر ان عدداً غير يسير من أولئك الجنود كانوا قد أصيبوا بداء الصرع . وكان الاطباء الاميركيون أول من تنبه الى هذه الظاهرة . فلما بحثوا عن أسبابها اتضح لهم ان السبب هو الخوف فانه يؤدى الى ضرب من التشنج وهذا التشنج ينتهى الى نوع من مرض الصرع يعرف عند الاطباء بالصرع « الايديوماتيكى » وعلاج هذا الداء هو الراحة التامة والمعيشة الهادئة البعيدة عن كل ما يؤثر فى الاعصاب أو يستفزها

ويقول أحد الاطباء الالمان الاخصائيين بمعالجة داء الصرع ان عامل الخوف يجعل جميع الجنود الذين فى خطوط النار معرضين

لتشنجات تشبه داء الصرع ومن السهل تعليلها كما ان من السهل معالجتها . ومن حسن الحظ ان هذا الداء لا يترك وراءه أثراً - لا فى المصاب ولا فى نسله . ومما يدل على عدم تأثيره فى النسل ان الكثيرين من الاولاد المولودين من آباء مصابين بالصرع لا تظهر فيهم أعراض هذا الداء

الاغتذاء باللحم والبطاطس

يزعم بعض الذين يعنون بشؤون التغذية أن الجمع بين المواد البروتايينية (كاللحم) والمواد الكربوهيدراتية كالبطاطس والنشويات والحلويات مضر بالصحة لأنه يؤدى الى عسر الهضم . على ان أحدث التجارب العلمية قد أثبتت فساد هذا الزعم كما ان التقارير الطبية والاحصاءات التى جمعها كبار الأطباء تدل على أن الطعام المؤلف من اللحم والبطاطس هو من أفضل أنواع الغذاء فان المعدة تهضمه بسرعة تامة . ومن المستحسن إعطاؤه للمصابين بامراض الصدر والقلب والمعدة والرئتين حتى المصابين بامراض الكبد والكلى

مخدر جديد

المورفين من أشيع المخدرات المعروفة وهو شديد الخطر على الذين يستعملونه لان استعماله يؤدى دائماً الى اعتياد ادمانه بحيث يصعب الشفاء منه . ولما كان هذا المخدر من ألزم العقاقير الطبية نظراً الى الحاجة اليه لمعالجة المصابين بالسرطان وبالسل (لمنع السعال الحاد) فقد كان الاطباء يبحثون منذ زمن طويل عن عقار يحل محله ولا يؤدى استعماله الى اعتياده . وقد جاءت الانباء العلمية الاخيرة بأن أحد علماء الكيمياء الاميركيين - وهو الدكتور سمول من أساتذة جامعة فرجينيا - قد وفق الى استخراج عقار مخدر من المورفين أطلق عليه اسم « ديهيدرو ديسوكسى مورفين » وهو أقوى من المورفين الاعتيادى عشرة أضعاف ويفضله من حيث ان استعماله لا يؤدى الى اعتياده . وقد شرعت بعض المعاهد العلمية الاميركية فى تجربته وهى تعقد عليه الآمال الكبيرة

آثار طروادة

ما من تلميذ درس التاريخ لا يعرف قصة حرب طروادة التى خلدها هوميروس شاعر اليونان الاكبر بديوانه - الالياذة - وقد أوفدت جامعة سنسناتى الاميركية بعثة الى بلاد اليونان برآسة الدكتور بلجن للبحث عن آثار طروادة . فقامت هذه البعثة بمهمتها وبحثت عن تلك الآثار فعثرت على بقعة بجوار مدينة طروادة القديمة يظن أنها كانت ضاحية من ضواحيها . ووجدت فى هذه البقعة أربعة قبور تحتوى على عظام يرجع تاريخها الى نحو خمسة آلاف سنة . والأرجح ان اصحابها كانوا من اول الذين استوطنوا طروادة وانهم نزحوا الى هنالك قبل القبيلة التى يعزى اليها بناء قلعة طروادة وكانت هذه القلعة تسع طبقات وهى أشبه بالقلاع الاوربية فى القرون الوسطى التى كان يتحصن بها الملوك والامراء . وقد وجدت البعثة الى جانب القلعة مقبرة ملأى جرارا وآنية فيها رماد عظام الموتى مما يدل على أن اهالى طروادة كانوا يحرقون جثث موتاهم . وهذه الآثار ترجع الى زمن حرب طروادة فهى تدل إذن على أن أهل طروادة الذين ورد ذكرهم فى التاريخ وفى ديوان الالياذة أحرقت جثثهم فلا يرجى العثور عليها فيما بعد

أقدم بيضة في العالم

لا يخفى أن أقدم بيضة متحجرة كانت معروفة فى العالم حتى اواخر فصل الخريف الماضى هى بيضة « ديناصور » وجدها العلماء فى صحراء جوبى وكانوا يقدرون عمرها بنحو مائة مليون سنة . على أن العلماء عثروا فى أول الشتاء الحالى على بيضة أقدم منها يقدر العلماء عمرها بنحو ٢٢٥ مليون سنة . وقد عثروا عليها فى أواسط ولاية تكساس الاميركية . ويظن أنها لحيوان من الزحافات الهائلة التى كانت تجول على الكرة الارضية فى تلك العصور ثم انقرضت بمرور الزمن . والارجح ان الحيوان المذكور هو من النوع الذى يسميه العلماء « اوفيا كودون »

قانون منع التناسل

منذ عهد قريب سنت الحكومة الالمانية قانوناً يقضى بتعقيم ضعاف العقول والمصابين بامراض وراثية منعاً لهم من التناسل . ويؤخذ من احصاء لدى الحكومة الالمانية ان هذا القانون سيطبق فى هذه السنة على نحو اربعمائة الف من الالمان معظمهم من المصابين بالعته وضعف العقل والامراض العصبية

تحديد السكر

لايزال تحديد السكر بالمشروبات الكحولية غير متفق عليه . ورجال البوليس فى جميع أنحاء العالم يختلفون فى تعريف المسكرات . وتقول ادارة الشرطة فى احدى الولايات الاميركية ان عشرة فى المائة من حوادث الاصابات بالاوتوموبيلات فى تلك الولاية هى بسبب سكر الذين يسوقون تلك الاوتوموبيلات . وتقول ادارة الشرطة فى ولاية أخرى ان اكثر من خمسين فى المائة من تلك الحوادث هى فى الحقيقة ناتجة عن السكر . والخلاف بين التقديرين يرجع الى الخلاف فى تعريف السكران . فمن الناس من يقول ان السكران هو كل من يشرب أى مقدار من المسكر . ومنهم من يقول ان الانسان لا يعتبر سكران الا اذا شرب مقداراً معيناً من المواد الكحولية . والخلاف على تحديد هذا المقدار هو سبب الخلاف على تعريف السكران . وهذه المسألة تشغل بال ادارة الشحنة فى جميع البلاد المتمدنة

انفجار نجم جديد

بينما كان الاستاذ جون برنتس الفلكى الانجليزى يرصد كوكبة الجاثى (هرقل) لحظ ان انفجاراً قد حصل فى النجم المسمى « نوفا هركيولس ١٩٣٤ » ، فزادت قوة لمعانه فى مدة شهر مائة الف ضعف . ورصد مرصد جرينتش أيضاً هذا النجم فثبتت له صحة بيانات الاستاذ جون برنتس

وهنالك قرائن تدل على ان الانفجار فى هذا النجم لم ينته حتى الآن . وبناء عليه فسيظل لمعانه يزداد اكثر فاكثر . وتبلغ سرعة تمدد الطبقة الخارجية للنجم ثلثمائة وخمسين الف ميل فى الساعة

الكسوف والخسوف في هذا العام

سيظل عام ١٩٣٥ الحالى مذكوراً لدى علماء الفلك بكثرة وقوع حوادث الكسوف والخسوف فيه . فستكسف فيه الشمس خمس مرات وسيخسف القمر مرتين . وهذا اكبر عدد من حوادث الكسوف والخسوف فى عام واحد . وآخر مرة وقع فيها مثل ذلك عام

١٩١٧ . واليك بيان حوادث الكسوف والخسوف فى العام الحاضر :

١ - كسوف الشمس كسوفا جزئياً فى ٥ يناير - لم يشاهد إلا من بقعة ضيقة فى جنوبى الباسفيكى

٢ - خسوف القمر خسوفا كليا فى ١٩ يناير - شوهد من آسيا وأوربا وافريقيا وأوستراليا

٣ - كسوف الشمس كسوفا جزئيا فى ٣ فبراير - شوهد من الولايات المتحدة وبعض أوربا

٤ - كسوف الشمس كسوفا جزئيا فى ١ يوليه - سيشاهد من آسيا وشمالى أوربا وجرينلند والقطب الشمالى

٥ - خسوف القمر خسوفا كليا فى ١٥ يوليه - سيشاهد من اميركا وبعض أوربا

٦ - كسوف الشمس كسوفا جزئيا فى ٣٠ يوليه - سيشاهد من نصف الاتلانتيكى الجنوبى

٧ - كسوف الشمس كسوفا حلقياً فى ٢٥ ديسمبر أى فى يوم عيد الميلاد

لمكافحة شلل الاطفال

شلل الاطفال هو من الامراض المستعصية الشديدة العدوى . وألوف من الاطفال يموتون كل سنة بهذا الداء . وقد حار الاطباء فى أمره . ولكن الانباء العلمية الاخيرة تقول ان الدكتور موريس برودى من أساتذة جامعة نيويورك ومن أطباء مستشفى بيلفيو فى تلك الولاية ، قد وفق الى تحضير لقاح يقى من هذا المرض ، وقد جربه فى حوادث كثيرة أسفرت عن النجاح . وقد قدم تقريراً عن هذا اللقاح الى مجمع تقدم العلوم الاميركى

المطاط الصناعي

توصل علماء الالمان والاميركان بعد الحرب الى اختراع أنواع كثيرة من المطاط الصناعى ولكن اكثرها لا يصلح حتى الآن للاغراض التجارية . وأفضل تلك الانواع نوع وفق اليه كاهن أميركى يدعى الأب نيولند وقد سماه « دوبرين » ويظهر انه يمتاز بمتانته ولكن صنعه يقتضى نفقات كثيرة . وعليه لا يزال العلماء يوالون تجاربهم إما لتحسين الانواع التى قد تم استنباطها أو لاستنباط غيرها

تطور الانسان

يؤخذ من المباحث العلمية الدقيقة ان الانسان لم يتقدم أى تقدم محسوس باعتبار تطور جسمه منذ العصر الحجرى وعصر سكان الكهوف والعصر الجليدى . ومما يجدر بالذكر أن عواطفه ومشاعره واحساساته تقف عثرة فى سبيل تطوره . فهذا التطور يقضى بفناء الضعيف أمام القوى . ولكن عواطف الانسان وصفات الرحمة والشفقة التى يمتاز بها تقضى بالدفاع عن الضعيف . وفى هذا ما فيه من مقاومة ناموس التطور والوقوف فى سبيله

المجموع العصبي

يمكن تشبيه المجموع العصبى فى جسم الانسان بمحطة راديو « لاقطة » ، وكل عصب فى ذلك المجموع يتلقى « الرسائل » - أى الاحساسات - التى تصل الى الدماغ . وعضلات الجسم تقوم « بدور » المحطة لكى تتلقى الاشارات الملائمة لها . وقد كان الناس قبلا يشبهون المجموع العصبى بمحطة تليفون ولكن تشبيهه بمحطة راديو أكثر انطباقاً على الحقيقة

كتب جديدة

حياة محمد

تأليف الدكتور محمد حسين هيكل بك

طبع بمطبعة بنك مصر بالقاهرة . صفحاته ٥٠٠

نظن أن الدكتور هيكل بك يظلم نفسه حين يذكر أن هذا الكتاب الضخم عمل بدائي ومجهود متواضع أتاحت له الظروف أن ينفقه مدى أربع سنوات في هذه الخدمة الجليلة التي نعتقد أنها ليست للاسلام وحده ولا للأمم الاسلامية وحدها ، بل للشرق كله ، وللعلم والعلماء الحريصين على تمحيص الحقائق ، والذين يخدمون الحق لوجه الحق ، ويؤثرون البحث العلمي على كل ما سواه ، لأنهم لا يعرفون في الحياة غيره

فدراسة حياة محمد – لاريب – دراسة لأصل هذه الحضارة الشرقية التي عاشت قروناً عدة ، وشهد الغربيون أنفسهم بقيمتها وأثرها في الحضارة الأوربية الراهنة . وقد كتب غير واحد من المستشرقين عن الاسلام ونبيه محمد ، وألفت في السيرة النبوية كتب عدة بالعربية منذ القرن الثالث للهجرة ، ولكن هذا الكتاب الذي ألفه هيكل بك له مكانته الخاصة ، لا لأن واضعه أقرب من المستشرقين الى معرفة روح الاسلام ودقائق تاريخه فقط ، بل لأنه عرف بمجهوده الرائع في الأدب والسياسة والاجتماع وبآرائه الحرة وبأسلوبه العلمي الذي لا يقنع برواية الوقائع مجردة عن البحث والتأمل والتدقيق المنطقي وتمحيص الحقائق تمحيصاً يردها الى أصلها الصحيح خالية مما يزخرفها به المزخرفون ، أو يشوهها به المغرضون

وقد اعتور تاريخ الاسلام ، وسيرة محمد خاصة ، بعض المبالغات والقصص الخرافية ، التي دسها اليهود ، ودعيت عند الباحثين بالاسرائيليات . وأعان على هذا التشويه أن سيرة محمد لم تدون إلا بعد قرنين من الهجرة ، فكانت مجالا للمخرفين و الدساسين . وعلى الرغم من أن بعض الذين عالجوا هذه السيرة من فطاحل العلماء والمؤرخين ، فقد جازت عليهم هذه المفتريات التي لا يقرها البحث العلمي ، كقصة الغرانيق ، وقصة زينب بنت جحش ، وغيرهما من القصص التي يتخذها المغرضون الآن وسيلة للحط من حضارة العرب ونبي العرب ، فكان طبيعياً أن ينهض كاتب مسلم أولا وشرقي ثانياً يعتز بشرقيته ، ليضع لهذا النبي العربي تاريخاً جلياً يثبت فيه ما تتضافر القوانين العلمية على إثباته ، وينفي عنه كل زائف باطل ، ويكشف للناس عن سر عظمة هذا العربي الذي نشأ في بلد قاحل وبين الصحارى والجبال ، ثم أسس ديناً وحضارة انتشرا بسرعة في بلاد الحضارة والعمران

وما كان المقام ليتسع لتفصيل كل هذا المجهود الذي بذله الدكتور هيكل بك في تأليف هذا الكتاب الضخم ، ففي الحق أنه أوفى على الغاية في دراسة موضوع ان يكن في نظره عملا بدائياً وبحثاً أولياً ، فهو في نظر الباحثين عمل كبير شامل لتلك النواحي التاريخية التي تناولها . وحسبك أن تعرف أن هذا العمل البدائي قد

استوعب واحداً وثلاثين فصلا عدا المقدمة ، فى كتاب كبير الحجم بلغ خمسمائة صفحة ، وكل فصل من كتابات هيكل بك هو عدة فصول ، ومقدمة الكتاب تكاد تكون كتاباً وحده ، ففيها يتحدث عن الامبراطورية الاسلامية الأولى ، والأسلام والمسيحية ، والمسلمين وعيسى . والروم والمسلمين ، وعلم الغرب وأدبه ، وجهود التمدن الاسلامى ، والمبشرين والجامدين . وفى الفصل الأول يتناول مهد الحضارة الأولى ، واليهود والمسيحية ، والفرق المسيحية وتناحرها ، ومجوسية فارس ، وشبه جزيرة العرب ، وطريقى القوافل ، واليمن وحضارتها . وفى الفصل الثانى يبدأ التحدث عن موطن النبي « مكة » وعن الحوادث التى سبقت مولده بعد هذا التمهيد العلمى الذى مهده فى الفصل الأول ومقدمة الكتاب . وقد تناول فيما تناول فيه رحلة ابراهيم الى الحجاز ، وبناء الكعبة وقصة الفداء وغيرها من الموضوعات والبحوث . ولنضرب للقارىء مثلا من تحقيقه العلمى فى قصة الفداء ، فقد اختلف الرواة فى إقدام ابراهيم على ذبح اسماعيل وفدائه وهل كانت قبل ميلاد اسحاق أو بعده . وهل كانت بفلسطين أو بالحجاز ، واليهود يذهبون الى أن الذبيح هو اسحاق ، ولم يرد فى القرآن ذكر اسم الذبيح ، وقد ناقش الدكتور هيكل بك هذه القصة وما قاله فيها المؤرخون من الغربيين والشرقيين مناقشة علمية دقيقة ، وكذلك فعل فى كل موضوع كان مثار الخلاف ، ومجالا لطعن الطاعنين ، ففى قصة شق الصدر ، وقصة الغرانيق ، وقصة الاسراء وغيرها أجاد المؤلف أيما اجادة فى عرضها بالاسلوب الحديث ، ومناقشتها على الطريقة العلمية . وقد اتخذ من العلم الحديث ومكتشفاته عوناً فى اثبات قصة الاسراء والمعراج وانها كانت بالروح ، فقال :

« والاسراء بالروح هو فى معناه كالاسراء والمعراج بالروح جميعاً سمواً وجمالا وجلالا ، فهو تصور قوى للوحدة الروحية من أزل الوجود الى أبده ، فهذا التعريج على جبل سيناء حيث كلم الله موسى تكليما ، وعلى بيت لحم حيث ولد عيسى ، وهذا الاجتماع الروحي ضمت الصلاة فيه محمداً وعيسى وموسى وابرهيم ، مظهر قوى لوحدة الحياة الدينية على أنها قوام وحدة الكون فى موره الدائم الى الكمال .

« والعلم فى عصرنا الحاضر يقر هذا الاسراء بالروح ويقر المعراج بالروح ، بحيث تتقابل القوى السليمة بجميع ضياء الحقيقة ، كما أن تقابل قوى الكون فى صورة معينة قد طوع لماركونى ، اذ سلط تياراً كهربائياً خاصاً من سفينته التى كانت راسية بالبندقية ، أن يضيء بقوة موجات الاثير مدينة سدنى فى استراليا . وفى عصرنا هذا يقر العلم نظريات قراءة الافكار ومعرفة ماتنطوى عليه ، كما يقر انتقال الاصوات على الاثير بالراديو وانتقال الصور والمكتوبات كذلك ، مما كان يعتبر الى مضى بعض أفانين الخيال . وما تزال القوى الكمينة فى الكون تتكشف لعلمنا كل يوم عن جديد . فاذ بلغ روح من القوة ما بلغت نفس محمد ، فأسرى به الله ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله ليريه من آياته ، كان ذلك مما يقر العلم ، وكانت حكمة ذلك هذه المعانى القوية السامية فى جمالها وجلالها والتى تصور الوحدة الروحية ووحدة الكون فى نفس محمد تصويراً صريحاً يستطيع الانسان أن يصل الى ادراكه ، اذ هو حاول السمو بنفسه عن أوهام العاجلة فى الحياة ، وحاول الوصول الى كنه الحقيقة العليا ليعرف حقيقة مكانه ومكان العالم كله منها »

وقال فى قصة زينب بنت جحش وهى القصة التى شوهها الغلاة من المستشرقين :

« أما قصة زينب بنت جحش ، وما أضفى بعض الرواة ، وأضفى المستشرقون والمبشرون عليها من أستار الخيال حتى جعلوها قصة غرام ووله ، فالتاريخ الصحيح يحكم بأنها من مفاخر محمد وأنه — وهو المثل

الكامل للايمان ــ قد طبق فيها حديثه الذي معناه : لا يكمل ايمان المرء حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه . وقد جعل نفسه أول من يضرب المثل لما يضع من تشريع يمحو به تقاليد الجاهلية وعاداتها ، ويقر به النظام الجديد الذي انزله الله هدى ورحمة للعالمين . ويكفى لهدم هذه القصة من أساسها أن تعلم أن زينب بنت جحش هذه هي ابنة أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله عليه السلام ، وانها ربيت بعينه وعنايته ، وأنها كانت لذلك منه بمقام البنت أو الاخت الصغرى ، وانه كان يعرفها ويعرف أهي ذات مفاتن أم لا قبل أن تتزوج زيداً ، وأنه شهدها في نموها تحبو من الطفولة الى الصبا الى الشباب ، وانه هو الذي خطبها على زيد مولاه ــ اذا عرفت ذلك تداعت امام نظرك كل تلك الخيالات والاقاصيص من انه مر بيبت زيد ولم يكن فيه فرأى زينب ، فبهره حسنها ، وقال : « سبحان مقلب القلوب » ، أو انه لما فتح باب زيد عبث الهواء بالستار الذي على غرفة زينب ، فالفاها في قميصها ممدودة وكأنها « مدام ركاميه » فانقلب قلبه فجأة ، ونسي سودة وعائشة وحفصة ، وزينب بنت مخزوم ، وأم سلمة ، ونسي كذلك ذكر خديجة التي كانت عائشة تقول عنها : « انها لم تجد في نفسها غيرة من أحد من نساء النبي ما وجدت في ذكر خديجة » ولو ان شيئاً من حبها علق بقلبه لخطبها الى اهلها على نفسه بدل ان يخطبها على زيد . وهذه الصلة بين زينب ومحمد . وهذا التصوير الذي صورناها به لا يدعان بعدهما لتلك القصة الخيالية التي يروونها اى اساس او اى حق من البقاء »

تلك فقرات مما كتبه هيكل فى قصة الاسراء وقصة زينب بنت جحش ، وتلك طريقته فى بحث الوقائع التاريخية وتمحيص السيرة بهذا الاسلوب العلمى الحديث . وليس هيكل بحاجة الى اطراء أسلوبه فى البحث ، وعمقه فى التفكير وقدرته فى صياغة البرهان ، وتصويره للحقيقة المجردة تصويراً يشهد هذا الكتاب بأنه سما فيه بحياة محمد عن كل زيف وغلو وتشويه

الانجليز في بلادهم

تأليف الدكتور حافظ عفيفى باشا

طبع بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

صفحاته ٤٦٢

لعل قراء « الهلال » يذكرون أننا فى العام الماضى نشرنا فصلا مطولا عن الصحافة الانجليزية بقلم الدكتور حافظ عفيفى باشا كان له وقع حسن . وما كان هذا الفصل إلا جزءاً يسيراً من هذا الكتاب القيم الذى عكف على تأليفه منذ سنة ١٩٣١ حتى عاد الى مصر بعد أن اعتزل منصب الوزير المفوض فى انجلترا . فقد اهتم الدكتور حافظ عفيفى باشا أن يكتب تاريخاً وافياً عن الانجليز يجمع فيه بين الماضى والحاضر، لأن بريطانيا ترتبطها بمصر وبالشرق روابط سياسية ، ولأنها استطاعت أن توفق بين النظام الملكى والدمقراطى توفيقاً تحسد عليه ، ولأن فى حياتها الرسمية والاجتماعية والاقتصادية عبرة للامم الاخرى التى تريد أن تحيا حرة سعيدة راقية

والحق أن الانجليز يكادون يفوقون جميع الامم فى هذا النظام الملكى الدستورى الذى أساسه سلطان الشعب ونزعته تكاد تكون جمهورية ، والذى يعد اقدم الانظمة الحكومية الحاضرة ، ومع ذلك لم يصبه ما أصاب غيره من انقلابات متكررة واضطرابات متوالية ، لان الانجليز نشأوا وينشئون على خلق متين استطاعوا به أن يحفظوا كيانهم وأن يسودوا غيرهم ، ويمتد نفوذهم فى كثير من أقطار المعمورة

لهذا كانت العناية بتاريخهم وحياتهم الاجتماعية والحكومية من أهم ما يجب أن يعنى به الشرقيون الآن . وقد أتاحت الظروف

للدكتور عفيفي باشا أن يقضي في انجلترا ثلاث سنوات وزيراً مفوضاً لمصر، فاختلط بالانجليز ودرس حياتهم عن قرب، واطلع على اسرار تقدمهم وشاهد أنظمتهم الحكومية والعمرانية وقرأ غيركتاب مما ألفه الاجتماعيون والمؤرخون عن الانجليز، وخرج من هذه الدراسات والملاحظات كلها بهذا الكتاب النفيس الذى نعتقد أنه الاول فى نوعه فى اللغة العربية، لانه يلقى ضوءاً شاملا على تاريخ الحياة الدستورية فى انجلترا وعلى سلطتيها التنفيذية والتشريعية، وعلى الصحافة والاحزاب، وعلى المسائل المالية والاقتصادية، والتعلم فى بريطانيا والقضاء الانجليزى، والامبراطورية البريطانية منذ نشأتها. وعلى مستقبل هذه الامبراطورية التى اتسعت اتساعاً لم يسبق لغيرها من دول التاريخ. وقد كتب ذلك كله فى ستة فصول وافية. ونحن نقتطف للقراء بعض فقرات مما كتبه عن الاحزاب الانجليزية. قال:

«.. فالاحزاب الانجليزية وليدة تاريخ انجلترا، فقد نشأت في القرن السابع عشر على اثر موافقة العرش على ان يعهد الى لجنة محدودة ومسئولة من المجلس الخاص بالقيام بجميع الشئون التنفيذية، وان تشكل هذه اللجنة من الأعضاء المتمتعين بثقة البرلمان وان يكون اعضاؤها خاضعين لزعامة رئيس واحد. وهذه اللجنة هي التي سميت فيما بعد بالوزارة. وعلى ذلك نشأت الاحزاب مع تكوين الوزارة. وهي وان لم تكن قد استكملت نظامها وقوتها الا بعد ثورة سنة ١٦٨٨ فان وجودها كان سابقاً لهذا التاريخ. فقد كان هناك أنصار للعرش، وكان له معارضون وابتدأ تقسيم الاحزاب في انجلترا الى محافظين وأحرار من هذا العهد، حتى النعوت التى نعت بها هذان الفريقان، واستمرت لقبهم الرسمي إلى أوائل القرن التاسع عشر، ترجع الى هذا العهد. وقد كان أنصار الاحرار مكونين من الأسر الكبيرة التي أقامت الثورة، ومن طبقة التجار الذين نمت ثروتهم في أوائل القرن الثامن عشر، بينما كانت عناصر المحافظين مكونة من الاسر التى نصرت العرش في النزاع الدستورى ومن أنصار الكنيسة الانجليكية الذين كانوا يخشون في هذا الوقت الاعتراف بالكنيسة الكاثوليكية »

فى الحق ان كتاب الدكتور حافظ عفيفي جدير بالدراسة وجدير بوزرائنا وكبرائنا أن يحتذوا هذه الخطة التى رسمها لهم زميلهم النابغة

أديب

بقلم الدكتور طه حسين

طبع لجنة دائرة المعارف الاسلامية. صفحاته ٢٥١

« زعموا أن من أظهر خصائص الاديب حرصه على أن يصل بين نفسه وبين الناس، فهو لا يحس شيئاً إلا أذاعه. ولا يشعر بشيء إلا أعلنه. وهو إذا نظر فى كتاب أو خرج للتروض أو تحدث الى الناس فأثار شيء من هذا فى نفسه خاطراً من الخواطر أو بعث فى قلبه عاطفة من العواطف أو حث عقله على الروية والتفكير لم يسترح ولم يطمئن حتى يقيد هذا الرأى، أو تلك العاطفة، أو ذلك الخاطر فى دفتر من الدفاتر أو على قطعة من القرطاس. ذلك لانه مريض بهذه العلة التى يسمونها « الادب » فهو لا يحس لنفسه وانما يحس للناس. وهو لا يشعر لنفسه وانما يشعر للناس. وهو لا يفكر لنفسه وانما يفكر للناس... يخدع الاديب نفسه هذه الضروب من الخداع، ويعللها بهذه الالوان من التعليلات. وحقيقة الامر انه يكتب لانه أديب لايستطيع أن يعيش إلا إذا كتب. يكتب لانه محتاج الى الكتابة كى يأكل ويشرب ويدخن لانه محتاج الى الطعام والشراب والتدخين... اذا كان هذا كله صحيحا، واكبر الظن انه صحيح

فيجب أن يكون صاحبي الذى أريد أن أتحدث اليك عنه أديباً »

بهذا قدم الدكتور طه حسين هذه القصة الممتعة .وهى شطر من سيرة حياته . فقد عودنا أن يتحدث عن حوادث أيامه وما لقيه فى الصبا والشباب، بهذا الاسلوب القصصي الشائق الذى أجاده فى كتابه « الايام » وفى كل ما كتبه به ، والذى يأنس اليك وتأنس اليه وتشعر أنك جالس الى صاحبه يسامرك وتسامره ويحادثك فى تلك المراحل المتابعة التى يقطعها المرء فى بيداء الحياة ويمر فيها بكثير من السهول والحزون ، والوهاد والنجاد ، ويصور لك ما شاهده وما مر به تصويرا يجذبك اليه ويغريك بالاقبال عليه والاستزادة من حديثه وأنت مسلوب مأخوذ بكل ما يقص عليك ويصوره لك فى قالبه البيانى الممتاز

وحين يتحدث اليك عن هذا الأديب الذى جعله بطل قصته أو سيرته ويصفه بهذا الوصف الذى قدمه لك ، لا تشك أنه يعنى نفسه ، ثم لا تلبث أن تراه شخصاً آخر أغلب الظن أنه استعاره ليجرى عليه هذه الصورة الرائعة ، وليقيم بينه وبين نفسه حوارا جميلا يتخلله كثير من الحوادث وينقضى فيه كثير من الزمن ما بين القاهرة وباريس . وفى خلال هذا الحوار وتلك الصور تقف على حياة ملؤها الأدب ، وملؤها الحب والفن ، وهمها العلم والتثقيف ـ حياة كلها صراع بين هذه الاشياء كلها ، لانها حياة اديب خالص وفنان نابغة ومريض بهذا المرض الشاق المزمن وهو «الادب» الذى يخدع صاحبه كما يقول الدكتور طه ويعلله بهذه الالوان من التعلات . وقد أعجبنا منه هذا الوصف للادب والاديب وان كان بعضهم يرى عكس ذلك ويذهب الى ان الادب صحة وشفاء لا مرض وبلاء . على أننا لا نأخذ على الدكتور شيئاً فى هذه القصة الشائقة إلا جعله التدخين ضرورة من ضرورات الحياة التى يحتاج اليها الانسان كما يحتاج الى الطعام والشراب . ولعل فى ذلك اعلاناً مجانياً لشركات الدخان . ولعله يغرق فى الضحك اذا لفتناه الى هذا الاعلان !

نشأة الدولة الاسلامية

تأليف الاستاذ أمين سعيد

طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبي وشركاه بمصر . صفحاته ٣٧٢

مما يدعو الى الغبطة أن الاهتمام بتاريخ الاسلام وتاريخ العرب بدأ فى السنوات الأخيرة بعد ما انصرف عنه الكتاب والمؤرخون الى حضارة الغرب وتاريخه ، وساعد على هذا الاهمال أن معاهد العلم حتى الوطنية منها اكتفت فيه بالقليل وتوسعت فيما عداه ، وقد رأى الغيورون هذه الحالة ، وفيهم الكاتب الاديب الاستاذ امين سعيد ، فشمر عن ساعده وعكف على دراسة تاريخ الشرق فى حاضره وماضيه ، وأصدر بضعة كتب نالت تقديراً وتشجيعاً ، وقد دفعه هذا التقدير والتشجيع الى أن يثابر على ما عقد العزم عليه من تدوين تاريخ الاسلام وتاريخ العرب على الطريقة الحديثة فى تدوين الوقائع والاخبار ، وساعده فى هذا الغرض القومى الحميد سعة اطلاعه على تاريخ الاسلام خاصة وتاريخ العرب عامة ، وخبرته ببلادهم ومعرفته لانحائها ، فقد جاب سيناء وسورية والعراق والحجاز ، وشاهد مواقعها وآثار الحوادث التاريخية فيها ، فكان له من ذلك خير عون فى فهم أسرار التاريخ الذى

يتعلق بهذه البلاد ، وكان فى حديثه عنها خبيراً بمواقعها وأوصافها ومعالمها ، فاستطاع بذلك أن يلخص تاريخ الاسلام منذ نشأته الى آخر الحروب الفارسية تلخيصاً خالياً من الشوائب والخرافات . وقد قصر بحثه على التاريخ السياسى والجغرافى والعسكرى . فتم له فى ذلك الجزء الأول من تلك السلسلة التى عزم على اصدارها فى تاريخ الاسلام منذ مبدأ الحضارة الاسلامية الى عهدنا الحاضر

وقد أضاف الى هذا الجزء تسع خرائط لتوضيح الأماكن والحوادث ، واتبع هذه الخرائط برسوم شمسية للمدينة المنورة ، والروضة النبوية ، ومسجد قباء ، وجبل أحد ، ومسجد الحديبية ، وجامع صنعاء الكبير وايوان كسرى فى المدائن بشمالى بغداد . وقد حقق المؤلف كثيراً من اسماء المدن والاماكن القديمة ووضع الى جانب كل مدينة واقليم أبدل اسمه القديم ، الاسم الجديد ، وحدد المسافات بين المدن والاقاليم ، واعتمد فى سرد الحوادث على أقوال الثقات من المؤرخين وحقق كل ما تناوله تحقيقا دقيقا باسلوب سلس . ونحن ننقل للقراء بعض ما قاله عن « الاسلام وفارس » :

« انتهت حروب الردة فى نجد واليمن . وارتاح المسلمون من مشاغلها ومشكلاتها ، واستقرت قواعد دولتهم فى داخل الجزيرة ، وأصبحوا بلا عمل يعطلونه بعد ما أخضعوا العصاة ووصلوا حتى حدود الروم فى شمالى الحجاز وحدود الفرس فى شرقيه . وكانوا يحتلون العراق ويسيطرون عليه ، وفى جنوبيه وشماليه شعب عربى يقدر بالملايين . ومع أن التسلسل الطبيعى للحوادث كان يقضى على أبى بكر بان يبدأ بغزو الشام بعد ما وصل جنـد المسلمين الى البلقاء وأخضع جزءاً من الاراضى التى كانت خاضعة للروم كتبوك والجوف ومعان والعقبة والمناطق المجاورة لها ، الا ان انتهاء المطاف بخالد فى اليمامة ووقوفه عند حدود العراق الفارسية جعل ابا بكر يرجح البدء بحرب الفرس وغزو العراق على حرب الروم وغزو الشام . . »

أحاديث جدتي

بقلم سهير القلماوى

طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر . صفحاته ١١٩

من حسنات العصر الحديث أن النهضة الجديدة ساعدت على اظهار مواهب كامنة فى فتياتنا المصريات ما كانت لتظهر لولا هذه النهضة ، وما أحدثته من تغيير فى الآراء وتصحيح للافكار بازاء الجنس اللطيف الذى عاش بيننا زمناً بعيداً عن الحياة العامة ، وعن نور العلم والثقافة والتهذيب . ولقد كان للجامعة المصرية فضل كبير فى اظهار هذه المواهب فى فتياتنا اللائى التحقن بها ، وبرهن على جدارتهن فيما التحقن فيه من فروع العلم ، فتخرج بعضهن فى كلية الآداب وبعضهن فى كلية الحقوق . وكان ممن تخرجن فى كلية الآداب الآنسة النابهة ، سهير القلماوى التى عرفها القراء بما نشرته من الفصول الادبية فى بعض الصحف ، ورأوا فيها استعداداً قوياً فى الادب . وهذا الكتاب هو حديث قصصى طريف حللت فيه المؤلفة كثيراً من حياتنا المنزلية والاجتماعية وعرضت فى هذا التحليل مقارنة لطيفة بين حياة الجيلين الماضى والحاضر ، وما بينهما من منافسة وصراع ـ وقد قدم لهذه الاحاديث الدكتور طه حسين بمقدمة بليغة للتعريف بهذا الكتاب وبمكانته التى هى احدى تلميذاته . وحسب الآنسة تقريظا انها تلميذة لعميد الادب العربى وانها حائزة لثنائه وتقديره

بين الهلال وقرائه

نوم الحيوانات في الشتاء

(طنطا — مصر) خليل عبد الملك

لماذا ينام بعض الحيوانات في فصل الشتاء ويستيقظ في فصل الربيع أو الصيف ؟

(الهلال) ما يزال سبب ذلك مجهولا . وكل ما يعرف من أمر هذه الحيوانات هو أنها تكتفي بما قد تناوله جسمها من الغذاء فتنام مدة الشتاء كله

تهذيب الطفل

(طنطا — مصر) ومنه

المعروف أن الاولاد يتلقون تهذيبهم عن طريق الدرس والمطالعة . ولكننا نعلم أنهم يتلقون شيئاً من المعرفة قبل ذهابهم الى المدرسة فكيف يتسنى لهم ذلك ؟

(الهلال) يتسنى لهم ذلك بتقليد الغير وبمراقبة حركاتهم والانصات الى أقوالهم. ويقول علماء النفس: ان الاطفال يكتسبون ثمانين في المائة مما يتعلمونه عن طريق العين وما بقي عن طريق الاذن أي بالسماع

نبات الفانلا

(طنطا — مصر) ومنه

من ابن تجيء مادة الفانلا ذات الرائحة العطرية ؟

(الهلال) من بزور نبات من النباتات السجلية التي تنمو وتتسلق على الجدران أو على غيرها من النباتات

عصير الشلجم

(السويس — مصر) عبد الله عبد الفتاح

اشرتم في جزء ماض من الهلال الى فائدة عصير الشلجم لوفرة الفيتامين الثالث فيه بحيث انه يشفي من حمى الاسكربوط . فاين يمكن الحصول على هذا العصير وهل هو عصير اللفت الاعتيادي الذي يصنع في بلادنا ؟

(الهلال) عصير الشلجم هو عصير اللفت الاعتيادي . ولا نظن أنه يمكن الحصول عليه في الصيدليات ، ولكننا نعتقد ان الخواص المنسوبة الى العصير هي متوافرة في الشلجم نفسه فالاكثار منه مفيد في الشفاء من مرض الاسكربوط

وراثة العرش الفرنسي

(ابيجان — ساحل العاج) حسن جابر

من أحق بوراثة العرش الفرنسي لو تقرر اعادة الحكم الملكي الى فرنسا — أنسل بونابرت أم نسل بوربون ؟

(الهلال) كلا الاسرتين تطالب بهذا الحق لكننا لو اعتبرنا الاقدمية لوجدنا أن أسرة بوربون هي صاحبة الحق الاول

روح الحيوان والانسان

(دمنهور — مصر) عبد الفتاح سلامه

هل ثبت للعلماء ان للحيوان روحاً كما للانسان ؟

(الهلال) اذا ثبت علمياً أن للانسان روحاً وان الانسان متسلسل من الحيوان لم يبق شك في أن للحيوان أيضاً روحاً لانه أصل الانسان . ولم يثبت العلم وجود الروح حتى الآن مع ان جميع الاديان المنزلة وكثيرين من العلماء يقولون بوجوده

خلق الحياة

(دمنهور — مصر) ومنه

هل استطاع العلم خلق الحياة ؟

(الهلال) في أوربا وأميركا علماء كثيرون يبذلون الجهد للتوصل الى طريقة يخلقون بها الحياة ولكن جميع مساعيهم ذهبت أدراج الرياح لان الحياة لا تزال سراً مستغلقاً على العلماء . نعم إنهم تمكنوا من خلق مادة تلوح عليها جميع أعراض الحياة ولكنها تختلف

عن الحياة اختلافاً جوهرياً . على أن اخفاق العلماء حتى الآن لن يثني عزمهم على مواصلة الجهد الى أن يقتنعوا بعجزهم عن ذلك اقتناعاً تاماً

الهورمونات

(القدس ــ فلسطين) أحد المشتركين

قرأنا في الهلال وفي غير الهلال ايضاً غير مرة كلمة هورمونات . فما هي هذه الهورمونات واين توجد وما وظيفتها ؟

(الهلال) الهورمونات مواد كيماوية تفرزها بعض الغدد التي في الجسم ولها علاقة بالجنس والنسل، وقد اكتشف لها العلماء وظيفة جديدة وهي أنها تتحكم في الغرائز وبالتالي في صفات الانسان . وهنالك نوع من هذه الهورمونات يسمى برولا كتين وتفرزه الغدة النكفية . ويعتقد بعض العلماء أنها هي التي تدفع الانسان والحيوان الى العمل على حفظ النسل والدفاع عن النفس . وهناك هورمونات أخرى لم تعرف وظائفها حتى الآن

جوائز نوبل

(أدلب ــ سورية) حبيب معدي

هل ترجمت المؤلفات التي حازت جوائز نوبل الى اللغة العربية ومن أي مكتبة تطلب ؟

(الهلال) هذه المؤلفات كثيرة جداً ولا نظن أن شيئاً منها قد ترجم الى العربية

مصر وفينيقية

(باولوفونتين ــ برازيل) ميكال سعار

في أيام اية دولة من دول الفراعنة قام الاتصال بين مصر وجبيل ؟

(الهلال) في أيام الدولة الحادية عشرة

العراق والامتيازات

(باولوفونتين ــ برازيل) ومنه

هل الامتيازات الاجنبية معروفة في العراق وما الفرق بين موقف الانجليز هنالك وموقفهم في مصر؟

(الهلال) الامتيازات الاجنبية غير معروفة في العراق اذ قد أصبحت هذه البلاد بموجب نظام الانتدابات دولة مستقلة . وموقف الانجليز هنالك ــ رسمياً ــ هو موقف اية دولة أجنبية اللهم الا بقية نفوذ هو أثر من آثار نظام الانتداب ولا بد أن يزول بمرور الزمن

أما موقف الانجليز في مصر فرتبط بالتحفظات الاربعة التي أعلنتها انجلترا يوم أعلنت استقلال مصر . ومتى تم عقد المحالفة المتوقعة بين مصر وانجلترا أصبحت مصر مستقلة استقلالا تاماً من جميع الوجوه

مخترعو الحروف الهجائية

(باولوفونتين ــ برازيل) ومنه

هل ثبت أن الفينيقيين هم مخترعو الحروف الهجائية؟

(الهلال) الثابت أن سلسلة الخط ترجع في أصلها الى الخط الهيروغليفي القديم وهو الخط المصري المقدس ، ومن هذا الخط اشتق الخط الهيراطيقي وهو خط الخاصة ، ومن الهيراطيقي اشتق الخط الذي كان يستعمله عامة المصريين القدماء وهو الديموطيقي . وقد اشتق الفينيقيون حروفهم عن الخط الديموطيقي ، واشتق الآراميون حروفهم من الحروف الفينيقية . ومن الخط الآرامي اشتق الخط السرياني والخط النبطي، وهما الخطان اللذان اشتق منهما الخط العربي

الاسرة الاميركية

(هوستون ــ تكساس) يوسف ميني

قرأنا في بعض صحف هذه البلاد أن لجنة دولية تألفت لتبحث فيما يهم الاسرة وان من جملة القرارات التي أصدرتها هذه اللجنة ان الاسرة الاميركية هي أرقى الاسر بين الشعوب . فما رأيكم في ذلك ؟

(الهلال) لم نسمع بهذه اللجنة ولا نصدق ما يعزى اليها

تفسير بيت

(جنين ــ فلسطين) ما معنى هذا البيت ؟ :

عمري بانسانها انسان مقلتها
انسانة في سواد الليل عطبول

(الهلال) قوله «عمري» أي تمسح «بانسانها»

أي بأملتها « انسان مقلتها » هو المثال يرى في سواد العين ويسمى أيضاً البوبو . وهي « انسانة » أي امرأة « عطبول » أي فتية جميلة طويلة العنق . هذا هو ظاهر معنى البيت وربما أراد الشاعر غير ذلك والله أعلم

الطيور وافراز الماء

(جنين — فلسطين) ومنه

لماذا لا تفرز الطيور الماء كما تفعل سائر الحيوانات مع أنها تشرب الماء مثلها ؟

(الهلال) جميع المخلوقات الحية تتغذى وتشرب الماء بطرق تختلف باختلاف تركيب اعضائها الفيسيولوجي . أما القول بان الطيور لا تفرز الماء الذي تشربه فغير صحيح

الكهربائية السلبية والايجابية

(عكا — فلسطين) كامل بشاره

من المعلوم أن الكهربائية تجرى في سلكين احدهما سلبي والآخر ايجابي وان التيار ينقطع عند اتصال احدهما بالآخر . وكذلك الحال في اللاسلكي اذ يجري تيار في الارض وآخر في الاثير . فلماذا لا تلتقي الامواج الاثيرية والامواج الارضية مع أن الاثير متصل أبداً بالارض ؟

(الهلال) قولكم في الشطر الاول من سؤالكم ان التيار ينقطع عند اتصال السلك السلبي بالسلك الايجابي خطأ، اذ أن التيار ينتقل عند نقطة الاتصال من احدهما الى الآخر . أما اعتقادكم ان الكهرباء تسري في اللاسلكي في الاثير والارض بحيث يكون أحد الموصلين ايجابياً والآخر سلبياً فهو خطأ أيضاً انما هما نتيجة الاختلاف في الموجة

الابتسام

(روفيسك — سنغال) م. ر

كثيراً ما يبتسم الانسان عن غير قصد فما سبب ذلك ؟

(الهلال) الابتسام والضحك هما ظاهرتان لا يعلم سببهما بالتمام . وقد حاول الكثيرون من العلماء تعليلهما بنظريات مختلفة فلم يوفقوا الى ذلك . والارجح انهما بمنزلة اراحة لبعض العضلات الوجهية من الجهد الذي تعانيه . ولا يمكننا أن نحدد ما هي الاشياء التي تضحك أو تحمل على الابتسام وما هي الاشياء التي لا تحمل على ذلك

أمريكا واليابان

(سانتياغو — كوبا) أحد القراء

ما سبب خوف اميركا من اليابان . وهل من المحتمل وقوع حرب بين هاتين الدولتين ؟

(الهلال) ليس صحيحاً أن اميركا تخاف من اليابان ولكن كلا من هاتين الدولتين تنظر الى الاخرى بعين الحذر واليقظة تلافياً لما قد يقع من الطوارىء . ولا يخفى أن بلاد اليابان مزدحمة باهلها ازدحاماً شديداً لان عدد سكانها يساوي نحو نصف عدد سكان الولايات المتحدة ، ومع ذلك فان مساحتها لا تكاد تزيد على مساحة ولاية كاليفورنيا فقط . فمن الطبيعي اذن ان يتطلب اليابانيون منفذاً جديداً وان ترنو أبصارهم الى جهات قد لا يكون من مصلحة الولايات المتحدة ان يحتلوها

ايطاليا والحبشة

(سانتياغو — كوبا) ومنه

لماذا تطمع ايطاليا في الاستيلاء على الحبشة وهل يرجو الايطاليون اذا هم شنوا الغارة على الحبشة أن يجنوا من هذه الغارة ما يعوضهم الخسارة التي لا بد أن يتحملوها ؟

(الهلال) ان ايطاليا تنكر رسمياً أنها تطمع الى الاستيلاء على الحبشة ، ولكن الدول قد تنكر شيئاً وهي تريد ذلك الشيء وتسعى اليه . وبلاد الحبشة غنية جداً بمواردها الطبيعية وفيها آبار غنية بالزيت . وايطاليا في أشد الحاجة الى تلك الآبار لانها تستورد الزيت الذي هي في حاجة اليه من الخارج . أضف الى ذلك أن الحبشة غنية بمعادنها . ويقال ان أصل غنى ملكة سبأ كان بلاد الحبشة وانها حملت من هذه البلاد الى الملك سليمان الهدايا التي ورد ذكرها في التوراة

العمل عبادة

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

« . . وكل مؤمن يذهب بحق الى ان العبادة سبيل السعادة . فهل من سبيل للسعادة اوفى واكرم من العمل الشريف ؟ . هل من سبيل للسعادة اوفى واكرم من هذا الدأب المتصل يرى صاحبه آثار عمله كل يوم تزدهر تحت نظره كما يرى الاب البار الحنون ابناءه يشبون ويكبرون ؟ . . فليذكر شبابنا دائماً ان العمل عبادة . وان العبادة مرانة متصلة منذ اول الصبا . فمن هجر العمل في اول عهده بالقوة على الحياة هجره العمل حين يشعر بالحاجة اليه . . »

اذكر منذ ايام الصبا منظراً يتكرر اليوم وهو لن يزال يتكرر ابد الدهر ـ ذلك حين كنا نقضي اجازاتنا المدرسية بالريف ، وحين كنا نخرج في احيان كثيرة مع الفجر ، فنرى القرية استيقظت ، ونرى الرجال يذهبون الى المسجد يؤدون فيه فريضة الصبح قبل مطلع الشمس ، لينتشروا بعد ذلك في المزارع يعكفون فيها على العمل نهارهم ويبقى بها منهم شطراً من الليل من يمسكه العمل فيها هذا الشطر من الليل ، ونرى النسوة أخذت كل منهن جرتها لتملأها ولتعود بها مراراً ، ثم لتعكف على عمل الدار صباحها ، حتى اذا كان الظهر ذهبت لرجلها بطعام الغداء في المزرعة

اعاد هذه الصورة الى ذاكرتي مثل لاتيني معروف ترجمته : « العمل عبادة » . ولهذا المثل نظير في لغات العالم جميعاً . وفي ريفنا يقولون : الشغل عبادة ، كما يقولون نوم الظالم عبادة . والحق ان كل عمل صالح عبادة . فالعمل الصالح هو بعض ما وجد الانسان في هذه الحياة ليقوم به . بل هو كل واجب الانسان في هذه الحياة . وكلما ازداد الانسان في العمل الصالح دأباً واتقاناً ازدادت عبادته وازداد عند الله اجره ومثوبته

والعمل الصالح يتناول كل عمل مثمر يقوم به الانسان لخيره وخير الناس من غير عدوان به على احد من الناس ، الا ان يكون دفعاً لظلم او اجتناباً لضر . في هذه الحدود كل عمل شريف ، وكل عمل عبادة . يستوي العمل اليدوي والعمل العقلي او الفني . فهؤلاء الذين يقومون مع الفجر يفلحون الأرض ، والذين يعملون في الصناعة او في التجارة ، والذين

يسعون في مناكب الارض ابتغاء الرزق ، يتساوون مع العلماء ورجال الفن والسياسة ورجال الحكم في ان عملهم شريف ، وانه لذلك عبادة خالصة لله . ولقد اخطأ اولئك الذين كانوا يفاوتون بين الاعمال ويعتبرون بعضها اشرف من بعض، ليصلوا من ذلك الى ان الرجل الغني عن العمل المتعالي لذلك عليه هو اشرف الناس مقاماً واكثرهم نبلا - أخطأ هؤلاء وضلوا . فالمتعالي على العمل كسلان يأكل عمل غيره ويسلب هذا الغير حظاً من رزقه بغياً بغير حق ، ولو أن رجلا اجتمعت له الاموال حتى ما يكاد يحصيها لما أعفاه ذلك من أن يعمل ، ولما سوغ له ذلك أن يستنزف باسم ماله عمل غيره . فهو اما أن يكون قد جمع هذا المال من طريق العمل الحلال فواجب عليه أن يتابع سعيه في هذا العمل الحلال ، وإما أن يكون قد آل اليه من عمل غيره فواجب عليه أن يسعى كما سعى هذا الغير ، وأن يعمل ليكون قد أدى فرضه من العبادة

والعبادة في الحق ما هي ؟ هي هذا التوجه الخالص للاتصال بالكون إيماناً بخالق الكون وكيف لنا أن نتصل بالكون إذا لم نعمل فيه ؟ كيف لنا أن نتصل به إذا نحن جعلنا كل همنا إلى الانفصال عنه فراراً مما نسميه همومه وآلامه ؟ نعم ! كيف نتصل بالكون إذا قصرنا كل جهدنا على أن نستهلك ثمراته دون أن ننتج مكانها ثمرات جديدة من نوعها أو من نوع آخر ؟ وكيف يؤمن بخالق الكون إيماناً صادقاً من لا يترك بعمله في الكون أثراً أياً كان نوعه ؟ أو لو تصورنا الناس جميعاً ، رجالا ونساء ، شباناً وشيباً ، وقد انقطعوا عن العمل زمناً ، فماذا يكون مصيرهم ، وماذا يكون مصير الكون ؟ أما هم فمصيرهم لا ريب أن يمحوهم الكون وأن يستبدل بهم قوماً غيرهم . وأما الكون فيظل في حياته دائبة ذراته على التفاعل والعمل . فاذا كان ذلك مصير الجماعة كلها إذا جنحت إلى البطالة ، فالعدل يقتضي أن يكون مصير الفرد كذلك إذا جنح اليها . والنظم التي تحمي البطالة نظم آثمة تجني على الانسان أكبر جناية

وفي يقيننا أن العالم لم ينحدر في عصر من العصور إلى درك الانحلال والانحطاط إلا حينما انصرف أهله عن العمل المثمر في نواحي الحياة المختلفة وجعل كل همه إلى أن يعيش من سلب عمل غيره ، وحينما اعتبرت المهارة في سلب عمل الغير « شطارة » يستحق صاحبها الاجلال واحترام الناس إياه . الجماعات التي تسيغ مثل هذه الآثام وتحترمها تسرع في تفكيرها الى وثنية وضيعة أولى درجاتها عبادة المال وتقديس أربابه والنظر اليهم كأنهم أنصاف آلهة يجب أن تقرب اليهم القرابين وأن توجه اليهم صنوف العبادة . فاذا كان ذلك كان سبب

ثورة الذين ينهكون أنفسهم كدحاً وعملا على انصاف الآلهة هؤلاء . وليس يخالجني شيء من الريب في أن المذاهب الاشتراكية المتطرفة ، وفي أن البلشفية التى قامت في العالم كثمرة من ثمرات الحرب ، إنما هي بعض آثار هذه الوثنية والثورة عليها . وليس يقف تعليل ذلك عند ماذهب اليه كارل ماركس ومن تبعه ، وفي مقدمة الثائرين منهم لينين ، من أن الطوائف فى الجماعة فى نضال دائم ، وأن الغلب دائما للعدد الاكبر لانه مركز القوة المادية ، وإنما تعليله الحقيقي في أن الاقلية التي تريد أن تطبع الجماعة على غرارها يجب أن تكون صفوة مختارة ذات غرض إنسانى سام ، هو التوجه بالجماعة الى سبيل النعمة والكمال من غير أن تتخذ هذه الصفوة مكانها ذاك وسيلة لتمعن في صنوف المتاع المادى وتجعل نفسها فى مكان السيادة وتجعل الكثرة الكبرى عبادا لها . يوم توجد هذه الصفوة ويوم يكون الأمر لها لا يكون بين الطوائف نضال على نحو ما يصوره ماركس ولا تكون الجماعة بحاجة الى نظم خيالية لا تتفق مع واقع الحياة على ما ذهب اليه فوريية وسان سيمون وغيرهما . فهذه الصفوة المختارة لن ترضى عن نظام يبيح البطالة لرجل لأنه غني ، ولن ترضى لذلك أن يشعر السواد بأن غيره يسلبه حظا من رزقه ، وانما يكون العمل في رأيها عبادة يجب على كل ان يؤدى فرائضها ، ويجب ان ينال كل ما كتب له من رزق بسبب ادائها ، لا يظلم احد احدا ، ولا يسلب احد عمل احد

واني لاعجب من اولئك الذين يطيقون ان يمضوا وقتهم فى غير شيء إلا التحايل على ارضاء اهوائهم وشهواتهم الدنيا ، كما اعجب لاولئك الذين يريدون ان يجعلوا رزقهم في الحياة ثمرة المصادفة والحظ . لذلك كنت ارى دائما ان هذه (اللوتريات) وهذه المسابقات للخيل وما يكسب الناس من ورائها عمل غير جائز كما كنت ارى الميسر الذى يمضي الناس على مناضده ساعات واياما عملاً غير جائز . حقاً ان اعمالا خيرية لها قيمة عظيمة تستفيد من اللوتريات ومن سباق الخيل لتؤدى إلى الناس أعمالا جليلة . لكن من الحق كذلك أن أوراق الحظ هذه مفسدة للشعوب داعية إياها إلى الاستهانة بالعمل والى الركون لالوان من النقائص شتى . ولو أن الجماعة أنفت هذا النوع من الرزق الحرام ونظرت إلى أصحابه نظرة الزراية ، وجعلت للذين يلتمسون المثل الأعلى في الحياة بالعمل الشريف كل احترامها ، ورأت في دأبهم على عملهم الشريف العبادة الصادقة الخالصة لله ، إذن لتقدست في النفوس من المعاني الانسانية السامية آثار عميقة تدفعها الى التضحية في سبيل البر والى إقامة أعمال الخير

من فيض فضل الله عليها بدل أن تقوم هذه الاعمال على أساس من الطمع فى الربح ومن التماس كل وسيلة له

وكل مؤمن يذهب بحق الى أن العبادة سبيل السعادة . فهل من سبيل للسعادة أوفى وأكرم من العمل الشريف ؟ هل من سبيل للسعادة أوفى وأكرم من هذا الدأب المتصل يرى صاحبه آثار عمله كل يوم تزدهر تحت نظره كما يرى الأب البار الحنون أبناءه يشبون ويكبرون بعينه . وليكن فلاحنا المثل دائماً أمامنا ، فهذا هو يكدح نهاره وجانباً من ليله . وهذا هو يرى ثمرة كدحه كل يوم تزداد أمام عينه ازدهاراً حتى يجين جناها وهو أثناء ذلك كله سعيد بنموها وازدهارها سعيد بأثمارها وجنى ثمرها شاكر أنعم ربه يرجو من الله أن يزيده بالشكر نعمة — وتلك هى السعادة وذلك هو النعيم

أما الذين يحسبون الحياة لهوا ولعباً ولا شيء غير اللهو واللعب فيها ، فانما يغريهم الشباب ويزين لهم شيطانه . فاذا تقدمت بهم السن ألفوا أنفسهم عاجزين عن العمل وألفوا الشباب قد خلق لهم بلهوه ولعبه من سوء الآثار في مالهم وفي صحتهم ما لا يجدى معه الأسف ولا يغنى عنه الندم . فليذكر شبابنا دائماً أن العمل عبادة . وأن العبادة مرانة متصلة منذ أول الصبا . فمن هجر العمل في أول عهده بالقوة على الحياة هجره العمل حين يشعر بالحاجة اليه . يومئذ يحس إحساساً أليماً بأن الحياة تخلت عنه وبأن الحظ خانه . وما تخلت الحياة عنه وإنما تخلى هو عنها . وما خانه الحظ وإنما خان هو نفسه . فليبكر كل ما استطاع بهذه العبادة السعيدة المسعدة ، فليبكر كل بالعمل والدأب عليه والأثمار فيه . العمل الذى يقوم به الانسان لخيره ولخير الناس من غير عدوان على احد إلا ان يكون دفعاً لظلم او اجتناباً لضر. وفي هذه الدائرة كل عمل شريف وكل عمل عبادة

محمد حسين هيكل

خير أيام الفتى يوم نفع	واصطناع الخير أبقى ما صنع
ونظير المرء فى معروفه	شافع مت اليه فشفع
ما ينال الخير بالشر ولا	يحصد الزارع إلا ما زرع
خذ من الدنيا الذى درت به	واسل عما بان منها وانقطع

ابو العتاهية

أولادنا

بقلم الاستاذ عبد العزيز البشرى

حب الاولاد ــ مبلغ هذا الحب ــ رقة عاطفة الابوة ــ
هل حب الابناء بمنزلة واحدة ؟ ــ الحب واختلاف الصفات

تسألني يا سيدى في كتابك أن أصف لك حب الولد ، وما مبلغه ، ومن أى نحو هو ، وهل يستوى فيه صغارهم وكبارهم ، وذكورهم وإناثهم ؟ وهل صدق ذلك الذى قيل له : « أى بنيك أحب اليك ؟ » فقال : « صغيرهم حتى يكبر ، وغائبهم حتى يحضر ، ومريضهم حتى يبرأ ؟ »

وترى هل تختلف محبة الولد باختلافهم فى الصفات من الجمال والقبح ، والنجابة والغباء ، وحسن الخلق وسوء الطبع ، والنشاط والكسل ، والنجاح والخيبة . ونحو ذلك مما تختلف فيه الصفات وتتغاير الطباع ؟

وتسألني يا سيدى أن أوضح لك شيئاً توهّم عليك في أمر الولد : ذلك بأن حبهم لاشك فيه ، بل إن هذا الحب من الأشياء الموصولة بالطبع والغريزة . ومع هذا فانك لترى أكثر الآباء إن لم ترهم جميعاً يتمنون لو أنهم لم يكونوا قد رزقوا أولاداً ! فكيف يستقيم الجمع بين هذا الحب كله للولد ، وبين هـذا الضيق كله بالولد ؟ أليس من أعجب العجب أن يضيق الانسان بأحب الاشياء اليه ، ويبرم بأشد ما يكلف به في الدنيا . ويتمنى أن لو لم يكن بعد ما قد كان ؟

ثم تعود فتلح علي في أن أصور لك هـذا اللون من الحب تصويراً صـادقاً واضحاً حتى تشعر بأن لك أولاداً تحس حبهم وتتذوقه كما يحسه ويتذوقه الآباء !

***

أما بعد ، فلقد سألتنى شططاً وجشمتني عسيرا . بل ما أراك تجشمني من الأمر إلا محالا ! . فكيف لى بان أصف لك ما لم يقع قط عليه حسك ، وأن أجلو على نفسك من ألوان العواطف ما لا صلة لها به ولا سبب . وإن مَثلك في هذا كمثل من يستوصف طعم الكمثرى ،

أو لون البنفسج ، أو نغمة العراق ، أو رائحة الياسمين ليدركها إدراك من قد طعم أو رأى أو شم أو سمع ! . اللهم إن هذا الذى تجشمني ياسيدى ليس في طوقي ولا في طوق اللغة . فان هذه المعانى التى لا تدرك إلا بالحس ، لا يمكن أن يغني في تذوقها الوصف

بل إننى و إياك لقد نشترك فى الشعور بمعنى من هذه المعانى ، ولقد تترقرق في نفوسنا بازائه عاطفة واحدة ، ومع ذلك يُعيى علينا كلينا البيانُ فى جلوها والترجمة عنها . فاذا بدا لاحدنا في أى وقت أن يذكرها لصاحبه لم يزد على أن يشير عليه بان يبعثها فى نفسه و يستحضرها استحضارا ، وتلك لغة الاحساس

اللهم إن جهد اللغة في هذا الباب أن تقرب هذه المعاني ، لمن لم يسبق له أن يحسها ويلابسها ، بفنون التشبيه والتمثيل : كأن يقال إن طعم كذا شبيه بطعم كذا . أو أنه بين الحلو والحامض مثلا . وأن عبير هذه الزهرة شبيه بعبير ذلك النوع من الزهر لولا أنه أشد أوألطف مثلا . وكل ما يمكن أن يعطى هذا مهما يعلُ بيان الواصف ومهما يدقّ وينفذ ، إنما هو صورة تقريبية . أما أن ينفضه بالبيان على الحس حتى كأنما يذاق حقاً فذلك مما يوصل بالمحال !

وأنت ترى أنه لاسبيل حتى إلى جلو هذه الصورة التقريبية الناقصة لشيء من هذه المعاني إلا بردها الى شيء سبق أن وقع عليه الحس ولابسه الشعور

حب الاولاد

على هذا سأتحدث اليك ، يا سيدى ، عن حب الولد . سأتحدث اليك وأنا واثق أتم الثقة بانى عاجز أشد العجز عن أن أنفض عليك كثيرا من هذا الشعور الذى تنطف به كبدى فيشيع في جميع نفسي . ولقد تعلم أن كلمة الحب تنطوى على ألوان من الحس كثيرة قد تقترب اقتراباً شديدا ، وقد تفترق افتراقاً شديدا . ومهما يكن من هذا الافتراق وذلك الاقتراب ، فان للحب فى كل موضوع كيفاً خاصاً وشعوراً مستقلا لا يشركه فيه سواه . فللحياة حب . وللجمال حب . وللمال حب . وللذات حب . وهكذا . على أنك تحس لهذا الضرب من الجمال غير ما تحسه لذلك الضرب من الجمال . وتشعر لهذا اللون من اللذة غير ما تشعر لذلك اللون . إذن فاعلم أن حب الولد غير أولئك جميعاً

حب الولد غير حب الزوج . وغير حب الوالدين . وغير حب الاخوة وأبنائهم : هو حب له طعم لاتذوقه في شيء من كل أولئك . هو مزج من الرحمة والحنان . ومن السعادة

والجمال . ومن الطرب والشجى . ومن الطمأنينة والقلق . ومن الأثرة والايثار . ومن الخوف والرجاء . هو مزج من هـذا كله مختلط يموج بعضه في بعض . فيخرج له ذلك الطعم الخاص الذى لا يكون الا بمجموع هذه المعاني . وان كان أظهر عناصره الرحمة والحنان

لعلك يا سيدى قرأت قول الشاعر العربى :

وانما أولادنا بيننا أكبادنا تمشى على الارض

لعلك قرأت هذا البيت مرة ومرة . ولو قرأته الف مرة ما خرج لنفسك منه شيء مما يحس له صاحب الاولاد !

نعم . هؤلاء هم أكبادنا . ما غابوا عنا الا شعرنا بنقص فى نفوسنا . بل بأحسن ما في نفوسنا حتى يردوا علينا . بل انه ما اجتمع بهم شملنا الا شعرنا بانهم قطع قد فصلت عن نفوسنا . ولو قد تهيأ لنا أن نحسوها حسوا لنملأ بها هذا الفراغ الذى نحسه فيها لفعلنا !

ابني معناه أنا . ولست أريد (بأنا) كلي . بل انما أريد عصارة ما فيَّ من عطف ورحمة وأمل وشعور باسعد السعادة وأجمل الجمال ! ليس لحم ابني ولا دمه وعظمه الا هيكلا لكل هذا . بل ليس الا رمزا . بل ليس الا هذه المعاني قد تجسدت فسويت على صورة الانسان . بل اني أكاد لا أراه الا تلك المعاني مترقرقة لم تمسكها صورة الانسان !

مبلغ هذا الحب

هذا ولدى الصغير يلعب بين يدىَّ . فسرعان ما انسى سني وأطرح كل همي ، بل سرعان ما أخرج عن نفسي فلا أراني الا قد رددت طفلا يتمثل فى خلقه . فانا الذي يلعب و يعبث . وانا الذى يسر و يغتبط بهذا اللعب والعبث . حتى إذا تعرض لمكروه في بعض جريه ووثبه ودفعه وجذبه ثبت الى نفسي فكففت المكروه عنه ثم رددت من فورى الى ما كنت فيه !

واذا كان قد جاءك ان اعظم العظماء في هذا العالم قد خرجوا في ملاعبة أبنائهم عما ينبغى لهم من الجد والتوقر . بل لقد يبلغون في هذا أشد ما يبلغ الصبيان من الوان العبث . فاعلم انهم لا يتكلفون هذا تكلفاً لمجرد إدخال السرور عليهم . بل انهم لكثيرا ما يرون انفسهم في بنيهم فيستشعرون هذه الحداثة . ولا يجدون حرجا من أن يصنعوا ما يصنع الاحداث . بل انهم ليجدون في هذا لذة لا تعدلها لذة ومراحا دونه كل مراح !

واذا كان قد جاءك ان اعظم العظماء في هذا العالم قد اتخذوا من انفسهم مطايا لصغارهم

فاركبوهم ظهورهم لا يرون بهذا بأسا ولا يجدون فيه حرجا . فاعلم انهم وقد عجزوا عن ان يردوا كبودهم الى مواضعها بين ضلوعهم ، فسواء عليهم اوضعوها على الصدور ام وضعوها على الظهور !

ولقد ترى الرجل يؤثر ولده على نفسه بالحلوى والفاكهة مثلا . فلا تظن انه انما يفعل ذلك لمجرد تفكيهه وتلذيذه . بل إن نفسه هو لتتذوقها بهذا احلى متذوق وتسيغها احسن مساغ بما لا يقاس به احتلابها بالشفاه . وتقليبها فى الافواه

***

هأنذا اقبّل ولدى . وانى لأجد لقبلته من اللذة ما لا اجده لشيء من لذائذ الدنيا . هى لذة فيها شدة وفيها رفق ، وفيها عنف وفيها لين ، وفيها حرّ وفيها برد . وفيها وراء ذلك حلاوة لا يتعلق بها وصف الواصفين . أرأيتك هذا الذى ألح عليه الظمأ فى اليوم القائظ حتى استحال الظمأ في قلبه أوارا . ثم أقبل على الشبم الزلال فجعل يعب منه عبا حتى ينقع غلته نقعاً ؟ اللهم إنى لأجد في تقبيل ولدى أشد من هذا وأحلى وأروح ، لولا أن اللذة فيه لا تنقضى ، والغلة اليه لا تنقع على كثرة العب وعلى توالى الرشيف !

واذا كان الماء يروى أوار الجسم ، فان هذه القبلة إنما تروى أوار النفس . وشتان بين هذا وهذا في مذهب الشعور !

هى قبلة تتظاهر الحواسّ كلها على إصابتها وإدراكها ، وتتجمع النفس من جميع أقطارها لتشهدها وتلتذ بها فلا يبقى شيء منها غائبا عنها ولا مخطئا لها . حتى لتشعرن بأن هذه النفس تتقطر كلها على وجهه ولا يبقى منها إلا رمق هو الذى يشعرك ما أنت فيه من اللذة ومن النعيم !

وانى لأسمع صوت ولدى الصغير في لغوه أو في كلامه او في ضحكه . فيشيع فيّ من الطرب ما لا يشيع أندى الاصوات . ولا نغم عود في يد أحذق الضاربين ! بل انى لأجد منه ما يجد الشجر إذا نزل عليه الماء فاهتز العود وضحك الزهر !

ولقد تخبث نفسى بما يشب فيها من الغيظ والاضطغان حتى أحسها تكاد تتمزق تمزقا ، فما إن أرى ولدي وأنا على هذه الحال إلا رأيتها قد تطامنت وسمحت وأوشكت أن تصير نارها المشبوبة إلى خمود

وإن أشد الناس جبناً وفرقاً ليرى ولده فى خطر أو مستهدفاً لخطر . فلا تراه إلا ينصب

لاستنقاذه انصباباً ما يبالى ما يصيبه . بل ما يبالى أهلك معه أم هلك دونه !

رقة عاطفة الابوة

وهذا ولدي يمرض فهذه كبدي تسيل مسالا . وهأنذا أجن ولكنني لا أغفل عن المكروه غفلة المجانين . ولا أجد ما يجدون من رضى بحالهم وارتياح . وهذا حسي يضطرب اضطرابا شديدا بين الرحمة والالم والحنان والخوف والاشفاق والجزع . وإن وراء ذلك كله لشيئاً هائلا بشعاً يتراءى لى شبحه من بعيد فاغمض عيني دونه حتى لا أراه ولا أتبينه . بل إني إذا خلوت لنفسي لأطلبه واتفقده . فاذا تمثل لى بكيت حتى استعبرت . فأجد لهذا البكاء راحة مما يغمز على كبدى ويحرق صدرى تحريقا . بل انى لأتمنى على الله ان ينقل ما به إلىّ . فاذا كان ثمة حدث لابد من ان يجرى به القدر ، وددت جاهداً مخلصا لو انى ا كون اسبق الاثنين

وأذكر في هذا المقام انى احتسبت ولداً لي كان وحيدا . فجن جنونى وفعل بي الأسى الافاعيل . وقد انتهى إلى ابي رحمة الله عليه بعض ما اصنع او بعض ما يصنع الوجد بى . فدعانى وقال لى :« بلغنى ان الجزع قد بلغ منك إلى انك تفعل كيت وكيت . أفلا آثرت الاحتمال وتجملت بالصبر على هذا كما احتملت انا وكما صبرت ؟ » فسكت لأنى لم اصب قولا اقوله . فأقبل علي رحمه الله واخذ يدى كلتيهما في يديه وقال :« اسمع يا ولدى ، اذا كنت قد حزنت لموت فلان مرة فلقد حزنت لموته مرتين ! » فرفعت وجهى اليه وقلت له فى شيء من الدعة والرفق يخالطهما كثير من الدهش : «وكيف هذا ؟» فقال في لوعة شعرت بما يعاني في مجاهدتها :«لانه اذا كان ابنك مرة فانه ابنى مرتين !» ورأيت الدمع يترقرق في عينيه ولكنه لا يأذن له بان يتجاوز المحجرين . ووالله لقد سرّى هذا الكلام عني كثيرا إذ قد علمت انني فى هذه المصيبة صاحب اضعف السهمين !

وان تعجب لشيء فاعجب لهذا الانسان الأثر الشديد الأثرة . الحريص على الحياة ابلغ الحرص والكلف بها اشد الكلف . والذى يود لو يمتد عمره الى ما وراء اعمار الناس جميعاً . هذا الانسان يفرَق اشد الفرَق من ان يتقدمه الى الفناء ولده . وإن اللذة كلها والسعادة اجمعها لتتمثل له في تصوره ان ولده سيعلله اذا شكا . ويقلبه اذا مرض . ويغمض جفنيه اذا مات . ويسوى عليه التراب بعد ان يفضى به الى لحده !

هل حب الأبناء بمنزلة واحدة ؟

ثم إنك تسألني ما إذا كان حظ الأبناء من حب أبيهم واحداً وأنهم كلهم فيه بمنزلة سواء . أم أنه يختلف باختلافهم بالصغر والكبر ، والذكورة والانوثة . فاعلم ، ياسيدى ، أنك على إغراقك في حب أبنائك جميعاً وشمولهم بلون من الحب لا يشركه في مذاقه سواه ، فانك واجد لحب كل منهم كذلك شعوراً خاصاً لا يشركه فيه غيره ولا يزاحمه عليه سواه . فحبهم أشبه بالجنس عند أصحاب المنطق تحته أنواع . وانك لتصيب من التفاح ومن الكمثرى ومن العنب والتين وغيرها من ألوان الفاكهة فتلتذها كلها ، فكلها حلو لذيذ . على أن ما تجده لهذا من الطعم غير ما تجده لذاك . ولله شوقى بك رحمة الله عليه حين يقول في وصف الخمر :

حمراء أو صفراء إن كريمها كالغيد كل مليحة بمذاق

والواقع أن الانسان لوقد حدّ حسه وأرهف شعوره ، وراح يتدسس فى أعماق ضميره ليتفقد حقيقة هذا الاختلاف ويتعرف وجهه لرأى أن مادة هذا الحب واحدة وجوهره غير مختلف . ولكن سن كل ولد ، وظروفه ، وأسبابه ، وجنسه تتناول صورة حبه بالتشكيل والتلوين

ولقد زعمت لك في بعض هذا الكلام أن حب الولد مزج من عواطف كثيرة أسطعها الرحمة والحنان . فاذا كان الوليد في المهد فانك لا تجد له إلا هاتين العاطفتين . فاذا تقدمت به الأيام حتى درج وجعل ينطق ببعض اللفظ ، أضيف الى هاتين شىء من الانس به والطرب له . فاذا تقدمت به الأيام فجعل يثب ويلعب ، ويقلد فى بعض الاقوال ، ازداد بك هذا الأنس وهذا الطرب . وأحسست الى ذلك جديداً هو أن هذا الغلام أصبح يشغل من لهوك صدراً عظيماً مالك منه بد ولا لك عنه غناء . فاذا تقدمت به السنون حتى استوى للتربية والتعليم ، دخل على كل أولئك شىء من الايثار له بالطاعة والنجابة وحسن الادب مع الناس وشىء من التأميل الرفيق في أن يكون فى مستقبل شأنه من الناجحين . وكلما اطردت به السن ربت هذه العاطفة له واشتدت حتى تكاد تغمر سائر ما تجد له من الأحاسيس . فاذا اغترب أو مرض أو أصابه مكروه من المكروه عادت تانك الخلتان الى سطوعهما حتى لا يكاد يشعر له إلا بالرحمة والحنان ، لأن شأنه في ذلك أولى بالرحمة والحنان !

أرجو أن تكون قد فهمت الآن حق الفهم الوجه في قول ذلك الذي زعم ان أحب بنيه اليه صغيرهم حتى يكبر ، وغائبهم حتى يحضر ، ومريضهم حتى يبرأ . ولعلك كذلك تكون قد

أستخرجت من كلامي أن أسطع العناصر في حب البنات انما هو الرحمة والعطف والاشفاق ، لانهن ضعيفات مالهن بعراك الايام يدان

الحب واختلاف الصفات

ثم انك تسألني عما اذا كان يختلف حب الولد باختلافهم في الصفات من الجمال والقبح والنجابة والغباء ، وحسن الأدب وسوء الخلق ، والنشاط والكسل ، والنجاح والخيبة وغير ذلك من الصفات

لعله قد وقع لك ياسيدي في بعض ما تقرأ جواب ذلك الاعرابي الذي قيل له : ما بلغ من حبك لفلانة ؟ فقال : « والله اني لأرى القمر على جدارها أحسن منه على جدران الناس ! »

لقد ترى أن هذا الاعرابي كذاب أشد الكذب ، لأن القمر على جدار صاحبته كالقمر على جدران سائر الناس . ولقد تراه صادقاً أتم الصدق لانه يرى القمر على جدار صاحبته أحسن منه على جدران سائر الناس.وكذلك الولد فانك لاتكاد ترى فيهم إلا جميلا . أوعلى الأقل إنك لا تكاد تلمح عيوبهم سواء أكانت خلقية أم نفسية إلا بعد شيء من التأمل والتفكير . أما مادمت ترسل النظر فيهم عفواً بلا تمهل ، فانهم عندك أحسن الاولاد . ذلك بأنك إنما تنظر الى كبدك أو على الصحيح إنما تنظر الى نفسك ، وأنت خبير بأن المرء قل أن يتفطن الى عيوبه . ولو قد تفطن الى شيء منها فان أمره لا يتعاظمه كما يتعاظمه مثله في غيره من الناس . وكذلك ترى الرجل لا ينكر من بنيه بعض ما ينكر من غيرهم من الأبناء ، إذ كان يقدر هؤلاء بالعقل والفكر . أما أولاده فانما يقدرهم بالعاطفة والهوى ما يكاد يلابسها تفكير ولا تدبير

نعم ، لقد يكون فى الولد عيب خلقي واضح . ولقد يصاب بالآفة من شأنها أن تثقله عن السعي في الحياة . ولقد يبلغ من انحراف الطبع وفساد الخلق وسوء الادب أقصى الغايات والعياذ بالله . فان موقع ذلك من نفس أبيه وحظه من التقدير عنده أضعف من قدره فى الواقع ومن قدره عند الناس . وإن ذلك ليسوؤه بالضرورة ، وقد يكدر عليه عيشه ، وقد يهيجه ويثير على الولد سخطه . قد يبلغ ذلك به كل هذا ولكنه لايحط من حبه لولده وإيثاره له على أى حال ، بل إن ذلك منه لدليل على هذا الحب والايثار . فما ساءه ولا كدر عيشه ولا أحنقه ولا أسخطه إلا الرحمة له ، والشفقة به ، والأسى على أنه لم يكن من أسعد الناس أو أنه لايكون

أسعد الناس . بل إن الوالد لقد يتمنى الموت لولده في بعض الحين ، لا بغضاً له ولا اضطغاناً عليه ، ولكن رحمة به وشفقة مما يجنى عليه سوء أخلاقه حيث لا رجاء فيه لخير ولا لصلاح . فشأنه في هذا شأن من تضرب العلة أعز الناس عنده وأكرمهم عليه ، العلة المعنّية الشديدة الالحاح بآلامها وبرحها والتي لا يعرف الطب لها شفاء ، ولا منها نجاء . وانه ليتعجل له الموت رقة له وايثاراً له بالاستراحة مما يعاني من هذا العذاب الشديد . على حين أنه أشد الناس لموته جزعا وأعظمهم منه روعا و إشفاقاً !

***

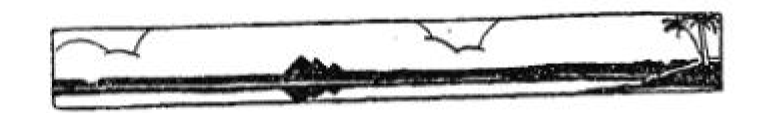
وأخيراً أراك تسألني كيف يستقيم الجمع بين حب الولد الى هذا الحد، وتمنى أكثر الناس لو لم يكن الولد بعد أن قد كان ؟

ولست أشك يا سيدى ، فى أنك اذ كنت تصوغ هذا السؤال قد قدرت الفرق الواسع بين تمنى ان لو لم يكن الولد ، وتمنى هلكه بعد أن قد كان . فاعلم إذن أنه ما يشبُّه لهذه المنية إلا غلوه في حبه والرقة له والشفقة به مما يلقى ومما عسى أن يلقى في هذه الحياة من علل وأسقام ، ومن برح وآلام . على انه وقد خرج الى الدنيا فلا يكون له من أبيه إلا ما جلوت عليك بعضه فى هذا الحديث ، فلقد تعاصى على أجله

***

وبعد ، فما اراني بعد هذا كله بلغتك ما تحب ولا جليلا مما تحب . بل انى لاخشى ألا اكون قد بلّغتك شيئاً ابداً ! على انى ادلك على من يستطيع ان يصف لك ما استوصفت في اوضح صورة وادق تعبير ، حتى يتهيأ لك ان تتذوق حب الولد في جميع صوره واشكاله . وليس يجشمك طلب هذا الا ان تسرع فتبني عسى ان ترزق اولاداً . فهؤلاء الاولاد هم وحدهم الذين يستطيعون ان يجيبوك الى ما سألت ابرع اجابة ويصوروا لك هذا الحب أصدق تصوير !

عبد العزيز البشرى



مع الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر
الشيخ محمد مصطفى المراغى

الرجل الكبير في الازهر ـ الازهر وجامعة القدس ـ الرابطة الاسلامية ـ ماذا ينقص العالم الاسلامي ؟ ـ الاقتباس من الحضارة الحديثة ـ رجال الاسلام وأيهم خير ؟ ـ كلمة الاستاذ الاكبر الى المسلمين في اقطار الارض

« إن الكبار من الرجال هداة في أممهم ، يظهر أثرهم فى إرشادها والسير بها في الطريق المؤدية الى الغاية التى تطلبها ، وليسوا بخالقين ولا ناشرين من موت . وانما تنجح الهداية فيمن رمى بفكره الى المطلب ، وعرف أنه أبعد مما هو فيه ، فتهيأ للسفر وتحفز للرحلة ، وأخذ لأمره أهبته ، وأعد له عدته ، واستقام على أول الطريق ، فاذا السبل متفوقة ، والاعلام كثيرة ، والصوى متعددة ، فيقف المسافر وقفة الحائر ، فيأتيه البصير بالمسالك ، فيدله على خيرها ، ويختار له أقربها وأبعدها عن المهالك ، فيقع في نفسه صدقه ، لا لأنه قلده ووثق بخبرته ، ولكن لانه رسم له الغاية التي يطلبها ، والطريق التى يختارها لها ، وبقية الطرق على جوانبها ، فرأى الدليل قويماً ، والصراط مستقيما ، فيسير والرجل الرشيد أمامه إلى أن يمس الغاية بيده ، ويلمس المطلب بأصبعه ـ نعم الرجل الكبير موقظ من نوم ، أو منبه من غفلة ، وليس بمحيي الموتى ، ولا بمسمع من فى القبور »

ذلك ما يقوله الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده في وصف كبار الرجال ، وقد قامت ثورة الأزهر الأخيرة ، واشتد لهيبها ، وعظم أوارها ، وكادت تحل عقال الفتنة ، لولا يد العناية امتدت الى هذه الجامعة التاريخية الكبرى فأطفأت الثائرة ، وطمست معالم الفتنة ، وحفظت الأزهر مما كان يساق اليه ، وفتحت أبوابه بعد إغلاق ، وانتظمت دروسه بعد اضطراب ، وعاد إلى عهد كان يعمل له الازهريون جاهدين ، وهو عهد هذا الرجل الكبير في علمه وفضله واصلاحه : الشيخ محمد مصطفى المراغى

والواقع أن تلك الثورة لم تكن ثورة أشخاص ، وإنما هي ثورة مبدأ ، ثورة الحياة على الموت ، ثورة الاصلاح والتجديد ، ثورة الذين يشعرون بأن العصر قد تغير ، والمجتمع قد تطور ، وأنه لأجل أن تأخذ الجماعات بنصيبها من الحياة الجديدة ، والرقي الحديث ، فلا بد من مسايرة الأيام ، ومتابعة الزمان ، ومجاراة التيار العصرى فيما ينفع — هذا التيار الذي يجرف الآن كل شيء أمامه ، والذى ينهض بالسائر المغذ ، ويترك وراءه السادر فى غفلته ، الممعن في سكرته ، فلا يلبث حتى يرى نفسه قد تخلف ، وأضاع مستقبله ، ولم ينفعه ماضيه وحاضره ، وما لج فيه من خمول وركود

الرجل الكبير فى الازهر

وما أحوج الأزهر في بدء نهضته الى رجل كبير ينطبق عليه هذا الوصف الذى يصف به المرحوم الاستاذ الامام كبار الرجال ، فالازهر كان وما يزال منذ الف سنة نبراساً تستضيء بنوره جميع الامم العربية ، ومنبعاً للعلوم الدينية ، والفنون اللغوية ، وقد اضطلع — كما قال فضيلة شيخه الحالى — بحمل عبء المعارف الاسلامية وغيرها بعد سقوط بغداد وضياع ذخائرها العلمية ، وصار المثابة الأخيرة والقبلة التى يؤمها طلاب العلم من جميع الاقطار . وما من بلد فى مصر ، بل ما من بلد في أى قطر من الاقطار الاسلامية ، إلا وهو مدين للأزهر بما يعرفه أهله من الدين الاسلامي وبما بقى عندهم من علوم العربية

فجدير بهذا المعهد الجليل الذى حمل تلك الامانة أحقاباً طوالا ، والذى له هذه المكانة الجليلة في الشرق العربي ، أن يكون على رأسه رجل كبير يسير به في الطريق المؤدية الى الغاية التي يطلبها أهله وسائر المسلمين فى أقطار الارض ، بل يطلبها معهم سائر الشرقيين الذين يعتزون بأقدم جامعة لهم في الشرق

وما من شك في أن فضيلة الاستاذ الشيخ محمد مصطفى المراغى — وهو تلميذ المصلح العظيم الشيخ محمد عبده — من خير من رأسوا هذه الجامعة ، ومن خير الذين صح فيهم وصفه لهم ، والذين أصاب المسلمون في اختيارهم للقيام بهذه المهمة الخطيرة التى يعتقدون أنها من أقدس المهمات

وقد تخرج فضيلته على الشيخ محمد عبده ، وأدى أمامه امتحان العالمية سنة ١٩٠٥ . وما زال يحفظ تلك الكلمة الحكيمة التى قالها له الاستاذ الامام بعد أن انتهى من امتحان هذه

الشهادة في مقام تعريف العلم : « العلم هو ما ينفعك ، وينفع الناس ، فاذا كنت قد تعلمت ما يفيدك ويفيد الناس ، فأنت عالم ، واذا كنت لم تنتفع بالعلم ، ولم ينتفع الناس به ، فأنت لست بعالم »

وفضيلة الاستاذ المراغي عرف منذ تخرج من الازهر بحبه لنشر العلم ونشر تعاليم أستاذه العظيم ، وقد تقلب في عدة مناصب في مصر والسودان ، فكان في جميع هذه المناصب مثالا للصراحة في الحق ، والاعتصام بالعدل ، والمحافظة على الكرامة . وأحبه كل من اتصل به ، وأجمعت الآراء على صلاحيته لرئاسة الازهر في عصر الانتقال الذي يطويه سائراً الى النهضة الصحيحة والاصلاح المنشود . ومما يبعث على التفاؤل أن الاستاذ المراغي لا ينظر الى الازهر على أنه معهد مصري تجب العناية به فقط ، بل على أنه جامعة اسلامية شرقية يؤمها الطلاب من جميع أقطار الشرق ، وهو مسئول أمام الامم الشرقية والتاريخ الشرقي عن حاله وعن مستقبله ، ولو أنشىء غيره على غراره

الازهر وجامعة القدس

وقد كثر التحدث عن إنشاء جامعة في القدس للعلوم الدينية والمدنية وقرر المؤتمر الاسلامي الذي عقد في هذه المدينة وجوب إنشاء جامعة اسلامية ، وسافر وفد من اعضائه الى بعض الاقطار الشرقية لجمع الاعانات لها من المسلمين ، فأحببنا أن نسأل فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ المراغي عن موقف الازهر الشريف اذا أنشئت هذه الجامعة ، فقال فضيلته :

« سيكون موقف الازهر موقف عطف ومعونة لجامعة فلسطين ، أي ان الازهر لا يضع أية عقبة في أنشائها . بل يذلل لها الطريق، وييسر لها الوسائل ما استطاع لخدمة العلم والدين ، اذا كان الغرض منها هذه الخدمة النبيلة وكانت الغاية نشر الثقافة الاسلامية والمعارف الاسلامية . ولا شك ان المنافسة العلمية خير وجوه المنافسة ، لانها تنفع ولا تضر ، وانما تضر المنافسة المادية بين الاشخاص . والمادة محدودة لا تسع الناس كلهم . ولكن العلم غير محدود يتسع لجميع الناس . والازهر يرحب بكل من يساعده في نشر رسالته . وهي رسالة الاسلام وشرح قواعده واسراره واذاعة علومه وفنونه

« وليس هذا موقف الازهر فقط من جامعة القدس . بل من كل جامعة تنشأ في الأقطار الاسلامية لاداء الرسالة التي يؤديها . فاذا قامت كل أمة اسلامية بانشاء جامعة كالازهر فانها

تخفف العبء عن كاهله . وتوفر لطلابها كثيراً من الوقت والمجهود . وتريحهم من عناء الغربة . ولا يتردد الازهر فى مساعدتها مساعدة علمية تنهض بها فى أداء الرسالة على الوجه الأكمل

« والازهر هو المدرسة الوحيدة فى الامم الاسلامية التى تدرس العلوم الدينية والفنون العربية وبعض العلوم الحديثة . ولست من الذين يحبون المركزية في العلم واستئثار احدى الامم به دون الاخرى ، بل انى أحرص على نشر العلوم الاسلامية ، وأرى وجوب التعاون في هذه الغاية الشريفة ، حتى يستعيد الاسلام مجده الذى أضاعه الاهمال ، وقضى عليه جهل المسلمين دينهم وما كان لهم من علوم وفنون وحضارة زاهرة

« فالازهر كما قلت يرحب بجامعة القدس ، وبأية جامعة اسلامية أخرى ويود لو جاء اليوم الذى يرى فيه كل أمة إسلامية لها « أزهر » فى بلادها يحمل رسالة الاسلام كما يحملها الازهر ، ويعمل لنشرها ، وتوثيق الروابط بين الامم الشرقية »

الرابطة الاسلامية

قلت : « هل ترون فضيلتكم وجوب إنشاء رابطة دينية بين الاقطار الاسلامية تدافع عن الاسلام والمسلمين ؟ »

فقال : « هذه الرابطة فرضها الدين ، لأن قواعد الدين الاسلامى وتعاليمه تحث على تعاون المسلمين فيما فيه خيرهم وخير دينهم . واذا قلت بوجوب هذه الرابطة ، فانى لا أقول شيئاً جديداً ، وإنما أذكر حكم الدين نفسه ، فقد قال تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم »

قلت : « وما هو رأيكم في المؤتمر الاسلامي ؟ »

فقال : « يصعب عليَّ الآن أن أجيب عن هذا السؤال لبعض اعتبارات عندى لا يمكن الافضاء بها »

ماذا ينقص العالم الاسلامي

قلت : « ماذا ينقص المسلمين من أسباب النهوض ؟ »

فقال : « ينقصهم فهم دينهم على الوجه الصحيح ، ثم التخلق باخلاق هذا الدين . ومسايرة العصر فيما جد فيه من علوم كانت هي السبب في رفعة أمم كثيرة شرقية وغربية . ولو أنهم سايروا العصر منذ اتصلت بهم أشعة النهضة الاوربية ، واستعانوا بهذه النهضة فيما فيه خيرهم ، لكان شأنهم غير شأنهم الآن ، ولاستطاعوا أن يزاحموا غيرهم في ميدان المنافسة العلمية والمادية . وبدهي أنني أعني مسايرة المسلمين للعصر الحاضر فيما ينفع ولا يتعارض مع الدين . وقد ساير الدين الاسلامي عصوراً كثيرة وجاراها في نهضاتها وهو لا يتعارض مع كل رقي وتطور جديد يكون فيه خير للمجتمع ، لانه دين يحقق المثل الاعلى في تهذيب النفس والروح ، واسعاد المجتمع الانساني . وفيه من الاصول ما يمكن به درء شرور كثيرة في بعض النظم التي وجدت في العالم ، والتي يهدم العمل بها المدنية الحاضرة ونظام قواعد الاجتماع التي استقرت في التاريخ الانساني »

الاقتباس من الحضارة الحديثة

قلت : « والى أي حد يمكن أن يأخذ المسلمون من الحضارة الحديثة ليسايروا التيار الجديد ؟ »

فقال : « يستطيعون أن يأخذوا جميع ما في الحضارة الحديثة من حسن لا يتنافى مع دينهم ، ويقتبسوا الرقي في جميع النواحي العلمية والمادية . ويعرف جميع الذين تتبعوا التاريخ الاسلامي أن الاسلام لم يكن يوماً عدواً للرقي ولا خصماً للعلم . وأنا لا أعتقد أن هناك قاعدة علمية « صحيحة » تنافي الدين الاسلامي . والقرآن الكريم يحث المسلمين حثاً شديداً على طلب العلم وعلى تدبر ما في الكون ودراسة جميع المعارف والتأمل والبحث فى الخليقة والاستفادة من هذا البحث

« نعم قد يكون هناك معارف ونظريات تناقض بعض ماوضعه علماء المسلمين فى تفسير القرآن والحديث وقواعد الفقه . ولكننا لا نهتم لها . فليسر العلم فى طريقه . ولنصحح معارف الماضين إذا كانت هذه النظريات مما قام البرهان الصحيح على صدقها

« وأنا مع محافظتي على القديم أرحب بكل جديد ينفع المسلمين في دينهم ودنياهم . فما

وجد الدين ليكون حائلا دون مصالح العباد . ولا وسيلة يتخذها البعض لمحاربة كل جديد . وقد كان رجال الاسلام الممتازون الذين كانوا أعلام الحضارة الاسلامية رجال تجديد وتطور ونهضة ، أحدثوا عدة أحداث علمية وفنية وأدبية ما زالت مشهورة عنهم الى اليوم »

رجال الاسلام وأيهم خير؟

قلت : « فأي هؤلاء الرجال أولى بالتقديم ؟ »

فقال : « لا يمكن أن نحكم على رجل من رجال الاسلام الممتازين أنه خيرهم جميعاً . لان لكل واحد من هؤلاء امتيازاً خاصاً كان به مجده وعظمته . ففي التشريع الاسلامي رجال عظام . وفي الحديث والتفسير أئمة أعلام . وفى العلوم العربية نوابغ فضلاء . وفي العلوم العقلية مفكرون أجلاء . وفى الأدب والفنون عباقرة يصح أن تفاخر الامم الاسلامية بهم كل جيل »

قلت : « هل فى الازهر الآن دراسات خاصة لهؤلاء الممتازين ؟ »

فقال : « ليس في الازهر الآن دراسات خاصة لاحد العلماء او الادباء على نحو الدراسات المستفيضة التى تعنى بها الجامعات الغربية من جميع الوجوه كدراسة نابليون مثلا أو أي عظيم من عظماء الغرب ، ولكن هناك دراسات قصيرة تأتي في بعض الدروس العلمية والادبية. وقد يجيء اليوم الذى نعنى فيه بدراسة هؤلاء الرجال دراسة واسعة يتخصص فيها بعض المدرسين »

كلمة الاستاذ الاكبر الى المسلمين

قلت : « وما هى الكلمة التى تحبون أن توجهوها الى المسلمين في أقطار الارض ؟ »

فقال : « اني أحب أن يفهم المسلمون دينهم على الوجه الصحيح كما فهمه السلف الصالح ، وأن يتخلقوا بأخلاق دينهم كما تخلق هذا السلف . وأن يفهموا الحياة الحاضرة و يعيشوا فيها ، و يعملوا على إعزاز كلمة الله واعزاز أنفسهم . وان يكونوا يداً واحدة في التعاون لما فيه خيرهم وخير الاسلام »

طاهر احمد الطناحي

أحاديث الخاصة وأحاديث العامة

بقلم الامير مصطفى الشهابي

لزمت الدار في يوم من أيام الربيع وجعلت أسرح الطرف في أشجار الغوطة الغيناء، وقد صفا الجو واعتل النسيم وغرقت الغوطة في خضم من الخضرة الزمردية، وإذ بساعي البريد يقرع الباب ويدفع إلى كتابين، الاول بدت على ورقه وفي سطوره سيماء البساطة والخصاصة، وبه دعوة الى عقد زواج في أسرة من سنراء التجار. أما الثاني فورقه صقيل مذهب وأحرفه مطبوعة ومحتواه دعوة الى سهرة في دار أحد الموسرين من أرباب الوجاهة

وكانت الحفلتان في يوم واحد وساعات مختلفة، فصممت على حضورهما وعلى كتابة ما يسترعي النظر فيهما. فأما الاولى فقد ذهبت اليها بلباس عادي، ودخلنا داراً صغيرة قديمة لكنها نظيفة وسيمة. فاستقبلني فيها أناس مشرقو الوجوه مرتدون ألبسة وطنية زاهية ولهم ثغور بواسم وجباه نواصع وعيون لوامع. وما إن حييت جمع المدعوين حتى هبوا واقفين وردوا التحية بأحسن منها. فجلست بينهم فصمتوا متأدبين حتى بدأت الحديث مستفسراً عن سير التجارة في البلد. فمنهم من شكر الله قنوعاً، ومنهم من حوقل هلوعاً. وقوى أحد الفتيان قلبه وانتقد الحكومة وعزى اليها إهمال مرافق الشعب. وتشجع آخر فأكد مستيقناً ان الامطار ما شحت إلا منذ احتل الفرنج الشام وانهم علة جفاف الجو لا محالة! فزجره على الفور شيخ وقور يمت اليه بصلة من النسب قائلا: إن الله سبحانه وتعالى هو وحده باعث الغيث يحي به موات الارض، وهو الذي منعه عنا مذ فسدت نياتنا وساءت أخلاقنا وقبحت أعمالنا وكفرنا بنعم الله علينا وهجرنا دور العبادة الى المقاهي والمراقص وتخلقنا باخلاق الاجانب واعتدنا عاداتهم وقلدناهم في حركاتهم وسكناتهم. قال: انظر الى شباب اليوم المتعلمين ألا تراهم والعياذ بالله يحلقون شواربهم ويبرقون وجوههم ويتمايلون كالنساء ويتراطنون كعلوج الروم. فاذا دعوتهم الى مجلس كمجلسنا هذا أبوا أو جاءوا متثاقلين يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى لأنهم ينزعجون من تمضية نصف ساعة في سماع آي الله وسيرة رسوله. وكأني ببعضهم لا يلبون الدعوة إلا لأجل « الملبس » والمثلجات، أو لأجل ان يصوبوا الينا نظراتهم الفاجرة، ويطيلوا فينا ألسنتهم الساخطة، كأنهم من طينة غير طينتنا، وكأن الفرنج جعلوهم في مدارسهم مبشرين لافساد كل ما فينا من أمور صالحة

وتشجع لهذا الحديث أحد تجار الفواكه فقال : هاك أخى الاصغر مثلا . لقد قترت على نفسى وعلى العيال لكى أنفق فى تعليمه . ولبثت أرعاه حتى حاز تلك الشهادة التى يسمونها « كبرولبا » (١) على ما أظن . فلما انتفخت أوداجه بها راح يطرق باب الحكومة فرآه موصداً فدعوته الى الاشتغال معى فى حانوت آبائنا فرفض واستكبر ، لأن يديه الناعمتين البضتين لم تألفا تقليب الجوز والزبيب ، بل ألفتا تقليب كتب الادب والاشعار يأتينى بها كل يوم ليسمعنى ما فيها من خلط وخبط ولغو وتخيل ، ولا ينتهى إلا ويده ممدودة إلى فى طلب دراهم ينفقها فى سبيل القوت . واستعنت به مرة لضبط دفتر الحساب فراح يباحثنى بما يسمونه جبراً وهنــــدسة و « غرلطما » (٢) ونتج عن كل هذه العلوم التى لا أفهمها أن غلط بالحساب وكاد يضيع ألفى قرش هى دين لنا عند الباشا فلان اشترى بها فواكه فى عرس حفيده . .

وضبطت نفسى عند سماع هذه الأهكومة وترزنت فلم أضحك . ثم انتقلنا بالحديث الى مياه بردى وفواكه الغوطة وموسم الحبوب فى حوران حتى اذا بدأ القارىء بتلاوة السيرة النبوية سكت الكل وأصغوا اليه خاشعين . ولما انتهى العقد باركت للعريس ولأهل العروسين وخرجت مشيعاً باعذب الألفاظ وأبسطها وأخلصها

* * *

وجاء الليل وحان الموعد الثانى فاضطررت الى لبس السواد والى حلق الذقن مرة ثانية فى اليوم نفسه . وقد كنت فى غنى عن الامرين . ولما دخلت دار الوجيه حيت أصحاب الدار بالعربية فاجابونى بالفرنجية وكادوا يعدون تحيتى فى غير محلها . ولو كان بين الحاضرين من لا يعرفنى إذاً لحسبنى جاهلا باسباب المدنية وألفاظ التحية

ورأيت القوم منتشرين حلقات فى بهو الدار . فاقتربت من احدى هـذه الحلقات فالفيت رجالها يتحادثون فى الميسر : هذا يقول انه سيىء الحظ بلعبة « البوكر » فما حظى مرة بورق عال إلا أبرز الخصم ورقاً أعلى منه . وذاك يقول انه امتحن حظه بلعبة البكرة فى رأس السنة الغربية فى النادى الفلانى فكانت أرقام الثمانية والتسعة تترى عليه فيرمى بها الخصم مضاعفاً سهامه فى كل مرة حتى اجتمع لديه مال كثير ، ولكن يا للاسف كانت فلانة الجميلة واقفة وراءه تجلب له الحظ فشاطرته الربح . ورأى ان ما بقى لديه جاء على أهون سبب فانفقه فى اماكن معلومة فى بيروت. وهكذا حاله إن خسر خرجت الخسارة من جيبه أى من رأس ماله وإن ربح أنفق الربح جزافاً . والنتيجة خسارة متمادية لا ريب فيها

وانتقلت الى حلقة ثانية فاذا بأفرادها من رجال السياسة . سمعتهم يتبرمون بالحكومة لأنهم ليسوا الآن فيها ، ويتربصون الدوائر بالوزارة ليحلوا محلها . وأضحكنى واحد يطعن بالمعاهدة مع

(١) البكالوريا (٢) يريد اللوغرتما

الفرنسيين على حين انه ارتضاها وسعى لابرامها يوم كان وزيراً . وكم فى السياسة من عجائب وكم فيها من كذب ونفاق ورياء! ولعل أضر السياسيين وأحقهم بالسخرية أناس يستسهلون فى الحكم كل صعب من كيد ودس ودوس لحقوق الشعب حتى اذا أخرجوا من دار الحكومة انقلبوا وطنيين يدعون الناس الى الاستقلال التام . أما الوطنى المخلص الشريف الذى يعمل لبلاده عن عقيدة راسخة بلا مطامع ولا جلبة ولا ضوضاء فهو ضائع فى خضم هؤلاء الصخابين

وسرعان ما ضاق صدرى من هذه الحلقة لخنيت الرأس مودعاً أبطالها وانتقلت الى حلقة ثالثة فيها سيدة فرنسية حسناء ، فوجدت الجمع يتكلمون على باريز ومعالمها ومغانيها ومعاهدها العلمية ومراقصها ومسارحها . فاشتركت معهم بهذا الحديث اللذيذ ، وأعدت الى الخاطر ذكريات الصبى العذاب فى سنين أربع قضيتها تلميذاً فى ربض هذه المدينة الساحرة . وشاءت السيدة أن تباحثنى بالسياسة فتعذرت ، فألحت ، فأجاب أحدهم : عندما يصبح أبناء جلدتك فى دمشق مثلهم فى باريس نصير الى وئام ووفاق . فضحكت وضحكنا . واهتبلتها فرصة فانسللت الى حلقة شباب من الموسرين فاذا بهم يفاضلون بين رواقص الحانات اللواتى يسمونهن « ارتستات » . واذا لكل منهم واحدة منهن . وأراد خبيث بينهم أن يستفتينى مازحاً ، وهو عليم بأننى ابعد الناس عن هذا الموضوع ، ففررت مسلماً باليد داعياً لهم بأن يهتدوا بعد لأى الى افضل فاجرة ..

وانتصف الليل وأنا انتقل من حلقة الى اخرى مصغياً الى أحاديث شتى فى السباق والازياء والسيارات والمشروبات والمأكولات والسياسة العالمية حتى سلالات الكلاب والهررة

وخرجت ميمما دارى وفكرى يجول فى هاتين الطبقتين طبقة العامة وممثلوها فقراء جهلاء بسطاء فى تفكيرهم ، لكنهم مؤمنون عاملون وعلى جانب غير يسير من الوطنية والاخلاق الفاضلة . ثم طبقة الخاصة من الموسرين فيهم علم ومال وذكاء ونباهة . وفى كثير منهم طمع ورياء وتهتك وسفاهة . وحرت بين الطبقتين . ووددت لو أعطت احداهما الثانية ما هى فى حاجة اليه . وجئت اسأل القارىء الكريم : أى المجلسين احب اليك . ولم ترجح الواحد على الثانى ؟

مصطفى الشهابي

مالى وللحظ لا ينفك يقذف بى	صم المطالب لا ورداً ولا قربا
لأسلكن صروف الدهر مقتحما	هولا يزهد فى الأيام من رغبا
غضبان للمجد طلاباً بثأر علا	والليث أفتك ما لاق اذا غضبا
لا يمنعنك من أمر مخافتـــه	ليس العلى لبئيس يكره العطبا

ابن الخياط

شاعر العرب
الشيخ عبد المحسن الكاظمي

غنى وردد في البلاد　　ما شاء من نغم وزاد
وشدا كما شاء الهوى　　وشدت تجاوبه شواد

غنى هذا الشاعر الكبير، فاطرب جميع الاقطار العربية، وكان غناؤه احدى مفاخر الشعر العربي الذى عاش له وعاش فى خدمته سنين لم تكن طويلة بالقياس الى سنه إذ لم يتجاوز الخامسة والستين، ولكنها طويلة بالقياس الى إنتاجه. ثم اخترمته المنون. فأى شاعر ضحى ظله، وأى أديب فجع به الادب العربى؟؟

كان عبد المحسن الكاظمى خصب القريحة، غمر البديهة، سريع الخاطر، واسع المجال، جمع الله له بين ملكة مؤاتية، وذوق سليم، ونفس فياضة. ولا عجب فهو من تلك الشجرة التى نبت منها أبو الحسن محمد بن الطاهر المعروف بالشريف الرضى، أشعر شعراء قريش على نحو ما يقول مؤرخو الادب

فهو ينتهى نسبه من جهة الام الى الامام موسى الكاظمى جد الشريف الرضى. وقد ولد فى محلة دهنة بالعراق سنة ١٢٨٩ هـ ونشأ على أن يكون تاجراً كما كان أبوه وجده. ولهذا تعلم اللغة الفارسية قبل علوم العربية، ولكنه وجد من نفسه ميلا شديداً الى الادب، فاقبل على موائده فى الكاظمية، وا كب على دراسة العلم والادب، واستظهار الشعر، فحفظ عشرة آلاف بيت ولما يبلغ الخامسة عشرة. وقد نظم عدة قصائد وهو فى هذه السن. ثم نظم قصيدة غزلية وهو فى السادسة عشرة، عدد أبياتها ٥٥ بيتاً، وقد فقدت هذه القصيدة، وكان رحمه الله لا يذكر منها إلا الشطر الاول من البيت الاول وهو:

«أيها الرامي وما أجرى دما»

وكانت أول قصيدة قالها فى رثاء أحد علماء العراق. ثم تعددت قصائده فى جميع أغراض الشعر ماعدا الهجاء، فقد كان رحمه الله عفيفاً تربهاً، غير انه فى مقام الدفاع عن قومه ووطنه نظم قصائد نقد فيها الحكومة العراقية وهجا بعض المستبدين، فكانت هذه القصائد سبباً فى ملاحقة البوليس له فخرج من العراق لاجئا الى الهند، وأودع صندوق أوراقه صديقاً له، أمانة عنده، ولكن الصديق بعد ما قبل الوديعة خاف ان يصيبه شر، فأسرع الى نهر دجلة ورمى فيه بالصندوق

فذهبت جميع قصائد الكاظمي التي قالها منذ نشأته الى أن خرج من وطنه

وقد وفد على مصر من الهند سنة ١٨٩٩ فرحب به أهلها واحتفوا به وأكرموا وفادته، فوجد في مصر أهلا بأهل، ووطنا بوطن، فاختارها موطنا له. وأول قصيدة قالها في مصر مطلعها:

الى كم تجيل الطرف والدار بلقع — أما شغلت عينيك بالجزع ادمع
أأنت معيري عبرة كلما ونت — يحفزها برح الغرام فتسرع

وكان الارتجال من أبرز مميزات هذا الشاعر الكبير، فكان يقترح عليه القصيد، او يحفزه أمر في حفل حافل، فيقوم ويرتجل الخمسين والستين بيتا، بل المائة والمائة والاربعين أو تزيد، وكأنما أعدها منذ أيام: شعر بليغ، ومعان عالية، وألفاظ مشرقة. ولذلك فكثير من قصائده غير مكتوب. وما ستطبعه حكومة العراق لا يكاد يبلغ ثلث ما قاله أو ربعه، فضلا عن أن قصائده التي قالها أيام كان مقيما بوطنه الأول قد التهمتها — كما قلنا — مياه دجلة

ومن قصائده الارتجالية التي نظن أنها مفقودة إن لم ينشر منها القليل في وقتها، قصيدته في تكريم جعفر باشا العسكري الذي كان رئيسا للوزارة العراقية. فقد أقيمت له حفلة تكريمية في مصر حضرها الكاظمي، ولم يكن قد دعي إلى القاء شيء، ولم يستعد لالقاء شيء، فاقترح عليه أثناء الحفلة أن يقول شيئا، فنهض. وبعد ان مر بيده على جبهته لحظات كما كانت عادته رحمه الله، ارتجل قصيدة بلغت مائة وأربعين بيتا. وقد أسمعنا منها هذه الأبيات قبل وفاته بعامين، نثبتها هنا:

يراع العلى هل أنت للدهر مبصر — أم السيف أدرى منك قلبا وأجسر
يراع العلى ان كنت في الامن قادراً — فان أخاك السيف في الروع أقدر
شقيقان كل منكما ذو علاقة — بآمالنا ان قيل سنوا وقرروا
ولا بد من حدين للطالب العلى — طريرين لا يغريهما ما يغرر
فاما براع يكتب المجد والعلى — واما حسام للبلاد محرر
وأسعد أوقات المجاهد ساعة — بها السيف يملي واليراع يسطر
اذا لم تنل عز الحياة بصارم — ولا قلم فالموت أبقى وأستر
وان حياة العز لا يهتدي لها — أخو وجل يخشى الهلاك ويحذر
ومن لم يكن من دون أوطانه حمى — فذاك جبان بل أخس وأحقر
ومن لم يبن في قومه ناصحا لهم — فما هو إلا خائن يتستر

فقال اسعد داغر: «جعفر»، فاستمر الكاظمي قائلا:

سلوا فارس الهيجاء عن وثباته — اذا ما ألم الحادث المتنكر

أأنت على أيها الفارس الذى ... له عنت الفرسان ام أنت جعفر
عزا لكمى من خطيب ومنبر ... له من معانيه خطيب ومنبر
يقدمه فى كل شعواء علمه ... إذا حان حين المرء لا يتأخر
على ذكره قد عن لى ذكر غيره ... ولا عجب فالشىء بالشىء يذكر
ذكرت الامانى والتشاؤم فى الورى ... كثير ، ولكن التفاؤل أكثر
ذكرت الاولى اعطوا العهود وطبلوا ... باعلانها فى المشرقين وزمروا
اذا ما سألناهم وفاء عهودهم ... أدرنا عليهم عذر من ليس يعذر
وقالوا لنا سيروا لكى تبلغوا المنى ... وقد خندقوا دون الامانى وسوروا
ولم أدر هل جاءوا الينا ليطلقوا ... من الاسر أم جاءوا الينا ليأسروا
فان كانت الاولى لخلف وألفة ... وان كانت الاخرى فما الذنب نغفر

وقال فى الاشارة الى موطنيه العراق ومصر :

فان كان لى فى ذلك الترب موطن ... فلى وطن فى هذه ليس ينكر

ولما توفى البارودى رثاه بقصيدة قال فيها :

سقى الله ترباً ضم عضباً مهنداً ... وغصناً له تهفو الغصون رشيقا
دفنت به محمود بالمجد كله ... وواريت سلوانى به ورفيقا

ثم ارتجل قصيدة أخرى فى رثائه حينما زار قبره ، وقد ترك هذه القصيدة عند القبر — على حد تعبيره رحمه الله وهو يحدثنا عنها — ومطلع هذه القصيدة :

أقيموا صلاة الخاشعين وسلموا ... على من حوى هذا الضريح المعظم
خلت عشرة سود وصوتك خافت ... وحولك آيات السكون تخيم

والواقع أن الكاظمى ليس شاعراً عراقياً فقط بل هو شاعر مصرى عراقى ، قضى فى مصر ستة وثلاثين عاماً ، أى ان الشطر الاكبر من حياته قضاه فى مصر ، وقد قال فى مصر وفى احداثها الوطنية عدة قصائد ، وامتزج بالحياة الادبية المصرية قبل سنوات مرضه الاخير امتزاجا لا يشك مؤرخو الادب أنه أثر فى شعره وفى نوع انتاجه . على أننا لا نحب الاقليمية فى الادب العربى . فاللغة العربية هى أم الجميع . وحسبنا أن نقول ان الكاظمى : « شاعر العرب »

ط . . .



السعادة

هل من طريق اليها ؟

للكاتب الفرنسى الشهير أندريه موروا

السعادة كلمة غامضة قال بعضهم فى حدها : « انها حالة يتمنى المرء دوامها بغير تغيير . » ومما لا ريب فيه انا لو استطعنا ان نجد أنفسنا فى حالة من الجسم والفكر بحيث يخطر ببالنا أن نتمنى دوامها - لما هى عليه من الجمال - لكنا حتماً سعداء . ولكن هذا الدوام - بغير تحول أو تغير - لا يمكن ان يكون مفهوماً أو مقبولا اذا كانت كلمة « حالة » تنصرف الى مجموع الظواهر التى تشغل - فى وقت معين - ضمير الكائن الحى . اذ كيف يكون الزمن غير متغير ؟ وكيف يقف فعل التحول فى الوقت الذى يكون فيه كثير من العناصر المكونة لهذا الكمال معرضة للتلف والزوال ؟

فالكائن الحى نفسه يفنى ويزول ، والموسيقى مثلا مصيرها إلى الصمت عند انتهاء الدور ، ولكل كتاب نقرؤه نهاية ، فمن المحال اذن ان نلتمس الثبات لما هو بطبيعته متحول زائل

فيجب اذن أن نقسم العناصر التى تتكون منها السعادة إلى قسمين : أحدهما يشمل تلك التى يمكن أن تتغير دون أن يكون لتغيرها أثر على حالة السعادة ، والآخر يشمل تلك العناصر اللازمة والكافية معاً لدوام هذه الحالة . واذا قلنا ان السعادة ليست هى الحوادث ولا الملذات ولا المناظر ، وانما هى حالة نفسية تطبع الحوادث بطابعها الخاص ، فان الأمنية بالدوام تنصرف حينئذ الى هذه الحالة النفسية لا إلى الحوادث . اذن هذه الحالة النفسية الداخلية هى وحدها التى تسبغ على المناظر الخارجية تلك التغيرات العجيبة وتلبسها رداء زاهياً فى أعيننا وتلقى عليها ضوءاً قوياً بحيث يتعذر على الرجل السعيد أن يرى هذه السعادة بعينيه

عقبات تحول دون السعادة

نظن انه أيسر لنا أن نبحث أولا فى العقبات التى تحول دون التمتع بالسعادة قبل ان نجتهد فى تعريف ماهيتها . ذلك لأن هناك أشياء - كالضوء والقوة مثلا - لا يستطاع ادراك ماهيتها الا عن طريق دراسة تطوراتها فى ظروف معينة . وكذلك السعادة فقد يسهل فهم ماهيتها عن طريق دراسة الحوائل التى تعوق الوصول اليها والتمتع بها

الفقر والمرض

ومن أهم العقبات الحائلة دون السعادة : الفقر والمرض . فتى شكونا الجوع والبرد وقاسينا آلام

الأمراض المتنوعة كان من العسير علينا أن نفهم للسعادة معنى . أجل ان بعض الفلاسفة ــ وخاصة الرواقيين منهم ــ يزعمون أن الألم لا وجود له . لأنه ــ فى نظرهم ــ إما أن يكون قد مضى فهو اذن قد فات وانقضى ، وإما أن يكون حالا فهو اذن لا يدرك مداه ، وإما أن يكون مستقبلا فهو اذن فى علم الغيب ولم يخلق بعد

ولكن هذا التعليل فيه تجاهل للواقع . اذ أن الانسان ليس مجموعة من حلقات زمنية يمكن فصل احداها عن الاخرى كما نشاء ونهوى ، وليس يستطيع احد أن ينكر ماللذكريات الماضية المحزنة من أثر فى تكوين سعادة المرء أو شقائه . نعم ان الرجل القوى الارادة قد يستطيع بعزمه وثباته أن يتجلد ويحتمل الآلام ويكتمها فلا يظهر أمام زملائه الا بكل صفاء

وقد يحتقر رجل كديوجين حالة الفقر فلا يرى فيه ما يحول دون السعادة طالما انه يتمتع بالشمس والغذاء ولا يعول غير نفسه . ولكنى كنت أود أن اعرف ماذا كان يرى لو أنه كان عاملا عاطلا ومسئولا عن نفقة أربعة اطفال فى مدينة بردها قارس ولا يباع الاكل فيها بيع السلم (الثمن المؤجل) ؟! نظن انه من العبث أن يقال بأن هذه الآلام الحقيقية تزول بشىء من الفلسفة !! فالفلسفة لاتغنى عن وجوب الدفء ولا تشبع من جوع

على اننا يجب ألا نخلط بين هذه الحالات المؤلمة التى تقوم سداً منيعاً فى وجه السعادة وبين حالات أخرى ــ وان تكن مؤلمة ــ الا أنها أهون بكثير مما تقدم وأيسر احتمالا

ولقد كان الرواقيون على حق عندما قسموا حاجاتنا الى طبيعية ، ولازمة . فالجوع والظمأ يجب الاهتمام بأمرهما قبل كل شىء آخر والا فانهما يتسلطان على كل مجهودنا العقلى ويستحوذان على كل تفكيرنا فلا يعود العقل يصلح لأى عمل

وكذلك الحال أيضاً فيما يختص بالأمراض . وناهيك بسلطان الوهم ونفوذه على الجسم . وشتان مابين الرجل المريض حقاً وبين الذى يخيل له انه مريض فيستسلم للمرض ويصبح مريضاً ! اليس عجيباً أن تسمع من شخص أنينا وتوجعا من شقاء البؤس لأنه يرى أن ايراده قد هبط مع انه لا يزال يجد المسكن اللازم والملبس الملائم ؟! لقد روى لى أحد الاصدقاء حكاية عن سيدة انتحرت لأنها اذ اضطرت الى تغيير غرفة مسكنها لم تتمكن من ان تضع فى غرفتها الجديدة أريكتها وهى اجمل ما معها من أثاث !! أفليست هذه العقبة عنوانا للبؤس المزيف ؟

الفشل

الفشل عقبة كؤود فى سبيل السعادة ، وهو بكل ظروفه وملابساته يخلق النكد والهم ويعكر صفاء البال والنفس . والخذلان فى تحقيق الآمال والمطامع هو طريق ذائع يؤدى حتما الى اليأس والشقاء والتعاسة . والواقع ان كل فرد يرسم فى مخيلته خطة يبنى عليها أملا بمستقبل معين بالذات فاذا

بالعقبات الناشئة عن الحياة المشتركة تهدم ما بنينا من قصور الاحلام

فبعد أن كنا نأمل فى امتلاك قلب الحبيب اذا بنا منه منبوذون ـ كنا نطمح مثلا الى الوصول الى مركز معين ، أو الى مكافأة خاصة ، فاذا بهذا كله لا يتحقق منه شيء . فتصدمنا الخيبة ويستولى علينا شقاء يستمد كل جذوره من الوهم المحض . اذ ان المرء يستحضر فى ذهنه صـورة الاخطاء الماضية التى منعته من تحقيق مطلبه وما كان يدسه له منافسوه ليحولوا دون نجاحه ، وفى هذا من الألم مالا يخفى . ولو أننا بدلا من التفكير فيما كان يمكن ان يقدر لنا وما كان يمكن أن يغير اليه مستقبلنا ، حاولنا أن نقصر التفكير على حالتنا الحاضرة ، لوجدنا انفسا ـ فى معظم الاحوال ـ فى مركز مقبول

كنت مثلا تطمع فى أن تكون وزيراً فلم توفق فماذا يعنى هذا الفشل ؟ معناه انك لن تكون مكرها على استقبال مئات من اصحاب الطلبات ممن لا ترغب فى رؤيتهم البتة ، معناه كذلك انك لن تكون مسئولا عن مئات المسائل العامة المعقدة التى ما كنت لتجد الوقت الكافى لدراستها وبحثها ، فهذا يقذف فى حقك وذاك يرميك بالخيانة لوطنك أو بعدم النزاهة فى حكمك ، الى آخر كل هذه المثالب التى قد لا يكون لها أثر من الواقع والحقيقة . فأى لذة عندئذ تعادل خلودك الى الراحـة والسكينة وتمتعك بوقت فراغك وقراءة ما يروقك واجتماعك باصدقائك ؟ هـذه هى الصورة الحقيقية لفشلك . فهل فيها مايؤلمك ويسوؤك وهل هى نكبة من النكبات ؟

والواقع اننـا لو تأملنا بشيء من حرية الفكر فيما يمر بنا من الحوادث لتبين لنا فى أغلب الاحوال ان مالم نصل اليـه لم يكن هو حقيقة مشتهـانا ومطلبنا . ذلك لأن هناك فرقا شاسعا بين مايتمناه المرء بكلمة سريعة تخرج من فمه كأن يقول مثلا : « واشوقى الى الزواج . . . ليتنى كنت حاكما من الحكام . . . كم كنت ارغب فى رسم لوحة جميلة ! . . . » وبين الرغبة الحقيقية التى يتطلع اليها تكويننا كله . وهذه الرغبة هى التى تتفق مع الافعال والاعمال . واذا استثنينا بعض استحالات مادية أمكننا أن نقول على وجه الاجمال ان الرجل ينال دائما كل ما تصبو اليه نفسه بقوة . فالرجل الذى يرغب رغبة صادقة فى المجد وحسن السمعة ، ينال المجد وحسن السمعة. والذى يريد أن يكون له اصدقاء ، يجد من حوله الأصدقاء

النزاع النفسى سبب لتعاستنا ؟

كل امرىء يحمل فى نفسه شخصيتين متناقضتين وكل شخصية منهما تسعى الى مصلحة لاتتفق مع مصلحة الشخصية الاخرى،فهما اذن فى نزاع دائم مستمر.فأنت مثلا باعتبارك رجلا تعيش فى الهيئة الاجتماعية مكلف بواجبات والتزامات نحو الجماعة وهذه الواجبات قد تراها أنت ـ بصفتك فردا مستقلا ذاتياً ـ ثقيلة غير مقبولة فتسعى جهدك للتخلص منها فى سبيل منفعتك الذاتية . فأنت اذن

غيري ونفعي في وقت واحد ، انت كائن اجتماعي لا تستغنى عن الجماعة ولكنك في نفس الوقت فرد ذاتي تسعى الى ضرر الجماعة فى سبيل فائدتك الخاصة . فأنت تجمع بين البهيمية وبين الروح المفكرة ! فالتوفيق بين مصلحتين متناقضتين لشخص واحد قد يكون فى أغلب الحالات متعذراً ، وينشأ من هذا الدفع والجذب احتكاك بين اعمالنا وضمائرنا ، وهذا كله يؤدى الى حساب عسير مرهق

وعلى هذا الاساس قال سقراط اذ تكلم عن السعادة : « اعرف نفسك أولا »

والواقع ان الرجل الذكى لا يستطيع أن يصل الى الصفاء والسعادة الا اذا استرد من بين افكاره المهيئة والقابلة للتبديل ، ميوله وذكرياته التى تشوه الفكر

توقع الخطر والملل من اسباب التعاسة

هناك مخاوف مشروعة ويلزم الاحتياط لها . فمثلا اذا رأيت سيارة تمر كالبرق الخاطف فى طريقك ، فمن المحتم عليك ان تخشى على حياتك وتتخذ الاحتياط اللازم لمنع وقوع الخطر . كما ان الشعب الذى لا يتوقع الخطر من جاره المسلح والمستعد للاعتداء يصبح أسيراً مستعبداً اذا هو لم يتخذ الحيطة لمنع هذا الاعتداء . ومثل هذه المخاوف تخرج عن نطاق بحثنا . انما نشير فقط الى تلك المخاوف والاخطار التى تخلقها لانفسنا بمجرد الوهم والخيال . مثال ذلك أن يتصور الشخص — بغير مبرر — انه مصاب بميكروبات معدية وامراض فتاكة وانه اذا لم يحتط لنفسه من كل أكل أو كل حركة يتحركها فمصيره الى الموت العاجل . مثل هذا الخوف من الموت يؤدى حتما الى الموت

فنحن نحكم على المستقبل احكاما خاطئة اذ نتصور فى اذهاننا حوادث مؤلمة لم تقع لنا او اوقعت لغيرنا ولانعرف مقدار تأثيرها فى نفوسهم . والحياة شاقة فما معنى ان نزيد بوهمنا من مشقتها وعنائها؟

والملل لا يشقى الا طبقة الاغنياء الذين ليس لهم عمل . فالرجل — أو المرأة — مهما كد وتعب فى سبيل الكسب لا يسأم الحياة ولا يشعر بالملل وضيق الصدر ، وذلك لأنه يخلق بعمله وسيلة لذته . أما الغنى العاطل فهو لا ينتج شيئا يجد فيه تسليته ، وهو يتوقع اللذة فيما يمر عليه من صور الحياة التى لا يد له فيها . والمعروف أن الرجل العاشق يحب مهزلة الحب لانه هو نفسه يحياها حقاً . ولو ان موسولينى مثلا حضر تمثيل رواية (يوليوس قيصر) لتذكر فى ذهنه مكتب عمله . ولكن متى كان الدور الذى يقوم به المرء فى الدنيا منحصراً فى مجرد المشاهدة دون ان يكون له فى ناحية أخرى دور عملى يقوم به بنفسه ، فان الملل عندئذ يرصده ويفتح له ابوابا من الوهم والخيال يخرج منها الى ذكريات حول الماضى والى ما وقع فيه من اخطاء ثم الى مخاوف حول المستقبل المجهول

ما هو علاج هذه الحالة ؟

كثيرون يرون أنه لا علاج لهذه الاوجاع والآلام التى تحول دون السعادة سواء أكانت هذه

الاوجاع حقيقية أم خيالية . والواقع أنه قد يذهب الانسان ليؤدى واجب العزاء والمواساة لاعز أصدقائه فلا ينبس ببنت شفة ويظل طول وقته صامتا يحيى رهبة الالم ويرثى فى نفسه لحال صديقه ويندب سوء حظه ويشكو قسوة القدر ثم ينتظر . وذلك لأن الزمن وحده كفيل بأن يمحو كل ألم

ان المحزون الذى يكتم حزنه لنفسه ولا يظهر به أمام عشيرته يستحق الرثاء حتما ولكنه متى تعمد نشر آلامه بين خلانه وأصدقائه فهو حينئذ يستحق اللوم والتعزير إذ ينشر بفعله هذا روح اليأس بين أشخاص قد يكونون أصلا أحدث سناً وأصدق عزما ولهم فى الحياة آمال وأحلام

ولكن كيف نخلص من وطأة الهواجس الراسخة التى تطاردنا ليل نهار ؟ نظن ان أحسن ملجأ لنا ضد هذه الافكار الثابتة المحزنة هو الارتماء فى أحضان الطبيعة حيث نجد الترويح والتسلية فى غاباتها وجبالها وبحارها وفى كل ماتحويه من عظمة وقلة اكتراث ازاء أشخاصنا الضئيلة . فالسياحة والاسفار هى فى الواقع علاج فعال للآلام والاوجاع

كذلك لا تنس ما للموسيقى من أثر فى ترطيب الهموم والاحزان فهى تستأثر بالروح وتحلق بالمستمع الى أجواء أخرى فوق السحاب لا تخترقها أى عاطفة أخرى من العواطف

ونرى أهم طرق العلاج تتلخص فيما يلى :

أولا — تجنب التأملات الطويلة فى الماضى :

ولست أريد بهذا أن أقول بأن التأمل سىء ، إذ كل قرار هام يجب أن يسبقه التروى والتفكير . ولكن التأمل والتفكير فى شىء معين ليس بذى بال ، والخطر هو فى فتح الباب على مصراعيه والاستسلام الى ذكريات الاحزان والآلام وما أصابنا من خسائر أو إيذاء أو اهانات أو رعونة وطيش ، وبالجملة كل ما لا يمكن علاجه

ثانيا — سرور النفس هو فى العمل

إذا قرأت كتب الاصدقاء واستمعت لاحاديثهم أصل الى النتيجة الآتية : وهى أن السعادة مستحيلة فى عصرنا الحاضر ، ولكن ماهى إلا لحظة أعود بعدها الى حديقة منزلى وأتحدث فيها الى البستانى حتى يقوم لدى الدليل القاطع على أن النتيجة التى تخيلتها باطلة كل البطلان وظاهرة الفساد ، فالزارع فى حديقته يعنى بزرعه ويحوطه بالرعاية ويفخر بثمر تعبه وجودة محصوله ويجد فى هـذا العمل كل السعادة . وهذا هو نفس الاحساس الذى يشعر به الفنان الجيد وكل مبتكر ومنشىء

ثالثا — ضرورة اختيار الوسط الملائم الذى تعيش فيه بمعنى أن يكون مجهود هذا الوسط متجها فى نفس الاتجاه الذى تتجه أنت اليه فى عملك وأن يكون هذا العمل الذى تقوم به هو محل اهتمام هذا الوسط ، فبدلا من أن تبذل جهدك فى مقاومة عائلة لن تفهمك فتهدم بذلك سعادتك وسعادة الاخرين عليك ان تبحث عن أصدقاء يتفقون معك فى ميولك وأفكارك

رابعا — لا تعكر على نفسك صفاءها بتخيل نكبات بعيدة لا يمكن التنبؤ بها

أذكر بهذه المناسبة أنى كنت فى متنزه عام يمرح فيه الصغار والكبار ، وإذا بى ألمح على بعد منى رجلا وحيدا مكتئبا ، فلما دنوت منه علمت أنه يتوقع حدوث نكبات مالية بعد مضى عامين ، فقلت له : « أى شيطان هذا الذى يوحى اليك بمثل هذه المخاوف ؟ أتدرى أنت ما الذى سيحل بنا فى الغد أو فى العام المقبل حتى تؤذى نفسك فى توقع ضرر بعد عامين ؟ ان الحياة فى ذاتها شاقة مضطربة والفترات الهادئة فيها قصيرة ونادرة ، والذى سوف يحصل لن يكون أشق مما أنت سابح فيه من الاوهام والاحزان . فاغنم الساعة التى أنت فيها واترك الغيب الى الرحمن »

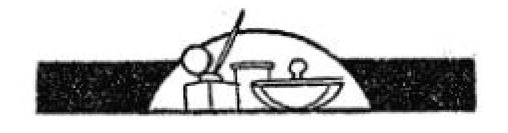
خامسا — إذا كان المرء سعيداً فيجب ألا يضيع الفضائل التى كانت سببا فى اسعاده

كثيراً ما ينسى الانسان — فى حالة النجاح — تلك الخلال التى كانت سببا فيه كالاحتياط والتعقل والرحمة والاعتدال . فالظفر والانتصار فى الحياة قد ينقلب معهما الظافر طاغيا جباراً أو يصبح طائشا أرعن اذ يعتد بنفسه اكثر مما يجب فتزول السعادة من يديه

وجلى أننا لم نأت بجديد فيما سبق بيانه بل قد يعترض البعض بان ما قدمناه من طرق العلاج لا يؤدى الى السعادة المنشودة . إذ ما معنى الاستسلام للقدر المقسوم أو الرضاء بالحظ الضئيل أو رفض الحياة المحفوفة بالمخاطر ؟ « ان كان هذا هو السبيل للسعادة فخير لنا ان نموت أبطالا !

ولكن رويدك أيها المعترض ، فان السعادة ليست امتثالا بل هى فرح وسرور نفسى . وأنت تخطىء إذ تظن ان الحكمة فى ذاتها ليست نضالا البطولة . فالاستسلام للحوادث التى لا تستطيع السيطرة عليها ليس فى ذاته خذلانا أو خنوعا . فنحن نسلم مثلا بالبحر وزوابعه وبالشعب وأهوائه وبالرجل ومنازعاته وبالجسم وشهواته، إذ أن هذه كلها أوليات مسلم بها فاذا لم نقبلها فكأننا نحكم على أنفسنا بالكلام عن عالم وهمى لا وجود له ، وهذا هو منتهى العبث . ولكن هذا لا يمنع باننا نعتقد بانه من المستطاع تغيير هذا العالم قليلا بحيث نسود مثلا فى الزوابع ونقود الشعب ونمسك بزمامه ونتغلب على أنفسنا . فنحن لا نستطيع ان نزيل من الوجود كل أسباب الامراض والهزيمة والاذلال ولكننا نقدر أن نجعل من المرض والهزيمة فرصة للنصر والصفاء

(تلخيص : فؤاد نجيب المحامى)



أنشودة الفن

من قصيدة للاستاذ احمد محرم

يا هموم النفس إن حانت وفاتي فدعيني واقنعي بالذكريات
اذكريني صابراً جم الأناة أتغنى مرحاً في النائبات
من رآني قال خمري الصفات عبق الروحات ، طلق الغدوات
نشوات ترتوي من نشوات هكذا العيش ، ولذات الحياة

***

كل يوم أنا يا دنيا الغباء منك في هم جديد وعناء
لوعة المحزون داء أي داء آه يا دنيا ، أما لي من شفاء ؟
نظر الآسى ، فألقى بالدواء ورمى باليأس في وجه الرجاء
آه ما أكثر أنواع البلاء آه لو غودرت في وادي الخفاء

***

ألهذا جيء بي من مأمني ؟ ليتني لم أغترب عن وطني
فزعت روحي غداة الظعن فهي حيرى في نواحي البدن
ذهلت عني كأن لم ترني أنا عنها غائب في شجني
روعة القبر ، وهول الكفن دون ما تجني عوادي الزمن

***

قلت للحادي ، وقد طال السفر وتمادى الهم ، واشتد الضجر
أيها الدائب أين المستقر ؟ أجزافاً مثلما ترمى الأكر
نحن نرمى زمراً بعد زمر ؟ لا ومن أبدع دستور القدر
ما طغى العقل ، ولا زاغ البصر إنما نمضي على هذا الأثر

***

غن يا حادي ، وردد للمطي نغمات الوجد من قلبي وفي

كلُّ ما برح بالصب الشَّجيْ ... من جوى الحب ـ فمني وإليْ
كل دمعٍ جالَ في عَيْنَيَّ وفيْ ... فهو من عيني للملتاح ريْ
صاحِ لولا حرمة السر الخفيْ ... لتجلت غمرة العاني الشقيْ

***

غنِّ يا حادي ، وصفني للرفاقْ ... وارو ما لاقيت من هول الفراقْ
إنَّ قلبي من حنينٍ واشتياقْ ... وارتماضٍ للتنائي ، واحتراقْ
عالمٌ للحب ناريُّ الرواقْ ... تمسك الأسبابِ بالسبع الطباقْ
أتراني كل يوم في انطلاقْ ؟ ... غنِّ يا حادي ، و بشر بالتلاقْ

***

وطني الأولَ ، أنت المطلبِ ... أنت لي يا وطني نعمَ الأب
خانني فيكَ الزمان القُلّبُ ... فاذا بي كل يوم أنكب
لست أدري ، والمطايا تدأب ... أيةً تمضي ، وأين المذهب ؟
ان تكن نعمى ، فأنت السبب ... أو تكن بؤسى ، فما يجب

***

يا دياراً غرقتْ في العبراتْ ... رددي النوح ، وضجي بالشكاةْ
كل حي فيك ، يا مَبكَى العناةْ ... جازع الأنحاء ، ملتاع الجهاتْ
أنا من جراكِ مأخوذ الحَصاةْ[1] ... ثمِل الوجدانِ في القومِ الصحاةْ
ما مسيل الدمع من هذي الصفاتْ ... انما أنتِ مَسيل المهجاتْ

***

خبريني أي مكروه رماك ؟ ... ولمن في هذه الدنيا هواك ؟؟
ألِسالٍ عنكِ يهذي بسواك ؟ ... أم لصب ضاق ذرعاً بنواك ؟
يتمنّى كل حين لو يراك ... فشَفَى القلبَ المعنى وشفاك
صاده الحب فأمسى في الشباك ... رب صيد غير مرجو الفكاك

***

---

(١) الحصاة العقل

كل وجد فيكِ من هذا الفؤادْ | كل تلك النار من هذا الزنادْ
كل دمع سالَ في هذي الوهادْ | فهو دمعي ذاهباً في كل وادْ
أنا لو امسيت مأمون الوسادْ | مادرى جفن امرىء معنى السهادْ
ذهبتْ نجوايَ في كل البلادْ | وتغنى بحديثي كل حادْ

***

غن يا حادي ، ودعها ذللا | ان عندي لحديثاً سبلا
يتلقى الركب فيه المثلا | تتهاداها الدراريُّ العلى
ويح دهري ، زدت دهري شغلا | فهو مني كالمغني المبتلى
غن يا حادي ، وزدني خبلا | ان في نفسي لأمراً جللا

***

أملومٌ انا ان قلت الصوابْ ؟ | ليتني لم ارَ ما خلفَ الحجابْ
ليتَ عيني حين جالت في الشعابْ | فطنتْ فيها لأشلاء الصحابْ
اتقصّى العلمَ باباً بعد بابْ | وَلَحَسْبي منه عنوان الكتابْ
انا من تلك المعاني في عذابْ | فتنتني ـ فهي همي والطلابْ

***

يا مفيدي السقم حالا بعد حالْ | لست بالشاكي على طول الهزالْ
ما الأسى؟ ما السقم؟ ما فرط الخبال؟ | كل شيء منكَ حلوٌ كالوصالْ
يا خلي القلبِ من صحب وآلْ | نم هنيئاً ، ان قلبي غير خالْ
لا احبُّ الحسنَ مخفوضَ الظلالْ | مستباحَ الجودِ ، مبذولَ النوالْ

***

أيّ خمر كان يسقيني النديمْ | يوم أستشفي من الداء الأليمْ ؟
هل درى اسرارها الحبر العظيمْ ؟ | ام لدى الكهانِ بالأمر عليم ؟
قال لي مَنْ عنده العلم القديمْ | هيَ مما اختار (لقمان الحكيمْ)
ثابَ لي من كأسها يوم كريمٌ | كلُّ يوم بَعْدَ مكروهٌ ذميمْ

احمد محرم

ما نعلم وما لا نعلم

بقلم الأستاذ أحمد أمين

ظاهرة واضحة ، وهى أن أجهل الناس أكثرهم ادعاء للعلم ، وأعلمهم أكثرهم اعترافاً بالجهل !
كل شىء سهل واضح قابل للفهم ، قابل للتفسير عند الجهلاء وأنصاف العلماء.
ما الذى نعلمه عن هذا الكون ؟ لا نعلم إلا ظاهره ، ولا نعلم إلا سطحه ، أما حقيقته وأما أعماقه فلا نعلم منها إلا قليلا ، ونحن حائرون فى أمرها ، ولا يدرى إلا الله متى تنتهى هذه الحيرة
يجد العلم ويجد ، ويظفر كل يوم بقوانين يخرج بها بعض الأشياء من دائرة المجهول إلى المعلوم ، ولكنها قوانين تتصل بالظواهر أكثر مما تتصل بالأعماق ، أما حقيقة هذا العالم وكنهه فلا يتقدم العلم فيها تقدماً يذكر
يزعم المناطقة أنهم يستطيعون « تعريف الأشياء » ويضعون قواعد وتفاصيل للتعريف ، ولكنهم فى الواقع جد جاهلين ولا يمكن تعريف أى شىء ـ قالوا : إن الانسان حيوان ناطق ، والفرس حيوان صاهل ، وظنوا لغباوتهم أنهم بذلك عرفوا الانسان والفرس ، واستناموا لهذا . وظل الانسان مجهولا بعد تعريفهم كما كان مجهولا قبله ، وظل الفرس مجهولا بعد التعريف كما كان قبله ـ واجتهد علماء كل علم أن يعرفوا أشياء علمهم فاختلفوا كلهم فى تعريف الأشياء واتفقوا على أنهم لم يصلوا إلى حقيقة ما ، وكل ما فعلوا أنهم ذكروا بعض ظواهر الأشياء وخواصها ولم يلمسوا حقيقتها مطلقاً . ولذلك كان من الحق أن يعدلوا عن كلمة تعريف إلى كلمة أخرى ليس فيها هذا الغرور ، أو أن يغيروا تعريف « التعريف » فلا يدعوا أنه بيان حقيقة الشىء وإنما بيان أهم صفاته
هل استطاع أحد أن يعرف ماهيـــة الكهرباء ؟ كلا ولا أعلم الناس بها ، ولا أكبر عالم بشؤونها ، إنما يعرف كيف يستخدمها ، ويعرف بعض قوانينها ، ويعرف كيف ينتفع بهذه القوانين فى الحياة اليومية من إنارة وتدفئة وتبريد ، ومن تليفون وتلغراف وراديو وما إلى ذلك . أما ما هى الكهرباء فسؤال لم يستطع أن يجيب عنه عالم يحترم علمه
والعالم مملوء بعناصر كثيرة وقوى كثيرة ، ولسنا نعرف حقيقة لأى عنصر منها ولا أية قوة من قواها ، إنما نعرف بعض خصائصها ومميزاتها ، ما حقيقة الذرة وما الجزىء وما الخلية ؟ أسئلة نجيب عنها بذكر الصفات لا بذكر الحقائق لأنا نجهل حقائقها جهلا تاماً
حتى أقرب الأشياء الينا وأكثرها مساساً بنا ، نشعر بها ولا نعرفها ـ وهل أقرب الينا من

حياتنا ، ولكن ما هى الحياة ؟ لا نعلم . ليقل العلماء فيها ما يقولون فلن يستطيعوا معرفتها إلا إذا خلقوها « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب »

فإذا انتقلنا إلى المعانى فالأمر فيها أصعب ، فكلنا نعشق وكلنا لذه الوصل وآلمه الهجر ، وكلنا أضناه العشق . ولكن ماهو العشق ؟ لاندرى . بل ما الحرية ؟ ما الخيبة ؟ ما الأمل ؟ما العدل؟ ما الشجاعة ؟ ما الخير ؟ ما الشر ؟ أشياء تتحسس معانيها ولا نعرف كنهها

ولم يتقدم العالم كثيراً من ناحية استكشاف الحقائق ، وإنما كان أكثر تقدمه من ناحيـة استكشاف الخصائص ، وبعبارة أخرى لم يتقدم من ناحيته العلمية البحتة ، وإنما تقدم من ناحيته الفنية ، فقد عرفنا فن استخدام البخار وإن لم نعرف حقيقته ، وعرفنا فن الحياة وإن لم نعرف الحياة نفسها ، وعرفنا فن العشق وإن لم نعلم ماهية العشق ، وتفننا فى نظم الحرية واستخدمناها فى حياتنا السياسية والاجتماعية وإن لم نعلم كنه الحرية ، وهكذا فى كل شئون الحياة نجح الفن وفشل العلم ، وأمل الفنان ويئس العالم أو كاد ـ وبعبارة ثالثة ان الانسان تقدم تقدماً كبيراً فى الاجابة عن « كيف » ولكنه لم يتقدم تقدماً كبيراً فى الاجابة عن « ما »

* * *

وهنا يحق لنا أن نتساءل : لم وضع الانسان فى هذا العالم هذا الوضع ؟ وأحيط بألغاز عجز عن حلها ؟ فهو يعرف ظاهر المادة فإن تعمق قليلا ليعرف كنهها أدركته الحيرة ، وفى المعانى يعرف بعض خصائصها ويرتبك فى تعريفها ، وفيما وراء المادة من إلهيات ونحوها هو أشد حيرة ، حتى لقد زعم بعضهم أن « الله » فى اللغة العربية مشتق من أله يأله إذا تحير « لأن العقول تأله فى عظمته »

الحق أن هذا الغموض فى العالم مصدر كبير من مصادر اللذة للعقول الكبيرة وأن حيـاة العلماء كانت تكون تافهة لولا هذا الغموض والالغاز ـ وموقف العالم من ألغاز العالم موقف الماهر فى الشطرنج ، ألذ ألعـابه أصعبها حلا ، وكالرياضى الحاذق لا يستلذ المسائل السهلة والنظريات البسيطة إنما يستلذ أصعب التمارين حلا وأشدها تعقداً . وهو فى هـذا ينسى نفسه وينسى كل شيء حوله ، ولا يعدل بلذته فى حل الصعاب أى لذة أخرى

العالم مجموعات من الغوامض تتطلب الحل ، وإن شئت فقل إنه رواية على شريط السينما وليست ناطقة ولا هى مفهومة الصور كل الفهم . ومنذ خلق الانسان والعالم تتوارد عليه شخصيات كبيرة مختلفة الألوان من أنبياء يعلمون ما أوحى اليهم ، وشعراء يتغنون بجمال الطبيعة ، وعلماء يدرسون ويحللون ويستنتجون ، وفلاسفة يتعمقون ويقلبون البحث على كل وجوهه الممكنة وغير الممكنة ، ومتصوفة أدركوا فشل المنطق والعلم فى معرفة حقائق الكون فذهبوا ينشدون

المعرفة من طريق الذوق والالهام . وكل هؤلاء وهؤلاء قدموا للناس معارف صحيحة وقضايا أصبحت لا تحتمل الشك ، ولكن حقائق الكون كلها بقيت مجهولة لدينا تتطلب الحل . وقد فسرت بعض صور الرواية ولكن جوهر الرواية ومغزاها وسرها ظل غامضاً لدينا وظللنا ننشد مع الفخر الرازى قوله :

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعى العالمين ضلال
وأرواحنا فى وحشة من جسومنا وحاصل دنيـانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيـل وقالوا

ومع هذا الغموض وهذه الحيرة يجب أن نتساءل : هل هـذا العالم بنى على أساس منطقى فى تكوينه وفى تصرفاته أو هو خابط خبط عشواء يسير لا إلى غاية ويتجه فى الامر الواحد يمناً أحياناً ويساراً أحياناً من غير قانون ؟ وهل الصورة التى يعرضها على شريط السينما تدل حوادثها على أن لها مغزى ترمى اليه ويدل ما فهم منها إلى الآن على أنها منطقية فى ترتيبها وإن لم تفهم كلها ، أو هى مجموعة مفارقات لا تربط أجزاءها رابطة ، وينقض آخرها ما أبرم أولها ؟ وهل العالم مدرسة تتعلم فيها الحكمة أو هو حجرة لألعاب الأطفال أو مسرح تمثل عليه ألعاب نيرنجية وشعوذة وحركات بهلوانية ؟ وهل العالم مسألة هندسية معقدة ولكنها بنيت على نظريات صحيحة يصعب علينا حلها ولكن ظاهرها يدل على أنها معقولة وممكنة الحل ، أو هو مسألة هندسية لم تبن على أساس صحيح ولا على منطق مرتب وإنما هى مسألة اخترعت من هنا ومن هناك وقصد واضعها حيرة من حاول حلها ثم لا حل لها ؟

الحق أنه يتوقف على الاجابة عن هذه الأسئلة سيرنا العلمى واتجاهنا العقلى ، فان كانت مظاهر الحياة كلها مفارقات وأحداثاً مفاجئة غير خاضعة لقانون كان البحث العلمى ضرباً من العبث ، وكان كل قصاراه أن يسجل ما حدث ، أما إن كانت مظاهر الحياة عبارة عن قوانين حكيمة تسلم مقدماتها إلى نتائجها كان البحث العلمى ممكناً ومعقولا ومدرسة للحكمة

وقد دلتنا الدلائل كلها على أن العالم خاضع للمنطق ، وأن له غرضاً يسير اليه ، وليس يسير حسبما اتفق ، وأنه محكوم بقوانين ثابتة لا تتغير ، وأن كل مظاهره خاضعة لقانون العلة والمعلول والسبب والنتيجة ، فلمس النار يحرق دائماً والحرارة تمدد الأجسام دائماً والحب يستتبع سعادة دائماً والكره يستلزم شقاء دائماً

ولكن بعض هذه القوانين واضحة ظاهرة لا تحتاج فى فهمها إلا إلى التفاتة بسيطة ساذجة وبعضها معقد كل التعقيد غامض كل الغموض حتى ليظهر لنا من شدة غموضه وكثرة تعقده أنه لا يمكن حله ، وبين هذا وذاك درجات فى الغموض لا اعداد لها . ومع هذا كله فلو قارنا بين الانسان الاول ومعارفه عن العالم والانسان الآن ومعارفه عن العالم وجدنا الفرق واضحاً جلياً

ووجدناه قد قطع فى العلم مرحلة يصح أن يفخر بها ، ووجدناه قد وصل فى بحثه إلى نتيجة هى أقوم مما حصله من العلم وهى أن العالم وإن كان أكثره مجهولا إلا أنه مما يمكن حله أو حل أكثره بما استكشف من قوانين العلة والمعلول ونحوها ، وأن حوادثه تخضع لقوانين بعضها قد علم وبعضها لم يعلم ، وما لم يعلم تدلنا إشاراته وإيماءاته على أنه قد يعلم يوماً ما

وهب أنه لا يمكن أن يعلم الا بعضه وان هناك دائرة من العلم لايستطيع الانسان اجتيازها وان عقل الانسان بتركيبه الحالى لم يسلح السلاح الكافى ليغزو هذه الدائرة وانما منح أسلحة يستطيع أن يستعملها فى بعض الدوائر دون بعض ، لحياة الكفاح العلمى التى يحياها العلماء هى ألذ حياة عرفت ، بل لا أظن أن حياة العلماء كانت تكون سعيدة لو أن كل شىء انكشف لهم من غير بحث ومن غير عناء . فالقليل ينال بعد التعب خير من كثير ينال من غير نصب . وما ألذ منظر العالم أو الفيلسوف يحار ثم يحار ويدور حول الشىء ويدور ، ويتجه يميناً فلا يفلح ثم يتجه يساراً فلا يفلح ، حتى يعمى عليه الامر ، ثم يبدأ فى البحث مرة أخرى لا يكل ولا يمل وأخيراً يدرك منه الشىء القليل فيغتبط به الاغتباط العظيم ويرى ان الدنيا بحذافيرها ولذاتها وسعادتها لا تساوى شيئاً بجانب ما ناله من المعرفة ولو بالشىء القليل بعد الجهل ، ولو خير بين متع الحياة كلها وبين عنائه فى بحثه ومشقته فى درسه ما فضل على بحثه ودرسه شيئاً

قد يقول قوم ان هذا النظام نظام أخرق فقد خلق العالم لغزاً وخلق عقل الانسان بحيث لايستطيع حل اللغز ، وقد كان المعقول أحد أمرين : اما ان يخلق العالم أبسط من هذا أو يخلق العقل أكبر من هذا . أما ان يغمض العالم كل هذا الغموض ويقصر العقل كل هذا القصور فليس من المعقول ! ولكنى لاأرى هذا الرأى فقد كان يكون هذا القول معقولا لو أن طبيعة العالم وطبيعة العقل لا تلتقيان ، أما وقد التقتا وأمكن للعقل ان يمس العالم ويحل بعض ألغازه ويوسع كل يوم دائرة المعلوم ويقلل من دائرة المجهول ، فلا محل لهذا القول . واذا وضع مهندس مسألة صعبة الحل ولكنها منطقية وحار الطلبة فى حلها فلا يلام المهندس الا اذا أخذ الطلبة ان قصروا ، اما ان وضعها لمجرد اختبارهم ولم يؤاخذهم على تقصيرهم ان تبين له عجز فى كفايتهم فلا لوم عليه - على ان هذا الاعتراض قد يكون فيه شىء من الوجاهة ان قلنا ان العالم خلق ليحله عقل الانسان فكان العالم معقداً أكثر مما يلزم والعقل قاصراً أكثر مما يلزم ، اما اذا كان العالم قد خلق لشىء آخر غير ان الانسان يحله بل العالم ومنه عقل الانسان خلق لحكمة وراء ذلك ، اصبح الاعتراض فى ذاته سخيفاً

وكما ذكرت من قبل اذا رأى الانسان لذته فى هذا الغموض ومحاولة الحل والنجاح أحيانا والفشل احياناً فخير له أن يتمتع بهذه اللذة القوية الواضحة فى هذا الجو الغامض

احمد امين

فلسفة اللعب*

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقي

ما أكثر الآباء يزجرون أبناءهم عن اللعب . ومع هذا فالابناء لم ينصرفوا عن لعبهم كلما وجدوا اليه سبيلا ، بل الآباء أنفسهم قل منهم الخليون من هوى لعبة تواتيهم يقبلون عليها مهما زحمتهم الشواغل أو علت بهم السن

ومن المناظر المألوفة لكل واحد فى عقر داره هذا الكر والفر من القطيطات تتهارش معاً وتتطارد وتترصد كل منها للأخرى وتهاجها ختلة أو غلاباً وهى تهتاج لفكرة القتال فينتفش ذيلها ويقف شعرها وتكشر عن أنيابها وتلتحم فلا يألو بعضها البعض تضارباً بالمخالب وعضاضاً ولكن من غير إيجاع وإثخان . فالامر لا يعدو الظاهر فهو قتال ولا قتال ، وما المشهد بجملته إلا تصنع وافتعال وإن شئت فقل انها مهزلة الحرب . ومن العجيب أن القطيطة إذا عدمت اللدات أقحمت نفسها على أمها فى خصام مصطنع فلم تقصر تلك فى مجاراتها ومقابلتها المثل بالمثل كموقف الند من الند . بل إن القطيطة لتلتمس اللعب ولا ملاعب إذ تجرد مثل الفارس « دون كيشوت » خصوماً متوهمة من خيط مسحوب أو بكرة متدحرجة ومن أهداب الستائر تهفو بها النسمات أو حركة أقدام السائر فى جيئة وذهاب ، وأحياناً تغلو فى الخيال فتلاعب قوائم المقاعد والمناضد مع كونها جامدة لا حراك بها . فلا بد للقطيطة من اللعب تحتال له بالحق وبالباطل كأنما اللعب ضربة لازب بل غريزة من أقوى الغرائز . . وما يقال عن القطيطة يقال عن غيرها من الحيوان وعلى الاخص صغاره . فكيف تعليل ذلك وماذا يكون السر فيه ؟

لقد ألمع شيلر إلى أن اللعب انما هو من فيض قوة زائدة . وهذا الرأى لا يخلو من حق إلا أنه لا يطرد . فالمشهود أن الحيوان قد يكون مكدوداً كالكلب مثلا يلهث من اللغوب ثم ينقلب فى لحظة من التعب الى اللعب ، وكذا الحال فى الاطفال فقلما يقعدهم عن اللعب نهكة الجسد أو وعكة المرض

ويذهب هربرت سبنسر مذهب شيلر فيرى أن القوة الزائدة تتطلب لها منصرفا ، ويستشهد بالفئران تقرض حتى مالا غذاء لها فيه لمجرد الترويح عما بجهاز أسنانها من سعار النشاط ، والهرة مهما كفلنا لها الدعة وكفيناها القنص فانها مع ذلك محفوزة لاعمال مخالبها فاذا اعوزتها الفريسة فهى تخمش باظافرها المقاعد ، فان حلنا بينها وبين هذا التلف التمست جذع شجرة تخمشها ، وكذلك الزرافى إذ كانت فى الغاب تلتهم ذوائب الدوح الباسقة فانها فى الاسر لا تنفك تتناول بفمها كل ناتىء

---

* اعتمدنا فى هذه الكلمة على تومسون وجوبو وبوطان وغيرهم

من ذرى محبسها شداً وجذباً وتنحى على الزوايا العليا من بابه تحيفا وتسوية

وكما أن شرط اللعب عند سبنسر من وجهة الطبيعة الجسدية هو فيض القوة كما قدمنا ، فان وسيلته هي التشبه والمحاكاة . فالصغار يمثلون لاعبين ما يفعله الكبار جادين . ويروى الرحالة إلى أصقاع الجليد أن اطفال الاسكيمو يلهون ببناء أكواخ مصغرة من الثلج أو اصابة هدف منصوب بسهام صغيرة يفوقونها ، وأما أولادنا نحن فيصطنعون في لعبهم حركات الحرب في عصرنا متقلدين أمثال سلاحنا على حين تتخذ بناتنا العرائس الخشبية يتعهدنها ويقمن عليها في حنان وحدب كقيام الامهات الروائم عليهن . ولكن نظرية المحاكاة لا تطرد هي الاخرى في جميع الاحوال . فان حيواناً كالقطيطة وإن عزل عن أمثاله فانه ليلعب ، ويلعب على غرار جنسه ، إذا واتاه الحافز في الوقت المناسب

ثم فكرة ثالثة لها وجاهتها . وهي العلاقة الوثيقة بين الخوالج النفسانية والحركات الجسمانية . فانه من الحقائق المعروفة لدى الكافة بالاختبار والتي استقصى بحثها علماء النفس أن أحاسيس الطرب لها فعل منعكس على شتى أجزاء الجسم كالقلب والرئتين والحنجرة وغيرها . ومن ثمة فقد يلحق بهذه الخلجات الباطنة حركة الجسم بجملته ، ويتعين نوع هذه الحركة على حسب الاحياء كل جنس على شاكلته . فالرجل يميد بعطفيه للرضى والطفل يرقص غبطة بالحلوى وابتهاجاً بهدية العيد والكلب يبصبص بذنبه ويثوب لملاقاة سيده . وقد تكون هذه الحركة اللعوب فيمن زاد به الانفعال بمثابة صمام الامان له فائدته إلا أنها كذلك تعبير طبيعي عما يفيض الحي به من فرحة بالحياة

وأخيراً جاء العلامة كارل جروس بوحيه الهادي منوهاً بأن شأن اللعب هو شأن التلمذة يتخرج فيها الصغير ويمرن على ما يلزمه لمستقبل عمله في الحياة . وهذه علة الاختصاص في اللعب ، فما كان في الحيوان من سوائم المراتع كالاغنام والوعول والايائل وغيرها من ذوات الحافر فتراها في الصغر تلهو بالتراكض في غير مطلب والتهالك على القمص والتنافس في الوثبات والاقدام على تسلق الاوعار . وما كان من أكلة اللحوم وقوامه على الطراد فانه ليصطنعه صغيراً فيطارد كل ما يتحرك من غير نظر الى منفعة يصيبها كأن يناوش ورقة من أوراق الخريف المتساقطة أو يلاحق مجرد الخيال لشيء عابر . وليس في لعب القطيطة بالفار معنى التلذذ بالتعذيب كما قد يتبادر الى أذهان البعض، وإنما يقال في تركيته إن القطيطة يحصل لها منه اعتياد الحماسة والزيادة المطردة في خفة الحركة ، ولئن كان اللعب بالفار قد يشاهد أحياناً من كبار السنانير فذلك إما أن يكون تعليماً لصغارها وإلا فهو من قبيل الردة تعرض للكبير الى لهو الصبا كما يحن الشيوخ منا للتصابي الفينة بعد الفينة . ثم هنالك القتال المصطنع وهو مشاهد في الصغار سواء أكلة اللحوم كالاشبال والجراء أو ذوات الحافر كالحملان والجديان والعجول كما أنه شائع أيضا بين الطير . وينبغي الالتفات الى التفرقة بين القتال المصطنع وبين عراك الذكورة بفعل التزاحم والمغايرة . وان التفرقة حتى فيما عدا التنازع الجنسي لا تبرح مسألة دقيقة غير هينة ، فان المراقب مثلا تيسين ينتطحان من قبيل الشغب والمراح ليلحظ من حين

لحين اشتبا كا حامى الوطيس وصدمة للقرون عنيفة تدق إيذاناً بالخطر ، ثم يتباعدان بعدها من غير ضغينة وتعود بينهما المناوشة اللعوب ، وكأنها مناقفة بين لاعبين بالسيف لا يبغى أحدهما قتل صاحبه بل يبغيان مع المران سويا قتل الوقت . وليس اللعب مقصوراً على الحيوان والطير بل للنمل نصيب فيه على قول الذين توفروا على ملاحظتها ورصد حركاتها ، فثمة صراع وما يشبه الصراع فيما بينها ولكنه لا أثر للتجريح أو افراغ السم . ولا بد أخيراً من الاشارة الى اللعب لمجرد الاختبار والاستطلاع . فمن الحيوانات ما قد يبلو الاشياء التى تقع له وكثيراً ما يجر ذلك الى تحطيمها بدداً ، وقد يمتحن نفسه أو يخبر غيره تعرفا لما يقابل به هؤلاء أفاعيله . ولا ريب فى أن أظرف مانلقاه فى هذا الباب عند القردة . ولقد تذهب بها التجربة إلى حد الشقاوة الحينة ومحض الاذى ،فالشمبانزى يبدو عليه ما يشبه التلذذ من تعمده فعلة يحس أنه محدثها حتى ليظل يكررها المرة بعد الاخرى . ومن المشاهدات المروية عمن يتألفون هذا النوع من القردة العليا لكى يدرسوا أطواره ، أن احدها ليمد بلقمة الخبز يده الى الدجاجة يستدرجها حتى إذا شارفتها وكادت تلتقمها قبض اليه يده . وأدهى من ذلك أنه قد يلقى لها الطعام على مقربة منه ثم يفجؤها بضربة عصا على غرة منها إذ تكون على أكلها مكبة مستغرقة . وهذا كما ترى أشبه ما يكون بالمزاح وان شئت فقل بالمزاح الثقيل

واللعب وان يك غالباً فى الطفولة إلا أنه غير مقصور عليها . ونحن لا نلعب لاننا صغار وإنما نتصابى لنلعب . ومن الحقائق المقررة أن الحيوانات الدنيا لا تلعب ، وأنه بمقدار رقى الاحياء يكون استعدادها للعب لفيض حيويتها وحاجتها الى تنمية قواها وتوسيع ملكاتها وتوسيع اختباراتها

ولا مشاحة فى أن الانسان أكثر الاحياء تفننا فى اللعب . فالعابه منها البدنية والذهنية ومنها ما فيه للمصادفة دور يتفاوت خطره ومنها ما هو مزاج من هذه جميعاً . بل منها أيضاً لعب عاطفى . ولقد زعم البعض أن الفن لعب ، والاحرى القول بأن اللعب فن

والأصل فى اللعب أن يصدر عفواً فى حرية موفورة وطلاقة غير منقوصة فلا يتحرج من شذوذ ولا يقف دون تجربة ولا يلتزم أية حدود كشأنه فى الحيوان . أما الانسان فكأنما ينظر الى ما تقتضيه حياة الجماعة من حدود فيرتاض منذ الصغر على الاستمتاع بألعابه مع ما أدخله عليها من النظم الملزمة والقواعد المفروضة .فلعبة الاستغماء أو الاحتماء بكنف الاعمدة فيها للاولاد مجال منفسح للحركة الطليقة والجرى هنا وهناك ، ولكنها مشروطة باحكام مرتبة على أصول حصل عليها التواضع وانعقد الاجماع . وكذلك العاب الكبار مثل كرة القدم والصوالج فليس الضرب فيها جزافا وإنما هو مقيد بطريقة ومرتهن بعدد . فالالعاب البدنية بجملتها سواء للصغار أو للكبار ليس منها واحدة إلا ولها اصطلاحها وأدبها

فاذا انصرفنا الى الالعاب الذهنية كالداما والشطرنج الفيناها وان اختلفت عن سابقتها فليست تقل عنها تنظيما . فالقطع يجرى نقلها فى الرقعة على نظام مرسوم بل انها فى الشطرنج جعل بعضها

فوق بعض درجات . فالبيادق كثرة كالجنـد المجندة للزحف والتقدم خطوة خطوة ، وتفوقها الافراس والفيلة بخطواتها الواسعة ، وعلى الجانبين تقوم القلاع فى ركنها الحصين . والجميع ومعهم الوزير يحوطون المليك وينضحون عن حرمته ومقامه ويفادونه بالأنفس الغالية . وما أشبه الشطرنج بالدنيا فى استطراداتها وتقلب أطوارها حتى تنتهى بعد التصويب والتصعيد والسعود والنحوس الى نهاية ما كان يمكن السبق الى علمها علم اليقين ! ولا يخفى ان أحسن اللاعبين هم الذين يحسنون الربط بين أفكارهم ولا يغفلون عن لعبة لعبت ويدركون موضع القوة والضعف من خصمهم وكيف السبيل الى اتقائه ومهاجمته

أما نصيب المصادفة فى بعض الالعاب كلعبة الورق أوالنرد فانه يحكى دور القضاء والقدر فى الحياة الواقعة . ولنجترىء على القول بان المرء قد يتعوض عن حسن المصادفات بالذكاء والبراعة وسعة الحيلة فيكون لها الفناء كله أو بعضه

وحيث ترجح كفة المصادفة على كفة التدبير فى الالعاب يكون مبلغ استجاشتها للعواطف ومداولتها على النفس الشاعرة المستجيبة من لوعة اليأس الى لهفة الانتظار الى فرحة الامل . ونذكر بهذه السبيل العاب الرهان على جياد السباق وخلافها والمضاربات وما اليها، ونخص منها بالذكر أوراق النصيب لانها محض مصادفة فهى فى قطر كل شار من شرائها الى يوم السحب مصدر أحلام وأخيلة وأحاسيس

واللعب كالفن من حيث إشعاره بالجمال واستثارته للاعجاب . فان الناظر الى اللاعبين ليأخذه الاعجاب بضربة بارعة وانه ليتمثل فيها تمام التكوين ولطف الحركة وبلاغة الاداء وهى ما ينشده محب الفنون من عمل فنى . وليس بالنادر أن لاعباً من أقدر اللاعبين يضحى طواعية بكسب الدور من أجل ضربة شائقة بديعة ، فهو وقتئذ كالمدفوع بشعور خفى بأن اللعب كلما ارتقى كان الجمال مقصده الاعلى . وما لنا لا نعذر الذين يعدون الفن نفسه لعباً ، ونحن انما نسمى لعباً ما يخطه الاطفال من رسوم فاذا استقامت رسومهم وارتقى تخطيطهم نعتناه فناً . فكأن الفارق إذن فى الدرجة لا فى الشىء من حيث هو .على أن وجه الشبه بين الفن واللعب لا يقف عند هذه الظاهرة بل يذهب الى الاعماق والأصول . فان كليهما أنما يقصد بوضعه وتدبيره الى خلق عالم مصطنع يقوم لنا مقام العالم الحقيقى . ونحن فى هذا العالم المصطنع نتجهز لحياة الواقع . بل لقد يحفزنا أحيانا خياله المنطبع فى وجداننا الى الارتقاء بالحياة الواقعة درجات فوق درجات

ولا غرو فى هذا الذى جعلناه للعب من شأن وأى شان ، فما برحت الحقيقة الظاهرة للعيان أن أبرع الامم لعبا أروعها جداً

عبد الرحمن صدقى

الشيوعيون يغيرون برامجهم

المؤتمرات الشيوعية وتطور أغراضها

تتجه اليوم أنظار العالم إلى تجربة من أعظم التجارب الاقتصادية وأشدها خطراً . ونعنى بها الشيوعية أو الاشتراكية المتطرفة . ومع أن هذه التجربة ليست جديدة فان اهتمام العالم بها مايزال عظيما جداً كما كان فى الأزمنة السالفة . وفى الواقع أن الاجتماع قد مانى الشيوعية فى مختلف ظروف المكان والزمان وشهد الاطوار التى مرت بها وراقب نتائجها . ففى تاريخ اليونان القديم مثلا أن الاسبرطيين كانوا شيوعيين بالمعنى الحقيقى إذ لم يكن الفرد عندهم يملك شيئاً بل كان كل شىء ملكا للدولة التى هى رمز إلى الأمة ونائبة عنها فى جميع شؤونها . وكان الرجال يعيشون فى منازل هى أقرب إلى الثكن منها إلى البيوت . وكانت الحكومة تجرى عليهم الارزاق والوظائف وتقوم بأود أسرهم وبتعليم أولادهم . وكان الحواريون يعيشون عيشة هى أقرب إلى الشيوعية منها الى أى نظام آخر ويقصدون بذلك بث روح الاشتراكية بين الناس

والاشتراكية والشيوعية هما فى أول أمرهما مذهب واحد كان يقوم فى الاصل على مبادىء يتعذر تحقيقها لأنها تعمل على تحقيق المساواة التامة بين جميع أفراد البشر فى حقوقهم وواجباتهم ومقتنياتهم . إلا أن الاشتراكية تطورت بمرور الزمن واعتدلت آراء زعمائها إذ ثبت لهم بالاختبار أن فى نظريات الاشتراكية الأصلية كثيراً من الخيال الذى يتعذر تحقيقه . ولذلك تجد اليوم فى مختلف بلاد الغرب أحزاباً تنتمى إلى الاشتراكية فى صورة من الصور وهى بعيدة عن الاشتراكية الاصلية

وفى الحقيقة أن الاشتراكية الاصلية خيالية قد تبهر المرء أول وهلة ولكنها لا تخلو من عيوب . فهى مثلا برفضها مبدأ « ملكية الفرد » تقتل روح العمل والنشاط . فضلا عن أن مبدأ توزيع العمل — وهو من أهم مبادىء علم الاقتصاد — يتطلب التفرقة بين الطبقات ويستلزم التمييز بين أنواع المكافآت ومقاديرها . وليس هذا كل ما فى ذلك النظام من عيوب وإنما سقناه مثلا على إغراق مبادىء الشيوعية فى الخيال . ولذلك خلط الكثيرون من الكتاب بين الشيوعية والفوضى نظراً الى حاجة كليهما إلى الارهاب واعتمادهما على وسائل العنف والشدة

ولعل الفيلسوف أفلاطون أول من ألف فى الشيوعية فقد وضع كتاباً سماه « الجمهورية » ووصف به شعباً يعيش عيشة خيالية لا أثر فيها لملكية الفرد ولا للفنون الجميلة لأن هذه الفنون تستهوى نفس الانسان وتصرفه الى الخيال . أما الاولاد فيتعلمون على حساب الدولة . والرجال والنساء متساوون أمام القانون . ولكل فرد عمل ، ومن نتاج هذا العمل تعيش الجماعة

أما الشيوعية الحديثة فقد وضع مبادئها كارل ماركس رسول الاشتراكية فى القرن التاسع عشر . وقد كان غرضه الاساسى منصرفاً الى تحرير طبقة العمال من استبداد أصحاب الاموال — وهو يسميهم « رأس ماليين » — ويقول ان الطريقة المثلى لتحقيق حلم الشيوعية هى أضرام نار الثورات . وهنا موضع الخلاف بين الشيوعية والاشتراكية . فهذه تعترف بأن الثورات قد تكون وسيلة لتحقيق الشيوعية وقد تدعو الضرورة الى الالتجاء اليها من وقت الى آخر . أما الشيوعية فتقول بأن الالتجاء الى الثورات لازم فى كل مكان وزمان لتحقيق أحلام الشيوعيين

وغنى عن البيان أن الشيوعية قد طرأ عليها فى السنوات الاخيرة تغير عظيم يمس مبادئها الجوهرية ، وذلك بسبب امتدادها واتساع نطاقها . فبعد أن كان زعماؤها يقولون بوجوب الالتجاء الى العنف والقوة واضرام نيران الثورات فى جميع البلاد الخاضعة لسلطان أصحاب الاموال، صارت تعترف ضمناً بأن البروباجندا السلمية أصلح لنشر مبادئها وأن الاتصال بالدول الخاضعة لنظم « الرأس مالية » — وبعبارة أخرى لنظم « الكابيتالسم » — هو أصلح وأجدى بل هو شر لابد منه وبخاصة اذا كانت البلاد فى حاجة الى الاموال لبناء صرحها الاقتصادى . على أن الدكتاتورية ماتزال من مبادىء الشيوعية فهى شرط ملازم لها اذ بدونها لا يتسنى للعامة أن تستأثر بشؤون الدولة

ولا يعزب عن البال أن روسيا البلشفية هى اليوم رمز الشيوعية . الا أن اختبار السنوات الماضية قد أراها استحالة تمسكها بمبادىء الشيوعية الحالية ولذلك نكبت عنها بعض الشىء . ولكن زعماء الروس ما يزالون يحسبون أنفسهم مقيدين بالقرارات التى أصدرتها مؤتمراتهم الدولية وتعرف بالانترناسيونال . وقد عقدوا عدة مؤتمرات منها فى أمكنة وأزمنة مختلفة وأهمها الثلاثة الآتية :

(الاول) الانترناسيول الاول ويعرف بمؤتمر اتحاد العمال الدولى (١) عقد فى سنة ١٨٦٤ وظل معقوداً عشر سنوات وكانت اجتماعاته يسودها الصخب والضجيج . ويعرف فى التاريخ باسم « الانترناسيول » فقط . وكان الداعى الى عقده وواضع برنامجه كارل ماركس نفسه زعيم الشيوعية. ومما يؤثر عن هذا المؤتمر نزوع جميع أعضائه الى روح الثورة

(الثانى) « الانترناسيونال الاشتراكى الثانى » وقد عقد بعد انتهاء المؤتمر السابق بخمسة عشر عاماً وقد ظل معقوداً الى أن نشبت الحرب العظمى وكان يضم مندوبين يمثلون العمال الاشتراكيين

(الثالث) الانترناسيونال الشيوعى الثالث ويعرف أيضاً باسم « كومنترن » . ولا يزال هو القوة التى تدير الحركة الشيوعية فى العالم أجمع . ولننظر الآن فى كل من هذه المؤتمرات على حدة

الانترناسيونال الاول

فالمؤتمر الاول — واسمه بالاختصار « الانترناسيونال » كما تقدم — عقد فى لندن فى سنة ١٨٦٤

(١) The International Working Men's Association

وكان يضم مندوبين عن العمال من جميع أنحاء العالم . وكانت الخطب والمباحثات التى جرت فيه تشف عن روح الاشتراكية الحقة وكلها دفاع عن حقوق العمال . ويقال ان الداعى الى عقد هذا المؤتمر كان زيارة بعض العمال الفرنسيين لمعرض لندن سنة ١٨٦٢ فقد جرت لبعضهم أحاديث هنالك تناولت شؤون العمال وكانت تشف عن الرغبة فى ايجاد صلة بين مندوبيهم فى جميع أنحاء العالم . وعليه استقر الرأى على عقد « الانترناسيونال » أو المؤتمر الشيوعى الاول الذى نحن فى صدده . وفى هذا المؤتمر عينت لجنة لوضع نظام عام (دستور) للشيوعية

قلنا ان الانترناسيونال الاول ظل معقوداً عشر سنوات وكانت اجتماعاته تقام فى مدن مختلفة ففى سبتمبر سنة ١٨٦٦ عقد اجتماع منها فى مدينة جنيف . وفى السنة التالية عقد اجتماع آخر فى لوزان . وفى السنة التالية عقد اجتماع ثالث فى مدينة بروكسيل . وفى سنة ١٨٦٩ عقد اجتماع رابع فى مدينة بال . وقد أحرز اجتماع سنة ١٨٦٧ — وهو الاجتماع الذى عقد فى لوزان — نصراً عظيماً بتأييده عمال مصانع البرونز بباريس الذين كانوا قد أضربوا . واتسع نطاق ذلك « الانترناسيونال » اذ أصبحت له عدة فروع فى بلدان أوربا الغربية واتخذ عدة صحف لتكون لسان حاله . والارجح انه كانت له صلة بجميع الاضطرابات والحركات الثورية التى وقعت فى أوربا فى ذلك العهد حتى صار « الانترناسيونال » رمزاً إلى الهدم والتدمير

على أن نظام « الانترناسيونال » كان سيئاً وحالته المالية أسوأ . وأكثر الجمعيات الاوربية التى انضمت اليه أنما انضمت اليه بقصد الانتفاع من نفوذه لا بقصد توحيد جهودها وجهوده . وفى أثناء الاجتماعات التى عقدها الأعضاء كان الروح السائد يقضى بالغاء الملكية الفردية ووضع جميع مرافق البلاد تحت اشراف الدولة . وفى سنة ١٨٦٩ انضم باكونين الفوضوى الروسى المشهور إلى الانترناسيونال وفعل مثله جميع أتباعه . وكان باكونين هذا يلقب فى أوربا « برسول الهلاك العام » . ويقال انه كان لهذا المؤتمر ضلع فى ثورة « الكومون » التى شبت سنة ١٨٧١ فى باريس وأنكر بعضهم ذلك . وعلى كل فان شأن الانترناسيونال أخذ يضعف بعد تلك الثورة ، فان الاشتراكيين الانجليز كانوا مشغولين بحوادث خطيرة وقعت فى بلادهم . والاشتراكيون الالمان حظرت عليهم حكومتهم الانضمام إلى الانترناسيونال . والاشتراكيون الاميركيون كانوا بعيدين جداً . على أن مصيبة الانترناسيونال الكبرى كانت من أعضائه أنفسهم اذ وقع بينهم خلاف وانقسموا فريقين هما فريق الاشتراكيين وعلى رأسهم ماركس ، وفريق الفوضويين وعلى رأسهم باكونين ، وعقد هذا مؤتمراً جديداً (انترناسيونالا) منافساً « للانترناسيونال » الاول . وكان اشتراكيو اسبانيا وايطاليا من أعظم مؤيدى هذا المؤتمر . وأهم مافى برنامجهم السعى لاحداث الفتن والثورات وقلب الحكومات . وقد تمكنوا من احداث ثورة فى جنوبى اسبانيا فى سنة ١٨٧٣ وفى مواضع أخرى . ولكن الحزب كان يعوزه الكثير من التنظيم وحسن الزعامة وقد زال كل أثر له من الوجود سنة ١٨٧٩

الانترناسيونال الثاني

ونأتي الآن الى مؤتمر الانترناسيونال الاشتراكي الثاني وقد أنشىء سنة ١٨٨٩ وكان في أوله ضعيفاً لا يقوم بأي عمل . وأهم قراراته المنشور الذي أصدره سنة ١٩١٢ في مدينة « بال » مستنكراً الحرب وحاثاً العمال في جميع أنحاء العالم على الاتحاد لمطالبة حكوماتهم باتهاج سياسة سلمية. وكان منتظراً أن يعقد هذا المؤتمر اجتماعاً دولياً عاماً في مدينة فينا في صيف سنة ١٩١٤ للبحث في طريقة تنفيذ المنشور المشار اليه . وكان التاريخ المقرر لعقد ذلك الاجتماع يقابل اليوبيل الخمسيني لانشاء الانترناسيونال الاول (وقد انشىء سنة ١٨٦٤ كما تقدم) وكان المهتمون ببرنامج هذا الاجتماع قد أعدوا مجموعة جميلة الطبع من صور زعماء الاشتراكيين في العالم بقصد توزيعها على المجتمعين . على أن الحرب حالت دون عقد الاجتماع فلم توزع تلك المجموعة الا سنة ١٩٢٤ . وفيها صورة لينين ومكدونالد وجوريس وابيرت وغير هؤلاء من زعماء الاشتراكيين في العالم

ومما يجدر بالذكر انه في أثناء الحرب العظمى الماضية كان الاشتراكيون في جميع البلدان المتحاربة قد تناسوا مبادئهم الاشتراكية موقتاً وراحوا يؤيدون حكوماتهم . على أن اشتراكيي البلدان التي كانت قد بقيت على الحياد — وفي مقدمتهم الهولنديون والسكندناف — حاولوا عقد مؤتمر عام في خلال الحرب بقصد السعي إلى عقد الصلح ، ولكن دول الحلفاء رفضت أن تسمح للاشتراكيين التابعين لها بالسفر لحضور ذلك المؤتمر لانها كانت مصممة على مواصلة الحرب ولا تريد أن يعوقها عن ذلك أي عائق . الا أن الاشتراكيين جددوا مساعيهم حالما وضعت الحرب أوزارها فعقدوا مؤتمراً في برن ولوسرن وجنيف بقصد تجديد « الانترناسيونال » الثاني . وكانت موسكو قد عقدت الانترناسيول الشيوعي الثالث وهو أكبر المؤتمرات الشيوعية على الاطلاق ، وكان منذ أول نشوئه معادياً لمبادىء الحزب الديمقراطي الاشتراكي . وعليه عقد الاشتراكيون في سنة ١٩٢٣ مؤتمراً دولياً في مدينة همبرج حضره ستمائة وثلاثون مندوباً عن ثلاثين دولة ينوبون عن سبعة ملايين عضو في مختلف أنحاء العالم . ولم يحضر أحد من الشيوعيين هذا المؤتمر . وكانت جميع مباحثه مقصورة على شؤون العمال من الوجه الاقتصادي المحض

الانترناسيونال الثالث

ولننظر الآن في الانترناسيونال الشيوعي الثالث الذي سبقت الاشارة اليه . ويسمى أيضا « الكومنترن » . وهو بلا شك أهم المؤتمرات الشيوعية المعروفة في التاريخ وقد انشىء سنة ١٩١٩ . ويختلف عن الانترناسيونال الاول والثاني اختلافا جوهريا في برنامجه . وقد وضعت أساسات هذا المؤتمر في زمروالد وكنتال بسويسرا — أي قبيل أن تضع الحرب العظمى أوزارها . وكانت القيادة

العليا للجيش الالمانى مؤيدة للمؤتمر المذكور وهى التى اوفدت لنين وتروتسكى إلى روسيا لنشر الدعوة الشيوعية فيها ولاطلاق يد الفوضى فى الجيش الروسى . ولو علم الالمان ان الثورة الشيوعية ستنقلب عليهم ماسعوا إلى نشرها فى روسيا . وقد كان غرض الشيوعيين فى أول الامر احداث ثورة فى العالم أجمع . ولكن الاختبار أثبت لهم أن احداث تلك الثورة ليس من الامور المتيسرة وان نشر الشيوعية بالدعوة والاقناع أقرب إلى التحقيق من السعى لنشرها بالسيف . وهذا ماحملهم على تنقيح برنامجهم من وقت إلى آخر — ترى ماهو برنامجهم هذا وعلى أى المبادىء يقوم ؟

خلاصة ذلك البرنامج مايأتى :

(١) الغاء ملكية الافراد للاراضى واعتبارها جميعاً ملكا للدولة مؤجرة للافراد الذين يجب أن يدفعوا اجرتها إلى الحكومة

(٢) فرض ضريبة تدريجية على الدخل

(٣) الغاء حقوق الوراثة

(٤) مصادرة جميع أملاك الثائرين والذين يفرون من البلاد

(٥) انشاء بنك مركزى يتولى هو وحده دون غيره إقراض الاهالى

(٦) جعل جميع طرق النقل والاتصال (المواصلات) من سكك حديدية وبواخر وقطرات ترام وتلغرافات وتليفونات ملكا للدولة

(٧) توسيع نطاق المعامل والمصانع التى تملكها الدولة وتعمير الاراضى البور وتحسين وسائل الزراعة بمقتضى خطة عامة

(٨) انشاء جيش من العمال للزراعة وللصناعات الوطنية

(٩) تنظيم العلاقة بين الصناعة والزراعة والعمل على توزيع السكان على المدن والارياف على حد سوى ليخف الزحام عن المدن

(١٠) جعل تعليم الاولاد مجاناً والزامياً ومنع استخدام الاحداث فى المعامل

(١١) الغاء الفروق بين الطبقات وجعل السلطة المطلقة فى يد العامة

(١٢) الغاء النقد ورءوس الاموال ومنح كل فرد من أفراد الامة ما يحتاج اليه وأخذ مايفيض عنه

تعديل بعض الانظمة

فنى البرنامج المار ذكره خلاصة اغراض الشيوعية الاصلية . وهى كما ترى حلم جميل من الاحلام والاوتوبيات التى صورها الكثيرون من الكتاب والشعراء الخياليين والتى يتعذر تحقيقها . وقد أثبت الاختبار لزعماء الشيوعية أن تحقيق هذا البرنامج ليس من الامور المتيسرة وان الحكمة تقضى بمسايرة مقتضيات الاجتماع . وفى الواقع ان البولشفيك بعد أن استولوا على مقاليد السلطة فى روسيا

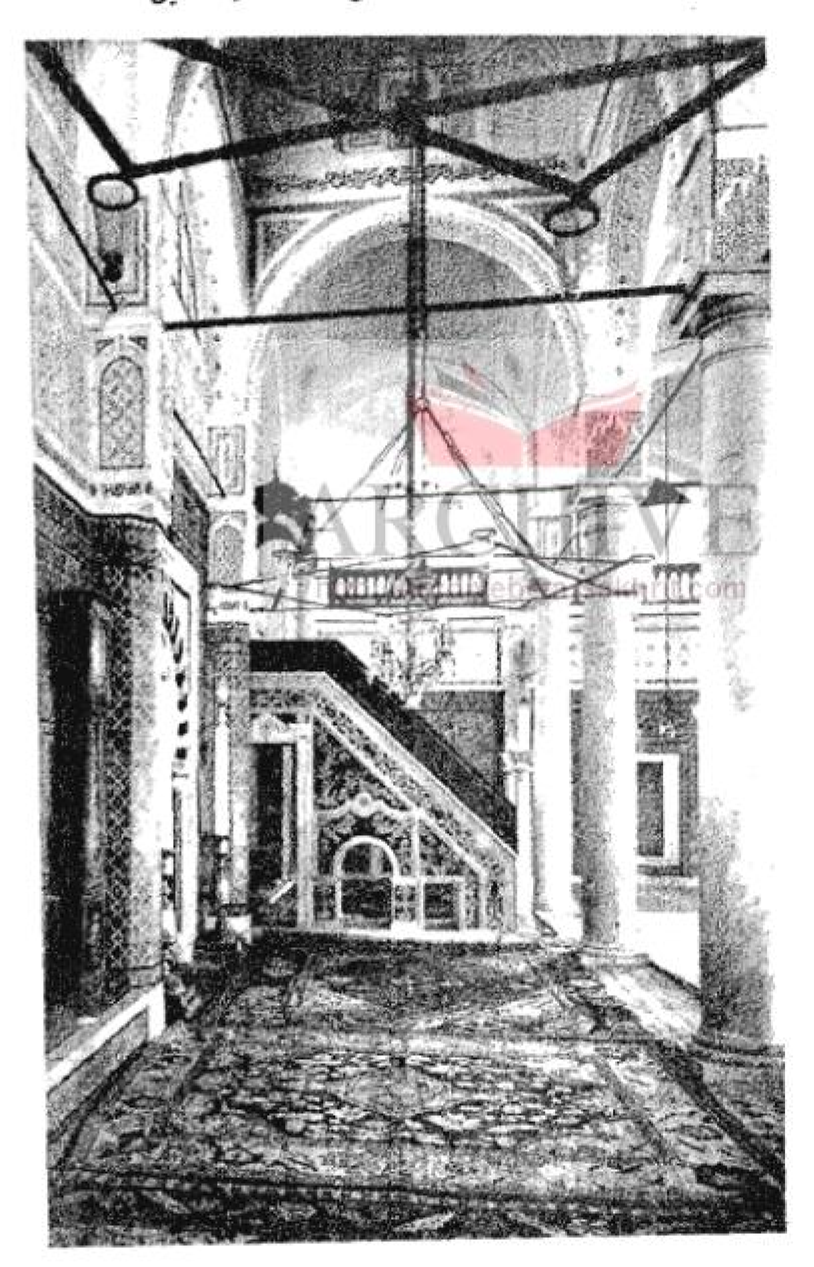
سنة ١٩١٧ أدركوا فى الحال أن الغلو فى تطبيق المذهب الشيوعى لا يؤدى إلى الغرض المطلوب بل بالعكس ينفر قلوب الناس من ذلك المذهب ، مثال ذلك ما أشرنا اليه فى أحد أجزاء الهلال الماضية وهو ان الشيوعية الحقيقية تحظر على المرأة التبرج والاسراف فى الزينة وتوجب عليها العمل كالرجل لكسب الرزق . ولكن سلطان الزى على المرأة أقوى من كل سلطان آخر وقد أدرك زعماء الشيوعية هذه الحقيقة فتسامحوا فى هذه المسألة بل جاوزوا حد التسامح إلى التشجيع على الزينة والتبرج حتى صارت الحكومة الروسية تسهل للروسيات الحصول على وسائل الزينة وأدواتها . ذلك لان الشيوعيين خافوا نفور النساء الاجنبيات من الدعوة الشيوعية فنقحوا مبادئهم بهذا الاعتبار .

ولم يكن هذا بالتغيير الوحيد أو الاهم بل ان لنين زعيم الشيوعية أدرك من أول الأمر أن تنفيذ البرنامج الشيوعى كما هو فى بلاد كروسيا سواد سكانها غير متعلمين لم يكن من الحكمة فى شىء . ولذلك رأى أن ينقح بعض المبادىء الشيوعية بقصد تلطيفها وجعلها أقرب إلى النفس . وحذا ستالين وغيره من زعماء الشيوعية حذوه . فكانوا تارة يتسامحون وطوراً يتشددون . فنى أول الثورة ألغوا النقود وجعلوا أجرة العامل « جراية » له ولأهل بيته .وكانت تلك الجراية عبارة عن « بطاقة » يأخذ العامل بموجبها من اهراء الحكومة ومستودعاتها ما هو فى حاجة اليه . وكانت الحكومة ترغم الزراع والصناع على الاتيان بمحصولاتهم ونتاج صناعتهم وتسليمها إلى الحكومة . ولكى تحبب اليهم الشيوعية كانت تسمح لهم بالانتقال بقطارات الترام والسكك الحديدية وغيرها مجاناً وتفتح لهم دور اللهو والسينما ولا تتقاضى منهم أجراً

على ان تنفيذ هذا النظام لم يخل من صعاب اذ قامت فى سبيله عثرات كثيرة وزاد الطين بلة أن الزراع والفلاحين كانوا يذهبون بغلالهم ومحصولاتهم إلى اهراء الحكومة ولا يأخذون بدلا منهـا مايحتاجون اليـه من ثياب وأطعمة ومواد أخرى الا بشق النفس . ذلك لان مخازن الحكومة ومستودعاتها كانت أكثر الوقت فارغة بسبب كثرة الطلبات التى تنهال عليها . أضف إلى ذلك أن وسائل النقل لم تكن تستطيع أداء مهمتها ونقل السلع والبضائع الى اهراء الحكومة ومخازنها . ونظام التوزيع كان شديد الارتباك . فوقعت عدة فتن وثورات محلية وصار الزراع يرفضون أن يزرعوا شيئاً يزيد على حاجاتهم الخاصة . وأدرك زعماء الشيوعية أنه لا مندوحة لهـم عن تنقيح مبادئهم وتقريبها من مقتضيات المنطق . ومن ثمة وضعوا برنامجهم الاقتصادى الجديد وهو فى الحقيقة نوع ملطف من نظام « الكابتالسم » أو نظام « الرأس مالية » الذى يقف مع الشيوعية على طرفى نقيض . وقد سوغ الشيوعيون هذا الانقلاب الخطير فى مبادئهم بقولهم ان الشيوعية كما أسسها ماركس لاترمى إلى الغاء نظام « الكابتالسم » بقصد الغاء رأس المال أو النقد

في طرابلس الغرب

طرابلس الغرب من البلدان العربية الصميمة التي احتفظت بطابعها العربي البديع وصبغتها الشرقية الساحرة وقد مرت عليها المدنية الغربية مراً طفيفاً دون أن تغير من طبيعتها أو تبدل من تقاليدها ومعالمها . وننشر على هذه الصفحات صوراً شائقة من ذلك القطر الشقيق

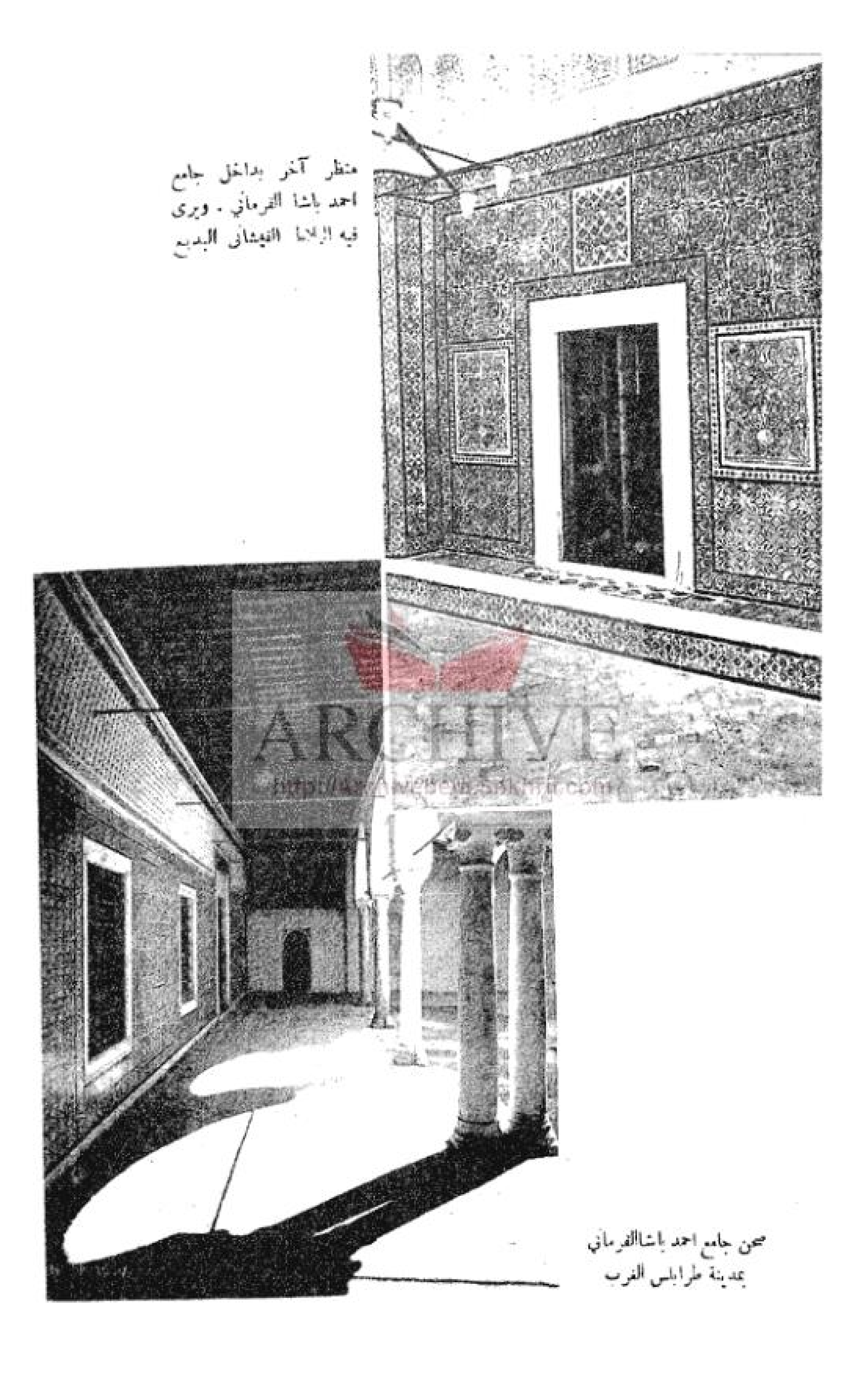


منظر بداخل جامع احمد باشا القرماني وهو من الابنية العربية الكبرى بمدينة طرابلس الغرب



مدرسة محمودة بواحة جنزور
غربي طرابلس وترى فيها القباب
على الطراز المغربي المعروف


جامع صبراته بمدينة صبراتة العتيقة
غربي مدينة طرابلس الغرب



منظر آخر بداخل جامع احمد باشا القرماني . ويرى فيه الزليج القيشاني البديع

صحن جامع احمد باشا القرماني بمدينة طرابلس الغرب



في المتحف الجيولوجي بجامعة هالة هيكل تمساح كان يعيش في أواسط المانيا منذ ٥٠ مليون سنة

اكتشافات علمية هامة

فى أواسط المانيا

في جامعة هالة بالمانيا قسم خاص بالبحوث الجيولوجية ويشرف عليه الاستاذ الدكتور فيجلت وهو يقوم ببحوث جيولوجية بالغة الأهمية ، وقد دلته على أنه كان في أواسط المانيا منذ ٢٥ إلى ٥٠ مليون سنة حيوانات مما يقطن البلاد الحارة ونصف الحارة عادة مثل التماسيح وكذلك أشجار مما ينبت بتلك البلاد مثل أشجار المطاط . وقد عثر على جماجم حيوانات وعلى بقايا أشجار من ذلك الماضي السحيق. ومما ساعد على حفظ تلك الآثار الجير الذى هو من خصائص تلك الارض. وأم ما كشفه الدكتور فيجلت هيكل (نصف قرد) ولهذا الكشف أهمية كبيرة لأنه يبرهن عمليا على صحة الفرض العلمي القائل بالتطور من « أكلة الحشرات » الى « انصاف القرود »





هيكل (نصف قرد) عثر عليه في منجم (سيسلى) بوادي جيزل وهو عبارة عن حيوان صغير في مراحل النشوء والارتقاء وترى أسنانه اللبنية وقد أصبحت عبارة عن مسحوق لمضي ٢٥ مليون سنة على ذلك الهيكل

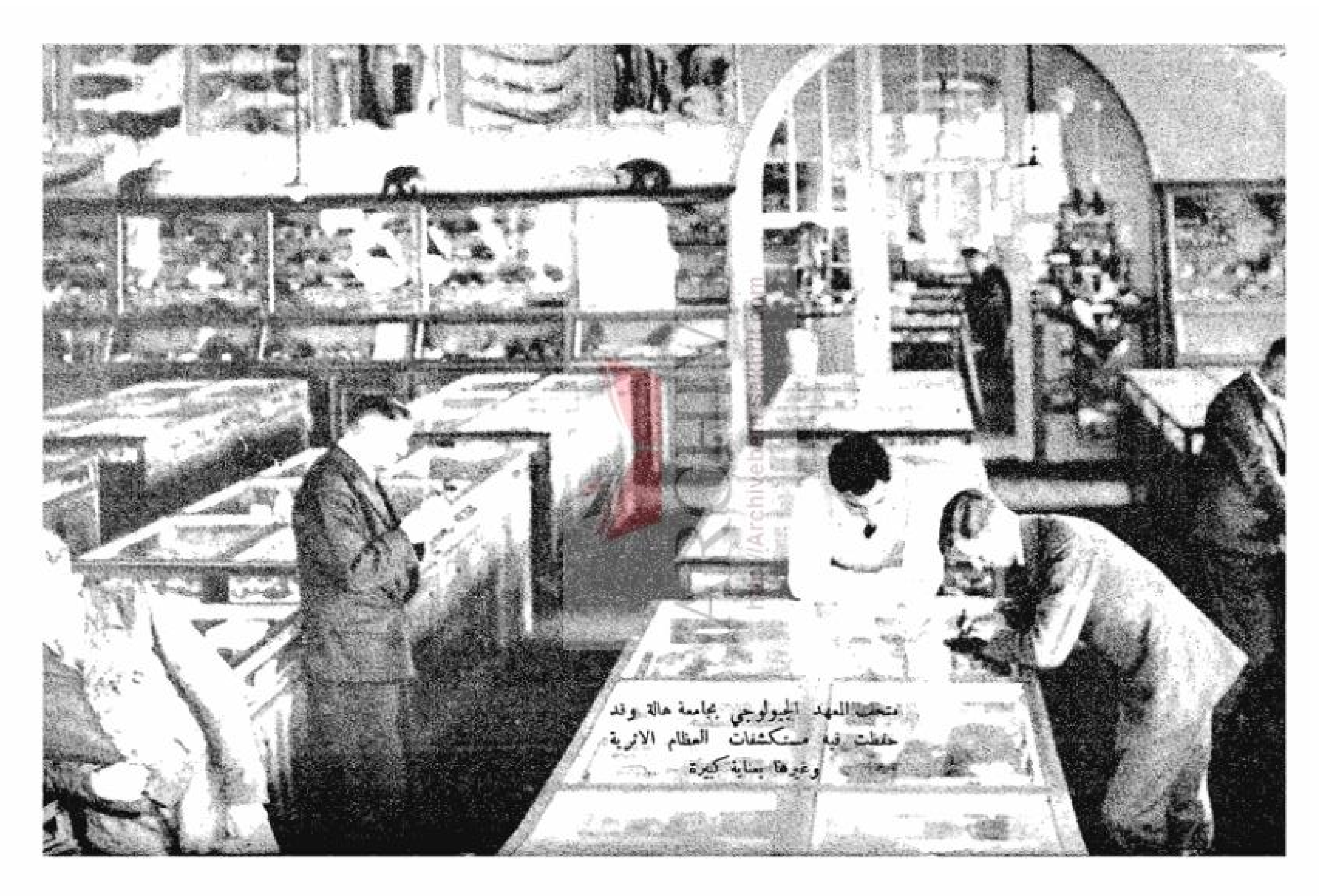
لابد من كاميرا قوية جداً لتصوير البقايا الاثرية التي توجد في تربة الارض . وكثيراً ما يصعب تصويرها أو يستحيل اذ تكون بلون الارض المحيطة بها لتقادم العهد



أحد مساعدي الدكتور فيجات يفحص قطعة مأخوذة من تربة ألمانيا الوسطى باحثاً عن بقايا عظام أثرية

مساعدو الاستاذ فيجلت وبعض طلبته يفحصون تراباً مأخوذاً من أرض ألمانيا الوسطى لعلهم يعثرون به على بقايا أثرية





متحف المعهد الجيولوجي بجامعة هالة وقد حفظت فيه مستكشفات العظام الاثرية وغيرها بعناية كبيرة

من المنفى الى العرش

أكبر مغامرة لنابليون

بقلم الاستاذ حسن الشريف

سيرة نابليون الأول سلسلة مغامرات حافلة بالعجائب والمدهشات ، ما نقلب صفحة من صفحاتها إلا ونقف معجبين بصاحب هذه الشخصية الفذة والعبقرية العديمة المثال . على أنا - مع تعدد وقائع تلك السيرة وتنوع حوادثها - لا نجد فيها مغامرة أوجب للدهشة وأدعى إلى الاعجاب من حادث مغادرة نابليون منفاه بجزيرة البـــا وعودته إلى عرش فرنسا فى ظروف وأحوال تجعل هذا الحادث لفرط غرابته أدخل فى باب الخرافات الضخمة والاساطير الفخمة منه فى باب الحوادث الواقعية والتاريخ الصحيح

* * *

قضت معاهدة فونتنبلو بأن يمنح الامبراطور نابليون بعد تنازله عن العرش جزيرة ألبا ملكا له يقيم بها ولا يغادرها على أن تكون خاضعة لسيادته سياسياً وإدارياً ، وعينت له مليونين من الفرنكات نفقة سنوية تطرقها اليه الحكومة الفرنسية ، وحددت له قوة عسكرية لحراسته مؤلفة من أربعمائة ضابط وجندى يختارهم من بين رجال حرسه الامبراطورى ، ووهبته قوة بحرية مؤلفة من نقالة حربية ذات ستة عشر مدفعاً وثلاث فلائك حربيـة أخرى للدفاع عن الجزيرة ضد هجمات القرصان

ولقد حل نابليون بمنفاه فى اليوم الرابع من شهر مايو سنة ١٨١٤ ، ومذ وطئت قدمه أرض ألبا استقبله أهلها بمظاهر العطف والترحيب ، فما لبث حتى اطمأن اليهم واطمأنوا اليه ونصب نفسه امبراطوراً عليهم فكان يستهل مراسيمه بهذه العبارة : « نحن نابليون امبراطور جزيرة ألبا ، رسمنا بما هو آت . . . »

وقد تألف البلاط الامبراطورى الجديد على نمط مصغر من البلاط القديم ، وأصبح لكل من كبار رفاق المنفى اختصاص معين وعمل معلوم ، وسرعان ما بدأ نابليون يأدب المآدب ويقيم السهرات يدعو اليها أعيان الجزيرة ويستقبلهم ويدنيهم منه ويقربهم اليه وفقاً لمصطلح مقرر أو بروتوكول

بيد أن شواغل هذه الامبراطورية المسرحية ومظاهر المرح التى كانت تتجلى فى أقوال نابليون وفى أعماله لم تكن فى الحقيقة إلا ستاراً يخفى فكرة هائلة تختمر فى رأسه ، فكرة بدت له فكان أول الامر يتحسسها ويداعبها، فلما بسمت له احتضنها ورعاها وجعلها شغل عقله ونفسه ، حتى اذا تهيأت له ظروف العمل وتجمعت لديه وسائل التنفيذ فاجأ أوربا والعالم بهروبه من منفاه واستعاد عرشه فى أيام قلائل ، وبجرأة ما تزال حتى اليوم محل إعجاب الناس وموضوع دهشة المؤرخين ، حتى ليذهب البعض الى القول بأن انتصاره فى تلك المغامرة لهو أعظم انتصار أحرزه فى حياته الحافلة بالانتصارات وحتى قال شاتوبريان : « لم نقرأ فى التاريخ ولا فى الاساطير ان رجلا أغار على مملكة وغزاها بمفرده غير نابليون »

كان نابليون يعلم أنه محاط بالجواسيس وأن عدويه الالدين ميترنيخ مستشار عرش النمسا وكاسلريه وزير انجلترا ،قد بثا حوله العيون والمخبرين يرصدون حركاته ويدونون كلماته ويوافون حكومتيهما بكل ما يبدر منه أو يصدر عنه . لذلك جعل همه فى أن يدخل فى روع أوربا أنه يئس من كل شيء ورضى من الحظ بهذه الخاتمة ، حتى يصرف عن نفسه تلك الرقابة اليقظة الساهرة ويوهمها أن ليس فى خلده ما يوجب الاهتمام والمراقبة . ولقد بدأ يكاتب صهره امبراطور النمسا ملحاً عليه فى أن يرسل اليه ابنه وزوجته مارى لويز ليقيما معه فى منفاه ، فكانت رسائله فى هذا الشأن تنم عن رغبته فى الاخلاد الى الدعة والراحة وعن استسلامه لما آل الامر اليه . وكان يتعمد الجهر أمام زائريه بتصريحات تبعث الى نفوسهم الاعتقاد بأنه هجر مطامعه وأحلامه ونبذ كل أمل فى استرداد عرشه وبأنه راض نفسه على الحقيقة الواقعة وهى أنه سيقضى الايام الباقية من حياته فى هذا المنفى القصى

أما الايام فكان يمضيها فى حركة دائمة ونشاط متواصـــل فيزور انحاء الجزيرة متعهداً أمورها مدققا فى التافه والكبير من هذه الامور ، مهتما بتشييد القلاع والحصون لحماية ملكه الصغير من غارات لصوص البحر ، متفقدا الحالة الاقتصـــادية والشؤون الاجتماعية فاحصاً وسائل الانتاج باحثاً عن أبواب التوفير وتدبير المال . فلما أحاط علماً بطبيعة الارض وباحوال السكان بدأ فى تحقيق مشروعات الاصلاح الكبرى التى تحتاج إلى أموال كبيرة وسنوات طويلة ، فعدل الضرائب الجركية والعقارية ومد القناطر على الترع وأنشأ الطرق والجسور وعنى بغرس الاشجار وتربية الحيوان ، وأقام مجلساً للادارة العامة بمثابة مجلس وزراء ، وقسم الاختصاصات على المديرين وجعل هؤلاء مسئولين أمامه عن شؤون الدولة . ولم يفته أن ينمى قواه الحربية ، فضم حامية الجزيرة الى جيشه الصغير وفتح بابه للضباط الذين انتهت مدة خدمتهم فى الجيش الفرنسى وللجنود المسرحين من خدمة هذا الجيش . وبذلك تكاملت لديه قوة عسكرية مؤلفة من الف ومائة جندى بضباطهم وكامل سلاحهم

وقصارى القول أن نابليون نجح نجاحاً كبيراً فى اقناع أوربا القلقة بل وفى اقناع المقربين اليه بأنه مل الجهاد والعناد وسئم حياة المغامرة والنضال وارتاح الى ما ارتضته له الاقدار ، ولكنه كان فى الوقت نفسه على اتصال دائم باصدقاء له فى القارة يوافونه بالأخبار ويقفونه على مجرى الامور واتجاه الاحوال ، فلم يغب عنه ان وزيره السابق تاليران يأتمر مع كاسلريه الانجليزى لنفيه الى جزيرة سحيقة فى المحيط الهندى ، وان البرنس ميترنيخ يدبر مؤامرة مع بعض الملكيين الفرنسيين لاغتيال حياته ، وان السياسة الاوربية اتفقت على أن تدفع بزوجته مارى لويز الى أحضان نبيل من ضباط النمسا اسمه الكونت نايبرج ليصبح عاشقا لها فيصرفها عن الاهتمام بمصير زوجها ومصير عرش ابنها . كذلك لم يغب عنه ما آلت اليه الامور بعده فى فرنسا : فقد كانت مصادر الاخبار من ناحيتها متفقة على ان الآمال التى عقدها الشعب على عودة الملكية قد خابت ، وان الجيش الذى أعزه نابليون قد بات يرجو رجعته ، وان الامة الفرنسية التى أصبحت ترى نفسها دولة ثانوية فى أوربا بعد أن كانت حتى الامس القريب سيدة العالم ، قد باتت تحن الى الرجل الذى طالما قادها فى سبل العز والمجادة حتى أوصلها الى ذروة المجد والسيادة . أما من ناحية السياسة الأوربية فقد اتفقت مصادر الاخبار أيضاً على انه قد حدث بها ما يحدث عادة بين حلفاء ضرورة انتصروا على عدو مشترك وجلسوا ليقتسموا تركته . فلقد دب الخلاف بين أصدقاء الامس واصطدمت شراهة انجلترا بمطامع النمسا فى مؤتمر فينا وبات الساسة الاوربيون وكأنهم يرقصون فوق بركان

تجمعت كل هذه المعلومات عند نابليون فأيقن ان ساعة العمل قد أذنت وان الفرصة المواتية قد تهيأت ففاتح صديقه الجنرال دورووه فى الامر ، وكان يعرف فيه التبصر والاناة ويسميه « الصاحب الحكيم »

ولو أن صاعقة وقعت بين قدمى دورووه لما أزعجته كما أزعجته كلمات نابليون وهو يقول له فى طمأنينة وسكون : « سنكون فى فرنسا بعدغد أيها الصديق » . ماذا ؟.. أيغادر الامبراطور منفاه ؟ وكيف يدخل فرنسا ؟ ومن أى طريق ؟ وصك التنازل ؟ والمعاهدة ؟ وبأى قوة يقاوم جيوش لويس الثامن عشر ودول أوربا ؟

مرت كل هذه الاسئلة بذهن « الحكيم » كما تمر ومضات البرق أمام البصر ثم هدأت العاصفة الحادة التى قامت برأسه وجلس الى سيده يفضى اليه بوساوسه وباشفاقه من خيبة المشروع مفصلا الصعوبات التى تحول دون تحقيقه ناصحاً بالتريث وحسن التدبير

فلما لم تجد كلماته سبيلا الى اقناع الامبراطور أطرق برأسه وأطرق دورووه طويلا ثم قال : « يشهد الله يا مولاى أنى فعلت ما يجب أن أفعل لأثنيك عن عزمك الخطير ، وما دمت لا تستمع إلى فلم يبق لى سوى الطاعة والتنفيذ . وأسأل الله أن يكلل عملنا بالنجاح والتوفيق »

وفى اليوم السادس من شهر فبراير سنة ١٨١٥ كان نابليون قد أعد عدة الرحيل واتخذ لكل طارىء أهبته ، ووقفت السفن فى الميناء تنتظر الأمر بالاقلاع . وكان خبر اعتزام الامبراطور السفر الى جهة غير معينة قد شاع بين الاهالى فى اللحظة الاخيرة فأقبلوا على إفريز الميناء واصطفوا ليودعوا الضيف العظيم . ولما انتصف الليل وسطع القمر فى السماء نشرت السفن قلوعها وتحركت تحمل أكبر مغامر عرفه التاريخ فى طريقه الى اكبر مغامرة دونها المؤرخون

• • •

لم يكن نابليون يعتمد فى نجاح مشروعه على الالف والمائة جندى الذين يتألف منهم جيشه، لان هذا العدد لا يثبت ساعة أمام جيوش الملك لويس الثامن عشر ولقد قال فى ذلك : « لست فى حاجة الى جيش أحارب به وانما انا فى حاجة الى حرس يدفع عنى فضول الجماهير » . لا ولم يكن نجاح مشروعه نتيجة مؤامرة محكمة بين أعوانه وقواد جيوش الملك كما ذهب الى ذلك بعض المؤرخين ، فلم يكن الجيش وحده هو الذى تخلى عن الملك وانما تخلت عنه الامة نفسها . وليس معقولا أن يتآمر فرد مع أمة . فاذا أردنا أن نعرف سر نجاح تلك المغامرة الفذة والعوامل التى اعتمد عليها الامبراطور فى هذا النجاح فلنسمعه وهو يتحدث بها الى صاحبه الكونت لاسكاز فيوردها هذا فى كتابه « ذكريات سانت هيلانة » إذ يقول :

« ... الواقع أن مشروعى لم تكن له سابقة فى التاريخ أحتذيها أو تشجعنى عليه .. ولكننى اعتمدت على الرأى العام وكنت أعلم أنه غير راض عن لويس الثامن عشر ، واعتمدت على اعتزاز الجيش بى وعلى أسفه لفراقى واستمراره على الولاء الشخصى . وكنت على يقين من أنه لا يلبث أن يرانى حتى تحضره ذكريات الماضى المجيد فيسير خلفى . ولعل أهم شىء وضعته فى مقدمة حسابى هو ذلك الذهول الذى يستولى على الناس وعلى أولى الامر حيال المفاجآت الكبيرة فيشل تفكيرهم ويؤدى بهم الى الاضطراب والارتباك فأصل الى غرضى قبل أن يفيقوا من ذهولهم أو قبل أن يكونوا قد صمموا على شىء أو شرعوا فى عمل شىء .. إن إحباط مشروعى كان يحتاج إلى رجل سريع الفهم سريع التدبير سريع التنفيذ ، رجل يقابل الجرأة بالجرأة ويقاوم السرعة بالسرعة ويعالج المجازفة بالمجازفة ، ولم يكن لويس الثامن عشر ذلك الرجل ولم يكن فيمن حوله رجل يصلح لذلك الموقف »

إذن فقد كان جل اعتماد نابليون فى نجاح مشروعه الجرىء قائماً على تلك الاعتبارات السياسية والنفسية لا على القوة المادية . لذلك أعد منشوراً موجهاً إلى الشعب وضعه بأسلوبه الخطابى الفخم الذى طالما خبر أثره فى نفوس رجاله ، قال فيه : إن الحلفاء لم يهزموه ، ولو حسنت نية بعض الرجال لوجد فى فرنسا من القوى الحيوية ما يسحق به أعداءه ، ولكن خيانة الماريشال مارمون والجنرال أوجيرو وتسليمهما المخزى هما اللذان أديا الى الكارثة ، وإنه لم

يتنازل عن العرش عجزاً ولا يأساً وإنما فعل ذلك حقناً للدماء وضناً ببلاده أن تنشب فيها الحرب الأهلية . وقال : « أما وقد رأيت الأعداء يفرضون أسرة البوربون على فرنسا فرضاً وينصبون لويس الثامن عشر ملكاً عليها يستمد سلطانه منهم لا منها ، أما وقد رأيت آل بوربون صنائع العدو يجيعون الأمة ليشبعوا نبلاءهم وأشرافهم ويقيمون على أنقاض حقوق الشعب حقوقاً لذوى الاقطاعات ويدوسون مبادىء الثورة الكبرى ويقدمون أصحاب الألقاب من العاطلين على خدام الوطن الذين كتبوا بدمائهم مجد فرنسا فى ميادين الجهاد ، أما وقد رأيتهم يجعلون الغرم والتضحية فرضــاً على الشعب والغنم والراحة حقاً للنبلاء والمهاجرين ، أما وقد سمعت بآلامكم وعرفت آمالكم وأيقنت أنكم إنما تريدون الحكومة التى تستمد كيانها من كيانكم وقوتها من قوتكم ، فقد اجتزت البحر لأستعيد حقوق وأعيد اليكم حقوقكم ولنعيد جميعاً إلى الوطن مجده الذى أذبله آل بوربون »

وأعد منشوراً ثانياً وجهه إلى رجال الجيش وختمه بقوله : « أيها الضباط والجنود ، تعالوا إلى وانضووا تحت لوائى ، فان تاريخى هو تاريخكم ، ومجدى هو مجدكم ، وما أنا إلا أحدكم ، لى ما لكم وعلى ما عليكم ، تعالوا أيها الضباط والجنود فان النصر سيسير بنا سريع الخطى وستطير أعلامنا خفاقة من برج إلى برج ومن مدينة الى مدينة حتى نبلغ باريس »

***

فى مساء أول مارس نزل نابليون وجنوده من السفن إلى البر وأرسل القائد كامبرون على رأس أربعين رجلا إلى مدينة « كان » ليقطع الطريق بينها وبين المدن الأخرى وليعطل البريد وسائر وسائل اتصال السلطات وأوصاه قائلا : « إنى أعهد اليك يا كامبرون بطليعة جيشى فى أهم معركة سيذكرها تاريخ حياتى ، ولكنى أريدها معركة سلمية بحيث أصل إلى عرشى بدون أن أطلق مقذوفاً نارياً أو أزهق روحاً أو أريق نقطة دم »

واتخذ الامبراطور خطاً لسيره الطريق الموصـــل من « كان » إلى باريس ماراً بجرينوبل وليون وديجون مفضلا إياه على طريق آخر أقصر وأسهل لعلمه بتعلق أهل مقاطعتى البروفانس والدوفينيه بمبادىء الثورة وبشخصه ولمعرفته بالصــعوبات التى تعترض تواصل السلطات الأدارية والحربية فى تلك الجهات الجبلية ذات المسالك الوعرة . وعسكر الامبراطور بالقرب من مدينة « كان » ، وانتشر النبأ بين الاهالى فهرعوا اليه ، بعضهم بدافع من الفضول والبعض بدافع من الولاء . وخرج اليهم نابليون فى رهط من حرسه فما لمحوا قبعته وسترته حتى عرفوه فأقبلوا عليه وقد فعلت فيهم طلعته فعل السحر فصاروا يهتفون له ويتمسحون به حتى خشى رجاله من تزاحمهم عليه فاخذوا يدفعونهم عنه وهو يقول : « ترفقوا بالشعب ولا تؤذوا أحداً »

ولقد استبشر نابليون بهذه البداية الطيبة فواصل زحفه حتى بلغ قرية « جراس » وأرسل

أمامه القائد كامبرون ليستطلع الأحوال فذهب الى عمدة البلدة طالبــاً منه أن يمد الجيش بالمؤن فسأله العمدة : « باسم من تتكلم ؟ » قال : « باسم جلالة الامبراطور نابليون » فاجاب العمدة ليبرىء ذمته وليخلص نفسه من المسئولية : « اسمع ما سأقوله يا جنرال واحفظه حتى لا تنساه أبداً . نحن هنا لا نعرف الا الملك ولا ندين بالطاعة لسواه » فانتهره كامبرون صائحاً : « لست هنا يا حضرة العمدة لاجادلك فى السياســة وانما جئت اطلب مؤناً للجيش فافعل ما آمرك به » وآنس العمدة أنه قام من واجب الولاء للملك بما فيه الكفاية وأنه لم يبق أمامه سوى التنفيذ فقال : « يشهد الله وأرجو أن تشهد أيضاً يا جنرال أنى انما أخضع للقوة القاهرة » ثم مال الى أذن كامبرون وأسر اليه : « أرجو أن تبلغ الامبراطور أنى فى خدمته وانى أدعو له بالتوفيق »

بمثل هذه الذبذبة وبمثل هذا النفاق كان عمال الملك لويس الثامن عشر يخدمونه فى الاقاليم فكانوا يغضون النظر عن منشورات نابليون وهى توزع فى كل مكان ويتعامون عن الرسل يتقدمونه فى البلاد ليبثوا له الدعوة وليهيئوا الناس لاستقباله والترحيب به ، ويتباطؤون فى اخبار السلطات القريبـــة منهم بزحف الامبراطور عليهم حتى يفوت الوقت وتضيع فائدة الاخبار وتصبح تلك السلطات امام الخطر الداهم بل امام الامر الواقع . لذلك لا نعجب اذا رأينا نابليون يحل بكل مدينة اهلا وينزل بكل قرية سهلا وتطير اعلامه ـ كما قال فى منشوره ـ من برج الى برج ومن مدينة الى مدينة حتى يبلغ باريس

ولقد تضاربت الانباء واختلفت الروايات فى الاقاليم ، فبينما كان يشاع فى مرسيليا ان عصابة من القرصان تزحف على المدن للسلب والنهب ، كان يشاع فى المقاطعات المجاورة ان فرقة من حرس الامبراطور قد غادرت جزيرة البا عائدة الى وطنها . وفى وسط هذا التضارب والاختلاف فى الانباء والروايات حارت السلطات فيما تعمل وانتهت بها الحيرة الى القعود عن اى عمل . وظلت الحال على ذلك ثلاثة ايام وصلت بعدها الاخبار صحيحة الى مدير مقاطعة « فار » فارسل يبلغها الى الماريشال ماسينا قائد حامية الجنوب الذى اسرع بدوره فأوفد رسولا الى باريس يبلغ الامر الى الملك والحكومة ، وجهز فى الحال تجريدة لتتعقب نابليون على امل ان تدركه عند بلدة « سيسترون » ثم اتصل بالجنرال لوفردو مدير اقليم الالب الجنوبى وامره بضم حامية بلدة « دين » الى التجريدة المسيرة نحو سيسترون لتتعاونا على قطع الطريق امام الامبراطور ولتحولا دون وصوله الى جرينوبل

بيد أن هذه الاجراءات لم تجد القائمين بها شيئاً ، فان تجريدة الماريشال ماسينا لم تستطع اللحاق بنابليون الذى كان متقدماً عليها بمسيرة يومين . ولقد فهم الضباط والجنود من التزام الماريشال ماسينا منزله ومن قعوده عن قيادتهم أنه يتحاشى أن يقف وجهاً لوجه أمام سيده

وولى نعمته السابق ، فلم يريدوا أن يكونوا أقل وفاء منه للامبراطور . وسرت هذه الروح منهم إلى حامية مدينة « دين » ، فأعلن الجميع التمرد والعصيان واصطفوا فى المعسكر وخلعوا من قبعاتهم الريشة البيضاء رمز الملكية وهتفوا جميعاً صائحين : « يحيى الامبراطور » . فرأى أولو الأمر أن يستسلموا للواقع وتركوا نابليون يواصل زحفه فى أمن وسلام

وكانت المنشورات تسبق الامبراطور الى المدائن والقرى فتفعل فعلها السحرى فى نفوس السكان فكانوا يهرعون الى الطريق العام ويستقبلون القادم العظيم فرحين مهللين ويقدمون له باقات الزهر وللجيش المؤن وبراميل النبيذ ثم يودعونه هاتفين بحياته داعين له أخلص الدعوات ، بل كان كثير منهم يتسلحون بما تصل اليه أيديهم من أدوات القتال ويتطوعون للانضواء تحت العلم الامبراطورى فيضخمون هذا الجيش الصغير ويضربون المثل لغيرهم من السكان فيقبلون هم أيضاً متطوعين

• • •

لم تكن وسائل التخاطب الكهربائية معروفة فى سنة ١٨١٥ فكانوا يعمدون فى المخاطبات المستعجلة الى التلغراف الهوائى أى الى اشارات مصطلح عليها تتلقاها المحطة وتنقلها الى ما بعدها وهكذا . على أن هذا التلغراف الهوائى لم يكن ممتداً من مدينة باريس الى أبعد من مدينة ليون . لذلك لم تصل رسالة الماريشال ماسينا الى باريس إلا ظهر يوم ٥ مارس . فلما رفعت الى الملك أمر بتبليغها الى وزير الحربية ليدبر ما يجب عمله . ولقد صح ما توقعه نابليون وغمرت الدهشة عقول الوزراء فلبثوا حتى المساء بين مصدق ومكذب لا يقررون شيئاً ولا ينتهون الى رأى . فلما تواترت الأنباء فى السهرة مؤيدة رسالة الماريشال ماسينا زادت الحيرة وعم الارتباك ، إلى ان عنت لوزير الحربية فكرة ارتاح اليها الملك ووافق عليها مجلس الوزراء . ذلك ان موراه ملك نابولى وصهر نابليون كان يقوم وقتئذ بحركات ضد فرنسا وقد جردت الحكومة الفرنسية جيشاً من ثلاثين الف مقاتل ليعسكر على الحدود الايطالية دفعاً للطوارىء ووقفاً لموراه عند حده . وكان هذا الجيش لا يزال سائراً فى طريقه . فاقترح وزير الحربية أن يعدل مؤقتاً عن توجيه هذه الحملة الى الحدود وأن تعرج على مدينة ليون لانتظار نابليون بها ، وبذلك يرى الامبراطور نفسه أمام جيش كبير لا قبل له به فيضطر الى التسليم أو ينقلب على عقبيه

وتداول الوزراء الرأى فيمن يتولى قيادة الحملة واستقر رأيهم على اختيار الماريشال ناى لما يعرفونه من العداء الذى استحكم بينه وبين نابليون قبيل تنازله عن العرش ، وقرروا أيضا أن يعهدوا الى الكونت دارتوا شقيق الملك فى الاشراف العام على التدابير العسكرية الموجهة ضد الأمبراطور . ثم انصرفوا بعد ان رسموا الخطة الكفيلة بدرء الخطر وهى تتلخص فى أن يفاجىء الماريشال ناى نابليون عند مدينة ليون فيصده عنها ويتعقبه شطر الجنوب ، ومتى ارتد نابليون

الى الخلف فاجأته تجريدة الماريشال ماسينا عند بلدة سسترون فيلقى نفسه بين نارين لا سبيل له إلى الخلاص منهما فتكون النهاية التى لا مندوحة عنها . وكأن الملك لم يكتف بكل ذلك فأمر باصدار منشور وقعه وزير الحربية وأعلن فيه ان بونابرت خارج على القوانين فهى لا تحميه وعلى ذلك فدمه مهدر ولمن يقتله جائزة قدرها خمسون جنيهاً . واطمأن لويس الثامن عشر الى هذه التدابير وايقن ان النجاح حليفها وبات رضى الخاطر هادىء البال ، وفى الصباح استقبل سفراء الدول وطمأنهم على مصائر الحال واكد لهم أن نابليون لامحالة واقع فى الشرك وان اوربا ستستريح منه الى الأبد . اما نابليون فكان جاداً فى طريقه الى العاصمة لا يتباطأ ولا يتلوم بل كان يرسل الطلائع فتحتل القرى فاذا اقبل استقبله الاهالى بعاصفة من التصفيق والهتاف وامدوه بالمؤن وودعوه بمظاهر العطف والولاء حتى اقترب من مدينة جرينوبل

وكان الجنرال مارشان قائد حامية جرينوبل قد استعد للمقاومة فصف جنوده عند مدخل المدينة بقيادة الكولونيل ديليسار بينما انصرف هوالى ترتيب وسائل الدفاع فى الداخل.واقبل رسول من قبل الأمبراطور يدعو الحامية الى التسليم فانتهره ديليسار صائحاً : « قل لسيدك انى ساقوم بواجبى حتى النهاية » . فلما استبطأ نابليون رسوله أوفد ضابطاً تقدم حتى اقترب من الجنود وقال: « ايها الجنود ، هذا هو امبراطوركم قادم اليكم فاول رصاصة تطلقونها ستصيبه فتكونون مسئولين عن هذه الخيانة أمام وطنكم وامام التاريخ » . وفى هذه اللحظة وصل نابليون فى مقدمة رهط من رجال حرسه وظل يتقدم بقدم ثابتة وجأش رابط وثغر باسم وقد أمر رجاله بحمل البنادق تحت الذراع اليسرى ايذاناً بالمسالمة . فلما صار على مرمى رصاصة من الجنود وقف وفتح صدر سترته بيديه وأهاب بهم : « يا جنودى الأعزاء ويا شركائى فى بناء مجد الوطن ! من أراد منكم أن يقتل نابليون فليفعل » . عندئذ سرت فى الرجال قشعريرة لا توصف فارتعشت أيديهم وأرجلهم وخفقت قلوبهم وتبادلوا النظرات ثم البسمات وآنس الكولونيل ديليسار أن أمراً عجيباً سيقع فاراد تداركه وصاح : « اطلقوا النار » . وهنا وضع نابليون يده اليمنى بين أزرار سترته وجعل يده اليسرى وراء ظهره ووقف أمام الجند تلك الوقفة التى طالما صوره عليها المصورون هادىء النفس حاد النظر يرقب ماسوف يكون . وأعاد ديليسار النداء مكرراً : « اطلقوا النار » ، واذا الجنود يلقون سلاحهم الى الأرض واذا هم يصيحون من اعماق صدورهم : « يحيى الأمبراطور ! » ، ثم يخرجون من الصفوف فيلتفون بنابليون ـ هؤلاء يقبلون يديه وأولئك يربتون على كتفه والبعض يعانقه والبعض يتمسح به والجميع يرددون : « امبراطورنا المحبوب ، امبراطورنا العزيز ، نحن رجالك فقدنا الى حيث تشاء » .

وإذ أبصر ديليسار ما كان من أمر فرقته امتطى صهوة جواده وانصرف محنقاً غاضباً حتى التقى بالفرقة التى كان الجنرال مارشان قد أعدها تحت قيادة الكولونيل لابيدوايار لحماية مدينة

جرينوبل من الداخل ، فافضى الى زميله بما حدث فأحاله هذا الى القائد ليستطلع رأيه ولبث فى مكانه ينتظر

كان لابيدوايار من ضباط نابليون الممتازين ولطالما خصه الامبراطور بعطفه وأفاض عليه من نعمه حتى أوصله وهو بعد فى مقتبل الشباب الى رتبة كولونيل . واذا كان قد رضى بخدمة الجيش فى عهد عودة الملكية فلأنه كأكثر زملائه ، لم يرض أن يخوض غمار السياسة الحزبية فآثر البقاء فى وظيفته مخفياً ميوله منتظراً ما ستؤول اليه الأحوال . فلما قضت الظروف أن يخرج لقتال سيده وولى نعمته امتثل كارها وخرج تتنازعه عاطفة الواجب نحو ملكه وعاطفة الحب لامبراطوره فكان شديد الحيرة بين العاطفتين متردداً غير مستقر على شىء . بيد أن ما نقله اليه زميله ديليسار من ميل الجيش الى نابليون وما ترامى اليه من تعلق السكان به ، وما آنسه من عطف رجاله واخوانه على امبراطورهم السابق ، كل ذلك أثر فى نفسه أبلغ الاثر حتى لم يعد يستطيع مغالبة ميله ناحية نابليون . فلما دخل نابليون المدينة والتقى بصاحبه القديم أشار اليه بيده من بعد إشارة مودة أذكرته بكل ذلك الماضى الطويل ، نخفق منه القلب وزاغ البصر وأخرج من جيبه النسر — وهو شارة نابليون — وعلقه فى طرف سيفه ورفع السيف وصاح فى جنوده : « أيها الرجال هذا امبراطوركم فحيوه » ثم هتف بصوت عال : « يحيى الامبراطور » فردد الرجال هتافه صائحين : « يحيى الامبراطور » ، وانطلق حتى وقف بين يدى نابليون وقال : « يا مولاى ما دام الجيش قد عصانا فى قتالك فنحن لا نعصى الجيش » . فعانقه الامبراطور وربت على كتفه ثم داعب أذنه بأصبعيه وقال : « انى واثق بك ومستبقيك على رأس فرقتك فهيا أمامى الى ليون »

سقط فى يد الجنرال مارشان عند ما الفى الدائرة تدور عليـــه والجيش متمردا والأهالى ينضمون بالمئات مسلحين إلى جيش الامبراطور فقرر إخلاء المدينة وسحب الحامية . ولكن هذه الحامية كانت داخل القلعة ولا سبيل الى الاتصال بها وقد سار اليها نابليون قاصداً الاستيلاء عليها . عندئذ يئس مارشان من كل شىء فهرول الى بيته مسلماً لله الأمر منتظراً ما تجرى به الأقدار

ووصل نابليون الى باب القلعة وأمر ضابطها بفتحه نخاطبه الضابط من الداخل قائلا إنه لا يتلقى أمراً إلا من قائده . وعندئذ تجمع الأهالى على الباب الكبير وحطموه ثم جاءوا به الى الأمبراطور قائلين : « يامولاى ، ماداموا لا يريدون تسليم مفتاح الباب فنحن نجيئك بالباب نفسه » ، وخرجت الحامية من القلعة ووقفت تنتظر الأوامر من ضباطها ولكن الامبراطور بادر فأعلمهم أنه عزل الجنرال مارشان من القيادة وأحل محله الكولونيل لابيدوايار . ثم تقدم الكولونيل وتناول علم الحامية وصاح : « أيها الجنود لقـــد أصبحنا لا ندين بالولاء لغير

الامبراطور فاهتفوا معى ليحى الامبراطور ، فرمى الجنود الريشة البيضاء من قبعاتهم وصاحوا هم الآخرون : « يحيى الامبراطور »

وصل الكونت دارتوا شقيق الملك الى ليون آملا أن تكون حامية جرينوبل قد نجحت فى صد نابليون أو على الأقل عاقت تقدمه الى الأمام حتى تصل النجدة الى الكونت من الماريشال ناى . ولكن جرينوبل ـ كما رأينا ـ كانت قد فتحت أبوابها للامبراطور مستسلمة له ، فلم يصبح فى مكنته أن يدافع عن ليون بالقوات الضئيلة المرابطة فيها . ولقد ألفى الكونت دارتوا نفسه فى أحرج المواقف إذ أن الجيش المؤلف من ثلاثين ألفاً الذى صدرت اليه الأوامر بالعدول عن التوجه الى الحدود الايطالية وبالتعريج على ليون ، لم يكن قد وصل بعد ، وحامية المدينة التى قيل له انها مؤلفة من ستة آلاف جندى لم تكن فى الحقيقة إلا ألفاً وخمسمائة رجل معظمهم يدينون لنابليون بالولاء حتى انهم رفضوا أن يستعرضهم الكونت عسكرياً

ثم توالت الحوادث بسرعة باعثة اليأس إلى نفس الأمير قاطعة الرجاء فى كل مقاومة ، فلقد جاءه الجنرال ماكدونالد مؤكداً أن الحالة المعنوية فى الجيش الملكى سيئة وأنه لا يتحمل مسئولية قيادة رجال سيغتنمون أقرب فرصة لاعلان التمرد والعصيان . وبعد أخذ ورد أشار الجنرال على الأمير بأن ينجلى عن المدينة تحاشياً للفضيحة وستراً للظواهر الى أن يصل الماريشال ناى

أما الماريشال فكان قد وصل الى مدينة بزانسون مطمئناً واثقاً ولكنه لم يلبث حتى بدأ يشعر ببوادر خيبة الأمل ثم انقطع رجاؤه نهائياً عند ما علم بالجلاء الكونت دارتوا عن ليون ، فكتب الى الملك يشرح له تفاصيل الحالة ويطلب منه امداده بالمدافع والرجال . وبينما هو ينتظر جواب الملك أو وصول الثلاثين ألفاً جاءته الأنباء بأن مدينة ليون استسلمت لنابليون بلا قتال وأن قسماً كبيراً من جيش الملك هجر المعسكرات وانضم الى الامبراطور . وفى الوقت نفسه راجت إشاعة قوية بأن الملك غادر باريس هارباً مع أعضاء البيت المالك ورجال البلاط

عندئذ أيقن الماريشال أنه يدافع عن قضية خاسرة هجرها أصحابها يأساً منها ، إلا أنه حاول أن يمضى فى القيام بواجبه حتى النهاية وأن يحقق وعده للملك بأن « يقدم اليه نابليون فى قفص » ، فكتب الى وزير الحربية يحثه على ارسال النجدة . ولكن الفاتح كان ينهب الأرض ويتوغل فى المدائن والقرى كما تتوغل النار فى الهشيم فاستولى على ليون ثم شالون ثم ديجون وكل ذلك فى غير جهاد ولا قتال إذ ما هو إلا أن يهل على بلد حتى يخرج اليه أهله مرحبين مهللين فحقت قولة القائل : إن فرنسا كانت ترتمى فى أحضانه كما ترتمى الحسناء المدلهة فى احضان عشيقها

ولسنا نريد اليوم ان نفصل تلك الثورة النفسية العنيفة التى قامت فى نفس الماريشال ناى ولا الظروف التى أحاطت به وادت الى خيانته لقضية الملك وانضمامه الى نابليون ، فلقد افردنا لهذه الحادثة مقالا خاصاً فى هلال ابريل سنة ١٩٣٠ ، وحسبنا الآن أن نذكر القارىء بان

الماريشال بعد أن وزن الأشياء وزناً صحيحاً ألفى أن المقاومة جهد ضائع ، وأن جيشه لاينتظرا غير الساعة التى يهرع فيهـــا الى الامبراطور ليحارب تحت لوائه ، وأن الملك قد هجر عاصمته مؤثراً راحة المنفى على متاعب الجهاد ، وأن كل شيء يبشر بنجاح نابليون ويؤذن بانتصاره ، وأن المقاومة فى هذه الحالة انما هى الحرب الأهلية من أجل قضية خاسرة خانها أصحابها وتألبت عليها القوى من كل ناحية . وتذكر الماريشال ما عاناه الجيش من إهمال الملك وعدم اهتمامه بامره وما قاسته الأرستقراطية العسكرية من صلف النبلاء والأشراف فى العهد الجديد ، ومرت بذهنه تلك الليالى التى كانت زوجته تعود فيها من القصر باكية مما صادفته من احتقار سيدات البلاط . ثم عرض الرجل لتاريخ حياته وذكر أنه اذا كان اليوم ماريشـــالا وأميراً فانما هو كذلك بفضل نابليون وبفضل الجهود التى بذلها فى خدمة نابليون . وانتهى به تفكيره وتردده الى أن قال فى نفسه : « ان الخيانة ـ ان كان ثم خيانة ، انما هى أن أشهر السيف فى وجه الامبراطور الذى وضع السيف فى يدى لاكون له نصيراً اذا جد الجد ودعا داعى الفداء »

وكان ما لم يكن منه بد وتلا الماريشال على الجيش منشور الامبراطور وأضاف اليه قوله : « إن قضية آل بوربون قد قضى عليها القضاء الاخير ، وإن الاسرة الشرعية التى اختارتها فرنسا وارتضتها عائدة الى عرشها ، فليس لأحد أن يدعى حقا فى تاج بلادنا غير جلالة الامبراطور نابليون » ولما أتم كلمته صاح الجيش كله هاتفاً بحياة الامبراطور ماعدا الضابط الكونت دى جريفيل فانه شق لنفسه طريقاً بين الصفوف ووقف بجواده أمام الماريشـــال وأخرج سيفه من قرابه وكسره على مقدمة سرجه وهتف قائلا : « يحيى الملك » ، واختفى

ولحق الماريشال ناى بالامبراطور فى بلدة أوكسير فكان عتاب وكان تفاهم وعناق وعادت المياه الى مجاريها وتناسى الرجلان ما وقع بينهما منذ ثمانية شهور

وبعد ، فلقد نمل القارىء إذا نحن تتبعنا نابليون فى زحفه من ليون الى باريس . لذلك نجتزىء بان نقول إن الامبراطور لم يلق مقاومة فى مدينة من المدن الواقعة فى طريقه وإن القوى التى جردتها عليه الحكومة لم تكن تلتقى به إلا لتنضوى تحت لوائه حتى أصبح أمر هذه التجريدات موضوعاً لسخرية الناس وفكاهتهم . ومن الطف ما يروى فى هذا المقام أن أحد الظرفاء علق يوماً على السور المحيط بنصب فاندوم خطاباً هذا نصه : « من الامبراطور نابليون الى الملك لويس الثامن عشر . أما بعد فانى أرجو أيها الاخ الكريم أن تكف عن إمدادى بجنودك فان لدى منهم الآن فوق الكفاية »

وكان نابليون كلما دخل مدينة ظهر فيها بمظهر الحاكم الشرعى ، فكان يستعرض الجيوش ويستقبل الهيئات النيابية ورجال القضاء والاكليروس وأساتذة المدارس ويعزل بعض العمد ويعين غيرهم وينعم بالاوسمة والنياشين على كبار الموظفين ويتقبل شكايات الاهالى ويعطف على

رغباتهم ويعد بتحقيق مطالبهم ، شأن كل امبراطور يتفقد أحوال رعيته فى اكثر ما يكون من الطمأنينة والهدوء ، لاشأن معتقل دولى هارب من منفاه تطارده الدنيا وتسير الجيوش للقبض عليه

أما باريس فقد بلغ من تحمس حاميتها لنابليون حداً لم يدع للملكيين اى امل فى الجيش حتى أن الدوق دى ريجيو جمع ضباط احدى الفرق يوما وابلغهم وعد الملك بترقيتهم ورفع مرتباتهم اذا هم اخلصوا فى الدفاع عنه فاجابوه : « نحن آسفون ولكن أوامرجلالة الامبراطور قد وصلتنا اليوم ونحن لا نعرف سيداً سواه » وحدث ان الحكومة استدعت فرقتين من الجيش من مدينتى ميتز ونانسى لتعزيز حامية العاصمة ، وقد احس اولو الامر بان العدوى النابليونية سرت اليهما فاوفدوا احد القواد ذوى المكانة فى نفوس الضباط ليتعرف حقيقة الحال فذهب الى ناديهم وأهاب بهم : « ايها السادة ، ارجو ان تكونوا عند ثقتى بكم وان تعدونى بالطاعة والاخلاص » فردوا عليه قائلين : « لاشك فى اننا نطيعك ونخلص لك اذا تقدمتنا الآن لتنضم معنا الى الامبراطور »

ولقد ساءت الأحوال فى الجيش حتى كتب الماريشال اودينوه الى الملك : « كنت اظن حتى أمس ان لدينا من الجنود من نعتمد على ولائه ، اما اليوم فيحملنى اخلاصى لجلالتكم على ان اصرح بانه لا يوجد الآن جندى واحد يشهر السلاح فى وجه نابليون »

عندئذ انعقد مجلس الوزراء للتشاور فى الامر وتعددت الاقتراحات وتنوعت المشروعات ثم استقر الرأى على أن يغادر الملك باريس الى مدينة قريبة من الحدود الشمالية لينتظر فيها تطور الحوادث ، حتى إذا لم يبق أمل استطاع أن يلتمس له ملجأ فى بلجيكا أو انجلترة . وفى ليلة العشرين من شهر مارس ركب لويس الثامن عشر عربته فسارت يتبعها رتل من العربات تحمل أعضاء البيت المالك وبعض رجال وسيدات البلاط متجهين شطر الحدود . وأصبحت باريس فى اليوم التالى بلا ملك ولا حكومة

وكان نابليون قد وصل الى ضاحية فونتنبلو ، وهناك وافته الاخبار بارتحال الملك والحكومة والبلاط ، فقرر أن يبيت الليلة فى قصر التويلرى وغادر فونتنبلو الى باريس وهو يخوض بعربته أمواجاً متدافعة من الجماهير التى تجمعت لاستقباله وتحيته ، حتى اذا بلغ القصر الفى ساحته غاصة بالمراشلة والقواد وأعيان الدولة وكبار الموظفين فما إن نزل من العربة حتى تلقفوه فحملوه على أكتافهم وأوصلوه الى حجرة مكتبه . وانقضى هزيع من الليل والجماهير تحيط بالسراى حاملة المصابيح والمشاعل صائحة فى حماسة بالغة : يحيى الامبراطور

حسن الشريف

مصادر هذا المقال : —

1815. Tome II par Henry Houssaye, de l'Acaddémie Française
Le Mémorial de Sainte - Hélêne, par le Comte de Las - Cases

التراث المنسى

نهاية الارب

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

تحدث الاستاذ محمد عبد الله عنان في عدد مايو من الهلال عن كاتب من كتاب الموسوعات العربية هو ابو العباس القلقشندي مؤلف «صبح الاعشى» ، وتحدث عن موسوعته وطريف محتوياتها . وهو يتحدث اليوم عن كاتب آخر من كتاب الموسوعات هو النويري صاحب «نهاية الارب» وعن مجهوده وموسوعته. وقد كان القرن الثامن الهجرى ، عصر الموسوعات الادبية والتاريخية الكبرى . وكانت مصر موطن هذا المجهود الذي لم تعرفه الآداب العربية من قبل ، وكان كتاب هذه الموسوعات الفريدة جميعاً مصريين

كان النويرى الذى نريد أن نتحدث عنه اليوم رأس هذه المدرسة وأول هذا الثبت من كتاب الموسوعات . وهو شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب بن محمد المعروف بالنويرى ، ولم نعثر على تاريخ مولده . ولكن الظاهر انه ولد حوالى سنة ٦٦٠ هـ ، وتوفى سنة ٧٣٢ هـ أو ٧٣٣ هـ (١) (١٣٣٣ م) . ودرس النويرى بالقاهرة وأزهرها . والظاهر انه تخصص نوعا فى دراسة الحديث والتاريخ والادب ، واشتغل فى شبابه مدى حين بنسخ الكتب الجليلة ، وكان أنيق الخط ، يكتب النسخة من صحيح البخارى ويبيعها بألف دينار (٢) وظهر النويرى بكفاياته الادبية واتصل ببلاط الملك الناصر بن قلاوون فى سلطنته الثانية (٦٨٨ - ٧٠٨ هـ) ثم الثالثة (٧٠٩ - ٧٤١ هـ) ونال عطفه وحظوته ، وتقلب فى عدة وظائف ادارية ومالية ظهرت فيها جميعاً كفايته وتفوقه . ويعدد النويرى لنا بعض هذه الوظائف فى مقدمته . فيقول انه مارس الكتابة وبسط الخرائد . وتولى أعمال الحسبة . والمقايسات ، والمحاسبة والتحصيلات ، والنظر على الغلات والاعتصار ، والعلوفات والمبيعات وغيرها (٣) ويقول لنا ابن حجر فى « الدرر الكامنة » ان الملك الناصر وكل النويرى فى بعض أموره ، وانه باشر نظر الجيش بطرابلس وهى وظيفة عسكرية هامة . ولا ريب ان هذا المزج والتباين فى نواحى الحياة الادبية والعملية معاً كان له أثر كبير فى تكوين النويرى وتوسيع معارفه العامة وثقافته النظامية والادارية والمالية

---

(١) يقول بالرواية الاولى ابن تغري بردي في المنهل الصافي (مخطوط) ويقول بالثانية ابن حجر في « الدرر الكامنة » (١ ص ١٩٧) ، ويقول السيوطي انه توفي سنة ٧٣٠ ، وهو خطأ ظاهر لان النويري يصل في تاريخه الى سنة ٧٣١ حسبما نبين بعد (٢) ابن حجر في الدرر الكامنة (٣) نهاية الارب (طبع دار الكتب) ج ١ ص ٣

التى يبرهن على متانتها فى مواضع كثيرة من موسوعته

ثم عاف النويرى هذه الحياة الادارية الجافة فنبذها وتطلع الى الادب والانقطاع له. وعكف على الدرس والمطالعة الواسعة حتى ارتوى من مناهلها. وخطرت له عندئذ فكرة إخراج موسوعته الضخمة. ويحدثنا النويرى فى مقدمته عن نشأة مشروعه فيقول: « فامتطيت جواد المطالعة، وركضت فى ميدان المراجعة، وحيث ذل لى مركبها وصفا لى مشربها، آثرت أن أجرد منها كتاباً أستأنس به وأرجع اليه، وأعول فيما يعرض لى من المهمات عليه، فاستخرت الله سبحانه وتعالى وأثبت فيها خمسة فنون حسنة الترتيب. بينة التقسيم والتبويب »

ونستطيع أن نضع الفترة التى شغلها النويرى بالدرس والتنقيب ما بين سنة ٧١٠ و٧٢٠ ه. والظاهر انه قطع حياته فى الوظائف العامة فى الاعوام العشرة التى سبقت هذه الفترة أعنى فى عهد سلطنة الملك الناصر الثانية، ثم انقطع الى البحث والدرس بعد ذلك. وعلى أى حال فقد أخرج لنا النويرى أول جزء من موسوعته الكبرى فى ذى القعدة سنة ٧٢١ حسبما يقرر ذلك فى خاتمة هذا الجزء(١) ولكن يبدو أيضاً من نظام هذا المؤلف الضخم وتبويبه ان النويرى قد وضع تصميمه وهيكله جميعا قبل أن يبدأ فى كتابته، وانه استوعب من قبل جميع مواده ومراجعه. ومن المحقق ان النويرى اعتمد فى جهوده على مادة غزيرة من المراجع فى جميع فنون الادب العربى. ذلك ان ما يقدمه الينا النويرى فى ثوب « كتاب يستأنس به ويرجع اليه » انما هو موسوعة ضخمة جمعت طائفة عظيمة من المواد والمعارف الادبية والتاريخية الحافلة التى لم يجمعها من قبل ولا من بعد كتاب فى الأدب العربى

والآن لنر ماذا تحتويه تلك الموسوعة المدهشة التى شغلت حياة أدبية حافلة بأسرها. ويسمى النويرى موسوعته: « نهاية الارب فى فنون الادب» وهو بذلك يعطيها طابعها الادبى. فالنويرى لم يعالج فى موسوعته إلا ما كان « الادب » يسيغه ولكن باوسع المعانى. فالأدب المحض، والتاريخ والجغرافيا، والسياسة الملكية، والبيان والبديع، والامثال والأوصاف، مما يفيض فيه النويرى، ولكنه لا يتناول الكلام على المواد العلمية المحضة مثل الطب والرياضة والكيمياء وغيرها، واذا كان يفيض فى الكلام على فروع يطبعها الطابع العلمى مثل أنواع الحيوان والنبات فانه يعالجها من الناحية الوصفية والأدبية ايضا. وتشغل موسوعة «نهاية الأرب» واحداً وثلاثين مجلداً ضخماً كل مجلد يشغل جزئين (٢) ونستطيع أن نتصور من تأمل هذا القدر أى مجهود شاق اضطلع به النويرى واستطاع أن يخرجه بمفرده

وقد وضع النويرى لموسوعته تصميما روائيا مدهشا يقوم على خمسة « فنون » وكل فن

(١) نهاية الارب ج ١ ص ٤٠٠

(٢) مرجعنا فى هذا الوصف نسخة دار الكتب الفتوغرافية المنقولة عن احدى نسخ استانبول

ينقسم الى خمسة أقسام ، وكل قسم ينقسم الى عدد من الابواب . وهذه الفنون الخمسة تنقسم الى مجموعتين كبيرتين : الأولى تشمل من الفن الأول الى الفن الرابع ، وتشغل عشرة مجلدات ، وهي التي صدرت حتى اليوم من الكتاب بعناية دار الكتب في أحد عشر مجلداً ، وتشتمل المجموعة الثانية على الفن الخامس فقط ، وتشغل واحداً وعشرين مجلداً . وهذا بيان الفنون الاربعة الأولى :

الاول - في السماء والآثار العلوية ، والارض والعوالم السفلية ، وهذا القسم جغرافي ويتناول الكلام على خلق السماء و الملائكة والكواكب ، والظواهر الطبيعية من سحاب ومطر ورعد وبرق وغيرها ، ثم الليالي والأيام والشهور والأعياد والمواسم ، ثم الكلام عن الارض والجبال والبحار والأنهر ، وطبائع البلاد والسكان والمباني والآثار وغيرها

الثاني - وعنوانه الانسان وما يتعلق به - يتناول الكلام على الانسان وخلقته وأعضائه وعن النساء وخلالهن وما ورد فيهن من المديح والغزل ، ثم الكلام على الصور الوصفية من مدح وهجاء ومجون ، ومن النوادر والملح ، والكلام عن القيان والندماء والسقاة وعن الغناء وأخبار المغنين . ويتبع هذا الفن أيضاً الكلام على الملك والسياسة الملكية ، وشروط الامامة ، والخلال التي يجب أن يتحلى بها الملوك والوزراء والقادة وغيرهم ، ثم القضاء والحسبة وغيرها من الوظائف العامة ، وعن الكتابة وشروطها وما يتعلق بها من علم المعاني والبيان والبديع

الثالث - وعنوانه الحيوان الصامت - يتناول الكلام على الحيوانات الضارية والأنيسة ، وأوصافها وعاداتها ، ثم عن الهوام ، ثم الطيور وأنواعها من برية وداجنة ، ثم الاسماك والحشرات بأنواعها

الرابع - النبات ، وفيه يتحدث المؤلف عن الشجر والنبات وأنواعها وثمارها ، وعن الفواكه والازهار ، ثم أنواع الطيب والعطور وكل ما يتعلق بها

وفي الفن الخامس وهو التاريخ ينقلب النويري مؤرخاً عظيماً . والواقع ان هذا الفن الذي يشمل واحداً وعشرين مجلداً بأكملها هو قوام هذه الموسوعة العظيمة ، وقد وصف المعاصرون بحق « نهاية الأرب » بأنه « تاريخ » ، ووضع النويري دائماً بين المؤرخين ولم يسبق النويري من المؤرخين المسلمين الى وضع موسوعة تاريخية بهذه الضخامة سوى قلائل جداً مثل ابن عساكر والذهبي . ويرجع النويري في كتابة التاريخ الى أصل الخليقة ، ويخصص له ولأخبار الانبياء نحو مجلدين ، ثم يبدأ بالكلام على تاريخ اليهود وأنبياء اليهودية ويخص تاريخ سليمان وقصصه بافاضة ممتعة ، ثم يتناول تاريخ المسيح ونشأة النصرانية ، وبعدئذ يبدأ حديثه عن التاريخ القديم بالاسكندر المقدوني وتاريخ مصر الغابرة ، ثم تاريخ الفرس القديم . ومن المحقق ان النويري لم يخرج في ذلك عما كتبه الأوائل من الاساطير والقصص المتداولة ، ولكنه

يبدى فى استيعابها جلداً مدهشا . ومنذ أواخر المجلد الثالث عشر يبدأ النويرى تاريخ العرب قبل الاسلام وأيام العرب ووقائعها ، ثم تاريخ الاسلام والنبي العربى ، أو تاريخ الملة الاسلامية كما يسميه منذ الرسالة النبوية ، وأخبار النبي ، وخصومة قريش ثم الغزوات النبوية وأخبار الوفود ، وأخبار الصحابة والموالى،ومآثر النبي وآثاره . ويشغل هذا القسم وحده ثلاثة مجلدات كبيرة ، ويلى ذلك تاريخ الخلفاء الراشدين ، وتاريخ على وخصومته مع معاوية باسهاب . ثم أخبار الدول الاسلامية مبتدئاً بالدولة الأموية منذ المجلد الثامن عشر ، وتشغل أخبار الدولة الأموية مجلدين كبيرين ، ثم تليها الدولة العباسية منذ قيامها الى خلافة المستظهر وتشغل أيضا نحو مجلدين ، ويخصص النويرى لتاريخ الدولة الاموية بالاندلس قسما كبيراً (هو الجزء الثانى من المجلد الحادى والعشرين) . وبعدئذ يأتى تاريخ افريقية منذ فتحها حتى نهاية الاغالبة ، والدول البربرية المختلفة حتى المرابطين والموحدين . ويبدى النويرى اهتماما خاصا بتاريخ الشيعة منذ أيام على وبنيه ، ويتحدث عن مختلف الدعوات الشيعية فى فارس وخراسان ، وعن ثورة القرامطة وتاريخهم باسهاب (المجلد الثالث والعشرون) ثم تاريخ الامم الاسلامية فيما وراء النهرين وتاريخ السلاجقة ، وما تفرع من دويلاتهم فى الجزيرة وآسيا الصغرى والشام (مجلد ٢٤ و ٢٥) ثم تاريخ الدولة الفاطمية (مجلد ٢٦) والدولة الايوبية (مجلد ٢٧) وتاريخ الشام والصليبيين (مجلد ٢٩) ثم تاريخ مصر منذ دول المماليك مرتبا بالسنين حتى سنة ٧٣١هـ وهذا هو ختام الموسوعة حسبما انتهت الينا . والظاهر ان النويرى كان يقيد حوادث عصره تباعا وانه كان ينوى متابعة الكتابة لولا أن عاجله الموت ، بدليل ما ورد فى ختام المجلد الحادى والثلاثين من الاشارة الى المجلد القادم وأوله حوادث ٧٣٢ ، وقد توفى النويرى فى رمضان من هذا العام أو رمضان من العام التالى أى سنة ٧٣٣

هذه هى محتويات نهاية الارب وفى جمعها فى صعيد واحد وفى تنظيمها على هذا النحو ما يشهد بكثير من البراعة والجلد . ومن المحقق ان مجهود النويرى يقوم بالاخص على النقل من المراجع والاسفار المتقدمة . ولكن هذا المجهود يطبعه فن خاص لا شك فى قيمته ونفاسته . ومن المحقق ايضا ان موسوعة النويرى التاريخية تتبوأ بين المراجع التاريخية الكبرى مقاما رفيعا ، وان لم يظهر منها حتى اليوم سوى القليل . وقد اهتم البحث الاوربى منذ بعيد بمجهود النويرى التاريخى ونشرت بعض أبوابه وترجمت الى اللاتينية والفرنسية وبالأخص تاريخ صقلية وافريقية . واذا كان مما يبعث الى الغبطة أن دار الكتب المصرية قد عنيت باخراج نهاية الارب . فانه مما يدعو الى الاسف أن يسير إخراجه بهذا البطء . ورجاؤنا أن تضاعف دار الكتب جهدها وعنايتها فى إخراج هذه الموسوعة الفريدة باسرع ما يستطاع لتأخذ مكانتها الحقة بين المراجع العظيمة المتداولة فى الادب العربى والتاريخ الاسلامى

محمد عبد الله عنان

من الادب الروسى

الجريمة والعقاب

خلاصة قصة دستويفسكى الخالدة

انصرف عن الناس ، وانقطع عن دراسته ، وانزوى وسط همومه فى شرود وذهول .. لقد ثقلت عليه الآلام حتى لم يعد يشعر بها ، فالمرض يضنى جسمه ويذويه ، والضيق يتحجر على قلبه ويحز فيه ، والخوف يشده ذهنه ويشتته فى مهامه سود ، ذلك ان الفاقة والهزال يعتصران جسمه كما تعتصر الليمونة يد خشنة قوية . فأنت لا ترى هذا الشاب المرهف الشعور المثقف العقل إلا حاسر الرأس ، شارد الفكر ، ينظر ولكن لا يرى ، وينصت ولكن لا يسمع ، ويفكر ولكن لا يعى !

وهو مع ذلك يدبر أمراً خطيراً

هذه المرأة العجوز لم يبق لها من العمر إلا أيام تعد . وليس لها من الخلف ابن ولا حفيد . وهى مع ذلك تكتنز المال طبقة فوق طبقة . دون ان تنتفع به او تدع الناس ينتفعون به . والى جانب هذه آمال ممدودة ولكن الفقر يبتها ، وأحلام مبسوطة ولكن الفاقة تقبضها ! بنى قوية تهدم ، عقول متوهجة تنطفىء ، قلوب مشبوبة تبرد ، عزائم مرهفة تخور ، لأن شيئا واحداً ينقصها هو المال . مال هذه المرأة التى أوصت به بعد موتها لرهبان الدير ! أطفال يتضورون جوعا وهم يساقون إلى الفساد . نساء يبعن أجسادهن لكل شار فكأنهن خرق يمسح بها الرجال شهواتهم . رجال يكدون ويكدحون كالبهائم والانعام . ويشقون بآثامهم التى لا نجاة لهم منها .. لماذا ؟ لأن هذا المال مكتنز فى الجحور أو تحت الصخور

لماذا لا ينقذ هؤلاء جميعاً من الجوع والعرى ، من المرض والموت ، من الجهل والظلام ، من القسوة والاجرام ؟ أمن أجل حياة واحدة لا خير فيها ، يدفن آلاف من الأقوياء النافعين؟ فليقتلها ! انها ميتة واحدة ، ولكنها تبعث إلى الحياة ألوفا من الموتى . إنها جريمة واحدة ، ولكنها تنقذ الانسانية من آلاف من الجرائم .. فليقتلها وليأخذ مالها ، وليرصده لانقاذ هذه الانسانية المرهقة المكدودة . وهذه الدموع المسفوحة حين ترقأ ، وهذه القلوب المحروقة حين تبرد ، وهذه الخطايا الآثمة حين تغفر ، ستكفر عن قتل هذه العجوز التى تمتص الدماء ولا تؤدى نفعاً ..

هكذا كان يفكر راسكو لينكوف كلما تذكر أمه وأخته . أمه التي يتصعد قلبها أنات وزفرات كلما رأت ابنها الموهوب المتوثب طريداً من الجامعة لضيق ذات يدها عن الانفاق عليه ، وأخته التي تنوى ان تقتل عاطفتها إذ تبيع نفسها لرجل يستذل جسمها وروحها معاً . أرسلت اليه أمه خطاباً ذكرت فيه طرفا من الظروف السيئة التي تحيط بأخته دونيا . ففي العام الماضي دخلت بيت زفيد ريجايلوف مربية لأطفاله وكان صاحب البيت برغم تقدمه في السن متهافتاً على الخمر متهالكا على النساء . فأساء معاملتها أولا ، وراودها عن نفسها ثانياً ، وحاول اغواءها بوعود شتى . وصرح لها بأنه لا يتردد في هجر امرأته وأولاده إذا استجابت له . ولكنها أبت وتمنعت وآثرت الفاقة على أن تفكك عرى هذه الأسرة . ولكن سيدة البيت فاجأت زوجها وهو يغرى الفتاة بالفرار معه ، فاتهمتها وأهانتها وطردتها من البيت . وذاع النبأ في المدينة فأخذ الناس ينظرون إلى الفتاة وأمها شزراً ويتحدثون عنهما همساً . وأبى صاحب البيت أن يبقيهما عنده . ثم ثبت للسيدة بعد ذلك خطؤها عند ما اطلعت على خطاب بعثت به دونيا إلى زوجها تؤنبه وتنصحه وتدعوه ألا يستغل نكد حظها وضعف نصيرها في إرضاء نزوة هائجة . فجاءت السيدة اليها وعانقتها واستغفرتها والدمع ينهمر على وجهها . وما ان وثق أهل المدينة من براءة دونيا حتى تبدلت نظرتهم اليها . وطلب اليها الكثيرون ان تعمل في بيوتهم . وتقدم لخطبتها رجل ملحوظ المكانة موفور الثروة فرضيت به الفتاة . هذا الرجل لوشين في الخامسة والاربعين من عمره ، على وجهه علائم الصلابة والكبرياء ، وفي صوته نبرات الخشونة والجفاف ، وفي خلقه دلائل الغلظة والفظاظة . وهو يريد أن يتزوج دونيا ـ كما جابهها ـ لأنها فقيرة معوزة يستطيع أن يشعرها دائما بانه محسن اليها وقد رضيت به الفتاة . وتختم الأم خطابها بانها على ثقة بان في وسع ابنها ان يعتمد بعد اليوم على هذا الرجل . وهي وان لم تتحدث اليه في هذا الشأن ، إلا انها على يقين من كرم هذا الرجل وعطفه على ابنها

ما ان انتهى من هذا الخطاب حتى انهمرت الدموع من عينيه ، وعلا وجهه شحوب وتقطيب ، وخفق قلبه في عنف واضطراب ، وانفرجت شفته عن ابتسامة ساخرة مريرة ، « هذا الزواج لن يتم ما دمت حياً »

لا يا دونيا ! انى أدرك ما اختلج في فؤادك ، وما اضطرب في قلبك عند ما نهضت من فراشك وأخذت تذرعين أرض الحجرة جيئة وذهوباً ، وتركعين امام الايقونة المقدسة في تؤدة كأنها صب . الذبيحة عند ما ترهف السكين . لا يادونيا . انك قاسيت كثيراً . ولكنك تريدين هذه المرة ان تشربي ثمالة الكأس ، تريدين ان تبيعي قلبك وهو كل ما تملكين لرجل لم تحبيه ولم تحترميه ، لرجل يريد ان يشعرك بانه محسن اليك بزواجك منه . وما ثمن هذه التضحية؟ مصروفات الجامعة ، وثوب قشيب بدلا من هذا المهلهل ! لا يا دونيا . دعينا نجوع ونظمأ

ونعرى . دعينا نبقى على قلوبنا المحطمة عزيزة منيعة

وبدت امام عينيه صورة المرأة العجوز عند ما قصد اليها منذ يومين ورهن عندها ساعة فضية هي كل ما بقي له من تراث ابيه . ومثلت إلى جانب هذه الصورة المنكرة « الفكرة » التي أضنته وعذبته حتى نضجت وانتصرت على كل اعتراض ابداه الضمير . لم يعد هناك سوى فكرة واحدة ، شعور واحد يملأ نهاره وليله : « بين الشقاوة والسعادة ضربة واحدة ينفجر بعدها النبع فياضاً غزيراً »

أخذ البلطة قاصداً اليها ، حتى اذا بلغ بابها وجف قلبه وشحب لونه وارتعدت أوصاله ، فحاول ان يتريث حتى تسكن ثائرته ويهدأ روعه ، كي لا يثير في نفسها الشبهة ، ولكنه لم يستطع ، بل دق الجرس مرة ومرتين ، فانفتح الباب قليلا ، فابتدرها قائلا : « مساء الخير ! لقد أحضرت لك شيئا ويحسن بنا ان نراه في النور » واندفع إلى الداخل بلا استئذان ، فتبعته المرأة ولسانها معقول من الخوف

ـــ ماذا تريد ؟ ومن أنت ؟

ـــ عفواً . أنا راسكو لينكوف ، أحد معارفك القدماء ، أحضرت لك الرهن كما وعدتك أمس

ـــ فرفعت عينيها إلى عينيه وتفرست فيه بنظرات ملؤها سوء الظن ، فحسبها تهزأ به كأنه يعلم كل شيء ، وقال لها مغضبا :

ـــ لماذا تحدقين الى هكذا ؟ إما ان تأخذى الرهن واما ان أذهب به إلى مكان آخر ، فليس لدى وقت أضيعه

ـــ ما هذا ؟

ـــ هذه علبة السجاير التي حادثتك عنها أمس

ـــ ولكن لماذا أنت شاحب الوجه هكذا ، ولماذا ترتعش يداك ؟ ماذا أصابك ؟

ـــ مصاب بالحمى ، ولو كنت جائعة مثلي لكان لونك شاحباً كلوني

ـــ يخيل الى انها ليست من الفضة . ما أصعب هذه العقدة

وأخذت تقطع الخيط المعقود حولها ، وأدارت ظهرها اليه ، فتناول البلطة من تحت ردائه ورفعها بيديه الواهنتين ، وتركها تهوى على رأس المرأة في خور وبطء ، ثم عاودته قوته فانهال عليها طعناً وأثخانا ، حتى تدفق الدم من جراحها مدراراً . ورأى الشاب فريسته قد امتدت على الارض ، فانحنى على الجثة وهزها هزاً عنيفاً ، ثم تناول المفاتيح ، وذهب الى خزانتها في حجرة أخرى ، ولكنه شعر بالرجفة تتمشى في جميع أوصاله ، إذ مر بخاطره ان المرأة لم تمت وانما أغمى عليها ، فعاد إلى الجثة وقبض على البلطة وهم بضرب فريسته مرة أخرى ، ولكنه لم يفعل

ثم عاد إلى الخزانة ثانية وأخذ يحاول فتح الادراج ، ولكنه سمع وقع أقدام تتقدم نحوه ، فجمد فى مكانه ، ثم انقطع الصوت ، ثم عاد ثانية كأنه أنين او زفير ، فوثب إلى غرفة القتيلة ، حيث وقفت اختها تنظر إلى الجثة مشدوهة الذهن معقودة اللسان .. فلما رأت القاتل امامها ارتعدت فرائصها ، وحاولت ان تجرى او تصرخ ، ولكنها لم تتمالك إلا ان تتراجع إلى الوراء ، وهى تحدق إلى القاتل بعين تكاد تثب اليه ، فهجم عليها ، واخترقت البلطة جبهتها ، وسقطت هامدة فى سكون . .

لقد فاجأته الظروف بهذه الجريمة الثانية التى لا مبرر لها عنده من فكرة او شعور ، والتى لم يعد بعدها قادراً على ان يعود إلى إكمال خطته بانتهاب اموال القتيلة الأولى ، كى ينقذ الانسانية المعذبة العانية ؟ ولكنه فكر فى النجاة ، فغسل يديه ونصل البلطة ، وأزال قطرات الدم المنثورة على حذائه ، وهم بالهروب على عجل

لم تكن هذه الجريمة إلا رجع فكرة زخرت بها جنبات نفسه أمداً ، حتى رسبت فى اغوار قلبه منذ حين ، إلى ان هيأت لها قسوة الحياة ان تطفو وتثور ، وتدفعه إلى ان يلغ فى الدم واهما انه يؤدى واجباً ويبلغ رسالة ! ـ هذه الفكرة التى عبر عنها فى مقال نشره منذ شهرين فى إحدى المجلات يعيد الآن شرحها وتفصيلها فى مناقشة بينه وبين صديق له . هذا الصديق ساخط على الفكرة التى ينادى بها دعاة العهد الجديد ، إذ يزعمون ان الجريمة مجرد احتجاج ضد شذوذ النظام الاجتماعى . وانه إذا انتظمت الهيئة الاجتماعية تنظيما طبيعياً عقلياً انتفت الجرائم . إذ لا يعود هناك شىء يحتج عليه . اما فكرة راسكولنيكوف فتتلخص فى ان المجتمع قسمان : قسم عادى عليه ان يخضع للعرف المتبع والقانون المتوارث . وقسم شاذ له ان يحتكم إلى ضميره وحده إذا اراد ان يذلل عقبة قائمة فى طريقه . فلو انه لا سبيل الى إظهار مكتشفات نيوتن إلا بتضحية فرد او عدة افراد ، فان لنيوتن ، بل على نيوتن ، ان يقضى على هذا الفرد او هؤلاء الافراد ، كى يؤدى واجبه نحو الانسانية كلها . ولكن ليس معنى هذا ان نهب نيوتن الحق فى ان يسفح الدم ذات اليمين وذات الشمال . والواقع ان كل المتشرعين والقادة كانوا مجرمين . لأنهم بوضعهم قانوناً جديداً تعدوا على القانون القديم الذى انحدر اليهم عن اسلافهم وتلقاه الاخلاف مقدسينه . هؤلاء المتشرعون والقادة لم يتحرجوا فى نصرة قانونهم الجديد عن إراقة دماء زكية ، دماء الابرياء الذين يدافعون مخلصين عن القانون القديم . كل رجل عظيم ، بل كل رجل يشذ عن المستوى العادى ولو قليلا ، اى كل من يستطيع ان يقول « كلمة جديدة » ، هو مجرم بفطرته . فالفكرة الاساسية هى ان الطبيعة جعلت الناس فريقين : فريقاً عادياً لا يزيد عن ان يكون مادة تعمل على انتاج مادة اخرى من نوعها ، وفريقاً شاذاً أوتى الموهبة على ان ينطق « بكلمة جديدة » . الفريق الاول ، بوجه عام ، هم المحافظون بطبيعتهم . وهم يخضعون بل

ويؤثرون الخضوع . والفريق الثانى هم الثائرون على القانون ، هم الهدامون او هم الذين يؤثرون الهدم إذا آتتهم القوة على ذلك ، انهم يعملون بوسائل شتى على هدم الحاضر رجاء إقامة شىء افضل . ولكن الفريق العادى وهو السواد الساحق لا يبيح لهم حق الهدم بل يعاقبهم فى رفق حيناً وفى قسوة احيانا . الا أن هذا الفريق العادى ذاته يعود إلى عبادة هؤلاء المجرمين انفسهم فى جيل مقبل . الفريق العادى يكون رجال الحاضر . والفريق الشاذ يكون رجال المستقبل . الفريق الاول يعمر الدنيا ويحافظ عليها . والفريق الثانى يحرك الدنيا ويدفعها إلى غايتها . ولكل منهما الحق فى ان يعيش وان يؤدى وظيفته . انها حرب خالدة . الفريق العادى هو العالم كله إلا أفراداً قلائل يظهرون من عهد إلى عهد وفق قانون محكم لا نتيجة مصادفات طارئة . وليست هناك علامات تعين أفراد كل فريق ، فقد يحسب فرد شاذ انه ليس إلا فرداً عادياً ، وهذا لا يؤذى وان كان يفقد الحياة عنصراً صالحاً ، ولكن موضع الخطر هو ان يزعم شخص عادى أنه ليكيرجس او نابليون ، انه هدام ، فيأخذ يذلل العقبات القائمة فى وجهه ، ويبيح لنفسه على ذلك ان يهرق الدماء وينهب الاموال

وتتوالى الحوادث تباعاً :

قابل راسكو لينكوف منذ أيام قلائل رجلا عاطلا سكيراً ثرثاراً - هو مار ملادوف . طرد من عمله فأخذ يبيع من أثاث بيته تارة ، ويسرق من أمتعة زوجه تارة ، ليتردد على الحانات التى يعب فيها خمراً قذرة تنسيه همه وتقتل فراغه . أما امرأته كاترين ، وقد كانت بنت رجل ميسور العيش ، فتخيط ملابس الناس ليل نهار ، لتأتى لأولادها من رجل آخر بلقيمات باردة . مستعينة على شظف العيش ببنت زوجها من امرأة أخرى - هــــذه هى سونيا التى جرت مع راسكو لينكوف الشوط حتى آخره . راودتها امرأة فاجرة فبكت . فقالت لها زوج أبيها : « ولعلك تعدين عرضك كنزاً نفيساً تحتفظين به وتغارين عليه ؟ » فنهضت الفتــاة فى البكور وعادت فى المساء ومعها ثلاثون روبلا أعطتها لامرأة أبيها دون ان تلفظ كلمة . ثم تمددت على الفراش ووجهها إلى الحائط وجسمها يرتجف كأنه يزلزل . فجثت زوج أبيها إلى جانب فراشها . وأخذت تقبل قدميها المقرورتين وتبللهما بدموعها حتى أدركهما النوم وهما متعانقتان . وأشفق عليه رجل ذو جاه ، فأعاده إلى عمله ، فتبدل أمر هذا البيت . بعد ان كانوا يقولون له : « اذهب ونم أيها البهيم » أخذوا إذا أراد النوم يمشون على أطراف أصابعهم ، ويسكتون الاطفال إذا صاحوا أو لعبوا . ويقدمون اليه فنجانا من القشدة الخالصة كل صباح . وعند ما قبض مرتبـــه أسرع إلى زوجه وناولها إياه . وفى اليوم التالى سرق كل ما بقى معها . وذهب الى الحانة حيث أضاع بذلته الرسمية . ولم يعد إلى بيته ولا إلى عمله . وانما ذهب اليوم الى الحانة التى تعمل فيها ابنته . وطلب منها كأساً من الفوركا ، فأعطته الفتاة ثلاثين كوبكا هى كل ما كسبت . ولم تقل شيئا بل نظرت اليه

نظرة الملائكة عند ما تبكي على آثام البشر . ثم يختم هذا المخمور قصته المفصلة المسبة بخطبة رائعة: « أنا لا أبحث فى قارورتك هـذه إلا عن الحزن والأسى والدموع . من يشفق على الناس جميعاً ، ويقرأ صفحات القلوب هو الحكم العدل وهو الرحمن الرحيم . سينادى فى الآخرة : « أين البنت التى أشفقت على أبيها الفظ السكير ؟ أين البنت التى بذلت نفسها لتعين زوج أبيها القاسية المسلولة على قوت أطفال ليسوا من لحمها ودمها » ، وسيقول تعالى : « أقبلى وأبشرى : لقد غفرت جميع خطاياك لانك أحببت كثيراً » سيعفو عن سونيا . وقد وثقت من ذلك عند ما كنت عندها الآن . ثم يحاسبنا ويغفر لنا جميعاً لا فرق بين خـير وشرير . ثم يأتى دور السكارى فينادى : « تعالوا أيها السكارى ، أيها الخبثاء أيها الفجار » ، فيقول العقلاء الاذكياء : « ربنا لماذا تقبل هؤلاء ؟ » ، فيجيبهم الرحمن : « اقبلهم أيها العقلاء الاذكياء لأنه ما حسب احدهم ان رحمة الله واسعة هكذا . وانهم أهل لمكرمة كهذه » . ثم يمد ذراعيه فنلقى بأنفسنا بينهما ونذرف الدموع

وبعد أيام دهمته عربة فهشمته سنابك الخيل . ونقله راسكو لينكوف إلى بيته حيث لفظ انفاسه بين بكاء اطفاله الجياع وصراخ امرأته المنكودة . ولم يستطع راسكو لينكوف الا ان يهب هذه الاسرة المفجوعة كل ما يملك وهى العشرون روبلا التى ارسلتها اليه امه

* * *

زار لوشين اول ما هبط المدينة راسكو لينكوف وتحدث اليه عن أخته فلم يلتقيا عنـد رأى ولم يأتلفا فى شعور . فهم كل منهما صاحبـه أصح الفهم ، الفتى يرى فيه تاجراً يستثمر أمواله فى عائلة معسرة مأزومة ، والرجل يرى فيه شاباً يعز حريته وكرامته برغم مافيه من عوز وهوان . وعرف الرجل ألا سبيل إلى غايته الا ان يسعى بين الشاب وأمه وأخته . فبعث اليهما يصف كيف قابله الفتى فى فتور وتجهم وكيف يتحدث الناس عن الفتى حديثاً ممضاً مخزياً . فهو يرهق أمه وأخته ، ويقتر على مأكله وملبسه ، لينفق على فتاة ذميمة السيرة منهوبة العرض اسمها سونيا

وجاءت الأم وابنتها الى بطرسبورج ، وتحدثتا الى الفتى عن هذا الزواج . أما راسكولينكوف فعزيز عليه أن يبيع أخته ويشترى بثمنها يسراً ورغداً . أما دونيا ـ وقلبها قطعة من قلب أخيها ـ فتحاول دون طائل أن تقنعه بانه مخطىء اذا حسبها تضحى بشىء من ذاتها لتعينه أو تعين أمها على عناء الحياة ، وانها لا تريد بزواجها من رجل ميسور كهذا إلا أن تريح نفسها من الـكد والـكدح . وجاء لوشين ، وتعقد الموقف : فالسيدة التى اتهمت دونيـا مع زوجها ماتت وأوصت للفتاة تكفيراً عن إساءتها اليها بمبلغ موفور من المال . واذاً فقد فقد الشرط الاول فى الفتاة التى يريدها لوشين وهو حاجتها اليـه . وإذاً فهو يصارحها ويجابهها بما كان يقنعها به أخوها فتنكر عليه سوء ظنه . . وعلمت الأم والأخت أن راسكولينكوف لم ير سونيـا إلا مرة

واحدة ليلة أن مات أبوها ، وانه لم يعط العشرين روبلا الفتاة وانما لزوجة أبيها ، وفطنتا الى أن لوشين يسعى بينهما وبينه ليحقق غرضاً لا سبيل اليه ما دام أمره موكولا للفتى الأنوف . فثارت الفتاة وانتهى الامر بينها وبين لوشين

خرج لوشين وقلبه يتميز غيظاً وحقداً على راسكولينكوف . لقد هدت كبرياء الشاب حلم الشيخ هدة واحدة . إنه شيخ تثور فيه أنانية الهرم ، ويعميه تهالك المحروم هذا العمر الطويل ، وهاهي دونيا تستقبل حياة المرأة ناضجة الجمال مستوفية الأنوثة . إنه سرى مليء ، وهاهي دونيا تجهد وتكدح لتعول أماً وأخاً ، فلو أنقذها من الفاقة ولو أعان أمها وأخاها على حياتهما لملكها حتى وإن لم تحبه ، ولأفنت نفسها فى إرضائه حتى وإن لم تحترمه . وهو يريد أن يظهر ويذكر ويصل الى هذه الأوساط المترفة الرافهة ، ولكن نشأته الوضيعة وثقافته المحدودة تحولان بينه وبين ذلك ، وهاهي دونيا يؤهل لها منبتها الكريم وحديثها العذب وثقافتها الشاملة أن تمهد له السبيل الى البيئات الرفيعة الممتازة . ولكن هاهو أخوها يضرب أمل الشيخ فيقوضه !

ومرت أيام وعرف لوشين سونيا ، فتاة وسيمة رشيقة ساذجة غريرة ، فلم لا يلبي بها الشيخ نداء جسمه المحروم ؟ . . شقية بائسة ، فلم لا يستغل حياتها النكدة فى إرضاء نزوة عقل أضناه الشهوة المكبوتة الفوارة ؟.. فهو لا يريدها زوجة بل خليلة . دعاها الى بيته فى عطف . وأعطاها بعض المال فى حنو . وكان أحد جيرانه هناك . ثم انصرفت ، فتبعها الى بيت امرأة أبيها حيث اجتمع نفر من الناس بينهم راسكولينكوف . تقدم الرجل نحو الفتاة فى خطوات ثابتة متئدة ، وقال لها فى صوت حازم متزن : ان ورقة ذات مائة روبل فقدت منه أثناء وجودها هناك ، وهو واثق كل الوثوق بان الفتاة هى التى سرقتها ، ولكنه يعدها أمام هؤلاء الأشهاد جميعاً . ألا ينالها باى أذى إن هي أقرت بجريمتها وردت اليـــه هذه الورقة . شدهت الفتاة وجمدت ، وصرخت زوج أبيها وانتحبت ، وضج الناس وصخبوا إلا راسكولينكوف فقد نظر الى عينى الفتاة نظرة الواثق المطمئن . وفتشوا الفتاة فوجدوا الورقة فى جيبها ، وهنا صاح جار لوشين : « أنت وغد ! أنت الذى دسست الورقة فى جيبها . وقد رأيت ذلك بعينى هذه ، فظننت أنك تريد أن تقدمها اليها خفية . أنت الذى وضعتها بيدك هذه فى جيبها وهى تهرول منصرفة »

هم الناس به يريدون لطمه ، وتقدم راسكولينكوف فقص على الجماعة كيف أراد لوشين أن يسعى بينه وبين أمه ليتزوج أخته التى تبغضه وتزدريه ، وكيف يريد الآن أن يفترس بنتاً غريرة تعول أرملة وأيتاماً إن لم تنله من نفسها ما يشتهى

ولنعد الى راسكولينكوف

إنه لم يعد يفكر ولا يشعر بالجريمة التى تعذب نهاره وتؤرق ليله ! . كيف واتته القوة على أن يهوى على رأس المرأة ، ويهشم جبهتها ، ويهز جثتها الهامدة ، ثم يثخن جراحها الدامية ،

ويلغ فى دمها المسفوح ؟ لماذا استكان ضميره حين يبرر الفكرة ويدبر الخطة ؟ ولماذا يثور الآن عليه ويزلزل كيانه زلزالا ؟ إنه قتل مبدأ ، ولكن الناس يقولون : بل قتل انساناً . انه لم يجر الدم فى شوارع باريس ، ولم يضع جيشاً كاملا فى صحراء مصر ، ولم يهلك شعباً بأسره فى حملة على موسكو ، ولكن الناس يعدونه مجرماً ويعدون هذا بطلا . ما أبسط الفرق بين الجريمة والبطولة عند الناس ! كلتاهما تصدران عن فكرة واحدة وتتخذان أسلوباً واحداً . ولكن احداهما جريمة لأنها أخفقت والثانية بطولة لأنها انتهت بنصر مؤزر !

ولكن جريمة ، إن استحقت أن تسمى جريمة ، أفظع وأشنع من هذه المعارك والمجازر . وهل تستطيع أن تتصور نابليون ـ الذى تجرى الدماء المهراقة من تحت قدميه وتنعقد الارواح المزهقة فوق رأسه ـ وهو يقتل هذه المرأة العجوز مبتسما كما كان يبتسم عندما يفتك بالجيوش الزاخرة ؟

ان الجريمة لا تفارقه فى صحوه أو نومه ، تقطع قلبه وتعذب فكره وتهضم جسمه وتأتى عليه جميعاً . ورأى الدنيا حوله ظلاماً فى ظلام : أمه تبكى وكأنها تشعر بما جنته يد ابنها الآثم . أخته تبكى وكأنها تدرك خطيئته وتتوقع آلامها . أصدقاؤه يتحدثون اليه وكأنهم يستدرجونه الى الاعتراف . ولكن خلال الظلمة المتراكمة انبعث من عينى سونيا ضوء الرحمة . انها قطعة من الأسى والألم ، من التضحية والفداء . فتاة تبذل نفسها لتنفق على امرأة أبيها وأطفال ليسوا من لحمها ودمها . إنها الضحية المقدسة إنها الشهيدة الخالدة ! فى قلبها ذخر من الرحمة وفيض من الغفران ، على جبينها سمة الضحايا وفى عينيها نور الشهداء ! فلماذا لا يلقى بنفسه بين ذراعيها ويذرف الدموع ؟ . . . اعترف لها بجريمته . وقرأت له فى الكتاب قصة

قالت له : « فلتكفر ، ولا سبيل إلى التكفير الا الألم والتضحية . قبل الارض التى أغرقتها بالدماء . وأقر بجريمتك امام الناس اجمعين . ثم اذهب إلى هناك الى هناك حيث تحيـــا من جديد . خذ صليبي هذا فلنحمله معاً . لأنا سنقاسى معاً . . فلنصل معاً . ولنطهر معاً . »

* * *

ما زال زفيد ريجايلوف يذكر دنيا ويريدها . فتبعها بعد موت زوجه الى بطرسبورج حيث اتصل باخيها . ادرك الرجل فى عين الشاب سراً خطيراً دفيناً . فراقبه عن كثب . وبينما كان راسكو لينكوف يعترف بجريمته لسونيا كان زفيد ريجايلوف يسترق السمع من وراء الباب . عرف كل شيء . وأفضى إلى دونيا بكل شيء ، ثم وضع نجاة اخيها فى يدها : ان هى استجابت له كان اخوها بعد ثلاثة ايام فى طريقه الى امريكا . وان هى تمنعت عليه كان على اخيها ان يختار لنفسه رصاصة فى الرأس او سجناً فى سيبريا . ولكنها أبت ، فأطلق الرجل اليائس الرصاص على نفسه

وقر رأى راسكو لينكوف على ان يعترف

فذهب الى امه :

— امي ! لاتخافى ولا تجزعى . جئت أنبئك بأنى سأذهب توآ . فاصغى الى . أمى ! هل تحبيننى غداً كما تحبيننى اليوم . مهما ألمت بك الاحداث ، ومهما أتتك عنى الانباء ؟ جئت أؤكد لك حبى الدائم ، ويسرنى ان اقول هذا فى وحدتنا هذه . جئت أقول لك انك وان كنت ستشقين وستسافين ، فان عليك ان توقنى ان ابنك يحبك الآن ، وسيحبك غداً اكثر مما يحب نفسه . حسبى هذا . حسبى ان « ابدأ » بهذا الحب

بكت الام . انها تشعر بالآلام المكبوتة فى قلب ابنها ، وتتنبأ بما تتقاضاه هذه الآلام من شبابه الغض وشيخوختها المتهافتة

— لا أفهم ما تريد ، انى أرى فى قلبك حزناً مدخراً مدفونا ، لقد أحسست به منذ رأيتك اول ما جئتا هنا . وهأنذا لا افكر إلا فى هذا . وكذلك اختك ظلت ليلة امس كلها تحلم وتهذى . وقد ادركت شيئا ولكننى لم افهم تماماً . وكل ما احس به الآن هو أنى اتوقع شيئا . وهأنت تكاد تنذرنى به فأين انت ذاهب ؟ أتقصد ان تذهب بعيداً ؟

— نعم

— هذا ما اراه . وهل آتى معك ، استطيع ان أرافقك ان كنت فى حاجة الى ، وكذلك دونيا ، وسونيا ، انى اشعر انها بنت لى ، ولكن الى اين انت ذاهب ؟

— وداعاً يا امى

— اليوم ؟ . . . صاحت الام كأنها لن تراه الى الابد

— لم يعد فى وسعى ان أبقى ، يجب ان اذهب توآ

— أو لا استطيع ان آتى معك ؟

— لا ، ولكن اسجدى لله ، وادعى الله لولدك ، فصلاتك تبلغه

— ولكنك ستأتى ثانية ؟

— نعم . . سآتى

— وهل تذهب بعيداً ؟

— بعيداً جداً

— ماذا ينتظرك هناك ؟ عمل ؟

— ما يرسله الله ! وانما اطلبى رحمة الله لابنك !

وبكيا ، وودعها وداع الابد ، وأسرع الى غرفته فقد انتهت عزيمته على ان يخلص من الامر قبل مغرب الشمس ، وهناك كانت تنتظره اخته

— منذ الصباح وأنا هنا مع سونيا . كنا ننتظرك معاً

— جسمى متخاذل يا دونيا ، متعب جدا ، أحب لو استطيع ان أتمالك نفسى

ــ أين كنت هذه الليلة ؟

ــ لا اذكر تماما . انت تعلمين يا اختى انى أريد ان يقر قرارى مرة واحدة . سرت على ضفاف النيفا . وخيل الى ان انتهى من الامر هناك . ولكنى لم استطع

ــ شكراً لله ! هذا ما كنت اخشاه انا وسونيا . اذاً ما زلت واثقاً فى الحياة ؟ شكراً لله

ــ لست واثقا من الحياة ، ولكنى كنت الآن ابكى بين ذراعى امى . لست واثقا من الحياة ولكنى كنت اطلب اليها الآن ان تذكرنى فى صلاتها لله

ــ هل كنت عند امى ؟ هل قلت لها ؟ انى واثقة انك لم تقل لها شيئا ؟

ــ لم اقل لها شيئا ، ولكنها فهمت ، سمعتك تتكلمين فى نومك ، وأدركت شيئا قبل ذلك .. لعلى اخطأت فى ذهابى اليها ، ولست اعرف لماذا ذهبت !

اختى دونيا ، انا مجرم فاغفرى لى ، وداعاً ، ازف الوقت ، وسأذهب الآن الى مصيرى المحتوم ، لا تتبعينى ، بل ابقى مع امى ، هذا رجائى الاخير ، لا تدعيها وحدها ، انها ستموت ، وتجن ، فكونى معها دائما ، لا تبكى على ، سأحاول ان اكون رجلا حتى ولو كنت سفاحا ، وقد اكون اسماً يوماً من الايام ، والآن وداعا ! وداعاً !

ما زالت صورة سونيا وهى ترسم الصليب على صدره ماثلة أمام عينيه ، وما زالت كلماتها المتقطعة المرتجفة وهى ترسم أمام عينيه الحياة الجديدة تدوى فى أذنه : « فلتكفر ولا سبيل الى التكفير إلا الألم والتضحية . قبل الارض التى أغرقتها بالدماء ، واقرّ بجريمتك امام الناس اجمعين ثم اذهب الى هناك ، الى هناك ، حيث تحيا من جديد »

توجه الى صديق له فى دار الشرطة ، وهم ان يعترف اليه امام الناس المجتمعين ، ولكن صديقه لم يدع له فرصة يتمالك فيها نفسه ويستجم قوته ، بل اخذ مع الجماعة وهى ترعد وتهضب ، الى ان انتهت بهما شجون الحديث الى انتحار زفيد ريجايلوف ! فجأه النبأ ، فأذهله وأنساه أمره ! فانصرف ، فرأى سونيا عند زاوية الطريق ترقب الكلمة الفاصلة فرجع

ــ رجعت ثانية ! ؟ هل نسيت شيئا؟ ماذا حدث ؟ انت مريض . كرسى ! اجلس هنا .. ماء !

ووقع راسكولنكوف على المقعد ، وحدق فى الناس بعين حائرة ، وانفرجت شفتاه البيضاوان عن كلمات كأنها هذاء الحالم : « انا الذى قتلت المراة العجوز واختها »

ماتت امه حسيرة ، وصبرت اخته واجمة ، وهناك فى سيبريا ، الى جانب سونيا ، بدأ يحيا من جديد

(تلخيص : عبد الحميد عبد الغني)

البقاع المجهولة

هل هناك مفاجآت جديدة ؟

سيكون عام ١٩٣٥ عام المفاجآت والاكتشافات . . هكذا قال الاميرال بيرد فى احدى رسائله ويلوح لنا أنه سيكون مفعما بالمفاجآت حقاً ، فقد افتتحه المكتشف لنكولن السورث بمعلومات نادرة عن المناطق القطبية . وسيختتمه الاميرال بيرد المكتشف الامريكى الشهير بعودته من رحلته الطويلة إلى الاقطار القطبية بعد غيابه عن عالم المدنية زهاء عامين

وقد وصل بيرد إلى ما لم يصل اليه انسان قبله ، فقد قضى شتاء برمته فى بقعة قريبة من القطب الجنوبى ، وأضاف إلى مادتنا الجغرافية معلومات جليلة عن أرض جديدة اكتشفها

مفاجآت خمسة أعوام

ولو عدنا الى الوراء قليلا واستعرضنا جهود المكتشفين منذ عام ١٩٣٠ أدركنا أول وهلة أن هذه الأعوام الخمسة كانت زاخرة بأعمال البطولة والكشف . فقد اخترقت بعثة فرنسية قلب آسيا وقطعت المسافات الشاسعة بين التركستان الصينية والصين بالسيارات . واخترق مستر برترام توماس المكتشف الانجليزى الكبير الربع الخالى من الجزيرة العربية ، وحلقت الطائرات البريطانية فوق افرست ، وقطع ثلاثة من المكتشفين الانجليز الشبان جرينلاند من الغرب الى الشرق

وبينا كان هؤلاء يكتشفون ظهر الارض كان غيرهم يكتشفون أعماق المحيط ، فوصل العلامة الامريكى الدكتور وليم بيب الى عمق نصف ميل تحت سطح الماء فى جهاز خاص أطلق عليه اسم : الجرس الغواص . وكان آخرون يكتشفون الجو فوصل الاستاذ بيكار وآخرون الى ارتفاع اثنى عشر ميلا ثم عادوا يقصون علينا قصتهم الرائعة

وفى الربيع الماضى حاولت بعثة المانية يرأسها المكتشف الالمانى الدكتور مركل ، تسلق قة ماجنا باربات احدى قمم جبال الهملايا التى يبلغ ارتفاعها ٢٦٦٢٠ قدماً ، ووصل أفراد البعثة الى ارتفاع ٢٥٨٢٠ قدماً ولم يبق أمامهم الا ثمانمائة قدم ليصلوا الى القمة واذا بعاصفة نكباء تثور فجأة فتهوى بثلاثة منهم الى هاوية سحيقة ، فلاقوا حتفهم وراحوا ضحية العلم والكشف

ثم حاولت بعثة انجليزية أن تكتشف بحيرة رودلف فى كينيا البريطانية . وكانت تتوسط هذه البحيرة جزيرة صغيرة لم تطأها قدم المكتشفين بعد . فعبر رجلان من رجال البعثة اليها على ظهر قارب صغير ، واتفقا مع زملائهما على ارسال اشارة لاسلكية كل يوم . فلما انقطعت الرسائل أيقن رجال البعثة بأن المكتشفين راحا ضحية الاعاصير وظلت الجزيرة مجهولة الى يومنا هذا

ثم قامت بعثة الدكتور شميدت برحلتها الجريئة الى المحيط الهادى عن طريق المحيط المتجمد الشمالى محاولة فتح السبيل للتجارة والاستغناء عن الطريق الجنوبية الطويلة . فوصلت الى آخر المرحلة وكادت تدخل مياه المحيط الهادى لولا اشتداد البرد وثورة الاعاصير الثلجية التى عرقلت سير الباخرة شلوسكين ودفعتها الى خضم مجهول من الجليد . ثم أحاط الجليد بالباخرة فحطمها تحطيما . ولجأ أفراد البعثة — وكانوا يتجاوزون المائة — الى كتلة من الجليد ، وظلوا يقاسون آلام الجوع واشتداد القر والزمهرير حتى قام طياران روسيان وأنقذاهم من موت محقق بأعجوبة

بقاع ما تزال مجهولة

هذا مجمل لجهود المكتشفين فى خمسة أعوام ، وهو إن دل على شيء فانما يدل على أن الارض ما زالت بعض بقاعها مجهولة ، وعلى أن حب الاستطلاع والكشف لا يقف عند حد

خذ خريطة مفصلة للأقطار القطبية ، وتأملها جيداً ، تر قسما منها غفلا من العلامات الجغرافية مما يدل على أنه ما زال مجهولا . وهذا الجزء الذى تراه على الخريطة يبلغ ملايين الاميال المربعة ، ولا شك أن فى هذه الدنيا الجديدة تضاريس وحيوانات ومعادن لا نعرف عنها شيئاً الى الآن

وقد فاجأنا الاميرال بيرد فى الشهور الأخيرة من عام ١٩٣٤ بأن الأقطار القطبية ليست قارة واحدة بل قارتان ! فهل هناك مفاجآت أخرى تطلعنا على ما خفى علينا من امر هذا العالم الجديد ؟

وهل يتجه العالم بكليته الى المناطق القطبية اذا شحت موارده ونضبت خاماته ؟

لقد استخرج أحد المكتشفين الانجليز كمية من الفحم من منطقة القطب الجنوبى ، وأحرقها فى موقده فى لندن ! وقد ذكر فى حديث له أن المناطق القطبية غنية بالفحم والمعادن

فيمكننا أن نقول والحالة هذه ان فى المناطق القطبية مجالا للكشف وميداناً للمكتشفين

وهناك ميدان آخر فى آسيا ، فى اقليم الهملايا ، هذه السلسلة من الجبال التى تحدت الانسان وما زالت تتحداه . ففى جبال الهملايا قمم عاليـة تتوج العالم وتقف سداً منيعاً فى وجه الأبحاث الجغرافية . نعم لقد حلقت الطائرات البريطانية فوق قمة افرست أعلى هذه القمم ، ولكن تحليق الطائرات لا يغنى عن البعثات التى تتسلق الجبال ومعها الاجهزة الجغرافية التى تسجـل درجات الحرارة والضغط الجوى ورطوبة الهواء واتجاه الرياح وما الى ذلك من المظاهر الجغرافية المختلفة

وثمة ميادين أخرى فى أميركا الجنوبية . فثلثها تقريباً لم يكتشف بعد ، ومعلوماتنا الجغرافية عنه تافهة لا قيمة لها ، فهى لا تتجاوز أسماء بعض القبائل الهندية الحمراء التى تسكن الغـابات . أما الغابات نفسها ، وأما الانهار التى تخترقها ، وأما المنابع والجبال والشلالات والحيوانات والحشرات ، فما زالت سراً من أسرار هذه القارة التى استعصت على المكتشفين . وهناك مئات الالوف من الاميال المربعة فى مقاطعة ماتو جروسو وعلى حدود بوليفيا لم يصل اليها رجل من البيض . وتحول الغابات

والزواحف السامة والحشرات والأوبئة دون الوصول الى هذه المناطق المجهولة ، وقد كان المكتشف البريطانى الكولونيل فوكت آخر ضحايا اكتشاف ماتو جروسو هذه . ومن العجيب أن تعجز المدنية الحديثة بطائراتها وقطراتها وبرقها اللاسلكى وأجهزتها الحديثة وعقاقيرها الطبية عن ولوج الغابات المجهولة فى أمريكا الجنوبية . . وهناك غينيا البريطانية . . تلك المستعمرة التى ظلت تابعة للامبراطورية البريطانية مدة طويلة ، فقد ظلت بعض مناطقها مجهولة ، ولم يصل البيض إلى شلالات كايتور التى تهوى مياهها من ارتفاع ٧٤٠ قدماً ، إلا منذ سنين معدودة

حيوانات مجهولة

وإذا استعرضنا جغرافية آسيا على الخريطة رأينا عالماً عظيما ما زالت أكثر أجزائه مجهولة كصحراء جوبى ، أو جوبى السوداء كما يسمونها ، فقد اخترقتها عدة بعثات كانت آخرها بعثة المكتشف السويدى الكبير سفين هيدين ، ولكن هذه البعثات اكتفت بقطعها من الغرب إلى الشرق ولم ترسم لها خريطة مفصلة ، فكأننا نجهل أكثر ما فى هذه الصحراء من مظاهر جغرافية وحياة حيوانية ونباتية . وفى أستراليا بقاع لم تزل تتحدى المكتشفين ، فقد توصل المكتشف البريطانى ميخائيل تيرى الى اكتشاف واد كبير تحيط به الحزون من كل الجهات . ولم يكن لهذا الوادى وجود على الخرائط التى رسمت لاستراليا

فهل يبعد أن يكون فى هذه البقاع المجهولة حيوانات غريبة لم نسمع عنها الى الآن ؟ وهل يبعد أن يعثر المكتشفون على أجناس جديدة من البشر قد تلقى ضوءاً على مشكلة أصل الاجناس ؟

لقد رحل اتيليو جاتى الى قلب افريقيا وراح يبحث عن الحيوانات النادرة . ومع أنه لم يعد من رحلته بعد فقد تواترت الاشاعات بأنه اكتشف حيواناً جديداً لم نره من قبل

والآن ألا يحق لنا أن نتساءل : لم لا تعمد البعثات العلمية الى القيام برحلات طويلة الى تلك الاقطار المجهولة ؟ ولم لا يقيمون هناك حتى يقضوا على البقية الباقية من تلك المعميات ؟

والجواب عن ذلك أن المقام فى قلب افريقيا وفى وسط الغابات التى تغطى جزءاً كبيراً من اميركا الجنوبية ليس فى مقدور بشر . ولندع أحد المكتشفين الانجليز يصف لنا منطقة ماتوجروسو كما رآها وكما عجز عن المقام فيها . يقول المكتشف :

« اذا تركنا الهنود الحمر وشأنهم لم نجد فى تلك المنطقة إلا الحشرات المؤذية والثعابين السامة والطيور الجارحة وملايين الذباب فوق المستنقعات تطن نهاراً ، وملايين البعوض الذى يحمل جراثيم الحميات القاتلة يلسع ليلا . فاذا لسعت الواحد منا بعوضة لم تمهله الحمى أكثر من بضع ساعات . واذا نجا من البعوض ضايقه الذباب . فاذا نجا من الذباب لم يعدم افعى سامة تلدغه فيموت لساعته . أضف الى ذلك القيظ الذى لا يطاق والاشجار الملتفة التى يتعذر السير فيها على أمهر سكان الغابات »

أساليب جديدة

لتهذيب الشبيبة الالمانية

تطور الشبيبة الالمانية اليوم تطوراً يستوقف الانظار سواءأكان من الوجه الادبى أم الجسمانى . وللرياضة البدنية فى المانيا شأن يعظم قدره من يوم الى يوم ، إذ يقضى الصبيان والبنات كل سنة بضعة اسابيع من حياتهم المدرسية فى بيوت ريفية . أما أولاد الفقراء فيرسل منهم كل عام مئات الالوف الى الارياف لقضاء أشهر كاملة بين الفلاحين . وهنالك جمعية تعرف « بالشبيبة الهتلرية » وأخرى تسمى « جمعية الفتيات الالمانيات » تنظمان النزهات الخلوية الى الغابات والمدن الساحلية ، وتدبران الرحلات الى الجهات المختلفة فضلا عن الرحلات الشتوية التى يقيم الأحداث فى خلالها فى مضارب خاصة يتمتعون بسباق « السكى » فى الجبال التى تكسوها الثلوج . وكثيراً ما تبذل الجمعيتان المذكورتان الجهود لحمل الوالدين على التعاون لتحسين صحة الشبيبة والاحتفاظ بها . وتفادياً من التعرض للمعيشة العائلية قد خصص يوم السبت من كل أسبوع للنزهات الخلوية والالعاب الرياضية على اختلاف أنواعها . فهو اذن يوم عطلة عامة وقد سموه « يوم الدولة للشبيبة » (Staatsjugendtag) وفى الحقيقة أنه عند نهاية برنامج التعليم الدراسى تستمر العناية بصحة الاحداث فيرسل عشرات الالوف من البنين والبنات الذين يرجى لهم مستقبل أكثر من غيرهم الى الارياف حيث يقضون سنة كاملة فى بيوت خاصة . والغرض من ذلك ابعادهم عن المدن الكبرى وعن المراكز الصناعية . أما الذين يجدون أعمالا فى المصانع أو المتاجر أو الشركات فان الجمعيات المذكورة تسعى لدى رؤسائهم لحملهم على منحهم أطول اجازة ممكنة للغاية المذكورة . ويرسل هؤلاء الاحداث الى معاهد زراعية أو ما يماثلها حيث يقضون الاسابيع والاشهر بل السنوات فيتمرنون على مختلف الاعمال فى الهواء الطلق ويتغذون بأنفع الاطعمة ويمارسون الالعاب الرياضية استعداداً للالعاب الاولمبية التى ستقام فى المانيا فى السنة القادمة . والحكومة الالمانية تدرس اليوم قانوناً يحتم على جميع الاحداث والشبان الذين لم يبلغوا الثلاثين من العمر أن يمارسوا الرياضة البدنية

والعالم كله معجب بالنظام الالمانى الذى يرمى الى تنمية القوى البدنية بتنظيم الاعياد والمباريات الخاصة بذلك . فهنالك «يوم الجندى الرياضى المجهول» و«يوم سباق الاوتوموبيلات والموتوسيكلات» ومدى هذا السباق الفا كيلو متر . وأيام أخرى من هذا القبيل . ولا شك أن نشاط الشعب الالمانى يقوى ويشتد ويسفر عن نتائج تبدو كل يوم بوضوح أتم

مضارب الشبيبة الهتلرية

ولنصف لك مضرباً من مضارب الشبيبة الهتلرية :

هذا المضرب قائم على موقع جميل بين الرور والرين . ففى الساعة السادسة صباحاً ينفخ فى النفير فتقوم فى المضرب حركة عظيمة وينهض الجميع من رقادهم فيبدو لك كأنه قرية نمل . وما هى الا ثلاث دقائق حتى ترى الجميع خارج المضرب . وبعد ربع ساعة يشرعون فى تمريناتهم الرياضية كأنهم يريدون نفض النعاس عن عيونهم . وبعد ذلك يغتسلون ثم يصطفون تحت الراية الوطنية ويجلسون لتناول الصبحة (الفطور) ويلى ذلك فراغ من الساعة التاسعة الى الساعة العاشرة يقضيه كل واحد منهم كما يشاء . وفى نهاية تلك الساعة يخرج الجميع للعب والركض بين الاشجار والغابات . ولا حاجة بنا إلى وصف هذه الحياة التى تستكمل شروط الصحة والعافية . وترى المضرب فى أثناء ذلك خالياً ومن خلفه دخان يتصاعد فى الجو هو دخان المطبخ حيث قدور الطعام تجيش بما فيها « والندل » يهيئون الغداء . وعند منتصف النهار يشرع الاحداث فى العودة الى مضربهم وهم يهتفون وينشدون معاً كأنهم جوقة واحدة قائلين : « أيها الاخوان ان صوت النفير يدعونا الى النزهة اليوم »

وبعد تناول الغداء يستريحون حتى منتصف الساعة الثالثة فيضطجع الاولاد على العشب خارج الخيام . وعند نهاية مدة الراحة ترن فى المكان صفارة الرئيس . فينهض الجميع بسرعة البرق الخاطف ويصطفون تحت الراية مرة أخرى . وإذا كان أحد منهم قد أصيب بتوعك المزاج من كثرة الاكل أو لأى سبب آخر فان الطبيب يعنى به فى الحال . وهـذا الطبيب يأتى من المدينة كل يوم ليتفقد الحالة الصحية . فضلاعن أن فى المضرب مساعد طبيب للحالات الطارئة يحمل على ذراعه اشارة الصليب الاحمر ويقيم بمضرب خاص يخفق فوقه العلم الصحى

أما الاحداث الذين يتمتعون بصحة جيدة فيقضون فراغهم بعد الظهر فى الالعاب وضروب الرياضة . وفى الساعة العشرين (أى الثامنة مساء) يجلس الجميع إلى الخوان لتناول العشاء . وبعـد الفراغ من ذلك يقضون ساعة فى الانشاد والغناء أو فى مطالعة كتب التاريخ . ويفضل بعضهم ان يقرأ وهو متمدد على سريره . وبعد ذلك يجىء وقت النوم . فينزلون الراية ويطوونها حتى الصباح التالى .. وعلى هذا الوجه ينقضى اليوم ــ وهو واحد من ثمانية أيام من أيام النزهة التى يقضونها معاً على أتم وفاق وهناء

الاقامة في الارياف

نحن الآن فى قرية من قرى الريف فى منتصف النهار وأشعة الشمس تغمر القرية وشوارعها والساعة تدق اثنتى عشرة كأنها تقاطع السكون المستولى على تلك الانحاء . وتنصت قليلا فتسمع

على رصيف الميدان الذى تقوم فيه كنيسة القرية وقع أقدام هى أقدام أحداث قد سفعتهم الشمس ولونت بشرتهم الناعمة وهم لابسون سراويلات سوداء قصيرة خاصة بالالعاب الرياضية وفى أرجلهم نعال خشبية . وترى بعضهم يستظلون بظل أشجار الكستناء القديمة لان أشعة الشمس حامية . وترى غيرهم يسيرون حفاة بتؤدة وأحذيتهم بأيديهم ، وهم جماعات وأفراد من أحداث قد أرسلوا لقضاء بضعة أيام فى الريف وقد قضوا صباح اليوم كله فى الحقول يشتغلون مع الفلاحين ثم عادوا يحملون حزم الحنطة والتبن

ولا شك أن قضاء تلك الايام فى الريف فرصة لا تتاح لكل شاب أو فتاة . والذين يتمتعون بتلك الفرصة هم من الاحداث الذين يشتغلون بمختلف الصناعات ويمتازون بالصحة التامة وبالقوة البدنية والذكاء . وهم باقامتهم بالريف يستفيدون كثيراً إذ يعيشون العيشة الطبيعية ويختبرون معيشة الفلاحين

وهذا كل ما يطلب منهم فعله فى الصباح . أما بعد الظهر فيختصونه بالالعاب الرياضية وببعض دروس فى علم التربية الوطنية . وهذا البرنامج يكاد يكون هو للبنات أيضاً لولا تغيير طفيف فيما يختص بالشؤون المنزلية ، فان حظ البنات منها أكثر من حظ الصبيان . ومما تتعلمه البنات هنا زراعة البقول والخضر اللازمة للمنزل فى الحديقة . وفى الواقع أن الفتيان والفتيات يتعلمون أشياء كثيرة عن زراعة البقول والفواكه والاشجار بوجه الاجمال فى حديقة المنزل . فيبذرون ويزرعون ويغرسون ويجنون ويحصدون ويدخرون ما يستطاع ادخاره فى العلب . وفضلا عن ذلك تتعلم البنات شؤون الطبخ وكل ماله علاقة بالمطبخ والمنزل من خياطة وغسل وكى ورتق ورفو ، وهن يقمن بكل ذلك فى الخلاء وتحت ظلال الاشجار على قدر الطاقة « بعيدات » عن سقوف البيوت

ويعود الفتيان والفتيات من سكان المدن الى مدنهم وقد قضوا فى الريف أياماً كانت كلها عبراً ودروساً وقد اكتسبوا صحة ونشاطاً . وكثيراً ما يعشق بعضهم حياة الريف ويتمنى لو تتاح له الاقامة بالقرى بشرط أن تتوافر له وسائل الراحة . وبهذه الطريقة يمكن التأثير فى حياة الشبان والشابات وتكييفها وطبعها بطابع يقدره العقلاء حق قدره

وغنى عن البيان انك انما تستطيع معرفة الغاية التى تسعى اليها أية أمة من الامم بدرس الروح الذى تجيش به صدور شبانها وشاباتها . وكاتب هذه السطور لم يشاهد أسلحة ولا تمرينات عسكرية فى مضارب الشبيبة الالمانية ، ولكنه شاهد كثيراً مما يشف عن الميل الى الالعاب الرياضية على اختلاف انواعها وعن محبة الطبيعة والرغبة فى العمل فى الحقول

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

اعظم الاختراعات

[خلاصة مقالة عن مجلة
اسكوايرـ بقلم ولزمر يوبنرز]

روى أحد محررى مجلة الورلد ما خلاصته :

جاءتنى رسالة من السكومندور « ارل جسوب » كبير مهندسى البحرية ببروكلند يدعونى فيها ليطلعنى على أمر ذى شأن . وكان ذلك فى أوائل سنة ١٩١٧ والحرب العظمى فى أشد استعارها . فذهبت لمقابلته فوجدته منهمكا وفى حالة انفعال شديد وبعد التحية قال لى :

« لقد رأيت شيئا حيرنى وكاد يذهب بلبى لان العقل والحواس وجميع قوى الادراك تؤكد لى أن مارأيته مستحيل وانه لايمكن أن يكون الا من قبيل انخداع البصر . .

« انى بصفة كونى كبير مهندسى البحرية أتلقى كل يوم رسائل كثيرة يدعى مرسلوها بأنهم قد وفقوا الى اختراع يضمن النصر فى الحروب ولكن يتضح بعد ذلك أن اكثر تلك الاختراعات عقيمة غير عملية . إلا أن أحدهم (واسمه جون اندروز) كتب الى من مكيزبورت بولاية بنسلفانيا وطلب مقابلتى بالحاح . فلما حضر قال لى إنه قد وفق الى استنباط مركب كيمياوى يحول الماء العذب أو الملح بترولا أو بنزينا وإن هذا المركب رخيص جداً بحيث أن جالون البنزين الناتج عنه لا يساوى أكثر من « سنتين » (نحو أربعة مليمات)

« وأردت أن أتيح الفرصة للرجل لاثبات دعواه . فأمرت أحد المستخدمين أن يذهب ويملا خزان أوتوميبل المخترع ماء عذبا بعد تفريغ كل نقطة بنزين منه . ففعل ما أمرته وأشرفت بنفسى على ملء خزان الاوتوموبيل ماء عذبا . وزيادة فى التأكيد اشعلت عود كبريت وأدنيته من الخزان فلم يشتعل السائل الذى فيه ، وفى ذلك برهان قاطع على أن السائل كان لايزال ماء عذبا . ولكن ماهى الا بضع ثوان حتى تحركت الآلة وانقلب ذلك السائل بنزينا وأخذ الاوتوموبيل يسير ويتدرج فى السرعة حتى وصل الى خمس وسبعين فى المائة من السرعة القصوى

« وانصرفت بعد هذه التجربة وأنا مندهش مما رأيت . وانصرف أندروز (المخترع) على أن يعود فى اليوم التالى لاعادة التجربة بماء البحر . وفى الواقع انه عاد فى الغد فاتخذت كل احتياط ممكن

لمنع الخداع ، وامرت فجيء بسطل ملآن ماء ملحا وصببناه في خزان الاتوموبيل بعد أن استوثقنا من كونه فارغا . وما هي الا بضع ثوان حتى تحول الماء وقوداً وأخذ الاتوموبيل يسير كالمعتاد . وفي هذه المرة كان الاميرال برد مدير حوض البحرية حاضراً . فأعدنا التجربة مستعملين عدداً وآلات مما يخص بحريتنا فأسفرت النتيجة عن نجاح عظيم

«وغني عن البيان ما لمثل هذا الاختراع من الشأن من الوجه الحربي . ولذلك بادرت أنا والاميرال برد فارسلنا تقريراً سريا إلى وزارة البحرية وبسطنا لها الامر ، ولم يبق عندنا شك في أن اندروز كان قد وفق الى استنباط مركب كيماوي يحول الماء وقوداً كالبنزين »

قال المحرر : فسألت الكومندور جسوب : « وأين اندروز الآن ؟ » فقال : « هو في فندق الكنتنتال » . فعزمت أن ازوره . وبينما أنا ذاهب لزيارته كانت الافكار تتدافع في مخيلتي اذ تمثلت لي النتائج الخطيرة التي سوف تترتب على ذلك الاختراع . اذ تستطيع الطيارة بواسطته ــ وهي محلقة في الفضاء ــ أن تدلي إلى البحر أو النهر « خرطوما » تستقي به ماء وتملأ به خزانها لتتمكن من مواصلة طيرانها من دون أن تضطر الى العودة إلى الارض . وكذلك الباخرة أو البارجة أو الغواصة فانها تستطيع بفضل هذا الاختراع أن تظل في عرض البحر وتأخذ ما تحتاج اليه من الوقود من ماء البحر من دون أن تعود الى أي ميناء

وبعد بضع دقائق وصلت إلى فندق الكونتنتال . فسألت عن اندروز فقيل لي انه غادر الفندق منذ ساعة فلم أضع دقيقة بل ركبت القطار في الحال ووجهتي محطة مكيزبورت . وما كدت أبلغها حتى شرعت في البحث عن اندروز . ولم يكن اسمه مطبوعاً في « الدليل » ولا في دفتر التلفونات ولم أجد أحداً يعرف اسمه أو يعرف عنه شيئاً . وبعد أن قضيت اليوم كله تقريباً في البحث عنه قال لي أحد الاهالي : « ها هوذا المستر اندروز . . . هو الرجل النازل من الاوتوبيل ! »

فالتفت إلى الرجل فرأيته يفتح باب منزل صغير . فتقدمت اليه وحييته وأعلمته باسمي . فرأيت منه اعراضاً وشعرت بأنه يرتاب في أمري . فلما ذكرت له اسم الكومندور جسوب وقلت له اني آت من قبل البحرية دعاني للدخول معه . وقبل أن يستقر بنا المقام أجال طرفه في أنحاء المنزل كأنه يخشى أن يكون هنالك أحد كامن في زاوية من الزوايا . وبعد أن استوثق بان المكان خال قال لي : « وماذا تريد ؟ » ، قلت : « أريد أن أكتب في مجلة الورلد شيئاً عن اختراعك » فأبى اباء تاماً وكنت أشعر بالجوع ، فدعوته لتناول الطعام معي . وألححت عليه حتى رضي واختار مطعماً خاصاً ذهبنا اليه وجلسنا منفردين نتناول الطعام ونتحدث ، والمستر اندروز كله عيون يراقب القادمين والذاهبين . وكلما دخل قادم تفرس فيه مليا . وقد علمت منه أن الجواسيس كانوا أتبع له من ظله وانهم كانوا يتعقبونه ليل نهار لانهم قد سمعوا باختراعه وهم يعلمون انه اذا عم استعماله أدى الى

افلاس جميع شركات البترول فى العالم اذ يصبح ثمن الصفيحة بضعة مليمات . فضلا عن أن الدولة التى تستولى على هذا الاختراع تضمن النصر فى ميادين الحرب

فقلت له انى ذاهب إلى وزارة الحربية والبحرية بواشنطون لحملها على الاهتمام باختراعه . فشكرنى على ذلك . وفى الواقع انى سافرت فى ذلك اليوم عينه إلى واشنطون لمقابلة الوزير دانيلز ووكيله المستر فرنكلين روزفلت (رئيس الولايات المتحدة الحالى) ولكنهما كانا غائبين . فقابلت رجلا آخر من كبار موظفى وزارة البحرية فعلمت منه أنه قد سمع بخبر ذلك الاختراع وأن الوزارة قد انتدبت أحد موظفيها لدرس المسألة ووضع تقرير عنها وأنه هو نفسه يعتقد أن حكاية ذلك الاختراع أقرب الى الخيال منها الى الحقيقة . فلم يعجبنى كلامه . وتذكرت حكاية الدكتور جتلنج مخترع المدفع السريع المشهور . وحكاية هوتشكس مخترع المدفع الدائر . وحكاية هولند مخترع الغواصات . وغيرهم من الاميركيين الذين وفقوا الى اختراعات خطيرة ولكن حكومة بلادهم لم تأبه لهم ولا عنيت باختراعاتهم فلجأوا الى حكومات أخرى اشترت منهم حقوق تلك الاختراعات وانتفعت بها

وفى اليوم التالى عاد المستر دانيلز وزير البحرية . فذهبت اليه ورويت له حكاية اندروز فانصت الى ما قلته بكل اهتمام ثم قال لى : « اذهب وائتنى بالرجل فى الحال فسأصدر الامر بتجربة اختراعه ! »

فخرجت من عنده وأرسلت تلغرافا الى اندروز أطلب منه الحضور فى الحال . فلما لم يحضر أرسلت اليه تلغرافا آخر ملحاً عليه بالحضور ولكنه لم يجب . فاسرعت وسافرت الى مكيزبورت وذهبت تواً الى منزله . وقرعت الباب فلم يفتح لى أحـد فطفقت اسأل عنه . وذهبت الى مكتب التلغراف فعلمت ان التلغرافين اللذين أرسلتهما اليه لم يسلما اليه اذ لم يكن أحد يعلم بمقره . فخامرنى الشك فى مصيره . وتذكرت المخاوف التى كانت تكتنفه من متابعة بعض الاشخاص له . وأخيراً ذهبت الى ادارة الشرطة وأطلعتهم على الامر . فارسلت الشرطة معى بعض رجالها فعدنا وفتحنا باب منزل أندروز عنوة . وما كان أشد هلعنا اذ رأينا عدة قرائن تدل على حدوث جريمة هنالك . ولم يبق عندنا شك فى أن معركة عنيفة جرت فى ذلك المنزل فقد كانت الادراج مكسورة والاوراق مبعثرة على الارض . أما اندروز نفسه فلم نقف له على أثر . ولا عثر رجال الشرطة على دليل يميط اللثام عن تلك الفاجعة

ومنذ أيام تلقيت من صديقى الكومندور جسوب رسالة يقول لى فيها ان حكاية اختفاء المسكين اندروز لا تزال سراً مستغلقا . والارجح أنه قد زال من الوجود كما زال قبله دوروثى وارنولد وسيكلوس وغيرهم من المخترعين الذين لا يزال اختفاؤهم من ألغاز التاريخ

البحث عن المجهول

[خلاصة مقالة عن البق جورنال .
بقلم السيدة نيلى آ كا]

إن حب الاستطلاع صفة غريزية فى الانسان . وقد كان البشر منذ أقدم العصور إلى الآن يحاولون إماطة اللثام عما وراء العالم للوصول إلى أسرار الطبيعة . ولا يكاد يمر يوم الا ويخترق فيه العلم بعض حجب الغيب . والعلماء يجازفون بحياتهم طمعاً بالوقوف على أسرارهذا الكون . فالاستاذ بيكار يحلق فى أعلى طبقات الجو لدرس غوامض الاشعة الكونية . وغيره يحاول الوصول بقذيفة الى القمر . وثالث يسعى لا كتشاف سر آخر من أسرار هذا الوجود . والانسان فى سعى دائم لمعرفة كل ما يجهله

ترى من أين جئنا والى أين نحن ذاهبون ؟

مامن سؤال شغل عقول العلماء والفلاسفة كهذا السؤال . بل مامن بحث استهوى عقول البشر كهذا البحث . وكلما خيل الى الانسان أنه قد وفق الى ازاحة الغطاء عنه بعض الشيء اتضح له أن ما انكشف من ذلك السر ليس شيئاً فى جانب ما استتر ، وأن غوامض الطبيعة أشبه شيء بظلمات بعضها فوق بعض — ترى هل يستطيع عقل الانسان أن يخرق حجب الغيب ويطلع على أسرار الكون ؟ وهل يمكن الانباء بحوادث المستقبل قبل وقوعها ؟ لا شك أن ذلك من أصعب الامور لان الانباء بالمستقبل كان علماً شائعا بين الاقدمين ثم انحط بمرور الزمن حتى وصل الى مستوى الشعوذة . وسبب ذلك أن الكثيرين ممن زاولوا هـذا العلم حطوا من شأنه بسوء تصرفهم وبما لجأوا اليه من أساليب الخداع والدجل حتى أصبح ذلك العلم عاراً على طلابه ومزاوليه

وغنى عن البيان أن سواد الناس هم ماديون ، وأتباع المذهب المادى يأبون أن يسلموا بأى شيء أو أن يصدقوا أى شيء لا تؤيده الحواس ولا يثبته البرهان العلمى . ولذلك ينظرون إلى العلم المبنى على غوامض أسرار الطبيعة نظرة استهتار واحتقار . على أن عقول العلمـاء قد اتجهت حديثاً الى هذا العلم لغربلته وعزل الخرافى فيه عن الحقيقى

والفرق بين المشعوذين والذين يزاولون علم استطلاع الغيب كبير جداً . فالاولون يلتجئون الى مختلف أساليب الغش والخداع ، حالة أن الاخيرين يسعون للكشف عن غوامض الطبيعة باظهار العلاقة الكائنة بين ما يرى وما لا يرى

ترى أصحيح ما يقال من أن للاجرام العلوية تأثيراً فى هذه الارض ؟

لقد كان الاقدمون يعتقدون ذلك . أما اليوم فان سواد الناس يهزون أكتافهم ازدراء كلما

سموا بذلك التأثير ، على أن هنالك فريقاً يقولون اذا كان بعض الكواكب يؤثر فى البعض الآخر من حيث الجذب والاشعاع وزيادة الخصب والنماء أو قتل الحياة ، فكيف تنكر أن لتلك الكواكب تأثيراً فى الاجسام الحية ؟ واذا كانت الاشعة المنبعثة من الشمس تنمى النبات والحيوان، فلماذا ننكر أن لأشعة الاجرام الفلكية الاخرى أيضاً تأثيراً فى أجسامنا وقوانا ونشاطنا بل فى تعيين مستقبلنا أيضاً ؟

ولقد ثبت لنا منذ اكتشاف « الكهرباء اللاسلكية » التى تملأ فضاء الكون اننا محاطون بقوى كثيرة من قوى الطبيعة غير المنظورة . واذا كان الامر كذلك فن الذى يستطيع أن ينكر أن لتلك القوى تأثيراً فى نفوسنا وأجسامنا

ان علم الفراسة يثبت لنا وجود علاقة بين أخلاق الانسان وشكله الخارجى . نعم ان هذا العلم قد طرأت عليه خرافات كثيرة ، ولكن الجزء الصحيح منه يدلنا دلالة قاطعة على أن الطبيعة لم توجد شيئاً عبثاً وليس علم الفراسة من العلوم الغامضة ولكنه يثبت لنا ناحية من نواحى العلاقة بين أخلاق الانسان ومصيره ، وهذا المصير هو اللغز الغامض الذى يحاول الانسان استجلاء حقيقته

ولا شك أن هنالك قرائن يمكن الاستدلال منها على المستقبل ، ولكن هذه القرائن ليست معصومة عن الخطأ ، بل ان الانسان الذى يحاول فك طلاسمها ليس بالضرورة معصوماً عن الخطأ ومع ذلك فليست مجردة من عنصر الحقيقة تجرداً تاماً . ولا بد من أن يجيء يوم يماط فيه اللثام عن العلاقة بين العالم المنظور والعالم غير المنظور ويميز فيه بين العلم الحقيقى والشعوذة الكاذبة

داء السرعة وبيل

[خلاصة مقالة عن مجلة
فوروم . بقلم رسل بيترس]

نحن الآن فى عصر قد أصبح فيه الاوتوموبيل خطراً على الحياة وأصبحت فيه السرعة داء وبيلا . وقد حاول الكثيرون معالجة هذا الداء واقترحوا لذلك الادوية المختلفة ولكن اقتراحاتهم لم تجاوز حد الكلام . فما أشاروا به سن قانون يمنع المصانع من صنع أوتوموبيلات تزيد سرعتها على حد معين . وصنع آلات خاصة إذا وضعت فى الاوتوموبيل تحكمت فى سرعته . وغير ذلك من الاقتراحات التى يصعب تنفيذها

ان ضحايا الاوتوموبيلات فى العالم يعدون بالملايين . ففى أميركا وحدها بلغ عددهم فى العشر السنوات الاخيرة عشرة ملايين على أقل تقدير . وهذا يزيد زيادة كبيرة على مجموع عدد قتلى الاميركيين فى جميع الحروب التى خاضوها منذ حربهم الاهلية الى هذا اليوم

ولا شك أن أول أسباب تلك الفواجع هو السرعة . وكثيرون من سائقة الاوتوموبيلات

يعتقدون أنهم لا يسرعون حالة كونهم فى الحقيقة مسرعين . وقد يندفع الواحد منهم بسرعة ثمانين ميلا فى الساعة وهو يزعم أنه انما يسوق بسرعة اعتيادية . ومن الشبان من إذا اجتمع بنفر من أصدقائه لا يلذ له إلا المباهاة بسرعة اوتوموبيله وبالوقت الوجيز الذى قطع به كيت وكيت من الاميال ، فيرد عليه صديق آخر مبالغاً بسرعة أوتوموبيله ماشاء له طيش الشباب

وفى احصاءات شركات التأمين الموثوق بها أن حوادث الوفيات الناتجة عن الاوتوموبيلات قد زادت فى بضع السنوات الماضية زيادة هائلة . فبعد أن كانت تلك الحوادث منذ ست سنوات فقط ثلاثة فى المائة من مجموع حوادث الوفيات بوجه الاجمال ، أصبحت نحو خمس مجموع تلك الحوادث ، اى ان النسبة زادت ١٧ فى المائة فى ست سنوات . كل ذلك بسبب زيادة سرعة الاوتوموبيلات . ولو عقل مرتكبو تلك الفواجع أن هذه السرعة انما جعلت لزيادة راحة الانسان ورفاهته وللاقتصاد فى ثمن الوقود ما ساعدوا على قلب تلك البركة لعنة . وفى الحقيقة أن السرعة تشبه السم فى بعض الحالات ، قليله نافع وكثيره ناقع

وليست السرعة وحدها هى سبب تلك الفواجع بل هنالك سبب ثان هو الطيش والنزق وجهل آداب السياقة . فلقد يجد أحدهم أوتوموبيلا يسير قدامه بسرعة . فتأخذه نزوة الغرور فيجد فى سبق ذلك الاوتوموبيل له غضاضة فيعمل على اللحاق به ، مخالفاً بذلك آداب السياقة

وهنالك سبب ثالث وهو جهل المارة الذين يسيرون على أقدامهم ويجتازون الشوارع غير مكترثين لاخطار الاوتوموبيلات . وكأنهم وهم يسيرون فى عرض الشارع يتحدون سائقى الاوتوموبيلات ويهزون اكتافهم ، بل لقد ينظرون اليهم نظرة ازدراء تستفز غضب السائقين

وهنالك سبب رابع وهو حالة السكر التى قد يكون عليها بعض الذين يسوقون الاوتوموبيلات . فكثيرون منهم يسوقون وهم ثملون لا يكادون يرون ما أمامهم . نعم ان إدارات الشحنة والاطباء لم يتفقوا حتى الآن على تعريف السكران وتعيين كمية المسكر التى اذا شربها الانسان عد سكران . ولكن العقلاء متفقون على أن من الخطر السماح لأى امرىء بأن يسوق اتوموبيلا وهو فى حالة غير اعتيادية بسبب شربه مسكراً

فترى مما تقدم أن أسباب فواجع الاوتوموبيلات هى أربعة : وهى السرعة وجهل آداب السياقة وجهل المارة وحالة السكر . نعم إن هنالك أسبابا أخرى ولكن هذه أهمها وأعمها . وليس من الممكن تعيين نصيب كل واحد منها من الضحايا . على اننا لا نبرىء بعض المحاكم والقوانين من التبعة اذ كثيراً ما يقع إهمال من تلك المحاكم فتتساهل مع المتهمين ولا تصدر عليهم احكاما رادعة . وما دامت المحاكم والقوانين على مثل هذه الحال من التساهل فكيف ينتظر أن تكون احكامها زاجرة؟

وقد خطر لبعضهم انشاء مدارس خاصة لتعليم الاحداث فن السياقة وآدابها وكيفية اتقاء مخاطرها . وفى احدى جهات الولايات المتحدة مدرسة من هذا القبيل

الحروب وسكان العالم

[خلاصة مقالة عن مجلة «لو»
بقلم جاستون بوتول]

ظهر فى فرنسا حديثا كتاب بعنوان « سكان العالم » شرح فيه المؤلف تأثير الحروب فى البشر من الوجهين المادى والمعنوى . وقد جاء فى أحد فصوله أن أوربا شهدت فى الخمس الاول من القرن التاسع عشر والخمس الاول من القرن العشرين حربين كانتا بلا شك من أعظم حروب التاريخ وكان بينهما وجوه شبه كثيرة أهمها ان كلتيهما وقعت على أثر فترة من الرخاء العمرانى الذى لم يسبق له مثيل وبعد زيادة كبيرة فى عدد سكان الشعوب . وقد أودت كلتاهما بعدد عظيم من الضحايا وكانت الخسارة المادية الناتجة عنها عظيمة جدا . على أن النقاد والمؤرخين كثيراً ما بالغوا فى تقدير تلك الخسارة . وفى الحقيقة أنها كانت فى كلتا الحربين دون ما يصورها خيال الكتاب والمؤرخين ، فقد كان من السهل اصلاحها والتعويض عنها وكان الناس فى ايام نبوليون أكثر مراعاة لآداب الحروب،ولذلك كان الخراب الذى حل بالبلاد أقل مما كان الناس يهولون به يومئذ . وفى الحرب الاخيرة التى تحولت بعد بدئها بقليل الى حرب خنادق ، لبثت القوتان المتقاتلتان ثابتتين فى أماكنهما مدة طويلة . فأغنى ذلك عن كثير من الخراب والدمار ووقفت الخسارة المادية عند حد . فضلا عن أن البلاد عمرت بعد الحرب بسرعة مدهشة بفضل الوسائل الفنية الحديثة

وقد قرر بعضهم عدد قتلى الحرب العظمى الاخيرة بنحو عشرة ملايين من الجنود ، يضاف اليهم الذين توفوا بأسباب ترجع الى الحرب بطريقة غير مباشرة ممن أصيبوا بأمراض وآفات ومن الاهالى غير المحاربين ، وقد قدر عددهم بخمسة وعشرين مليوناً فيكون مجموع عدد الضحايا من المحاربين وغير المحاربين خمسة وثلاثين مليوناً

على أن جميع هذه الخسارة فى الارواح والاموال والممتلكات أمكن التعويض عنها بسرعة ، فلم تنقض على نهاية الحرب بضع سنوات حتى كان عدد سكان البلاد التى اشتبكت فيها قد عاد الى المستوى الذى كانت عليه قبل نشوب الحرب

على أن هنالك وجه شبه آخر بين الحربين المشار اليهما . وهذا الشبه خطير جداً يدعو الى أشد القلق لانه أهم من جميع الاعتبارات المادية . ألا وهو هبوط نسبة المواليد هبوطا خطيراً . فقد لوحظ هذا الهبوط على أثر الحروب البونابرتية كما لوحظ أيضا على أثر انتهاء الحرب العظمى الماضية . وليس هذا الهبوط وقتياً بل هو — كما تدل الدلائل — ثابتاً باقياً . ففى أيام الحروب البونابرتية كانت فرنسا أعظم بلدان أوربا باعتبار عدد السكان . إذ كان عدد أهاليها عند بدء الثورة الفرنسية نحو خمسة

وعشرين أوسنة وعشرين مليون نفس . وعدد سكان النمسا ثمانية عشر مليوناً . وعدد سكان الجزائر البريطانية نحو اثنى عشر مليوناً وعدد سكان بروسيا خمسة ملايين . وعـدد سكان روسيا خمسة وعشرين مليوناً . ولذلك كانوا يسمون فرنسا « الصين الاوربية » وكان نابوليون يدرك ما لزيادة عدد الشعب الفرنسي على غيره من الشأن ويعلم أن تلك الزيادة سلاح عظيم فى يده . وتروى عنه أقوال كثيرة فى هذا الشان . قيل ان أحد قادة جيشه تقدم اليه مرة قبيل احدى المعارك الكبرى ونبهه الى وجوب الاحتفاظ بالجنود وعدم التفريط بهم خوفاً من نقص عدد السكان . فقال نابوليون : « وماذا يهم ؟ ان ليلة واحدة بباريس تعوض عن كل خسارة ! » ونبهه مرة مترنيخ الى وجوب الاقتصاد فى عدد الجنود فقال : « ان امرأ مثلى لايكترث لهلاك مليون جندى أو اكثر ! . . . » على أن فرنسا كانت وهى سكرى بخمرة انتصارات نابوليون تشعر بالخطر المحدق من نقص المواليد

وفى سنة ١٩١٣ — أى فى السنة التى تقدمت الحرب العظمى الماضية — كان عدد سكان المانيا سبعين مليونا وعدد سكان النمسا خمسين مليوناً ومجموع ذلك نحو مائة وعشرين مليوناً . ولما وضعت تلك الحرب أوزارها كانت نسبة المواليد فى المانيا والنمسا قد هبطت هبوطا محسوساً . وفى الحقيقة أن هذه النسبة هبطت بعد تلك الحرب فى جميع البلاد التى خاضت غمارها . ولكن هذا الهبوط كان على أعظمه فى فرنسا ولهذا باتت هذه الدولة تنظر الى المستقبل بعين القلق

على أن أشد نتائج تلك الحرب خطراً وقف انتشار النفوذ الاوربى فى العالم وقوفا تدل القرائن على أنه سيكون دائماً . وليس غرضنا الآن الكلام على الاعتبار السياسى بل على الاعتبار العمرانى الاقتصادى . فمنذ سنة ١٩٣٠ أصبح الانتاج الصناعى فى انجلترا والمانيا أقل مما كان فى سنة ١٩١٣ ، أما فى فرنسا فقد أصبح معادلا . ومن الجهة الاخرى كانت أوربا قبل الحرب ترسل الى العالم الجديد كل سنة نحو مليونين من المهاجرين ، ولكن العالم الجديد قد أوصد اليوم أبوابه فى وجوه أولئك المهاجرين . والارجح أنه لولا الحروب ما كانت الولايات المتحدة تسن القوانين الجديدة التى قيدت بها المهاجرة على الوجه الحالى ، ولا كانت المستعمرات البريطانية اقتدت بهـا وأوصدت أبوابها فى وجوه الغرباء ، مع أنها كانت قبل الحرب تقبل المهاجرين بصدر رحب وذراعين مفتوحتين

فاذا اتضح كل ما تقدم لم يبق شك فى حقيقة الاثر الذى أحدثته الحروب البونابرتية فى فرنسا وأوربا والاثر الذى تركته الحرب العظمى الاخيرة فى جميع البلاد التى خاضت غمارها . فقد أفضت الحروب البونابرتية الى تناقص المواليد فى أوربا بوجه عام وفى فرنسا بوجه خاص . ولا شك ان التناقص كان على أشده فى فرنسا ، وكذلك كانت نتيجة الحرب العظمى الاخيرة التى وقعت بعـد حروب نابوليون بمائة سنة ، فقد أفضت الى تناقص نسبة المواليد فى جميع البلدان التى خاضت غمارها . وهنالك قرائن تدل على أن هذا التناقص هو على أشده اليوم فى المانيا

مت لأحيا !...

[خلاصة مقالة عن مجلة كومون
سنس . بقلم كاترين كيلوك]

من الامور الجديرة بالاعتبار أن نفقات المعيشة فى أميركا لا يفوقها إلا نفقات الموت . ففى احصاء موثوق به ان مجموع ما جنته شركات صناع التوابيت ودفن الاموات ومن يتصل بهذه المهنة من قريب أو بعيد زاد فى السنة الماضية على خمسمائة مليون دولار موزعة كما يأتى :

أربعمائة مليون دولار أجرة مركبات نقل الموتى وحفر القبور

ستون مليون دولار ثمن أكاليل الازهار

أربعون مليون دولار ثمن اقامة تماثيل على القبور

فترى من ذلك أن مهنة حفر القبور ودفن الاموات — وهى من أقدم المهن التى زاولها الانسان — هى من أروج المهن فى أميركا وأعودها بالربح . ولقد بدأت طوالع هذا الرواج سنة ١٨٧٠ إذ شاعت عادة التأمين على الحياة وأقبل الناس على تحنيط موتاهم . وكانت جثث الفقراء ترسل قبل ذلك الى كليات الطب ليتمرن الطلبة على علم التشريح . أو كانت تلقى فى حفرة عامة تضم جثث معظم الفقراء . لذلك كان هؤلاء يحقدون على الاغنياء من أجل المصير الذى تصير اليه اشلاؤهم . وبمرور الزمن نشأت شركات صغيرة لمزاولة أعمال الدفن ولانقاذ جثث الفقراء من أيدى طلبة مدارس الطب . ثم نمت تلك الشركات واتسع نطاق أعمالها ، وساعدها على ذلك شيوع عادة التأمين على الحياة بين الصناع إذ كان هؤلاء يتعاقدون مع شركات التأمين على دفع مبالغ تافهة كل اسبوع ليضمنوا نفقات دفنهم عند الوفاة . ولا تزال هذه العادة كثيرة الشيوع فى أميركا حتى الآن . ويقال ان مجموع المبالغ المؤمن بها فى الولايات المتحدة يبلغ اليوم ثمانية عشر الف مليون دولار ، وإن جانباً كبيراً من هذا المبلغ مخصص بدفع نفقات الدفن عند الوفاة

وقد شاعت عادة التحنيط فى أميركا شيوعا كبيراً حتى صارت مورد ربح عظيم لمن يزاولون مهنة دفن الاموات ولمن يتاجرون بالمواد التى لا غنى عنها للتحنيط كالشمع والمسحوقات والمعقمات وغيرها من المواد الكيميائية . والارجح أن مهنة التحنيط هى التى مهدت السبيل لظهور شركات الدفن وساعدت على رواج أعمالها . وكثيراً ما تجد على أبواب تلك الشركات اعلاناً كهذا : « الشركة ترسل سيدات لتحنيط جثث الاولاد والنساء »

ويؤخذ من احصاء رسمى أن عدد الذين يزاولون مهنة التحنيط فى أميركا من رجال ونساء بلغ سنة ١٩٣٠ نحو أربعة وثلاثين الفا . وفى سنة ١٨٩٤ بلغ عدد الوفيات ١٩٤ لكل واحد ممن

يشتغلون بمهنة الدفن (وهم الذين تسميهم العامة حانوتية) ولكن هذه النسبة هبطت فى سنة ١٩٣٠ الى أربعة وأربعين لكل واحد بسبب ازدياد عدد الذين يزاولون مهنة الدفن . نعم ان عدد سكان الولايات المتحدة زاد ولكن هذه الزيادة لم تنفع مزاولى تلك المهنة لان زيادتهم تفوق نسبياً زيادة عدد السكان

على ان نفقات الدفن نفسها قد زادت . فبعد أن كان الناس حتى الاغنياء منهم يكتفون بتوابيت مصنوعة من خشب الصنوبر صاروا يطلبون اليوم توابيت فخمة من خشب الجوز أو السنط أو الماهوجنى أو البقم أو من معدن البرونز والكروميوم والفضة وبطانته من المخمل والحرير الناعم . وكل ذلك دليل على غرور الانسان وتمسكه باهداب المجد الكاذب

أما المقابر ففى أميركا اليوم منها خمسة عشر الف مقبرة تباع فيها الارض لمدد محددة ، واسعار الارض فى ارتفاع مستمر . ففى احدى تلك المقابر كانت القطعة منذ عشرين سنة تباع بنحو خمسة وستين دولاراً فاصبحت اليوم تباع بنحو الف دولار . وفى نيويورك مقبرة تباع كل قطعة أرض منها بعشرة آلاف دولار أى ان الفدان الواحد منها يباع بنحو مليون دولار . ويمكن اعادة بيع كل قطعة لان البيع انما هو لمدة معينة فاذا لم يجدد الشارى شراءه للارض بيعت لغيره

ومنذ بضع سنوات أصبحت المقابر الكبرى الكائنة بضواحى الحواضر تواجه الصعاب الجمة من جهة ادارتها وصيانتها وحفظ رونقها وجمال منظرها . وفى الحقيقة ان اهتمام اكثر الناس بقبور موتاهم قلما يظل اكثر من بضع سنوات . وقد أدرك الاوربيون هذه الحقيقة ، ولذلك تراهم يستأجرون الارض فى المقبرة لمدة معينة تمتد من عشر سنوات الى خمس وعشرين سنة . فاذا انتهت المدة ولم يجدد عقد الايجار استعملت الارض لدفن الغير

وهنالك اليوم مقابر خاصة هى حدائق غناء — والقوم يسمونها حدائق تذكارية — والدفن فيها مقيد بقيود وشروط كثيرة ولها قوانين كثيرة — منها أنه لا يجوز استعمال الرموز العتيقة وان مايكتب على كل قبر يجب أن توافق عليه اللجنة المشرفة على الحديقة . وفى ضواحى احدى الحواضر الكبرى حديقة من هذا القبيل يبلغ ريعها السنوى نحو نصف مليون دولار . وتنفق على صيانتها وتجميلها أموال كثيرة

وليس بيع الارض المورد الوحيد لريع تلك المقابر ، بل هنالك نفقات وأجور كثيرة تدفع مقابل أعمال وخدمات يقوم بها موظفو الحديقة، وملاحظوها ومدبرو شؤونها . فتزيين القبر من وقت الى آخر بالازهار ، وتعهده وصيانته بانتظام ، وكراء الميادين الفسيحة داخل الحديقة للاحتفال بالدفن ، وحراسة الميت فى تابوته فى الايام الاولى بعد الوفاة — جميع هذه الخدمات وغيرها مما يتصل بها هى مورد ريع عظيم للشركات التى تمتلك المقابر

الادب المكشوف

[خلاصة مقالة عن مجلة
روتاريان . بقلم شانج بولوك]

فى غريزة الانسان ميل كامن الى كل ما يتعلق بالغريزة الجنسية من كتب وصور . وقد أصبح هذا الميل بعد الحرب زياً متفشياً بفضل السفسطائيين الذين يزعمون أن الفضيلة قد أصبحت زياً عتيقاً وأن الكتب والروايات التى تشير الى العلاقات بين الجنسين بكل حرص قد أصبحت تافهة لا يميل أحد الى مطالعتها

ومن دواعى الاسف أن هؤلاء السفسطائيين قد وجدوا من الجمهور آذاناً صاغية والفوا بين القراء من يؤيدهم ويوافق على مبدأهم . فاصبحوا فى نظر الجيل الحديث زعماء الادب وقادة الفكر ! وهم لايكتفون بما يسودون به صفحات الكتب والجرائد والمجلات بل ينادون بفلسفتهم الغريبة من على رءوس المنابر ويحاولون كسب الأتباع ، موهمين الجماهير أن «الادب المكشوف» لا يعتبره العقلاء اليوم دليلا على انحطاط الاخلاق ونذالة الآداب ، بل بالعكس برهاناً على التجديد وسمو الافكار والشجاعة الادبية . وعليه صارت المطابع تمطرنا كل يوم كتباً ومطبوعات ما كان آباؤنا ليسمحوا لأحد منا بقراءتها أو بالقاء نظرة عليها بل كانوا يخجلون من اقتنائها

أما الآن فزعماء الادب السفسطائى يقولون لك إن من اللباقة أن تكون من أنصار الادب المكشوف . ومما يزيد الطين بلة أن من السهل معالجة هذا الضرب من الادب والكتابة فيه ، بخلاف الادب المستور الذى عالجه معظم الكتاب والشعراء الذين امتدحوا الفضائل ورفعوا أعلامها . وقد قال أحد رجال الدين عن زعماء الادب المكشوف : «إن انوفهم لا تشم رائحة النتانة الخبيثة»

أما سبب شيوع هذا النوع من الادب فهو كساد بضاعة الذين تطفلوا على موائد الكتابة فلم يفلحوا . فرأوا أن يسعوا الى النجاح عن طريق آخر ، فاساغوا لاقلامهم أن تخوض فيما كانوا يحرمونه من قبل ، وطفقوا يكتبون فى موضوعات ما كان أحد ليجرؤ على التفوه بها علنا حتى بين أحط طبقات العامة . ولكن هى السفسطة قد جعلت « القذارة » مورد ربح عظيم وعلمت بعض الكتاب ان أقرب الطرق الى الثروة هى دفع القلم ليجرى بلا قيد واطلاق العنان له ليسطر كل ما يشاء . أو ليس من البلية ان أحدهم أراد ان يحط من قيمة كتاب طلب منه تقريظه فكتب يقول عنه : « انه نظيف ! » أراد بذلك أنه تافه لا أثر فيه للادب المكشوف ؟

ولسنا ننكر أن الحرية الجديدة التى قد استباحها أنصار الادب المكشوف لانفسهم لا تزال تمارس على الغالب فى الروايات التمثيلية وبين جدران الملاهى ، ولكننا لا نزال فى الدور الاول من

أدوار هذا الادب والذين يعالجونه يذهبون فيه أفانين كثيرة ويحتالون على رواج مايكتبونه بمختلف الاساليب . مثال ذلك ان أحدهم أراد ترويج رواية جديدة فقال فى تقريظها : أن فيها كتابات وعبارات تلميحية لاتستطيع هذه الجريدة نشرها . فكان من نتيجة هذا التقريظ أن راجت الرواية رواجاً لم يتسن مثله لغيرها ، ومع ذلك فقد دعا كاتب هذه السطور مؤلف تلك الرواية ومقرظها ونفراً من الكتاب الى مأدبة غداء وتحدى أيا منهم أن يقرأ بعض فصول تلك الرواية بصوت عال على مسمع من المجتمعين (وكان مع كل ضيف زوجته وابنته) فلم يجرؤ أحد منهم على ذلك

وفى الحقيقة أن التمادى فى الكلام على هذا الوجه ليس مرجعه الى الادب بل الى الذوق . وقد عرف بعضهم « القذارة » التى نحن بصددها فقال : « هي الاندفاع فى الكلام المنافى للذوق والتظاهر بأنه من مقتضيات الرقى » ومثل هـذه النظرة فى « الادب المكشوف » هى نظرة غير موفقة . والذين يعالجون الكتابة فيه لايخرجون على الادب فقط بل على الذوق أيضاً

وانه لمن أشد دواعى الاسف أن يحاول بعض الجهلاء أن يزعزعوا ايماننا بمتانة الاسس التى تقوم عليها الحضارة الحاضرة والتى لابقاء لها بدونها . وإذا كانت احصاءات الجرائم تدل على ازدياد الجرائم التى مرجعها الى الامور الجنسية أفليس سبب ذلك تهافت أهل هـذا الجيل على مطالعة الكتب الملوثة بسموم الادب المكشوف والتى يزعم مؤلفوها أن الاسس التى يقوم عليها كياننا الادبي عتيقة واهية ؟ وفى الحقيقة أن هذا الشذوذ الطارىء على خلقنا يرجع بعض الشيء إلى السينما وتأثيرها فى نفوس أهل هذا الجيل . فبعد أن كان الاسكندر وقيصر ونابوليون وارسطو ونيوتن وفلورنس نيتنجايل ومدام كوري وأمثال هؤلاء هم الابطال الذين يملأون فراغ مخيلتنا ويستولون على مشاعرنا ، أصبح جون جلبرت وجلوريا سوانسون وغيرهما من كواكب السينما هم الابطال الذين تحق لهم كل عبادة ويوجه اليهم كل احترام . كيف لا وأمثال هؤلاء الكواكب لا يكادون يغيبون عن أنظارنا ليل نهار ؟ وهم بدلا من أن يكونوا مستكملين شروط الرجولة أو الانوثة الحقيقية تراهم سوداويي المزاج شاحبي اللون من فرط انهماكهم فى الشؤون الجنسية ، وأ كثرهم يمثل فصل الزوج الخائن لزوجه ، أو الفتاة المفرطة فى عفافها ، محاولين ايهام الجمهور أن العبث بالشرف والآداب والواجبات الزوجية من توافه الامور التى يجب أن لا يؤبه لها . نعم ان من واجبات الممثل ان يمثل شؤون الحياة كما هى من دون تنقيح أو تغيير . ولكن أليس بين تلك الشؤون ما هو أجدى عظة من الشؤون الجنسية وما نحن أحوج الى الاتعاظ به من خيانة الزوجة لزوجها وعبث الفتاة بعفافها واسترسال الشاب فى شهواته ؟ ثم ان بعض الكتاب الذين اتهموا بانتصارهم للادب المكشوف — من أمثال بلزاك واميل زولا وغيرهما — لم يحاولوا تصوير الخلاعة والرذيلة والشهوات الجنسية بصورة الفضيلة بل صوروها كما هى وقصدهم من ذلك أن يكرهوا الرذيلة الى قرائهم

هل تفهم نفسية ولدك ؟

[خلاصة مقالة عن مجلة سكربنر .
بقلم السيدة جريس ادمز]

إن الولد فى سن الحداثة يمتاز عادة بالانانية والعناد والقسوة والنسيان ونقص المنطق . وميله الى المجون والملح (النكات) ضعيف لا قيمة له . ولكن ميله إلى القسوة والخشونة شديد جداً . وليس ذلك ناشئاً عن نقص فى تربيته أو تهذيبه بل عن كونه ولداً عادياً كسائر الاولاد . ولا شك أن كل واحد منا هو — لولا الخبرة والحنكة اللتان تكسبنا السنون إياهما — مثل ذلك الولد بوجه الاجمال . وذلك الولد — إذا أتيحت له الفرص التى قد أتيحت لنا — سيصبح بعد طول الزمن والاختبار مثلنا . على أننا إذا أخذتنا به الرأفة وأمسكنا عنه عصا التأديب أطلنا المدة التى تتكون فيها أخلاقه وأبعدنا عنه الطور الذى تصبح فيه تلك الاخلاق ملائمة لمقتضيات الحياة

ولا يستطيع أحد أن ينكر أن فى الولد الاعتيادى صفات وفضائل تكفر عما فيه من نقائص . وفى مقدمة تلك الصفات قدرته على تعلم الاشياء بسرعة كبيرة . ولعل من أقوى الدوافع التى تحمله على اتيان أى عمل ميله الغريزى الى تقليد الذين هم أكبر منه . وهذا الميل هو من الصفات التى يمتاز بها والتى تكاد توجد فى كل ولد

وههنا تعرض لنا هذه المشكلة وهى : الى أى مهذب يجب أن يعهد فى تهذيب الولد وترقية مستواه العقلى — الى الكبار الذين لهم سلطة عليه أم إلى الاختبار الذى هو المعلم الا كبر والمرشد الاصدق ؟

لو عرض هذا السؤال على الولد نفسه وطلب اليه ابداء رأيه لاختار على الارجح أن يتولى أمر تهذيبه وتعليمه الاشخاص الذين هم أكبر منه والذين لهم سلطة شرعية عليه . على أن هنالك أشخاصاً أكبر منه يؤثرون فيه ولا سلطة شرعية لهم عليه . ثم إنك لو راقبت الولد فى أثناء اللعب واللهو والدرس والاستراحة لرأيت أن أهم الاشخاص الذين يؤثرون فى نفسيته وتصوراته هم الوالدون ورجال الشرطة ورجال الدين وأساتذة المدرسة وكل من يقوم بعمل متواصل يسترعى انتباهه واهتمامه . وتتضح لك هذه الحقيقة اذا راقبت جماعة من الاولاد يلعبون معاً فان كلا منهم يمثل دور رجل من الرجال البالغين المشار اليهم . فهذا يمثل شرطياً ، وآخر يمثل والداً ، وثالث يمثل رجلا من رجال الدين ، ورابع يمثل أستاذ مدرسة وهلم جرا

وفى الحقيقة أن فى الولد الصغير ميلا غريزياً إلى ان يتولى رعاية امره رجل كبير . ويتمنى لو ان ذلك الرجل يكون واحداً ممن اشرنا اليهم . ذلك لانه يعتقد انه إذا تولى مثل ذلك الرجل امر رعايته صار يشعر بالطمأنينة كما يشعر الخائف عند ما يكون فى كنف رجل قادر

وغنى عن البيان ان العامل الذى يؤثر فى الولد اكثر من أى عامل آخر هو الخوف . والولد يخاف ويشعر بهلع شديد اذا رأى نفسه وحيداً ليس له من يحميه ويعطف عليه عند احداق الخطر به . فاذا شعر مثلا بأنه يسقط من المكان الذى هو فيه او بأن كلباً شرساً يدنو منه وليس معه من يحامى عنه وينقذه ، استولى عليه ذعر شديد كثيراً مايدفعه الى الصراخ والبكاء . وهذا الشعور يظل ملازماً للولد كلما شعر بأن الخطر محدق به ولو كبر وصار شاباً . وقد يشعر بمثل ذلك الخوف اذا وجد نفسه فى بيئة غير بيئته وبين جماعة لا يعرفهم ولم يعلم كيف يتصرف او ما ذا يجب ان يفعل

ومما يجدر بالذكر ان الاولاد يميلون الى المحافظة على القديم ولا يريدون الحياد عنه . فاذا سمع احدهم حكاية من مربيته ثم طلب اليها فى اليوم التالى أن تعيدها على مسمعه فانه ينتظر منها ان ترويها له كما روتها بالأمس بلاتغيير ولا ابدال . واذا سمع تلك الحكاية عينها من شخص آخر فانه لايسمح لهذا الشخص بأن يغير منها شيئاً وكثيراً ما يرده الى الصواب كلما نسى منها شيئاً او احدث فيها تغييراً

وكذلك تراه فى ساحة اللعب ايضاً فانه شديد المحافظة على القواعد التى تعلمها ولايسمح لأحد بتغييرها أو الاعتداء عليها . ويظل هذا الميل الى المحافظة على القديم قويا فيه حتى بعد ان يكبر ويصبح شاباً ، ولا يقلع عنه الا بمرور الزمن وبازدياد الاختبار

ومن الصفات العامة التى يمتاز بها الاولاد حبهم للاستطلاع وميلهم الى معرفة كل شيء . ولذلك تراهم كثيرى الاسئلة قد يمطرونك منها وابلا بلا انقطاع وكلها اسئلة تفاجئك على غير انتظار وتشف عن رغبة فى فهم كل ما حولهم وما يبدو لهم وعن تعطش الى رى ظمئهم من مياه الحكمة والمعرفة. وقد لا يكون ذلك الوابل من الاسئلة نتيجة ذلك التعطش بل نتيجة شوق الولد الى أن يعرف هل تعليله لكيت وكيت من الامور صحيح وهل تفسيره لما يراه ويسمعه ينطبق على الحقيقة . وبعبارة اخرى انه يمطر غيره وابلا من الاسئلة وهو يتوقع ان تكون الاجوبة عنها مؤيدة لاختباره ولما هو راسخ فى عقيدته . فهو لا يطلب فى الحقيقة توسيع نطاق معلوماته وترقية مداركه بل أن تكون الوقائع مؤيدة لملاحظاته واختباراته . فهو اذ يسالك مثلا : « لماذا يكون الثلج بارداً ؟ » يريد فى الحقيقة أن يقول : « إن الثلج بارد دائماً أليس كذلك ؟ » وإذ يسالك : « لماذا يكون الليل مظلماً ؟ » يريد فى الحقيقة ان يقول : « إن الليل يكون مظلماً دائماً أليس كذلك ؟ » وغنى عن البيان ان أكثر الاجوبة عن تلك الاسئلة ليست فى الحقيقة اجوبة بالمعنى العلمى . فالولد الذى يسأل أمه : « لماذا يشرق القمر فى الليل فقط » تجيبه امه : « لأن القمر لا يشرق الا فى الليل »

والولد الاعتيادى يحيره كل مايشاهده حوله من وقائع ومناظر . ولكى يخلص من هذه الحيرة ويعرف كيف يتصرف يمطر من حوله وابلا من الاسئلة عنها . ومن اشد الخطأ ان يظهر الوالدون التضجر كلما ألقى عليهم اولادهم شيئاً من الاسئلة لانهم بتضجرهم يحرمون أولئك الاولاد شعور الطمأنينة التى لا يمكن ان يحس بها الولد الا اذا اجيب عن كل سؤال يلقيه بما يؤيد اعتقاده

لماذا نقتل ؟

[خلاصة مقالة عن مجلة جون أوف لندن . بقلم رئيس تحرير المجلة]

إن الميل الجنونى إلى سفك الدماء لا أثر له إلا فى نفوس القليلين، بخلاف ما تصوره لنا الروايات السينماتوغرافية وغيرها فانها تمثل الانسان وحشاً فى صورة إنسان وتبسط لنا ميوله وغرائزه بأشنع صورة . ويقول أحد الاطباء الذين درسوا ميل الانسان إلى الاجرام إن الاسباب التى تدفع إلى ارتكاب الجرائم تختلف باختلاف أمزجة الافراد . فمن الناس من يرتكب جريمة القتل وهو فى سورة الغضب . ولعل هذا أشيع أسباب القتل . ومنهم من يقتل وهو مدفوع بدافع الغيرة والحسد، سواء كان فى ميادين الحب أو العمل التجارى أو غيرهما . وهذا أيضاً سبب كثير الشيوع . ومنهم من يقتل مدفوعاً بعامل الجشع والشراهة . وبعضهم يقتل مدفوعاً بدافع الثأر والانتقام . وقد يقتل للتخلص من شخص غير مرغوب فيه أو من شخص يخشى بأسه . وهنالك أسباب أخرى تدفع الى القتل وهى تافهة غير وجيهة . وإذا استثنينا دافع الجنون — وهو سبب قوى — لم يبق أمامنا مايصح اعتباره سبباً عاماً للقتل

وقد ألقى طبيب اخصائى منذ مدة خطبة فى جمعية الطب الشرعى بمدينة لندن شرح بها العلاقة بين جرائم القتل وغرائز الانسان، فقال إن فى مقدمة البواعث على القتل ميل الانسان الغرزى الى الكسب والحيازة وهو ميل تظهره الجريمة بابشع مظاهره وصوره . وهنالك أيضاً غريزة الدفاع عن النفس وغريزة الجشع والغرائز الجنسية . كل هذه أسباب عامة تدفع بالمرء إلى ارتكاب جريمة القتل . وقد تعمل كل منها على حدة وقد تعمل عدة أسباب منها معاً . ولعل اغربها حب الشهرة ويحسبه بعضهم ضرباً من الجنون ويسمونه جنون الشهرة . وهو دافع قوى ولكنه نادر لحسن الحظ

وقد يعجز العقل أول وهلة عن ادراك السبب الذى يستفز المرء الى ارتكاب جناية القتل ثم يتضح بعد ذلك أنه سبب نفسانى (بسيكولوجى) يمكن تتبعه الى عهد الحداثة اى العهد الذى تقوى فيه الغرائز والبواعث النفسانية . وهذا يوجب على القضاة ان يتريثوا فى الاحكام التى يصدرونها على مرتكبى جرائم القتل وألا يغفلوا ذلك العامل البسيكولوجى

ومن الناس من يزعم ان المجرم الذى يعترف من تلقاء نفسه بارتكاب جريمة القتل مصاب بشىء من الخبل فى قواه العقلية . ولكنه زعم فاسد لان السواد الاعظم من الذين يعترفون بجرائمهم انما يعترفون بعد استعمال وسائل الضغط والاحتيال معهم . أما الذين يعترفون من دون ان يلجئهم الى ذلك اى سبب فهم قليلون جداً . وهؤلاء قد يظلون مصرين على الانكار مدة طويلة ولكن

صوت الضمير بظل يوبخهم توبيخاً شديداً فيقض مضجعهم ويحرمهم لذيذ الرقاد . وبعد صراع عنيف يقوم في داخلهم ويعانون من جرائه ما تنوء به راسيات الجبال، تخور عزائمهم فيسقطون منهوكي القوى ويستسلمون إلى الاعتراف . وكأنهم يعترفون وهم لا يعلمون ماذا يفعلون ، إلا القليل منهم ممن يبادرون إلى الاعتراف بلا تسويف ولا مماطلة لان ضمائرهم تدفعهم الى ذلك وشعورهم بالخطأ يحملهم على تقرير الواقع خيفة أن يتهم برىء بجريمة غيره

وهنالك اعتقاد شائع عند بعض الأطباء الشرعيين مؤداه أن المجرم الذى يطعن فريسته طعنات متعددة ولا يكتفي بطعنة أو طعنتين لا بد أن يكون مصاباً بخبل في قواه العقلية . على أن المباحث الطبية الدقيقة قد أثبتت فساد هذا الاعتقاد كما أثبتت أيضاً فساد زعم الذين يقولون إن استعمال عدة آلات لارتكاب جريمة واحدة دليل على عدم سلامة العقل . فقد طعن مجرم مرة فريسته أربعين طعنة كانت كل واحدة منها تكفي للقضاء على الفريسة . ثم أثبت الفحص الطبي الدقيق أن المجرم كان سليم القوى العقلية . واستعمل مجرم آخر « غدارته » ومديته ولم يسفر فحص قواه العقلية عن أن به مساً من الخبل . وأمثال هذه الحوادث كثيرة متنوعة . وكلهـا تدل على أن المجرم قد يطعن فريسته عدة طعنات أو يستعمل في اغتيال تلك الفريسة غير آلة ولا يكون به أى جنون

ويؤخذ من احصاءات ادارات الشحنة وحفظة الأمن في بلاد أوربا وأميركا أن الآلات القاطعة هي أشيع الآلات التي يستعملها المجرمون في ارتكاب جرائم القتل تليها الاسلحة النارية ثم السموم . ويظهر أن الذين يسمون فرائسهم هم أبعد المجرمين عن الجنون أى أن استعانة المجرم بالسم دليل على سلامة قواه العقلية . نعم ان بعض المجرمين الذين يسمون فرائسهم يتظاهرون بالجنون . ولكن الطبيب الشرعي الحاذق لا تفوته هذه الحقيقـة وهي أن الجنون واستعمال السم لا يجتمعان

ثم إن بين المجرمين طائفة من أصحاب الامزجة السوداوية يرتكبون جريمة القتل وهم يعتقدون أنهم بجريمتهم هذه يكفون فريستهم مؤونة كثير من الاحزان والآلام . ومن هذا القبيل ما ارتكبه أحدهم وهو أنه قتل زوجته من آلام مرض قرر الأطباء أنه لاشفاء يرجى لها منه

ثم ان هناك طائفة من المجرمين يدفعهم الجنون الى ارتكاب ما يرتكبونه . أمثال هؤلاء يستسلمون الى التفكير ليل نهار وهذا التفكير يوجد عندهم نوعاً من الجنون يدفعهم الى ارتكاب جريمة القتل . ومع ذلك فان الطبيب الشرعي لا يصعب عليه التمييز بين المجرم المجنون والمجرم السليم العقل . والضمانات متوافرة لمنع الحكم بالموت على المجرم المجنون . وليس في سجلات السجون في البلدان المتمدنة ما يدل على أن أى حكم بالموت صدر على مجرم ثبت أنه كان غير سليم القوى العقلية. وبالعكس ثبت من الحوادث التي استبدل فيهـا حكم الموت بالسجن المؤبد والاشغال الشاقة بسبب الشك في قوى المجرم العقلية ، ان ذلك المجرم كان سليم العقل ، كما اتضح من مسلكه في السجن

تقدم العلم والعالم

مكافأة العلم

قررت الجمعية الفلكية الملكية بلندن منح « مداليتها » الذهبية عن عام ١٩٣٥ الى المستر ميلن أستاذ علم الرياضيات بجامعة اكسفورد من أجل نظريته الجديدة فى أجواء النجوم والكواكب المختلفة وفى « التعادل الاشعاعى » مع شرح نظرية تمدد الكون الحديثة شرحاً ينطبق على مبادىء الهندسة الاقليدسية التى تقوم على المقاييس الثلاثة وهى الطول والعرض والسمك . ونظرية الأستاذ ميلن هذه تناقض نظرية اينشتين بهذا الصدد . والمفهوم ان اينشتين قد عدل الآن عن آرائه السابقة التى كانت تناقض مبادىء الهندسة الاقليدسية

والمدالية الذهبية التى نالها الاستاذ ميلن هى من أهم المكافآت العلمية التى يطمح فيها علماء الفلك ، ليس فى انجلترا فقط بل خارج انجلترا أيضاً . وقد نالها فى السنة الماضية الدكتور شابلى مدير جامعة هارفرد بأميركا . وفى سنة ١٩٣٣ نالها الاستاذ سليفر مدير مرصد لويل بأميركا . وكلا هذين العالمين من أقطاب علماء الفلك المعدودين

الرجم والنيازك

لا يخفى ان عشرات الملايين من الرجم والنيازك تتساقط كل عام على سطح الكرة الارضية ، فتندمج مادتها بمادة الارض ومع ذلك يظل حجم الكرة الارضية تقريباً على حاله . ويقول العلماء انه اذا استمر تساقط تلك الرجم والنيازك على نسبته الحاضرة فان قطر الارض سيزيد بوصة واحدة فقط بعد عشرة آلاف مليون سنة . فتأمل !

ولايضاح ذلك نقول ان الجانب الاكبر من الرجم والنيازك هو ذرات صغيرة بعضها لا يكاد يرى بالعين المجردة والبعض الآخر لا يزيد حجمه على حجم حبة الرمل . ويؤخذ من بعض الاحصاءات الموثوق بها ان مجموع وزن تلك الرجم والنيازك لا يزيد على ثلاثة آلاف طن فى العام ، أى ان قطر الكرة الارضية لا يمكن أن يزيد بسببها سوى بوصة فى كل عشرة آلاف مليون سنة كما قلنا . ولما كان عمر الارض لا يزيد على نصف ذلك الزمن كما يقول العلماء فلا شك ان حجمها لم يزد عما كان عليه عند انفصالها عن الشمس سوى نصف بوصة . على ان تقلص الكرة بعد انفصالها ذهب بكل أثر لتلك الزيادة

بيض البعوض

كان المظنون حتى عهد قريب ان أنثى البعوض (الناموس) لا تستطيع أن تضع بيضاً ما لم تغتذ بالدم الذى تمصه من الانسان أو الحيوان . إلا ان المباحث الحديثة التى قام بها طائفة من كبار العلماء قد أثبتت ان البعوضة لا تحتاج بالضرورة الى امتصاص دم الانسان أو الحيوان لتستعين به على وضع بيضها

وأنثى البعوض كما لا يخفى هى التى يسمع لها طنين وتلسع بخلاف ذكر البعوض

تناقص المواليد في العالم

يؤخذ من احصاءات مختلف شركات التأمين في العالم ان نسبة المواليد في اكثر البلدان هي في تناقص مستمر ولا يشذ عن ذلك إلا بلدان قليلة . وقد زادت نسبة هذا التناقص في الولايات المتحدة في الخمسة الاعوام الاخيرة ولكنها توقفت في فرنسا وغيرها من البلدان أي ان المواليد فيها باقية بلا نقص ولا زيادة . أما البلاد التي زادت فيها نسبة المواليد في الخمس السنوات الاخيرة فهي رومانيا وبعض أنحاء الشرق النائية . وأعظم نقص على ما يظهر هو في نسبة مواليد شيلي وتليها نسبة المواليد في فنزويلا . ويؤخذ من الاحصاءات الخاصة بسبع وثلاثين دولة من دول العالم المختلفة في أوربا وأميركا أن الولايات المتحدة هي الدولة العاشرة في نقص المواليد ، أي ان هنالك تسع دول فقط قد نقصت فيها المواليد اكثر مما نقصت في الولايات المتحدة ، وان هذا النقص في السبع والعشرين دولة من الدول الباقية هو أقل . وهذه الحال تشغل اليوم بال المفكرين في الولايات المتحدة

ميكروب الملاريا

منذ عهد قريب تفشى مرض البرداء (الملاريا) في جزيرة سيلان فأودى بحياة الألوف من الاهالي ونفدت العقاقير المستعملة لمعالجة هذا الداء . ويظهر ان ميكروب هذا النوع من الملاريا يختلف بلونه عن غيره من أنواع ميكروبات الملاريا الثلاثة وهي : الميكروب الاسمر الفاتح . والاسمر القاتم أو الاسود . والاخضر . وجميع هذه الميكروبات هي من جنس يسميه العلماء بلازموديوم . فالنوع القاتم أو الاسود يسبب الملاريا الرباعية . والاسمر الفاتح يسبب الملاريا الثلاثية . ومثله الاخضر إلا ان الحمى التي يسببها هي أشد وطأة من الانواع الاخرى وتعرف عند بعض الأطباء بحمى الصيف والخريف

اخطار اللبان (اللاذن)

العلك أو اللبان (ويعرف عند عامة أهل مصر باللاذن) هو مادة صمغية مختلفة الانواع منها الكندر (وهو اللبان الذكر) وهو صمغ شجرة شائكة تكون بجبال اليمن . ومنها نوع كثير الشيوع في جميع أنحاء العالم ويعرف باللبان الاميركي ويصنع من صمغ شجرة تنمو في المكسيك وفي أواسط أميركا وفي بعض جمهوريات أميركا الجنوبية ويضاف اليه السكر وبعض الزيوت ومواد أخرى . وقد اتضح الآن من بعض المباحث العلمية ان المادة الصمغية المذكورة تسبب مرض الربو أو الحمى الخريفية . ولذلك أخذت المعامل التي تصنع اللبان تقوم ببعض التجارب لصنع لبان لا ينتج عن استعماله المرض المذكور

الطوارىء في السنة الماضية

تدل الاحصاءات الرسمية على ان الذين قتلوا في شوارع المدن الاميركية في السنة الماضية زادوا على تسعة وتسعين الفاً أي ان عددهم زاد على عدد الذين قتلتهم الطيارات والسكك الحديدية والبواخر معاً . وبلغت حوادث القتل الطارئة داخل البيوت (أي حوادث الانتحار والموت اختناقاً أو بالكهربائية وما الى ذلك) نحو ثلاثين الف حادثة

جامعة لينتجراد

فى الأنباء العلمية الاخيرة الواردة من روسيا ان جامعة لينتجراد قد أنشأت «كرسياً» لأستاذ علم جديد سموه علم المناطق القطبية وهو يشمل على البيولوجيا والجغرافيا الخاصين بالاقطار القطبية . وقد أعدت سفينة خاصة لطلبة هذا العلم بقصد تمرينهم عليها تمريناً عملياً

الحديد النقي

تمكن بعض العلماء الذين يبحثون فى خواص المعادن من الحصول على الحديد فى أنقى حالاته ويعبرون عن نقاوته بالقول انها من درجة ٩٥ ، ٩٩ . وغرضهم من إيجاد هذا الحديد هو معرفة خواصه الحقيقية ودرجة متانته . وهم يقومون الآن بتجارب واسعة النطاق لمعرفة كل ما يتعلق بهذا المعدن النقى

البترول في الولايات المتحدة

تقول احدى المجلات العلمية الاميركية ان الكمية التى تستعملها الولايات المتحدة من البترول كل يوم تزيد على الكمية التى تستعملها من المياه . ففى كل يوم يستنفد الاميركيون من ذلك الزيت - لأغراضهم المختلفة - كمية تملأ صهريجاً طوله اثنا عشر ميلا وعرضه ميل واحد وعمقه قدم ونصف قدم

من أهل الكهف

تقيم اليوم بلندن امرأة اميركية تدعى الي.ر كوبرن وقد جاوزت الثالثة والتسعين من عمرها وتتمتع بصحة جيدة . وتمتاز هذه المرأة بخاصة غريبة وهى انها تنام ثلاثة أيام وثلاث ليال متوالية . وقد فحصها جمهور من الأطباء فحاروا فى تعليل هذه الظاهرة . والغريب فى أمر هذه السيدة انها من أمهر العازفات على البيانو وعندما تكون مستيقظة تقضى عدة ساعات متوالية فى العزف . أما نومها فقد اعتادته منذ نحو أربع سنوات على اثر اصابتها بمرض ، ومع انها شفيت من ذلك المرض فقد تملكت منها عادة النوم تملكا غريباً

متى خرج الاسرائيليون من مصر ؟

فى إمارة شرقى الاردن بعثة مؤلفة من أعضاء تابعين لاربعة معاهد علمية مختلفة تبحث عن آثار تلك البلاد القديمة مستعينة على انجاز مهمتها بالجمال والاوتوموبيلات وقد اكتشفت هذه البعثة فى وادى العربات آثارا كثيرة ترجع الى عهد مملكة الادوميين . وتدل على مواقع كثير من قرى تلك المملكة ومدنها وحصونها . وقد ورد ذكر الادوميين فى التوراة عند الكلام على خروج الاسرائيليين من مصر . ويظهر أنه عند ما كان هؤلاء متجهين شمالا نحو أرض الميعاد تصدى لهم الادوميون وحاولوا منعهم من التقدم . وتدل الآثار التى وقفت عليها البعثة فى تلك الانحاء على أن ذلك كان فى القرن الثالث عشر ، فهو اذن التاريخ الذى خرج فيه الاسرائيليون من مصر ولو وقع الخروج قبل ذلك التاريخ لسار الاسرائيليون نحو هدفهم ولم يلقوا الادوميين فى طريقهم لان هؤلاء لم يوجدوا هنالك قبل ذلك الزمن

اما حصون الادوميين فكانت أسوارا عالية مبنية من الحجارة وتتخللها ابراج عالية . وتدل طريقة بنائها على ان القوم كانوا على جانب عظيم من الحضارة فى ذلك الزمن

أجناس البشر

يقسم علماء الانثروبولوجيا اجناس البشر الى ثلاثة انواع كبيرة هي : الابيض والاصفر والاسود . وقد كان الاعتقاد السائد بين العلماء ان اختلاف الاجناس وقع قبل العصر الجليدى الاخير . على ان المباحث العلمية الاخيرة تدل على ان الاختلاف تم قبل ذلك الزمن بكثير . ثم ان تقسيم البشر الى الثلاثة الانواع المذكورة ناقص من الوجه العلمى فيجب تقسيمهم الى الخمسة الاقسام الآتية وهى : (١) الجنس الاسود (٢) جنس سكان سواحل البحر الابيض المتوسط (٣) جنس سكان الالب (٤) الجنس الشبيه بالاسود (٥) الجنس الاوسترالى . ويظهر من بعض المباحث الانثروبولوجية ان الجنس الاسود هو أول الاجناس التى نشأت مستقلة عن غيرها، وقد نزح من جنوبى آسيا الى افريقيا والارجح ان تغير الاحوال الجوية هو الذى دفعه الى النزوح . وهذا يثبت النظرية القائلة بأن السود وسكان اوستراليا نشأوا من الجنس النياندرتالى

عمر جبال الروكيز (الصخرية)

يقول علماء الجيولوجيا ان جبال الروكيز (الجبال الصخرية) الاميركية وصلت الى حالتها الحاضرة منذ ثلثمائة مليون سنة ! . . .

التهاب الزائدة الدودية

التهاب الزائدة الدودية من أشد الامراض انتشاراً فى الولاية المتحدة ففى أحد الاحصاءات الطبية ان الاطباء الجراحين يقومون بنحو ستة عشر الف عملية جراحية كل سنة فى مدينة نيويورك وحدها لاستئصال الزائدة الدودية

فوائد

• الاعتقاد الشائع بين الناس ان العظماء والنوابغ لا يعمرون طويلا . إلا أن الاحصاءات الموثوق بها تدل على خطأ هذا الاعتقاد وعلى ان اكثر العظماء يعمرون طويلا ويحتفظون بقواهم العقلية وبصفاء أذهانهم الى أواخر أيام حياتهم

• فى المتحف البريطانى تقويم بحرى قديم يرجع الى سنة ٤٦٧ قبل الميلاد وهو مكتوب على ورق البردى ويحتوى على معلومات فلكية ذات قيمة عظيمة

• تدل المباحث الطبية على ان أسنان المتوحشين من البشر تنمو قبل أسنان المتمدنين، وان أسنان الحليب فى الاولين تسقط وتحل محلها الاسنان الدائمة قبل أن يحدث ذلك فى الآخرين

• منذ خمس سنوات صنع علماء الروس بأمر الحكومة الروسية قبة فلكية عجيبة تمثل الأجرام الفلكية المعروفة وجميع حركاتها . وهذه القبة معروضة فى مدينة موسكو وقد بلغ عدد الذين شاهدوها منذ عرضها الى الآن ثلاثة ملايين نفس

• فى الاحصاءات الطبية نحو ثلاثين حادثاً من حوادث الولادة وضعت الأم فى كل منها خمسة أطفال معا ولم يعش أحد أولئك المواليد سوى بضعة أيام ، إلا خمسة أطفال وضعتهم مسز ديون الاميركية ولا يزالون أحياء الى هذا اليوم

• توصل أحد المعامل الكيمياوية الالمانية الى صنع خلاصة الفيتامين «ج» بشكل مسحوق (بودرة) منذ سنة

كتب جديدة

في اصول الادب

بقلم الاستاذ احمد حسن الزيات

طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر . صفحاته ٢١٨

فى ميدان الحياة العقلية نفائس تنشر فى الصحف تارة ، أو تلقى فى دور العلم الخاصة والعامة تارة أخرى ، وتمضى عليها الأيام ، فتنسى بين صفحات الجرائد والمجلات ، وبين مختلف الدروس والمحاضرات . وقد يكون فى نسيانها خسارة للعلم ونقص فى ثروة الأدب التى يجب أن نحافظ على كل مايزيدها ويضاعفها ويدفع بنهضتها الى الأمام

ففى كل يوم تنشر الصحف فصولا بينها البحوث العلمية القيمة ، والموضوعات الأدبية النفيسة التى يدبجها كبار العلماء والأدباء . فاذا تركت هذه النفائس مبعثرة بين دروس الجامعات ومقالات الصحف الكثيرة ، ولم تحفظ فى كتاب ، فقد تخسر النهضة من آثار رجالها آراء وأفكاراً لو أنها حفظت وجددت لكانت دعامة من دعائم العلم وأصلا من أصول الأدب

ولهذا نعتقد أن الأدباء والعلماء الذين يجمعون بحوثهم فى كتاب خاص ، إنما يستجيبون لما تدعوهم اليه خدمة النهضة بحفظ ما أنتجوا من آثار . ومن هؤلاء الأستاذ احمد حسن الزيات . فقد ألقى عدة محاضرات نفيسة فى بغداد ومصر ، وكتب عدة مقالات أدبية فى « الرسالة » ورأى أنها لو تركت هنا وهناك فقد يضيع الغرض منها أو تنسى هى فى طيات الصحف ، فجمعها فى هذا الكتاب الذى أسماه « أصول الأدب » . ولو أن الاسم فيه شىء من الابهام ، لأنه يتركك قبل الاطلاع على الكتاب تسأل عما قد يحويه ، حتى اذا اطلعت عليه لم تجد موضوعاته فى أصول الادب ، بل فى الادب والعلم والتاريخ وتاريخ الادب وفن الرواية المسرحية وبعض خواطر الساعة

فمن موضوعاته : الادب وحظ العرب من تاريخه ، والعوامل المؤثرة فى الادب ، وتاريخ ألف ليلة وليلة ، وأثر الثقافة العربية فى العلم والعالم ، وتجاربى فى تدريس اللغة العربية ، وأول درس ألقيته ، والرواية المسرحية

وقد أعجبت حقاً بمحاضرته فى تاريخ « ألف ليلة وليلة » وقد سبق لى أن قرأتها فى مجلة المجمع العربى بدمشق ، فأعجبت بها أشد الاعجاب . ويظهر أن الاستاذ الزيات قد نقحها فى هذا الكتاب تنقيحاً زاد فى طرافتها وقيمتها العلمية ، كما أعجبت أيضاً بتزييفه لما يقوله علماء الاساطير من أن القصة نشأت فى الهند ، ولكننى لا أوافقه على أنها ظاهرة طبيعية من ظواهر وجود الانسان كالغناء والرقص . فان القصة لم تعرف إلا بعد خروج الانسان من طور الوحشية ، وأخذه بأسباب الحضارة ومعاناته لحوادثها التى تكون منها عناصر القصة ، بدليل أن الطفل يغنى ويرقص وهو فى المهد ولكنه لا ينشىء قصة . وما يبدو من ميل الاطفال لسماع القصص هو نتيجة لغريزة حب الاستطلاع الموجودة فى كل

انسان حتى المتوحش ـ وأعنى هنا بالمتوحش الانسان الاول الذى لم توجد الحضارة فى زمنه لا متوحش اليوم . ولعل أقدم القصص عرفت عند المصريين القدماء كما دلت على ذلك أوراق البردى المحفوظة الآن فى معهد برلين

ويضيق بى المقام لو أننى ناقشت صديقى الزيات فى بعض آرائه وافكاره التى أعتقد ان لها قيمتها العلمية والأدبية . وأنها وليدة ملكة فنية وقريحة خصبة كثيرة الانتاج

قصة الفلسفة اليونانية

تصنيف الاستاذين احمد امين ، وزكى نجيب محمود

طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . صفحاته ٣٤٠

حينما تذكر كلمة « فلسفة » يقترن بها أول وهلة عمق التفكير وعسر الفهم . وكأنها ناحيــة مغلقة لا يستطيع الوصول اليها الكثيرون ، ولا يهتك ستارها إلا ذوو العقول الممتازة . ولطالما أعرض جمهور المتعلمين عن الفلسفة لا لشىء إلا أنهم ينظرون اليها نظرهم الى شىء عسير الفهم بعيد الغور يكد الذهن ويستنفد مجهودا ووقتاً طويلا . ولعل الذى جعل للفلسفة هذا الوصف الذى اشتهرت به تلك المؤلفات والمترجمات التى الفت فيها وترجمت عن اليونانية فى القرون الوسطى . فقد استخدم المؤلفون والمترجمون أسلوباً معقداً فيه كثير من الاغراب والالتواء الفكرى ، ولا يقوى على فهمه إلا من يكلف نفسه العناء من الاخصاء .

والفلسفة اليونانية فلسفة نظرية ، ولكن لها فوائدها فهى توسع الفكر ، وتفتح امام الذهن الانسانى آفاقاً جديدة ، وتوجهه الى البحث عن المثل العليا وترتبط بتاريخ ارتقاء العقل البشرى ارتباطاً وثيقاً . ولا بد للاجتماعى من دراستها . ومن أجل ذلك أحسن الاستاذان احمد أمين ، وزكى نجيب محمود فى تصنيف هذا الكتاب الذى يعد الاول فى نوعه من حيث تيسير الفلسفة اليونانية لاذهان غير الخاصة وتقريبها الى الجمهور تقريباً لا نشك أن كل قارىء لكتابيهما يجد فى نفسه شوقاً الى هذه الفلسفة والاستفادة منها . فقد درسا وقرءا فى الفلسفة اليونانية ، وارادا ان يفيدا الجمهور بما استفاداه منها ، وما وقفا عليه من جمالها ، فصنفا هذا الكتاب بأسلوب مشوق يسهل تناوله ويوضح النظريات والمذاهب الفلسفية بأوضح عبارة ، وامتع طريقة . وانت تقرأ هذا الكتاب وكأنك تقرأ قصة . ولذلك أطلق عليه المصنفان اسم « القصة » . وقد عرضا فى هذه القصة للفلسفة منذ نشأت ثم تطورت وظهرت فيها المذاهب المتعددة والمدارس المختلفة الى مدرسة افلاطون الحديثة ، واستوعبا فى ذلك ستة عشر فصلا تضمنت كثيراً من الدراسات والتراجم لكبار فلاسفة اليونان كطاليس وانكسمندر وفيثاغورث وسقراط وافلاطون وغيرهم

فنثنى على همة المصنفين اللذين اتحفا قراء العربية بهذه القصة ، ونرجو ان يتما السلسلة الفلسفية التى بدآها بهذا الكتاب النفيس

حروب الاسلام والامبراطورية الرومانية

تأليف الأستاذ أمين سعيد

طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر صفحاته ٤٢٤

لا ندرى أين كان يدخر الأستاذ أمين سعيد هذا المجهود كله ، ثم فاجأ به الجمهور دفعة واحدة .

ففى بضعة شهور أصدر ثلاثة كتب يحتاج كل منها الى مجهود سنة كاملة لتأليفه ، إن لم يكن كتاب الثورة العربية الكبرى ـ وهو أحدها ـ يحتاج فى تأليفه لغير سنة

وهذا الكتاب الثالث الذى ألفه ، فى الحروب التى دارت بين المسلمين والروم أثناء الفتوحات الاسلامية ، يقف القارىء بأسلوب جديد على تفصيل تلك المعارك التاريخية وعلى الظروف التى كانت محيطة بها وعلى حالة الشام ومصر والدولة الرومية والعلاقة بينها وبين الدولة الاسلامية منذ السنة الخامسة من الهجرة إلى السنة الثالثة والثلاثين . وقد قام المسلمون فى خلال هذه السنين بفتوحات كثيرة . فتحوا سورية وفلسطين ومصر والسودان وشمال افريقية ، وأنشأ عبد الله بن أبى سرح أسطولا نافس أسطول الرومان فى البحر الأبيض المتوسط ـ وكل ذلك صفحات من مجد الدولة الاسلامية كان للأستاذ أمين سعيد فضل جلائها ، وتقديمها بالطريقة الحديثة إلى الجمهور بعد ما بقيت محجوبة فى بطون الكتب القديمة لا يصل اليها القراء إلا بمشقة وعناء طالما صرفا الناشئة الحديثة عن التوسع فى تاريخ الحضارة الاسلامية والاطلاع على تلك العصور الذهبية التى كان فيها الشرق العربى صاحب السيطرة والسيادة والنفوذ

ولعل فى هذه السلسلة التى يقوم الأستاذ أمين سعيد باصدارها فى تاريخ الاسلام السياسى ما يبعث على الاهتمام بتاريخ العرب وما بنوا من مجد وحضارة ، فنحن فى عصر انصرف فيه القراء أو صرفوا عن هذا التاريخ . ولست ترى إلا القليل ممن يهتم به حتى بين خاصة المتعلمين . أما المدارس فبرامجها تكاد تكون أوربية بحتة ، وطلبة اليوم يعلمون من تاريخ أوربا وأبطالها أكثر مما يعلمون من تاريخ بلادهم وأبطالهم

وقد صح عزم مؤلف « حروب الاسلام والامبراطورية الرومانية » على تلافى هذا النقص بتقريب التاريخ الاسلامى ، ووضعه فى أسلوب يتمشى مع أسلوب العصر الحديث . وقد نجح إلى حد كبير وصادف كتابه الأول كما صادف كتاب الثورة العربية رواجاً واقبالا . ونحن لا نشك فى أن هذا الكتاب الثانى من تلك السلسلة التاريخية سيصادف إقبالا يستحقه خصوصاً وقد عنى بتوضيح البلدان ونشر صور الاماكن الاثرية ورسوم المعارك الحربية ، وطبعه بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه ، فضلا عن عنايته بتأليفه وحسن وضعه وتنسيقه مما جعله كتاباً ضخماً بل مجلداً فخماً

الفتيات الزهرات

تأليف الآنسة منيرة صبرى

طبع بالمطبعة الاميرية ببولاق

الجزء الاول والثاني . صفحاتهما ١٤٢ و ١٥٥

« عند ما أدخلت مراقبة التربية البدنية حركة المرشدات بمدارس البنات فى سنة ١٩٣٠ ابتدأت بالفتيات اللواتى فى سن المرشدات (١١ - ١٥ سنة) ولكنها أمام رغبة الفتيات اللواتى دون هذه السن لم تر بدأ من ادخال نظام الزهرات خصوصاً أن حركة الزهرات ما هى إلا بمثابة قسم إعدادى للمرشدات ، وأصبحت الحاجة ماسة جداً الى وضع كتاب باللغة العربية يلائم حالة بلادنا ، ويبحث فى نظام الزهرات ، لتهتدى به قائدات الطاقات والزهرات أنفسهن فى القيام بعملهن على وجه مرض »

تلك بعض فقرات مما صدرت به المربية الفاضلة الآنسة منيرة صبرى كتابها الثانى فى هذه النهضة التى بدأتها فى سنة ١٩٣٠ وجاهدت فى انشائها بين تلميذات مدارس البنات الاميرية فظفرت بنجاح باهر . وأصبحت تحت راية هذه النهضة المباركة خمسة آلاف تلميذة من مختلف مدارس البنات بالقطر المصرى . وقد سبق أن تحدثنا عن كتابها الاول (الفتيات المرشدات) وهو يتألف من جزءين . أما الثانى الذى نحن بصدده فينقسم الى ثلاثة أجزاء : الاول (الزهرة الحديثة) . والثانى (الزهرة من الرتبة الثانية) والثالث (الزهرة من الرتبة الاولى) . وقد بذلت فيه المؤلفة مجهوداً غير قليل يشهد باخلاصها لهذه النهضة المفيدة التى غرستها فى مصر ، والتى لم يمض عليها طويل وقت حتى أثمرت وأينعت واتسع نطاقها . وقد أضافت بتأليفها هذا الكتاب ، والكتاب الاول (الفتيات المرشدات) مجهوداً الى مجهود . وقرنت عملها فى هذه الخدمة الجليلة بالحرص على هداية القائدات ورؤساء الطاقات الى واجباتهن ومعرفة الانظمة المتبعة فى هذه الحركة وتقريب هذه الانظمة اليهن بتسجيلها فى كتب خاصة . ولا شك أن ذلك مجهود محمود يقابل من المنصفين بالتقدير والاعجاب

الصناعة فى مصر

تأليف الدكتور حسين على الرفاعى

طبع بمطبعة مصر . صفحاته ٧٠٠

« هذا كتاب ضخم جمع فأوعى . لا مثيل له فيما كتب عن الصناعة المصرية الى اليوم ، ولا غناء لحاكم أو محكوم ممن يهمه استطلاع ما انشىء منها فى البلد على صورته الصحيحة . وما يقبل التحسين والتكامل من تلك المنشآت وما يخلق بذوى الروية والابتكار والاقدام ان يفكروا فى استحداثه »

بهذه السطور بدأ الاستاذان يوسف بك ؟اس ، وخليل مطران المقدمة التى قدما بها هذا الكتاب . وان المطلع على هذه السطور ليرى بينها عظيم الاعجاب بهذا الكتاب الذى جمع فأوعى — على حد تعبيرهما — كل ما يختص بالصناعة المصرية . فقد تناول فى ستة فصول كثيراً من شتى المسائل التى تتعلق بالصناعة فى مصر عدا المقدمة التى تكلم فيها عن النهضة الصناعية المصرية فى عهد جلالة الملك فؤاد . والقصد من وضع الكتاب . وصلة الاقتصاد السياسى بالاقتصاد الصناعى ، أما الفصل الاول فيتناول عناصر الانتاج الصناعى فى مصر ، وتحته ثلاثة عشر بحثاً تتعلق بالطبيعة ورأس المال والائتمان الصناعى فى مصر والخارج ، وكيفية تكوين الاموال والعمل والفصل الثالث يشمل ١٥ بحثاً عن تنظيم الانتاج الصناعى ، والفصل الثالث عن صناعات الغزل والنسيج فى مصر ويشمل ٥٥ بحثاً

وكذلك قل فى الفصول الاخرى فهى تشمل عدة بحوث تتعلق بالاعمال الصناعية ، وقد خص الاستاذ المؤلف الفصل السادس بتشجيع الصناعات الاهلية فى مصر والخارج

ويضيق المقام عن وصف ما حواه هذا المؤلف الفخم من الفصول والبحوث ، وحسبنا ان نقرر بان هذا الكتاب انما هو دائرة معارف اختصت بالصناعات المصرية ، فما ترك المؤلف شيئاً عن الصناعة المصرية الا أتى به ، وما رغب القارىء فى الوقوف على شىء يتعلق بهذه الصناعة الا وجد الدكتور حسين الرفاعى قد

تناولها فى كتابه ، فوفاها حقها ، وألم باطرافها واستقرأها وبحثها من جميع الوجوه ثم قدمها الى القارىء بطريقة سهلة مشوقة ، ومع ان البحوث الاقتصادية تكون عادة جافة الا ان المؤلف على ما يظهر أديب ، يكتب الاقتصاد ولكن بأسلوب الاديب فى فنه وامتاعه

نصائح الوزراء والامراء

تأليف صارى محمد باشا الدفتردار

طبع بمطبعة جامعة برنستون بالتركية والانكليزية .

صفحات النصف التركى ١٣٥

والنصف الانكليزي ١٧٢

يقول ابن خلدون فى مقدمته ان الدول كالافراد تنشأ وتشب ويدركها الهرم . وقد كانت السلطنة العثمانية احدى هذه الدول التى ظهرت إلى الوجود فتية ثم مالبثت ان بدأت عوامل الضعف تعمل فيها ثم ادركها الهرم فتمزقت اوصالها وذهب الكثير من ولاياتها الى ان كانت الحرب العظمى الماضية وما كادت هذه الحرب تضع اوزارها حتى ظهرت على اطلال السلطنة القديمة دولة فتية

ومع ان سقوط السلطنة العثمانية قد كان من اعظم حوادث التاريخ فان العلماء لم يعنوا بدرس اسبابه ومقدماته العناية اللازمة

وفى مقدمة أولئك الذين عنوا بأسباب الضعف صارى محمد باشا الدفتردار ، وهو من رجال السياسة القلائل الذين أخلصوا لبلادهم ودرس أسباب ضعف السلطنة ، فوضع لذلك كتاباً نفيساً باللغة التركية هو كتاب نصائح الوزراء والامراء الذى نحن فى صدده . وكان المؤلف دفترداراً أى وزيراً لمالية السلطنة فى أوائل القرن الثـــامن عشر وشغل فى الدولة مناصب أخرى كثيرة . وقد ظل كتابه مجهولا إلا عند القليلين حتى قيض الله له بعض أفاضل العلماء الامريكيين من أساتذة جامعة برنستون فنشروه بمساعدة أدباء الاتراك باللغتين التركية والانكليزية فحافظوا بذلك على كنز ثمين

منظومات خليل جبران النثرية

(Prose Poems by Kahlil Gibran)

طبع بمطبعة القريد كنويف بمدينة نيويورك

صفحاته ٧٧

هذه منظومات نثرية من قلم المرحوم خليل جبران . ترجمها عن الاصل العربى الى اللغة الانكليزية الاستاذ اندرو غريب عاش مع الناظم زمناً طويلا وكان من أخلص أصدقائه فعرفه حق المعرفة ، وخبر روحه الشعرية فساعده ذلك على ترجمة القصائد التى نحن فى صددها

وهذه المنظومات اثنتا عشرة قصيدة فى موضوعات مختلفة أولها قصيدة عنوانها « عند باب الهيكل » تليها قصيدة عنوانها « الوحى » وأخرى عنوانها « النفس » إلى غير هذه من القصائد البليغة التى يقرأ المرء فى ثنايا سطورها ما كانت تجيش به نفس الناظم من أفكار وتخيلات تسمو بالمرء فوق العالم المـــادى ، وترتفع به الى عالم الروح حيث يخلع الجسد ثوبه الهيولى ويسبح فى عالم الفكر فيخترق الحجاب

وقد أبدع المترجم فى نقل أفكار الناظم الى اللغة الانكليزية بكل دقة وأمانة . وكتبت السيدة بربارا يونج الكاتبة الامريكية المعروفة مقدمة بليغة للترجمة الانكليزية وصفت بها روح خليل جبران الشعرية أصدق وصف

والكتاب على صغر حجمه مطبوع طبعاً متقناً وعلى ورق جميل . فنشكر للمترجم عنايته بتعريف هذه المنظومات النفيسة لأهل الغرب

بين الهلال وقرائه

هواء المريخ

(بيروت ـ لبنان الكبير) مقي خليل

هل ثبت بوجه قاطع ان هواء المريخ شبيه بهواء الارض في تركيبه ؟

(الهلال) هنالك قرائن تدل على ان من المحتمل ان يكون هواء المريخ شبيها بهواء الارض ، اي أن يكون مؤلفا من الاوكسجين والنتروجين، ولكن هذا القول لم يثبت حتى الآن ثبوتا قاطعا . ويزعم بعض العلماء انه مؤلف من غاز اثقل من الاوكسجين وان جاذبية المريخ لا تكفي للاحتفاظ بغاز الاوكسجين

الحياة في المريخ

(بيروت ـ لبنان الكبير) ومنه

اذا ثبت ان هواء المريخ لا يشبه هواء الكرة الارضية وانه خال من الاوكسجين أفلا يكون ذلك برهانا قاطعاً على عدم وجود الحياة فيه ؟

(الهلال) هذا مايزعمه فريق صغير من العلماء ، ولكن رأيهم هذا لا يعتد به لانهم يبنونه على فرض ان شروط الحياة كلها متماثلة في جميع ظروف المكان والزمان . وان المخلوقات الحية ـ سواء كانت في الكرة الارضية او في غير الكرة الارضية ـ تحتاج الى اوكسجين ، ولكن ليس ثمة مايمنع وجود كائنات حية في الاجرام العلوية لا تحتاج الى عنصر الاوكسجين . بل ان بعضهم يتطرف في القول بأنه قد يجيء يوم يثبت فيه ان بعض الكائنات الحية قد تعيش في الشموس المكونة من غازات ومعادن مصهورة . وعلى كل فان الكثيرين من مشهوري علماء الفلك يقولون بوجود الحياة في المريخ

تاريخ القمح

(نيويورك ـ الولايات المتحدة) ي . ن

قرأنا في الصحف أن بعض العلماء الاميركيين طلبوا من الحكومة المصرية نموذجا من القمح الذي عثر عليه المنقبون في قبور بعض قدماء المصريين . فهل هؤلاء المصريون هم أول من زرع القمح ؟

(الهلال) لا نعلم بالتمام من أول من زرع القمح ولا الزمن الذي بدىء فيه بزراعته وسيظل ذلك من الاسرار التي يتعذر اماطة اللثام عنها . والارجح أن الانسان الاول عثر على القمح بين النباتات البرية الأخرى التي عثر عليها . وبمرور الزمن تعود زراعته ولا يزال اساس غذاء البشر الى هذا اليوم

اعمق نقطة في البحر

(نيويورك ـ الولايات المتحدة) ومنه

ما هي اعمق نقطة في الاوقيانوس وكم عمقها ؟

(الهلال) هي نقطة في الاوقيانوس الباسفيكي قريبة من جزائر الفيلبين يبلغ عمقها اكثر من اثنين وثلاثين الف قدم او اقل من تسعة كيلو مترات

سر النمو

(صخرة ـ جبل عجلون) ارهيم بيروتي

ما هي القوة المتبادلة بين الماء والتراب لانماء النباتات والاشجار ، وهل أدرك أحد سر حياك أوراقها ؟ ولماذا لا يكفي الماء وحده لهذا الانبات ؟

(الهلال) ليس الماء والتراب فقط دعامة النمو بل هنالك النور والهواء أيضاً . ومن اجتماع هذه الاخلاط الاربعة يتكون غذاء النبات وتتم عملية التمثل أي (assimilation) . وغذاء النبات مستمد من الاوكسيجين والنتروجين والايدروجين وغيرها من العناصر الموجودة في الاخلاط المذكورة

ولم يستطع العلماء حتى الآن ان يدركوا سر الحياة وكيفية نمو كل جزء من أجزاء النبات (والحيوان أيضاً) على حدة ولا يستطيعون ان يوضحوا أي جزء من البزرة يصبح ساقاً وأي جزء يصبح زهرة أو ورقة

لون الماء

(صخرة — جبل عجلون) ومنه

اذا كان الماء لا لون له كما يقولون فما سبب خضرته في المستنقعات والبرك الآسنة ؟

(الهلال) سببها البكتيريا والطحلب . وهذا الاخير هو نباتات دقيقة جداً تعلو الصخور والمياه الراكدة . وعند تبخر هذه المياه ترجع الى حالتها الاصلية من نقاوتها وعدم تلونها بأي لون

الموسيقى العربية

(برمنجهام — الولايات المتحدة) شاهين يوسف بطرس

ما حالة الموسيقى العربية اليوم من حيث هي فن وهل هي منظمة ومقيدة بقيود وقوانين كالموسيقى الغربية أم هي مطلقة من كل قيد ؟

(الهلال) الموسيقى العربية مقيدة بقيود فنية كثيرة يعرفها أهل الفن . وقد شهد لها كبار الموسيقيين الغربيين الذين حضروا المؤتمر الموسيقي بمصر منذ عهد قريب بأنها من أشجى موسيقات العالم وادعاها الى الطرب . وهي في حاجة الى من يتولى العناية بها ليوصلها الى المقام اللائق بها . ولا شك ان وجوه الاصلاح اللازمة لها كثيرة ولكن تحقيق هذا الاصلاح يقتضي زمناً طويلا

الاثير

(الحصن — شرقي الاردن) فؤاد عصفور

كيف يثبت العلماء وجود الاثير ؟

(الهلال) الاثير الجوي (وهو غير الاثير الكيميائي ويسمى أوكسيد الايثيل) مادة يفرض العلماء وجودها ويقولون انها تملأ كل فراغ . ولم يستطع أحد اثبات وجودها حتى الآن . ولذلك انكرها الكثيرون من العلماء وقالوا انها لا داعي لفرض وجودها . ويقول الفيلسوف اينشتين ان نظرية النسبية تجعل وجود الاثير وعدمه على حد سوى . أما الذين يقولون بوجود الاثير فيقولون انه وسيلة لازمة لنقل أمواج النور والحرارة والكهرباء من جسم الى جسم لانه اذا فرضنا ان بين الجسمين هوة فارغة لم يمكن وصول تلك الامواج من أحدهما الى الآخر . وعلى كل فالى الآن لم يستطع أحد من العلماء وزن الاثير أو قياسه

ونظرية الاثير قديمة جداً ترجع الى زمن أرسطو ولم يثبت ان للاثير — على فرض وجوده — أي تأثير في جذب النور من الاجرام السماوية وغاية ما يمكن قوله انه أشبه شيء بقنطرة تمر عليها أمواج النور من تلك الاجرام الى الارض

أما سؤالكم عن عبارة « على جناح الاثير » فهي ضرب من المجاز استعمله المولدون

صوت موسى الكليم

(الحصن — شرقي الاردن) ومنه

سمعت ان بعض العلماء يسعى لانتزاع صوت موسى الكليم وأصوات غيره من الانبياء وعظماء التاريخ من أمواج الاثير . فهل هذا ممكن ؟

(الهلال) هو ممكن نظرياً لان أمواج الصوت لا تفنى . ولكنه مستحيل عملياً لاسباب لا يتسع هذا المجال لشرحها . ولنفرض جدلا ان في الامكان اقتناص أمواج الصوت فما هي الوسيلة لمعرفة صاحب الصوت وكيف نميز صوت موسى الكليم من صوت ابراهيم الخليل مثلا ؟

السمندل

(الحصن — شرقي الاردن) ومنه

جاء في سفر ايوب (٢٩ — ١٨) قوله: « فقلت اني في وكري اسلم الروح ومثل السمندل اكثر اياماً »

فما هو السمندل وهل هو اسم طير منقرض ؟

(الهلال) في كتب اللغة ان السمندل (وسماه الجوهري السندل بغير ميم . وابن خلكان السمند بغير لام) طائر بالهند يأكل البيش (وهو نبات سام) ويستلذ بالنار ولا يحترق بها . وذهب قوم الى ان السمندل دابة دون الثعلب خلنجية اللون حمراء العينين ذات ذنب طويل ينسج من وبرها مناديل . وقال القزويني السمندل نوع من الفار يدخل النار . والمعروف انه طائر

طوفان نوح

(الحصن — شرقي الاردن) ومنه

هل كان طوفان نوح عاماً يشمل المسكونة كلها أم محصوراً في بقعة من العالم ؟

(الهلال) الارجح والمقبول عقلا انه كان موضعياً محصوراً في بقعة معينة من العالم المأهول يومئذ . نعم ان المفهوم من ظاهر الكلام على هذا الطوفان في الكتب المنزلة انه كان عاماً ولكن القرائن العلمية ترجح انه كان موضعياً

أصل الانسان

(بحر الجبل — السودان) علي آدم

اذا كان أصل الانسان من القرد كما يقول العلماء فلماذا تطور بعض أنواع القرود فأصبحت بشراً حالة ان غيرها ظلت على حالها ؟

(الهلال) لم يقل أحد من العلماء ان الانسان تطور من القرد وانما قالوا ان كلا الانسان والقرد تطور من جد مشترك هو أقرب الى الحيوان منه الى الانسان ويقول أوسبورن (وهو اليوم أكبر ثقة في علم النشوء والتطور) ان الانسان والقرد لم يتطورا من جد مشترك وان كلا منهما تطور من جد تالف منه ومن أجداده سلالة قائمة برأسها وان السلالتين تلتقيان في الاصل عند حيوان لا صلة بينه وبين القرد وانه كان في كل سلالة من السلالتين المذكورتين استعداد خاص لتصبح نوعا ممتازاً . فكان في احداها استعداد لترتقي حتى تصل الى درجة الانسان . وكان في الاخرى استعداد لتصير قرداً فقط . وهذه النظرية مناقضة للنظرية الداروينية المعروفة ولكن قرائن كثيرة تدل على صحتها

الصواعق والطيارات

(القاهرة — مصر) حسنين خليل

المعروف ان الجو في أوربا مفعم صواعق هائلة في خلال جانب كبير من فصول السنة . أفليس في هذه الصواعق خطر على الطيارات وهي محلقة في الجو ؟

(الهلال) يظهر من الاختبار ان الطيارات المصنوعة من معدن لا خطر عليها أبداً من الصواعق مع ان متوسط قوة تلك الصواعق لا يقل عن مليون فولت . وتدل التقارير الرسمية التي لدى وزارة الطيران البريطانيـة انه في خلال العشر السنوات الاخيرة لم تصب سوى عشر طيارات فقط بالصواعق وكانت الاصابة كل مرة طفيفة جداً حتى ان ركاب الطيارة لم يشعروا بها وماكانوا ليشعروا بها لولا هزيمها القاصف . ولو كانت تلك الطيارات مصنوعة كلها أو أكثر أجزائها من الخشب لكانت نكبتها هائلة

الفيتامين

(القاهرة — مصر) ومنه

ما هي المواد الغذائية المعروفة في مصر والغنية بمادة الفيتامين التي تشفي من مرض الكساح ؟

(الهلال) أشهرها الزبدة والقشدة (الكريمة) والسمك والسلمون والسردين والمواكه وغيرها . يضاف اليها زيت كبد الحوت وهو أغنى المواد بالفيتامين « د »

تأثير اللقاح ومرور الزمن

(الاسكندرية — مصر) حنين بطرس

نحن الآن في الفصل الذي يقال ان الحمى التيفوئيدية تنتشر فيه في الاسكندرية فيقبل الناس على « التطعيم » أي استعمال اللقاح الواقي من تلك الحمى ، فهل اللقاح الذي مر على تحضيره عام أو أكثر يوجد المناعة في جسم من يلقح به ؟

(الهلال) جميع أنواع اللقاح يجب ان تكون جديدة فانها تفسد اذا مر عليها العام أو بعض العام الا اللقاح الواقي من الخناق (الدفتيريا) فقد أثبت الاختبار انه لا يفسد بمرور الزمن بل هو كالخمر كلما عتقت زادت قيمتها ، ونذكر اننا قرأنا في احدى المجلات العلمية الاميركية في أواخر شهر مارس الماضي ان مصلحة الصحة العامة بالولايات المتحدة قد أعلنت ان اللقاح الواقي من الدفتيريا لا يفسد بمرور الزمن بل يتحسن حتى ان رد الفعل الذي ينشأ عن استعماله يزول تماما

الفحم والالماس

(الاسكندرية ــ مصر) ومنه

أصحيح ان الفحم والالماس هما مادة واحدة ؟

(الهلال) الفحم الحجري والالماس (والهمزة في الالماس من أصل الكلمة) هما مادة واحدة والفرق بينهمـا في العمر . فالفحم الحجري هو عنصر الـكربون بعينه في حالة غير نقية والالمـاس هو الـكربون النقي في حالة بلورية . والمقصود بالحالة البلورية في عرف علماء الـكيمياء ان الجواهر الفردة لعنصر الـكربون (ويخطىء من يسميها الجزئيات) هي مرتبة على وضع ثابت ترتيباً محكماً لا يتغير

منشأ الحياة

(نيويورك ــ الولايات المتحدة) أحد المشتركين

قرأت في احدى المجلات العلمية التى تظهر هنا ان أحدث النظريات العلمية تقول بان الحياة جاءت الى الارض من الـكواكب العلوية وأنها وصلت الينا مع بعض الشهب والنيازك التى سقطت على الـكرة الارضية منذ ملايين الاحقاب . فما رأيكم في هذه النظرية ؟

(الهلال) هي كسائر النظريات التي يتعذر تحقيقها وقد وقفنا عليها منذ عهد غير بعيد ولـكننا لا نستطيع ان نصدق ان الحياة وصلت الينا في نيزك أو شهاب مر في الجو ملتهبا مصهوراً وظلت الحيـاة سليمة فيه حتى وصلت الى سطح الـكرة الارضية . والرأي العلمي المقبول هو ان الحياة ظهرت أولا في الماء وهو رأي تؤيده الاديان المنزلة أيضاً . ولا يبعد ان تكون الحيـاة قد ظهرت أولا في أحد المستنقعات أو الغدران الضحلة القليلة المياه . والثابت علميا ان العقرب أول الحيوانات المائية التى اعتادت سكنى البر وقد كانت فى العصر الجيولوجي المعروف بالعصر السيلوري (منذ أربعمائة أو خمسمائة مليون سنة) تعيش جميعها في البحر ثم انتقلت بمرور الزمن الى البر ولـكن بقيت منها أنواع في البحر

وهنالك قرائن كثيرة لا يتسع هذا المجال لشرحها وكلها تدل على أن أصل الحياة مائي وان الحيـاة ظهرت أولا في البحر

البوا والـكوبرا

(بغداد ــ العراق) أحد القراء

ما الفرق بين البوا والـكوبرا وهل من حكمة ربانية في خلقهما مع ما هو معروف عنهما من الخطر على الانسان والحيوان ؟

(الهلال) الفرق بين البوا والـكوبرا عظيم جداً . فالبوا حية هائلة الحجم غير سامة تعيش غالبا في أواسط أميركا الجنوبية وقد يبلغ طولها خمسة أمتار وتنقض على فريستها فتلتف عليها وتسحق عظامها ثم تبتلعها ولذلك يسميها بعضهم البوا الساحقة أو الخانقة . أما الـكوبرا فأشد أنواع الحيات سما ومع أنها لا تؤذى أحداً الا اذا اعتدى عليها فان عدد ضحاياها في الهند فقط يزيد على خمسة آلاف شخص كل سنة . وهذه الحية توجد في آسيا وأفريقا وقلما يزيد طولها على المترين . أما سؤالكم عن الحـكمة في خلق البوا والـكوبرا فيشمل الحكمة في خلق جميع الحيوانات والحشرات والميكروبات المؤذية القتالة . ولم يقف العلم الا على التافه النادر منها فقط . فسم الـكوبرا مثلا نافع في معالجة السرطان . وكثير من الحيات والعقارب تفتك بالحشرات والحيوانات التى تضر المزروعات . وبعض النباتات السامة هي علاج ناجع لبعض الامراض . وعليه ترون انه قلما يوجد نبات أو حيوان مؤذ الا وله بعض المنافع . والعلم يكتشف كل يوم فوائد جديدة للحيوانات والنباتات المؤذية

سرعة النبض

(بغداد ــ العراق) ومنه

ما السر في كون الطبيب عندما يعود مريضاً يتلمس نبضه قبل كل شيء ؟

(الهلال) يفعل ذلك ليعرف سرعة خفقان القلب فان ازدياد سرعة الخفقان أو نقصها من أهم أعراض المرض في الانسان

هل نقتدي بتركيا

والى أي حد ؟

ستة آراء لستة من المفكرين

منذ تغلب الاتراك على الاحداث العصيبة التي انتابتهم قبل الحرب ، وفي خلال الحرب الكبرى ، اتجهوا بقيادة الغازي مصطفى كمال الى القيام بنهضة من التجديد في نواحي حياتهم العسكرية والاقتصادية والاجتماعية واللغوية . وقد حققوا من ذلك شيئاً غير يسير ، قوبل بعضه بالتحبيذ ، وبعضه بالانتقاد . وقد رأينا ان نستفتي طائفة من رجال الفكر في مختلف الاقطار العربية عن الاقتداء بتركيا فيما قامت به من تجديد واصلاح ، وعن مدى هذا الاقتداء بالنهضة التركية الحديثة ، فجاءتنا ستة ردود لكل من اصحابها رأي خاص . ونحن ننشر هنا هذه الردود بترتيب ورودها الينا

رأي الدكتور عبد الرحمن شهبندر

« .. انا نريد الاقتداء بتركيا فيما انجزته فيها اليد القاهرة من الاعمال الباهرة في فتح الطرق ومد السكك الحديدية ، وانشاء المصانع ، ورفع شأن اللغة ، وتحقيق سيادة الأمة وما الى ذلك من المنجزات والمعجزات .. »

الانقلاب التركى انقلاب مدين لبندقية الجندى وأمر القائد ، ففيه الفضائل والنقائص المعروفة في الادارة العسكرية ، فالضباط يأمرون والجنود ينفذون . وليس ثمة مجال للفلسفة أو للقال والقيل ، بل يترك ذلك كله لمجالس النواب وللخطباء المفوهين والمجادلين الثرثارين وزعماء الأحزاب المتناحرين . ومعظمهم إذا تكلم فانما يتكلم لحزازة شخصية أو لاظهار ميزة ذاتية ، أما القائد العام في الدولة فامره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون من غير التفات إلى ما قد ينتج هذا الأمر من فائدة أو مضرة ، ذلك لأن « القومندة » العسكرية لا تقبل الجدل ولا يجوز أن تكون عرضة للانتقاد . وشهد كثيرون فى التمرينات العسكرية في ألمانيا قبيل الحرب العامة أن الرئيس ـ وهو قائد المائة ـ يأمر من بمعيته من الجنود أن يسيروا الى الأمام فيسيروا

الى أن يصدموا بجدار اصطنع ليقف حاجزاً في وجوههم فيقتحمونه من غير تلكؤ ولا يزالون يدفعونه بصدورهم وأرجلهم حتى ينهدم فيمروا من فوقه تنفيذاً لأمر القائد الصغير !

إن إدارة منظمة فعالة سريعة على هذا النمط تمثل معظم الفضائل التى تمتاز بها الادارة الحكومية العسكرية ، فنحن اذا ما أردنا الاقتداء بتركيا في نواحى نهضتها الحديثة فانما نريد هذا التنظيم النافذ السريع فقد مللنا وايم الحق الفوضى وما يلازمها من شلل وابطاء . وأضرب للقارىء مثلا « خط حلوان الحديدى » وما قيل في كهربته ، فلو كان هذا الخط في أنقرة ما امتلأت عبثاً الصحف اليومية منذ سنين بخبر هذه الكهربة كما امتلأت عندنا مع أن محطة « باب اللوق » ما برحت في موضعها والقطار ما يزال يسافر على البخار كل ساعة أو كل نصف ساعة على جرى العادة . ولا عبرة بجميع ما نسمع من القرارات فأين « قومندة » القائد يا ترى لتمده بتيار من روحها يدفعه الى « حلوان » كما يدفع التيار الكهربائي « المترو » الى « مصر الجديدة » ؟

إننا نريد الاقتداء بتركيا الحديثة فيما أنجزته فيها اليد القاهرة من الاعمال الباهرة في فتح الطرق ومد السكك الحديدية وانشاء المصانع ورفع شأن اللغة وتحقيق سيادة الامة وما الى ذلك من المنجزات المعجزات التى تجعل التركي سيداً في وطنه ، ولكننا لا نريد العيوب التي تلازم الادارة العسكرية عادة وفي مقدمتها خنق حرية الفرد بحيث لا يتسع المجال أمامه لاظهار نبوغه واستقلاله ، وما دام الارتقاء احتكاكا قائماً بين الميزات الفردية فكل خنق للفردية قضاء على الارتقاء ، والتجانس التام معناه الركود المؤذن بالتعفن والانحلال

ثم اذا أخطأ القائد الاكبر فى الادارة العسكرية لا يستطيع أحد أن يناقشه الحساب عادة ليوقفه عند حده ، واذا تكرر هذا الخطأ وانتقل الحال بالدولة من سيء الى أسوأ فلا نجاة للامة إلا بالثورة ـ شأن سائر الادارات الاوتوقراطية القاهرة ، ولكن الثورة على الادارة العسكرية ثورة محفوفة بالتهلكة وكلفها باهظة جداً وقد لا تقوم للامة بعدها قائمة

وقد لحظنا في عدد من عقلاء الترك المتزنين لا يحصى ألماً تكاد تذوب له نفوسهم على هذه الروابط الجليلة المقدسة التى تربطهم بالشرق والتي تعمل « القومندة » العسكرية في غير تفكير كبير لتفكيكها ، وربما كان قطع أواصر الاتصال بالثقافة الماضية التى دامت مئات السنين في المقدمة ، ومع ذلك فلا ينبسون ببنت شفة ولا يجرءون على الاتيان بحركة واحدة تنم على ما في نفوسهم خشية أن « يخدشوا أذهان » أولى الأمر . على أن الأمة

الحية هي كالشجرة النضرة الباسقة لها جذور في الأرض هي تراث الآباء والجدود ، ونحن مهما كرهنا الجمود وسئمنا التعفن والركود فلا نريد بوجه من الوجوه أن نجارى « القومندة » العسكرية في تركيا فنقطع هذه الجذور ونعرض الشجرة كلها لليبوسة والذبول ، إننا من أنصار الاصلاح الاجتماعي والتجديد الصحيح على أنواعه . ولكننا من أعداء قطع الاتصال بالماضي فنحن أبناء السلف وآباء الخلف ، أصولنا ثابتة في الارض ، وفروعنا باسقة في السماء

عبد الرحمن شهبندر

رأى الاستاذ محمد فريد وجدى

« . . الكلام في الاقتداء ومداه ليس من رأيي اضاعة الوقت فيه . والذي نراه أن المعول في انهاض الامم هو على الدأب في تربية نفوس آحادها تربية توقظ فيها جميع غرائزها الكامنة . . »

الاقتداء في الاجتماع حال لا يدخل تحت سلطان الارادة ، فكل شعب يود الاقتداء بأرقى الشعوب في كل شأن من شؤونه ، ولكنه لا يستطيع ذلك ، بل قد ينحط وينحل وهو يداعب أحلامه بهذه الأمنية

ذلك لان النهوض لايكون إلا بحافز قوى من دوافع ذاتية تنشأ تحت تأثير حاجات قاهرة . وهذه الحاجات القاهرة تتفاوت في الطبيعة والشدة بتفاوت الشعوب في حالاتها النفسية . فامامك شعوب يؤثر فى كيانها ضياع سيادتها القومية مالا يؤثره حرمانها من المقومات الجسدية . فاذا هددت فى سيادتها نهضت نهضة قوية لاستردادها ، فاحدثت انقلابات تدخل في باب المعجزات الاجتماعية ، وحيالك شعوب أخرى لا تحس بضرورة الانتقال إلا إذا عضها الجوع بنابه ، ثم لا يجاوز انتقالها دائرة ما يحقق لها الخفض في حياتها المادية . ولولا هذا التفاوت في الحالات النفسية لتساوت الامم فى الجادة الاجتماعية والسيادة القومية

فالكلام في الاقتداء ومداه وفى قصره على أمر دون أمر ليس من رأيي إضاعة الوقت فيه . وقد احتككنا بالامم الاوربية منذ جيلين ، وكتب الكاتبون في أثنائهما ألوفاً من المقالات في وجوب الاقتداء بها ، فلم يكن لكل هذه الصيحات من تأثير غير تعلق الناس ببعض ما عليه تلك الأمم من قشور المدنية ، وقد لقينا من بعض تلك القشور الشر المستطير

والذى نراه أن المعول في إنهاض الأمم هو الدأب في تربية نفوس آحادها تربية توقظ

فيها جميع غرائزها الكامنة . فاذا أنجح المصلحون في ذلك أنجبت تلك النفوس من ذاتها الى طلب الحياة الكاملة ، والحصول على جميع مقوماتها الادبية والمادية ، فيكون أثر ذلك فى المجموع اندفاعا وراء الاصلح والافضل من كل شيء ، اندفاعا لا يقوى أن يقف في وجهه حائل من أي ضرب كان . نعم إن الحوائل قد تصد هذا الاندفاع وقتا ما ، ولكن الصراع ينتهى بينهما عادة بزوال تلك الحوائل ، ويكون أثر ذلك التوقف الوقتى خبرة جديدة تستفيدها النفوس المتوثبة لازالة حوائل أخرى

ومما يجب التنبيه اليه هنا أن هذه الوسيلة لا تؤتى ثمراتها بمجرد الجرى عليها ، لان التعاليم الصالحة كالبذور لا تعطي أكلها ساعة غرسها ، فلا بد لها من الدخول في أطوار كثيرة يعنى فيها بامرها عناية مبنية على العلم والتجربة ، وإلا بادت في دور من أدوارها

هذا جهد شاق ولكنه ليس بمؤيس ، والثمرة المنتظرة منه تشجع على الصبر له والدؤوب عليه . وقد جرى على هذا السمت جميع مصلحى الشعوب في العالم وتابعهم فيه خلفاؤهم حتى وصلوا منه الى أبعد مدى قدر له

وفي رأيي أن الخطة المثلى فى أمر هذه التربية هى أن توضع مؤلفات خاصة بها يجعل لها المكان الاول من الدراسة في مراحل التعليم الثلاث تكون مناسبة لعقلية النابتة فى كل منها . فيعنى فيها ببيان حقيقة الانسانية ومميزاتها الادبية ، وحقوق الانسان الطبيعية وواجباته نحو نفسه ومجتمعه والانسانية برمتها . ثم يفاض فيها الكلام عن مكان الفرد من المجتمع ومكان المجتمع من المجتمعات الاخرى ، وعن الحياة البشرية والغاية منها ، وعن حياة الجماعات والمرامى التى يجب أن تتوخاها في محاولاتها ، وعن نواميس الاجتماع وتأثيرها فى تطور الجماعات وعن الانحرافات الخلقيـة ونتائجها على الحياة الخاصة والحيـاة العامة ، وعن الانقلابات الاجتماعية وعللها وثمراتها ، وعن العلل النفسية وعلاجها . ويجب أن يبسط القول فى مهمة النوع الانساني فى هذا العالم ، وخلافته لله فيه . الخ الخ

هذه التعاليم لو صيغت في قالب حكيم كان منها علم يشوق النفوس ويؤثر فيها أبلغ تأثير ، ويصبح بجملته وتفصيله بعد جيلين أو ثلاثة حالا طبيعية للمجموع يصدر عنها جميع أعماله ومساعيه

هذا هو الطريق الطبيعى في نظرنا لنهوض الامم ، أما مجرد محاولة الاقتداء فلا ينتج أثراً محموداً ، لان كل ما فى الأمم هو ثمرات نفسياتها ، فاذا شاق المجتمع الطالب للاقتداء مظهر من

مظاهرها وأراد أن يحققه لنفسه أعوزته العوامل فيه ، فلا يلبث أن يرتبكس في عمله ، وتكون نتيجة ذلك أن يعتقد فى نفسه النقص الفطرى والقصور عن لحاق غيره . وهذا أكثر ما نشاهده في الجماعات المحتكة بالامم الناهضة ، اذ يشيع فيها مبدأ الاحتقار لذاتها ، وحب تقليد الاجانب فى عاداتهم ولغاتهم وتقاليدهم ، تقليداً يخرجها عن حظيرة قوميتها التى هى أول ما يجب أن تحافظ عليها إذا أرادت عدم الفناء فيهم

فنحن نملك كل القوى الادبية والمادية التى تنهض بنا نهوضاً مناسباً لحاجتنا ، ومقدراً على طبيعتنا بشرط أن نستطيع الاستفادة منها . أما بيان وجوه هذه الاستفادة فمتوقفة على التربية التى يجب أن نتلقاها . فاذا أردنا أن نحقق لانفسنا وجوداً راقياً ، فلنسلك السبيل المؤدى اليه من طريق هذه التربية لا من أية طريق أخرى

محمد فريد وجدي

رأى الامير مصطفى الشهابى

«.. لا يستطيع الاقتداء بتركيا في نهضتها الاخيرة الا الشعوب المستقلة . فمتى رفع الانتداب عن الشام وزال الاحتلال في مصر ، وزالت معه الامتيازات الاجنبية ، جاز عندئذ البحث عن مجاراة تركيا في نهضتها الحديثة . وجاز النظر في الحد الذي يجب الوقوف عنده .. »

إن النهضة التركية الأخيرة تتناول السياسة والاقتصاد والدين والاجتماع والمعارف واللغة . ففي السياسة كان همُّ الكماليين تقوية الجيش وإيجاد جبهة طورانية فارسية فى آسيا وجبهة بلقانية في أوربا . وبوسع الشعوب العربية المستقلة في هذا الباب تقوية جيوشها وإيجاد جبهة عربية دفاعية . وليس ذلك متعذراً عليها الآن . وأظن أن زعماءنا السياسيين يستهدفون لهذا الهدف . وقد لمسناه في معاهدة الحجاز واليمن ومذاكرات العراق ونجد . ومن فائدة مصر أن تنضم الى الحلف العربى بعد تسوية مشاكلها مع الانجليز . ولعل فائدة انجلترا نفسها هى في معاضدة هذا الحلف والتعاقد وإياه لانه يكون لها في المستقبل أجدر صديق يحتفظ بحياد قناة السويس وطريق الهند الجوى في الايام السود

وفي باب الاقتصاد أوجد الاتراك صناعات كثيرة ، وحموها بالمكس ، وأجبروا أصحاب المعامل الاجنبية في البلاد على أن يبيعوا الوطنيين معظم أسهم معاملهم ، ومنعوا اليد العاملة

الاجنبية عن العمل في المصانع والمتاجر والشركات ، وضيقوا على المتاجر الاجنبيـة وخففوا ضريبة الارض وهى هناك العشر على المستغلات الخ . وكلها أمور مفيـدة . وأمام الشعوب العربية مجال واسع للعمل في هذا الباب. لكنني لا أرى كبعض المتعصبة أن رءوس الاموال الاجنبية تكون مضرة دائما فهي في بعض المشروعات الكبيرة تكون مفيدة للشعوب الفقيرة إلا أنه يجب استعمالها بحكمة وانتباه

ومن حيث الدين غلا الترك في الالحاد فجعلوا الحكومة لا دينية ، ومنعوا تدريس العلوم الدينية في المدارس الرسمية ، وتتبعوا في ذلك خطى البلاشفة تقريباً . ومن البديهي أن الشرق العربي لا يمكنه السير في هذه الطريق لان القومية العربية والدين الاسلامي يمشيان جنباً الى جنب دائما . ولو اقتصرت أعمال الترك في هـذا الباب على إصلاح بعض التكايا والزوايا والفرق الدينية لكان فى تلك الاعمال نفع لا ينكره العقلاء . أما الكفر والزندقة والمناداة فى المجالس الخاصة بعبادة الذئب الاغبر فجهالات يأسف لها عدد كبير من الترك انفسهم

وغلا الترك فى الامور الاجتماعية أيضاً ، على حين أن التطور الاجتماعى قلما يجدى فيه استعمال السيف والبندقية . مثال ذلك أنهم حتموا على الشعب لبس القبعة فكانت النتيجة أنني رأيت مرة أسرة تركية ارتدى أفرادها سراويل غلاظا وقد اجتمعوا حول صفحة من الطعام يأكلون منها بأيديهم وعلى رءوسهم « كسكتات » جعلوا رفرفها فوق أصداغهم ، وبعضهم أداروه الى الوراء ، فكان لهم منظر من أغرب المناظر . فأين آداب القبعة وضرورة رفعها أثناء الطعام ؟ . . . وقد أطلقوا سراح النساء دفعة واحدة فأباحوا لهن التراقص والتزاور والتنزه منفردات فلم يحمد العقلاء ذلك . والذى يعلم حالة السواد من النساء التركيات لا يرى فائدة عمليـة في منحهن حقوق الانتخاب للمجالس البلدية أو للمجلس النيابى ، بينما معظم الرجال أنفسهم ما برحوا بعيدين عن إدراك معنى هذه الحقوق او ممارستها بحرية . ومن البديهيات التي لاتخفى على أحد أن المجالس في تركيا ليست سوى ستارات لاخفاء دكتاتورية شديدة ، وأن القتل هو جزاء كل معارضة سياسية فى تلك المجالس أو خارجها . والدليل على ذلك أنه ليس في كل تركيا سـوى حزب الغازى ولا يمكن أن يوجد غيره ، واذا كانت البرلمانية الحقيقية لم تجد لنفسها سوقا لدى الرجال في مثل المانيا وايطاليا ، أفتراها ستزدهر بالنساء التركيات في تركيا ؟ . . .

أما المعارف فقد سار الترك فيها سيرا لا بأس به ففتحوا كثيراً من المدارس واجبروا

المدارس الاجنبية على تعليم تاريخ الترك وجغرافية تركيا وبث القومية التركية فى الطلاب . ولما يئسوا من صلاح بعض المدارس التبشيرية ضيقوا عليها وخلقوا لها قضية اللباس الدينى ونصحوا أهل التلامذة بأن يكفوا عن إرسال أبنائهم اليها حتى أقفلت أبوابها او كادت تقفلها

ولا شك أن على البلاد العربية اللسان أن تقوم بأعمال واسعة في هذا الصدد لان وحدة التعليم والتربية الوطنية أهم ما تفتقر اليه البلاد. لكنه لا يجوز الغلو في التعليم القومي وفى معاداة اللغات الاجنبية الى درجة الابتعاد عن الثقافة العالمية أو الى قلب الحقائق رأساً على عقب كما فعل الترك بتمجيد بعض رجال تاريخهم ، أمثال جنكيز وهولاكو وتيمور ، من وحوش البشرية ومدمرى العمران والمدنية . وبالرغم عن جهود الاتراك الحديثة فالامية ما برحت سائدة فيها ولا سيما في الاناضول . ويؤكد العارفون أن جامعات تركيا بعيدة عن أن تساوى الجامعة المصرية . وكذا مدارسها الزراعية إذا قيست بمدارس مصر الزراعية

واتخاذ الاتراك للحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية شيء لا يلامون عليه لانه ليس لهم تراث علمى قديم يهمهم الاحتفاظ به كتراث العربية . ولا يلامون أيضا على تبديل بعض أسس لغتهم وقواعدها ، لانه ليس لديهم مثلنا قرآن كريم يستلزم تثبيت قواعد اللغة لفهمه وتفهيمه . ولا شك أن إسرافهم باطراح الالفاظ العربية والفارسية من لسانهم سيذهب برونقه وجماله وخصائصه التي تجعله قابلا لهضم العلوم والفنون

أما نحن فاستعمال الحروف اللاتينية يبعدنا عن تراثنا العلمي القديم وعن الشعوب الشرقية المسلمة التى تكتب بحروفنا . وتبديل قواعد العربية الاصلية يبعدنا عن فهم القرآن وهو تراثنا الاعظم دينياً وقومياً . ولا يجوز بحال العدول عن فهمه وتفهيمه مهما مست الحاجة الى تسهيل قواعد الصرف والنحو في اللغة الضادية . لكن مفردات اللغة العربية ومعانى المفردات وتعبيرات تلك اللغة واصطلاحاتها حتى كتابتها فهى كلها ما جمدت قط على حال واحدة منذ صدر الاسلام ، وهي التى يجب علينا العمل فى سبيلها حتى تجارى العربية لغات أوربا الحية . وباب الكلام في هذا الموضوع واسع جداً

وبعد ، فلا يستطيع الاقتداء بتركيا في نهضتها الاخيرة إلا الشعوب المستقلة . فمتى رفع الانتداب عن الشام وزال الاحتلال في مصر وزالت معه الامتيازات الاجنبية جاز عندئذ البحث عن مجاراة تركيا في نهضتها الحديثة ، وجاز النظر في الحد الذى يجب الوقوف عنده في تلك المجاراة . وبوسع الجزيرة والعراق خاصة أن يأخذا الآن بأسباب تلك النهضة كلها أو

معظمها على حسب استعدادهما . أما مصر والشام وسائر الاقطار العربية فاوضاعها السياسية الحاضرة لا تمكنها من الاخذ بسوى جزء من تلك الاسباب

مصطفى الشهابي

رأى الاستاذ عبد العزيز الثعالبي

« .. الامم المستقلة التي تحكمها جهرة من متعلميها ومفكريها هي التي يحق لها وحدها أن تقلد وتقتبس ما تشاء من نهضات الامم التي تقدمتها في مضمار التمدن . واصبح ان تقتبس نظم الجيوش وانشاء المعاهد الثقافية ، واستثمار المرافق العمومية .. »

التقليد خاصية متأصلة في الانسان ، وهو أثر العقل الواعي . مفعوله أسرع من غريزة الوراثة ، وأحوى منها للخصال ، وأظهر للخصائص العقليـة ، وأدل على حيوية الامة ، وبه أمكن السير نحو الكمال الانساني ، ولولاه لبقي الانسان مع فصله البعيد (كما عرفه المناطقة) حيواناً يعيش بغرائزه لا بخصائصه . والبرهان أننا نجد كل أمة تقتبس من الاخرى بقدر ما تتأثر منها ، وتأخذ من تقاليدها وأعمالها كل ما فتنها وأعجبت به منها

وعلى أساس هذه النظرية قامت جميع الحضارات المعروفة

والتقليد يحصل بواحد من أمرين : بالمحاكاة من قبل الأفراد والجماعات ، أو بالاقتباس بواسطة الآلة الحكومية ، وكلاهما فعال مؤثر . ولـكن التقليد من طريق المحاكاة قد يكون في الغالب هدفاً لعوارض كثيرة لا تؤمن غوائلهـا ، لذلك يجب أن يكون تحت رقابة عنيفة لوقاية الحاكين من الوقوع في الخطأ أو الشذوذ ، ومن الخير أن تكون هذه الرقابة مسندة إلى الهيئات العلمية المختصة صاحبة الشأن في نظار الامة ، وإذا تعسر وجودها ، تولت ذلك الآلة الحكومية ، على ما في ولايتهـا من ضرر ، وذلك للاختلاف الحاصل بين الرغبتين ، فقلمـا يصادف أن تكون الآلة الحكومية موفقة لمساعدة الامة على المضى في الاصلاح والتجديد . أما إذا كانت رديئة فقد تعمد الى وضع العراقيل فى طريق التجديد ، وقد تتوسـل إلى ذلك بالسعى الكريه في استحجار التقاليد وتصليب العادات

ومن هنا تظهر صعوبة جعل المحاكاة على إطلاقها ذريعة للتقليد ، خصوصاً في الامم التى ليست لها مناعة ولا رقابة عليها من نفسها ، فتضطر الى الالتجاء في ذلك للآلة الحكومية . وهى إن لم تفعل ذلك تكون قد عرضت نفسها لغضبها وانتقامها

وأقل ما في إمكانها أن تفعل : هو أن تحول بين الامة وبين المضى في تلك الرغبة بما فيها من السيطرة وصولة الحكم ، وبين أيدينا أمثلة كثيرة على ذلك جرت ولم تزل جارية في الأمم التي تتحكم فيها سلطات طفيلية غير مرغوب فيها . وطبيعى أن يكون غرض هذه السلطات متجهاً دائماً الى هصر تلك الامم وهضمها ، فكيف تمكنها والحالة تلك من اقتباس تقاليد تساعدها على التحرر من جميع الربقات الاستعبادية والتقاليد المتحجرة ؟

و بديهى أن من طبيعة السلطات المتغلبة على الامم سواء أكانت لفرد أم جماعة التشدد فى خنق الشعور بذاتية الامة ، ومن لواحق ذلك صدها عن اقتباس التقاليد النافعة ، وسلبها حرية العمل في الاصلاح ، لان نمو الشعور بالحاجة الى ذلك ينبه الامم إلى إدراك قيمتها الذاتية ، واحترام الكرامة ، وهذا لا يتلاءم مع سياسة التغلب ذات الصبغة الشاذة والتقاليد المتحجرة

هذه فذلكة إجمالية في مبحث التقليد ، وما قد يلابسه من عوائق يمكننا أن نبصر على ضوئها القريب تلك النهضة التي تغرينا بمحاكاتها أو تقليدها ، ولو كان السؤال خاصاً بنهضة تركيا الاخيرة ، لذلك سنقصر الكلام عليها فيما يلي :

الواقع أن النهضة التركية الاخيرة فيها الشيء الكثير من الاغراء ، والفتنة للذين يتهافتون على تقليد كل جديد مهما كان أثره ، ولكنها ليست في نفس الامر نهضة شعبية بالمعنى الصحيح تستهوى أخيلة النقاد الاجتماعيين ، وتستغرق مقاييس الفقهاء المشترعين ، بل هي نزوة دكتاتورية في أمة مستقلة انهكتها أنواع الحروب الداخلية والخارجية ، قائمة على حراب جيش مدرب على الكفاح ، يذكر لنا تاريخه العسكرى فيما يقصه علينا من أنبائه أنه يقاتل أولياءه كما يقاتل أعداءه ، يحاول بغرور المنتصر عقب حرب ضروس استقتل فيها أن يطبع تركيا بطابع حضارة نابية عنها لا تمت لها بصلة ، ولا تتصل منها بسبب ، ولا تتجانس مع ماضيها ، يريد بذلك أن ينشئها خلقاً جديداً في نظم غريبة . وليس من الحصافة فى الرأى الحكم فيهذه النهضة لها أو عليها قبل مضى عهد التجربة ، ويلزم لمضيه جيلان كاملان ، جيل للتلقين والامتصاص ، وجيل للتدريب والانتاج ، ونحن ندع ذلك لمن يأتى بعدنا من الذين سيشهدون الجيل الثالث إن بقيت هذه الثورة جارية على غرارها ، وحسبنا من ذلك أن نرقب الوقائع ونسجل الاحداث ، إلى أن تنتهي هذه التجربة الفذة التى لاسند لها من تاريخ معلوم ، ولا أثر من تقاليد متبعة . وان كان العهد بالحضارات البشرية المختلفة لا تنشأ إلا في

أحضان التاريخ الواقعي لا في خيال مفترض مسند الى تقدير مجهول . وفى حسبان العقل السائر أن الثورة الصاخبة على الماضي بكل ما احتواه من خير وشر لاتدعو الى التفاؤل، وربما تبقى الى أمد قصير ما بقى الجند الحافز لها شاكي السلاح . ويوم يعيده الى قرابه ، أو يقلبه محراثاً يثير به الارض، هناك تحدث الطامة الكبرى المنذرة بالاخفاق ، كما أخفق قبلنا كل شيء قام على الخراب وانكار التاريخ

ليست الدكتاتورية التركية في وضعنا الحاضر سوى صورة مقنعة من الدكتاتوريات الاجنبية المختلفة المتبسطة في أغلب ممالك الشرق الادنى على صبغات مختلفة من الديمقراطيات المصطنعة القائمة ايضاً على انكار عبر التاريخ ومناقضة روحية الاقوام . وكل ما بينهما من فرق أن الدكتاتورية التركية تستمد قوتها من نفس الشعب مباشرة وتعمل مخلصة في إنهاضه من الناحية التى رأتها . أما الدكتاتوريات الاجنبية فانها تستمد سطوتها من الخارج وتقصر سعيها على الاستئثار بمرافق البلاد واستنزاف ثرواتها البالغة وتحويلها الى رأسمالية أجنبية ، ومراقبة المحكومين عن كثب لمنعهم من النهوض ، والاقتعاد بهم مقاعد التثبيط عن السعى في التقدم

ولو أوتي هؤلاء المحكومون حظاً من حرية الرأى فى التقليد والاقتباس عن الامم الناهضة لما شككت قط أنهم يفضلون تقليد حضارة اليابانيين البالغة أسمى مراتب النضج ، وهي في أوضاعها أقرب لمجانستهم بمقدار بعدهم عن المزاج العصبى السائد فى تركيا ، لكنهم ويالالاسف لا نصيب لهم من ذلك ، ليس لعجزهم عن تقليد اليابان ، وانما لكونهم لا يملكون هذا الحق . والقوة التى استطاعت صرفهم عن ذلك تستطيع أيضاً أن تحول دون اقتباس أى شيء نافع عن نهضة تركيا الاخيرة

لا أقصد بهذا المنع مطلق الاقتباس ، بل هناك تقاليد كثيرة ، لهم ملء الحرية في اقتباسها عمن شاءوا سواء أكانوا يابانيين ، أم أتراكا ، أم غربيين ، بل وحتى هنوداً أو زنوجاً ، خاصة تلك التقاليد التى تتكيف بها الحياة الفردية بما يتنافى مع روح الشرق وتقاليد التاريخ ، بل قل : كل ما يؤدى الى إضعاف قوة التماسك في الامم ويلاشى تقاليدها الاجتماعية، فهم أحرار الى ماشاء الله في اقتباس الشهوات ، واصناف اللهو واللعب والاستهتار ، وأحرار أيضاً في نقد ما ضيهم والاسراف في الزراية بأنفسهم ، ولكن ليس لهم أن يبنوا أو يخلدوا أو يشرعوا أو ينظموا! ولا أن يبيحوا أو يحظروا

أليس كافياً أن يقلدوا ويقتبسوا من الحضارات ما تساقط من نفاياتها وأوضارها ؟ أما نقل ما يخولهم التقدم والرقي ، فذاك محجور عليهم بمقتضى اتفاقات ومؤامرات معقودة في أوربا

هذا هو حال الأمم المغلوبة على أمرها التي لا رأى لها فيمن تقلد ، ولا فيما تقلد ، وهي لا يتناولها السؤال طبعاً

أما الامم المستمتعة بحريتها التي لها الحق في الاقتباس والنقل، فتلك الامم المستقلة التي لا يهيمن عليها مسيطر أجنبي ، بل تحكمها جمهرة من متعلميها ومفكريها ، وليس لدينا منها في شرقنا الأدنى الا القليل ، وهي على ما بينها من تفاوت في فهم معاني الحضارة ، والتجويد في الاحكام ، هي التي يحق لها وحدها أن تقلد وتقتبس ما تشاء من نهضات الامم التي تقدمتها في مضمار التمدن . ولن أكون فضولياً وأنا المسئول عن ذلك إذا نصحت لها جميعاً أن تقتبس نظم الجيوش ، وطرائق التعبئة ، والتسليح ، وانشاء المعاهد للثقافة العامة ، واستثمار المرافق العمومية وجعلها قيد السخرة في سبيل الاحياء والتجديد ، واتخاذ قاعدة تحديد السنين وجعلها ظروفاً لمقادير معينة من الاصلاحات ، وما عدا ذلك يكون تالياً لا مقدماً ، ولنا في ذلك عبرة بما حدث في الافغان حين شرع عاهلهم أمان الله خان في البدء باصلاح فروع الحياة الاجتماعية واغفاله الأصول ، فأضاع تاجه ، وقد كان في الحسبان أن يضيع بلاده لولا لطف من الله سبق وكان فصل الختام لرواية تقليد مبتسر

عبد العزيز الثعالبي

رأى الاب أنستاس الكرملي

« .. علينا ان نقتدي بتركية في مجددات نهضتها - اي علينا ان نتشبه بالترك في عزة النفس ، وألا نستكين للاجانب ، وان نحب وطننا حباً صادقاً وتعزز لغته ، وألا نجود بهما لمال عزيز نكسبه . . »

قال بعض الأقدمين : إن الامم كالرجال ، تنشأ فتشب ، فتكهل ، فتهرم ، فتموت . وضربوا لذلك أمثالا لا تحصى ، أخذوها من تاريخ الأوائل ، فذكروا الا كديين ، والشمريين ، والأشوريين ، والكلدانيين ، والفرس ، واليونانيين ، والرومان ، الى غيرهم من الامم التي احتفظت بأساميها الاخبار ، ودونتها الصحف والمهارق

على أن الكلام لا يتبين صدقه والاخذ به ، إلا من باب الاغلبية ، وإلا فان التاريخ قد أثبت لنا أيضاً أن ثم أمماً وشعوباً عادت إلى التجدد والعود الى الشباب بوجه لا يبقى شبهة

هذه الأمة الناطقة بالضاد ، نشأت في بوادى عربة (أى بلاد العرب) ، فقامت منها دولة عظيمة كانت اليمن مظهر حضارتها ، ثم دالت دولتها ، فأخذت تضمحل ، بل اضمحلت. وما جاءت المائة السابعة للميلاد ، حتى ظهرت فيها قوة جديدة ، أعادت اليها فتوتها ، وشبابها ، فكان منها تلك الدولة الضخمة التى أدهشت العالم بعظمتها ، و بطشها ، وسؤددها وسلطتها على العالم كله المعروف يومئذ

ومن هذا القبيل أيضاً الدولة التركية العصرية الفنية ، تلك الدولة التى كانت تنعت قبيل الحرب « بالرجل المريض » لأنها كانت قد تجمعت وانحصرت في رأسها الأعظم ، سلطانها عبد الحميد ، وكانت الدول الغربية كلها قد استعدت لمواثبتها واقتسام جثتها ، اقتسام السباع الضارية لفريستها . أما بعد الحرب فقد قيض الله لها رجلا فذاً ، داهية الدواهى ، أظهر من القوة ، والذكاء ، والدهاء ، ما حير عقول أعاظم الساسة ، وأمهر المحنكين ، فى أمر تدبير الدول . ثم تبعه جمهور ممن وافقه على رأيه ، فنشأ من هؤلاء الافذاذ الشذاذ دولة ، أعادت الى تلك الربوع فتوتها وشبابها . وإذا مضت على وجه سليم خال من مولدات الفساد والافساد ، تصبح تركية الجديدة أعظم دولة في الشرق الادنى ، وربما هاجمت الدويلات التى حواليها فوسعت أملاكها ، وعادت الى سابق عزها وسامق مجدها

أما الذى حدابها الى استعادة قواها فهو : « عزة النفس » . وهذه العزة تنشأ من استعادة ذكرى مآثر السلف ، وتأثرها بشجاعة وإباء وأنفة لا تلين لأي صلب كان ، ولأي غاية تضر بمصالح الجمهور . فلو كان مصطفى كمال ــ وهو اليوم مصطفى أتاترك ــ انخدع برغبات أمم الغرب ومواعيدها ، أو بترعيباتها وتهديداتها ، لما بدت اليوم هذه الدولة كما هى ولما تجدد شبابها بالوجه الذى نراها فيه

ومن مجددات هذا الشباب « حب الوطن » وهذه الفضيلة ، هى التى تنعش الامم ، وتحافظ على حياتها ، بل وتعمرها تعميراً ، لا يقف عند غاية . انظر اليوم الى الامم الغربية المتسابقة في الحضارة ، والثقافة ، والتمدن ، فانها كلها تسير ورائدها حب الوطن وتفضيله على كل ماسواه ، ورفع مناره ، وتحبيبه لكل الناس بوسائل يذعن لها كل امرىء . فهذه فرنسة

تسير في مقدمة الامم منذ عهد بعيد ، وهي التي نفثت في صدور سائر الامم روح التجدد ، والتبسط فى العمران ، فاندفعت وراءها انكلترة ، فالمانية ، فايطالية فسائر شعوب الغرب ، ولا سيما أميركة ، فان هذه الأمم جميعها سائرة بروح واحد هو حب الوطن

ومن مجددات هذا الشباب « تعزيز لغة الوطن » . نعم ، إن اللغة هى أقوى وسيلة إلى بلوغ أقصى درجة في ترقية البلاد . وكل أمة أنكرت لغتها ، وتبرأت منها ، وبخست حقها ، وأذلتها حل بها الذل والهوان والخمول وتسلط عليها عدوها ، وطمع فيها خصمها ، فاستحق الخونة الابادة والاضمحلال . وكل امرىء يعادى لغة قومه ويكرهها ويكرهها للغير ، يعد أعدى أعداء الوطن ، ويجب الابتعاد عنه ابتعاد الرجل السليم عن المصاب بداء فيه عدوى ، بل وجب سحقه و إخراجه من البلاد التى يتنعم بها وبخيراتها

ولو راجعنا تاريخ أمم الشرق لرأينا أن كل أمة رحبت بالامة الفاتحة أو الغازية ، واتخذت لغتها الغريبة عنها ، واحتقرت لسان وطنها دبَّ اليها الفساد حالا ، فتفككت ملتحماتها ، وتخلعت عضلاتها ، وتشتتت أوصالها ، ولم يبق فيها ما يدانى بين منفرجاتها فاستحالت إعادة شبابها

هذه هى أهم مجددات حياة الامم ، وان كان ثم غير هذه العوامل ، التى تعد في المرتبة الثانية من مبادىء العودة الى الشباب . فعلينا نحن العرب أن نقتدى بتركية في مجددات نهضتها وان نهرب من كل ما يخالفها ـ أى علينا أن نشابه الترك فى «عزة النفس» ولا نستكين للاجانب أوالاغراب وان نحب وطننا حباً جماً صادقاً ونعزز لغته وألا نجود بهما لمال غزير نكسبه ، فنذل به الوطن . وألا نقبل مرتبة تعرض الوطن للتلف أو الهلكة . ويجب على كل منا أن يحبب اللغة العربية بقدر طاقته ، ويظهر محاسنها . وأنها تفوق محاسن أي لغة على وجه الأرض . لما فيها من الاصول البديعة، والقواعد الموافقة للعقل السليم ، والمبادىء المنطقية . وهي ـ دون غيرها ـ لا تحتاج الى ادخال الفاظ غريبة ، لما فى تراكيب أصولها من السهولة واللدونة والمرونة ، وكثرة أساليب الاشتقاق التى لا ترى في سائر الألسنة من قديمة وحديثة . وفيها من طرائق الوضع ، ومناحى الصوغ والسبك مالا يحدَّى حُدَيَّاه . وبذلك كفاية لكل راغب في احقاق الحق واتباع الهدى

الاب انستاس مارى الكرملي

رأى الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف

« . . يجب ان نقتدى بتركيا في تعميم التعليم الصحيح ، وتهذيب المرأة واقتباس ما يناسب البلاد الشرقية ، واتفاق الحكومة والشعب على مصالح الوطن ، وتوفير الاقتصاديات بتعزيز اسباب العمران . . »

إن الانقلاب الدستورى فى تركية أول مرة ثم تجديده ثاني مرة سنة ١٩٠٨ م قد غير حياة التركي ونبهه إلى كثير من ذرائع النهضة ، ولا سيما احتكاكه بأوربة وتناول ما يفيد من مدنيتها مع نزوعه إلى الاستبداد الذى تربى عليه هو ودولته ، فأنشأ جمعيات كثيرة مختلفة المناحي لتغيير كثير من نزعاته العلمية والادبية والتهذيبية

وممن كتب في هذه الموضوعات المتعلقة بالاتراك ابن حيّ جميل المعلوف اللبناني فانه الف كتباً مفيدة نشر بعضها و بقى الآخر محفوظاً ، فمنها كتاب « تركيا وحقوق الانسان » طبع في سان باولو البرازيل سنة ١٩٠٨ على أثر نشر الحرية في البلاد العثمانية ، بحث فيه عن أسباب انحطاط الشرق وتفرنج الشرقيين والتعليم والقانون الاساسي والديانة السياسية ، وجعل الكتاب السادس منه وهو الاخير بعنوان « أبقاء أم فناء » وفيه من الآراء السديدة والبحوث القيمة ما يصح الاعتماد عليه في نهضات الامم ومعرفة حقوقها الانسانية

ثم كتاب « دولة المرأة » وهو مخطوط ضمنه الكلام عن المرأة والرجل والاسرة وتأثير النساء في الاسرة ، نشرت أمثلة منه فى مجلتى الآثار . والكتاب الثالث هو « أبناء عمنا الاتراك » وهذا مخطوط أيضاً استرسل فيه الى تحليل حياة التركي ووصف شؤونه الخ . وفي هذه الكتب الثلاثة التى وضعها بعد نشر الحرية الاخيرة في هذه الدولة العثمانية درس مفيد كأنها نبوءات عن تطور الاتراك حكومة وشعباً وهو متشبع من المدنية الامريكية

فما جاء في كتاب « تركيا الجديدة » من باب « التعليم » قوله فى التعليم الاجبارى على طريقة الولايات المتحدة الامريكية : « ولم أجد لزوماً للقول بان لغة التعليم الاجبارى يجب أن تكون واحدة لتحدث التفاهم بين عموم العثمانيين لان ذلك من شروط تلك الطريقة الاساسية . ويجب ألا يكتفى بتعميم اللغة الواحدة فقط بل يجب أيضاً تقريب العادات والاخلاق والاصطلاحات المختلفة بعضها الى بعض لتتوحد أيضاً مع الزمن ويصبح امتزاج الامة الوطني سهلا وطبيعياً . . . » الى أن قال : « ان المدرسة هى أساس كل عمل نريد الحصول عليه . انها تكيف الامة في الكيفية التى تقصدها وتضعها في القالب الذى تبتغيه . . »

وما قال المؤلف في هذا الكتاب : « ولا بد أن يعقب هذا الانقلاب السياسى الصغير ثورة أدبية عظيمة ضد المبادىء القديمة كلها . . . وأبناء اليوم جميعاً سيثورون على خرافات أجدادهم ويبرزون أمام العالم كأمة جديدة مجردة عن كل علاقة مع الاجيال الماضية . . . »

ومن أقواله فى « كتاب دولة المرأة » ما يلى :

« إن روح العصر الحاضر ستتناول بتأثيرها الشرق . وسنة تنازع البقاء ستحمل المرأة الشرقية على استسهال كل صعب من أجل إعلان حقوقها وستصبح أرض الدولة العثمانية جنة تشترك بنعيمها المرأة والرجل على السواء . وتصير قوتها إذ ذاك أضعاف ما هى الآن . لأن المرأة التى تهز السرير بيسارها تهز الارض بيمينها »

ومن أقواله فى كتاب « أبناء عمنا الاتراك » عن التعبير عندهم « بالملة » عوض « الامة » ما نصه : « إن تبديل لفظة ملة بلفظة أمة هو أمر واجب لغوياً واجتماعياً إذا كان القصد منه التعبير عن الشعب العثماني كله

« ومهما ترددت هذه اللفظة (لفظة أمة) على مسامع الشعب العثماني فذلك هو الافضل . لأن العثمانيين حتى الآن لم يشعروا فى الحقيقة أنهم أمة واحدة وغير منفصلة

« واليوم الذى يدخل فيه الى قلبهم هذا الحس وهذا الشعور هو ذلك اليوم المجيد الذى تصبح على أثره دولة آل عثمان دولة حرة عظيمة تحنو لها أمم العالم إجلالا واعتباراً

« إن نامق كمال بك فيلسوف الاتراك ومؤسس مبادىء الحرية الشخصية في الدولة العثمانية هو أول كاتب تركى (في اعتقادى) استعمل في كتاباته لفظة « أمة » كلما أراد التعبير عن الشعب العثمانى . ومتى عمت هذه اللفظة وصارت اسماً لمسمى حقيقي فاليه يجب أن يرجع الفضل »

هذه أمثلة قليلة من مقالات ممتعة فى هذه المباحث التى ترقى الأتراك

* * *

نستنتج من هذه المقدمات وغيرها أدلة تؤيد جوابنا على سؤال الكم نحصرها فيما يأتي :

إن ما يجب أن نقتدي به فى نهضة تركيا الاخيرة شئون كثيرة أهمها :

(١) تعميم التعليم الصحيح وهو معتمد الاتراك اليوم في نهضتهم ، بذلوا لتوطيده النفس والنفيس وكأنهم يعملون بقول الامام الغزالى : « الجهل خير من العلم الابتر» لان العلم الناقص يجر الويل على الامة و يقوض أركان نهضتها

(٢) تهذيب المرأة لتربي الاسرة وتنشيء أطفالها على أقوم المبادىء العصرية بالصدق والاعتماد على النفس وحب الوطن والتفاني في الدفاع عن حوزته والاجتهاد في العمل مع إعطائها الحرية الموافقة لاستعدادها ولخير البلاد

(٣) اقتباس ما يناسب البلاد الشرقية وسكانها من العادات والاخلاق حيثما كانت والعمل بأفضلها وأمثلها ونبذ ما يخالف أذواقهم وأدبهم مع المحافظة على ما عندهم من الكمالات والفضائل والمحاسن ، لان الاقتداء العام بكل أمة مضر لبنيها اذا لم يكن ثمة من مناسبة بينهم وبينها وذلك الاقتداء يكون تدريجاً

(٤) اتفاق الحكومة والشعب على مصالح الوطن وارتقائه لان اركان الاستقلال ثلاثة العلم ، والقوة ، والمال

(٥) توفير الاقتصاديات بتعزيز أسباب العمران من زراعة وصناعة وتجارة لتستتب للبلاد الراحة والسعادة فيتسنى لها الاستقلال الصحيح وتوطيد دعائم النهضة الحقيقية الثابتة الاركان

هذا ما عن لي الآن في الاقتداء بنهضة الاتراك مما نحن بأشد حاجة اليه . والله الميسر في كل حال

عيسى اسكندر المعلوف

في ذكرى المتنبي

عدد خاص من الهلال

في هذا العام ١٣٥٤ الهجري يكون قد مضى على وفاة أبي الطيب المتنبي ألف سنة . وقد احتفلت بعض الهيئات الادبية باحياء ذكرى هذا الشاعر العظيم . لذلك رأينا أن نجعل العدد القادم من الهلال (عدد اغسطس) خاصاً بتمجيد هذه الذكرى . وسيشترك فيه نخبة من كبار الادباء في الشرق العربي . وسيحتوي على بحوث جديدة مبتكرة عن المتنبي وحياته كشاعر فذ له الاثر الخالد في الادب العربي



طه حسين

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

كان « الهلال » قد اقترح على الاديبين الكبيرين الاستاذ عباس محمود العقاد والدكتور طه حسين أن يكتب كل منهما موضوعاً يفضي فيه برأيه في أدب صاحبه ونواحي تفكيره . وقد قبلا هذا الاقتراح على ان ينشر المقالان في عدد واحد . ولكن عرضت للاستاذ طه حسين مشاغل في برامج التعليم اضطرته الى تأجيل كتابة مقاله . وكان الاستاذ العقاد قد كتب مقاله ، فرأينا ان ننشره بعد استئذانه في هذا العدد . أما الدكتور طه فقد وعد قراء الهلال بنشر مقاله في عدد قادم

للقدماء ضروب من التوقر يستخف بها المحدثون ولا يحفلون بها وحق لهم أن يستخفوا ولا يحفلوا ، لأنها ترجع إلى أسباب خاطئة في زمانها فضلا عن الأزمنة الحديثة ، وليس أدل على قلة الحياة من كثرة البحث فيما يجوز وما لا يجوز ، لأنه دليل على كثرة القيود

وأول ضروب التوقر التي يحق للمحدثين أن يستخفوا بها اجتناب الكتابة عن الاحياء وقصر التاريخ والتقدير على من فارقوا الحياة ، فربما كان مصدر هذا العرف عند القدماء أنهم كانوا يكبرون السلف ويحصرون فيه العلم والمعرفة والأدب والخلق والشهرة . وكأنهم كانوا يستكثرون الجمع بين العلم والحياة أو بين الشهرة والحياة في وقت واحد : فاما حياة وخمول واما موت وشهرة ، ولا توسط بين الامرين في تاريخ العلماء والادباء وتقدير حظوظ العلم والأدب

وقد جرف العصر الحديث ذلك العرف جرف السيل فكثرت تراجم الاحياء للاحياء . بل كثرت تراجم الأدباء لأنفسهم بأقلامهم ونشرها في إبان حياتهم ، وتلك علامة خير وصلاح ، لأن ماخف من جانب التوقر أنما يزيد في جانب الحياة ، ولأن أساغة التاريخ للاحياء تدل على رحابة الصدر والتفاهم على الطبيعة الانسانية فى جوانب كمالها ونقصها واطرائها وعيبها ، ولأن العصر الذى يساغ فيه الاعتراف ببعض العيوب هو العصر الذى تتوافر فيه المزايا والمحاسن ، فلا يضار المرء بالنقد لانه يعرف حدود الطبيعة الانسانية وما يبقى له بعد النقد من وجوه التحبيذ والترجيح

ولست أنا من أعداء القديم حباً لعداوة القديم ، ولكنني اكره التحرج الكثير في غير طائل ، وأشايع زمني في هذه العادة خاصة ، فلا أرى حرجاً في الثناء على الدكتور طه حسين

أو اغتيابه على ملأ من الناس . . . ولهذا أجبت دعوة « الهلال » حين دعاني الى اجمال رأى في الصديق العالم الاديب ، وهو يعدني أو ينذرني بمثل هذا النصيب ! وقبلت الكتابة وأنا أرجو ألا أكون مغلوباً حين تنكشف الورقتان المطويتان . إذ الكلام في كلينا سر مكتوم عن صاحبه حتى يطلع الهلال ، وعندئذ تشيع الغيبة وينجلي السر عمن أحسن الحيطة والتخمين

أنا ضامن أن الدكتور طه حسين سيقول انني شاعر ، فليضمن الدكتور طه حسين إذاً أن أقول فيه إنه كاتب ناجح في الادب ، وخير ما نتجه كتابه « الايام » وكتابه « في الصيف » وهما الكتابان اللذان سرد فيهما بعض ما جرى له في حياته ، فكان فيهما مثلا في البساطة والثقة التي تعزف بصاحبها عن التماس التأثير المصطنع بالتعمل والتجمل والطلاء والتزويق ، فالموصوف في هذين الكتابين صادق بسيط والوصف كذلك على مثل هذه الحال من الصدق والبساطة ، ولكني لم أطلع على شيء يصف به الدكتور ما لم يجر له أو يصف ما يخلقه من الشخوص والحوادث في عالم الرواية . فما علة ذلك ياترى ؟

أنا ضامن أن الصديق الاديب سيجد عيباً أو عيوباً في شعري يقيسها بمقياسه ويقدرها بمعياره . فاذا ضمنت هذا فليضمن الصديق الاديب أن أعلل قلة الوصف المخلوق في كتاباته القصصية بعيب فيه وهو قلة الخيال ! . فهو يصف ما يعالجه من المحسوسات ولا يتخيل ما عداه من نقائضه أو مشابهاته ، والعوض من ذلك عنده أنه يحسن البساطة التي يندر من يحسنها ويشعر بالكفاية التي تأتي من الثقة والاطمئنان الى صدق الشعور ، وهو عوض فيه غنى لمن يحسن الاستغناء

***

أما طه حسين الناقد فماذا أقول فيه ؟

أقول إنه اطلع على الادب العربي القديم اطلاعه الواسع الذي لا جدال فيه ، واطلع على نفائس من أدب الاغريق واللاتين الاقدمين ، واطلع على آثار رهط من كبار الادباء الاوربيين ولا سيما الفرنسيين . وكل أولئك خليق أن يحبب اليه الصحة والمتانة والقوة ويبغض اليه الزيف والسخف والركاكة . فهو يختار ما يعلو على مقاييس المقلدين المصطنعين ، وينبذ ما يستطيبه المحدودون من أصحاب الاطلاع القليل أو أصحاب الذوق السقيم ، وله في ذلك قواعد صحيحة ومراجع وثيقة ، واعتماد على فكر لا يتقيد إلا بما يرضاه

والى هنا لا أظن أن الدكتور سيعترف لى بأقل من هذا القدر في ميزان الكتابة المنثورة فأنا رابح على هذا التقدير

ولا أظن كذلك أنه سيعترف لى فى هذا الميزان بلا تعقيب ولا استدراك ، فلنسرع اذن الى التعقيب والاستدراك . ولا لوم ولا اجحاف

فالدكتور صحيح الاصول في النقد ولكنه لا يوفق بين أصوله وطبيعته فى كثير من الموضوعات

وهو حين يقرر المبدأ على صواب غالب

ولكنه حين يطبق المبدأ ينحرف أحياناً عن الصواب

وعلة ذلك كما أسلفنا أن القاعدة والطبيعة عنده لاتتفقان

فالطبيعة عنده لا تحتكم الى الخيال والتصوير الخالق ، ولكنها تحتكم الى الرأى والاطلاع فيقع من هنا التباين والاختلاف

اليس الدكتور يوصي بمبدأ « الشك » أو مذهب ديكارت ؟

بلى ! ولكنك حين تقرؤه ترى له عبارات من التوكيد واليقين قلما تراها في عبارات الشاكين المترددين . فلايعجب — أكثر مايعجب — إلا أشد الاعجاب ، أو إعجاباً لاحد له ، ولا يقنع بما دون الاسراف وترديد كلمة الاسراف ، ولا يغضب الذين يتحدث عنهم إلاغضباً شديداً ، ولا يضيقون إلا أشد الضيق ، ولا يتكلمون إلا بصيغة المبالغة في معظم الاشياء ... ثم تنتقل من هذا الى تشكيك يذكرك « بان شاء الله » التى قالها جحا حين ضاع المال ... فقال ضاع المال ان شاء الله . . .

كأن الدكتور يخاف من نسيان الشك خوف جحا من تلك الكلمة التى نسيها فضاع ماله ، فأنت تسمع منه : « أزعم أننى ضحكت ! » وقد أزعم . . . وقد أتردد . . . وقد أقول وقدلا اقول » ... مع أن المرء لو أقسم جاهداً : « والله لأزعمن وتالله لأترددن ، وبالله لأقولن » لما خرج بالقسم ، مع الزعم ، من دائرة الشكوك

والقاعدة تستقر على اطراد اذا كانت هى والطبع على وفاق ، غير انهما عرضة للاختلاف اذا وقع بينهما الخلاف ، ومن هنا نرى الدكتور يقول مرة إن أصول النقد الغربى واحدة قد وضعها اليونان قديماً وفرغوا منها ، وتلقاها منهم الانجليز كما تلقاها منهم الفرنسيون

فهم لا يختلفون . ثم نراه يقول بعد أشهر قليلة إن النقد ليست له أصول مقررة عند الناقد الفرد فضلا عن الامم الكبيرة والعصور الكثيرة ، وان الناقد يستحسن أو يستهجن والمرجع الى ذوقه وحده في استحسانه واستهجانه

ولعل هذا التباين بين القاعدة والطبع هو الذى جعل الدكتور ينكر الجديد اذا جاءه في زى القديم ، أو هو الذي جعله يطالب الشعر الحديث بأمور لا يطالب بها في حكم الطبيعة . لانه يجرى فى مطالبته على القياس

وأقول للقلم : على رسلك ! إلى أين ؟ ما احسبك إلا متوقعاً الكثير من تعقيب الدكتور واستدراكه فانت تستوفى المثل وتأمن ان تزيد

ويقول القلم : ما أحسبنى والدكتور مغلوبين على كل حال في هذه الصفقة . وليس الحق فيها بمغلوب

نعم ، وحساب الدكتور أو « رصيده » كما يقولون فى لغة المصارف كثير ، ففيه بقية وافرة بعد كل تعقيب واستدراك

واذا قلت إن الدكتور أمن استحسان السخيف من الادب فاختلافك بعد ذلك في زيادة القيمة التى يقوّم بها الجيد أو نقصها انما يغير الثمن ولا يغير جودة الشيء الثمين

***

ومن حساب الدكتور طه حسين أنه رجل جرىء العقل قويه ، مفطور على المناجزة والتحدي ، يستفيد مما يقتنع بصحته ومما يعينه على التحدى والتفرد فلا يحجم عن اتخاذه ، ولهذا تغير اسلوبه الكتابي بعد دراسته للاساليب الاوربية ، فاتخذ له نمطاً يوافق علمه بالعربية الفصيحة وعلمه بتقسيم المقاطع والفواصل فى الكلام الاوربي، كما يتكلمه من يجمع بين الحديث والكتابة في وقت واحد . فهو يتحدث ولاينسى أنه يكتب ، ويكتب ولاينسى أنه يتحدث، وأسلوبه الذى اختاره أوفق الاساليب لذلك جميعاً وأولها من نوعه في اللغة العربية . وليس فيه محاكاة لاسلوب آخر في اللغات الاوربية

ولو كانت كتابته حديثاً محضا لاسترسلت بلا توكيد ولا تكرير ، ولو كانت تقريراً محضاً أو درساً محضاً لما انحرفت عن اسلوب الكتابة الذى لايتحدث به القائل ، ولو كانت تقريراً أو درساً على الطريقة الشرقية لما ظهرت فيها المقاطع والفواصل الاوربية وجرت على سياق قريب من سياق الدروس الازهرية ، ولكن كتابته حديث فيه محاضرة ومراجعة وتنظيم ، فلايوافقها

إلا ذلك الاسلوب الذي استقل بابتداعه طه حسين ولو غضب المنكرون ، وقد يكون غضب المنكرين من أسباب ذلك الابتداع ! ولاجل هذا الابتداع يغتفر ما في كتابة الدكتور من اسهاب وتكرار

ولقد أفاد بأسلوبه هذا عملا من لم يقدم الرأي ولم تقنعهم المناقشة . فرأوا ان العربية قد تكتب صحيحة فصيحة على اسلوب غير أسلوب الجاحظ وعبد الحميد و بديع الزمان وابن المقفع ، ورأوا كاتباً كبيراً يكتبها كما يشاء هو لا كما يشاء القدماء « فتنكتب » وتلذ وتفيد فاستعدوا لاستحسان الفصاحة في غير قيودها القديمة ، والفوا تعديد الاساليب وطرائق التعبير الى غير انتهاء

وذلك وحده فتح قدير

وقد جار نصيب القوة في الدكتور طه حسين على نصيب العمق كما أشرت الى ذلك في نقدي لكتابه « في الصيف »

وليس بالقليل بين اكبر الادباء العالمين من هو قوي لا يتعمق . فاني لاكتب هذا المقال بعد أن فرغت من قراءة مقال للشاعر الاسباني ميجويل دي انا مينو كتبه ليمثل به رأي الاسبان بين سائر الآراء التي نشرتها مجلة « الشهر » الفرنسية عن فكتور هوجو لمضي خمسين سنة على وفاته . فاذا هو يقول إن عمله في اسبانيا على الاقل كان واسعاً اكثر مما هو عميق ، وارجو ألا يحسب الدكتور انني أعود به الى التفرقة بين السكسون واللاتين اذا اضفت الى هذا ان شاعر الامة الاسبانية اللاتينية يقرر أن « بيرون » والشعراء الانجليز هم الذين وجهوا ادب تلك البلاد ، وليس فكتور هوجو ولا الشعراء الفرنسيون ، وأنه ليقرر ذلك في مجلة فرنسية تحتفل بهوجو في عام ذكراه !

***

والآن وقد أبرأت ذمتي وافضيت بمجمل الرأي مع الحيطة والمعادلة والتربص فاني على ما ارجح كاسب ولست بخاسر . فان اختلف تقديري فسأتهم محرر الهلال بافشاء السر واطلاع مناجزي على ما اعددت له قبل ان يتأهب لي بسلاحه ، والمناجزة يومئذ بيني و بين محرر الهلال !

عباس محمود العقاد

قلة النبوغ في العصر الحاضر

بقلم الاستاذ احمد امين

« .. ولو قوم النابغون المعاصرون والنابغون القدماء وآثار هؤلاء وهؤلاء بالقيمة الذاتية ما شكونا من قلة النابغين المعاصرين .. »

من الأفكار الشائعة أن عصرنا هذا مع تقدمه فى الفنون والعلوم لم يلد من النوابغ ما انتجته العصور السابقة مع قلة علمها وفنها بالقياس للعصر الحاضر

وهـذا القول يكاد ينطبق على الأمم جميعاً فى الشرق والغرب كما يكاد ينطبق على فروع المعارف المختلفة من فن وأدب وعلم .فنى الشرق لا نجد فى الفقه التشريعى الاسلامي اليوم أمثال أبى حنيفة والشافعى ومالك، ولا نجد فى النحو أمثال سيبويه والكسائى والفراء ،ولا نجد فى الشعراء أمثال بشار وأبى نواس والمتنبى ، ولا فى الموسيقى أمثال معبد وابراهيم الموصلى ، ولا فى الفلسفة كابن سينا والفارابى

وفى الغرب لا نجد ولا يجدون فى هذا العصر أمثال جوته وشكسبير ،ولا أمثال فجنر ودارون ، ولا أمثال بيتهوفن ورفائيل وأمثالهم من نوابغ العلم والفن والأدب

فهل هذه الظاهرة صحيحة وان كانت فما علتها ؟

قد يقول قوم انها ظاهرة كاذبة ،وإن زمننا يلد من النوابغ من يفوقون نوابغ العصور الماضية فى العدد والقيمة ، غاية الأمر أن الزمن خلع على القدماء من التقديس والرفعة مالم يخلعه على المعاصرين ،فاذا أمعن المعاصرون فى القدم علا شأنهم ووضعوا فى مرتبة لا تقل سمواً عن مرتبة من قبلهم . فسيوضع العقاد وطه حسين وهيكل والبشرى وأمثالهم من كتاب الشرق فى مصاف النابغين من كتاب الشرق قديماً ، وسيوضع شوقى وحافظ فى مسـتوى المتنبى والبحترى ، وسيوضع بردنارد شو و ج . ه . ولز فى مصاف شكسبير كما يوضع برجسون وبرتراند رسل فى مصاف السابقين من الفلاسفة ،وسيسبغ عليهم الزمن من جلال القدم كما أسبغ على من قبلهم ، وسيقيسهم الناس بمقياس واحد فيرون أن من نوابغ المعاصرين من يفوق نوابغ الأقدمين . ويستدلون على صحة هذا النظر بأن نوابغ الاقدمين لم يكن لهم القيمة الـكبرى فى زمنهم كالقيمة التى لهم اليوم ، فالمتنبى فى عصره استصغره قوم واستعظمه آخرون ، والذين استعظموه لم يبالغوا فى عظمته كما نبالغ فيها اليوم ، وكذلك الشأن فى شكسبير وجوته وأمثالهما من الشعراء كانت عظمتهم فى زمنهم عظمة عادية مألوفة ، ولكن

كلما أمعنوا فى القدم رفعهم الناس فوق المألوف حتى جاوزوا الأرض إلى السماء، وحتى كأنهم ما كانوا يعيشون كما يعيش الناس، ولا يشعرون ويفكرون كما يشعر ويفكر الناس. ولو انصف الناس لوضعوا محمد عبد الوهاب وأم كلثوم وسامى الشوا فوق ابراهيم الموصلى وابنه اسحاق وزلزل ومخارق وأمثالهم من الفنانين. ولكن مضى على هؤلاء الأقدمين أكثر من الف سنة والناس يضربون بهم المثل فى الجودة وتخترع القصص فى غنائهم وانهم يغنون فيستغرق الناس فى الضحك حينا ويستغرقون فى البكاء حيناً وفى النوم حيناً، وربطوهم بهرون الرشيد وعصره وأبهته ولم يفعلوا ذلك فى المعاصرين فعظم شأن الأولين ولم يلحقهم الآخرون. ولو كان فى زمنهم شريط ماركونى واسطوانات فونوغراف تسجل غناءهم لتبينا صدق ما نقول ولكن كان من أسباب عظمتهم أن لم يسجل صوتهم فسمح ذلك للمغرقين فى الاغراق

وسبب آخر يضاف إلى التقديس الزمنى وهو أن الادباء — مثلا فى العصور الماضية كانوا يستعملون أخيلة ولغة وأساليب فيها بعض البعد عن أخيلتنا ولغتنا وأساليبنا، فكان من نتيجة ذلك صعوبة فهمنا لأدب القدماء وبذل الجهد فى تعرف أفكارهم وتفهم لغاتهم والحوادث الاجتماعية التى قيل فيها أدبهم، ثم لانجد هذه الصعوبة فى الادباء المعاصرين فنظن من قبيل الخداع أن غموض ألفاظ القدماء وخيالاتهم وأساليبهم منحى من مناحى عظمتهم، والناس دائماً يقدسون البعد عن المألوف ويظنون كبر الشأن فيما لم يفهموا من قريب ويحتقرون بعض الشىء مافهموا لأنهم فهموه فى سهولة ويسر. فالمتنبى عظيم ومن أسباب عظمته أن كثيراً من أبياته تتطلب الجهد فى فهمها، أما شوقى وحافظ والبارودى فأقل منه منزلة، ومن أسباب ذلك أن شعرهم قريب التناول. وفاتهم أن المتنبى كان فى عصره قريب التناول أيضاً وأن الاحداث الاجتماعية التى قال فيها شعره كانت واضحة جلية وان كثيراً من الفاظه كان واضحاً جلياً، وأن الزمن هو الذى أغمض الاحداث وأغمض الألفاظ من غير أن يكون للشاعر نفسه كبير أثر فى ذلك

وموقف الناس ازاء آثار النابغين من القدماء كموقفهم ازاء النابغين. فالكتاب يؤلفه الجاحظ أو ابن قتيبة يقدر بخير مما يؤلفه نابغو العصر، والقصيدة ينشئها المتنبى يقدسها الناس ولا يقدسون شعراً لشاعر معاصر فاذا ذكر نابغة من النوابغ الأقدمين ونسبت اليه قطعة أدبية أو كتاب أو رسالة أو قصيدة فعقول الناس وأذواقهم مشلولة أمام عظمته ولا شىء من هذا الشلل يصيبهم أمام مؤلف حديث أو أثر حديث. وبعبارة أخرى أن الناس لايقومون القديم تقوعاً ذاتياً فقط انما هم يقيسونه بشىء قليل من المقياس الذاتى وبشىء كثير مما فى نفوسهم من الاعجاب بالمؤلف أوالشاعر أو الكاتب القديم ويحيطون أثره بشىء من التقديس ويقيسون الحديث بشىء من المقياس الذاتى وبشىء مما فى نفوسهم من ميل إلى التجريح. ولسانهم يطول لا إلى حد فى نقد المعاصرين ويقصر لا إلى حد فى نقد الاقدمين

ولو قوم النابغون المعاصرون والنابغون القدماء وآثار هؤلاء وهؤلاء بالقيمة الذاتية وحدها ما شكونا من قلة النابغين المعاصرين ولا شكونا من ضعف نتاجهم بل لملئنا اعجاباً بهم ولرأينا منزلتهم في الاعم الأغلب فوق منزلة من سبقهم ولرأينا نسبة نابغينا الينا كنسبة نابغي العصور الماضية إلى أهل زمانهم. فكما أن عصرنا خير من العصور السابقة علماً وفناً وصناعة فكذلك نابغونا خير من نابغيهم علماً وفناً وصناعة. فما يتشدق به أصحاب هذه النظرية من رمى العصر الحاضر بالعقم أو بقلة انتاج النابغين غير صحيح، بل هو أيضاً نوع من خطل الرأى دعا اليه تقديس القديم وتقديس الغامض. وطبيعة الناس زهدهم فيما يملكون وحنينهم وشوقهم إلى ما لا يملكون، وقديماً قالوا: «زامر الحي لا يطرب» وقالوا: «أزهد فى عالم أهله». وأمر الناس غريب فى هذا الشأن فالقديم يخطىء فنتأول له الصواب حتى نخرج فى ذلك الى السخف والمعاصر يصيب فنتأول له الخطأ حتى نخرج فى ذلك إلى السخف أيضاً

وشأن الناس فى ذلك شأنهم مع القطع الفنية القديمة، فقد تخرج مصانع السجاد الآن مالا تستطيع القرون القديمة أن تخرج قريباً منه، ومع هذا اذا عثر على قطعة بالية قديمة من صنع القرن الثالث عشر أو الرابع عشر تهافت الخاصة على شرائها وتغالوا فى أثمانها وليست قيمتها الذاتية بشىء بجانب السجادة الحديثة. كذلك الشأن فى الآثار العلمية والادبية للقرون السابقة والقرون الحاضرة فقد يخرج أديب معاصر ما لم يستطعه الأوائل وقد يخرج العالم المعاصر ما لم يكن يحلم به القدماء ومع هذا فهم يعبدون القديم دائماً ويقدرونه أكثر من حقيقته دائماً

⁂

هكذا قال أو يصح أن يقول من يرون فساد النظرية من أساسها، ويرون أن الولادة لم تزل تلد النابغين الآن كما كانت تلدهم من قبل

ولكنى — مع اعترافى بصحة كثير مما قيل من هذه الآراء — أرى أن الظاهرة صحيحة وهى قلة النبوغ فى العصر الحاضر اذا قيس بالنبوغ فى العصر الماضى وصعوبة وقوعه الآن كما كان يقع بالامس

وسبب ذلك — على ما يظهر لى — أن النبوغ أمر نسبى، فالنابغ من فاق أهل زمانه فى ناحية من نواحى الفن والعلم والصناعة، ففى الامة التى لا يحسن أفرادها الكتابة والقراءة كان يعد القارىء الكاتب نابغة، وفى الامة التى لا تعرف شيئاً من الهيئة كان يعد من عرف شيئاً منها نابغة فاذا درس الربع المقنطر والربع المجيب كان عبقرياً وهكذا

من أجل هذا كان النبوغ فى عصور الظلام سهلا يسيراً اذ بقليل من الجهد يسبق المجتهد زمنه فيكون نابغة. فاذا وصلنا إلى عصر النور رأينا النبوغ شاقا عسيراً لان الناس وصلوا من العلم والفن

إلى حدود بعيدة تكاد تصل إلى نهاية قوى الانسان الممنوحة له ، فمن أراد النبوغ فعليه أن يتخطى أهل زمنه فى كل ماوصلوا اليه وما أكثر ما وصلوا اليه ! وفى ذلك مشقة عظمى

ومن أجل ذلك يخيل لى أن النبوغ فى الامم يختلف كثرة وقلة وسهولة وصعوبة بمقدار رقى الامم ، فالنبوغ فى الامم العظيمة أندر وأصعب وفى الامم المنحطة أكثر وأيسر

يضاف إلى ذلك أن النبوغ اكثر ما يكون فى عصور الارستقراطية حيث يتعلم أفراد قليلون من الشعب يكونون عادة من طبقة الاغنياء ومن يقرب منهم ، أما بقية الشعب ففى ظلام حالك وجهل مطبق فاذا رأى هذا الشعب الجاهل هؤلاء الارستقراطيين على شىء من العلم أو الفن هللوا لهم وأكبروهم وعدوا ذلك نبوغاً فيهم ، فلما سادت الديمقراطية هذا العصر انتشر النور وتعلم الشعب وهدمت ارستقراطية العلم ، ولم يعد يبهر الناس الآن ما كان يبهرهم من قبل وأصبحت الاضواء العادية لا تلفت نظرهم انما يلفتهم نور كنور الشمس والقمر

وقريب من هذا السبب أن الفروق فيما مضى كانت بين النابغة والناس فروقا بعيدة ، وكان النابغة مرتفعاً جداً فوق الناس لا يستطيعون تشريحه وتقديره . أما اليوم فقد درس النبوغ وعرف سره فلم يعد الناس ينخدعون كثيراً بالتهويش وبالعظمة المزيفة كما كانوا ينخدعون فى الماضى ، بل أصبحوا يمتحنون كل شىء فى المعمل حتى العظمة والنبوغ . ولذلك زيف كثير من المشهورين ولو عاشوا فى القرون الحالية لعدوا من أتفه الناس — وهذا كله يجعل النبوغ الآن شاقا عسيراً

قد كان النبوغ يستهوى الناس يوم كانوا لا يشعرون بأنفسهم ، ويوم كانوا يشعرون بذلهم وحقارتهم ويوم كانوا عبيداً لكل مظهر عظيم ، فاذا ظهر نابغة ذلت نفوسهم وعظمت شخصيته واستخذوا له ورفعوه فوق مستوى الناس . أما اليوم فقدروا نفوسهم قدرها ولم يقنعهم أى عمل عظيم ليسبغوا على صاحبه السمو والتقديس . ولو عاد اليوم نابليون لما تمتع بالعظمة التى تمتع بها فى حياته لانه مدين بجزء كبير من عظمته لحالة أهل زمانه وفناء شخصيتهم فى شخصه وخضوعهم المطلق لارادته . فاذا كان يصنع اليوم وكل فرد يرى أن له حقوقا كحقوق نابليون وعقلا محترما كعقله وإرادة محترمة كارادته ؟ وكل أمة ترى ان العظمة فيمن يخدمها لا من يحكمها ؟

احمد امين



حضارة البر والرحمة

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

لما زرت بيروت في أوائل يونيو الماضي إجابة لدعوة جمعية العروة الوثقى بالجامعة الأمريكية للاشتراك فى الاحتفال باليوبيل الألفى للمتنبي دعتنى عمدة دار الأيتام الاسلامية ببيروت لألقى محاضرة بالدار تتصل بكتابي «حياة محمد» . وقد آثرت أن أحدث القوم عن الحضارتين الاوربية والاسلامية إجابة لهذه الدعوة الكريمة . على أنى رأيت من الخير أن أزور الدار قبل يوم المحاضرة وأتعرف اليها وأعرفها بنفسي . وأجابت عمدة الدار ـ وهى إدارتها على حد تعبيرنا في مصر ـ طلبي فذهبت بعد ظهر الاثنين الثالث من يونيو وجعلت أثناء الطريق أسأل دليلي عن الدار ماهى وماذا تقوم به من عمل ؟

ووقفت بنا العربة على باب بناء فيه عظمة وفيه بساطة . ودلفت إلى فناء الدار ثم إلى حجرة المدير وفي نفسى صورة من هذا المعنى القاسي : معنى اليتم وآلامه المادية والمعنوية . وطفت أنحاء المكان ورأيت الأيتام وسمعت إلى حديث بعضهم وتحدث إلى معلومهم وأرونى صناعاتهم وما غرست أيدى البنين وما غرست أيدى البنات في جوانب ملاعب الدار الفسيحة . وخرجت من الدار وفي نفسى صورة تختلف كل الاختلاف عن الصورة الاولى المنقبضة الاسارير والتى تمثل ألم الجسد والروح . خرجت وأنا أقول : لا يتم ولا أيتام وفي الناس قلوب تغدق من برها ومن حنانها ومن رحمتها أبوة على من حرمهم القدر آباءهم ، وأمومة على من حرمهم القدر أمهاتهم ، ونعمة على من حرمهم القدر النعمة ، وبشاشة على وجوه صغار لولا هذه القلوب لذهبت بشاشتها . بشاشة تجعل أبناء الدار ينعمون بالصحة والعافية ، وبالمعرفة ، وبالأمل الباسم للحياة . وكذلك خرجت ممتلئاً إعجاباً بمجهود إنساني عظيم تتمثل فيه أسمى المعانى الانسانية : المحبة والشفقة والايثار

من يومئذ ترد الى خاطرى صورة هذه المبرة ويدعوني ورودها إلى أن أسأل : إذا كان يسيراً على الانسان تهوين المشقة على الانسان ، وعلى الصغير الذي فقد أعز ما فى الحياة ، فما بالنا نرى الشقاء مخيما على الأرض ، فما نلبث نسمع صيحات الأسى والألم منبعثة من أعماق القلوب في أقطار الارض طراً ؟ وتهوين المشقة على نحو ما فعلت دار الايتام الاسلامية ببيروت

لا يقتضي عظيم جهد ولا كبير نفقة ، وانما يقتضي عاطفة صادقة وبراً مخلصاً بالمحتاج حقاً الى هذا البر . فهذه المؤسسة البيروتية إنما قام بهـا أول أمرها رجل واحد هو الدكتور ادريس . قام فدعا الناس الى هذا البر ملتمساً من قلوبهم الخير فالتف حوله جماعة من أهل بيروت الذين لايجلسون من الناس مجالس الحكم ولا يتمتعون فيهم بعريض الجاه ، وأبدوا صادق رغبتهم في معاونته . من هؤلاء سرت العدوى الى غيرهم فبذل كل ما تدعوه عاطفته الى بذله . تبرع كثيرون باقامة غرف بالذات أو أجنحة من بناء الدار ، لم يقصدوا من ذلك إلا الاحسان ابتغاء رحمة الله وإرضاء لارواحهم أو أرواح أعزة عليهم انتقلوا الى جوار الله ، فشعر ابناؤهم وشعر تلاميذهم ، وشعر محبوهم ، بأن نفوس هؤلاء الاعزة تزداد في الدار الآخرة رضى ، وبأن أرواحهم تزداد فيها اطمئناناً ، حين تحس بأنها ما برحت تتصل بهذا العالم اتصال بر باليتيم والضعيف والبائس والمحروم

ولن أنسى معنى رائعاً تركته هذه الدار في نفسي . ذلك أن البر والرحمة كسائر العواطف الانسانية السامية لا يحول دون ظهورها وتفجر ينابيعها اختلاف الناس في الجنس أو في الدين . فمن الغرف التى أقيمت بهذه الدار الاسلامية ببيروت ، حيث بربى الايتام من أبناء المسلمين وبناتهم ، غرف أقامها محسنون مسيحيون يتساوى العطف في نفوسهم على اليتيم المسيحى وعلى اليتيم المسلم ، ويرون هذا وذاك جديرين بحق متساو من الحياة والمحبة والاحسان . وكيف يرضى العقل أم كيف ترضى العاطفة أن يحول دين الانسان بينه وبين الاخاء للانسان ، وبينه وبين الاحسان على اخيه المحتاج للاحسان

وتشترك حكومة لبنان في معاونة الدار كما يعاونها تجار بيروت من أهل البر يرسلون اليها بما يحتاج اليه الايتام من أشياء لمآكلهم ومشربهم . لذلك نرى هؤلاء الايتام وعلى وجوههم البشاشة ، ونرى صناعاتهم مثمرة عليها الاقبال تقديراً لهؤلاء الابناء وتشجيعاً . وليس في الحياة خير من عمل اسس على البر والتقوى . وليس اجدر من هذا العمل بالبقاء على الحياة

* * *

ترد الى خاطرى صورة هذه المبرة فأسأل نفسي : مالنا ما نزال نسمع أنات اليأس وصيحات الالم إذا كان يسيراً تهوين الالم وتيسير المشقة على هذا النحو الجميل الذى رأيت ؟ وعندي أن ذلك يرجع الى هذا الاساس الاقتصادي لحضارة العالم في وقتنا الحاضر . هـذه الحضارة التى تجعل المال غرضها الاول وتستخدم كل شيء في سبيله . تستخدم العلم وتستخدم التشريع

وتستخدم الفن وتستخدم العواطف لتحويله من طائفة الى أخرى . فى سبيله يهون كل شيء ويهون الحرب ذاتها ، يقتل فيها ملايين النـاس باسم الحرية تارة وباسم القضـاء على الروح العسكرية تارة أخرى وباسم الانسانية نفسها طوراً ثالثاً . وهذه كلها علالات وخدع وأحابيل تنصب فى سبيل المال وحصره في يد طائفة من الناس تتحكم عن طريقه في سائر الطوائف تحكماً هو مبعث هذه الصيحات والانات التى تحز في كبد ذوي النفوس الحساسة ، ولا تلقى عند ارباب المال المتحكمين فى غيرهم بسببه إلا ابتسامات ازدراء واحتقار لهؤلاء الذين يئنون ويتألمون . ولو قامت الحضـارة على غير اسـاس المال ، لو قامت على اسـاس انساني تبعثه عواطف البر والاخاء والمحبة لأمكن محو الألم او تهوينه على الاقل ، ولاستطاع الانسان ان يشعر بالاخاء الحق نحو الانسان

لما اندلعت الثورة الفرنسية وفكر آلهتها في غزو العالم بمبادئها جعلوا شعارها : الحرية والاخاء والمساواة . وفى سبيل هذا الشعار أريقت دماء وأزهقت أرواح وقيل بعداً للظالمين . وقد استطاعت الاجيال منذ الثورة الى ما قبل الحرب الكبرى أن تحقق للناس الحرية والمساواة أمام القانون . حقق هذان المعنيان من شعار الثورة ونظما بالقانون . وتمهيداً لتنظيم القانون إياهما كتب الكتاب والفلاسفة كتبهم البليغة البارعة فى تصوير هذين المعنيين وكيف يجب لخير الفرد ولخير الجماعة أن يتحققا وأن يكفلهما القانون . وتغنى الشعراء بالحرية وبالمساواة وأنشدوا فيها روائع القصـيد ووضعوا فيهما حلو الاغاني . وكذلك مهد هؤلاء وأولئك لتحقيق الحرية والمساواة وتنظيمهما . فأما الاخاء ، فأما هذا المعنى الأوسط من شعار الثورة الفرنسية ، فبقى الأمر فيه متروكا لعواطف الافراد . لم يتناوله الكتاب والفلاسفة ولم ينظم فيه الشعراء ما يمهد لتحقيقه وتنظيمه بالتشريع ليصبح أمراً واقعاً كالحرية والمسـاواة ، بل بقى معتبراً أملا حلوا يشكر الفرد إذا هو حققه وسعى اليه ، ولا تثريب عليه إذا هو لم يحفل به ولم يرنح اليه ولم يحققه بالفعل في الحياة . وانما يرجع السبب في هذا الى أن الحرية والمساواة اتصلا بمصالح الناس المادية وبنظامهم الاقتصـادى . اتصلا بالعوامل الاقتصـادية الثلاثة : الطبيعة والعمل ورأس المال. أما الاخاء فبقى معنى إنسانياً سـامياً فوق هـذه الاعتبارات الاقتصادية وما يحتدم بين الناس من الخصومات بسببها ، فاعتبر لذلك كمالا . والتشريع لا يتناول الكمال ولا ينظم الخلق ، وانما ينظم المعاملات وينظم الجرائم والعقوبات

وسمع الناس أثناء الحرب الكبرى أغنيات الحرية وحق الشعوب فى تقرير مصيرها .

لكن الحرب ما كادت تضع أوزارها حتى اعتبرت الحرية نفسها وهماً من الاوهام ، واذا هى تلحق الاخاء في أنها أمل حلو يشكر الفرد إذا قدره وأجله ، و إذا التجنيد الاقتصادى يحل محل التجنيد الحربي فيعصف بالمعانى الانسانية المتواضعة التى تخلفت عن الثورة الفرنسية ويحيل الانسان آلة كآلات المصانع ، و إذا النضال الاقتصادى على أشده ، وإذا التشريع يوضع لحماية هذا النضال تشريعاً لا يعنى فيه من أمر الافراد بكثير ولا بقليل . وهذا هو في الحقيقة مصدر القلق الذى يساور الانسانية في الوقت الحاضر ويدعوا أكبر الساسة الاوربيين للتساؤل عن مصير الحضارة الأوربية ، حضارة المال والاستعمار في سبيل المال

حضارة تقوم على هذا الاساس لا يرجى منها أن تعاون على البر والرحمة وأن تخفف من ويلات من تقسو الاقدار عليهم . بل هى على العكس من ذلك ترى هؤلاء الذين قست عليهم الاقدار غير صالحين للبقاء ، وتقضي عليهم لذلك بأن يفنوا تحت عبء أرزائهم وهمومهم . وفلاسفة أوربا وكتابها لا يأبون أن يقرروا ذلك وأن يصارحوا الناس به . ولئن بقيت فى بعض النفوس الأوربية دوافع للعواطف الانسانية السامية التى تجعل أصحابها يقيمون من أعمال البر ومنشآت الاحسان ما يخفف الألم عن المتألم والهم عن المهموم ، فان ذلك لا يعتبر فى عرف الحضارة الاوربية واجباً انسانياً يتحتم القيام به ، بل هو فى نظر كثيرين من كبار كتاب أوربا بقية من بقايا الضعف المتخلف عند الانسان من عصور الحياة الدينية والحياة التجريدية . أما الحياة العلمية فلا تقر في رأيهم هذا الضعف ولا ترضى عن بقاء الضعفاء فى الحياة

هذا الاساس الذى تقوم عليه حضارة اليوم أساس فاسد في رأينا . وما يدعو اليه الاسلام من البر والتقوى وما يفرضه على الناس من الزكاة والصدقة وما يوصى باليتيم والبائس والمحروم هو الأساس الجدير بأن تقوم عليه حضارة انسانية حقيقة باسم الانسانية . وقد ثبت على مر الدهور أن النوابغ الذين تهبهم الاقدار خير الصفات الانسانية ينبتون أغلب أمرهم في البيئات التى صقلها الالم وهذبت عواطفها الاحساسات القاسية . فكبار الشعراء وكبار الادباء ورجال الفن الممتازون والمخترعون الذين نقلوا الانسانية في أطوار حياتها مراحل واسعة ، كان أكثرهم من هذه الطبقات التى تدعو حضارة اليوم الى افنائها بدعوى أنها ضعيفة غير صالحة للبقاء . والبر باليتيم والبائس والمحروم أمر يسير كما رأيت فيما قصصنا عليك من بناء دار الايتام الاسلامية ببيروت . فمن خير الانسانية أن تقيم حضارتها الجديدة على هذه الاسس الانسانية السامية لتكفل لابنائها السعادة وللجماعة الانسانية كلها الرقى والتقدم محمد حسين هيكل

علم النبات عند العرب *
وكيف دونوا أسماء النبات

بقلم الدكتور احمد بك عيسى

لكتابة علم النبات عند العرب يتعين على الانسان النظر اليه والبحث فيه من جملة نواح حتى تتكون من مجموع تلك البحوث خلاصة تامة شاملة لتاريخ جميع أدوار هذا العلم يصح الركون اليها والنواحي التى يجب طرق أبوابها والدخول فيها لهذه الدراسة أربع :

الاولى ـ الناحية اللغوية البحتة أعني درس النبات في قلب جزيرة العرب . وعلاقة ذلك باللغة العربية ، الثانية ـ دراسة تاريخ النبات باعتباره من العقاقير أو ما يسمى المفردات الطبية ، الثالثة ـ دراسة النبات من وجهة الفلاحة ، الرابعة ـ دراسة ما دونه العرب من اسماء النبات فى رحلاتهم فى الاقطار التى طرقوها خارج بلادهم

تاريخ النبات فى جزيرة العرب

لما كانت العرب تسكن البوادي كانت على شيء كثير من صحة الاجسام وتوقد الذكاء وجودة الفطنة ونقاء القريحة لما أكسبهم الله من صفاء الجو ونقاء الفضاء . وكانت تجول الارض وتتخير البقاع وترتاد المواطن وتسكن الاغوار كغور بيسان وغور غزة من بلاد فلسطين والأردن وبلاد الشام وغيرها مما تنبت فيها الارض . وكانت لهم عدا ذلك مياه يجتمعون اليها ومقاطع يعرجون عليها . وكانت لهم التهائم وأنجاد الارض والبقاع والقيعان والوهاد وغيرها من البلاد المعروفة لهم والمياه المشهورة بهم ، كماء ضارج وماء العقيق والساباط وما أشبه ذلك من المياه . لذلك كان وصفهم لما يقع تحت نظرهم وما يحيط بهم من سماء وأفلاك وأنواء ونجوم ودارات وجماهير وحيوان ووحوش وطير وهوام ورحل ومنزل وزرع ونبات وشجر الخ ، مما لا يحصره الذهن ويضيق عنه الحصر ، وصف الخبير المحنك والعليم المجرب

وقد كان للنبات والشجر من عنايتهم منزلة الضرورة الماسة لما يحتاجونه منها لرعى ماشيتهم يتفقدونها فى كل مكان وينتجعون اليها حيث وجدت ويرحلون اليها صيفاً وشتاء . وكانت هذه النباتات بأسمائها ومسمياتها تشغل حيزاً كبيراً من لغتهم واتصلت بها اتصالا وثيقاً فدونت مع اللغة وحفظت فى دواوينها جزءاً لا ينفصل عنها

---

* من كتاب « تاريخ علم النبات عند العرب » تأليف الدكتور احمد عيسى بك . لم يطبع

والسبب فى تدوينها انه لما اتسعت للعرب الفتوحات واختلطوا بالأعاجم ورأوا اختلاف الآراء وانتشار المذاهب وتطرق الفساد الى اللغة آل الامر الى التدوين والتحصين عملا بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « العلم صيد والكتابة قيد . قيدوا رحمكم الله علومكم بالكتابة »

وكان ابتداء العرب بالتدوين والتصنيف فى النصف الثانى من القرن الثانى للهجرة . فقيل ان أول من صنف فى الاسلام الامام عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج البصرى المتوفى سنة ١٥٥ للهجرة . وقيل ابو النصر سعيد بن أبى عروبة المتوفى سنة ١٥٦ . ذكرهما الخطيب البغدادى . وقيل ربيع بن صبيح المتوفى سنة ١٦٠ ثم أخذ غيرهم فى التصنيف فى المدينة المنورة وفى اليمن وفى الكوفة والبصرة وفى مصر وخراسان . وكان أول ما دون الناس فى الحديث والفقه ثم دونت بعد ذلك كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس . وقبل هذا العصر كان سائر العلماء يتكلمون عن حفظهم ويروون العلم عن صحف صحيحة غير مرتبة . وكان مطمح نظرهم بالتدوين ضبط معاقد القرآن والحديث ومعانيهما . ثم دونوا فيما هو كالوسيلة اليهما . وأول الوسائل الى فهم القرآن هو اللغة ، فأخذ العرب فى جمع شتاتها وألفوا المصنفات المتعددة فى جميع مواردها . وكان مما عنوا به الزرع والنبات والشجر والكرم والعنب والبقل والنخل وغير ذلك

كيف دونت أسماء النبات والشجر

حينما ابتدأ العرب فى تدوين اللغة وتقييد شواردها وضبط أوابدها كانت لهم من الامصار التى نشأ العلماء بها البصرة والكوفة والحيرة ثم بعد ذلك بغداد وغيرها من الامصار . فكانت هذه الامصار مقراً للعلماء الذين اشتغلوا بالتقييد والتعليم ومهبطاً لفصحاء الأعراب الوافدين عليها من البادية حاملين الى سكان الامصار صحيح اللغة وفصيحها الذى لم يتطرق اليـــه الفساد بالاختلاط بالأعاجم ، فيلقون فيها الدروس لمن يستمع لهم ويتنافس العلماء فى الأخذ والرواية عنهم

فهؤلاء الأعراب الذين وفدوا من صميم الجزيرة العربية على الامصار هم الذين نقلوا فصيح اللغة وهم الذين عول العلماء فى التدوين على آرائهم . وسنذكر بعضاً منهم والجهات التى نزلوا عليها

١ - ابو مالك عمر بن كركرة ، كان اعرابياً يعلم بالبادية ويورّق بالحضر

٢ - يونس بن حبيب ، كان من أصحاب عمرو بن العلاء وكانت حلقته بالبصرة وينتابها طلاب العلم وأهل الأدب وفصحاء الاعراب ووفود البادية . قال بعضهم انه مولى لبنى الليث بن بكر بن عبد مناف بن كنانة ، وقيل انه يكنى بأبى محمد مولى ضبة . توفى سنة ١٨٣

٣ - ابو زياد الكلابى من بنى عامر بن كلاب وهو اعرابى بدوى قدم بغداد ايام المهدى (١٥٨ - ١٦٩ هـ) وأقام بها أربعين سنة وبها مات

٤ - ابو سوار الغنوى وعنه أخذ ابو عبيدة ومن دونه

٥ - ابو السمح اعرابى بدوى نزل الحيرة

٦ - ابو مسحل اعرابى ويكنى بأبى محمد واسمه عبد الوهاب بن جريش حضر بغداد وافداً على الحسن بن سهل وله مع الاصمعى مناظرات

٧ - ابو ثروان العكلى من بنى عكل . اعرابى فصيح يعلم بالبادية كما ذكره يعقوب بن السكيت

٨ - ابو ضمضم الكلابى وهو ابو عثمان سعيد بن ضمضم وفد على الحسن بن سهل

٩ - ابو محلم الشيبانى ، اعرابى اعلم الناس بالشعر واللغة توفى سنة ٢٤٨

١٠ - البهدلى واسمه عمر بن عامر ويكنى أبا الخطاب أخذ عنه الاصمعى وجعله حجة

١١ - الحرماذى ابو على الحسن بن على اعرابى بدوى راوية قدم البصرة ونزل بها

١٢ - ابو العميثل اعرابى واسمه عبد الله بن خليد مولى جعفر بن سليمان

١٣ - الفقعسى محمد بن عبد الملك الاسدى راوية بنى أسد أدرك المنصور ومن بعده وعنه أخذ العلماء مآثر بنى أسد

وكان العلماء فى الامصار لا يكتفون فى تدوين اللغة بما يسمعونه من الأعراب الذين يفدون عليهم عند تحقيق أمر من أمور اللغة بل كانوا هم أنفسهم ينزلون البادية للتحقيق والتمحيص ويسمعون بآذانهم منطق العرب الفصحاء فما أشكل عليهم لفظه أوارتابوا فى حقيقته . ونستدل على ذلك بما جاء فى لسان العرب عن هؤلاء العلماء وعن كيفية تحقيقهم فى اللغة لا سيما فيما يختص منها بأسماء النبات :

جاء فى لسان العرب فى حرف عفار : قال ابو حنيفة أخبرنى بعض أعراب السراة ان العفار شبيه بشجرة الغبيراء الصغيرة اذا رأيتها من بعيد لم تشك انها شجرة غبيراء ونورها ايضاً كنورها وهو شجر خوار ولذلك جاد للزناد

وجاء فيه ايضاً فى حرف سيكران : قال ابو حنيفة السيكران ما تدوم خضرته القيظ كله . قال وسألت شيخاً من الاعراب عن السيكران فقال هو السخر ونحن نأ كله رطباً أى أكل

وجاء فى حرف عتر : العتر شجر صغار له جراء نحو جراء الخشخاش وهو المرزنجوش . قال وقال اعرابى من ربيعة العترة شجيرة ترتفع ذراعاً ذات أغصان كثيرة وورق أخضر مدور

وجاء فى مادة القلار : القلار والقلارى ضرب من التين أضخم من الطبار والجيز . قال ابو حنيفة أخبرنى اعرابى قال هو تين ابيض متوسط ويابسه اصفر كأنه يدهن بالدهان لصفائه

وجاء فى حرف مصاح : قال الازهرى رأيت فى البادية نباتاً يقال له المصاح والنداء له قشور بعضها فوق بعض كلما قشرت أمصوحة ظهرت أخرى . وقشوره تقوى جداً

وجاء فى مرخ : المرخ والعفار وهما شجرتان فيهما نار ليس فى غيرهما من الشجر ويسوى من أغصانها الزناد فيقتدح بها قال الازهرى وقد رأيتها فى البادية

الدكتور احمد عيسى

بين الايمان والشك

الشك اصل الايمان

بقلم الدكتور امير بقطر

« .. الشك عنصر هام من عناصر الدقة وحب الاستطلاع ، والبحث عن الحقيقة أينما وجدت ، وعدم التفاؤل بغير حق ، والحذر والحيطة ـ الشك يذكرنا بعلامة الاستفهام (؟) وهي دليل الرغبة في المعرفة والاستطلاع وعنوان التفكير والنشاط العقلى كما أن علامة الوقف (.) دليل الرضا والقبول والتواكل والخمول الفكرى .. »

اذا كان الجمال يتناول الانسان والحيوان والجماد ، ويتناول الاشياء الذاتية والحسية ، ويتناول الكلمات اللغوية ، والجمل والعبارات ـ اذا كان الجمال يتناول كل ذلك ، فان « الايمان » من أجمل ما صاغه الاقدمون من جواهر اللغة

وليس « الايمان » لفظاً ، او كلمة وحسب ، ولكنه فكرة فلسفية ، تنطوى على أدق المعانى ، وأسمى المدلولات ، وهو من هذه الناحية كالكون ، الذى قال عنه الرياضى الانجليزى الشهير جينز انه فكرة ، وليس آلة كما يفهمه البعض

والألفاظ لها ألحانها ولها موسيقاها ، وهذا ما يجعل الناس والنساء على الأخص يتخيرون الأسماء الموسيقية الجميلة ، كما أبنا فى مقال سالف نشرناه فى الهلال عن فلسفة الاسماء

ومن الالفاظ ما تنطبق عليه أوصاف الجمال والعذوبة الموسيقية ، ولكن لا ترتاح اليه النفس كل الارتياح كالثوب الذى رغم جماله تغلب عليه حدة اللون ، أو شدة الزهاء ، أو كثرة الزخارف فتتجه اليه أنظار المارة وتصوب اليه سهام عيونهم ولكنهم لا يلبثون كثيراً حتى تهتاج أعصابهم ، وتكل عيونهم

« الحب » و « العفاف » و « السرور » وأمثالها ألفاظ جميلة تحمل معانى جميلة ، ولكنها كاللون الاحمر لا ترتاح اليه النفس طويلا ، ولا تأنس اليه القلوب الحزينة الكسيرة

أما الايمان فكاللون الازرق ففضلا عن جماله تطيب اليه الخواطر ، وتهدأ لنظر اليه الاعصاب وتطمئن اليه النفوس ، وتتعزى لوجوده القلوب الكسيرة الحزينة وتخف له الآلام الشديدة . ومثل « الايمان » « السلام » و « الهدوء » و « السكينة »

وليس غريباً ان يكون أصل الايمان الشك ، فالانسان أجمل المخلوقات ، أو على الأصح

ان الجمال الانسانى يفوق كل جمال فى الوجود ، غير ان أصل الانسان الطين (التراب) على ما جاء على لسان الانبياء ، أو القرد على ما جاء على لسان العلماء ، وعلى كل من القولين يكون أصل الانسان من أقبح ما فى الجماد أو الحيوان من قبح

بالأمس شك جاليليو فى حكمة ارسطو ، وشك لوثيروس فى فلسفة الكنيسة ، وشك هربرت فى مبادىء روسو ، وشك ماركس فى اقوال آدم سمث ، وشك وطسن فى كلام جولتون ، وشك اينشتين فى قوانين نيوتن

فلولا الشك ما كان الايمان ، لولا الشك فى الوثنيـة ما ولدت اليهودية ، ولولا الشك فى اليهودية ما ظهرت المسيحية ، ولولا الشك فى التنجيم ما جاء علم الفلك ،ولولا الشك فى التدجيل ما كان الطب ، ولولا الشك فى تحويل الحديد الى ذهب ما كان علم الكيمياء ، ولولا الشك فى « حق الملوك الالهى » لما ولدت الديمقراطية ولولا الشك فى الديمقراطية لما كانت الفاشيزم أو الهتلرزم ، ولولا الشك فى قانون الجاذبية ، لما جاء قانون النسبية

لولا الشك ما جاء عصر الاصلاح ولا قامت الاشتراكية ، ولا ولدت السلوكية ، أو الفرويدية أو الفلسفة العملية ، ولولاه لما تحدت اليابان مدنيتها القديمة ، وشادت على أنقاضها مدنية اوربا واميركا ، فاقتبست الهندسة والملاحة من انجلترا ، والطب والدقة العلمية من المانيا ، والزراعة وفن التربية من اميركا ، وجانباً من الفنون الجميلة من ايطاليا وفرنسا . ولولا الشك ما قضى بطرس الاكبر فى القرن السابع عشر ، ومصطفى كمال فى القرن العشرين على مدنية آسيا ، واعتنقا مدنية أوربا

الشك عنصر هام من عناصر الدقة وحب الاستطلاع ، والبحث عن الحقيقة أينما وجدت ، وعدم التفاؤل بغير حق ، والحذر والحيطة

الشك يذكرنا بعلامة الاستفهام (؟) وهى دليل الرغبة فى المعرفة والاستطلاع ، وعنوان التفكير والنشاط العقلى ، كما ان علامة الوقف (.) دليل الرضا والقبول والتواكل والخمول الفكرى ، وكما ان علامة التعجب (!) دليل الجهل والاكتفاء بالدهشة والاستغراب ، بدلا من الوقوف على الاسباب . وقد احسن طبيب محسن فى نيويورك صنعاً بانشائه فى مستشفى معروف هناك مدرسة للممرضات ، واشترط أن تمنح حملة الدبلومات منها خواتم من الذهب ، منقوش على كل منها كلمة « لماذا »

يشعر شاب فى مقتبل العمر بشىء يؤلمه فيحمل الألم غير هياب لأنه شديد الايمان ببعده عن الامراض ولا يخطر بباله ان يشك فى سبب الألم ويظل وهو بنجوة من الريب حتى يستفحل الداء ، واذا هو أمام طبيب الامراض الجلدية يعانى أخبث الأدواء . اما الرجل الذى يفكر

تفكيراً علياً فلا يكاد يشعر بمثل هذا الألم حتى يبيت فى ليل من الشك مظلم ، ولا ترتاح نفسه حتى يقرر بجهر الطبيب ان الاصابة سلبية

الشك يفضى الى التغيير والتغيير بوجه عام لازم للنجاح فى الحياة . والتقدم فى السن أكبر حائل دون النجاح ، لأن صاحبه يقر بالآراء القديمة ويرفض الجديدة ، ويمقت التغيير لأنه شديد الايمان بما ألفه من العادات والتقاليد والآراء والمعتقدات ، وما ذلك إلا لأنه يتجافى عن مواطن الريب ، ولا تتنازعه فى آرائه وعاداته ما يدخل فى معترك الظنون ، ويتغنى بالمثل العربى القائل : « كفى بالشك جهلا » ، وهو مثل خاطىء لا يتفق والحقيقة والواقع

وقال السياسى الداهية دزرائيلى ان الآراء السائدة هى ملك لطائفة من الناس فى طريقهم الى القبر . ومن اكبر الفروق بين منطق العصر الحديث ومنطق العصور السالفة ان الثانى أساسه الايمان بغير شرط ولا قيد ، والعقيدة العمياء والعاطفة الهوجاء ، فى حين ان الاول أساسه الارقام والوقائع الصحيحة

• • •

ولست أبغى هنا أن أمجد الشكوك وأؤله مواطن الشبهات والظنون ، فان ثمة قوماً يبالغون فى التشاؤم والحذر والريبة فى كل ما يقع تحت حواسهم وما يتغلغل فى وجدانهم فى كل زمان ومكان ، حتى انهم يقضون حياتهم فى ظلمات من الشكوك حالكة . ويشربون كأسها مترعة علقما ، ويعانقون رقاب المنايا وهم على أحر من الجمر ، يتوقعون ان تلوح غرة اليقين ويتبلج صبح الايمان ، ولكن بلا جدوى

يا لها من حياة مريرة تلك التى تقذف بصاحبها فى أحضان الشكوك لسبب ولغير ما سبب ، لمبرر ولغير مبرر . يا لهـا من حياة مؤلمة ، تلك التى يرى ذووها شبح الموت ماثلا أمامهم ، كخيال همّلت حيثما وجدوا ، وسيف الأوهام مسلولا فوق رقابهم ، أينما كانوا ؟ أما رأيت امرءاً يتوهم انه مصاب بالسرطان كلما شعر باحتقان فى اللوزتين ، أو انه مريض بالدودة الزائدة كلما شعر بمغص . أو انه فريسة الزهرى كلما عثر فى جسمه على خدش أو قرحة ، أو ان لصاً يحاول قتله كلما شعر بحركة فى غرفة نومه ؟ ان مثل هؤلاء يعيشون وأعراض السرطان والدودة الزائدة والزهرى وشبح القاتل جاثمة فى أذهانهم متربعة فى رءوسهم

عرفت رجلا مثقفاً كان لا يستطيع الجلوس مع اصدقائه بضع دقائق أو الابتعاد عن منزله بضع خطوات حتى يعود بغير استئذان الى زوجته وقد صورت له الريبة فيها وسوء الظن بها من الخيانة أشكالا وألواناً ، برغم ما كان يعرفه فيها عارفوها ، من عفة النفس ، وحسن الرعاية ، وشدة الولاء

ويل للمخدوم الذى لا ينسى مرة أن يرتاب فى ذمة خادمه ، وللوالد الذى لا يفوته أبداً ان

يشك فى اخلاص ولده ، ولأحد الزوجين الذى لا يأمن الاخر ساعة على عرض الآخر ، وللجار أو الصديق الذى لا يثق فى الجار أو الصديق ، وللمعلم الذى يرتاب فى كل ما تمتد اليه يد تلميذه ، وللمشترى الذى لا يطمئن أبداً الى أمانة البائع ، وللمودع الذى يداخله الشك فى ثبات المودع عنده وسلامة نيته !!! ويل لهؤلاء جميعاً ، فان حياة كيانها الشك وضياع الثقة ، وضعف الايمان ، بؤس وجحيم وشقاء ، والموت فيها خير من البقاء

قد يكون مصدر هذا الاسراف فى الشك والمبالغة فى الدقة . مثال ذلك ما قرأت عن انجلزى كان لا يكتب مقالا ، إلا ويبدأ بتحديد معانى مفرداته كلها تحديداً تاماً خشية أن يفهمها قراؤه على غير ما أراد . ومن أغرب ما كتب من هذا النوع مجلد عنوانه « معنى المعنى »

وقد يكون مصدر هذا الاسراف فى الشك الشذوذ فى ناحية من نواحى التفكير والتشبث بفكرة تشبثاً يقرب من الجنون . ومن أمثال هذا النوع نيتشه وشوبنهور وبرنارد شو وبرتراند رسل . وما عليك إلا ان تتصفح قليلا فى كتب هؤلاء حتى ترى بعينيك الشك مجسما فى أقوالهم حتى فى أعز ما يؤمن به بنو الانسان منذ أن عرف شيء عن الانسان . يقول برتراند رسل : « انه لم يوجد منذ قيام المسيحية سوى مسيحى واحد . وهذا المسيحى قد مات مصلوباً » . ونابوليون بونابرت كان لا يؤمن مطلقاً بعفة النساء ومن أقواله المأثورة : « انى أشك فى عفة كل امرأة جميلة » والسلطان عبد الحميد عاش فى أحضان الشكوك ، ومات فى جو من أوهامها ومخاوفها . وعلته انه كان لا يؤمن بالاخلاص أو الولاء ، فكانت يده لا تبعد عن مسدسه إلا ببضعة سنتيمترات ، وكان لا يثق حتى فى أقرب المقربين اليه ولا يتردد فى القضاء على محدثه اذا بدر منه ما يشتم منه رائحة العداء ، حتى روى عنه حكايات وقصص تكاد تكون خرافية . مثال التى قيل فيها انه جندل بمسدسه احدى نسائه وهى تتناول كأساً من الماء ظناً منه انها كانت تهم الى قتله وهى فى سريره

ونظرة واحدة الى أولئك الذين يعيشون فى جو من اليقين والايمان تكفى للدلالة على ما يلاقيه هؤلاء من العزاء والسلوى وراحة الضمير . تقرأ عمر الخيام وغاندى وأمثالهما فتحس بتلك الروح التى توحى الى نفوسهم الذكية نبوءة الايمان والثقة فى أعز ما فى الوجود من مثل عليا . اقرأ كتاب مكولى عن جوزيف اديسون ، وتأمل ما جاء فى ذيله . أحس جوزيف اديسون ذلك الكاتب الصحافى الفذ بساعة الموت تدنو منه فطلب أن يحضر الى جانب سريره ابن أخته . ثم قبض على يده الصغيرة وقال : « انظر يا بنى كيف يموت المؤمن »

مثل على المسرح المصرى منذ خمسة عشر عاماً رواية الايمان (مترجمة عن الفرنسية) وقد كان مغزاها يدور على محور الايمان بنوعيه اللذين تحدثنا عنهما . ففى النوع الأول يريك المؤلف الجمهور يصلى الى الآلهة ، سجوداً أمام تماثيلها . ويريك تلك التماثيل الالهية تحنى

رءوسها دلالة على اجابة الصلاة . ولكنه يريك أيضاً الكهنة وراء الستار تشد حبالا متصلة سراً برءوس الآلهة . وبهذا المنظر أراد الراوى ان يهزأ بسذاجة الرعاع ، ودهاء الكهنة ، وقدرتهم على ابتزاز الاموال باسم الايمان الساذج

ثم يريك منظراً آخر للايمان الصادق الجميل ، الذى مهما قيل فيه ، فانه بلسم شاف لجروح الأفئدة ، ومخفف لالم القلوب . فى ذلك المنظر تظهر سيدة عمياء ، فقدت ابنتها الوحيدة ولم تر يوماً وجهها لانها ولدت وهى (الام) عمياء . فى ذلك المنظر المؤثر يريك المؤلف اسمى عواطف الامومة ، وهى تحترق شوقاً لذلك اليوم الذى تموت فيه فتلقى ابنتها الوحيدة فى العالم الآخر ، وتجتلى محاسنها بعينيها اذ يعود اليها بصرها ، لانها تؤمن ان فى العالم الآخر يعود الناس جميعهم أصحاء ، يبصرون بعيونهم ، ويسمعون بآذانهم . . .

وقد يصل الايمان ببنى الانسان حداً يضحون فى سبيله بأرواحهم ، كالمصريين القدماء الذين كان يدفن معهم خدمهم وجواريهم أحياء ، حبا بهم ، واعتقادا منهم ان الحياة على هذه الارض لا تقاس بشىء فى جانب الحياة الاخرى . وفى الهند الى عهد قريب والى يومنا هذا فى بعض أنحائها تدفن الزوجة حية مع زوجها الميت يقينا منها ان هناك حياة أخرى خالدة أبدية

•••

فى هذا المقال أردنا ان نقول أولا ان الشك أساس العلم والمعرفة ، ولكن الغلو فيه يجعل الحياة جحيما

وأردنا ان نقول ثانياً ان الايمان عزاء للحزين ، وأمل للبائس ، وشفاء للمريض ، وأنس للغريب ، ومال للفقير ، وحياة للميت ، ولكن الاسراف فيه جهل ، وسذاجة ، وركود فكرى ، وانقياد أعمى ، وتسليم بلا قيد ولا شرط . وفى الايمان كأى شىء آخر لا بد ان يبحث عن الوسط الذهبى الذى وضعه أرسطو

وأردنا أن نقول ثالثاً ان بين بنى الانسان من يولدون بمنظار أسود يغطى عيونهم . فيزعزع ايمانهم فى كل شىء فى الوجود ، حتى فى أعز تراث خلفه لنا أسلافنا من المثل العليا . وفى نظر هؤلاء ، الرجل الامين لا وجود له إلا فى كوكب المريخ ، والمرأة الجميلة العفيفة حديث خرافة ، والوزير النزيه لم يولد بعد . وفى نظر هؤلاء ، الاحسان والتضحية والوطنية ، إن هى إلا مظهر من مظاهر الأنانية وحب الظهور ، والجمال ان هو الا ميوعة وخلو من الحشمة والادب

وأردنا أن نقول رابعاً ان بين بنى الانسان من تغلب عليهم السذاجة والفطرة ، فيؤمنون ويسرفون فى الايمان اسرافاً يكاد يكون مهزلة . ففى نظر هؤلاء أبناؤهم ملائك أطهار وإن اتخذوا من الانس والجان خلانا وخليلات ، وبناتهم ربات الطهر والعفاف ، وان كانت المدينة بأسرها تعج بفجورهن

امير بقطر

الاجرام عند شكسبير *

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقى

مؤلفات شكسبير منجم لا تنفد ذخائره. وليس رواده نقاد الأدب وحدهم بل يستمد منه فقهاء التشريع وأصحاب الاقتصاد حقائق ووثائق لها شأن عظيم فيما هم بسبيله. إلا أن أعجب ما فيه على الخصوص خبرته العميقة بأحوال النفس. ومن أبرع أوصافه النفسية وأدلها على العبقرية صنوف المجرمين التى يعرضها لنا فى فواجعه المشهورة: مكبث وهو المجرم المطبوع وهملت المجرم المخبول وعطيل المجرم الولهان. وإن الباحثين فى الاجرام ليجدون فى هؤلاء القتلة الثلاثة أدلة وأسانيد يتجلى فيها الى جانب الفن المعجز البليغ صدق الملاحظة العلمية الصحيحة

وبعد فمكبث شخصية تاريخية من شخصيات القرون الوسطى وهو من أبناء عمومة ملك اسكتلندة دنكان الوديع. وكان اعتماد العرش عليه وعلى زميله بانكو فى قمع العصاة فى داخل المملكة وصد المغيرين عليها من الخارج. وقد اقتضت مشيئة الملك الشيخ بعد ما أحرزه مكبث فى معارك دامية من النصر المؤزر على أعداء البلاد، أن ينعم عليه بلقب الأمارة على احدى المقاطعات فضلا عن اللقب الذى ورثه منذ قليل عن أبيه المتوفى. وكان من عادة الملك فى سامى تواضعه وكرم تعطفه زيارة وجوه دولته المقربين فأقبل على قصر مكبث يصحبه ولداه وهو فى حاشية كبيرة من الحكام والأتباع تشريفاً لمكبث وإعلاء لقدره جزاء له على حسن بلائه فى الحرب وانتصاراته.. ويحرص شكسبير الحرص كله على أن يكون قصر مكبث فى بقعة مونقة هواؤها عليل خفيف النسم يستعذبه الحس، وانه ليشهد بطيبها وتشبع نسمها بالتصابى والغزل هذى الوفود المصطفاة من الخطاطيف لا تترك طنفاً ولا افريزاً ولا دعامة من المعقل إلا عششت فيه وجعلت فى حناياه فراشها المدلى ومهدها المنجب.. وفى هذا الجو المحبب الأنيس ارتكب مكبث جريمته النكراء. وان مقدمات الجريمة وملابساتها لتقنع القارىء بأن الشر كله واقع من الساحرات المتعرضات فى تكهنهن له بالتاج، ومن تحريض امرأته تحريضها القوى الحجة النافذ الدهاء. ولكن الناقد المدقق ليحس من وقوع كلمة الساحرات توا فى نفس مكبث موقعها المبلبل العميق، أنها صادفت هوى كان يحك فى صدره وخيالا له سابقة تعلل بخواطر الاطماع، فلقد بدا عليه ما جعل رفيقه يبادره: «أيها السيد الكريم، فيم اجفالك وعلام هذا الجزع البادى لسماع أمور حلوة الوقع تؤذن بالخير الكثير؟». وكذلك يظل مكبث غائب الحس مستغرقاً فى الفكر

---

* اعتمدنا في هذه الكلمة على شكسبير، اربكو فري، كولردج وغيرهم

على حين يقبل بانكو بدوره على الساحرات يستطلعهن ما يخبرن به عنه ويستمع الى إيذانهن بالتاج لذريته فلا يعدو الأمر عنده استطلاع المتطرف المتسلى حتى إذ همت الساحرات بالذهاب هب مكبث كا ينتبه المهموم وانطلق لسانه هاتفاً بهن : « قفى أيتها الناطقات دون أن تبين زيدينى خبراً » ويأخذ فى اللجاج والحاجة متشككاً ومتعجباً ومستفسراً ، شأن من تدبر الأمر من قبل وقلبه على وجوهه ، ومن يرتاح الى التأميل فيه ويود جلاء كل شك فى بلوغه . فاذا الساحرات لم يحرن جواباً وشام بعينه المتحيرة اليقظى تأهبهن لو شك الانصراف صاح فى لهفة وهن يغبن : « تكلمن ! آمركن أن تتكلمن ! » ، فاذا تساءل بانكو فى دهشة المنبسط النفس الخالى من الغرض : « أين غبن ؟ » ، قال مكبث فى مثل همس الحالم : « فى الهواء . هذا الذى كان جسماً محسوساً ذاب كالنفس فى مهب الريح - ليتهن بقين ! » ، ويمضى بانكو فى تعجبه كأى شاهد متفرج : « أو كانت تلكم الأشياء كما نقول عنها ؟ أم ترانا أكلنا من عروق نبات يخبل الحس ويسبى العقل ؟ » ، ولكن مكبث دائم اللجاج فى موضوعه الشاغل : « سيكون أولادك ملوكا » ، فهو قد فرغ من نية الحصول على التاج لنفسه وبدأ ينقم لمصيره الى أولاد زميله وهكذا تفرخ فى ذهنه الجريمة فى اثر الجريمة وتتصل الحلقة بالحلقة فى سياق تفكيره الأثيم مطردة السرد مستحكمة بحيث تتراءى لنا منذ الساعة الاولى حياته القابلة كمثل رأى العين واقعة لا ريب فيها فنتصورها لا محالة سلسلة من الجرائم الشنعاء ومسرحاً ملطخ الجوانب بالدم الزكى . فان مكبث مجرم مطبوع وكل ما للمؤثرات الخارجية من أثر لا يعدو أنها حددت الجريمة وعجلت بها ويبقى فيما عدا ذلك أن الاجرام فى نفسه جرثومة كامنة سابقة على كل اغراء مباشر مستقلة عن كل علة مزعومة

أما الذى يظهر على مكبث فى البداية من التردد فلا يمس الغاية . وانما هو تردد بين الوسائل وتقدير وترجيح : « اذا كان الحظ يريدنى ملكا ، فمالى ، فقد يضع الحظ التاج على مفرقى دون أن أحرك ساكناً » . ولكنها كانت خواطر ذهنية دارت فى خلده مادارت ثم انصرفت بكلمات من اللادى مكبث اعتبرها مقنعة تعفى على صلة الرحم وحرمة الضيافة وعرفان النعمة للملك الطيب ، فانسل فى الظلام والخنجر فى يده الى حيث الشيخ راقد فقضى عليه بطعنة واحدة . وبالها طعنة فقد بها مكبث آدميته ونزف حليب انسانيته وحقت عليه اللعنة كلها ! . ولقد اتفق له بعد فعلته وهو يعود أدراجه منصرفاً عن فريسته عابراً بالوصيفين القائمين على حراسة الملك فى نومهما المخمور أن ضحك أحدهما فى حلمه وصرخ الآخر « قتيل ! » ، فاستيقظ الاثنان ولكنهما تمتما صلاة قصيرة ، وقال الواحد : ليرحمنا الله ، وأجاب رفيقه : آمين . ثم أخلدا ثانية الى النوم ، وكان مكبث بمسمع منهما فاحب التأمين على الدعاء ولكن التعس غص بالكلمة ولم يستطع لها نطقاً وهو أحوج الناس الى الرحمة المرجوة . كذلك خيل لهذا الطريد من رحمة الله سماع هاتف يهتف به : « لا نوم بعد اليوم . لقد قتل مكبث النوم . النوم البرىء الذى به تطيب الحياة »

ولقد جرى على لسان اللادى مكبث وصف ما ينتاب زوجها من اختلال عصبي وصرع خفي وذلك فى أثناء مأدبة ملكية أدباها، فاذا مكبث يشحب لونه ويشخص بصره ويخاطب شبحاً لا يرونه . فتهدىء عقيلته روع المدعوين المدهوشين قائلة : « اجلسوا أيها الأصدقاء الأماثل . هذه الحال كثيراً ما تعاود مولاى . وهى ملازمة له منذ الصغر . أرجوكم . قروا فى مجالسكم . إن النوبة لا تلبث إلا لحظة ثم يعود فى مثل رجع الخاطر الى نفسه »

وهكذا شاءت عبقرية شكسبير أن تخرج لنا مكبث مثالا مروعا لمرضى الصرع المجرمين ، ولكنه صرع فى أخفى صوره لأنه نفسى تحدث منه غيبة وقتية . وهى فى النفس مقابلة للتشنجات العضلية التى ينصرف اليها الذهن عند الكلام عن الصرع . وهذه الغيبة الصرعية النفسية تغشى المصاب وتنقضى فى معظم الأحيان غير ملحوظة من أحد

ونجتزىء بهذا القدر عن مكبث المجرم المطبوع لننتقل الى المجرم المخبول ، الى هاملت :

أمير الدنمارقة الفتى هملت ليس من الشخصيات الموسومة بقوة العزيمة ولا العاطفة المضطرمة العارمة ، ولكنه متصف بدقة الخاطر ولطافة الحس . تخرج فى جامعة وتمبرج لعهد قريب . وهو من طلاب المعانى واهل النظر والتفكير . ولقد فطن شكسبير بصدق بديهته وعمق بصيرته الى ان مساً من الخبل يطرأ على هملت ليس بمانعه من صحة التدليل ولا من التأملات العالية ، وقد أثبت علم الأمراض النفسية أن البحران يبعث أحياناً إلهاماً عبقرياً فى ذهن غير مثقف ، فما بالك بذهن جمع بين الثقافة الجامعية والفردية والاجتماعية ! وفى الحق ان الأدب العالمى لا يعرف مناجاة أبلغ ولا أبدع من مناجاة هملت لنفسه عن الوجود والعدم : « اكون أو لا اكون ؟ تلك مسألة المسائل » ، والى جانبها نظراته للخليقة والانسان وكلماته الناعية المعتبرة وهو يقلب بين يديه جمجمة يوريك أفكه وأمرح ندماء البلاط ، وغيرها وغيرها مما يتخلل الرواية ويتألف منه سداها ولحمتها

وهذا الجنون مع كل ما فيه من تعقل وصحو لا يعدو أنه جنون حقيقى . ولئن كان صاحبه مدفوعاً الى القتل بدافع غير خسيس هو الثأر لأبيه فان هذا لا يبرئه من الخبل ، وكثيراً ما تكون جرائم المجانين لأسباب مقبولة فى ذاتها معقولة . وهذا الفريق من المخبولين يسمونهم الطبقة العليا المتنكسة تمييزاً لهم عن الطبقة الدنيا من متنكسى الطبائع كالبله والمعتوهين . والخبل عند الأولين يقترن فى الغالب الأعم بشلل فى الارادة ، فتصبح ارادتهم من فرط الوسوسة واستكداد العقل عاجزة عن الخروج بالفكرة الى حيز العمل ، ويتجلى فقد الارادة عند هملت فيما ركبه من جنون الشك ، فهو لا ينتهى من احتمال الا الى احتمال ، ولا يستدبر حجة الا ليستقبل حجة ، وليجمع عالم الغيب والشهادة فما له فى اجماعهما مقنع . والظنون لا تعرف سداً ولا تقف عند حد ولها طرائق ملتوية تهتدى اليها ومسارب خافية الا عليها . فتراه بدعوى التثبت متردداً

مطاولا كمن يتلمس المعاذير . حتى انه ليقع على قاتل ابيه فى خلوة يصلي وقد أمكنته منه الفرصة وحيداً فيحجم عنه . أيقتله الساعة وهو يصلى فتعرج روحه الى السماء ! أيكون هذا انتقاماً !

وظاهر ان هذا التردد غير المقهور وهذه المطاولة المتكررة ينطويان على نفور فطرى من الجريمة . ولا غرو فبقاء الحاسة الخلقية سليمة موفورة عند المخبولين امرجائز إذ تحتفظ أنفسهم أحياناً عن أسلافهم بهذا التلاد الخلقى المتوارث مع تردى عقلهم فى وهدة الجنون على اختلاف دركاته . . ومن الطبيعى ان تتعارض الآراء فى حالة هملت العقلية لأن جنونه هادىء قلما يفضحه هذيان هائج متفكك . فلا جرم يفوت على من ينظرون النظر السطحى ، ولكنه لم يفت نظرة النسر عند مؤلف مثل شكسبير خبير بالنفس الانسانية طب بأدوائها

ولقد ذهب بعض الذين لا خبرة لهم بعلم النفس الاجرامى الى أن تظاهر هملت بالجنون انما هو نزوة من بدواته أو مجرد حيلة لبلوغ لباناته ، وأن البديهة تحكم بانه اذا كان يتظاهر بالجنون فذلك لأنه فى الواقع ليس مجنوناً . ولكن الثابت من بحوث الباحثين اجمعين ان هذا التظاهر بالجنون كثير عند المجانين . على ان هملت نفسه ليشعر من حين لآخر بمرضه ، وقد تحدث عنه لاصدقاء حداثته وأيام دراسته ، كما ألمع اليه فيما وجهه الى اوفيليا حبيبته العذراء من كلام فى باطنه الحكمة وظاهره التخليط ، وأخيراً أعلنه صراحة فى اعتذاره الى ليرتيس عن قتل أبيه الشيخ غير عامد وعن تسبيه فى جنون أخته وغرقها : « يعلم الحاضرون كما أنك لا بد قد سمعت بما بليت به من شرود فى العقل له أثره الفاجع الاليم . وهذا الذى أتيته مما يستفز طبعك ونخوتك وإباءك أعلن هنا أنه كان جنوناً . أهو هملت الذى أساء الى ليرتيس ؟ حاشا لهملت . فاذا كان هملت قد جرد من نفسه فلما لم يعد نفسه أساء الى ليرتيس ، فليس هملت هو الذى أساء وان هملت ليبرأ من ذلك . فمن الجانى إذن ؟ هو جنونه . واذا كان ذلك كذلك ، فهملت فى زمرة المجنى عليهم وجنونه هو العدو المبين لهملت المسكين »

ونستطرد الآن الى عطيل المجرم الولهان . وفى النقلة من مكبث الى هملت ومن هملت الى عطيل تدرج من غير العادى الى العادى . فقليل هم من يتوسمون المجرم المطبوع فى مخايل مكبث واكثر منهم من يتعرفون الذهن المختل فى تصرفات هملت ، ولكن الناس اجمعين ليشهدون فى عطيل صورة مجسمة للمجرم بدافع العاطفة ويجرونه بهذا الوصف على الستهم مثلا سائراً

والسر فى اتفاق الكلمة على شخصية عطيل دون الآخرين هو انه لا غنى فى فهم هذين عن الالمام بالطبائع الاجرامية وخصائصها والفطنة الى شذوذها وخروجها على حكم القياس المعهود فى الطبائع العادية . اما عطيل فتتوافق فيه احكام علم النفس العام وعلم النفس الاجرامى

وعطيل - او عطا الله اذا صح هذا التحرير لاسم القائد العربى الاسمر - يجلوه لنا شكسبير طبيعة نبيلة كريمة وائقة كما انها حارة جياشة متفززة سريعة الالتهاب لا يؤمن انفجارها . فمازال

به إياجو الخبيث الناشط للشر لسبب ولغير سبب ، يسلسل فى شرايينه البركانية سم الغيرة قطرة قطرة ويدخل على نفسه فى التواء ودهاء من بعيد وساوس الريبة فى زوجته غادة البندقية وزنبقة مغانيها ديدمونة الطيبة المحتد الناصعة بشرة وسريرة . فاذا البذرة السيئة التى بذرها الخبيث فى نفس عطيل وتوفر على تعهدها وتنميتها شيئاً فشيئاً تربو وتكبر وتعظم وتتفاقم حتى ملأت عليه شعاب صدره وضاقت بها مساحره ، وأصبحت فى خاطره الوسواس الملازم وفى ذهنه الفكرة الثابتة المتسلطة لا تغيب عنه لحظة عين إلا لتعاوده أشد عراماً وألعج لظى . وهذا هو مثقل الضمير بفكرة الجريمة . وهذا هو ينفجر عن الحركة العنيفة . فيلحق بزوجته فى مخدعها فاذا هى على فراش عرسهما ناعسة . فيقف لحظة مأخوذاً ويروعه ان يسفك دمها ويشوه الأهاب الناصع أشد نصاعة من الرخام . ولكنه يجمع العزيمة على قتلها . وهذا هو يقبلها القبلة الأخيرة فيجد من طيب القبلة ما يجعله يكرر تقبيلها . وتنتبه ديدمونة وترفع اليه بصرها فاذا هو فى حال تعهدها منه حين يؤذن غضبه بالويل ، يقلب عينيه ويعض شفته . ثم يرن صوته رهيباً فى هدأة الليل يهيب بها أن تصلى قبل موتها . فاذا ناشدته الرحمة متسائلة عن ذنبها صارحها بخيانتها المزعومة واسم شريكها المزعوم ، فلا تكاد البريئة المسكينة تنبس ببضع كلمات متقطعة لتبرئة نفسها حتى يهيج هائجه ويخمد انفاسها بالوسائد

وبعد ، لقد قضى الأمر وأنفذ عطيل قضاءه . فاذا ... عن ... ذهنه كابوس الفكرة الحافزة المستحوذة . وبدأت بوادر من طبيعته الاولى تتطرق اليه فاذا به بعد هذا الانفجار ومن قبل أن تكشف له براءة زوجته يحس بالفراغ حوله ويتمتم : « زوجتى ! زوجتى ! أية زوجة ؟ ليس لى زوجة . أواه ، هذا لا يطاق ! لحظة ما أشد ثقلها ! » ثم تتجلى براءتها فيدفعه رد الفعل الى الانتحار تواً تحت تأثير احساسه الاخلاقى . فعلى مذبح الاخلاق يقتل الساعة نفسه كما قتل من قبل زوجته : « انى لم أفعل شيئاً بدافع الكراهة ، بل كل شىء من أجل الشرف »

وهنا أيضاً كان توفيق شكسبير عظيما فانه لم يقدر هذا الانتحار الوحى لمكبث ولاهملت ، لأن الأول ذو طبع إجرامى فاذا انتحر فانما ينتحر فى ظروف غير مباشرة كهذه ولا يكون لانتحاره صفة القصاص العادل من نفسه . والمجرم المطبوع يواجه الموت على يد غيره او على يده دون جزع ، وما ذاك عن فضيلة شجاعة وانما هو لانعدام احساسه مادياً ومعنوياً بحيث يترتب عليه ضمور فى غريزة حفظ الذات عنده . وهملت لا ينتحر البتة لأنه كما رأينا ذهن له مع خباله قدرة على الفرض والتدليل والتعليل الى غير انتهاء . اما عطيل فالانتحار الوحى من اخص خصائص إجرامه لأن العاطفة العارمة تغلب فيه على كل تفكير . وكذا يقترن فى شكسبير الفن والعلم اقتراناً يكفل لنا ابلغ المعرفة بالحياة واوفاها

عبد الرحمن صدقى

ديانة المورمونية

وشيعة النبي الرائى الموحي

ديانة المرمونية هي ديانة طائفة تدعى شيعة النبي الرائي الموحي أو شيعة قديسي اليوم الاخير، ظهرت في بلدة فاييت من ولاية نيويورك بأميركا في ابريل سنة ١٨٣٠ وقد انشئت هذه الطائفة طبقاً لاحكام القانون الاميركي الذى يشترط الا يقل عدد اتباع اية فكرة دينية عن ستة اذا اريد أن تعترف بها الحكومة . وفي هذا المقال معلومات وافية عن هذه الديانة واتباعها . وعما لقوه من معارضة واضطهاد

مرت سنون كثيرة لم يسمع الناس فى خلالها خبراً عن المورمون ولا عرفوا شيئا عن أحوالهم حتى لقد قام فى ذهن البعض أن هـذه الطائفة انقرضت ولم يبق بعدها إلا ذكرها . والحقيقة أن المورمون مازالون أحياء يرزقون وان كانت آراؤهم الدينية والاجتماعية قد تطورت تبعا لمقتضيات الزمان والمكان

ومؤسس هذه الطائفة جوزيف سميث ويقال إنه لما كان فى الرابعة عشرة من عمره رأى ذات يوم رؤيا ، وإذا كائنان قد ظهرا أمامه وأعلنا له بدء عهد جديد للديانة المسيحية . وكان الكائنان المذكوران — على زعمه — الله والمسيح ، وبعد ظهورهما بزمن ظهر له رسول سماوي قال له ان اسمه « موروني » — وأخبره بوجود ألواح من ذهب مطمورة فى سفح تل معين وقد نقش عليها ما يعتبر خاتمة للانجيل أعلنها المسيح لسكان أميركا الأقدمين . وبعد أربع سنين من هذه الرؤيا وصلت تلك الالواح الى يد جوزيف سميث ومعها « الاوريم والتميم »(١) اللذان ورد ذكرهما غير مرة فى التوراة

وفى أوائل سنة ١٨٣٠ نشر كتاب المورمون فى مدينة بالميرا فبيع منه بضعة ألوف من النسخ وأعيد طبعه بعد ذلك مراراً . وفى مقدمة هـذا الكتاب شهادة ثلاثة رجال خلاصتها أنهم أبصروا الالواح والكتابات التى عليها

وعلى أثر ظهور هـذا الكتاب تم تنظيم كنيسة المورمون وسميت : « كنيسة قديسى اليوم الاخير » ومنذ ذلك اليوم صار أتباع هذه الكنيسة يعرفون «بالمورمون» أو اتباع كتاب المورمون الذى هو فى نظرهم موحى به كسائر الكتب المنزلة ، وعين جوزيف سميث زعيما لشيوخ هذه الكنيسة ولقب « بالنبى الرائى الموحى » وعين صديقه أوليفر كودرى نائبا عنه

---

(١) في « كتاب المورمون » ان الاوريم والتميم حجران مقدسان في قوسين من الفضة يبينان الكاهن او رئيس الكهنة على تفسير كلام الله

وكان أول من انضم الى الكنيسة الجديدة جماعة من القرويين من سكان ولاية « نيو انجلند » وفى خريف سنة ١٨٣٠ أرسلت هذه الكنيسة مبشرين الى الهنود المقيمين ببعض الولايات المتحدة فكسب هؤلاء المبشرون أتباعا كثيرين، الا أنهم صادفوا صعابا واضطهادات شديدة فى ولاية نيويورك، حتى اضطرت الكنيسة إلى الانتقال الى بلدة كرتلند بولاية اوهايو حيث شيد اول معبد ونظمت درجات الكهنوت تنظيما تاما فعين كاهن عال وكهنة وبطاركة واساقفة ورؤساء . وبلغ أتباع الكنيسة الجديدة نحو أربعة آلاف نفس

وفى صيف سنة ١٨٣١ اشترى المورمون من الحكومة الاميركية اراضى فى مقاطعة جكسون بولاية ميزورى وانشأوا لهم فيها مستعمرة . وكانت ولاية ميزورى هذه من الولايات التى تبيح النخاسة والمورمون على عكس ذلك . وهذا ما جعل أهالى تلك الولاية يضطهدون المورمون. أضف إلى ذلك ان عقيدة المورمون الدينية وبعض المبادىء التى جاهروا بها جعلت الاهالى يكرهونهم كرها شديداً ويعتدون عليهم حتى اضطر هؤلاء الى مغادرة المقاطعة والنزوح الى جهة أخرى من تلك الولاية عينها وذلك فى خريف سنة ١٨٣٣

وبمرور الزمن انشأ المورمون ارساليات فى جهات مختلفة من أميركا وكندا فنجحت امورهم وتحسنت أحوالهم . الا أن مصرفا كانوا قد انشأوه باسم بنك كرتلند انشاء غير قانونى افلس فى سنة ١٨٣٧ وكادت المورمونية كلها تنهار بسببه . فثار الناس على المورمون واضطهدوهم اضطهاداً شديداً ارغم الكثيرين منهم على نبذ الدين الجديد ، أما الذين ثبتوا على ايمانهم فنزحوا الى غربى ولاية ميزورى ،وكان سميث وغيره من زعماء المورمونية قد سبقوهم الى هنالك . وانشأت الجالية هنالك مدينة سمتها « فار ويست » اى مدينة الغرب الاقصى (وتسمى اليوم « كر » Kerr) وعزمت على انشاء مدن اخرى وبناء معبد خاص

ولما هدأ الاضطهاد وجه المورمون انظارهم الى ارسال البعثات التبشيرية الى الخارج . فأرسلوا المبشرين الى انجلترا حيث كسبوا نحو الفين من الاتباع . واتبعوهم ببعثات تبشيرية اخرى الى جهات مختلفة من اوربا . وكان لهذه البعثات اثر بليغ فى تقدم المورمونية وانتشارها وهى التى انقذتها من البوار والاندثار

على أن السلام لم يدم طويلا بين المورمون وأهالى ولاية ميزورى الذين رأوا فى تكاثر المورمون وازدياد عددهم خطراً عظيما على ولايتهم فصاروا ينتهزون كل فرصة لايقاع الاضطهاد بالدخلاء .واتفق أنه جرت انتخابات بلدية فى مدينة جالاتين من أعمال الولاية . واراد الاهالى أن يمنعوا المورمون من دخول الانتخابات فوقعت بين الفريقين مناوشات أفضت إلى معارك دموية ، وجرد حاكم الولاية فرقة من الجيش لمقاتلة المورمون فاحدق الجيش بعاصمتهم « فارويست » وقبض على زعمائهم الا أن

هؤلاء فروا . وفر بقية المورمون الى ولاية ايلينويز حيث اتخذوا لهم مركزاً جديداً للدعوة المورمونية . ولم ينقض ردح من الزمن حتى كثر المورمون وأصبح عددهم فى ولاية ايلينويز وحدها لايقل عن عشرين الفاً . وجعل « نبي المورمون » - جوزيف سميث - مدينة ناوفو (Nauvoo) مقراً له

وعاد المرمون فأرسلوا بعثة تبشيرية جديدة الى انكلترا نجحت فى بث دعوتها وكسبت نحو خمسة آلاف من الاتباع الجدد ونشرت هذه البعثة مجلة باسم « ميلينيال ستار » وطبعت « كتاب المورمون » وألوفا من النبذ والنشرات وانشأت وكالة تجارية للنقل البحرى كان غرضها منها نقل الاتباع الجدد من مختلف أنحاء أوربا إلى بلاد المورمون . وقد عبروا عن ذلك بقولهم انهم يريدون « نقل أولاد اسرائيل إلى أرض صهيون » . وفى شهر يونيه سنة ١٨٤٠ سافرت أول جماعة من « المهتدين » من ميناء ليفربول الى ميناء نيويورك ولم تنقض سنة ١٨٤٥ حتى كانت مدينة ناوفو قد اصبحت عاصمة « مورمونية » بجميع معانى هذه الكلمة وصار للمورمون فيها معبد فخم ومبان كثيرة . ووضعوا رسما لانشاء مدرسة جامعة كبيرة

على أن المورمون لم يكونوا بلا أعداء فى ولاية ايلينويز مع انه كان لهم نفوذ عظيم فى تلك الولاية، وكان كل من حزبى المحافظين والديمقراطيين يتودد اليهم . واضطر المورمون إلى الذبذبة بين الحزبين فلم يجنوا من ذلك سوى عداوتهما . وفى سنة ١٨٤٤ رشح جوزيف سميث نفسه لانتخابات رئاسة الجمهورية الاميركية . على أن نفس اصحابه كانوا قدبدأوا ينصرفون عنه بسبب المذهب الغريب الذى أعلنه بشأن الزواج . وتفصيل ذلك انه أشاع أن وحياً هبط عليه يبيح له تعدد الزوجات . وبناء على هذا الوحى تزوج عدة نساء . وتبعه بضعة من شيوخ الكنيسة المورمونية فتزوجوا هم أيضاً عدة نساء ولكنهم أبقوا زواجهم سراً فى أول الأمر . وانشق عدد كبير من المورمون عن كنيستهم وأنشأوا لهم كنيسة خاصة ومجلة وصاروا يحاربون جوزيف سميث - وكان قد أصبح محافظاً لناوفو - فامر هذا بتعطيل المجلة وباقفال مطبعتها بحجة أن ما اذاعته المجلة من الاسرار والمخازى الخاصة بتعدد الزوجات أثار الرأى العام على جوزيف سميث وأنصاره . فوقعت مظاهرات كثيرة جعلت المورمونية فى خطر . وكان الخطباء يندون بجوزيف سميث وبتعاليمه المنافية للآداب تنديداً علنياً . فاضطر هذا إلى اعلان الاحكام العرفية فى مدينة ناوفو ومنع الاجانب من دخولها . على أن هياج الافكار ازداد شدة حتى اضطر حاكم الولاية أن يتدخل لتهدئة الناس ومنع سفك الدماء . ووعد الجماهير بمحاكمة جوزيف سميث وأنصاره ثم أرسل يستدعيه إلى مدينة قرطاجه . وأراد سميث فى أول الامر أن يهرب ويمتنع فى « الجبال الصخرية » ولكن أصحابه أشاروا عليه بالاستسلام . فذهب هو وأخوه هيروم ولفيف من أنصارهما إلى قرطاجة حيث أودعوا

فى السجن . ووعد حاكم المدينة بحماية المتهمين ولـكن الغوغاء هجمت على السجن وقتلت جوزيف سميث وأخاه وجرحت رفاقهما ولم ينج منهـم سوى واحد يدعى ويلارد رتشاردز كان قـد تمكن من الفرار

ولما سمع المورمون فى ناوفو بما وقع لزعمائهم عقدوا مؤتمراً لتنظيم شؤونهم فوقع بينهم انشقاق بسبب الزعامة اذ انتخب الاكثرون بريجهام يونغ خليفة لجوزيف سميث وانفصـل فريق آخر بزعامة رجل يقال له ريجدون ــ وكان مستشاراً لجوزيف سميث ــ وأنشأوا كنيسة جديدة سموها « كنيسة قديسى اليوم الأخير المعدلة »

وفى سنة ١٨٤٧ قرر المورمون مغادرة ولاية ايلينويز إلى يوتا . وكان الوقت شتاء والطرق وعرة ووسائل الانتقال رديئة . الا أن بريجهام يونغ أظهر مقدرة فائقة وحزماً عظيماً فى قيادة رجاله . وكانوا يحملون أمتعتهم ولوازمهم وأدوات زراعية كثيرة معهم . وفى صيف ذلك العام وصلوا الى وادى بحيرة الملح الـكبرى (جريت صولت ليك) ولم يكن يسكن تلك البقعة يومئـذ سوى بعض الهنود . ووصلت إلى هنالك بعد ذلك جماعات أخرى من المورمون . وفى سنة ١٨٤٩ انشئت ولاية يوتا وضمت الى الولايات المتحدة الاميركية وعين بريجهام يونغ حاكماً عليها من قبل فيلمور رئيس الولايات المتحدة يومئذ . وعند نهاية مدته أعيد انتخابه حاكماً على الولاية من قبل بيرس رئيس الولايات المتحدة الذى خلف فيلمور

ولم يهنأ المورمون بالراحة فى أوائل اقامتهم بولاية يوتا ، فان الهنود كانوا يغيرون عليهم غارات متقطعة ويناوشونهم ، فضلا عن أن القيظ والآفات والحشرات أكلت غلالهم ، ولم تكن العلاقات بينهم وبين الحكومة الاميركية على مايرام . فقـد حاولت هذه تطبيق القانون العام عليهم فـكان المورمون يقاومونها ولا سيما ما يتعلق منها بشؤون الزواج وتعدد الزوجات . وفى صيف سنة ١٨٥٧ وقعت مذبحة كبيرة قتل فيها عدد كبير من رجال المورمون ونسائهم وأولادهم كما قتل أيضاً عـدد كبير من الهنود . والقيت تبعة هذه المذبحة على المورمون فهاجت عليهم أفكار الشعب الاميركى أجمع وعزم رئيس الولايات المتحدة يومئذ على تجريد المورمون فى ولاية يوتا من كل سلطة بعزل الحاكم وتقليد غيره مقاليد السلطة . ولـكن المسألة انتهت بعقد شبه صلح بين المورمون وحكومة وشنطون

وظل بريجهام يونغ زعيماً للمورمون ثلاثين سنة انشأ فى خلالها المدارس والـكنائس والملاهى وعمل على نشر المذهب خارج ولاية يوتا حتى انتشر المورمون فى ايداهو ونيفادا وكولورادو وآريزونا ونيومكسيكو . وفى سنة ١٨٧٧ توفى بريجهام يونغ فخلفه جون تيلور فى زعامة المورمون

ومنذ هذه السنة شهرت الحكومة الاميركية حرباً عواناً على المورمون فى معاقلهم المختلفة بسبب مسألة تعدد الزوجات . وكان مجلس الكونجريس الاميركى قد سن قانوناً خاصاً بتحريم ذلك ،

وقاوم المورمون هذا القانون مقاومة شديدة فى جهات كثيرة وحدثت بينهم وبين جنود الحكومة مناوشات دموية . وقبضت الحكومة على كثيرين وزجتهم فى السجون وفرضت عليهم الغرامات الباهظة ونفت كثيرين من الزعماء الذين كانوا يرون فى قانون تحريم تعدد الزوجات اعتداء على الحرية الدينية . ولما رأى المورمون انه لا مفر لهم من الخضوع أصدر زعيمهم « ودروف » فى سنة ١٨٩٠ منشوراً أعلن به خضوع المورمون للقانون الاميركى الذى يحرم تعدد الزوجات . الا أن بعض الاتباع أبوا التسليم وطلبوا عقد مؤتمر عام للنظر فى هذه المسألة . فعقد المؤتمر فى اكتوبر من ذلك العام وجاء قرار المؤتمر مؤيداً لمنشور « ودروف » . ومنذ ذلك اليوم أقلع المورمون عن عادة تعدد الزوجات . واصدر رئيس الولايات المتحدة منشوراً عفا به عن المورمون الذين كانت لهم عدة زوجات على شرط أن يقلع المورمون كافة عن هذه العادة فى المستقبل ،واطلقت الحكومة الاميركية سراح المسجونين منهم وردت اليهم الأملاك التى كانت قد صادرتها . وفى سنة ١٨٩٦ ادمجت ولاية « يوتا » فى مجموعة الولايات الاميركية

وتوالى على المورمون بعد ذلك ثلاثة زعماء آخرهم المستر هبر جرانت وهو أول زعيم لهم ولد فى يوتا . ويبلغ عدد المورمون الآن نحو ستمائة الف أكثرهم فى ولاية يوتا ، والباقون فى ولاية ايداهو ونيفادا واريزونا ووايكومنج . ولهم فى الولايات المتحدة اكثر من الف ومائتى مبشر وفى الخارج نحو ثمانمائة مبشر

***

ورب سائل يسأل : ما هى المورمونية وفى أى شىء تختلف عن الديانة المسيحية ؟ فنقول ان هذه الديانة ليست على زعم أتباعها ديانة جديدة بل هى المسيحية بعينها وانما تختلف عنها فى بعض مظاهرها وعقائدها . ومن العبث القول بأنها تناقض المسيحية بكونها تبيح تعدد الزوجات فان المورمون أنفسهم قد نبذوا هذا التعدد منذ سنة ١٨٩٠ كما تقدم ، وان كانوا قد نبذوه فى أول الامر مكرهين . أما فى معظم عقائدهم الدينية فلا يكادون يختلفون عن سائر المسيحيين إلا فى كونهم يؤمنون – فوق ايمانهم بالتوراة والانجيل – بكتاب المورمون الذى سبقت الاشارة اليه وبكتاب « التعليم والعهد » الذى يحتوى على مجموعة من حوادث الوحى الذى ادعى جوزيف سميث بأنه كان يهبط عليه . وبكتاب « اللؤلؤة الغالية » وهو مجموعة أقوال وأحاديث معزوة الى ابراهيم وموسى وليست مدونة فى التوراة ولا فى أى كتاب آخر

ويؤمن المورمون بأن الوحى متواصل متلاحق غير منقطع لان الله لا يترك مخلوقات يديه فى زوايا النسيان بل يتعهدهم من وقت الى آخر إما بظهوره لهم عياناً أو باسماعهم صوته أو بارساله اليهم الرسل والملائكة أو بالتأثير فى عقولهم . والوحى بأية طريقة من هذه الطرق هو القول الفصل

فى كل خلاف يقع على تفسير التوراة أو الانجيل أو أى كتاب آخر من كتب المورمون . وهذا الوحى لا يهبط إلا على زعيم المورمون ولا يجوز أن يكون غير زعيم واحد فى وقت واحد

أما فلسفة المورمون فتقوم على الاعتراف بوجود الزمان والمكان والمادة . وتقول بأن جميع هذه الاعتبارات الثلاثة قديمة (أى أزلية) غير حادثة وليس لها آخر أى انها غير قابلة للفناء . أما المادة فقابلة للتحول والتطور . والعقل أيضاً قديم وهو الذى يوجه المادة ويسيرها كما يشاء وما الحوادث التى تقع فى العالم سوى مظاهر متتابعة لتأثير العقل فى المادة . والكون يتألف من عدة عوالم (او مجاميع فلكية كمجموعة نظامنا الشمسى ومجموعة المجرة الخ) ولكل من هذه العوالم نواميس خاصة ولكل ناموس قيود وحدود وفى كل عالم منها مخلوقات عاقلة فى درجة من درجات التطور . فبعض تلك المخلوقات أرواح كانت فى الاصل بشراً ثم خلعت ثوب المادة وصارت تنتظر القيامة . وبعضها أرواح لم تولد بعد ولم تتخذ أجساداً ولكنها ستفعل ذلك متى جاء دورها . وبعضها مخلوقات حية نقلت الى هنالك من عالمنا الارضى من دون أن تموت كاخنوخ وايليا وغيرهما . وبعضها قد تمت ديونتها فانتقلت الى عالم الخلود

أما العقيدة المورمونية بشأن الله والمسيح فلا تكاد تختلف عن العقيدة المسيحية فى شيء . وكذلك العقيدة بشأن خلود الصالحين فى النعيم والخطاة فى الجحيم . وليس للمورمونية فيما عدا ذلك أى شيء يستحق الذكر

لن تستقيم أمورُ الناس فى عصرٍ
ولا استقامت فذا امناً وذا رُعبا
ولا يقومُ على حقٍّ بنو زمنٍ
من عهد آدم كانوا في الهوى شُعبا

ابو العلاء المعري



القومندانة مارى آلن تفتش على قوة البوليس النسائية في لندن

النساء في مناصب الحكم

لعل أهم طابع لهذا العصر هو ما بلغته المرأة من شأو وما حازته من حقوق حتى تمت مساواتها للرجل في معظم البلدان وفتحت أمامها أبواب العمل وارتقت مختلف المناصب دون أن يوضع في طريقها عائق أو يكون لأنوثتها اعتبار . والحق يقال أن المرأة قد برهنت في جميع الأعمال التى زاولتها والمناصب التى شغلتها على أنها لا تقل عن الرجل ذكاء وكفاءة ومقدرة ، وانه كان من الظلم البين ومن خرق الرأى في الزمان القديم أن تعد أقل من الرجل وأن تكون أنوثتها عقبة في سبيل ارتقائها إلى المكانة التى يسمو بها علمها وقدرتها . والآن أصبحت فكرة تفوق الرجل على المرأة فكرة عتيقة بل خرافة بالية لا يؤمن بها أحد

والأمثلة كثيرة على علو المراكز التى بلغتها النساء في مختلف الدول : ففى أمريكا مثلا تشغل المس فرنسيس بركينز منصب وزيرة العمل وتشغل المس جوزفين روش منصب (مساعدة وزير المالية) . وقد عينت السيدة الكسندرا كولونتاى وزيرة مفوضة لروسيا فى بلاد السويد ، وتشغل هذا المنصب منذ عدة سنين . ونجد في الدانمارك السيدة رث بريان ــ أون تمثل حكومة الولايات المتحدة إلى جانب وزراء الدول المفوضين . وفي فرنسا لم تقتصر خريجات كليات الحقوق على الاشتغال بالمحاماة بل بدأن أيضاً يشغلن مناصب وكلاء النيابة . وفي انجلترا أنشئت منذ عدة سنين قوة بوليسية من النساء على رأسها قومندانة قديرة . وما لنا نذهب بعيداً وهذه مصر قد نهضت فيها المرأة نهضة تدعو إلى الاعجاب فساهمت في الحركة الوطنية وأقبلت على التعليم العالى وصار من النساء المصريات أساتذة فى كليات الجامعة فضلا عن الطبيبات والمعلمات بل صارت منهن أيضاً من تصدر الصحف يومية وأسبوعية

وننشر على هذه الصفحات صور بعض نساء بارزات وصلن إلى مراكز عالية في مختلف الدول

المسز روزفلت قرينة رئيس جمهورية الولايات المتحدة في حديقة البيت الابيض وهي معروفة بنشاطها في عالم السياسة والاصلاح الاجتماعي



المس فرنسيس بركينز تشغل منصب وزيرة العمل في حكومة الولايات المتحدة . وتظهر في هذه الصورة مع طائفة من عمال صناعة الصلب





المس جوزفين روش التي عينها الرئيس روزفلت حديثاً مساعدة لوزير المالية، وكانت فيما مضى مرشحة لمنصب حاكم ولاية كولورادو وقد عينت في سنة ١٩١٢ شرطية لمراقبة الملاهي ودور السينما



صورة أول وكيلة نيابة عينت فى فرنسا، وتمثلها وهى تتحدث مع زملائها ومع بعض المحاميات



اللادي أوف سارك هي الحاكمة المطلقة لجزيرة سارك في قناة المانش وهي جزيرة تابعة لانجلترا وتحكمها النساء من قديم الزمان

السيدة رث بريان – أول وزيرة أمريكا المفوضة في كوبنهاجن وكانت قبلا نائبة عن فلوريدا في مجلس النواب





السيدة الكسندرا كولونتاي وزيرة روسيا المفوضة في السويد وتشغل هذا المنصب منذ عدة سنين

خاتمة الامبراطور

من العرش الى المنفى

بقلم الاستاذ محسن الشريف

رأى قراء الهلال في العدد الماضي كيف فر نابليون من منفاه ، وكيف استعاد عرشه مؤيداً من جيشه وشعبه اللذين رحبا به واستقبلاه استقبال البطل الظافر ، لا الهارب الثائر ، حتى استوى بين هذه القوى التى تحوطه بحبها واكبارها واعجابها ، فأعاد اليها الحياة بعد هزيمة الاعداء ، ونفخ فيها من روحه والف جيشاً تحدى به اوربا ، فاستشعر الاعداء ما أوجدهم فيه من خطر ، فعقدوا عزائمهم على الموت أو الانتصار ، فكانت النهاية التى أرادها الله للقضاء على هذا الرجل المخيف الذى أقلق الدول ٢٥ عاماً

موقعة واترلو

أراد الله أن يمحق نابليون فجعل السماء تمطر فى الليلة الواقعة بين ١٧ و١٨ يونيو سنة ١٨١٥ . ولو لم تمطر السماء تلك الليلة لانتصر نابليون فى معركة واترلو ولتغير مصير اوربا ومجرى التاريخ ، وهكذا يرتب الله كبرى الحادثات على أتفه الأسباب

واذا أردت أن تعرف أسباب هزيمة نابليون فى سهل واترلو فلا تبحث عنها فى تفوق عدوه ولا فى حسن تدبير خصمه ، ولا فى خطأ ارتكبه ، ولا فى قصور اعتراه ، فلست واجداً تلك الاسباب فى شىء من هذا ولا فى هذا كله . إنما هو قضاء الله حم فتتابعت الطوارىء وتوالت الاحداث ، وانتقل الحظ من عسكر الى عسكر ، والقى الامبراطور نفسه لا أمام جيوش تحاربه بل أمام الله الذى لا حيلة فى قضائه ولا قوة فوق قوته

كان نابليون قد ثقل على كاهل العالم حتى أن العالم تحت وطأته . فلما تحشرج صدر الأرض واكتسى وجهها بالدماء وغص بطنها بالأشلاء ، استمع الله الى شكوى الملوك والشعوب والجيوش ، وقضى أن يضع حداً لعهد من التاريخ عم بلاؤه وثقلت موازينه ، فرفع يده فى وجه الجبار العاتى وقال : كفى ! فكانت موقعة واترلو ، وكان الانهيار وكانت النهاية ، وما زالت الدنيا حتى اليوم تستقرىء خاتمة نابليون فلا ترى فيها أثراً من عمل الانسان ولا من قوة البشر ، وانما ترى فيها آية من آيات الله فى رجل أخذته العزة بالأثم ، فأراد أن يتحدى قضاء الله وقدره

شهد الثقات الحربيون أن خطة معركة واترلو كما وضعها نابليون كانت بالغة من الأتقان والمهارة حداً يضمن لها النجاح ويضمن لصاحبها الانتصار ، وان الجيش الفرنسى كان أوفر

عددا وأتم عدة من جيوش الحلفاء ، وشهدوا أن النصر ظل حليف الامبراطور حتى ماقبيل الغروب ، وأن الدوق ولنجتن الانجليزى لم يكن فى اللحظات الأخيرة يقاتل قتال الآمل فى النصر وانما كان مستميتاً يؤثر الموت على الفرار . ولكن عند ما بدأت بوادر انهزام العدو تتجلى فى وضوح تبدلت الحال فجأة غير الحال : فاذا جزء كبير من الجيش المنتصر يهوى فى حفرة عميقة تبتلعه ، واذا القائد الفرنسى جروشى يضل الطريق فلا يصل فى الموعد المضروب ، واذا القائد بلوخر الالمانى يصل الى الميدان على غير موعد ، وإذا ســـهل واترلو يشهد غير مصدق هزيمة المردة وفرار العمالقة ، واذا ولنجتن يصيح مفاخرا : لقد انتصرنا ، فيكذبه كل شيء قائلا : لا بل الله انتصر

* * *

نشأ بونابرت ضابطا بالمدفعية وكان المدفع أهم سلاح يعول عليه فى الحرب . ولقد أمطرت السماء مدرارا فى الليلة السابقة للمعركة حتى غمر الماء السهل . وكان الجيش الفرنسى يحتل الناحية المنخفضة بينما كان الحلفاء معسكرين فوق هضبة سان جان المرتفعة فتجمعت مياه المطر حول الخطوط الفرنسية وأحدثت فى الأرض فجوات وبركا جعلت تحرك قطع المدفعية متعذرا أو مستحيلا . لذلك لم يجد نابليون بدأ من انتظار حرارة الشمس لتجفف الارض فانتظر خمس ساعات وكان هذا الانتظار أكبر سبب فى هزيمته فلو أنه بدأ المعركة فى الصباح الباكر طبقاً للخطة المرسومة لفرغ من دحر الانجليز بعيد الظهر أى قبـــل وصول جيش الجنرال بلوخر الالمانى بثلاث ساعات ولوفر على جيشه المتعب المنهوك المثخن بالجراح مشقة الاصطدام آخر النهار بثلاثين الف رجل نزلوا الميدان موفورى القوة والنشاط . ولقد اعترف القائد موفلنج البروسى بأن بلوخر لو تأخر ساعة واحدة لألفى المعركة منتهية والجيش الانجليزى فلولا متناثرة فى الأرض تطلب السلامة

بدأت المعركة حامية والساعة الحادية عشرة فكانت وطأة نابليون على ولنجتن شديدة بقدر ما كان ثبات هذا عظيما . ولقد حلت بالجيش الفرنسى فى بداية المعركة بعض خسائر نجمت من خطأ فى نقل أوامر الامبراطور أو فى فهمها ، بيد أن الامبراطور لم يأبه لها لأنه كان لا يأبه فى الحروب للارقام ، فاذا كان عدد القتلى هنا مائة أو بضع مئات وعددهم هناك الفاً أو بضعة آلاف فليس لذلك عنده وزن ولا حساب مادامت هذه الأرقام تعطى مجموعاً واحداً وهو الانتصار . وظل القتال ساعات لم يتبين خلالها تفوق فريق على فريق ، ولكن الكفة أخذت بعيد الظهر تميل ناحية الفرنسيين كما أخذت بوادر الضعف والوهن تتجلى فى صفوف الانجليز ، فبدأ القلق يساور ولنجتن على مصير المعركة وبدأ يحس أن النصر يتسرب من بين أصابعه وأنه أصبح فى حالة لا ينقذه منها إلا انتهاء القتال بحلول الظلام

والواقع أن الخسائر التى حلت به كانت فادحة مروعة : فهنا شرذمة من الرجال هم البقية الباقية من اورطة ، وهناك بضع عشرات كانوا منذ ساعة لواء كاملا ، وهـذه الفرقة عدمت ضباطها العظام فصارت يقودها ملازم ، وذلك الفيلق انفرط عقده واختل نظامه ، وهاهى فرقة من الرماة البروسيين تغادر الميدان فراراً ، وها هى تلك أورطة من المشاة الهولانديين تحذو حذوها ، ثم ها هو الجنرال بكتن يسـقط قتيلا ويعقبه القواد بونسنباى وجوردن ومارش وهاملتن وماتر ، ثم ها هو ذا الفيلق الاسكتلندى يبيد ، واللواءان الخامس والسادس يفنيان ، وقد انجلى الجنرال هيل عن نقطة مونسانجان وأشرفت حامية هوجومون على التسليم ، ولم تبق لولنجتن نقطة ارتكاز سوى هضبة سانجان وقد علق عليها كل آماله وحشد فيها كل قواه . وبينما كان يصيح فى عسكره من ناحية : « أيها الفتية الشجعان ، كيف تفكرون فى الفرار وتنسون أمكم انجلترا العجوز ؟ » كان البرنس دورانج يهيب بجنوده البلجيكيين من ناحيـة أخرى : « يا بنى برانسويك وناساو ، إن التقهقر فى هذه الساعة جريمة نكراء » . وبينما كان ولنجتن يجيب الجنرال هيل وهو يطلب منه المدد : « ليس عندى ما أمدك به فاثبت فى مكانك حتى تموت » ، كان كلنتن يسأله : « هل من أوامر جديدة ؟ » فيصيح فى وجهه : « الثبات حتى آخر رجل » ويقول لأركان حربه وقد نصحوا له بالابتعاد عن مكانه المعرض لقنابل العدو : « وماذا تريدون أن أفعل إذا أنا لم أقتل ؟ » ثم يسأله هيل : « ما هى التعليمات التى يوصى بها سيدى الدوق اذا هو قتل؟ » فيجيب عابساً : « أن تموتوا مثلى »

تلك كانت حالة الحلفاء حتى الساعة الرابعة من المساء . فلما انتصفت الخامسة بدأت الخطوط الانجليزية الأمامية تنجلى عن هضبة سانجان تحت مطر من قنابل الفرنسيين تاركة تلك الهضبة تحت حماية المدفعية وحدها . وكان نابليون يرقب حركة الجيش بمنظاره المقرب ، فلما أبصر انسحاب الانجليز رأى الوقت مناسباً ليضربهم الضربة القاضية ، فوقف فى ركاب سرجه وسرح منظاره فى أرجاء الميدان ثم أرسل أمره الى الماريشال ناى بأن يحمل بفرسان الجنرال ميلهو للاستيلاء على أمنع مراكز الانجليز وهو هضبة سانجان

الهاوية . . .

وإذ تلقى الماريشال ناى الأمر شهر سيفه وصاح فى الفرسان - وكانوا ثلاثة آلاف وخمسمائة - : « الى الأمام أيها الرجال وليحي الامبراطور ! » فمرقوا من وسط الجيش كما يمرق السهم من القوس واندفعوا الى الميدان فى وسط غمامة كثيفة من الدخان وتحت وابل من قذائف العدو ، ثم انقشعت الغمامة فبدوا عند الطرف الآخر من السهل كتلة لامعة متحركة هائلة تخفق فوقها الأعلام وينبعث منها ضجيج مخيف ، وكأن الخيل أدركت جلال الطالب وخطر المطلوب

فجعلت تنهب الارض كما تنهب الشهب الفضاء ، وانقضت نحو الهضبة كالعاصفة الهوجاء حتى إذا ما اقتربت من خطوط النار الفت قضاء الله حائلا بينها وبين ما تريد : تقاعست الخيل فجأة وانتصبت رافعة أرجلها الامامية فى الهواء ، وصاح الجنود صيحة الذعر والهلع ولوحوا بأيديهم الى الذين وراءهم ينبهونهم الى شىء لم يفهموه ويشيرون اليهم ليستوقفوهم عن الاندفاع . ذلك بأنهم فوجئوا بأن أبصروا بينهم و بين الانجليز حفرة مستطيلة أو خندقاً حفرته الطبيعة ممتداً بين جانبى السهل عميقاً واسعاً فاغراً فاه كالهاوية . فكانت لحظة فزع واضطراب لم تتسع للتفاهم ولا للحذر. فلقد كانت الخيل تعدو مطلقة الأعنة والفرسان فوق ظهورها يتلقون الموت من الامام ولا يتوقعونه تحت أرجلهم ، فدفعت المؤخرة المقدمة وتزاحمت الصفوف وتدافعت فسقط الصف الاول فى الهاوية وسقط فوقه الصف الثانى فالثالث فالرابع حتى امتلأ الخندق وفاض ثم عبرت الصفوف الخلفية الحفرة فوق تلك الاكداس والاكوام من الاجساد ، فكانت مأساة بشعة تحطمت فيها الرءوس وتهشمت الجماجم وطحنت العظام وتمزقت الجسوم واختلطت أجسام الرجال بأجسام الجياد وقتل الف وخمسمائة فارس وثلاثة آلاف جواد

وتأبى المصائب إلا أن تأتى تباعاً . فان نابليون كان قد وضع الماريشال جروشى عشية المعركة على رأس أربعة وثلاثين الف مقاتل ليتعقب بهم الجنرال بلوخر الالمانى وأوصاه أن يوافيه قبيل غروب اليوم التالى عند سهل واترلو . ولكن جروشى ضل الطريق فافلت منه بلوخر فظل يبحث عنه حتى فات اليوم ولم يصل فى الموعد المضروب . ولقد اشتد قلق الامبراطور حتى كان لفرط حنقه يمد يده نحو الشمس وهى مائلة نحو المغيب ويقول : « من لى بقدرة يوشع فأؤخر مسيرها ساعتين ؟ » . وبينما هو يرقب الافق قلقاً مغيظاً وولنجتن ينظر الى ساعته وهو أشد قلقاً وغيظاً ويتمتم بين شفتيه : « اما بلوخر واما الليل » ، إذا خط من الحراب لامع يبدو من بعيد ويقترب وإذا الثلاثون الفاً الذين يقودهم بلوخر ينزلون الى الميدان مستجمين كاملى العدة موفورى القوة للكفاح

كانت حالة الجيشين المتحاربين قبل وصول البروسيين كحالة متبارزين أصاب كل منهما من الآخر مقتلا وأخذ يتلمس فيه مكان ضعف ليجهز منه عليه . فلما جاء بلوخر رجحت كفة الانجليز وزلزلت أقدام الفرنسيين وزاغت منهم الابصار وبلغت القلوب الحناجر ، وحدق نابليون بعينيه فى جوف الفضاء فابصر يد القدر تخط حكم هزيمته فى لوح السماء

تبدى شبح الهزيمة أمام الامبراطور هائلا مروعاً شنيعاً وتبدى أمامه ما بعد الهزيمة من ضياع ملك وانهيار مجد وانتهاء عهد فكأنه أراد أن يحتضن كل شىء معه الى الهاوية ، فنظر الى ما حوله ولما لم يجد غير فرقة من الحرس الامبراطورى صاح فيهم : « وأنتم أيضاً الى الامام » ، وتقدمت فرقة الحرس يحيط بها الهلاك من كل صوب وينصب عليها الموت من كل ناحية

تقدمت وهى عالمة أنها مقدمة على الانتحار فقاتلت قتال اليائس المستميت ، وكان صراع عنيف بين الشجاعة والكثرة ، صراع هانت فيه الحياة ورخصت الاعمار حتى لم يتمالك ولنجتن عن اكبار هذا الاستشهاد فكان يصيح : « ان هذا لعظيم » . ولكن سرعان ما تفوقت الكثرة على البطولة وسرعان ما تخطفت قنابل العدو وسيوفه هذه الارواح الجبارة وكبحت جماح تلك البسالة الرائعة ، فلما أرخى الليل سدوله كانت المعركة قد انتهت وكانت فلول الجيش العظيم الذى دوخ أوربا عشرين عاماً تجرى هائمة تطلب النجاة فى الاودية والسهول

فوشيه يعمل فى الظلام

عاد نابليون الى باريس غداة الهزيمة وقد استقر رأيه على أن يتقدم تواً وقبل أن ينفض عن نفسه غبار المعركة الى مجلس النواب ببيان عن الحالة يتحدث فيها عن الاخطار المحيقة بفرنسا والوسائل التى تستطيع بها دفعها ، ويؤكد أن مصلحته الشخصية لا يمكن أن تكون عقبة فى سبيل سعادة شعبه ووطنه ولا سيما فى استنزاف موارد القوة فيهما . وكان قد احصى ما بقى لفرنسا من الجيوش والذخائر ومعدات القتال فالفى فيها الكفاية لصد اغارة العدو والقضاء عليه فرسم خطة المقاومة واستئناف الجهاد وبات ينتظر تأييد ممثلى الامة لخطته ليعود فيضع نفسه على رأس الجيش

ولكن الوزير فوشيه الذى آنس من مجرى الحوادث أن شمس الامبراطور آذنت بالمغيب ، كان يتهيأ لاستقبال العهد الجديد ويمهد لنفسه وسائل الاندماج فيه ويسلف الحسنى الى آل بوربون ويبذر العوارف لتزكو عند لويس الثامن عشر متى حكم . لذلك جعل منذ الساعة الاولى يوهم ممثلى الامة وزعماء الاحزاب أن لا سبيل الى إنقاذ الوطن إلا إذا تنازل نابليون عن العرش وأن لا محل للخوف من عودة أسرة البوربون الى فرنسا لان التفاهم قائم بينه وبين ميترنيخ وزير النمسا على تنصيب ابن نابليون امبراطوراً باسم نابليون الثانى تحت قوامة أمه مارى لويز . ولقد أحدثت هذه الدسيسة أثرها فأوفد مجلس النواب وفداً يرجو من نابليون باسم ممثلى الامة النزول عن العرش ويقنعه بان سلامة الدولة متوقفة على هذه التضحية . فلما شعر الامبراطور بنيتهم المبيتة واقتنع بان استمساكه بتاجه سيؤدى الى نشوب حرب أهلية أعلن تنازله وصرح بانه ، وقد أصبح فرداً عادياً من أفراد الشعب ، يضع شخصه فى خدمة بلاده ويرشح نفسه لقيادة جيوش جلالة الامبراطور نابليون الثانى لصد العدو الزاحف الى فرنسا

وتألفت حكومة مؤقتة كان فوشيه منها بمثابة اليد العاملة والرأس المدبر جعلت غرضها الاول التخلص من شخص نابليون بتمهيد السبيل أمامه للخروج من فرنسا والالتجاء الى امريكا. فتوجهت اليه طالبة أن يسهل عليها مهمة المفاوضات ووضع قواعد الصلح بأن يرتحل عن باريس

حتى لا يكون بقاؤه فيها عقبة فى طريق المحادثات . ولم يكد نبأ تنازل الامبراطور عن العرش يسرى بين الناس حتى أخذت الجماهير تتدفق على القصر معلنة ولاءها له فكانت مظاهرات حاشدة هاتفة صاخبة جعلت الرجل يقول فى ألم وحسرة : « لو أن لدى الزعماء والمسئولين مثل هذا الالهام الصادق الذى يسير العامة لعرفت فرنسا كيف تحافظ على شرفها ووجودها »

وحمل فوشيه الحكومة المؤقتة على رفض الاقتراح الذى عرضه نابليون إذ رشح نفسه لقيادة الجيش ضد العدو بصفته قائدا من قواد الدولة ، ففكر الامبراطور إزاء ذلك فى أن يعود فيضع نفسه على رأس الجيش الذى كان باقياً على ولائه ويسقط الحكومة ويحل مجلسى الاعيان والنواب ويستأنف القتال ، ولكن شبح الحرب الاهلية ووجود العدو على أبواب العاصمة وجو الدسائس المحيط به . كل ذلك أثر فى نفسه وثناه عن عزمه فصحت نيته على أن ينهى حياته العامة بعيدا عن بلاده وارتحل الى قصر المالميزون ليمهد وسائل سفره الى القارة الامريكية

واذا كان فوشيه قد تظاهر بالموافقة على فكرة رحيل الامبراطور إلى امريكا وحمل الحكومة المؤقتة على تأييدها والشروع فى تنفيذها . فانه كان فى الوقت نفسه يتآمر مع لورد كاسلريه وزير انجلترا والبرنس مترنيخ مستشار عرش النمسا للايقاع بنابليون ويصور لهما الفرار من جزيرة البا كحادث قابل للتكرار ويؤكد أن الخلاص النهائى من هذا الرجل لا يكون إلا بالقضاء على حياته أو باعتقاله فى مكان سحيق منعزل عن العالم

وأصدرت الحكومة المؤقتة باملاء فوشيه قرارا هذا نصه :

« المادة الاولى — على وزير البحرية أن يعد سفينتين مسلحتين من السفن الراسية بميناء روشفور لتنقلا نابليون بونابرت الى الولايات المتحدة الامريكية على أن تعود تلك السفينتان الى مقرهما عقب الانتهاء من مهمتهما مباشرة

« المادة الثانية — يوضع تحت تصرف نابليون بونابرت حرس بقيادة الجنرال بيكر يلازمه للمحافظة على شخصه حتى يغادر ميناء روشفور

« المادة الثالثة — لا يسمح للسفينتين بمغادرة الميناء قبل أن تصلهما جوازات السفر الرسمية باسم نابليون بونابرت ومن قد يرافقونه فى سفره »

ولا شك أن القارىء قد أدرك من ثنايا هذا القرار بوادر الغدر وبداية الاتجاه الذى كان فوشيه يوجه اليه مجرى الأمور ، وتبين أن الغرض من الحرس لم يكن مجرد المحافظة على شخص الأمبراطور وانما كان لمراقبته ولعدم تمكينه من الفرار ، وأن تحتيم بقاء السفن فى الميناء حتى تصلها جوازات السفر انما كان استبقاء لنابليون فى روشفور حتى تتم معدات القبض عليه . ولعل مؤامرة فوشيه تتكشف للقارىء بوضوح فى المكاتبات الآتية التى لا تذر شكا فى أن القبض على نابليون كان أمراً مبيتاً بين الحلفاء لا نتيجة ترتبت على سلوكه فى الأيام الأخيرة كما زعم الانجليز

كتاب من فوشيه الى وزير الحربية

« لقد تطورت الحوادث حتى باتت تقضى بأن يرحل نابليون بونابرت غداً الى روشفور تمهيداً لتنفيذ رغبته فى السفر الى أمريكا . فارجو أن تبلغوه ذلك عند تبليغ قرار الحكومة المؤقتة اليه . فاذا أبى الرحيل تعين على سعادتكم فى هذه الحالة أن تضعوه تحت مراقبة يقظة شديدة حتى لا يستطيع الفرار من قصر المالميزون . لذلك يحسن أن تجعلوا تحت إمرة الجنرال بكر كل القوى البوليسية والحربية التى يحتاج اليها لحراسة الطرق المؤدية الى القصر من جميع الجهات . ويحسن أن تبقى هذه التعليمات سرية جهد الامكان وأن تكلفوا الجنرال بيكر بتفهيم نابليون بونابرت أن قرار الحكومة هذا انما وضع لأغراض تقتضيها المصالح العليا للدولة بقدر ما تقتضيها مصلحته الشخصية ، وأن معاونته للحكومة فى تنفيذه أمر لابد منه وقد يفيده كثيراً عند البت فى مصيره ومستقبله »

كتاب من فوشيه الى وزير الحربية

« أرسل الى سعادتكم مع كتابى هذا صورة من الكتاب الذى وجهته الآن الى زميلى وزير البحرية خاصاً بنابليون بونابرت وستدركون سعادتكم من مجرد الاطلاع عليه وجوب إصدار الأوامر الدقيقة الى الجنرال بيكر بأن يلازم شخص نابليون وبأن لا يفترق عنه لحظة طوال مدة إقامته بالميناء »

كتاب من فوشيه الى وزير البحرية

« أتشرف بأن اذكر سعادتكم بالتعليمات التى عهدت بها الحكومة اليوم اليكم ، وبأن الفت نظركم الى وجوب تنفيذ قرار الحكومة تنفيذاً حرفياً مطابقاً للروح التى أملته والتى تقضى بأن يظل نابليون بونابرت مقيماً بالميناء حتى تصل اليه جوازات السفر . وانه لما يهم الحكومة الى أقصى حد أن لا يبرح الامبراطور السابق ميناء روشفور حتى يبت فى مصيره ومصير أسرته بتاً نهائياً . ويستحسن أن يعلم نابليون بونابرت أن الحكومة ستعمل جادة على أن تنهى المفاوضات الدائرة بشأنه الى نتيجة مرضية له ، وأن شرف فرنسا مرتبط ارتباطاً وثيقاً بهذه النتيجة .ولكن فى انتظار ما تسفر عنه تلك المفاوضات يجب المحافظة على شخصه محافظة تامة حتى لا يغادر المكان المقرر لاقامته المؤقتة . . . »

اذن هناك مفاوضات دائرة حول مصير الامبراطور ومصير أسرته ، ويجب أن يظل نابليون مقيماً بروشفور حتى تتم تلك المفاوضات ، واذن فالمراد من ترحيله عن باريس ابعاده عن الجيش الموالى له وحصره فى بلدة تسهل مراقبته فيها ، واذن فالحكومة المؤقتة غير جادة إذ

تقرر وضع سفينتين تحت أمره لتقلاه الى أمريكا ، وانما هى تدفع به الى الشراك المنصوب فى الميناء وبالاحرى تدفع به الى قبضة الانجليز

غادر نابليون قصر المالميزون الى روشفور وأمضى الليل فى دار المحافظة وقد أحاط الأهالى بها وقضوا السهرة يتظاهرون له ويهتفون بحياته . وفى الصباح عاد بعض زعماء الجيش فاتصلوا به مؤكدين ولاء الجنود له وتمسك الشعب بشخصه . واقترحوا عليه مرة أخرى ان يقود الجيش فيكتسح الحكومة المؤقتة والمجالس النيابية ويستأنف الحرب لطرد الحلفاء من فرنسا . ولكن الامبراطور كان مقتنعا بأن فى تضحيته تسهيلا لمفاوضات الصلح وبان فى الحرب الأهلية مع وجود العدو فى البلاد خطراً كبيراً على مصالح الوطن واستنزافاً لموارد القوة فيه . لذلك أعرض عن المقترحات والنصائح التى توجه بها اليه القواد والزعماء وأصر على انهاء حياته بعيدا عن عالم « الخيانة والجبن والنذالة »

وكان الأسطول الانجليزى يحاصر ميناء روشفور ويراقب مداخله ومخارجه فاوفد الامبراطور رسولا الى القبطان ميتلاند قائد البارجة بليروفون يسأله عن جوازات السفر ، فاجاب بانها لم تصله بعد وبانه من الآن الى أن تصل لا يسمح للامبراطور بمغادرة الميناء حتى ولا فوق ظهر سفينة محايدة إلا إذا كان يقصد الذهاب الى انجلترا فان الاسطول البريطانى فى هذه الحالة يرحب به ويضمن لجلالته أحسن انواع المعاملة

وبدأت الريب والشكوك تساور نابليون وداخله القلق من هذا البطء المدهش فى ارسال الجوازات ومن تدخل الأسطول الانجليزى فى أمور هى من أخص خصائص السياسة الفرنسية . فجعل يشاور رفاقه فى الامر ويفحص معهم فكرة الالتجاء الى انجلترا . وفى الغد أوفد اثنين من رجاله الى القبطان ميتلاند ليستكملا معه بحث الموضوع فافضى اليه القبطان بان لديه من التعليمات ما يسمح له بان يؤكد أن جلالة الامبراطور سيلقى فى انجلترا كل مظاهر الاجلال والرعاية الواجبة لمقامه السامى ، وأفاض فى أن انجلترا أول بلد فى العالم يكفل ويقدر حرية اللاجئين السياسيين ، وأن الحكومة البريطانية لا يمكن أن تنحرف عن أوليات قواعد الشرف والعدل والحرية التى يمليها الواجب فى مثل هذه الظروف ، وأن الشعب الانجليزى المشرب بروح العدالة والمبادىء الحرة لا يسمح لحكومته أن تسلك مسلكا آخر حيال عدو ألقى سلاحه وارتمى فى أحضانه ، وانه لمن الاهانة اكبر الأهانة لانجلترا حكومة وشعباً أن يساور جلالة الأمبراطور أى شك فى ذلك

وعاد نابليون فعقد مجلساً من أصحابه وقد أزف وقت البت فى الامر ووجب الوقوف عند رأى . فاستعرضوا المسألة من شتى نواحيها وعلى مختلف وجوهها وتبين لهم أن التفكير فى الفرار من الميناء على سفينة محايدة أو غير محايدة عبث مطلق . إذن فلم يبق إلا العودة الى باريس

ومعنى ذلك الحرب الأهلية ، أو قبـــول اقتراح القبطان ميتلاند والالتجاء الى انجلترا . وبعد الموازنة بين هذين الحلين انتهى الرأى الى الأخذ بالاخير منهما وقرر الامبراطور أن يقبل الضيافة الانجليزية المعروضة عليه وتناول القلم وكتب الى الأمير الوصى على عرش بريطانيا العظمى الكتاب الآتى :

« يا صاحب السمو الملكى . أما وقد ألفيت نفسى أمام الخلافات الداخلية التى تقسم بلادى وأمام عداوة الدول الأوربية العظمى المتألبة على ، فقد قررت انهاء حياتى السياسية واعتزال كل ما يتصل بالحياة العامة . لذلك رأيت أن أجىء الى انجلترا لأعيش فى وســط الشعب الانجليزى الكريم واضعاً نفسى تحت حماية قوانينه الحرة ، تلك الحماية التى أنشدها من سموكم الملكى بصفتكم أقوى أعدائى وأقدمهم خصومة وأكرمهم نفساً » نابليون

وفى صباح اليوم التالى صعد الامبراطور الى ظهر السفينة بليروفون وقال لقبطانها وهو يضع قدمه على السلم : « إنى أركب سفينتك لأضع نفسى تحت حماية القوانين الانجليزية عالماً أن الشعب البريطانى سيقدر هذه الثقة التى يضعها فيه عدو قديم »

وعود انجليزية . . .

أقلعت السفينة بليروفون من روشفور قاصدة ميناء بليموث وكان التفاؤل يسود ركابها وقد ارتاح نابليون الى الحل الذى وصـــل اليه فبات يرتب حياته الجديدة ويفكر فى مستقبله القريب . ولكن لشد ما كانت دهشته عند ما وصلت السفينة الى بليموث واستفاضت بين الركاب إشاعة بأن هناك سفينة أخرى كبيرة قد أعدت لنقل الامبراطور وحاشيته الى جهة غير معلومة . لم يشأ نابليون أول الأمر أن يصدق ما يقال واعتبره ارجافاً لا أصل له وظل واثقاً من تأكيدات القبطان ميتلاند حتى كان صباح اليوم التالى فقضى اليقين على الشك وصعد الى ظهر السفينة مستر بانبرى الوزير الانجليزى ومعه الاميرال لورد كيث وطلبا الاختلاء بالامبراطور ثم أبلغاه قراراً من الحكومة البريطانية يقضى بالقبض عليه وبترحيله منفياً الى جزيرة القديسة هيلانة وأطلعاه على التبليغ الرسمى الصادر الى لورد كيث فى هذا الشأن . وهذا نصه :

« حضرة صاحب السعادة لورد كيث . بما أنه من المستحسن أن يعلم الجنرال بونابرت من الآن نيات الحكومة البريطانية نحوه ، فنرجو من سعادتكم تبليغه ما يأتى :

« ١ ـ بما أنه ليس مما يتفق مع واجباتنا نحو بلادنا وحلفائنا أن يستبقى الجنرال بونابرت فى يديه وسائل العودة الى تعكير صفو السلام فى أوربا ، فقد أصبح من المتعين الذى لا مندوحة عنه الحد من حريته الشخصية بالقدر الكافى لتحقيق هذا الغرض

« ٢ ـ قد اختيرت جزيرة القديسة هيلانة مقاماً له نظراً لطيب مناخها ولأن موقعها يسمح

بمعاملته معاملة لا تسمح بمثلها إقامته فى أية جهة اخرى . وذلك مراعاة للاحتياطات الواجب اتخاذها للمحافظة على شخصه

« ٣ - يسمح للجنرال بونابرت أن يختار من بين الاشخاص الذين رافقوه الى انجلترا ثلاثة ضباط يصرح لهم ولطبيبه الخاص بمصاحبته الى سانت هيلانة على أن يكون مفهوماً لديهم أن لن يصرح لأحد منهم بمغادرتها إلا باذن خاص من الحكومة البريطانية

« ٤ - على الاميرال سير جورج كوكبرن المعين حاكما لمستعمرة الرجاء الصالح وما جاورها من البحار أن يتولى ترحيل الجنرال بونابرت وحاشيته الى جزيرة القديسة هيلانة وفقاً للتعليمات التي تصدر اليه من الجهات المختصة

« ٥ - بما ان الاميرال سير جورج كوكبرن سيسافر قريباً الى مقر منصبه فيحسن بالجنرال بونابرت أن يبادر الى تعيين الاشخاص الذين يختارهم لمرافقته الى مقامه الجديد »

عندئذ أدرك نابليون أنه وقع فى الفخ وتبينت أمامه حقيقة المؤامرة التى دبرت لاصطياده فتناول القلم ورد على التبليغ البريطانى بهذا الاحتجاج :

« إنى أحتج أمام الله والناس على الظلم الصارخ الواقع بى وعلى امتهان حقوقى المقدسة . فلقد عمدت الحكومة البريطانية الى وسائل ينكرها العرف والشرف للاستيلاء على شخصى والحد من حريتى مع كونى لست سجيناً ولا أسير حرب . انما انا ضيف انجلترا وفدت اليها بمحض إرادتى وعملا بنصيحة أسديتها إلى بلسان أحد قباطينها وابلغنى معها حسن استعدادها لأكرام وفادتى وقبولى مع حاشيتى ضيوفاً لديها . ولقد وثقت بهذا الوعد وجئت لأضع شخصى تحت حماية القوانين الانجليزية السمحة واعتبرت نفسى فى أرض انجليزية بمجرد ركوب السفينة بليروفون . فاذا كانت الحكومة البريطانية قد أوعزت الى قبطانها أن يبلغنى ما أبلغنيه وهى تضمر الايقاع بى ، فهى قد انحرفت عن مبادىء الشرف وأهانت الراية الانجليزية أشد الاهانة . واذا تنفذ هذا الظلم وأصبح أمراً واقعاً فمن العبث أن يتحدث الانجليز بعد اليوم عن شرفهم وسماحة قوانينهم وعن تقديسهم لمبادىء العدل والحرية ، لأن الكرامة البريطانية والشرف البريطانى قد عدما فى هذا الغدر وتلاشيا فيه . وانى أضع مسألتى أمام التاريخ واثقاً أنه سيحكم بانى وأنا عدو انجلترا منعشرين سنة قد ألجأتنى مصائبى اليها طالباً حمايتها ومعتمداً على شرفها وكرمها ، فكان جوابها على هذه الثقة انها تظاهرت بمد يد الضيافة إلىّ فلما مددت اليها يد القبول والشكر قضت على شخصى وحريتى ومستقبلى »

نابليون

ولكن هذا الاحتجاج ذهب صرخة فى بحر ففى اليوم السابع من شهر أغسطس أقلعت السفينة نورثمبرلند تقل الى منفاه الرجل الذى أراد أن يجلس على عرش العالم ، فابى الله إلا أن يموت فوق صخرة سانت هيلانة

حسن الشريف

حظ الطاووس

بقلم الدكتور احمد زكى ابو شادى

[جرى العرف بين الناس على التشاؤم من الطاووس وذم صوته ، فوجه الشاعر هذه الأبيات الى طاووسه المحبوب وقد لج الشاكون منه]

يا صديقي ! أعد كذاك البيانا ... أنت حر فحرر الفنانا !
ألقها صيحة من الشجن الفا ... لى مذيباً بلحنها الالوانا
أنا تلميذك الوفي فعلمـ ... ـنى وجلجل تحدياً وافتنانا
جهل النـاس ما تقول وقـدماً ... جهل المرء نده الانسانا
ليس بدعاً إذا تجنوا وقالوا : ... «قد دهانا من صوته ما دهانا !»
يرتضون الحمير تنهق والكلـ ... ـب يعوي بنبحه أزمانا
ويعيبون صـوتك الموقظ الحـ ... ـن نداء من التلهف كانا
لهفة الحب ماؤه سـاذجاً حلـ ... ـواً فأصغى له الهوى اطمئنانا
ليت شعري : فيم التشاؤم ياصا ... ح وأنت الذي تزين الجنانا
يا لجهل الانام بالحسن كم عا ... بوا وعابوا ماليس سحرا يدانى
ظلموا الببغاء ! إنهمو أو ... لى بأوصافه وأشجى هوانا
في مديد الاجيال لم ينصفوا الفـ ... ـن ولو جاء ينصف الأديانا
وتعادوا حتى الطيور به تشـ ... ـتمى ! فآه ، ما أبأس الفنانا !

احمد زكى ابو شادى

الانسان الآفاق
بين آفاق المادة وآفاق الفكر

بقلم الاستاذ اديب عباسي

تتصرم الايام وتتبدل ، ونحن ما نزال نتغير ونبدل . ولكن لهذا التغيير والتبديل مهما لاقينا فيه من فشل في بعض الاحيان ، هو سر تقدم النوع البشري. فلو لم يكن الانسان جواب آفاق بطبعه لعاش آلاف السنين على حالة واحدة . أو لعاش منذ القدم في طور التوحش حتى الآن ، ولكن هذه الغريزة هي التي تدفعه الى التجديد والتقدم على نحو ما ترى في هذا المقال

وليس الوصف هنا وصف تخصيص بل وصف إطلاق . والافاق أو الافقي لغة هو المرء لا يطيب له المقام ولا يطيق اللبث الدائم ولا يستمرىء الاستقرار في موطن واحد يوطنه و يفيء اليه العمر كله . فهو إذن بطبعه جواب آفاق دائم النقلة والارتحال يودع أفقاً قديماً ليستقبل آخر جديداً كأنه « موكل بفضاء الله يذرعه » كما شاء ابن زريق أن يتفجع على نفسه

على أن فضاء الله هنا لا يقتصر ـ كما أراد ابن رزيق ـ على آفاق المادة وفضائها ، ولا ينحصر بامتداد المكان وانفساحه ، بل هو الى ذلك يشمل آفاق الفكر ورحاب العاطفة في بسطتها واتساعها . وهذا التوسع منا في استعمال اللفظ وبسطه على آفاق المادة والحياة معاً هو الذي يبيح لنا صرف النظر من أول الأمر إلى معنى الأطلاق في بحثنا هذا . فالواقع الذي يهدى اليه البحث ولا تنكره الخبرة أننا جميعاً أفاقون محبون للنقلة والتغيير لا نستطيب المقام قيام دوام في بقعة من بقاع الدنيا مهما يكن فعلها الأول في القدرة على الأسر . ثم كذلك نحن لا نطيق اللبث لبثاً دائماً ضمن أفق واحد من آفاق الفكر أو العاطفة مهما يكن خلوه وخلوصه من بواعث التنغيص ودواعي الاستثارة . وليس في الناس من يستطيع أن يمضى العمر دون أن يراوده شوق عنيف أو خفيف ، وتخامره رغبات ملحة أو وادعة الى حب الانتقال والتسييح في آفاق المادة أو الفكر أو كليهما معاً . فترى أفاق الموطن والسكن الذى يجعل من العالم كله وطناً واحداً يرتاد بقاعه ويطوف أرجاءه تارة باسم العلم وأخرى باسم المتعة وآناً لتفريج الهم وحيناً لا بهذا ولا بذاك من الأسباب والعلل . وأنت واجد كذلك بين الناس هذا الذى لا يقيم على مبدأ ولا يستقر على عقيدة ، فيصرف العمر طويله أو قصيره متذوقاً متشهياً للمبادىء والعقائد دائم الفتون بجديدها كثير العداء لقديمها ، وهكذا يمضى العمر كله بين هوى قديم يتصرم وهوى

جديد يتضرم . ثم أنت واجد من الناس المحب على طريقة النحل من ارتياد الزهرة بعد الزهرة من زهرات الحب ، فلا يكاد يترشف الأرى من إحداها حتى يغادرها الى غيرها . وأبطال هذا الصنف من الحب اكثر من أن يحصوا منهم المغمور الذى يدور دورته ويجول جولته فى الحياة ثم يمضى لا يحفله أحد ، ومنهم الأعلام المتميزون كشلى وبيرون وكازانوفا وجيت وعمر بن أبى ربيعة وازادورا دنكان ومن شئت خلافهم من اصحاب المعد القوية فى الحب ممن كان التسبيح فى آفاق الحب والضرب فى أرجائه شاغلهم الأكبر وهمهم الأهم . كذلك من الناس من يفنى العمر مداولا المهن إن كانت هذه المهن يسهل تغييرها أو هو يمضى الحياة ناقماً متكرهاً إن كانت طبيعة العمل نفسه أو طبيعة الظروف تصعب عليه التغيير

وقد تسأل : هل معنى ما أسلفنا أننا جميعاً أفاقون تتصرم الحياة ويتقاصر العمر ونحن ماننفأ نغير ونبدل ونداول بين الرغائب والأعمال دون أن يستقر لنا قرار حيـالها ؟ نعم هو ذاك ! وإن أبيت وتشككت فارجع الى نفسك قليلا واخلص مخلصاً ، ثم لتقل بعدها أمن اتباع الأهواء المقرة الفذة والآمال الوحيدة واللذائذ المتشابهة أنت ، أم أنت على العكس ، طالب جدة وساع الى تبديل فى جميع مراحل الحياة . إن التغيير يحل بالفعل ليس شرطاً أساسيا لتصح نسبة هذا الميل الى الانسان نسبة مطلقة ، إذ يكفى أن ينوى المرء التغيير أو يتمناه أو يسعى اليه سواء أنجح فى مسعاه أم فشل . فاذا صرفنا الذهن ووجهنا الكلام فى الآفاقية الى هـذه المعانى فلن يبقى من يستطيع أن يتنصل من تهمة الآفاقية مهما يكن حظه من الجمود

بيد أنه ينبغى التنبيه الى أن حظوظ الناس وأنصبتهم من هذا الميل جد مختلفة . فمن الناس من تراه لا يستقر الى وضع من الأوضاع ولا يستكين الى حال من الاحوال ، ولا ترى منه إلا نقمة عامة شاملة على الحياة يود لو أطبقت الاكوان بعضها على بعض وغاضت من امام عينيه جميع أسباب التنغيص وبواعث النقمة على مبدأ شمشون الجبار . ومن الناس من ترضيه نواح من الحياة وتقض مضجعه نواح أخرى ، فينوى التغيير هنا ويتمنى البقاء هناك . إلا أننا نستطيع التقرير أن شخصاً واحداً لا يخلو خلواً مطلقاً من هذا الميل فى لون من ألوانه المختلفة المتباينة

أما هذا الاختلاف فى أنصبة الاشخاص من هذا الميل فراجع الى جملة أسباب : منها السن ، ومنها طبيعة العمل الذى يمارسه المرء ، ومنها أحوال المحيط ومنها طبيعة الافراد انفسهم وخلاف هذا من الفروق . فالشبان والاحداث على الاجمال اكثر استجابة لدواعى هذا الميـل وأفطن لممارسته من الكهول والشيوخ . وذلك لما رزقه الشبان من خيال مرح وثاب لا يقف عند حد من حدود المعنى ولا يتلكأ عند أمل فذ من الآمال . ومن هنا هذه السلطة القاهرة لاخبار المغامرات والفتوح والاكتشافات على عقول الاحداث والشبان . ولعل ميل الشبان الى الطيران فى جميع انحاء العالم ميلا عنيفاً هو استجابة لدواعى هذه الرغبة المستحكمة فى نفوس الفتيان .

اما الشيخ فقلما يكون أمالا مسرف المطامح ، لهذا هو إجمالا راض عن حياته ، وإن يكن رضى العجز لا رضى الاختيار . وانت قلما تجد امرءاً اعتلت به السن يحاول أن يغير عمله ، وان حاولها فانما فى غير جد وعلى غير نية اكيدة من التغيير ، فيكتفى أن يروز قوته روزة واحدة أو روزتين ليتبين أباقية من الشباب فيه بقية أم هو قد خلف الشباب إلى غير إياب . ومن هنا تجد الشيوخ على الاجمال يعالجون المباحث والاعمال التى تحتاج الى الجلد وتجد الشبان ينصرفون إجمالا الى المباحث التى تحتاج الى ومضات العبقرية . ومن هنا كانت الرسالات العظيمة والفتوح الخالدة من نصيب الشبان دون الشيوخ ، وكانت مباحث العلم الجافة — على الاجمال — من نصيب الشيوخ . وينجح الشبان فى مجالهم كما ينجح الشيوخ فى مجالهم ، وان يكن يحدث كثير من التداخل بين مجال هؤلاء وأولئك . فليس نادراً أن ترى الشباب يكب على البحث كالشيوخ المتزنين ، كما ترى من الشيوخ من يتكل فى عمله على ومضات العبقرية فعل الشبان المندفعين ، كما قد ترى من الجانبين من يمزج بين الخطتين ، فيكون من هذا المزج العالم الفنان والموسيقى الفيلسوف والطبيب الأديب وخلاف هذه من ضروب الازدواج أو ما هو فوق الازدواج فى نواحي العلم والفن والعمل

أما البيئة فأثرها فى هذا التباين واضح ملموس . والواقع أن من البيئات ما يساعد على التوجيه المبكر للافراد ، فيتخذون عملا ملائماً لهم فى سن متقدمة ، ومنها ما يذهب بشطر من عمر الفتى دون أن يتبين أين تتجه ميوله ، فيذهب أحسن الشطرين من عمره وهو بين تبديل وتغيير ليتبين فى النهاية أهواءه ويقف على ملكاته فى أحسن ممكناتها . والاتجاه القوى الآن فى معاهد التربية الى تقصى ميول الصغار وفحص ملكاتهم وقواهم فى سن باكرة جداً انما هو لتقليل هذه الجهود فى سبيل الاهتداء الى خير الاعمال ملاءمة لهم

وأما اختلاف الامزجة والطباع بين الناس وأثره فى توزيع هذا الميل فهو أن من الناس الملول أو شديد الحس الذى لا يحتمل منغصات العمل مهما تكن ضئيلة ولا يطيق ضغط الحوادث سواء اكانت الى انتهاء أم الى دوام . فتراه دائم الهروب من وجهها شديد الحرص أن لا يتصدى لها . ولكنه برغم ذلك لا ينتهى الى حالة نهائية من الاستقرار ، لان العلة فى أغلب الاحيان علة داخلة تسير معه أينما سار وهى الزم له من ظله ، فلا يمكنه أن يشذوها مهما جد فى الهرب وأمعن فى الاحتيال . وعلى نقيض هؤلاء تجد من يستطيع أن يحتمل الى اقصى حدود الاحتمال ويصبر الى أبعد آماد الصبر ، وهو ، مع ذلك ، لايبدى تذمراً ولا يضج بشكوى

والجنس كذلك بين الاثر فى توزيع هذا الميل . فالمرأة على الاجمال اقل ميلا الى التبديل والتحول من الرجل . ومن هنا قلما تجد الافاقة الى حدود الاسراف من النساء . وقلما تجد الملحدة كذلك أو الخارجة خروجاً مستقلا على مبدأ من المبادىء العامة . ولم يذكر لنا التاريخ

على سبيل الجد نية واحدة أو مصلحة واحدة . وذلك ان المرأة أخضع للواقع من الرجل ولا تستهويها الآفاق الجديدة والنظريات المبتدعة والعوالم الخفية التى لم يرتدها الطرف بعد . فالمرأة على الاجمال تمثل عنصر المحافظة بينا الرجل يمثل عنصر الثورة والهدم . والمرأة بطبيعتها مسالمة تأبى التصدى للحوادث ومصادمة الخطوب ، بطبيعة تكوينها الانثوى وما حرمته من الظروف التى تعدها الحياة للرجل كل يوم ليروض على حديدها عواطف القتال والمغامرة . وقد تقول : والازياء وجنون المرأة حيالها اين موقعها من هذا الحديث وهذه الفلسفة إن صح انها فلسفة ؟!

الازياء ايضاً ليست دليلا اكيداً على استقلال المرأة وشجاعتها . وهل كان زى أو هل حاولت المرأة زياً إلا وهى على يقين من ان رغبة الرجل القصية ملتقية هى وهذا الزى الذى تبتدع على صلح باطن ، وان كان فى كثير من الاحيان يثير كثيراً من الجلبة والصخب المصطنعين؟ الاثواب القصيرة والشعور المجموعة والالبسة اللاصقة بالجسم المبرزة لمحاسنه وتقاطيعه ، اليست هذه وغيرها نتيجة لرغبة الرجل الحديثة فى زيادة التمتع بمحاسن المرأة ؟! قد تقول خلاف هذا وتلتمس التعليل على أساس آخر . أما أنا فلا اقول خلاف هذا الى ان يقوم من يقنعنى بنقضه

وبعد هذا البيان الوجيز لبعض مظاهر هذا الميل النسبية والمطلقة قد يعن للقارىء أن يسأل: ما طبيعة هذا الميل وما دوافع ظهوره وهل من تعليل موحد يعلل جميع ظواهره ؟ والجواب يختلف باختلاف المدرسة التى ينتمى اليها المجيب . فالرمزيون من علماء النفس يحاولون ان يفسروا هذا الميل بأنه استمرار لهذه الرغبة تبدو فى الطفولة قوية واضحة للوصول الى الافق ورؤية ماوراءه من أشياء ومباهج يتصورونها ويقعدهم العجز عن رؤيتها

وقد يكون الافق وما وراء الافق وقد يكون القمر وخلاف القمر من اجرام السماء من بواعث تغذية هذا الميل وتوكيده فى الافراد . ولكن ما لاشك فيه ان وراء الافق ووراء القمر غريزة قوية او غريزتين تعملان عملا دائماً متصلا فى حياة الطفل فتجعلانه يصرخ فى طلب القمر والوصول الى الافق وخلاف الافق من الاشياء التى تتصباه ، ويقعد به العجز او الاستحالة عن الوصول اليها او الدنو منها ، وهما غريزتا الاستغراب وحب الملك ، وشأنهما معروف فى حياة الطفل وتكييف سلوكه

وثم من يشير الى تعليل آخر وهو أن هذا الميل قد يمكن تفسير بعض مظاهره بالرجوع إلى حياة الانسان القديم فى عهد الصيد حينما كان يرتاد البقاع ويضرب فى الآفاق فى طلب القوت والصيد ، بينا تظل المرأة قائمة على حراسة الصغار لا تبرح مكانها إلا عند أقصى الضرورة . وهم على هذا الأساس يعللون الاختلاف البادى فى نصيب المرأة والرجل من هذا الميل

وقد لا ينكر أن ذكريات الصيد القديمة محمولة فى مطاوى الذاكرة البيولوجية فى الانسان قد تكون هى السبب أو بعض السبب . ولكننا نعود ونقول ان الميل الى الصيد هو ميل مشتق

غير أصيل وهو يرجع فى أصله الى عدد من الغرائز كغريزة جلب القوت وغريزة الاستغراب وتلذذ المفاجأة، وكغريزتى القتال والمقاومة تثيرهما الحيوانات بالمقاومة السلبية أو الموجبة

وقد يلتمس التعليل أو بعض التعليل عند غرائز أخرى. ولكن ما من شك أنه يصعب بل يكاد يستحيل ارجاع جميع مظاهر هذا الميل الى غرائز خاصة من الغرائز الانسانية. والواقع أن جميع الغرائز الانسانية لها آثار تختلف شدة وليونة فى ابراز هذا الميل حسب الظروف المختلفة والأحوال المتباينة التى تحيط بالأفراد. أما إذا شئنا أن نرد جميع مظاهر هذا الميل الى علة واحدة مبسطة، فليس أمامنا إلا مبدأ اللذة القديم. وهو على كل حال وبرغم جميع الانتقادات التى وجهت اليه مبدأ الحياة الاكبر ورائد الحياة فيما تسعى له وتقصده من أمور شاعرة فيما تسعى له وتقصد ام فى غير شعور. ولما كانت اللذة لا يمكن أن تدوم قوية آسرة مثل أول ما تباشر اسبابها كان السأم والفتور من نصيب الأحياء فيما تباشره من اسباب اللذة، وكان محتوماً عليها ان تسعى الى المزيد مما هى فيه أو تسعى الى التغيير والتحول الى نواح اخرى من اسباب الاستمتاع. وقد فطن شوبنهور الى هذه الحقيقة كما فطن اليها غيره، فقال فى قول من اقواله التى لا يسع المرء إلا أن يقف عندها طويلا: «ان فى كل امرئ عنصراً يكرهه على العمل الذى يعمل ويجعله يتمنى لو يتاح له ان يسير فى ناحية بعيدة كل البعد عما يمارس من عمل»

وقد تقول: إن صحت هذه النظرة فليس على الارض من هو راض عن حيـــاته رضى شاملا، ولكن هل نستطيع ان ننكر ان من الناس من هم سعداء حقاً لا يبدو منهم ما يدل على أن ثم شيئاً ينغص عليهم اسباب اللذة ويسلبهم شيئاً من أسباب النعيم والسعادة؟ أما أنه ليس على الحياة من هو راض عن الحياة فلا نشك فيه، وأما أن من الناس من هو راض عن حياته رضى شاملا فيكفى أن تسمع هؤلاء الراضين الناعمين فى زعمك يتحدثون بحرية وفى غير حذر فيما يرجون ويؤملون فتشعر انهم كباقى الناس طلباً فى المزيد واستشرافاً الى المستقبل. وقد تغر الرائى بعض مظاهر السعادة فى نفر من الناس، ولكن مما لاشك فيه أن بين السعادة وظاهر السعادة، فى كثير من الاحوال فرقاً عظيماً. فالسعيد - ان كان فى الناس السعيد - هو غير «المتساعد»

هذا هو أساس الافقية فى معناها الاعم. وتلك مظاهرها مجملة. أما آثارها فهى على شطرين شطر الخير والربح وشطر الشر والخسران. اما الخير فهو ان الحياة كانت تمسى مستنقعاً آسنا يعج بالحشرات والمكروبات الوبيلة، وكان التقدم يضحى استحالة مؤكدة لو ان الله برأ الانسان قنوعا مكتفيا لا تستهويه الآفاق البعيدة ولا يمل ما بين يديه من متعة فيسعى الى بديلها، وفى هذا السعى يرتفع ويرفع معه أشياء. واما جانب الخسران ففى هذه التجارب والجهود يفشل شطر وافر منها فى سبيل الرغائب البعيدة والمنى المستحيلة. بيد ان هذا هو سبيل التقدم وطريق النشوء والعمران لا ربح فيه إلا بثمن ولا ارتفاع إلا بتضحية

اديب عباسي

المقامات العباسية

المقامة الاغريقية

بقلم الاستاذ سامى الجريدينى

نشرت الهلال في أعداد ماضية بضع مقالات قيمة تحت هذا العنوان للاستاذ سامي الجريديني تتضمن ذكريات ممتعة وخطرات طريفة باسلوب أدبي يتمشى مع الاسلوب الحديث ، وان كان يشارك القديم في العنوان ، وهذه هي المقامة التاسعة ، وفيها يتحدث عن رحلته في بلاد الاغريق ويلقي على ماضيها وحاضرها نظرة فلسفية اجتماعية

وعاد عباس يحدث عن نفسه قال :

كانت لى أمنية بارزة على الامانى كلها هى أن أزور البلاد الاوربية سائحا أستمتع فيها بكل مافاتنى أثناء الاقامة الدراسية

وكنت لا أعلم أين ابدأ بهذه السياحة فقد كانت الرغبة شديدة حادة واسعة وكان الوقت أضيق من أن يتسع لها فى رحلة صيف واحد أو صيفين

ولم أعرف — ولا أعرف حتى الساعة — السر فى غرامى بالبلاد الاوربية وأنا الغريب عن شعوبها فى كل شيء يمت الى الدم أو الجنس أو الارض بسبب ، وأنا فوق ذلك ذو كبرياء تأبى أن تعترف بتفوق لأوربى على شرقى . فاذا ما رجعت الى قرارة نفسى وجدت السر فى هذا الاعتراف الضمنى بوحيه ما تبرزه الطبيعة فى ابن آدم من حب الانصاف والرجوع الى أحكام العقل إذا خلا الى تعقله وخلع عنه رداء التعصب والتمسك بالوهم القاتل

وقد أجد السر فيما يزعمه آباء لى وأجداد إذ يرجعون أصلنا الى أحد هؤلاء الصليبيين جاءوا بدافع الغيرة الدينية أو حب الغزو أو خوف الفقر يحاربون دون قبر حرم صاحبه القتال وأبى أن يدفع عن نفسه التهمة عند ما سيق للقتل

وكأن هذا الجد الاعلى استمرأ المرعى الشرقى فأقام بالصحراء وأذابته العيون النجل فاعقب نسلا استعرب فيمن استعرب من الشعوب غير العرباء حتى صارت العربية وقفاً عليهم أو كادت

على أنى لست من المؤمنين بعامل الوراثة ولست من المصدقين لما يقال فى العالم الجغرافى أيضاً سبباً يسوقونه فى تكوين الناس وجعلهم أمماً متحاربه . ولكننى أومن بالامر الواقع تحت سمعى وبصرى لا أستطيع تعليله ولا يستطيع سواى لو أنصف له تعليلا

وهذا الامر الواقع هو أن فى السموات والارض أسراراً لا تسعها فلسفتنا ونتائج لعلل لا تدركها حكمتنا (راجع شكسبير فى هاملت)

لذلك اتخذت الجهل صديقاً والتطلع إلى المشاهدة حافزاً على التنقل . وجردت نفسى طاقتها من التحيز لرأى موروث أو فكرة مبثوثة بعاملى الدين والجنس . فقلت أوربا قصدى واليها المسير

وأرجو من القارىء أن لا يسألنى تعيينا للزمن الذى أسوق فيه حديثنا من الأحاديث إلا ماأتعمد أنا ذكره . ولا أقول ذلك طمعا فى حمل الحقيقة على الالتواء بل كتمانا لامور لا أملك افشاءها

فأقلمنا ـ محمود صديق وأنا ـ فى ليل اشتد حره وتوسط السماء قمره فى سفينة رومانية تمخر ما بين الاسكندرية وبيريه

فلما حاذينا الجزر اليونانية ثارت علينا ريح عاتية كادت تقتلع السفينة وتزجها الى الصخور زجا . وكان ربان السفينة من هؤلاء الرومانيين سكان بخارست يضحك لكل شىء ولا يفقه شيئا . فكنا إذا سألناه عن موضع الخطر أو مقداره نفى الامر ولجأ إلى زجاجة من خمرهم تضيع صواب ذى العقل الراجح فكيف بمن لا عقل له . وأدرك الربان الثانى ما فى هذه الحال من مجازفة بحياة السفر فاحتال على رئيسه وأدخله دسكرته وأوصد دونه الباب وتولى هو قيادة الفلك حتى دخلنا بيريه . ونسى محمود شيئاً غير قليل من متاعه فى السفينة ونسينا نحن كلانا أن نحمد الله الذى لا يحمد على مكروه سواه

وقدمنا اثينا عاصمة الاغريق اليوم ومهبط حكمتهم فيما مضى وصعدنا الى الا كروبول أو ما بقى منه بعد أن أعملت الهدم فى أنحائه دولة الرومان مرة والنصرانية فى بدء أيامها مرة والترك مراراً وتكراراً

☆ ☆ ☆

ماذا تثير بلاد الاغريق بالزائر ؟ وما وقع ما يحفظه من تاريخها القديم على النفس عند ما يشاهد حاضرها ويقارن

أيصدق الماضى أم يكذب الحاضر . وهل من صلة بين ذاك وهذا . وأين أثرها ؟

أأغريق هوميروس هؤلاء الاقزام الذين يحتالون عليك فى بيريه ويحسنون اليك زيارة أثينا ولكل منهم أجر لاتعرف القاعدة فى فرضه إلا ما أوحاه الطمع والفقر . أم ولد أفلاطون هذا النسل المرتدى الثياب الافرنجية لا يتقن وضعها ولا يحمل من آثار سقراط إلا أسماء يدعون بها أولادهم من دون الاسماء المعقولة

☆ ☆ ☆

ولكن للاغريق سحراً لاينجو من الرضوخ له إلا من هرب من ثقافة الماضى وحضارة الحاضر للاغريق وطأة على عقل الرجل المهذب لا يعرف لذتها إلا من عاناها ولا إخالها إلا اعترافا

بالجميل يؤديه الاديب المثقف لرجال العقل الاقدمين بما أوحوا الينا من آيات الجمال فى فنون الشعر والفلسفة والنحت. فالدين الذى فى أعناقنا لمن تقدمنا من الكتاب والشعراء لا نستطيع وفاءه مهما نحاول. فهم أصدقاؤنا الاوفياء تعزيتنا فى الحزن وتسليتنا فى الوحدة ملؤوا عقولنا صوراً استلذذنا بها الحياة وشحذوا خيالنا وساقونا الى تصورات تنسينا مشاق المادة وترفعنا الى أعالى جبال الاولمب حيث تسكن الآلهة وحيث لا يدنو صعاليك البشر

وقد مر عليهم الدهر وأمعن فى القدم فصقل وهذب من أقدارهم ولم ينقص من حبهم. ذلك بأن اختلاف النهار والليل يذهب بالجسد ويبقى على الروح. يذهب بصورة الكاتب الجسدية وما يلصق بها من حسد أو نفاق أو أسفاف فى الخلق ويبقى أثره على صفحات الكتاب مجردة عن هيكله فلا يبقى الا نوراً يضيء لنا الظلام وعونا على كر الايام

ومن منا، نحن الذين أخذنا بقليل أو كثير من الحظ فى الدرس، لايذكر أيام صباه إذ كان يلهو بالكتاب ويلعب ويقرأ القصص ويطرب. ومن ينسى أيام شبابه والكتاب ملجأ حبه ومعجم عواطفه ينشد مع الشاعر قصائد الحب والمجد ويقرأ مع الكاتب آيات التجرد الذهنى؟

ومن يخلو الى نفسه أو يرحل عن دياره غير مستصحب خير أنيس وأصدق جليس

كلما أخلقته جددنى وكسانى من حلى الفضل ثياباً

فالكتاب جرد عظماء العقل من هياكلهم الآدمية وتركهم لنا أبطالا يتحكمون فى كل ما تملك من حس وشعور وتعقل — فهم دون سواهم ملوك الارض الخالدون. ومن أولى من رجال الاغريق الاقدمين بهذا؟

فقد حلقوا بأدبهم وفلسفتهم الى أبعد ما وصل اليه الذهن الانسانى حتى الساعة، فكانوا مثر العصور التالية فى الشعر والقصص والفلسفة، دع عنك ضروبا أخر من الفنون الجميلة

* * *

على أنه يحق لنا نحن أبناء هذا الجيل الموسوم بسمة العلم الطبيعى أن نتساءل قائلين: ماذا أفاد العالم من الفلسفة اليونانية ومن لاهوتهم الادبى، والى الفائدة العلمية الحقيقية الخليقة بالاسم نرمى ونقصد؟

فكل فلسفة لا يكون الغرض منها اسعاد البشرية اسعاداً ماديا وتهيئة أسباب المتاع الدنيوى ليست بفلسفة منتجة

صحيح أن الفلسفة اليونانية — وسيدها أفلاطون — هذبت العقل البشرى وصقلته ولكنها أبعدته عن أسباب السعادة فى طريق الحياة الشاق

فانا اذا حكمنا على الشجرة بثمارها لا بأزهارها وورقها، حق على الفلسفة الاغريقية القول بأنها أهملت الأثمار واكتفت بالورق والازهار

ففيلسوف الاغريق اغرق فى شحذ الذهن وبالغ فى التصور العقلى فرمى الى رفع ابن آدم الى

مصاف الآلهة بما سن من دستور حكمة وقانون خلقي سام ، ولـكنه تناسي ان هذا المخلوق انسان وانه سيظل انسانا تخالطه اسباب الشقاء ، فاهمل النظر الى هذه الاسباب . وجد فى أن يجعل الادمي فكراً مجرداً ليس من لحم ودم

فالمريض ماذا ينفعه التجرد عن الارضيات والتحليق فى جو من الفكر المجرد يستلذه عقله المهذب ، مادام موجع الجسم أولى بسكين جراح أو علاج آس يخفف الالم ؟

ويصح القول بعبارة أخرى ان فلاسفة اليونان جروا وراء العقل مجرداً عن الجسد فضاعت على البشرية سعادتها الحقة

وظلت الحال على هذا المنوال سنين هذا عدد مئاتها الى أن أتيح لابناء الحضارة الحديثة أن يتجهوا إلى غير ذلك الاتجاه

وإذا أخذنا بما يقوله اللورد ما كولى فى كتابه عن الفيلسوف با كون ـ ولا مفر لنا من ذلك ان انصفنا ـ كان الفضل فى تحويل الفلسفة اليونانية الخيالية الافلاطونية إلى علم طبيعى يرتكز على الواقع ـ كله أو جله ـ لبا كون هذا ثم لمن عقبه من رجال العلم فى أوربا

فخطا العلم فى مئات قليلة من السنين خطوات لم يعرفها الاقدمون اذ نزل عن عرش الخياليات والذهنيات الى ارض يسكنها آدميون . فصرف جهده فى تلمس حال الانسان كما هو لا كما يجب أن يكون . فداواه فى مرضه وقرب له سبل الاقامة والرحيل وألبسه وأطعمه وسقاه عسى أن يجعل منه بالتدريج رجلا أصلح منه الآن فى غابر الايام ، ولم يقنع بالـكلام البليغ والخيال السامى فى رفع جسد قذر الى مستوى عال . فعرف العالم اليوم طريقه واتجه الى ناحية العلوم الطبيعية يهتدى بهديها ولا يقنع . فالاغريق الذين اتقنوا الفلسفة واللاهوت حتى أتت بأبلغ ما كتب وافصح مانطق به ، لم يخدموا البشر الخدمة التى اداها لهم أمثال با كون ونيوتن وباستور ومن اليهم

فالفلسفة اليونانية قامت على تهذيب الملـكات النفسية والعقلية ، وأما البا كونية (وهى الحديثة) فعلى الفائدة العملية فى خدمة النوع الانسانى

الأولى أدت الى اللاهوت والثانية الى مانراه الآن من الا كتشافات العلمية

الفلسفة اليونانية تركت المفيد وتعلقت بالخيال والجمال على اسمى مظاهرهما ، فكانت النتيجة براعة كلامية وتحكيم للعاطفة على الاسلوب العلمى الحديث

والقول بأن ماسطروه من فلسفة ودرس فى الاخلاق يرفع المستوى العقلى فيهذب الانسان ، لـكلام لا يليق بعقل عادل

فالآيات الذهبية والحكم والالفاظ الخلابة البليغة ماذا أفاد الانسان منها ؟

انها يصح أن تفرض مواضيع للانشاء يتمرن عليها طلبة المدارس ويفرح بهـا بعض السذج يجمعونها فى كتاب أو يتلونها على الغير ، ولـكنها لم تستطع أن تمنع شراً واحداً أو تغير فى أخلاق

احد من الآدميين . ولسنا نزعم ان العلوم الطبيعية هذبت الاخلاق ، ولـكننا نعتقد ان ساحتها فى ميدان الصراحة والأمر المشاهد الواقع

فهى تعنى بالجسد وعلى البشر أن يصلحوا انفسهم بعد ذلك متكلين على الزمن وعلى اجتناب الضر من باب الفائدة العملية لا الـكذب الخيالى

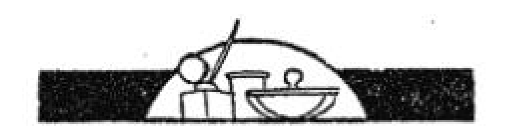
☆☆☆

على جبل الا كروبول وأمام صخرة قالوا لنا انها مدفن سقراط بعـد أن ارونا المغارة التى سجن فيها وتجرع السم ، جالت هذه الا فكار فى رأسى فذهلت عن محمود واضعته ، فنفرت متسلقاً صخور الا كروبول أناديه وانلفت ذات اليمين وذات الشمال ، فوجدته على باب المتحف الصغير الذى اقامته اليونان الحديثة على الا كروبول مشغولا بالحديث مع سيدة فتنة للناظرين . فلما تعارفنا وجدناها من هؤلاء المولعين بكل ما هو قديم من آثار مادية وأدبية ، ومتدينة مغرمة بتتبع عهود الرسل الاولين وعلى رأسهم بولس الذى ادخل المسيحية أوربا عن طريق بلاد الاغريق

فكانت تأخذ بيد محمود وتدله على مكان قالت ان الرسول بولس جلس عليه عندما كتب رسالته الاولى الى أهل كورنتس ثم تهبط الى اسفل الا كروبول وتقوده الى ساحة با كوس حيث كان الاثينيون يجتمعون للجدل والمفاضلة بالآلهة وتشرح له كيف وقف بولس فى وسط جمع حافل من اهل اثينا يبشر بالمسيح مبتدئاً باشارة لطيفة الى بعض آلهتهم متخلصاً الى ذكر الاله الحق المعبود ، عائبا بالقبور وباليهود ذاهلا عن الدنيا وعن دولة الرومان مأخوذاً بالآخرة وبالحياة الخالدة فترك الاغريق آلهتهم عن قوله

فاوجس محمود خيفة فى نفسه من هذه الفاتنة . ظنها من هؤلاء المبشرين ان تراوده عن دينه . ورأيت انا حاجزاً مبنياً من تعاليم بولس الرسول يقف حائلا بين جمالها وفلسفة الابيقوريين ، فودعناها على مضض وتركناها بين معالم لاكروبول وذهبنا نرى مابرى من آثار اثينا الاخرى

سامى الجريديني



حظي من الناس

لىَ اللهُ من مستهدفٍ شفه السُقمُ ... فليس له روحٌ يقوم بها جسم

مشت في حياتي والشباب مصاحبي ... همــوم لهــا في محو آثاره هَم

حياة يعاف الهــامدون صروفها ... وينكر مسراها به الدم واللحم

لأجمــل منهــا في تجهّمه البلى ... وأحلى مذاقاً من لذاذتها السم

نصيبي من دنيــاي ما لا أحبــه ... وحظي من أبنائها الكاشح الفدم

وحوليَ ممن يظهرون لي الرضى ... قلوب اذا هبت سخائمها سحم

محضت صحابي الأقربين مودتي ... وباعد عني كيدَ أعدائيَ السلم

فمالىَ أصلىَ الشرَّ في وحدتي وما ... لقلبيَ تغشــاه الكآبة والغم ؟

وما للاولىَ في الغيب قد نذروا دمي ... وجوههم تندى وأحقادهم تنمو ؟

اذا لم يكن إلا الرياء خليقة ... فأجدى لهذا الكون من أهله العقم

* * *

ألا أيها الشاكي الذي ليس ينتهي ... متى ينجلي عن فجر أيامك الوهم ؟

طويت على يأس شبابك كلّه ... ولو شئت لم تيأس ولم يرعكَ السقم

أتشقى بما قالوا ويؤذيك ما لغوا ؟ ... وتشفق من عدوانهم كلما همّوا ؟

وتجزع إما نال منــك معاشر ... ضئال لهم في كل مخزية سهم ؟

عزاءك إن ضاقت فؤادكَ غمة ... فان سهام البغي ترياقها الحلم

وصبرك للاعداء أنفى لكيدهم ... وشكواك من ظلم اللئيم هي الظلم

حمص ... رفيق فاخوري

أمريكا الجنوبية

هل قام العرب باكتشافها

رحلة عربية في بحر الظلمات

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

كشفت المباحث الأثرية فى العصر الأخير فى الأمريكتين عن حقائق غريبة ما زالت تثير مختلف الآراء والنظريات ، فقد دلت هذه المباحث مثلا على أن كثيراً من المبادىء والرسوم الدينية التى كانت معروفة عند سكان المكسيك وبيرو القدماء ، تشبه بعض المبادىء والرسوم الفرعونية القديمة ، وفى المكسيك نوع من الاهرام يشبه الاهرام المصرية فى أوضاعها بعض الشبه ، حتى لقد تساءل بعض الباحثين : هل اكتشف المصريون القدماء أمريكا فى غابر العصور؟ ومع أن هذه الآراء والنظريات لا تزال فى دور الحدس والظن البعيد ، وقد تكون نوعاً من الأساطير ، فانها تجرى على ألسنة بعض الباحثين والعلماء على أنها أمور ليست مستحيلة ، وقد يكشف المستقبل عما يقويها ويؤيدها

ومثل نظرية اكتشاف المصريين القدماء لأمريكا ، نظرية اكتشاف العرب لأمريكا الجنوبية أو بعض شواطئها . وهذه نظرية تكاد تشبه الخيال والأسطورة أيضاً ، خصوصاً وأنها لا تقوم على أية آثار مادية أو معنوية . بيد أنه فى تاريخ الاكتشافات البحرية ما يدعو الى التأمل والظن بأن العرب قد جاسوا خلال هذه المياه ووصلوا فى بعض رحلاتهم إلى شواطىء هذه القارة أو إلى بعض الجزر المحاذية لها . والواقع أن الرحل والبحارة المسلمين قاموا خلال العصور الوسطى بكثير من الاكتشافات الجغرافية الهامة التى ضاعت معالمها وآثارها فيما بعد ، ثم نسبت فى العصر الحديث لبعض المكتشفين الغربيين . فقد عرف المسلمون أمم الشرق الأقصى واكتشفوا شواطىء الصين وبحارها الجنوبية وجزائر الهند الشرقية منذ القرن العاشر الميلادى قبل أن يعرفها العالم الغربى بأكثر من قرنين ، ولم يصل أول مكتشف أوربى ، وهو مركوبولو البندقى إلى الصين إلا فى أواخر القرن الثالث عشر . واكتشف المسلمون مياه أفريقية الشرقية وعرفوا جزيرة مدغشقر قبل أن يعرفها الغرب بقرون ، واستطاع ابن بطوطة الرحالة الطنجى الاشهر أن يصل فى طوافه الى بلاد النيجر وأن يكتشف منها مناطق لم يعرفها الغرب إلا فى أوائل القرن الماضى . ومع ذلك فان كثيراً من هذه الاكتشافات الباهرة التى وفق اليها الرحل والبحارة المسلمون خلال العصور الوسطى تنسب فى عصرنا الى بعض الرحل والمكتشفين الغربيين

وأما نظرية اكتشاف العرب لبعض شواطىء أمريكا الجنوبية فهى ليست من الاساطير المحضة كما يبدو لاول وهلة ، فقد انتهت الينا تفاصيل رحلة بحرية غريبة قام بها بعض عرب الاندلس فى بحار مجهولة فى هذا الاتجاه . وسنرى من تتبع أدوار هذه الرحلة أنه من الممكن أن يكون العرب قد أرسوا على شواطىء أمريكا الجنوبية . وقد كانت مياه الاطلنطيق الشرقية منذ العصور الغابرة مسرحا لمغامرات البحارة الرومانيين والقرطاجنيين ثم النورمان والعرب ، ومن المحقق أن جزائر « كنارى » ، التى تبعد عن شاطىء افريقية الغربى زهاء مائة ميل كانت معروفة للرومان والقرطاجنيين ، ثم اكتشفها مسلمو الاندلس بعد ذلك مرة أخرى ، وفى أوائل القرن الرابع عشر سارت بعثة من مسلمى الاندلس والبشكنس (الباسك) الى الجزر ، ونزلت فى جزيرة « لانزروتى » ، وأسرت ملكها وعدة كبيرة من سكانها . والمرجح أيضاً أن مسلمى الاندلس ، وربما الرومانيين قبلهم ، قد عرفوا أيضاً جزائر « الآزور » (جزائر البزاة) التى تبعد زهاء سبعمائة ميل عن الشواطىء الاسبانية . ويعرف المحيط الاطلنطيقى فى الجغرافية العربية القديمة بالبحر المحيط أو بحر الظلمات ، وقد كان هذا البحر المحيط يعتبر فى تلك العصور نهاية العالم ، وليست من ورائه يابسة او عوالم اخرى . غير ان بعض الرحل والبحارة المخاطرين من النورمان والعرب كانوا يجوسون خلاله من وقت إلى آخر

واليك تفاصيل هذه الرحلة البحرية الغريبة التى قام بها جماعة من مسلمى الاندلس فى تلك المياه المجهولة ، والتى نقلها الينا الشريف الادريسى فى معجمه الجغرافى الشهير « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » ، فقد ذكر لنا عند الكلام على جغرافية الاندلس ، ان جماعة من مسلمى الاندلس من أهل « الحامة » على مقربة من اشبونة يعرفون « بالمغرورين » ، وهم ثمانية فتيان اخوة أو أبناء عم ، أنشأوا لهم مركباً كبيراً ، وشحنوا فيه من الماء والزاد ما يكفيهم لأشهر ، ثم خرجوا الى « بحر الظلمات » ، من ثغر اشبونه (لشبونة عاصمة البرتغال اليوم) عند مهب الريح الشرقية وساروا نحو الغرب نحو احد عشر يوماً . قال الادريسى : فوصلوا الى بحر غليظ الموج كدر الروائح ، كثير التروش ، قليل الضوضاء ، فأيقنوا بالتلف ، فردوا قلاعهم باليد الاخرى وجروا مع البحر فى ناحية الجنوب اثنى عشر يوماً ، فخرجوا الى جزيرة الغنم ، وفيها من الغنم ما لا يأخذه عد ولا تحصيل ، وهى سارحة لا راعى لهـا ولا ناظر اليها ، فقصدوا الجزيرة فنزلوا فيها ، فوجدوا عين ماء جارية وعليها شجرة تين برى ، فأخذوا من تلك الغنم فذبحوها ، فوجدوا لحومها مرة لا يقدر أحد على أكلها ، فأخذوا من جلودها ، وساروا مع الجنوب اثنى عشر يوماً الى أن لاحت لهم جزيرة ، فنظروا فيها الى عمارة وحرث ، فقصدوا اليها ليروا ما فيها ، فما كان غير بعيد حتى احيط بهم فى زوارق هناك ، فأخذوا وحملوا فى مركبهم إلى مدينة على ضفة البحر ، فانزلوا بها ، فرأوا فيها رجالا شقراً زعراً ، شعورهم سبطة ، وهم

طوال القدود ، ولنسائهم جمال عجيب ، فاعتقلوا فيها في بيت ثلاثة أيام ، ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان العربي ، ثم سألهم عن حالهم وفيم جاءوا وأين بلدهم ، فأخبروه بكل خبرهم ، فوعدهم خيراً ، وأخبرهم أنه ترجمان الملك ، فلما كان في اليوم الثاني ، أحضروا بين يدي الملك ، فسألهم عما سألهم الترجمان عنه ، فأخبروه بأنهم اقتحموا البحر ليروا ما فيه من الاخبار والعجائب فيقفوا على نهايته ، فلما علم الملك ذلك ضحك ، وقال للترجمان اخبر القوم أن أبي أمر قوماً من عبيده بركوب هذا البحر ، وأنهم جروا في عرضه شهراً الى أن انقطع عنهم الضوء ، وانصرفوا من غير حاجة ولا فائدة تجدي ،

ثم يقول الادريسي ان الملك اعتقل القوم مدى حين حتى جرت الريح الغربية ، فوضعوا في مركب وعصبت اعينهم ، وأطلق بهم المركب في البحر حينا قدروه بثلاثة أيام بلياليها ثم اخرجوا الى الشاطىء وكتفوا وتركوا هناك ، وفي الضحى سمعوا اصواتاً بشرية فاستغاثوا بالقادمين لحلوا وثاقهم ، وسألوهم عن خبرهم — وكانوا من البربر — وأعلموهم ان بينهم وبين الاندلس مسيرة شهرين ، وان المكان الذي رسوا فيه يقع في أقصى المغرب(١)

هذا ما نقله الينا الادريسي عن رحلة « المغرورين » الشهيرة ، ولم يعين لنا تاريخ الرحلة ولكنها ربما كانت في اواخر القرن العاشر الميلادي أو اوائل القرن الحادي عشر قبل ان يضع الادريسي مؤلفه بنحو نصف قرن . ولنلاحظ اولا ان ما ورد عن ختام الرحلة يكاد يناقض ما ورد عن بدايتها ، واذا كان في تفاصيلها الأولى ما يسمح بالظن بان العرب ربما يكونون قد وصلوا الى مياه أمريكا الجنوبية ، فان في تفاصيلها الأخيرة ما يكاد يقطع ببطلان هذا الظن . ولبيان ذلك يحسن ان نتتبع أدوار الرحلة من الوجهة الجغرافية . فقد خرج « المغرورون » من اشبونة وساروا في بحر الظلمات (اى في اتجاه الغرب) مع الريح أحد عشر يوماً ، ومثل هذه المدة تحملهم نحو ستمائة ميل أو أكثر في عرض المحيط أعني الى مياه « الآزور » أو ما يحاذيها . ثم اتجهوا بعد ذلك نحو الجنوب وساروا مدى اثني عشر يوماً ، وأرسوا على الجزيرة التي سميت بجزيرة « الغنم » ، فما هي هذه الجزيرة ؟ قد تكون احدى جزر « كناري » ، ولكن هذا الفرض يدفعه أن جزر « كناري » لم تكن مجهولة في ذلك العصر ، وخصوصاً لانها لا تبعد اكثر من مائة ميل عن ساحل المغرب الاقصى ، ولهذا يخيل الينا ان هذه الجزيرة ربما كانت من جزر « الرأس الاخضر » التي تقع جنوباً في غرب « السنغال » ، يقول الادريسي . ثم سار « المغرورون » بعد ذلك جنوباً أيضاً ، اثني عشر يوماً أخرى ، وأرسوا بعد ذلك على تلك الجزيرة التي رأوا فيها الرجال الشقر العمالقة والنساء الحسان ، وحدث لهم على يد ملكها ما حدث.

(١) راجع «نزهة المشتاق في اختراق الافاق» (نسخة دار الكتب الفتوغرافية ج ٢ ص ٣١٤ــ٣١٥ ، وكذلك مختصر الكتاب المطبوع في رومه سنة ١٥٩٦ ص ١٨٢ ــ ١٨٥

ومثل هذه المدة قد تحملهم الى جزيرة « سنت بول » أو إحدى جزر « فرناندو نورنها » الواقعة فى مياه أمريكا الجنوبية على قيد نحو مائة وخمسين ميلا من شرق البرازيل ، ولو صح هذا الشرح لرحلة « المغرورين » لكان فى ذلك ما يقوى الظن بأنهم وصلوا الى مياه أمريكا الجنوبية أو على مقربة منها ، ولم تكن هذه النظرية خيالا محضاً

على أن ما يجىء بعد ذلك من تفاصيل الرحلة يثير كثيراً من الغموض والريب . ذلك أن الرحل حينما قبض عليهم ملك جزيرة العمالقة ودفع بهم فى السفينة الى البحر ، سارت بهم السفينة زهاء ثلاثة أيام فقط ، ثم أرسوا على أرض تقع « فى أقصى المغرب » ، والتقوا هناك بقوم من البربر ، ويكون المرجح عندئذ أن جزر العمالقة لم تكن سوى جزر « كنارى » التى تفصلها مثل هذه المسافة تقريباً من ساحل المغرب الاقصى . ولكن جزر « كنارى » لا يفصلها عن الاندلس مسافة « شهرين » وربما لم تكن هذه المسافة يومئذ اكثر من اسبوعين ، وهذا ما يجعلنا نعتقد أن تفاصيل الرحلة هنا يشوبها شىء من الخلط والاضطراب

ومما يقوى الظن بأن المدة التى قضاها « المغرورون » فى مياه « بحر الظلمات » ذهاباً ، وهى نحو خمسة أسابيع يمكن أن تحملهم الى مياه امريكا الجنوبية ، هو ان كريستوف كولومب مكتشف أمريكا الشمالية ، استطاع فى مثل هذه المدة تقريبا ان يصل من جزر « كنارى » الى أول أرض اكتشفها فى مياه امريكا الشمالية وهى جزيرة « سان سلفادور » ، فقد خرج من جزر « كنارى » التى وصل اليها من مياه اسبانيا فى بضعة ايام ، يوم ٦ سبتمبر سنة ١٤٩٢ وفى يوم ١٤ منه رأى البحارة طيوراً وأعشاباً فى عرض المحيط ، وفى يوم ١١ اكتوبر ، أى بعد خمسة اسابيع وصل الى أول جزيرة فى المياه الامريكية ، وهى التى سماها « سان سلفادور » فى شمال شرقى جزيرة كوبا . وليست المسافة بين المياه الاسبانية ومياه أمريكا الجنوبية بأبعد من المسافة التى قطعها كولومب . نعم ان الملاحة فى عصر كولومب كانت قد تقدمت كثيراً عما كانت عليه فى القرن الحادى عشر ، وكانت سفن كولومب بلا ريب اقوى وأوفر سرعة ، ولكن الطريق الذى سلكه كان اكثر صعابا ، وعلى اى حال فان هذه المقارنة مما يسبغ شيئا من القبول على القول بأن العرب وصلوا فى رحلاتهم البحرية الى مياه امريكا الجنوبية

وليست قصة الاخوة المغرورين سوى واقعة من وقائع كثيرة منسية فى تاريخ الاكتشافات البحرية التى قام بها العرب ، ويكفى للدلالة على مبلغ ماوصل اليه البحارة المسلمون من التقدم فى تعرف أسرار البحار ، ان كثيراً من الرحلات البحرية الكبيرة التى قام بها الاسبان والبرتغاليون فى القرن الخامس عشر كانت تنظم بارشاد الربابنة والملاحين العرب . ولا يزال اسم « ابن ماجد » الملاح المسلم الشهير علما بين اعاظم الرحل والبحارة فى هذا العصر ، ولا تزال كتبه عند الملاحة البحرية مثار الاعجاب والتقدير

محمد عبد الله عنان

موارد الطعام فى العالم
تكفى عشرة أضعاف سكان المعمورة

هنالك حقيقة لابد من التسليم بها وهي أن عدد سكان العالم في ازدياد متواصل حالة أن موارد الطعام تكاد تكون محدودة . فهل يجيء يوم يضيق فيه الرزق بالانسان فلا يجد كفايته من الطعام ، وهل يصح القول بأن البشر مقبلون بعد قرن أو مائة قرن مثلا على قحط لن يبقي ولن يذر ، أو ان موارد الطعام تكفي سكان العالم مع هذه الزيادة المطردة ؟ ذلك ما ترى الاجابة عنه في هذا البحث

يبلغ عدد سكان العالم بحسب أدق احصاء نحواً من الف وثمانمائة مليون من الانفس . وتبلغ مساحة اليابسة على الكرة الارضية (إذا استثنينا اليابسة فى المنطقة القطبية) نحو ثلاثة وثلاثين الف مليون فدان . والذى يصلح من هـذه اليابسة للزراعة لا يزيد فى الوقت الحاضر على النصف . ويقول علماء الاقتصاد ان المباحث والاحصاءات الدقيقة تدل على أن كل فرد من أفراد البشر يحتاج الى خمسة أفدنة لضمان موارد طعامه . ومعنى ذلك أنه اذا تمكن الانسان من تحويل اليابسة كلها الى أرض زراعية اصبحت تكفى ستة آلاف مليون نفس . والارجح أنه اذا استمرت الاحوال الزراعية والصناعية فى العالم كما هى الآن فان ستة آلاف مليون من الانفس هو أقصى ما تستطيع الكرة الارضية حمله واعالته من البشر

وقد كان ريكاردو ومالتوس ــ وكلاهما من كبار علماء الاقتصاد فى القرن التاسع عشر ــ يقولون بأن موارد العيش لا تتسع بنسبة زيادة عدد السكان فى العالم ، على أن تقدم الوسائل العلمية مما يساعد على توسيع تلك الموارد واكثار نتاجها

ويعتقد سواد الناس أن الوسائل الصناعية أرقى من الوسائل الزراعية وان البشر لا يعنون بالزراعة قدر عنايتهم بالصناعة . على أن هـذا الاعتقاد لا يصدق على جميع أنحاء العالم ، فالولايات المتحدة مثلا قد بلغت فيها الزراعة مستوى عاليا جداً لا يقل عن مستوى الصناعة . ومع ذلك ما يزال مجال الرقى فيها واسعا أمام كلتيهما . والعلماء يبذلون اليوم جهوداً كبيرة لترقية الموارد والمنتوجات الزراعية ويسعون للتغلب على الآفات التى تفتك بالمزروعات . ولا يصح القول بأننا متى حولنا اليابسة كلها الى أراض زراعية فقد بلغنا أقصى ما يمكن من توسيع موارد الطعام . فالحقيقة ان العلم يكتشف كل يوم وسائل جديدة لترقية فن الزراعة . وهذه الوسائل تزيد فى نتاج الارض وتكثر غلتها . وإذا تمشت هـذه الزيادة نسبيا مع الزيادة فى عدد سكان العالم حكمنا بأن موارد الطعام لا يمكن ان تضيق بالبشر مهما بلغ عددهم من الكثرة

وموارد الطعام فى العالم متنوعة ويمكننا قسمتها كما يأتى :

(١) الحبوب — كالقمح والارز (٢) البقول — كاللوبيا والفاصوليا وهلم جراً (٣) جذور بعض النبات — كقصب السكر والبطاطس الخ (٤) البزور الزيتية كبزور القطن والسمسم الخ (٥) الحيوانات البرية — كالغنم والبقر والطيور الخ (٦) الحيوانات المائية — كالسمك والسردين الخ

هذه أهم موارد الطعام فى العالم وسنتكلم على كل منها بايجاز . وغنى عن البيان أن هنالك عدة عوامل تؤثر فى هذه الموارد وفى مقدار نتاجها، وأهمها : (١) نوع التربة الزراعية « وقابليتها » للترقية والاصلاح (٢) المستوى الذى تكون عليه العلوم والفنون التى تعنى بترقية تلك الموارد (٣) العوامل الجوية (٤) وسائل نقل المواد الغذائية من مكان الى مكان وتوزيعها على السكان (٥) مركز الموارد الجغرافى وقربه أو بعده من المناطق الآهلة بالسكان . ويرى القارىء أننا قد أهملنا مورداً من موارد الطعام وهو الفواكه وليس اهمالها عفواً بل هو مقصود لان اكثرها لايعتبر مواد غذائية

قلنا إن المورد الاول هو الحبوب . وفى الحقيقة أن الحبوب هى أهم تلك الموارد وأجدرها بعناية الانسان لاننا إذا نظرنا اليها باعتبار الكالوريات(١) وجدناها أغنى الاغذية بها. فنى الولايات المتحدة مثلا يعتمد الجمهور على الحبوب اعتماداً كبيراً بحيث أن ثلث الكالوريات التى يحصل عليها الشعب منشؤها تلك الحبوب . وتبلغ هذه النسبة فى أوربا النصف . وفى آسيا الثلاثة الارباع . وفى الحقيقة أن معظم معول الشعوب الشرقية فى غذائها هو على الحبوب وفى مقدمتها القمح والارز والذرة والشعير والشوفان والجاويدار . وهذه الحبوب تطبخ صحيحة أو مجروشة

وليس لدينا سبيل الى احصاء نتاج العالم من الحبوب احصاء دقيقاً لان مقـدار ما ينتج منها فى بلاد الشرق غير معروف تماماً ، ولكن علماء الاقتصاد يقدرونه تقديرا تقريبياً كما يأتى :

القمح	نحو	الف مليون أردب
الجاويدار	«	أربعمائة مليون أردب
الذرة	«	الف مليون أردب
الشوفان	«	الف مليون أردب
الشعير	«	أربعمائة مليون أردب
الارز	«	الف مليون أردب
حبوب أخرى	«	ستمائة مليون أردب

ومجموع ذلك كله نحو خمسة آلاف وأربعمائة مليون أردب من مختلف الحبوب ينتجها العالم كل سنة بوجه التقريب . وإذا تذكرنا أن عدد سكان العالم نحو الف وثمانمائة مليون أصاب كل فرد منهم

(١) الكالوري هي المقدار اللازم من الحرارة لرفع حرارة كيلوجرام واحد من الماء درجة واحدة بمقياس سنتجراد . وهي ايضا وحدة الحرارة او النشاط الناشئة عن تناول الاغذية

ثلاثة أرادب من مختلف الحبوب كل عام . وهذا يكفى حاجة الانسان ويزيد عليها

وانتاج الحبوب فى العالم يتوقف على عدة اعتبارات أهمها رخص ذلك الانتاج . وهذا ما يجعل بلاد الشرق الاقصى كالهند والصين تبالغ فى انتاج الارز واستهلاكه. على أن ما يستطيع العالم انتاجه من الحبوب على جميع أنواعها هو أكثر جداً من مقدار الانتاج الحاضر

ولننظر الآن فى المورد الثانى من موارد طعام الانسان ونعنى به البقول ، وقد كانت منذ أقدم الازمنة غذاء للانسان . ومن دواعى الأسف أنه ليس لدينا احصاءات دقيقة لمعرفة مقدار ما ينتجه العالم منها وبخاصة لان اكثر الشعوب الشرقية لم تنظم زراعة البقول على وجه خاص حتى الآن . ولعل من أهم اسباب ذلك ان المتاجرة بها اصعب من المتاجرة بالحبوب واكثر تعرضاً للخسارة ، وغنى عن البيان ان البقول بوجه الاجمال غنية بالدهان وبالبروتايين، ولذلك يمكن ان تحل محل اللحوم . وقد لوحظ ان البلاد التى تزدحم بالسكان تكثر من استعمال البقول

وإذا نظرنا الى الهند والصين واليابان وغيرها من البلاد المزدحمة بالسكان رأينا ان نطاق زراعة البقول فيها اخذ فى الاتساع بسرعة مدهشة . وهذه البقول تحل بالتدريج محل اللحوم . اضف الى ذلك ان بعض الامم الشرقية ولا سيما بعض الهنود يحرمون اكل لحوم الحيوانات ويستعيضون عنها بالحبوب والبقول . ولذلك ترى زراعة هذين الصنفين اخذة فى الاتساع بينهم . أما فى الصين فرواج البقول يرجع بالاكثر الى رخصها والى غلاء اللحوم . اى أن العوامل الاقتصادية هى التى تحول دون رواج اللحوم وتوسيع نطاق مواردها . وفى الحقيقة ان بعض البلاد الاوربية تبذل اليوم جهوداً كبيرة لتعميم زراعة الفول الصينى (Soy beans) لانه غذاء ذو قيمة عظيمة وفيه من البروتايين ما يجعله يقوم مقام اللحوم وهو رخيص جداً وفى متناول الفقراء . ويؤخذ من المباحث العلمية والزراعية أن مقدار البروتايين الموجود فى غلة الفدان الواحد من البقول هو اكثر بكثير من الموجود منه فى غلة فدان واحد من الحبوب. على ان موارد الطعام لم تضق بأوربا حتى الآن الى الحد الذى ضاقت بالصين ولا ينتظر ان تصل الى ذلك الحد الا بعد زمان طويل . ولا يخفى أن أوربا بلاد صناعية اكثر منها زراعية ولذلك ستظل تعتمد فى غذائها على اللحوم اكثر من اعتمادها على البقول . أما البلاد التى لا تستطيع اصدار غلالها ومصنوعاتها فانها تحصر همها فى اتقان زراعة مواردها الغذائية

ولننظر الآن الى المورد الثالث من موارد الطعام وهو الجذور النباتية ، ويدخل فى هذا الباب قصب السكر والبنجر والبطاطس والجزر وغير هذه من المنتوجات. ولا يخفى ان هذه المواد الغذائية غنية بالنشا والسكاربوهيدرات ولكنها فقيرة بالبروتايين وبالمواد الدهنية . ومع ذلك فان قيمتها الغذائية لا تقل عن قيمة البقول ولها مزية أخرى وهى انها لا تفسد الا فى أحوال نادرة

وقد سمينا هذا المورد من موارد الطعام بالجذور النباتية مع أن هذا الوصف لا ينطبق على

جيبيا . فقصب السكر مثلا ليس جذراً نباتياً بل هو جذع أو ساق وهو من أهم المواد الغذائية للانسان ، وقد كان نتاج العالم كله من السكر قبل الحرب نحو ثمانية عشر مليون طن (بمعدل طن واحد لكل ألف من سكان العالم) وقد زاد ذلك النتاج الآن إلى خمسة وعشرين مليون طن ، منه ستة عشر مليون طن من سكر القصب والباقي — وهو تسعة ملايين طن — من سكر البنجر . ومما يجدر بالذكر أن الحرب العظمى الثانية كانت سبباً في توسيع زراعة قصب السكر وتضييق نطاق زراعة البنجر ، على أن الحالة قد بدأت تتغير الآن إذ أخذت زراعة البنجر تسترجع ما كان لها من الشأن ولا سيما في الاقاليم الشمالية . والمجال واسع جداً لترقية هذه الزراعة وزراعة قصب السكر بحيث يكفي محصولها أكثر من عشرة أضعاف سكان العالم في الوقت الحاضر . وجميع القرائن تدل على أنه لن ينقضي عقد آخر من السنين حتى يصبح مجموع نتاج السكر في العالم ثلاثين مليون طن

وهناك البطاطس أيضاً من المورد الثالث وقد أصبحت من أهم المواد الغذائية في العالم ولا سيما في أوربا وأميركا الشمالية حيث تكاد تكون لازمة لزوم الخبز . وقد بلغ نتاجها في العام الماضي نحو مائة وعشرين مليون طن من ناحية المحصول الروسي وهو [illegible] جداً ولا يعلم مقداره بالضبط . ومن الغريب أن البطاطس [illegible] بين الشعوب الغربية [illegible] في أوربا وأميركا وهي من [illegible] ويستخرج منها النشاء والسكر [illegible] لتغذية الانسان والحيوان . والأرجح أن زراعتها ما تزال في [illegible] توسيع نطاقها حتى تكفي [illegible] وخمسين ألف مليون من سكان العالم أو أكثر من ثمانية أضعاف عددهم في الوقت الحاضر

والمورد الرابع من موارد الغذاء هو البزور الزيتية . وبعض البزور غنية جداً بالمواد الغذائية والبروتين ولكنها ليست غنية بالنشاء ، ومع أنها أفضل من الحبوب باعتبار قيمتها الغذائية فانها أقل شيوعاً في الاستعمال من الحبوب والبقول . والمظنون أنها ستروج في المستقبل لأنها تصلح غذاء لكلا الانسان والحيوان ، وهي مصدر زيوت كثيرة تستعمل في الطبخ وفي تهيئة المواد الغذائية ، ولا يستطاع الآن [illegible] ما تتسع اليه زراعة هذه البزور من الاتساع ، ولكن مما لا يشك فيه أنها مورد غذاء عظيم قد يتسع نطاقه بحيث يكفي نتاجه أضعاف عدد سكان العالم في الوقت الحاضر

ونأتي الآن إلى المورد الخامس من موارد الطعام في العالم ونعني به لحوم الحيوانات البرية الأليفة . ومما يدعو إلى الأسف أنه ليس لدينا إحصاء يوثق به عن عدد الحيوانات التي تصلح لحومها غذاء للانسان ، لأن أكثر الذين يقومون بتربية الأنعام والماشية يكتمون أمرها فراراً من دفع الضرائب عنها . ولكن من البيان أن لحوم الحيوانات هي من أهم المواد الغذائية للانسان إن لم تكن أهمها ، ومع ذلك فإن هناك قرائن تدل على أن بعضها أخذ في الانقراض . وفي الحرب العظمى الثانية قد قضي على الكثير من أنواعها ولا سيما الخيل والبغال (ولحومها تؤكل في بعض الأنحاء)

ولكنها عادت فنمت وكثرت بعد الحرب . وإليك احصاء تقريبياً لأهم أنواعها في الوقت الحاضر :

١٠٠ مليون رأس من الخيل والبغال والحمير
٧٥٠ « « « البقر
٤٠٠ « « « الخنازير
٧٦٠ « « « الغنم والماعز
٦٠ « « « الجمال والجواميس

ولا شك أن هذا الاحصاء هو دون الحقيقة بكثير . وأن الموجود من تلك الحيوانات اليوم يكفي لغذاء ضعفي عدد سكان العالم في الوقت الحاضر . ومن الأمور المهمة تحسين نوع تلك الحيوانات فإن هذا التحسين لا يقل شأناً عن إكثار العدد . ويقوم التحسين على إيجاد أنواع تتوافر فيها جميع المواد الغذائية وتكون أقدر من غيرها على مقاومة الأمراض التي تنتابها .

ومما يجدر بالذكر أن استهلاك لحوم الحيوانات هو على أعظمه في استراليا فبلاد الأرجنتين فكندا فالولايات المتحدة فأوربا . وهو على أقله في آسيا حيث يعيش الملايين من الذين يحرمون ذبح الحيوانات وأكل لحومها . وفي الواقع أن العامل الديني يؤثر في استهلاك اللحوم تأثيراً كبيراً فالديانتان الاسلامية واليهودية تحرمان لحم الخنزير ... الهندوكية تحرم أكل الحيوانات بوجه عام ، وفي بلاد ... الناس ... الحيوانات الأخرى . وعلى أن هذا المورد من موارد طعام الانسان لا يخشى نفاده ... والأرجح أن الانسان سيجد لغذائه من الحيوانات التي يغتذي بلحومها إلى ما شاء الله . أضف إلى ذلك أن الانسان يستطيع في المستقبل القريب أكل اللحوم التي لا يأكلها الآن فيستعيض بلحومها عن لحوم الأنواع التي تنقرض أو تتناقص .

في المورد السادس والأخير من موارد طعام الانسان وهو الحيوانات المائية أو الأسماك بجميع أنواعها . ولعل هذا المورد هو الوحيد الذي لا يخشى نفاده . ولا يخفى أن مساحة البحار في العالم هي أربعة أضعاف مساحة اليابسة ولا يستطيع أحد أن يحصي ما في تلك البحار من الأنواع التي تصلح للغذاء ولو احصاء تقريبياً . والمعروف أن الحيوانات البحرية تعتمد في غذائها على النباتات الدقيقة وعلى غيرها من الحيوانات التي تسكن البحار معها . وهي كثيرة التناسل وتقوم بعض أنواعها مقاماً جيداً من الوجهة الغذائية . وإن تكن بعض تلك الأنواع — كالحيتان مثلاً — آخذة في التناقص فإن الأنواع التي تصلح للغذاء ليست كذلك . وليس ثمة أي دليل على أنها سائرة في سبيل الانقراض .
والغريب أن شعوب الولايات المتحدة الأمريكية هم أقل الناس أكلاً للسمك ، بخلاف الشعوب الأوربية القريبة لمواقع سواحل البحار . ولعل اليابان أكثر شعوب العالم أكلاً للسمك . وفي أكثر من ممالك التمدن اليوم أحواض لتربية الأسماك على اختلاف أنواعها

مجلة المجلات

مقالات مختارة من أشهر المجلات الغربية

المرأة هي المرأة

[خلاصة مقالة عن جريدة بوليتيكن
بقلم رئيس تحرير الجريدة]

مهما يكن الاعجاب بشكل جسم الممثلة « مي ويست » عظيما ، ومهما يكن النجاح الذى احرزته هذه الحسناء ، فما يزال القوام النحيل أوقع فى نفوس العشاق واكثر انطباقا على مستلزمال الجمال فى نظر أهل الفن . وقد كانت الرومانيات فى العصور السالفة ـ كالنساء فى هذا العصر ـ يملن إلى النحافة ويبذلن جهد المستطاع لأنحال أجسامهن . وكثيراً ما كن يرهقن أنفسهن بشظف العيش ويتحملن أقسى ضروب التقشف فى سبيل ذلك . وقد كتب « بلوتوس » الشاعر الرومانى يقول :

« تريد نساء هذا العصر أن يكن نحيلات القوام بلا أوراك ولا اعجاز ولا اعضاء بارزة . واكثرهن يعذبن أنفسهن بمختلف الاساليب ليحتفظن بنحول قوامهن . وقد تقتصر الواحدة منهن على كوب من الماء وثلاثة عناقيد من العنب كل يوم لئلا تظهر عليها أعراض السمن . واذا وقعت انظار النساء على امرأة بادن سخرن منها ووجهن اليها قوارص الكلام وسمينها كتلة متحركة أو مروضة وحوش أو ما إلى ذلك

ولا يعلم أحد إلى أى زمن يرجع اختراع المشد (الكورسيه) ولكننا نعلم أن المرأة فى العصور السالفة استعملت أدوات كثيرة للاغراض التى يستعمل لها اليوم « الكورسيه » . ويؤخذ من التماثيل والتصاوير التى عثر عليها المنقبون فى جزيرة كريت أن النساء فى تلك الجزيرة وما يجاورها من البلدان كن يستعملن مختلف الادوات لانحال أجسامهن . وقد أشار جالينوس الطبيب اليونانى إلى ذلك وحذر نساء بلاده من ذلك مراراً وكان يقول ان محاولة انحاف الجسم مضرة بجميع الاعضاء ولا سيما العظام

وفى أيام الامبراطورية الرومانية كانت وسائل التجميل شائعة بين النساء شيوعها فى هذا العصر فكانت الرومانيات يتبعن نظاماً خاصاً للغذاء ويستعملن الحمامات البخارية « والتعريق » والتدليك وغير ذلك من الوسائل الصناعية . وكان فى روما حمامات للخاصة لا يغشاها الا أهل الثروة واليسار

من الرجال والنساء كما كان فيها أيضاً حمامات للعامة يغشاها أهل الطبقة الوسطى . وكانت وسائل التجميل متوافرة فى حمامات الخاصة ولا سيما وسائل انحال الجسم

كل ذلك يدلك على أن المرأة هي هي أمس واليوم وستظل كذلك إلى الابد . وهي خاضعة لسلطان الزى (الموضة) اكثر من خضوعها لأى سلطان آخر . وقد ذكر سوتون المؤرخ الرومانى أن الشاب كان اذا سار مع عروسه وأراد أن يطوق خصرها بذراعه لم يشعر الا بعظام جسمها . ومما يجدر بالذكر أن آباء الكنيسة فى العصور الاولى كانوا ينصحون للنساء بالاقلاع عن انحال اجسامهن .

والقلم يعجز الآن عن حصر الروائح والمساحيق والادهان التى كان النساء يستعملنها للزينة فى ذلك العهد . ومن تلك الروائح عطر النادرين المشهور وكان يؤتى به من الهند وبلاد العرب وكان غالياً جداً لا يستطيع شراءه الا النساء الموسرات . وكان « بلينوس » الاصغر يطعن فى النساء اللواتى يستعملن العطور « لانهن يفسدن الجو بالروائح المنبعثة من أجسامهن فلا يستطيع المرء ان يستنشق الهواء النقى . وهن يبذلن الأموال الوفيرة فى شراء تلك العطور التى ليس لها سوى مزية واحدة وهى أنها تتبخر وتضمحل ! . . . »

وكان التجمل عند الرومان فناً قائماً بذاته . وعنهم أخذ المتلون فى هذا العصر فن « الما كياج » قيل ان « بوبايينا سابينا » زوج الامبراطور نيرون كانت اجمل نساء عصرها لانها كانت تحسن فن « الما كياج » وقد استنبطت أصنافاً كثيرة من الدهان والمساحيق والمعجونات وأدوات الزينة مما راج فى ذلك العصر رواجاً عظيماً

وكان بعض تلك المعجونات العطرية يعرف باسمها ومنها معجون « بوبايينا » الذى ما يزال يعرف حتى الآن ويصنع من لبن الحمارة ومن مواد أخرى عطرية . وكانت « بوبايينا » لا تسافر من مكان إلى مكان إلا ويصحبها عدة أتن يصنع من لبنها المعجون المذكور

ومما يجدر بالذكر أن مارسيال الشاعر الرومانى نظم عدة قصائد سخر بها من نساء ذلك الزمن ولا سيما سيدة تدعى « جالا » قال عنها انها مجموعة أكاذيب وأضاليل . فشعرها واسنانها عارية . ورائحتها خادعة . وكل ما يمثله مظهرها الخارجى كذب وتضليل

وفى الحقيقة ان « جالا » هذه كانت ــ كجميع نساء عصرها ــ تلبس الشعر العارية الذهبى اللون لان الرومانيات فى ذلك الزمن كن يكرهن الشعر الاسود فيصبغنه باللون الذهبى أو يستبدلنه بعارية من ذلك اللون أو من اللون الاشقر . وكثيرا ما كن يستعملن فى صبغ شعرهن مواد سامة أو خطرة . لذلك كان اكثرهن يفضلن استعمال الشعر العارية الذهبى اللون على صبغ شعرهن بانفسهن . ويقال ان الشعر العارية كان يؤتى به من بلاد الجرمان فقد كانت الجرمانيات مشهورات بلون شعرهن الذهبى والاشقر . لذلك راجت تجارة الشعر العارية بين الرومانيات وكان لها سماسرة

يجوبون بلاد الجرمان ويشترون غدائر الجرمانيات بأثمان عالية ويشحنونها إلى عملائهم بروما . وكان تجار الشعر فى هذه المدنية يتفننون فى ضفر الغدائر وتهيئتها على وجوه شتى ، حتى قال أحد شعراء ذلك العصر : « ان أشكال هذه الغدائر وأزياءها هى أكثر من أنواع النباتات التى يجدها المرء فى سفح جبال الالب »

ولم يقتصر هم الرومانيات فى ذلك الزمن على العناية بشعرهن فقط بل كن يعنين أيضاً بنظافة أفواههن واسنانهن وأصابعهن . وكن يستعملن مختلف المعجونات لاسنانهن ، حتى يقال إن صناعة العناية بالاسنان فى ذلك العهد بلغت مبلغاً عظيماً . اما سائر أدوات الزينة والتجميل فحدث عنها ولا حرج . وفى الحقيقة أن مجموعة أدوات زينة الفتاة الرومانية كانت مما لا يتصوره الفكر . وكلها دليل على شدة عناية المرأة بزينتها وعلى كونها تخضع لسلطان الزى اكثر من خضوعها لاى سلطان آخر

آداب المحاماة

[خلاصة حديث نشرته مجلة ستردي ايفننج بوست .
للمستر كومنجز النائب العام للولايات المتحدة]

قد يكون ماسيجىء من الكلام على آداب المحاماة خاصاً بالولايات المتحدة . ولكن فيه الكثير مما ينطبق على آداب هذه المهنة فى أكثر البلدان . والكلام هو خلاصة حديث للنائب العام بالولايات المتحدة . قال :

ان المحامين الذين يسترون المجرمين ويساعدونهم على الافلات من قبضة القانون ليسوا طائفة قليلة العدد أو نادرة الوجود . وهم بما يعملونه يجلبون اللوم والعار على طائفة المحامين بوجه الاجمال

لقد يدهش المرء اذا قيل له إن هنالك بعض المحامين الذين لايتعففون عن الدفاع عن المجرم وهم عالمون بجريمته . وفى الحقيقة أن كونهم عالمين بالجريمة ليس أمراً غير طبيعى اذ ما من محام يأخذعلى عاتقه الدفاع عن المجرم الذى لا يعترف بجريمته وبتفصيل ارتكابه لها، لان مثل هذا الاعتراف يمكن المحامى من اعداد دفاعه على وجه يأمن معه المفاجآت والمباغتات ويرد به على سيل التهم التى توجه الى المتهم . وما أسهل الحصول على شهادات الزور لاثبات وجود المجرم فى غير مكان الجريمة عند وقوعها . بل ما أسهل اخراج المتهم من دائرة « اختصاص » محكمة من المحاكم اما اكتساباً للوقت أو فراراً من الوقوع تحت قبضة القانون . فاذا أخفق المحامى ولم يستطع اخراج المتهم من دائرة اختصاص المحكمة عمد إلى احضار الشهود اللازمين وتلقينهم كل كلمة أو نبرة أو حركة يقتضيها الدفاع المبنى على المين والزور والبهتان ، فان المحامى يدرب المتهم على حركات واشارات متفق عليها ليستدل

منها على الاجوبة التى يتعين عليه أن يفوه بها عند استجواب المحكمة له

ومن دواعي الاسف أن بعض الناس يتوهمون أن مثل هذه الاحتياطات من جانب المحامي تدل على البراعة والذكاء . وأنكى من ذلك ان اسم هذا المحامي يكون على كل شفة ولسان ، بل ان الصحف نفسها تتحدث عنه وتبالغ فى وصف ذكائه ودهائه . وفى ذلك ما يزيد الطين بلة

مثل هذه الحال تلطخ الولايات المتحدة وتصمها بوصمة العار وتصور الشعب الاميركى بصورة أشد الامم خروجاً على القانون . واذا نبهت قادة الرأى العام على وجوب اصلاح الحال قالوا لك : « وماذا عسانا أن نعمل ؟ ان أمثال هؤلاء المحامين يستهوون الجماهير فيقبل الناس عليهم إقبالا شديداً حتى انك لترى مكاتبهم مزدحمة بجيوش المجرمين الذين يقصدونهم ويطلبون منهم الدفاع عنهم

ولكي يدرك القارىء شدة ذكاء هؤلاء المحامين نقول ان رجال الشرطة فى احدى مدن الولايات المتحدة قبضوا على رجل ستاً وتسعين مرة بست وتسعين تهمة مختلفة ، وقد تمكن محاميه من تبرئته خمساً وتسعين مرة ولم يصدر عليه الحكم إلا فى تهمة واحدة ! . . وليس من المعقول أن يكون رجال الشحنة وحفظة الامن العام قد لفقوا التهمة على ذلك الرجل خمساً وتسعين مرة أو أن يكونوا قد اخطأوا فى تقديرهم خمساً وتسعين مرة . ولكن المحامى عن ذلك المجرم لم يدخر وسعاً فى سبيل الدفاع عنه وهو عالم تمام العلم بأنه مجرم وبأن فى اطلاق سراحه خطراً على الامن العام

ولعل من الاسباب التى تجعل الجمهور يعطف على أمثال هؤلاء المحامين زعم الاكثرين أن واجبات المهنة تقضى على المحامى ببذل كل جهد فى سبيل انقاذ موكله بقطع النظر عن حقيقة التهمة وهل المتهم مجرم حقيقة أم برىء . وهذا الزعم خطأ لان من واجبات المحامى أن يساعد على حفظ الامن وعلى تنفيذ القانون . فاذا قام لديه دليل قاطع على ان الرجل الذى قد التجأ اليـه هو مجرم فليس من شرف المحاماة فى شىء ان يتولى الدفاع عنه ، وبخاصة اذا اعترف له ذلك الرجل بجريمته وبما يثبت التهمة عليه . وبعبارة أخرى — ان غيرة المحامى على مهنته ورغبته فى الدفاع عن المتهم يجب ان لا تعمياه عن الحقيقة وأن لا تقعدا به عن واجب الدفاع عن العدالة

وقد ارادت وزارة الحقانية بالولايات المتحدة منذ عهد قريب أن تقبض على أحـد المحامين بتهمة ايوائه ديلنجر المجرم الاميركى الشهير . وفى الحقيقة ان هذا المحـامى آوى ذلك المجرم مراراً كثيرة وساعده على الفرار من قبضة العدالة . ولكن طائفة من المحامين دافعوا عن « زميلهـم » دفاعاً غريباً انقذوه به من القانون مع أن المتهم اعترف بالصراحة بأنه قبض من ديلنجر ثلاثة آلاف ريال وانه لم يبلغ الشرطة خبره لحجج واهية ذكرها المدافعون عنه

ان مهنة المحاماة فى حاجة إلى التطهير لانقاذ البلاد من فوضى الاجرام . ولا يتسنى تطهير هذه المهنة إلا اذا تعاونت جميع قوى العدل والنزاهة والاستقامة على ذلك

فاجعة واترلو

[خلاصة كتاب بعنوان « الايام
التائهة » بقلم فليب جاد الله]

فى خلال الاسابيع الأولى التى عقبت فرار نابليون من جزيرة إلبا كان هذا العبقرى يبذل جهد المستميت للاحتفاظ بمجده وسلطانه . فكان يظهر من وقت إلى آخر أمام الجماهير محاولا أن يستفز عواطفها ويحملها على التصفيق والهتاف . وكان يسير فى الشوارع لا يصحبه أحد من رجال الحرس ، وكثيراً ما كان يأمر سائق مركبته بأن يقف فى الطرق والميادين ليتمكن الشعب من رؤيته

على أنه كان يشعر فى قرارة نفسه بأن مركزه من نفس الشعب غير مركزه قديماً . وكثيراً ما كان يقول للواقفين حوله : « ان فرنسا تسأل اليوم عما حل بذراع الامبراطور — تلك الذراع التى لاغنى لها عنها لكى تحكم أوربا » وفى الواقع أن فرنسا كانت فى أشد الحاجة يومئذ إلى ذراعه لكى تتحكم فى أوربا . فقد أضنتها الحروب والثورات التى خاضت غمارها تحت لواء ذلك الجبار مدة عشرين سنة وكانت الدول الكبرى — قد صرحت بأن نبوليون قد أخرج نفسه من دائرة العلاقات البشرية فلا يمكن عقد الصلح معه

وبذل نابليون من جانبه جهوداً عظيمة لمنع دول أوربا من التعرض لشؤونه . ولم تكن تلك الجهود تخلو من فطنة ودهاء . الا أن حرس الحدود كانوا دائماً يتعرضون لرسله ويستولون على ما يحملونه من الرسائل فى ذلك الشأن . وقد عرض نابليون بتلك الرسائل على الدول أن يعقد معها صلحاً وطيداً ويضمن لها استقلالها . ولكن الدول لم تجبه بكلمة ، فلم يبق أمامه سوى طريق واحد ، هو السيف ، فأمر وزير حربيته بأن يعد له — قبل انقضاء العام — اربعمائة الف بندقية . وما هى إلا عشية وضحاها حتى كانت الاوامر قد صدرت بتعبئة فيالق على الحدود

الا أن الايام كانت قد تبدلت وروح الجيش المعنوية قد ضعفت . أضف إلى ذلك ان شبا كا من الدسائس كانت تحاك حوله ، فرأى نابليون أنه لا سبيل الى استعادة هيبته الا باحراز نصر جديد

وكانت جيوش الحلفاء . تدنو من الحدود الفرنسية بالتدريج فى صورة هلال . فاخذ نابليون يعد العدة لمهاجمة تلك الجحافل قبل أن تصل إلى الاراضى الفرنسية — أى فى البلجيك

وفوجىء الحلفاء بحركات جيوش نابليون السريعة المدهشة حتى كاد يسقط فى أيديهم ويرتدوا الى الوراء . وأمر نابليون باقفال موانىء فرنسا كلها وبوقف كل مركبة تحاول اجتياز الحدود — رائحة كانت أم غادية — وكان عدد جيش نابليون مائة وخمسة وعشرين الفاً من المدربين المخلصين

وفى ١٥ يونيه بدأت جحافل الفرنسيين تدخل الحدود البلجيكية فى خط يبلغ طوله عشرين ميلا

(أو اثنين وثلاثين كيلو متراً) وكانت جيوش الاعداء تمتد على طول ستين ميلا (أو ستة وتسعين كيلو متراً) . وفى مساء ذلك اليوم وصلت أنباء زحف الفرنسيين إلى بروكسل . فأدرك الدوق ولنجتون قائد جيوش الحلفاء أن تلك المغامرة آخرما فى جعبة نابليون. وخشى أن تلقى تلك الاخبار الذعر فى قلوب الناس فتظاهر بعدم الاكتراث لها وذهب فى الساعة العاشرة من مساء ذلك اليوم لحضور الحفلة الراقصة بقصر « الدوقة أوف رتشموند » . وبينما الرقص قائم على قدم وساق أوعز الدوق إلى كبار القواد بأن ينسلوا سراً ويعودوا إلى المعسكر . وبعد قليل خرج الدوق فى أثرهم وهو يقول لمضيفته : « قد أمرت الجيش بأن يجتمع فى كاتر برا » ، وسنقف فى وجه الفرنسيين فى هذه النقطة » — وقال ذلك وهو يشير باصبعه إلى خارطة نشرها أمام الدوقة

وفى صباح اليوم التالى أصدر نابليون أمره إلى الجنرال « ناى » بأن يقذف ببعض رجاله على مراكز الاعداء فى « كاتر برا » ليجلوهم عن ذلك المكان . وهاجم نابليون البروسيين بنفسه فنشبت بينه وبينهم معركة هائلة دامت إلى الساعة الثالثة حتى الليل وبلغت خسارة الفرنسيين فيها احد عشر الف قتيل ودارت فيها الدوائر على البروسيين . فعقد قوادهم جلسة عاجلة فى ضوء القمر وقرروا أن يرتدوا بجيشهم إلى الوراء . ولم يسع الدوق أوف ولنجتون الا أن يقرهم على قرارهم فأمر الجيش بأن يتقهقر إلى الهضبة التى أمام واترلو . وشاءت الاقدار أن يظل نابليون ساكتاً بازاء ذلك التقهقر فاضاع بعض الفرصة . وكأنه تنبه من غفوته فأمر بمعاودة الكر والزحف على بروكسل . وفى الساعة الواحدة من صباح يوم الاحد التالى — وكانت السماء ماطرة — ترك نابليون قواده نائمين وخرج وحده يستطلع ميدان القتال . فأبصر عن كثب نيران الأعداء تمتد على هضبة مجاورة لواترلو

ولم يخامر نابليون أى شك فى نتيجة تلك المعركة . فعاد إلى مركز القيادة وفى الساعة الثامنة صباحاً تناول صبحته (فطوره) وأمامه خارطة ميدان القتال والبشر يلوح على محياه . ثم التفت الى القواد حوله وقال: « ان لنا تسعين فى المائة من الامل بالنصر ، والدوق ولنجتون قائد غير ماهر ، والجنود الانجليزية غير مدربة فستكون هذه المعركة نزهة لجيشنا ، وسنبيت هذه الليلة فى بروكسل »

وفى الساعة الحادية عشرة والنصف من صباح اليوم الثامن عشر من شهر يونيو بدأت المعركة . وكان نابليون يدير دفتها ويراقب كل حركة من حركاتها بمنظاره ويمهد الهجوم على طريق بروكسل . ولاحت منه التفاتة فرأى فى الافق سحابة سوداء ظنها قواده فى أول الامراعصاراً رملياً ولكنها انجلت بعد قليل عن فيالق بروسية تسير إلى ميمنة جيش الامبراطور وكانت مكشوفة . وأدرك نابليون الخطر الذى يتهدده ولكنه لم يستسلم الى الذعر بل قال لصولت : « لقد كان أملنا بالانتصار فى هذا الصباح تسعين فى المائة وهو الآن ستون فى المائة ! » . وحاول نابليون محاولة المستميت أن يعرقل تقدم البروسيين فقذف ببعض جنوده عليهم ولكن بلا جدوى ، وفى تلك الدقيقة عينها قذف

ولنجئون بجنود الحرس على نبوليون فكانت مجزرة تقشعر منها الابدان

ولاحت من القائد « ناى » التفاتة فخيل اليه ان الاعداء قد أخذوا ينقهقرون . فاراد أن ينتهز الفرصة ويضربهم ضربة مؤلمة . فقذفهم باربعين كتيبة . ولكنه تسرع . وأدرك نابليون ذلك ولكن لم يسعه إلا أن يؤيد القائد « ناى » فى تلك الهجمة غير الموفقة . وشاء القدر أن ينقلب ذلك الخطأ فى مصلحة اعداء فرنسا

وكان ذلك بدء النهاية . وسمع بعضهم نابليون يتمتم عابساً : « لقد انتهى كل شىء ! » ثم التفت الى القائد « ناى » وقال له : « هلم بنا نمضى ! »

المهاجرة والازمات الاقتصادية

[خلاصة مقالة عن مجلة باركليز بنك . بقلم منشىء المجلة]

كانت المهاجرة فى القرن الفائت الى البلاد غير المأهولة من أقوى أسباب عمران تلك البلاد وكان سيل تلك المهاجرة متواصلا متدفقا لا يعوقه عائق ولا يعترضه شىء من العقبات . وكان لبريطانيا العظمى النصيب الاكبر من تعمير البلاد غير المأهولة بفضل من كانت ترسله اليها من أبنائها وما كانت تتيحه لهم من الفرص والتسهيلات

ولكن الحال تغيرت بعد الحرب . فان سيل الذين كانوا ينزحون من بريطانيا العظمى الى مختلف أصقاع العالم نقص نقصاً محسوساً . وبلغ هذا النقص أشده فى بضع السنوات الاخيرة ، بل لقد انقلب الامر الى العكس فبعد أن كان الانجليز وسكان الامبراطورية البريطانية يهجرون بلادهم لتعمير غيرها ولاتخاذ أوطان جديدة لهم صار سيل المهاجرة يتدفق على الامبراطورية وصار الناس يذهبون اليها من الخارج طلبا للرزق

وتعتقد أكثر الدوائر أن هذه الحال — أى نقص الهجرة من انجلترا وزيادة الهجرة اليها — هى السبب الاكبر فى انتشار البطالة اليوم فى بلاد الانجليز — ومن الطبيعى أن تكون البطالة على أشدها انتشاراً فى البلاد الصناعية . ويقول بعض علماء الاقتصاد انه لو هاجر من بلاد الانجليز فى كل عام من الاعوام العشرة الماضية عدد من السكان يوازى عدد الذين كانوا يهاجرون سنويا قبل الحرب الماضية لنقص عدد سكان بلاد الانجليز نحو مليونين ونصف مليون من الانفس وهو مساو لعدد العمال العاطلين فى انجلترا فى الوقت الحاضر . ولهذا تسعى الحكومة الانجليزية لتشجيع ابنائها على المهاجرة ولا تأبه لانتقاد الذين يقولون ان انجلترا بعملها هذا تقذف بالعاطلين من ابنائها الى مستعمراتها وتحاول حل مشكلة البطالة لديها بتوسيع نطاق البطالة خارج بلادها أى فى أملاكها

ومستعمراتها النائية . وفي الحقيقة أن هذه السياسة لا تخطر قط ببال زعمائها وأولياء الامور فيها إذ أن كل ما يبتغونه هو ترويج دولاب الاعمال وتوسيع نطاق الزراعة والصناعة لتيسير وسائل المعيشة. ولو كان الغرض هو مايقوله أولئك النقاد لأوصدت انجلترا أبوابها في وجوه الغرباء الذين لايزالون يهاجرون اليها كل عام . وفي الحقيقة أن معظم هؤلاء المهاجرين ينفعون البلاد التي يهاجرون اليها ويتخذونها وطنا بما يحدثونه فيها من رواج الاعمال والتجارة

ولقد كانت الولايات المتحدة قبل الحرب العظمى الماضية مهجراً عاما يقصده الشرقيون والغربيون من كل حدب وصوب . ولذلك تعد تلك البلاد ملتقى جميع شعوب العالم . على أنها قد غيرت اليوم خطتها بازاء المهاجرين ، فبعد أن كانت تسمح بدخولهم أبوابها زرافات زرافات أصبحت توصد في وجوههم الابواب ولا تقبل منهم الا نزراً يسيراً كل عام . مثال ذلك أن عدد الايطاليين الذين نزحوا الى الولايات المتحدة سنة ١٩١٣ (أي قبيل الحرب العظمى الماضية) كان مائتين وتسعين الفا وأما اليوم فان أميركا لا تقبل من الايطاليين سوى أربعة آلاف مهاجر فقط كل عام

وكذلك قل في سائر الشعوب الاوربية فقد كان عدد المهاجرين منها كل عام الى الولايات المتحدة كبيراً جداً لايقل عن المليون . فأصبح اليوم لايجاوز المائة والخمسين الفا من جميع الاجناس والطوائف . واكثرهم — كما لايخفى — من طبقة الفقراء . وقد أضر هذا التقييد بعض الشعوب الاوربية اكثر مما أضر غيرها لان الولايات المتحدة لم تراع عند سن قانون المهاجرة الجديد سوى مصلحتها قبل كل شيء . وهي تعلم أن اكثر الذين يهاجرون اليها من طبقة الفقراء الذين يقصدون العالم الجديد لطرق أبواب الرزق فيه . وغني عن البيان أن سبل الرزق في الولايات المتحدة ليست اليوم أوسع منها في غيرها ، بدليل وجود الملايين من العمال العاطلين فيها . ومع ذلك فان أميركا لم توصد أبوابها في وجوه المهاجرين اليها ايصاداً تاما

وليس معنى ذلك أن اميركا مورد عذب لكل من يريد أن يستبيح حرمتها من حثالة الناس ومن الافراد غير المرغوب فيهم . بل لقد قيدت المهاجرة اليها بقيود لامثيل لها في البلدان الاخرى ، وقد راعت في ذلك الاعتبارات الادبية والصحية والاقتصادية والعمرانية . وأميركا كما لايخفى لا تزال بلاداً فسيحة الارجاء ، تبلغ مساحتها تسعة ملايين ونصف مليون كيلو متر مربع وعدد سكانها نحو مائة مليون وثلاثة وعشرين مليونا من الانفس أي بنسبة نحو ١٤ نفسا لكل كيلو متر مربع ، ومع ذلك فان هنالك بلاداً أفسح منها نسبيا كاوستراليا وكندا مثلا — وفي الاولى أقل من ثلاثة أنفس لكل كيلو متر مربع . وهذا يجعل المهاجرة الى تلك البلاد — والى غيرها من البلاد القليلة السكان — أمراً مرغوبا فيه اذا أريد تعميرها

تعقيم غير المرغوب فيهم

[خلاصة مقالة نشرت في مجلة ليتراري
دیجست . بقلم رئيس تحرير المجلة]

سبق السيف العذل وسنت المانيا قانوناً لتعقيم المجرمين وضعاف العقول والمصابين بامراض وراثية لمنعهم من التناسل ولوقاية الاجيال المقبلة من عامل من عوامل الانحطاط . وحذت أكثر الولايات الاميركية حذو المانيا فى ذلك وينتظر أن تتبعها غيرها . وقد قامت قيامة الكثيرين من رجال الدين وزعماء الاجتماع على هذا القانون بحجة انه مناف لسنن الدين والعقل والاجتماع . ولكن هذه الصيحة كانت فى واد لان انصار ذلك القانون مضوا فى تنفيذ غاياتهم ولم يأبهوا لما كان يوجه اليهم من الانتقاد

وفى مقدمة الذين حملوا على نظرية التعقيم الدكتور فيشبين رئيس تحرير مجلة المجمع الطبي الاميركي وأحد اساتذة كلية الطب بجامعة شيكاجو . وكان قد اطلع على النبذة التى نشرها حزب النازى بالمانيا فى هذا الشأن ، وقد جاء فيها ان برنامج التعقيم هو فاتحة الوسائل التى ستتذرع بها المانيا لتطهير الشعب الالماني ومنع تناسل المجرمين الوراثيين والمتوهين والمصابين بالامراض العقلية الوراثية ــ وبكلمة أخرى ــ لمنع تناسل الاشخاص غير المرغوب فيهم . وقد تولى الدكتور فيشبين الرد على حجة النازى ونشرت احدى شركات الصحف الاميركية خلاصة رده ، وقد جاء فيه انه ليس من السهل تطبيق نواميس مندل فى الوراثة على تناسل البشر . ومع شدة رغبة كل عاقل فى تحسين النوع الانساني وترقية مستواه العقلى الادبى فان تطبيق نواميس مندل على تناسل البشر لا يخلو من خطر

ففى انجلترا اليوم جماعات من العلماء والاطباء يقومون بمباحث واسعة النطاق لاختبار تأثير الوراثة فى مختلف أفراد النوع . وقد ثبت لهم بوجه قاطع ان المصابين بضعف القوى العقلية لا يجيء نسلهم بالضرورة ضعيفاً . مثال ذلك أن مائة والد من المصابين بضعف تلك القوى ولد لهم ٣٣٨ ولداً كان مائة منهم فقط ضعاف العقل حالة ان المائتين والثمانية والثلاثين الباقين كانوا اصحاء العقول والاجسام . وان نحو ستمائة من الوالدين الاصحاء العقول ولد لهم ١٠٣٢ ولداً كان منهم ستة وثمانون مصابين بضعف القوى العقلية . فلو طبق قانون التعقيم الالمانى على التجربتين المذكورتين لكانت النتيجة الاولى حرمان الامة ٢٣٨ ولداً صحيح العقل والجسم . ولكانت النتيجة فى الثانية اضافة ٨٦ ولداً ضعيف العقل الى أفراد الامة

فترى اذن أن نسل المصابين بالامراض العقلية لا يجيء بالضرورة ضعيف العقل . كما أن نسل

العقلاء لا يكون بالضرورة سليم العقل . والتعقيم قد يحرم الانسانية أفراداً من النوابغ الذين قد ينفعون العالم بعبقريتهم . وعلم الوراثة لم يصل بعد إلى المستوى الذى يبيح لنا أن نحكم على مستقبل البشر حكماً صحيحاً

نعم إن هنالك خطراً عظيماً اذ القينا الحبل على الغارب وأطلقنا الحرية للمعتوهين وضعاف العقول والمصابين بالامراض الوراثية ليكثروا ويتناسلوا . وأمثال هؤلاء هم عادة أخصب وأسرع تناسلا من أصحاء العقول والاجسام . ولكن يجب ألا ننسى أن الطبيعة حكيمة وان الوسائل التى تستعملها تفوق جميع الوسائل التى يستعملها الانسان ، وهى التى تحكم بفناء الذين لا يصلحون للبقاء وبقاء الاصلح منهم . وعملها أوسع نطاقاً من عمل الانسان فهى لا تتناول الافراد فقط بل الجماعات أيضاً

وممن قد طعنوا فى نظرية التعقيم التى نحن فى صددها كثيرون من كبار رجال الدين وهم يقولون بانها ليست مناقضة لمبادىء الدين فقط بل لمبادىء العلم أيضاً لانها مؤسسة على الزعم بأننا نعلم أسرار نواميس الوراثة علماً يقينياً وهو زعم فاسد . وفى الحقيقة ان التاريخ لا يعلم بوجود نسل من المجرمين أو المعتوهين أو ضعاف العقول ، كما انه لا يذكر ظهور جيل من النوابغ والعباقرة وأصحاب العقول الفارغة . نعم هنالك أفراد كثيرون من أولئك وهؤلاء معاً ، وأما ظهور جيل أو سلالة منهم طبقاً لمقتضيات ناموس الوراثة فامر لا يذكره التاريخ ولا يؤيده الاختبار . بل نرى بالعكس من وقت الى آخر عباقرة فى كل علم وفن يجيئون من آباء ليسوا على شىء من الشهرة والنبوغ ، كما نرى أيضاً نوابغ مشهورين فى العالم واولادهم فى احط دركات البلاهة والخمول — الامر الذى يدل على ان العلم لم يحط حتى الآن بجميع أسرار نواميس الوراثة . وما دام الأمر كذلك فكيف يجوز لنا أن نسن قانوناً للتعقيم ونبنيه على مبادىء فى علم الوراثة لا تزال معرفتنا بها ضعيفة ناقصة . وهل كان ميشيل انجلو وبتهوفن وجيته وواجنر ونبوليون سلالة آباء نوابغ جبابرة العقول ؟ أو ليس من المحتمل اذا نحن ماعقمنا بعض الافراد المشكوك فى قواهم العقلية أن نحول دون ظهور عباقرة كموسى وارسطوطاليس والقيصر وغيرهم من عظماء العالم ؟ ان هذا السبب وحده يثبت لنا ان التعقيم مجازفة خطيرة لا تنطبق على الاسس العلمية الصحيحة

ومما يجدر بالذكر ان خمساً وعشرين ولاية من الولايات المتحدة الاميركية قد سنت قوانين لتعقيم المجرمين واحدثها ولاية اركنساس وقد سنت قانونين لهذا الغرض احدهما لتعقيم المجرمين المتادى الاجرام والآخر للمصابين بجنون وراثى ، وامام ولاية نيويورك مشروع قانون لتعقيم المصابين بضعف القوى العقلية . والظاهر أن الشعب الاميركى أشد اقتناعاً بحكمة قانون التعقيم من الشعب الالمانى

عدو الانسان

[خلاصة فصل من كتاب بعنوان « الفئران والقمل والتاريخ »
للدكتور زنسر الاستاذ بكليــة الطب بجامعة هارفرد]

الفأر والجرذ أكثر الحيوانات تعويلا على الانسان . وقد اكتسبا بسبب طول معاشرته صفات تشبه صفاته . فهما كالانسان يأكلان اللحم والحبوب والبقول . بل هما يأكلان كل ما يأكله الانسان وإذا لم يجدا ما يأكلانه افترسا أفراد نوعهما . وهما يكيفان معيشتهما بحسب البيئة التى يعيشان فيها ويتحملان الحر والبرد وجميع الاجواء التى يتحملها الانسان ويحسنان السباحة والتسلق ويشنان الغارة على أفراد نوعهما كما يفعل المتمدنون

وليس لدينا أى دليل على أن الجرذان والفئران كانت معروفة فى أوربا قبل الحروب الصليبية ، ومع ذلك فلم ينقض القرن الثالث عشر حتى كانت أوربا تشكو منها مر الشكوى إذ كانت تتوالد وتنتشر بسرعة البرق الخاطف . ولم ينقذ البحر سواحل انجلترا من هذا العدو المفاجىء . وقد أشار شكسبير فى أحد مؤلفاته الى « الجرذ الاسود » — وكان قد أصبح لعنة لا تطاق حتى كان الناس يقيمون الصلوات فى الكنائس فى أيام معينة من السنة ويبتهلون الى الله أن يقيهم تلك اللعنة . وفى رواية روميو وجولييت إشارة الى « صيادى الفئران » وقد كانوا من كبار الموظفين فى ذلك الزمن

ويقول المؤرخون إن قبائل « الفاندال » الذين اجتاحوا أوربا فى القرنين الخامس والسادس لم يعيثوا من الفساد ما عاثته الجرذ والفئران . بل ان الاضرار التى أحدثتها هذه الحيوانات القارضة تفوق الاضرار التى أحدثتها جميع حروب القرون الوسطى والحديثة فى أوربا

وما كانت أوربا لتستطيع الخلاص من « الجرذ الاسود » لولا أن اتاح لها الله « الجرذ الاسمر » ، وهو نوع شرس جداً نزح من آسيا الى أوربا فى أوائل القرن الثامن عشر على أثر زلزلة هائلة مجتازاً نهر الفولجا الى استراخان ومنها غرباً حتى وصل الى أوربا . ولم يقف فيها بل زحفت جماعات منه حتى وصلت الى انجلترا . فى الربع الاخير من القرن الثامن عشر ومن هنالك وصل الى الولايات المتحدة . ويظهر ان انتشار هذا الحيوان كان على أقله فى البلدان المشهور أهلها بشدة الاقتصاد كاسكوتلندا وسويسرا فقد كاد يهلك فيهما من الجوع . وقد انتشر اليوم « الجرذ الاسمر » — وهو النوع الاعتيادى — فى جميع أنحاء القارات الخمس وجزائر البحار ومناطق القطبين . والغريب أن البلاد الوحيدة التى قد نجت من هــذا الغازى حتى الآن هى جرينلندا . ولعل اشتداد البرد فيها هو الذى قد حال دون انتشار الجرذ فيها

وقد لوحظ أنه أينما حل الجرذ الاسمر فتك بجميع أنواع الفئران والجرذان والحيوانات القارضة وطردها . فهو اذن ليس عدواً للانسان فقط بل لغيره من أنواع الحيوان أيضاً . والمعروف

عنه أنه يحفر أماكن وثقوباً ليقيم بها أو يطرد الحيوانات الاخرى ليقيم بأوكارها ومساكنها . وكثيراً مايقتل الارانب وصغارها ويحل محلها . وهو ينقل جراثيم الامراض - ولا سيما الطاعون والتيفوس وحمى الفئران واليرقان - ولا حد للاضرار التى يحدثها . وقد نشرت وزارة الزراعة فى الولايات المتحدة نبذة علمية جاء فيها بيان أكثر الاضرار التى يحدثها هذا الحيوان . واليك بعضها :

فهو يفتك بالمزروعات ويأكل نصف المحصول تقريبا . ويستطيع الجرذ الواحد أن يأكل كل سنة من أربعين الى خمسين رطلا من القمح والذرة . ويتلف السلع والبضائع على اختلاف أنواعها فيقرض الكتب والاثاث والجلد والثياب جميعها والفواكه والبقول والحبوب والغلال . ويفتك بالدجاج والطيور والبط والاوز والحمام ويتلف بيض هذه الطيور جميعا فضلا عن بزور الازهار والنباتات ، بل لقد يتلف بيوتاً بأسرها اذ ينقر جدرانها ويقرض ما فيها من أخشاب ويعرض بيوتاً برمتها للانهيار . وقد أحدث اضراراً أعظم من هـذه إذ ثقب سدود المياه وخزاناتها فاحدث طوفانات جارفة وقرض ثقاب الكبريت فاشعل النيران الهائلة . وكثيراً ما أكل الغلال والمحصولات فى الهند وغيرها فادى ذلك الى المجاعات بل لقد فتك بالبهائم والحيوانات على اختلاف أنواعها وبالبقر والنعم والماشية . والشواهد كثيرة على أنه قتل الفيلة والجمال والخنازير وغيرها من الحيوانات بنقر بطونها أو غير ذلك من اعضائها الحيوية . ولم يقتصر اعتـداؤه على الحيوان فقط بل امتد الى الانسان أيضاً ففتك بالاطفال والاولاد الصغار . وروى بعضهم أن رجلا نزل الى منجم للفحم فهجم عليه قطيع من الجرذان الجائعة وفتكت به فتكا ذريعا وافترسته !

هذا بعض ما جاء فى تلك النبذة وهو دليل على عظم الخطر الذى يحدق بالعمران من ناحية هذا الحيوان القارض . ولا يستطاع بالتمام تقدير عدد جيوش الجرذ والفئران فى العالم ، ولكنه يحصى بمئات الملايين . ومما يجدر بالذكر أن طاعوناً هائلا حدث فى الهند فى سنة ١٨٨١ فعرضت الحكومة جوائز مالية كبيرة على من يأتيها بالجرذ والفئران حية أو ميتة ، فبلغ ما أهلكته الحكومة يومئذ - فى مقاطعة واحدة فقط من المقاطعات التى كانت موبوءة - اثنى عشر مليون فأر وجرذ ! وهذا ما يحمل الكثيرين على القول بأنه ما من مدينة فى العالم إلا وفيها من هذا الحيوان الخبيث بقدر ما فيها من أنفس بشرية

ويقول العارفون بغرائز الحيوان إن الجرذان والفئران تقيم فى الشتاء بالبيوت والمساكن ، فمتى جاء فصل الربيع خرجت من أحجارها الى الحدائق والبساتين . وفى بدء فصل الصيف تنزح الى الغيطان وتبدأ تفتك بالمزروعات . وتظل هنالك الى أن يجيء فصل الشتاء فترجع الى البيوت وتدخل أجحارها مرة أخرى . وذكر بعضهم ممن يوثق بصدق روايته أنه أبصر مرة فى نور القمر جحافل لا يدرك الطرف آخرها تجتـاز غيطان ولاية ايلينويز بسرعة هائلة ولها حفيف هائل . وكانت وهى تجتاز تلك الغيطان تفتك بالمزروعات وتحدث بها اضراراً عظيمة

مراحل فى تاريخ الطب

[خلاصة فصل من كتاب « الطبيب فى التاريخ » للدكتور هوارد هجارد]

فى سنة ٢٩٣ قبل الميلاد تفشى فى الامبراطورية الرومانية وباء أهلك الكثيرين وحاول الرومان الاستعانة بآلهتهم على مقاومة ذلك الوباء . وإذ أخفقوا أوفدوا الرسل الى بلاد اليونان يستعيرون منهم بعض آلهتهم . فأرسل اليهم اليونان تمثال اسكولاب فاقام له الرومان معبداً . وفى سنة ٤١ بعد الميلاد أمر الامبراطور اقلاديوس بتحويل ذلك المعبد الى ملجأ يحشر فيه جميع المرضى . وما هو إلا قليل حتى أصبح ذلك الملجأ مستشفى عاماً . وهو أول مستشفى عرف فى التاريخ ، وكان المرضى يحشرون فيه معاً على اختلاف أمراضهم وعاهاتهم

الحجر الصحى : فى أواسط القرن الرابع عشر للميلاد تفشى فى أوربا مرض « الموت الاسود » (وهو نوع من الطاعون الخبيث) ولما حار الاطباء فى مصدره أخذ الناس يشيعون أن اليهود هم مسببوه وأنهم يسممون الآبار والانهار ليهلكوا المسيحيين . فوقع على اليهود اضطهاد عظيم بسبب ذلك . وانشأت بعض المدن والقرى « مخافر » لحراستها ولمنع المصابين والمشوهين من الدخول . ومنعت السفن أيضاً من دخول الموانىء خيفة العدوى . فكانت هذه السفن تضطر الى البقاء أربعين يوماً فى عرض البحر لكى تتطهر من جراثيم الوباء المحتمل أن يكون فيها . وهذا منشأ « الكورنتينا » أو الحجر الصحى . ومعنى كلمة كورنتينا أربعون يوما

الجراحة : فى القرن السادس عشر كان الناس ينظرون الى الجراحة بعين الاحتقار . وكان الاطباء يحيلون العمليات الجراحية على الحلاقين والسيافين والحجامين والمشعوذين وأصحاب الحمامات العامة . وكان الطبيب فى ذلك القرن يترفع عن لمس الجروح بيده وانما يشير اليها بعصا قصيرة يحملها بيده ويوضح للحلاق المكان الذى يجب أن يسلط الموسى عليه . وكان الحلاقون يقطعون النزيف بكي الجرح بالحديد المحمى كياً مؤلما . وأول حكيم تولى بنفسه معالجة الجروح هو الدكتور امبرواز باريه وكان طبيبا وجراحا لهنرى الثانى وخلفه فرنسوا الثانى ثم لشارل التاسع وهنرى الثالث . وهو أول من استعمل الضمادات وربط الاوعية الدموية لوقف النزيف بدلا من الكي المؤلم . وكان وديعا متواضعا يقول عن كل من ينال الشفاء على يديه : « انا ضمدت جروحه والله شفاه » ومن بعده أخذ الاطباء يعنون بالجراحة ولا يستنكفون من لمس الجروح ومعالجتها

علم التشريح : كان الاطباء حتى أواسط القرن السادس عشر يسلمون بوصف جالينوس (الطبيب الرومانى الذى عاش فى القرن الثانى) لاعضاء جسم الانسان الباطنية تسليما أعمى ويبنون جميع

مباحثهم ونظرياتهم الطبية على ذلك الوصف . ولكن فرساليوس الطبيب الايطالي المشهور أثبت فى سنة ١٥٤١ ان وصف جالينوس للاعضاء الباطنية لم يكن صحيحا وان جالينوس لم يشرح قط فى حياته جسم انسان . أما فرساليوس فقام بتشريح جثث كثيرة فأماط اللثام عن اعضاء الجسم الباطنية ووضع فى ذلك كتابا نفيسا يحتوى على ٦٦٣ صفحة واكثر من ثلثمائة رسم وصورة . الا ان الاطباء لم يصدقوه وظلوا يصدقون اقوال جالينوس فاغتاظ فرساليوس من ذلك وألقى بكتابه الى النار . ولكن الحقيقة انجلت بعد وفاته وادرك الاطباء انه كان مصيبا وان جالينوس كان « فشاراً » !

الترمومتر : كان الطبيب سنكتوريوس أول من استعمل الترمومتر أى مقياس الحرارة سنة ١٥٨٢ للميلاد واستعمله غاليليو بعده باحد عشر عاماً . وكان الترمومتر الذى استعمله سنكتوريوس طويلا جداً معقوف الطرف وفى قمته كرة فارغة بشكل البيضة وحجمها . وكان ترمومتر غاليليو يختلف عنه شكلا وحجما . وسنكتوريوس هذا هو أول طبيب جس النبض وعرف علاقة ذلك بحالة الانسان الصحية . ولم يستعمل الساعة لعد النبض لان ساعات ذلك الزمن لم تكن لها عقارب ثوان وانما استعمل بدلا منها رقاصاً خاصاً

الدورة الدموية : فى القرن السادس عشر والى أوائل القرن السابع عشر كانت نظرية الاطباء فى الدم مبنية على نظرية جالينوس الطبيب الرومانى الذى تقدمت الاشارة اليه . وكانت هذه النظرية تقول إن الكبد هو مركز الجهاز الدموى وحيث تتحول الاغذية بطريقة سرية الى أرواح طبيعية وان القلب هو بمنزلة اتون لتحريك الدم وتسخينه وأن الرئتين هما بمنزلة مروحتين لتبريد الدم بعد تسخينه . إلا أن وليم هارفى الطبيب الانجليزى الذى عاش فى القرن السابع عشر درس الدورة الدموية درساً صحيحاً وشرحها شرحاً حقيقيا فى كتاب له نشره فى سنة ١٦١٨ فكان ذلك مرحلة من أهم مراحل تاريخ الطب

المكرسكوب : فى سنة ١٦٦١ اخترع جاليليو الايطالى عدسة المجهر (المكرسكوب) فاستعان بها الدكتور مالفيجى على اكتشاف المجارى الدموية الدقيقة التى تصل الشرايين بالعروق — الامر الذى لم يتمكن هارفى من اكتشافه لان عدسة المكرسكوب لم تكن قداخترعت بعد . ولكن لم يتضح إلا فى القرن التاسع عشر أن الدم انما هو أشبه شىء بمركبة تنقل الاوكسيجين والمواد الغذائية والنفايات من بعض انحاء الجسم الى غيرها

الستتسكوب : أول من استعمل الستتسكوب (أو سماعة الطبيب) هو « لينيك » فقد استعمل هذه الآلة سنة ١٨١٩ . ومنذ ذلك اليوم صار الطبيب لا يستطيع الاستغناء عنها لانها توضح حالة القلب والرئتين وصوت مجرى الدم وحفيف الهواء فى الرئتين

المرقد أو المخدر : فى سنة ١٨٤٢ استعمل وليم مورتون طبيب الاسنان الاميركى مادة الايثير

لتخدير نفسه . وكان قد سبق فاستعملها فى تخدير كلبه . فكانت النتيجة مدهشة . وأراد ان يثبت فائدتها فى العمليات الجراحية . فطلب الى مدير أحد المستشفيات الاميركية ان يسمح له باستعمال الايثير فى العمليات التى كان أطباء ذلك المستشفى يقومون بها . فاجيب الى طلبه وقدم اليه مريض كان يراد عمل عملية جراحية له . وكانت العادة قبل اكتشاف المخدر ان يقبض اشخاص أقوياء البنية على المريض المطلوب عمل العملية له لكى يمنعوه من المقاومة . ولكن الدكتور مورتون ما كاد يدنى المخدر من انف المريض حتى وقع عليه سبات قوى تمكن الاطباء فى خلاله من انجاز عمليتهم على وجه « مرض »

التعقيم : فى سنة ١٨٦٠ كان جوزيف ليستر جراحا شابا من اهالى مدينة جلاسجو يدرس أسباب عفونة الجروح . وكان جراحا ماهراً يعنى بمرضاه كل العناية ومع ذلك كان عدد كبير منهم يموتون . وسمع هذا الجراح با كتشاف باستور ان فساد الخمر ينشأ عن البكتريا . فادرك ان بين ذلك الفساد وعفونة الجروح علاقة قوية . فاخذ يغسل يديه وآلات الجراحة التى يستعملها بحامض الكربوليك (الفينيك) قبل كل عملية جراحية . وإذا الجروح تندمل ولا تصاب بالعفونة . فلم يبق عنده شك فى لزوم النظافة والتعقيم فى جميع العمليات الجراحية

أشعة اكس : اكتشف الدكتور رنتجن الالمانى هذه الاشعة سنة ١٨٩٥ . وكان اكتشافه لها بطريق الصدفة وعلى وجه يطول بنا شرحه . وقد ادى هذا الاكتشاف إلى ارتقاء الطب والجراحة ارتقاء عظيما . والعلماء يحسبون اكتشافه مرحلة من أهم مراحل تاريخ الطب . واليه يرجع الفضل فى معرفة ما كان قبلا مستوراً عن عين الانسان من أعضاء جسمه الباطنية

الثورات والاجتماع

[خلاصة مقالة نشرت فى جريدة « واشنطون بوست » بقلم فيلكس مورلى]

نشر الدكتور ا . د . مارتن الاميركى كتاباً بعنوان : « الوداع أيتها الثورات » وصف به تطور الثورات فى التاريخ وسرعة نفور الجماهير منها وانقلابهم عليها . وسيظل هذا الكتاب حديث الكثيرين من رجال السياسة والاجتماع زمناً طويلا لانه يحتوى آراء جديرة بالاعتبار

يقول الدكتور مارتن إن جميع ثورات التاريخ ــ ولا سيما الاجتماعية منها ــ قد كانت بلا استثناء هدامة مخربة وحائلة دون كل تقدم . ونتيجتها المحتومة برهان قاطع على اخفاق كل من تحدثه نفسه باحداث أى انقلاب ، اذ ما من ثورة إلا انتهت الى حيث ابتدأت وتركت وراءها آثاراً تدل على تقهقر الحضارة تقهقراً محسوساً ، والذين يؤمنون بامكان التقدم والرقي بواسطة الثورات ــ

سياسية كانت أو عمرانية ــ هم ضعاف قصار العقول بل هم خطر على الاجتماع

وقد كان سبنجلر وأورتيجا وجاسيه وغيرهم من أهم الذين بحثوا فى سلوك الجماهير بازاء الثورات وفى موقف الفرد نفسه فى إبان تلك الثورات ــ ذلك الفرد الذى يعتبر نفسه أهلا للتمتع بنصيبه الحق من نتيجة كل انقلاب . ونتيجة كل انقلاب ثورى لا يمكن أن تكون أى شىء خلاف الخراب . وأى خراب أعظم من خراب الامبراطورية الرومانية على أثر ما اجتاحها من ثورات واحداث ، وقد وصف الكاتب ذلك وصفا دقيقاً نقتطف منه قوله :

« ثم جاءت الخاتمة يحف بها السيف والدم ويتقدمها الارهاب والدمار . وما كان العاقل ليشك فى دنو الخاتمة يوم صار يرى الشوارع ملأى بالرعاع وجماهير العامة تتدفق فى الشوارع بعضها يهرب أمام الغزاة والبعض الآخر يسقط تحت سنابك خيولهم ، وأنين الجرحى والمحتضرين يتصاعد الى عنان الجو والنيران تلتهم صروح روما الباذخة . . . ثم انتهى ذلك اليوم الاسود وانقضت فترة قصيرة برزت خرائب روما بعدها للعيان واختفت كنوز تلك المدينة العظيمة كأنها لم تكن ، فانتشرت آثار الفوضى والخراب فى جميع أنحاء أوربا حيث كان يسود قبل ذلك القانون والنظام

ويقول الدكتور مارتن إن التاريخ شهد عدة انقلابات : فاولها وأهمها الانقلاب الذى أفضى الى زوال مدنية اليونان . وثانيها الانقلاب الذى وقع فى انجلترا منذ نحو ثلاثة قرون . وثالثها الثورة الفرنسية المشهورة . وقد وقعت بعدها عدة انقلابات خطيرة ــ كالثورة العثمانية والبولشفية والفاشستية ــ وجميعها تساعد الزمان على أتمام دورته وتساعد التاريخ على أن يعيد نفسه

وغنى عن البيان أن هنالك ثورات قد أسفرت عن نتائج طيبة كالثورة الاميركية التى أفضت الى استقلال الولايات المتحدة . ونتيجتها تخالف فى الظاهر نظرية الدكتور مارتن . ولكن الدكتور مارتن يفسر هذه الظاهرة بقوله : إن الثورة الاميركية كانت سبباً فى سفك دماء كثيرة وفى احداث كثير من الخراب والدمار كانت كلتا انجلترا وأميركا فى غنى عنهما . فان النتيجة التى أفضت اليها تلك الثورة (أى استقلال الولايات المتحدة) كان لابد من حصولها من دون التجاء الى الثورة . وبعبارة أخرى أن الثورة ليست هى التى جلبت الاستقلال لان نتيجتها لا يمكن أن تكون سوى الخراب والدمار . والرجل العاقل هو عدو الثورات بجميع أنواعها ، ويعلم أن أى إصلاح تحتاج اليه البلاد لا يتأتى عن هياج الجماهير وزحفها على دور الحكومة بل عن طريق الاقناع والتفاهم . وقد لوحظ أن أكثر حوادث الاصلاح تتم على يد أفراد أو زعماء وقلما تتم على يد الجماعات أو الجماهير . والفرد قلما يجرؤ على محاولة قلب نظام اجتماعى أو حكومى مهما كانت شكواه من ذلك النظام . والحكمة تقضى عليه بأن يبتعد عن العوامل والمؤثرات التى تدفعه الى القيام على النظام كما دفعت مؤلفات روسو وأمثاله الى اشعال جذوة الثورة الفرنسية

تقدم العلم والعالم

اقدم مدن العالم

المعروف ان دمشق الشام هي اقدم مدن العالم التي ما تزال قائمة حتى الآن الا انها ليست اقدم مدينة بناها الانسان فان هذا الفخر هو لمدينة « تيب جورا » التي ازدهرت في بلاد ما بين النهرين منذ نحو ستة آلاف سنة . ويظهر أن هذه المدينة خربت وبنيت عدة مرار . وهنالك اليوم بعثة علمية تبحث عن آثارها وحضارتها في أدوارها المختلفة . وقد عثرت على قبور فيها أدوات كثيرة للزينة من مساحيق ومعجونات وحلى وهلم جرا

حضارتان بائدتان

عثر علماء الآثار في فنزويلا على آثار حضارتين هنديتين ترجعان الى القرن العاشر والقرن الحادى عشر للبلاد ولم تكن هاتان الحضارتان معروفتين من قبل . ويظهر أن الاسبان لما دخلوا تلك البلاد كانت تانك الحضارتان قد انقرضتا

لقاح واق لالتهاب الرئتين

فى الجزء الصادر فى ٢٣ فبراير الماضى من مجلة رسالة الأخبار العلمية الامريكية أن الدكتور فلتون الامريكى الأستاذ بجامعة هارفرد أبلغ أساتذة جامعة جون هوبكنس الامريكية خبر اكتشاف لقاح واق من مرض التهاب الرئتين . وقد جرب هذا اللقاح فى ثلاثة آلاف رجل ممن يعيشون فى بيئة معرضة لذلك المرض فنجا جميعهم ولم يصب أحد منهم . ويظهر ان هذا اللقاح مصـــنوع بطريقة تقوم على معالجة ميكروب المرض كيمياويا وهو يوجد المناعة من ذلك المرض بانواعه الاربعة . ولا يخفى أن المصل الذى يستعمل الآن فى معالجة التهاب الرئة انما يشفى النوع المصنوع له ذلك المصل ولا يصلح لغيره . وهذا يقتضى فحص الميكروب لمعرفة نوعه قبل صنع المصل الذى يشفى منه . أما اللقاح الذى نحن بصدده فيوجد مناعة عامة من ذلك المرض . وتقول المجلة التى نقلنا عنها هذا الخبر إن اللقاح لن يعرض للاستعمال العام قبل القيام بتجارب أخرى واسعة النطاق

مرض السل

لا يزال السل - ويسمونه أيضاً الطاعون الابيض - فى مقدمة الامراض التى تودى بحياة الانسان ولاسيما بين الذين تختلف أعمارهم من عشرين سنة الى أربعين سنة . وأهم الوسائل التى يستعان بها على مكافحة هذا الداء ما يأتى :

(١) حماية اللبن من ميكروب السل
(٢) عزل المصاب بالسل فى الحال
(٣) المداراة وعدم تعريض المصاب للعوامل التى تزيد فى شدة المرض
(٤) ملاحظة مسألة الوراثة
(٥) تعميم شروط المعيشة الصحية
(٦) تعليم الجمهور كيفية اتقاء هذا الداء

آثار حوت منقرض

عثر بعض علماء الحيوان فى سواحل ولاية

كاليفورنيا على جمجمة حوت مطمورة فى الارض ، وقد اتضح من فحصها أنها لنوع من الحوت كان يكثر فى محيط الباسفيك منذ نحو خمسة عشر مليون سنة . ويبلغ طول هذه الجمجمة نحو خمس أقدام . والارجح ان طول جسم الحوت لم يكن يقل عن عشرين قدما

اهتمام قدماء المصريين بالموت

مما يدل على اهتمام قدماء المصريين بالموت ان كل مصرى تقريباً كان فى خلال حياته يتفق مع المحنطين وصناع التوابيت على كيفية تحنيطه وتكفينه ودفنه . وكان اهمال ذلك يعتبر تقصيراً عظيما ، حتى ان بعض المصريين كانوا يحسبونه خطيئة

معالجة الكساح

الكساح مرض يصيب عادة صغار الاولاد وسببه نقص الفيتامين « د » من الغذاء . وهذا المرض لا يقتصر على الانسان فقط بل يصيب كثيراً من الحيوانات ذوات الثدى والطيور أيضاً . ومعالجته تكون بتوفير الفيتامين المذكور فى غذاء المريض أو بتعريضه للاشعة التى وراء البنفسجية . ويؤخذ الآن من المباحث الطبية الحديثة انه يمكن معالجة مرض الكساح باعطاء المصاب مواد غذائية تتوافر فيها مادة الفسفور التى تبنى العظام . وقد جربت هذه الطريقة فى كثير من الاولاد والفئران فأسفرت التجربة عن نجاح تام

امراض القلب والغدد

يقول الدكتور كتلر أستاذ علم الجراحة بمدرسة الطب بجامعة هارفرد إنه قام بعدة عمليات جراحية فاستأصل الغدة الدرقية من أناس كانوا مصابين بأمراض القلب فكانت النتيجة انهم نالوا الشفاء التام وكانت تلك العملية خيراً من كل ضرب من ضروب المعالجة. وكان عدد الذين أجريت لهم أربعة وستين شخصاً نال جميعهم الشفاء التام مع ان حالة اكثرهم كانت تدعو الى اليأس

ومما يجدر بالذكر ان جميع الاشخاص الذين يكون افراز الغدة الدرقية فيهم غزيراً تبدو عليهم أعراض أمراض القلب ، مما يثبت وجود علاقة بين هذه الغدة وتلك الامراض . وهذا ما حدا بالدكتور كتلر الى القيام بالعمليات الجراحية المذكورة وقد أسفرت جميعها عن النجاح

الصفر المطلق

درجة الصفر المطلق هى درجة من البرد تبطل عندها حركة جميع دقائق المادة وحركة جواهرها الفردة ، وهى الدرجة ١٥ر٢٧٣ بمقياس سنتجراد أو ٤٥٩ر٦ بمقياس فهرنهيت . وقد حاول العلماء مراراً توليد هذه الدرجة من البرد بالطرق الصناعية فى المعامل الكيماوية فكان أقصى ما وصلوا اليه يقل نحو ربع درجة فهرنهيت عن الصفر المطلق . إلا ان الاخبار قد جاءت الآن بان الأستاذ هاز ولفيفاً من رفاقه الاساتذة بجامعة ليدن بهولندا قد تمكنوا من توليد درجة من البرد لا تقل عن درجة الصفر المطلق سوى جزء من خمسة آلاف جزء من الدرجة بمقياس فهرنهيت . ولما كان مثل هذه الدرجة من البرد لا يمكن قياسها بالترمومتر لأن الزئبق الذى فيه يجمد فى الحال فقد صنعوا لها ترمومتراً مغناطيسياً خاصاً لا يتسع هذا المجال لشرحه

علاج مرض الاسكربوط

يقول الأطباء ان البرتقال والطماطم هما من أفضل المواد التى يعالج بها داء الاسكربوط لغناهما بالفيتامين «ج». على ان مجلة الاتحاد الطبي الاميركي الصادرة فى ٢٣ فبراير الماضى. تقول ان بعض الاطباء تمكنوا من صنع خلاصة الفيتامين المذكور بشكل أقراص أطلقوا عليها اسم حامض السيفيتاميك يحل محل البرتقال والطماطم ولا سيما فى الاوقات التى لا يوجدان فيها فى السوق. وهذه الاقراص تستحضر من البقول الغنية بالفيتامين «ج» كالبرتقال والليمون والكرنب وهلم جرا

زيادة متوسط العمر

لا يخفى ان متوسط عمر الانسان فى زيادة مستمرة بسبب تقدم علم الطب وازدياد معرفة الناس بالشؤون الطبية والصحية. ويعتقد لفيف من العلماء الخبيرين بأسباب طول العمر انه لن يصل البشر الى نهاية الثلث الثانى من القرن الحاضر حتى تصبح نسبة الاشخاص الذين يصلون الى الخامسة والستين من أعمارهم ضعفي ما هى عليه فى الوقت الحاضر. خذ الولايات المتحدة مثلا: فقد كان عدد البالغين الخامسة والستين من العمر فى أول القرن الحاضر نحو أربعة ملايين فأصبحوا الآن نحو سبعة ملايين ونصف مليون وسيكونون بعد ثلاثين سنة نحو خمسة عشر مليوناً

صناعة التلسكوبات

كانت مرايا التلسكوبات العاكسة تطلى من الوراء بالزئبق أو الفضة. ومنذ عهد قريب قام أحد العلماء بتجربة جديدة فى هذا الشأن فاستبدل الزئبق والفضة بعنصر الالومنيوم، فكانت النتيجة مدهشة إذ زادت قوة المرآة مائة فى المائة مع ان نفقات الطلاء نقصت نقصاً محسوساً. وإذ ذاك قرر مرصد مونت ويلسون بأميركا استبدال طلاء مرآته العاكسة بالالومنيوم. وهى كما لا يخفى اكبر مرآة فلكية فى العالم فى الوقت الحاضر، فان طول قطرها مائة بوصة. وقد تم الآن طلاؤها بالمادة الجديدة فاكتسبت بذلك قوة جديدة هائلة

وقد أشرنا فى أجزاء سابقة من الهلال الى التلسكوب الجديد الذى سيقام فى بازادينا بالولايات المتحدة. وستكون عدسة هذا التلسكوب اكبر عدسة من نوعها فى العالم. ولما كانت تجربة مرصد مونت ويلسون قد نجحت فقد تقرر طلاء مرآة التلسكوب الجديد أيضاً بعنصر الالومنيوم. ويقال ان هذا الطلاء سيخفض نفقات ذلك التلسكوب مليون دولار على الاقل فضلا عن ان قوة المرآة ستزيد أضعافاً كثيرة

تأثير المد والجزر

لا يخفى ان للقمر تأثيراً كبيراً فى الكرة الارضية من حيث المد والجزر. وقد قام فريق من العلماء بتحقيق مقدار ذلك التأثير فاتضح لهم ان المسافة بين قارتى اميركا وأوربا تختلف بسبب المد والجزر نحو ثلاث وستين قدماً

وللقمر تأثير آخر وهو انه يقدم أو يؤخر الوقت ويجعل بين بعض البلدان فرق بضع ثوان فى كل ساعة

تلوين الطرق

شرعت الحكومة الانجليزية فى تلوين بعض الشوارع المرصوفة بالاسفلت. ويقال ان

هذه التجربة بدىء بها منذعهد قريب فى جزائر الخليج الأنجليزى . فكانت النتيجة ان حوادث الاتوموبيلات نقصت نقصاً محسوساً لأن الألوان فضلا عن كونها تريح النظر - تقلل وهج الأشعة المنعكسة عن الشوارع فتقلل بذلك الأخطار

الضائقة المالية والجنون

لو أن نتائج الأزمة المالية التى اجتاحت العالم فى السنوات الاربع الاخيرة اقتصرت على الخسائر المالية فقط لهان الامر ، ولكن تلك النتائج أثرت فى القوى العقلية أيضاً وأسفرت عن زيادة محسوسة فى عدد المجانين فى أوربا وأميركا ، وكانت الزيادة على أشدها . ويؤخذ من الاحصاءات الاميركية ان عدد الذين كانوا يدخلون مستشفيات الامراض العقلية فى الولايات المتحدة لم يزد قط قبل سنة ١٩٢٩ على ما متوسطه الف وستمائة شخص فى السنة . ومنذ ذلك الوقت الى الآن أصبح المتوسط السنوى الفين وخمسمائة من الأشخاص، واكثرهم ممن مستهم الازمة من قريب أو من بعيد

فى سنة ٢٠٣٥

يقول فريق كبير من العلماء الذين يشتغلون بالمسائل الكهربائية ان علم الكهرباء سيتقدم فى خلال المائة من السنوات القادمة تقدماً عظيما . فستقام على سطوح المنازل معامل تحول أشعة الشمس الساقطة عليها الى قوة كهربائية يمكن بواسطتها تدفئة الجو المحيط بالمنازل بحيث يسهل فتح جميع الابواب والنوافذ ليلا ونهاراً حتى فى أبرد أيام الشتاء

الطبيعة والفيتامين « ج »

الفيتامين « ج » هو الفيتامين الذى يحول دون مرض الاسكربوط . وهو يوجد فى بعض الفواكه والبقول . ولكن الطبيعة قد رتبت أن يتولد هذا الفيتامين فى أجسام الاطفال والاولاد الصغار توليداً طبيعياً . ويقول الدكتور بورن من أساتذة معهد التشريح الاوسترالى ان هنالك عدة قرائن تدل على أن هذا الفيتامين يتولد أيضا فى اجسام الأمهات قبل الوضع وذلك لتغذية الجنين

ويؤخذ من المباحث العلمية التى قام بها فريق من الاطباء أن الاطفال فى الخمسة الأشهر الأولى من حياتهم تنشأ فيهم كمية وافرة من الفيتامين « ج » . وهذا هو فى الحقيقة تدبير حكيم قد لجأت اليه الطبيعة لوقاية الطفل من مرض الاسكربوط

قفل منيع

تمكن احد المصانع الاميركية من صنع قفل منيع يتعذر تقليد مفاتيحه أو صنع قفل مثله . وقد بدأ استعمال هذا القفل يشيع فى كثير من أنحاء الولايات المتحدة وانجلترا أيضاً . ويقال ان شركة لويد التى هى أكبر شركات التأمين فى العالم قد قررت ان توجب على الذين يؤمنون على خزائنهم لديها ان يستعملوا هذا القفل

ومما يجدر بالذكر ان المصنع الذى يصنع هذه الاقفال يدون عنده فى دفتر خاص اسم كل من يشترى قفلا منها وتاريخ شرائه . وذلك زيادة فى الاحتياط . وهذا القفل لا تؤثر فيه النار ولا يمكن ثقبه ولا كسره

كتب جديدة

الاسلام والتجديد

تأليف تشارلس آدمس

نقله الى العربية الاستاذ عباس محمود

طبعته لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية بالقاهرة . صفحاته ٢٩٤

يبعد كثيراً عن الحقيقة الذين يقولون ان الحركة التى قام بها جمال الدين الافغانى، والشيخ محمد عبده حركة تجديد فى الدين واتيان باسلام حديث على نحو تعبير مؤلف هذا الكتاب . فكلاهما لم يبدع شيئاً جديداً فى الدين، وكلاهما لم يأت بما لم يأت به الاسلام فى أصله وجوهره، وانما كان جمال الدين الافغانى مصلحاً سياسياً يدعو الى الجامعة الاسلامية وجمع شمل المسلمين، كما كان تلميذه مصلحاً اجتماعياً وداعية من دعاة اصلاح التعليم وزعيما من زعماء النهضة الفكرية فى مصر . وقد حمل لواء الدعوة الى الرجوع الى القرآن الكريم وسنة رسول الله ونبذ الخرافات والترهات . ولم يكن ذلك جديداً فى الدين الاسلامى . فلو أحسن مؤلف هذا الكتاب لسماه « التجديد فى الحياة العقلية فى مصر » فمما لا شك فيه ان جمال الدين ومحمد عبده هما أول زعماء حركة التجديد الفكرى فى مصر الحديثة . وقد كانت حركتهما مصبوغة بالصبغة السياسية والاخلاقية والاجتماعية وان كانت السياسة أظهر فى دعوة الافغانى منها فى دعوة تلميذه . .

فتشارلس آدمس انما يتناول فى هـــذا الكتاب حياة فكرية اجتماعية لا حياة دينية او حياة تجديد اسلامى يصح ان نقول ان زعيميها قد أحدثا حدثاً جديداً فى الاسلام أو أحدثا اسلاماً حديثاً . وقد اشتمل كتابه على تصدير ومقدمة وسبعة فصول خص الاول منها بتاريخ جمال الدين الافغانى وآرائه، وخص الفصول الستة الباقية بتاريخ الاستاذ الامام وآرائه وتعاليمه . وأنت حينما تطلع على هذه الآراء والتعاليم لا تجد فيها أى اثر من آثار التجديد الدينى، بل كلها تتناول الاخلاق والاجتماع والسياسة والوحدة الشرقية وطريقة التربية والتعليم . أما ما هو خاص بالدين فلم يخرج عن جوهر الاسلام

فرأى الاستاذ محمد عبده فى الايمان وفى النبوة مطابق لما ورد فى الدين، ورأيه فى الاعتقاد بالاولياء هو مستمد من روح الاسلام الصحيح ومن القرآن الكريم وسنة محمد (ص) ودعوته الى نبذ الخرافات انما هى دعوة أتى بها الدين ولا شىء فيها من الجديد . وانما الجديد فى توجيه المسلمين الى الحياة الصحيحة والى اصلاح التعليم، وأخذ النافع من علوم الغرب وآدابه وفهمهم للحياة كما يجب أن تفهم . وقد جمعت مقالات الاستاذ محمد عبده فلم نجد فيها دعوة الى اسلام جديد . كما ان من سماهم مؤلف هذا الكتاب حزب المنار والجيل المعاصر الذين تأثروا بدعوة الشيخ محمد عبده ليس فيهم دعاة اسلام حديث وانما هم رجال تجديد فكرى، واصلاح اجتماعى ودعوة وطنية

ليس عندنا حركة تجديد دينية ، وانما عندنا حركة تجديد فى الحياة العقلية

فتشارلس آدمس حين يذكر الاسلام والتجديد ، انما يريد النهضة الفكرية التى بدأها الافغانى والاستاذ محمد عبده . ولذلك اقتصر كلامه على سرد تاريخ كل من هذين الزعيمين وأثرهما الفكرى فى هذا الجيل . ومن هنا كانت قيمة هذا الكتاب فى ان مؤلفه أطلع أبناء لغته على حياة عظيمين من عظماء الشرق لهما الاثر الباقى فى حياته الحاضرة ، كما أحسن الاستاذ عباس محمود فى ترجمته الى العربية ليقف القارىء العربى على رأى كاتب أجنبى فى زعيمين شرقيين وفهمه للحركة الفكرية والاجتماعية بمقدار خبرته بها ودرسه لها

وقد أعجبنا من الاستاذ المترجم صحة أدائه ودقة تعبيره ، واتقانه للالفاظ وسلاسة أسلوبه التى تنم عن روح أدبى تسود هذه الترجمة المتقنة

الفاروق

عمر بن الخطاب

بقلم الاستاذ دياب عثمان العرابى

طبع على نفقة جمعية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بطنطا . صفحاته ٢٦٢

فى حياة العظماء عبرة للشباب ، وأسوة حسنة للذين يطمحون الى المجد ، ويسعون الى بلوغ الذروة فى هذه الحياة ليتركوا وراءهم صوتاً داوياً وذكراً باقياً على الايام . وفى حياة عظماء الشرق من جلائل الأعمال وفضائل الصفات ما يحفز الشبيبة الى التشبه بهم والنسج على منوالهم . ومن كعمر بن الخطاب عدلا وزهداً وبراعة سياسية ، وحسن كياسة ، وبطولة فى سبيل الحق ، ورعاية لمصالح المسلمين؟ لذلك كان كل ما يكتب فى تاريخه يستحق التشجيع . فتاريخ عمر رضى الله عنه غنى بالاعمال الباهرة والفضائل النادرة . ونحن كشرقيين يجب أن نعنى بابراز حياة العظماء منا ، وتمجيدهم بذكرهم فى كل مناسبة والكتابة عنهم . وقد وفق الأستاذ دياب عثمان المتخرج فى دار العلوم الى تأليف هذا الكتاب الذى يحوى خلاصة مفيدة لتاريخ الفاروق فى ستة أبواب تحدث فيها عن عمر فى الجاهلية ، ونشأته ونسبه ، وعن عمر فى حياة الرسول ، ثم فى حياة أبى بكر ، ثم تحدث عن عمر الخليفة ، وفى هذا الباب عشرة فصول تناول بعدها فى الباب السادس مقتل عمر وأسباب القتل . وغيرها من الموضوعات والفصول . .

وقد كتبت هذه الابواب كلها باسلوب سلس ، وعناية ووضحت ببعض الخرائط

الضوء اللامع لاهل القرن التاسع

الجزء الاول : تأليف شمس الدين السخاوى

طبعته مكتبة القدسي بباب الخلق بالقاهرة . صفحاته ٣٩٦

يعنى الاستاذ حسام الدين القدسى صاحب مكتبة القدسى باحياء الكتب القديمة ونشرها على قراء العربية وقد انتقى عدة كتب تعد من ذخائر العربية ، ونفائسها فى الادب والتاريخ واللغة والسنة . من ذلك مجمع الزوائد للهيثمى ، وديوان المعانى والفروق اللغوية لابى هلال العسكرى ، وشذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن عماد ، وهو ثمانية أجزاء ، وجنى الجنتين فى تمييز المثنيين لابن فضل الله الحبى . وهو كتاب نفيس فى نوعى المثنى الجاريين على الحقيقة والتغليب فى اللغة ، وغير ذلك من

الكتب القيمة . أما كتاب الضوء اللامع فقد أصاب الأستاذ القدسى فى اختياره للطبع فهو من خير ما الفه شمس الدين السخاوى . فقد ترجم فيه للعلماء والقضاة ، والأدباء والشعراء والرواة والخلفاء والملوك والأمراء والوزراء من المصريين والسوريين والحجازيين واليمانيين والرومانيين والمغربيين الذين عاشوا وماتوا فى القرن التاسع الهجرى . فهو موسوعة لتاريخ هؤلاء الرجال ، ومعجم يسهل على الباحث الرجوع فيه الى تاريخ أى اديب أوعالم أوملك أو وزير من أهل هذا القرن . فنثنى على الاستاذ الذى يبذل فى احياء هذه الكتب النافعة مجهودا جديرا بالثناء والاعجاب

تاريخ الشعراء الحضرميين

تأليف الأستاذ عبد الله السقاف

طبع بمطبعة حجازي بالقاهرة . صفحاته ٢٢٢

احسن الأديب المفضال الأستاذ عبد الله السقاف بتأليف هذا الكتاب الذى يضم طائفة من شعراء اللغة العربية تربط بين أفرادها رابطة وثيقة هى رابطة الموطن،فكلهم من حضرموت وكثير منهم من كبار الشعراء البارزين . وحبذا هذه الطريقة فى كتابة تاريخ الأدباء والعلماء بأن تجمع شعراء كل قطر أو ادبائه او علمائه فى كتاب خاص ، حتى تسهل المراجعة وحتى يعرف نصيب كل قطرمن الانتاج الادبى والعلمى . فهؤلاء شعراء حضرموت منذ عام ٨٠ قبل ميلاد النبى محمد إلى عام ١٠٦٤ الهجرى ، جمعهم المؤلف الاديب فى الجزء الاول وشرح تاريخ حياتهم ، وبحث آثارهم بعناية تنم عن حسن اطلاع ، وخبرة بالادب والشعر العربى . وقد بدأ هذا الجزء بالشاعر الملك معديكرب الكندى . فذكر تاريخه وتحدث عن آثاره الادبية ، كما ذكر تاريخ الملك قيس بن معديكرب الكندى ، وامرأ القيس الكندى وعبد الله بن العجلان ، وقيس بن سلمة الجعفى والمقنع الكندى . وغيرهم من شعراء حضرموت . وقد قال فى الكلام عن امرىء القيس : « اذا استعرضنا شعر امرىء القيس فاننا نرى فيه شعر الشباب وشعر الكهولة وشعر الشيخوخة . وندرك ان معلقته (قفا نبك) قالها فى حضرموت وعمره بين العشرين والثلاثين

فمن شعر الشباب قصيدة : « أرانا موضعين لحتم غيب » ، وقصيدة : « لمن طلل أبصرته فشجانى » ، وقصيدة : « هل لى عندكم من معرس » . وترى شعر الكهولة فى قصيدة : « ألا عم صباحاً أيها الطلل البالى . . . » ، ومشاهد شعر الشيخوخة فى قصيدة : « يا دار ماوية بالحائل » ، وقصيدة : « احار بن عمر كأنى خمر » وابيات : « والله لا يذهب شيخى باطلا . . . »

العدد العاشر

من دائرة المعارف الاسلامية

ترجمه وطبعته لجنة هذه الدائرة بشارع نوبار باشا بمصر

هذا هو العدد العاشر من ترجمة دائرة المعارف الاسلامية التى يقوم بها أربعة من خيرة الشبان المثقفين فى مصر . وقد ابتدأ هذا العدد بقية الكلام عن (ارطغرل) وانتهى بالكلام عن (ارمية) وقد حوى بعض الاسماء والكلمات التى يحتاج الباحث الى الرجوع اليها كارغون ، وارم ذات العماد ، وارميا ، وارمينية . وقد جاء فى هذا العدد فصل ضاف عن « ارمينية » استوعب نصفه تقريباً

واشتمل على وصفها الجغرافى ، وتاريخها

وبهذا العدد تم المجلد الاول ، وعما قريب يصدر العدد الاول من المجلد الثانى ، فنرجو لهذه اللجنة النشيطة توفيقاً فى عملها وتشجيعاً جديرة به من قراء العربية

شعراؤنا الضباط

تأليف الضابط الاديب عبد الفتاح ابراهيم

طبع بمطبعة عبد الحليم حسنى بالقاهرة

للضابط الاديب عبد الفتاح ابراهيم بحوث أدبية ممتعة . وقد كتب بعض فصول عن شعرائنا الضباط نشرتها له بعض الصحف الشهرية واليومية . ثم تابع هذه الفصول حتى اكتمل منها كتابه عن شعراء مصر الذين حملوا السيف والقلم ، وهم البارودى ، وحافظ ابراهيم وعبد الحليم المصرى ، ومحمد توفيق على ، ومحمد فاضل باشا . وقد ترجم لهم تراجم حسنة ذكر فيها تاريخ حياتهم وتحدث فيها عن انتاجهم ، وأثرهم فى الشعر الحديث . وهذا مجهود أدبى لا شك انه خدمة يقدمها هذا الضابط الأديب الى دولة القلم

بيرون

بقلم الاستاذ نظمى خليل

بكلوريوس فى الادب الانجليزى

طبع فى مطبعة الاعتماد . صفحاته ٢٨٨

لا نظن أحداً من عشاق الادب فى الغرب أو فى الشرق يجهل اسم اللورد بيرون الشاعر الانجليزى الذى سارت شهرته فى الافاق وملأ ذكره صحف الادب على قصر المدة التى عاشها ، فقد مات غير مجاوز ستة وثلاثين ربيعاً بعد ان طبع الادب الانجليزى - بل الادب الغربى بوجه الاجمال - بطابع خاص وترك من الآثار الخالدة ما لم يكن ليتسنى لشاعر آخر إلا اذا عمر طويلا . وقد اشتهر بيرون وشاعران آخران صديقان له (هما كيتس وشيلى) بالثورة على قيود الشعر من حيث العرف . وليس ذلك بمستغرب من بيرون ، فقد ولد عشية الثورة الفرنسية فنشأ وترعرع ودم الثورة يغلى فى عروقه . وكان على قسط كبير من جمال الوجه حتى قال بعض الذين ترجموا له إنه جعل كل امرأة تنظر اليه شقية تعسة . ولم تكن عاهة العرج التى وجدت فيه منذ ولادته لتنقص من جمال وجهه أو سمو منزلته . ولعلها هى التى دفعته الى كثير من المغامرات التى أراد أن يستر بها تلك العاهة وان يصرف أنظار الناس عنها . وقد اتهمه بعضهم تهماً أدبية لم يقم عليها دليل قاطع ولا يمكن ان تتفق مع خلقه الابى وروح الشمم الذى امتاز به حتى إنه ضحى بحياته فى سبيل الدفاع عن الحرية

وأمامنا الآن مؤلف نفيس بقلم الاديب نظمى خليل الحائز للبكلوريوس فى الادب الانكليزى - وقد تولى البحث فى عبقرية اللورد بيرون من جميع نواحيها ، معتمداً فى ذلك على طائفة من أحسن المؤلفات فى هذا الموضوع . وقد جاء كتاب بيرون من خيرة المؤلفات لان المؤلف استوفى البحث فى جميع نواحى هذه السيرة المحفوفة بالحوادث والمغامرات . ولسنا نبالغ اذا قلنا ان كتاب بيرون الذى نحن بصدده من المؤلفات التى تستحق التقدير لعناية كاتبه بموضوعه عناية فائقة . وفى ذلك شاهد على سعة اطلاع المؤلف فى الادب الانجليزى . فنشكره على تحفته التى جمعها ذكرى حسنة لشاعر من أكبر شعراء الغرب

الجامع المختصر

فى عنوان التواريخ وعيون السير

عنى بنشره واصلاح تصحيفه وتعليق حواشيه وعمل فهارسه الاستاذ مصطفى جواد بنفقة الاب انستاس ماري الكرملي

أمامنا الجزء التاسع من هذا المصنف النفيس لابى طالب على بن انجب تاج الدين المعروف بابن الساعي الخازن المتوفى سنة ٦٧٤ هجرية . ويتضمن هذا الجزء حوادث عشر سنين تامة من تاريخ العباسيين أى من سنة ٥٩٥ هجرية الى سنة ٦٠٦ وهى خلاصة ماوقع فى ذلك العقد من الكوائن السياسة والطبيعية مع ذكر من توفوا فى تلك الحقبة كالقاضى الفاضل والعماد الكاتب والفخر الرازى وابى السعادات ابن الأثير الجزرى صاحب النهاية . وكانت الدولة العباسية فى ذلك العهد آخذة بالضعف من جهة السياسة ، ولكن العصر الذى تناول حوادثه هذا التاريخ كان من أزهر عصور بنى العباس وأعظمها قوة ونظاماً كما نبه على ذلك الاستاذ مصطفى جواد مخرج الكتاب ومنقحه . وكان الخليفة يومئذ الناصر لدين الله وكان أحسن بنى العباس اضطلاعاً بأمور الخلافة

وقد عنى منقح الكتاب وناشره باستخراجه من المكتبة التيمورية الملحقة بدار الكتب المصرية وكانت مجلة «المقتبس» لصاحبها العلامة الاستاذ محمد كردعلى قد أشارت اليه فى الجزء الثالث (الصفحة الثالثة والتسعين) وكان المؤلف - ابن الساعى خازن الكتب للمستنصر العباسى وكان من المحدثين الثقات . وقد ألف فى التفسير والتاريخ كتباً كثيرة أهمها - غير الكتاب الذى نحن بصدده ، مختصر اخبار الخلفاء ، وهو فى نحو ثلاثين مجلداً . و «اخبار الخلفاء» ، وهو كتاب نفيس يبدأ بظهور الدولة العباسية وينتهى بانقضائها فى بغداد

والجزء التاسع من الجامع المختصر الذى نحن بصدده مصدر بمقدمة نفيسة فى وصف هذا الجزء بقلم مخرج الكتاب ومنقحه ، ومذيل بفهرست للسنوات الواردة عرضاً فى الكتاب وبفهرست لاعلام الناس

كتب أخرى

٥ «الكائن الثانى» ، هى مجموعة من الشعر الجيد تحتوى على خمس وعشرين قصيدة تأليف الشاعر المجيد الدكتور احمد زكى ابو شادى . وقد طبعها مستقلة لارتباطها كما قال : «بمعانى الاضمار» ، الذىعبرت عنه تعبيراً رمزياً مجملا حين خاطبت الطاووس الابيض :

انت فى الحسن مضمر اللون والحلـ ـية كالنور يضمر الالوانا
ان يعبك الذين لم يشعروا به فيكفى اجتذابك الفنانا

وتطلب هذه المجموعة من المكتبة السلفية بشارع اللبودية بدرب الجماميز بالقاهرة

٥ «اليزيدية قديماً وحديثاً» ، وهى ثلاثة فصول فى معتقدات اليزيدية وعاداتهم وبعض حوادث تاريخهم وسيرة أحد أمرائهم المعاصرين ، لاسماعيل بك جول امير اليزيدية فى سنجار . طبع بالمطبعة الاميركية بيروت . عنى بنشره الدكتور قسطنطين زريق أحد أساتذة التاريخ الشرقى بجامعة بيروت الاميركية

٥ «غوردون باشا» ، تأليف د . س . جاكسون مدير مديرية وادى حلفا سابقا ، وترجمة الأستاذ عزيز يوسف عبد المسيح . أصدرته جمعية نشر المعارف المسيحية وتطلب من ادارتها ببولاق مصر

بين الهلال وقرائه

المساواة بين البشر

(بورت ده بيه ـ هايتى) نقولا ابراهيم جورج

أنا من المؤمنين الذين يقولون بوجود اله نافع للبشرية ، لولاه لكان العالم يعانى أشد ضروب الشقاء ، ومع ذلك فكثيراً ما أشكل على هذا السؤال وهو : لماذا لم يساو هذا الخالق بين جميع مخلوقاته بالعلم والمعرفة والغنى والاخلاق والصحة وطول العمر ؟

(الهلال) السر في ذلك هو الرغبة في التنويع لأن أساس الجمال هو اختلاف الاوصاف . فلو كان البشر كلهم متماثلين في العلم والاخلاق والغنى وفى كل اعتبار آخر لكان العالم تافها لا قيمة له ولا جمال . والمثل يقول : « وبضدها تتميز الاشياء » . فنحن ندرك قيمة النور لان هنالك الظلمة . وندرك جمال الوجه الصبوح بمقابلته بالوجه القبيح . وندرك لذة الطعم الحلو بمقابلته بما هو مر . ولو لم يكن في العالم الا الشمس والا جمال الوجه والا الطعم الحلو ما كان لهذه الاعتبارات اية قيمة . هذا هو السر الذى من أجله تفنن الخالق سبحانه بتنويع الاشياء

رجال المال والاعمال

(الزقازيق ـ مصر) عزيز ناشد

هل يوجد كتاب في العربية يبحث في سير رجال المال والاعمال وسر تقدمهم في الحياة وما قاموا به من جليل الامور ؟

(الهلال) نشرت زميلتنا المقتطف الغراء منذ عهد غير بعيد كتاباً بعنوان رجال المال والاعمال وفيه تاريخهم وسر تقدمهم . ولا شك ان هذا الكتاب هو ما تبحثون عنه

حب الام وحب الاب

(لاغوس ـ نيجيريا) جوزيف عبود

أى حب أقوى وأشد ـ حب الاب أم حب الام للاولاد ؟

(الهلال) الارجح ان حب الام لاولادها أقوى من حب الاب لهم لانها هي التي حملتهم في بطنها وأرضعتهم لبنها وسهرت على تربيتهم . ومع ذلك فكثيراً ما نجد أمهات قاسيات يعاملن أولادهن بمنتهى القسوة والشدة حالة ان الآباء يظهرون على الاولاد عطفاً وحناناً أعظم . وهذه كما لا يخفى حالات شاذة

غرائز الحمام

(لاغوس ـ نيجيريا) ومنه

يقولون ان انثى الحمام اذا فقدت زوجها لا تتزوج غيره . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) ليس صحيحاً لان الاختبار ينقضه . والدليل على ذلك ان الذين يعنون بتربية الحمام في أبراج خاصة يذبحون ذلك الحمام أولا فأولا ويأكلونه ومع ذلك يظل الحمام يتوالد بكثرة

أما سؤالكم عن تزاوج العصافير فالجواب عنه انه غير قائم على مبدأ وحدة الزوجة ، لان أناث هذه الطيور مباحة لجميع ذكورها حتى يقال ان فرخ العصفور اذا كبر فقد يقترن بامه

حرف الجيم

(لاغوس ـ نيجيريا) خليل علاء الدين

لماذا يكتب أهل مصر الجيم بدلا من الكاف في بعض الالفاظ ؟

(الهلال) من عادة أهل مصر ان يميلوا بالجيم نحو الكاف وهو خطأ لا يسوغه سوى عدم وجود الكاف المثقلة في اللغة العربية . فيكتبون انجلترا والانجليز بالجيم بدلا من الكاف

الملكة

(لاغوس — نيجريا) ومنه

ما معنى كلمة «ملكة» في قولهم ملكة الشعر، وهل هي خاصة بالشعر فقط ؟

(الهلال) الملكة في اللغة هي صفة راسخة بالنفس، ولا تختص بالشعر فقط بل تطلق على جميع الفنون الجيلة وعلى قوة الادراك

اصل السوريين

(سان باولو — البرازيل) سعد سالم بشاره

يقولون ان سكان سوريا ولبنان متحدرون من العرب . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) السوريون الآن خليط من سلالات فينيقية قديمةوعربية. والارجح ان الشقر منهم وذوي العيون الزرقاء هم سلالة الصليبيين الذين غزوا سوريا وفلسطين في عهد صلاح الدين الايوبي

فائدة العسل

(باتورسة — افريقية الغربية) علي صالح

هل العسل مفيد في البلاد الحارة والباردة على السواء ؟

(الهلال) العسل أنواع كثيرة وكلها تقريبا نافعة لانها مغذية وملينة

وكثيرون من الاطباء يصفون العسل لمعالجة الميل الى الامساك . وهنالك حبوب أو أقراص تصنع من مواد أساسها العسل وهي ملينة واستعمالها مفيد في البلاد الحارة والبلاد الباردة على السواء

اللبن

(باتورسة — افريقية الغربية) ومنه

أي أنواع اللبن الحليب أفضل للصحة — لبن البقر أم لبن الغنم أم لبن الماعز ؟

(الهلال) لبن البقر هو أفضل الانواع الثلاثة ولكن لما كان البقر معرضا للسل فيجب ان يغلى لبنه مدة كافية لضمان تعقيمه . ثم ان لبن الغنم والماعز معرض لميكروب حمى مالطه ولذلك يجب ان يغلى كثيراً جداً لقتل ما يحتمل ان يكون فيه من ذلك الميكروب

مكافحة البعوض

(باتورسة — افريقية الغربية) ومنه

ما الطريقة الفضلى للخلاص من البعوض (الناموس) ؟

(الهلال) أفضل طريقة لذلك ازالة المستنقعات والمياه الآسنة ونضحها بالبترول (الجاز) فانه يقتل البعوض . وقد يضطر المرء في بعض الانحاء الى الاستعانة بالكلة (الناموسية) للنجاة من البعوض ليلا

الاستحمام

(باتورسة — افريقية الغربية) ومنه

أيهما أفضل — الاستحمام بالماء البارد أم بالماء الحار ؟

(الهلال) يتوقف الجواب عن سؤالكم على مزاج الانسان . فاذا كان عصبي الطبع فان الاستحمام بالماء البارد يضره ولا ينفعه . وخير له الاستحمام بالماء الفاتر فانه مهدىء للاعصاب . أما ذوو الامزجة المفاوية والباردة فالاستحمام بالماء البارد نافع لهم

المنبهات

(باتورسة — افريقية الغربية) ومنه

أيهما أفضل — استعمال القهوة والشاي والسيكارة أم هجرها ؟ فقد اختلفت آراء الناس في ذلك وكل يؤيد رأيه ببراهين قوية ؟

(الهلال) مهما تكن براهين الفريق الذي يفضل استعمال هذه المنبهات فان براهين الفريق الذي يدعو الى ابطالها أقوى بكثير . وعلى كل فقد يكون الاعتدال في استعمال هذه المنبهات مفيداً بعض الفائدة

البواسير

(باتورسة — افريقية الغربية) ومنه

ما هي البواسير وما سببها وكيف الخلاص منها ؟

(الهلال) البواسير جمع باسور وهو ورم

يصيب عروق الدم داخل باب البدن أو خارجه وكثيراً ما ينفجر هذا الورم ويسيل منه الدم . وأكثر الناس تعرضاً للبواسير النساء في أثناء الحمل والمصابون بالامساك . وكثيراً ما تكون البواسير مؤلمة جداً. وخير طريقة للخلاص منها استئصالها بعملية جراحية بسيطة. وقد يفيد بعض الدهان في معالجتها . ويجدر بالمصابين بها تجنب الامساك والاقلال من أكل اللحوم والافاويه . وقد تستعمل بعض أنواع « اللبوس » في معالجتها

وهنالك طرق أخرى لمعالجتها ـ كالحقن بالابرة وغير ذلك ـ وعلى كل يجب استشارة طبيب اخصائي اذا أريد الخلاص منها

حصار القدس

(القاهرة ـ مصر) جرجس ميخائيل

قرأت في أحد كتب التاريخ ان مدينة القدس (أورشليم) حوصرت أكثر مما حوصرت أية مدينة أخرى في العالم. فهل هذا صحيح ؟ واذا كان صحيحاً فكيف بقيت هذه المدينة قائمة حتى الآن ؟

(الهلال) المعروف ان مدينة أورشليم حوصرت ثمانياً وثلاثين مرة في عصور مختلفة من التاريخ ، فهدمت وأحرقت مراراً وفي كل مرة كان يعاد بناؤها

الافاعي السامة

(القاهرة ـ مصر) ومنه

المعروف ان بعض أنواع الافاعي غير سامة . فهل الانواع السامة تكون سامة منذ ولادتها أم تكتسب سمها بمرور الزمن ؟

(الهلال) الانواع السامة من الافاعي تكون سامة منذ خروجها من البيضة

رصف الشوارع

(القاهرة ـ مصر) ومنه

قرأت في أحد الكتب ان المصريين القدماء أول من رصف شوارع المدن . فهل هذا صحيح ؟

(الهلال) لم نسمع بهذا من قبل، وانما نعلم ان الرومان كانوا يرصفون شوارع مدنهم في القرن الخامس قبل الميلاد . وفي بلدة منتورنو بايطاليا بقايا شارع مرصوف يرجع الى ذلك القرن

دواء الصلع

(الاسكندرية ـ مصر) أحد القراء

أما من دواء ناجع للصلع فقد بدأ شعر رأسي يسقط مع اني لا أزال في العقد الثالث من عمري ؟

(الهلال) لانعرف دواء ناجعاً للصلع . وجميع الادوية التي يصفها البعض هي ملطفة لا أكثر ولا أقل ، ولكنها لا تحول دون سقوط الشعر . ومما يجدر بالذكر ما قرأناه في كتاب علمي حديث من ان بعض الاطباء يعالج الصلع بفرك البصل . وكانت هذه الطريقة شائعة في انجلترا في القرن السابع عشر

ضغط الهواء

(بيروت ـ سوريا) أحد المشتركين

أين يكون ضغط الهواء على أشده ـ أعلى قنن الجبال العالية أم عند ساحل البحر ؟

(الهلال) يكون ضغط الهواء على اشده عند ساحل البحر وقد يكون الضغط هنالك ثلاثة أضعاف ما هو على قنن الجبال . مثال ذلك ان ضغط الهواء على قمة جبل أفريست الذي يزيد ارتفاعه على تسعة وعشرين الف قدم يبلغ نحو أربعة أرطال على كل بوصة مربعة حالة كونه يبلغ عند سفحه نحو اثني عشر رطلا للبوصة المربعة

سرعة امواج الراديو

(بيروت ـ سوريا) ومنه

ما هي سرعة أمواج الراديو ؟

(الهلال) لا يعلم ذلك بالتمام ولكن الارجح انها تعادل سرعة أمواج النور وهي نحو ١٨٦ الف ميل أو ثلثمائة وعشرين الف كيلو متر في الثانية

رائحة البصل

(المنصورة ـ مصر) « وده »

ما سبب رائحة البصل وهل من سبيل الى ازالته من اليدين ؟

(الهلال) سبب رائحة البصل مادة زيتية طيارة تعلق باليدين عند تقشير البصل ويمكن ازالة هذه الرائحة بالبنزين

تغيير لون الجلد

(المنصورة ــ مصر) ومنه

هل وفق الاطباء أو الجراحون الى تغيير لون البشرة من أسود الى أبيض مثلا ؟

(الهلال) لم يوفقوا ولا ينتظر ان يوفقوا

معهد الموسيقى الشرقية

(العراق ــ البادية الجنوبية) صبحي نصيف

هل لمعهد الموسيقى الشرقية في مصر شروط تفرض على من يروم الدراسة فيه ؟

(الهلال) نعم وفي امكانكم مخاطبة هذا المعهد رأساً فيرسل اليكم شروطه

ذات الجنب

(مكة المكرمة ــ الحجاز) محمد حسن علي نحاس

ما هو مرض ذات الجنب وما أعراضه وطريقة معالجته ؟

(الهلال) ذات الجنب ثلاثة أنواع ــ حاد ومزمن ومصحوب بمادة . وأعراضه ألم في بعض أضلاع الخاصرة وضيق في التنفس وارتفاع في درجة الحرارة . وأما طريقة معالجته فيجدر بكم استشارة طبيب اخصائي بشأنه

وقد ضربنا صفحا عن الامراض الاخرى التي سألتمونا عنها . والافضل ان تستشيروا الاطباء الاخصائيين بشأنها اذ يتعذر وصف الدواء من دون فحص العليل

الاحلام وتفسيرها

(كنغستون ــ جامايكا) فريد حنا

هل يوجد اليوم أناس متعلمون يصدقون تفسير الاحلام ويعولون في شؤون الحياة على تفسيرها كما كان يفعل الاقدمون ؟

(الهلال) لا يزال الكثيرون يعتقدون ان للاحلام صلة بالمستقبل وانها بمنزلة نذير للانسان بما سيقع له . على ان هذه الصلة لا يمكن اثباتها علميا ومما يجدر بالذكر انه قد تكون ثمة صلة بين الحلم والماضي . فقد يقع للمرء حادث يكثر التفكير فيه واكثار التفكير في شيء قد يؤدي الى الحلم به

المورمون

(القاهرة ــ مصر) احمد خليل الحسيني

من هم المورمون وما هي عقيدتهم ؟

(الهلال) هم طائفة ينتحلون الديانة المسيحية ويبيحون تعدد الزوجات . وهم محصورون في ولاية خاصة بالولايات المتحدة . وقد سنت الحكومة الاميركية قانونا تحظر به عليهم تعدد الزوجات . وقد افردنا فصلا لهذا الموضوع في هذا الجزء من الهلال

الموضة

(اصفهان ــ ايران) ديرقلي ارمني

كثيراً ما تستعملون كلمة « الموضة » في مجلتكم الغراء . فما معنى هذه الكلمة اهي عربية ام دخيلة ؟

(الهلال) الموضة هي تعريب كلمة (Mode) الانكليزية او الفرنسية ومعناها الزي

سويدنبورج

(شيكاجو ــ الولايات المتحدة) السيدة عبود

من هو الفيلسوف سويدنبرج ؟

(الهلال) هو فيلسوف أسوجي متصوف ولد في ستوكهلم سنة ١٦٨٨ وعاش أكثر عمره في انجلترا وادعى انه كان يرى رؤى روحانية . وكان له أنصار كثيرون والف عدة كتب . وكان أيضاً من علماء الطبيعة الذين يشار اليهم بالبنان

معجم عربي

(لوجا ــ سنغال) أحد المشتركين

ما هو أطول معجم عربي يصلح للاستعمال في عصرنا هذا ؟

(الهلال) أطول المعجمات العربية لسان العرب لابن منظور . وربما كان أقرب الموارد للشرتوني أسهل المعجمات المطولة تداولا

شخصية المتنبي في شعره

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

« .. فهو حيث قلبت من حكمته او فخره او غزله او رثائه ، هو هو المعتد بفضله ، الفاشل في امله ، الساخط على زمنه .. »

شخصية المتنبي التي نعرفها في شعره هي شخصيته التي نعرفها من تاريخه وتاريخ عصره

وقد كان عصره عصر مغامرات ودعاوى سياسية ودعاوى دينية وخصومات مذهبية وشكوك جاءت من التفكير والاطلاع ، وشكوك جاءت من اللجاجة في المناقشة والحوار . وكان أناس من طلاب المناصب يرتقون في ذلك العصر كما ارتقوا في العصور التي قبله إلى مناصب الوزارة وليست لهم من شفاعة في الظاهر غير شفاعة الكتابة والأدب . فكان في العصر ما يغري الأديب المغامر بالتطلع إلى جاه الدنيا من طريق المغامرة ، ومن طريق البراعة الأدبية .

وكان المتنبي رجلا لا يعوزه الاعتداد بالنفس ولا الطمع في الجاه ولا ملكة البلاغة والقدرة على المنظوم والمنثور مع شيء من الفروسية كما ثبت من مجمل تاريخه ومجمل كلامه . فالشعر الذي نقرأه في الديوان لا يستغرب من الشاعر الذي نظمه ولا من الرجل الذي علمنا بسيرته من أنباء الراوين عنه ، و « شخصيته » ماثلة هنا وهناك على صورة واحدة جلية متفقة لا تعقيد فيها ولا تنافر بين القول والحقيقة

وقد غلبت هذه الشخصية حتى لا تشابه بينها و بين شاعر آخر في باب من الأبواب ولو تشابه العنوان والموضوع

فالمتنبي متشائم ، والمعري متشائم ، ولكن الفرق بين المذهبين في التشاؤم كالفرق بين شخص المتنبي وشخص المعرى في المزاج والخليقة والمطلب ، وهو دليل على صدق الشخصية الشعرية عند كل من الشاعرين الكبيرين

فالمعرى متشائم لأنه حكيم يتدبر أحوال الخلق ويرثي لما هم فيه من الجهالة والشقاء لغير مأرب يريده إلا التأمل والحكمة

والمتنبي متشائم لأنه صاحب رجاء خاب في الناس على غير انتظار ، ولو لم يخب هذا الرجاء لما كان من المتشائمين

والمعري ينظر الى الناس في جميع الازمان والاجيال لانه يطلب المعرفة والعلم بالنفس الانسانية

والمتنبي ينظر الى الناس في عصره ولا يعمم الحكم على الناس جميعاً إلا لما أصابه من زمانه وأهل زمانه ، وذلك هو الفرق بين من يدرس الانسان لتحقيق بحث ومن يدرس الانسان لتحقيق أمل ، أو ذلك هو الفرق بين الحكيمين المتشابهين والمذهبين المتباعدين جد التباعد على تقارب الكلمات والأسماء

ولهذا يقول المعرى :

كم وعظ الواعظون منا وقام في الأرض أنبياء

وانصرفوا والبلاء باق ولم يزل داؤك العياء

حكم جرى للمليك فينا ونحن «فى الاصل» أغبياء

أى نحن « بني الانسان » أجمعين ، وهو منهم ، كما صرح في موضع آخر حيث قال :

كلاب تعاوت أو تعاوت لجيفة وأحسبني أصبحت ألأمها كلبا

أو قال :

بني الدهر مهلا ان ذممت فعالكم فاني بنفسي لا محالة ابدأ

أما المتنبي فمعظم تشاؤمه — بل تشاؤمه كله في جوهره — من قبيل قوله :

أود من الأيام ما لا توده وأشكو اليها بيننا وهى جنده

أو من قبيل قوله :

أريد من زمني «ذا» أن يبلغني ما ليس يبلغه من نفسه الزمن

أو قوله :

وانما نحن في جيل سواسية شر على الحر من سقم على بدن

حولى بكل مكان منهم خلق تخطي إذا جئت فى استفهامها بمن

لا أقترى بلداً إلا على غرر ولا أمر بخلق غير مضطغن

ولا اعاشر من أملاكهم ملكا إلا أحق بضرب الرأس من وثن

إني لأعذرهم مما أعنفهم حتى أعنف نفسى فيهم ، وأنى

أو قوله :

ومت يضيع وعمر ليت مدته في غير أمته من سالف الامم

أتى الزمان بنوه في شبيبته فسرهم وأتيناه على الهرم

أو قوله :

ومن عرف « الايام » معرفتي بها وبالناس روى رمحه غير راحم

فهو يتشاءم لعلة عارضة وهى أن زمانه وأهل زمانه لا ينيلونه ما ينشده من الجاه . ومن هنا كان الذنب عنده ذنب جيله ولا شأن له فيه . أما المعري فكان أصيلا في تشاؤمه لايعيب أبناء جيله خاصة إلا لأنهم جزء من الناس أجمعين منذ كان آدم الى أبد الآبدين . ولعل المتنبي لو نظر الى الانسان هذه النظرة لخرج من التشاؤم الى التفاؤل ، لأن رجاءه أن ينال على أيديهم ما ناله أمثاله ومن هم دونه في اعتقاده ، دليل على أنه يرى الشأن فيهم أن يعدلوا ويعترفوا بالفضل ويعطوا ذا الحق حقه ، ولو كان متشائماً بطبعه لما عجب لفساد طباعهم وحاجة المرء بينهم الى الدس والخداع والحيلة وإرضاء اللبانات والشهوات ، وما من رجل يعتقد أنه صاحب حق ويعجب لفواته إلا وهو أقرب الى التفاؤل منه الى التشاؤم

***

وهذه الشخصية ظاهرة في شعر المتنبي كله ظهورها في حكمته وتشاؤمه ، ونعني بها شخصية الطامع المغامر المعتد بنفسه : فهو يتغزل كما يفخر ويصف كما يشكو أو يتهكم ، وأعجب من هذا أنه يمدح أبطاله على هذا النحو ، فيقول وهو في معرض العتاب والاسترضاء لسيف الدولة :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأنني خير من تسعى به قدم

أنا الذى نظر الاعمى الى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

الى ان يقول :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

والعادة فى المدح ــ بله الاسترضاء ــ ان يتضاءل المادح ليرفع من قدر الممدوح ، ولكن « لكل امرىء من دهره ما تعود » كما قال

ويرى بعض الناقدين تناقضا بين طموح المتنبي وتعاظمه وبين طلب النوال من الامراء والبخل الشديد الذى شاع عنه ، ولا تناقض بين الحالتين كما قد يلوح لنا الآن ، لأن نوال الامراء كان حقاً للشاعر في ذلك العصر لولاه لما استطاع الشعراء الحياة ، ومع هذا لم يكن المتنبي يبتذل حقه في مواقف المدح ولم ينزل الى مدح كل طامع في قصيده ، ولا رضى لنفسه مع الذين ارتضاهم لمديحه مقاماً دون مقام الحفاوة والكرامة ، فينشدهم الشعر وهو جالس أو

يقف لديهم وقفة التجلة والمهابة . ومنهم من كان يتخلى له عن مكانه ويجلس بين يديه في مقام المادح من الممدوح ، ومع هذا وذاك لم ينس غضاضة النوال ولم يسكن الى دوام هذه الحال، لأنه يريد أن يكون مشكوراً لا شاكرا لذوى الدسوت والأموال :

إذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص   على هبة فالفضل فيمن له الشكر

ولا يغيبن عنا أن الانسان لن ينكر على نفسه طلب الجاه اذا علم فيها عيباً من العيوب، لانه يحابيها ويلتمس لها المعاذير ولا يحاسبها كما يحاسبها خصومه أو أصدقاؤه . فاذا فرضنا أن المتنبي كان بخيلا فليس من اللازم أن يعترف بالبخل على نفسه ، واذا فرضنا أنه اعترف عليها بهذه الخلة فليس من اللازم أن يلومها ولا يجتهد في تمحل أعذارها ، واذا فرضنا أنه لامها فليس من اللازم ولا من المعقول أن يعاديها ولا يتمنى لها ما يتمناه المحب لحبيبه فضلا عن نفسه ، ولا سيما حين يقارن بينه وبين من بلغوا المجد والامارة ، فيرى فيهم عيوباً شراً من عيوبه . وقد يتخذ الرجل من الطموح الى المجد عذرا لاقتناء المال كما قال :

ولا ينحلل في المجد مالك كله   فينحل مجد كان بالمال عقده

فالبخل والفخر لا يتناقضان ، بل لا يتناقض البخل وعلو الهمة والمغامرة لما هو معروف من اشتهار كثير من عظماء الدول بالتقتير الشديد الذى يخرج عن حد التدبير ، وأن حيلة النفوس في تمليق أصحابها لتجعل العظمة عذرا للنقيصة وتسوغ البخل كأنه ضرورة لا محيص عنها لنجاح المغامر الطموح فيما يتمناه

* * *

ولقد سرت شخصية المتنبي فى ألفاظه وعباراته فضلا عن أفكاره ومعانيه . فالولع بالتصغير الذي لوحظ عليه هو عندنا من لوازم مزاجه المتكبر المغيظ من فوات رجائه ، وأكثر ما يصغر المتنبي ـ كما لاحظنا فى بعض فصولنا ـ حين يهجو مغيظا أو يستخف متعاليا كما قال فى كافور :

أولى اللئام « كويفير » بمعذرة   في كل لؤم وبعض العذر تفنيد

أو كما قال فيه :

نويبية لم تدر أن بنيها النو   بي دون الله يعبد فى مصرا

أو كما قال في الشعراء الذين يزاحمونه :

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ضعيف يقاويني قصير يطاول

وكل تصغيره من هذا القبيل هو تصغير من يضيق صبره بالسخط والانفة والكبرياء فيعاف أن يذكر الأشياء والناس إلا بأهون ما يستطيع في صيغة لفظه بعد التهوين فى مدلول هجائه ومعناه

***

ولولا أننا لا نريد أن نكرر ما أسلفناه فى غير هذا المقال لا كثرنا من الشواهد على المطابقة بين شخصيته وكلامه من غزله ووصفه وأمثاله ، ولكن الاشارة هنا تغني في المراجعة ، وما على القارىء إلا أن يتناول ديوان المتنبي ويفتحه على ما شاء من صفحة أو بيت فلن يجد بيتاً واحداً يستغرب من تلك الشخصية كما عرفناها في تاريخه وفي جملة كلامه ، فهو حيث قلبت من حكمته أو فخره أو غزله أو رثائه هو هو المغامر المعتد بفضله الفاشل في أمله الساخط على زمنه الذى لا ينسى شأنه، حتى حين يعزى المحزون فى مصابه . وما ظنك برجل يعزى محزوناً في فقيد فيقول له :

لا يحزن الله الأمير فانني لآخذ من حالاته بنصيب

بل ما ظنك برجل ينطق حصانه كما قال :

يقول بشعب بوان حصاني أعن هذا يسار الى الطعان

أبوكم آدم سن المعاصي وعلمكم مفارقة الجنان

لكأنما كان حصان المتنبي حصاناً متنبياً يخاطب أبناء آدم مدلا بالحيوانية ناظراً اليهم نظرة الحكيم الى الحمقى والعليم الى الجهلاء ؟

أفيستطيع هذا الرجل أن ينسى نفسه أو يخفى « شخصيته » أو يكون غير ما كان أو يقول غير ما قال ؟

إن الناقدين لا يوجبون على الشاعر أن يكون انساناً خيرا مما هو لتتم له ملكة الشاعرية ولكنهم يوجبون عليه أن يكون شعره ترجمان « انسانه » وصورة حياته ، وهكذا كان المتنبي الشاعر حيث عمل وحيث قال . فاحبب ما شئت من خلائقه وابغض ما شئت منها . ولكن بعد أن تلقى ميزان الشعر وتأخذ بميزان الشريعة أو ميزان يوم القيامة !

عباس محمود العقاد

بعد ألف عام

سر الاحتفال بالمتنبي

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل بك

يعنى عالم اللغة العربية هـذا العام باقامة حفلات لمناسبة انقضـاء الف عام على وفاة أبي الطيب احمد بن الحسين المتنبي . أقيمت أولى هذه الحفلات بدار الجامعة الأمريكية ببيروت في اليوم الثانى من شهر يونيو سنة ١٩٣٥ بناء على دعوة جمعية العروة الوثقى بالجامعة المذكورة . وهذه الجمعية تضم الشباب الذى يتكلم العربية من المنتسبين الى الجامعة المذكورة . وينتظر أن تقام حفلات لهذه المناسبة بحلب في أغسطس سنة ١٩٣٥ . وطبيعى أن تذكر حلب الشاعر الذى خلد ذكرها وخلد أميرها سيف الدولة بمدائحه العظيمة . وربما أقيمت حفلة أخرى ببغداد وحفلة رابعة بالقاهرة . فقد أقام المتنبي بمصر زمناً مدح فيه كافوراً الاخشيدى طمعاً فى أن يوليه ولاية يجلس على عرشها مجلس سيف الدولة على عرش حلب . وانقلب المتنبي عن مصر حين أخلفه كافور وعده فذهب إلى بغداد ثم إلى شيراز حيث مدح عضد الدولة . فلا عجب أن أقامت مصر و بغداد حفلات كالتى أقامتها بيروت والتي تقيمها حلب تذكر بها هذا الشاعر العربي الذى ملأ الدنيا دوياً منذ حياته . ولا عجب أن يتحدث أبناء اللغة العربية عن شاعر ترك للغة العربية ميراثاً عظيماً

على أن من حق كل إنسـان أن يسأل : أفتقام حفلات المتنبي هـذه في الشام والعراق ومصر تقديراً للاثر الشعرى الذى تركه المتنبي في الحيـاة ؟ أم هى تقام تقليـداً للحفلات التى أقيمت لمناسبة انقضاء الف عام على شاعر الفرس الفردوسى ـ هذه الحفلات التي أقيمت في فارس وفي لندن وفي كل مكان به من المستشرقين من يعنى بشاهنامة الفردوسي و يعجب بها . وهل تقام حفلات المتنبي هذه إعجاباً بشعر المتنبي وفنه فيه ؟ أم تدفع إلى إقامتها اعتبارات ليس الفن وليس الشعر أقواها في حفز النفوس إلى إقامتها ؟ وما هي هذه الدوافع التى نجد فى شعر المتنبي ما يشجعها على الظهور للاحتفاء بشاعر من شعراء العربية اتصلت الخصومة فى شأن شعره ومبلغ مايسمو اليه من مراقي الفن ومايهبط اليه من دركاته منذ حياته إلى عصرنا الحاضر،

بينا من شعراء العربيـة من انقضى على وفاتهم أكثر من الف عام فلم يفكر أحد في الاحتفاء بهم مع أن ما خلفوا من التراث الشعرى لا يقل روعة وجلالا عما خلف المتنبي ؟

أما أن الاحتفال بانقضاء الف عام على المتنبي إنما هو مجرد تقليد الاحتفال بالفردوسى فذلك مالا يصدقه الواقع . فالتفكير فى المتنبي والاحتفال بانقضاء الف سنة على وفاته تفكير قديم يرجع الى عدة أعوام . والاحتفال بانقضاء الف عام على منشئات أو رجال تركوا على الزمان أثراً ، هو اليوم بعض ما يجول بالخواطر . وها نحن أولاء عما قريب سنشهد الاحتفال باليوبيل الالفى للازهر. وسواء أكانت هذه الفكرة قد نبتت أول ما نبتت للاحتفال بالازهر أو بالمتنبي أو بالفردوسى فهى فكرة طبيعية أجدر بأن تساور النفوس من الاحتفاء باليوبيل الفضى أو باليوبيل الذهبي لحى من الاحياء أو عمل من الاعمال ، وأجدر بأن تساور النفوس من الاحتفال بانقضاء مائة عام على مولد عظيم من العظماء أو على وفاته. فالعظيم الذى صمدت عظمته للزمان الف سنة تباعاً جدير حقاً بأن يذكر وبأن تخلد ذكراه . وهو كذلك ماست هذه الذكرى نفوس الاحياء على نحو يثير فيها عواطف تحدث بها هـذا العظيم وخلدها على الدهر.

وهذا هو في رأينا سر الاحتفاء بالمتنبي دون غيره من شعراء العرب الذين انقضى على وفاتهم الف عام. فليس ريب فى أن من هؤلاء الشعراء من يضارع المتنبي قوة ومن يفوقه رقة ومن يعلو فنه على فن المتنبي علواً كبيراً . وكثيرون من الضليعين فى الشعر وفنونه يفضلون أبانواس على المتنبي في سمو خياله ورقة تعبيره وحلاوة أسلوبه وعذوبته الموسيقية في شعره . ومن الناس من يفضل ابن الرومى على المتنبي . لكن هؤلاء جميعا لا يعبر شعرهم عما يجول بخواطر الذين يتكلمون بالعربية اليوم كما يعبر عنها المتنبي. هؤلاء يصفون الطبيعة ويصفون الحياة ويصورون متعها ويستشفون حكمتها من خلال هذه المتع . وهذا كله لا يتصل بعاطفة الذين يتكلمون العربية من أبناء اليوم . إنما يتصل بعاطفتهم هذا الالم لفقد حريتهم ولضياع استقلال بلادهم . ويتصل بعاطفتهم هذا الاعتزاز بالنفس اعتزازاً هو السبيل لاقتناص الحرية من جديد ولتحقيق استقلال البلاد العربية المختلفة . ولم يعبر أحد عن هذه المعاني بمثل ما عبر المتنبي من قوة . ولم يكن عصر اضطربت فيه امور البلاد العربية اضطرابا يكاد يشبه ما هو حادث اليوم كعصر المتنبي . فلا غرو أن استفز شعر المتنبي همة الشباب . ولا عجب أن سارع الشباب الذي يتكلم العربية للاحتفاء بذكرى المتنبي بمناسبة انقضاء الف عام على وفاته

وكيف لا يستفز الشباب مثل قوله :

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم ... بين طعن القنا وخفق البنود
فرءوس الرماح أذهب للغيـ ... ـظ وأشفى لغل صدر الحقود
لا كما قد حييت غير حميد ... وإذا مت مت غير فقيد
فاطلب العز في لظى ودع الذ ... ل ولو كان في جنان الخلود
يقتل العاجز الجبان وقد يعـ ... ـجز عن قطع بخنق المولود
ويوقى الفتى المخش وقد خو ... ض في ماء لبة الصنديد

وكيف لا يستفز الشباب في وقتنا الحاضر قوله :

من أطاق التماس شيء غلابا ... واغتصابا لم يلتمسه سؤالا

وهذا المعنى كثير الورود في شعر أبي الطيب . ويقترن به من تصوير البطولة وحب الاستشهاد في سبيل العزة والكرامة ما يهز عواطف هؤلاء الذين تفتحت عيونهم على الحياة فألفوا بلادهم مهيضة الجناح خاضعة للنير الاجنبي خضوعا يسلبها عزتها وكرامتها . والشباب ولوع بالقول الفخم وما يدل عليه من طموح الى العلياء ، وهو أشد بالقول الفخم ولوعا كلما حالت الحوائل بينه وبين العمل الايجابي المثمر الذي يحقق غاياته ، فهو يجد في هذا القول عزاء عن حرمانه من أسباب العزة والانفة ، وحافزاً الى التماس هذه الاسباب ومذكراً بها . والذكرى نافعة أبدا . وكلما بعدت هذه الذكرى في أطواء الماضي كانت افعل في النفوس أثرا . فاذا تغنى أجدادنا من الف سنة بمعنى من المعاني وقصرنا نحن دون إدراكه فعار علينا إذا لم نحمل على انفسنا ولم نبذل غاية جهدنا لتحقيقه . فان بلغنا الغاية من قصدنا فذاك . وان لم نبلغها فلنا من العذر أن حالت الاقدار بيننا وبين ما نريد

هذا هو الدافع الاقوى لاحتفاء ابناء العربية اليوم بمرور الف عام على وفاة المتنبي ، وهو كما ترى حافز نبيل غاية النبل . ويتصل به حافز من نوعه ليس أقل منه نبلا . فقد نسيت هذه البلاد التي تتكلم العربية في عصورها الاخيرة تراثها العظيم واتجهت بكل جهودها الى ناحية الغرب تلتمس منه أسباب الرقي من العلم والادب والفن . وبلغت من ذلك حتى خيل الى أبنائها أن ما كان لها من علم وأدب وفن لم يعد صالحا للحياة في هذا العصر ، بل لم يعد صالحا لان يكون أساس بعث واحياء كما كانت الآداب اليونانية والفلسفة اليونانية أساس

البعث والاحياء فى الغرب من اربع قرون خلت . فاذا كان شاعرنا المتنبي لايقف عند الاشادة بمبادىء العزة والكرامة والحرية بل يضرب بيده فى أحشاء الحياة يلتمس حكمتها فتخرج يده مملوءة من حكمة الحياة الخالدة التى لا تفنى وان تقادمت الدهور ، كان ذلك دليلا على ان لنا من هذا التراث العظيم فى الفن والادب ما ينهض أساساً لبعث البلاد العربية كي تقف جنبا الى جنب مع الغرب دون أن تكون عالة عليه مقلدة إياه فيما يشمر من فن وعلم وأدب . والحق أن المتنبي قد غاص فى لج بحر الحياة فاستخرج منه درر الحكمة الخالدة التى لا تبلى . وهو قد جلا هذه الحكمة في فن قوى غاية القوة . استمع اليه إذ يقول :

ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام

من يهن يسهل الهوان عليه مالجرح بميت إيلام

وإذ يقول :

يهون علينا أن تصاب جسومنا وتسلم أعراض لنا وعقول

وإذ يقول :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله واخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وغير هـذه من الحكم التى جرت مجرى الامثال كثير جمه الذين درسوا أبا الطيب وشعره . والنـاس مشوقون للحكمة يلتمسونها فى الامثال وفي الشعر وفي كل كلام جميل حسن المدخل الى النفس . فالحكمة رحيق تجاريب الأجيال والميراث الذي يخلفه الناس بعضهم لبعض جيلا بعد جيل

واعتبار ثالث قام بنفس كثيرين ممن احتفوا بأبي الطيب . ذلك الاعتبار هو الفكرة العربية فى صورتها المقبولة الممكنة . فالفكرة العربية تجول بخواطر البعض على أنها الوحدة السياسية للذين يتكلمون اللغـة العربية ، والذين كانوا الى ما قبل الحرب يستظلون بعلم الدولة العثمانية والخلافة الاسلامية . والوحدة السياسية لطائفة من الامم تجمعها جامعة ليست بدعاً . مثلها مثل الوحدة السياسية للأمم المتجاورة تجمعها جامعة الجنس أو الدين . على أن هذه الوحدة غير ميسورة في ظروف العالم اليوم . ولا يدرى أحد إن أمكن تحقيقها فى الاجيـال القريبة . لكن جامعة اللغة تخلق من غير شك اتصالا فى الثقافة قد يصل مع الزمن الى وحدة هذه الثقافة . وهو من غير شك يقرب بين الامم التى تتكلم اللغة الواحدة ويقوى

عناصر الثقافة المشتركة بينها بتشابك العناصر التى تشترك في إحياء هذه الثقافة وفي توجيهها والاضافة اليها إضافة تصل بين ماضيها وحاضرها بأوثق الصلات.

ولقد بدا هذا الاعتبار الثالث واضحاً أشد الوضوح في الاحتفال الالفى الذى أقامته جميعة العروة الوثقى بالجامعة الأمريكية للمتنبي . كانت العربية والعروبة انشودة ذلك المجتمع والاغنية الجارية فيه على كل لسان . ولا عجب والفكرة العربية تتحرك اليوم في نفوس أبناء سوريا ولبنان وفلسطين بأقوى مما تتحرك في نفوس غيرهم من الناحية السياسية . ولا عجب والاحياء للتراث العربى فكرة تجول بخواطر الذين يتكلمون اللغة العربية جميعاً فيما عدا أولئك الذين يريدون أن يغفلوا ماضيهم وان يقلدوا الغرب وحضارته وفنونه وآدابه تقليدا ينسى أبناء هذه الامم أنها ذات ماض مجيد وأنها أظلت العالم بحضارتها عصورا مديدة ، وبخير مما تظل حضارة أوربا العالم اليوم به . هؤلاء لا رجاء في نجاح فكرتهم وان استندت الى القوى الحاكمة في الشرق اليوم . ومهما يكن الاتصال بين أمم العالم أمرا محتوما لا مفر منه ، حتى لا معدى للشرق اليوم ان يأخذ كثيرا عن الغرب ، فالاتصال بين ماضى الامم وحاضرها أمر محتوم هو الآخر لا مفر منــه . وذلك هو ما جعل الاحتفاء بالمتنبي وما يجعل كل عمل يقصد به الى احياء ماضينا على أية صورة من صور الاحياء يقابل بالا كبار والتأييد

محمد حسين هيكل

---

* لما جاء ابن جنى فى شرحه ديوان أبى الطيب الى قوله فى ممدوحه :

قد شرف الله أرضا انت ساكنها وشرف الناس إذ سواك إنسانا

قال : لا يعجبنى قوله سواك لانه لا يليق بشرف الفاظه . ولو قال ، أنشاك ، لكان أليق . قال العروضى : سبحان الله أتليق هذه اللفظة بشرف القرآن ، ولا تليق بلفظ المتنبي ؟ قال تعالى : « الذى خلق فسوى » ، وقال : « فسواك فعدلك » ، وقال : « ثم سواك رجلا » . قال ابن فرجة : « قرأت على أبى العلاء ، ومنزلته فى الشعر ما قد علمه من كان ذا أدب . فقلت له يوما فى كلمة : ما ضر أبا الطيب لو قال مكان هذه الكلمة كلمة أخرى اوردتها ، فأبان لى عوارها . ثم قال : « لا تظن انك تقدر على ابدال كلمة واحدة من شعره بما هو خير منها فجرب ان كنت مرتابا . وهأنذا أجرب ذلك منذ زمن فلم اعثر بكلمة لو ابدلتهـــا باخرى كانت اليق بمكانها . وليجرب من لم يصدق يجد الامر على ما أقول » ! . . .

في ذكرى المتنبي

من شاعر الى شاعر

بقلم الاستاذ احمد محرم

أنظر إلى الدُّنيا عَليكَ ترفرف ... واسمعْ شعوبك فى الممالك تهتفُ

ضجُّوا بذكرك ، فالقياصر خشَّعٌ ... بين المواكب ، والأرائك رجَّف

تقف العواصف دونَ عرشك رُكَّداً ... والدهر يرمي بالعروش ويعصف

ويظلُّ تاجك ماله من خاطفٍ ... والناس والتِّيجان حولك تخطف

ملك البيان إليك فوَّضَ أمره ... فاحكم فأنت المالك المتصرِّف

تعب الخلود وما تعبت وإنني ... لأرى الخلود يضيق عنك ويضعف

أنت ابتدعتَ الشعر ، ما لجديده ... مثلٌ يعدُّ ، ولا طرازٌ يعرَف

تلقى على المعْنى المحجَّب نظرةً ... فإذا الرَّوائع وضَّح تتكشَّف

الحكمة الغرَّاء حفَّ جلالها ... سورٌ عليهِ من البراعةِ زخرف

والمدح يستهوى الرجال ، فمحجم ... يلقى الفوارس ، أو بخيل يسرف

والوَصف تشربه النُّفوس وتنتشى ... منْ حسنه الاشياء ساعة توصف

والفخرُ يأنف أن تقيم بمنزل ... حتى يكون لك المقام الأشرف

شِعْرٌ نظمت به الجمالَ مصوَّراً ... والنفس تولع بالجمال وتُشغف

أبقى « لسيف الدَّولة » الشَّرفَ الذى ... تركَ السُّيوفَ مشوقة تتشوف

شرف تخلّفَ بعده، فكأنه   باقٍ على طولِ المدَى متخلف

نجّاه من غولِ الفناء، فهذه   دنياهُ موثقة ترف وتنطف

إنزل بساحته، فتلك ثمارها   تجنى بأيدي الرّاغبينَ وتقطف

الملك أفيح، والجنود مغيرة   والخيل تصهل، والقواضب ترعف

والفتح غادٍ في اللواء ورائح   لا أنتَ تخطئه، ولا هو يخلف

لمّا رضيت عن «السوّاد» جعلته   نوراً يغار النُّور منه فيكسف

ولقد رأيتك غاضباً فاذا الدُّجى   متبرمٌ بسوادِهِ مستنكف

«كافور» من حنق عليك وإحنة   يهذي بذكرك ناقماً يتأفف

أوردته العذب الفرات، فما ارتوى   حتى أحاط به الاجاج المتلف

لم ترض يوماً في حياتك موقفاً   يعلوه في الدُّنيا لغيرك موقف

«الابيض الطّماح» لم تحفل به   لما رمى[1] و«الاسود المتعسّف»

كنت العزيز الحر يكرم نفسه   ويعاف منزلة الذليل ويأنف

رمت «الولاية» بالقريض، وإنه   لك في النفوس ولاية ما تصرف

«المضحكات بمصر»[2] حيث رأيتها   وأرى «الثعالب»[3] مثل عهدك تزحف

نظمت بدائعك المواكب فخمة   ومشت تغنى في البلاد وتعزف

اليوم تنصفك الدُّهور ومالنا   غير الدُّهور لدى الحكومة منصف

احمد محرم

---

(١) المراد به سيف الدولة ورميه بالدواة في وجه المتنبي وهو ينشده قصيدته: « واحر قلباه ممن قلبه شبم »

(٢) اشارة الى قوله : «وكم ذا بمصر من المضحكات» البيت :

(٣) اشارة الى قوله من قصيدة في كافور : « نامت نواطير مصر عن ثعالبها » البيت

فلسفة أبي الطيب

هل كان المتنبي فيلسوفاً ؟

بقلم الاستاذ احمد امين

يخطىء من يظن ان لأبي الطيب فلسفة تشمل العالم ، وتحل مشاكل الكون ، فتلك بالفيلسوف أشبه ، وربما قارب هذه المنزلة أبو العلاء لا ابو الطيب ، فلئن كان ابو العلاء فيلسوفاً يتشاعر فان أبا الطيب شاعر يتفلسف ، انما لأبي الطيب خطرات في الحياة من هنا ومن هنا لا يجمعها جامعة إلا نفس أبي الطيب والمحيط الذي يسبح فيه ويتشرب منه

كذلك يخطىء من ظن أن أبا الطيب عمد الى ما أثر من الحكم عن أفلاطون وأرسطو وأبيقور وأمثالهم من فلاسفة اليونان ، فأخذها ونظمها ، ولم يكن له في ذلك إلا أن حول النثر شعراً ، كما رأى ذلك من تتبعوا سرقات المتنبي وأفرطوا في اتهامه ، فأخذوا يبحثون في كل حكمة نطق بها ويردونها الى قائلها من هؤلاء الفلاسفة . فلسنا نرى هذا الرأي ، فان كان قد وصل الى أبي الطيب قليل من حكم اليونان ونظمها فان اكثر حكمه منبعها نفسه وتجاربه وإلهامه لا الفلسفة اليونانية وحكمها ، ذلك لأن الحكم ليست وقفاً على الفلاسفة ولا على من تبحروا في العلوم والمعارف ، انما هي قدر مشاع بين الناس يستطيعها العامة كما يستطيعها الخاصة ، ونحن نرى فيما بيننا ان بعض العامة ومن لم يأخذوا بحظ من علم قد يستطيعون من ضرب الامثال والنطق بالحكم الصائبة ما لا يستطيعه الفيلسوف والعالم المتبحر، وهذا الذي بين ايدينا من أمثال انما هو من نتاج عامة الشعب اكثر مما هو من نتاج الفلاسفة، وكلنا رأى بعض عجائز النساء ممن لم تقرأ في كتاب أو تخط بيمينها حرفاً تنطق بالحكمة تلو الحكمة ، فيقف أمامها الفيلسوف حائراً دهشاً يعجز عن مثلها ويحار في تفسيرها، و مرجع ذلك الى ينبوعين وهما التجربة والالهام ، فاذا اجتمعا في امرىء تفجرت منه الحكمة ولو لم يتعلم ويتفلسف ، فكيف اذا اجتمعا لامرىء كأبي الطيب ملىء قلبه شعوراً وملئت حياته تجارب وكان أمير البيان وملك الفصاحة ؟ فنحن اذا التمسنا له مثالا في حكمه فلسنا نجده في أفلاطون وأرسطو وأبيقور ، وانما نجده في زهير بن أبي سلمى وقد نطق في الجاهلية بالحكم الرائعة مما دلته عليه تجاربه وأوحى اليها إلهامه ، كما نجده في شعر أبي العتاهيـــة وقد ملأ عالمه حكما وأمثالا خالدة على الدهر . وكل ما بين أبي الطيب وهؤلاء الحكماء من فروق يرجع الى أشياء : المحيط الذي يحيط بكل شاعر ، وقدرة نفس الشاعر على تشرب محيطه ، والقدرة البيانية على أداء مشاعره . لقد ألم زهير من الحرب ورأى ويلاتها

فشعر فيها ونطق بالحكم الرائعة يصف شرورها ومصائبها ، وفشل ابو العتاهية في الحياة فزهد وملك الزهد عليه نفسه فملأ به ديوانه ، وكان لأبي الطيب موقف غير هذين فاختلفت حكمه عنهما وان نبعت من منبعهما ، كما سنبينه

ودليلنا على ذلك ان أبا الطيب – فيما نعلم – لم يثقف ثقافة فلسفية انما تثقف ثقافة عربية خالصة ، قرأ بعض دواوين الشعراء ولقي كثيراً من علماء الأدب واللغة كالزجاج وابن السراج والأخفش وابن دريد ، وكل هؤلاء لا شأن لهم بالفلسفة ومناحيها

وما لنا ولهذا كله ، فاننا لو رجعنا الى حكمه لوجدناها منطبقة تمام الانطباق على محيطه ونفسه ليس فيها أثر من تقليد ولا شية من تصنع ، فهو ينظم ما يجول في نفسه وما دلته عليه تجاربه لا ما نقل اليه من حكم غيره إلا في القليل النادر

ونحن اذا أردنا أن نجمل نفسه ومحيطه قلنا : انه بدأ حياته حياة فتوة وفروسية ، تعرفه الخيل والليل والبيداء ، ويحب الحرب والنزال ، ويشتهي الطعن والقتال . قيل له وهو في المكتب ما أحسن وفرتك ؟ فقال :

لا تحسن الوفرة (١) حتى ترى منشورة الضفرين يوم القتال
على فتى معتقل صعدة يعلها من كل وافي السبال

كما نشأ طموحاً الى أقصى حد في الطموح ، يعتد بنفسه كل الاعتداد ، ولا يرى له في الوجود نداً ولا مثيلا . قال في صباه :

أمط عنك تشبيهي بما وكأنه فما أحد فوقي ولا أحد مثلي

قومه من خير العرب بيتاً ومع هذا يجب أن يعتز قومه به لا أن يعتز هو بقومه وبيته :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجدودي
وبهم فخر كل من نطق الضا د وعوذ الجاني وغوث الطريد

الى جانب هذا الاعتزاز بالنفس استصغار للناس ونفوسهم وشؤونهم :

ودهر ناسه ناس صغار وإن كانت لهم جثث ضخام
وما أنا منهم بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام

امتلأت نفسه بهذه العقيدة حتى في صباه فوضع لنفسه هذا المنطق الساذج البسيط : « إذا كنت خير الناس فلم لا أكون نبيهم أو على الأقل ملكهم ، فبدأ ينفذ برنامجه في سهولة ويسر ظاناً وهو فتى غرير – ان الدنيا تحكم بمثل هذا المنطق البسيط . ولم يعلم بعد ان منطق الدنيا أعقد من هذا بل ان الملك منطق يحكم الدنيا اكثر مما يحكمها المنطق . نعم انه سيلاقي في هذا شداداً وصعاباً ولكن لا بأس فهو مسلح بكل ما يحتاج اليه ذلك من سلاح :

(١) الوفرة الشعر المجتمع على الرأس

أى محل أرتقى ؟ أى عظيم أتقى ؟
وكل ما خلق الله وما لم يخلق
محتقر فى همتى كشعرة فى مفرقى

ولكن حوادث الدهر علمته شيئاً فشيئاً ان الزمان اكبر من همته ، وانه لا يكفى أن يكون خير الناس ليكون نبى الناس أو ملك الناس . ومن أجل هذا تدرجت مطامحه وأخذت فى النقصان فقد بدأ يطلب النبوة ، فلما فشل فيها بدأ يطلب الملك فلما فشل فيه بدأ يطلب ولاية أو اقليما فى مصر ففشل فى ذلك ايضاً ، فأخذ يعتب على الزمان ويذمه ويلعنه

بدأ النبوة فقال :

ما مقامى بأرض نخلة إلا كمقام المسيح ، بين اليهود
أنا ترب الندى ورب القوافى وسمام العدى وغيظ الحسود
أنا فى أمة تداركها الله غريب ، كصالح ، فى ثمود

ثم صدمه الزمان بالأسر والحبس فعدل عن النبوة الى طلب الملك فأخذ فى شعره يحقر ملوك زمانه ويقيسهم بنفسه فلا يرى لهم فضلا عليه وله عليهم كل الفضل . ويضع خطة ان العرب يجب أن يحكمها العرب لا العجم فيقول :

وانما الناس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم

ويقول :

سادات كل أناس من نفوسهم وسادة المسلمين الأعبد القزم

إذن يجب أن يكون الملوك من العرب وإذن فليكن هو ملكا وقد طوف بالبلاد يتلمس السبيل لتحقيق مأربه ونيل مطلبه ويقول فى ذلك تلميحاً لا تصريحاً :

يقولون لى ما أنت فى كل بلدة وما تبتغى ؟ ما أبتغى جل أن يسمى
اذا قل عزمى عن مدى خوف بعده فأبعد شىء ممكن لم يجد عزما
وإنى لمن قوم كأن نفوسهم بها أنف أن تسكن اللحم والعظما

ثم رأى ان الزمان لا يسعفه إلى ما طلب ولا يعينه على ما أمل فرحل الى مصر وطلب من كافور أن ينيله ولاية فأغدق عليه ذهباً فقال :

وما رغبتى فى عسجد أستفيده ولكنها فى مفخر أستجده

وقال:

فارم بى ما أردت منى فانى أسد القلب آدمى الرواء
وفؤادى من الملوك وان كا ن لسانى يرى من الشعراء

ثم صرح بعد الكناية فقال :

اذا لم تنط بي ضيعة او ولاية   فجودك يكسوني وشغلك يسلب

حتى ولا هذه استطاع أن ينالها وصدمته الحقيقة فاعترف بانه « يود من الايام ما لا توده » وقد كان في صباه يقول :

ولو برز الزمان إلى شخصاً   لخضب شعر مفرقه حسامي
وما بلغت مشيئتها الليالي   ولا سارت وفي يدها زمامي
اذا امتلأت عيون الخيل مني   فويل في التيقظ والمنام

عذبته الدنيا فجعلت نفسه نفس ملك ، وهمته همة ملك ، وشعره ملك الشعر أو على الأقل فيما يعتقد هو ، ثم جعلته فقيراً لا يملك من الدنيا شيئاً ، ولا يرث من آبائه مالا ولا ملكا ولا جاهاً ، وكان يأمل في صباه أن تتحقق نبوته فالنبوة لا تحتاج الى مال فلما يئس طلب الملك والملك يحتاج الى مال فطلبه بشعره ولكن لم تذل نفسه كما ذلت الشعراء فكان يرى انه يعطى لممدوحيه اكثر مما يأخذ منهم ، فهو يمنحهم شعرا خالداً وهم يمنحونه عرضاً زائلا . وكان يتجلى ذلك في عتابه أو هجائه يوم يعتب على ممدوحه أو يهجوه ، يقول لسيف الدولة وهو يعاتبه :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا   بأنني خير من تسعى به قدم
أنا الذي نظر الاعمى الى أدبي   وأسمعت كلماتي من به صمم

فتباً لهذا الزمان الذي وضعه هذا الوضع ، منحه صفة الملوك ولم يمنحه ملكا ، وحرمه المال ولم يحرمه النفس ، فلم يوائم بين نفسه وحاله ، يرى أن الناس لو عقلوا لثاروا ولم يرضوا على ما هم فيه من بؤس وشقاء ولملكوا عليهم خيارهم ، ولعله يعني نفسه ، ولكنهم خاضعون مستسلمون يقيمون على الذل ولا يأنفون من عار

أما في هذه الدنيا كريم   تزول به عن القلب الهموم
أما في هذه الدنيا مكان   يسر بأهله الجار المقيم
تشابهت البهائم والعبدى   علينا والموالي والصميم
وما أدرى أذا داء حديث   أصاب الناس أم داء قديم

اعتداد بالنفس لا إلى حد ، وطموح ليس بعده طوح ونقمة على الزمان لأنه لم يسعفه ، ونقمة على الناس لأنهم لم يحققوا أمله ـ هذا كله روح فلسفة المتنبي ـ وكل ما قاله من حكم فهو صدى لهذا الوضع وترجمة لهذه الأحداث وتعبير عن شعوره بها

أوضح ما تنتجه هذه الحال في نفس كنفس المتنبي « فلسفة القوة » وكذلك كان ، فالمتنبي قوي في التعبير عن نفسه قوي في الحملة على الناس وعلى الزمان . تتجلى القوة في كل أقواله وفي جميع حالاته . وهذه القوة اكثر ما تكون في سنيه الاولى أيام كان يتنقل في البلاد ويدبر خطته

ليحقق أمله . وقد ظل على هذه الحال الى أن بلغ الرابعة والثلاثين ثم ضعفت بعض الشيء يوم اتصل بسيف الدولة يتبعه حيثما كان ويمدحه فى الحل والترحال ، وأثر فى نفسه فشله عنده فرحل الى مصر وبها كافور وشتان بين سيف الدولة فى عربيته وفروسيته وبين كافور فى عجمته وعبوديته. ولكنه الزمان الغادر رماه بأقسى ماالديه حتى جعله مادحاً كافوراً فهو فى مدحه يغالب نفسه ويلعب بالالفاظ ليصوغ مدحاً يشبه الذم ، فاذا تحرر من ذلك واخذ فى هجائه عادت اليه قوته وكأنه استرد حريته . فهو قوى فى نفسه لا يهاب الدهر ولا يكترث لأحداثه :

ان ترمنى نكبات الدهر عن كثب ترم امرءاً غير رعديد ولا نكس

وهو قوى فى احتقاره اللذات الوضيعة وطموحه الى أعلى غايات المجد :

واذا كانت النفوس كباراً تعبت فى مرادها الاجسام

يأبى أن يضعف نفسه بالغزل والخمر فانهما يحولان دون المجد :

تمرست بالآفات حتى تركتها تقول أمات الموت أم ذعر الذعر

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها فمفترق جاران دارهما العمر

ولا تحسبن المجد زقاً وقينة فما المجد إلا السيف والفتكة البكر

وتركك فى الدنيا دوياً كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر

وهو قوى فى هجائه فهو اذا رمى أصمى واذا مس أدمى يطوق من يناله الذم . ويقلده الخزى ويلزمه عاراً لا تمحوه الايام

وهو قوى فى دعوته الناس أن يثوروا ويؤسسوا ممالكهم على حد السيف :

أعلى الممالك ما يبنى على الأسل والطعن عند محبيهن كالقبل

وما تقر سيوف فى ممالكها حتى تقلقل دهراً قبل فى القلل

وهو قوى فى احتقار الناس إذ لم تعل همتهم كهمته ولم يرتفعوا عن السفاسف رفعته :

اذا ما الناس جربهم لبيب فانى قد أكلتهم وذاقا

فلم أر ودهم إلا خداعاً ولم أر دينهم إلا نفاقا

كل شيء فى سبيل المجد لذيذ محبب اليه فالقتل والموت والعذاب وقطع الفيافى عذب المذاق

فوتى فى الوغى عيش لأنى رأيت العيش فى أرب النفوس

سبحان خالق نفسى كيف لذتها فيما النفوس تراه غاية الألم

وهان فما أبالى بالرزايا لأنى ما انتفعت بان أبالى

وأخيراً ترى القوة تشع فى جوانب أساليبه وقوافيه فاذا اشترك المتنبى وغيره من الشعراء فى معنى من المعانى رأيت أبيات المتنبى غالباً أقوى أسلوباً وأجزل لفظاً وأقوى قافية وأمتن تركيباً لأنه يسبغ عليها من قوته ويزيد فى شدتها وحدتها من شدته وحدته ـ حتى لقد يقوا

المألوف والفكر الشائع الذى توارد عليه الشعراء فى كل العصور فيخلع عليه المتنبي بعض نفسه وقطعة من حسه فكأنما هو جديد وكأنه لم يسبق اليه

لعل موضع الضعف عنده أنه أنفق حياته فى مدح الولاة والامراء والملوك يصوغ الثناء لهم وينظم عقود المدح فيهم ويجهد عقله فى اختراع معانى الكرم والبأس ونسبتها اليهم . ويرحل من بلد الى بلد طلباً لعطاياهم ويقف على أبوابهم انتظاراً لمنحهم، ويتربص الفرص للقول فيهم ، فاذا أقبل العيد هناهم واذا مرضوا عوذهم وإذا انتصروا فى حرب شاد بفعالهم واذا انهزموا لطف من هزيمتهم . واذا مات لهم ميت عزاهم . واذا ولد لهم مولود بادر بتهنئتهم . وذلك ما لا يتفق كثيراً ونفسه الكبيرة وهمته العالية التى يتحدث عنها ـ لو انه ترفع عن هذا كله وقنع بان يتغنى بشعره فى وصف شعوره لوائم بين نفسه وشعره ، ولكنه ـ على ما يظهر ـ لم يشأ عيشة الزهد وانما شاء عيشة الرفعة والشهرة بالملك أو بالولاية فرأى أن يتصل بالملوك للاستفادة منهم والاستعانة على تحقيق غرضه بهم وبمنحهم وبايجاد الصلة بينه وبينهم ، ولكنه من حين لآخر يشعر بلذعة فى أعماق نفسه من هذه الصفة فيفلسف التهنئة ويقول :

انما التهنئات للأكفاء ولمن يدنى من البعداء
وأنا منك لا يهنيء عضو بالمسرات سائر الاعضاء

ثم هو لا يتنزل الى مدح غير العظماء ، واذا أنشد شعره أنشده فى علو وكبرياء . فاذا لم يتحقق غرضه أو أحس بتيه بممدوحه عليه ثار ثورة من جرحت عزته ونيل من كبريائه ، وكأنما تجلت له الحقيقة وهى صعوبة الجمع بين نفس تمتلىء عزة وشاعر يقف شعره على المديح ـ وهذا كله جذبته شؤون الحياة الى الضعة والضعف أبت عليه نفسه ، وحولته من ضعف الى قوة ومن ضعة الى رفعة :

لم الليالى التى أخنت على جدتى برقة الحال واعذرنى ولا تلم
لقد تصبرت حتى لات مصطبر فالآن أقحم حتى لات مقتحم
ردى حياض الردى يانفس واتركى حياض خوف الردى للشاء والنعم

وبذلك فلسف الحياة كلها فلسفة قوة كما فلسف ابو العتاهية الحياة فلسفة زهد ـ فويل للضعيف ، وويل للجبان ، وويل لمن يخاف الحوادث ، وويل لمن يهاب الموت :

ولا قضى حاجته طالب فؤاده يخفق من رعبه

هذه ناحية من نواحى فلسفة المتنبي هى « فلسفة القوة » ، وقد كان له فى فلسفته نواح أخرى كثيرة لم يتسع لها هذا المقال

احمد امين

أبو الطيب المتنبي

كان عبقرياً، ولكن ...

بقلم الاستاذ خليل مطران

«... لا جرم ان ابا الطيب قال الشعر كأحسن ما قاله العرب الى زمنه وبز بطائفة من ابياته وقصائده كل قائل من قبل ومن بعد، غير ان من وهب تلك العبقرية كان جديراً بأن يحدث في الشعر العربي حدثاً غير ما قصر همه عليه ...»

عنى العالم العربى بذكرى «المتنبى» لانقضاء الف عام على وفاته واستنفد كتاب الضاد صيغ المدح لذلك الشاعر العظيم وأبدوا فى سيرته وأخلاقه آراء لم يختلف بعضها عن بعض كبير اختلاف دلت بجملتها على عبقريته كما نبهت على مواطن القوة والضعف فى آدابه وطباعه

ولما طلب إلى أن أكتب كلمة بين الكلمات التى ستنشر لاصدقائى من أساطين البيان فى هذا العدد من الهلال، وكان وقتى على أسف منى لا يتسع لاستئناف المطالعة والمضى فى المراجعة لأخدم الغرض المروم حق خدمته، رأيت أن أجتزىء بإيراد محصل ثبت فى ذهنى من مدارستى القديمة لشعر أبى الطيب ولما وقفت عليه فى كتب شتى من أخباره

فأنا أخط هذه السطور وأبو الطيب متمثل فى ذهنى بناحية منه سما بها الى أعلى الذرى. وأخرى تدلى بها الى قرارة بعيدة الغور:

أما الناحية التى رفعته فهى عبقريته ـ وأما التى خفضته فهى طمعه. صراع شديد قام فى نفسه من بدء أمره بين الهدى والهوى. أحس بأنه وهب ما لم يوهبه غيره من وفرة العقل والقدرة على البيان، فكان أول ما سلكه فى طلب العلياء ادعاؤه النبوة. غير انه لم يعتم أن تبين من أية قمة شاهقة أشرف على هوة سحيقة مردية. فتاب عندما استتيب وعاد متضعاً لا متواضعاً الى الطريق المعبد الذى طرقه الشعراء منذ جعلوا القريض وسيلة ارتزاق، فنظم المديح للذين استندى جوانبهم من ذوى الجاه العريض. وفى قصائده الاول خليط عجيب تتبين فيه المشاكسة العنيفة بين الطبع والتطبع، فآناً يحاكى المبرزين من شعراء عصره فتضعف إجادته وتعتاص أساليبه وترتبك صوره، وآناً يرجع الى وحى فطرته ويسعده استحكام ملكته فيأتى بالسوانح المبتكرات فى حبر لا تلبس أحسن منها الغوانى الخفرات. على ان هذه الفرائد الغوالى وان لم يدانها ما جاورت من الجمان فى قلائدها هى التى أعلت قدره وأشاعت ذكره ومهدت له السبيل حتى بلغ سيف الدولة بحلب

ولدى هذا الملك الشجاع الاديب أراد المتنبي أن يمنح تكرمة لم يمنحها الشعراء قبله فأذن فى الانشاد جالساً بتلك الحضرة . ثم كان له من بسط العيش ما اشتهى وكان له من مصاحبة سيف الدولة فى بعض غزواته ما توخى ان يثبت به لنفسه انه رب سيف وقلم

وفى الحق انه كان شجاعاً وفى الحق ان قصائده فى سيف الدولة جاءت مصداقاً لظنه بتفرده بين الشعراء وتفوقه عليهم ، ولكنه فى هذه الحالة تجددت به النزعة الى اتخاذ مكان حسى لا معنوى إن لم يعل به الملوك علا به سائر الخلق . ولعل بوادر بدرت من هذه النزعة هى التى جنحت بسيف الدولة الى الانقباض عنه آناً واستفزته لتحريش بعض اللغويين أو بعض الشعراء على مناقشته او منافسته آناً آخر ، فتأتى من تلك النزعات الظاهرة والخفية الجفاء الذى أفضى بالمتنبي الى مفارقة ولى نعمته وإجابة كافور الاخشيدى الى دعوته

ولقد تأملت طويلا فى التماس السبب الذى يحمل رجلا مثله على التخلى عن نعيم وجد فيه لالتماس حالة جديدة ملتبسة يتوخاها ، فلم اقتنع ان النزعات المشار اليها آنفاً وما مست به كبرياءه قد اثارت فيه الحق والغضب والعزم على تلك الهجرة . إذ ان المواقف الاولى التى وقفها من ممدوحيه بعد سقوط ما ادعاه من النبوة لم تكن كلها مما يوفر فيها العرض ويسلم الشرف الرفيع من أذى الذلة والضعة ، وانما كان السبب فيما اعتقدت انه رأى مطمعه لدى سيف الدولة قد حد بحد لا سبيل الى مجاوزته وأن إلحاح الاخشيدى فى استزارته قد حرك فيه اقوى عوامل نفسه وهو الطمع . تخيل اليه ان فى مصر الواسعة ، وعلى رأسها خصى قدم غاصب للملك ، ولاية يستطيع ان يتصيدها . ومن يدرى بعد بلوغه الولاية وتمكنه فيها ما تهيئه له الأقدار من غصب الغاصب على حد قوله :

وتضريب أعناق الملوك وان ترى لك الهبوات السود والعسكر المجر

على ان تركه لسيف الدولة وانتقاله من يقين الى ريب وتبدله من رخاء وجاه بآمال تحقيقها فى يد الغيب - كل أولئك لم يكن بهين عليه . وفى ذلك يقول وكأنه يستدرج سيف الدولة الى إرضائه واستبقائه :

يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شىء بعدكم عدم

ثم يدلف بذلك الاستدراج الى الاغراء فيقول فى ختام تلك القصيدة التى هى من لباب الشعر وخلاصته الصافية :

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم فالراحلون هم

عرف المتنبي قدر ما يفارقه ولكن مطمعه غلب عليه ففارق . . .

ولقى كافوراً وحظى عنده زمناً ومنى بما تمنى خداعاً وزوراً . غير انه أخذ بسحر الرغبة وأنشد فى الخصى شعراً هو أجود منظومه لأنه أمن عنده المنافسين من الشعراء ومضى على

سليقته فى استنزال إلهامه وفى اختيار روائع المبانى لبدائع المعانى . حتى اذا طالت غلته وبدا له ما وراء رفيف السراب من حرقة تزيده حرقاً تولى عن مصر ولم يكتف لخيبته بهجو كافور بل هجا اهل مصر فاركبه طمعه فى هذه الخطة نكراً وحمله وزراً : نكر الذم فى يومه لمن مدحه فى أمسه ووزر الاستطالة على أمة انما جاءته الاساءة إن كان ثمت إساءة لامنها بل من المسىء اليها .

وفى هذا المعرض قد يصح أن يحمل قذع المتنبي لأهل مصر على غرض الاستثارة . ومثل هذا كان جارياً فى ذلك العهد بل ظل شىء منه الى هذه الايام . ولكن رجلا بمقدرة المتنبى وفطنته لا يحاسب كما يحاسب أحمق موتور بل كان حقيقاً به وهو أبلغ المتصرفين فى الكلام أن يجد وجوها أخرى للاستثارة . ولو اتخذ لذلك مدح اهل مصر وتبيين ما يجنيه عليهم ذلك الغاصب لملكهم لكان سهمه أنفذ ومرماه أولى بالاصابة

فالطمع من أول شأنه الى آخره ، قد جنى عليه وجنايته لم تقتصر على إبعاده عن مواطن النعماء وإركابه مراكب الهجر والشقاء ، الى أن كان مما اكتسبه فى فراره من مصر لقاؤه منيته فى فراره ، بل تأتى من ذلك الطمع خطب جلل منى به الشعر

ولا جرم ان أبا الطيب قال الشعر كاحسن ما قالته العرب الى زمنه وبز بطائفة من أبياته وقصائده كل قائل من قبل ومن بعد . غير ان من وهب تلك العبقرية كان جديراً بأن يحدث فى الشعر العربى حدثاً غير ما قصر همه عليه من تفكير فى بعض أساليب التعبير ومن التنبه لكل حالة من حالات الحياة ، يقول فيها حكمة تتناشدها ألسنة الخلق كلما عرضت تلك الحالة ، فان أمثال هذه الجزئيات على ما لها من قيمة لم تحول نظم القصائد أدنى تحويل عن الخلط والخبط اللذين جرهما اليها المداحون من سلف له ومعاصرين

رجل ادعى النبوة فى مقتبل شبابه أى انه نوى خلق دين للناس وبالبداهة إحداث نظام روحى واجتماعى وشرع شريعة وسن سنن للمعاش والمعاد

رجل دلت بعد ذلك حكمه فى شعره على انه كان عليما ببنى الدنيا خبيراً بما يبدون وما يخفون واقفاً على مواقع الصواب والخطأ من سرائرهم ومن أفعالهم . زعم قوم انه كان يعرف اليونانية وان كلماته الجوامع مأخوذة عن ارسطاطاليس . وزعم آخرون انه لم يعرف اليونانية وان ما توافق من أفكاره وأفكار ذلك الفيلسوف الاكبر انما كان توارد خواطر فهو على الحالين ذو مقدرة عقلية سامية لا نزاع فيها ؟

رجل ترى فى نخبة من قصائده آيات إبداع فى الوصف وفى إدراك الحقائق فضلا عن الحلى اللفظية والابتكارات الخيالية فتستطيع أن تفاخر بصدر من مختاراته ما هو من نوعها فى أية منظومة أجنبية بلغت ما بلغت من الغايات فى الاتقان

هذا الرجل كيف نفهم أن يلزم فى قرض القريض خطة الشتات والخلط بين الاغراض

المتباينة فى نظم القصيدة الواحدة ؟ ألست ترى ان استخدامه الشعر ، ولا هم له إلا إشباع نهمة فى نفسه ليست من الفن فى شىء ، قد حمله على تلك المحاكاة والمجاراة لئلا يبعده التجديد عن ذوى الحول والطول ومغدق الهبات والصلات ؟

كان غبناً وأى غبن أن يجعل المتنبي قصائده كما جعلها غيره ملتقى أغراض لا ارتباط بين معانيها ولا تلاحم بين أجزائها ولا مقاصد عامة تقام عليها أبنيتها وتوطد بها أركانها . غير ان طمعه قد جنى على عبقريته كما جنى على مجده

فاما اذا نظر الى شعره من حيث هو الشعر الذى ألفه العرب منذ أجراه المداح فى مجراه الباقى الى اليوم ، فانى لمن القائلين بان المتنبي فى الذروة العليا من طبقات شعرائنا وانه رزق ما لم يرزقه أحدهم من سحر البيان وقوة الاختراع وسر التفوق

خليل مطران

بين ارسطو والمتنبي

قال ارسطو : « الاشكال لاحقة بأشكالها ، كما ان الاضداد مباينة لأضدادها »

وقال المتنبي : وشبه الشىء منجذب اليه   وأشبهنا بدنيانا الطغام

وقال ارسطو : « الفرق بين الحلم والعجز ان الحلم لا يكون إلا عن قدرة ، والعجز لا يكون إلا عن ضعف فليس للعاجز أن يتسمى باسم الحليم »

وقال المتنبي : كل حلم أتى بغير اقتدار   حجة لاجىء اليها اللئام

وقال ارسطو : « على قدر بصيرة العقل يرى الانسان الاشياء ، فالسالم العقل يرى الاشياء على قدر حقائقها ، والنفس اللئيمة ترى الاشياء بطبعها »

وقال المتنبي : ومن يك ذا فم مر مريض   يجد مراً به الماء الزلالا

وقال ارسطو : « على قدر الهمم تكون الهموم »

وقال المتنبي : أفاضل الناس أغراض لذا الزمن   يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

وقال ارسطو : « النفس الذليلة لا تجد ألم الهوان ، والنفس العزيزة يؤثر فيها يسير الكلام »

وقال المتنبي : من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرح بميت إيلام

وقال ارسطو : « الزيادة فى الحد نقص فى المحدود »

وقال المتنبي : متى ما ازددت من بعد التناهى   فقد وقع انتقاصى فى ازديادى

وقال ارسطو : « كره ما لا بد من كونه عجز فى صحة العقل »

وقال المتنبي : نحن بنو الموتى فما بالنا   نعاف ما لا بد من شربه

طلب

الى أن أكتب فى احدى نواحى أبى الطيب المتنبي ، وأعلم أن الناس فى القديم والحديث كتبوا عنه كثيرا . وأن شعره نال من عناية الأدباء وبحثهم وجدلهم مالم ينله شعر قبله ولا بعده وأن كتبا ضخاما ألفت فى كل ناحية من نواحى الرجل والشاعر ، حتى لقد يسبق إلى الوهم أن كل قول فيه يكون معاداً ، وأن كل نظرة فيه تقع على نظرات سبقتها اليه من قرون ، ولكن المتنبي الضخم يعز على من رامه ويطول ، فهو الجبل الاشم أينما قلبت فيه النظر رأيت عجبا ، وكيفما ملت برأسك الى ناحية من نواحيه رأيت جديداً ، وهو البحر الخضم تقف عند ساحله فيبهرك ماترى من عظم ، ويفتنك ما تشاهد من ألوان ، ثم أنت لا تزال ترسل النظرة فى أثر النظرة فلا تعود كل واحدة منها الا بمعنى جديد ، وفن فى الحسن بديع ، ولأمر ما كان المتنبي يقول فى ثقة ويقين :

أنام ملء جفونى عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

فكيفما كتب الكاتبون فى المتنبي لا تزال فيه مجالات للقول ، ولا يزال يطل عليك من مشارف أبياته معنى سرى فى ثوب من البيان قشيب يزيدك وجهه حسناً اذا ما زدته نظرا والمتنبي وبيننا وبينه ألف سنة أو تزيد يطغى على الزمن قوة ، وهو على الأيام جدة ومانزال نقرؤه سنة أربع وخمسين وثلثمائة بعد الألف فنهتز له كما اهتز سيف الدولة سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، ولا يزال يهمس فى الاذن بالحكمة النادرة والقولة الحكيمة وقد مشت فوق رءوس الحقب ، وخاضت الينا مفاوز القرون ، وكانت لدة الدهر فى شبيبته ، ثم جاءت الينا من ذلك المكان البعيد الذى نسميه الماضى وقد زادها القدم جدة ، وخلع عليها تعاقب الاعوام بردين من جلال ويقين :

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها ففـــترق جاران دارهما العمر
ولا تحسبن المجد زقاً وقينة فما المجد إلا السيف والفتكة البكر
وتركك فى الدنيا دوياً كأنمـــا تداول سمع المرء أنمله العشر

نقرأ المتنبي فنحس أنه يخاطب كل نفس بأسرارها ، ويكشف لكل سريرة مطوى أخبارها ، وكثيراً ما حدثنا عن خلجات كنا نحس بها ، ونسمع فى النفس دبيبها ولكنا كنا عاجزين عن وصفها والتعبير عنها ، وهى منا على طرف الثمام ، ومن اخبر بهمسات النفوس من أبى الطيب؟ ومن هو اقدر منه على كشف جولات الخواطر :

يرتني السرى برى المـــدى فرددتني　　أخف على المركوب من نفسي جرمي
وأبصر من زرقاء جو لانني　　متى نظرت عيناى ســـاواهما علمي

الف سنة تمر تطوى فيها أمم وتنشر أمم ، وينتقل فيها العقل الانسانى فى أطوار شتى يمحو بعضها بعضا ، وتتبدل العادات غير العادات والافكار ، والمتنبى لا يزال يقرأ ويقرأ ويجد فيه كل عصر طلبته من غذاء روحي تطمئن به النفس وترتاح اليه الضمائر

مضى سيف الدولة ومضت آثاره ، وذهب كافور وانطوت أيامه . وأين على الحاجب هذا الذى أجاز المتنبى على قصيدة من روائع شعره بدينار واحد ؟ ذهب هؤلاء جميعاً وبقى ذكر المتنبى كالصخرة العبوس ينفرج امامها زحام الايام ، وتنكص دونها صروف السنين :

وعندي لك الشرد السائرا　　ت لايختصصن من الارض دارا
قواف اذا سرن عن مقولى　　وثبن الجبال وخضن البحارا
ولى فيك مالم يقل قائل　　وما لم يسر قمر حيث سارا

فالمتنبى عظيم وأريد فى هذا المقال ان اكشف عن قليل من سر هذه العظمة ، وأن ابين بقدر ما فى قلمي شيئا من ضخامة هذا الشاعر وقوته التى عصفت بشـــعراء عصره ، وحجبتهم بغبارها ، وما كانوا خاملين ولا كانوا مقصرين ، وفيهم السرى الرفاء وكشاجم والنامى والدمشقى والسعدى وامثالهم من كبار الشعراء ولـكنه السهم العاثر ، والجد العاثر ، ان تعيش فى عصر ينجم فيه نابغ يملأ الدنيا صخباً وجلباً ، وينثر درر بدائعه يمينا وشمالا فيصغى اليه الدهر وتشخص له الابصار وتبقى أنت مغموراً فى الزحام لا تعدم وكزة من مغامر أو ركلة من مزاحم فى ذلك الخضم الزاخر الرجاف ، والدنيا أم اذا برزت مواهب أحد ابنائها انصرفت اليه بتدليلها ، وطوقته بحنانها نابذة أبناءها الآخرين الذين قصر بهم المدى وقعد بهم الجد العثور

وكان المتنبي شاعراً بتلك العظمة وذلك النبوغ النادر فتحدى شـــعراء عصره فى صلف لا يطاق وجبرية لا تحتمل :

اذا شاء أن يلهو بلحيـــة أحمق　　أراه غبـــارى ثم قال له الحق
ولا تبـال بشعر بعد شـاعره　　قد أفسد القول حتى أحمد الصمم

وأظهر ما يمتاز به شعر أبي الطيب القوة والروعة والابتكار والنزوع الى غاية لم يصل اليها الشعراء قبل ، والقدرة على ارسال المثل ، ودقة الوصف والتصرف فى المعنى القــديم حتى يعود غضاً جديداً . وقد تجد لكل شاعر فى كل قصيدة قالها بيتاً أو أبياتاً قليلة تعد من عيون الشعر وبدائعه ، أما المتنبي فلا تجد له فى كل قصيدة الا بيتاً أو أبيـاتاً قليلة لم تصل الى شأوه البعيد ، والباقى الكثير من القصيدة غرر ودرر ، فهو اذا مدح يقول :

نهبت من الأعمار ما لو حويته　　لهنئت الدنيـا بأنك خالد

فالناس يمدحون الملوك بالشجاعة والاقدام وكثرة الغزوات وأن النصر معقود بلوائهم ، ولكن المتنبي يترك كل هذا ليتناوله صغار الفنانين ويصعد فى المدح بهذه المعانى الى افق أعلى تظهر فيه خصائصه وتتميز مواهبه فيجعل قتل الاعداء نهباً لاعمارهم واغتصاباً لها ، ثم يدفعه خياله البعيد الى فرض أن هذه الأعمار الكثيرة اتصل بعضها ببعض فكونت عمراً طويلا غير محدود ثم يرتقى الى اوج أسمى فيفرض أن سيف الدولة وهب هذه الأعمار غير المتناهية التى انتزعها من أعدائه ولا يكتفى بان هذا — إن تم — يصل به الى الخلود بل يدعى أن الدنيا بمن فيها وما فيها تهنأ بهذا الخلود . ثم ما أجل تصوير النصر المحقق فى قوله بعد هذا البيت :

فانت حسام الملك والله ضارب وانت لواء الدين والله عاقـــد

ثم انظر اليه حين يقول فى سيف الدولة :

أتحسب بيض الهند اصلك اصلها وانك منها ساء ماتتوهم
اذا نحن سميناك خلنا سيوفنا من التيه فى اغمادها تتبسم

وقد اتخذ المتنبي من اسم سيف الدولة سبلا شتى للافتنـــان فى مديحه والمماثلة بينه وبين السيوف فاجاد فى كثير من ذلك وحلق ، ومثل هذه الفرص تعرض لكثير من الشعراء ، ومجال القول فيها هين اذا لم يتجاوز الشاعر اللعب باللفظ على نحو رخيص من التخيل ، أما المتنى فليس من هذا الصنف ولا من ذلك الطابع . استمع له وهو يتهكم بسيوف الهند حين تظن كذباً وغروراً وتلمساً لشرف الاتصال بسيف الدولة أنها هي وسيف الدولة من أصل واحد فكلاهما قاطع بتار ، وكأنى أسمع تهاتفه فى سخرية واستهزاء حين يقول : « ساء ما تتوهم » ، وهنا موطن قوته وصرامته الشعرية ، فأ كثر ما تظهر فى هذه الجمل القصيرة المفصولة التى لها وقع السهام ، ثم يصعد الى أفق لا تسافر اليه الظنون فيقول ان هذه السيوف تكتفى من الشرف بأن اسمك وافق اسمها فاذا سميناك خلناها تبتسم فى أغمادها تيها وعجباً

ثم خذ مثالا آخر فى مدح كافور :

اذا طلبوا جدواك أعطوا وحكموا وان طلبوا الفضل الذى فيك خيبوا
ولو جاز ان يحووا علاك وهبتها ولكن من الأشياء ما ليس يوهب

أيستطيع شاعر ان يصور الصفح والتجاوز وعظم النفس هـــذا التصوير ؟ ان حسادك واعداءك إذا سألوك العطاء اعطيت واغدقت وسألتهم ان يتحكموا فيما يطلبون ، ولكنهم لو طلبوا ان ينالوا ما فيك من كريم الشيم وعالى الهمم ردوا خائبين لا ضنا منك ولا بخلا ،فلو كان فى استطاعتك ان تمنحهم اياها لفعلت « ولكن من الأشياء ما ليس يوهب »

وفى هذه الجملة القصيرة ايضا تظهر قوة الشاعر وشدة اسره

ومن ابدع ماقاله فى المديح :

مالئاً من نواله الشرق والغر ب ومن خوفه قلوب الرجال
قابضاً كفه اليمين على الدنـ يا ولو شاء حازها بالشمال

ننتقل بك الى الوصف ولنبدأ بهذه الأبيات :

وذى لجب لا ذو الجناح امامه بناج ولا الوحش المثار بسالم
تمر عليه الشمس وهى ضعيفة تطالعه من بين ريش القشاعم
اذا ضوؤها لاقى من الطير فرجة تدور فوق البيض مثل الدراهم
ويخفى عليك الرعد والبرق فوقه من اللمع فى حافاته والهماهم

برع المتنبي فى وصف الجيوش والوقائع ، ما فى ذلك شك ، فقد كان يحمل بين جنبيه نفساً نزاعة الى القتال تدفعها الآمال الكبار ، وكانت وقائع سيف الدولة مع الروم حافزة لهذه النفس مؤججة لتلك الجذوة ، ولو حاولنا ان نختار له خير ماقاله فى هذه الناحية لطال المقال ، ولكننا نكتفى بالابيات التى قدمنا ففيها قوة وفيها جمال شعرى وفيها وصف دقيق . ما اروع اسلوبه فى البيت الاول ! وما اجمل مافيه من تقسيم وتنسيق ، فالجيش كثير العدد كثير اللجب تهاوى قذائفه ، أثار الوحوش من مكامنها والطيور من اوكارها ، فلا ذو الجناح بناج من سهامه المترامية ولا الوحوش بسالمة من عديده الخضم ، ثار فيه الغبار فسد الافق وعلا فى السماء فكسف الشمس ، فهى تمر عليه ضعيفة ضئيلة الضوء ، فاذا اطلت عليه فانها تطل من بين ريش النسور التى حلقت فوقه لوثوقها بنصره وشدة طمعها فى جثث اعدائه ، وقد شرح هذا المعنى فى قصيدة اخرى وجلاه فقال :

يطمع الطير فيهم طول اكلهم حتى تكاد على احيائهم تقـع

وهذه الشمس اذا وقفت الى فرجة بين اجنحة النسور سقطت اضواؤها على الخوذات مدورة كالدراهم ، وهذا تشبيه يدل على دقة الملاحظة وان المشاهدة الدقيقة لمظاهر الاشياء كان لها اثر بعيد فى تكوين المتنبي ، وقد اعاد هذا المعنى فى قصيدة شعب بوان فقال :

والقى الشرق منها فى ثيابى دنانيراً تفر من البنان

ثم إن هذا الجيش كثرت فيه همهمة الابطال ، وهى الصوت يتردد فى الصدر فاذا رعدت السماء لم تسمع ، وازداد فيه بريق السيوف فاذا لمع البرق لم يبصر ، واذا كانت الهمهمة وهى الصوت الخافت تخفى الرعد فاجدر بأن يكون الجيش بالغاً الغاية فى العظم

وللمتنبي منحى فى الرثاء عجيب ، فهو لا يلطم الخدود ، ولا يشق الجيوب كما يفعل صغار الشعراء ، ولكنه يطلق العنان لفلسفته فى الموت والحياة فهو يقول فى رثاء أخت سيف الدولة الصغرى :

خطبة للحمام ليس لها رد ولكنها المسماة ثكلا

واذا لم تجد من الناس كفئاً ذات خدر ارادت الموت بعلا
ولذيذ الحياة أنفس فى النفـ س وأشهى من ان يمل واحلى
واذا الشيخ قال أف فما مل حياة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشـباب فاذا وليا عن المرء ولى

وقد سلك فى رثاء الأخت الكبرى طريقا جديداً هو برثاء القواد والملوك أشبه منه برثاء النساء :

طوى الجزيرة حتى جاءنى خبر فزعت فيه بآمالى الى الكذب
حتى إذا لم يدع لى صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى
كأن فعلة لم تملأ مواكبها ديار بكر ولم تمنح ولم تهب

والبيت الأول تصوير غريب لحال من فوجىء بخبر محزن ، فهو يتشبث بالاوهام ، ويفزع لتكذيبه الى أوهى الأسباب

ومن خير مراثيه وأقواها مرثيته فى جدته ، ولكنه شغل اكثرها كعادته بالحديث عن نفسه

وللمتنبى فى الهجاء القول الممض والكلام المر ، ولم يكن كثير الهجاء ولكن بيتاً واحداً من هجائه يقوم مقام القصيدة الطويلة فى الايلام وشدة الايجاع واصابة المحز ، فهو يقول لابن كروس جليس ابن عمار :

فلو كنت امرأ تهجى هجونا ولكن ضاق فتر عن مسـير

هذا منتهى مايصل اليه الاحتقار فهو ليس برجل يؤبه له لأن قدره أضيق من أن يتسع لجولات الهجاء ، فهو كالفتر أقل من أن ينفسح لمسير

أما هجاؤه لكافور فقد قذفه فيه بالصيلم :

إنى نزلت بكذابين ضيفهم عن القرى وعن الترحال محدود
جود الرجال من الايدى وجودهم من اللسان فلا كانوا ولا الجود

ولو أن إنساناً حاول أن يهجو ألأم مخلوق ما استطاع ان يقول فيه أنكى من هذا وأقذع

واذا شكا الزمان ونقد الاجتماع أو تعرض لاخلاق الناس ، فهناك الانهمار فى الحكمة وضرب الأمثال وفلسفة الحياة . ولا نريد هنا أن نكثر من التمثيل لحكم أبى الطيب كثيرة جداً وقد تناولها الأدباء بالجمع والتمحيص والنقد ، واكثر قصائده حكماً : « لا افتخار إلا لمن لا يضام » ، « فؤاد ما تسليه المدام » ، « لهوى النفوس سريرة لا تعلم » ، « صحب الناس قبلنا ذا الزمانا »

وأوابد ابى الطيب التى بز بها الشعراء ووصل بها الى قمة الفن الشعرى اكثر من أن تجمع فى مثل هذا المقال . وتكفينا هنا هذه الكلمات الموجزة فى اذاعة شىء من سر عبقريته

علي الجارم

الدسائس الادبية
بين المتنبي والصاحب بن عباد

بقلم الدكتور زكي مبارك

هذا فصل موجز أصور به لوناً من ألوان الدسائس الادبية التي شهدها القرن الرابع . وما أريد في هذا الفصل أن أتحدث عن حياة المتنبي . فلذلك تفاصيل في هذا العدد من الهلال . وما أريد أيضاً أن أتحدث عن حياة الصاحب فقد أطلت فيه القول في كتاب النثر الفني . وانما أقف عند مسألة واحدة كان لها أثر في تلوين النقد الادبي عند كتاب القرن الرابع . وتلك هي الخصومة بين المتنبي والصاحب بن عباد . والمطلعون على التاريخ الادبي لذلك العهد يعرفون أن الصاحب كان يشتهي أن يستعبد كبار الكتاب والشعراء ، ويعرفون أن نفسه تسامت إلى استعباد المتنبي وانه خاب في ذلك وكانت هذه الخيبة جرحا بليغاً تنزى له قلب ابن عباد فحقد على المتنبي وحرض عليه كبار الناقدين

ولنقيد هنا أن المتنبي كان ترفع عن مدح رجال آخرين من أشباه الصاحب منهم الوزير المهلبي، نعرف ذلك من خطاب المتنبي الذي أرسله إلى الصابي وكان الصابي راسل أبا الطيب في أن يمدحه بقصيدتين ووسط بينه وبينه رجلا من وجوه التجار فقال ابو الطيب للوسيط : « قل لابي اسحاق : والله مارأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك ولا أوجب على أحد في هذه البلاد من الحق ما أوجبته . وأنا ان مدحتك تنكر لك الوزير — يعني المهلبي — وتغير عليك لانني لم أمدحه فان كنت لا تبالي هذه الحال فانا أجيبك إلى ما التمست وما أريد منك مالا ولا عن شعري عوضا »

والمهم أن يعرف القارىء أن ابن عباد حقد على المتنبي لانه لم يمدحه فلنحدثه عن خطر ذلك الحقد في الآثار النقدية التي حفظت عن ذلك العهد ولنكتف بشاهدين اثنين :

الشاهد الاول

الف أبو هلال العسكري كتاباً سماه « الصناعتين » وهو كتاب ممتع تحدث فيه عن الخصائص الشعرية والنثرية ، ولكن عند التأمل نجد في ذلك الكتاب النفيس ظلالا للدسائس الادبية التي وقعت بين المتنبي وبين ابن عبـاد ، فالمؤلف يتلمس الفرص ليشيد بأدب الصاحب وليغض من قدر المتنبي . أما اشادته بادب الصاحب فتظهر في استشهاده بكلامه كقوله في باب السجع والازدواج :

« ومثله قول الصاحب : هل من حق الفضل تهضمه شغفا ببلدتك ، وتظلمه كلفا بأهل جلدتك . . وقوله : وقد كتبت الى فلان مابوجز الطريق الى تخلية نفسه وينجز وعد الثقة فى فك حبسه »

ونراه فى مكان آخر يقول : « روى لنا أن عمر بن أبى ربيعة أنشد ابن عباس رضى الله عنه : تشط غداً دار جيراننا . فقال ابن عباس : وللدار بعد غد أبعد . فقال عمر : والله ما قلت الا كذلك . . . واذا كان القوم فى قبيلة واحدة وفى أرض واحدة فان خواطرهم تقع متقاربة كما أن اخلاقهم وشمائلهم تكون متضارعة . . . وأنشدت الصاحب اسماعيل بن عباد : « كانت سراة الناس تحت أظله . فسبقنى وقال : فغدت سراة الناس فوق سراته . وكذلك كنت . قلت . فعلى هذا جائز مايدعى لهم »

وفى هذه العبارة تظهر مجاملة أبى هلال للصاحب فهو يتخذ من حضور ذهنه دليلا على أن حضور الذهن من النعم التى يخص بها الله بعض الناس !

ونراه فى باب الفصل والوصل يقول :

« وهكذا يفعل الكتاب الحذاق والمترسلون المبرزون . ألا ترى ما كتب الصاحب فى آخر رسالة له : (فان حنثت فيما حلفت فلا خطوت لتحصيل مجد ولا نهضت لاقتناء حمد ولا سعيت الى مقام فخر ولا حرصت على علو ذكر . . .) فاتى بإعمان طريفة ومعان غريبة »

وما أحب أن استقصى ما تكلف العسكرى من الثناء على الصاحب فذلك مبثوث فى كتاب الصناعتين . واما تحامله على المتنى فيظهر فى مواطن كثيرة من كتابه فهو لايذكره باسمه ولايتحدث عن شعره الا حين يريد التمثيل للشعر القبيح . ففى باب تمييز المعانى ينشد قول السيد الحميرى :

أيارب انى لم أرد بالذى به مدحت عليا غير وجهك فارحم

ثم يقول : « فهـذا كلام عاقل يضع الشىء موضعه ويستعمله فى ابانه . ليس كمن قال وهو فى زماننا :

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم شيم على الحسب الاغر دلائل

فاشمت عدوه بنفسه »

وفى باب الكناية والتعريض يقول : « ومن شنيع الكناية قول بعض المتأخرين :

انى على شغفى بما فى خمرها لأعف عما فى سراويلاتها

« وسمعت بعض الشيوخ يقول : الفجور أحسن من عفاف يعبر عنه بهذا اللفظ »

وفى باب التوشيح يقول : ومما عيب من هذا الضرب قول بعض المتأخرين :

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا قلاقل عيش كلهن قلاقل

ألا ترون كيف استطاعت تلك الدسائس ان تفسد الحكم فى نفس رجل شريف مثل أبى هلال ؟ لقد كان فى مقدور العسكرى أن ينصف أبا الطيب وأن يتجاوز عن سيئاته ، ولكنه شغل

نفسه بتعقب مساوئه ليدخل السرور على قلب ابن عباد . ولنتذكر أن ما أخذه العسكرى على المتنبى ظل يلاحق هذا الشاعر فى جميع العصور الادبية بحيث لا يكاد يخلو كتاب من كتب النقد من الاشارة الى تعسف المتنبى واسفافه فى الحدود التى رسمها صاحب كتاب الصناعتين

الشاهد الثاني

لم يكتف الصاحب بتحريض النقاد على المتنبى ، وانما اندفع يغمزه ويناوئه برسالة كتبها بنفسه على قلة ما كان يكتب فى النقد الادبى ، وهى رسالة صغيرة ولكنها قيمة ، بغض النظر عما فيها من تحامل ومكابرة ، وفى مطلع تلك الرسالة يتحدث الصاحب فيقول :

« كنت ذاكرت بعض من يتوسم بالادب الاشعار وقائليها والمجودين فيها ، فسألنى عن المتنبى فقلت : انه بعيد المرمى فى شعره ، كثير الاصابة فى نظمه إلا انه ربما يأتى بالفقرة الغراء ، مشفوعة بالكلمة العوراء فرأيته قد هاج وانزعج ، وحمى وتأجج ، وادعى ان شعره مستمر النظام ، متناسب الاقسام ، ولم يرض حتى تحدانى فقال : ان كان الامر كما زعمت فاثبت فى ورقة ما تنكره ، وقيد بالخطبة ما تذكره ، لتتصفحه العيون ، وتسبكه العقول . ففعلت ، وان لم يكن تطلب العثرات من شيمتى ولا تتبع الزلات من طريقتى . وقد قيل : أى عالم لا يهفو ، وأى صارم لا ينبو ، وأى جواد لا يكبو ؟ . وانما فعلت ما فعلت لئلا يقدر هذا المعترض أنى ممن يروى قبل أن يروى ، ويخبر قبل أن يخبر ، فاستمع وأنصت ، واعدل وأنصف ، فما أوردت فيه إلا قليلا ، ولا ذكرت من عظيم عيوبه إلا يسيراً ، وقد بلينا بزمن يكاد المنسم فيه يعلو الغارب ، ومنينا بأعياد أغمار اغتروا بمادح الجهال ، لا يضرعون لمن حلب الادب أفاويقه ، والعلم أشطره ، لا سيما الشعر ، فهو فوق الثريا وهم دون الثرى ، وقد يوهمون أنهم يعرفون ، فاذا حكموا رأيت بهائم مرسنة ، وأنعاماً مجفلة »

وفى هذه الكلمة بيان لنفسية الصاحب وما انطوت عليه من أضغان وأحقاد ، فهو يرى المتنبى رجلا أنصفه الزمان الجهول ، ويرى أشياعه من السوائم والانعام

ولنقدم للقارىء نماذج من نقد الصاحب للمتنبى . قال :

« ولقد مررت على مرثية له فى أم سيف الدولة تدل مع فساد الحس على سوء أدب النفس . وما ظنك بمن يخاطب ملكا فى أمه بقوله : رواق العز فوقك مسبطر . ولعل لفظة (الاسبطرار) فى مراثى النساء من الخذلان الصفيق الدقيق ، نعم هـذه القصيدة يظن المتعصبون له أنها من شعره بمثابة « وقيل يا أرض ابلعى ماءك » من القرآن ، وفيها يقول :

وهذا أول الناعين طراً لاول ميتة فى ذا الجـلال

« ومن سمع باسم الشعر ، عرف تردده فى أنهاك الستر . ولما أبدع فى هذه القصيدة واخترع قال :

صلاة الله خالقنا حنوط على الوجه المكفن بالجمال

« وقد قال بعض من يغلو فيه : هذه استعارة ، فقلت : صدقت ، ولكنها استعارة حداد فى عرس . ولما أحب تقريظ المتوفاة والافصاح عن أنها من الكريمات أعمل دقائق فكره واستخرج زبد شعره ، فقال :

ولا من فى جنازتها تجار يكون وداعهم خفق النعال

وكان الناس يستبشعون قول مسلم : سلت وسلت ثم سل سليلها . حتى جاء هذا المبدع بقوله :

وأفجع من فقدنا من وجدنا قبيل الفقد مفقود المثال

« فالمصيبة فى الرائى أعظم منها فى المرثى . ومن أوابده التى لايسمع طول الدهر مثالها قوله :

اذا كان بعض الناس سيفاً لدولة ففى الناس بوقات لها وطبول

« وهذا التحاذق كغزل العجائز قبحاً ، ودلال الشيوخ سماجة ، ولكن بقى أن يوجد من يسمع « ومن افتتاحه الذى يفتح طرق الكرب ، ويغلق أبواب القلب . قوله :

أراع كذا كل الانام همام وسح له رسل الملوك غمام

« ولو لم يتكلم فى الشعر إلا من هو أهله لما سمع مثل هذا »

وما أحب ان أطيل ما أخذ الصاحب على المتنبى . فقد طبعت رسالته بالقاهرة ، ويستطيع القارىء ان يرجع اليها حين يشاء . والمهم أن نسجل أن رسالة الصاحب جرأت النقاد على المتنبى وفتحت لهم باب القول ، حتى ليمكن الحكم بأن ما ورد فيها من المآخذ كان المصدر الاول لا كثر المطاعن التى صوبها النقاد الى المتنبى

وللقارىء ان يسأل : أكان من الممكن ان تستر هفوات المتنبى لو سكت عليها العسكرى والصاحب ابن عباد ؟ ونجيب بأن تلك الهفوات كانت ظاهرة ، وما كان يمكن أن يسدل عليها الحجاب . ولكن تلك الدسائس الادبية كشفتها بطريقة جارحة . وأحاطتها بألوان من السخرية والتهكم والاستهزاء

وقد مر ذكر المهلبى فى مطلع هذا الفصل . فلنشر هنا إلى أن ترفع المتنبى عن مدح المهلبى كان له من العواقب ما يشبه ماحدث حين ترفع عن مدح ابن عباد ، فقد أولع الحاتمى بالوقوع فى المتنبى ولم يكن ذلك خدمة خالصة للأدب ، وانما أريد به التقرب الى المهلبى

فان سألتم : وما الذى صنع الحاتمى ؟ فانا نجيب بأنه طعن المتنبى طعنة دامية حين الف (الرسالة الحاتمية) وهى سهم مسموم ، لانه رد حكم المتنبى الى أصولها فى كلام ارسطاليس . فاستطاع بذلك ان يفضحه فضيحة بلقاء . . قد تقولون : ولكن المتنبى بقى مع ذلك من الخالدين

وهذا حق . ولكن أولئك النقاد سيخلدون أيضاً . وستظل أرواحهم تضايق روح المتنبى ما دامت الارض والسماء

زكى مبارك

عبرة الشباب

لمحة عن المنازع القومية في المتنبي

بقلم الاستاذ سامى الكيالى

المتنبي كما تخيله جبران خليل جبران

عاش المتنبي عمره وهو يحمل فى صدره عزم الشباب . نفس طموحة ، وروح مغامرة ، وقلب قلق وثاب ، وجنون بالمجد والتعالى والعظمة ، وايمان الواثق من نفسه ، وما إلى ذلك من هذه الألوان التى تتلاقى ظلالها فى حياة العصاميين الذين يرتفعون بنفوسهم من الضعة إلى قمة المجد وذروة العلاء .. هذا هو المتنبي وهذه أظهر خصائص نفسيته . فقد نشأ نشأة الفقراء ، وعاش حياة ضنكة مغمورة بألوان الشقاء .

ولكن فقره لم يحل دون تفتح مواهبه ، وما كان الشقاء ليحل ذكاءه بلهاً وتوقد ذهنه خبلا ، أو ليقعده فى أرض الكوفة مغمور الاسم لا يدوى صداه فى الآفاق . فقد تطلع المتنبي وهو فى مقتبل عمره إلى الامجاد ولم تصدمه الاحداث التى جابهته بل احتملها ابى النفس قوى الارادة هادىء الضمير . وظل فى طريقه يقتحم المصاعب ويواجه الاهوال . يجالد ويقارع ويناضل ويسير من بلد إلى بلد حتى همد جسمه بعد أن ترك فى دنيا الأدب العربى دوياً رن صداه حتى فى آداب الأمم الحية

دخل المتنبي غمار الحياة وهو خلو الا من هذا الخافق بين جنبيه ، ومن هـذه النزعات الصلبة القوية التى امتزجت بدمه وأعصابه . دخل غمار الحياة وكأنما كل شىء يعلن له « ان الدنيا لمن غلب » . عصر يعج بالاضطرابات والدسائس ، امارات تتقاذفها الايدى فى كل مصر وصقع ، متغلبون تضطرم نفوسهم بالاهواء والشهوات . وشهوة المجد فى نفس شاعرنا لم تكن أقل منها فى نفس غيره من الطامحين وهو القائل :

وفؤادى من الملوك وان كا ن لسانى يرى من الشعراء

فلم ينكمش فى عقر داره ، ولم يشغل نفسه بالتوافه ، ولا عرف الضعف والوهن بل زج نفسه فى هذا الأتون الملتهب، وأخذ يجوب البلاد ويبلو اخلاق الناس ويتصل بالامراء . وكان الشعر وسيلته فى

المدح ، فاذا مدح أشاد بنفسه وقوته وأدبه ، وأشار الى مطامحه ، وصرح انه ليس كغيره من شعراء المديح الذين يكتفون بالتافه اليسير من أغراض الدنيا :

وفى الناس من يرضى بميسور عيشه ومركوبه رجلاه والثوب جلده

ولكن قلباً بين جنبي ماله مدى ينتهى بي فى مراد أحده

وفرق كبير بين الشاعر الذى يرتمى بين أعتاب ممدوحيه ضعيف النفس ذليلها ، وبين الذى يرسل شعره قوى النفس عزيزها ، ويعلن عن شخصية لها طمحات ورغبات لا حد لها ولا أمد . هذاهو المتنبي فى مجموعه . فما الذى يستفيده الشباب من دراسة حياته ؟ . والشباب فى عصرنا هذا يملأ الدنيا ويشغل الناس — على حد تعبير ابن رشيق فى المتنبي — نعم ، يملأ الشباب الدنيا بميوله ونزعاته ، بواجبه نحو نفسه ووطنه ، بتحمله وقر النهضات وتضحيته بسخاء ، بمدى صلته بحاضره وربطه بين ماضيه وحاضره ومستقبله . فهل يستطيع المتنبي أن يكون هدى الشباب اذا ما تلمسوا بعض شكوكهم فى حياته وشعره ؟ . . ان طابع هذا العصر يختلف عن عصر مضى عليه الف عام . ولكن نفسية العصاميين فى جوهرها ومنازعها وطمحاتها هى هى مهما تباينت العصور . وقبل أن نجيب على هذا السؤال الذى فرضه «الهلال» الاغر نريد ان نقول إن النزعة الجديدة فى دراسة الادب لم تعد لترتضى هذه « السطحية » فى درس الادب العربى بل لابد من درسه بتعمق واستقصاء وكشف لهذه القوى الدفينة التى تكمن فى قصيده ومنثوره . فانا مثلا لم يعد يهمنى من قصائد المتنبي فى سيف الدولة هذه البهرجة اللفظية والاساليب القوية والحكم الغوالى ، بل البحث فيها — وأنا أدرس عصر الحمدانيين — هذه الالوان التى أرى فى أصباغها نقع المعارك التى خاضها سيف الدولة فى حروبه مع نيقفور البيزنطى ، هذه المعارك التى تكاد تشبه معارك هوميروس فى الياذته . وأخرج من دراستى الى أن أدب المتنبي لم يكن أدب الحكمة والمديح فحسب ، بل كان صورة حية لهذا « الادب القومي » الذى تكاد ترتفع دعوته الصارخة فى هذه الايام على « الادب العالمى » . وانه من الزراية بأدبنا القديم ان نقف عند هذه النظرة الضيقة التى لاترى فى أغراض الشعر العربي سوى المدح والغزل والنسيب والرثاء والفخر . مع ان قليلا من البحث فى شعر المتنبي يكشفنا على منازع قومية حية تنبثق من قصائد المديح ، التى تجمع بين نظرته الانسانية الشاملة ، وعاطفته العربية الزاخرة . ومن الخبل أن نذهب مع البعض الى أن الادب القومى عرض زائل والادب العالمى جوهر خالد . فخلود الادب العالمى ذى النزعة الانسانية لايجرد الادب القومى من طابعه وقوته وأثره الواضح فى تصوير منازع الامم تصويراً يظل بارز الاثر مهما تصرمت السنون والاجيال . وهذا الادب يشغل مكانه السابق فى نهضات الشعوب وكفاحها . وهذه النزعة الهتلرية قد قضت أو كادت على كل أدب لا يصور النزعات القومية . ومثل هذا تجده فى تركيا الكمالية وفى ايطاليا الفاشيستية . والمتنبى الشاعر الذى كان يتخذ المدح وسيلة للتحدث عن